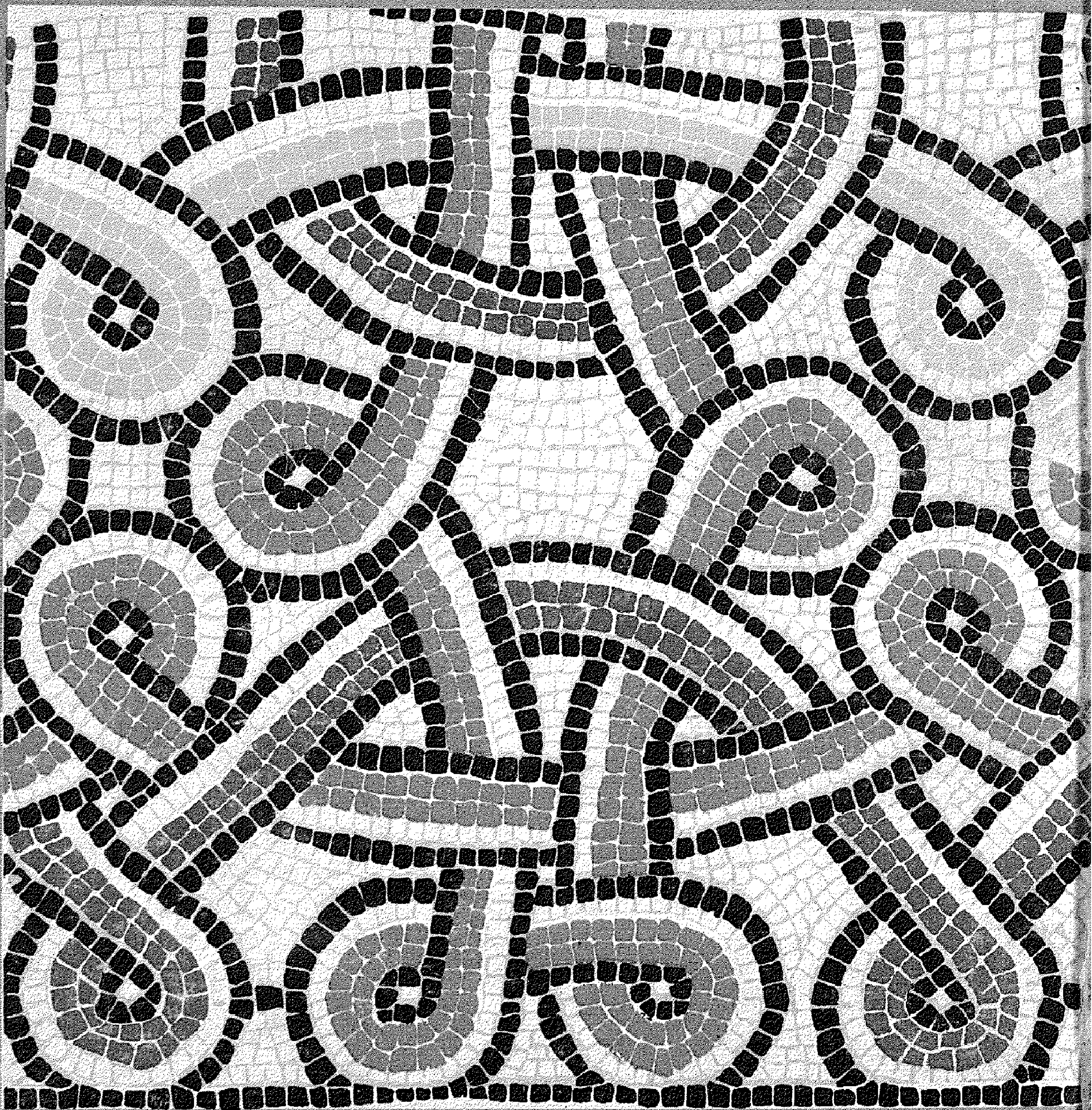
شؤون فلسطينية

٢٩

كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ــ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : فسيفساء حفريات في قرية بيتونيا .

المحتويات

١١٦ **دليل الباحثين : أفكار فتح السياسية والعسكرية (من ٦٥/١/١ ــ ٣١/ ١٩٧٢/١٢)** ، اعداد المقدم الهيثم الايوبي .

١٢٧ **مراجعـــات** : الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم ، يوسف سماحة . الاشتراكية العربية ، ومجلة النيوستيتسمان والشرق الاوســـط ، دافيد ميتشيل. الجديد في العسكرية الاسرائيلية ، هشام عبدالله ومحمود عزمي. العلاقات الاردنية ــ البريطانية ، قيس اللافي . ١٢٧ سؤالا وجوابا عن الصراع العربي الاسرائيلي ، وليد نويهض .

١٤٦ **النفط في المعركة : خمسة تقارير** : (١) اميركا والنفط: المسؤولون الاميركيون يستعيرون قلب أسد ، سمير كنعاني . (٢) الصحافة السوفياتية والنفط العربي ، رفعت ابو العون . (٣) اشترك النفط في المعركة : تقييم لمقررات وزراء النفط العرب ، نزار الشقيري . (٤) آثار حرب تشرين وازمة النفط في الدانمارك ، آني كنفاني . (٥) التحالف الغربي يتصدع على برميل النفط العربي ، س. ك.

١٧٣ **شـــهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش . مع ملحق : النظام الاردني يسقط في الاختبارات المتعددة ، ع.ع. (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، صادق جلال العظم . (٤) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب . (٥) اسرائيليات ، عماد شقور وهاني عبدالله . (٦) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقـــدم الهيثم الايوبي . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو من ٧٣/١١/١٦ ــ ١٩٧٣/١٢/١٠ ، غازي خورشيد .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

تطل الذكرى التاسعة لانطلاق الثورة الفلسطينية ، والثورة ماضية في تأكيد عزمها وتجديده ، على الصمود والانطلاق لتحقيق رغبة الجماهير الفلسطينية والعربية بتحرير الوطن وانشاء المجتمع الفلسطيني الديموقراطي على التراب الفلسطيني . واذا كانت الثورة في حاجة الى تأكيد عزمها فليس مرد ذلــك وهنا في العزيمة ، ولكنه مجابهة مع ظروف دولية وعربية جديدة نشأ بعضها في حرب تشرين وفي أعقابها قد تتطلب مراجعة بعض الاساليب ونقط الارتكاز ، ولكنها لا تبدل الغايات والاهداف البعيدة .

ان الثورة الفلسطينية تبحث في الجزئيات المتغيرة على ضوء الحقائق الراسخة ، وفي موجبات الاحداث المتطورة على ضوء الاهداف الثابتة التي لا تتنازل عنها . ولا يمكن لهذا البحث أن يكون مثمرا ونافعا الا اذا جرى في اطار النقاش الموضوعي الهادىء الملتزم ، بحيث تتصارع الافكار والآراء ، بمسؤولية ، لتصل في النهاية الى قناعات تلزمنا جميعا .

وتحاول « شؤون فلسطينية » أن تسهم في هذا المجال بأسلوب مزدوج : تقدم نفسها منبرا للفكر الحر الملتزم ، وللتحليل الموضوعي ، فتنشر ما يمكن أن يفيد المناقشة والحوار من المعلومات والاختبارات والتجارب من ناحية ، ولا تحرم طرفا من أطراف الحوار من هذه الامكانية من ناحية أخرى ، وذلك من ضمـــن رفضها الاعتراف بانقســـام الفكر الفلسطيني انقساما نهائيا ، وبالتالي من ضمن سعيها لان تكون سبيلا للوصول الى فكر انضج وموحد يساعد في اتخاذ موقف سياسي ناضج وموحد .

وتنطلق « شؤون فلسطينية » الى الموضوع من الثقة : الثقة بأن الفكر الفلسطيني ، الذي برهن عربيا وعالميا على قدرته الخلاقة ، والملتـــزم بالثورة وبميثاقها الوطني ، والمؤمن بحق الشعب الفلسطيني ، وبالكفاح المسلح لتحقيق رغبات الجماهير واهدافها ، انما هو قادر على ايجاد الحلول الافضل لكافة المعطيـــات الجديدة والاوضاع المتطورة والمآزق التي يزج بها الفلسطينيون . وهـــو قادر على ذلك بحرية المناقشـــة وتفاعل الافكار . والثقة بأن القيادة السياسيـــة ، التي تمثل الاغلبيـــة الساحقة مـــن الثوار الفلسطينيين ، تستفيد من مشورة الفكر الفلسطيني وتستنير بالآراء السليمة الهادئة والهادفة التي يقدمها هذا الفكر ، في صياغة قناعاتها وقراراتها .

واذا كان هنالك من عبرة نحاول أن نتلمسها في هذه الذكرى التاسعة لانطلاق ثورتنا ، فهي أن ثقتنا بأنفسنا ، بقيادتنا ، بمقاتلينا ، بمفكرينا ، وبأهدافنا ، وميثاقنا هي التي حمت ثورتنا وصانتها ، بحيث نستطيع أن نحتفل اليوم بهذه الذكرى العظيمة بعزم وقوة وبوجود كبير ، لننطلق نحو سنة ثورية جديدة نحقق فيها المزيد من الانتصارات ، ونكرس وجودنا ، وندعم عزمنا ، ونؤكد قوتنا .

وطن بقلم رصاصة

محمود درويش

● كانوا يقدمون له هدية السنة الجديدة . كانوا يزفون له بشرى : سينقل من غرفة التعذيب الى الزنزانة . مسيح بلا مسامير . وفي الجدران نافذة صغيرة تطل على بحر .

لم يكن له زمن من قبل . الآن يرسم خيوطا صاعدة هابطة ، وفقا لقدرة أصابعه التي صارت بلا أظافر . خيوط هابطة صاعدة يلتقي بعض أطرافها، سهوا ، ليشكل افتتاحيات دوائر . وعلى سطح البحر نسمة تمارس اللعبة اياها . لم يكن له زمن من قبل . والآن يعرف : هنا الساعة الاولى من اليوم الاول ، من الشهر الاول ، من العام الاول .

ــ ماذا حدث ؟

ــ أنتقل من مكان آخر الى .. زمن آخر .

ــ وماذا يعني هذا الانتقال ؟

ــ يعني اني أبدأ . أتحكم بالدوامة .

ــ ولكنك لم تنتقل . السجانون هم الذين نقلوك .

ــ هذا لا يغير شيئا . القيد يصقل الزند . وهكذا أعرف .

ــ ماذا تعرف ؟

ــ ان العصافير ليست حرة . وان الوطن يولد في منفى . اني أروض حالتي والتصق بالبعيد . وزندي يتحرر في قيدي .

● وكان الوطن كقدم طفل ، محبوسا في حذاء حديدي . وكان سرحان لا يعرف أكثر من ذلك . هذا يكفي ــ كان يقول. لان الاعتراف بما هو أبعد يفيد المحققين ويوسع العبارة.

كانوا ينقبون كل ذرة من ذرات كيانه ، ويدخلون الانابيب الدقيقـــة الحادة في مسام جلده ، بحثا عن فكرة الوطن . وحين كانوا يتعبون من النزهة في الجسد الضعيف ، كانوا يسدون المسام المتسعة بافتتاحيات صحف تحتج على الانتهاك ، ثم يغطونها بطحين جاء من كندا ، ويخبئون الجسم كله ، بما فيه من أسرار وغابات ، بقماش متبرعين يحبون الكلاب ويعطفون على الناس المساكين .

كان الوطن كقدم طفل . وكانوا يبحثون عن الفكرة بين المفاصل . وسرحان لا يفهم ولا يعترف لانه ، فعلا ، لا يعرف . « اذهبوا الى الخارطة واتركوني » . ولكن حين أقاموا له خيمة في الزنزانة حولها الى خارطة . وكانت هوامشها يوميات . قالوا : « في الجنة ايضا تجد خيمة » . قال : « في الجنة أيضا أحولها الى خارطة ، وهوامشها مرثيات » .

لم يجدوا الفكرة في لحمه المتفتت بين أصابعهم . كانوا يرسمون على جسمه خطوطا هابطة صاعدة تلتقي أطرافها في دوائر تشكل خارطة . صرخوا من الالم كأن الخطوط

التي رسموها قنبلة تنفجر بهم . هب آخرون لنجدتهم وقالوا : وجدناها . وجدنا فكرة سرحان . ولكن الوقت كان متأخراً . ونقلوه ، ثانية ، الى الزنزانة .

● حصان يحب غزالة
لا بد من ريح
ولا بد من حارس
للحيلولة دون الزفاف .

● كانت عقارب الساعة تشير الى : جبل ، ورصاصة ، وشهيد .
ثم تحركت الى سهول ، ورصاص ، وشهداء
ثم تحركت الى بيوت ، ورصاص ، وشهداء ، وقتلى ، وأعراس ، ومآتم
وصار لسرحان زمن .

● بين الليل والليل فاصلة أتربص بها . تفلت من أطراف أصابعي ، وتسقط في الماء .

وهذه قطرة من دمي أقدمها مساحة تفصل بين يومين فيتحولان الى عهدين .

قطرة دم واحدة ، منذ هذا التاريخ ، تجعل اليوم الذي يسبقها عهدا ينزل الى الماء لا ليغتسل بل ليغرق .

وهذه قطرة أخرى ، أقدمها لكي لا تبقى الخارطة ورقا بلا نبات وجداول .

وهذا دمي كله . أصبه كله للشجرة التي ما زالت نائمة في التراب ، فتنبت الشجرة .. وأتحرر من دمي القديم الذي جاء من القمح الكندي والجبن الهولندي .

تخرج قدم الطفل المحبوس في حذاء المنفى الحديدي ..

يصير الوطن أصغر واقرب ..

يصير الوطن في حجم القبلة وفي مسافة الطعنة .

فليعبر نشيد دمي جسر الحيرة وخيانة السيف . ليعبر نشيدي أناقة الوزن ، ويحقق الانسجام في الفوضى . ليعبر نشيدي خفيفا كسكتة القلب ، عنيفا كرحيل السفن . ولتلتئم ذراعان ضاعت احداهما في الغابات والاخرى في البحر . ليعبر نشيدي !.

● أنت مغامر يا سرحان .
— نعم .
— أين الفكرة ؟
— خرجت مني وصارت صخرة .
— لقد نسفنا الصخرة . كانت معبأة فدائيين وماتوا . لقد نسفنا الصخرة .
— أعرف ذلك . ولكن الصخرة لم تمت .
— رأيناها تطير في الهواء ذرات ذرات .
— لقد خرجت من الارض وصارت فكرة .

تعبوا منه . تعبوا كثيراً . وصار كل فريق مشغولا بيومه . سرحان يحاول الامساك

باللحظة الفاصلة بين الليل والنهار . والسجانون يفتشون عن الفكرة في الصخرة ، وعن الصخرة في الفكرة . ويحاولون الامساك بالفارق بينهما . ثم يعودون الى جسد سرحان الذي فرغ من الدم فتكاثرت حوله الفراشات .

● من هذه النافذة يبتدىء البحر ، ويمشي دمي .

الصيف والشتاء ذراعان ينغلقان على وطن .

اذا فتحوا مسام جلدي ، مرة اخرى ، تحول الفراش المتطاير منها الى أطفال يولدون.

نجوت من حوادث الطرق ، لاني لا امشي على طرق . حيث تحط قدمي تكون طريق .

لا ضجيج قبلي ، ولا هدوء بعدي . يجب أن تحفظوا اسمي جيـــدا ، فقد تصابون باسمي ، قد تصطدمون باسمي فينفجر بكم .

الوقت هو زفيري وشهيقي . حطموا الساعات . واعرفوا مواعيد المطر من النحل الذي يحوم حول جراحي . واذا جاءكم السنونو ، في غير موعد ، قولوا : تنفس .

كل شيء يتغير . وانا ادشن زمني ، ويقفز الي وطني كأسير في حضن زوجة .

وهذا سفر تكويني : في الساعة الاولى ، من اليوم الاول ، من عمر الرصاصة الاولى، كانت الصحراء تنزل عن عنقي وتتعلم الابجدية . كانت تقرأ كتاب الشجر بقلم رصاصة. وكان الجبل العانس يتزوج رصاصة .

كان الوطن كله يختبىء خلف رصاصة .

انطلقت . . . فآفاق .

ومن هذه النافذة يبتدىء البحر ، ويمشي دمي .

● يذهبون الى الحرب ، كما يذهب الحصان العاشق خلف الغزالة الشاردة .

منذ تسع سنوات ، والحب يتصاعد : اعراسا ومآتم . والزنزانة تذوب تذوب .

وفي هذه الليلة أين وصلت ؟

ــ أعطيت الحلم قدمي ، فسار معي . لم يعد وطني لا أمامي ولا ورائي .

ــ أين هو اذن ؟

ــ يجب أن تفصلوا البحر عـــن الدم لكي تضعوا حدودا بيـــن جسمي ووطني . الا تشعرون بالخوف !.

كانت أجراس الميلاد تدق . وكان المسيح يملأ الليلة والعالم . وكان حوار الصخرة والفكرة يجعل الصلاة نزيفا ، ويحول النزيف الى صلاة .

مد سرحان يده الى صدره ، فأخرج منه القدس . وضعها أمامه . ثم قام ومشى على السور . « لم اتأخر كثيرا . دمي وصل » . . كان يمتد من الزنزانة الى الافق ، ويشكل قوسا نصف دائري . وكانت الريح تتحول الـــى أسلاك تلتف على حراسهـــا وتجعل المسافة بين الحصان والغزالة رؤية واضحة .

حصان يحب غزالة

لا بد من ريح
ولا بد من فارس
ليتم الزفاف .

أبدأ بالطفولة وأقول جذري الماء

(تنويعات على ماء الاردن)

أدونيس

I

حول أشياء تطلع كلمات لا تقال ، حول كلمات تصنع أشياء لا تجدي ،
أسكن بين الانقاض ، وأهيىء شكل الطوفان .

II

الجذع حزمة رصاص وكتفاه مقبرة : يقتلع نفسه من بيته ويزرعها في بيت آخر . يضع قدميه حيث تضع السنابل أهدابها ، وفيما تتفتح أزهار الارض ، يغلق السماء ويشحذ آلة الخراب . يقتل العصافير العائدة الى أعشاشها . يرفع بين الطفل والام ، البيت والاهل ، الماء والمصب ، سدودا من الرعب .

يلصق على أرض الوطن خريطة أخرى .

ثمة جدران تتهدم وتتناسل مآتم مآتم . ثمة حقول نسيت عادة البذار والحصاد . لم يبق لذاكرتها الا أن تحضن الجثث والرماد . وبين العمق الذي يكتنز الجذر ، والسطح الذي يحتضن الورق ، تهدر طبقاتها أنينا ولهبا .

والزمن حولها جرح مفتوح كالشمس ، والفضاء يصلب عرقا عرقا .

حربة تغوص في صدر فلاح : من هنا الحقول .

رصاصة ترصد رأس عامل : من هنا يومك وغدك .

ربما انتفض قرميد ينتظر صديقه ــ زغب السنونو . ربما هدرت صخرة تلبس بردة الصمت . ربما اشتعل ماء نذر نفسه ليطفىء الحرائق .

بطيئا بطيئا يشحذ آلة الخراب ،

سريعا سريعا يفتك ويلتهم .

يسور الضفاف والماء والنهر . الجذع حزمة رصاص وكتفاه مقبرة .

أبدأ بالكفن ، وأقول جذري الماء .

III

الفجر يستيقظ ، يضع ثيابه في حقائبه ، يسافر ويغلق الـــى الابد عينيه . الزهرة تتعرى ، تترك جسدها للتراب العاشق ، وتغلق الى الابد عينيها . البطل يفتح وريده ، وبعد ان يسافر ويغلق عينيه الى الابد ، يترسب في قرارة الوطن قطرة قطرة . النهر وحده يسافر ويبقى . يبقى في السفر ، يسافر في البقاء ، وعيناه تبتكران الآفاق .

بين الضفة والضفة متاهات وأزمنة ، حيث تتلألأ افلاك بلون الدمع وأشرعة بحجم الفضاء . وحين يقرع الليل أجراسه ويصعد القمر سلم غرفته ليحلم بمدار آخر ، يفتح بطل آخر أهدابه ، ينهض يحلم :

أبدأ بالنهر وأقول جذري الماء .

في مزيج من التواريخ والمدن تتنازع المهبات رياحها ، يبدأ خطواته . يتعثر به الغبار ، والغيوم حوله خيام وأجراس . يسمع اغنية يقول ها هو المطر . يرى فراشة يقول ها هي الطريق . ويطلب الحجر لا الجناح والعصف لا الصحو .

أبدأ بالعصف وأقول جذري الماء .

IV

البحر الميت ماء يجرحه بريق الملح .

لكن ، في تشرين حيث تبدأ الفصول هديرها الآخر ، يتحول البحـــر الميت الى جسد يجرحه تاريخ البرق . في الضفاف شفاه ترسمها حروف الصلصال . في التموجات وجوه تصبغها كآبة الحجر . لكن ، ثمة شجرة لها شكل الوجه ، وثمة وجه له نكهة الرعد .

أبدأ بالرعد وأقول جذري الماء .

V

فلاحة هي الشمس بين غزة والقدس . تحمل جرارها الـــى ينابيع تخبئها راحات الاطفال . تحمل معها خطوات بلا طرق وقرى بلا نوافذ . لكنهـــا حبلى بأجنة الفضاء والريح . وفي فضاء تزرعه أيام الفجيعة والهلع ، تكبر الطفولة وتحيا .

أخضر هو العالم الذي يتفتح بين الخطوة والتشرد . أخضر هو الزمن الذي يتحرك بين الطفل والطريق .

كل خطوة كتاب من الضوء .

ابدأ بالضوء واقول جذري الماء .

VI

لم يعد لذلك الراعي أن يغسل خرافه على ضفاف صديقه النهر . يوم غسلها ، للمرة الاولى ، لم يكن النهر يعرف الا نهاره وليله . كانت الصداقة بينهما بوابة دخلت منها خطوات سميت فيما بعد ، التاريخ .

بقي النهر ولم ينته الراعي . مـــاتت خطواته بين الكوخ والنهر ، لكي تتحول الى خطوات بين الافق والافق . وثمة شريان بطول الهواء يصل بين جسده وجسد النهر . ينزل تارة مع الماء حتى زرقة القاع ، يصعد تارة مع الماء حتى زرقة الاثير . حاضر أبدا ، والهواء يشهد ويشهد البحر .

أيها الشرق المائل الى الغروب التفت . انه الراعي ، وها هو أول الضوء : « اليوم اكسر أبواق الذاكرة » ،

ويتقدم الراعي .

انه بداية الطفولة ، انه الماء الاول .

أبدأ بالطفولة وأقول جذري الماء .

VII

يقبل الميلاد في صنوبرة تحمل الفصول . يصده عمود ، يحصره جدار . بين البراءة والرعب ، يتقدم . فجأة ، يطلع صبي من القدس . يطلع معـــه أطفال بعلو المآذن . ويذهب الموكب الى النهر . للنهر لون غزة ودير ياسين . لكن للماء وسوسة المستقبل .

ونشهد الغيوم تقترب ، تتجمع ، تتكاثف . ونشهد الموكب يدشن البرق . نرجع ولكل منا أن يردد :

أبدأ بالبرق وأقول جذري الماء .

المرحلة الراهنة ومهماتها

الدكتور كلوفيس مقصود

عند كتابة هذه الاسطر يبدو ان الدخول في القضايا الجوهرية الناشئة عن الحرب التشرينية والمتعلقة بمواضيع الانسحاب وتنفيذ بنود قرار مجلس الامن ٢٤٢ لن يتم البحث فيها قبل شباط (فبراير) القادم ، ويبدو ان هذا من بين الاسباب التي أدت الى الموقف السوري بمقاطعة مؤتمر جنيف . من هنا صار بامكاننا أن نكتب ما نفكر به دون ضغوط الوقت المتزايدة التي تؤثر في رغبتنا الاكيدة في التوفيق بين حقائق يمليها علينا الالتزام المبدئي بستراتيجية التحرير من جهة وبحقائق تمليها علينا الظروف الموضوعية التي فرضتها الحرب التشرينية وما أوجدته من معادلات جديدة في المنطقة من جهة ثانية.

وبرغم انه كان متوقعا أن يحصل التعثر في تحديد موعد انعقاد مؤتمر جنيف الا أن اصرار الولايات المتحدة على اختيار موعد قبل الانتخابات الاسرائيلية صار بالنسبة الى وزير خارجيتها هنري كيسنجر حاجة ملحة لربط اسرائيل في اطار مؤتمر السلام شكلا حتى تتمكن الولايات المتحدة من خدمة مصالح اسرائيل واقعيا . الا أن الاصرار الاميركي على ضرورة انعقاد مؤتمر جنيف في ٢١ كانون الاول كان من شأنه أن يعطي الولايات المتحدة مصداقية لدى بعض الاقطار العربية التي استعجلت عقد المؤتمر من أجل ترجمة سريعة للمكاسب الستراتيجية والدبلوماسية التي حققها العرب منذ الحرب التشرينية الى وقائع ملموسة . الا أن العنصر الاساسي بالنسبة لموقف المفاوض العربي كان ولا يزال ان مؤتمر جنيف يتم في ظل المعادلة الدولية الراهنة . وبرغم الفرق الجوهري بين مواقف الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة فيما يتعلق بالصراع العربي ـ الاسرائيلي الا ان تعادلهما الستراتيجي داخل مؤتمر جنيف للسلام كان من شأنه أن يساوي بين الحجم الدولي الاوسع والاعمق للعرب والحجم الدولي الاضيق والمتقلص لاسرائيل . هذا ما دفع دول اللاانحياز في مجلس الامن أن تتخذ قرارا عشية انعقاد مؤتمر جنيف من أجل تأكيد أولوية دور الامم المتحدة وتوجه المؤتمر مستقبلا نحو توسيع رقعة المشاركة العملية فيه .

يبدو جليا هنا ما تقدمه اسرائيل من اعتراضات على هذا التوجه اذ أن اسرائيل تمشيا مع تراث الدبلوماسية الصهيونية تتصرف كأن من لا يوافقها على سياساتها العدوانية ومسالكها التوسعية لا بد من اسقاطه من حساب المعادلات الدولية مما يؤدي الى تفريغ الدول المتجاوبة مع الحقوق العربية او على الاقل مع مقررات الامم المتحدة من وزنها في معالجة ازمة الشرق الاوسط . وهكذا ، باستثناء الاتحاد السوفياتي باعتباره دولة أعظم في المعادلة الدولية ، فان كل دولة أخرى لا تحظى سياساتها بموافقة اسرائيل لا بد من استثنائها من الفعل والاسهام في حل أزمة هي بدورها ذات أبعاد دولية . هذا بدوره أدى بنا الى اظهار شكوكنا ومخاوفنا فيما يتعلق بصيغة الدعوة كما وردت في باديء الامر والتي لم يبت نهائيا بعد في أسسها خاصة فيما يتعلق بدور الامين العام للامم المتحدة.

الا أن الامر الاهم بالنسبة لنا ليس فيما يتعلق بصيغة الدعوة للمؤتمر رغم أن الصيغة هي عنوان توجه المؤتمر ، بل هو ان التأخير المحتوم على دخول المؤتمر في صلب

القضايا الناشئة اثر الحرب التشرينية يفسح أمام الثورة الفلسطينية والعرب الملتزمين بأهدافها مجالات أوسع لدراسة مختلف البدائل المطروحة أمامها دون الشعور بالحاجة الى اتخاذ قرارات متسرعة فيما يتعلق باشتراكها بالمؤتمر من حيث أن الاشتراك فيه عند بدايته من شأنه أن يضيق على الثورة عدد الخيارات المتوفرة لديها الآن .

في هذا المجال يمكننا التقرير بأن العالم أخذ يدرك بشكل ملموس انه لا يمكن تحقيق السلام العادل ـــ أو حتى غير العادل ـــ بدون معالجة جذرية للقضية الفلسطينية ، التي هي بدورها منشأ الازمة . بكلام آخر فان ما كان يشكل بالنسبة الينا حقيقة بديهية صار بالنسبة للعالم قناعة مستجدة ومسلمة جديدة في علاقاته مع المنطقـــة . يستتبع هذا بالضرورة أن كل محاولة لايجاد أية حلول لازمة الشرق الاوسط بمعزل عـــن القضية الفلسطينية وأصحابها مكتوب لها الفشل المسبق. فمنذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ ـــ وخاصة أثناء مجزرة أيلول ١٩٧٠ ـــ وصلت المحاولة لاقصاء القضية الفلسطينية عن موقعها المركزي الى أوجها . ثم كانت محاولة مشروع الملك حسين باقامة « المملكة العربية المتحدة » مبادرة أميركية ـــ صهيونية من شأنها ابقاء العامل الفلسطيني داخل السلطة الاردنية المرضى عنها اسرائيليا .

نعيد التذكير بهذه الحقبة لاننا نشاهد اليوم كيف تعمل السلطة الاردنية مـــن خلال اشتراكها في مؤتمر جنيف على ايهام العالم بأنها تمثل ـــ على الاقل ـــ قطاعا أساسيا من الشعب الفلسطيني فتشمل في وفدها ثلاثة من « الشخصيات » ذات الماضي « الوطني » نسبيا لتؤكد نوعا من « الحق » في تمثيل الفلسطينيين . كل هذا من شأنه أن يدل على امعان السلطة الاردنية في سياستها المناقضة لقرار مؤتمر القمة القاضي بكون منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثلة الوحيدة لشعب فلسطين ويدل على امعان من السلطة الاردنية بالتواطؤ مع المحور الاميركي ـــ الاسرائيلي للحيلولة دون بروز أي كيان متميز ومستقل للفلسطينيين في قسم من وطنهم أو تأكيد حقهم التاريخي في كل وطنهم .

اما فيما يتعلق بمحاولات السلطة الاردنية تغطيـــة ضلوعها في التواطؤ مع المحور الاميركي ـــ الاسرائيلي بادخال « تشكيلة » من المواطنين المنتسبين جغرافيا الى الضفة الغربية والمنسلخين فعلا عن معاناته وأمانيه فان ليس لهم اية أهلية للتمثيل من حيث انهم عناصر امتصتها السلطـــة الاردنية الى اطارها فصار دورهم خدمة السياســـة الاردنية أكثر من تمثيل أي قطاع فلسطيني . لكن تجدر الاشارة ان كثيرا من الحركات التحررية ووجهت بمثل هذه الحالات فما كان منها الا ان اتخذت اجراء بسيطا بحق من يخرج عن شرعية الثورة وهو ان اسقطت هؤلاء الخارجين الى حيث كانوا مؤهلين ان يكونوا أي موظفين عند السلطة الهاشمية . من هنا يتوجب علينا ان ننتظر في الاسابيع القادمة مزيدا من التحايل الذي ستقوم به السلطة الاردنية بغية انتزاع أهلية التمثيل لقطاع من الشعب الفلسطيني في المجال الدولي على الاقل في المراحل الاولى من مؤتمر جنيف . الا ان صك الاعتراف بمنظمة التحرير من قبل قمة الجزائر ، والذي ليس فيه من جديد الا كونه قرارا اخر بحقيقة قائمة ، يشكل ازاء العالم أحد الردود الفقهيـــة والسياسية امام انتحال أي وفد اردني رسمي حق تمثيل أي فلسطيني . اضف الى ذلك ان الشعب الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة على وجه التخصيص أدرك بحسه النضالي المرهف ابعاد التآمر على شخصيته وعلى المؤهلين لتمثيله فما كان منه الا ان قام بمزيد من العمليات العسكرية ومن الاعلان الواضح عن ولائه وتعلقه بمنظمة التحرير كاطار لوجوده وتمسكه بان يكون لمؤسسات المنظمة الحق في التعبير عـــن مواقفه .

وبرغم عدم ضرورة تكرار هذا المنطق الا ان الاسابيع القادمة ستشهد المزيد من محاولات الاحتواء والتطويق والتضييق وربما الانقضاض . الا ان هذه المحاولات لن ترى النور ولن تتمكن من التحول الى اجراءات تنفيذية مطلقا ما دامت الثورة الفلسطينية قادرة على حماية الوحدة الوطنية عند الشعب الفلسطيني ووحدة الموقف السياسي لتوجيه المسيرة الفلسطينية في اشد مراحلها تعقيدا .

يستتبع هذا بالضرورة تكثيف التعبئة السياسية في مختلف قطاعات الشعب الفلسطيني حتى لا يؤدي التباين في ظروف هذه القطاعات واولوياتها — من حيث ان بعضها يرزح تحت نير الاحتلال والبعض الاخر داخل اطار السلطة الهاشمية والاخر في مخيمات لاجئين — الى تباين في اسلوب وفي مضامين البرامج والاولويات السياسية في المرحلة الراهنة . وبرغم الحدة في التعبير التي لازمت المناقشات العلنية لبعض قيادات المقاومة من حيث تصورها لما يجب ان يكون القرار الفلسطيني الان ، ورغم ان هذا الحوار العلني هو تعبير عن منـاخ الديمقراطية الواسعة المتوفر في السـاحة الفلسطينية ، الا ان الظروف الدولية والتطورات التي طرأت على مؤتمر جنيف للسلام تعني ان لا ضرورة مطلقا لاستعجال بلورة مواقف نهائية تصبح بمثابة التزام مبدئي على الاقل في المرحلة الراهنة .

هذا لا يعني ابدا ان الثورة الفلسطينية يجب ان تقفل باب الحوار . بالعكس فان دعوتنا تتوجه الى تكثيفه من حيث ان تبلور المواقف بشكل سابق لاوانه هو الذي (يسلق) المواقف وبالتالي يجهض الحوار .

المطلوب اذا مواصلة دؤوبة وتتبع دقيق لما يخططه لنا العدو على كل المستويات . فهو مثلا : ١) يريد ان يفك مستوى التلاحم الدولي الذي حصل مع الموقف العربي ابان الحرب التشرينية وبعدها حتى يستعيد مقدرته على المناورة والمراوغة في الامتثال للارادة الدولية . ٢) يسعى العدو ان يبقى موضوع مؤتمر جنيف بمنأى عن المؤثرات الدولية المتعاطفة مع الحق العربي وحصر القرار بالمعادلة الثنائية السوفياتية — الاميركية متوخيا ان تلغي الواحدة منها الاخرى في القضايا الجوهرية وبالتالي تتمكن اسرائيل من شراء الوقت الاضافي . ٣) الاستفادة من الوقت الضائع من أجل تحويل سلاح النفط العربي من تحريك الموقف الدولي الى جانب الحق العربي كما هو حاصل لغاية الان الى افساح المجال امام العدو وأجهزته الصهيونية للقيام بحملة تشهيرية ضد العرب من خلال الادعاء بأن سلاح النفط هو ابتزاز وتحريض الرواسب العنصرية والامبريالية من ان تستعيد مواقعها التوجيهية حتى ينوجد المناخ الطبيعي من أجل معاودة اسرائيل والامبريالية سياسة العدوان والتدخل والانقضاض . ٤) تمكين السلطة الاردنية من ضرب الوحدة الوطنية الفلسطينية وافساح المجال امامها من أجل تقليص فعالية واهمية الاهلية التي تتمتع بها منظمة التحرير الفلسطينية . ٥) ابراز مفتعل لاوجه التناقض الشكلي بين اسرائيل والولايات المتحدة من أجل ان يكون الحليف الاساسي لاسرائيل قادرا على ان يلعب دور الوسيط .

هذه بنظرنا هي الخطوط العريضة لما يخطط له العدو في الاسابيع القليلة القادمة ريثما يتمكن العدو بدوره من اجتياز مرحلة الانتخابات وهضم دروس الحرب التشرينية الاخيرة وتأليف الحكومة بدون ضغوط المطاليب الدولية الملحة عليه بالانسحاب الكامل وتنفيذ بنود مقررات الامم المتحدة .

كما ان العدو الاسرائيلي يعمل جاهدا على استيعاب الاسلحة والمساعدات المالية التعويضية التي قدمتها الولايات المتحدة والبالغة أكثر من مليار ومئتي مليون دولار

حتى تتمكن من اعادة بناء ترسانتها العسكرية واعادة بناء معالم ايديولوجيتها المهزوزة — حتى لا نقول التي بدأ يتآكلها الخطأ الاساسي الكامن فيها .

امام هذه الاحتمالات يصبح لزاما على المؤتمر الشعبي الفلسطيني المنوي عقده في اواسط هذا الشهر ان يؤكد الحقائق التالية : ١) أهلية كونه الممثل **لكل** الشعب الفلسطيني **يتحرك ويتمثل ككل** . هذا يعني ان ليس هناك من جهة عربية — مهما كان أي قطاع فلسطيني قريب منها عقائديا او سياسيا او بعيدا او متناقضا عنها عقائديا او سياسيا — ان تعبر عن موقف هذا الشعب . فالاولوية في هذا المضمار هي وحدة الشعب وبالتالي وحدة موقفه المنبثق عن الحوار الديمقراطي الحاصل في صفوفه . **ثانيا** — تأكيد أهلية منظمة التحرير لاتخاذ المواقف والقرارات المصيرية عنه من حيث ان منظمة التحرير هي هذا **الكل** الفلسطيني . وتنطلق هذه المشروعية من خلال كون حركات التحرير تصبح مرادفة للشرعية عندما يكون الشعب رازحا تحت الاحتلال او كونه مشردا او الاثنين معا كما هي الحال في واقع الشعب الفلسطيني . هذا يعني بدوره انه لا يمكن ان توجد اية احتمالات — وهذا ما يتوجب على المؤتمر الشعبي الفلسطيني تأكيده بشكل مطلق — لان تعتبر المنظمة نفسها احدى الهيئات الفلسطينية أو حتى الهيئة الرئيسية للفلسطينيين . لانها اذا اعتبرت نفسها احدى الهيئات او حتى الهيئة الرئيسية ، تكون قد اجازت لنفسها ان تنفلت منها صفة التمثيل الشامل والكلي . وهذا ما لا تفعله اية حركة تحرير قبل انجاز التحرير او مهمات التحرير المنوطة بالحركة . **ثالثا** — ان ما يقال عن «زعامات» محلية داخل الاراضي المحتلة وكونها تستوجب مراعاة منظمة التحرير لها فهو مردود أصلا من حيث ان هذه « الزعامات » هي من أجل توفير تسهيلات يمكننا تسميتها تسهيلات بلدية وادارية وفي مجال الخدمات المحصورة . فاذا كانت هذه « الزعامات » تعتبر نفسها منضبطة في منظمة التحرير ومنفذة لسياساتها ومواقفها ، عندئذ لا بد لهذه « الزعامات » ان تكون مشمولة داخل أطر منظمة التحرير — اما في المجلس الوطني او المؤتمر الشعبي — . اما ان تعامل كقيادات مستقلة فهذا يعني تخليا عن أهلية التمثيل وتسيبا غير متوقع وغير مسموح به في حركات التحرر الوطني . **رابعا** — ان تستمر الثورة الفلسطينية بتأكيد التزاماتها المبدئية والستراتيجية وتكييفها بموجب التطورات الراهنة والمحتملة . الا ان الثورة عليها ان تدرك انها هي بدورها قادرة على ان تجعل التطورات الدولية والاوضاع الدولية تتكيف بما تتمكن من انضاجه ثوريا من خلال وحدتها الوطنية العضوية ومن خلال عدم اعتبارها ان الموقف الدولي او العربي رسى على المعادلات التي هي عليه .

وفي ذكرى دخول حركة التحرير الفلسطينية (فتح) عامها العاشر لا بد من التذكير مما ذكرتنا به هي في اول عام ١٩٦٥ ان ما يبدو مستحيلا اليوم قادر بفعل الثورة ان يصير ممكنا في الغد ...

بعض الدروس التربوية للحرب العربية الاسرائيلية الرابعة

الدكتور عبدالله عبد الدايم

التقى عدد من المفكرين العرب في المؤتمر الوطني السابع للانماء الذي دعا له كل من ندوة الدراسات الانمائية والمركز التربوي للبحوث والانماء ، في بيروت ، في يومي الرابع والعشرين والخامس والعشرين من نوفمبر ٧٣ ، حول موضوع « استراتيجية الثورة العلمية التكنولوجية : تكوين البنية الاساسية للتقدم العلمي والتكنولوجي » . وفيما يلي نص بحث قدم لاحدى حلقات المؤتمر عن الدروس التربوية لحرب السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ .

من العسير في هذه المرحلة ان نستخلص الدروس التربوية المباشرة التي تقدمها لنا حرب السادس من تشرين . ولهذا نكتفي ببعض الملاحظات العامة المستقاة من جو المعركة والتي تصدق في الوقت نفسه كمبادىء عامة لا بد منها في أي معركة مع العدو الاسرائيلي :

اولا : **التدرب على الحرب ينبغي ان يشمل جميع المواطنين** : اذا كان شعار « المجتمع المتعلم » شعار التربية في عصرنا فشعار « المجتمع المحارب » ينبغي ان يسير معه جنبا الى جنب في مثل مجتمعنا العربي الذي تكون المعركة قدرا مفروضا عليه حتى سنوات طويلة :

١ ــ التدريب العسكري الذي تقدمه التربية للطلاب في المدارس لا يكفي ، بل ينبغي ان يشمل افراد الشعب جميعهم (معركة مدينة السويس مؤخرا اثبتت اهمية ذلك بوجه خاص) .

٢ ــ هذا التدريب ينبغي ان يأخذ أشكالا متنوعة تبعا للاعمار المختلفة والجنسين وللاعمال التي يمارسها كل مواطن ولكفاءاته وخبراته .

٣ ــ جو المعركة ينبغي ان يسود حياة المواطنين جميعا : الاعداد للمعركة عمل مستمر دائم ــ حال السلم بالقياس الى الحرب ليست سوى استعداد للحرب .

٤ ــ اعداد المواطنين لجو المعركة لا يكون كاملا الا بالممارسة العملية للنشاطات المتعلقة بالمعركة . وسائل ذلك عديدة لا مجال هنا لتعدادها .

ثانيا : **معركة بناء المجتمع في شتى جوانب حياته ينبغي ان يكون جزءا لا يتجزأ من الاعداد للمعركة الحربية** : من الواضح ان البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية هي البنية الخلفية التي تستمد المعركة الحربية منها عوامل قوتها . ومن هنا لا بد التأكيد على الامور الاتية :

١ — المؤسسات الاقتصادية مواقع اقتصادية وحربية في آن واحد ، ولا بد بالتالي من ربط نشاط هذه المؤسسات (من صناعية وزراعية او تجارية او سواها) بالتعبئة الشاملة من أجل المعركة . أما وسائل ذلك فعديدة ، منها :

— ان يكون هدف زيادة الانتاج هدفا هاما لهذه المؤسسات الاقتصادية .

— ان يكون الاستخدام الامثل للموارد المتاحة ستارا موجها لهذه المؤسسات .

— ان تكون زيادة فعالية الادارة في تلك المؤسسات مطلبا أساسيا من مطالب الاعداد الدائم للمعركة .

— ان يكون انشاء المؤسسات الاقتصادية الرائدة احدى السبل الاساسية لتوجيه سائر المؤسسات نحو اهداف المعركة .

ان يشتمل نشاط هذه المؤسسات الاقتصادية على جانب تربوي تثقيفي ، يربط بين العطاء الاقتصادي لها وبين دورها في بناء المجتمع النامي القادر على الصمود في المعركة .

٢ — لا بد من تعميق دور الجمعيات والنوادي والنقابات وسائر المنظمات الاجتماعية في اشاعة جو المعركة وفي بناء المجتمع الموحد المتماسك .

٣ — لا بد من الاهتمام بالبناء الثقافي للمجتمع وبتربيته في شتى صوره وأبعاده ، بحيث يستطيع ان يمتلك المواقف والمهارات والخبرات اللازمة من اجل اغراض المعركة . وسيأتي تفصيل هذه النقطة في الجزء الثالث التالي .

ثالثا : **البناء التربوي والثقافي ينبغي ان يرتبط ارتباطا وثيقا باهداف المعركة** : لا شك ان البناء التربوي والثقافي هو أهم مهاد تنطلق منه عمليات البناء الاخرى وينطلق منه الاعداد للمعركة . والحديث عن هذا البناء التربوي في شتى ابعاده حديث يطول . وحسبنا ان نشير الى اهم الجوانب التي تبدو لنا الصق باغراض المعركة :

١ — اهمية وحدة الثقافة في البلد ودورها في خلق كيان موحد متماسك توجهه اهداف مشتركة ورؤية مشتركة ودورها في القضاء خاصة على مختلف العلاقات الطائفية والقبلية والعائلية وسواها .

٢ — اهمية الربط بين ثقافة البلد وثقافة سائر البلدان العربية والدور الذي يلعبه تكوين الفرد العربي ذي النظرة الشاملة الموحدة ، وذي الافق العربي المتكامل .

٣ — اهمية الربط الوثيق بين التكوين الثقافي العام للطالب والمواطن وبين تكوينه العملي والتقني والمهني ، وضرورة السعي لاحداث ثورة علمية تكنولوجية موحدة في شتى جوانب المعرفة (الثقافة العلمية التكنولوجية تستلزم ازالة الحواجز بين جوانب المعرفة الانسانية ، وتزويدها جميعها باساليب الثورة العلمية التكنولوجية وتقنياتها . أساليب الثورة العلمية التكنولوجية ليست مقصورة على العلوم الدقيقة المحضة ، بل تشمل الدراسات الانسانية وشتى جوانب المعرفة) .

٤ — ضرورة خلق المواقف النفسية اللازمة لمجتمع الحرب والمعركة . وهنا ترد جوانب عديدة تتصل بتكوين هذه المواقف النفسية . حسبنا منها بعضها :

— اهمية تربية الطلاب على العمل الجماعي التعاوني وعلى روح الحياة المشتركة .

— اهمية تربية الطلاب على الحياة الديمقراطية السليمة وعلى أساليب القيادة الذاتية .

ــ اهمية تكوين روح النضال والقتال .

ــ اهمية تكوين « ارادة التغيير » والقدرة على التغيير لدى الطلاب .

ــ اهمية تكوين ارادة البناء القومي المستقل والشخصية العربية المعتمدة على امكاناتها اولا المؤمنة بقدراتها الذاتية .

ــ ضرورة تعهد ارادة الحياة المشتركة لدى المواطنين وتعبئتهم في سبيل الاهداف المشتركة .

ــ تعميق دور التربية في تكوين العقلية المخططة القادرة على رسم اهداف قريبة او بعيدة وعلى السير المنظم نحوها .

ــ تعهد التربية للتفكير العقلاني والنظرة العلمية الى الاشياء ، وعنايتها باشاعة روح البحث العلمي ووسائله .

ــ تعهد التربية للفكر المبدع الخلاق في شتى المجالات والعمل على تفتيحه واطلاق طاقاته الفنية .

ــ عناية التربية بتكوين النظرة المستقبلية القادرة على رسم « تاريخ الغد » وعلى صنع المستقبل وامتلاكه ــ الخ ...

٥ ــ الاهتمام بالتربية غير النظامية والربط الوثيق بين عطائها وعطاء المدرسة النظامية . ولا شك ان دور التربية غير النظامية (التي تتم خارج اطار المدرسة) في تكوين المواقف والمهارات والقدرات اللازمة لمجتمع المعركة ، دور كبير ، يتناول شتى اوجه التربية التي يمكن ان تقدم قبل المدرسة وبعدها . وحسبنا ان نؤكد على بعض هذه الاوجه :

ــ وسائل البث الجماعية (صحافة ، اذاعة ، تلفزيون ، افلام ، الخ) وضرورة العناية بمضمون الثقافة والتربية اللتين تقدمهما ، بحيث يخدم هذا المضمون اهداف المعركة .

ــ أهمية الادب والفكر والشعر والفن في خلق المواطن المعبأ للمعركة .

ــ اهمية تعليم الكبار ومكافحة سائر أشكال الامية ، في توجيه المواطنين نحو اهداف المعركة .

ــ اهمية مراكز التدريب والتأهيل ، وأهمية الدورات التجديدية والتثقيفية ، في تكييف القوى العاملة وفق مستلزمات المعركة .

ــ اهمية النشاط الرياضي في خلق المواطن المؤهل للمعركة .

ــ الاهتمام بتثقيف المرأة خاصة وبالربط بين حياتها ونشاطاتها وبين اهداف المعركة.

رابعا : **تكوين القيادات وتربيتها مطلب أساسي من مطالب الاعداد للمعركة** : طبيعي ان يكون للقيادات الممتازة في شتى جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، دور أساسي في تحقيق اهداف التربية اللازمة للمعركة . ويتجلى هذا الدور خاصة في الامور الاتية :

١ ــ دور القيادات الاجتماعية وضرورة تكوين مؤسسات اجتماعية فعالة في كل بلد وقرية (تتجاوز المؤسسة الاجتماعية التقليدية : الاسرة) ، لتكون الموجه لحياة المواطنين ولتكون المرجع في الايام العصيبة .

٢ ــ اهمية تكوين القيادات السياسية القادرة على التفاعل مع الجماهير وتوجيهها

(ايمان الجماهير باهداف المعركة وبمن يقود تلك الاهداف ، ومشاركتهم في بناء الاهداف، من الشروط الاساسية لنجاح المعركة) .

٣ ــ اهمية تكوين القيادات التربوية الشعبية القادرة على التأثير في تربية الجماهير وتكوين المواقف الفكرية والنفسية الملائمة لديها .

٤ ــ اهمية تكوين القيادات العلمية والادارية والمهنية وسواها .

خامسا : **معرفة العدو** : من الاهداف الاساسية للتربية التي تعد المواطنين للمعركة، ان تعنى هذه التربية بتعريف هؤلاء المواطنين بالواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعسكري لدى العدو . ومن الخطأ الفادح ان نعتقد ان عدم الاعتراف بالعدو يعني عدم معرفته . فالعكس هو الصحيح .. ونحن لا نغالب الاشياء ، كما قال بيكون، الا اذا عرفنا اولا طبيعتها والقوانين التي تسيرها . ومن هنا كان لا بد للتربية النظامية وغير النظامية ان تعنى بتعريف المواطنين على اهم مظاهر حياة العدو . ويشمل ذلك ، فيما يشمل :

١ ــ الاطلاع الدقيق على واقع العدو في مختلف جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية .

٢ ــ الاطلاع على الارتباط الوثيق بين واقع العدو الاسرائيلي وبين القوى الصهيونية والامبريالية في العالم .

٣ ــ معرفة البنية النفسية والفكرية خاصة لدى العدو .

٤ ــ معرفة مخططات العدو وتصوراته المستقبلية واساليبه في تنفيذ تلك التصورات.

٥ ــ معرفة نظرة العدو الى العرب والى الواقع العربي ومقوماته المختلفة (الاقتصادية ، السياسية ، الاجتماعية ، الفردية ، النفسية ، الدينية ، الخ) ومعرفة اسلوب تعامله مع هذا الواقع .

الملامح الثورية في الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة

المقدم الهيثم الايوبي

« تكون الحرب كما يكون القائد الذي يقودها ، وكما تكون النظرية التي تحكمها »
(كلاوزفيتز)

يعتقد القادة العسكريون الذين يخوضون الحروب انهم غدوا خبراء في العلم العسكري ، وان تجربتهم العملية في مسارح العمليات أو في غرف هيئات الاركان تسمح لهم بتقنين الاحداث التي عاشوها ، وتحليل المعارك التي شهدوها، واستخلاص القواعد والاسس والمبادىء ، والوصول في بعض الحالات الى صياغة « القوانين » . ثم يرتكز هؤلاء القادة بعد ذلك على استنتاجاتهم ، ولمحات الضوء التي رأوها من خلال دخان المعارك ، ويصيغون عقيدة عسكرية تعدل عقيدة الحرب السابقة ، ويعتقدون ان الحرب ستجري على هديها في المستقبل ، ويعدون قواتهم المسلحة وخططهم لتتلاءم مع العقيدة الجديدة التي تمتزج فيها توقعات المستقبل مع التجربة الذاتية بكل ما فيها من سلبيات وايجابيات .

وتتبلور العقائد في فترات الهدوء بين الحروب وتترسخ ، وكلما طالت فترات الهدوء ازداد تمسك القادة بالعقائد التي وضعوها ، وازداد تلاؤم القطعات وقادة الوحدات الصغرى مع الاساليب القتالية المنبثقة عنها . وتتكون مع مرور أعوام السلم حالة ذهنية معينة وتصور خاص للحرب المقبلة ، وقد تتعرض هذه الحالة وذاك التصور لبعض التعديلات الناجمة عن المخترعات والابتكارات ، ولكنها تبقى تعديلات جزئية ، نظرا لان المؤسسة العسكرية في جميع البلدان هي أقل المؤسسات قدرة على التطور الشامل السريع ، واكثرها تعلقا بالتقاليد والافكار المسبقة . و« لان رجال الدولة والقادة العسكريين ـ كما يقول الجنرال فولر ـ متخلفون عادة عن العلماء بما يعادل جيلين»(١) . ويتعارض هذا الامر مع التطورات السريعة التي تتعرض لها النشاطات الانسانية في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية . ويبدو هذا التعارض كبيرا خطير النتائج في عصرنا ، عصر التحولات السريعة والمفاهيم المتبدلة ، لانه يجعل المؤسسة العسكرية ، المبنية وفق أسس معينة والمستعدة لخوض حرب تقليدية(٢) تلائم ظرفا سابقا ، تشتبك في القتال في ظروف جديدة غير متوقعة ، أو متوقعة جزئيا ، وتتعرض من جراء ذلك لكثير من المفاجآت الاليمة أو الكارثوية .

ويقل حجم هذه المفاجآت ولا شك كلما ازدادت قدرة القيادات العسكرية على التوقع والابداع والعمل بخيال واسع ، بيد أن ضخامة عدد العوامل التي تؤثر على الحرب وتطبعها بطابعها ، وسرعة تحول هذه العوامل ، وظهور عوامل جديدة باستمرار تعطي عملية التوقع والخيال حجما معينا لا تتجاوزه الا اذا كان في قيادة القوات المسلحة عبقريات عسكرية نادرة (نابليون ، ديغول ، ماوتسي تونغ ، جياب ، غودريان ، رومل) قادرة على استشفاف المستقبل من دراسة الماضي والحاضر واتجاه حركة التطور المستقبلية بكل جوانبها ، والاعداد لمعركة الغد وفق معطيات الغد المتوقعة .

والملاحظ هنا أن الابداع الفكري العسكري ، والبحث عن وسائل المستقبل القتالية يتمان داخل الجيوش المهزومة بسرعة لا يتمان بها داخل الجيوش المنتصرة ، اذ تهز الهزيمة العقائد التقليدية القديمة وتطرحها للمناقشة وتلقي على عاتقها جزءا من مسؤولية الفشل ، على حين يثبت الانتصار المفاهيم التي أنتصرت ، ويدفع القادة الى التمسك بالعقائد والاساليب التي أثبتت فاعليتها على أرض المعركة . ويحاول القادة المنتصرون نقل تصوراتهم الى جيل القادة الذي يليهم ، فاذا ما تبنى هذا الجيل مفاهيم أسلافه المكللة بغار المجد ، وحاول تطبيقها بشكل حرفي ، سار أول خطوة على طريق الفشل ، وخاصة اذا كانت هزيمة الخصم في الحرب السابقة قد حفزته بشكل قوي ودفعته الى البحث عن مفاهيم جديدة ، وتطوير أساليبه القتالية وتثويرها لتتلاءم مع الحرب المستقبلية .

ومهما كانت الزاوية بين خطي تطور مفاهيم الخصمين صغيرة في البداية ، فان المسافة بين الخطين تتباعد باستمرار طوال سنوات السلم ، حتى تخلق بين عقيدتي جيشي الخصمين هوة ليس من السهل ردمها . وتظهر أهمية هذه الهوة عندما يصطدم الجيشان من جديد ، وتبدو عيوب الجيش التقليدي أمام ديناميكية الجيش الذي حطم التقليدية بأساليب ثورية حديثة مبتكرة، ويحقق الجيش الثاني عددا من الانتصارات بفضل المفاجأة بأسلوب القتال أو نوع السلاح ويتعلم الخصم بالتدريج قواعد اللعبة ، ويبدأ تطبيقها ، وتفقد المفاجأة حجمها واهميتها ، وتغدو اساليب الامس الثورية الجديدة أساليب تقليدية ، ويعود مجال المفاجأة محصورا في اختيار زمان المعركة ومكانها . ويبدأ البحث من جديد عن طريقة ملائمة لتثوير الاساليب أو الاسلحة بغية زيادة امكانات المفاجأة التكتيكية والاستراتيجية .

وتنطبق كل هذه الامور على الصراع العربي — الاسرائيلي ، مع تعديل ناجم عن خصوصية هذا الصراع . ويتمثل هذا التعديل في أن اهتمام الدولتين العملاقتين بمنطقتنا، ووقوفهما سياسيا وتسليحيا وراء الطرفين المتنازعين يجعل اية مجابهة عربية — اسرائيلية نقطة احتكاك ساخنة في اطار التنافس الامريكي — السوفياتي الذي خفت حدته الى حد بعيد بعد انتهاء مرحلة الحرب الباردة وبدء مرحلة الوفاق الدولي دون أن تختفي كل آثاره بشكل كامل . ويؤدي اهتمام الدولتين العملاقتين بأي صراع يندلع في منطقتنا الى قيامهما ببذل الجهود المكثفة لتسليح الجيوش وتدريبها وتطوير أساليبها وتثوير وسائلها وخططها القتالية ، الامر الذي يجعل التثوير والتطوير غير متناسبين مع الامكانات المادية والمستويات الحضارية للطرفين المتنازعين ، وغير نابعين من ظروف المنطقة ، ولا يمثلان انعكاسا لهذه الظروف ، بل يمثلان بالاحرى انعكاسا محليا مصغرا للتطور العسكري الامريكي والسوفياتي في مجالات العقائد الحربية والتكتيكات والاسلحة ومعدات القتال ، مع قسط من الاسهام الذاتي يتناسب مع ديناميكية القيادات المحلية المتفهمة لحقائق المنطقة ومعطياتها .

ومن المهم قبل الخوض في بحث الملامح الثورية في الحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة أن نشير الى ان التثوير الذي نقصده هنا يقتصر على الخروج عن التقليدية ضمن اطار الحرب التقليدية . وهو لا يشمل التثوير بمعناه « الماوي » ولكنه أقرب الى التثوير بمعناه « النابليوني » او « الغودرياني » نظرا لانه يتعلق بوسائط الحرب وأساليبها أكثر من تعلقه بروحها . ولتفسير ذلك لا بد من العودة قليلا الى جوهر الحرب . يقول الجنرال أندريه بوفر بأنه « اذا كانت اشكال الحرب تتبدل فان جوهرها ثابت لا يتغير : انه يتمثل في تحطيم ارادة الخصم لاجباره على قبول الشروط التي نود فرضها عليه »(٣) . وتحاول الحرب التقليدية تحقيق هذا الهدف عن طريق الانتصار العسكري في ساحة

القتال ، مع استخدام استراتيجية مباشرة أو غير مباشرة . ولا يستهدف هذا الانتصار العسكري التدمير المادي لقوات العدو بل يستهدف ايقاع الاضطراب بين صفوفها . والتثوير « النابليوني » أو « الغودرياني » ... الخ في هذه الحرب يعني استخدام وسائل أو اساليب مفاجئة غير متوقعة تساعد على الاسراع في عملية ايقاع الاضطراب ، وتعجل في احراز الانتصار العسكري في ساحة القتال . أما التثوير بمعناه « الماوي » فهو الخروج عن اطار الحرب التقليدية الى اطار الحرب الثورية التي لا تبحث عن الانتصار العسكري في ساحة القتال ، ولا تفتش دائما عن المعركة ، ولكنها تسعى الى تحاشي المعركة ما أمكن واستنزاف ارادة الخصم في مجابهة (سياسية — ايديولوجية معنوية — عسكرية) طويلة الامد لا تدمر القوى المادية للخصم بشكل حاسم ولا توقع الاضطراب بين صفوفها ، ولكنها تتوصل الى خلق حالة من الملل المتزايد لدى العدو ، وتنتزع منه القناعة بقدرته على الحسم في ساحة القتال ، وتجبره على التخلي عن أهدافه تحت تأثير التفتت المعنوي الداخلي والضغط العالمي . واذا كان الانتصار في الحرب التقليدية يتم بفضل تحطيم ارادة القتال لدى الخصم ، فان الانتصار في الحرب الثورية يتم بفضل استنزاف هذه الارادة بعملية اقناع مسلح طويلة تصل بالخصم الى الاستنتاج بأن القتال لن يحسم الصراع .

واذا عدنا الى تحليل احداث الحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة وجدنا أنها دارت بأساليب الحرب التقليدية التي رافقتها من الجانب العربي حرب عصابات ثورية وراء خطوط العدو . وبالرغم من المشاركة الجدية التي قدمتها قوات الثورة الفلسطينية خلال القتال ، فقد كان الطابع العام للحرب تقليديا بالمعنى « الكلاوزفيتزي » للكلمة ، أي أنه كان قتال جيوش نظامية ، تستخدم أحدث معدات الدمار ، وتحاول تحقيق الانتصار بواسطة الحسم في « المعركة الدامية » . ولقد دارت المعارك على الجبهتين المصرية والسورية على شكل مصادمات جبهية واختبارات قوى مادية عنيفة في الاراضي المكشوفة . وكان من الواضح أن كل طرف من الطرفين يحاول تحطيم ارادة القتال لدى الطرف الآخر عن طريق تدمير القوات المسلحة للطرف الآخر أو قلب توازنها الاستراتيجي وخلق الاضطراب بين صفوفها بواسطة الصدام المادي المباشر دون استخدام المناورة الاستراتيجية على نطاق واسع رغم قدرة قوات الطرفين الميكانيكية على الحركة ، ورغم وجود مجال واسع للمناورة في صحراء سيناء . ويمكننا أن نذكر هنا ان الحركتين الاستراتيجيتين الهامتين الوحيدتين في هذه الحرب كانتا : ١ — تحرك القوات العراقية وتحرك القوات الجزائرية بسرعة لتأمين الحشد والانتقال من العمق الاستراتيجي الى العمق العملياتي ، ٢ — تحرك الاحتياط الاستراتيجي الاسرائيلي من منطقة الحشد الى منطقة خرق الدفرسوار والتوجه بعد ذلك بحركة نصف مروحة باتجاه مدينة السويس .

وهكذا كانت المجابهة على الجبهتين مادية لا تحمل في طياتها سوى قسط ضئيل من عناصر التفتيت الايديولوجي والنفسي . وكانت الاستراتيجية المطبقة على الجبهتين ومن كلا الجانبين مباشرة أكثر مما ينبغي . فاذا استثنينا خرق الدفرسوار والحركة التي تلته ، والخنق الاستراتيجي العربي عند مضيق باب المندب وجدنا أن الحرب بمجملها كانت أشبه بمبارزة ضخمة استخدمت فيها وسائط نارية كثيفة متقدمة لا تتناسب مطلقا مع واقع دول المنطقة الحضاري أو امكاناتها الاقتصادية وقدراتها الانتاجية . ويمكن القول أنها أخذت بمجملها شكل معركة من معارك احدى الحملات التي تمت خلال الحرب العالمية الثانية على جبهة من الجبهتين الشرقية او الغربية مع الاعتماد على الهجوم والصد والرد أكثر من الاعتماد على المخاتلة والتملص والتجنب والتهديد والانهاك . ولم تكن القاعدة المادية للطرفين المتحاربين تسمح باستمرار القتال بالوتيرة نفسها أكثر من عدة أيام ، ولولا الجسران الجويان السوفياتي والامريكي لتوقفت الآلتان الحربيتان بعد

الاسبوع الاول من القتال ، ولاضطرتنا الى استخدام وسائل أكثر بدائية ووسائط نارية اقل عنفا ، ولعادتنا حتما الى الاعتماد على القوى البشرية والامكانات الهائلة الكامنة في الانسان .

وبالرغم من هذا الطابع المادي المباشر للحرب التقليدية التي دارت رحاها في الجولان وسيناء ، وبالرغم من ظهور بصمات فوش وكلاوزفيتز بصورة أوضح من بصمات فابيوس ماكسيموس وليدل هارت ، فقد ظهر في هذه الحرب عدد من الملامح الثورية في مجالي التكتيك واستخدام وسائط القتال . ويمكن اعتبار هذه الملامح اسهاما في تطوير العلم العسكري التقليدي الحديث ومدخلا لاجراء تعديلات جذرية على تنظيم وتسليح وتدريب الجيوش بما في ذلك جيوش الدول الكبرى . وتتمثل هذه الملامح في : ١ ـــ اختيار لحظة بدء الهجوم ، ٢ ـــ احباط التفوق الجوي من الارض ، ٣ ـــ استخدام المشاة ضد الدبابات ، ٤ ـــ تبادل المهمات في الثنائي « طائرة ـــ دبابة » .

١ ـــ اختيار لحظة بدء الهجوم

تختار القوات المهاجمة لحظة بدء الهجوم على الخط الدفاعي الاول المحصن بشكل يؤمن لها مفاجأة العدو والتوغل في عمق دفاعاته مسافة كافية قبل حلول الظلام ، ويسمح لها بعد ذلك بالتمركز عند حدود المهمة اليومية استعدادا لصد الهجمات المعاكسة الليلية أو النهارية . أما اختيار لحظة بدء الهجوم على الخطوط الدفاعية الثانية والثالثة (وهي عادة أقل تحصينا من الخط الاول) فيتم بشكل يؤمن المفاجأة ، ويسمح بالتوغل في العمق ، ويعطي المهاجم فرصة كافية لمطاردة العدو واستثمار النصر قبل حلول الظلام وقبل أن يتمكن العدو المنسحب من قطع التماس .

ويأخذ المهاجم بالحسبان عند عملية الاختيار عدة عوامل كطبيعة الدفاع ، وطبيعة الارض ، والزمن اللازم للخرق الاولي ، وطول ساعات النهار ، وساعة أول ضوء ، واتجاه الشمس والريح ، ودرجات الحرارة في النهار والليل، وعادات العدو في الحراسة والنوم والاكل، وبعد قوات العدو الاحتياطية ومستوى قدرتها على الحركة ، ومستوى السيطرة الجوية للطرفين ... الخ . وتقوم الجيوش عادة بشن الهجوم عند الفجر او في ساعات الصباح الاولى ، ويسمح لها هذا التوقيت بحشد القوى وتقديمها الى خط الانطلاق خلال الليل ، كما يسمح لها بمفاجأة العدو قبل أن يستيقظ ، ويقدم لها امكانية تحقيق الخرق الاولي قبل وضوح الرؤية تماما ، والانطلاق بعد ذلك بالعمل طوال النهار للتقدم الى أعمق مسافة ممكنة قبل حلول الظلام .

وتعتبر ساعات الصباح الاولى افضل توقيت للهجوم على الجبهة السورية لانها تدخل في الحسبان عامل الشمس التي تكون عند شروقها مقابل دفاعات العدو ، الامر الذي يزيد امكانية الرؤية بالنسبة للسوريين ويحرم الاسرائيليين من الرؤية الواضحة والرمي الدقيق . ويختلف الوضع بالنسبة للجبهة المصرية التي لا تستطيع الافادة من عامل الشمس الا بعد الظهيرة حيث تكون الشمس في وجه المدافعين على الضفة الشرقية للقناة ، وتكون في الوقت نفسه في وجه القوات السورية المهاجمة في الجولان . ولقد أعطيت الافضلية في هذا المجال للجيش المصري نظرا لان اقتحام المواقع الدفاعية المعادية مع عبور القناة اصعب من اقتحام المواقع الدفاعية التي لا تستند الى حاجز طبيعي منيع . وكان اختيار الساعة الثانية بعد الظهر ابداعا جيدا ، وكان وراءه العوامل التالية: اعطاء المصريين أفضلية العبور والشمس في وجه العدو ، مفاجأة المدافعين في فترة لا يتوقعونها ، انهاء المرحلة الاولى من القتال (العبور على الجبهة المصرية وخرق خط آلون على الجبهة السورية) في ساعات الضوء القليلة لمنع العدو من استخدام طيرانه بفاعلية

كبيرة ، والافادة من ساعات الليل لتعزيز المواقع المستولى عليها وبناء الجسور على القناة دون أن يتمكن الطيران المعادي من التدخل على نطاق واسع .

وكانت العقبة الوحيدة أمام هذا التوقيت تتمثل في كيفية تأمين الحشد ، وتقديم قوات الهجوم حتى خط الانطلاق خلال النهار دون اثارة انتباه العدو . ولقد وجدت هذه المعضلة حلها عندما استعاضت القوات العربية عن الغطاء الليلي اللازم بغطاء اعلامي استطاع اقناع العدو بأن كل التحركات التي تتم عبارة عن تدابير دفاعية وقائية يقوم بها الجيشان المصري والسوري خوفا من هجوم اسرائيلي انتقامي . وهكذا تم الحشد تحت بصر العدو وسمعه ، وتحققت المفاجأة الكاملة وأخذ الجنود الاسرائيليون في الجولان على حين غرة ـــ كما يذكر الجنرال حاييم بارليف ـــ وفوجىء المدافعون عن القناة وهم يلعبون كرة القدم ـــ وفق رواية مراسل الفيغارو في اسرائيل ـــ ويمكن اعتبار هذا الاختيار الثوري (غير التقليدي) وما نجم عنه من مفاجأة ، ابداعا في مجال التخطيط العسكري العربي، وسببا من أسباب نجاح المرحلة الاولى بأقل خسارة ممكنة في صفوف القوات العربية(٤).

٢ ـــ احباط التفوق الجوي من الارض

ظهرت نظرية السيطرة الجوية في الثلاثينات عندما أعلـــن الجنرال الايطالي جوليو دوهي أن الطيران المتفوق بشكل ساحق قادر على حسم المعركة الدفاعية والهجومية ، وتدمير القوات المعادية بشكل يجعل القوات البرية المدعومة بالطيران قادرة على العمل بحرية تامة ، ويجعل مهمة هذه القوات استثمار النصر الذي يكسبه الطيران لوحده . ولم تثبت صحة هذه النظـــرية خلال الحرب العالميـــة الثانية ، كما لم تتمكـــن الدول الاستعمارية من اثباتها خلال الحروب التي جرت بعد الحرب في كوريا وفيتنام والجزائر. وكانت نتائج القصف الجوي عادية في مسارح العمليات ، كما كانت أقل من عادية عندما استخدم الطيران لقصف المدن بغية تحقيق الحسم الاستراتيجي عن طريق انهيار الجبهة الداخلية . ولقد رأى أنصار نظرية السيطرة الجوية أن هذا الفشل راجع الى طبيعة الارض المغطاة كليا أو جزئيا ، وعدم امتلاك التفوق الجوي الساحق الا في المراحل الاخيرة للحرب ، وصغر الاهداف التي يقدمها العدو وخاصة في فيتنام والجزائر .

وفي عام ١٩٥٦ استطاع الطيران الانكلو ـــ فرنسي تطبيق النظرية بنجاح عندما شل القوات الجوية المصرية وسمح للجيش البري الاسرائيلي بالتقدم في سيناء بسرعة ودون مقاومة تقريبا ، ومنح البحرية الاسرائيلية حرية عمل لا تتناسب مع حجمها الحقيقي ومع موازين القوى البحرية المصرية ـــ الاسرائيلية . وفي عـــام ١٩٦٧ تمكن الطـــيران الاسرائيلي من تطبيقها بنجاح أكبر عندما أخذ المبادرة ودمر القوات الجويـــة المصرية بضربة مفاجئة ، وأعطى القوات البرية والبحرية حرية عمل واسعة وشل عمل الجيش والبحرية في مصر وسورية والاردن . ولقد بنى الاسرائيليون على تجربتي ١٩٥٦ و١٩٦٧ استنتاجات كثيرة. ويقول كتاب انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي « شكلت عملية سيناء تحولا في العلاقات بين الاركان العامة وسلاح الطيران . ولقد دعمت المدرعات وسلاح الطيران في هذه الحرب موقفهما دون اعتراض . وكانت وجهـــة النظر البرية القائلة بأن سلاح الطيران هو مجرد سلاح مساعد هي وجهة النظر السائدة ، وابتداء من عملية قادش [حرب ١٩٥٦ كما يسميها الاسرائيليون] أصبح واضحا أن لسلاح الطيران أهمية خاصة كبيرة في القدرة على الحسم في الحرب »(٥). ثم يقول في مكان آخر عن حرب ١٩٦٧ : « ان ضربة البداية التي قام بها سلاح الطيران الاسرائيلي حسمت سير الحرب »(٦). وانطلاقا من كل هذه الاستنتاجات حاولت القيادة الاسرائيلية بعد حرب ١٩٦٧ والحظر الذي فرضه الجنرال ديغول على بيع الطائرات المقاتلة لاسرائيل الحصول على الطائرات المتطورة من الولايات المتحدة الامريكية وحصلت بالفعل على

طائرات سكاي هوك وفانتوم وضمنت لنفسها التفوق الجوي اللازم . ولقد استخدمت هذه الطائرات خلال حرب الاستنزاف والاشتباكات التي جرت بعدها بفاعلية . واحتلت القوات الجوية مركز الصدارة في القوات المسلحة الاسرائيلية(٧) واخذت دورا هاما في نظرية الامن وميكانيكية الردع وأساليب العمل ضد الدول العربية المجاورة وقوات الثورة الفلسطينية . ويلخص موشي دايان وزير الدفاع الاسرائيلي وجهة النظر الاسرائيلية بالنسبة الى سلاح الطيران بقوله : « ومع احترامنا لخط بارليف ولخط الاردن ، الا ان العنصر الاساسي في قوتنا هو أولا سلاح الطيران الذي يعتمد على الاعين الالكترونية الواقعة على النقاط الطبوغرافية العالية في شرق البلاد وغربها »(٨).

وأمام هذا التضخيم في اهمية سلاح الطيران المعادي لجأت كل من مصر وسورية الى تقوية سلاحهما الجوي بغية التصدي للطائرات وفق نظرية « الطائرة تجابه الطائرة » . ولكنهما لم تكتفيا بذلك بل قامتا بتقوية جهاز الدفاع الارضي بصورة متوازية مع تقوية الطيران ، وانشأتا شبكة صواريخ أرض ــ جو سام ٢ و ٣ . وكان العدو يعرف قواعد هذه الصواريخ ويمتلك الاجهزة اللازمة لتشويش راداراتها وتضليل الصواريخ بعد اطلاقها . وعندما وصلت صواريخ سام ــ ٦ الى سورية ومصر حاول العدو اختبار هذا السلاح الجديد الذي لا يعرف ميزاته ولا يمتلك الاجهزة اللازمة لتشويشه ، فقام بعدة طلعات جوية استفزازية فوق الاراضي العربية ، وخرق الاجواء أكثر من مرة ، وكانت آخر محاولاته الاستفزازية في ٧٣/٩/١٣ قبل اندلاع الحرب بثلاثة اسابيع . بيد ان القيادتين المصرية والسورية لم تردا على الاستفزاز ، ولم تستخدما السلاح الجديد . وكانت غايتهما من ذلك الحفاظ لا على سرية وجود هذا السلاح فحسب ، بل على سرية فاعليته ايضا ، ليحقق عند استخدامه اكبر قسط من المفاجأة المادية والمعنوية .

ولقد تحققت هذه المفاجأة بالفعل . ولا ادل على ذلك من اندفاع الطائرات المعادية في الايام الاولى للحرب بكثافة كبيرة لصد الهجمات السورية والمصرية او لتدمير الجسور على قناة السويس.وكان اسلوب اندفاعها يدل على جهلها الكامل بامكانات الصواريخ سام ــ ٦ واعتقاد الطيارين بقدرتهم على التملص من شبكات الصواريخ بأقل خسارة ممكنة.ونجم عن هذه المفاجأة سقوط عدد كبير من الطائرات في الايام الاولى وعجز سلاح الطيران عن دعم قواته البرية او قطع الجسور التي نصبها المصريون في ليلة ٦ ــ ٧ تشرين الاول . ويقول مراسل نيوزويك نقلا عن احد مسؤولي الامم المتحدة ممن شهدوا المعارك الجوية على قناة السويس ان الاسرائيليين خسروا ٣ طائرات من كل ٥ طائرات حاولت الاقتراب من منطقة العبور وان الطائرات كانت تقوم بالقصف من ارتفاعات عالية هروبا من الدفاعات الارضية ، لذا فان رماياتها كانت غير دقيقة(٩). وتذكر المصادر الامريكية أن ٨٠ ٪ من الطائرات التي خسرها سلاح الجو الاسرائيلي سقطت بفعل الدفاعات الارضية على حين سقط ٢٠ ٪ منها فقط في الاشتباكات الجوية . وهكذا استطاعت القوات المصرية والسورية تقديم اسهام ثوري في فنون القتال عندما حققت الحفاظ على سرية السلاح الجديد ، ولم تستخدمه للرد على الاستفزازات رغم قوتها ، واحتفظت به ليوم المعركة الفاصلة حيث أخذت تستخدمه على نطاق واسع حارمة الطيران من حرية العمل ، ومبرهنة على ان بوسع الدفاعات الارضية الجيدة الحديثة ، بالتعاون مع المطاردات المعترضة ، شل سلاح الطيران وتجريده من التفوق الذي يملكه ومنعه من تحقيق الحسم على مسرح العمليات .

٣ ــ استخدام المشاة ضد الدبابات

اعتمد الاسرائيليون على سلاحهم المدرع الذي كان القوة الثانية في الثنائي « طائرة ــ دبابة » ، وكانت ضخامة هذا السلاح (حوالي ٢٠٠٠ دبابة) ، وارتفاع مستوى تدريبه،

وتحسين مدافع الدبابات (ركبت على جميع الدبابات المتوسطة الاسرائيلية مدافع عيار ١٠٥ مم)(١٠) تجعل القيادة العسكرية الاسرائيلية تعتبر هذا السلاح قبضتها البرية الحديدية الضاربة القادرة على الخرق والمطاردة في العمق وتدمير آية دفاعات في حالة الهجوم ، وصد اية هجمات مدرعة في حالة الدفاع . ويقول الجنرال آلون في معرض الحديث عن دروس حرب ١٩٦٧ : « ويبدو لي انه في تنظيم القوات البرية يجب اعطاء أفضلية اخرى للمدرعات كقوة رئيسية بين القوات البرية »(١١). وكان قد ذكر خلال الحديث عن التطور الذي أعقب حرب ١٩٥٦ : « أصبح سلاح المدرعات الفرع الحاسم في القوات البرية . وعلى هذا الاساس تم توسيعه وتحسينه ... في عدد دباباته ، وطاقتها من النيران ، وقدرتها على اجتياز أراض لم تعتدها ليلا ونهارا ، وقوة المناورة. لقد أصبحت هذه المدرعات قادرة على اختراق الخطوط الدفاعية القوية ، والالتفاف حول مدرعات العدو ، وتطويقها وسحقها »(١٢).

وفي عام ١٩٧١ تحدث الجنرال ابراهام ايدن قائد تشكيلات المدرعات عن تطور الدروع في المستقبل فقال : « اننا في مرحلة تعاظم وسنواصلها في فترات الهدوء والقتال ... والصورة التي أعطيت للدروع في الميدان تمنحنا الثقة العالية بقدرتنا — ليس فقط للصمود في حرب الدفاع او لتحطيم عملية العبور ، بل كذلك لاستخدام الطرق التقليدية التي نتطلع فيها الى الوصول بالقوة المدرعة الى العمل السريع بعمق فوق أرض العدو »(١٣).

أمام هذا السلاح الكبير الحاسم كان لا بد من تكتيك جديد لا يحل محل تكتيك « الدبابة ضد الدبابة » او تكتيك « الدبابة والقانص — ضد الدبابة » ولكنه يتطابق معهما الى حد بعيد ليصبح « المشاة ، والصواريخ المضادة ، والدبابة — ضد الدبابة » . ولقد أوجدت القوات العربية هذه المعادلة فاستخدمت وحدات المشاة المزودة باعداد كبيرة من قاذفات الصواريخ ر ب ج — ٧ ، ووحدات الصواريخ المضادة للدبابات (ساغر وسنابير) المحمولة على عربات مصفحة للعمل ضد دبابات العدو لوحدها او بالاشتراك مع الدبابات المتوسطة العربية . وقامت هذه الوحدات بدورها بشكل فعال مفاجىء ، والحقت بالعدو على الجبهتين المصرية والسورية خسائر لم يكن يتوقعها لدرجة جعلت الكتاب العسكريين الاسرائيلين يتساءلون بهلع : هل ماتت الدبابة ؟ .

ويتحدث المعلق العسكري زئيف شيف عن ضخامة المفاجأة التي حققتها الاسلوب القتالي العربي الجديد : « أن اكبر المفاجآت في المجال التكتيكي والتقني في حرب يوم الغفران [حرب ١٩٧٣] كانت دون أدنى شك الاسلحة المضادة للدبابات التي يمتلكها العدو . أو بشكل أدق : بايدي مشاته ... والامر المذهل بصورة خاصة كان كميات الاسلحة هذه ، والكميات التي كانت بأيدي سلاح المشاة المصري بشكل خاص . ومن الواضح أن هذه غلطة فادحة عندما لا يعلم أحد الاطراف بأن عدوه قد ادخل الى وحداته قواذف ر ب ج — ٧ بدل قاذفة واحدة لكل مجموعة (كانت كل مجموعة تملك ٣ قواذف) . وينطبق القول نفسه عندما لا تعرف كميات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات في وحدات المشاة العادية » ثم يتابع حديثه « لقد بنى الجيش الاسرائيلي مدرعاته لمنازلة مدرعات العدو ، وبالفعل ففي اللحظة التي أمكن فيها لدباباتنا ان تخوض معارك دبابات كانت دباباتنا متفوقة ... والمشكلة كانت ان العدو خلق وضعا لم ننجح فيه دائما بخلق مواجهة بالدبابات . ففي مواجهة دبابات الجيش الاسرائيلي وضع اكثر من مرة سلاح المشاة المزود بأسلحة مضادة للدبابات . وعلى الرغم من انه قد ضحى بكثير من جنوده، الا انه حقق مفاجأة تكتيكية ... لقد ظننا ان الدبابة تلقي الرعب دائما في سلاح المشاة المواجه لها ، وكانت المفاجأة ان رأينا المصريين يتجرأون في مهاجمة الدبابات ... وفجأة

اتضح لنا ، كما قال احد الزعماء الاسرائيليين ، ان فلاحي وادي النيل اصبحوا صيادي دبابات »(١٤).

ويدل هذا القول الاسرائيلي في معرض دروس حرب ١٩٦٧ على اثر المفاجأة المادية والمعنوية الناجمة عن الطريقة الثورية العربية في استخدام سلاح المشاة بكثافة كبيرة ضد الدبابات . وجاء دور الاسرائيليين ليقولوا : انتظرناهم من الشرق فجاؤوا من الغرب . واستطاع التطوير في استخدام السلاح مفاجأة العدو الذي كان يعرف وجود السلاح وميزاته ، ولكنه لا يتوقع هذا الاسلوب المكثف لاستخدامه . وكان بوسع القيادة الاسرائيلية لو أنها كانت أخصب خيالا واقل دوغماسية ان تتوقع هذا المصير للدبابة . ولم يكن مستقبل الدبابة المظلم خافيا على عدد كبير من المفكرين العسكريين الاسرائيليين ، فلقد كتب العقيد السابق الدكتور يهودا فالخ في مجلة **معرخوت** (آب ١٩٧٢) مقالا حول هذا الموضوع بعنوان « هل ماتت الدبابة ؟ » وكان مقاله دراسة حول ما كتبه المقدم الامريكي « و. لنون » بهذا الصدد . ولقد نشرت مجلة **معرخوت** نفسها اقوال المقدم لنون الذي ذكر « ان دبابة اليوم هي درع مثل درع الجسم في العهود الغابرة . ومعروف انها تتمتع بمزايا اكثر . الا أنها قد وصلت الى مرحلة تحطمها المتقدمة ، لان أهميتها تقل في مرحلة تتطلب من المعدات اكثر مما طلب منها في اي وقت مضى »(١٥). وكان المقدم الالماني ف. ميكشه قد تحدث عن هذا الموضوع اكثر من مرة ، ونشر عدة مقالات يتنبأ فيها بنهاية هذه الاداة القتالية عندما ستتطور أجهزة الدفاع ضد الدبابات ، تماما كما اختفت الخيالة كسلاح فعال بعد ظهور الرشاشات . وذكر أن أسلحة الدفاع ضد الدبابات ارخص من الدبابات واكثر منها فائدة . وطرح بشكل سافر التحدي الكبير الذي يجابه سلاح المدرعات في أية حرب مقبلة . ولكن القيادة الاسرائيلية لم تسمع اجراس الانذار هذه ، وتابعت بناء سلاحها المدرع بالاسلوب القديم التقليدي نفسه ، ولم ترفع عدد وحدات المشاة المرافقة للدبابات لحمايتها فساعدت المشاة العربية بذلك على تحقيق مفاجأتها الثورية الكبيرة .

ولم يقتصر مجال تثوير مجابهة الدبابات على الجانب العربي ، فلقد استخدم الاسرائيليون في هذه المجابهة اسلوبا ثوريا تمثل في مقاومة الدبابات بطائرات الهليكوبتر المسلحة بصواريخ جو ـ أرض من طراز « تاو » أو « س. س ـ ١١ » . وكان الامريكيون قد ابتكروا هذا الاسلوب من قبل واعدوا طائرات بيل ٢٠٤ و٢٠٥ و٢٠٦ وطائرات « هواي كوبرا ـ بيل ٢٠٩ » وطائرات « بيل ٢١٢ » و« كينغ كوبرا المقاتلة » و« سيكورسكي س ـ ٦٧ بلاك هوك » لمجابهة الدبابات بعد تزويدها بصواريخ جو ـ ارض . ويعتبر الاسرائيليون اول من أدخل هذا الاسلوب الثوري الى منطقة الصراع . ولقد أدى هذا الامر الى الحاق الخسائر بالمدرعات العربية على الجبهتين المصرية والسورية .

٤ ـ تبادل المهمات في الثنائي « طائرة ـ دبابة »

اكتشف الالمان اهمية الثنائي « طائرة ـ دبابة » خلال الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) التي كانت حقل تجارب عملي واسع النطاق للعقائد الحربية والاسلحة الحديثة . ثم جاءت الحرب العالمية الثانية والحروب التي تلتها لتؤكد هذه الاهمية . ولقد بنى الاسرائيليون عقيدتهم الحربية على هذا الاساس ، وطبقوا الاسلوب التقليدي في تعاون الدبابات مع الطائرات . وكانت مهمة الطائرات بصورة عامة دعم القوات البرية (دبابات ومشاة ميكانيكية) وتدمير المقاومات المعادية وفتح الطريق أمام الدبابات لتتقدم بسرعة في عمق ترتيب العدو مع الافادة الى الحد الاقصى من الامكانات الحركية الكبيرة التي تملكها التشكيلات المدرعة الحديثة.وكانت ميكانيكية

عمل الثنائي « طائرة ــ دبابة » تتمثل في **تطهير الارض من الجو**، بغية السماح للقوات البرية بالتقدم لتنفيذ المهمات الملقاة على عاتقها .

وفي حرب ١٩٧٣ ، استطاعت شبكة الصواريخ ارض ــ جو ابطال عمل الطائرة ، واختل عمل الثنائي « طائرة ــ دبابة » الى حد ما . وهنا وجد الاسرائيليون ان آلتهم الحربية مهددة بالعطب اذا ما تمسكوا بالمفهوم التقليدي للقتال أو أصروا على ضرورة تطهير الارض من الجو قبل التقدم ، فلجأوا الى تدبير ثوري اعاد للالة الحربية المعادية حرية العمل . ويتمثل هذا التدبير في **تطهير الجو من الارض** ، اي في تدمير قواعد الصواريخ المضادة للطائرات بهجوم ارضي مفاجيء بحيث تحصل الطائرات على ممر أمين مفتوح في الجو يسمح لها بحرية العمل ، والعودة الى اسلوب تطهير الارض من الجو عند متابعة التقدم .

ولقد طبق العدو هذا الاسلوب في خرق الدفرسوار الذي كان عبارة عن اغارة مدرعة على الضفة الغربية كان من نتائجها تدمير قواعد الصواريخ واعطاء الطائرات « ممرا » ضيقا امينا لبدء العمل . ولقد وجدت الطائرات الاسرائيلية في بداية الامر صعوبة بالغة في المرور عبر هذا « الممر » ، ولكنها استطاعت رغم ذلك دعم القوة البرية على توسيع الممر الجوي من الارض . ولما اتسع الممر واخذ سلاح الجو الاسرائيلي حرية العمل الكافية بدأت طائراته مهمتها في تطهير الارض امام القوات البرية التي نفذت مناورة نصف المروحة باتجاه الجنوب .



هذه هي أهم الملامح الثورية في الحرب العربية ــ الاسرائيلة الرابعة . وهي تتسم بالثورية لما فيها من ابداع وتطوير وخروج عن الاساليب التقليدية . وستتحول هذه الاساليب « الثورية » مع الزمن الى اساليب تقليدية ، وتفقد ما كانت تتمتع به من مفاجأة . ولا شك في أن التطور في مجالي التسليح والتكتيك سينتزعان من هذه الاساليب الكثير من أهميتها . وقد تجد الصواريخ نفسها في الحرب الخامسة عاجزة عن انتزاع السيطرة الجوية من الطائرات بعد زيادة سرعة هذه الطائرات او رفع مستوى مناورتها او تزويدها بأجهزة تشويش ملائمة . وقد تفقد الهليكويتر قدرتها على مجابهة الدبابات بفاعلية نظرا لاتساع نطاق استخدام الصواريخ الخفيفة المضادة للطائرات (سام ــ ٧ ، وبلوبايب ، وريد آي) ، وقد تزيد القطعات المدرعة عدد المشاة الميكانيكية المرافقة لها لمجابهة المشاة المعادية وحماية الدبابات من القانصين . وستظهر في أية مجابهة مقبلة اساليب « ثورية » جديدة تتناسب اهميتها وفاعليتها مع مدى ديناميكية فكر القيادات وسعة خيالها . ويكمن الخطر في اعتبار الاساليب « الثورية » التي نجحت في هذه الحرب « وصفة » جاهزة للحرب المقبلة ومفتاحا سحريا يضمن النجاح ، فالحرب نشاط انساني متحول يرفض الحلول الجاهزة ولا يقبل سوى الحلول العملية الملموسة الملائمة لكل ظرف على حدة.ويمكننا اعتبار فشل الجيوش الاوروبية المجمعة بكتل كثيفة امام مناورات جيش نابليون المتمفصل « بنظام فرقي » ، وتكسر حدة هجمات الخيالة امام نيران الرشاشات ، وانهيار خط ماجينو الحصين بعد التفاف المدرعات الالمانية عبر الاردين في عام ١٩٤٠ ، وتراجع الفرق الامريكية السريع امام هجمات كتل المشاة الكورية ــ الصينية الضخمة في حرب ١٩٥٠ ــ ١٩٥٣ ، وفشل القوة المادية الامريكية في احراز النصر في فيتنام (١٩٦٥ ــ ١٩٧٢) ، وتشتت المدرعات الاسرائيلية واضطراب تشكيلاتها بسبب المفاجأة الناجمة عن ضربات مشاة كثيفة مسلحة باعداد كبيرة من الاسلحة المضادة للدبابات ، امثلة تاريخية مختلفة الاهمية والحجم والنوعية ، ولكنها تمتلك عاملا مشتركا هو انها تبرهن

برهانا قاطعا على فشل العقلية التقليدية التي تقدس تجربة الماضي ، وترفض التطور وفق خط التطور الاجتماعي ــ الاقتصادي ــ السياسي ــ العسكري العـــام . ولا تحسن توقع الاساليب « الثورية » التي يمكن ان يجابهها العدو بها في جميع المجالات ، وتدخل حرب اليوم بافكار حروب الغد ، كأن حركة التاريخ تتوقف عند حدود لحظات الانتصار .

---

١ ــ **الحرب الميكانيكية** ، الجنرال ج. ف. س. فولر ، ص ٣٦ .

٢ ــ تعني « الحرب التقليدية » هنا الحرب التي تتم وفق الافكار والاساليب المتعارف عليها .

٣ ــ *La guerre révolutionnaire,* A. Beaufre, p. 20.

٤ ــ تم عبور القناة بسرعة مذهلة ، ولم يخسر المصريون خلال هذه العملية سوى ١٨٢ جنديـا وضابطا مع ان التقديرات السابقة كانت تؤكد ان هذا العبور سيكلف المصريين آلاف الضحايا. اما على الجبهة السورية فقد تم خرق خط آلون واحتلال مواقع العدو في جبل الشيخ دون ان تتكبد القوات السورية خسائر تذكر ، الامر الذي جعل المعارضـــة في اسرائيـــل توجه للقيـــادة العسكرية اتهامات خطيرة لا تزال مستمرة حتى اليوم .

٥ ــ **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** ، يشعياهو بـــن فورتح ، وأوري دان ، وزئيف شيف ، ص ٥٤ .

٦ ــ **المرجع السابق** ، ص ٩٤ .

٧ ــ صرح دايان في معهد وايزمان العلمي بتاريخ ٧٢/٥/٢٤ ان مصروفـــات سلاحي الطـــيران والمدرعات ستكون في الميزانية حوالي ٨٢ ٪ من مجمل مصروفات الدفاع في اسرائيل .

٨ ــ **معاريف** ، ١٩٧٣/٦/٨ .

٩ ــ *Newsweek,* 22/10/1973.

١٠ ــ المدفع ١٠٥ مم الموحد المستخدم في دبابات حلف شمال الاطلسي .

١١ ــ **السنار الرملي** ، ييغال آلون ، ص ٤٨ .

١٢ ــ **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، ييغال آلون ، ص ١٧٣ .

١٣ ــ **بمحاني** ، ١٩٧١/١٠/١٣ .

١٤ ــ **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/٤ .

١٥ ــ **معرخوت** ، آب ١٩٧١ ، عدد ٢٠٩ .

الملامح البارزة لفكر بن جوريون السياسي

الدكتور أسعد عبد الرحمن

مهمة وضع الاصبع بدقة على ثقل قائد سياسي ما في الحركة التي يتزعم او تزعم ليست مهمة صعبة فحسب بل تكاد تكون أيضا ملامسة لحدود ما هو مستحيل ضمن أرقى محصول للنتاج البشري في مجال الابحاث الاجتماعية . ذلك انه ليس بالامكان بعد رسم خط محدد يفصل بين فعل الفرد في الامة او فعل الاخيرة بالاول . فالتداخل في الاثر الذي يتركه كل منهما على الاخر مؤكد ويستدعي تركيزا شاملا على محصلة التفاعل بينهما في المراحل المختلفة . وعليه فسيعالج البحث ما يمكن تسميته « بظاهرة بن جوريون » كقائد وكمدرسة في الفكر السياسي الصهيوني من زاوية كونها حالة لم تنبع من الفراغ ولا هي ، ايضا ، صبت فيه . كانت في احدى المراحل ثمرة لغرسة سبقتها تماما مثلما شكلت ، في مرحلة ثانية ، غرسة لثمار جديدة لحقتها .

على ان تناول تلك الظاهرة بالتحليل يستلزم منا في البداية ، كنوع من التمهيد الذي ربما يكون ضروريا ، تسجيلا تعريفيا سريعا ببن جوريون ذاته وبأهميته السياسية .

آ ــ بن جوريون واهميته السياسية :

في بولونية (الروسية آنذاك) ، وبالتحديد في بلدة « بلونسك » ، ولد دافيد جرين (الذي عرف لاحقا بالاسم العبري « بن جوريون » ومعناها « بن الشبل ») في اليوم السادس عشر من اكتوبر (تشرين الاول) عام ١٨٨٦ . هاجر الى فلسطين في العام ١٩٠٦ وبقي فيها (باستثناء فترات نفي أو رحلات عمل متقطعة) حتى وافته المنية يوم الاول من ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٧٣ . وبوفاته عن عمر يناهز الـ ٨٧ عاما ، نضب النبع البن جوريوني الغزير بعد أن سجل رقما قياسيا في طول مدة تدفقه بالفكر والمخططات والنشاطات الصهيونية .

بدأ بن جوريون نشاطه السياسي في سن مبكرة فأسس ، ولم يكد يبلغ الرابعة عشرة، ما عرف باسم « جمعية الشبان الصهيونية » . وما أن بلغ السابعة عشرة حتى انضم الى « حركة عمال صهيون » . وعندما طردته السلطات التركيــة بسبب نشاطاتــه السياسية من فلسطين في العام ١٩١٥ قصد الولايات المتحدة الامريكية حيث لعب الدور الابرز في تشكيل «منظمة هيحالوتس» (الرواد) من أجل دفع حركة الهجرة الى فلسطين. وبعد أن ساهم في تكوين « الفرقة اليهودية » في الحرب الكونية الاولى ركز نشاطه على تأسيس « الهستدروت » وأصبح سكرتيرا عاما له طوال الفترة ١٩٢١ ــ ١٩٣٥ . كما شكل بن جوريون ، في العام ١٩٣٠ ، حزب « المباي » (منذئذ الحزب الاقوى فــي اسرائيل) وكان ايضا مؤسس « رافي » ــ الحزب المنشق عن المباي في العام ١٩٦٥ .

ومن أبرز مناصب بن جوريون الرسمية في السلطتين التنفيذية والتشريعية (قبل وبعد قيام اسرائيل) المناصب التالية : عضوا في الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية ورئيسها في الفترة ١٩٣٥ ــ ١٩٣٨ ، رئيسا « للادارة القومية » ومسؤولا عن الامن والدفاع بعد

٢٩ نوفمبر (تشرين الاول) ١٩٤٧ ، رئيسا لوزراء اسرائيل ووزيرا لدفاعها منذ تأسيس الدولة وحتى ١٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٣ باستثناء الفترة ما بين ٥٣/١٢/٧ — ٣/١١/١٩٥٥ مع انه كان قد عاد فاستلم وزارة الدفاع منذ ١٩٥٥/٢/٢١ . هذا وقد مثل بن جوريون حزبه (سواء الماباي او رافي) في جميع البرلمانات الاسرائيلية (الكنيست) منذ قيام اسرائيل وحتى استقالته (لاسباب صحية) في مايو (ايار) ١٩٧٠(١).

هذه المناصب جميعها ، وبالرغم من أهميتها البالغة ، اكتسبت فعالية خاصة وابعادا اضافية بسبب الصفات التي تميزت بها شخصية بن جوريون . والفارق هنا هو بين « رئيس الوزراء — الموظف » او « رئيس الوزراء — المنتدب حزبيا » (وهذا ما لم يكنه بن جوريون) ، وبين القائد او الزعيم الذي يضفي عليه منصب ما الشرعية الرسمية ، وهذا بالضبط ما كانه . فبن جوريون كان « قائدا بالولادة »(٢) يصوغ القرارات ويتخذها ويضمن تنفيذها على النحو الاكمل . وباتخاذه للقرارات لا يجعل «الاوهام» او العواطف تتحكم به كما وانه لا يتورع عن اتخاذ القرارات الصعبة التي قد تنطوي على آثار سلبية من زاوية شعبيتها (وهذا من أكثر الامور التي كانت تعجبه في شخصية الجنرال ديغول) . وقد كان لقوة شخصيته وحزمه الشديد واسلوبه الصدامي أثر كبير في تركز السلطات بين يديه بحيث انه اعتبر — من قبل الكثيرين — دكتاتورا(٣). لهذا وصف بن جوريون على أنه « مركب غريب (يجمع) بين السياسي ورجل الدولة ، النبي والملك »(٤). كما أشير اليه على انه « الزعيم القومي الاهم بلا منازع »(٥). ومما قاله عنه ليفي اشكول ، خليفته في رئاسة الوزارة ، في ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٦٣ : « برؤياه المحلقة ، وبصيرته النافذة ، بشجاعته في اتخاذ القرار وبقدرته على العمل ، قاد شعبنا في صراعاته التاريخية التي أدت الى اقامة الدولة وجمع شتات المنفى ، وقرر مكانة (الدولة) في العالم وطابعها في الداخل . واكثر من اي رجل في جيلنا يستحق (بن جوريون) لقب « صانع الدولة » »(٦).

ب — عوامل تكوين فكر بن جوريون السياسي :

كغيره من الناس ، بل ربما بشكل اوضح من معظمهم ، جاء الفكر السياسي لبن جوريون معبرا عن الظرف الموضوعي الذي وجد نفسه فيه من جهة وانعكاسا امينا لقواه الفاعلة من جهة ثانية(٧). فمنذ اللحظة الاولى لوصوله الى هذا العالم ، بدأ عقل بن جوريون ، وقبل ان يمتلك القدرة الذاتية على الاختيار او الرفض ، يتنفس هواء ثقافيا وفكريا وسياسيا خاصا . فجده يحقنه بالتراث العبري دينا وتاريخا وامالا ولغة، ووالده يكتب على صفحة دماغه البيضاء الفكر القومي السياسي الاكثر هيمنة في أوساط ابناء طبقته المتوسطة آنذاك ونعني به : الفكر الصهيوني . هذه « الادلجة » المبكرة التي تعرض لها بن جوريون منذ نعومة اظافره تركت ، كما سنرى ، بصمات واضحة وآثارا عميقة على فكر بن جوريون وسياساته التي جاءت **مزجا واضحا جمع بين تراث الماضي الديني وفكر الحاضر القومي من أجل رسم صورة عمل مستقبلية .**

هذه المؤثرات النابعة من المحيط العائلي لبن جوريون لم تصطدم بتيارات فكرية معاكسة في المحيط الاوسع . بل بامكان المرء ان يؤكد على العكس فيقول ان الاطار العائلي كان ، بحد ذاته ، امتدادا للاطار الخارجي الاشمل . فكون بن جوريون قد تلقى تعليمه الابتدائي في المدارس الدينية اليهودية من جهة ، وخضوعه التلقائي لتأثيرات « الجيتو » الذي كان يقطن فيه من جهة ثانية ، أمران عززا التأثيرات العائلية ونمياها. أيضا فان الجو الفكري العائلي كان جزءا من الجو العام السائد . وعن ذلك يقول بن جوريون ذاته : « جيلي كان (هدفا) ناضجا للصهيونية »(٨). وبهذا المجال ، وكي

تكتمل الصورة ، يجدر بنا ان نلاحظ ان العام الذي ولد فيه بن غوريون عام يبعد مسافة زمنية قدرها خمس سنوات عن المجازر اللاسامية في العام ١٨٨١ في روسيه القيصرية ومسافة عامين عن كل من « حادثة درايفوس » الشهيرة وعن « المؤتمر الاول لاحباء صهيون » المنعقد في سنة ١٨٨٤(٩). وحتى قبل ان يسمع بن جوريون عن انعقاد « المؤتمر الصهيوني الاول » ، وهو ابن احد عشر ربيعا ، كان قد أتيح له ان يرى ثيودور هرتسل وهو يزور بلدته مبشرا بالفكر الصهيوني . فلا غرابة، اذن ، والتأثيرات بهذه القوة وبهذا الوضوح، ان يأتي تكوين بن جوريون الذهني صهيونيا . بل ان شدة المؤثرات هذه ، جعلت منه ذلك النمط من الصهيوني الذي يؤمن بضرورة العودة الى صهيون ليس هربا من اضطهاد وانما تحقيقا **« لحلم »** بكل ما يرافق عادة توجها كهذا من حماسة وزخم(١٠).

فما هو هذا « الحلم » وما هي حيثياته ؟

جـ ــ المنطلقات الاساسية لفكر بن جوريون السياسي :

أهمية الاجابة على السؤال المحدد اعلاه تكمن في كون الحديث عن « الحلم » هو بالاساس حديث عن المنطلقات النظرية الرئيسية التي شكلت نقطة الاستناد الحاسمة لفكر بن جوريون السياسي . وفي هذا المجال فان اية دراسة مقارنة لكتابات وأحاديث بن جوريون ، وهي كما وردت في المراجع الاولية مصدرنا الاساسي للمعلومات(١١)، لا بد لها وأن تخرج بثلاث ملاحظات بارزة وتستنبط ثلاث منطلقات جوهرية على الاقل . اما الملاحظات فهي :

أولا : تكاد منطلقات بن جوريون الاساسية تكون ، حتى بألفاظها التفصيلية ، ثابتة ومتكررة في كل مرجع لكتاباته واحاديثه بالرغم من الفارق الزمني بين المرجع والآخر .

ثانيا : يحرص بن جوريون في تحدثه أو كتابته عن كل منطلق له على ربط الحاضر والمستقبل بالتاريخ والدين اليهوديين ومن ثم اظهار استمرارية ما بين فكر الحاضر والمستقبل الذي ينادي به وبين ماورد في التوراة . أي ان بامكان المرء ان يرصد ، وراء الاستشهادات التوراتية المكثفة ، محاولة لبناء تركيب معين يجمع ما بين الدين والدولة . ولا غرو في ذلك ، فانه لمن الامور المعروفة عن بن جوريون « انه يعيش (متحاورا) مع موسى كأن موسى يجلس على الطرف الآخر للطاولة ويعيش مع داود والآخرين (من الاعلام اليهود محدثا ومناقشا) »(١٢).

ثالثا : مع ان هذه الدراسة معنية بتسليط الضوء بشكل خاص ومحدد على فكر بن جوريون ، الا انها لا تدعي ، ولا تستطيع أصلا أن تدعي ، أن الفكر الذي هي بصدده كان فكرا خاصا ببن جوريون وحده . فالرجل في طفولته ، كما سبق وذكرنا ، كان أشبه ما يكون « بجهاز استقبال » للفكر الصهيوني المزدهر الذي سبقه . على أن بن جوريون، وعلى ضوء الملاحظة الثانية أعلاه ، لم يكن مجرد عاكس للفكر الذي استقبله بل كان ، بالمحصلة ، صاحب مدرسة لها اسلوبها وصياغتها الخاصين ، بالرغم من التشابه الواضح في بعض نقاط الانطلاق (أو في البرامج العملية المنبثقة عنها) بينه وبين الاجتهادات المختلفة لدى المدارس الصهيونية الاخرى .

أما المنطلقات الرئيسية الثلاثة فهي :

١ ــ **خصوصية الشعب اليهودي** : الشعب اليهودي ، كما يراه بن جوريون ، شعب لا يشكل كيانا سياسيا فحسب ، بل ان اليهود منذ أن بدأ دورهم في التاريخ « يخوضون صراعا ، قد يكون ابديا ، وذلك بحكم الطبيعة الفريدة لبنائهم الروحي والخلقي »(١٣). ذلك البناء ، والكلام لبن جوريون ، يجعل من اليهود شعبا «خاصا» او شعبا «نخبة»(١٤)

يتمتع بقدرة استثنائية على الديمومة بالرغم من الظروف البالغة القسوة التي تعرض لها على امتداد التاريخ . وبامتياز الشعب اليهودي بهذه الخاصية خلافا لباقي الشعوب، نجح ليس في تجنب الانقراض فحسب بل وفي عملية بعثه لذاته بعد آلاف السنين . يقول بن جوريون : « ان سر **بقاء** الامة اليهودية في المنفى في ظروف لم يكن ليحتملها **أي شعب**، وبقاء الدولة في سنواتها العشرين الاولى على الرغم من جيران مصممين على تحطيمها ، ليس الا النوعية **المتفوقة للامة اليهودية** »(١٥).

اما حيثيات التفوق المشار اليه فتكمن في الاسماء والعبارات المستخدمة من قبل بن جوريون لوصف الشعب اليهودي . فهي أما ان ترد الى الطبيعة الفريدة للبناء الروحي والخلقي لدى الشعب اليهودي او هي ترجع الى « نخبويته »(١٦) و « تفوق الروح »(١٧) عنده او مهمته « القيادية في شؤون الروح والنوع »(١٨).

٢ ــ **الرسالة التاريخية للشعب اليهودي** : والمنطلق الثاني هذا مرتبط عضويا بالمنطلق الاول وبالذات فيما انتهى اليه بن جوريون من حديث عن مهمة الشعب اليهودي « القيادية في شؤون الروح والنوع » . وفي هذا المجال يبدو الاثر الخاص الذي تركه على بن جوريون الكلام او التعاليم التي تنسب عادة للنبي « اشعيا » . وبالتحديد قول الاخير ان اليهود « نور (أو ضوء) للامم »(١٩).

وهذا بالضبط ما يعنيه بن جوريون في احاديثه وشروحاته عن « المهمة التاريخية » التي ما انفك ، وفقا لكتاباته المتعددة ، يشير اليها منذ زمن مبكر(٢٠). يعزز ذلك كله ايمان بن جوريون أنه : « وبشكل مختلف عن جميع الامم الاخرى ، ومن ضمنها المسيحيين والمسلمين ، فان شعب اسرائيل لم يعتبر ان العصر الذهبي هو في الماضي وانما في المستقبل ــ في منتهى الايام . وحسب معتقد الشعب اليهودي فان الخلاص لم يحصل في الماضي البعيد وانما سيأتي في المستقبل »(٢١).

٣ ــ **ضرورة تحقيق دولة الشعب اليهودي** : وكما الترابط عضوي بين المنطلقين الاولين ، فان المنطلق الثالث هذا يأتي بمثابة الاستنباط الحتمي للاداة المتصورة لتنفيذ الحلم . فالدولة ــ كما يراها بن جوريون ــ « تجسيد لرؤى الخلاص عند الشعب اليهودي »(٢٢) من جهة ، وجزء من الماضي وتحقيق في المستقبل لمهمة اسرائيل التاريخية(٢٣) من جهة ثانية .

هذه المنطلقات الثلاثة ، بترابطها وتفاعلها المستمرين ، شكلت الخلفية الثابتة التي اتكأ عليها الفكر السياسي لبن جوريون وتياره ، أو بالاحرى التيار الذي قاده داخل الحركة الصهيونية قبل قيام اسرائيل أو داخل الدولة بعد قيامها . هذا مع التأكيد على ان وضوح المنطلقات لدى بن جوريون ذاته لم يكن يعني ان جميع المنضوين تحت لوائه، سواء كانوا من الجماهير العادية ام من البارزين في مدرسته السياسية ، كانوا يتمتعون ــ أو حتى يهتموا بان يتمتعوا ــ بالوضوح الذي كان هو يحس به ويسعى لتثبيته وتعميمه ازاء هذه المنطلقات . ولعلنا نقترب من كبد الحقيقة أكثر اذا ما نحن قلنا ان تيار بن جوريون وتلاميذه وافقوا على ، وبالتالي تبنوا ، **الاسلوب او المنهج العملي** المترتب على مثل هذه المنطلقات دونما ضرورة من جانبهم لمعرفة قبلية او حتى موافقة مسبقة على نقاط الانطلاق تلك . فما هو ، باختصار شديد ، هذا المنهج العملي الذي اشرنا اليه وكيف ، وهذا ما هو بحاجة الى ايضاح اكثر تفصيلا ، عكس نفسه على العمل السياسي الخاص ببن جوريون ومدرسته قبل قيام اسرائيل وبعد انشائها ؟

د ــ المعالم الرئيسية لمدرسة بن جوريون السياسية :

١ ــ **المنهج** : ان يكون بن جوريون قد جاء في مرحلة نضج الصهيونية كفكرة وكتيار

سياسي ، وان يكون قد تعرض لتأثيرات هائلة ومتعددة الجوانب منذ طفولته المبكرة ، وأن يكون قد نذر حياته ــ وتصور نفسه حجر زاوية لا غنى عنه ــ لتنفيذ الحلم الخاص « باعادة بناء ارض اسرائيل »(٢٤)، وان يكون مقتنعا تماما بالمنطلقات المذكورة اعلاه ، ان يكون ذلك كله هو بالاساس امر له معنى واحد هو : **الريادة** .

والريادة في مجـال النشـاط الصهيوني ، بالفترة التي ترعـرع ونشط اثنائها بن جوريون ، عنت تجاوز الفكرة الى **المباشرة في التنفيذ** . كما انها عنت ، بحكم كونهـا مضطرة للعمل في وسط أقل ما يقال عنه انه معاد ، ضرورة توافر **الروح الصدامية** لدى القائمين على مهمة تحقيق الحلم . وكي تتم عملية التنفيذ وتحمى في مراحلها المختلفـة كان لا بد من سلاح للحماية وتجسيد لروح الصدام عن طريق تنمية **القوة المادية** الخاصة بالمستوطنين الصهيونيين . هذه المواصفات الثلاث هي بمثابة روافد تصب في منهج محدد مؤداه العملي : **سياسة انجاز الامور عن طريق القوة المتفوقة** .

٢ ــ **المنهج في التطبيق** : وقد عبر هذا المنهج عن نفسه بوضوح تام في جملة النشاطات والمخططات البن جوريونية على امتداد فترة ما قبل قيام اسرائيل وبعدها ، كما انه كان وراء جميع الخلافات التي حكمت،في كثير من الاحيان،علاقات القيادات الصهيونية بعضها ببعض وبالذات قيادة حاييم وايزمن مقابل قيادة بن جوريون قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وقيادة موسى شاريت في جانب وقيادة بن جوريون في جانب اخر بعد الحرب العالمية الثانية وبالتحديد في السنوات الاولى من قيام اسرائيل(٢٥) . وكي نرسم لوحـة اجمالية للاعمدة الرئيسية التي تقوم عليها المـدرسة السياسية البن جوريونية ، وكي نتجنب الوقوع في مصيدة السرد التاريخي المجرد ، تنتقل الدراسة الى تحديد المواقـف المبلـورة لبن جوريون ازاء المسائل الاكثـر اهمية التي جابهـت الحركة الصهيونية واسرائيل .

أ ــ **الصهيونية الحقة** : من المواقف التي تتجلى فيها النزعة العملية (بمعنى المباشرة بالتنفيذ وتقديم الفعل على القول) عند بن جوريون ، فهمه الخاص للصهيونية . فهو في هذا المجال من انصار الطريـق الصعب ــ طريق الهجـرة والاستيطـان الفعلي في فلسطين ــ وتحدي الصعوبات الناشئة عن ذلك(٢٦) . وليس أدل على موقفه هذا من قوله في رسالة لوالده وهو لم يزل بعد في مقتبل العمـر : « ان اقامـة قرية جديدة في فلسطين اهم اكثر من الف مؤتمر . ان **الصهيونية الحقة** ، **الوحيدة** ، هي استعمـار فلسطين »(٢٧) .

ب ــ **الحركة الصهيونية واسرائيل ويهـود العالم** : سحب الفهم البن جوريونـي الضيق والمتشدد لجوهر الصهيونية نفسه على فهمه للعلاقات التي سادت أو كان يجب ان تسود بين الحركة الصهيونية (واسرائيل لاحقا) في جانب ، ويهود العالم خـارج فلسطين في جانب ثان . فمع ادراك بن جوريون لاهمية وضرورة التضامن بين مختلـف قطاعات الطائفة اليهودية في العالـم ودعوته المبكرة الى ذلـك وتعليقه اهميـة كبيرة عليه(٢٨)، نراه متشددا معهم فيما يطالبهم به الى درجة استفزازهم . وكم من مرة أدى فيها موقفه الشهير الخاص بالربـط بين ان يكون المرء صهيونيـا وبين حضوره الفعلي للاستيطان النهائي في فلسطين ، الى خلافات وصدامـات(٢٩) . فاليهودي ، مهما قـدم لخدمة الفكرة والحركة الصهيونية واهدافها يبقى بنظر بن جوريون يهوديا ولا يصبح صهيونيا طالما انه لم يأت للاقامة في فلسطين(٣٠) .

ومع قيام اسرائيل حاول بن جوريون تقديـم شتى المغريات لتشجيـع منطقه ذاك وخاصة وضعه « قانون العودة » في الخامس من تموز (يوليو) ١٩٥٠ . ذلك القانون الذي أكد ، في جملة ما أكده ، ان يهودية المرء هي التي تعطيه الحق بالعودة ، بكـل

ما يرافقها من اغراءات ، وليست الدولة(٣١). وفي الوقت ذاته ، تابع بن جوريون طرح موقفه القديم الخاص بالتأكيد على ان اسرائيل ملك لجميع اليهود وان بامكان يهود العالم ، بل — والحديث لبن جوريون — من واجبهم مساعدة اسرائيل دون اي حق مكتسب لهم بالتدخل في اي من شؤونها الداخلية والخارجية . كل ذلك « لان قلب اسرائيل ينبض في القدس وليس في نيويورك او لندن »(٣٢).

جـ — القوة العسكرية :

ولبن جوريون في هذا الصدد تفسيره ، التاريخي والفلسفي : « سنكون مفندين لتاريخ اليهودي من زمن موسى ويشوع الى ايام جيش الدفاع الاسرائيلي اذا اطرحنا (جانبا) قيمة القوة المادية ... ومنذ (عهد) الانبياء الى (عهد) اينشتين لم تقبل العبقرية اليهودية ازدواجية المادة والروح »(٣٣).

أيضا ، لان « مبدأ الشر انتصر حتى الان (ولان) القوة تهيمن »(٣٤) فان على اسرائيل ، وقبلها الحركة الصهيونية ، ان تبني حساباتها على هذا الاساس . ولهذا كان بن جوريون رائدا في الدعوة الى وتنفيذ تأسيس تشكيلات « الهاشومر » (حراس المستعمرات) التي تحولت لاحقا الى الهاجاناه — نواة الجيش الاسرائيلي بعد العام ١٩٤٨ (٣٥).

ولان بن جوريون ، تقول جولدا ماير ، لا يؤمن بالاوهام فقد « علمنا » ان قوة الجيش تأتي على راس سلم الاولويات(٣٦). فكل الامور تعتمد ، في النهاية ، على وجود جيش قوي ولا اساس صلب لكل بناء عداه(٣٧). ولهذا « أهمل » بن جوريون الوزارات المختلفة عندما كان رئيسا للوزراء وركز جل جهوده على شؤون الجيش الذي كان يرأس، بحكم كونه ، في الوقت ذاته ، وزيرا للدفاع(٣٨). وفي هذا المجال فان الخمس عشرة سنة التي قضاها بن جوريون رئيسا لوزراء اسرائيل ومسؤولا عن دفاعها مكنته من « ختم طابعه الراسخ على جيش اسرائيل ووزارة الدفاع »(٣٩). واكثر من اي شخص آخر كان اثر بن جوريون حاسما في كل ما يتصل بالقوة العسكرية الصهيونية قبل وبعد قيام اسرائيل . بل ان مسألة تشكيل جيش قوي لاسرائيل شغلت ، اكثر من اي موضوع اخر ، ذهن بن جوريون واستنفدت من وقته وجهده(٤٠). وهذا ان دل على امر فانه يدل على العناية القصوى التي اولاها بن جوريون لمسألة القوة العسكرية الصهيونية في البدء والاسرائيلية لاحقا .

د — العالم والرأي العام العالمي ومنظماته :

موقف بن جوريون من الرأي العام العالمي ومنظماته (الامم المتحدة بشكل خاص) موقف غير منفصل عن افراط بن جوريون بتوجهاته الذاتية اليهودية من جهة وعن ايمانه العميق بان هذا العالم عالم غابة البقاء فيه للاقوى ، من جهة ثانية . فالمبالغة بالدور اليهودي البحت في كل ما يتم تحقيقه من الاهداف الصهيونية (« لم يصنع الدولة أحد غير الشعب اليهودي وبالذات ، قواته المسلحة »)(٤١) ادى به الى استنتاجات مغلوطة عن اثر الدور العالمي في تحقيق تلك الاهداف بشكل انتقص من هذا الدور وجعله — تعسفا — يقارب الصفر من حيث كمية تأثيره . فطالما ان المهم هو فقط ما يفعله اليهود انفسهم — هكذا ينساب تفكير وموقف بن جوريون — فان مساعدات وخدمات العالم الخارجي لهم ثانوية وتكاد تكون لا تذكر . ولانها ثانوية — يستطرد المنطق البن جوريوني قائلا — فان العالم (وبالذات الامم المتحدة) « مقصر » ازاء القضايا اليهودية(٤٢). وهو لهذا غير جدير بالاهتمام ورأيه على سلم الاعتبارات الاسرائيلية يأتي في المرتبة الثانية(٤٣).

هـ ــ نظرية أمن اسرائيل وبقائها :

يعتمد أمن اسرائيل ــ كما يراه بن جوريون ــ على **ركائز ثلاث** : القوة العسكرية ، ازدياد السكان اليهود مع الاستيطان ، « واستمرار » كون شعب اسرائيل نخبة(٤٤). اما القوة العسكرية فقد تحدثنا عنها سابقا . واما مسألة زيادة السكان اليهود والاستيطان فهي اللحن المتكرر ابدا في كل عزف صهيوني اداه بن جوريون . وزيادة السكان ممكنة وواجبة عن احد طريقين : الهجرة والتكاثر . والهجرة ، كما ولا شك نذكر ، تشكل العمود الفقري للصهيونية ــ كما فهمها ودعا اليها بن جوريون . وفيما يتعلق بزيادة السكان عن طريق الاكثار من المواليد فان بن جوريون يذهب ، باسلوب كهنوتي ، الى القول بان ذلك « واجب مقدس » على كل امرأة يهودية . وانه « بقدر ما يعتمد الامر عليها (أي على المرأة اليهودية « فان من لا تأتي بأربعة أطفال أصحاء الى هذا العالم تخون واجبها نحو الامة مثل جندي يتملص من الخدمة العسكرية »(٤٥).

اما الركيزة الثالثة فتؤكد على ضرورة استمرار كون الشعب الاسرائيلي « شعبا ــ نخبة » و « شعبا ــ منتقى »(٤٦) وهذا يعود بذاكرتنا الى الاول من منطلقات بن جوريون الثلاثة .

و ــ السلام مع العرب :

كتب بن جوريون في احدث كتبه يقول : « لاسرائيل هدفين : السلام مع جيراننا وهجرة يهودية عظيمة »(٤٧). ولكن تأكيد بن غوريون على هذا الهدف لم يؤد يوما الى انجازه والاسباب متعلقة اساسا بالمنهج البن جوريوني ذاته . فهدف السلام لا يمكن النظر اليه بمعزل عن نظرة بن جوريون الى العرب وهي تلك النظرة التي تتشدد وتصر على اعتبارهم « **اعداء فحسب** »(٤٨). ولهذا كانت سياسة بن جوريون الفعلية تجاه العرب سياسة اغتنام الفرص الواهية الحجج او افتعال المناسبات « للمبادأة » « وللانتقام » من العرب وتوجيه ضربات عسكرية لهم(٤٩). وهكذا عندما يقول بن جوريون : « السلام بيننا وبين جيراننا يعتمد الى حد كبير على امتلاكنا قوة عسكرية كافية لتشكل رادعا فعالا »(٥٠) لا يمكن للمرء الا ان يتساءل : أهذا منطق ساع الى السلام ام منطق داعية للحرب ؟ والتساؤل ذاته يرد وبالحاح عندما نقرأ لبن جوريون ما كتبه قبل عامين : « سيأتي السلام فقط عندما تستند الدولة اليهودية الى ... تواجد **اغلبية** الشعب اليهودي في فلسطين واستيطان **اكبر** قدر ممكن من ارضنا(٥١). (أي استيطانهم على أكبر قدر ممكن من الاراضي المحيطة « بضفتي نهر الاردن »)(٥٢). وهكذا نرى ان صلب نظرية بن جوريون للسلام يكمن في جعل العرب « يحتاجوا » للسلام تحت **تأثير الهراوة العسكرية الاسرائيلية وضرباتها** .

ومع ان بن جوريون مال للمراهنة على احتمالات كون حرب ١٩٦٧ قد « أقنعت » العرب بضرورة السلام(٥٤) (بعد ان هزموا تلك الهزيمة العسكرية الفادحة) ، فانه بقي يؤكد ــ وان اظهر على السطح انه يقدم تنازلات ــ على ضرورة تحقيق مكاسب اقليمية جديدة . فهو مستعد ، مقابل **سلام حقيقي** (وهذا له معناه البن جوريوني الواضح) ، ان يعيد جميع الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ **باستثناء** القدس والهضبة السورية(٥٥).

*

هذه هي المواقف المبلورة لبن جوريون من المسائل الاكثر اهمية التي واجهت وتواجه الحركة الصهيونية واسرائيل . وهي مواقف نابعة — اذا جاز لنا استعارة التعابير البسيكولوجية — من تحكم « عقدتين » بعقل بن جوريون وتلاميذه النجباء الذين يشكلون حاليا القيادة السياسية في اسرائيل بشكل عام وصقور مجموعة المعراخ الحاكمة ومجموعة التكتل المعارضة بشكل خاص*. فايمان بن جوريون ومدرسته — كما مر معنا — بالنوعية الخاصة للشعب اليهودي وكونه صاحب رسالة حضارية ستنير على العالم من خلال بعث الدولة القديمة على أكبر قدر ممكن من « أرض اسرائيل » هو ايمان مبعثه احساس ذاتي بالتفوق والنخبوية اقرب التعابير الوصفية له تعبير « **عقدة العظمة** » . يقابل ذلك الايمان الاستعلائي موقف مضاد عناوينه الرئيسية أن **لا ثقة** الا بالشعب اليهودي وقواه الذاتية وقواته المسلحة المتواجدة على أرض فلسطين وان العالم الخارجي كان ولا يزال **معاديا** او — في احسن الاحوال — **مقصرا** تجاه الحقوق الخاصة بالشعب اليهودي وان الضمانة الوحيدة ضد استمرار اضطهاد العالم لهم يكمن في **التفوق العسكري الذاتي** وليس بالرأي العام الدولي وان سياسة **المبادأة والانتقام** العسكري ازاء العرب هو الاسلوب الوحيد **لفرض** السلام (او بالاحرى الاستسلام) عليهم . وما هذا الموقف في جوهره الا تعبيرا عن حالة أقرب العبارات الوصفية لها هو تعبير « **عقدة الاضطهاد** » . وتحت وطأة هاتين العقدتين عاش بن جوريون ومات وتحت الوطأة ذاتها لا زالت شعوب المنطقة ، ومن ضمنها الشعب اليهودي ، تعيش وتموت كل يوم الف مرة .

---

* وللتأكد من شبه التطابق القائم بين جوهر الموقف الخاص ببن جوريون وجوهر القيادات السياسية (الحاكمة والمعارضة) في اسرائيل حاليا وكيف ان القيادة الحاكمة هي ، الى حد كبير ، قيادة أهم ما يميزها بصمات المدرسة البن جوريونية في السياسة عليها ، بالامكان الرجوع الى مقالة عيسى الشعيبي « حرب تشرين وموضوعات حزب العمل الاسرائيلي » المنشورة في هذا العدد من **شؤون فلسطينية** ، والتي تقدم استعراضا شاملا للخطوط والتحركات السياسية في اسرائيل في السنوات الاخيرة وتحليلا محددا لوثيقة جاليلي وأحدث بيان للجنة المركزية لحزب العمل الحاكم يوم ١٩٧٣/١١/٢٨ . هذا بالاضافة الى ان أية عملية استذكار تتم في ذهن أي منا للمواقف الاسرائيلية خاصة منذ حرب حزيران تؤكد الوزن الكبير والمستمر للنهج البن جوريوني في تقرير السياسات الاسرائيلية .

١ — المعلومات الخاصة بحياة بن جوريون ونشاطاته ومناصبه المختلفة مستندة الى مقارنة وتدقيق ما ذكر حول ذلك في المصادر التالية :

a — David Ben-Gurion, *Israel : A Personal History* (New York : Funk and Wagnalls, 1971), p. XV.

b — Thomas R. Bransten (ed.), *Recollections : David Ben-Gurion* (London : MacDonald Unit, 1970), pp. 34-36.

c — Amram Ducovny, *David Ben-Gurion In His Own Words* (New York : Fleet Press Corporation, 1968), pp. 3-17 and 143-8.

d — John R. Gilbert, *Famous Jewish Lives* (London : Odhams Books, 1970), pp. 261-78.

e — Michael Bar-Zohar, *The Armed Prophet : A Biography of Ben-Gurion* (London: Arthur Barker, 1967), pp. 4-10.

f — Robert St. John, *Ben-Gurion: The Biography of an Extra-Ordinary Man* (New York : Doubleday and Co., 1959), pp. 15-19.

هذا بالاضافة الى الدراسة الوحيدة الصادرة باللغة العربية لتهاني هلسة ، **دافيد بن جوريون** (بيروت : مركز الابحاث ، م.ت.ف.، ١٩٦٨)، الصفحات : ١٣ — ١٥ ، ١٩ — ٢٠ ، ٢٧ —

٢٨ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٥٥ ، ١٦٢ . واخيرا نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » باللغة العبرية الصادرة بالعربية عن مركز الابحاث،م.ت.ف.، العدد ٤٠٥ ، الصفحات ٢٠٤٢ — ٢٠٤٤ .

٢ — Don Joseph, «Timing and Courage in a Born Leader », *The Jerusalem Post: Weekly Overseas Edition* (No. 571, October 13, 1971), p. 7.

٣ — المعلومات الواردة في الاسطر القليلة اعلاه مستندة بالاساس الى آراء مجموعة من القادة الاسرائيليين رفاق بن جوريون لسنين طويلة ، أنظر :

a — Golda Meir, « Tribute to Ben-Gurion », *Jewish Frontier*, November, 1971, p. 4.
b — Yigal Yadin, «The Decisions of 1948», *The Jerusalem Post : Weekly* (No. 571, October 13, 1971), p. 8.
c — Don Joseph, *loc. cit.*
d — Bar-Zohar, *op. cit.*, p. 272.

٤ — Yadin, *loc. cit.*

٥ — أنظر مقابلة اجراها Ari Rath مع بن جوريون بمناسبة عيد ميلاده الخامس والثمانون كما نشرت في *The Jerusalem Post : Weekly*, No. 571 - October 13, 1971, p. 5.

٦ — Ben-Gurion, *op. cit.*, p. 694.

٧ — كل ما يرد من معلومات بهذا الجزء من البحث ، الا ما اشير اليه بمصادر محددة خاصة به ، مستخلص من مصادر الحاشية رقم (١) وبالصفحات المبينة اياها .

٨ — Bransten (ed.), *op. cit.*, p. 34.

٩ — Bar-Zohar, *op. cit.*, p. 4-8.

١٠ — يؤكد بن جوريون انه كان مشبعا بفكرة العودة الى « أرض اسرائيل » لدرجة كان معها وهو لم يتجاوز بعد سن الثالثة يرى احلاما اثناء نومه بهذا الخصوص . كما انه يشير الى انه ما ان بلغ العاشرة من عمره حتى كان قراره بضرورة الهجرة الى فلسطين قرارا لا نكوص عنه . واخيرا يوضح بن جوريون ان بلدته بالذات كانت بعيدة عن موجات اللاسامية وان رغبته بالرحيل الى فلسطين كان يحدوها هدف « ايجابي لبناء الوطن القومي » وليس الهروب من الاضطهاد . أنظر :
Bransten (ed.), *op. cit.*, pp. 34-36.

١١ — هذه المصادر الاولية هي حسب تسلسلها الزمني :

1 — David Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel* (New York : Philosophical Library, 1954).
2 — David Ben-Gurion, *Israel : Years of Challenge* (New York : Holt, Rinehart and Winston, 1963).
3 — *David Ben-Gurion, Looks Back* in talks with Moshe Pearlman (New York: Simon and Schuster, 1965).

واخيرا ذكريات بن جوريون كما جمعها Bransten ونشرت بانجلترا عام ١٩٧٠ ، حسب ما ذكر اعلاه ، ومذكرات بن جوريون كما صاغها بنفسه وصدرت تحت عنوان اشير اليه سابقا في هذه الحواشي وهو *Israel : A Personal History* في العام ١٩٧١ . وهذا الاخير هو المرجع الاهم والاشمل والاحدث .

١٢ — Yadin, *loc. cit.*

١٣ — Ben-Gurion, *Israel : A Personal History*, pp. XVII and 795.

١٤ — Ben-Gurion, *op. cit.*, p. 822.

١٥ — *Ibid.*, p. 843.

١٦ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, p. 441.

١٧ — Ben-Gurion, *Israel : Years of Challenge*, p. 211.

١٨ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, p. 437.

١٩ — Bransten (ed.), *op. cit.*, p. 29.

٢٠ — ورد حديث بن جوريون عن المهمة التاريخية للشعب اليهودي في جميع ما نشر له من مقالات ومقابلات ومذكرات على النحو التالي :

1 — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, p. 316.
2 — Ben-Gurion, *Israel : Years of Challenge*, pp. 212, 235-6, and 240.
3 — *Ben-Gurion Looks Back*, pp. 136, 225, 230 and 232.
4 — Bransten (ed.), *op. cit.*, p. 122.
5 — Ben-Gurion, *Israel : A Personal History*, pp. XVII and 795.

٢١ — Ben-Gurion, *Israel : A Personal History*, p. 834.

٢٢ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, p. 490.

٢٣ — *Ben-Gurion Looks Back*, p. 224.

٢٤ — انظر المختارات من رسائل بن جوريون المختلفة لزوجته باولا والتي توضح كيف انه كان

يعتبر نفسه رجل مهام عظيمة وانه سيحقق الامنية .

The Jerusalem Post : Weekly Edition, (No 571, October 13, 1971), p. 10.

ايضا راي ابا ايبن في مبالغة بن جوريون بالربط بين نفسه وبين تاريخ الامة :

Michael Brecher, *The Foreign Policy System of Israel* (London : Oxford University Press, 1972), p. 266.

٢٥ — من أجل دراسة مقارنة مكثفة ودقيقة بين مدرسة بن غوريون ومدرسة موسى شاريت ووايزمن وغيرهم أنظر كتاب Michael Brecher المذكور اعلاه تحت الفصل المخصص لبن غوريون وشاريت .

٢٦ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel,* p. 37.

٢٧ — Bar-Zohar, *op. cit.,* p. 12.

٢٨ *Ben-Gurion Looks Back,* p. 241-50; Also in Gilbert, *op. cit.,* p. 265.

٢٩ — Brecher, *op. cit.,* p. 258.

٣٠ — *Ibid., p.* 257, Also Ben - Gurion *Looks Back,* p. 240.

٣١ — Ben-Gurion, *Israel : A Personal History,* p. 827.

٣٢ — Bar-Zohar, *op. cit.,* p. 273.

٣٣ — Ben-Gurion, *Israel : A Personal History,* pp. XXI-XXII.

٣٤ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel,* p. 430.

٣٥ — Gilbert, *op. cit.,* p. 264.

٣٦ — Golda Meir, «Tribute to Ben-Gurion», *Jewish Frontier,* November, 1971, p. 4.

٣٧ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel,* pp. 411-12; Also Ben-Gurion, *Israel: Years of Challenge,* p. 262; Aso *Ben-Gurion Looks Back,* p. 145.

٣٨ — Yadin, *loc. cit.*

٣٩ — Amos Perlmutter, *Military and Politics in Israel* (London : Frank Cass and Co. Ltd., 1969), p. 54.

٤٠ — راجع مقال اسعد عبد الرحمن « العلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل » ، **شؤون فلسطينية** (بيروت : رقم ٩ ، ايار ١٩٧٢) ، ص ٤٤ — ٦٣ .

٤١ — Brecher, *op. cit.,* pp. 258-9.

٤٢ — *Ibid.,* pp. 256 and 258-60.

٤٣ — Golda Meir, *loc. cit.*

٤٤ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel,* pp. 411-12; Ben-Gurion, *Israel : Years of Challenge,* p. 212; *Ben-Gurion Looks Back,* p. 145; and finally in Ben-Gurion, *Israel : A Personal History,* pp. 803, 812, 825, 837 and 842-3.

٤٥ — *Ibid.,* p. 839.

٤٦ — *Ibid.,* pp. 816 and 823; Also in Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny,* p. 270.

٤٧ — Ben-Gurion, *Israel : A Personal History,* p. 803.

٤٨ — Brecher, *op. cit.,* p. 258 .

٤٩ — *Ibid.,* p. 261.

٥٠ — Ben-Gurion, *Israel : Years of Challenge,* p. 189.

٥١ — Ben-Gurion, «What We Must Do», *Jewish Frontier* (November, 1971), p. 8.

٥٢ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny,* p. 32 and 35; Also Ben-Gurion, *Israel: A Personal History,* p. 797.

٥٣ — Brecher, *op. cit.,* p. 284.

٥٤ — *Ibid.,* pp. 284-5.

٥٥ — Interview with Ben-Gurion by Ari Rath, *op. cit.,* p. 5.

اسلوب اسرائيل في تجنيد يهود العالم خلال الحرب الرابعة وبعدها

الدكتور كميل منصور

ان ميزة الكيان الصهيوني (قياسا مثلا الى دولة جنوب افريقيا الاستيطانية) هي أنه لا يعتمد فقط على القوى الامبريالية ذات المصلحة في دعمه بغية ضرب التطلعات التحررية العربية (قوميا واقتصاديا واجتماعيا) ، بل انه يستمد أيضا جزءا من قوته من جماعات يهودية تعتبر اسرائيل انجازا مقدسا (أو شبه مقدس) لا يمكن التخلي عنه . ان يهود العالم بمثابة المادة التي استعان بها مخططو الصهيونية والاستعمار لاقامة دولة اسرائيل على ارض فلسطين وتقويتها . فمن البديهي القول انه لولا العنصر البشري اليهودي الذي جيء به من انحاء العالم كافة (وعلى الاخص من أوروبا الشرقية) ، لما قامت دولة اسرائيل . غير انه ليس من البديهي ولا من الصحيح القول بأن استمرار الدولة في الوجود رغم الرفض الفلسطيني ــ العربي يرجع الى تأييد يهود العالم لها . يجدر بنا الا نغفل دور الامبريالية الاساسي في ضمان حياة اسرائيل وغطرستها في منطقتنا العربية دون التغاضي طبعا عن أهمية مساندة اليهود لاسرائيل من النواحي البشرية والمالية والسياسية(١) . من هنا يمكن القول ان اسرائيل في تعاملها مع العالم الخارجي لا بد وأن تسعى الى هدفين هامين :

ــ اقناع القوى الامبريالية بأنها قادرة على اداء الدور المنوط بها في المنطقة .

ــ ضمان تأييد يهود العالم بحيث يطلب من هذا التأييد أن يتخذ الاشكال الثلاثة التالية : الهجرة الى فلسطين ، المساعدة المالية ، العمل السياسي للتأثير على الرأي العام وعلى السياسة الرسمية في هذا البلد أو ذاك .

ما هو أسلوب اسرائيل في تجنيد يهود العالم في سبيل تحقيق الاهداف المشار اليها ؟ وبشكل أدق ، ماذا كان أسلوبها خلال الحرب الاخيرة وبعدها مباشرة ؟ لا يمكن الاجابة عن هذا السؤال الا بعد تحديد **الركائز الثابتة** التي تستند اليها الدعاية الاسرائيلية في الاوساط اليهودية في الخارج :

١ ــ ان يهود العالم عامة ــ رغم معارضة بعضهم للفكرة الصهيونية في السابق ــ يؤيدون قيام واستمرار « دولة يهودية » على أرض فلسطين لانها حققت وتحقق آمال « الشعب اليهودي » الذي لم يستطع يوما الاندماج في « الشتات » والذي عانى من جراء ذلك الاضطهاد والبؤس والقتل الجماعي وضياع الهوية ... انهم يريدون من اسرائيل أن تكون الملجأ الهادىء الذي يقصده اليهودي المتدين والمشرد والمضطهد . ولا يمكن القول أنهم بمناصرتهم لفكرة الدولة اليهودية ، يقبلون بالضرورة وعن وعي الدور الفعلي الذي تؤديه اسرائيل لاسيادها الامبرياليين .

٢ ــ ان القادة الاسرائيليين والصهيونيين يعون هذا الامر تمام الوعي . انهم يعرفون انه كلما « انفضح » دور اسرائيل في تنفيذ مخططات الامبريالية ، تضاءل عطف يهود

العالم وتزايدت الشكوك والتساؤلات . ولذا فالدعاية الصهيونية تميل دوما الى الادعاء بأن اسرائيل في خطر ومحاطة بالاعداء الذين ينتظرون اللحظة المناسبة للاجهاز عليها ، وبالتالي فان « الشعب الاسرائيلي » لا يمكن أن يتكل في نضاله من أجل البقاء على أحد الا على « الشعب اليهودي » الموجود في الشتات . ان القيادة الصهيونية — من حيث طبيعتها وتنظيمها — تطلب من يهود العالم أن يقدسوا كل موقف تكتيكي أو سطحي لحكومة اسرائيل وكأنه وحده الكفيل بضمان قدسية بقاء اسرائيل ، حتى وان أدى هذا الموقف او ذاك الى طرق مسدودة (خاصة ازاء التعامل مع العرب) ، او ابتعد عن هدف الوطن اليهودي كملجأ هادىء لليهود ، او زاد في ربط الدولة بالامبريالية ، او لم يعبر عن رغبات معظم الاسرائيليين أنفسهم ... (٢).

وجد هذا الاسلوب أوج عزه عشية حرب حزيران ١٩٦٧ وخلالها ، اذ توفرت حينذاك جميع العناصر الممكنة لاضفاء طابع « حرب البقاء » على الاحداث الجارية . فسهل ذلك مهمة الدعاية الاسرائيلية — الصهيونية في الاوساط اليهودية بشكل يصعب تصور تكراره . ان العديد من الصهيونيين يصرحون أن أزمة ١٩٦٧ أيقظت يهود العالم من سباتهم ولامبالاتهم ازاء اسرائيل وانها هزت أعماق أعماقهم ، فضلا عن قيامهم بنجدة اسرائيل « المهددة » ... ان الظروف التي سبقت حرب ١٩٦٧ كانت بالفعل الفضلى بالنسبة للقيادة الاسرائيلية من ناحية تجنيد يهود العالم اذ تمكنت من اشعارهم « بالخطر » الذي يحدق باخوانهم في اسرائيل دون لفت انتباههم الى مصلحة الامبريالية في افتعال الازمة واشعال الحرب . وقد وصل الامر الى الحد الذي جعل يهوديا فرنسيا يساريا يؤثر عواطفه المتخبطة على التحليل الموضوعي للاحداث الجارية ويعلن بكل جرأة في أوساط اليسار استعداده لكي يهتف ويصيح : « عاش جونسون »(٣)!

هل كانت الظروف مشابهة عندما اندلعت حرب تشرين الاخيرة ؟ هل كان باستطاعة اسرائيل استعمال الاسلوب التعبوي نفسه ؟ من المفيد للاجابة عن هذا السؤال استعراض الفوارق في الظروف بين الحربين واستخلاص الظروف التي كان من شأنها أن **تصعب** وتلك التي كان من شأنها أن تسهل عمل اسرائيل التعبوي في الحرب الاخيرة (بالنسبة للحرب التي سبقتها) .

كيف اذا بدت الحرب الاخيرة **أكثر صعوبة** من حرب ١٩٦٧ بالنسبة للاعلام الاسرائيلي في الاوساط اليهودية ؟

١) **الظروف السياسية** : لم تكن تحتل اسرائيل في أيار (مايو) ١٩٦٧ أراضي دول عربية قائمة ، ولم تكن تبرز بعد على الساحة العالمية قضية شعب فلسطين السياسية . اما في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ ، كان العالم لا يزال يتكلم عن احتلال اراضي ثلاث دول عربية (فضلا عن قضية « الفلسطينيين ») . وفي حين تمكنت اسرائيل عام ١٩٦٧ — ودون مشقة — من تصوير النضال العربي بأنه اعتداء عليها وعلى « أرضها » ، كان أصعب عليها نعت سعي الدول العربية لاسترجاع الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ بأنه اعتداء عليها . زد على ذلك بأن البعض من الدول العربية المعنية لم يغلق قبل حرب تشرين باب المفاوضات ، بل بدت اسرائيل على العكس وكأنها تفضل « الاراضي » على « السلام » .

٢) **اندلاع الحرب** : اندلعت حرب الخامس من حزيران بعد أن جندت جميع أبواق الدعاية الصهيونية مدة عشرين يوما تقريبا لتهيئة النفوس للهجوم الاسرائيلي تحت ذريعة التوتر الحاصل في الشرق الاوسط . اما في حرب تشرين ، فقد فوجىء الاسرائيليون والعالم بأنباء نشوب الحرب دون سابق توتر أو انذار ، الامر الذي لم يمكن القيادة الاسرائيلية من تهيئة المناخ النفسي المناسب لدى الجماعات اليهودية في العالم .

٣) **الاعلام العربي** : لم يكن الاعلام الاسرائيلي بحاجة الى عناء شاق لمقاومة الاعلام العربي قبل عام ١٩٦٧ ، بل وجده مرارا نصيرا له بسبب غبائه **وانعدام الخط السياسي الواضح** لدى الدول المحيطة باسرائيل بالنسبة لقضية فلسطين . فبينما كانت تلك الدول تعي واقع التفوق الاسرائيلي دون الاستعداد الجدي لمجابهته ، كانت دعايتها تناقض وعيها وواقعها : فكانت في الداخل (الاذاعات والجرائد) تتكلم عن الثأر وعن « النزهة » الى تل ــ ابيب ، وفي الخارج تمتنع عن شرح الحقوق العربية في فلسطين اذ ظنت ان ثقتها العمياء بهذه الحقوق امر بديهي (او هكذا يجب ان يكون) في اعين العالم لا يحتاج الى دليل وجهد وتنظيم . ازاء هذا الفراغ الخارجي وهذه الثرثرة الداخلية ، استطاعت اسرائيل ان ترسم لليهود والعالم (الماثلة امامهم ذكريات المجازر النازية) صورة العملاق العربي الذي لا يخفي نيته في الانقضاض على اليهود بغية ابادتهم والقائهم في البحر . أما قبيل حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ لم يمكن العرب الاسرائيليين باستعمال هذا السلاح الرخيص ، اذ سعوا الى الا يتجاوز اعلامهم ارادتهم الحقيقية في الميدان الفعلي الا وهو استرجاع الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، دون المساس اعلاميا (او عسكريا خلال حرب تشرين) بما وراء خطوط ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . اما فيما يخص المقاومة الفلسطينية ، فرغم الاثر السلبي الذي قد تركته العمليات الخارجية (وهذا امر لا مفر منه) ، فكان من شأن تفريقها بين الكيان الاسرائيلي واليهود واعلانها برنامج الدولة الديموقراطية ان يضعفا الى حد كبير مصداقية الادعاء الصهيوني حول لا سامية العرب ونياتهم العدوانية تجاه يهود اسرائيل .

٤) **الرأي العام العالمي** : لا حاجة هنا الى تحليل التحول البطيء الذي طرأ لصالح العرب خلال السنوات الست الاخيرة . فبينما كانت الجماعات اليهودية تجد في السابق من يشاطرها الراي بشكل عفوي وشامل ، اخذت تشعر الان بأن عواقب التأييد الاعمى لسياسة اسرائيل في جميع منحدراتها ، قد تؤدي بها الى نوع من العزلة في بيئاتها المختلفة التي لم تعد تساند اسرائيل باندفاع (معارضة اليسار لسياسة اسرائيل التوسعية ، مناهضة الصهيونية من قبل « اليسار الجديد » ، فتور الدول الغربية عدا الولايات المتحدة تجاه اسرائيل ...) .

٥) **موقف يهود العالم** : استطاعت الدعاية الصهيونية عام ١٩٦٧ ان تخلق اجماعا عند يهود العالم (رغم لامبالاتهم السابقة) حول ضرورة مساندة اسرائيل المهددة بالابادة . اما عشية حرب تشرين ، فكانت امور عديدة قد انكشفت لاعين العديد من يهود العالم : أ) علاقات اسرائيل الثنائية (والوحيدة) بالامبريالية الاميركية (الامر الذي يزعج اليهود المعادين للامبريالية او الاعضاء في الاحزاب اليسارية او الليبرالية والذي قد يثبت ان حليف اسرائيل الفعال ليس «الشعب اليهودي» بل السيد الاميركي)، ب) صلف العسكرية الاسرائيلية وكشف النقاب رويدا رويدا (بعد تصريحات عدة جنرالات اسرائيليين) عن زيف ادعاء اسرائيل السابق بانها واجهت عام ١٩٦٧ « حرب بقاء » (الامر الذي قد ينعكس في فقدان الثقة ازاء الشعارات المأساوية الاسرائيلية اللاحقة) ، ج) عدم جدية اسرائيل في السعي نحو السلام (الامر الذي شجع قيام جماعات يهودية معارضة لسياسة اسرائيل ــ خاصة في اوروبا ــ وتنادي مثلا بالاعتراف « بالقومية الفلسطينية » ، والذي اثار الانتقادات التي وجهها مرارا رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ناحوم جولدمان للحكومة الاسرائيلية بسبب رفضها جميع « فرص السلام » السرية والعلنية التي طرأت خلال السنوات الست) ، د) ارادة الحكومة الاسرائيلية في احكام سيطرتها على المؤسسات اليهودية والصهيونية العالمية

(الامر الذي ازعج العديد من اليهود غير الاسرائيليين وجعل مثلا مدير الاعلام في المؤتمر اليهودي العالمي جاك وينكور يستقيل في ١٧ نيسان (ابريل) ١٩٧٢ ويقول : « اذا اريد للشعب اليهودي ان يحافظ على هويته كشعب ، فانه يجب ان يكون مستقلا عن الحكومات بما في ذلك حكومة اسرائيل . . . اعتقد ان المؤتمر [اليهودي العالمي] سيقع تحت سيطرة حكومة اسرائيل ») .

قد يستنتج القارىء مما سبق — وربما يكون مصيبا — ان الدعاية الاسرائيلية الموجهة الى يهود العالم واجهت عند اندلاع الحرب الرابعة صعوبات اكثر مما واجهت عندما كانت تهيىء لعدوان حزيران . على انه يجب ان لا يغفل عنا ان هذه المرة توفر لعمل اسرائيل التعبوي سلاحا هاما لم تكن تملكه لدى اندلاع الحرب في ٥ حزيران ١٩٦٧ :

— كون العرب هم البادئون بالحرب ، الامر الذي مكن اسرائيل من التحدث عن عدوان عربي مدبر او برأها (نوعا ما) من مسؤولية اشعال الحرب مباشرة .

— اختيار العرب ليوم ديني يهودي لمفاجأة الاسرائيليين .

— ولكن الامر الاهم الذي كان من شأنه ان يسهل هذه المرة تجنيد اليهود هو توفر **الاطر والخبرات التنظيمية** بعد ممارسة كثيفة دامت ست سنوات على الاقل (ان لم نرجع عشرات السنين الى الوراء) تخللها **التعود على وضع برامج طارئة** وتنظيم المظاهرات والاحتجاجات والاجتماعات وجمع الاموال والاسماء والعناوين (يسهل الرجوع الى اصحابها عند الحاجة) . ونذكر على الاخص (عدا الحملات الخاصة بالنزاع العربي — الاسرائيلي ومن بينها تلك التي اثيرت حول وضع يهود البلدان العربية) الحملات الضخمة (على الاصعدة الوطنية والدولية) من اجل هجرة يهود الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل . عدا هذه الخبرات التنظيمية المكتسبة ، كان من شأن التدابير المتعلقة « بالعلاقات بين المنظمات الصهيونية والجماعات اليهودية ودولة اسرائيل » والهادفة « الى اخضاع العمل اليهودي — الصهيوني في الخارج لمقتضيات الدولة الاسرائيلية وللاولويات التي تحددها هذه الدولة »(٤)، كان من شأن هذه التدابير التنظيمية ان تجعل التعليمات والتوجيهات الطارئة في القمة تصل فورا الى القاعدة اليهودية وتنفذ ، حتى وان ضايقت بعض اليهود كما اسلفنا . عندما تبغى الفعالية ، قد يكون التنظيم الدقيق اجدى من التعاطف العفوي .

نأمل ان نكون الان قد رسمنا مجمل الخطوط العريضة للعناصر التي كان من شأنها ان تعترض سبيل المخططين الاعلاميين الاسرائيليين والصهيونيين او ان تسهل مهمتهم عندما وصلتهم انباء نشوب القتال . والسؤال الذي يواجهنا الان هو : كيف تخطى الاسلوب التعبوي الصهيوني السلبيات وكيف استفاد من الايجابيات الناجمة عن الظروف الجديدة ؟

في الواقع ، ما زال ينقصنا الكثير من المعطيات للاجابة عن هذا السؤال بدقة . لا نتحدث طبعا عن انباء عدد المظاهرات والمتظاهرين او سفر الشخصيات الاسرائيلية الى الخارج او قيمة التبرعات . . . ان هذه الانباء تصل الينا بسرعة البرق ولكنها لا تفي بحاجتنا الى تقييم شامل عن مدى نجاح الدعاية الاسرائيلية ومدى تجاوب اليهود معها (اللذين لا يمكن في اي حال من الاحوال ان يقاسا بقيمة الهبات والتبرعات) . فيتوجب علينا اذا انتظار التحليلات التي لا ريب سترد في المجلات الفكرية اليهودية والصهيونية بعد هدوء التوتر وسكون العواطف الهائجة . الا ان العناصر المتوفرة لدينا حاليا تمكننا من ملاحظة بعض الوقائع واستخلاص بعض النتائج .

اولا : من حيث اختيار المقولات التعبوية

لا شك ان الهجوم السوري ـ المصري احدث ارتباكا اسرائيليا ليس فقط من الناحية العسكرية ، بل ايضا من الناحية الاعلامية . لقد عودت اسرائيل مؤيديها على الاعتقاد انها دائما يقظة وانه يستحيل على العرب القيام بهجوم مفاجيء ، بل انها ستقوم هي بحرب وقائية سريعة لمنع اي احتمال لهجوم عربي . فكان على اسرائيل في السادس والسابع والثامن من تشرين الاول (اكتوبر) ان تبذل جهدها لاقناع الرأي العام العالمي ويهود العالم بأنها لم تكن هي البادئة . فرأينا مثلا موشي دايان (١٠/٦) يحتاج الى ان « يقسم اليمين » عندما اعلن ان سوريا ومصر بدأتا القتال . وكذلك اصر ابا ايبن على القول امام الزعماء اليهود الاميركيين (١٠/٨) ان بامكان الطائفة اليهودية ان تكون « واثقة بشكل مطلق » ان اسرائيل لم تكن البادئة في القتال(٥). ان هذا يعني ان القيادة الاسرائيلية خشيت بالفعل ان يكون اقتناع يهود العالم بحرب وقائية تقوم بها دائما اسرائيل ارسخ من ان يهزه مجرد التصريح بالعكس مساء ٦ تشرين الاول (خاصة وانه لم يكن اي مبرر هذه المرة لحرب اسرائيلية خاطفة) .

تجدر الملاحظة هنا الى ان الامر حتى الان لا يتعدى نفي التهمة في بدء القتال . اما فيما يخص القاء التهمة على الغير (على العرب) فهو يتطلب طرحا صعبا اذ قد لا يكون مقنعا بحد ذاته وقد يجر حججا معاكسة : كيف يمكن اقتناع الرأي العام بأن مسؤولية الهجوم العربي لا تقع على عاتق اسرائيل ذاتها (بعد رفضها الانسحاب من الاراضي المحتلة) ؟ يوجد احتمالات طبعا ازاء هذا السؤال : مواجهته او التهرب منه .

آ ـ لقد اختار ابا ايبن مواجهة السؤال ويبدو انه استعمل خياله ودهاءه الديبلوماسيين الى أقصى حد حيث قال ان حالة وقف اطلاق النار التي كانت سائدة هي افضل بكثير في سبيل السلام من حالة الحرب الناجمة عن الهجوم العربي . وبهذه الطريقة يظن الوزير الاسرائيلي انه استطاع نفي مسؤولية اسرائيل في اندلاع الحرب . من المفيد هنا نقل الرسالة التي بعث بها (الاحد ١٠/٧) مراسل اذاعة اسرائيل في نيويورك حاييم يفين حول الاجتماع الذي حصل بين ابا ايبن واعضاء نادي رؤساء المنظمات اليهودية الاميركية الرئيسية : « لقد انتهى اللقاء (...) وتوصل اعضاء نادي الرؤساء مع وزير خارجيتنا الى وضع عدة بنود هي بمثابة توجيهات لرؤساء المنظمات اليهودية في انحاء الولايات المتحدة ، لكي يتبنوا في اعلامهم اليهودي خطوط الاعلام الاسرائيلي نفسه . وهذه هي النقاط الرئيسية : كان الهجوم المصري ـ السوري هجوما محسوبا ، بادرت به الجيوش العربية . وهذا تأكد في تقارير مراقبي الامم المتحدة ، كما انه واضح بالنسبة لخبراء وزارة الدفاع في الولايات المتحدة . ان هذا الهجوم يدفن اتفاق وقف اطلاق النار الذي اوجد الامل في وقف سفك الدماء . وقد أدى هذا الاتفاق الى استقرار معين في المنطقة . اما القرار الآخر الذي اتخذ في الجلسة نفسها فهو يقول : لقد جرى تدمير الاستقرار في المنطقة وقد جرت الامور ضمن روح مقررات الخرطوم ، لقد اخطرت اسرائيل مصر بواسطة طرف ثالث انها لن تهاجم وبالرغم من هذا ، لم يذعن الطرف الآخر وبدأ الهجوم . ان كل اليهود مدعوون الى مخاطبة الرأي العام العالمي لتوعيته وتنبيهه الى تسامحنا ، اذ اننا غفرنا للعرب وللمصريين وللمخربين كل عملياتهم الهجومية وكل اعمال العنف التي يقومون بها . وكان هناك اجماع في الجلسة على القول ان على اسرائيل الاحتفاظ بالحدود البعيدة عن المناطق المأهولة . هذا هو الدرس المستخلص من الاحداث التي وقعت في يوم الغفران. اننا نستطيع ان نتكهن بما كان يمكن ان يحدث لو لم نكن نملك هذه الحدود الآمنة التي نملكها الان »(٦) .

ب ــ غير انه يبدو ان الدعاية الصهيونية آثرت التهرب من مواجهة موضوع مسؤولية اسرائيل في نشوب الحرب الرابعة . فاكتفت بالتحدث عن « العدوان » العربي يوم عيد الغفران حينما كان اليهود مشغولين في الصلاة والعبادة . لا يسعنا الا ان نشعر بانعدام الثقة بالنفس عندما نقرأ بعض النداءات الاولى الموجهة الى اليهود كي يساعدوا اسرائيل . نشعر ان الدعاية الاسرائيلية لا تجرؤ على مطالبة اليهود بمساعدة المجهود الحربي بل فقط تمويل هجرة اليهود السوفيات (!)(٧). هذا مثلا « نداء الفدرالية الصهيونية في بريطانيا العظمى وايرلندا » : « في وقت تكافح فيه اسرائيل من اجل حياتها ، تدعو الفدرالية الصهيونية الطائفة اليهودية الانكليزية الى اظهار التضحية الذاتية التي بذلتها ايام حزيران ١٩٦٧ القاتمة . وبينما نحن نصلي من اجل انتصار اسرائيل واعادة السلام ، اننا نعي تماما الثمن الغالي الذي يدفعه رجال ونساء اسرائيل لرد المعتدي . ان اسرائيل لا تضحي من اجلها فقط ، بل من اجل الشعب اليهودي بأكمله . لقد استمرت طائرات العال ، وحتى في ذروة المعارك في نقل العائلات اليهودية من بلاد البؤس الى ملجئها في وطنها . وحيث ان اليهودية العالمية المنظمة لا تستطيع التدخل في الكفاح الجسدي ، فواجبها العاجل هو ان تضطلع بالمسؤولية المالية الكاملة الناجمة عن تجميع المنفيين . ولذلك ندعو اليهود البريطانيين الى مساعدة « النداء الاسرائيلي الموحد » الى اقصى حد »(٨).

يبدو مما سبق ان نشاط اسرائيل الاعلامي في الايام الاولى من الحرب عكس موقفا دفاعيا (رغم العنتريات حول « كسر عظام » العرب او احتلال دمشق ...) ويظهر هذا الموقف الدفاعي ايضا في اعلان الدعاية الاسرائيلية ان شعار استرجاع الاراضي المحتلة ما هو الا حيلة لاشعال الحرب . ونجد خير تعبير للضيق الناجم عن المناقشات التي قسمت يهود العالم قبل الحرب حول مسألة اولوية « الاراضي » او « السلام » في النداء الموجه الى يهود فرنسا من قبل « النداء اليهودي الموحد في فرنسا » : « في كل مرة تكون فيها اسرائيل **مضطرة** للقتال من اجل الدفاع عن وجودها ، يضع يهود العالم حدا **لشكوكهم وتحفظاتهم** ... »(٩).

ولكن عندما ظهرت الى الجميع صلابة القتال العربي ، تبدل الموقف في العمل التعبوي الاسرائيلي واصبح الكلام يدور اكثر حول نضال اسرائيل من اجل البقاء ، بطولات الاسرائيليين الافراد في الميدان ، نية العرب في القائهم في البحر ، اختلاف الوضع العسكري عما كان عام ١٩٦٧ ، الاسلحة السوفياتية المرسلة الى الجيوش العربية (بعد الحديث في الايام الاولى عن الخلافات العربية ــ السوفياتية حول اشعال الحرب) . هذا مثلا ما نقلته اذاعة اسرائيل عن اجتماع سفير العدو في الولايات المتحدة مع اعضاء مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى (١٠/١٠) : « قال سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة سيمحا دينيتس الليلة ، ان اسرائيل تتكبد خسائر كبيرة بسبب ايمانها بالسلام والديبلوماسية (...) وقال ان الاتحاد السوفياتي قام قبل عدة ايام من بدء الهجوم السوري ــ المصري بتزويد البلدين بكميات كبيرة من الاسلحة . واضاف قوله ان هذا التدخل السوفياتي غير المباشر لا يتلاءم مع المصالحة السوفياتية ــ الاميركية ... »(١٠).

هذه هي اذا نوعية الموضوعات التي اثارتها الدعاية الاسرائيلية حول اندلاع الحرب في الاوساط اليهودية (وفي اوساط الرأي العام العالمي) . هناك ايضا موضوعات اخرى تتعلق اما بسير الحرب او بظروف انتهائها او بقضايا كل دولة على حدة . وتجدر الاشارة الى ان هذه المسائل تتماشى مع قدرات الصهيونية الهائلة في العالم الغربي وتلاقي طبعا تجاوبا عاما في الاوساط اليهودية ، زيادة على مهارة القيادة الصهيونية

في التحرك في الظروف المناسبة لاثارة هذه المسائل . ونذكر منها : اعادة الكلام عن وحدة « الشعب اليهودي » ، عن معنى قيام دولة اسرائيل بالنسبة ليهود العالم (وهما يطابقان ركائز الدعاية الصهيونية الثابتة) ، اثارة موضوع الاسرى الاسرائيليين في مصر وسوريا ، سلاح النفط كعملية « ابتزاز » عربي ، مؤتمر السلام والحدود الآمنة ... ونذكر بالنسبة **للولايات المتحدة** : الضغط على الحكومة لمد اسرائيل بالاسلحة ، ومن ثم كي لا تبدل اميركا سياستها في الشرق الاوسط ، تصوير سياسة اسرائيل وكأنها نضال من اجل الحرية والديموقراطية وضد تقدم الاتحاد السوفياتي في المنطقة ، المطالبة بمقاطعة اليابان وبمساعدة هولندا نفطيا ... وبالنسبة **لبريطانيا** : الضغط لالغاء الحظر على شحن الاسلحة الى الشرق الاوسط لانه يؤذي اسرائيل اكثر مما يؤذي العرب... **ولفرنسا** : نقد تصريح وزير الخارجية جوبير لانه رفض التنديد بالهجوم العربي ، مطالبة الحكومة بالحياد وبفرض الحظر على ارسال الاسلحة الى الشرق الاوسط وبالاخص الى ليبيا (قضية الميراج خاصة بعد ادعاء اسرائيل انها اسقطت طائرة ميراج ليبية)(١١) ... **ولاوروبا** عامة : اتهامها بأن قرارها المشترك الخاص بالشرق الاوسط يشبه الى حد بعيد الاتفاق مع هتلر في ميونيخ عام ١٩٣٨ (« ان الدول المتمدنة تبيع اسرائيل مثلما باعت تشكوسلوفاكيا ... ») .

يجب الا ننسى ايضا من ضمن اختيار الموضوعات الكفيلة بتجنيد يهود العالم الى جانب اسرائيل ، نشر الاخبار المشجعة (التي ترفع المعنويات) او النتائج المرجوة من هذا التجنيد نفسه : نشر الاخبار مثلا عن استمرار وصول اليهود السوفيات خلال الحرب او افواج المتطوعين الى اسرائيل ، التكلم عن حاجات اسرائيل المالية بشكل دقيق وعن الخسائر الناجمة عن الحرب ، اذاعة النتائج الاولية للتبرعات (المبلغ المقدم من فلان او فلان ...) ، تطمين يهود العالم بأن الاسرائيليين يشتركون هم ايضا في المجهود المالي ... ونورد — تأكيدا للمثل الاخير — ما قاله بنحاس سابير وزير مالية اسرائيل بعد عودته من الولايات المتحدة (في ١٠/٢١) حيث قاد حملة جمع تبرعات : « اكد وزير المالية على التأثير الكبير الذي نجم عن تطوع الشعب في اسرائيل لشراء سندات القروض الاختيارية بمبلغ مليار ليرة اضافة الى القرض الالزامي الذي فرض على شعب اسرائيل »(١٢). وهذا يعني ربما انه لا يمكن اقناع المولين اليهود (الاميركيين خاصة) بالتبرع بسخاء لاسرائيل الا اذا شاهدوا الاسرائيليين انفسهم يتحملون قسطا ملموسا من الاعباء الاقتصادية التي قد تكون ناتجة عن سياسة سابقة لا مسؤولة من جانب اسرائيل .

اما عند **انتهاء القتال** ، اتجهت الدعاية الاسرائيلية الى مقولتين تعكسان الارتباك الناتج عن الوضع الجديد : الاقرار بأنه حصلت اخطاء قبل الحرب وخلالها ، الاصرار على تأكيد انتصار اسرائيل عسكريا وسياسيا . وهذا يعني ربما ان حماس مؤيدي اسرائيل فتر بعد اعلان وقف اطلاق النار وان الثقة في قوة اسرائيل وجيشها رغم احتلال اراض مصرية وسورية جديدة قد خفت . فكان على القيادة الاسرائيلية ان تقوم بدعاية تشجيعية مضادة . الا اننا نود الاشارة الى ما قاله مراسل اذاعة اسرائيل في نيويورك بتاريخ ١٢/٢ حول شلل التوجيهات الاعلامية (ولا نقول شلل الدعاية نفسها) التي كانت تصدرها عادة من قبل المراجع الاسرائيلية العليا لرؤساء المنظمات اليهودية . يقول المراسل حاييم يفين : « يشير بعض الديلوماسيين المؤيدين لنا الى بعض النقاط التي يجدر باسرائيل ان تستخدمها في هذه الحرب الاعلامية واولها قوة جيش الدفاع الاسرائيلي التي تم اثباتها على الرغم من الاخطاء التي ارتكبت ، والحقيقة ان جيش الدفاع الاسرائيلي متمسك الان بمواقع ممتازة تطبق على خناق كل من الجيش السوري والجيش المصري ، وكذلك حقيقة ان مؤتمر السلام هو انجاز سياسي بالنسبة

لاسرائيل ، وان العرب قد اعترفوا بضرورة اجراء مفاوضات دون شروط مسبقة ، وان اسرائيل مهتمة بعقد مؤتمر السلام . وبالاضافة الى هذا كله ، فان اتفاق كيسنجر — بريجنيف يتحدث عن القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن كقاعدة للتسوية . وهذا القرار يتحدث عن حدود آمنة ومعترف بها وعلى جدول زمني للانسحاب وبصورة خاصة عن السلام العادل . يحتمل ان تكون هذه الامور واضحة للغاية ولكنها قد نسيت هنا ولم تعد تظهر في الصحافة او تذاع في الاذاعات وشبكات التلفزيون . والان يتوجب على اسرائيل التحدث بكثرة حول موضوع الحدود الآمنة والمعترف بها ، كما ان باستطاعة اسرائيل التحدث عن موضوع النفط وحول موضوع التدخل السوفياتي في الشرق الاوسط . ويتضح من كل هذا ان لدى جهات الاعلام الاسرائيلي مواد عديدة ، ولكن كل هذا بانتظار اوامر وتعليمات من القدس »(١٣).

ثانيا : من حيث تنظيم العمل التعبوي

لا يكفي اختيار المقولات التعبوية المناسبة بل يجب ايضا توفير الوسائل الكفيلة بايصال الدعوة الاعلامية الى المدعوين اليها بغية تحقيق الاهداف المشار اليها سابقا : الهجرة الى اسرائيل ، المساعدة المالية ، الضغط على الحكومات والرأي العام . وكما رأينا ، يمكن القول ان الآلة الدعائية الاسرائيلية — الصهيونية تهيأت لها الاسباب لمواجهة الظروف الطارئة . فما هي الوسائل التي استعانت بها الآلة الدعائية الاسرائيلية — الصهيونية عند نشوب حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ؟ يمكن تلخيصها (ولا بد من تلخيصها اذ لا معنى من سردها بكل تفاصيلها) كالاتي :

١) عقد الاجتماعات فورا ابتداء من ٦ و ٧ تشرين الاول في تل ابيب والقدس لبحث اساليب التجنيد (وخاصة ضمن اطار المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية) ، والاتصال بسرعة بالجمعيات اليهودية الكبرى وتحديد نوع المساعدة المطلوبة . يذكر مثلا بول زكرمان ، رئيس النداء اليهودي الموحد في الولايات المتحدة في حديث اجراه في ١١/١٢ مع مراسل الوكالة التلغرافية اليهودية ، « كيف انه تلقى يوم ١٠/٧ ، اي يوما واحدا بعد بدء الحرب ، مخابرة هاتفية من القدس تطلب منه جمع مبلغ مئة مليون دولار نقدا خلال خمسة ايام »(١٤). ويجوز الافتراض ان منظمات اخرى تلقت نداءات دقيقة مشابهة ، كل حسب قدرتها المعروفة عنها سلفا .

٢) ارسال الشخصيات السياسية الاسرائيلية الى الخارج وخاصة الى الولايات المتحدة (وزير المالية بنحاس سابير ، رئيس ادارة الوكالة اليهودية بالوكالة ارييه دولتسين ، رئيس الاركان سابقا حاييم لاسكوف ، السفير السابق في الولايات المتحدة يتسحاق رابين ، واخيرا موشيه دايان وزير الدفاع ...) .

٣) تنظيم الاجتماعات والندوات والمظاهرات ، والصلوات والخطب في الكنس ، ارسال البرقيات والاحتجاجات ، اقامة المكاتب الادارية وتأسيس الجمعيات ذات الصفة الدائمة او الموقتة (جمعيات صداقة مع غير اليهود ضمن اطار المجالس النيابية او الاحزاب او النقابات ...) ، جمع التواقيع والتبرعات من اجل اسرائيل ، اعطاء اهداف محددة للتبرعات (شراء سيارات اسعاف ، ادوية ، هدايا للجرحى ...) . وتجدر الملاحظة الى ان منظمي الاجتماعات التي تقام في التجمعات اليهودية حتى وان كانت ضئيلة العدد ، يحرصون دائما على دعوة افراد اسرائيليين (ديبلوماسيين ، مثقفين ، ضباط قدامى ...) للاشراف عليها (بغية شرح الموقف العسكري او حاجات اسرائيل المالية ، او اصدار التعليمات الخاصة بتوزيع العمل الدعائي وتنسيقه)(١٥).

٤) الاتصال السريع عن طريق الهاتف او اي وسيلة اخرى ، بالشخصيات او

الاشخاص العاديين المدونة اسماؤهم في قوائم معدة سلفا (قوائم المتبرعين الدائمين ، قوائم المتبرعين عام ١٩٦٧ ، قوائم المتطوعين لشتى الاعمال الدعائية ...) . فقد صرح مثلا رئيس النداء الاسرائيلي الموحد في بريطانيا ، ميخائيل ساشير فور بدء الحرب : « ان النداء يسعى الى الاتصال بالثلاثين الف متبرع الذين استجابوا عام ١٩٦٧ ولم يعد يسمع عنهم شيء منذ ذلك الحين »(١٦).

٥) دعوة رؤساء المنظمات اليهودية (وخاصة الاميركية) الى عقد مؤتمراتهم في اسرائيل (ابتداء من تشرين الثاني) كي يتحسسوا مشاكل الدولة وينشطوا السياحة .

٦) اعداد قوائم المتطوعين المستعدين للسفر الى اسرائيل للعمل في المشروعات الاقتصادية مكان المجندين الاسرائيليين ، شرط ان يدفعوا اجور السفر وان يمكثوا في اسرائيل مدة لا تقل عن ستة اشهر .

ثالثا : النتائج

اذا نظرنا الى نتائج العمل التعبوي الاسرائيلي في الاوساط اليهودية من **الناحية المالية** ، يبدو انها فاقت ما كان ينتظره منظمو حملات التبرع (على حد قولهم) . ان مسؤولي جباية الطوارىء يأملون جمع مبلغ ١٢٥٠ مليون دولار حتى نهاية ١٩٧٤ . ويساوي هذا المبلغ ثلاثة اضعاف ونصف ضعف المبلغ الذي جمع عام ١٩٦٧ . وبينما يطلب من يهود اميركا التبرع بـ ٧٥٠ مليون دولار ، ينوى جمع الباقي (اي ٥٠٠ مليون) من يهود اوروبا وافريقيا الجنوبية واستراليا . اما فيما يخص « سندات اسرائيل » (البوندس) ، يأمل مسؤولو الجباية بيع سندات بقيمة مليار دولار بعد ان كان هدفهم الاولي (في الاسبوع الاول من الحرب) ٧٥٠ مليونا . كما انه بلغ عدد المسجلين اسماؤهم في قوائم التطوع (بغية العمل في اسرائيل) ٣٠،٠٠٠ ، لكن لا ينتظر ان تستوعب منهم اسرائيل بالفعل اكثر من ٢٠٠٠ متطوع .

ان معظم المسؤولين الصهاينة يبدون ارتياحهم — كلما اثير الموضوع — حول تجاوب يهود العالم مع متطلبات اسرائيل ويقارنون نتائج اليوم مع نتائج عام ١٩٦٧ . موشي ريفلين ، المدير العام للوكالة اليهودية يقول مثلا (١٠/٣٠) : « لقد اعتدنا الاعتقاد بان تجاوب يهود الشتات عام ١٩٦٧ كان اقصى ما يمكن ان يفعلوه بالنسبة لاسرائيل . ولكننا كنا مخطئين »(١٧). ويتابع ريفلين قوله ان التبرعات الاخيرة تخطت كل التوقعات. أما من ناحية التنظيم ، فيقول ميخائيل ساشير : « رغم المفاجأة التامة التي احدثتها الطوارىء ، اننا اليوم احسن تنظيما مما كنا قبل ست سنوات »(١٨). وفي تقرير كتبته صحيفة لوموند (١٠/١٦) حول التعبئة الصهيونية في فرنسا ، نقرأ الآتي : « ان صفوفنا تنتفخ بشكل هائل — ان الاضطراب الذي تشعر به الطائفة اليهودية والعمل المؤيد لاسرائيل اصبحا الان اعمق مما كانا عليه عام ١٩٦٧ ... لم يشعر يهود فرنسا انهم معنيون بمصير اسرائيل بهذه القوة الا نادرا ، والتجنيد الحاصل للدفاع عن « دولتهم » جاوز ما كان عليه في حرب الايام الستة . وحسب السيد سيمون ابستاين ، امين عام الحركة الصهيونية الفرنسية ، ان طبيعة هذا التأييد تغيرت : لقد استعملنا عام ١٩٦٧ العواطف ، اما تضامن اليوم فانه ينطوي على احساس بانتماء (identification) اكمل الى الدولة اليهودية . وتنظيم التأييد هو ايضا تغير بشكل ملحوظ : لقد شهدنا منذ ست سنوات مزيدا من النضوج في النضال اليهودي ، وخاصة من خلال عمل لجنة مناصرة يهود الاتحاد السوفياتي . فسمح ذلك بوضع اطر الحشد التي تعمل اليوم بكامل امكانياتها »(١٩).

هل هذا يعني ان عمل الصهيونية التعبوي نجح خلال الحرب الاخيرة وبعدها ؟ انه

من البديهي ان التقييم الذي يجريه رجال الاعلام الصهيونيين **اليوم** لا يمكن الا ان يكون مفرطا في التفاؤل بسبب قرب الاحداث وضرورة مواصلة العمل التعبوي نفسه . لـذا يتوجب علينا ـــ كما اسلفنا ـــ انتظار فترة لا تقل عن عدة اشهر لتكوين فكرة واقعية عن مدى تجنيد يهود العالم ورضاهم (الفعلي وليس الدعائي) عن هذا التجنيد . غير انـه لدينا الملاحظات التالية :

١) ان مبلغ المال الذي يمكن جمعه قد لا يعبر عن مدى التعاطف الحقيقي اذ يرجع الامر بشكل هام الى مدى قدرة التنظيم في استيعـاب التعاطف الكاسـح أو في تخطي التعاطف الضعيف . ومن جهة ثانية ، تجدر الملاحظة الى ان برنامج التبرعات الموضوع لغاية نهاية ١٩٧٤ لا يستند فقط الى الهبات المحصلة فعـلا ، بل الى الوعود التي قـد يتراجع عنها الواعد فيما بعد (وهنا ايضا يجب الانتظـار) . ومن جهة ثالثـة ، من الطبيعي ان يحرص المتبرع على ان تزيد مساهمتـه عما كـانت عام ١٩٦٧ ، بسبب « تحسن احواله » (ان لم نقل التضخم المالي !) او منعا لاي نقد قد يوجه اليه من قبل الدوائر الصهيونية .

٢) ان حسن التنظيم قد لا يعوض ـــ في المدى البعيد ـــ النقص في التعاطف ، بل انه قد يعرقل الابداع التعبوي من قبل القاعدة . ولدينا اشارة الى ذلك من خلال مقابلـة أجرتها اذاعة اسرائيل (٦/١١) مع حاييم هرتسوج الذي بيَّن مسـاوىء اشـراف اسرائيل التنظيمي على المؤسسات اليهودية العالمية :

« س : هل تعتقد انه كان أفضل لو كان ثمة وزارة اعلام في اسرائيل .

ج : (...) ان مشكلة الاعلام هي في نفوسنا ، وينبغي ان نكون على استعداد في كافة الاوقات ، لاننا نواجه هجوما كبيرا من جانب العرب . وهـم يستعملون سـلاح النفط وقد كان باستطاعتنا العمل ضد هذا الامر . واعتقد ان هذا بالذات هو الـذي **خيب املنا في يهود العالم** ، لانهم لا يتمتعون بقيادة .

س : لماذا لا توجد قيادة ليهود العالم ؟

ج : لانني اعتقد ان الاتجاه كان طوال الاعوام يسير نحو ان تكون قيادة يهود العالم مريحة لنا في اسرائيل ، لا ان تكون قيادة مستقلة . ولذلك توصلنا الى وضع لم تعد فيه هذه القيادة مستقلة »(٢٠).

٣) **يبدو انه ـــ اذا وضعنا مزايا التنظيم الصهيوني الذي لا شك فيه جانبا ـــ لـم يثبت خلال هذه الحرب ورغم ادعاءات معظم الصهيونيين (عدا هرتسوج) ان تعبئـة اليهود من الناحية النفسية بلغت مستوى ١٩٦٧** . لم نسمع كثيرا خلال هذه الحـرب الحملات الصهيونية الانفعالية ضد العرب ولا يبدو ان التظاهرات المؤيدة لاسرائيل بلغت المستوى المطلوب . لا يعني ذلك طبعا ان يهود العالم بدأوا يبتعدون عن اسرائيـل ـــ وان كان ذلك هدفنا البعيد المدى ـــ بل انهم لم يشعروا هذه المرة بأن اسرائيل حقـا في خطر (رغم انه من الناحية الموضوعية قد تكون هذه الحـرب نقطة تحول تاريخية في الصراع العربي ـــ الاسرائيلي) .

٤) بالنسبة لاهمية يهود العالم في المعركة ، تأكد هذه المرة ايضا ، دور الطائفـة اليهودية الاميركية ونفوذها : دورها في المساعدة المباشرة ، ونفوذها بسبب امكانياتها في الادارة الاميركية . ولكنه تأكد ايضا انه ما لم تعط اسرائيل تعليمات واضحة للقيادة الصهيونية الاميركية بالنسبة لما عليها ان تفعل وان تمارس من ضغوط ، قد يؤدي ذلك الى وضع « يقف فيه يهود اميركا حائرين مضطربين يتمسك بهم الخوف »(٢١). يبـدو

ان الحكومة الاسرائيلية لا تعرف اليوم تعبئة قوة اليهود الاميركيين ، اذ انها بقولها « لا وجود لضغوط اميركية على اسرائيل » ، تشل تحركهم في الاتجـــاه المناسب . وهـــذا صحيح خاصة بالنسبة لقضية النفط .

٥) اخيرا ، مهما بلغ تأييد يهود العالم الى اسرائيل ، يتوجـــب علينا الا نقع في فخ الدعاية الصهيونية التي تصور ان جميع يهود العالم بلا استثناء يساندونها مئة بالمئـــة (او هكذا يجب ان يفعلوا) وتريد منا ان نقبل بهذا التصوير . ان للتأييد درجات ، ويبدو ان من محاسن فترة السنوات الست الاخيرة (رغم هزيمة حزيران واجماع يهود العالم شبه التام ضد العرب حينذاك) لم ينجر العرب الى اعتبار جميع اليهود في صف الاعداء. لا ريب انهم قطفوا ثمار موقفهم التقدمي في الحرب الاخيرة .

---

١ ــ وخاصة أهمية الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة ، ان من حيث حجم مساعداتها لاسرائيل، او من حيث نفوذها في الاوساط الحاكمة . أنظر مثلا حول النشاط الصهيوني في اميركا خلال الحرب الاخيرة :
Antonin Jacobi, «Il y a deux Israél», *Jeune Afrique*, No.669, 3 novembre 1973.

٢ ــ والغريب ان يجد المرء في « الشتات » من هم « ملكيون أكثر من الملك » فيؤيدون دائما سياسة الحكومة الاسرائيلية كما هي وبشـــكل مطلق . وهذا يرجع الى العلاقة العضوية بين وسائل الاعلام الصهيونية في العالم وحكومة اسرائيل .

٣ ــ أنظر :
Claude Lanzmann, in *le Monde*,2 juin 1967: «Cinq intellectuels de gauche dénoncent violemment la politique des pays arabes».

٤ ــ أنظر الدكتور كلوفيس مقصود ، **الاهرام** ، ٢٨ يونيو ١٩٧١ .

٥ ــ أنظر :
Jewish Telegraphic Agency (J.T.A.), October 9 , 1973

٦ ــ **رصد اذاعة اسرائيل** (ر.ا.ا.) مركز الابحاث في م.ت.ف. ، بيروت . الاحد ١٠/٧ الساعة ٢٢،١٥ رقم ٣٤٢ .

٧ ــ هذا صحيح فقط في المرحلة الاولى مـــن الحرب .

٨ ــ أنظر :
Jewish Observer and Middle East Review, Vol. XXII, No. 41, 12 October 1973.

٩ ــ أنظر
Information Juive, Octobre 1973

١٠ــ ر.أ.أ. ، الاربعاء ١٠/١٠ ، الساعة ٤ ، رقم ٣٤٥ .

١١ــ يلاحظ هنا كيف تتكيف الدعاية الصهيونية مع واقع كل بلد . ففي حين يطلق في بريطانيا شعار الغاء الحظر على شحن الاسلحة ، يكتفى في فرنسا بشعار فرض الحظر (اذ يعـــــرف الصهيونيون انه لا جدوى بمطالبة الغاء الحظر على ارسال الاسلحة من فرنسا الى اسرائيل).

١٢ــ ر.أ.أ. ، الاحد ١٠/٢١ ، الساعة ١٥ ، رقم ٣٦٨ .

١٣ــ ر.أ.أ. ، الاحد ١٢/٢ ، الساعة ١٩ ، رقم ٤٠٥ .

١٤ــ أنظر : *J.T.A.* Nobembre 13, 1973

١٥ــ أنظر :
Jewish Observer and Middle East Review, Vol. XXII, No. 42, 19 October 1973.

١٦ــ **المرجع السابق** ، ١٩٧٣/١٠/١٢، رقم٤١ .

١٧ــ *J.T.A.* October 31, 1973.

١٨ــ *Jewish Observer and Middle East Review*, Vol. XXII, No. 41, 12 October 1973.

١٩ــ *Le Monde*, 16 Octobre 1973.

٢٠ــ ر.أ.أ. ، الجمعة ١١/١٦ ، الساعة ٩ (ملحق الرقم ٣٩٣) .

٢١ــ أنظر شموئيل شنيتسر « الحلف المجيـــد » في **معاريف** ١٩٧٣/١١/٢٣ . (أرشيف مركز الابحاث الفلسطينية) .

الغطرسة الصهيونية : جذورها ووظيفتها

نزيه قوره

درجت معظم الدراسات التي تناولت الجوانب المختلفة لمسلك اسرائيل في المجالات السياسية والعسكرية والدعائية والايديولوجية ، على محاولة اثبات زيف وبطلان الادعاءات الصهيونية ، قياسا على المنطق والقانون ومبادىء الامم المتحدة وشرعة حقوق الانسان . ونستطيع ان نجد مئات المقالات والدراسات والكتب التي تأتي بمئات الادلة والبراهين والاستشهادات لتثبت مثلا ان اسرائيل تنتهك حقوق الانسان في الارض المحتلة أو تستهتر بميثاق الامم المتحدة او تمنح نفسها حق الاعتداء على الدول المجاورة وسكانها المدنيين الامنين ، او تصدر قوانين تتنافى مع مبادىء العدالة ، او هي تزور التاريخ .

ان اسوأ مظاهر المواجهة مع العدو الصهيوني هو نظرتنا الى أنفسنا كمحامين نقوم بمرافعة حقوقية أمام محكمة كونية مطلقة الحياد . وكان أسوأ مستند قدمناه في مرافعتنا هذه هو مشاهد البؤس والتعاسة والبطالة التي يحياها شعبنا والتي كان العدو يخرج منها باستنتاج واحد : هؤلاء لا خطر منهم ولا بأس من تجاهلهم .

ان المطلوب الان ، في ضوء النتائج التي أسفرت عنها حرب تشرين ، ليس ايراد الشواهد والبراهين على غطرسة العدو الصهيوني واستهتاره بحقوق شعبنا وبمبادىء الامم المتحدة وشرعة حقوق الانسان ، بل البحث عن جذور هذه الغطرسة **والوظيفة** التي لعبتها هذه الغطرسة ، وستستمر في تأديتها ، ضمن استراتيجية العدو .

يجب ان نؤكد اولا ان الغطرسة الصهيونية ليست مطلقة ، أي انها ، كما تتجلى في كتابات مفكري الحركة الصهيونية ، التي هي حركة علمانية بالاساس ، لا تنسحب على علاقة اليهود بكافة شعوب الارض ، وبشكل خاص عندما يتعلق الامر بالشعوب الاوروبية . وعندما كتب هرتسل مخاطبا آل روتشيلد « ... يجب ان ننسحب من اوروبا ، لن نستطيع البقاء هنا بعد أكثر »(١) كان يعبر عن مشاعر الطبقة الوسطى اليهودية التي فقدت توازنها امام نمو الاحتكارات في اوروبا . وكان هرتسل متخوفا من نتائج الاعمال الخيرية التي يقوم بها بعض الاثرياء اليهود لفقراء اليهود ، وهذا التخوف لا يدل على ان الرجل يشعر بالانتماء الى عنصر متفوق . يقول هرتسل في حديثه لهيرش ، وهو أحد المحسنين اليهود الكبار : « هناك ، اول كل شيء ، فكرة الاحسان ، التي أعدها خطأ كبيرا . انك بها تنشىء جيلا من المتسولين . اذ ليس هناك شعب أكثر من اليهود اتكالا على التسول وتأثرا بالاحسان »(٢). ومن ناحية ثانية كان هرتسل يدرك ادراكا عميقا ان اقامة دولة يهودية في أي مكان تتطلب تبني دولة كبرى لهذه الدولة اليهودية ، وادرك بحسه العملي ان هذا لن يتم الا اذا رأت الدولة الكبرى في اقامة دولة يهودية ، مصلحة اساسية لها تغطي بمردودها تكاليف الجهود السياسية والاقتصادية التي ستبذلها الدولة الكبرى في اقامة الدولة اليهودية . وقبل الوصول الى سياسيي الدولة الكبرى سعى هرتسل الى الحصول على توصية من مرجع استعماري له خبرة في مجال استعمار بلدان الشعوب الفقيرة . ولم يجد خيرا من

سيسيل رودس (وهو الاستعماري البريطاني الذي قام باستعمار روديسيا وسميت باسمه بعد ذلك) ، فكتب اليه يطلب منه ان يصادق على مشروعه : « كيف حدث اذن ان اتجهت نحوك ، ما دام الامر خارج طريقك ؟ لانه أمر استعماري ، ولانه يقوم على فكرة تنمية تستغرق عشرين او ثلاثين سنة . . . لكنك انت يا سيد رودس سياسي خيالي، او خيالي عملي . وقد برهنت على هذا . ما اريده منك ليس ان تعطيني او تقرضني قبضة من الجنيهات ، بل ان تصدق على المخطط الصهيوني ، وان تعلن التصريح التالي امام عدد من الناس : أنا ، رودس قمت بفحص هذا المخطط ووجدته صحيحا وعمليا . انه مخطط مملوء بالحضارة ممتاز بالنسبة الى الشعب الذي يتوجه المخطط نحوه ، لا يعيق تقدم البشرية العام ، مفيد جدا لانجلترا ولبريطانيا العظمى »(٣).

من المهم اذن ان يكون المخطط الهرتسلي « مفيدا جدا لانجلترا » ، وان يقتنع بفائدته لانجلترا ، أحد أعمدة الاستعمار البريطاني ، وان يعلن ذلك أمام « عدد من الناس » ، وبذلك يحوز هرتسل من الدعم البريطاني ما حازه قبله رودس . هل نستطيع الاستنتاج اذن ان هرتسل كان يحلم بشيء يختلف عن الاستيطان الاوروبي في جنوب افريقيــــا وروديسيا ؟ ان فكرة اقامة مجتمع متفوق ، يسكنه عنصر متفوق ، ويكون ذا مميزات فريدة في تنظيمه وقيمه ، هذه الفكرة لا نجد لها اثرا في التفكير الهرتسلي ، وعلى العكس من ذلك نجد فكرا محافظا : « قد يظن البعض انهم يستطيعون ان يقيموا دولة اشتراكية في المستقبل هناك ، ولكن لا أظن ذلك . قد نستطيع ان ننظم الامور بطريقة أفضل مما كانت عليه في المجتمع القديم ، ولكن على العموم ، ستبقى الامور على ما كانت عليه . اذا كنت أعتقد ان شيئا غير هذا سيكون ، فسوف أكون مثاليا أكثر من اللازم »(٤).

أما شعور الاستعلاء والتفوق فانه لا يتجلى عند هرتسل الا عند حديثه عن « أهالي البلاد » ، وهو بهذا الشعور لا يختلف عن غيره من الاستعماريين الاوروبيين في نظرتهم الى « السكان المحليين » . ان هؤلاء السكان المحليين لا يمكن ان ينظر اليهم الا باعتبارهم « مشكلة » من مشاكل الطبيعة القاسية للبلاد ، في أسوأ الاحوال . ويمكن ، في الاحوال العادية استعمال هؤلاء السكان في التغلب على بعض الصعوبات التي تفرضها الطبيعة : « اذا رحلنا الى منطقة فيها من الحيوانات البرية ما لم يتعود اليهود عليه مثل الافاعي الكبيرة وغيرها ، سأستخدم أهل البلاد — قبل ان أعطيهم أعمالا في البلدان المجاورة — ليقضوا على مثل هذه الحيوانات . جوائز كبيرة لمن يأتي بجلود الافاعي وبيضهـــا ، الخ »(٥) أن حديث هرتسل عن العرب بهذه الصيغة ، لا يعبر عن رأي هرتسل الخاص بسكان فلسطين العرب ، اذ انه لم يكن يعرف عنهم شيئا في ذلك الحين ، ولكنه الرأي الاوروبي الاستعماري بالشعوب الافريقية ، وشعوب المستعمرات عامة .

النقطة الثانية التي يجب تأكيدها ، فيما يتعلق بجوهر الغطرسة الصهيونية ، هو ان هذه الغطرسة لا تستمد أصولها — كما هو شائع — من الدين اليهودي والاســـاطير التوراتية القائلة بأن الشعب اليهودي هو « الشعب المختار » ، وان كان هذا المفهوم قد استثمر الى أقصى مدى . ان التمييز الذي يتعرض له اليهود الشرقيون (السفاراديم) في اسرائيل ، ونظرة الاستعلاء التي ينظر بها اليهود الغربيون (الاشكنازيم) تجـــاه الشرقيين ، والخوف من ان تصبح اسرائيل دولة « شرق — أوسطية » والقلق الذي يبديه القادة الصهيونيون امام ظاهرة تكاثر العنصر الشرقي في الدولة ، وما يحمله هذا التكاثر (الذي يبلغ الان نسبة تزيد عن ٦٠ ٪ من مجموع سكان « الدولة ») ، مـــن احتمالات التشرق (Levantinization)، كل هذا يشير الى ان شعور الغطرسة والتعـــالي ليس شعورا يهوديا جماعيا ، وانما هو شعور فئة واحدة هي فئة اليهود الغربيين الذين

يفاخرون بأصولهم الاوروبية وانتمائهم الى العالم الحر ، وبكون حضارتهم هي جزء من الحضارة الاوروبية .

معنى الفطرسة ووظيفتها السياسية : إن الغطرسة هي تعبير عن شعور الحركة الصهيونية بالتفوق المطلق على جميع الخصوم الآنيين والمحتملين ، في الوقت الراهن وفي المستقبل . وهذا الشعور ليس ذاتيا بحتا ، وانما يستند الى مقارنة مظاهر القوة والضعف لدى الخصم بمظاهر القوة والضعف لدى الذات . وادراك مظاهر القوة والضعف هذه لا يستبعد تطور الخصم وتغيره ، ولكنه يثق بقدرته على التقدم الاسرع من ناحية ، ومن ناحية اخرى بقدرته على منع تطور الخصم واحرازه أية نجاحات في مجال التغلب على عناصر ضعفه ، اي ان الحركة الصهيونية تثق بقدرتها على تخليد الفجوة الحضارية بينها وبين خصومها .

لقد استثمرت الحركة الصهيونية مظاهر الضعف العربي الى أقصى حد ممكن : اذ ان هذه الحركة كانت بحاجة الى اقناع نفسها اولا بامكانية نجاح مخططها ، وكانت بحاجة الى اقناع اليهود غير الصهيونيين بامكانية نجاح هذا المخطط وبأن مخاطره محدودة بالقياس الى مكاسبه ، وبأن خصوم هذا المخطط عاجزون عجزا تاما عن الوقوف في وجهه . والاهم من هذا انه كان على الصهيونية ان تقنع ساسة العالم الاستعماري ، بمنطق بارد وبحسابات عملية ، بأن بامكانها انجاح هذا المخطط . اذ لم يكن يكفي للحركة الصهيونية ان تقنع الساسة الاستعماريين بالفوائد التي سيجنونها من وراء قيام الدولة اليهودية ، فقد كان يتوجب اقناع هؤلاء الساسة بأن هذه الحركة تملك القدرة والكفاءة اللازمتين لانجاح المشروع . أي ان الحركة الصهيونية كان عليها ان تثبت أمرين :

أ ــ قدرتها على تجنيد وتعبئة الطاقات اليهودية الى الحد الاقصى ، وعلى أكمل وجه ، وبحيث تعطي هذه التعبئة أعلى مردود ممكن ، بالنظر الى ما كانت تزعمه من تميز اليهود بالنشاط ، والمثابرة ، والقدرة على استيعاب العلوم ، أي قدرتهم على الاستخدام الامثل لكل ما يوضع في أيديهم من موارد بشرية ومالية واقتصادية وعسكرية .

كان على الحركة الصهيونية ان تثبت نفسها بشكل دائم : ان تقيم على الارض التي تمتلكها زراعة عالية التطور (استخدام أمثل للارض) ، وان تقيم صناعة حديثة (استخدام أمثل للموارد المالية) ، وان تقيم مؤسسات علمية متقدمة مثل الجامعات ومؤسسات البحث العلمي (استخدام أمثل للقوى البشرية) وان تبني قوة عسكرية فعالة (استخدام أمثل للسلاح) . ولا يكفي ان تنجز الصهيونية هذه الانجازات بل كان عليها ان تستعمل أفضل جهاز دعائي ممكن لتصوير كل ما تنجزه على انه معجزة ، وذلك عن طريق المبالغة في تصوير الصعوبات التي واجهتها (فلسطين عبارة عن صحراء قاحلة وعن مجموعة مستنقعات تعج بالملاريا) ، وعن طريق تضخيم المنجزات التي احرزتها . وكلما كانت صورة هذه المنجزات ساطعة ، كانت قدرة الحركة الصهيونية على جباية التبرعات أعظم ، وبالتالي قدرتها على الحصول على دعم ومساندة الحكومات الاستعمارية ، هذه الحكومات التي كانت تحاكم الحركة الصهيونية على أساس فائدتها للامبريالية وكفاءتها في تحقيق برنامجها .

وكانت الحركة الصهيونية تعلم جيدا ان أية مظاهر ضعف او عجز تظهر عليها ، سوف تنعكس على حجم التبرعات اليهودية اولا والمساندة الامبريالية ثانيا ، مع علمها اليقيني بمدى حيوية هذه التبرعات وتلك المساندة للمشروع الصهيوني .

ب ـــ لم يكن يكفي ان تثبت الحركة الصهيونية نفسها في مجالات الزراعة والصناعة والعلم . كان يجب أن « يتحلى » العرب بنقيض كل المميزات التي ادعتها الصهيونية لنفسها. فمقابل الوحدة والتلاحم كان هناك التشتت والضياع. فالامة العربية اسطورة، ولا يوجد غير مجموعات طائفية وقبلية لا تدري احداها عن الاخرى شيئا وتناصبها العداء الدائم . ومقابل التقدم الزراعي والصناعي كانت هناك الصحاري القاحلة والزراعة ابدائية . ومقابل القدرة على تعبئة الطاقات البشرية واستخدامها ، كان هناك الطغيان والقهر واهدار القوى البشرية . ومقابل النشاط والحركة والابداع كان هناك الخمول والكسل والترف الموروث عن عصور الف ليلة وليلة . أما بالنسبة لفلسطين فقد كان يفصلها عن التجمعات البشرية العربية صحاري واسعة ـــ صحراء الاردن من الشرق وصحراء سيناء من الغرب . وعلى هذا تستطيع الحركة الصهيونية ان تنجز الكثير على الارض الفلسطينية قبل ان يؤدي تضخمها الى الاصطدام بالتجمعات البشرية العربية الاساسية في كل من مصر وسوريا والعراق .

على أساس هذه المعطيات قامت الحركة الصهيونية بتنفيذ مخططها في فلسطين ، مكتسبة من كل نجاح تحققه ثقة متزايدة في قدرتها على تحقيق نجاحات أكبر ، وادت انتصاراتها المتكررة ، وشبه المجانية ، في اعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وخاصة الانتصار الاخير في حرب ١٩٦٧ ، الى تعاظم شعور الحركة الصهيونية بالتفوق ، الى درجة الاستخفاف المطلق بالشعوب العربية وبطاقاتها ، بصورة أفقدتهم الاتصال بواقع عالمنا المعاصر .

مظاهر الغطرسة الصهيونية : التشديد على الهوة النوعية : ان مظاهر الغطرسة الصهيونية تشمل كافة مجالات الحياة من علم وسياسة واخلاق واقتصاد وحرب . ولم يبق في اسرائيل سياسي او عسكري او عالم الا وادلى بدلوه في هذا المجال . ففي مجال المقارنة بين تفوق اسرائيل في المجال العلمي وتخلف العرب صرح البروفسور ا. د. برغمان(٦) : « ان الثغرة في المستوى العلمي وفي الانجازات التكنولوجية بين اسرائيل والدول العربية آخذة في الاتساع ... ان العرب متأخرون عن اسرائيل في العلوم والتكنولوجيا مائة عام » . باستطاعة الاسرائيليين اذن ان يطمئنوا ، فالعرب يحتاجون الى مائة عام للحاق بالمستوى الحالي لاسرائيل ، وبالتالي فان هذه الفجوة ستبقى الى الابد . اما البروفسور يوفال نئمان ، وهو رئيس قسم الفيزياء في جامعة تل ابيب ، فقد صرح « ان اسرائيل تتمتع بتفوق نسبي مقداره ١:٧ على مصر في المجالات التكنولوجية ، وكانت هذه النسبة ١:٤ سنة ١٩٦٧ ... اذا استمر التطور الاسرائيلي في سرعته الحالية ، فستزداد الهوة اتساعا بين البلدين في المستقبل القريب ... ان هذا الفرق يعود الى ان مصر تستورد تكنولوجيتها جاهزة من الخارج ، دون اية قاعدة قوية في الداخل ، كما لا يوجد في مصر مناخ علمي للبحوث النظرية ... »(٧) ان البروفسور هنا لا ينفي فقط امكانية لحاق مصر باسرائيل علميا ، ولكنه يؤكد ان هذه الفجوة ستزداد اتساعا .

اما الزعيم الصهيوني شمعون بيريس ، وهو احد زعماء حـــزب العمل ، ووزير المواصلات في اسرائيل فيرد على الذين ينتقدون سياسة تشغيل العرب في الاعمـــال الحقيرة بقوله : « أريد ان اسأل الذي يقول ان العرب « حطابين وسقائين » : ماذا يستطيع العرب ان يفعلوا ؟ هل يستطيعون ان يشغلوا عقولا الكترونية او ان يكونوا مديري أجنحة في [مستشفى] بيلينسون ؟ ما هو الخيار أمامهم ؟ انه البطالة او عمل يستطيعون القيام به » (٨). ان يكون العرب قادرين على عمل شيء غير جمع الحطب أو حمل الماء ، امر لا يستطيع شمعون بيريس تصوره . ان مجرد احتمال ان يكون

العربي قادرا على ادارة عقل الكتروني ، يبعث صورا كئيبة في نفس شمعون بيريس .

ان الهوة بين اسرائيل والعرب ، في نظر قادة اسرائيل ، ليست ناتجة عن ظروف طارئة ، يمكن تغييرها ، وانما هي هوة نوعية بين الانسان الاسرائيلي والانسان العربي، وبهذه الصفة ليست فقط غير قابلة للردم ، وانما من مميزاتها انها تتسع باستمرار . يقول تسفي تسور ، مساعد وزير الدفاع ، وأمين سر اللجنة الاسرائيلية الامريكية لتحلية مياه البحر ، في ندوة لرؤساء الاركان السابقين بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على قيام اسرائيل : « بالنسبة الى مسألة ما اذا كان هناك الان خطر على أمن دولة اسرائيل ، طبيعي ان اجابتنا جميعا ستكون سلبا ، للاسباب الاتية : اولا : ان وضعنا الان جيد من الناحية الجغرافية . نجلس عند حدود من السهل منها نسبيا الدفاع عن حدود دولة اسرائيل وأمنها. ثانيا : نحن الان أقوى من العدو بصورة مطلقة. ثالثا : الهوة بيننا وبين العرب ، الهوة النوعية والهوة التكنولوجية آخذة في الاتساع لمصلحتنا ... مضت فترة كنا نخشى فيها ان يكون العكس هو الذي يجري . كان هذا قبل نحو عشر سنوات ، كنا خلالها قلقين من عدد الطلبة الكبير في جامعات الدول العربية . ولكن اعتقد اننا نعترف اليوم جميعا بحقيقة ان الهوة بيننا وبين العرب قد اتسعت سواء في قدرتنا على الانتاج ، او على الصيانة ، او على التحكم في أسلحة معقدة جدا ، وهذه هي المشكلة الان ... اضف الى ذلك ان هناك ايضا هوة واسعة بما فيه الكفاية بين دافع الشباب عندنا — بقدر ما يتعلق الامر بالامن — وبين الدافع الذي يميز الان الجندي العربي »(٩).

اذن تبدد الفزع الذي انتاب الجنرال تسفي تسور من عدد الطلبة الجامعيين العرب ، وبات على يقين من ان التحاق الشباب العرب بالجامعات يؤدي الى زيادة الهوة بينه وبين العرب في كل المجالات . ان تشويه صورة الجندي العربي والانسان العربي ، أمر ضروري وحيوي بالنسبة للقيادة الصهيونية ، بغض النظر عن صحة او عدم صحة ما يضطرون لقوله . فالاعتراف بانسانية الانسان العربي ، تفرض على القيادة الصهيونية تغييرا شاملا في برامجها وسياستها ، وهو أمر ليست مستعدة له . ولكن لا يمكن استمرار التزوير الى الابد . فقد دفعت نتائج حرب تشرين أحد الصحفيين الاسرائيليين الى الكشف عما يعرفه عن حقيقة الجندي العربي والانسان العربي ، بل ما تعرفه القيادة الصهيونية نفسها : « كانت هناك ثغرة بين توقعات الجمهور وبين الحسم الذي أحرز . لقد برزت هذه التوقعات من خلال مبدأ (الحرب ليست لهم [للعرب]) . ولذا خاف الكثيرون من ظاهرة ان العدو حارب ولم يهرب ... ان الثغرة بين التوقعات والنتائج التي احرزت هذه المرة ، تكمن في الحقيقة التي نسيها شعبنا ، وهي ان العربي لم يكن خلال الاعوام العشرين الماضية مقاتلا سيئا ... بيد ان هذه الحقائق نسيت . كما نسيت الابحاث السيكولوجية التي أجريت على الاسرى المصريين الذين قبض عليهم سنة ١٩٦٧ . وكانت النتائج بعيدة عن الاستهتار بالجندي المصري . فقد وجد ان الجندي المصري يتمتع بقوة تحمل كبيرة ، وكفاية جسدية جيدة ، وبروح هجومية... »(١٠). غير انه ليس بمثل هذه الاعترافات تبنى دولة اسرائيل . فحتى تبنى دولة اسرائيل لا بد من شعب « أسمى » ، فكون شعب اسرائيل « شعبا أسمى » ضرورة لقيامه بدوره التاريخي وليس شوفينية : « اننا محتاجون الى امرين : الهجرة الكبيرة المطردة ، وكوننا شعبا أسمى ، وبهذين الامرين فقط يمكننا ان نعيش ونقوم بدورنا التاريخي ... ان الشعب لم يصمد الا كشعب أسمى ولم تقم الدولة الا بفضل كوننا شعبا أسمى ، وحظينا أيضا بجيش أسمى . وهذه الاقوال ليست أقوالا شوفينية »(١١). ان قائل هذه الكلمات ليس مهووسا بحب كلمة « أسمى » وانما هو مهندس الدولة الاسرائيلية ، دافيد بن غوريون .

ومقابل الشعب الاسمى هناك المجتمع القبلي المتخلف الذي يخيب آمال اصدقائه فيه : « ان الاتحاد السوفياتي خابت آماله في بنية المجتمع العربي القبلي ، ووصل الى قناعة بأنه ستمر سنون كثيرة قبل ان يكون بامكانه الارتباط بعناصر جادة في المجتمع العربي »(١٢). ان اطمئنان اسرائيل يجب ان يبلغ حده الاقصى ، فاذا كان حلفاء العرب لم يجدوا بينهم « عناصر جادة » يرتبطون بهم ، فالاحرى بالاسرائيليين ان لا يحسبوا أي حساب لمجتمع مؤلف من عناصر غير جادة .

الغطرسة العسكرية : اذا كان الشعب الاسرائيلي « شعبا اسمى » ، واذا كانت « الثغرة في المستوى العلمي » آخذة في الاتساع ، زيادة عن اتساعها ، واذا كانت هناك « هوة واسعة » بين حوافز الجندي العربي وحوافز الجندي الاسرائيلي ، فمن الطبيعي والحالة هذه ان يكون الجيش الاسرائيلي جيشا لا يقهر . فحتى من الناحية النظرية البحتة لا يجوز افتراض احتمال هزيمة الجيش الاسرائيلي . ان أقصى ما تستطيعه الدول العربية هو « ازعاج » اسرائيل ، على حد تعبير يتسحاق رابين ، رئيس الاركان السابق : « ليس في استطاعة الدول العربية وحدها ان تشكل خطرا على كيان اسرائيل بالذات ، قد تزعج الدول العربية اسرائيل ، ولكنها لا تشكل ، في المستقبل المنظور ، خطرا عسكريا على كيان دولة اسرائيل ... كما لا ارى انه يمكن القول ان الدول العربية تمثل خطرا حقيقيا على اسرائيل »(١٣). وحتى لو كانت الدول العربية كلها مجتمعة ، وقررت ليس فقط شن حرب خاطفة ، ولكن حربا تدوم سنين طويلة ، فان اسرائيل قادرة على رد هذا الهجوم. ان هذا الكلام يقوله رابين ليسمعه الاميركيون، الذين ضعفت ثقتهم بالقوة العسكرية نتيجة تجربتهم في فيتنام ، فهو يقول في خطاب أمام اللجنة الاميركية الاسرائيلية للشؤون العامة بتاريخ ٧٢/٥/٧ : « ان باستطاعة اسرائيل ان تدافع عن نفسها بنفسها ضد قوى العالم العربي مجتمعة ، لاية فترة ممكنة — خمس او عشرين او خمسين سنة — ما دمنا لا نحرم من المعدات اللازمة »(١٤). ان الامر في النهاية يتعلق بالمعدات اللازمة وبثمن هذه المعدات اللازمة ، وبضرورة اقناع من سيدفع ثمن هذه المعدات اللازمة بجدوى دفع هذا الثمن . ويستعين رابين بالتاريخ ليؤكد ان اسرائيل لا يمكن هزيمتها اليوم كما كان من غير الممكن هزيمتها في التاريخ البعيد على يد جيرانها ، « ما لم تتدخل قوة كبرى » ، أما الجانب الاخر الذي لا يكلف نفسه عناء الاشارة اليه ، فهو امكانية قيام الدولة اليهودية بدون دعم الدولة الكبرى : « اننا نعيش في اسرائيل مع ذكرى حقيقة تاريخية بسيطة : ان المناسبتين اللتين تم فيهما تدمير دولة يهودية مستقلة في ذلك الجزء من العالم حيث توجد — وأشير هنا الى الدولتين الاولى والثانية — هما اللتان تم فيهما التدمير على يد قوة كبرى في ذلك الوقت. لم ينجح أحد من جيراننا في الماضي — الفلسطينيون ، الموآبيون ، الميديانيون ، الآراميون، في حشد القوة اللازمة لتدمير الدولة اليهودية »(١٥). لا داعي لتقديم تفسير لهذه الظاهرة الفريدة فخصائص الشعب اليهودي الفريدة هي التفسير . أمام القوى غير الكبرى لا تهزم اسرائيل بغض النظر عن التفوق العددي او التفوق في التسليح . وها هو زئيف شيف ، معلق صحيفة هآرتس العسكري يردد ما يقوله رابين : « لا توجد اية علامات استفهام بالنسبة لانتصار قواتنا . ومن الواضح انه كان من الافضل لـو ان سلاح الطيران الاسرائيلي مزود بطائرات فانتوم اخرى ، ولكن عدم وجود هذه الطائرات لـن يقلب الامور رأسا على عقب »(١٦). نستطيع بالطبع ان نقابل هذا القول لمعلق هآرتس العسكري قبل حرب تشرين بما كتبه معلق آخر من معلقي الصحيفة نفسها — هآرتس، بعد حرب تشرين : « ان جيش الدفاع لم يحقق أبدا اية قوة ردع بالنسبة الى العرب ، وانما على العكس : كلما كانت ضرباته قوية قويت الرغبة في افئدة العرب لتنمية قوتهم ومنازلتنا من جديد »(١٧). ان موشيه دايان لم يكن يكتفي بالقول أن الجيش الاسرائيلي

اقوى من الجيوش العربية ، فالجيش الاسرائيلي اقـوى من الجيوش الاوروبية . يقول دايان في خطاب له القاه في المؤتمر العالمي لمهاجري مراكش ، المنعقد في مدينـة أسدود بتاريخ ٧٣/٣/٣١ : « جاء في منشورات حلف الاطلسي الاخيرة عن القوات فـي حوض البحر الابيض المتوسط ، ان فرنسا هي صاحبة اكبر قوة في حوض المتوسط ، وانها تملك اكثر من ٧٠٠ طائرة . وتحتل اسرائيل المكانة التالية ، فهي تملك اكثر من ٣٧٠ طائرة من نوع فانتوم وميراج ، والدول التي تأتي بعدها في القـائمة هي ايطاليـا وتركيا واليونان ... ان اسرائيل تملك عددا كبيرا من الطائرات والطيارين الجيدين ، وهذه في وضعنا ميزة كبيرة »(١٨). وفي مناسبة اخرى ، وفي عز نشوته بانتصار حزيران ١٩٦٧صرح موشيه دايان بتاريخ ١٩٦٧/٧/٧، لصحيفة فرانكفورتر الجماينه تسايتونج، الناطقة بلسان الحزب الديمقراطي المسيحي بأنه « لن يتردد في نصح حكومته بمحاربة الاتحاد السوفياتي اذا ما استخدمت القوات السوفياتية ضد اسرائيل »(١٩) وبتاريـخ ٦٧/٩/١٠ نفى دايان ان يكون باستطاعة العرب بعد عشر سنوات الاخذ بثأرهم قائلا « فاذا أصبح العرب عندئذ يملكون قوات أكبر ومعدات اكثر فكذلك سنملك نحن ، ومهما علمهم الروس كيف يستعملون السلاح فلن يستطيعوا تعليمهم كيف يقاتلون »(٢٠) غير أن التبجحات العسكرية ليست مقتصرة على العسكريين فقد صرح ابا ايبان وزير الخارجية، في مقابلة مع وكالة الصحافة الفرنسية نشرت بتاريخ ١٩٦٩/٧/٢ ، ردا على سؤال يتعلق بامكانية شن اسرائيل هجوما وقائيا واسع النطاق ضد الدول العربية ، قائلا « ليس هناك أي شيء يجب اتقاؤه ، لانهم لا يستطيعون القيام بـأي شيء يستحـق الوقاية » (٢١).

ان تصريحات القادة الاسرائيليين حول مناعة خط بارليف ، واستحالة عبور الجيش المصري لقناة السويس تكاد تتكرر يوميا منذ عام ١٩٦٨ . ولم يكن باسـتطاعة القيادة الاسرائيلية ان تسمح للشك بفعالية هذه الموانع الدفاعية ، ان يتسرب الى نفـوس الاسرائيليين ، لان الشك بمناعتها ، يعني ظهور تيار ينادي بالانسحاب . يقول عيزر وايزمن ، أحد القادة العسكريين الاسرائيليين : « ان اي قائد عسكري جدي يعرف أن قناة السويس هي أفضل حاجز مضاد للدبابات بني في تاريخ الانسانية ... افضل ان تكون سيناء تحت سيطرة اسرائيل مع طائرات اقل ، من ان تكون مخازننا مليئة بطائرات الفانتوم ، وسيناء تحت سيطرة مصر »(٢٢). وبما أن الجيش الاسرائيلي جيش ديناميكي متجدد دائما وابدا ، ولا يؤمن بنظرية الدفاع من مواقع ثابتة ، فهو يعد نفسه دائما لنقل المعركة الى ارض العدو . وقد كتب المعلق العسكري زئيف شيف ، معلق هآرتس العسكري ، بمناسبة اجراء مناورات عسكرية في سيناء ، محددا هدف هذه المناورات : « اذا كان جيش اسرائيل يفكر ، حتى سنوات قليلة ، بخصائص منطقة لا تتعدى سيناء، والضفة الغربية وهضبة الجولان ، فعليه الان ان يستعد لحرب تدور وراء هذه المناطق. اذا كنا نريد توجيه هجوم مضاد ، علينا ان نفكر ونتدرب على أساس الحواجز الموجودة وراء قناة السويس والخليج ونهر الاردن ، ونتعلم طرق اختراقها ، ونتدرب على جميع المعدات اللازمة لذلك »(٢٣). ان احتمال عبور الجيش المصري لقناة السويس يعنـي احتمال خوض الجيش الاسرائيلي حربا دفاعية ، وبما أن العقلية العسكرية الاسرائيلية ترفض مجرد تصور هذا الوضع ، فأنها تجد نفسها مضطرة دائما الى التفكير باحتـلال اراض جديدة للاحتفاظ بالاراضي التي احتلتها سابقا . ان الهجوم هو قـانون وجود بالنسبة لاسرائيل . ليس باستطاعة اسرائيل ان تفكر دفاعيا : أي ان تبني خطوطـا دفاعية وتقعد تنتظر هجوم اعدائها عليها . وهذه عينة من مذكرات دافيد بن غوريون كتبها بتاريخ ٢٤ أيار ١٩٤٨ ، أي عندما لم يكن يزيد عـدد اليهود في فلسطين عـن ٦٠٠،٠٠٠ نسمة وعندما كانت مشتبكة مع الجيوش العربية والمناضلين الفلسطينيين

الذين لم يكونوا قد تركوا أرضهم بعد ، وعندما لم يكن لدى اسرائيل سلاح طـيران ذو قيمة أو سلاح مدرع يعتد به : « الحلقة الضعيفة في الائتلاف العربي هي لبنان . حكم المسلمين هناك اصطناعي وتسهل زعزعته . ومن الضروري اقامة دولة مسيحية يشكل الليطاني حدودها الجنوبية . ونعقد معها حلفا . وعندما نقصم قوة لبنان ونقصف عمان ونصفي شرق الاردن ، عندها تسقط سوريا . واذا جرؤت مصر على الحرب ، قصفنا بور سعيد والاسكندرية والقاهرة . وهكذا ننهي الحرب ونصفي حساب آبائنا مع مصر وآشور وآرام »(٢٤).

الاستخفاف بالاعراف والقوانين الدولية

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لم يعد القادة الاسرائيليون يشعرون بضرورة تمثيل دور الدولة التي تحترم القوانين الدولية ، ولم يعودوا يجهدون أنفسهم بمحـاولة اخفـاء تعارض تحقيق برامجهم مع هذه القوانين. فبعد خطف الطائرة اللبنانية من مطار بيروت، صرح موشيه دايان لاعضاء كتلة رافي ، ردا على الانتقادات التي وجهت اليه قائلا : « لا اعرف اسلوب حرب ضد منظمات التخريب دون خرق القانون الدولي »(٢٥). أما صحيفة هآرتس فقد علقت على قرار مجلس الامن بشأن قضية القدس قائلة « لا قيمة لقرار مجلس الامن ، وهو مجرد مظاهرة دعائية ، ولن يغير الواقع في المدينة التي تم توحيدها من جديد »(٢٦). وقد أجاب بن غوريون عن سؤال لمراسل صحيفة معـاريف يقـول فيه « لمـاذا لم يشـمل اعـلان الاسـتقلال مسـألة حـدود الدولة ؟ » بقوله « ادركت ان الدولة ستقوم بقوة جيشنا لا بقوة الامم المتحدة . وهذا ما ساعدني في قضية الحدود . وتساءل رجلا القانون بنحاس روزن وشطريت : كيف نعلن الدولة دون أن نعين حدودها ؟ فأجبت لسنا مجبرين . لقد قامت الولايات المتحدة الاميركية عندما كانت تضم ١٥ ولاية ولم تعين الحدود (في اعلان الاستقلال) . . . لقد كنت ادرك أن الجيش اليهودي هو الذي سيعين الحدود »(٢٧). ان هذه الاجابة تبين لنا ما هو النموذج الذي يعتبره بن غوريون مثلا أعلى ، وأي دور يعطي لنفسـه ولحركتـه الصهيونية ، وأي دور يعطي للشعوب العربية . ان نموذج المستعمر الابيض والشعوب البدائية هو الذي يوجه مسلك الحركة الصهيونية ويحدد مواقفها . ولا يمكن فهم مواقف الحركة الصهيونية دون ادراك هذه الحقيقة . ان هدم القرى وطرد السكان ومصادرة الاراضي ، مع اعتبار هذه الاعمال « حقا » امور لا نجد لها مثيلا الا في تاريخ استعمار الرجل الابيض لامريكا الشمالية وجنوب افريقيا وروديسيا . ففي تصريح لتيدي كوليك، رئيس بلدية القدس بتاريخ ٧١/٥/١٨ ، بشأن مصادرة اراضي عرب القدس يقول : « لقد دخلت قضية مصادرة الاراضي في ضواحي القدس قبل عدة أشهر في نقـاش سياسي حاد . ويجب ان يكون واضحا انه يحق لنا ان نبني في اي مكان نريد . وان وزارة الخارجية الاميركية والفاتيكان ليسا هما اللذان يقرران اين نبني » . ان تيدي كوليك يرد بعصبية وكأنه هو المعتدى عليه . أما موشيه دايان فيجيب ، مندهشا ، على انتقادات بشأن معاملة العرب في فلسطين المحتلة ، قائلا : « لا أرى كيف يمكن ان نقيم دولة هنا دون أن ندوس على المحاصيل . سيادة تحل محل سيادة ، ويهود يقيمون في مكان أقام فيه العرب فقط ، من قبل ، لاننا اذا قلنا انه من أجل توطين يهود في أي مكان أقام فيه عرب ، يجب الحصول على اذن من العرب . عندئذ لن يكون هناك مكان لدولة يهودية »(٢٨). ان موشيه دايان يطرح القضية بالطريقة الوحيدة التي يمكن طرحها بها في حالة انتفاء الحاجة الى النفاق . انه يقول انه ما دام قادرا على دوس المحاصيل وطرد العرب فسيأتي باليهود ويقيم بهم دولة ، اما في حالة عجزه عن دوس المحاصيل وطرد العرب فلن يكون هناك أي سبب يدعو للتفكير باقامة دولة يهودية . ان موشيه دايان يؤكد في كل مناسبة ان اسرائيل لن تخضع الا للمقاييس التي تضعها هي : « ان تحديد

هذا المقياس ، بأنه لكي نقيم مستوطنة يهودية ينبغي ضم الارض الى دولة اسرائيل ، هذا يعني ان كافة الاماكن التي لم نضمها لا يجوز لنا ان نقيم مستوطنات فيها ... واعتقد ان من حقنا وباستطاعتنا الاستيطان خارج الخط الاخضر دون ضم الاراضي ... واذا اخذنا هذا المقياس على أنفسنا نكون قد وضعنا علامة استفهام على كافة المناطق التي نجلس فيها »(٢٩).. ان المقياس الاوحد الذي تستطيع الحركة الصهيونية تطبيقه هو قدرتها على فرض ارادتها والافلات من عواقب مسلكها . اذ في اللحظة التي يصبح فيها من غير الممكن الافلات من دفع الثمن ، لا يعود من الممكن ان تستمر الحركة الصهيونية . ولهذا توجب على القادة الصهيونيين ان يزرعوا يوميا في عقول وقلوب اليهود ، ان الحركة الصهيونية كلية القدرة ولا يستطيع شيء ان يقف في طريقها .

دور اسرائيل في المنطقة : تدرك الحركة الصهيونية ان كافة نجاحاتها العسكرية والاقتصادية والعلمية ، وقدرتها على الدفاع عن منجزاتها ، لا تشكل ضمانا لاستمرار وجودها ، ما لم توظف هذه النجاحات في لعب دور يستهدف التحكم بمصير المنطقة . فاسرائيل لا تستطيع الاكتفاء بقوة نسبية بل هي بحاجة الى قوة مطلقة . وقد كتب يوئيل ماركوس معلق جريدة هآرتس بمناسبة زيارة غولدا مائير للولايات المتحدة في شهر اذار ١٩٧٣ ، مشددا على هذه النقطة : « ان اسرائيل قوية هي في الحقيقة ضمانة للمحافظة على المصالح الاميركية في المنطقة . وقد أوضحنا ان الجيش الاسرائيلي — **بقوته المطلقة لا النسبية** — هو خط الدفاع الاول عن المصالح الاميركية في حوض البحر الابيض المتوسط اكثر من معظم دول حلف الاطلسي . اضف الى ذلك ، اننا قلنا على مسمع الاميركيين اننا ايضا الضمانة الوحيدة للمحافظة على الانظمة الاسلامية الموالية لهم في المنطقة . ومهما يبدو هذا الامر غريبا ، فان اسرائيل في نهاية الامر هي التي تحمي نظام الاردن الموالي للغرب — كما ثبت نظريا وعمليا في اليوم الذي دخل فيه السوريون الاردن بالقوة »(٣٠). ان اسرائيل بحاجة ليس فقط الى ان تثبت رغبتها في خدمة مصالح الولايات المتحدة ، ولكن ان تثبت قدرتها على ذلك . وهي تقدم الدليل على ذلك — « حماية نظام الاردن الموالي للغرب » . وحتى تستطيع الحصول على اعلى ثمن ممكن مقابل خدماتها ، عليها ان تصور هذه الخدمات على انها تفوق الخدمات التي تقدمها « معظم دول حلف الاطلسي » . فالمسألة هنا لا تتعلق بدولة صغيرة تريد الدفاع عن نفسها ، وانما بدولة تريد أن تكون « خط الدفاع الاول عن المصالح الاميركية في حوض البحر المتوسط » ليس صحيحا الزعم القائل ان نفقات الدفاع الكبيرة في اسرائيل تشكل عبئا على عاتق المواطن الاسرائيلي ، فمن المعروف ان فلسطين خالية من مصادر الثروة الطبيعية ، ولا يستطيع اي استثمار عادي ان يوفر لهذا المواطن المستوى المعيشي الذي يحياه الان ، وذلك رغم الانفاق الامني الباهظ . ولا نجانب الحقيقة اذا قلنا ، انه بسبب هذا الانفاق الامني ، الذي تتحمل اغلبه مصادر اجنبية — الولايات المتحدة ، التبرعات اليهودية — تستطيع اسرائيل ان توفر هذا المستوى المرتفع للدخل ، اذ ان هذا الانفاق ، في النهاية ، يصب في الدورة الاقتصادية الاسرائيلية بشكل استثمارات ، وطلبات على المنتجات اللازمة للجيش ، وتشغيل لجزء كبير من القوى العاملة .

ان القيادة الاسرائيلية لا تجهل الشروط اللازم توفرها، لكي تلعب دور القوة العظمى، فقد كتب شفيتسر ، معلق هآرتس ، بمناسبة تعيين كيسينجر وزيرا للخارجية الاميركية في شهر آب ١٩٧٣ : « ... ان اسرائيل كدولة كبرى اقليمية (وبقاؤها كذلك مشروط بالدعم الاميركي كما يحدث الان) ، هي احدى الضمانات المهمة للاستقرار ، وهي الشرط الاول للمحافظة على الاستمرار في تزويد البترول »(٣١). هناك اذن « استقرار » يهم الولايات المتحدة المحافظة عليه ، وهناك بترول يجب ضمان الاستمرار في تزويده ، وهناك اسرائيل تستطيع ضمان ذلك ، وحتى تستطيع ضمان ذلك يجب أن تكون دولة

كبرى اقليمية ، وحتى تكون دولة كبرى اقليمية يجب ان تتحمل الولايات المتحدة التكاليف بكل ما تتضمنه كلمة تكاليف . ويؤكد هذه المعادلة اجابة يتسحاق رابين ــ سفير اسرائيل في الولايات المتحدة ، على سؤال يتعلق بتفسير تأييد مرشحي الرئاسة الاميركيين لاسرائيل، حيث قال « تبدو اسرائيل وما ترمز اليه في اسلوب حياتها، في نظر الاميركيين، أنها تقف في وجه الاتحاد السوفياتي والشيوعية . يعتبرنا الاميركيون دولة صغيرة تتجاسر على تحدي المساعدات والاسلحة السوفياتية للعرب ومقاومتها ، وتقف كصخرة جبل طارق في وجه العالم العربي بأسره ، الذي يستعين بالشيوعية »(٣٢). ان هذه الاطروحة تحتاج الى تأكيد دائم ، وخاصة في أوقات الازمات ، عندما تلجأ الولايات المتحدة الى المناورة بقصد امتصاص ردود الفعل العربية ، او عندما تجري تغييرات سياسية في الولايات المتحدة . ان الاسرائيليين يؤكدون للاميركيين ان ما تدفعه الولايات المتحدة هو ثمن بخس للحفاظ على مصالحها الحيوية « ان اميركا لن تخدم مصلحتها ، اذا هي رأت في دعمها لاسرائيل ، دعما لمحتاج عليه ان يدفع ثمن المساعدة بالتنازل عن استقلاله ، وليس **انفاقا مجديا** للمحافظة على المصالح الحيوية للولايات المتحدة . وفي نهاية الامر ، تلحق الولايات المتحدة ضررا بنفسها ان هي تصرفت وكأن اسرائيل فقير يقف على بابها »(٣٣). اننا نلاحظ هنا تغيرا في اللهجة التي يخاطب بها المعلق الاسرائيلي في هآرتس الولايات المتحدة ، وهذا لا يعني أن اميركا بحاجة الى تأكيد رغبة اسرائيل في خدمتها، الا ان العصبية التي تتميز بها لهجة الكاتب تنم عن خوف الكاتب من تسرب الشك الى قلوب الاميركيين بقدرة اسرائيل على لعب الدور الذي تنسبه لنفسها ، وخاصة ان هذا الكلام كتب بعد حرب تشرين .

قبل حرب تشرين كانت اسرائيل تستطيع دائما ان تجد من يشتري اقوالها ، وكانت حالة العجز العربي تعطي مصداقية كبيرة لمزاعمها ، حتى لو كانت هذه المزاعم خيالية . لم يكن الكتاب والصحافيون الاسرائيليون يترددون في اطلاق التبجحات : « يجب الاعتراف بأنه بفضل وجود اسرائيل قوية فقط ، تستطيع الولايات المتحدة ان تأمل بأستمرار وجود أنظمة محافظة او معتدلة متعاطفة مع الغرب في دول النفط العربية . والا وجهت الدول العربية المتطرفة ، سوريا ، مصر ، العراق، ليبيا، جهودها للاستيلاء على السلطة في الدول المعتدلة عن طريق عناصر معادية للغرب .. ان وجود اسرائيل قوية معناه ان هناك خطرا دائما في امكان القيام بعمل عسكري تشارك فيه اسرائيل ، في حالة وصول الامور الى حد محاولة العرب شل الصناعة في الغرب عن طريق وقف الضخ »(٣٤). ان الصناعة في الغرب لا تتوفر لها الحماية الا اذا امنتها اسرائيل . أما اذا لم تقتنع الدول الاوروبية بهذه الادعاءات الصهيونية ، فان صحافيي اسرائيل لا يترددون بتوجيه التهديد الى الدول الاوروبية ، في حالة اتخاذ هذه الدول أية مواقف لا ترضى عنها اسرائيل ، فليس العرب وحدهم قادرين على وقف النفط عن اوروبا وانما اسرائيل كذلك . وهذا أمر منطقي ، فالقادر على الحماية قادر على الاستباحة . يقول حغاي اشد ، احد الكتاب الرئيسيين في صحيفة دافار : « ... تدرك دول اوروبا الغربية والدول العربية نفسها انه ينبغي عدم المبالغة في استعمال سلاح النفط ضد اسرائيل ، لان اسرائيل ايضا يمكن أن تعرقل تدفق النفط من الشرق الاوسط الى اوروبا »(٣٥)..

ان الاسرائيليين يفاخرون بسعة خيالهم ، وهذا الخيال الواسع يساعدهم على تخطي كافة الموانع التي يفرضها الواقع ، ويصور لهم أن ثروات المنطقة تحت تصرفهم ، وليس عليهم الا ان يستعملوا هذا الخيال ويبدوا رغباتهم . أما شعوب المنطقة فلا تزيد عن ديكور يخفف من كآبة المشهد . واذا ما أحس الاسرائيليون مثلا بأزمة مياه فما عليهم الا ان يستعملوا هذا الخيال ، لتحمل القنوات مياه النيل اليهم ، وخاصة اذا كانت تكاليف

نقل مياه النيل الى النقب اقل من تكاليف نقل مياه الليطاني . يقول اليشع كلي ، مدير شعبة التخطيط البعيد المدى في شركة تاهل ، بمناسبة ازمة المياه التي بدأت تستفحل في اسرائيل في صيف ١٩٧٣ : « انه من الصعب ، طبعا ، التفكير في استغلال مياه النيل في اسرائيل دون التفكير في الوضع الجغرافي السياسي الحالي . ولكن ربما يستطيع من هو مستعد لاستخدام خياله وتصور اوضاع سياسية ، مختلفة تماما عن الوضع الحالي، الاستعانة بحقيقة أن النيل سيبقى يمد مصر كل عام بنحو ٨٠ مليار م٣ ... »(٣٦).

الغطرسة الاسرائيلية وحرب تشرين : تتميز حرب تشرين ، رغم عدم الوصول الى نتائج حاسمة فيها ، عن كافة الحروب التي خاضتها اسرائيل،بأنها أجبرت الاسرائيليين، بما في ذلك قطاعات من المؤسسة الحاكمة ، على اعادة النظر في كافة المسلمات التي اجبروا على الايمان بها بمختلف الوسائل ، وذلك ابتداء من الثقة التي لا حدود لها بالقوة العسكرية مرورا بالقدرة الاقتصادية ووصولا الى تقييمهم للعرب . يقول اهرون بيخر « .. كنا نقف ، من حين لاخر ، امام المرآة ، ونعرض عضلاتنا ، ونؤكد لانفسنا انه اذا حاول شخص ما تغيير الوضع الراهن فأننا سنكسر عظامه ، اننا نستطيع الوصول الى بنغازي ، ومدافعنا موجودة في مدى المرمى من دمشق . الجندي المصري لا يساوي مليما . والعرب يجيدون الكلام فقط ، ولكنهم يهربون حفاة في ساعات القتال »(٣٧). ان القادة الاسرائيليين الذين عملوا طوال السنوات الماضية على زرع هذه الصورة في رؤوس الاسرائيليين والامريكيين وحتى العرب ، لم يعملوا على اعداد اي اسرائيلي على تقبل فكرة الهزيمة، بل لم يحاولوا ان يفهموا الاسرائيليين ان هناك امكانية أمام العرب في الصمود ، بأية درجة كانت ، في وجه القوة الاسرائيلية . ما الذي ترتب ، اذن على اهتزاز هذه المفاهيم ؟ لقد قرأنا عن الاعداد الكبيرة التي اصيبت بالانهيارات العصبية ، وعن عجز المصحات العقلية عن استقبال المحتاجين للمعالجة . وهذه ظاهرة ليست طبيعية . لقد انهار أمام هؤلاء عالم كامل من القناعات والتكوينات النفسية والعقلية . ولهذا لم تستطع عقولهم أن تستوعب ما حصل .

ويحاول المفكرون واساتذة الجامعات ان يقدموا تفسيرا لما حدث ، ولكن خيبتهم لم تكن أقل من خيبة المواطن العادي.ولكنهم بدأوا يدركون سر اللعبة الصهيونية الجهنمية. كتب البروفسور يشعياهو ليبوفيتش ، استاذ العلوم وفلسفة العلوم في الجامعة العبرية في القدس في ملحق هآرتس بتاريخ ١٩٧٣/١١/٣٠ ، يقول : « بماذا اخطأنا طوال الاعوام الستة الاخيرة ؟ ان الخطأ لم يكن طوال هذه الاعوام فحسب ، وانما كان طوال الخمسة وعشرين عاما الاخيرة ايضا ، منذ توقيع اتفاقية رودس . **كان الخط المرشد لسياستنا ولا يزال الرأي [القائل] ان وضعا دائما من اللاسلم واللاحرب مع حرب كامنة هو أحسن وضع بالنسبة الينا ، وينبغي المحافظة عليه بكل الطرق** ... ومن الممكن في وضع كهذا أن تنشب حروب فعلية من فترة الى اخرى ، تكون عادة قصيرة، ونتائجها مضمونة مسبقا ، لان الفجوة بيننا وبين العرب آخذة في الازدياد ، وبهذه الطريقة ننتقل من احتلال الى احتلال . لقد سادت هذه السياسة الاجرامية والشريرة ، طوال ٢٥ عاما كما توقع باعثوها ، حتى أدت بنا الى الازمة التي نعيشها الان ، بعد أن دحضت جميع افتراضات تلك السياسة ... **اننا لم نسع للسلام طوال خمسة وعشرين عاما** . وكل التصريحات بشأن ذلك ليست الا تصريحات متلونة وكذبا مقصودا » . ها هم علماء اسرائيل اخيرا يكتشفون قوانين اللعبة السياسية التي يلعبها قادتهم ، ويصفون هذه السياسة بأنها اجرامية وشريرة ، ليس بحق الفلسطينيين فحسب ، فالاسرائيليون لم يعودوا يتمتعون بالاعفاء من ثمن هذه السياسة الذي يصل حد الجنون . لقد حرصت القيادة الصهيونية على أن يكون الثمن الذي يدفعه اليهود رخيصا . فهل تتمكن المؤسسة الصهيونية من المحافظة على « الخط المرشد » لسياستها والقائل بأن « وضعا دائما

من اللاسلم واللاحرب مع حرب كامنة هو أحسن وضع بالنسبة الينا ، وينبغي المحافظة عليه بكل الطرق » . أما بالنسبة لنا فالسؤال هو « هل تستطيع اسرائيل ان تتبنى خطا مرشدا غير هذا الخط ؟ أي هل تستطيع اسرائيل ان تكون دولة طبيعية بحجم طبيعي ؟ وعند ذلك من هو الذي سيحتاج هذه الدولة ؟

---

١ — **يوميات هرتسل** ، اعداد ، انيس صايغ . مركز الابحاث في م. ت. ف. بيروت . ص ٤١٣.
٢ — **المرجع نفسه** ، ص ٤١٠ .
٣ — **المرجع نفسه** ، ص ٨٧ .
٤ — **المرجع نفسه** ، ص ٤٩٢ .
٥ — **المرجع نفسه** ، ص ٧٧ .
٦ — البروفسور آ. د. برغمان ، **دافار** ، ١١ /٧١/٤ .
٧ — البروفسور يوفال نئمان . رئيس قسم الفيزياء في جامعة تل ابيب ، **الوكالة التلغرافية اليهودية** ، ٧١/٤/١٤ .
٨ — شمعون بيريس . **يديعوت أحرونوت** ، ٧٢/١١/١٣ . مناقشات السكرتارية العامة لحزب العمل حول المناطق المحتلة .
٩ — تسفي تسور ، في ندوة رؤساء الاركان السابقين ، **معاريف** ، ٧٣/٢/١٦ . (كان تسفي تسور رئيسا لاركان الجيش الاسرائيلي بين عامي ١٩٦١ — ١٩٦٣) .
١٠ — تيدي بروس ، **دافار** ، ٧٣/١٠/٢٥ .
١١ — بن غوريون ، من خطاب له في الكنيست بتاريخ ٦٨/٥/١٠ ، نشرته جريدة **الاتحاد** .
١٢ — دان مرغليت ، معلق صحيفة **هآرتس** ، ١٩٧٣/٦/٢٢ ، بمناسبة مؤتمر القمة السوفياتي الاميركي .
١٣ — يتسحاق رابين ، جريدة **معاريف** ، ٢/١٦/ ٧٣ ، ندوة رؤساء الاركان السابقين . كان رابين رئيسا للاركان بين عامي ١٩٦٤ — ١٩٦٨ ، ثم عين سفيرا لاسرائيل في واشنطن حتى شباط ١٩٧٣ .
١٤ — يتسحاق رابين ، *Near East Report* ، ١٩٧٢/٥/٧ . من خطاب في مؤتمر اللجنة الاميركية الاسرائيلية للشؤون العامة
American Israel Public Affairs Committee.
١٥ — يتسحاق رابين ، **المرجع نفسه** .
١٦ — زئيف شيف ، معلق هآرتس العسكري ، **هآرتس** ، ١٩٧١/١١/٢٤ .
١٧ — شبتاي طيفت ، **هآرتس** ، ٧٢/١١/٨ .
١٨ — **دافار** ، ٧٣/٣/٣١ .
١٩ — **اليوميات الفلسطينية** ، مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٦٧/٧/٧ .
٢٠ — **اليوميات الفلسطينية** ، ٦٧/٩/١٠ ، تصريح من موشيه دايان لصحيفة « **صنداي تايمز** » اللندنية .
٢١ — **اليوميات الفلسطينية** ، ٦٩/٧/٢ .
٢٢ — **معاريف** ، ٧١/٤/١٥ .
٢٣ — **هآرتس** ، ٧٢/٢/٢٤ .
٢٤ — أورد هذا المقطع تكديمون في مقالة له في ملحق **معاريف** بتاريخ ١٩٧٣/٥/٦ .
٢٥ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/٨/٢٣ .
٢٦ — **هآرتس** ، ٧١/٩/٢٧ .
٢٧ — **معاريف** ، ٧١/٤/٢٨ .
٢٨ — **معاريف** ، ٧٣/٢/١٦ ، ندوة رؤساء الاركان السابقين .
٢٩ — مقابلة اذاعية مع موشيه دايان في ٨/١١/ ١٩٧٣ . **نشرة رصد اذاعة اسرائيل** ، مركز الابحاث ، م.ت.ف. ، بيروت .
٣٠ — يوئيل ماركوس ، **هآرتس** ، ١٩٧٣/٣/٧ .
٣١ — **هآرتس** ، ٧٣/٨/٢٤ .
٣٢ — **معاريف** ، ٧٢/١/١٤ ، مقابلة مع يتسحاق رابين .
٣٣ — جرشوم شوكن ، **هآرتس** ، ٧٣/١١/٢٣ .
٣٤ — اريئيل غيناي ، معلق صحيفة **يديعوت احرونوت** ، ٧٣/٦/١٠ .
٣٥ — **دافار** ، ٧٢/٧/١٦ .
٣٦ — **دافار** ، ٧٣/٧/١٢ .
٣٧ — **يديعوت احرونوت** ، ٧٣/١١/٩ .

حرب تشرين وموضوعات حزب العمل الاسرائيلي

عيسى الشعيبي

سوف يظل المتتبعون للشؤون الاسرائيلية ، ولفترة طويلة ، يقفون أمام النتائج التي رتبتها حرب تشرين الاول (اكتوبر) على بنية المجتمع الاسرائيلي ، السياسية منها والاقتصادية ، يختلفون في مدى الاثر الذي ستتركه هذه النتائج على السياسات الاسرائيلية المستقبلية . ولا يخفي الكثيرون من قادة ومخططي الاستراتيجية الاسرائيلية قلقهم حيال نتائج هذه الحرب وآثارها المتفاعلة باطراد ، في مختلف نواحي الحياة في اسرائيل . وقد تكون الحياة الحزبية الاسرائيلية — الى جانب الامن والاقتصاد — قد بدأت تظهر بوضوح مدى الاثار العميقة التي خلفتها الحرب في اسرائيل . واذا كانت استقالة وزير العدل الاسرائيلي يعقوب شمشون شابيرا ، وهو من وزراء حزب العمل الحاكم ، أبرز مظاهر تأثر السياسة الحزبية والحكومية الاسرائيلية بالحرب ، فان النقاش الذي ادارته مختلف الاحزاب والفئات السياسية ، وهي على أعتاب انتخابات الكنيست الثامنة ، يشير بغير شك الى كثير من المتغيرات التي ترتبت على الحرب، والتي تحتاج الى كثير من الدراسة والبحث لاستخلاص النتائج .

الائتلاف الحكومي واختبار السلام

عندما صدر قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وقبل به العرب كأساس كاف لتحقيق شعار « ازالة آثار العدوان » ، لم تصدر اسرائيل بيانا علنيا واحدا يشير الى قبولها بهذا القرار الدولي ، طيلة الثلاث سنوات التي أعقبت حرب حزيران وسبقت تقدم وزير الخارجية الاميركي السابق وليم روجرز بالمشروع الذي عرف باسمه صيف عام ١٩٧٠ . ولم يكن يوجد خلال السنوات الثلاث تلك ، ما يشير الى أن اسرائيل مستعدة لقبول قرار مجلس الامن ، كمقدمة **لمفاوضات** تؤدي الى **انسحاب** من الاراضي العربية المحتلة . وقد لعبت في تصلب الموقف الاسرائيلي هذا عدة عوامل يتعلق جزء منها بالموقف العسكري العربي ، وآخر يتعلق بالوضع السياسي الاسرائيلي ، سواء على صعيد الائتلاف الحكومي في الداخل أو على صعيد العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية في الخارج ، هذه العلاقات **الخاصة** التي أمنت لاسرائيل غطاء دوليا للخروج على قرارات مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة .

أدرك الجانب العربي في تلك الفترة المتوسطة من تاريخ النزاع العربي الاسرائيلي حول الالتزام بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، **الاهمية السياسية لقبول اسرائيل العلني والرسمي بذلك القرار** . فخلال الفترة الاخيرة من حرب الاستنزاف التي يطلق عليها بعض الكتاب الاسرائيليين « حرب الالف يوم » ، كان الشرط الرئيسي الذي أعلن عنه جمال عبدالناصر لقبوله بوقف حرب الاستنزاف ، **قبول اسرائيل سلفا بقرار مجلس الامن** الشهير ، تمهيدا لموافقة الطرفين على مشروع روجرز كصيغة تطبيقية لبنود القرار الدولي . وبالفعل ، عندما أعلن عبدالناصر في خطابه بمناسبة الذكرى الثامنة عشرة للثورة المصرية قبوله بمشروع روجرز ، ظلت الحكومة الاسرائيلية مترددة من ناحيتها

طوال المدة من ٧/٢٣ — ١٩٧٠/٨/٤ ، حيث صدر قرار رسمي اسرائيلي بقبول مشروع روجرز كصيغة تنفيذية لقرار مجلس الامن .

لم يكن هذا الاعلان من جانب اسرائيل مؤشرا لقدرة وفاعلية ضغط الولايات المتحدة على اسرائيل ، في هذه الواقعة المحددة ، بل كان اختبارا للحكومة الائتلافية الاسرائيلية أمام « فرص السلام » . فقد كان وزراء ونواب احد أطراف الائتلاف الحكومي الذي تشكل عشية حرب حزيران واستمر بعد انتخابات الكنيست السابعة عام ١٩٦٩ ، يقفون موقفا معارضا أمام قبول الحكومة الاسرائيلية بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . لذلك لم يجد وزراء هذه المجموعة المعارضة من حزبي حيروت والاحرار (جاحال) بدا من انسحابهم من الحكومة ، انسجاما مع موقفهم الرافض للقرار الدولي وبالتالي الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ .

المعارضة والبديل الحكومي

شن الوزراء المنشقون ، استنادا الى قاعدتهم النيابية في الكنيست ، حملة سياسية عنيفة على الحكومة ، متهمين اياها بالاستسلام للضغط الاميركي تمهيدا للتنازل عن المناطق « المحررة » من أرض اسرائيل الكاملة . وقد شارك نواب ووزراء جاحال مجموعة أخرى من الاحزاب السياسية اليمينية ويمين الوسط في حملتهم السياسية على الحكومة . غير انه بفعل عوامل كثيرة ، ليس هذه مجال عرضها ، استطاعت الحكومة الاسرائيلية احتمال الضغوطات الاميركية واستيعابها بالتالي ، دون أن يؤدي قبولها بمشروع روجرز الى انسحابها من الاراضي العربية المحتلة . وفوتت بذلك على المعارضة اتهاماتها لها بالاستسلام .

وقد تكون المعارضة اليمينية ، الى جانب عدة عوامل أخرى أيضا ، قد نجحت خلال السنوات الثلاث التي سبقت حرب تشرين الاول (اكتوبر) في صبغ سياسات الحكومة الاسرائيلية — خاصة تجاه المناطق المحتلة — بصبغة « صقرية » متشددة . الا أن ذلك لم يمنعها من السعي لطرح نفسها بديلا للحكومة . وقد نظمت هذا السعي وسارت به خطى حثيثة على أعتاب المرحلة التمهيدية لانتخابات الهستدروت التي جرت في شهر أيلول (سبتمبر) الماضي وانتخابات الكنيست التي كان من المقرر اجراؤها في أواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) وتأجلت الى آخر شهر كانون الاول (ديسمبر) بسبب الحرب . فقد جرت خلال تلك الفترة حركة واسعة في صفوف المعارضة ، بهدف ايجاد تكتل انتخابي كبير يستطيع طرح نفسه كبديل قوي ومحتمل للائتلاف العمالي الذي يشكل العمود الفقري في الحكومة الراهنة . وكان أول من طرح فكرة التكتل بصورة عملية وجادة ، العميد (احتياط) اريك شارون . ففي المؤتمر الصحفي الذي عقده في تموز (يوليو) ١٩٧٣ ليعلن عن دخوله الحياة السياسية الى جانب حزب الاحرار ، طرح شارون فكرة التكتل هذه ، مقترحا اقامته من أحزاب حيروت ، الاحرار ، الاحرار المستقلون ، القائمة الرسمية ، المركز الحر ، وحركة أرض اسرائيل الكاملة . وتمت بالفعل اقامة هذا التكتل من الاحزاب المقترحة باستثناء حزب الاحرار المستقلين — أحد أطراف الائتلاف الحكومي الحالي ، الذي اشترط لانضمامه الى التكتل ، اعلان الاخير سلفا عن استعداده للتنازل عن بعض المناطق المحتلة .

خاض « التكتل » انتخابات الهستدروت الثانية عشرة التي جرت في أيلول (سبتمبر) الماضي ، وحقق بعض النجاحات على حساب تجمع الاحزاب العمالية الحاكمة المعروف باسم « المعراخ » ، والمكون أساسا من حزب العمل (ماباي ، أحدوت هاعفودا ، رافي) وحزب المابام . واستنادا الى انتخابات الهستدروت ، والى بعض الاستفتاءات الجزئية

التي اجرتها معاهد متخصصة بقياس الراي العام في اسرائيل(١)، فقد كان من المتوقع أن يحرز « التكتل » اليميني المعارض تقدما هاما في انتخابات الكنيست الثامنة ، من غير أن يؤدي ذلك التقدم الى تهديد مركز الائتلاف العمالي الحاكم الى الحد الذي يحول دونه وتشكيل الحكومة الجديدة للاربع سنوات القادمة .

الحرب تؤجل الانتخابات

من بين ما أدت اليه حرب تشرين الاول، استحالة اجراء انتخابات الكنيست في موعدها المقرر في ١٩٧٣/١٠/٣٠ ، نظرا لما طرحته هذه الحرب من وقائع جديدة وما أدت اليه من نتائج هامة على كافة المستويات في اسرائيل خاصة ، والمنطقة بشكل عام . فقد كان الابقاء على الانتخابات في موعدها المقرر يعني دعوة الناخب الاسرائيلي الى الاقتراع على برامج وقوائم انتخابية أعدت في ظروف ما قبل تشرين . اضافة الى ذلك فقد حالت بعض الصعوبات الفنية واجراء الانتخابات في موعدها . ونعني بها حالة التعبئة والاستنفار العام ووجود بعض المرشحين من ضباط الاحتياط في الخدمة الفعلية ، وهو أمر يتعارض مع اللوائح والقوانين الانتخابية التي تهدف في مجموعها الى اقصاء الجيش الاسرائيلي عن الحياة السياسية الحزبية بكل ما فيها من صراعات(٢).

أمام هذا الوضع الاستثنائي ، بادر التجمع العمالي الذي يستند الى ٥٧ مقعدا في الكنيست الى الاتصال بزعيم « التكتل » مناحيم بيجن ، الذي يستند بدوره الى ٣١ مقعداً في الكنيست ، لاستصدار قرار من الهيئة التشريعية بتأجيل الانتخابات الى ١٢/١١/ ١٩٧٣ . غير أن الكنيست ، وبعد اجراء النقاش ، أقرت بأغلبية كبيرة تأجيل الانتخابات الى ١٩٧٣/١٢/٣١ .

لاول مرة في تاريخ الحياة السياسية الاسرائيلية جرى تحت تأثير ظرف استثنائي تمديد سلطة الهيئة التشريعية (الكنيست) لمدة شهرين . الا أن فترة التأجيل هذه بدت أمام بعض القوى السياسية الاسرائيلية ، ومن بينها أحزاب من ضمن الائتلاف الحكومي ، غير كافية لاحداث تبديلات معينة في البرامج والقوائم الانتخابية على ضوء ما أسفرت عنه حرب تشرين . وكان من أبرز القوى السياسية المطالبة بتأجيل الانتخابات ، حزب المفدال (القوميون الدينيون) الذي طالب بتأجيلها لمدة سنة كاملة(٣). فقد طالب المفدال — عضو الائتلاف الحكومي الراهن — بتشكيل حكومة وحدة وطنية خلال هذه السنة تضم مختلف الاتجاهات السياسية الرئيسية في اسرائيل . ولم تقتصر المطالبة بتأجيل الانتخابات على حزب المفدال بل تعدت ذلك الى حزب العمل نفسه . وقد أظهرت هذا الامر المناقشات التي جرت في اللجنة المركزية لحزب العمل التي عقدت يوم ٢٨/١١/ ١٩٧٣ ، والتصويت الذي أجرته اللجنة عقب المناقشة على مشروع قرار باجراء الانتخابات في موعدها المقرر في ١٩٧٣/١٢/٣١ . فقد صوت مع قرار اجراء الانتخابات في نفس موعدها ٣٠١ عضو بينما عارض القرار ٨٧ عضوا(٤) ، الامر الذي يؤكد ان هناك اقلية قوية في الحزب تنادي بالتأجيل ، غير ان قيادة الحزب ووزراءه الرئيسيين استطاعوا ان ينالوا اغلبية الاصوات لكي يمرروا مشروع القرار القاضي باجراء الانتخابات في موعدها المقرر الجديد .

الحرب تعدل البرامج الانتخابية

المعارضة اليمينية من خلال « التكتل » ، اعتبرت أن حرب تشرين جاءت لتثبت صحة ما قالته بعدم التخلي عن المناطق المحتلة حتى لا **تدور الحرب مستقبلا** داخل « حدود » اسرائيل ، وبالتالي وانسجاما مع خطها السياسي هذا اعتبرت برنامجها لانتخابات الكنيست الثامنة يتلائم مع الضرورات الامنية الاسرائيلية ، ويحقق لها أفضل

الاوضاع العسكرية خلف حـدود طبيعية ، كما يتيح لها تحقيـق اسرائيل في حدودها التوراتية(٥). اي ان « التكتل » لم يعتبر ان الحرب ، بكل نتائجها وانعكاساتها البعيدة المدى في الحياة الاسرائيلية ، تستوجب مراجعة البرنامج الذي أعد في ظروف ما قبل حرب تشرين . ولا نستطيع القول ــ في الاسبوع الاول من كانون الاول (ديسمبر) ــ ما اذا كان القرار الذي اتخذه حزب الاحرار ، أحد الشركاء الاساسيين في « التكتل » ، والذي أعلن فيه استعداده للقبول « بتسوية اقليمية في سيناء بشرط أن تؤخذ فيها مصالح الدولة الحيوية بعين الاعتبار » ، يمكن ان يشير الى استعداد لدى « التكتل » لتقديم تنازلات ، واجراء تغييرات معينة في برنامجه الانتخابي(٦).

غير ان أكبر التأثيرات التي خلفتها الحرب في الحياة الحزبية الاسرائيلية ، كان يبدو جليا في النقاشات التي أدارتها منظمات حزب العمل الاسرائيلي الحاكم ولجانه وشريكه حزب المابام . فمن المعروف أن اتجاهات « الصقور » قـد سادت برامج وسياسات الائتلاف العمالي الحاكم ، خصوصا خلال الثلاث سنوات الماضية . وقـد عبرت هذه السياسة المتصلبة عن نفسها فيما أصبح يعرف بوثيقة جاليلي ، الوزير بلا وزارة في حكومة جولدا مائير . وقبل أن نتطرق الى شرح وتبيان ما خلفته حرب تشرين على برنامج حزب العمل ، لا بد من مراجعة سياسة هذا الحزب تجاه المناطق المحتلة من خلال وثيقة جاليلي الشهيرة ، التي وضعت قبل الحرب والتي تعتبر تجسيدا لنهجه السياسي الذي ازداد تصلبا خلال السنوات الثلاث الماضية .

وثيقة جاليلي

لم يدخل حزب العمل على برنامجه الانتخابي لعام ١٩٧٣ أية تعديلات. واعتبر الحزب أن برنامجه لانتخابات الكنيست السابعة عام ١٩٦٩ ، هو برنامجه لانتخابات الكنيست الثامنة لهذا العام . غير أنه ارضاء لصقور الحزب ومحافظة على وحدته أمام تهديدات موشيه ديان بالخروج من الحزب ، أضيف على برنامج حزب العمل الانتخابي لعام ١٩٦٩ ما أصبح يعرف باسم وثيقة جاليلي، التي جاءت كحل وسط بين اتجاهات الحزب المختلفة بما يرضي بشكل أساسي رغبة « الصقور » .

ووثيقة جاليلي هذه « ليست قرارات متفق عليها مـن الحزب والمعراخ ، بل هـي توصيات من وزراء حزب العمل . وتقدم رئيسة الحكومة هذه التلخيصات للتصديق عليها من قبل المؤسسات ذات الصلاحية »(٧). وهذه المؤسسات كما يسميهـا جاليلي هي : الحزب ، المعراخ والحكومة . ويمكن استعراض الخطـوط الرئيسية في هذه الوثيقة كما يلي :

١ ــ فيما يتعلق بقطاع غزة تعمل الحكومة على تأهيل اللاجئيـن وتطوير القطاع اقتصاديا خلال الاربع سنوات القادمة. ويتضمن ذلك اقامة مباني سكنية للاجئين بالقرب من مخيماتهم وترميم هذه المخيمات .

٢ ــ اعداد خطة عمل لتطوير الضفة الغربية اقتصاديا وتحسين الخدمات الحيوية فيها . وتؤمن الحكومة الجديدة التمويل اللازم للتنفيذ .

٣ ــ يتم تمويل خطة تطوير الضفة الغربية بتنسيق بيـن وزارتي الدفاع والمالية . وتبذل جهود خاصة للحصول على تمويل من الخارج لخطة توطيـن وتأهيل اللاجئيـن وتطوير المناطق .

٤ ــ تقدم الحكومة تسهيلات لتشجيـع المبادرين الاسرائيليين في اقامـة المشاريع الصناعية في المناطق المحتلة ، بنفس القدر مـن التسهيلات التـي تقدمها الحكومـة للمستثمرين الاسرائيليين في أفضل المناطق باسرائيل .

٥ ــ تقديم المساعدة للنشاطات الذاتية لسكان المناطق المحتلة ، تمهيدا لشغلهم المناصب المدنية في ادارة الحكم العسكري بما لا يتعارض والمقتضيات الامنية الاسرائيلية.

٦ ــ تعتمد الحكومة نفس سياستها السابقة تجاه مسألة سياسة الجسور المفتوحة.

٧ ــ يظل العمل غير العبري في اسرائيل مراقبا من الناحية العددية والاقليمية . على أن تعمل الحكومة على تحسين ظروف العمال العرب و« مساواتهم » بالعمال الاسرائيليين .

٨ ــ فيما يتعلق بالمستوطنات العسكرية والمستوطنات ، تقام مستوطنات جديدة وتقوى شبكة المستوطنات وزيادة عدد السكان فيها عن طريق تطوير الخدمات والصناعات والاصطياف فيها . وتحدد الميزانية السنوية المطلوبة لاقامة هذه المستوطنات ، وفقا لتوصيات قسم الاستيطان وتصدق عليها اللجنة الوزارية للاستيطان بهدف اقامة مستوطنات اضافية خلال الاربع سنوات القادمة في مشارف رفح وغور الاردن وهضبة الجولان .

ــ مستوطنة مدينية ــ صناعية في هضبة الجولان .

ــ مركز اقليمي في غور الاردن .

ــ تطوير شمال شرق بحيرة طبريا وشمال غرب البحر الميت .

ــ تنفيذ مشاريع المياه المخططة .

٩ ــ المركز الاقليمي في مشارف رفح يؤمن استمرار تطويره حتى يصل الى ٨٠٠ وحدة سكنية حتى سنة ٧٧ ــ ١٩٧٨ .

١٠ ــ تجميع وشراء الاراضي في المناطق المحتلة .

ــ زيادة الجهود في تجميع الاراضي لاحتياجات المستوطنات القائمة والمخطط لها .

ــ تعمل ادارة الاراضي الاسرائيلية على زيادة شراء الاراضي والاملاك في المناطق المحتلة لاحتياجات الاستيطان والتطوير ومبادلة الاراضي .

ــ تقوم الادارة بتأجير الارض للشركات والافراد لتنفيذ خطط التطوير المعتمدة .

ــ تعمل الادارة على شراء الاراضي بكل الطرق عن طريق الافراد والشركات وذلك بالتنسيق مع الادارة وملكيتها .

ــ اذا لم تكن ادارة الاراضي غير معنية بشراء بعض الارض فعليها أن تصدق على مشتريات الافراد والشركات من هذه الاراضي . ويتم التصديق على الشراء فقط اذا كان بهدف البناء وفي اطار سياسة الحكومة .

ــ تستعمل الادارة أيضا لشراء الاراضي التي تم شراؤها من قبل اليهود .

١١ ــ فيما يتعلق بالقدس ، يستمر الاسكان والتطوير للعاصمة وضواحيها بهدف تركيز الاستيطان خارج الحدود البلدية للقدس « الموحدة » بعد حرب حزيران . وتبذل الحكومة جهودها لشراء الاراضي واستغلال أراضي الدولة في اطار المناطق الواقعة شرق وجنوب القدس ، وهي المناطق التي قررت الحكومة اعتبارها مناطق مغلقة .

١٢ ــ تنفيذ قرار الحكومة بشأن اسكان النبي صموئيل .

١٣ ــ تدرس المعطيات الطبيعية والاقتصادية والسياسية بهدف اتخاذ الحكومة قرارا بانشاء ميناء عميق جنوب مدينة غزة .

١٤ ــ تؤمن الظروف المطلوبة لاقامة مركز صناعي لمدينة كفار سابا فيما وراء « حدود » اسرائيل لعام ١٩٦٧ ، بهدف تطوير صناعة اسرائيلية في منطقتي قلقيلية وطولكرم .

خلفيات الصراع داخل حزب العمل

يمكن اعتبار الصراع الاساسي داخل حزب العمل متجسدا في الصراع بين الكتلتين الرئيسيتين فيه ، وهما كتلة حزب الماباي وحزب رافي سابقا . فحزب الماباي (حزب عمال اسرائيل) هو الكتلة الرئيسية الاولى في حزب العمل . وهو الذي ظل منذ قيام اسرائيل، وتأسيسه على يد دافيد بن غوريون ، رئيس وزراء اسرائيل الاسبق ، يشكل الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ويحتكر المناصب الرئيسية فيها ، مثل رئاسة الحكومة ، وزارة الخارجية ، الدفاع والمال . والاستثناء الوحيد الذي احتل فيه منصب وزير الدفاع شخص من خارج حزب الماباي ، كان ذلك موشيه ديان الذي فرضته الاحزاب اليمينية والدينية عشية حرب حزيران ، كوزير للدفاع في حكومة الائتلاف القومي السابقة .

فقد كان ديان منذ انتخابات الكنيست السادسة عام ١٩٦٥ ، على رأس قائمة انتخابية منشقة عن حزب الماباي ، الى جانب دافيد بن غوريون . وقد عرفت هذه القائمة باسم قائمة عمال اسرائيل (رافي) . الا أن « رافي » لم تحرز في انتخابات الكنيست السادسة غير عشرة مقاعد فقط ، مما قضى على أحلام بن غوريون ــ ديان في تشكيل بديل لحزب ماباي الام يستطيع الوصول بهما الى السلطة . غير ان ديان الحالم بما هو أكثر من وزارة الدفاع ، لم يجد طريقا لذلك غير العودة الى الحزب الام . وبالفعل ، وقبيل انتخابات الكنيست السابعة عام ١٩٦٩ ، بدأ ديان يلوح بالانضمام الى التكتل اليميني (جاحال) ضد التجمع العمالي ، الامر الذي دفع بحزبي الماباي وأحدوت هاعفودا الى افساح المجال لحزب رافي بالانضمام اليهما في حزب العمل الاسرائيلي . ولكن رغم اندماج الاحزاب الثلاثة ، فقد ظل كل حزب فيهما محافظا على استقلاليته وقاعدته داخل الحزب الجديد .

ولقد لعب انتصار اسرائيل العسكري ، في حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، في جعل ديان بطلا قوميا في اسرائيل ، الامر الذي عزز من سلطته ونفوذه داخل حزب العمل . ولذلك فقد كانت مفاهيم ديان واستراتيجيته هي السائدة في سياسات الحزب منذ تكوينه . خصوصا بما يتعلق من هذه السياسات بالنزاع العربي الاسرائيلي ومسألة المناطق العربية المحتلة . ولم تستطع « حمائم » كتل أحدوت هاعفودا وحزب المابام ــ شريك حزب العمل في الائتلاف العمالي ــ الحد من نفوذ وسيطرة ديان داخل الحزب والائتلاف العمالي والحكومة الاسرائيلية . وهكذا فقد صبغت سياسات الحزب خلال السنوات الاخيرة بمزيد من الاتجاهات « الصقرية » وبمزيد من التحول العام نحو اليمين . وقد عبر ديان عن انتصاره على زعماء الحزب الاخرين فيما عرف باسم وثيقة جاليلي التي جاءت ملبية لرغبات ديان ، بل وكأنها فرض رأي من جانبه على قادة الحزب والحكومة .

وبالطبع، لم يكن قادة الكتل الاخرى في الحزب قد رضخوا لاتجاهات ديان «الصقرية». غير أن الامر كان متعلقا بوحدة الحزب وهو على أبواب مرحلة من الصراع السياسي القاسي مع الاحزاب اليمينية التي تجمعت في « التكتل » بقيادة مناحيم بيجن ، المنافس الرئيسي لجولدا مائير على رئاسة الحكومة . لهذا السبب يمكن فهم عودة جولدا مائير عن اعلانها السابق بعزمها على عدم ترشيح نفسها لرئاسة الحكومة الجديدة ، بعد انتخابات الكنيست لعام ١٩٧٣ . فقد أدركت مائير أن تركها منصب رئاسة الحكومة في هذه المرحلة ، سوف يؤدي الى تأجيج الصراع داخل الحزب بين كتله وزعمائه المتنافسين على مقعد رئاسة الحكومة ، مما قد يؤدي بالتالي الى انهيار وحدة حزب العمل . فبعد

أن رددت مائير طوال الاشهر الاخيرة من عام ١٩٧٢ والاشهر الاولى من عام ١٩٧٣ ، عزمها على عدم الاستمرار في منصب رئيسة الحكومة في الولاية الجديدة، لاسباب صحية كما ادعت ، عادت لتعلن تراجعها عن ذلك وترك الامر لما يقرره الحزب . وبالطبع فقد كان الحزب بحاجة اليها في هذه المرحلة التي تهدد مصير الحـزب بأكمله . وقد علقت جريدة دافار على تراجع مائير عن قرارها السابق بقولها ، ان ذلك « يكمن في شبكة من التقديرات ، في جوهرها تقديرات تتعلق بالجو المخيم حاليا داخل حزب العمل ، والذي يستدعي استمرار بقاء مائير في مركز القيادة لضمان وحدة الحزب »(٨).

نقاشات حزب العمل وموضوعاته

احتدمت المظاهر العلنية للصراع الداخلي في حزب العمل الاسرائيلي بعد حرب تشرين، من خلال استقالة وزير العدل في حكومة مائير الحالية ، يعقوب شمشون شابيرا ، الذي عرض استقالته في جلسة الحكومة التـي عقدت يوم ١٩٧٣/١٠/٣٠ ، اثـر مطالبته باستقالة موشيه ديان ورفض الحكومة لطلبه هذا(٩).

لقد حمل شابيرا ــ أحد وزراء حزب العمل من كتلة ماباي ــ مسؤوليـة الخسائر الكبيرة التي تحملتها اسرائيل في حرب تشرين الى موشيه ديان بصفته المسؤول الاول عن الامن واعداد البلاد للحرب . الا أن مائير التي أدركت حراجة الظرف السياسي الذي طرح فيه شابيرا وجهة نظره علانية ، جعلها تقف موقفا صلبا الى جانب ديان ، ليس حفاظا على وحدة الحزب فقط وانما **لخطورة الوضع العسكري الدقيق الذي وجدت فيه اسرائيل نفسها بعد وقف اطلاق النار**. وقطعا على كل المواقف المحتملة من جانب خصوم ديان في الحزب والحكومة ، اعتبرت مائير الحكومة كلها مسؤولة بالتضامن عما حدث في حرب تشرين . غير ان هذا الموقف الصلب من قبل مائير لم يضع حدا للمطالبة بعزل ديان من منصبه . فقد وصلت المطالبة الى الشارع ، حيث أخذ المتظاهرون من ذوي الاسرى والمفقودين يطالبون بطرد ديان من منصبه(١٠). لكن مائير لم تكن تعير المطالبين بعزل وزير دفاعها من خارج الحزب والشارع ، القدر نفسه من الاهتمام الذي ركزته على خصوم ديان داخل حزب العمل نفسه . لذلك بقي كل شيء في الحزب تحت السطح ، حتى موعد انعقاد اللجنة المركزية للحزب (٦٠٠ عضو) في تل أبيب يوم ١٩٧٣/١١/٢٨.

أدركت قيادة الحزب ووزراؤه في الحكومة ، أهمية اجتماع اللجنة المركزية للحزب . وقد وصف هذا الاجتماع بأنه الاخطر في تاريخ الحـزب منذ تأسيسه(١١)، لانه سيقرر البرنامج الانتخابي للحزب ويبت في كثير من المسائل التي أثارتها الحرب علـى مختلف نواحي الحياة في اسرائيل .

فالى جانب وضع الخطوط العامة لحملة الحزب الانتخابية ، كان على حزب العمل أن يثبت او يعدل في قيادته الحالية ، كما كان على اللجنـة المركزيـة كذلك ان تبت في مصير وثيقة جاليلي التي وضعت في ظروف ما قبل حرب تشرين الاول (اكتوبر). ولم يكن كل ذلك فقط ما هو على جدول أعمال اللجنة المركزية . فقد كان عليها أن تنظر في طلب حزب المفدال ــ شريك حزب العمل في الحكومة ــ وعدد من أعضاء حزب العمل نفسه بتأجيل موعد الانتخابات لمدة سنة أخرى على أن تشكل خلال تلك الفترة حكومة ائتلاف قومية أو حكومة طوارىء وطنية . كما كان على لجنة حزب العمل المركزية أن تنظر في العديد من المطالبات من داخل الحزب وخارجه بفتح قوائم المرشحين لانتخابات الكنيست وادخال تبديل في ترتيب أسماء المرشحين ، واستبدال بعضهم بآخرين من أعضاء الحزب من غير المرشحين .

واجهت جولدا مائير ــ رئيسة الحزب ــ كل هذه المسائل وهي مستندة الى تمسك

مختلف كتل الحزب بزعامتها الوحيدة القادرة على حفظ وحدة الحزب واستمراره . كما بادرت عدة لجان حزبية من عدة مناطق بالاعراب سلفا عن تأييدها العلني لزعيمة الحزب ورئيسة الحكومة . ففي يوم ١١/٢٧ ، وقبل انعقاد مؤتمر اللجنة المركزية ، أعلن أعضاء لجنة تل ابيب في حزب العمل عزمهم على الوقوف الى جانب مائير في اجتماع اللجنة المركزية التي ستعقد في اليوم التالي . كما قررت لجنة تل أبيب ضمان استمرار مائير في منصبيها كرئيسة للحزب وللحكومة المقبلة ، الا انها أعلنت الى جانب ذلك رغبتها في جعل برنامج الحزب يتلاءم مع الواقع الجديد الناجم عن حرب تشرين . وأيدت كتلة تل أبيب ، مؤتمر قادة الطلبة والعاملين المركزيين من أعضاء الحزب ، الذين دعوا اللجنة المركزية ايضا الى اجراء تعديلات بعيدة المدى في البرنامج الانتخابي عن طريق الغاء وثيقة جاليلي بصورة فورية . كما طالبوا رئيسة الحكومة أن تبدل تمثيل الحزب في الحكومة المقبلة والاعلان عن التشكيلة الجديدة للحكومة قبل الانتخابات(١٢) .

وقبيل انعقاد اللجنة المركزية بساعات ، اجتمعت لجنة مكونة من عشرة أشخاص من زعماء حزب العمل ، يمثلون المجموعات الرئيسية الثلاث ، بغية بلورة موقف سياسي مشترك ، يعرض على اجتماع اللجنة المركزية ، على انه وجهة نظر مشتركة . وكان من بين أعضاء هذه اللجنة الوزراء : بنحاس سابير وزير المالية ، ييجال الون نائب رئيسة الحكومة ووزير المعارف ، حاييم بارليف وزير التجارة والصناعة وابا ايبن وزير الخارجية . وهؤلاء جميعا يعتبرون من جناح « الحمائم » في الحزب . كما شارك في أعمال هذه اللجنة أيضا الوزيران : موشيه ديان وزير الدفاع وشمعون بيرس وزير النقل المعتبران من جناح « الصقور » في حزب العمل(١٣) .

اقرت لجنة العشرة الخطوط العريضة للبرنامج الانتخابي وعرضته على اجتماع اللجنة الموسع مساء يوم ١٩٧٣/١١/٢٨ . ويبدو أن المسائل الرئيسية التي شغلت بها لجنة العشرة ، كما شغلت فيما بعد اللجنة المركزية ، كانت مستقبل المناطق المحتلة في ضوء نتائج حرب تشرين واحتمالات عقد مؤتمر جنيف للسلام . لذلك فقد انصب اهتمام الاعضاء على وثيقة جاليلي بين المطالبين فورا بالغائها وبين المطالبين باعتمادها في المرحلة المقبلة . فقد وقفت الغالبية في قيادة الحزب الى جانب الوثيقة للحد من النقاشات والاتهامات التي كانت متوقعة ان تثار في وجه قيادة الحزب والحكومة بما في ذلك وزير الدفاع ورئيسة الحكومة ، وللحيلولة دون انفجار الخلافات الشخصية غير المرغوب فيها من قبل الحزب وهو على أعتاب انتخابات الكنيست .

لكل ذلك ، جاء البرنامج الانتخابي السياسي للحزب تعبيرا عن الخلافات العميقة داخل اللجنة المركزية . « فالحمائم » اعتبرته انتصارا لها كما اعتبره الصقور انتصارا لهم في المقابل . وتستند « الحمائم » في رأيها هذا على جملة معطيات في البرنامج الانتخابي السياسي الجديد . ومثال ذلك ان البرنامج لم يأت على ذكر لوثيقة جاليلي ، كما انه خلافا للمبادىء الشفهية التي وجهت مسار الحزب حتى الآن ، لم يأت ذكر للمناطق « الحيوية » لاسرائيل مثل هضبة الجولان وغزة وشرم الشيخ ، أو أن نهر الاردن يعتبر حدود اسرائيل الامنية الطبيعية . ففي الوثيقة الجديدة جرى الحديث عن حدود قابلة للدفاع وعن عدم العودة الى خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ . والامر الوحيد التفصيلي في برنامج الحزب هو **أن القدس الموحدة ستبقى عاصمة اسرائيل** . وباستثناء هذا النص فان الوثيقة الجديدة تشير الى مزيد من المرونة في المفاوضات المحتملة . أما « الصقور » الذين يعتبرون الوثيقة انتصارا لهم ، يستندون الى ذلك على معطيات أخرى من بينها أن الوثيقة لا تزال غير واضحة ، وان التغيير الذي طرأ هو **تغيير في النص فقط وليس تغييرا مبدئيا**(١٤) . غير ان المراقبين والمعلقين في الصحف الاسرائيلية يعتقدون ان « الحمائم »

كانت لهم هذه المرة الكفة الراجحة (معاريف ١٩٧٣/١١/٢٩) ، فلأول مرة تورد في وثيقة رسمية صادرة عن حزب العمل الاسرائيلي عبارة الكيان الفلسطيني ، بالرغم من ان سكرتير حزب العمل أهرون يادلين ، لا يعتبر ذلك اعترافا بالكيان الفلسطيني كما تفهمه منظمات المقاومة الفلسطينية ، بل هو **اقتراح على مؤسسات الحزب لاخذ موقف** من الكيان الفلسطيني . اذ جاء في الوثيقة أن الكيان الفلسطيني والاردن **يمكن** التعبير عنهما في دولة واحدة عربية تقع شرقي دولة اسرائيل(١٥) .

ورغم كل الاجتهادات المختلفة في أوساط حزب العمل والصحافة الاسرائيلية حول ما اذا كانت الوثيقة الجديدة تشكل تراجعا لمصلحة « الحمائم » بالتعبير السياسي ، أم أنها على العكس من ذلك ، فانها تظل باعتراف العديد من الاسرائيليين لم تكرس نهجا سياسيا جديدا للحزب بل تكرس بالفعل مختلف اتجاهات كتل الحزب لتبقى في النهاية قاسما مشتركا بين جميع الاتجاهات والمواقف المتصارعة . فسكرتير حزب العمل ، يادلين يقول بأن المبادىء (وثيقة الاربعة عشر بندا الاخيرة) الجديدة لم تأت لنفي او دعم وثيقة جاليلي وان هـذا البرنامج يؤكد الاستنتاجات الاساسية التي تحتمها الظروف ونتائج حرب تشرين ، فهذه المبادىء لم تتطـرق الى ما يسمى بالنظريـة الشفهية ولم ترسم خرائط(١٦) . وقد جاءت تصريحات جولدا مائير في اختتام اجتماع اللجنة المركزية يوم ١٩٧٣/١٢/٦ لتؤكد ذلك حينما تحدثت عن وثيقة جاليلي بقولها : « ان الوثيقة لـم تلق في سلة المهملات ، فاذا توفرت لدينا الاموال ، نستطيع ان نجلس ونقرر ما ينبغي تنفيذه من مخطط العمل الوارد في وثيقة جاليلي ، ولكن اذا كان الاشتراك بمؤتمر جنيف يتطلب الغاء هذه الوثيقة كشرط لتحقيق السلام فدعونا اذن نقترع (على الغائها)(١٧) . اما تعليق اربيه الياف ـــ عضو حزب العمل واكثر الحمائـم اعتدالا ـــ على الوثيقـة الجديدة ، فهو يؤكد صحة الاستنتاج بان برنامج حزب العمل الجديد جاء توفيقيا بـين مختلف الاتجاهات المتصارعة داخل الحزب . اذ ان الياف الذي يقدم اقتراحا صريحـا بالغاء وثيقة جاليلي يقول : « انه بعد جلسة اللجنة المركزية قبل ايام ، بدا ان ثمة مئة تفسير للاربعة عشرا بندا (الوثيقة الجديدة) ومنها تفسـيرات متناقضة يراهـا الذين وضعوا نص الوثيقة ، فبعضهم يقول ان وثيقة جاليلي لا تزال قائمة .(!)(١٨) .

ما الذي أسفرت عنه نقاشات حزب العمل

ان أهم النتائج السياسية التي اسفرت عنها نقاشات اللجنة المركزية لحزب العمل ، فيما يتصل بالنزاع العربي ـــ الاسرائيلي ، هو البرنامج الانتخـابي السياسي الـذي سيتقدم على ضوء مرشحو الحزب الى انتخابات الكنيست القادمة ، والذي ستلتزم به الحكومة كمرشد لعملها السياسي ، في حال نجاح الحزب في الانتخابات ، خلال الاربعة اعوام القادمة . وفي هذا البرنامج يؤكد الحزب التزامه بعدم العودة الى حدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧ بل الى حدود يمكن الدفاع عنها ترتكز على حل اقليمي وسط . كما يؤكد الحزب على وجوب المحافظة على الطابـع اليهودي للدولة من اجل تحقيـق اهدافها الصهيونية ومهماتها في هجرة واستيعـاب يهود العالـم . وينص الحزب في برنامجه الانتخابي السياسي على ضرورة ان تكون الصيغة التطبيقية للسلام تعني قيام علاقات طبيعية بين اسرائيل والدول العربية في مختلف الحقول السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وفيما يتعلق باتفاق السلام مـع الاردن ينص البرنامج علـى وجوب قيام دولتين مستقلتين : اسرائيل وعاصمتها القدس الموحدة ، ودولة عربية الى الشرق منها تمكن للهويـة الذاتية للفلسطينيين والاردنيين ان تعبر عـن نفسها **بسلام** وعلاقات وجوار جيدة مع اسرائيل . والى جانب ذلك يرفض البرنامج قيام دولة عربية فلسطينية منفردة غرب نهر الاردن (في الضفة الغربية وقطاع غزة)(١٩) .

اما النتائج العملية الاخرى التي اسفـرت عنها اجتماعـات اللجنة المركزية لحزب العمل ، على الصعيد الداخلي الاسرائيلي ، فيمكن اجمالها كما يلي :

١ ــ برزت جولدا مائير كزعيمة قادرة وحدها دون غيرها من قيادة حزب العمل على التوحيد بين مختلف اتجاهاته والمحافظة على وحدته التنظيمية في هذه المرحلة . فبقدر ما ابرزت نقاشات اللجنة اختلاف الاراء وتصارع الاتجاهـات ، ابـرزت بالقدر نفسه اجماع الكتل على اختلافها على التمسك بزعامة مائيرا للحـزب وللحكومة القادمة في حال تشكيلها من قبل حزب العمل بعد فوزه في الانتخابات القادمة ، الامر الذي اكـد بالضرورة سيطرة الاتجاه « الصقري » في الحزب معززا من قبـل سلطة ونفوذ مائير الذي لا ينازع داخل الحزب . وتؤكد ذلك صحيفة معاريـف الاسرائيلية بقولها : « ان موقف جولدا مائير ازداد قوة في حزبها على الرغم من التقصير الظاهر والمستتر في حرب يوم الغفران »(٢٠) . وتثني صحيفة دافار قائلة : « ان السيدة مائير تحظى بثقة كافة كتل الحزب (حزب العمل)(٢١) .

٢ ــ اتخذ حزب العمل قرارا ضد مبدأ فتح لوائح المرشحين لانتخابات الكنيست(٢٢) . وهذا يعني بالضرورة منح ثقة الحزب لمرشحيه الذين وضعهم على قائمته الانتخابية قبل حرب تشرين ، دون تبديل في الاسماء او في ترتيبها على القائمة . ان الصيغة العمليـة لهذا القرار تعني بشكل مباشر نجاح القيادة التقليدية للحزب في الاحتفاظ بمواقعها رغم اتهامات الفشل والتقصير الذي واجهتها داخل الحزب وخارجه .

٣ ــ اتخذ الحزب قرارا بعدم تأجيل انتخابـات الكنيست القادمة ، واجرائهـا في موعدها الجديد الذي حدد يوم ١٩٧٣/٢/٣١(٢٣) . وهذا يعني قطع الطريق على ايـة محاولة من الاحزاب الاخرى للفوز بقرار من الكنيست يحظى بالاغلبية اللازمة للتأجيل لما يملكه حزب العمل بالاشتراك مع حليفه في الائتـلاف العمالي ، حزب المابام ، مـن اغلبية اصوات اعضاء الكنيست .

٤ ــ ارتبط هذا القـرار بصورة مباشرة برفض حـزب العمل لامكانية قيام حكومة طوارىء وطنية تضم احزاب المعارضة . وكانت مائير قـد رفضت قبل اتخاذ الحـزب لقراره بعدم تأجيل الانتخابات ، طلب الحـزب الديني القومي (المفدال) تأجيل موعـد الانتخابات لمدة عام وتأليف حكومة طوارىء وطنية(٢٤) . فعندما اجتمعت بوزراء المفدال الثلاثة في حكومتها الحالية (وزير الداخلية يوسف بورج ، وزير الاديان زيرح فارهفتيج ، وزير الشؤون الاجتماعية ميخائيل حزاني) ، الحوا عليهـا بان الوضع الحالي يحتـم تأليف حكومة واسعة ، سواء لمواجهة أمكان انعقاد محادثات السلام او لمواجهة اذا لم تعقد . لكن مائير رفضت طلبهم لانها تريد تفويضا سريعا من كنيست لم تنته مدة ولايته لدخول محادثات جنيف . فرئيسة الحكومة تعـرف من تجربتهـا السابقة مع حكومة الائتلاف المنحلة في صيف عام ١٩٧٠ ، ان مثل هذه الحكومة ستكون قيدا على حركتهـا السياسية وحريتها في المناورة خلال مفاوضات جنيف .

---

١ ــ حصلت قائمة جاحال في الاستفتاء الـذي اجرته مؤسسة « بوري » على ٣٢ مقعـدا ، اي بزيادة ستة مقاعد . وزاد المركز الحر عدد نوابه من اثنين الى خمسة نواب ، بينما حصل التجمـع العمالي عـلى خمسين مقعدا . اي بخسارة ستة مقاعد (هآرتس ١٩٧٣/٨/٣) .

٢ ــ من ابـرز ضباط الاحتياط الذين دخلـوا الخدمة الفعلية خلال حرب تشرين وبعدهـا ، العميد (احتياط) اريـك شارون من قائمـة التكتل ، والعميد (احتياط) اهارون ياريـف من قائمة المعراخ وممثل الجانب الاسرائيلي في مفاوضات الكيلو متر ١٠١ على طريق القاهرة ــ السويس .

٣ — ١٩٧٣/١١/٢٧ . **نشرة رصد اذاعة اسرائيل** . عدد ٤٠١ .

٤ — ١٩٧٣/١١/٢٨ . ر.أ.أ.

٥ — تصريح مناحيم بيجن زعيم « التكتل » الذي القاه في اجتماع للتكتل في الرملة يوم ١٢/٥/ ١٩٧٣ الذي قال فيه ان الطريق الى السلام ... دون شروط ودون مقابل لن يقرب السلام، بل انه سيسهل على العرب تدمير اسرائيل ر.أ.أ. . عدد ٤٠٨ .

٦ — ١٩٧٣/١٢/١ . ر.أ.أ. . عدد ٤٠٤ .

٧ — **يديعوت أحرونوت** ١٩٧٣/٨/١٦ .

٨ — **دافار** ١٩٧٣/٦/١٨ .

٩ — ١٩٧٣/١٠/٣٠ . ر.أ.أ. . عدد ٣٧٨ .

١٠ — حمل عدد من المتظاهرين امام مقر اجتماعات اللجنة المركزية لحزب العمل بتل ابيب شعارات مكتوب عليها : « لا نريد حرب يوم ديان » ١٩٧٣/١١/٢٨ . ر.أ.أ. . عدد ٤٠٢ .

١١ — ١٩٧٣/١١/٢٧ . ر.أ.أ. ملحق العدد ٤٠١ .

١٢ — ١٩٧٣/١١/٢٧ . ر.أ.أ. . عدد ٤٠١ .

١٣ — ١٩٧٣/١١/٢٨ . ر.أ.أ. . عدد ٤٠٢ .

١٤ — **المصدر نفسه** .

١٥ — ١٩٧٣/١١/١٩ . ر.أ.أ. . ملحق العدد ٤٠٢ .

١٦ — ١٩٧٣/١١/٢٩ . ر.أ.أ. . عدد ٤٠٣ .

١٧ — ١٩٧٣/١٢/٦ ر.أ.أ. ملحق العدد ٤٠٨ .

١٨ — ١٩٧٣/١٢/٥ . ر.أ.أ. . ملحق العدد ٤٠٧ .

١٩ — **دافار** ١٩٧٣/١١/٢٩ .

٢٠ — **معاريف** ١٩٧٣/١١/٢٧ .

٢١ — **دافار** ١٩٧٣/١١/٢٨ .

٢٢ — ١٩٧٣/١١/٢٨ . ر.أ.أ. . ملحق ٤٠٢ .

٢٣ — **المصدر نفسه** .

٢٤ — ١٩٧٣/١١/٢٧ . ر.أ.أ. . عدد ٤٠١ .

العلاقات الاقتصادية بين اسرائيل وافريقيا

انطوان منصور

تحاول هذه الدراسة أن تساهم بتوضيح أهمية العلاقات الاقتصادية القائمة بين اسرائيل والقارة الافريقية من خلال ابراز الدور الذي تلعبه في تركيز وتدعيم الكيان الصهيوني ، لمواجهة العزلة الخانقة التي تتهدده في المنطقة العربية . ولا بد لاية محاولة جادة أن تضع بالحساب دور اسرائيل كقاعدة للامبريالية في هذه المرحلة التي تتميز بمحاولة الامبريالية ايجاد قواعد تساهم في تركيز وتدعيم نفوذها بالتصدي لكافة التيارات الوطنية والتحريرية والثورية لتحطيمها . كما يتبين ذلك من دور الحارس الامين لمصالح الولايات المتحدة في اميركا اللاتينية الذي تلعبه البرازيل وكذلك جنوب افريقيا وايران وتركيا بالنسبة للمناطق الاخرى .

لذلك تلتقي الجهود الاقتصادية والسياسية التي تبذلها اسرائيل في القارة الافريقية مع جهود كافة القوى الامبريالية كالولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا والبرتغال وغيرها . واذا كانت علاقة اسرائيل بافريقيا تكتسب أهمية كبرى من هذه الزاوية لانها تجسد التطور في الوسائل والاساليب التي تعتمدها الامبريالية الجديدة ، الا أنها على الصعيد الكمي ما زالت الشريك الصغير للقوى الامبريالية الكبرى المتواجدة في القارة الافريقية .

ولا بد هنا من الاشارة بأن قطع علاقات دول منظمة الوحدة الافريقية الديبلوماسية باسرائيل لا يعني قطع العلاقات الاقتصادية ، فاسرائيل تسلم دولا أخرى الاشراف على مصالحها ، كما حصل بالنسبة للمصالح الاميركية في جمهورية مصر العربية ، التي كانت تشرف عليها سفارة أخرى . ولكن قرار الدول الافريقية قد يكون له بعض الاثر على المصالح الاقتصادية الاسرائيلية في المستقبل . فالتغلغل الاسرائيلي في القارة الافريقية قد يواجه عدة صعوبات تختلف حسب الدول .

أهمية القارة الافريقية من الناحيتين السياسية والاقتصادية

كون اسرائيل محاطة على طول حدودها البرية بالدول العربية ، ولم يبق لها سوى طريقي الجو والبحر للاتصال بدول العالم ولا سيما الافريقية منها . يقول بن غوريون في هذا الشأن : « اننا محاصرون بريا والبحر هو طريقنا الرئيسية للمرور الحر الى يهود العالم وللاتصال بالعالم »(١). واجهت اسرائيل عدة صعوبات للاتصال بالدول الافريقية وبذلت كل الجهود من أجل ذلك . لهذا اشتركت في حرب السويس في عام ١٩٥٦ من أجل ضمان مرور سفنها والسفن القادمة اليها والسفن المغادرة موانئها في البحر الاحمر ومضائق تيران لان ذلك يشكل قضية حيوية بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي وروابطه مع الدول الافريقية والاسيوية .

ومن جهة أخرى ، تشكل الدول الافريقية أكثر من ثلث أعضاء الامم المتحدة وتعتبر سوقا هاما للمنتوجات الصناعية الاسرائيلية ومصدرا للمواد الخام لاسرائيل . ولا تتمكن اسرائيل من تحقيق الارباح وبيع منتوجاتها الا اذا خرقت أسواق الدول النامية ولا سيما

الافريقية . ويعتمد مستقبل الاقتصاد الاسرائيلي على الروابط الاقتصادية التي تستطيع اقامتها مع الدول الافريقية . فهي تعاني من أزمة اقتصادية ناتجة عن العجز الكبير في ميزان المدفوعات بسبب حجم الواردات الضخم وتعمل على رفع الصادرات لحل هذه الازمة . وهنا تأخذ القارة الافريقية اهمية خاصة ، هذا ما عبر عنه بن غوريون في المؤتمر الصهيوني الخامس والعشرين حينما قال : « يعتمد مستقبلنا الاقتصادي وموقفنا الدولي على طبيعة الروابط السياسية والاقتصادية التي ننجح في اقامتها مع الاقطار الافرو ــ اسيوية . وبعد كسب الاصدقاء على نطاق واسع نتمكن من التخلص من جدار الكراهية الذي يحيط بنا من كل جانب »(٢).

ان المحاولات المستمرة التي تقوم بها اسرائيل لايجاد أسواق خارجية لبضائعها هي تحد يهدد في حال فشلها اسرائيل بالاختناق في عزلتها . فكل الجهود التي تبذل لانشاء صناعات مختلفة سوف تذهب هدرا اذا لم تلاق أسواقا تابعة لها في حال استمرار القطيعة الاقتصادية مع الدول العربية المحيطة بها . اذا كانت اسرائيل تبني اقتصادها على نمط الانتاج الرأسمالي ، فان استعمار الدول الاخرى (والمتخلفة بشكل خاص) لاستغلال ونهب مواردها شرط لاستمرار نموها .

التغلغل الاسرائيلي في افريقيا

الهستدروت

لم يكتف الهستدروت (اتحاد العمال) باستغلال الطبقة العاملة الاسرائيلية ــ العربية وتمييع نضالها وذلك عبر مساهمة الهستدروت في نشاطات اقتصادية هامة في اسرائيل، بل أكثر من ذلك انه يستخدم كوسيلة بيد حكام اسرائيل من أجل التغلغل في الدول الافريقية والدول النامية الاخرى . باسم « القطاع العمالي » او « القطاع التعاوني » يتغلغل الهستدروت في افريقيا ، وبالتالي يفسح المجال للشركات الاسرائيلية الاخرى العامة والخاصة لاستثمار رؤوس الاموال واستغلال ونهب الموارد الطبيعية . وبالنسبة للدول الافريقية الرجعية ، من السهل جدا لها تبرير مساهمة الهستدروت في المشاريع الاقتصادية أمام شعوبها وذلك باخفاء الدور الذي تلعبه اسرائيل كقاعدة للاستعمار في المنطقة ، خاصة ان الشعوب الافريقية عرفت جيدا دور الاستعمار الاميركي خاصة والغربي عامة بنضالها المرير ضد الاستعمار لتحقيق الانتصار والاستقلال الوطني .

يعمل الهستدروت بواسطة مؤسساته الاقتصادية وأهمها السوليل بونيه التي يتركز نشاطها في المشاريع الانشائية ، ومؤسسة مكوروت المائية وشركة « كور » ويعمل أيضا بواسطة معهد الدراسات الافرو ــ الاسيوي .

ا ــ **السوليل بونيه** : تعتبر السوليل بونيه أكبر شركة بناء في اسرائيل ، وقد نفذت عدة مشاريع في العديد من الدول الافريقية ، منها :

ــ انشاء مباني ضخمة للدوائر الحكومية في ساحل العاج وغانا وتانزانيا وكينيا واثيوبيا وسيراليون .

ــ بناء الفنادق في نيروبي في كينيا (فندق « هيلتون ») وفي انوغو في نيجيريا (٤ فنادق) وفي لوملي في سيراليون .

ــ انشاء الطرقات في غانا وفي نيجيريا (١٥٠ ميلا من الطرقات) وفي اثيوبيا (انشاء طريق تربط اثيوبيا بكينيا وانشاء ١٢٠ كيلومترا من الطرقات) .

ــ بناء المطارات : في اكرا (غانا) وفي اديس ابابا (اثيوبيا) وفي لونجي (سيراليون) وبناء المرافىء في هرافات وايبادان ولاغوس (نيجيريا) ومرفأ للصيد في ال مينا (غانا).

ــ بناء الجامعات في ايف (نيجيريا) وفي اديس ابابا (اثيوبيا) وانشاء مبنى للبرلمان في انوغو (نيجيريا) وفي فريتاون (سيراليون)(٣) .

هذا وقد بلغ حجم المشاريع التي نفذتها السوليل بونيه بين عام ١٩٥٧ و ١٩٦٩ ، ١٧٥ر٥ مليون دولار منها مبلغ ١٠٤ر٥٠ ملايين دولار قيمة المشاريع التي نفذت بالاشتراك مع الدول الافريقية . وبلغ حجم المشاريع في قيد التنفيذ يوم ١٩٧٠/١/١ ٤٣ر٦٥ مليون دولار . ونلاحظ أن السوليل بونيه تعمل خاصة في نيجيريا الغربية حيث بلغت قيمة المشاريع المنفذة بين عام ١٩٥٧ و ١٩٦٩ ، ٤٩ر٦٥ مليون دولار . ويتبعها اثيوبيا (١٩ر٤ مليون دولار) ثم ساحل العاج وغانا . وفي ما يلي جدول بحجم المشاريع التي نفذتها السوليل بونيه والتي تعهدت بتنفيذها حسب الدول الافريقية (جدول ١) .

وفيما يخص المؤسسات الاقتصادية الاخرى للهستدروت ، سوف نتعرض لها لاحقا اثناء معالجتنا للوسائل الاخرى للتغلغل الاسرائيلي في افريقيا .

جدول (١)

المشاريع التي نفذتها سوليل بونيه والمشاريع التي تعهدت بتنفيذها
(بملايين الدولارات) : ١٩٥٧ ــ ١٩٧٠

البلد	المشاريع المنفذة ١٩٥٧ــ١٩٦٩	سنوات العمل	معدل الانتاج	الاعمال في قيد التنفيذ في ١٩٧٠/١/١
أعمال باشتراك مع الدولة				
غانا	١٧،٥	٤	٤،٣٧٥	—
نيجيريا الغربية	٢٥،٤	١٠	٢،٥٤٠	—
نيجيريا الشرقية	١٧،٨	٧	٢،٥٤٠	—
سيراليون	١٣،٢٥	٨	١،٦٥	—
ساحل العاج	٢٠،٥	٦	٣،٤٢	٢،٥٥٠
الشركات الفرعية				
أثيوبيا	١٩،٤	٧	٢،٧٧	—
تانزانيا	١٢،٢	٧	١،٧٤	٧،١٠
دجيبوتي	٥،٥	٧	٠،٧٨٥	١،٣٠
نيجيريا الغربية	١٤،٢٥	٤	٣،٥٦	١،٧٢٥
نيجيريا الشرقية	٢،٤٠	٢	١،٢	١٧،٢٠
كينيا	٩،٥٠	٤	١،٨٢٥	—
زامبيا	٧،٣٠	٣	٣،١٧٠	١،٩٠
أوغندا	٠،٢٧	١	٠،٢٧٠	٩،٥٣
ساحل العاج	٠،٢٤	١	٠،٢٤٠	٢،٢٥

المصدر: Z. Y. Hershlag, *Israel Africa Cooperation,* Research Project, Progress Report, Tel Aviv 1970.

ب ــ **معهد الدراسات الافرو ــ آسيوي** : انشأ الهستدروت « معهد الدراسات الافرو ــ آسيوي » في عام ١٩٦٠ في اطار برامج التعاون الاسرائيلي ــ الافريقي . والهدف المعلن لهذا المعهد هو تدريب الطلاب الاسيويين ــ الافريقيين في عدة مجالات

(النقابات والزراعة والطب ...) ويتخرج منه ٣٠ الى ٥٠ كادرا كل ثلاثة أو أربعة اشهر . ولكن ما هو الهدف الحقيقي لهذا المعهد ؟

بدأ المعهد بالعمل بمساعدة من اتحاد النقابات الاميركية AFL-CIO في عام ١٩٦٠ تقدر قيمتها بـ ٦٠ الف دولار ومنحته أيضا ٣٠٠ الف دولار بين عام ١٩٦٠ و١٩٦٢(٤). والمعروف ان هذا الاتحاد له علاقات وثيقة مع وكالة الاستخبارات الاميركية CIA (٥). هذا من جهة ، ومن جهة اخرى يحاول المعهد من خلال الحلقات الدراسية والمحاضرات تلقين الطلاب الافريقيين بأفكار جديدة بحيث تخدم الاستراتيجية الاسرائيلية خاصة والامبريالية عامة في دول « العالم الثالث » ، من أجل تحسين سمعة اسرائيل السياسية وتوسيع نفوذها في هذه الدول . وقد عبر لوفر عن ذلك بقوله : « هذه الدروس تحاول تلقينهم (أي الافريقيين) بأفكار جديدة ومواقف جديدة ... لقد تعلم الاسرائيليون أن الاشخاص الذين يتلقون تدريبا في اسرائيل لفترات قصيرة ، عبر دروس شديدة الكثافة والتركيز ، يأخذون معهم صورة عن وضع البلد ، أفضل من الصورة التي تتكون لدى الذين يمكثون في البلد فترة أطول . وبما أن الاتصال مع اسرائيل يأخذ وجها انتقائيا ، فان المتدربين لا يتعرفون الا على أكثر مظاهر الحياة والمجتمع الاسرائيلي اغراء »(٦).

وتتجه اغلبية الدروس الى الكوادر الوسيطة وغير المتخصصة حيث لا يمكن للدول الافريقية الاستفادة الفعلية من كوادرها الذين يتلقون التدريب في اسرائيل . فمثلا من بين ٤٤٨٢ طالبا افريقيا تلقوا تدريبا في اسرائيل بين ١٩٥٨ و ١٩٦٦ ، نجد أن ١٠٣ فقط تلقوا تدريبا في دراسات جامعية فردية (كالهندسة ...) و٣٧ فقط في الاقتصاد والادارة الصناعية . أما القسم الاكبر منهم فكانوا في مجالات الزراعة والنقابات والتنمية المجتمعية(٧).

فالطلاب الافريقيون الذين يتلقون التدريب على الآلات الاسرائيلية وعلى التقنية الاسرائيلية قد يطالبون بلادهم بشراء المعدات والسلع الاسرائيلية وبالتالي يساهم المعهد الافرو — آسيوي بتوسيع النفوذ الاسرائيلي في الدول النامية .

ويبين لنا الجدول (٢) عدد الطلاب الافريقيين الذين يتلقون الدروس في اسرائيل بالنسبة لمجموع طلاب « العالم الثالث » وحسب مجال التدريب :

جدول رقم (٢)

الطلاب الافرو — اسيويين الذين يتدربون في اسرائيل : ١٩٥٨ — ١٩٦٦

مجال التدريب	من افريقيا	المجموع
الزراعة	٨٠٥	٢٢٦٤
التعاونيات والنقابات	٦٦٤	١٠٤٨
ادارة الشباب	٢٨٥	٥٢٩
التنمية المجتمعية	٤٩٣	٧١٢
طب وصحة عامة	٢١١	٢٦٥
تجارة ، نقل ، مال ، صناعة	٣٧	١٥٦
بعثات وحلقات دراسية	٥٣٧	١٦٢٢
دراسات جامعية فردية	١٠٣	٢٣٠
متنوع	١٣٤٨	٢٢٨٤
المجموع	٤٤٨٢	٩٠٧٤

المصدر : L. Laufer, *Israel and the developing countries*, p. 77.

وسائل ربط الاقتصاد الافريقي بالاقتصاد الاسرائيلي

أ ــ **انشاء صناعات تستخدم المواد الاولية او النصف مصنعة في اسرائيل** : تعمل اسرائيل على انشاء صناعات في الدول الافريقية تستخدم المــواد الاولية أو النصف مصنعة والتي مصدرها اسرائيل . والهدف مــن ذلك هو ربط الصناعـــات الافريقية بالاقتصاد الاسرائيلي واعتمادها عليــه وجني أرباح مرتفعة باستخدام اليد العاملـــة الافريقية الرخيصة . وفي أكثر الاحيان ، تنشأ شركات مشتركة اسرائيلية ــ افريقية تأخذ اسرائيل على عاتقها مسؤولية التخطيط والادارة وتجهيز المصنع . وتعمل هذه الصناعات خاصة في مجال انتاج المواد البلاستيكية والكيماوية والادوية . هذا وقد أقامت شركة مساهمة اسرائيلية ــ كونغولية مصنعا لانتاج الادوية في ليوبولدفيل في الكونغو ــ كينشاسا . وأقامت شركة مساهمة أخرى اسرائيلية ــ تانزانية مصنعا لانتاج المواد البلاستيكية في دار السلام(٨) . وتستخدم هاتان الشركتان المواد الاسرائيليـــة النصف مصنعة . ومن جهة أخرى تساهم شركتان اسرائيليتان « آسيا ــ تيفا » للادوية وشركة التصدير « الدا » بنسبة ٥٠ بالمئة من رأسمال شركة اثيوبية « ايفارم » للادوية(٩) . وتمون شركة « آسيا ــ تيفا » المصنع الاثيوبي بالمواد الاسرائيلية النصف مصنعة وتقوم بادارة الشركة وتسيير أعمالها ــ يقدر حجم أعمالها بــ ٧٠٠ ألف دولار في البداية .

وفيما يتعلق بالمواد الكيماوية ، أقامت شركتان اسرائيليتان « الدا » وشركة كيماوية مصنعا لانتاج المواد الكيماوية في اوغندا في عام ١٩٧١ ، تستخدم أيضا المواد الاولية الاسرائيلية وبلغت مساهمتها نسبة ٣٣ بالمئة من رأس المال أي ما يوازي قيمة ٣٦٫٤ ألف دولار(١٠) .

ان سياسة اسرائيل الاقتصادية في انشاء صناعات في الدول الافريقية ، تستخدم المواد الاولية او النصف مصنعة من اسرائيل، انما هي احدى الوسائل للتغلغل في القارة الافريقية وربط الصناعات الافريقية بالاقتصاد الاسرائيلي .

ب ــ **انشاء صناعات واقامة مشاريع زراعيـــة تعتمد لبيع انتاجهـــا على السوق الاسرائيلي** : والوسيلة الاخرى لربط اقتصاد دول افريقيا باسرائيل هي انشاء صناعات أو اقامة مشاريع زراعية تعتمد لبيع الانتاج على السوق الاسرائيلي . فمن ناحية الربح الاقتصادي ، تقيم اسرائيل هذه الصناعات حسب احتياجاتها لبعض المواد المصنعة غير المتوفرة في اسرائيل . وتستخدم اذا المواد الاولية المتوفرة في افريقيا لتحويلها وتصنيعها ثم تسويقها في اسرائيل وبالتالي تكون هي الرابحة في النهاية من جراء استخدامها اليد العاملة الافريقية الرخيصة . وفي أغلب الاحيان ، تهتم اسرائيل بالمواد الخشبية وزراعة القطن واللحوم . هذا وقد اقامت مصانع لانتاج الصناديق الخشبية في ساحل العاج لتعبئة الحمضيات الاسرائيلية(١١) . وانشأت شركة « ترومودكس » الاسرائيلية شركة محدودة في كينيا برأسمال مشترك بالتساوي بين البلدين تبلغ قيمتـــه ١٣٥ الف جنيه استرليني . وتنتج هذه الشركة أيضا صناديق لتعبئة الحمضيات الاسرائيلية(١٢) . وقد وقع اتفاق بين حكومة كينيا وشركة « ترومودكس » الاسرائيلية في ١٠ آذار ١٩٦٦ تزود كينيا بموجبه مجلس تسويق الحمضيات الاسرائيلية بأربعـــة ملايين صندوق لتعبئـــة الحمضيات سنويا . ويوفر الاتفاق اذا صناعة جديدة لكينيا وصادرات جديدة للاخشاب الكينية وقد تبلغ قيمة الصادرات ١٣٠ الف جنيه استرليني في السنة على ان ترتفع الى ٢٠٠ الف جنيه خلال ٣ سنوات . وصناعة الاخشاب تمتد أيضا الى الكونغو ــ برازافيل حيث أقام الصناعيون الاسرائيليون مصنعا للاخشاب في الــ « بوانت نوار » يسوق انتاجه في اسرائيل(١٣) .

ومن جهة أخرى ، ان احتياجات اسرائيل للحوم جعلتها تبحث عن مصادرها خاصة

في الدول النامية حيث تستطيع استثمارها بأسعار رخيصة جدا . هذا وقد تمكنت من استغلالها في ارتريا الواقعة تحت سيطرة اثيوبيا . وفتحت اثيوبيا أبوابها أمام التسلل الاسرائيلي المتمثل بشركة « انكودا » في مجال اللحوم . تعتبر شركة « انكودا » من اكبر الشركات الاسرائيلية في ارتريا . وقد تأسست في عام ١٩٥٢ بعد فترة وجيزة من قيام الاتحاد الفدرالي بين ارتريا واثيوبيا . وقد جـاء في نشرة خاصة أصدرتهـا الحكومة الاثيوبية في حزيران ١٩٥٧ ما يلي : « بدأت شركة انكودا الضخمة أعمالها في ارتريا سنة ١٩٥٢ وهي اكبر شركة لتعبئة اللحوم في ارتريا ، فلها من الآلات الميكانيكية ما يمكنها من انتاج ٣٥ الف علبة يوميا من اللحم المعبأ ، بالاضافة الى ٣٠٠ طن مـن اللحم المثلج ، و٣٥٠٠ قطعة من الجلود المدبوغة شهريا . وللشركة مصانع لتحويل فضلات اللحوم والعظام والشحم الى مواد أخرى نافعة . وبامكانياتها التكنيكية الحالية يمكنها ان تنتج يوميا عشرات الاطنان من الشحوم المقطرة التي تلزم لصناعة الصابون ، كما أن العظام والدم تحول الى سماد للارض ، وتنتج هذه المصانع ١٠٠ طن من السماد شهريا . كما اقامت الشركة مصنعا آخر ينتج يوميا طنا ونصف طن من قطع اللحوم التي تزن الواحدة منها كيلوغرام للاستهلاك المحلي . وتعتبر مصانع انكودا من المصانع المهمة للحوم في العالم . ويقع مركزها في أسمرة عاصمة ارتريا وللشركة فروع في اديس ابابا والصومال الفرنسي وتل أبيب وزيوريخ »(١٤).

هذا ويباع قسم من انتاج هذه الشركة الى اسرائيل . وبالاضافة الى هذه النشرة الرسمية ، فان لشركة « انكودا » مصنعا كبيرا في أسمرة تذبح فيـه يوميا ٣٦٠ بقرة تشتريها الشركة بأثمان بخسة من الجزء الغربي مـن ارتريا . وقد جعلت الحكومـة الاثيوبية امتيازات شراء الابقار محصورا بهذه الشركة ، وتنقل اللحوم بالثلاجات الى ميناء « مصوع » ومنها الى اسرائيل . كما يبلغ ما تصدره الشركة من الاسماك المطحونة ٥ آلاف طن سنويا .

أما بالنسبة للزراعة ، تحتاج اسرائيل خاصة الى القطن وقد استثمرت مشاريع كبيرة في اثيوبيا واستطاعت السيطرة في نهاية عام ١٩٦٤ على اكبر شركة زراعية في ارتريا وهي شركة « سيا » الايطالية سابقا . وتمكنت من شراء المشروع عن طريق الحكومة الاثيوبية وتبلغ مساحة هذا المشروع ٥٠ ألف فدان وهو يقـع بالقرب مـن الحدود السودانية ، وله ترعة رئيسية تسحب مياهها من نهر القاش . كما يتبع المشروع محلج للقطن وادارة مركزية لمياه الشرب . ويزرع المشروع قطنا ثم يصدر الى اسرائيل بسعر منخفض لاستخدامه في مشاريع صناعية اسرائيلية . ولا بد هنا أن نشير الى ان هذا المشروع يشكل خطرا على عدة مشاريع زراعية سودانية تعتمد في ريها على نهر القاش الذي يربط بين ارتريا ومنطقة « كسلا » السودانية . ان اسرائيل ، مـن خلال دمج اقتصاد اثيوبيا وارتريا باقتصادها ، تعمل في الوقت نفسه ليس على التغلغل في هذه البلدان فقط بل أكثر ، انها تحاول من وراء ذلك ضرب الاقتصاد العربي كالسودان . وقد أشارت عدة صحف الى هذا الخطر . فقالت جريدة المنار السودانية الصادرة في ١/١/٦٥ : « ان اسرائيل ترتع على بضعة كيلومترات من حدودنا ، تستثمر الاراضي الارترية وتستعمل مياه الانهر نفسها التي نعتمد عليها في السودان ، وهي القاش وبركة والنيل الازرق ، وتزرع الفاكهة وخاصة الموز ، وتربي الماشية لتصديرها الى اسرائيل. واميركا لها قاعدة عسكرية ضخمة في اسمرة ، ومعنى هذا اننا بيـن فكي افعى ، اسرائيـل واميركا » . ومن جهة أخرى ، بعد أن أشارت الى المدى الذي بلغه التسلل الاسرائيلي في ارتريا ، قالت جريدة الصحافة السودانية الصادرة بتاريخ ١٩٦٤/١٢/٢ : « واجبنا أن نتنبه الى هذا الخطر الاسرائيلي الذي أصبح يهددنا تهديدا مباشرا ، فالسكوت خطأ مهين، وواجبنا ثانيا اتخاذ خطوات أكثر ايجابية مع الدول التي تتعاون مع اسرائيل وتمهد

لها كل هذه الوسائل لتقيم كل هذه المشاريع »(١٥). وما زالت اسرائيل حتى يومنا هذا تستثمر مشاريع زراعية لانتاج القطن . وقد مددت لها الحكومة الاثيوبية العقد في عام ١٩٧٢ لاستثمار مشروع القطن طيلة ٥ سنوات أخرى(١٦).

ومن جهة اخرى تحتاج اسرائيل الى الحبوب ولا سيما القمح ، فهي تستورد سنويا بقيمة ٢٥٠ مليون دولار من الحبوب وخاصة القمح . ولذلك فهي تأمل من خلال استغلال بعض المشاريع الزراعية في اثيوبيا تأمين ١٠ بالمئة من وارداتها من القمح على الاقل خلال بضع سنوات . هذا وقد بدأت المحادثات بين حكومة اثيوبيا والمسؤولين الاسرائيليين في بداية عام ١٩٧٢ لاقامة مشروع زراعي مشترك اسرائيلي — اثيوبي من أجل زراعة الحبوب . ويعد هذا المشروع من أضخم المشاريع الزراعية التي قد تحصل عليه اسرائيل في اثيوبيا وقد يقام على بعد ١٥٠ كيلومترا جنوب غرب اديس ابابا(١٧). ولكن لم نعرف ما اذا بدأ العمل في هذا المشروع لعدم وجود معلومات عن هذا الشأن .

ان اسرائيل مهتمة للغاية باستثمار مشاريع صناعية كانت او زراعية لتأمين حاجاتها من المواد غير المتوفرة لديها وبسعر رخيص جدا . ويمكنها تحصيل الارباح باستغلالها الدول النامية وخاصة الدول الافريقية وتضطر هذه الدول الاعتماد الكامل على اسرائيل من أجل بيع انتاجها .

ج — **انشاء صناعات واقامة مشاريع زراعية تعتمد على التكنيك الاسرائيلي الحديث (الآلات ، الخبراء ، الفنيين)** : ان التغلغل الاقتصادي في الدول المتخلفة من قبل الدول الرأسمالية الغربية والامبريالية لا يتم فقط باستثمار رؤوس الاموال من أجل نهب الثروات الطبيعية بل هنالك وسائل أخرى تستخدمها الدول الامبريالية بتقديم المساعدات التقنية وبيع الآلات والمعدات لربط الدول المتخلفة بواسطة التكنيك بحيث تجعل هذه الاخيرة مضطرة لان تشتري دائما كل معداتها وآلاتها من الدول الرأسمالية أو تستخدم الفنيين والخبراء الاجانب وبالتالي تكون معتمدة عليها ومرتبطة بهـا مما يمكن الدول الرأسمالية من السيطرة عليها . هذا هو الاسلوب الذي تعتمده اسرائيل للتغلغل في دول افريقيا . فهي تقيم الصناعات المشتركة واذا كانت في بعض الاحيان تبيع مساهمتها من رأس المال الا انها لا تتخلى عن ادارة الشركة وتجهيزها بالآلات والفنيين والخبراء . والامثلة كثيرة ومتعددة في هذا الشأن .

ففي اوغندا انشأت شركة « كـور » الاسرائيلية مصنعا للمواد الكيماوية وزودته بالآلات والمعدات الضرورية لانتاج هذه المواد(١٨). وفي غانا ، ساهمت شركة « الدا » مع شركة اسرائيلية اخرى في بناء منشآت حديثة لمصنع المنيوم الذي قد يحصل على مساعدة فنية من شركة اسرائيلية للابواب والنوافذ مقرها في حيفا . وقد جهـز المصنع بآلات مصنوعة في اسرائيل ويقدر انتـاج المصنع لعام ١٩٧٢ مـا يقارب قيمة نصف مليون دولار(١٩).

أمـا في ساحل العاج ، فتلعب شركة « أغريدف » التابعـة لمؤسسة « مكوروت » المائية دور المستشار والاداري لمؤسسة حكومية « موتورغري » هدفهـا التخطيط الزراعي(٢٠). وقد وقع منذ اكثر من سنتين عقد جديد بين شركة « اغريدف » وحكومة ساحل العاج تقوم الشركة الاسرائيلية بموجبه بتزويد مزارع في ساحل العاج بالآلات الاتوماتيكية(٢١). وتلعب مؤسسة « مكوروت » ايضا دور المستشار والاداري لمـدة ١٠ سنوات في مشاريع مائية نفذتها احدى فروعها وهي شركة « فيرد » ، بين عام ١٩٥٩ و١٩٦٥ في نيجيريا . هذا وقد نفذت الشركة عدة مشاريع في غرب وشرق نيجيريا تبلغ تكاليفها ٣٢ مليون دولار . من اهم هذه المشاريع : بناء أربعة سدود و١٠٠٠ ميـل من

الانابيب بحجم مختلف وانشاء محطات ضخ للمياه . وقد نفذت « فيرد » هذه المشاريع بواسطة شركتين نيجيريتين الاولى وهي شركة التنمية للموارد المائية النيجيرية في غرب نيجيريا والثانية وهي شركة التخطيط للماء والبناء في شرق نيجيريا(٢٢).

وتهيمن اسرائيل ايضا على شركات افريقية اخرى . ذكرت جريدة عل همشمار الاسرائيلية ان الاسطول التجاري في ليبيريا الذي انشأ عام ١٩٦٤ بمساعدة شركة الملاحة الاسرائيلية في حيفا يستعين بالملاحين الاسرائيليين كما ان اسرائيل تملك ٢٥ بالمئة من اسهم شركة الاسطول الليبيري . وقالت ان معظم اعضاء مجلس ادارة شركة الاسطول التجاري في ليبيريا قد اصبحوا من الاسرائيليين برئاسة اهرون روزتفليد وهو صاحب شركة للسفن في حيفا(٢٣).

اما في غانا ، فقد اسست الشركة الاسرائيلية للنقل وحكومة غانا ، شركة مساهمة وهي شركة النقل البحرية الغانية ــ بلاك ستار ــ وساهمت اسرائيل بنسبة تتراوح بين ٤٠ و ٦٠ بالمئة من اسهم هذه الشركة . ولكن في عام ١٩٦٦ ، باعت الشركة الاسرائيلية اسهمها الى الشركة الغانية على ان تظل هي المستشارة الوحيدة اقتصاديا وفنيا . ولا يمكن ان تبت الشركة الغانية بأي قرار الا بعد ان تأخذ مشورة اسرائيل خاصة وان أغلب الفنيين والاشخاص المهيمنين على الشركة اسرائيليون(٢٤).

وفي غانا ايضا ، اسست الشركة الاسرائيلية للبناء باشتراك مع احدى المؤسسات الحكومية في غانا ، شركة غانا الوطنية للبناء التي اشترت فيما بعد الاسهم الاسرائيلية لكن هذه الشركة بقيت ايضا تحت سيطرة الخبراء والفنيين والمديرين الاسرائيليين(٢٥). تستخدم اسرائيل هذه الوسيلة للتغلغل في غانا من خلال عدة مشاريع اقتصادية ، هذا وقد ساعدت ايضا في انشاء معملين للملح في غانا حيث نرى ان جميع المهندسين والفنيين وقسم من المدراء اسرائيليون(٢٦).

وفي كونغو كينشاسا ، تتعاون شركة اسرائيلية لانتاج الاجهزة الالكترونية « موتورولا » مع شركة محلية من اجل ادارة العمل في مختبر الكتروني وتقديم المساعدة الفنية ــ ومن جهة اخرى انشأت الشركة الاسرائيلية جهاز مواصلات ارض ارض يربط جميع المطارات الكونغولية بعضها ببعض(٢٧).

المؤسسات المشتركة الاسرائيلية ــ الافريقية واهدافها

تسعى الدول الامبريالية في علاقاتها بالدول المتخلفة ، اما الى استخراج المواد الاولية (المناجم او الزراعة) لتأمين حاجات صناعاتها ، أو لتأسيس عدد من الصناعات في الدول المتخلفة تتحكم بها الدول الامبريالية اولا لانها تملك المواد الاولية او النصف مصنعة التي تحتاج اليها هذه الصناعات . وثانيا لان الانتاج يجد أسواقه في البلدان الامبريالية نفسها .

هذا ينطبق تماما على سياسة اسرائيل الاقتصادية في الدول المتخلفة وخاصة في افريقيا . ففي اغلب الاحيان تعمل الشركات الاسرائيلية بالتعاون مع الشركات المحلية الافريقية او تساهم بالرأسمال ، اذ ان هذا الاسلوب هو جديد من نوعه في ممارسة الدول الامبريالية بالنسبة للدول المتخلفة . وتستخدم الدول الامبريالية ولا سيما اسرائيل هذه الوسيلة لاسباب عديدة ومن اجل تحقيق عدة اهداف . وهي اذ تعتبر نفسها دولة نامية تستخدم هذه الوسيلة بشكل لا يثير حساسيات الافريقيين . ففي عام ١٩٦٣ كان هناك اكثر من ٤٢ مؤسسة ذات رأسمال مختلط اسرائيلي (عام او خاص) وافريقي (عادة عام) . هذا وقد فسرت مجلة الايكونوميست هذه الاساليب الجديدة على الوجه التالي : « بدل ان يطالبوا بالسيطرة على المؤسسة او بامتيازات لفترات

طويلة ، يضع الاسرائيليون كشرط مسبق لاشتراكهم في الشركات الافريقية ان تظل حصتهم اقلية بالنسبة لمجموع الاسهم ويوضع للعقود حد اقصى يصل الى ٥ سنوات ، يستطيع المساهمون المحليون اصحاب الاكثرية ان يشتروا بعده الحصص الاسرائيلية قبل غيرهم من الاطراف الخارجية »(٢٨) .

ويفسر ليوبولد لوفر السياسة الاسرائيلية الاقتصادية في هذا المجال على الشكل التالي : « لقد سمحت المؤسسات المشتركة للشركات الاسرائيلية ان تدخل أسواقا جديدة عبر تثمير رساميل محدودة نسبيا ، وتحت الحماية المتعاطفة لحكومات الدول النامية ، وبما ان الشركات الغربية او الشركات التي يملكها مواطنون قاطنون في الخارج لا تزال تسيطر بشكل عام على الاسواق الافريقية ، كان من الصعب جدا على الشركات الاسرائيلية ان تدخل هذه الاسواق دون مساعدة الرأسمال العام الافريقي(٢٩) .

فبهذه الوسيلة تستخدم الشركات الاسرائيلية الرأسمال الافريقي لاهدافها الخاصة فهي تسيطر في الحقيقة على المؤسسات المشتركة من خلال دورها الاداري والاستشاري ، فهي تقرر نوعية الالات المستخدمة وطريقة الانتاج وحجمه . وبالاضافة الى ذلك ، فانها تحقق الربح الاكبر . ومن ناحية اخرى ، ان الذي يتحمل الخسارة في حالة سوء الاعمال هو البلد الافريقي .

لماذا يقبل الاسرائيليون ان تظل حصتهم اقلية بالنسبة لمجموع الاسهم ؟

فالشركة الاسرائيلية هي التي تمنح الالات والخدمات الفنية والمساعدة التقنية وبالتالي تكون قد وجدت سوقا لبضائعها ، وهكذا تستفيد الشركة الاجنبية (اي الاسرائيلية) بتزويدها بالاليات والخبرة التقنية اذ تصبح مؤهلة اكثر من الشركات المزاحمة الاخرى لنيل عقود جديدة .

ان الرأسمال الاجنبي يرضى ان تبقى حصته محدودة نسبيا ، بل انه يقترح ذلك . لماذا ؟ انه يعلم ان اي مشروع لا يمكن ان ينجح الا بواسطة براءات الاختراع الاجنبية ، والاعتدة الاجنبية (آلات وقطع غيار) و « الرأسمال التقني » الاجنبي . وحتى ان كان الرأسمال المحلي اكثرية في المشروع ، فانه رأسمال مكبل . وقد يكون الاستثمار المختلط الشكل الاسوأ في الاستغلال الامبريالي الجديد لانه يكبل الرأسمال المحلي ولان الرأسمال الوطني يكون بذلك قد فقد قوميته(٣٠) .

دعم الاشركات والاستثمارات الاميركية للتغلغل الاسرائيلي في افريقيا واهدافه

شكل الرأسمال الخارجي في العشرين سنة الاخيرة ٧٥ بالمئة من مجمل الاستثمارات في اسرائيل . هذا ما قاله اخيرا اشير يدلن سكرتير الـ « هفرات اوفديم » للشركة الاسرائيلية للاستثمارات في نيويورك(٣١) .

بالرغم من اهمية الدعم المالي الخارجي لاسرائيل ، لن نتعرض هنا الى دراسة حجم الرساميل والمساعدات الهائلة التي تتلقاها اسرائيل من الامبريالية والصهيونية العالمية بحيث تمكنها من تنفيذ مشاريع اقتصادية في القارة الافريقية ، بل سوف نبين من خلال بعض الامثلة هيمنة الرأس المال الاميركي على شركات اسرائيلية عديدة تعمل في الدول الافريقية — ان الرساميل الاميركية تدعم تغلغل الشركات الاسرائيلية (اسرائيلية بالاسم) وتستخدمها الامبريالية الاميركية للتسلل بواسطتها . وفي المقابل يقول الاسرائيليون : اننا برأس مال محدود ، توصلنا الى كسب صداقة الحكومات الافريقية! وعبر عن ذلك بوضوح ، الاقتصادي الاسرائيلي دافيد هوروفيتش في افتتاح مؤتمر رحوفوت الدولي للنمو الاقتصادي في الدول النامية الذي انعقد في القدس يوم ٥ ايلول

— سبتمبر ١٩٧٣ في وقت كان ينعقد فيه مؤتمر دول عدم الانحياز في الجزائر . وقال هوروفيتش وهو رئيس اللجنة التحضيرية لمؤتمر رحوفوت الذي ضم ممثلين عن ٤٧ دولة نامية : « من الواضح اننا لا نملك المال والمواد لمساعدة هذه الدول — لكننا نملك امرا اخر . هو العلم والمعرفة والخبرة ، ان ما يميز مؤتمر رحوفوت هو اللقاء بين الخبراء والعلماء ورجال السياسة(٣٢) .

لكن راس المال الاسرائيلي لم يكن ، في الحقيقة ، محدودا ، فقد كان يعتمد على راس المال الاميركي وعلى رؤوس اموال من اوروبا الغربية . وقد كتب صموئيل ديكالو يقول : « ان الاحتكارات الاميركية وغيرها دعمت المنشآت الاقتصادية المشتركة التي يسهم فيها الراسمال الاسرائيلي في دول العالم الثالث . فمثلا .. انشاء « فندق العاج » في ابيدجان ، كان وراء اسرائيل فيه مؤسسة الانتركونتيننتال وهي احدى فروع شركة بان اميركان(٣٣) .

وبالاضافة الى ذلك ، فان شركة « موتورولا » الاسرائيلية التي تحدثنا عنها من قبل والتي نفذت عدة مشاريع في العديد من الدول الافريقية (خاصة في كونغو — كينشاسا وغانا واثيوبيا ونيجيريا) هي في الحقيقة شركة تسيطر عليها الشركة الام وهي اميركية. ويساهم في « موتورولا » الاسرائيلية الشركات التالية : موتورولا اوف شيكاغو بنسبة ٦٠ بالمئة من رأس المال ، باسن هولدنغر اوف ازرائيل بنسبة ٢٧ بالمئة من راس المال ، لفي كاتزبا هولدنغز بنسبة ١٣ بالمئة من راس المال . هذا وقد تضاعفت صادرات « موتورولا » الاسرائيلية الى القارة الافريقية في عام ١٩٧٠ بالنسبة لعام ١٩٦٩ (٣٤) .

ومن جهة اخرى ، تتغلغل المؤسسة الاميركية للتلفون والالكترونيك العالمي في الدول الافريقية بواسطة فرعها في اسرائيل . والجدير بالذكر ان لدى هذه المؤسسة ٥٠ فرعا في انحاء العالم . هذا وقد نفذ الفرع الاسرائيلي عدة مشاريع في القارة الافريقية وخاصة في نيجيريا حيث انشأ محطة ارضية بمساعدة الشركة الام ومشاريع اخرى في الكامرون واثيوبيا وغيرها من الدول . ويصدر الفرع الاسرائيلي منتوجاته الى اثيوبيا ودول افريقية اخرى(٣٥) .

وتتسلل الولايات المتحدة الاميركية الى القارة الافريقية ايضا بواسطة شركة « زيم » اي الشركة الاسرائيلية للملاحة البحرية ، وبواسطة الشركات التابعة للهستدروت . يساهم في شركة « زيم » بالتساوي : اولا « اسرائيل كوربوراسيون » وهي شركة تتلقى الرساميل من اميركا وانكلترا لاستثمارها في مشاريع اقتصادية اسرائيلية . وثانيا تساهم في شركة « زيم » الحكومة الاسرائيلية والوكالة اليهودية والهستدروت ، بنسبة ٥٠ بالمئة .

هذا وقد ساهمت « زيم » في عدة مشاريع في افريقيا ولا سيما في شركة النقل البحرية الغانية — بلاك ستار . كما رأينا من قبل .

اما فيما يتعلق بالشركات التابعة للهستدروت التي تعمل في القارة الافريقية . كـ « السوليل بونيه » و « كور » و « مكوروت » ... فان هذه الشركات ممولة من قبل مؤسسة « امبال » وهي مؤسسة اميركية للاستثمارات .

وبعد كل ذلك ، هل يمكننا التحدث عن راس مال اسرائيلي محدود او فقط عن راس مال اسرائيلي ؟ ان الشركات والاستثمارات الاميركية تدعم اسرائيل للتغلغل بواسطتها وتستخدم اسرائيل اذا كأداة للاستعمار الجديد في افريقيا .

« المساعدات » التقنية الاسرائيلية الى الدول الافريقية

تشكل البعثات الفنية الاسرائيلية في افريقيا اهمية خاصة في اطار التغلغل الاسرائيلي في هذه القارة . ان « المساعدات » التقنية للدول المتخلفة تعتبر وسيلة جديدة تستخدمها الامبريالية ووجه اخر لها بهدف استغلال شعوب « العالم الثالث » . هذا وقد ارتفع عدد البعثات الاسرائيلية في القارة الافريقية من ٢٥ بعثة عام ١٩٥٨ الى ٤٠٦ بعثات عام ١٩٦٦ وتتلقى القارة الافريقية نسبة كبيرة من مجمل البعثات الاسرائيلية في الخارج اذ بلغت هذه النسبة ٧٥ر٦ بالمئة عام ١٩٦٤ وتدنت الى ٦٣ر٤ بالمئة عام ١٩٦٦ . ويوضح لنا الجدول التالي (جدول ٣) تطور عدد البعثات الاسرائيلية في افريقيا ونسبتها من مجموع البعثات الاسرائيلية في الخارج في الفترة ما بين ١٩٥٨ — ١٩٦٦ .

جدول (٣)

عدد البعثات الفنية الاسرائيلية في افريقيا ونسبتها المئوية من مجموع البعثات الاسرائيلية في الخارج

السنة	عدد البعثات	النسبة المئوية
١٩٥٨	٢٥	٦٢،٥ ٪
١٩٥٩	٥١	٦٣،٧
١٩٦٠	١٢٢	٧٤،٧
١٩٦١	٢١١	٧٥،٣
١٩٦٢	٢٦٥	٦٧
١٩٦٣	٤٢٤	٧٧،٩
١٩٦٤	٥٢٨	٧٥،٦
١٩٦٥	٤٥٣	٧١،١
١٩٦٦	٤٠٦	٦٣،٤

المصدر : ج. كنارك ، **المساعدات التقنية الاسرائيلية الى الدول الافريقية** ١٩٦٩ ، ص ٩٦ .

جدول (٤)

الخبراء الاسرائيليون في الخارج : ١٩٥٨ — ١٩٦٦

مجال العمل	افريقيا	المجموع
الزراعة	٢٦١	٥٢٣
تنظيم الشباب	٢٣٤	٢٥٦
مهندسون	٤٢	٦٤
الطب والصحة العامة	١٧٣	٢٠٢
التربية	١٠٢	١٠٦
التعاون	٢١	٢٤
الادارة	٤٦	٦٣
البناء	٤٩	٦٥
العمل الاجتماعي	٢٢	٢٣
متنوع	٣١١	٤٨٦
المجموع	**١٢٦١**	**١٩١٥**

المصدر : Leopold Laufer, *Op. cit.*, p. 77.

ان البعثات الاسرائيلية في الخارج ولا سيما في افريقيا تلعب دورا هاما في التغلغل الاسرائيلي ، اذ انها بواسطة خبرائها تسهل العمل للشركات الاسرائيلية من اجل نيل عقود جديدة وتساهم في ايجاد اسواق للمنتجات الاسرائيلية ، بل وتربط الاقتصاد الافريقي بها .

ويعمل الخبراء الاسرائيليون في عدة مجالات واهمها الزراعة والطب وتنظيم الشباب الخ ... كما بين لنا الجدول رقم (٤) .

القروض والهبات والاستثمارات الاسرائيلية : مساعدة أم استغلال ؟

ليس لدى اسرائيل برامج مشابهة للولايات المتحدة الاميركية وانكلترا لمنح القروض والهبات الى الدول النامية لانها لم تصل بعد الى مستوى هاتين الدولتين الامبرياليتين ، منحت اسرائيل قروض تقدر من ٢٠ الى ٢٥ مليون دولار الى الدول النامية بين عام١٩٥٨ و ١٩٦٦ . وقد عقدت الاتفاق الاول بخصوص قرض مع غانا في تموز ١٩٥٨ ومنحت ايضا هبات تقدر ببضعة ملايين دولار(٣٦) . وفي أغلب الاحيان ، تقدم اسرائيل هذه القروض او الهبات لدعم مشاريع اقتصادية أما تكون فيها شريكة في رأس المال اما تكون مسيطرة عليها بواسطة الفنيين والخبراء الاسرائيليين .

هذا وقد منحت القروض الى بعض الدول الافريقية على النحو التالي(٣٧) : ٨ر٤ ملايين دولار لنيجيريا ، ٤ ملايين دولار لغانا ، ٣ ملايين دولار لليبيريا ، ٥ر١ مليون دولار لساحل العاج ، و ٢٠٠ الف دولار لجمهورية ملاغاسي .

ومقابل هذه القروض لم تكتف اسرائيل بتزويد الدول الافريقية بالالات والمعدات بل انها تطالب بفائدة عالية . فمثلا .. كانت تبلغ الفائدة للقرض الذي منحته اسرائيل لنيجيريا في عام ١٩٦٠ نسبة ٦ بالمئة ! وقد خصص ثلثا القرض للمنطقة الشرقية لنيجيريا : مليون جنيه استرليني لبناء فندقين بواسطة شركة البناء النيجيرية الشرقية التي هي مؤسسة برأسمال مختلط يشترك فيه السوليل بونيه وحكومة نيجيريا الشرقية — اما بالنسبة للجزء الثاني من القرض الذي منح الى نيجيريا الشرقية والذي يبلغ مليون جنيه استرليني ، قدمت اسرائيل منه مبلغ ٥٠٠ الف جنيه (سيولة) وخصصت ٥٠٠ الف جنيه اخرى لشراء المنتجات الاسرائيلية . واما الجزء الباقي اي مليون جنيه استرليني فقد منح لحكومة نيجيريا الوسطى : نصف هذا المبلغ خصص لمشاريع البناء والموارد المائية في اطار مؤسسات مشتركة اسرائيلية — نيجيرية ، والنصف الاخر كان معدا لشراء المنتجات الاسرائيلية(٣٨) .

اذا ، هل يمكننا التحدث عن مساعدة اسرائيل للدول الافريقية من اجل تنمية الاقتصاد الافريقي والعمل لمصلحته ؟ كما رأينا ، ان اسرائيل تشترط بمنحها القروض ان تخصص لمشاريع تكون هي مسيطرة عليها او تخصص لشراء الاتها ومنتجاتها ، فتستفيد من هذه القروض لتتغلغل في القارة الافريقية ولتوسيع اسواق منتجاتها .

اما بالنسبة للاستثمارات الاسرائيلية في القارة الافريقية ، فان هدفها هو ، كما رأينا من قبل ، اما ايجاد اسواق للمنتجات الاسرائيلية بانشاء الصناعات التي تستخدم المواد الاولية او النصف مصنعة من اسرائيل ، اما تحقيق ارباح هائلة باستغلال الموارد الطبيعية للدول الافريقية . والهدف الاخر للاستثمارات الاسرائيلية هو ربط الاقتصاد الافريقي باقتصادها .

بالرغم من انها تعتبر نفسها دولة نامية لاخفاء تغلغلها في القارة الافريقية ، فاسرائيل تعمل لمصلحتها ولاستغلال الموارد الطبيعية لهذه القارة كأي دولة راسمالية اخرى .

وقد اعترفت اسرائيل بهدفها هـذا بواسطة احـد الصناعيين الاسرائيليين « يكوتيل فدرمان » الذي طلب من أصحاب المؤسسات والشركـات الاسرائيلية العمـل لانشاء المصانع في القارة الافريقية . قال ذلك في حديث القاه في نادي الروتاري في تل ابيب يوم ٢٢ ايلول ١٩٦٦ . واضاف فدرمان بأن ذلك لم يساعد التنمية في الدول الافريقية فقط، بل قد **تستفيد منه اسرائيل اقتصاديا وسياسيا**(٣٩) .

واخيرا الم يكن الرئيس الاميركي جورج واشنطن على حق عندما قال : « انه مـن الحمق ان تنتظر دولة ما مساعدة غير مشروطة من قبل دولة اخرى » ! ويزيد علـى ذلك جون فوستر دالاس بقوله : « ليس للولايات المتحدة اصدقاء ، بل لها مصالح »!!

تأثير الاستثمارات الاسرائيلية على بنية الاقتصاد الافريقي

ان بناء الاقتصاد الوطني يتطلب اعطاء الاولوية للاستثمارات في القطاعات الصناعية الاساسيـة اي في انشاء المعـدات والادوات (الفولاذ ، الالات ، معـدات النقـل ، التراكتورات . . .) الضرورية من اجل تكوين القاعدة للتصنيع والتنمية . ولكن ما الذي يحصل بالنسبة للشركات الاسرائيلية العاملة في الـدول الافريقية ؟ تعمل الشركـات الاسرائيلية في الدول الافريقية على انتاج السلع غير الضرورية من اجل تحقيق اكثـر الارباح وربط اقتصاد هذه الدول بالاقتصاد الاسرائيلي الرأسمالي . وبالتالي لم تساهم الاستثمارات الاسرائيلية في التنمية الاقتصادية بل اكثر والاخطر انها تؤثر عـلى البنية الاقتصادية للدول الافريقية بحيث تعرقل تنميتها وتطورها وذلك لكي توسع النشاطات الاقتصادية المفيدة لها . وفي اغلب الاحيان تتجه الاستثمارات نحو الصناعات التي تنتج بضائع معدة للتصدير لربط اقتصادها بالنظـام الراسمالي العالمي . وبالتالي سيؤدي ذلك في النهاية الى توسيع السوق المحلي الافريقي بامتصاص المزيد من الواردات مـن الدول الغربية الرأسمالية عامة واسرائيل خاصة .

ان نوعية الشركات والمجالات التي تستثمر فيها الرساميل تؤدي الى تشويه البنية الاقتصادية بتضخيم القطاعات غير المنتجة على حساب القطاعات الاساسية . وهذا ما يمنع هذه الدول من تخطي التخلف .

التبادل التجاري بين اسرائيل وافريقيا

يهدف هذا الفصل الى دراسة تطور التبادل التجاري بين اسرائيل والقارة الافريقية ومعالجة التغلغل الاسرائيلي من خلال التجارة الخارجية الاسرائيلية . وسنعالج على حدة مسألة العلاقات الاقتصادية بين اسرائيل وجنوب افريقيا بسبب خصوصية هذه العلاقات .

١ ــ أهمية القارة الافريقية في التجارة الخارجية الاسرائيلية

فيما يتعلق بأهمية القارة الافريقية في التجارة الخارجية الاسرائيلية مع مجمل العالم ، نلاحظ أن القارة الافريقية تعتمد أكثر فأكثر علـى المنتجات والسلع الاسرائيليـة وان اسرائيل تتخلى اكثر فأكثر عن اعتمادها على المواد الافريقية بالنسبة لمجمل وارداتها . هذا وقد ارتفعت نسبة الصادرات الاسرائيلية الى افريقيا بالنسبة لمجموع صادراتها الى العالم من ٣ر٣ بالمئة عام ١٩٦٣ الى ٣ر٤ بالمئة عام ١٩٦٨ والى ٥ بالمئة عام ١٩٧١ . بينما انخفضت نسبة الواردات الاسرائيلية من افريقيا بالنسبة لمجموع وارداتها مـن العالم في السنوات نفسها من ٢ر٣ بالمئة الى ٨ر٢ بالمئة والى ٣ر١ بالمئة ! وهذا يعني أيضا أن الصادرات الاسرائيلية الى القارة الافريقية ترتفع بنسبة أكبر من صادراتها الاجمالية الى العالم وان الواردات من هذه القارة تنخفض بسرعة اكبر مـن مجمـل

وارداتها من العالم . يعطي الجدول التالي (جدول ٥) فكرة واضحة عـن التجارة الاسرائيلية مع افريقيا بالنسبة للتجارة مع مجمل العالم اذ انه يبين بوضوح التزايد الكبير للتغلغل الصهيوني في القارة الافريقية في السنوات الاخيرة وخاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ .

جدول (٥)

التجارة الاسرائيلية مع القارة الافريقية بالنسبة للتجارة مع مجمل العالم
(بملايين الدولارات)

	١٩٦٣	١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٧١
صادرات اسرائيل الى افريقيا	١١،٥٦٤	١٩،٥٤٦	٢٧،٩٤٥	٤٧،٤٢١
مجموع صادرات اسرائيل الى العالم	٣٥١،٤٩٤	٥٠٢،٤٤٤	٦٣٩،٦٩٠	٩٥٧،٢٤٩
نسبة الصادرات الى افريقيا/العالم	٣،٣ ٪	٣،٨ ٪	٤،٣ ٪	٥ ٪
واردات اسرائيل من افريقيا	٢٢،٠١٥	٢٦،٦٧١	٣٠،٩٣٩	٢٥،٢١١
مجموع واردات اسرائيل من العالم	٦٧٣،٦٠٥	٨٣٤،٩٤٠	١٠٨٨،٩٢٣	١٨٠٧،٦٢٠
نسبة الواردات من افريقيا/العالم	٣،٢ ٪	٣،١ ٪	٢،٨ ٪	١،٣ ٪

المصدر : *Statistical Abstract of Israel,* 1966, 1969 and 1972

٢ ــ التجارة الخارجية الاسرائيلية مع القارة الافريقية وحسب الدول الافريقية

تعتبر القارة الافريقية مصدرا هاما للمواد الاولية وسوقا متنامية للبضائع والمنتجات ولها أهمية كبيرة بالنسبة للقارات الاخرى . فقد ارتفعت الصادرات الاسرائيلية الى هذه القارة من ١١،٥ مليون دولار عام ١٩٦٣ الى ١٩،٥ مليون عام ١٩٦٦ والى ٤٧،٤ مليون عام ١٩٧١ . وعرفت اسرائيل عجزا في ميزانيتها مع القارة الافريقية حتى عام ١٩٦٨ اذ بلغ ٣ ملايين دولار في هذا العام الا أن هذا الوضع ما لبث أن تغير فأصبحت الصادرات في عام ١٩٧١ ضعفي الواردات تقريبا . بينما لم تعرف الواردات زيادة هامة في السنين العشر الاخيرة ، فقد ارتفعت من ٢٢ مليون دولار عام ١٩٦٣ الى ٢٦،٦ مليونا فقط عام ١٩٦٦ وانخفضت الى ٢٥،٢ مليون دولار عام ١٩٧١ ! ويبين الجدول التالي (جدول ٦) حجم التبادل التجاري مع القارة الافريقية بملايين الدولارات .

ان ارتفاع الصادرات الاسرائيلية الى القارة الافريقية يعـود الى اتساع أسواق البضائع الاسرائيلية وزيادة الطلب عليها في دول شرق افريقيا والدول الناطقة بالفرنسية وجنوب افريقيا . ويرجع هذا الارتفاع الى عدة اسباب ، منها قرب المسافة بين هذه الدول واسرائيل واغلاق قناة السويس ومنها العلاقات الوثيقة التي توطدها اسرائيل معها . وقد سهلت اسرائيل عمليات التصدير والاستيراد لهذه الدول عبر البحر المتوسط عن طريق ايلات على البحر الاحمر وحيفا وأسدود على البحر المتوسط ومن ثم الى القارة الاوروبية . وقد جاء ذلك بعد الاقتراح الذي حمله وفـد اسرائيلي اقتصادي في نهاية شهر آب ١٩٦٧ على اثر جولة قام بها في دول شرقي افريقيا (اثيوبيا وكينيا واوغندا وزامبيا) . وهذا المشروع الاسرائيلي قد يزيد من اعتماد تجارة افريقيا الشرقية على اسرائيل . كتبت مجلة « جويش اوبزرفر » في أول أيلول ١٩٦٧ حول هذا الموضوع فقالت ان دول افريقيا الشرقية تبدي اهتماما بالبديل الذي قدمتـه اسرائيل لقنـاة السويس . لقد كانت هذه الدول أكثر تضررا من غيرها بسبب اغلاق القناة ، فأسعار

الشحن في هذه الدول قد زادت كما ارتفعت أسعار السلع الضرورية التي تستوردها بشكل يفوق طاقة المستهلك المحلي ، هذا بالاضافة الى التعقيدات الناجمة عن طول الرحلات حول رأس الرجاء الصالح والتي أدت الى زيادة تكاليف النقل بحوالي ١٥ بالمئة . واضافت المجلة ان الخطة الاسرائيلية لربط شرق افريقيا بالبحر المتوسط عبر ايلات وحيفا واسدود ، سوف تحصن اقتصاد شرقي افريقيا ضد أي ضغط من مصر وحلفائها في المستقبل .

جدول (٦)

التجارة الخارجية الاسرائيلية مع القارة الافريقية (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (—) او الفائض (+)
١٩٦٣	١١،٥٦٤	٢٢،٠١٥	— ١٠،٤٥١
١٩٦٤	١٢،٧٣٩	٢٧،٤٤٠	— ١٤،٧٠١
١٩٦٥	٢١،٤٩٠	٢٧،١٩٢	— ٥،٧٠٢
١٩٦٦	١٩،٥٤٦	٢٧،٦٧١	— ٧،١٢٥
١٩٦٧	٢٤،٤٣٧	٢٧،٠٨٣	— ٢،٦٤٦
١٩٦٨	٢٧،٩٤٥	٣٠،٩٣٩	— ٢،٩٩٤
١٩٦٩	٣٤،٢٤٦	٣١،١٣٣	+ ٣،١١٣
١٩٧٠	٤١،٥٤٢	٣٠،١٤١	+ ١١،٤٠١
١٩٧١	٤٧،٤٢١	٢٥،٢١١	+ ٢٢،٢١٠

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, 1964, 66, 69, 72

ان اغلاق قناة السويس وزيادة تكاليف النقل بحوالي ١٥ بالمائة عبر رأس الرجاء الصالح أدى ، بالاضافة الى الاعتماد على الموانىء والمرافىء الاسرائيلية ، الى زيادة حجم واردات افريقيا الشرقية من اسرائيل . وبالاضافة الى ذلك ، نرى ان هذه الدول لها برامج تعاون فني مع اسرائيل . هذا ويقول لوفر : « ان كون أكبر نمو في الصادرات الاسرائيلية هو نمو تلك الصادرات التي تتجه الى الاقطار التي لها برامج تعاون فني مع اسرائيل، ليس طبعا من قبيل الصدفة (مثل اثيوبيا وغانا وكينيا ونيجيريا واوغندا)»(٤٠).

هذا وتحتل جنوب افريقيا المرتبة الاولى في التجارة الخارجيـــة الاسرائيلية بالنسبة للدول الافريقية الاخرى وتشكل الصادرات الاسرائيلية الى جنوب افريقيا نسبة ٢٠ بالمئة من مجمل صادراتها الى القارة الافريقية في عام ١٩٧١ . اما الواردات فتبلغ حوالي ثلث مجمل واردات اسرائيل من القارة (سنعالج فيما بعد على حدة تجـــارة اسرائيل مع جنوب أفريقيا) .

وتأتي اوغندا في المرتبة الثانية بالنسبة لاستهلاك البضائع الاسرائيلية ، فقد بلغ ما استوردته من اسرائيل بالنسبة لمجمل ما تستورده القارة الافريقية ١٦ بالمئة عام ١٩٧١ بينما لم تبلغ الا ١٢ بالمئة عام ١٩٦٨ . هذا وقـــد ارتفعت الصادرات الاسرائيلية الى أوغندا بوتيرة سريعة بعد عام ١٩٦٧ من ١ر٦ مليون دولار في هذا العام الى ٩ر٧ ملايين دولار في عام ١٩٧١ وبلغت قيمة الصادرات خمسة أضعاف الواردات من اوغندا .

اما فيما يتعلق بأثيوبيا التي لها علاقات وثيقة جدا باسرائيل ، فان نسبة الصادرات الاسرائيلية الى هذه الدول (بالنسبة لمجمل صادراتها الى القارة) قد انخفضت بطريقة

استثنائية في عام ١٩٧١ حيث بلغت ٥ر٧ بالمائة بينما كانت تبلغ ١٨ بالمئة عام ١٩٦٨ . وظل الميزان التجاري الاسرائيلي مع اثيوبيا لصالح اسرائيل منذ عام ١٩٦٥ . والجدير بالذكر ان العلاقات الوثيقة بين اسرائيل واثيوبيا بدأت قبل الدول الافريقية الاخرى بسبب الاهمية الاستراتيجية لاثيوبيا وقد عبر السيد عثمان صالح سبتي سكرتير عام هيئة جبهة التحرير الارترية عن هذه العلاقات بقوله : « ان اثيوبيا منحت كل مجالاتنا الاقتصادية للراسمالية الاسرائيلية واصبحت بلادنا الان المركز الثاني بعد فلسطين المحتلة مجالا حيويا للحركة الصهيونية العالمية »(٤١).

ومن بين الدول الاخرى التي لها أهمية خاصة في الصادرات الاسرائيلية ، كينيا ونيجيريا : الاولى تشتري نسبة ٩ بالمئة من مجمل صادرات اسرائيل الى القارة الافريقية والثانية ١٠ بالمئة . بالنسبة لنيجيريا كان الميزان التجاري منذ ١٩٦٣ حتى يومنا هذا لصالح اسرائيل ، فقيمة الواردات ضئيلة جدا (٣٠ الف دولار فقط) اما بالنسبة لكينيا فقد بدأ الميزان التجاري يتحول لصالح اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ وبلغت الصادرات ٤ أضعاف الواردات في عام ١٩٧١ . (جدول ٧) .

جدول (٧)

التجارة الخارجية الاسرائيلية حسب الدول الافريقية (بالنسبة المئوية)

	الصادرات		الواردات	
	١٩٦٨	١٩٧١	١٩٦٨	١٩٧١
أوغندا	١٢	١٦	٦	٦
اثيوبيا	١٨	٥،٧	٧	٩
الغابون	٠،٢	٠،٤	١٥	٣
غانا	٧	٧	٦	٣
جنوب افريقيا	٢٠	٢٠	١٧	٣٢
ساحل العاج	٥	٣	١٠	٢
تانزانيا	٤	٣	١	١
ليبيريا	٠،٠٦	٧	٣	١٢
نيجيريا	٨	١١	٠،٠٤	٠،١
كينيا	٩	٩	٤	٤
الدول الاخرى	١٦	١٧	٣٢	٢٨
مجموع الدول الافريقية	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المصدر : *Statistical Abstract of Israel,* 1969, 1972

وبالنسبة للواردات نلاحظ ان اسرائيل تستورد خاصة من الدول الافريقية التي لم تحتل مرتبة هامة في الصادرات الاسرائيلية (ما عدا جنوب افريقيا) . فمثلا ، كانت تستورد بنسبة ١٥ بالمئة من مجمل وارداتها من القارة من دولة الغابون و٩ بالمئة من ساحل العاج و١٣ بالمئة من ليبيريا عام ٧١ .

تكوين الصادرات والواردات : تحاول اسرائيل ايجاد أسواق في افريقيا تعوضها عن المقاطعة العربية وتسد بعض العجز في ميزانها التجاري البالغ ٤٠٠ مليون دولار تقريبا عام ١٩٦٨ و٨٥٠ مليون دولار عام ١٩٧١ . ويقول صموئيل ديكالو مدير قسم العلوم

السياسية في جامعة « رود ايلند » في الولايات المتحدة « ان الصادرات الاسرائيلية الى افريقيا بالرغم من اصنافها (الاثاث والاسمنت وزيت الصويا) وبالرغم من ضعف حجمها بلغت نسبتها ٥٠ بالمئة من مجموع الصادرات الاسرائيلية من هذه الاصناف . وهناك أصناف أخرى مثل الانابيب العازلة والمنتجات الصيدلية والسجاد ، تستورد افريقيا منها أكثر من ربع مجموع الصادرات الاسرائيلية »(٤٢).

هذا وقد تتكون الصادرات الاسرائيلية الى القارة حسب الصناعات كما أشارت اليها الاحصاءات الاسرائيلية في عام ١٩٧٠ كما يلي(٤٣): منسوجات ١٧ ٪ ، مواد بناء ١٥ ٪، مواد كيماوية ١٨ ٪ ، منتجات البلاستيك والمطاط ١٠ ٪ ، معدات للنقل ٦ ٪ . وتشكل هذه المواد المصنعة السلع الرئيسية التي تستوردها الدول الافريقية من اسرائيل . فمثلا استوردت زامبيا من المنسوجات الاسرائيلية بنسبة ٥٨ بالمائة بالنسبة لمجمل وارداتها من اسرائيل في عام ١٩٧٠ . وشكلت المنتجات المعدنية الاسرائيلية نسبة ٥٦ بالمائة و ٣٠ بالمائة من مجمل واردات اوغندا واثيوبيا من اسرائيل. اما فيما يتعلق بالمواد الكيماوية والتي تدخل في صناعة الادوية فبلغت الصادرات الاسرائيلية من هذه المواد الى اثيوبيا وكينيا ونيجيريا نسبة ٢٣ بالمائة و١٧ بالمائة و ٢١ بالمائة بالنسبة لمجمل صادراتها لهذه الدول الثلاث . وشكلت منتجات البلاستيك والمطاط نسبة ١٩ و ٢١ بالمائة لدول كينيا ونيجيريا(٤٤). وفيما يلي جدول بالمنتجات الرئيسية التي تستوردها بعض الدول الافريقية من اسرائيل وقد أخترنا هذه الدول حسب أهميتها في التبادل التجاري مع اسرائيل لهذه المنتجات (جدول ٨) .

جدول (٨)

الصادرات الاسرائيلية الى دول افريقية حسب المنتجات الرئيسية (بالنسبة المئوية) (١٩٧٠)

	اثيوبيا	اوغندا	كينيا	نيجيريا	زامبيا
منتجات معدنية	٣٠	٥٦	٢٣	—	—
مواد كيماوية ومواد تدخل في صناعة الادوية	٢٣	—	١٧	٢١	١٧
منتجات البلاستيك والمطاط	—	—	١٩	٢١	—
منسوجات وازياء	١٥	—	١٧	٢٥	٥٨
منتجات مختلفة	٣٢	٥٤	٢٤	٣٣	٢٥
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

هذا فيما يخص بالصادرات الاسرائيلية . اما بالنسبة للواردات ، فتشكل افريقيا مصدرا هاما للمواد الاولية التي تدخل في الصناعة التحويلية الاسرائيلية . تستورد اسرائيل من هذه القارة الخشب والقهوة والكاكاو والماس الخام والقطن . فمثلا صناعة الماس وحدها شكلت ٣١ بالمائة من مجمل صادرات اسرائيل الى الخارج في عام ١٩٧١ و٣٧ بالمائة من صادراتها الصناعية (٤٥).

وتستورد اسرائيل القهوة والكاكاو خاصة من الغابون وأوغندا حيث بلغت واردات اسرائيل من حبوب القهوة من أوغندا ما قيمته ١٫٩١٩ مليون دولار أي ما يوازي نسبة ٩٠ بالمائة من مجمل وارداتها من هذه الدولة في عام ١٩٧٠ وتشكل المنتجات الزراعية والغذائية أهم واردات اسرائيل من اثيوبيا ، أي اللحوم والقطن اذ بلغت وارداتها من هذه المنتجات ٩٧ بالمائة بالنسبة لمجمل وارداتها من اثيوبيا .

٣ ـ العلاقات الاقتصادية بين اسرائيل وجنوب افريقيا

تتميز علاقات اسرائيل بجنوب افريقيا بالنسبة لعلاقاتها بالدول الافريقية الاخرى بأنها علاقات دولة رأسمالية عنصرية (اسرائيل) بدولة رأسمالية عنصرية اخرى (جنوب افريقيا) . ولهذا السبب نعالج هذه العلاقات في فصل على حدة .

وكما أشرنا من قبل ، يأخذ التبادل التجاري بين اسرائيـل وجنوب افريقيا أهمية خاصة بالنسبة للتجارة الخارجية الاسرائيلية مع القـارة الافريقية . يقول « الكتاب السنوي اليهودي الاميركي » (١٩٧٠ : ٥٣٥) ان العلاقات بين البلديـن آخذة في التحسن ، ونراه يلاحظ « نجاح (اسبوع اسرائيل) لتشجيع التجارة في جنوب افريقيا في آب ٦٩ الذي عرضت فيه أربعة مخازن حكومية منتجات اسرائيل في فروعها الممتدة في انحاء البلاد كافة » . فقد تضاعفت تقريبا الصادرات الاسرائيليـة الى جنوب افريقيا والواردات منها في عام ١٩٧٠ بالنسبة لعـام ١٩٦٨ ، اذ بلغت الصادرات ١٠ر٦٨٩ ملايين دولار والواردات ١٠ر٢٢١ ملايين دولار في عام ١٩٧٠ . وأصبح الميزان التجاري لصالح اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ كما يبينه الجدول التالي :

جدول (٩)

تجارة اسرائيل مع جنوب افريقيا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (ـ) او الفائض (+)
١٩٦٣	٢،٥٤٩	٤،٦٥٥	٢،١٠٦ ــ
١٩٦٤	٢،١٣٨	٤،٧٨٨	٢،٦٥٠ ــ
١٩٦٥	٢،٧٢٢	٤،٢٥٨	١،٥٣٦ ــ
١٩٦٦	٢،٣١٠	٤،٤٢٧	٢،١١٧ ــ
١٩٦٧	٣،٩٩٦	٣،٣٢٨	٠،٦٦٨ +
١٩٦٨	٥،٦٦٠	٥،٢٣٩	٠،٤٢١ +
١٩٦٩	٨،١٨٩	٥،٨٠٥	٢،٣٨٤ +
١٩٧٠	١٠،٦٨٩	١٠،٢٢١	٠،٤٦٨ +
١٩٧١	٩،٣٩٨	٨،٠٨٠	١،٣١٨ +

المصدر : *Statistical Abstract of Israel,* 1964, 1966, 1969, 1972.

وبالنسبة للمنتجات التي تدخل في التبادل التجاري بين البلدين ، قـال اميتاي بن جوزيف ، مفوض اسرائيل الى جنوب افريقيا في عام ١٩٦٨ : « ان اسرائيل بحاجة الى الصوف والماس الصناعي والمعادن ... وستتمكن اسرائيل من تزويد جنوب افريقيا بالمنسوجات والاقمشة والمواد الكيماوية والصيدلية » (أنباء عن جنوب افريقيا ٣٠ تموز ١٩٦٨) .

وفيما يتعلق بالماس فلم نره يدخل في الاحصاءات الاسرائيلية بالنسبة لوارداتها من جنوب افريقيا . ان ذلك ناتج عن ان اسرائيل تشتري جزءا كبيرا من الماس الخام من جنوب افريقيا بطريقة غير مباشرة . انها تشتريه بنسبة كبيرة (٦٥ ٪) من منظمة البيع المركزية (ومقرها في بلجيكا) التي تسيطر عليها جنوب افريقيا . وتستورد أيضا الماس الخام من ناميبيا (وهي منطقة مستعمرة من قبل جنوب افريقيا) حيث بلغت قيمة ما اشترته في عام ١٩٦٩ بـ ١٠ ملايين دولار تقريبا(٤١).

وتشهد العلاقات الاقتصادية نموا خاصا بانشاء الشركات المختلطة وقد ذكرت صحيفة « فرانكفورتر الغمانيه تسايتونغ » الالمانية الغربية ان الشركة الاسرائيلية « جرسون ناجلن » قد أسست شركة جديدة في جوهانسبرغ في جنوب افريقيا مع الشركة الجنوب افريقية « هندلر أند هندلر » تحت أسم شركة « باجلن ـ هندلر » . وستقوم الشركة في اول الامر ببناء الافران لاغراض صناعية(٤٧).

تتميز جنوب افريقيا عن الدول الافريقية الاخرى بأنها تستثمر اموالا ضخمة في اسرائيل وتمنح لها المساعدات والهبات . هذا كان هدف الوفد الذي جاء من جنوب افريقيا واشترك في مؤتمر المليارديرا اليهود في القدس في نيسان ١٩٦٨ . ولدى عودة أعضاء الوفد الى بلادهم شكلوا جمعية تجارية مشتركة برئاسة موريس لوبنز ، من أجل تنمية التبادل التجاري بين البلدين . وبالاضافة الى ذلك ، خففت جنوب افريقيا القيود على الاستثمارات وسمحت للشركات الجنوب افريقية بأن تستثمر حتى ١٤ مليون دولار في اسرائيل . وقد جاء هذا القرار في أعقاب اعتماد قدره ٩ر١٤ مليون دولار من مصلحة الانماء الصناعي في جنوب افريقيا في تموز ١٩٧٠ لزيادة صادرات جنوب افريقيا الى اسرائيل(٤٨).

ملاحظات حول بعض الفضائح التي اكتشفتها حكومتا تانزانيا وسيراليون

في سيراليون : قررت حكومة سيراليون تشكيل لجنة للتحقيق في المشروعات التي كانت اسرائيل تتولى تنفيذها وحققت فشلها. جاء ذلك في تقرير للخارجية في مصر عام ١٩٦٩ . وهذه المشاريع هي :

ـ مشروع انشاء فندق سياحي بالقرب من فريتاون تقدمت لاقامته شركة «ديزنجوف» وقد تم بناؤه في يونيو ١٩٦٧ بعد ٧ سنوات من العمل ولم يفتتح حتى الان لنقص شديد في الكثير من لوازمه .

ـ مشروع انشاء مصنع للاسمنت كان الغرض منه خفض كيس الاسمنت من ٨٠ الى ٧٠ سنتا ولكنه بدلا من أن يحقق خفضا حقق عبئا ماليا لا مبرر له .

ـ مشروع آخر تعهدت به شركة ديزنجوف أيضا باقامة مصنع لانتاج الابواب والنوافذ المعدنية ، وقد بلغت خسائره في السنوات الثلاث الاخيرة رقما كبيرا .

وقال السيد سياكا ستيفنس رئيس وزراء سيراليون في خطاب رسمي ما نصه : « ان كثيرا من المشروعات التي قامت بها اسرائيل في سيراليون الحقت الضرر باقتصادنا، وترتبت على هذه المشروعات أضرار جسيمة وذلك اما لانها قامت على غير أساس أو لسوء ادارتها . وقد أنفقت حكومتي الكثير من الاموال الباهظة مساهمة منا في انجاح هذه المشروعات »(٤٩).

في تانزانيا : ألغت حكومة تانزانيا الاتفاقية الزراعية بينها وبين اسرائيل . فقد رفضت الحكومة رسميا تجديد الاتفاقية المبرمة مع اسرائيل عام ١٩٦٣ لزراعة نحو ألف فدان قطن ، والتي انتهى العمل بها في أول هذا الشهر . وطلبت تانزانيا من الخبراء الاسرائيليين تسليم الآلات والمعدات الزراعية ومغادرة البلاد نهائيا . وقد فشلت جميع الجهود التي بذلتها الحكومة الاسرائيلية لتجديد الاتفاقية .

وتستند حكومة تانزانيا في قرارها الى الفشل التام في تنفيذ المشروع ، الى جانب التصرفات المالية المشبوهة التي كشفها الخبير المحاسب . فقد بلغت جملة الخسائر التي حققها الاسرائيليون نحو ١٥٠ ألف جنيه استرليني خلال السنوات الثلاث الماضية ، وهو نفس المبلغ الذي قدمته اسرائيل كقرض يسدد على سبع سنوات .

وقد أنفق الاسرائيليون هذا القرض في المرتبات التي يتقاضاها خبراؤهم ، وفي شراء المعدات والآلات من اسرائيل . وقد اكتشفت تانزانيا ان الخبـــراء الاسرائيليين الذين يتقاضى كل منهم ٢٨٠ جنيها استرلينيا شهريا لا يحملون سوى مؤهلات متوسطة لا تزيد عن دبلومات الزراعة الثانوية .

وهذه المعلومات التي اتضحت ان اسرائيل كانت تعلم ان مشروعها الزراعي ليس مشروعا اقتصاديا ، وانما يهدف الى اساءة العلاقات بين تانزانيا والجمهورية العربية المتحدة . وقد اعترف أحد الاسرائيليين ان الغرض الخفي لهذا المشروع هو اثارة جو معين حول اتفاقية مياه النيل التي تربط تانزانيا والجمهورية العربية المتحدة باستخدام كميات كبيرة من بحيرة فيكتوريا .

ملاحق للدراسة

تجارة اسرائيل مع نيجيريا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (—) او الفائض (+)
١٩٦٣	١،٩٤٣	٠،١١٤	+ ١،٨٢٩
١٩٦٤	١،٧٩٩	٠،٢٩٠	+ ١،٥٠٩
١٩٦٥	٢،٥٢٠	٠،١٠٥	+ ٢،٤١٥
١٩٦٦	٢،٩٦٠	٠،٠٥١	+ ٢،٩٠٩
١٩٦٧	٢،٥٣٨	٠،٠٨٥	+ ٢،٤٥٣
١٩٦٨	٢،١٢٠	٠،٠١٤	+ ٢،١٠٦
١٩٦٩	٢،٥٧٥	٠،٠٣٢	+ ٢،٥٤٣
١٩٧٠	٣،٥٨٥	٠،٠٤٠	+ ٣،٥٤٥
١٩٧١	٤،٩٥٠	٠،٠٣٠	+ ٤،٩٢٠

تجارة اسرائيل مع غانا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (—) او الفائض (+)
١٩٦٣	١،٦١٥	١،٢٠٧	+ ٠،٤٠٨
١٩٦٤	٣،٢٩٢	٠،٩٥٤	+ ٢،٣٣٨
١٩٦٥	٥،٣٤٨	٠،٨٧٥	+ ٤،٤٧٣
١٩٦٦	٤،٩٣٧	٠،٦٠٠	+ ٤،٣٣٧
١٩٦٧	٣،٨٨٠	٠،٦٣٩	+ ٣،٢٤١
١٩٦٨	١،٩٤٩	١،٨٣٥	+ ٠،١١٤
١٩٦٩	١،٩٠٨	١،٩٤٠	— ٠،٠٣٢
١٩٧٠	٢،١٤٤	٠،٥٩٤	+ ١،٥٥٠
١٩٧١	٣،١٠٣	٠،٨٤٧	+ ٢،٢٥٦

تجارة اسرائيل مع اوغندا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (—) او الفائض (+)
١٩٦٣	٠٫٠١٧	٠٫٦٤٤	٠٫٦٢٧ —
١٩٦٤	٠٫١٥١	٠٫٤٨٨	٠٫٣٣٧ —
١٩٦٥	٢٫٩٨٩	٠٫٣٦٧	٢٫٦١٣ +
١٩٦٦	٠٫٤٨٥	١٫٣٩٦	٠٫٩١١ —
١٩٦٧	١٫٦٣٢	٢٫٨٦٩	١٫٢٣٧ —
١٩٦٨	٣٫٥٨٠	١٫٨١٥	١٫٧٦٥ +
١٩٦٩	٣٫٣٠٣	١٫٨٣٥	١٫٤٦٨ +
١٩٧٠	٥٫٦١٣	٢٫١٣٧	٣٫٤٧٦ +
١٩٧١	٧٫٩٥٨	١٫٤٣٥	٦٫٥٢٣ +

تجارة اسرائيل مع تانزانيا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (—) او الفائض (+)
١٩٦٣	٠٫٥١٧	٠٫٠٨٤	٠٫٤٣٣ +
١٩٦٤	٠٫٩١١	٠٫٤٧١	٠٫٤٤٠ +
١٩٦٥	١٫١٤٩	٠٫٣٧٩	٠٫٧٧٠ +
١٩٦٦	١٫١٧٢	٠٫٤٢٨	٠٫٧٤٤ +
١٩٦٧	٠٫٤٤٧	٠٫٢٧٩	٠٫١٦٨ +
١٩٦٨	١٫١٥٦	٠٫٤٢٥	٠٫٧٣١ +
١٩٦٩	١٫٤٤٦	٠٫١٩٣	١٫٢٥٣ +
١٩٧٠	١٫٩٠٦	٠٫١٣٠	١٫٧٧٦ +
١٩٧١	١٫٤٠٢	٠٫١٩٧	١٫٢٠٥ +

تجارة اسرائيل مع اثيوبيا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (—) او الفائض (+)
١٩٦٣	١٫٢٢٥	١٫٠٥٧	٠٫١٦٨ +
١٩٦٤	١٫٢١٤	١٫٣٨٣	٠٫١٦٩ —
١٩٦٥	١٫٦٣٥	٠٫٨٦٤	٠٫٧٧١ +
١٩٦٦	١٫٧٩٨	١٫٦٠١	٠٫١٩٧ +
١٩٦٧	٣٫٣٧٤	١٫٤٥٦	١٫٩١٨ +
١٩٦٨	٤٫٩٥٣	٢٫٠٧٥	٢٫٨٧٨ +
١٩٦٩	٤٫٢٨٩	١٫٦٩٨	٢٫٥٩١ +
١٩٧٠	٤٫٣٦٦	١٫٩٩٤	٢٫٣٧٢ +
١٩٧١	٣٫٥٧٤	٢٫١٩٤	١٫٣٨٠ +

تجارة اسرائيل مع كينيا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (ـ) او الفائض (+)
١٩٦٣	٠،٥٣٥	٢،٥٧٣	٢،٠٣٨ —
١٩٦٤	٠،٧٣٢	٣،٦٧٧	٢،٩٤٥ —
١٩٦٥	١،١٦٧	١،٧١٠	٠،٥٤٣ —
١٩٦٦	١،٦١٣	١،٨٢٧	٠،٢١٤ —
١٩٦٧	٢،٥١٢	١،٥٤١	٠،٩٧١ +
١٩٦٨	٢،٦٠٣	١،١٧٦	١،٤٢٧ +
١٩٦٩	٢،٩٤٨	٠،٧٩٠	٢،١٥٨ +
١٩٧٠	٣،٦٥٦	١،١٨١	٢،٤٧٥ +
١٩٧١	٤،١٨٧	١،٠١٢	٣،١٧٥ +

تجارة اسرائيل مع اوغندا (بآلاف الدولارات)

	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات اسرائيل الى اوغنـدا :		
منتجـات زراعية وغذائية	٥٥	٦٣
مواد كيماوية وصيدلانيـة	٢٥٨	١٦١
منتجـات البلاستيك والمطاط	١٢٠	٢٩٥
خشـب وورق	١٩	٦١
منسـوجـات وأليـاف	١٦٥	١١٦
سـيراميـك وزجاج	١٦	٥٨
منتجـات معـدنيـة	١٦٨٣	٣١٥٦
آلات وقطعهـا	١٧٦	١٥٧
منتجـات كهربائيـة والكترونيـة	٢٠	٨٥
معـدات للنقـل	٣٢٨	٩٢٨
أدوات تصوير وأدوات فنيـة	٤٦٧	٥٣٤
المجمـوع	**٣٣٠٥**	**٥٦١٤**
واردات اسرائيل من اوغندا		
حبوب القهوة	١١٩٧	١٩١٩
بذور السمسم	٨	—
قطن	٦٢٦	٢١٣
مختلفة	٤	٤
المجمـوع	**١٨٣٥**	**٢١٣٦**

تجارة اسرائيل مع غانـــا (بآلاف الدولارات)

	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات اسرائيل الى غانا		
منتوجات زراعية وغذائية	٢٤٤	٣١٩
مواد كيماوية وصيدلانية	٢١٣	٣٨٢
منتجات البلاستيك والمطاط	٧٢٧	٦٩٦
منتجـات الخشب والورق	٥٦	٢
منســوجات وازيــاء	٥٧	٧١
منتجات من الاسمنت والسيراميك	٢٦٣	٥٥
منتجــات معــدنيــة	١٤٣	١٤١
آلات ومعدات	٩٧	١٥٥
معــدات كهربائية والكترونية	٨٥	٣٩٧
مختلفــة	١١	٢٣
المجمــوع	**١٩٠٧**	**٢١٤٥**
واردات اسرائيل من غـــانا		
حبــوب القهــوة والكاكاو	١٢٩	٣٤٢
التبـــغ	—	٧
الخشــب	٣٥٨	٢٤٠
مختلفـــة	١٤٥١	٥
المجمــوع	**١٩٣٨**	**٥٩٤**

تجارة اسرائيل مع زامبيا (بآلاف الدولارات)

	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات اسرائيل الى زامبيا		
منتجات زراعية وغذائية	١٢	٦٥
مواد كيماويــة وصيدلانيــة	٣٥٣	٥١٤
اطـــارات	—	٩
خشــب وورق	٩٠	٢٦٢
منســوجــات وازيــاء	٢٢٦٦	١٦٩٧
تركيبـــات صحيــة	١١	—
مـــاس مصقول وعملات معدنيــة	٢	٤
منتجــات معــدنيــة	٥٦	١٦٧
آلات ومعدات	٨٧	١٣٦
معــدات نقل	—	٨
أخشـــاب	٥٢	٣٧
مختلفــة	٢٧	٢٢
المجموع	**٢٩٤٥**	**٢٩٢٠**

	١٩٦٩	١٩٧٠
واردات اسرائيل من زامبيــا		
جلود حيوانـــــات	٢٤	٩
أخشـــــاب	٢٩	—
مختلفـــة	٣٠٥	٦
المجموع	٣٥٨	١٥

تجارة اسرائيل مع اثيوبيا (بآلاف الدولارات)

	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات اسرائيل الى اثيوبيا		
منتجـات زراعية وغذائية	٣٢٢	٣٤٥
مواد معدنية وكيماوية وصيدلانية	٦٩٢	١٠٢٨
منتجـات البلاســتيك والمطاط	٣٠٠	٣٣٧
منتجـات الخشب والورق	٤١٩	٢٤٣
منســوجات وازياء	٧٩٧	٦٨٥
بلاط وسيراميك ومنتجات زجاجية	٣٦	٦٤
منتجات معدنية	٤١٨	١٣٠٣
آلات معدت	٢٤٥	١٥٠
منتجات كهربائية والكترونية	٨٩٥	١٦٢
معـــدات نقل	٥١	٤٦
المجمــوع	٤٢٨٥	٤٣٦٢
واردات اسرائيل من اثيوبيــا		
منتجـات زراعية وغذائية	١٦٢٧	١٩٣١
أخشـــاب	٤٨	١٥
صوف وشعر	١	١٣
مختلفـــة	٢٤	٣٩
المجمــوع	١٦٩٨	١٩٩٨

تجارة اسرائيل مع نيجيريا (بآلاف الدولارات)

	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات اسرائيل الى نيجيريا		
منتجات زراعية وغذائية	٤٩	٨ ٥
مواد كيماوية وصيدلانية	٥٤٤	٧٤٧
منتجات بلاستيك ومطاط	١٠١٩	٧٤٩
خشب وورق	٨	٨٥
منسوجات وازياء	٥٩٦	٩١٢
منتجـات من الاسمنت والسيراميك	١١	١٠٣

آلات ومعدات	٦٤	١٥٠
معدات كهربائية والكترونية	٩٨	٢٧١
معدات نقل	٣٠	٢٤٠
المجمـوع	**٢٥٧٤**	**٣٥٨٥**
واردات اسرائيل من نيجيريا		
كاكاو	٣١	١٠
صفائح لصناعة الخشب المعاكس	—	٢٥
مختلفـة	١	٥
المجموع	**٣٢**	**٤٠**

تجارة اسرائيل مع تانزانيا (بآلاف الدولارات)

	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات اسرائيل الى تانزانيا		
منتجـات زراعية وغذائية	١٤	٦٣
مواد خفيفـة	٩	—
مواد كيماوية وصيدلانيـة	١٨٦	٢١١
منتجـات البلاستيك والمطاط	٣١٤	٢٩٣
منتجات الخشب والورق	١٥٢	٨١٢
منسـوجات وازيـاء	٢٢٥	١٨٤
منتجات من الاسمنت والسيراميك والزجاج	٥٠	٣٨
منتجـات معدنيـة	١٤٨	١٤٥
آلات ومعـدات	٢٦٩	١٢٥
معدات كهربائية والكترونية	٣٠	١٥
مختلفـة	٣٤	٤١
المجموع	**١٤٤١**	**١٩٠٢**
واردات اسرائيل من تانزانيا		
مكسرات	—	٦
حبوب القهوة	٥١	٩٢
توابـل	١٢	٢٨
قطن واليـاف	١١٩	—
مختلفـة	١١	٤
المجمـوع	**١٩٣**	**١٣٠**

الحواشي :

١ _ Ben Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, p. 310.

٢ _ جريدة **البلد** العراقية ، ٦ أيلول ١٩٦٦ .

٣ — *Israel Economist*, June - July 1969 and April 1969.

٤ — L Laufer, *Israel and the Developping Countries*, New approach to cooperation, p. 48.

٥ — *Tricontinental*, No. 4, 1969: «Irael Mission Imperialiste en Afrique»,p.99.

٦ — L. Laufer, *op. cit.*, p. 49.

٧ — *Op. Cit.*, p. 77.

٨ — *Israel Economist*, June - July 1966

٩ — *Israel Economist*, October - November 1970.

١٠ — *Israel Economist*, December 1971

١١ — *Israel Economist*, June - July 1966

١٢ _ جريدة **الحياة** ، ١١ آذار ١٩٦٦ .

١٣ — *Israel Economist*, June - July 1966

١٤ _ **ملحق المحرر** ، « فلسطين » ، ٢٣ شباط ١٩٦٧ .

١٥ _ **المصدر نفسه** .

١٦ — *Israel Economist*, July 1972.

١٧ — *Israel Economist*, February - March 1972.

١٨ — *Israel Economist*, Feb. - March 1972.

١٩ _ **المصدر نفسه** .

٢٠ — *Israel Economist*, June - July 1966

٢١ — *Israel Economist*, December 1970

٢٢ — *Israel Economist*, June - July 1966

٢٣ _ جريدة « **فلسطين** » ، ٦ أيلول ١٩٦٦ .

٢٤ _ « **الجمهورية** » **العراقية** ، ٢ أيلول ١٩٦٧ .

٢٥ _ **المصدر نفسه** .

٢٦ _ **المصدر نفسه** .

٢٧ — *Israel Economist*, September 1971

٢٨ — *The Economist*, 24/8/1963.

٢٩ — Leopold Laufer, *op cit.*, p. 148.

٣٠ — Pierre Jalée, «*Le Pillage du Tiers-Monde*», Ed. Maspero, p. 91.

٣١ — *Israel Economist*, June 1972.

٣٢ _ **نشرة** « **رصد اذاعة اسرائيل** » ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ٥/٩/٧٢ .

٣٣ _ مجلة **الحوادث** ، ١ ايار ١٩٧٠ .

٣٤ — *Israel Economist*, September 1971

٣٥ — *Israel Economist*, November 1971

٣٦ — Laufer, p. 138

٣٧ — *Israel Economist*, 8/1/1966.

٣٨ — Laufer, p. 138 - 139.

٣٩ — *Jerusalem Post*, 23 September 1966.

٤٠ _ **الحوادث** ، ١ أيار ١٩٧٠ .

٤١ _ **الحياة** ، ٨ نيسان ١٩٦٧ .

٤٢ — **الحوادث** ، ١ أيار ١٩٧٠ .

٤٣ — *Israel Economist*, June 1971

٤٤ — Central Bureau of Statistics, *Imports and Exports*, 1970.

٤٥ — *Statistical Abstract of Israel*, 1972, p. 208 - 209.

٤٦ — *Central Bureau of Statistics*, 1968 & 1969 : Imports and Exports.

٤٧ _ مجلة **الهدف** اللبنانية ، ١٢ أيلول ١٩٧٠ .

٤٨ — *Christian Science Monitor*, 5/6/1970.

٤٩ _ **الاهرام** ، ٩ حزيران ١٩٦٩ ، تقرير للخارجية في مصر .

العصافير تبني أعشاشها بين الأصابع

[مسرحية شعرية في خمس لوحات]

معين بسيسو

يسر « شؤون فلسطينية » أن تنشر هذه القصيدة الدرامية للشاعر الفلسطيني المعروف معين بسيسو . ونحن لا نقدم هذه المسرحية بقدر ما نرحب بها . انهـــا صراع القدم المعلقة بين الهواء والتراب في رحلة وصول طويلة . « من ليس له قدم .. ليس له أرض » . ولا يكون الوصول الا بالمسيرة .. بالثورة .

ليس بمقدور اية قوة أن تفصـــم هذه العلاقة بين القدم ــ الرمز وبين الارض ــ الوطن ، « ماذا يفصل قدمي عن الارض ؟ لو شريان حبيبي حبل يفصلني عـــن هذي الارض ، فسأقطع شريان حبيبي » .

انها ليست قصيدة مرحلة ما في صراع الفلسطيني من أجل البلوغ . ولكنها نشيد الحلم الفلسطيني والعشق الفلسطيني . ماذا يريد الشاعر ؟ ماذا يطلب ؟ ليست هذه الاسئلـــة بذات جدوى . الشاعر لا يقدم حلا ، لانها ليست مهمته . الشاعر يغذي الحلم والرؤيا ؛ ويصرخ: « دقي يا قدمي جرس الارض .. دقي .. دقي » .

انه يخوض صراع القدم في وجه ما يعيق مسيرتها ووصولها الى التجسيد الكامل ، الى الارض ــ الوطن ، بشاعرية صافية وحركة غنية بالتوتر .

اللوحة الاولى

[● الخشبة — نصف اضاءة — ضـــوء بروجكتور يسقط فوق وجه امرأة ممددة فوق سرير . ضوء البروجكتور فوق ساقها اليسرى الملفوفة بالجبس والمعلقة بحبل . ثم ضـــوء البروجكتور فوق ساقها اليمنى في الاربطة . من السقف فوق رأس المرأة يتدلى منشار — رقاص ساعة — ضـــوء البروجكتور ثانية فوق وجه المرأة. تغطي وجهها بيديها الملفوفتين بالشاش. ترفع رأسها ، تدور بعينيها في الحجرة كأنها تراها لاول مرة ●]

المرأة [في صوت مبحوح كأنها تحدث نفسها]
— صوتي ... صوتي
صوتي أين ؟
هل صوتي ملفوف بالقطن هو الآخر ؟
صوتي لفوه بالاربطة البيضاء ؟
صوتي ، لغتي ، ذاكرتي ، قدمي ...
[تحاول أن تمد يديهـــا لساقها اليسرى ، الاربطة فوق صدرها تشدها ، تعض بأسنانها يديها المربوطتين بالشاش]
— قدمي كانت حبلى
ماذا ولدت قدمي ؟
حجرا أم سمكة ؟
لا أرى حجرا في الاربطة البيضاء ولا سمكه .
[تصرخ]
شقوا ساقي .
قالوا ، لن تحبل قدمي بعد الآن .
من يعطي قدمي نطفه ؟
من يتزوج ساقي ؟
من يتزوج ساقا في الاربطة البيضاء ...؟
[ترفع رأسها الى أعلى]
لو يسقط هذا المنشار، كنت أشق به قدمي...
يخرج طفلي .
يا طفلا يولد من قدمي .
يا طفلا صبوا الاسمنت على وجهه
لم لا يصعد صوتك من تحت القطن ؟
[تصرخ]
لم لا يصعد صوتك من تحت القطن ؟
[من الكوليس الايمن يندفع رجل — في صورة ممرض — لحجرة المرأة ، وهي تحاول قطع الاربطة التي تشد صدرها للسرير]

الممرض ● شامه . شامه .

المرأة — هل هذا هو اسمي ؟
[تتحسس خديها]
اسمي شامه
كان على خدي شامه
هل عصفور سقط على خدي والتقط الشامة ، حبة قمح سوداء ؟
[للممرض]
كيف وصلت الى هذي الزنزانه ؟

الممرض ● ما زلت تعانين من الغيبوبه .

المرأة — هل دخنت لفافة قطن ؟

كيف وصلت الى هذي الزنزانه ؟

الممرض ● انك في حجرة مستشفى .

المرأة — لم لا تكسر عن ساقي هذا الجبس ؟
[صوت ميكرفون يرتفع]
[... « من « ليلى » في « جبل التوباد » ، الى « بائعة الزنبق في الرمله » . « فرانك سيناترا » سيغني الليله ... »]
[صوت ميكرفون آخر]
[... « من « طائر نورس » . فوق البحر الميت « لعصافير الجولان » . عصا موسى ستشق البحر الان ... »]

المرأة — عصا موسى أم هذا المنشار ؟

الممرض ● « رقاص الساعة » ، منشار ؟!

المرأة — رقاص الساعة ، والساعة أين ؟
تحت الاربطة البيضاء هي الاخرى ...
لم لا تكسر عن ساقي هذا الاسمنت الابيض ؟

الممرض ● لست طبيبا .

المرأة — من أنت اذن ؟
بل من أنتم ؟
وأنا من ؟
[تصرخ]
أنا من ...؟
[تمد يديها تحاول ان تمسك بساقها المعلقة في الحبل ، الممرض يمســـك بيديها ، المرأة

تقاومه . من الكوليس الايسر يدخل رجل في — صورة طبيب — المرض لا يزال يمسك بيدي المرأة]

الطبيب x دعها .

[يقترب منها]
شامه .

المرأة — حتى اسمي لنوه بالقطن وبالشاش
سبعة أعوام وأنا أصرخ ضد القطن
سبعة أعوام تطعمني القطن .

الطبيب x أنا أعرف منك بقدمك .

المرأة — أنت . من علق ساقي ؟

الطبيب x انا من علقها ، كي ينقذها ...

المرأة — قدمي ليست ضد الارض .

الطبيب x لو لمست قدمك وجه الارض .
سقطت كالورقه .

المرأة — لن يسقط غير القطن . أنا ان لم أمش الان ، ستفقد قدمي ، ذاكرة الارض .

الطبيب x لو لمست قدمك وجه الارض . تسقط كالقشه . وسيخرج من تحت الاربطة البيضاء النمل الابيض . يخرج من تحت القطن . وسيخرج من بين أصابع قدميك ومن أذنيك النحل الابيض . وستصبح ساقك بين النمل الابيض والنحل الابيض . سيجر النمل الابيض من قدمك اصبع . ويمص النحل الابيض من قدمك اصبع .

المرأة — طول الوقت وأنت تهددني بالصوت وبالصوره

سبعة أعوام ، أسنانك في ساقي المكسوره . النمل الابيض والنحل الابيض والاسمنت الابيض ، خذ كل الالوان البيضاء . أولا يسقط فوق الارض ، شيء غير القطن وغير الثلج وغير المطر الابيض ؟. تعبت عيناي من اللون الابيض. حتى الشمس . صارت كرة من قطن . حتى دود القز . لا يغزل غير خيوط حرير بيضاء ..؟!

الطبيب x ماذا لو أعطيتك فرشـاة ، علبة ألوان ؟

المرأة — ماذا أفعل بالفرشاة وبالالوان ؟
تعبت كفي من رسم خرائط وطني

المرض [للطبيب]
● هل أحقنها ؟

الطبيب x شامه .

المرأة [كمن تحدث نفسها]
— الدمعة فوق الخد
كانت دمعه .
وتنحت الدمعة صارت شامه .
الكأس يدي والقدم العنقود
والجسد زجاجه .
كيف وصلت الى هذي الزنزانه ؟

الطبيب x كنت تقودين السيارة سكرانه
كنت تقودين السيارة ضد جميع قوانين شوارع هذا العالم .

المرأة — أنا ضد العالم ؟
أنا من لا تملك في اصبعها خاتم ...

الطبيب x لولاي لقطعوا ساقك بالسكين وبالشوكه

المرأة — أنا أعرف تلك السكين وتلك الشوكه
تطعتني كعكه
تطعتني سمكه
[تصرخ]
تطعتني ... تطعتني ... تطعتني ...

الطبيب x شامه.

المرأة — انك تعرف اسمي ...
لكني لا أعرف أين حذائي ؟
دعني أضع على هذي الارض
قدمي واذبحني من قدمي ...
انك لا تعرف جوع اليد للارض ، وجوع الفم للارض
لكني أعرف لو لمست قدمي الارض
سقطت هذي الاربطة البيضاء
ومشيت على وجه الماء

المرض ● هل أحقنها ؟

الطبيب x صار لصوتك رائحة اخرى ...

المرأة — هذي هي رائحة القطن .
لن يأتي عصفور ويعشش في اذني
لن أبقى في هذي الحجرة يوما آخر ...
[تحاول تقطيع الاربطة فوق صدرها ، المرض

يمسك بيديها]

● لا بد وأن أحقنها الان .

الطبيب × احقنها
حين امرأة تحبل وتشم النطفه ...
تصبح امرأة خطره .
أعط لها تلك الحقنه .

[المرض ينقض على المرأة ، وصوت المرأة وهو يرتفع]
— النجده . النجده .
النمل الابيض سيجر الورده .
النمل الابيض سيجر الورده .
[اطفاء]

اللوحة الثانية

[حجـرة مكتب الطبيب . تليفـون وصحف وملفات . في صدر الحجرة صورة أشعة كبيرة لساق . فوق الصورة ساعة حائط مربعة بلا عقربين . الطبيب خلف مكتبه ، يقلب بعض الاوراق . المرض يدخل]

الطبيب × كيف هي الان ؟

المرض ● لو في يدها ، عود من كبريت أحرقت الشمس .

الطبيب × ماذا لو في يدها اصبع ديناميت ؟
[ينهض من وراء مكتبه ويتقدم من المرض]
رغم الاعوام السبعة والساق معلقة في الحبل .
ما زالت تحمل في تدميها نطفة هذي الارض .

المرض ● كان علينا أن نضع الساق علـى السندان ، وأن نطرقها .

الطبيب × نطرقها ماذا ؟
مسمارا ، مجدافا ، آنية زهور
عقرب ساعة حائط .؟

المرض ● ما عاد دم دمها ، صار بحـيرة أفيون .
[كمن يحدث نفسه]
أنا لن أنسى أبدا ذاك اليوم .
هاجت . خرجت من تحت القطن أظافرها
ضربتني ...
أمسكت بيدها ، وضربت أصابعها فوق الحائط .
دمها سال
جنت وجننت .
كلب أبيض جاء ولا أدري من أين ؟ من تحت وسادتها أم من تحت القطن . لحس الكلب الدم ثم عوى وهوى فوق الارض . سكران من الدم .

الطبيب × الدم يصبح سما ، ان كف عـن الجريان .
الدم لا يتعتق — كالخمرة — في الشريان ...
هل تفهمني ...؟

المرض ● ماذا أفعل ؟

الطبيب × احمل منشارك واتبعني ...

المرض ● أتبعك الى أين ؟
أنت تحطمني . حتى امرأتي صارت ترفضني .
صرت أخدرها لاضاجعها . هل جربت النوم مع امرأة من قبل . والقطن يغطيها .؟
[كمن يحدث نفسه]
لو تعطيني تلـك المرأة ليله . والقطن يغطي العينين . والقطن يغطي الشفتين . النهدين . الفخذين . ما أجملها امرأة تحت القطن وتحت الاربطة البيضاء .

الطبيب × احمل منشارك واتبعني ...

المرض ● سبعة أعوام كنت أشم القطن على فخذيها وأجن . حين اشم القطن أجن .

الطبيب × حين امرأة تعطي يدها ، تعطي فمها.
لو تلك المرأة أعطتني قدميها ...
تستعطيني فخذيها .

قد بدأ صراخ الثمره
فوق الشجره
[صوت المرأة وهو ينطلق]
ـ تظهر أو لا تظهر

جذع الشجرة ينشق وتظهر ...
قدمي تنشق وتظهر .
تظهر أو لا تظهر ...؟
[اطفاء]

اللوحة الثالثة

[المرأة فوق السرير . ضوء البروجكتور فوق وجهها ، ثم فوق المنشار المتدلي فوق رأسها . المرأة تحاول النهوض ، ثم تتهاوى . الممرض يدخل الحجرة وفي يده منشار ويتقدم من سرير المرأة ... تصرخ]
ـ لا ... لا ... لا ...

الممرض [وهو يلوح بالمنشار في وجه المرأة]
● لم لا ...

المرأة [تشرع يديها في وجهه]
ـ لا ... لا ...

الممرض ● سبعة أعوام وأنا لا أسمع منك سوى كلمة « لا » .

[يقترب من ساقها المعلقة ويضع المنشار فوقها والمرأة تحاول ان تمد يدها لتمسك بيديه]

الممرض ● شامه

الساق اليسرى صارت كالزائدة الدوديه

المرأة ـ لا ... لا ...، انك لن تفعل هذا...

الممرض ● لو لم أقطعها ، ستنتقل العدوى للساق اليمنى ...

ومن الساق اليمنى ليديك .

ثم الى الرأس
ماذا سوف تقولين الان ؟

الساق اليسرى أم رأسك ؟

القدم أم الرأس ؟

المرأة [تصرخ]
ـ اخترت الارض .. اخترت الارض ...

الممرض ● لو بقيت لك تلك الساق اليمنى ، أنقذت الرأس .

أصبح كالجبل الراسخ بين الكتفين .
شامه .

حتى الرأس محايد .
بين الكتف اليمنى والكتف اليسرى .

المرأة ـ رأسي ليس كرقاص الساعه
رأسي ليس مذكرة للطقس
مطر حين تشاؤون .
ثلج حين تشاؤون .
لا مطر لا ثلج حين تشاؤون ...

[الممرض يضع المنشار فوق الساق اليسرى ، والمرأة تهز ساقها في الحبل وتحاول قطعه]

الممرض ● ساقك أصبح كالمنقود
ساقك عنقودي ...
ساقك عنقودي ...

المرأة ـ رأسي ليس هو الكأس
رأسي ليس هو الكأس ..
[اطفاء]

اللوحة الرابعة

[المنظر نفسه ، حجرة المرأة ، المرأة ممددة فوق السرير ، في حالة اغماء . ملاءة بيضاء تغطيها حتى العنق. المرض الى جانب السرير، يدخل الطبيب ، ويتجه الى سرير المرأة]

الطبيب × تبدو في حالة اغماء

المرض ● كادت من هول الخوف تجن

وأنا لا أدري ، كدت أنا الاخر ، من هول الخوف أجن

كدت أحز الساق .

فقطعت الحبل .

الطبيب × لو لم نقطعه نحن ، ستقطعه هي بالاسنان .

انك لا تعطي بركانا لفراشه

انك تعطيها شمعه .

والدودة لا تعطيها شجرة رمان .

تعطيها رمانه .

هل تسمعني

المرض ● [كمن يحدث نفسه]

تلك الساق . كم كنت أراهـا تهبط تقف على جفني .

ثم تصب الاسمنت على عيني

[يضع يديه على عينيه ويصرخ]

ان لم أقطعها ... قطعتني ...

تلك الساق ...

لن تتركني أغمض عيني

حتى تصبح تحت الرأس وساده .

لكن ها هي ذي الآن بلا حبل .

الطبيب × لن تضع القدم على الارض .

المرض ● كيف ؟

الطبيب × أترك هذا لي ... وتعال معي الآن.

لن تقوى ان تفعل شيئا ، وهي بهذي الحاله.

اتبعني .

المرض ● سبعة أعوام وأنا أتبعك ، وساق المرأة تتبعني ...

[يخرجان . المرأة تصحو . ترفع عينيها الى أعلى . ترى الحبل لا يزال يتدلى . تنهض وتصرخ]

— ساقي ... ساقي ...

هل جرتها نمله ؟

أم مصتها نحله ؟

[تزيح الملاءة ، تنهض ... تمد يديها وتطوق ساقها اليسرى]

المرأة [تجهش]

— صرت معي الآن ...

صرت معي الآن ...

عدت الي الآن .

عالية كنت كرأس النخله . حتى حين الريح تهزك فتميلـين ، فسعفك ، لا يلمس وجـه الارض .

ها أنت معي الآن ...

وأنا لي كفان . وسأحميك بهاتين الكفين .

[ترفع رأسها]

يا ساقي اليسرى ، يا قدمي ... الآن خذيني الآن

الى ذاك البستان . الى شجر الرمان .

عاشقة أنا لا فم — من أهوى — فوق فمي... ،

لا يد — من أهوى — فوق يدي .

لا دمه فوق دمي ، كالشامة فوق الخد .

يا جرس الرعد .

من علق فوق الخشبة ، نزل من الخشبة ، ناولني تفاحه .

قال : خذيها . واستمعي لي :

« من علقني فوق الخشبة ، فوق الارض . كان يخاف فلو لمست قدمـي الارض . فستتبعني الارض . والفقراء يصيرون ملوك الارض .»

من علق فوق الخشبه . ناولني تفاحه . قال خذيها واستمعي لي :

« ... لا يعرفني من يوقد تحت الخشبة شمعه. يعرفني من يقلع من كفي او من قدمي مسمارا. الاعداء يدقـون مسامير والعشاق يدقـون شموعا . وأنا فوق الخشبـه . أبصق فوق المسمار وفوق الخشبه . من يعشقني وأنا فوق الخشبه . ويصيح أبي . ليس هو ابني . من ينزلني من فوق الخشبة هو ابني . هو وطني.»

[تصرخ]

من علق فوق الخشبة ناولنـي تفاحه . قال خذيها . « من سوف يعلـق جرسا في قدمي فليتبعني . فليتبعني . فليتبعني » .

[تتهاوى فوق السرير . يدخل الطبيب والمرض وهو يدفع أمامه كرسيا ذا عجلتين . والطبيب وهو يتقدم من المرأة]

الطبيب × شامه .
ما عادت ساقك في الحبل معلقة، كيف هي الآن؟

المرأة — لم هذا الكرسي ؟

الطبيب × الكرسي صديق . والكرسي طريق .
من غير الكرسي ، فكيف تسيرين على الارض ؟.

المرأة — تدمي عطشى .

الطبيب × سيقودك هذا الكرسي الى النهر .

المرأة — لم لا تعطيني بدل الكرسي حذاء ...؟
[المرض يتقدم من سرير المرأة]

المرض ● سبعة أعوام ، كرسيك كيس من رمل ، مائدتك صخره .
ورغيفك كان سحابه . أنا أعطيك الآن رغيفا .

المرأة — من أنت ؟

المرض ● أنا سائق هذا الكرسي .

[ينقض عليها ، يحاول ان يحملها من السرير ويضعها فوق الكرسي]

الطبيب × دعها .
[يقترب منها]
شامه .

المرأة — صارت قطرة حبر فوق الخد الشامه.

الطبيب × الكرسي هو المجداف .

المرأة [تصرخ]
لا ... ساقي مجدافي ، قدمي الزورق .
[تحاول النهوض ، الطبيب والمرض ينقضان عليها ، ويحملانها من السرير ويضعانها فوق الكرسي ، ويشدونها فوقه بالاربطة ، والمرأة وهي تصرخ ، وقد أصبحت فوق الكرسي] :
— هل سوف تجيء الان ؟
الشجرة صارت كرسيا ، والصخرة صارت مائدة ،
هل سوف تجيء الآن ...؟
هل سوف تجيء الآن ...؟
[اطفاء]

اللوحة الخامسة

المقطع الاول

[الحجرة نفسها ، المرأة مربوطة فوق الكرسي ذي العجلتين . المرض خلف الكرسي يدفعه ، المرأة تمسك بالعجلتين وتصرخ] :

المرأة — قف . قف .
[يتوقف]

المرض ● ماذا الآن ؟

المرأة — لست كسيحه .

المرض ● اسبوع أو اسبوعان وتعتادين عليه

المرأة — أعتاد على ماذا ؟

المرض ● تعتادين على هذا الكرسي ...

المرأة — سبعة أعوام تربطني فوق سريـر .
تنزلني . تربطني فوق الكرسي وتدفعني ...
أين ستربطني ، في العام التاسع او في العام العاشر ؟

المرض ● العام التاسـع والعاشر في جيب طبيب المستشفى .

المرأة — ماذا في جيبك أنت ؟

المرض ● في جيبي خمسة اشياء .
رخصة هذا الكرسي .
بوليصة تأمين .
تقرير طبي عن ساقيك .
خارطة شوارع هذي الحجره .
دودة قز .
تغزل خيط حرير أبيض يكفي ليطوق خصر الكرة الارضيه .
ماذا لو أعطيتك ابره ؟.

المرأة — ماذا أفعل بالابره ...؟
ماذا سوف أطرز بالخيط الابيض ؟.

المرض ● منديلا أبيض .

المرأة — أما أنا فسأجمع شوك الارض وعشب الارض ، وزهر الارض ، وأنسج جورب .

المرض ● في جيبي دودة قز .

المرأة — في جيبك ضفدع .
[تصرخ]
في جيبك وحل ...
وحل ... وحل ... وحل
[ينقض عليها ويهزها من كتفيها]

المرض ● شامه ...

المرأة — ابعد وحلك عني وارحل ...

المرض ● أنا سائق هذا الكرسي ...
من يملك كرسيا ، سيكون له أرض ...

المرأة — أرض في حجم الكرسي ...
قل لي ما هو عرض الكرسي : متر ،
ما هو طول الكرسي : متران ...؟
هل هذي هي أرضي ...
ارض في حجم الكرسي ...؟
حتى أرض الزنزانة أكبر .

المرض ● راحة كفي هي أرضك ، لا توجد لك أرض أخرى. في راحة كفي نهرك ، جبلك ...، كرسيك ... ، علمك ،

المرأة — [مقاطعة]
أنا لا أبحث عن علمي ...
أنا أبحث عن قدمي ...
حين على الارض ترفرف قدمي ...
سيرفرف علمي ...
[تصرخ]
قدمي : علمي ...
قدمي : علمي ...
[المرض ، ينقض عليها ... يلطمها فوق خديها ... ويهزها من كتفيها ...]

المرض ● سكرانه ... سكرانه ...

المرأة — كيف تجيء زجاجات الخمر الى هذي الزنزانة ...؟
خذ رأسي ،
لكن لن أعطي لك قدمي محبرة ... أبدا ...
لن أعطي جسدي ، خارطة أو ورقة ...
قدمي : علمي ...
ودمي يتبع قدمي ...

المرض ● قدمك كانت قاتلتك طول الوقت تقتلك من أعطاك حذاء ...

المرأة — لكن أنت ...
أنت ...
ماذا أعطيت لقدمي ...؟
هذا القطن ...
هذي الاربطة البيضاء ...
بدل النهر ، زجاجة ماء ...
بدل الجبل الكرسي ...
هل جبل جلس على الكرسي ، ولم يتدحرج حجرا رأسه
هل نهر جلس على الكرسي ، ولم يسقط من يده كأسه
هل عصفور سقط على حجر الطاحون ...
كي يلتقط القمح ولم يطحن ...
أي رغيف من ريش تعطيه الطاحون ...؟

المرض ● [يهزها من كتفها]
شامه ...

المرأة — لن تصبح وحلا فوق الخد الشامه ...

المرض ● [يهزها]
في جيبي ... دودة قز ...

المرأة — [تدفعه بيديها ... المربوطتين بالشاش]
أنا لا أبحث عن علمي ...
أنا أبحث عن قدمي ...
حين على الارض ترفرف قدمي ...

سيرفرف علمي ...
أنا لن أعطي لك قدمي ، مجبرة أبدا ...
لن تخصي قدمي أبدا ...
قدمي علمي ...
[تحاول النهوض والاربطة تشدها الى الكرسي]
قدمي علمي ...
. من يتبع قدمي ...
أعطيه علمي ...
ستكون له الارض ...
سيكون لمن يتبع قدمي علمي
ستكون له الارض ...
كل الارض
كل الارض ...
[اطفاء]

المقطع الثاني

[مكتب الطبيب .. الطبيب والمريض ...]

الطبيب × كيف هي الآن على الكرسي ...؟

المريض ● تحلم بالجورب قبل العلم ، وتحلم بالشجرة قبل الكرسي ...
لا بد وأن نفعل شيئا ... ،
تحت القطن أظافر قدميها ويديها ... تكبر...
حين أحدق في عينيها ...
صرت أحس بأن رموش العينين أظافر ...
تخدش وجهي ...
تنغرس بوجهي ... ابرا ...
[كمن يحدث نفسه]
النملة تسحب حبة قمح ، عودا من قش فوق الارض
لكن هذي المرأة توشك ان تسحبني
المرأة تحبل من شفتيها
تحبل من نهديها
لو يدها لمست يد من تعشق ، تحبل
لكن هذي المرأة ، تحبل لو لمست قدماها الارض
تحبل من قدميها .

الطبيب × [يتقدم من المريض]
أنت قرأت ملف المرأة ...؟

المريض ● عشرات المرات ...

الطبيب × هل تذكر ما حدث لها في حقل الزيتون ؟
حين اغتصبوها كانت طفله .
ثم رموها في البئر ...
غطوا فمها بالعشب وبالطين ورحلوا ...
كانت تصرخ في قاع البئر .
والمغتصبون ، يشقون القمصان ...
ويبيعون الورد .
كنت تصرخ ، فمها أصبح تحت أظافرها ،
راحت تضرب بأصابعها أحجار البئر ...
كان الفقراء يقولون : قلب الارض يدق .
حجرا ، حجرا ، راحت تصعد من جوف البئر.
تصعد حجرين وتسقط في الماء . تنهض ، تصعد خمسة أحجار ، تسقط في الماء . تصعد عشرة أحجار ، تسقط في الماء .
حتى بلغت فم تك البئر .
شقت بأصابعها الطين وخرجت .

المريض [يصرخ]
● ماذا بعد ؟. ماذا بعد ؟.

الطبيب × انك لم تر أبدا تلك المرأة عريانه .
لم ترها غير امرأة من قطن .
لم ترها امرأة من ماء .
حين المرأة تعشق ، تنسكب على الارض كنهر .
النهد يصير بحيرة .
والاصبع مجداف .
والفم زورق .
[يسكت لحظة]
تلك المرأة خرجت من جوف البئر .
خرجت عريانه .
من بين أصابع قدميها ، نبتت أشجار ، غطتها بالاوراق .
والمرأة صارت شجره .
صارت تتنقل من حقل اللوز ، الى حقل القمح،

الى حقل الزيتون .
أول من عشق المرأة ، كان الاطفال . الاطفال يحبون المعجزة ،
ولكن الآباء يحبون رغيف الخبز .
بين المعجزة وبين رغيف الخبز . يد تلك المرأة.
انك لم تلمس يوما يدها .

المريض [يصرخ]
● ماذا تطلب مني الآن ؟.
معجزة ، ام خبزا ؟

الطبيب x تلك المرأة عاشت سنوات في قاع البئر .
فمها مملوء بالليل وبالماء .
والارض حذاء القدم العريانه .

المريض ● هذي المـرأة تبصق من شفتيهـا التطن ، وتبصق من قدميها الكرسي .
ماذا أفعل ؟.

الطبيب x لا بد وأن تغتصب المرأة ، لا فوق سرير ، بل فوق الكرسي .
حينئذ ، ستكون لنا المرأة .
اما فوق الكرسي قتيل، أو فوق الكرسي القاتل.
[اطفاء]

المقطع الثالث

[الحجرة . المرأة فـوق الكرسي ، تدفـع العجلتين بيديها ثم تتوقف]
المرأة [كمن تحدث نفسها]
ـــ طول العمر يداي .
عاشقتان تحبان الارض .
كيف تخونان الارض الآن ...؟
أعطتني نطفتها الارض فماذا أعطيت الارض ؟.
علبة كبريت ، شمعه .
أعطتني دمها ، أعطيت لها ، دمعه .
أعطتني غدها ، أعطيت لها الامس .
يا قدمي العاشقة طريق العشق طويله .
شرياني للمصباح فتيله . ودمي الزيت .
[تدفع بيديها عجلتي الكرسي ثم تتوقف]
أنا ادفع ماذا ...؟
سبعة أعوام والدود .
يخرج من قدمي ويعود .
سبعة أعوام يمتص النحل أصابع قدمي .
قدمي فاكهة الارض .
ويدي ماذا ...؟
كأس الارض ...؟
ماذا يفصل قدمي عن الارض ؟..
لو شريان حبيبي ... حبل ، يفصلني عن هذي الارض .
فسأقطع شريان حبيبي ... أقطعه بالاسنان .
[تشد بيديها الاربطة التي تشدها للكرسي ، حبل ينقطع .]
ـــ أنا لست على كرسي ، أعترف عليه .
أعترف بماذا ...؟
أعطاني الكذاب وأعطـاني مقطوع الذيـل ، وأعطاني مقطوع الرأس .
خاتمه . لا يوجد في الاصبع خاتم . قالوا ، كيف سيعترف بك العالم ؟.
[تشد الحبل الثاني فتقطعه بيديها وأسنانها، دوي جرس انذار ، يدق ... والمرأة تنظـر لقدميها وتصرخ]
ـــ هي ذي رائحة الارض تفوح .
يا قدمي شمي الارض .
يا قدمي ، زوجتك حجرا ، زوجتك كيسا من رمل ، زوجتك نهرا ، زوجتك هذي الارض .
[جرس الانذار يدق بعنف . المرأة ترتكز بيديها على قائمتي الكرسي ، وتمد قدمها اليسرى حتى توشك أن تلامس أرض الحجرة ، ترفعها فجأة. وكمن تحدث نفسها]
المرأة ـــ ماذا لو لمست قدمي الارض ؟
من ليس له قدم ، ليس له أرض ...
[المرأة تضع قدمها اليسرى فوق الارض ثـم قدمها اليمنى ... وجرس الانـذار يواصل رنينه ، مختلطا بدوي بوق عربة الاسعاف]
[صوت ميكرفون يرتفع]
[... « من عصفور . في آنيـة زهور .

السمكة تنتظر الكعكه »] .
[صوت ميكرفون آخر]
[... من بابلو نيرودا وهو يموت، انتظروا أوراق التوت ؟؟..]
[صوت ميكرفون ثالث]
[« ... من اصبع اجمل عاشقة في العالم . أنا أنتظر الخاتم ... »]
[المرأة ترتكز بيديها على قائمتي الكرسي ، وتنهض ، تضرب الارض بقدمها اليسرى ، ثم بقدمها اليمنى وتصيح] :
— هي ذي الارض .
مائدة الفقراء .
يا قدمي كوني فاكهة الارض ، على مائدة الفقراء .
[تدفع الكرسي ... وتبدأ خطوتها الاولى . الطبيب والمرض ، يندفعان اليها]

الطبيب × شامه . شامه .
الارض ... الارض .

المرأة — اعطتني نطفتها الارض .
أعطتني يدها ، فمها ... سبعة أعوام وأنا فوق سريرك ،

الطبيب × أنزلتك وقطعت الحبل .
أعطيتك كرسيا .
المرأة — [خطوة ثانية الى الامام]
سكينا ...

الطبيب × دودة قز .

المرأة — حبلا ...
[خطوة ثالثة الى الامام]

الممرض [ينقض عليها]
● زانية ...

المرأة [وهي تدفعه]
— أنا زوجة هذي الارض .
زوجة هذي الارض .
[خطوة رابعة الى الامام]

الطبيب × أين ستمضين ...؟

المرأة — حتى يسقط لحمي ...
يتناثر فوق الارض .
ريشا يصنع منه الفقراء عصافير .
عندئذ سأسير على عظمي ...
حتى يتناثر فوق الارض بحيرات
يصنع منه الفقراء مرايا وشبابيك
[خطوة خامسة الى الامام ...]
الطبيب × شامه ... شامه ...

المرأة [خطوة سادسة الى الامام]
— حتى لو لم تبق هنالك ارض .
سأقص الجلد وأفرشه ،
وأسير على الجلد .
[خطوة سابعة الى الامام]

الطبيب × ستكونين سجينة جلدك .
[الخطوة الثامنة الى الامام ، والممرض وهو يندفع الى الكوليس الايمن ويشد حبلا . جرس الانذار يدق بعنف ، يختلط بدوي بوق عربة الاسعاف . ستار ابيض شفاف يسقط فوق الخشبة . المرأة خلف الستار ، تندفع هنا وهناك كأنها تبحث عن مخرج . وأضواء البروجكتورات الحمراء تطاردها]
[المرأة تصرخ]
— حتى آخر قدم في الزنزانة قد سرت اليكم
يهرب دمكم من تحت الجلد وتأكلكم .
كالديدان أصابعكم .
ماذا يفصلني عنكم ؟.
حائط قطن ؟
[تتنقل خلف الستار ، وأضواء البروجكتورات الحمراء تسقط فوقها]
— وجهي خلف سحابه .
الكأس يدي والجسد زجاجه
والقدم المنقود .
قدمي جرس الارض .
من يتبع قدمي ، أعطيه جرسي .
دقي يا قدمي ، يا جرس الارض
يا قدمي يا جرس الارض .
ستعشش في أذني عصافير الارض .
ستعشش بين أصابع قدمي عصافير الارض .
دقي يا قدمي يا جرس الارض .
دقي ...
دقي ...
دقي ...
[اطفاء]

دليل الباحثين :
افكار فتح السياسية والعسكرية

(من ١/١/١٩٦٥ حتى ٣١/١٢/١٩٧٢)

اعداد المقدم الهيثم الايوبي

منذ ان اطلقت « فتح » الرصاصة الاولى مفتتحة صفحة جديدة فيصفحات نضال الشعب الفلسطيني، ومنذ أن عادت الطلائع الفلسطينية لتمسك زمام قضيتها بكلتا يديها وترفع لواء الكفاح المسلح على اعتباره الوسيلة المثلى لتحرير الوطن ، بدأ اعداء الثورة في الداخل والخارج حملة عسكرية ــ سياسية ــ اعلامية تستهدف خنق البدايات الثورية قبل نموها ، وتشويه حقيقة النبتة التي اخترقت الصخر ، والقاء الظلال على اهداف الثورة وغاياتها النبيلة .

وردت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » على تدابير العدو القمعية وحملاته الاعلامية المضادة بتصعيد عملياتها العسكرية ، وزيادة تلاحمها مع الجماهير الفلسطينية والعربية ، وطرح فكرها السياسي ــ العسكري على أوسع نطاق . ودخل قادتها ومنظروها معارك اعلامية وفكرية لا تقل عن المعارك العسكرية شراسة وعنفا . وكانوا يستهدفون من جهودهم الاعلامية واسهاماتهم الفكرية تعبئة القواعد الفتحوية تعبئة سياسية ــ عسكرية كاملة ، ونشر افكار فتح ومنطلقاتها على اوسع نطاق بين صفوف الجماهير الفلسطينية والعربية ، والرد على الغزوة الفكرية المشبوهة عن طريق دحض افتراءات الغزاة وابواقهم المأجورة ... وهكذا تبلورت افكار « فتح » بشكل مباشر وغير مباشر . واتضحت نظريتها السياسية ــ العسكرية المرتكزة على محاور فكرية محددة .

ولقد رأينا ان من مصلحة الثورة وضع هذا الدليل الذي يهدي الباحثين والمفكرين العرب الراغبين في التعمق بدراسة الفكر الفتحوي (السياسي ــ العسكري) ، فلجأنا الى ادبيات « فتح » منذ انطلاقتها في مطلع كانون الثاني من عام ١٩٦٥ ، ودرسنا وثائق « فتح » المحفوظة في مركز الابحاث الفلسطينية ، وهي تضم جل ما أصدرته « فتح » من صحف ونشرات وكراسات وكتب . واعتمدنا على ما نشر فيها من احاديث صحفية وندوات ودراسات وتحليلات لنتوصل بعد ذلك الى تصنيف الفكر الفتحوي تحت عناوين تشكل في الحقيقة علامات تهدي الباحث الى منصلات هذا الفكر ومرتكزاته وابوابه الرئيسية .

ومن الجدير بالذكر ان هذا الدليل لن يقتصر على فكر « فتح » بل سيعقبه اكثر من دليل حول افكار منظمات المقاومة الرئيسية الاخرى التي سارت على خطوط فكرية موازية لخطوط « فتح » الفكرية او متقاطعة معها ليتكون لدينا في نهاية المطاف دليل يسلط الاضواء على فكر الثورة الفلسطينية بكل فصائلها .

ولقد حاولنا عند اعداد هذا الدليل ان تكون دراستنا شاملة ، وان يكون عملنا كاملا بشكل مطلق . بيد ان بعض الصعوبات العملية كنقص بعض النشرات والوثائق في محفوظات مركز الابحاث ، وعدم اطلاعنا على نشرات « فتح » الداخلية السرية جعل عملنا قريبا من الكمال دون ان يتوصل الى درجة الكمال المنشودة التي لا يمكن بلوغها الا بتعاون منظمات المقاومة الفلسطينية مع مركزنا ، وتزويده بكل ما يصدر عنها من ادبيات .

اما المصادر التي اعتمدنا عليها في وضع هذا الدليل فهي :

— الوثائق العسكرية (فتح) .
— كراسات سلسلة دراسات وتجارب ثورية .
— كراسات مكتبة المقاتل والشبل .
— كراسات متفرقة صادرة عن فتح .
— جريدة فتح (في الفترة التي كانت تنطق بها باسم الحركة) .
— نشرة فتح الاسبوعية .
— مجلة الثورة الفلسطينية .
— نشرة حصاد العاصفة .
— مجلة شؤون فلسطينية .
— مجلة المسيرة .
— نشرة فلسطيننا .
— نشرة **Fath Information** الصادرة بباريس.
— كتاب رقم ٢٤ من سلسلة ابحاث فلسطينية (مركز الابحاث) .
— كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث) .

آ — الافكار السياسية

١ — أهداف حركة فتح :

		عدد	سنة
ص ١١	مجلة الثورة الفلسطينية	٥	١
ص ١٤	مجلة الثورة الفلسطينية	٥	١
ص ٢٠	مجلة الثورة الفلسطينية	٥	١
ص ١٦	مجلة الثورة الفلسطينية	٩	١
ص ٢٠	مجلة الثورة الفلسطينية	٩	١
ص ٢٦	مجلة الثورة الفلسطينية	٩	١
ص ٨	مجلة الثورة الفلسطينية	٢	١
ص ٣	مجلة الثورة الفلسطينية	٨	١
ص ٨	مجلة الثورة الفلسطينية	٩	١
ص ٢٨	مجلة الثورة الفلسطينية	١٠	١
ص ٣	مجلة الثورة الفلسطينية	١٢	١
ص ٤	مجلة الثورة الفلسطينية	٢٢	١

٢ — حركة تحرر وطني ام تحرر وطني — اجتماعي؟

		عدد	سنة
ص ٣٠	مجلة الثورة الفلسطينية	٧	١
ص ٨	مجلة الثورة الفلسطينية	١١	١
ص ٦	مجلة الثورة الفلسطينية	١٢	١
ص ٢	مجلة الثورة الفلسطينية	١٤	١
ص ٥	مجلة الثورة الفلسطينية	٢٠	١
ص ١٠—١١	مجلة الثورة الفلسطينية	٢٢	١

ص ٦٤—٦٧ كراس رقم ١ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية — فتح — (من منطلقات العمل الفدائي)

ص ٢ نشرة فتح رقم ٢
ص ٢ —٣ نشرة فتح رقم ٧
ص ٣٠٩ جزء ٢ وثائق عسكرية فتح
ص ٢٨١ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٤
ص ٣١—٣٢ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٤
ص ١٤—١٦ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٧
ص ٦٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٢٢
ص ٣ جريدة فتح عدد ٣١

٣ — ثورة ام حركة مقاومة ؟

ص ١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١١ سنة١
ص ٥ — ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١١ سنة١
ص ٥ حصاد العاصفة — لبنان عدد٥٥ تشرين الثاني ١٩٧١

٤ — اسباب اندلاع الثورة

ص ٣ جريدة فتح عدد٤١
ص ١٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٨ سنة١
ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢
ص ١٠—١٢ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧
ص ٣٦—٤٥ كراس رقم ١ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية — فتح — (من منطلقات العمل الفدائي)
ص ٦ — ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١
ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ٣١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١
ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١

ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٨ سنة١

٥ ـ فلسطينية المنطلق

ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١
ص ١٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٤٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٦ سنة١
ص ٤٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٦ سنة١
ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ٦٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ١ حصاد العاصفة ـ لبنان عدد٩٧ كانون الثاني ، ١٩٧٢ (البيان الاول)
ص ٣ جريدة فتح عدد٦
ص ٣ نشرة فتح الاسبوعية عدد٧
ص ١٣ـ١٤ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧
ص ٤٥ـ٦١ كراس رقم ١ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية ـ فتح ـ (من منطلقات العمل الفدائي)

٦ ـ عروبة المعركة

ص ٢٨٢ مجلة شؤون فلسطينية عدد٤
ص ٣٢ـ٣٣ مجلة شؤون فلسطينية عدد٥
ص ١٦ـ١٧ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧
ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١
ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ٥ المسيرة عدد١١
ص ١٧ المسيرة عدد٣٢
ـ كراس رقم ١ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية ـ فتح ـ (من منطلقات العمل الفدائي)

ص ١٠ـ١٣ دراسات وتجارب ثورية بدون رقم (مناقشة فكرية حول شعارات وأهداف ومنطلقات الحركة)

٧ ـ عدم التدخل في شؤون الدول العربية

ص ١٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٧ سنة١
ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٧ سنة١
ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١

ص ٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ٢٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ١٠ حصاد العاصفة عدد٣١ تشرين الاول ١٩٧١
ص ٢ جريدة فتح عدد١٧
ص ١ جريدة فتح عدد١٨
ص ١ جريدة فتح عدد١٩
ص ١ جريدة فتح عدد٢٣
ص ١ جريدة فتح عدد٣٧
ص ٥ نشرة فتح عدد٢
ص ٤ نشرة فتح عدد٣
ص ٦ نشرة فتح عدد٧
ص ١٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٢٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٢٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٨١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٧ سنة١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ٣٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٤ سنة١
ص ٥ ـ٨ دراسات وتجارب ثورية بدون رقم (مناقشة فكرية حول شعارات وأهداف ومنطلقات الحركة) .
ص ٢٠ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧
ص ٢١ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧
ص ٥ نشرة فتح الاسبوعية عدد٩
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٩
ص ٣٠ مقدمة البلاغ ٢٠ الجزء الاول وثائق عسكرية (فتح)
ص ٣١٠ الجزء الثاني وثائق عسكرية (فتح)
ص ٣٤٢ الجزء الثاني وثائق عسكرية (فتح)
ص ٣٣٠ الجزء الثاني وثائق عسكرية (فتح)
ص ٣٤٢ـ٣٤٣ الجزء الثاني وثائق عسكرية (فتح)
ص ١٠ حصاد العاصفة ـ لبنان عدد٣٣ تشرين الاول ١٩٧١
ص ٤ حصاد العاصفة ـ لبنان عدد٣٦

تشرين الاول ١٩٧١

ص ٥ حصاد العاصفة ــ لبنان عدد ٣٦

تشرين الاول ١٩٧١

ص ٦ المسيرة عدد ١١

ص ٢٨٥ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٤

ص ٣٠ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٥

ص ١٦ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٦

ص ١١ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٧

ص ٣١٨ ــ ٣١٩ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٨ ــ دور فتح القيادي

ص ٣٨ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٥

ص ١٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٥ سنة ١

ص ١٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٥ سنة ١

ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٨ سنة ١

ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٩ سنة ١

ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٩ سنة ١

ص ١٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٢٢ سنة ١

ص ٤ المسيرة عدد ١

ص ٣٥٩ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني

ص ٣٠١ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٩ ــ صفات عضو فتح وواجباته

ص ٣ نشرة فتح الاسبوعية عدد ٦

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد ١٠

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد ١١

ص ٧ ــ ٤٠ كراس من اخلاقيات المقاتل الثوري (مكتبة المقاتل والشبل) رقم ٤ (فتح)

ص ٢ ــ ١١ كراس اليقظة الثورية (المناضل الاسير والمسلح الثوري) (فتح)

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد ١٢

ص ٣ نشرة فتح الاسبوعية عدد ١٣

ص ٦ نشرة فتح الاسبوعية عدد ١٧

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد ٤٨

١٠ ــ حول دولة فلسطين الديمقراطية

ص ٥ فما بعد مجلة الهدف عدد ٢٠

ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٧ سنة ١

ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٨ سنة ١

ص ٣١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٨ سنة ١

ص ١٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٩ سنة ١

ص ٦٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ١٦ سنة ١

ص ٨١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ١٩ سنة ١

ص ١٤ حصاد العاصفة ــ لبنان عدد ٦٩ كانون الاول ١٩٧١

ص ٥ نشرة فتح الاسبوعية عدد ٩ سنة ١

— سلسلة أبحاث فلسطينية رقم ٢٤ (مركز الابحاث)

١١ ــ رفض الحل السلمي

ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد ١٠ سنة ١

ص ٣٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٢٢ سنة ١

ص ٦ ــ ٧ حصاد العاصفة عدد ١٢ سنة ١

ص ٣ جريدة فتح عدد ١٢ سنة ١

ص ١ جريدة فتح عدد ١٦ سنة ١

ص ٣ جريدة فتح عدد ١٨ سنة ١

ص ٣ جريدة فتح عدد ٢١ سنة ١

ص ١ جريدة فتح عدد ٣٥ سنة ١

ص ١ جريدة فتح عدد ٣٦ سنة ١

— كراس قرار مجلس الامن ومشروع روجرز من سلسلة كل الحقيقة للجماهير

ص ٥ المسيرة عدد ٩

ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني

ص ٢٣٠ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني

ص ٣٥٩ ــ ٣٦٠ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني

ص ٢٨٧ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٤

ص ٤٢ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٥

ص ٢٧٧ ــ ٢٨٠ مجلة شؤون فلسطينية عدد ١١

ص ٣١٠ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

ص ٣١٢ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

ص ٣١٤ ــ ٣١٥ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

١٢ ــ الموقف من الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع

ص ٢ Fath Information عدد ٤

ص ٣٦٠ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني

ص ١٥ مجلة الهدف عدد ٢

ص ٦٥ ــ ٧٣ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٧

ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٢ سنة ١

ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٧ سنة١

ص ١٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٨ سنة١

ص ٣٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١

ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣١ سنة١

ص ٣ جريدة فتح عدد٢٥ سنة١

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٦ سنة١

ص ٣١٢ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

١٣ — رفض مشروع الملك حسين

ص ٢ Fath Information عدد٦

ص ٣ المسيرة عدد١٢

ص ١٤ المسيرة عدد١٣

ص ٢٥٨—٢٦٦ مجلة شؤون فلسطينية عدد٨

ص ٢٣٧—٢٣٩ مجلة شؤون فلسطينية عدد٩

١٤ — آراء حول الاحزاب السياسية

ص ٣٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٧ سنة١

ص ١٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١

ص ١٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١

ص ٢ —٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١

ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١

ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١

ص ٤٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٦ سنة١

ص ٥ نشرة فتح الاسبوعية عدد٣

ص ٦ نشرة فتح الاسبوعية عدد٧ تكرر من العدد٨

ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١

ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١

ص ٥٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣١ سنة١

ص ١٠ حصاد العاصفة عدد١٧ سنة١

١٥ — في الوحدة الوطنية

ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١

ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣ سنة١

ص ٢١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١

ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١

ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١

ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١

ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١

ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٧

ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٦

ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٨

ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٦٠

ص ٥ المسيرة عدد١٠

ص ٤ المسيرة عدد١٢

ص ٣ المسيرة عدد١٣

ص ١٢ المسيرة عدد٢٣

ص ١٩٢ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الاول (مقدمة البلاغ العسكري رقم ١٤١)

ص ٢ جريدة فتح عدد٢

ص ١ جريدة فتح عدد٦

ص ١ جريدة فتح عدد٧ (اللجنة المركزية)

ص ١ جريدة فتح عدد١٠ (اللجنة المركزية)

ص ٢ جريدة فتح عدد١٧

ص ١ جريدة فتح عدد٢٤

ص ١ جريدة فتح عدد٢٨

ص ١ جريدة فتح عدد٢٩

ص ٢ —٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٦ سنة١

ص ٦١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٦ سنة١

ص ١٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٨ سنة١

ص ٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١

ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١

ص ١٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١

ص ٦١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١

ص ٢٥—٢٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٨ سنة١

ص ١ —٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٩ سنة١

ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١

ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١

ص ٢ —٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١١ سنة١

ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١

ص ٥ —٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١

ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١

ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١

ص ٢٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١

ص ٣٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١

— كراس رقم ١ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية — فتح — (من منطلقات العمل الفدائي)

— كراس رقم ٨ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية — فتح — (تحرير الاقطار المحتلة)

— كراس رقم ٩ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية — فتح — (وحدة الثورة الفلسطينية)

ص ٨ —٩ دراسات وتجارب ثورية بدون رقم

(مناقشة فكرية حول شعارات وأهداف ومنطلقات الحركة)

ص ٢٨٠ مجلةشؤونفلسطينية عدد٤
ص ٢٩٠ مجلةشؤونفلسطينية عدد٤
ص ٢٩ـــ٣٠ مجلةشؤونفلسطينية عدد٥
ص ٢٩٩ـــ٣٠٢ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)
ص ٣١٩ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

١٦ ــ الجماهير

ص ٥ ــ٦ دراساتوتجاربثورية رقم٨ (تحرير الاقطار المحتلة)
ص ٢ جريدة فتح عدد٥
ص ٣ جريدة فتح عدد١٠
ص ٢ جريدة فتح عدد١١
ص ٢ جريدة فتح عدد١٢
ص ٥ نشرةفتحالاسبوعية عدد٨
ص ١ نشرةفتحالاسبوعية عدد٢١
ص ١ نشرةفتحالاسبوعية عدد٢٤
ص ١ نشرةفتحالاسبوعية عدد٤٦
ص ٨ مجلةالثورةالفلسطينية عدد١٢ سنة١
ص ١٤ مجلةالثورةالفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٢ مجلةالثورةالفلسطينية عدد١٥ سنة١
ص ٦ ــ٩ مجلةالثورةالفلسطينية عدد١٦ سنة١
ص ٦١ مجلةالثورةالفلسطينية عدد١٦ سنة١
ص ٤ جريدة فتح عدد٣٤
ص ٣ نشرةفتحالاسبوعية عدد٥
ص ٣٤٢ وثائقعسكرية(فتح) الجزءالثاني
ص ٢٨٣ مجلةشؤونفلسطينية عدد٤

١٧ ــ حول منظمة التحرير وجيش التحرير

ص ٣٤٤ وثائقعسكرية(فتح) الجزء الثاني
ص ٥ مجلةالثورةالفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٢٤ مجلةالثورةالفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٢٥ مجلةالثورةالفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٩ مجلةالثورةالفلسطينية عدد٦ سنة١
ص ٤ مجلةالثورةالفلسطينية عدد١٨ سنة١
ص ١٨ مجلةالثورةالفلسطينية عدد١٨ سنة١
ص ١٠ مجلةالثورةالفلسطينية(لبنان) عدد٣٣ سنة١
ص ٢٨٩ مجلةشؤونفلسطينية عدد٤

ص ٣٨ـــ٣٩ـــ٤٠ مجلةشؤونفلسطينيةعدد٥
ص٤٠ـــ٤٢ مجلةشؤونفلسطينية عدد٥

١٨ ــ حول المجلس الوطني

ص ١ نشرةفتحالاسبوعية عدد٢٠
ص ٣٢٩ الوثائقالعسكرية(فتح) الجزء الثاني
ص ٢٠ مجلةالثورةالفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٢ مجلةالثورةالفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ١١ مجلةالثورةالفلسطينية عدد١٠ سنة١
ص ٨ ــ١١ حصاد العاصفة عدد٧
ص ٩ حصاد العاصفة عدد٨
ص ١١ حصاد العاصفة عدد٨
ص ٢ نشرةفتحالاسبوعية عدد٨

١٩ ــ الموقف من اليهود

ص ١٣ مجلةالثورةالفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٤٧ مجلةالثورةالفلسطينية عدد١٥ سنة١
ص ٦٣ مجلةالثورةالفلسطينية عدد١٦ سنة١
ص ٩ مجلةالثورةالفلسطينية عدد٢١ سنة١
ص ٣٢٥ وثائقعسكرية(فتح) الجزء الثاني
ص ٣٥٩ وثائقعسكرية(فتح) الجزء الثاني
ص ٥٦ـــ٥٨ كراس حوار حول القضايا الاساسية للثورة

٢٠ ــ الموقف من النظام الاردني

ص ٥٦ـــ٥٩ مجلةالثورةالفلسطينية عدد٣١
ص ١ فلسطيننا عدد١
ص ١٠ـــ١١ فلسطيننا عدد١
ص ٤ حصاد العاصفة عدد١
ص ٨ ــ١٢ حصاد العاصفة عدد١ طاهردبلان
ص ١ ــ٢ حصاد العاصفة(لبنان) عدد٣٢ تشرينالاول ١٩٧١
ص ٤ حصادالعاصفة(لبنان) عدد٣٢ تشرينالاول ١٩٧١
ص ٩ حصادالعاصفة(لبنان) عدد٣٣ تشرينالاول ١٩٧١
ص ٧ حصادالعاصفة(لبنان) عدد٣٩ عنالراية٢٥أو٢٦ تشرينالاول ١٩٧١
ص ١٨ المسيرة عدد١٢
ص ١٢ المسيرة عدد٢٣
ص ٧٢ وثائقعسكرية(فتح) الجزء الاول بلاغرقم٥٤
ص ٢٩٣ وثائقعسكرية(فتح) الجزء الثاني ١٩٧٢/١١/٦

ص ٣٦١ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني ١٩٧٣/١١/٤
ص ٣٦٢ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني
ص ١ جريدة فتح عدد٧٥
ص ١ جريدة فتح عدد٧٧
ص ٦ نشر فتح الاسبوعية عدد٣
ص ٧ نشر فتح الاسبوعية عدد٣
ص ٢٩٣ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني بيان٦/١١/١٩٦٨
ص ٢٩١—٢٩٨ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)
ص ٣١٦—٣١٨ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٢١ — التوعية السياسية

ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣ سنة١
ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٧ سنة١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٧ سنة١
ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١

٢٢ — اليسار واليمين

ص ١٠ حصاد العاصفة عدد١٧
ص ١٠ حصاد العاصفة — لبنان عدد٤ سنة ١٩٧١
ص ٢ حصاد العاصفة — لبنان عدد٣٧ سنة ١٩٧١
ص ٣٠٣—٣٠٤ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٢٣ — تعدد المنظمات

ص ٣٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢
ص ٦ —٧ نشر فتح الاسبوعية عدد٣
ص ١ نشر فتح الاسبوعية عدد٩
ص ٢٧٩ مجلة شؤون فلسطينية عدد٤

٢٤ — رأي في ظاهرة الانشقاق

ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١ سنة١

٢٥ — السياسة والحرب

— مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١

٢٦ — البورجوازية والامبريالية

ص ١١ حصاد العاصفة عدد١٧
ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ٣٢٢—٣٢٣ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٢٧ — السرية والعلنية

ص ١٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٢١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٢٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١
ص ٣٨—٣٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٨
ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١
ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١
ص ٢٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١
ص ٩ مجلة شؤون فلسطينية عدد٦
ص ٤ نشر فتح الاسبوعية عدد٥
ص ٥ نشر فتح الاسبوعية عدد٥

٢٨ — حول الديموقراطية

ص ١٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٣ جريدة فتح عدد٣٢
ص ٩ المسيرة عدد١٣

٢٩ — التنظيم

ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٦٠
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٤١ (الحلقة٤)
ولا شك ان الحلقات ١ ، ٢ ، ٣ من اعداد سابقة غير موجودة لدينا
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٤٢ (الحلقة٥)
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٤٣ (الحلقة٦)
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٤٤
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٤٥
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٤٦
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٤٧
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٤٩
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٥٠
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٥١
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٥٢
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٥٣
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٥٤
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٥٥
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٥٦
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٥٧
ص ٢ نشر فتح الاسبوعية عدد٥٨

٣٠ — تفتيت العدو

ص ١٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١

٣١ ــ النقد والنقد الذاتي

ص ٦ ــ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٣
ص ٥ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٢
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٣
ص ٣٨ مجلة شؤون فلسطينية عدد٥
ص ٣٠٥ــ٣٠٦ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٣٢ ــ النضال السياسي

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٢
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٣
ص ٦ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٤
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٥
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٦
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٧
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٨

٣٣ ــ المسالة الطبقية

ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١
ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٢٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١
ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١
ص ٦٣ــ٦٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٩
ص ١٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٠
ص ٣ جريدة فتح عدد٣١
ص ٣٠٤ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٣٤ ــ المفوض السياسي

ص ٢٤ المسيرة عدد٥
ص ١٦ المسيرة عدد١٠
ص ١٨ المسيرة عدد١١

٣٥ ــ المثقفون والكوادر

ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٦ المسيرة عدد١٥

ب ــ الافكار العسكرية

١ ــ تبني مبدأ الكفاح المسلح

ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١
ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣ سنة١
ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣ سنة١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣ سنة١
ص ٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٤
ص ١٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٣٠٩ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني
ص ٣٤٢ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني
ص ١١ المسيرة عدد٢٣
ــ مقدمة البلاغ العسكري رقم ١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ و٩ و١١ و١٣ و١٤
ص ٢٠ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧

ــ في الثورة

ص ١ ــ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥
ص ٤ نشرة فتح الاسبوعية عدد٦
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٧
ص ٦ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٦
ص ٢٢ــ٣٣ كراس رقم واحد من سلسلة دراسات ثورية (فتح) (من منطلقات العمل الفدائي)
ص ــ١٧ كراس دراسات وتجارب ثورية بدون رقم (مناقشة فكرية حول شعارات وأهداف ومنطلقات الحركة) .
ص ٧ نشرة فتح الاسبوعية عدد٣١
ص ٨ ــ٩ دراسات وتجارب ثورية رقم٨ (تحرير الاقطار المحتلة)
ص ٦ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٢
ص ٣٠٩ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني بيان سياسي ١٩٦٩/١/١
ــ كراس كيف تتفجر الثورة الشعبية المسلحة . كراس رقم ٢ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية
ص ١ ــ٢٠ كراس الثورة والعنف طريق النصر .

كراس رقم ٣ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية

٣ ـ النزعات الخاطئة في الثورة

ص ٩ المسيرة عدد٩
ص ١٠ المسيرة عدد٤
ص ١٢ المسيرة عدد٥
ص ٣٢٣ــ٣٢٤ من كتاب المقاومة والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٤ ـ الحرب الشعبية

ص ٤ ــ١٤ كراس كفاحنا المسلح بين النظرية والتطبيق ـ دراسات عسكرية ـ فتح
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٢١
ص ٤ المسيرة عدد٦
ص ١٥ المسيرة عدد٦
ص ٤ ــ٥ المسيرة عدد٧
ص ٢٠ المسيرة عدد٧
ص ٤ ــ٥ المسيرة عدد٨
ص ٢٦ المسيرة عدد٢٣
ص ٢١ المسيرة عدد٢٤
ص ١٨ المسيرة عدد٢٥
ص ٤ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٦
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٩
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٢٠
ص ٢١ و٢٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٨ سنة١
ص ٨٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٠ سنة١
ص ١٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٥ سنة١
ص ٢ ــ٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٦ سنة١
ص ٧٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣١ سنة١
ص ٧ رفض الجيش النظامي
نشرة فتح عدد٦
ص ٤ نشرة فتح عدد٨
ص ٤ نشرة فتح عدد٩
ص ٤ نشرة فتح عدد١٥
ص ١٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٦ سنة١
ص ١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٧ سنة١
ص ٢٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٧ سنة١
ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١
ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ٤٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٦ سنة١

ص ١٠ المسيرة عدد٢٦
ص ٨ المسيرة عدد٢٧
ص ١٨ المسيرة عدد٢٨
ص ٣١٠ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني
ص ١٥ مجلة شؤون فلسطينية عدد٦

٥ ـ جيش الشعب

ص ٤ جريدة فتح عدد٢٢
ص ٤ جريدة فتح عدد٢٣
ص ٤ جريدة فتح عدد٢٤
ص ٤ جريدة فتح عدد٢٥
ص ٤ جريدة فتح عدد٢٦
ص ٤ جريدة فتح عدد٣٠
ص ٤ جريدة فتح عدد٣١
ص ٤ جريدة فتح عدد٣٢
ص ٤ جريدة فتح عدد٣٣
ص ٤ جريدة فتح عدد٣٤
ص ٤ جريدة فتح عدد٨
ص ٤ جريدة فتح عدد٩
ص ٤ جريدة فتح عدد١١
ص ٤ جريدة فتح عدد١٣
ص ٤ جريدة فتح عدد١٤
ص ٤ جريدة فتح عدد١٥
ص ٤ جريدة فتح عدد١٦
ص ٤ جريدة فتح عدد١٧
ص ٤ جريدة فتح عدد١٨
ص ٤ جريدة فتح عدد١٩
ص ٤ جريدة فتح عدد٢٠
ص ٤ جريدة فتح عدد٢١
ص ٤ جريدة فتح عدد٣٥

٦ ـ مبادىء حرب العصابات

ص ٧ نشرة فتح الاسبوعية عدد٨
ص ٧ نشرة فتح الاسبوعية عدد٩
ص ٧ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٠
ص ٧ نشرة فتح الاسبوعية عدد١١
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٤
ص ١٤ المسيرة عدد١٠

٧ ـ العصابات والجيوش النظامية

ص ٢٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ٢٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١
ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١
ص ٤ جريدة فتح عدد٢٧

ص ٤ جريدة فتح عدد٢٩
ص ٤ جريدة فتح عدد٣٣
ص ١٩ المسيرة عدد١٣

٨ — تطوير قوانين حرب العصابات

ص ١٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٥
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤١
ص ٣ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٩
بيان بمناسبة الذكرى الاولى لمعركة الكرامة ١٩٦٩/٣/٢١ ص ٣٥٢ وما بعدها الجزء الثاني — وثائق عسكرية — فتح .

٩ — العمليات الكبيرة

كراس اربع معارك كبيرة لقوات العاصفة من سلسلة دراسات عسكرية .
ص ١٥—١٧ حصاد العاصفة عدد١٧
ص ١٦—٢٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٩
ص ٢٧—٣١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٠
ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٦
ص ٣ جريدة فتح عدد٤٢
ص ٧ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٨ الحزام الاخضر
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٢١
ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١

١٠ — العمليات الخارجية

ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣١
ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣١
ص ٢ حصاد العاصفة — لبنان عدد٩٧ البيان العسكري الاول
ص ٥ المسيرة عدد١٤
ص ٣٠٢ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني ١٩٦٨/١٢/٢٧
ص ٣٠٤ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني ١٩٦٨/١٢/٢٧
ص ٥ المسيرة عدد٣٣
ص ٣ المسيرة عدد١٩
ص ١٩ المسيرة عدد١٩
ص ٣٢٠ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

١١ — العنف الثوري

ص ١ —٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٨
ص ٧ المسيرة عدد٣٦
ص ٢٠—٢٧ كراس ٣ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية (الثورة والعنف طريق النصر) دراسات وتجارب ثورية رقم ٨ (تحرير الاقطار المحتلة)
ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١
ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١

١٢ — قتل المدنيين خلال العمليات

ص ٢٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣ سنة١
ص ٢٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١١ سنة١
ص ٤٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٥ سنة١
ص ٥٣ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني بلاغ رقم ٢٧٦
ص ٢٧٥ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني بلاغ رقم ٤٢١
ص ١٥—١٦ دراسات وتجارب ثورية بدون رقم (مناقشة فكرية حول شعارات وأهداف ومنطلقات الحركة)

١٣ — التكتيك

ص ٢ جريدة فتح عدد٣٧
ص ٤٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٥ سنة١
ص ٢٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٨ سنة١
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٤

١٤ — القاعدة الآمنة

ص ١٨—٢٠ كراس كفاحنا المسلح بين النظرية والتطبيق — دراسات عسكرية — فتح
ص ١٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٥
ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٦
ص ١٦—١٧ المسيرة عدد١١
ص ١٧ المسيرة عدد٢١

١٥ — في الانضباط الثوري

ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١
ص ٣ جريدة فتح عدد٢٧
ص ٤ جريدة فتح عدد٢٨
ص ٨ نشرة فتح الاسبوعية عدد٦

١٦ ــ الديموقراطية العسكرية

ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١
ص ٣٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٠ سنة١
ص ٤ جريدة فتح عدد١٩

١٧ ــ الميليشيا

ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٤ سنة١
ص ١٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٤ سنة١
ص ١ ــ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٥ سنة١

١٨ ــ حرب الالغام

ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١

١٩ ــ استخدام الصواريخ

ص ١٨ــ١٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٣٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١

٢٠ ــ مجموعات العمق المسلحة

ص ٣٦ــ٤٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٤ سنة١
ص ١٧ المسيرة عدد٣

٢١ ــ اغتيال العملاء

ص ٣١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١

٢٢ ــ عوامل النصر

ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١

٢٣ ــ الوجود المسلح في المدن

ص ١ جريدة فتح عدد٤
ص ٣٠٩ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)
ص ٣٢٣ــ٣٢٤ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

مراجعات

منير شفيق ، الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم
(دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٣)

كان من المقدر لكتاب الدكتور صادق جلال العظم « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » ان يثير قدرا أكبر من النقاش نظـرا لانه يطال الطرف الثوري الرئيسي في الوطن العربي معلنا انتهاء هذا الطرف الى الانخراط في لعبة الانظمة العربية ، مبديا عدم استغرابه طالمـا ان هذا الطرف هو الامتداد الفلسطيني لاصل عربي انتهى أمره عام ١٩٦٧ . غير ان احداث ايار — وقد ظهر الكتاب قبلها بقليل — طغت بأحداثها ونتائجها على الكتاب ووجهت اليه — على ارض الواقع — ضربة تكاد تكون قاضية ، في حين تولى منير شفيق في كتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » مسؤولية الرد — الدحض النظري لمجمل اطروحات الدكتور صادق . ولذا فاني لا اعتبر هذه المراجعة لكتاب منير شفيق محاولة لرد الاعتبار لكتاب الدكتـور صادق بل محاولة لتأكيد وتثبيت اطروحات منيـر شفيق التي قد يظلمها النسيان الذي سيلف كتاب الدكتور صادق بعدما أصبحت المسألة المطروحة بعد أيار — وبوضوح لا يقبل الالتباس — مسألة الدفاع عـن المقاومة وزيـادة نفوذها وتأثيرهـا وفاعليتها ، لا مسألة الاستخفاف بها واعتبارها لقمة سائغة أمام الرجعية اللبنانية — وهذا ما كان يعتقده الدكتور صادق عشية ٢ ايار — .

من الصعب تناول كتاب منير فصلا فصلا اذ أنه يتضمن ثلاثة وثلاثين فصلا للـرد على مواضيع مختلفة تطرق اليها الدكتور صادق في كتابه . لذا سنحاول استخلاص المحاور الاساسية التي ركز عليها منير شفيق . اي اننا ، بكلمة اخرى ، سنعيد بناء الكتاب كما لو كان مبوبا تبويبا مختلفا ، فندرج الامثلة والشواهد والملاحظات الجزئية في عنوان عام يعبر عنها .

اولا — مسالة فتح ، او البورجوازيـة الصغيرة الوطنيـة :

يناقش منير شفيق اول مـا يناقش موضوعة صادق جلال العظـم التي تعتبر « هزيمة أيلول » — يرفض منير تسميتها هزيمة — نتيجة منطقية للسلوك البورجوازي الصغير الفلسطيني الذي لا يعدو كونه امتدادا مختلفا بعض الشيء عن الاصل العربي . فيرفض أولا ان تكون الحركة الوطنية العربية ، ولـو بقيادة البورجوازيـة الصغيرة ، قد هزمت نهائيا في حرب حزيران اي انه لم يعد باستطاعتها الانتصار في الاردن او في المغرب مثلا . هذا عدا عن انه لا يمكن وضع البورجوازية الصغيرة كلها — وهي الطبقة القليلة التجانس — في سلة واحدة . اذ أن « ما تفرزه البورجوازية الصغيرة من قيادات وأحزاب وأفكار وسياسات وممارسات ليست شيئا من نمط واحد ، بل ان هذه الافرازات كثيرا ما تكون شديدة التنوع والتمايز الى حد المفارقات العجيبة والتناقضات الحادة . فثمة ممثلون سياسيون للبورجوازية الصغيرة شكلوا أحزابا دينية ، وآخرون أحزابا قومية ، وغيرهم أحزابا اقليمية ، وسواهم حركات « ماركسية » ، وسار بعضهم على طريق مهادنة الاوضاع القائمة وتجنب الصدام بها ، في حين سار آخرون على طريق الارهاب ، وغيرهم علـى طريق الاصلاحية الاقتصادية ، والبعض الاخر سـار على طريق الكفاح الوطني المسلح ، الخ الخ » (ص ٢٧) . كما انه يشير الى ان سياسة البورجوازية الصغيرة الفلسطينية أدت ، في الواقع ، الى ممارسات اصطدمت بعنف بسياسات وممارسات البورجوازية الصغيرة العربية ولم تشكل « امتدادا بكل معاني الكلمة لها » . فموضوعة « التحرير قبل الوحدة » التي يعتبرها صـادق عكسا فجـا للموضوعـة

البورجوازية الصغيرة العربيــة « الوحدة قبــل التحرير » أدت على أرض الواقع الى مباشرة الكفاح المسلح وخوض حرب تحرير شعبية تعتمد على جماهير الشعب المسلحة والمنظمة في حين كانت البورجوازية الصغــيرة العربية الحاكمــة تنصرف باطمئنان الى بناء دولتها « العصرية » وتدعــي الاستعداد لخوض « حرب خاطفة » ضد اسرائيل بدون أن يسبق ذلك بالطبع اقحام الجماهير في صراع هو من واجب الجيش المحترف .

غير ان الخلاف بين منير وصادق يتجاوز الخلاف حول كون البورجوازيـــة الصغيرة الفلسطينيـــة امتدادا ام لا ليصل الى نتيجتين مختلفتين حول الموقف البروليتاري الصحيح الذي يجب اتخاذه حيالها . والنتيجة التي يصــل اليها منير ذات شقين :

الاول ، يتعلق بالشــورة الفلسطينية ، أي بالبورجوازية الصغيرة المسلحة والتي تخوض حرب شعب ضد اسرائيل والامبريالية ، ومؤداه انه : « لو كان ثمة نواة بروليتارية واعية فماذا سيكون موقفها من حركة فتح ! بتصوري انها ستطرح هذه المسألة في ردها على الانتهازيين « اليساريين » كما يلي : « اذا كانت فتح ايها السادة كما تقولون بورجوازية صغيرة فمرحى لها كونها مقاتلة بالسلاح ضد الصهيونية والامبريالية ، ويجب علينا أن نمد لها يد التحالف ونشجعها على هذا القتال . ولا يصار الى محاولة « قلبهــا » الى ماركسية — لينينية لان ذلك غير ممكن ، فهي كما تقولون حركة بورجوازية صغيرة . ولا يصار الى تحطيمها بالنقد والتجريح والتشهير بحجة انهــا غير ماركسية — لينينية لانه غير المطلوب منها ان تكون كذلك ، فهذا ما هو مطلوب منا نحن . واذا كانت الثورية ان ننقد ونصحح ، فعلينا أن نبدأ بانفسنا ، ان نركز النقد على عجزنا بسبب تخلفنا عن الكفاح المسلح وقيادة الجماهير ، وبسبب عــدم ارتفاع قتاليتنا الى مستوى قتالية فتح على أقل تقدير » . (ص ١٩ — ٢٠) .

اما الشق الثاني في هذا الموقف فيتعلق بالحركة الوطنية العربية التي قادتها البورجوازية الصغيرة. ويرى منير « ان النقد الثوري حين يوجه الــى الانظمة العربية الوطنية التي لحقت بهــا هزيمة عسكرية في حزيران ١٩٦٧ ، يجب الا يتركز على كونها منيت بهزيمة عسكرية ، وانما لكونها لــم تتابع الحرب وتتحول الى حرب الشعب الطويلة الامد ، اي لانها لم تواصل القتال واخذت تجنح الى طريق المهادنة والتراجع » (ص ١١٦).والهدف من هذا النقد هو اولا : تشجيع القوى الوطنية على الاستمرار في القتال ، وثانيا « عدم حرق الجسور معها » . ان الفرق بين الموقفين هو الفرق بين الموقف الثوري الملتزم والمســؤول ، الواعي لطبيعة الاعداء وحجمهم ، والساعــي لتوسيــع صفوف الاصدقاء وجر مختلف الطبقات الوطنية الى المعركة ، والموقف « البروليتاري » النقــي ، الطاهر ، الذاتي ، المعزول لا عن الشعب فحسب بل عن البروليتارية ايضــا ، الداعي « لبنــاء » حزب ثوري على انقاض كل الحركات المكافحة . انه ، مرة اخرى ، الفرق بين من ينتمي الــى الشعب وحركته وقواه وواقعه ومن ينتمي الى مثال ما للثورة محاكما الواقــع الذي لا يطابق رؤاه وتخيلاته. وهذا ما يسميه منير « اليسار المتفرنج » الذي لا يستطيع اطلاقا ان يفهم « ان اي حــزب بروليتاري عربي في بلادنا لا ينتسب لحركة التحرر الوطني العربية ، ولا يكــون امتدادا موصــول النسب بها ، بل وبتاريخنا حتى قبل الفي عام ، لن يكون حزبا من بلادنا ، ولن يكتب له ان يكون أكثر مــن صورة ممسوخــة لمدرسة اللاوطنيــة التروتسكية ، او بعبارة ملطفــة سيكون فصيلا اوروبيا « يساريا » مستعربا » (ص ٣١ — ٣٢). كما يصيب منير شفيق حين ينتقد الذين اكتشفوا البورجوازية الصغيرة بعد حرب حزيران ، فحلوا كافة المشكلات وحللوا كافة الهزائم بارجاعها الى هذه البورجوازية الصغيرة اللعينة . ويقدم الدكتور العظم صورة كاريكاتورية عن هؤلاء ، حتى انه لم يتورع عن ان يرى في عدم لجوء فتح الى بنــاء الملاجىء في عمان قبل ايلول النتيجة الطبيعية « لطينتها البورجوازية الصغيرة » !! لا يحتاج هذا الى تعليق ، وكل ما يبقى علينا هو ان ننبه الى ان الدكتور العظم يقدم نموذجا لأردأ أنواع البورجوازي الصغير : المثقف المعزول .

ثانيــا — حول ايلول والتناقضــات الرئيسيــة والاساسية والثانوية .

يرفض منير شفيق رفضا باتا رأي صادق جلال العظم القائل بأن « هزيمة » المقاومة حدثت في أيلول ١٩٧٠ . وهو يرى ان معارك أيلول انتهت بتوازن للقوى كان يسمح للمقاومة ان تستعيــد

أنفاسها وتعود فيما بعد للهجوم ، الا أن الانتهازية اليمينية قادت المقاومة على طريــق التنازلات . وهكذا حلت الهزيمة فعلا بعد قراري تنظيم الاسلحة في عمان وانسحاب المقاتلين الى الاحراج . ويدخل منير في نقاش عسكري مع صادق ليبرهن ان اخذ المبادرة في أيلول او حتى في آب لم يكن ممكنا . على ان الخلاف مع الدكتور صادق ليس محصورا في تقييم نتيجة معارك ايلول ، بل ايضا في تقييم الحالة الجماهيرية السابقة للمعارك حيث يتهـم الدكتور صادق منير شفيــق بأنه ساهم في زرع تفاؤلية كاذبة . وهذا ما سنتعرض له لاحقا .

الموضوع الاخر الذي يمكننا ادراجه فـي هذا السياق هو مسألة التناقضات . يرد منير على رأي صادق — الذي يخلط بين التناقضات ولا يميز بين الاساسي والرئيسي — القائل بأن التنــاقض مع حسين كان تناقضا اساسيا على طول الخط نتيجة اصرار الملك ونظامه على جعله كذلك . في هذا الرد يميز منير اول ما يميز بين التناقض الاساسي والتناقض الرئيسي ليصل الى القول ان التناقض مع نظام الملك كان اساسيا باستمرار الا انه لم يتحول الى تناقض رئيسي مطروح للحسم الا في فترة محددة . ويدافع منير (وينتقد) موضوعة فتح الصحيحة في جوهرها والمعبر عنها واقعيا بسياسة صدام — تعايش — صدام ، التي يدعي صادق جلال العظم نقدها دون أن يقدم بديلا موضوعيا عنها . ويستعيد منير في هذا المجـال اطروحاته الواردة في كتاب « حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية » الصادر قبل ايلول : « من هنا ، فان التناقض بين الثورة الفلسطينية وبين الرجعية العربية التي على خطوط النار ذو طبيعة عدائية اساسا ، ولكن يمكن ان يتحول الى تناقض ثانوي ، في ظروف معينة ، كما حدث بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، غير انه سرعان ما يعود لطبيعته العدائية الاصيلة ، كما كان قبل حزيران ١٩٦٧ ، وكما تكشف مثلا في مؤامرات شبــاط وحزيران ١٩٧٠ . على ان من الضروري معالجة هــذا التناقض بصورة متحركة متغيرة ، وليس بصورة جامدة دوغمائية ، بحيث يستفاد منه عندما يكون بالامكان تحويله الى تناقض ثانوي ، تحت ظروف معينة ، كما حدث بعــد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وبحيث يقمع بالثورة المسلحة في حال تحوله الى طرف التناقض الرئيسي العدائي . الا ان مــن الضروري معالجة هذا التناقض مع الرجعية العربية على خطوط المواجهة بأسلوب ديناميكي متحرك ، متناسب مع ظروف الحركة الوطنيــة والثوريــة والجماهيرية في كل بلـد ، مستخدمين الحكمـة الثورية والحزم الثوري في آن واحد » .

ثالثا — الحزب البروليتاري والجبهـة الوطنيـة وتعدد المنظمات .

قلنا ان صادق جلال العظم يؤكد ان « الهزيمة » التي حلت بالمقاومة في أيلول ١٩٧٠ تعود الى الخط المنحرف الذي سلكته القيادة البورجوازية الصغيرة ، او بكلمة اخرى ، الى افتقاد المقاومة لحزب بروليتاري ثوري يقودها . يبدو هذا الكلام صحيحا للوهلة الاولى الا انه لا يصمد طويلا أمام النقد . فأولا هنــاك ثورات انتصرت رغم انهـا بقيادة البورجوازية الصغيرة (الجزائر مثلا) ، وثانيا ليس صحيحا ان وجود الحزب الشيوعي يؤدي آليا الى ثورة مظفرة (كوبا ..) ، وثالثا ، ان لهذا الكلام معنــى خاصا علــى الساحـة الفلسطينية : ففتح ، البورجوازية الصغيرة ، تقود الثورة ، والحزب البروليتاري الثوري غير موجود ، عدا عن ان « مشاريع » هذا الحزب لم تحرز أي نجاح يذكر في قيادة الجماهير . فما هو الحل ؟ هل الدعوة الى بناء الحزب الشيوعي من مواقع الاستنكاف عن خوض النضال تكفي ؟ هل تدمير فتح هو الطريق ؟ هل يمكن بناء هذا الحزب خارج مجرى النضال الذي تقوده فتح ؟ هل يجب بناء الحزب اولا ، ثم الدخول في تحالف مع الممثلين السياسيين للطبقات الوطنية الاخرى ؟ « في الواقع ان هذا المنظور خاطىء تماما لانه اذا كان الحزب وهو قوي وقائد للشعب بحاجة الى توسيع جبهة المناضلين والوطنيين ، فهو بحاجة اكبر عندما يكون ضعيفا ... بل ان شرط انتقاله الى حالة القوة هو تبني مثـل هذا الخط الصحيح الذي يقنـع الجميع بصواب سياساته ، وبأهليته للقيادة ، شرط أن يكون ذلك مقرونا بتميز في مجال الممارسة العملية : نشاط اكبر ، تضحيات اكبر ، شجاعة أعلى ، مقدرة علــى تقديم الحلول الصحيحـة للمعضلات التي تنشأ الخ ... » (ص ٢٢) .

اذا ، ليس الخلاف بين صادق ومنير حــول أهمية وحيوية وجود الحزب الشيوعي القائد ، بل في الطريقة الموصلة الى هذا الحزب . « اذا لم يكن هنالك مثل هذا التنظيم فهل نحوله الى اقنومة للمرطقة باسمه . ونعلق تأييدنا لجبهة وطنية معادية

للصهيونية والامبريالية اذا لم يكن موجودا ، او نتحول الى حفاري قبور لتلك الجبهة ؟ هنا الخلاف الحاسم بيننا وبين الدكتور صادق . فبالنسبة له اذا لم يكن الحزب السياسي الذي يريده موجودا و« سندا » للجبهة ، فكل شيء « زفت » واجبهة « زفت » . ان هذا المنهج قاد الى سلسلة من المواقف الخاطئة التي أضرت بالنضال الوطني العام ، وأضرت بامكانية ولادة مثل ذلك التنظيم ولادة صحيحة غير مشوهة . ان الخط الثوري الصحيح ، وهو ما كان سيكون خط البروليتارية في بلادنا لو وجد حزبها ، يقول ان الحياة لن يتوقف تدفقها حتى يولد الحزب . والنضال ضد الامبريالية والصهيونية والقوى المضادة للثورة لن يتوقف اذا لم يوجد ذلك التنظيم . فهل نوقف مشاركتنا في النضال الثوري الذي تخوضه الجماهير ، اذا لم يكن لدينا ذلك التنظيم ؟ ام ان شرط ولادة ذلك التنظيم هو وقوف طلائعه التي ستبنيه مع كل نضال وطني وثوري تخوضه الجماهير ، وتأييد اوسع الجبهات الوطنية والشعبية المعادية للصهيونية والامبريالية والقوى المضادة للثورة ؟ ».

اما بصدد التعدد الحالي لمنظمات المقاومة فيرى فيه الدكتور العظم مرضا موروثا عن حركة التحرر الوطني العربية ، وتوكيدا لوجهة نظره القائلة بأن المقاومة ليست سوى امتداد فلسطيني للاصل العربي المهزوم عام ١٩٦٧ . وعلى هذا يبادر منير للرد مؤكدا قبل كل شيء ان تعدد المنظمات ليس مرضا بحد ذاته ، على العكس ، انه طبيعي ما دام الشعب الفلسطيني ، ككل شعب اخر ، مؤلف من طبقات ، المرض هو عدم سعي هذه المنظمات للانتظام في جبهة موحدة ذات برنامج موحد . ويلاحظ منير شفيق عدم صحة القول بان هذا التعدد الفلسطيني هو « امتداد بكل معاني الكلمة » للاصل العربي ، وذلك لسبب بسيط هو ان البورجوازية الصغيرة العربية لم تسمح ، في دائرة نفوذها ، باي تعدد ، في حين ان فتح لم تعمل اطلاقا على تصفية المنظمات الاخرى بل تعايشت معها . (لنا على هذا ملاحظة سنوردها لاحقا) .

رابعا — ماوية فتح :

يثير الدكتور العظم مسألة يسميها « ماوية فتح » والغرض من اثارتها « محاولته دحض المثل الذي يستخدم في موضوعة التحالفات ، اي مثل تحالف ماوتسي تونغ مع تشان كاي تشيك من أجل مقاومة العدو الرئيسي — الغزاة اليابانيين » . وللحقيقة فقد جاء رد منير على هذه المسألة دون ردوده السابقة ، فلقد اعتبر ان العظم يعني بالتحالف التحالف مع الجيش الاردني فقط ورد عليه على هذا الاساس مطالبا بضرورة طرح مسألة التحالف مع الجيش الاردني غير المتجانس ، في حين ان صادق جلال العظم كان يتحدث عن المهادنة السياسية لنظام الملك العميل. غير ان منير شفيق يعود — كما بينا — لمناقشة سياسة فتح في الاردن واظهار صحتها من حيث الجوهر وانتقاد الانحراف اليميني الذي حكمها في المراحل الاخيرة خاصة .

خامسا — موقف منير شفيق :

ان السياق العام لكتاب « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم» هو الدفاع عن المقاومة، وفتح بالتحديد ، امام « تحطيم » صادق جلال العظم لها ، غير ان هذا لا يمنع منير شفيق من توجيه بعض الانتقادات لقيادة المقاومة . وهذه الانتقادات اما تظهر بوضوح ، او تبقى متضمنة في المواقف المختلفة التي يطرحها . « كنا منذ البداية ، وما زلنا ، في تعارض تام مع السياسات فوق اليسارية والمواقف الانتهازية « اليسارية » ، ومن جهة ثانية في تعارض تام مع السياسات المغرقة في يمينيتها ، والمواقف الانتهازية اليمينية . نعارض السياستين بخط ثوري صحيح يرفض ان يعارض اليمين بالسياسات الطفولية فوق اليسارية » . (ص ١٥٦) . ان هذا يضعنا امام منهجين للنقد « النقد الثوري الصحيح والنقد الطفولي » « اليساري » ضيق الافق ، قصير النظر ... هنالك فرق عظيم بين النقد الثوري الصحيح الذي ينقد ضمن الوحدة الوطنية ، وضمن طرح برنامج ايجابي للنضال يتبناه ويمارسه وبين النقد الهوجائي الطفولي « اليساري » الذي يحطم كل ما تصل اليه يداه ، وينتهي به ضيق افقه ، او حقده على الحركة الوطنية ، الى وضع الحب في طاحونة الاعداء ... ان رؤية هذا الفرق لا يجعل الخيار الوحيد هو بين النقد الحاقد التحطيمي وبين التبريرية ... لان هنالك دائما النقد الثوري الصحيح ... » . والنقد الثوري الصحيح هو الذي يوافق على اولوية النضال ضد العدو الصهيوني شرط الا يفهم ذلك « على

انه تمجيد لكل نضال من اجل الوحدة ، او لكل نضال طبقي ضد الطبقات المضادة للثورة » . (ص ٤٣) .

*

هنالك اخيرا جملة من الملاحظات المنهجية والسياسية يبديها منير شفيق حول مواضيع مختلفة ليس بالامكان ادراجها تحت عنوان واحد ، او حصرها وذكرها جميعا . لذا سنكتفي بالاشارة الى بعضها في حين نوسع البعض الاخر .

يكشف منير شفيق انتقائية الدكتور صادق ومنهجه غير الجدلي . ولهذا وجهان : الاول ، طريقة تقديم الاستشهادات . ويبين منير شفيق « تقنية » الدكتور صادق الطريفة في انتزاع الفقرات من سياقها ، واسقاط ما يود اسقاطه منهـا ، واعادة تلصيق بعض الجمل ، ووضع عبارات تبل اخرى على عكس ما جاء في النص الاصلي الخ الخ ... والثاني ، عزل هذه الفقرات عن زمنها ومكانها ، اي عن الواقع والمرحلة والقوى والجماهير ، وتقديمها « كمادة فكرية » للنقاش المجرد . فالدكتور صادق ، كمثقف معزول عن الجماهير وحركتها ، يتعامل مع « المقولات » والافكار والاطروحات دون التعامل مع « الواقع الملموس » و « النتائج العملية » . وهكذا فهو عندما يناقش مثلا الفرق بين الحرب الخاطفة وحرب الشعب كما « فهمته » فتح ، يغرق في نقاش بعض الاقوال والكتابات ليبرهن انها نابعة من العقلية البورجوازية الصغيرة . فالامر سيان، حرب خاطفة ام حرب شعب، طالما ان البورجوازية الصغيرة هي واحدة !! غير ان الدكتور صادق ينسى بصورة تامة كل ما انتجه هذا الفرق على ارض الواقع : تسليح الجماهير ، وتنظيمها ، وامتلاكها لقضيتها ، وهذا ما لم تكن لتفعلـه « البورجوازية الصغيرة » المتشدقة بالحرب النظامية والحرب الالكترونية في حين فعلته « البورجوازية الصغيرة » الاخرى طائعة مختارة. ان الدكتور صادق ، اذ يتعامل مع الثورة على هذا الشكل ، يذكرنا بالمستشرقين الذين يفهمون الواقع العربي من خلال النصوص والكتب والوثائق . غير ان هـذا لن يؤدي به الا الى استكمال سلسلة انتقاداته « للافكار » بدءا « بالنقد الذاتي بعد الهزيمة » ، مرورا « بنقد الفكر الديني » ، وصولا الى «دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » . غير انه يفتقد الى حد ادنى من الموضوعية نجده عند بعض هؤلاء المستشرقين . فهو يرى ان « فتح هي المسؤولة الوحيدة دون المنظمات الاخرى ، لانها هي التي حددت مسار الكفاح الفلسطيني المسلح والنتائج السيئة التي وصل اليها » . غير انه عندما يتعلق الامر بمنجزات الثورة التي كان الدكتور يقيمها تقييما عاليا كما سنرى فانه ينسحب بهدوء رافضا الاعتراف لفتح باي فضل . وهو ، بغية انتقاد فتح ، يسخف مسألة اطلاق النار عبر كل الحدود الذي بدأته فتح ، غير انه كي ينتقدها مرة اخرى، يهاجمها لانها اوقفت اطلاق النار عبر الحدود اللبنانية . انها ، مرة اخرى ، الانتقائية المحكومة بالعداء لفتح ، فتح « العاجزة » عن الارتفاع الى مستوى وعي الدكاترة !!

يجسد الدكتور صادق مثال المثقفين الهامشيين الذين يتلقفون الثورة عندما تكون صاعدة مهاجمة، ويشرعون في نعيها اذا ما هزمت في معركة اوعرفت تراجعا او انحسارا . وللدكتور صادق في هـذا المجال مواقف مشهورة اتى منير شفيق على ذكرها في كتابـه . فالدكتور الذي يتهم فتح بتضخيم منجزاتها — على طريقة الانظمة العربية — يستند في ذلك الى نصوص لقادة فتح تتحدث عن انجازات الثورة . ويتناسى كتاباته ضد هيكل وغيره ، هذه الكتابات التي تعتبر حركة المقاومة « طليعة لثورة عربية شاملة ، وبداية لحرب تحرير شعبية ينتقل عبرها الوطن العربي من حال الى حال » ، « شكلت حركة المقاومة بداية مرحلة جديدة ومتقدمة في حركة الثورة العربية » الخ الخ ... فأين هـذه التفاؤلية الكاذبة التي يتهم قادة فتح بالوقوع فيها ؟ ولو سلمنا انه لم يقل ما قاله في تقييم الثورة ، وان وجهة نظره كانت « واقعية » في رؤية الثورة كما هي ، الا يصبح غريبا اصراره على دعوة المقاومة لاسقاط الملك حسين ونظامه ؟! أليس من المغامرة دعوة حركة المقاومة ، وهي على ما هي عليه ، الى اخذ المبادرة ضد النظام ؟ ان ما يقوم به الدكتور صادق في الوقت نفسه هو : التخلي عن مواقفه السابقة ، وانتقاد مواقف الاخرين السابقة ، ودعوة المقاومة لممارسة منطلقة من مواقفه السابقة التي ينتقدها .

واخيرا يسلط منير شفيق ، في خاتمة كتابه ،

الضوء على مواقف كان صادق جلال العظم قد اتخذها في اماكن اخرى ، وهي تتعلق بصورة خاصة بمسألة « تكون امة اسرائيلية » والاعتراف لهذه الامة بحق تقرير المصير . يطور العظم فيهذا المجال افكارا كانت الجبهة الديمقراطية قدطرحتها وتجاوبت معها الى هذا الحد او ذاك بعض اطراف اليسار الجديد في اسرائيل . اول ما يلاحظه منير شفيق هو لا جدوى ربط حق الشعب اليهودي في تقرير مصيره بالاشتراكية ، لسبب بسيط هو ان حق تقرير المصير يضمن لاي شعب اختيار نظام اخر غير الاشتراكية ، وهو على كل حال ، يضمن اول ما يضمن الحق في الانفصال . هذا عدا عن ان حق تقرير المصير لا يمكن ان يعطى للطبقة العاملة الاسرائيلية التي حلت بالقوة والقهر والتشريد محل طبقة اخرى . واخيرا ، لا يجب نتيجة الاعتراف بتكون امة اسرائيلية ، الاعتراف لها بحق تقرير المصير « لان الاقرار بما يسمى « أمة او قومية اسرائيلية » لها حق تقرير المصير ، بما في ذلك حق الانفصال على أرض فلسطين وكذلك الاقرار للشعب العربي الفلسطيني — الامة العربية — بحق تقرير المصير، **على الارض نفسها** ، يعني اما خداع الشعب العربي الفلسطيني واما خداع ما يسميه الدكتور صادق « بالشعب الاسرائيلي » الذي يشكل او هو في طريقه لان يشكل « أمة او قومية » !! ولكن ، هل يمكن سوى لانسان يضع في رأس اهتماماته ارضاء مسايرة اليسار الاوروبي على حساب ارضاء ومسايرة الجماهير العربية ان ينتج هكذا افكار وهكذا مواقف ؟.

*

من الواضح اننا نتعاطف مع اطروحات منير شفيق ، ومع جوهر ومضمون سجاله ونقده لصادق جلال العظم . دون ان يعني ذلك ان الكتاب المذكور لا يخلو ، حسب رأينا ، من بعض الشوائب والسقطات . مثلا ، « اعطاء الاولوية لعملية النضال من اجل تحرير فلسطين ، وربط عملية تحقيق الوحدة بعملية التوجه لتحرير فلسطين » هو موقف يشكو من التعميم . اذ انه لا يوضح لنا كيف يمكن لهذا النضال ان يشكل البند الاول في برنامج ثوري في تونس مثلا ، او الجزائر ، او المغرب ، او السعودية ... لا شك ان النضال الوطني في هذه البلدان يلتقي مع النضال ضد الكيان الصهيوني ويرفده غير انه لا يمكن — موضوعيا — اعتبار النضال ضد اسرائيل بالنسبة للحركة الوطنية التونسية مثلا اهم من النضال لاسقاط الحكم في تونس ، لا بل ان اسقاط هذا الحكم هو في آن واحد مساهمة في النضال ضد الامبريالية وادواتها العربية والاسرائيلية وشرط لا بد منه لرفع وتطوير هذه المساهمة .

كما ان منير شفيق الذي يتخذ احيانا مواقف مستقلة عن خط قيادة فتح يضطر احيانا تحت وطأة الهجوم التشهيري على فتح للدفاع عنمواقف غير صحيحة ولاغفال بعض الانتقادات الصائبة . فمثلا يعتبر منير ان تعايش فتح مع باقي المنظمات دليل على كونها نقضا للواقع العربي لا امتدادا له ، فهل هذا صحيح ؟ بغض النظر عن موافقتنا مع منير حول الموقف من فتح ، نقول ان تقديم هذا المثل ليس موفقا . ففتح تعايشت مع باقي المنظمات لسبب بسيط هو انها لا تستطيع القضاء عليها لانها ، اذا فعلت ذلك ، تستعدي عليها الانظمة التي ترعى وتشجع هذه المنظمات . ولا نظن ان هذا يحتاج الى براهين كثيرة . كما ان منير شفيق لم يرد على اتهام الدكتور صادق لفتح — وهو اتهام صحيح — بانها لم تقدم تفسيرا جديا لهزيمة حزيران ، بل انصرف الى نقد المنطق الذي حكم التفسيرات « البروليتارية » لهزيمة «البورجوازية الصغيرة » في حزيران ، غير ان نقده هذا لا يجب ان يعفيه من انتقاد فتح ايضا دون ان يقع بالضرورة في فخ النقد العدمي الذي وقع فيه الدكتور صادق .

ولا بد لنا ايضا من تقديم ملاحظة حول طريقة منير في معالجة موضوعات كتاب الدكتور صادق . فهو يرى ان « تصميم الكتاب — دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية — عبارة عن تشابك لموضوعات عديدة تداخلت في بعضها بعضا بلا منهاجية في البحث ، وبلا تسلسل او نظام » (ص ٥ — ٦) . الا انه بدل ان يعمد الى محاولة استخراج المحاور الرئيسية للسجال قام بعملية ملاحقة فاسرف فيها عوض ان يلتقط نقاط الخلاف الاساسية ويدرج الملاحظات الجزئية ضمنها .

*

« ان هذا الكتيب المتواضع يهدف الى الدفاع عن الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية ،

والى تكريس الخط الثوري الصحيح في مواجهة النقد التحطيمي للقوى الثورية والوطنية وللثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية » . (ص ٥). ان مواجهة النقد التحطيمي تكون على ارض الصراع ، وقد برهنت حوادث ايار في لبنان ان المقاومة لم تستوعب وانها ما زالت تصارع رغم كل المؤامرات والادعاءات .

يوسف سماحة

Abd al Mughni Sai'd and Samir Ahmad, **Arab Socialism,** (London: Blandford Press, 1972).

Khalid Kishtainy, **The New Statesman & the Middle East,** (Palestine Research Center, Beirut, 1972).

ان الاشتراكية العربية التي قام بدراستها وتقديمها الى القارىء عبدالغني سعيد وسمير احمد هي الاشتراكية الناصرية.فليس في الكتاب غيراشارة وجيزة جدا الى اشتراكية البعث في حين انعدم البحث كليا من اي ذكر لاي منحى اخر من الفكر الاشتراكي في العالم العربي المعاصر باستثناء الشيوعية بالطبع ، وهي نتاج من خارج المنطقة بالرغم مما لها من مناصريها العرب . ولم يحاول الكتاب استعراض الانجازات العملية لاي من الانظمة العربية الاشتراكية اليسارية التقدمية باستثناء مصر . وضمن هذه الحدود خرج المؤلفان بكتاب واضح وجيز يبين بشكل اكثر اقتناعا مما كتب سابقا في اللغة الانكليزية ، تلك الافكار التي توصلت مصر اليها تدريجيا ووضعتها على محك الاختبار طوال الخمسة عشر عاما الماضية ، او منذ ان استتب الامر لحركة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ودخلت مرحلتها الثانية من التطور الاجتماعي بعد الثورة السياسية .

لقد جاء اكثر ما ورد في اللغة الانكليزية من قبل حول هذا الموضوع غامضا ومغاليا نوعا ما . اما عبد المغني سعيد وسمير احمد فقد عرفا جيدا موضوعهما ولم يحاولا الالتجاء الى السفسطات اللفظية والفلسفية . وهذا رصيد جيد لهما وبعين الوقت رصيد غني لموضوع كتابهما . فالظاهر ان الباحثين والكتاب لم يكونوا قبل بضع سنوات متأكدين مائة بالمائة حول حقيقة الجانب العربي من النظريات التي كانوا يكتبون عنها . وقد افلح عبد المغني سعيد وسمير احمد بشكل بليغ في تقديم الاشتراكية العربية كنوع مستقل واصيل من الاشتراكية له جذوره العميقة في التاريخ العربي والدين الاسلامي وتطويرهما لمعالجة المشاكل الخاصة بمصر ولاعطاء ضوء تسير على هديه بقية ارجاء عالم العرب . ومن المحتمل ان براغماتية الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كانت السبب في النمو البطيء للاطار النظري للفكر الاشتراكي . فان الرئيس الراحل كان ، كما لاحظ سمير احمد ، يميل الى استهجان النظريات والتأمل الفكري المجرد . لقد كانت للنظريات قيمة بالنسبة له فقط عندما تمتد جذورها في التجربة العملية .

وعندما تأخذ النظريات شكلا تجريديا مسبقا للتجربة والخبرة اعتبرها ناصر عقيمة بل وحتى مضرة . ولعل ذلك يفسر لنا شكوكه في حركة البعث رغم ان البعثيين قد خرجوا بفكر اشتراكي نظري قبل ظهور اشتراكية ناصر العربية بوقت غير قصير . بيد ان سمير احمد لا ينكر بان ناصر قد تأثر بنظريات البعث ولا يؤمن بوجود هوة سحيقة تفصل بين المدرستين . وقد جاء القسم الذي كتبه سمير احمد على شكل محاولة منه لوضع الاشتراكية العربية في منظورها من الايديولوجيات الاشتراكية المعاصرة واختصار منه لمؤلف كتبه سابقا في سنة ١٩٦٦ مع تنقيح يتناسب والاحداث .

اما عبد المغني سعيد فيركز اكثر على تطور الاشتراكية في مصر وعلاقتها بالافكار الاسلامية الاجتماعية وتطبيقها الحقيقي . ويتألف القسم الثالث من نص الميثاق الوطني لعام ١٩٦٢ وهو الوثيقة التي اعطت الاسس النظرية والتوجيهية للاشتراكية العربية في مصر .

والذي نرجوه هو ان يلقى الكتاب ما يستحق من الرواج بين صفوف الاشتراكيين في بريطانيا بل وفي كافة البلدان الناطقة باللغة الانكليزية . وهنا يتقدم خالد القشطيني في كتابه « النيو ستيتسمان والشرق الاوسط » الذي اصدره مركز الابحاث الفلسطينية ليؤكد على الضرورة الماسة التي تقتضي من الاشتراكيين الدمقراطيين في الغرب تفهم اهداف الاشتراكية العربية ومنجزاتها تفهما اوسع . والنيوستيتسمان كما نعلم هي المجلة السياسية اليسارية التي تصدر اسبوعيا في لندن. ومنذ تأسيس النيوستيتسمان قبل الحرب العالمية الاولى بسنة واحدة رأيت هذه المجلة على التأثير في تفكير الاشتراكيين والاصلاحيين بشكل يفوق بكثير مدى انتشارها ومبيعاتها . وقد اثرت بصورة خاصة في تفكير الصفوة المثقفة لكثير من دول العالم الثالث بقدر ما اثرت في الاوساط الجامعية لاكثر من جيل واحد في بريطانيا . والواقع ان السيد خالد القشطيني يصف في كتابه كيف كان هوشخصيا في ايام صباه في بغداد يترقب وصول هذه المجلة كحدث اسبوعي مهم له ينكب خلاله على ترجمة مقالاتها ومناقشة افكارها . وبالطبع كان ذلك بالضبط هو الحال بالنسبة لكثير من الشبان المفكرين في عدة دول اخرى غير العراق . اما سر النفوذ الكبير الذي اصابته مجلة النيو ستيتسمان فهو انها قد ساعدت على توضيح كثير من الافكار التي كانت رائجة بشكل مشوش وفطري وترسيخ ذلك في اذهان الكثير من الناس . وحدث ان استمرت هذه الافكار النيو ستيتسمانية في تأثيرها على التلميذ القارىء بعد ان اصبح شخصية مرموقة كموظف مهم او زعيم سياسي او رجل من رجال الاعمال .

ولكن مجلة النيو ستيتسمان فقدت في الاخير مكانتها وتأثيرها بين قرائها العرب بعد ان انجرفت وراء التأييد القوي للصهيونية قبيل الحرب العالمية الثانية . ويعطينا كتاب خالد القشطيني دراسة كثيبة عن الطرق والمناحي التي تجلى فيها هذا الاتجاه . انه كتاب اختصاصي جدا ولن يسترعي انتباها كبيرا من القراء الذين لم تقع حياتهم ضمن المجال الذي تعاظم فيه اثر النيو ستيتسمان . ولكن الاشتراكيين البريطانيين الذين سيحضون بقراءة هذا الكتاب سيضطرون الى اعادة النظر في الميل الشديد الذي يبديه حزب العمال البريطاني الى جانب اسرائيل والحكمة في ذلك او عدمها .

ويلتقي كلا هذين الكتابين موضوع هذا الحديث في اهمية الاشتراكية العربية وما تستحقه من التفات الاشتراكيين الاوروبيين الى ما يجري في الدول العربية من تطورات وما يجدر من ذلك بقسط من عطفهم وتفهمهم الذي اغدقوه على اسرائيل . ولا ريب ان كتاب خالد القشطيني سيساعد على حقن شيء من الشكوك في ذلك التقبل الجزافي دون تمحيص او تفكير لادعاءات اسرائيل بكونها جنة من جنان الاشتراكية . لقد اخذت وقائع الموقف الراهن في الشرق الاوسط بزعزعة تفكير كثير من التقدميين في دول اوربا الغربية ممن دأبوا سابقا على العطف على اسرائيل في حين غابت عن اعينهم وقائع الحال في الشرق الاوسط . ولو ان المستر هارولد ولسن ، زعيم حزب العمال البريطاني ، ما زال يتغاضى عن هذه الوقائع حتى الان . ولا شك ان هذين الكتابين سيساعدان على تسريع عملية التنوير والوعي الثقافي في هذا الميدان .

دافيد ميتشيل

معين احمد محمود ، الجديد في العسكرية الاسرائيلية (منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٧٢) .

لا شك ان اهتمام المثقفين العرب بقضايا العسكرية الاسرائيلية أمر مطلوب وضروري في مجرى الصراع الثوري بين شعوب الامة العربية والعدو الصهيوني ، ولا شك أن شعار « اعرف عدوك » الذي قدمه الكاتب في مقدمة كتابه شعار يجب التأكيد عليه باستمرار كضرورة جوهرية من ضرورات النضال العربي ضد العدو الاسرائيلي . ولكن لا شك ايضا ان هذه القضية الفكرية والثقافية يجب ان تأخذ وتعالج من كل متعد لها بجدية وأمانة علمية تتناسب واهميتها وخطورتها .

ان اهمية دراسة العدو بدقة بالغة وتقديم معلومات صحيحة جديدة عنه تدفعنا الى القول بأن كتابا يصدر بعد خمس سنوات من الهزيمة يونيو ١٩٦٧ بعنوان « الجديد في العسكرية الاسرائيلية » ويكتب على غلافه الخلفي أسفل صورة انيقة للمؤلف بأنه « هو الكتاب الرائد للدراسات العسكرية عن العدو الاسرائيلي يكتبه ، الرائد الذي لا يكذب اهله ، الكاتب الموسوعي، المؤرخ الاستاذ معين احمد محمود الذي كرس كلماته للتضايا العربية الخ » مفروض فيه بطبيعة الحال أن يقدم بحثا علميا جادا امينا عن ما هو **جديد فعلا** في العسكرية الاسرائيلية ، لا أن يقدم اعادة طبع اجزاء من كتب سابقة لمؤلفين اخرين عن العسكرية الاسرائيلية دون حتى ذكر هذه الحقيقة البسيطة التي يسهل على كل متتبع للكتابات العربية البحث حول هذا الموضوع ان يكتشفها بعد صفحات قليلة من قراءة البحث الجديد المزعوم ! فبعد فصل قصير عن « تسليح اسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ » جمع فيه الكاتب مجموعة أخبار عن صفقات أسلحة من الصحف بطريقة غير دقيقة مليئة بالاخطار والتناقضات مثل قوله أن اسرائيل اشترت يوم ٢٣ تشرين اول ١٩٧٠ ٢٠٠ دبابة امريكية طراز — ٦٠ (يقصد م — ٦٠) عاد يقول مثلا أنها حصلت يوم ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٠ على ١٨٠ دبابة طراز « م — ٨٠ » ! ان ليس هناك دبابة بهذا الاسم الخ ، نقول بعد هذا الفصل الذي يعتبر هو الفصل الوحيد الذي تحدث فيه المؤلف عن ما هو جديد في العسكرية الاسرائيلية بسطحية وعدم دقة مثل قوله ان زوارق « طوربيد » جمهورية مصر العربية أغرقت يوم ٢١ تشرين ١٩٦٧ المدمرة « ايلات » على حين يعلم أي مواطن عربي ان « ايلات » اغرقتها زوارق الصواريخ الروسية الصنع « كومار » المسلحة بصواريخ موجهة سطح — سطح طراز « ستيكس » . انتقل الى خمسة فصول تاريخية واقتصادية عن الوجود الصهيوني في فلسطين والمطامع الاسرائيلية التوسعية القديمة ابتداء من مؤتمر « بال » ومرورا بعام ١٩٣٦ وانتهاء بميزان القوى العسكرية ١٩٤٨ — والترتيب المذكور من عندنا لان الكاتب عكسه في كتابه — لا تصل بموضوع كتابه عن الجديد في العسكرية الاسرائيلية ، ولا يعنينا الان مناقشة او نقد ما جاء فيها من اراء وتفاصيل ، ثم عاود الحديث عن الموضوعات العسكرية ابتداء من الفصل السابع الذي أعطاه عنوان « التعبئة العامة ، دعوة الاحتياط والتسريح في اسرائيل » .. (في الصفحات من ٧١ الى ٧٩) وكان المفروض عليه وفقا لما تقتضيه الامانة ان يقول « اقرأ ما جاء في كتاب اللواء محمود شيت خطاب » « العسكرية الاسرائيلية » (طبعة دار الطليعة عام ١٩٦٨) حول « النفير ودوعة الاحتياط والتجنيد والتسريح في اسرائيل » ابتداء من صفحة ١٠١ حتى صفحة ١١٥ ، فقد قام المؤلف بنقل حرفي للصفحات المذكورة مع تغيير طفيف للغاية في بعض العناوين الفرعية ومع كتابة خمسة أسطر في البداية من عنده او ربما من مصدر اخر لم نتوصل الى معرفته ! ومع المحافظة على نقل معظم هوامش الكتاب الاصلي ايضا !

وواصل المؤلف انقضاضه على كتاب « محمود شيت خطاب » في الفصل الثامن الذي اعطاه اسم « القوات المسلحة الاسرائيلية » (الصفحات من ٨٠ الى ٨٢) نقلا عن نفس الفصل بالعنوان نفسه من كتاب خطاب (ابتداء من صفحة ١١٧ حتى ١٢) ثم انتقل في صفحة ٨٢ من كتابه وخلال نفس الفصل الى كتابه « هيثم الكيلاني » عن « المذهب العسكري الاسرائيلي » (سلسلة كتب فلسطينية رقم ١٩ التي يصدرها مركز الابحاث — ١٩٦٩) وأخذ ينقل عنه ، طبعا دون ذكر أي اشارة لذلك كما هي عادته ، ابتداء من صفحة ٩٣

ابتداء من عبارة « وهكذا تمكن الصهيونيون .. » بالسطر ٢٢ من كتاب الكيلاني وحتى صفحة ١٠٣ السطر ١٤ (التي تقابل نهاية صفحة ٩٠ من كتاب معين) . لينتقل بعد ذلك ابتداء من صفحة ٩١ الى مواصلة اللطش الحرفي من كتاب هيثم الكيلاني ايضا ابتداء من صفحة ١٠٥ السطر ١٦ حتى قرب نهايتها ! ثم من صفحة ١٠٦ ابتداء من سطر ٨ حتى سطر ٢٠ منهيا بذلك صفحة ٩٢ من كتابه ! وفي الفصل ٩ عن « التنظيم العسكري » تام بنقل صفحة ١١٠ ، ١١٤ من كتاب هيثم الكيلاني وذلك في الصفحات ١٠٣ ، ١٠٦ من كتابه **الجديد** !

وفي الفصل ١١ بعنوان « الطيران الاسرائيلي » تام ابتداء من صفحة ١٤٧ عند حديثه عن استخدام سلاح الطيران في حرب ١٩٦٧ بنقل ما أورده « هيثم الكيلاني » في كتابه بنفس العنوان ابتداء من صفحة ٦٥٨ حتى صفحة ٦٦٢ حتى السطر ٢٠ (وذلك يقابل بداية صفحة ١٥٢ من كتاب معين الجديد !) ثم انتقل في حديثه عن المطارات الاسرائيلية فنقل عن كتاب الكيلاني ايضا نقلا حرفيا تقريبا الصفحات ١٣٢ ، ١٣٣ وفعل الشيء نفسه عن القواعد البحرية في صفحة ١٥٨ فنقل حرفيا تقريبا عن الكيلاني صفحة ١٣٦ ، وكذلك في حديثه عن « الجدناع » صفحة ١٦٧ فنقل عن المرجع السابق حرفيا ايضا صفحات ١٤٤ ، ١٤٥ وطبعا دون الاشارة الى ذلك في أي هامش !

ويبدو ان الكاتب سأم عملية النقل من كتاب « الكيلاني » أو رأى ضرورة تنويع مصادر نقلـه الحرفي فعاد مرة اخرى الى كتاب « محمود شيت خطاب » واخذ يعيد طبع صفحات طويلة منه ابتداء من الفصل ١٧ عن « السلاح الذري في اسرائيل » فأخذ ينقل عن صفحات ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ في صفحاته هو ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ واستمرت هذه العملية بعد ذلك على طوال صفحات كتابه حتى نهاية الفصل ١٨ في صفحة ٢٤١ ناقلا من كتاب «خطاب» صفحات عديدة مثل ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، حتى ٢٩٥ ! مع ترك بعض الاسطر منها احيانا مثلما فعل في نهاية صفحة ٢٤١ من كتابه **الجديد** ! حيث ترك السطر الاخير من صفحة ٢٩٥ من كتاب « خطاب » ! ثم واصل المؤلف « الموسوعي » انقضاضه على كتاب « شيت خطاب » في الفصل ١٩ « مصادر السلاح الاسرائيلي » (ص ٢٤٢ وما بعدها) ونقل عنه ابتداء من العنوان الفرعي « جذور التسليح الاسرائيلي » وذلك من صفحة ٣٠٠ بكتاب « خطاب » حتى صفحة ٣٢٨ تقريبا مع بعض الاختصار احيانا منهيا بذلك فصله المذكور في صفحة ٢٦٤ ! ليواصل النقل بطول نفس يستحق الاعجاب : فهو ينقل ايضا الهوامش من المرجع الاصلي ! في الفصل ٢٠ عن صناعة الاسلحة الاسرائيلية من نفس الكتاب السابق ومن فصله المعنون بالعنوان نفسه ابتداء من صفحة ٣٥٨ من كتاب « خطاب » (التي تقابل صفحة ٢٦٥ من كتاب « معين » « الجديد » !) من العنوان الفرعي « أبحاث الفضاء » حتى نهاية صفحة ٣٦٢ التي تقابل صفحة ٢٦٨ من الكتاب «الجديد»! ثم يواصل النقل مرة اخرى عن حديثه عن « المناطق الصناعية » حتى نهاية صفحة ٣٦٨ من كتاب « شيت خطاب » التي تقابل صفحة ٢٧٢ من كتابه « الجديد » ! وفي بعض الاحيان كان الكاتب يقول بتغيير طفيف في الالفاظ والكلمات مثلما تصرف في عبارة « ومن الخطأ الكبير الاعتقاد بأن اسرائيل في عام ١٩٥٦ وجدت في نفسها القوة الكافية للهجوم على مصر » التي أوردها « هيثم الكيلاني » في السطر الاول والثاني من صفحة ٩٦ من كتابه ، فجعلها « معين » في كتابه « الجديد » « ومن الخطأ الفادح الاعتقاد بأن اسرائيل في ١٩٥٦ أنست في نفسها القوة الكافية للهجوم على مصر » ! وفي أحيان اخرى كان يخطأ في نقل الكلمات نتيجة لتعجله في النقل بسرعة انهاء الكتاب استعدادا لتاليف وطبع ٤ كتب اخرى يعلن عن قرب صدورها في نهاية كتابه هذا ! فنراه مثلا وهو يتحدث عن « نفير سليمان » في الفصل الخامس بدعوة الاحتياط يقول أن قلعة « مجدو » الاسرائيلية القديمة كان بها « اماكن لتجمع ثلاثمائة عجلة عربية » (صفحة ٧٥ سطر ٢٦) بينما الاصل المذكور في كتاب « شيت خطاب » « ثلاثمائة عجلة حربية » (صفحة ١٠٩ سطر ١٨) !! كما نقل كلمة « الحرب الاشعاعية » في البند ب صفحة ٢٧٩ من خطاب « شيت خطاب » خطأ وجعلها كلمة « الحرب الكيماوية » في صفحة ٢٣٠من كتابه رغم كتابته الكلمة الانجليزية المقابلةلها

(نقلا عن الاصل ايضا) «Radiological Warfare» هذا وقد أورد الكاتب المذكور الكتابين اللذين نقل منهما عشرات الصفحات نقل مسطرة ضمن قائمة المراجع الطويلة العربية والاجنبية التي الحقهـا بكتابه في صفحات ٢٩٤ ــ ٢٩٧ والتي نشك في انه استخدم منها شيئا ، ولكن ذلك لا يعفيه من جريمة السرقة الادبية التي ارتكبها علـى هذا النحـو الفاضح لان الكاتب حين ينقل عن مراجع لا ينقل صفحات طويلة متوالية ودون ان يذكر هذا فـي هامش كتابته ويفتح الاقواس المحددة للفقـرات المأخوذة . ومن هنا نرى ان كتاب « معين احمد محمود » ليس جديدا في شيء الا في كونه قد طبع عام ١٩٧٢ بينما طبع كتاب « محمود شيت خطاب » « العسكرية الاسرائيلية » في عام ١٩٦٨ وطبع كتاب « هيثم الكيلاني » « المذهب العسكـري الاسرائيلي » في عام ١٩٦٩ ، ومن ثم كان يجب ان يسمى الكتاب الجديد المزعوم « طبعة مختصرة جديدة » لاجزاء من الكتابين المذكورين . وحيث اننا لسنا بصدد نقد مادة هذين الكتابين الان فاننا لن نقوم بتقييم المادة العلمية المزعومة التي يقدمها كتاب « الجديد في العسكرية الاسرائيلية » لانـه ليس جديدا في شيء سوى في تاريخ نشره واختلاف الدار الذي نشرته عن الدور التي نشرت الكتابين المذكورين !

اما المقاطع التي نعتقد بأن الاستاذ معين محمود قد كتبها فهي مليئة بالتناقضات والاخطاء الفادحة، مما يشير الى ان معارفه العسكرية تتفوق على براعته في « التأليف » فكل مقطع ينطق بجهله التام في الشؤون العسكرية . فهو يشير مثلا الـى ان السوبر ميستير تحمل ٥٥ قذيفة جو ــ جو ، في حين تحمل معظم المقاتلات الاحدث مـن السوبر ميستير صاروخين اثنين فقط ، وكان يمكن اعتبار هذا خطأ مطبعيا لولا انه تكرر في الحديث عـن خواص الميراج التي تحمل ٣٢ صاروخا جو ــ جو. ويبدو انه اعتبر قذائف الطائرات العادية جو ــ ارض صواريخ جو ــ جو . كما انه لا يدع مجالا لخبثاء الطيران ان يخدعوه فيكشف « تمويههـم الواضح » فيما يختص بطائرة « السكاي هوك التكتيكية » والتي ليست سوى «طائرة استراتيجية» متنكرة « ولان الغرض الوحيد الذي دفع اسرائيل لاختبارها هو استخدامها للاغراض الاستراتيجية»، ولا تفوت عليه الخدعة القائلة بأن طراز طائـرة السكاي هوك قديم لان هذا القول « ينطوي على تمويه آخر اذ سبق أن رأينا عدة علامات (يقصد نماذج) منها وكان آخرها (١) التي انتجت عام ١٩٦١ ــ ١٩٦٢ » . ويتضح من التاريخ الـذي أورده الكاتب ان الطائرات قديمة والمعلومات عنها متوفرة وليس هناك مجال « لتمويهها » او « كشف هذا التمويه » . ويشير بعد ذلك الى ان اسرائيل « ستستخدمها (السكاي هوك) بل واستخدمتها فعلا في ٥ حزيران في قصف الاهداف العـربية البعيدة » صفحة ٤ اي قبل ان تصل الطائرات الى اسرائيل ، لان الدفعة الاولى وصلت بعـد حرب حزيران ، حيث تمت الصفقة الاولى لبيع طائرات امريكية لاسرائيل في ٢٨ كانون ١٩٦٨/١ ، ووصلت الطائرات الاولى في أيلول ١٩٦٩ . ويضيف بأن « مداها يستطيع بلوغ القاهرة والاسكندرية » ثم تتملكه رغبة في المبالغة فيضيف « بل حتـى الحبانية وبغداد » هذا مع انه يقول ان مداها الاقصى يزيد على ٢٠٠٠ ميل بقليل (اي نحـو ٣٢٠٥) هذا في صفحة ١٣٤ ، ولكنه ينخفض في الصفحة التالية ليصبح « دائرة مداها ١٥٠٠ كم ».

ولا تتوقف اغلاطه عند طائرات السكاي هوك ، بل تتعداها الى كل انواع الطائرات تقريبا، فسرعة طائرة الفانتوم عنده « تتجاوز سرعة الصوت ونصف المرة » وهذا ما لا يتفق مع الحقيقة فسرعتها تبلغ (٢،٢٧ ماك).وحمولتها عنده «تبلغ ضعفي وزنها اي حوالي ٢٥ طنا » هذا في صفحة ١٣٨ ، ثـم تنخفض الحمولة الى ٥ اطنان في الصفحة ١٤٠ ، بينما تبلغ حمولتها الحقيقية مـن المواد الحربية ٧،٢٦٠ كغم . وكذلك الميراج التي تبلغ سرعتها ٢٢٧٠ كم/ساعة ، صفحة ١٣٢ ، ثم تنخفض الى ٢٠٢٠ كم/ساعة في الصفحة ١٣٧ ، ثم تعـود السرعة الى الارتفاع فتصبح ٢٧٨٠ كم/ساعة في الصفحة ١٤٧ ، وهذا يشير الى انه قـد شرح مواصفات الميراج ثلاث مرات ، حيث سمى الطراز الاول داسو ميراج سج ، وقال ان اسرائيل تمتلك ٩٦ طائرة من هذا الطراز ، اما الثانية فهي ميراج فقط ، اما الثالثة فهي ميراج (3-C) والتي وصل منها (٥٠ ــ ٧٠) طائرة من اوستراليا بالاضافة الى ١٣٠ ميراج من هولندا ، أي ان المجموع وصل الى ٣٠٠ طائرة ميراج تقريبا ، علما بأن اسرائيل لم تكن تمتلك سوى ثلث او ربع هذا الرقم قبل وبعد حرب حزيران كلها من طراز ميراج ٣ سي . وكذلك الحال بالنسبة للطائرة ت ــ ١٠٤ والتي تتراوح بين «٢،٢ الى ٣،٣ مرة بقدر سرعة الصوت»

ولم نفهم كيف يمكن ان «تتراوح»السرعة القصوى وهي سرعة«قصوى»كما انه ليس هناك طائرة بهذه السرعة ، واسرع طائرة معروفة هي الميغ ٢٥ والتي تبلغ سرعتها ٣٫٢ ماك ، بالاضافة الى ذلك فالمؤلف ضعيف في الحساب حين يقول « فأقصى ارتفاع بلغته هو (١٠٢٢٨٩ قدما) (اي نحو ١٥١٣ مترا) » وقد تغاضينا عن خطأ في الطباعة جعل الارتفاع الاقصى (٢٥٤٠ كيلومترا) صفحة ١٣٦ .

فان فات القارىء اكتشاف هذه الاخطاء والتناقضات، فلن تفوته التعابير العسكرية الخاصة بالكاتب والتي لا يمكن ان تمر دون ان تثير شعورا بالاستغراب من التقدم الرهيب الذي وصلت اليه التكنولوجيا ، مثل وصفه للميراج بأنها طائرة « نفاثة للقتال والملاقاة » (يقصد معترضة) ، مع انها في الحقيقة قاذفة مقاتلة متعددة الاغراض . او قوله « ارتفاعها في المحركات » وهو ما لم نفهم معناه ، او بوصفه اجنحة طائرة ف ١١١ بأنها « قابلة للتغيير » (يقصد اجنحة متحركة) او حديثه عن تسليح المدمرة ايلات — والذي لم يكن له اي داع لان المدمرة اغرقت عام ١٩٦٧ ، خاصة وان اسم الكتاب الجديد في العسكرية — وقولها بأنها تحمل « اربع قنابل اعماق مع مخزنين للقنابل » !! او قوله في معرض حديثه عن المدفعية المضادة للطائرات « ولان هذه المدفعية حين تخطىء تبتعد عن الطائرة مسافة ٣٢ مترا » .

فان تمكن القارىء من مواصلة القراءة واستطاع انتزاع عينيه عن الحروف ليطالع الرسومات التوضيحية ، فسوف يطالعه العجب فعلا ، رجل عادي يرتدي ملابس شبه عسكرية— بدون شارات— قد يرتديها اي حمال في اي مرفأ في العالم ، او جندي في مالطة ، بعلا اضافة الشارات العسكرية طبعا ، او احد زبائن الملابس العسكرية القديمة في هونغ كونغ ، ويكتب تحتها جندي اسرائيلي (صفحة ١١١) . او حين يقدم صورة للفانتوم « تنشر لاول مرة » . يقول ذلك بعد عامين من نهاية حرب الاستنزاف والتي كانت الفانتوم حصانها الاول . وبعد ان نشرت الصحف العربية والاجنبية الاف الصور لها . وحين تصل الى « الدبابة ٢. ام. اكس ١٣ التي تشبه الـ ٢. ام. اكس ١٣ ، والمزودة بمدفع ١٠٥ ملم غير قابل للحركة » (يقصد ذاتي الحركة) صفحة ٢٥٧ ، او المدفع ذاتي الحركة عيار ١٥٥ ملم والمركب على قاعدة دبابة شيرمان فيصفه بأنه « اثقل دبابة استعملت في الميدان » صفحة ٢٥٤ تكون قد فقدت نهائيا القدرة على التعجب وألقيت بالكتاب جانبا بشكل نهائي .

من قراءة سطور الكتاب ، الذي تطلب منا صبرا جميلا ، تستطيع ان تجزم بأن معارف الكاتب العسكرية تقل كثيرا عن معارف الرجل العادي . فهو يخلط مثلا — وكذلك الكتاب الذي اتخذه مصدرا — بين الطائرات المقاتلة والتجارية والطائرات القديمة التي استعملت في حرب ١٩٤٨ وما قبل ، والحديثة ، ويعتبرها كلها من طائرات سلاح الطيران . ولا يفرق ، لا هو ولا الكتاب المصدر كذلك ، بين القذائف المضادة للدبابات ، او الصواريخ المضادة للطائرات ، او صواريخ البحث العلمي غير الموجهة . ولا يقدم كتابه للقارىء العربي اي جديد ، لان كل ما يقدمه هو معلومات مشوشة او تكرار لمعلومات منقولة بشكل خاطىء.

هشام عبدالله
و محمود عزمي

علي المحافظة ، **العلاقات الاردنية ـــ البريطانية (من تأسيس الامارة حتى الغــاء المعاهدة ١٩٢١ ـــ ١٩٥٧)**
(دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧٣) .

خضع تاريخ الاردن السياسي طيلة الخمســين عاما الماضية لحملة كبيرة من التضليل وذلك نتيجة لحرص السياسة البريطانية علــى اخفاء الدور الذي اوكلته لتلك الكيانات السياسية التي أنشأتها في فترة ما بعد الحرب الاولــى بالتعاون مــع الهاشميين في كل من الاردن والعراق . ومــن استعراض لغالبية تلك المؤلفات التي تناولت صيانة هذا التاريخ يمكننا التمييز بين صنفين من الكتاب :

ـــ موظفون بريطانيون (عسكريون ومدنيون) سبق لهم الخدمة لدى الادارة البريطانية في الاردن واشرفوا على تنفيذ تلك الخطط البريطانية مثل : بيك ، كيركرايد يوغ وكلوب . واتجه اهتمام هؤلاء بالطبع للدفاع عن وجهة النظر البريطانية وتجاهل الحركات الوطنية المعارضة او التقليل من شأنها او نحو الحديث بحماس عــن تجربتهم الذاتيــة المغامرة .

ـــ كتاب عرب : اما رسميون هم جزء من النظام القائم انصرفوا الى عرض ذلك التاريخ بقدر كبير من المغالطة ككتب المذكرات التي كتبها الملك عبدالله وهزاع المجالي والملك حسين .

أو كتاب اجراء تولوا مهمة تزوير ذلك التاريخ لحساب النظام القائم ولم يكونوا معنيين أصلا بالقضية العلمية مثل سليمــان الموسى ، منيب الماضي ، موسى بكمرزا ، تيسير ظبيان ، احمد العلي ، امين ابو الشعر .. وآخرون .

وفي الشهر الماضي صدر كتاب جديد عــن دار « النهار » تناول العلاقات الاردنية ـــ البريطانية منذ تأسيس الامارة حتى الغاء المعاهدة (١٩٢١ ـــ ١٩٥٧) . وتأتي أهمية الوقوف عند هذا الكتاب من أهمية الموضوع أولا . فتناول العلاقة بــين الاردن وبريطانيا يعني بالحقيقة تغطيــة التاريخ السياسي للاردن طيلة تلك الفترة . وثانيا من حيث ان المؤلف طرح كتابه بادعاء الخروج عن ذلك النسق غير الموضوعي وذلك التحيز الشخصي اللذين وقع فيهما معظم المؤلفين العرب والاجانب ـــ على حد تعبيره ـــ (ص ٩) وحاول بذلك ان يمنحنا الثقة الاكاديمية في الدراسة على اعتبار انها جهد رفيع تقدم به الكاتب الى جامعة السوربون في باريس عام ١٩٧١ كأطروحة للحصول على دكتوراه الحلقة الثالثة في التاريخ العربي المعاصر .

ثمة ملاحظة اساسية تلفت نظر المطلع علــى الدراسة سلفا تتعلق بمنهج الكتاب ، وهــي ان الكاتب اختفى طيلة الـــ ٢٨٤ صفحة وراء أكداس من الاقتباسات والحواشي فجــاء كتابه تسجيليا مسطحا يفتقر الى العمق والتحليل والربط ولا تعدو معظم صفحاته ان تكون جهدا تجميعيا للمعلومات سجلها الكاتب ووضع ارقاما للحاشية في نهاية كل فترة (انظر معظم صفحات الكتاب) .

صحيح ان المؤلف قد أورد في نهاية دراستــه أسماء لنحو ١٥٠ مرجعا عربيا وأجنبيا بين كتب ووثائق ومنشورات رسمية وصحف ، الا انــه افتقد القدرة العلمية علــى البحث وعجز عــن استخدام تلك المصادر والمراجع الاستخدام الافضل وفق أساليب وطرق البحث العلمي ، ولم يكــن بامكانه سوى اعادة ترتيب تلك الاقتباسات وتدوينها بينما تلاشت تماما شخصية الباحث خلف سطور الكتاب . لقد حد هذا من الفائدة المرجوة والمحتملة للبحث بعد أن ساقه ذلك النهج للوقوع في مزلقين هامين هما :

(١) غياب المنهج التحليلي العلمي ، او محاولة استكشاف الخلفيات الاجتماعية والسياسية لظاهر الاحداث او محاولة ربطها ، فهو عندما يسوق حادثة طرد الاستقلاليين من الاردن ١٩٢٤ واطلاق يد بيك في السيطرة على الجيش (ص ٥٢ ، ٥٥) لم يوضح البنية الاجتماعية والذهنية للاستقلاليين ، ولا سرد التأييد الشعبي الذي احيطوا به بين العشائر الاردنية : وما هي الاعتبارات التي حكمت علاقتهم مع الامير عبدالله ، والتأثيرات التي خلفها اجراء الطرد على اوضاع الحركة الوطنية . وعندما يتعرض لحركات العصيان العشائري التي شهدتها الامارة في البداية (ص ٥٤ ، ٥٥) لم يبد اي اهتمام فيتحليل الموقف البريطاني من هذه الحركات.

وعندما يورد بنــود الاتفاقيات الاردنيــة ـــ البريطانية كاتفاقية ١٩٢٨ والقانون الاساسي (ص ٦٨ ـــ ٧٤) فانه يقوم بمهمة تسجيل تلك النصوص

دون محاولة ربطها بالواقع السياسي المحلي وبخطط السياسة البريطانية في المنطقة . فما هو التقييم الحقيقي للمجالس التشريعية التي تمخضت عن القانون الاساسي . وكيف أمكن للامير عبدالله بالتعاون مع بريطانيا احتواء المعارضة الوطنية من خلال تلك التجربة الدستورية المشوهة ؟ وكيف انه كان من شأن المادة ١٧ الخاصة باشراف الادارة البريطانية على منح امتيازات المشاريع تسهيل سيطرة الحركة الصهيونية على تلك المشاريع كما جرى بالامتيازات الممنوحة لشركة كهرباء فلسطين وشركة البوتاس الفلسطينية . ثم المرامي الخطيرة التي حملتها المادة ١٩ بشأن سريان معاهدات تسليم المجرمين على الاردن لاحكام الطوق حول الثورة في كل من سوريا وفلسطين ... الى غير ذلك من النصوص التي لم تثر فصول الكاتب .

لقد بدا قصور هذا النهج ايضا عندما تعرض المحافظة « للمعضلة الفلسطينية والعلاقات الاردنية ـ البريطانية » فقد جاء هذا الفصل أقصر فصول الكتاب (١٤١ ـ ١٦٧) على اهمية الدور الذي لعبته بريطانيا عبر النظام الاردني . وانهمك الكاتب بعرض تسجيلي مبتور لبعض فصول تلك المأساة بأسلوب مدرسي بينما عجز عن ابراز الخطوط العامة والاساسية من خلال تحليل لعلاقة بريطانيا المزدوجة والتزاماتها تجاه الحركة الصهيونية من ناحية وتجاه الامير عبدالله من ناحية أخرى .

في مناسبة اخرى يتعرض الكاتب للحديث عن النزاع الذي ثار حول امكانية انضمام الاردن الى العراق بعد مقتل الملك عبدالله ويسوق جملة احداث غير مترابطة وغير مفهومة حول زيارة ابو الهدى الى الرياض وعدوله عن موقفه السابق المؤيد للوحدة مع العراق ، وكيف انه تحالف مع كلوب لافشال مساعي الوحدة (ص ١٩٧) ـ كيف جاء هذا التحول في موقف ابو الهدى ؟ ولماذا وقفت بريطانيا ضد انضمام الاردن الى العراق مع تبنيها لفكرة « الهلال الخصيب » (ص ٢١٣) هذا ما لم يجب عليه المحافظه واكتفى بعرض جملة مواقف مجزأة دون ان يصل الى معرفة موقف بريطانيا الحقيقي من قضية الوحدة العربية .

(٢) عمد الكاتب الى تسجيل الاقتباسات وعرضها كما هي بصياغتها الاصلية نفسها دون وضعها ضمن اقواس خاصة فظهرت كأنها جزء من صياغته وبنات افكاره وأدى ذلك بالتالي الى وجود تمايز ظاهر بين فقرات الكتاب في اللغة والاسلوب وطريقة التفكير . والى تبني الكاتب لهجة المستشرقين احيانا البعيدة عن فهم حقائق الامور بل والى تبني آراء معادية ومضللة تعبر عن وجهة نظر أصحابها احيانا اخرى . فالمحافظة يرى في ذلك الموقف الوطني ضد محاولة ربط المنطقة بسياسة الدفاع الغربي بعد طرح حلف بغداد « قضية منافسة على زعامة العرب بين مصر والعراق » كما ارتأت اذاعة هيئة الاذاعة البريطانية التي استند الكاتب الى احد تعليقاتها (ص ٢٢١) . وفي موطن آخر انجر المحافظة الى تبرير محاولة انضمام الاردن الى الحلف وذلك بعد ان ساق هنا وعلى مدى نصف صفحة آراء هزاع المجالي بحرفيتها كما اوردها في مذكراته (هزاع المجالي ص ١٥٣ ـ ١٥٥) . ويعود ليبدي سخطه واسفه لعدم انضمام الاردن للحلف حين ينتل هنا رأيا لهزاع المجالي فيقول : « ان الحكومة الاردنية قد وقعت في خطأ فادح لعدم تشكيلها وفداً رسميا للتفاوض مع الوفد البريطاني ، ودعوتها الجنرال تمبلر ، فانتقلت بذلك الصفة السرية للمفاوضات وانتقلت تفاصيلها الى الشارع وانتشرت الشائعات حول التنازلات الاردنية مخاطر الانضمام للحلف » (ص ٢٣٤) . وينقل الكاتب اقتباسا مبتورا على ما يبدو عند حديثه عن نتائج انتخابات ١٩٥٦ فلا يفسر لنا كيف جاءت نتائج الانتخابات « باعثة على الدهشة » (ص ٢٥٣) . وفي موطن آخر يبدو الكاتب متطوعا للحديث عن مزايا التحالف الاردني ـ البريطاني فيقول : « تكمن اهمية هذا التحالف في المعونة المالية المقدمة للجيش الاردني ، وفي حماية الاراضي الاردنية من اي عدوان خارجي والواقع ان هذا التحالف قد جنب الاردن الاحتلال الاسرائيلي لاراضيه وضمن له سلامة حدوده الطويلة مع اسرائيل ، وبانتهاء معاهدة ١٩٤٨ زالت هذه الضمانة واصبحت الحدود الاردنية مع اسرائيل عرضة للهجوم وغدت التزامات بريطانيا تجاه اي نزاع مسلح بين العرب واسرائيل او بين الاردن واسرائيل مقتصرة على مضمون البيان الثلاثي الصادر في ٢٥ ايار ١٩٥٠ وميثاق الامم المتحدة » (ص ٢٧٠ ، ٢٧١) . قد نكون مغالين اذا قلنا ان هذا هو رأي الكاتب الا انه بدا كذلك بعد عرض المحافظه حرفيا ما قاله احد النواب البريطانيين على ما يبدو داخل احد الجلسات البريطانية .

لقد افتقد الكاتب الخلفية العلمية ووقع لذلك

في لبس كبير فلم يتعامل مع النصوص بحرص وحذر واكتفى في معظم الدراسة بنقل تلك النصوص كما هي ، معتقدا بذلك انه يلتزم جانب الموضوعية بنقل آراء ومواقف مجزأة ومتباينة .

موضوعيا هل نجح الكاتب في عرضه للافكار الاساسية في الدراسة بأمانة علمية صحيحة ؟ ثمة تحفظان يلقيان كثيرا من الشك على نجاح الكاتب في هذا الامر : اولهما : استناد الكاتب في معظم مصادره الى مراجع غربية لم تتفهم جملة عوامل ذاتية وشعبية في المنطقة مع غياب شخصية الباحث الفاحص والمحلل كما أسلفنا . ثانيهما ان الكاتب موظف في السلك السياسي الاردني (ص ٩) وبالتالي لن يحتمل تلك الموضوعية التي ادعاها في مقدمة كتابه عند عرضه لمواقف الاسرة الهاشمية . فالمحافظة لم يتلمس ذلك التناقض القائم بين مواقف الحركة الشعبية ومواقف الاسرة الحاكمة وعمد الى تمييعه او اخفائه في معظم الاحيان . بينما الغى دور حركة التحرر القومي التي عاشتها المنطقة في الخمسينات ونضالاتها وصور تلك الحالة الجماهيرية بقوله : « ان الدعاية المصرية أخذت تغزو العالم العربي . ووجدت من يستجيب لها في صفوف الجيل الناشىء » (ص ٢٢١) . وفي مناسبة اخرى عندما استقال عدد من الوزراء الوطنيين احتجاجا على محاولة جر الاردن للتوقيع على معاهدة الانضمام لحلف بغداد عرض الامر على انه اجراء خاص بـ « فلسطينيين » فقط وحرص على الترديد ان خلافا قد وقع فجأة بين الوزراء الفلسطينيين والوزراء الاردنيين (ص ٢٣٧) .. هكذا اذن فالخلاف في رأي المحافظة لم يأت محصلة لحالة جماهيرية عاشها الاردن . ثم ان الاردنيين كانوا راغبين في الانضمام الى حلف بغداد !! وعندما يصل المحافظة في نهاية كتابه الى تصفية الحركة الوطنية وضرب المنجزات الديمقراطية للحكم الوطني (١٩٥٧) مع بدء سياسة التدخل الاميركي ومشروع ايزنهاور يتناول ذلك الانعطاف التاريخي الهام بلهجة تبسيطية تآمرية ويعرضها على اعتبار انها مجرد خلاف عارض بين الملك وحكومة النابلسي التي شجعت سياسة التقارب مع الاتحاد السوفياتي ، ولم يحبذ الملك تلك الخطوة بل رأى الموافقة على مشروع ايزنهاور رغبة منه في تحسين اوضاع مملكته الاقتصادية والحد من النشاط المتزايد للشيوعيين (ص ٢٧٣ ، ٢٧٤) . لقد تجاهل الكاتب حقيقة الصراع وابعاد المؤامرة الاميركية ليبرر للملك موقفه .

لقد انهار تماما ذلك الادعاء بالموضوعية عندما جند الكاتب نفسه لتبرير تلك الادوار التي لعبتها الاسرة الحاكمة ولجأ الى عملية تزييف معلنة ومفضوحة في أكثر من موقف . فهو يعترف بالموقف « الغامض والمتناقض » للامير عبدالله تجاه الثورة في سوريا الا أنه يعود ليدافع بطريقة غوغائية مبينا أنه مع ذلك فالامير عبدالله متعاطف مع الثورة السورية وان هذا الزعم لا يرقى اليه الشك « باعتباره احد انجال الحسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى . خاصة وان سوريا لم تغب عن خياله قط » (ص ٦٠) !! وهو يبرر للامير عبدالله اتخاذه موقفا معارضا لوالده في التوقيع على المعاهدة الحجازية — الانكليزية بعد أن الحسين بن علي التوقيع عليها ويسوق لذلك اقتباسا حرفيا عن تيسير ظبيان — أحد أولئك المنحازين الذي حاول المحافظة ان يتميز عنهم « بموضوعيته » — فيقول : « كان الامير عبدالله يدرك جيدا في هذا الموقف ان الوجود البريطاني في الشرق الاوسط حقيقة سياسية وعسكرية لا يستطيع أحد أن يتنكر لها . ولذا لا بد من التعاون مع الانكليز لتحقيق آمال العرب السياسية ما دام العرب عاجزين عن مقاومة قوات الاحتلال ومختلفين فيما بينهم » (ص ١٤١) .

لقد أدخل المحافظة في كتابه اصطلاحا خاصا للملك عبدالله سماه باتجاه « المعتدلين » في القضية الفلسطينية ، مقابل اتجاه « المتطرفين المزايدين » (ص ١٥٥) . وتحدث بطريقة مبتذلة عن « الملك الفذ » (ص ١٩٦) « والملك الواعي الذي استطاع ان يحفظ عرشه بحفظ التوازن بين قوتين متعارضتين هما قوة الشعب وقوة بريطانيا » (ص ١٩٣) . ان حماس المحافظة للقيام بهذه المهمة اوقعه في أخطاء اخرى في التاريخ يمكن للقارىء العادي للدراسة ان يضع يده عليها بسهولة ، فهو يحاول ان يوحي في بداية كتابه (ص ٣٣) بأن الامير عبدالله كان يقود حملة عسكرية من ألفي مسلح لتحرير سوريا علما بأنه لم ترافق الامير سوى قوة محدودة من الهجانة ضعيفة التدريب كانت بمثابة حرس خاص له كما تجمع بذلك معظم المصادر .. وثمة جهالة اخرى وقع فيها الكاتب عندما ذكر « ان جيش الانقاذ

الذي أنشأته الدول العربية كان تابعا للحاج امين الحسيني ، وانه كاد ان يقضي على هذا الجيش لولا تدخل الملك عبدالله » (ص ١٧٢) . قد يكون الكاتب قد قصد هنـا مجموعات المجاهديـن في « الجهاد المقدس » وليس « جيش الانقاذ » . ولكن الكاتب لم يفكر بالعودة الى كتب كلوب نفسه ليعرف ان تصفية « الجهاد المقدس » وتجـريد الشعب الفلسطيني من السلاح جاءت على يـد الجيش الاردني .

لقد فقد المحافظة الرصانة والامانة العلمية ، والقدرة على البحث والتحليل رغم ما بذله من جهد في تجميع المعلومات . وسيظل أمرا مشكوكا فيه ان يكون الكاتب قد وفق بالحصول على درجـة الدكتوراه التي تحدث عنها بناء على هذه الاطروحة — وقد تحاشى الكاتب بالفعل ذكر ذلك — .

ان خطورة الكتاب تكمن في كونه بداية لحملة جديدة تستهدف تشويه التاريخ السياسي للاردن يقوم بها عدد من خدمة النظام من مدعي الثقافة والعلم المتخفين وراء الادعاء بالالتزام بمقـاييس العلمية والموضوعية .

قيس اللافي

Ibrahim Al-Abid, **127 Questions and Answers On the Arab Israeli Conflict**, (Palestine Research Center, Beirut, 1973).

ان هذا الكتاب يطرح علينا وعلى الرأي العام العالمي ، الذي يجهل قضية فلسطين ، مئة وسبعة وعشرين سؤالا تتعلق بالصراع العربي — الاسرائيلي وما يحمل هذا الصراع من قضايا تاريخية وحقوقية وسياسية واقتصادية واجتماعية وقومية ، مبوبة في سبعة فصول ، كل فصل يتناول جانبا من جوانب القضية وناحية من نواحي الصراع ...

وأهمية الكتـاب انه يطـرح قصة النضـال الفلسطيني العربي من الجذور مستندا الى وثائق اساسية لا غنى عنها لاي باحث في القضية . ولذلك جاء الكتاب أشبه ما يكون بالوثيقة اكثر مما هو عرض نظري وتحليلي لقضية الصراع العربي — الاسرائيلي .

فالكاتب يطرح السؤال ويجيب عليه ، انطلاقا من وثائق القضية الفلسطينية. وهنا تكمن موضوعية الأجوبة بالنسبة للمطلعين او غير المطلعين علـى قضيتنا الاساسية ، وخاصة على مستوى بلدان اوروبة واميركا حيث الاعلام الصهيوني هو المسيطر والسائد ، في الوقت الذي لا وجود فيه للاعلام العربي ، سوى اعلام المقاومة الفلسطينية من خلال نضالاتها المستمدة التي جذبت في مدة السنوات الاخيرة انظار القوى اليسارية والتقدمية في الغرب.

وسأحاول ان اعرض ، قدر الامكان ، المعلومات الواردة في الكتاب بسبب تنوع الموضوعات التي تطرق اليها وصعوبة حصرها في فكرة واحد يدور عليها ، او خط مشترك يجمعها في اطار موحد .

● **الشخصية العربية لفلسطين**

يناقش ابراهيم العابد ادعاءات الصهاينة من ان فلسطين هي حق الهي وشرعي لليهود ، وذلك باعتماده على التوراة وعلى التاريخ الاسرائيلـي القديم وصراعهم مع الكنعانيين . ويعرض وضـع فلسطين قبل العام ١٩٤٨ بالاعتماد على احصاءات السكان والاراضي وتوزيعها بين العرب واليهود ونسبة الهجرة اليهودية الى فلسطين .

وحول شرعية وعد بلفور يقول الكـاتب بأنـه غير شرعي ، لانه لا يحق لبريطانيا الا تصدر مثل ذلك الوعد بسبب لا شرعية سلطتها في فلسطين ،

عدا عن انها لم تأخذ بعين الاعتبار رأي الشعب الفلسطيني ، اما بشأن قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة فهو يخالف مبادىء الامم المتحدة التي تقول بحق الشعوب في تقرير مصيرها ، ولا يحق لهذه المنظمة واي منظمة اخرى وضع القدس تحت وصاية عالمية لكون القدس عاصمة فلسطين وتقع ضمن حق تقرير مصير شعبها .

● **الاستعمار الصهيوني في فلسطين**

يقول ابراهيم العابد ، ان نظرة الصهيونية الى العرب كانت منذ البداية نظرة احتقار عنصري ، لدرجة انهم كانوا لا يعتبرون العرب مواطنين في مستوى اليهود ويجب ان لا يؤخذ برأيهم . ويقول بان الهجرة اليهودية كانت تتألف من عمال ومزارعين نظمتهم الصهيونية واخذت ترسلهم كمهاجرين جنود في المنظمات الارهابية والهستدروت، وكانت نسبة المهاجرين الرأسماليين الصهاينة لا تتجاوز ١٠،٥٧٪ .

اما الاستعدادات العسكرية للصهاينة لم تكن ضرورية لمواجهة هجمات العرب بل كانت ضرورية للاستيلاء على فلسطين ، والاستيطان الصهيوني في فلسطين كان قائما منذ البدء على القوة والعنف، اذ ان القادة الصهاينة كانوا يضعون امام اعينهم ان الحرب مع العرب لا بد منها ولذا هم بدأوها واستعدوا لها . وقام الصهاينة باتباع اساليب بوليسية في طرد العمال العرب من المصانع والمزارع وأعطى الكاتب امثلة على الاساليب التي اتبعوها، كاقفال المعمل وطرد العمال ثم اعادة فتحه ولكن بعمال يهود .

● **الرد الفلسطيني ضد الصهيونية**

يثبت ابراهيم العابد الجذور التاريخية للعرب الفلسطينيين ، والدور الذي لعبوه في ارساء قواعد القومية العربية . اذ ان الفلسطينيين كانوا اعضاء في جمعيات ونواد واحزاب تنادي وتعمل للقومية العربية . كما ان العرب ناضلوا ضد الصهيونية منذ بدء القرن العشرين وبرز ذلك في المؤتمر السوري وفي مواقف النواب العرب في البرلمان التركي .

ان الادعاء بان العرب رحبوا بالاستيطان الصهيوني لانه ادى الى منافع اقتصادية ، خطأ فادح . اذ انهم منذ وعد بلفور كانوا يزدادون صلابة في مقاومة الاستيطان رغم استفادة بعضهم من الهجرة اليهودية . اما العمال العرب فقد وقفوا الى جانب المقاومة موقفا مؤيدا حتى النهاية ، واخذوا يقاتلون على جبهة المطالب الاقتصادية ضد التنظيمات الصهيونية وانخرط بعضهم في صفوف المقاومة العربية . كما ان المرأة الفلسطينية شاركت في الحركة القومية ، اذ عقد في تشرين الاول العام ١٩٢٩ مؤتمر النساء العرب في القدس ، وقامت بعدة تظاهرات كبيرة ضد الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني .

ولعب الفلسطينيون دورا كبيرا في الحركة الوطنية العربية قبل الحرب العالمية الثانية وذلك بعد ان تفاقم الخطر الصهيوني على فلسطين حتى اصبحت الثورة الفلسطينية قدوة للعرب واثرت على مجمل الحركة العربية الوطنية وانعكست عليها .

● **تشريد الفلسطينيين**

يضع الكاتب قائمة بالعمليات الحربية الصهيونية قبل ١٥ ايار ١٩٤٨ ، ونتائج تلك العمليات ، بالاضافة الى لائحة بعمليات الاحتلال والطرد التي جرت قبل ان يغادر البريطانيون فلسطين .

ويثبت المؤلف ، خطأ ادعاء الصهاينة انهم دعوا السكان العرب الى البقاء في منازلهم . اذ دعت الاذاعة الصهيونية العرب الى البقاء في منازلهم من اجل تغطية انباء المذابح الاسرائيلية التي قامت بها المنظمات الارهابية في حرب ١٩٤٨ مثل عملية دير ياسين . وكان الصهاينة في الوقت نفسه يشنون الهجمات على المدنيين ويقومون بالمذابح وينشرون الاشاعات بانهم سوف يحرقون القرى ويقتلون المدنيين وذلك لدفعهم الى النزوح والهجرة. ولقد تكررت المأساة نفسها بعد حرب ١٩٦٧ اذ ان الفلسطينيين نزحوا من الضفة الغربية بواسطة التهديد بالقتل ونسف المنازل .

● **الصهيونية واسرائيل**

يعتبر ابراهيم العابد ان الحركة الصهيونية لم تقم على اساس حق الشعب في تقرير مصيره ، اذ ان الحركة الصهيونية اعتبرت ان الحق في تقرير المصير يشمل جميع يهود العالم ، وبهذا يصبح الفلسطينيون العرب اقلية ضئيلة بالنسبة لعدد يهود العالم ... وخلال الانتداب ، كان هناك تعاون بين الحركة الصهيونية والاستعمار البريطاني ، وكان القادة الصهاينة يتعاونون مع

البريطانيين وذلك من اجل تقوية انفسهم ،فارتفع عدد اليهود في فلسطين الى ٦٠٠،٠٠٠ منهم ٤٨٤،٠٠٠ مهاجر . وكانت المساعدات العسكرية تقدم لهم من بريطانيا وذلك بادخالهم الجيش الانكليزي وتدريبهم فيه ، وشكل هؤلاء فيما بعد النواة الاولى للجيش الاسرائيلي .

ان الحركة الصهيونية كانت منذ البدء استعمارية . اذ انها اعتبرت قيام دولة اسرائيل هو لصالح اوروبا ، بصفتها بلد حديث ومتمدن بين برابرة اسيا . كما ان الحركة الصهيونية شاركت في الحرب العالمية الاولى على أمل ان يدعم هذا قيام دولة يهودية في فلسطين ، واجرت عدة اتصالات مع بريطانيا وتركيا من اجل قيام تلك الدولة .

وحول الصراع الاسرائيلي ضد الاستعمار البريطاني في فلسطين ، يقول الكاتب بانه لم يكن وليد نزعة قومية بل وليد مصالح جزئية . فالصهاينة لم يعارضوا الاستعمار في فلسطين بل عارضوا بريطانية لانها ارادت لفترة قصيرة وضع حد للهجرة اليهودية ، وعارضوها عندما طرحت مشروع الكتاب الابيض الذي رفضه اليهود رفضا شديدا واعتبروه لصالح العرب ويمنع الهجرة الى فلسطين ، مع العلم ان البريطانيين لم يقفوا مع العرب في صراعهم ضد الصهيونية للحظة واحدة .

والصهاينة لا يعتبرون انهم حققوا هدفهم بانشاء دولة اسرائيل ، فالعمل هذا جزء من الهدف ، وعليهم بناء دولة قوية من اجل الوصول الى هدفهم . والحدود الآمنة عند اسرائيل ليست ثابتة ومحددة ، بل انها ديناميكية ، وذلك حسب حاجة اسرائيل الى مزيد من الاراضي لاستيطان المهاجرين . والعلاقة بين المستعمرات والتوسع، مهم بالنسبة لها ، اذ ان المستعمرات تثبت التوسع الاسرائيلي وتدعمه ، والامن الذي تبغيه يعني الاعتراف بها كما هي ويعني ان تؤمن لنفسها الحدود الآمنة على الجهات الاربع ، لدرجة ان حدود ما بعد حرب حزيران لا تعترف بها كحدود آمنة . فاسرائيل لا تريد سلاما ، فهي ترفض الرجوع الى حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ ، وموشي دايان يرفض الرجوع عن سيناء مقابل فتح السويس وايلات ، كما انها ترفض عودة الفلسطينيين الى بلادهم ، فمن اصل ٤٠٠ الف نازح سمحت لـ ١٤٠٢٥ بالعودة الى الضفة الغربية وجلهم من النساء والشيوخ . كما انها لم تستطع ان تخلق مجتمعا تصهر فيه مواطنيها اذ ان اليهود الغربيين ينظرون بازدراء واحتقار لليهود الشرقيين والعرب وهناك تفاوت اجتماعي بينهم . وسبب ذلك ان اسرائيل دولة تيوقراطية قائمة على التعصب الديني ، فخمس الكنيست مبني على الاحزاب الدينية ، والعادات اليهودية تحولت الى عادات للمواطنين في فلسطين . ويقيم الكاتب مقارنة ما بين اسرائيل وكل من جنوب افريقية وروديسيا والعلاقات الحميمة التي تربطهم ، ليتكلم فيما بعد عن العلاقة بين اسرائيل كقاعدةللامبريالية والولايات المتحدة الاميركية زعيمة الامبريالية المعاصرة والمساعدات الضخمة التي تقدمها اليها، حتى بلغت بنسبة ١٢٥ دولارا لكل اسرائيلي في السنة .

● العرب في اسرائيل

يقول الكاتب ، ان معاملة العرب لم تتغير ، فالحكم العسكري لا يزال مستمرا والصلاحيات المطلقة معطاة للبوليس في ملاحقتهم للمواطنين في فلسطين . وهناك بعض الاعمال لا يحق للعرب القيام بها ، وتفرض السلطات العسكرية على المواطنين اعلام البوليس عن تنقلاتهم ، كما ان الاعتقالات والطرد التعسفي هو عنوان الاحتلال الصهيوني ، بحجة الحفاظ على أمن الدولة .

والحكم العسكري في اسرائيل لا يقتصر تدخله على القضايا المتعلقة بالامن ، بل انه يتعدى ذلك الى التدخل في جميع الشؤون المدنية ، كالامور السياسية والاقتصادية والبلدية والبريديةوالثقافية والعلاقات الاجتماعية والتعليم والضرائب . والحكم العسكري عمل على عزل العرب والتضييق عليهم والتمييز بينهم وبين اليهود واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية . وتقوم اسرائيل بمصادرة الاراضي بعد ان تعلن عن المنطقة انها منطقة مناورات عسكرية وبالتالي منطقة مغلقة وخطرة ، فتجبر الاهالي على مغادرتها فتقوم بمصادرتها . وسنت اسرائيل عدة قوانين تساعدها على استملاك الاراضي ، كقانون المناطق المهجورة ١٩٤٩ وقانون الطوارىء لزراعة الاراضي غير المزروعة ١٩٤٩ وقانون املاك الغائبين ١٩٥٠ وقانون استملاك الاراضي ١٩٥٣ وقانون التحديدات ١٩٥٨ .

ويتابع ابراهيم العابد سرد عملية الاستيطان الصهيوني وتعدد اساليبه ان في الزراعة ومعاملة المزارعين العرب او في التعليم والتربية للاطفال الفلسطينيين او في معاملة العمال العرب في المصانع واجورهم ومدخولهم الشهري المنخفض او في الخدمات التي تقدمها اسرائيل للقرى العربية المهملة او في الضغوطات التي تمارسها السلطات العسكرية ضد العرب في الانتخابات واخيرا يعطي فكرة عن مدى « احترام » دولة العدو لقرارات الامم المتحدة .

● **المقاومة الفلسطينية للصهيونية واسرائيل**

ان العلاقة بين النازية والصهيونية قائمة ، رغم ان النازيين قتلوا الكثير من اليهود ، فان الصهيونيين كانوا يستغلون ويسكتون عن ذلك مقابل السماح للقادة الصهاينة وكبار الاغنياء بالهجرة الى فلسطين .

اما العرب فقد فرقوا بين الصهيونيين واليهود الذين كانوا يعيشون معهم ، كما انهم كانوا على استعداد للتعاون مع اليهود كافراد وليس مع الصهيونية كمجموعة .

ويردف ابراهيم العابد ، ان مقاومة العرب للصهيونية لم تكن تحمل عداء لليهود ، اذ انهم كانوا يعيشون معا في عدة فترات تاريخية دون عداء .

في عهد الاسلام كان اليهود يعيشون تحت رعاية العرب دون تمييز وكانوا يعاملون معاملة حسنة عكس كل الدول التي اضطهدتهم، حتى ان الاسلام في اسبانيا حرروا اليهود من الظلم الذي كانوا يعيشون في ظله ، وموقف العرب من اللاسامية موقف عدائي كونها مسؤولة عن مجيء اليهود الى فلسطين .

ونظرة العرب لليهود كانت تقوم على اساس المساواة بينهما ولكن هذه النظرة تغيرت عندما بدأ اليهود بالهجرة الى فلسطين من اوروبا حاملين معهم الافكار الاستعمارية والرجعية لتطبيقها فيها بضغط بريطاني في البداية ثم بضغط اميركي .

وعدم اعتراف الدول العربية باسرائيل هو رد على عدم اعتراف اسرائيل بحق الشعب الفلسطيني بأرضه ، والحل الوسطي ليس حلا للنزاع اذ انه لا يطبق الا على مصالح جزئية بسيطة ، اما بالنسبة لفلسطين فهناك تناقض بين الحق المطلق والاغتصاب المطلق .

وفي نهاية الكتاب يتكلم ابراهيم العابد عن الوضع القانوني للمقاومة الفلسطينية من ضمن القانون الدولي وايضا عن وضع المقاومة السياسي انطلاقا من قرار الامم المتحدة الصادر في ٨ كانون الاول ١٩٧٠ الذي يعترف بحقوق الشعب الفلسطيني . ويحدد اخيرا هدف المقاومة التي تريد اقامة دولة ديمقراطية فلسطينية تضمن حقوق الجميع دون تمييز وتعمل على اقامة المساواة بين العرب واليهود .

وليد نويهض

النفط في المعركة : خمسة تقارير

[١]
امريكا والنفط
المسؤولون الاميركيون يستعيرون قلب أسد

رغم ان موضوع « **ازمة الطاقة** » كان من أهم المواضيع التي شغلت وسائل الاعلام الامريكية وبالتالي الرأي العام الامريكي طوال العام ١٩٧٣، وذلك في ضوء تزايد مستوردات امريكا من النفط نتيجة ازدياد استهلاكها الضخم المستمر وتناقص انتاجها المحلي والنقص في طاقة مصافي التكرير لديها عن سد احتياجات السوق المحلية من منتجات النفط ، وهو نقص افتعلته شركات النفط الاحتكارية المتحكمة في صناعة النفط لترغم السلطات الحكومية على تخفيف القيود على استيراد منتجات النفط من خارج الولايات المتحدة أي من المصافي التي أنشأتها شركات النفط الامريكية في جزر البهاما والبحر الكاريبي واوروبا الغربية حيث الايدي العاملة الفنية ارخص وتكلفة الانتاج بصورة عامة أقل ، كما ان النفط الخام المستورد من الشرق الاوسط هو ارخص سعرا مما يتيح لشركات النفط الاحتكارية تحقيق فرص للربح أعلى مما يتوفر لها من مصافيها في الولايات المتحدة. الا ان هذا الوضع جعل الولايات المتحدة هذا العام بحاجة الى استيراد ما معدله مليوني برميل يوميا من هذه المنتجات ، وكذلك **تزايد اعتماد امريكا على النفط العربي ، اذ ان مستورداتها من النفط العربي قد زادت خلال النصف الاول من هذه السنة بنسبة ٦٥ ٪ عن الفترة المماثلة من العام الماضي**(١). ورغم هذه الوقائع الناصعة جميعها فان المسؤولين الامريكيين اختاروا في اثناء هذه الازمة ، كالعادة ، ان يستعيروا قلب أسد وان ينكروا كل أهمية او قيمة للتهديدات العربية بقطع النفط عنها ، وذلك انسجاما مع صلفهم وصلف حلفائهم الاسرائيليين المعتاد . ففي المؤتمر الصحفي الذي عقده وزير الخارجية كيسينجر في ١٢/١٠/١٩٧٣ قال : « ان امريكا لن تدع التهديدات بوقف تصدير النفط العربي تؤثر على موقفها حيال اسرائيل ... لقد بذلنا مجهودا جديدا لنأخذ في الاعتبار اهتمامات العرب ووجهات نظرهم، ولكن علينا ان نسير في طريق عادلة ؟!! وسنتحمل النتائج !!(٢)

وبصورة عامة **اختارت الدوائر الرسمية الامريكية المؤيدة لسياسة الالتزام بدعم اسرائيل ان تقلل من شأن النفط العربي بالنسبة لاحتياجات امريكا من هذا المصدر الحيوي للطاقة الاولية ، كما انها سعت الى التشكيك بمدى جدية دول النفط العربية في تهديداتها ، وتوخت طمأنة الامريكيين بانه لا خوف من ان تقع اضرار على امريكا من التهديدات العربية بسلاح النفط ،** فادعت هذه الجهات ان امريكا لا تستورد من النفط العربي أكثر من ٦ ٪ من اجمالي مستورداتها من النفط ، وهذا يعادل أقل من ٣٦٠٠٠٠ برميل في اليوم ، وفي هذا مغالطة فاضحة ، اذ ان امريكا أخذت تستورد في الشهور الاخيرة من البلدان العربية **مباشرة** نحو ٢٥ ٪ من اجمالي مستورداتها النفطية . وقد اوردت نشرة « **بلاتس اويلغرام** » الامريكية المختصة بالنفط مؤخرا جدولا احصائيا لمستوردات الولايات المتحدة من النفط الخام في شهر حزيران (يونيو) الماضي يتبين منه أن مجموع مستوردات الولايات المتحدة من **النفط الخام** في ذلك الشهر بلغ قرابة ١٠٨ ملايين برميل منها ٤٨ مليون برميل استوردت من الاقطار العربية **مباشرة ، اي ما يزيد على ٤٤ ٪ . كما أن نشرة « بلاتس اويلغرام »**(٣) استخلصت في مطلع تشرين

الجدول رقم (١)

مستوردات الولايات المتحدة الامريكية من **النفط الخـــام** في شهر حزيران (يونيو) ١٩٧٣

[**المصدر** : نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/٨/٢٥ نقلا عن نشرة « بلاتس اويلغرام » الامريكية]

المصدر	النفط الخام المستورد (بالآف البراميل)	المصدر	النفط الخام المستورد (بالآف البراميل)
كندا	٣١٨٢٤	السعودية	١٢٥٦٦
المكسيك	١	دولة الامارات العربية	١١٨٠
ترينيداد	٢٧١	عمان	١٠٩١
فنزويلا	١٦٩٨٠	اندونيسيا	٨٧٠٥
الاكوادور	١١٤٤	الجزائر	٤٥٤٩
بريطانيا	١٤٨	تونس	١١٥٠
الاتحاد السوفييتي	١٣٦	ليبيا	٤٤٣٥
سوريا	٣٠٧	مصر	٥٧٦
ايران	٧٢٤٣	نيجيريا	١٢٥١٢
الكويت	٢١٩٣٠	انغولا	٩٢٢
		المجموع	**١٠٧٩٣٢**

الجدول رقم (٢)

مستوردات الولايات المتحدة الامريكية من **النفط الخـــام** في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣

[**المصدر** : نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١١/١٠ نقلا عن نشرة « بلاتس اويلغرام » الامريكية]

المصدر	النفط الخام المستورد (بالآف البراميل)	المصدر	النفط الخام المستورد (بالآف البراميل)
كنـــدا	٣٥٠٣٩	دولة الامارات العربية	١٠٨٢
ترينيداد	١٠٢٢	اندونيسيا	٦٠٢٤
فنزويلا	١٦٦٥٧	الجزائر	٤٧٣٩
الاكوادور	١٤٦٨	تونس	٣٠٨
ايطاليـــا	٢١٢	ليبيا	٦٢٥٨
ايران	٦٨٣٥	نيجيريا	١٣٢٠١
الكويت	١٣٣٥	انغولا	١٦١٠
السعودية	١٨٧٤٤	الكونغو (برازافيل)	٣٠٣
قطر	٧٧٧	مصر	٣٢٤
		المجموع	**١١٦٣١٦**

ملحوظة : دورت الارقام الى الآلاف بحيث ان حاصل جميع الارقام قد لا يطابق تماما الرقم الوارد كمجموع .

الثاني (نوفمبر) استنادا الى **احصائيات المكتب الامريكي للاحصاء** ان معدل مستوردات امريكا من النفط الخام والمنتجات خلال الاشهر التسعة الاولى من عام ١٩٧٣ كان ٦٠٨٧٠٠٠ برميل في اليوم بزيادة ٣٧ ٪ عن مستوردات الفترة نفسها من عام ١٩٧٢ والبالغة ٤٤٥٠٠٠٠ برميل يوميا . أما مستوردات أمريكا من **النفط الخام** خلال شهر أيلول (سبتمبر) تبلغ مجموعها ١١٦٣١٦٠٠٠ برميل كان ٣٢،٥٦٧،٠٠٠ برميل منها من البلاد العربية اي بنسبة ٢٨ ٪ ، **وهذه لا تشمل منتجات النفط المكررة التي تستوردها الولايات المتحدة بمعدل يزيد على مليوني برميل يوميا** من مصافي النفط في جزر البهاما والبحر الكاريبي والمصافي الاوروبية لا سيما الايطالية والاسبانية والهولندية منها وهي تتمون بالنفط الخام العربي بنسبة كبيرة ... **وكذلك لا تشمل هذه الارقام الكميات من منتجات النفط العربي الذي تتزود به الاساطيل الامريكية** ، فليس سرا أن معظم منتجات النفط التي تستهلكها قطع الاسطول الامريكي السابع في المحيط الهندي وكذلك القوات الامريكية ، قبل انسحابها من فيتنام ، كانت ترد اليها من مصافي النفط في الخليج العربي ولا سيما من مصفاة « رأس تنورة » في السعودية وقاعدة الخضير في البحرين ، وبلغ تضليل وسائل الاعلام الامريكية بل وكثير من المسؤولين الامريكيين حد الادعاء بأن الولايات المتحدة لا تعتمد على النفط العربي الا بنسبة ٣ ٪ من مجمل استهلاكها البالغ معدله ١٧ مليون برميل يوميا . اي ان ما تستورده من البلدان العربية من النفط لا يزيد معدله على ٥١٠٠٠٠ برميل يوميا . ولعل من النماذج « المخفضة » من هذا « المغالطات » الصحفية الامريكية ما اوردته صحيفة **«الانترناشيونال هيرالد تريبيون»** في ١٩٧٣/١٠/٢٢ في سياق خبر لها عن قطع الدول العربية النفط عن الولايات المتحدة اذ قالت : « ان المقاطعة التي فرضتها هذه الدول العربية الثمانية سيوقف تدفق نحو ١٫٩ مليون برميل الى الولايات المتحدة — اي حوالي ٦ ٪ مما تستهلكه الولايات المتحدة من النفط يوميا » ... وحيث انه من المعروف ان استهلاك الولايات المتحدة اليومي هو ١٧ مليون برميل ، فان عملية حسابية بسيطة بأن ١٫٩ مليون برميل تساوي اكثر من ١١ ٪ وليس ٦ ٪ فقط حسبما تعمدت هذه الصحيفة الامريكية ان توحي، علما بأنها تطبع في باريس وموجهة للقراء خارج امريكا وليس للرأي العام الداخلي ... وقد اضطر الرئيس الامريكي نيكسون نفسه ان يعترف اثناء تقديمه للرأي العام الامريكي في ١٩٧٣/١١/٨ برنامجه الحافل للاقتصاد في استهلاك النفط ومواجهة ازمة الطاقة ان قطع النفط العربي سيسبب نقصا شديدا في النفط اذ قال : « لان العجز في النفط قد يصل الى ١٧ ٪ »(٤). **واذا كانت مستوردات الولايات المتحدة من النفط العربي تساوي ، باعتراف نيكسون نحو ١٧ ٪ من مجموع استهلاك الولايات المتحدة فمعنى ذلك انها تبلغ ما معدله ٢٨٩٠٠٠٠ برميل يوميا اي اكثر من ٤٥ ٪ من مجموع المستوردات الامريكية من النفط الخام والمنتجات النفطية** ... وواقع الامر أن شؤون الطاقة ، ولا سيما النفط ، ومسألة توفير الكميات اللازمة منه لسد احتياجات الاستهلاك الامريكي المتزايد كانت ، الى جانب فضيحة ووترغيت ، الشغل الشاغل للرئيس الامريكي خلال الصيف المنصرم ... وحتى قبل نشوب القتال بين العرب واسرائيل كانت الحكومة الامريكية تعد الترتيبات لمواجهة النقص في بعض منتجات النفط هذا الشتاء بتقنينها او تحصيصها للجهات المعنية حسب الحاجة ... فعلى سبيل المثال ، كانت الحكومة الامريكية قد أصدرت في مطلع شهر تشرين الاول (اكتوبر) تعليمات بفرض تقنين الزامي على زيت الوقود أصبح ساري المفعول ابتداء من ١٩٧٣/١٠/١٢ ، كما أن وزارة الخزانة الامريكية طلبت من الامريكيين في ١٩٧٣/١٠/٧ ، وفق خطة وضعت قبل نشوب الحرب العربية الاسرائيلية ، « ان يخفضوا درجة حرارة اجهزة التدفئة في بيوتهم ومكاتبهم ومحلاتهم ثلاث درجات اقل من المعتاد هذا الشتاء لتوفير الوقود . وقال وليم سيمون امين عام وزارة الخزانة الامريكية بالوكالة والذي عين مؤخرا رئيسا للوكالة الفيدرالية لشؤون الطاقة المستحدثة في نداء وجهه للامريكيين ان تخفيض حرارة اجهزة التدفئة ثلاث درجات يمكن أن يوفر ، على أساس الاسعار الراهنة ، حوالي ٦٠٦ ملايين دولار من ثمن زيت التدفئة و٩٢٧ مليون دولار من ثمن الغاز الطبيعي اذا كان هذا الشتاء ليس ابرد من المعتاد »(٥)...

ورغم هذه الوقائع كلها ، فان وسائل الاعلام الامريكية ظلت تسخر من احتمالات اقدام العرب على قطع النفط عن امريكا ، وبعد أن صدرت

قرارات مؤتمر وزراء النفط العرب في الكويت قللت من اهميتها وصبت جام غضبها على العرب حيث رفع أسعار النفط ، فكتبت صحيفة **«الانترناشيونال هيرالد تريبيون»** معلقة على قرارات مؤتمر الكويت تحت عنوان : « سلاح ذو حدين » تقول :

« ان فرض حظر على شحن النفط هو سلاح ذو حدين ، وهذا يفسر لماذا اختلفت دول النفط العربية المجتمعة في الكويت فيما بينها حول وسائل استخدامه . وان فرض حظر تام بهدف ارغـام الولايات المتحدة على تعديل سياستها تجـاه اسرائيل يؤذي مناطق اخرى في العالم ليست طرفا في النزاع الراهن اكثر مما يؤذي الولايات المتحدة. ويبدو ان العرب يبنون حساباتهم على أساس ان يقوم الاوروبيون واليابانيون بممارسة ضغـوط اضافية على الولايات المتحدة لتغير سياستها تجاه اسرائيل ــ او اذا لم تنجح خطتهم هذه فسيعملون على عزل الولايات المتحدة عن حلفائها » .

وفي اطار الحديث عن قطع النفط عن امريكا ، **شنت الاوساط الاحتكارية والصهيونية في الولايات المتحدة حملة كراهية واستعداء على العرب شديدة الوطأة ، وكان السناتور هنري جاكسون كعادته نجم هذا الاستعراض** . وقد خطب في مؤتمر «اتحاد العمال الامريكيين » في ميامي بيتش في ١٩/١٠/١٩٧٣ ، في جو شحن بالكراهية للعرب وقال :(٦)

« انهم يظنون ان بوسعهم ان يضغطـوا علينا ، وهم يظنون بأنهم يستطيعـون ان يمـارسوا **« الابتزاز »** ضدنا . وانني اود ان أقول لهم بأنه ما من أحد يستطيع ان يبتز الولايات المتحـدة الامريكية . اننا نستطيع ان نستكفي بأنفسنـا . وفي المدى القصير ، نستطيع ان نقتصد في استخدام مواردنا بصورة نستغني بها عـن المستوردات العربية ، ففي الامس تقدمت بتشريعات طـواريء تخول اتخاذ خطوات تستطيع ان توفر لنا ثلاثـة أضعاف الكمية من النفط التي نستوردها حاليا من الاقطار العربية ، وبوسعنا ان نفعل ذلك في أمد قصير . وبعبارة اخرى ان هذه الامة ليست مضطرة للخضوع للتهديدات العربية ، وانني اريدهم ان يعرفوا ذلك » ولكن السناتور جاكسون هذا ما لبث ان اعترف في برنامج تلفزيوني بعد اسابيع قليلة فقط ان ازمة الطاقة ستضر بمعظم الصناعات الامريكية(٧).

ومن جهة اخرى طالب السناتـور اليهـودي **جاكوب جافيتس** ان تعمد السلطات الامريكية الى مقاطعة العرب اقتصاديا فتمنع تصدير القمـح والمواد الغذائية الاخرى لهم وكذلك ان تحرمهم من بعض المستلزمات والمعدات المتطورة وتحجب عنهم الخبرة التكنولوجية التي يحتاجونها ... ويبدو ان السلطات الامريكية لا تحبذ مثل هذا الاتجاه لانها تعرف انه يلحق ضررا بأمريكا اكثر مما يلحقـه بالعرب ، اذ أشارت وزارة الخارجية الامريكية الى **« ان الولايات المتحدة درست اجراء مقاطعـة اقتصادية للدول العربية ردا على قطع النفط عنها، ولكنها استبعدت ذلك فـي الـوقت الراهن »** . وقال ناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية ان « حاجات الدول العربية المصدرة للنفط ضئيلـة جدا بحيث يمكنها ان تحصل عليها من مصـادر اخرى »(٨).

ان جسامة الاجراءات التي اقتـرح نيكسون اتخاذها لمواجهة أزمة الطاقة تدحض كل تهويشات الاستعماريين والصهيونيين وتبين مدى الاذى الذي يمكن أن يلحقه قطع النفـط العربي بالاقتصـاد الامريكي ، علما بأن هذه الاجراءات هـي أولية ومرشحة لان تزداد صرامة كلما طال أمد المقاطعة ... وقد جاء في برنامج نيكسون لمعالجة أزمـة الطاقة الطارئة(٩) الـذي اذاعه مساء ٧/١١/١٩٧٣ :

اولا : تحويل محطات الكهرباء التي تعتمد على استخدام الفحم والنفط الى الاعتماد على استخدام الفحم .

ثانيا : تخفيض كميات الوقـود المخصصـة للطائرات بغرض انقاص عدد رحلات الطائرات بما يزيد على ١٠ ٪ ، وسيؤدي هذا الى اعادة تنظيم مواعيد الوصول والاقلاع .

ثالثا : تخفيض حوالي ١٥ ٪ من كميات النفط التي تزود بها البيوت والمكاتب والمؤسسات الاخرى لغرض التدفئة ، وتخفيض درجة الحرارة فـي البيوت بمقدار ٦ درجات على الاقل ، وفي المكاتب والمعامل والمؤسسات التجارية نحو ١٠ درجـات فهرنهيت .

رابعا : تخفيض استهلاك الحكومة الاتحادية من الطاقة بمقدار ٧ ٪ . وخفض الحد الاقصى لسرعة السيارات في البلاد الى ٥٠ ميـلا في

الساعة ، وهذا كفيل بتوفير ما يزيد على مئتي الف برميل من النفط يوميا . وكذلك ، الحد من الاضاءة غير الضرورية ، وادخال تعديل طفيف على السنة الدراسية ، وتنظيم ساعات العمل حسب ترتيب تعاقبي لتشجيع الاستفادة من وسائل النقل الجماعي وركوب السيارات بشكل جماعي .

خامسا : اختصار الوقت اللازم لانجاز المعامل النووية القادرة على توليد الكهرباء بحيث تصبح جاهزة خلال ٦ سنوات بدلا من ١٠ سنوات .

وقد دعا نيكسون الكونغرس الامريكي الى اقرار قانون خاص أشرف على وضعه السناتور هنري جاكسون الموالي للصهيونية يطلق يد الحكومة الاتحادية في اتخاذ اجراءات تقشفية وحازمة لتحقيق تخفيضات كبيرة في استهلاك النفط والتحرر من بعض القيود التي كانت تثقل حركتها مثل قوانين المحافظة على البيئة ، ولذلك طالب بالموافقة فورا على بناء خط أنابيب ألاسكا لنقل نحو مليون برميل يوميا من نفط ألاسكا الى منطقة ساحل الولايات المتحدة الغربي وذلك بعد عام ١٩٧٦ ، وكان انشاء هذا الخط قد لقي معارضة شديدة من الهيئات المدافعة عن نظافة البيئة وتعطل التصريح به اكثر من سنتين . ودعا نيكسون الى انشاء مرافىء عميقة المياه لتستقبل ناقلات النفط الضخمة لانه لا يوجد حاليا في الولايات المتحدة مرافىء تستقبل ناقلات تزيد حمولتها عن مائة الف طن ، بل ومعظم المرافىء الحالية تقل قدرتها عن استيعاب الناقلات التي حمولتها ٨٠ الف طن **وكذلك دعا الكونغرس الى التصريح بزيادة التنقيب عن النفط وتطويره وانتاجه من احتياطي البحرية الامريكية الغني بالنفط .**

أما لمعالجة أزمة الطاقة المستفحلة في المدى المتوسط والطويل فقدم نيكسون برنامج ابحاث لتطوير مصادر الطاقة مدته خمس سنوات سيرصد له مبلغ عشرة الاف مليون دولار دعاه « مشروع الاستقلال » بسط أهدافه بقوله : « لنجعل هدفنا القومي الذي نسعى الى تحقيقه ، بالروح التي تحلينا بها في تحقيق مشروع ابوللو (وصول الانسان للقمر) وبالثبات في العزيمة الذي اتسم به مشروع مانهاتن (صنع القنبلة الذرية) هو أن نكون بنهاية هذا العقد قد نجحنا في تطوير امكانية سد حاجاتنا من الطاقة **دون الاعتماد على مصادر اي عدو خارجي** — اعني اي مصادر خارجية للطاقة » . ولعل هذه العبارة الاخيرة تطرق أسماع بعض المسؤولين العرب الراكضين وراء نيكسون ليسمعوا ويروا كيف يصنفهم نيكسون !! ...

انتقادات عنيفة لسياسة التضليل

لقد تعرضت مواقف السلطات الرسمية الامريكية وخصوصا نيكسون وبطانته المقربة تجاه ازمة النفط العربي الى موجة عنيفة من الانتقادات من دوائر امريكية عديدة رسمية وشعبية لانها تعمدت في بداية الازمة ، وخصوصا خلال الاسبوعين الاولين من حرب تشرين (اكتوبر) حين لم تكن الدول العربية قد حجبت النفط عن الولايات المتحدة بعد ، تعمدت هذه السلطات ان تخفي عن الشعب الامريكي الابعاد الحقيقية للازمة وغالطت في المعلومات والاحصائيات والارقام ، كما أسلفنا ، لتظهر للشعب الامريكي ان قطع النفط العربي لا يؤثر على الولايات المتحدة وسعت هذه السلطات الى تعمية الشعب الامريكي لكي لا يرى ان سياسة الحكومة الامريكية الاستعمارية النفطة تجاه الشعوب العربية ودعمها اللامحدود لاسرائيل هما المسؤولان عن هذه الازمة التي يعاني منها الشعب الامريكي ...

ومن جملة الانتقادات التي وجهت للسلطات الامريكية ما قاله **كارل ألبرت رئيس مجلس النواب الامريكي الذي اتهم الادارة الامريكية بانها « تخدع الشعب الامريكي من حيث مدى حدة النقص في النفط وأسبابه »** . واتهم نيكسون بأن تدابيره للحفاظ على الطاقة فيها من المظاهر اكثر مما فيها من المعاني والجوهر . وقال : « ان على الكونغرس ان يختار بين التعاون مع ادارة مصممة على خداع الشعب الامريكي بالنسبة الى مدى النقص في الطاقة واسبابه وبين أن يكون صادقا مع المواطنين فيخبرهم بأنهم يستعيرون من احتياطهم الحالي على حساب مستقبلهم ، وان المطلوب اتخاذ تدابير اكثر صرامة » ، وقال : « ان تدابير التقنين ومنع الهدر هما الامل الوحيد لخروج الامريكيين معافين من الشتاء القاسي الذي ينتظرهم هذه السنة ، وكذلك من السنين الصعبة التي تنتظرهم في المستقبل »(١٠).

ومن هذه الانتقادات ايضا ما كتبه **ستيوارت أودال وزير الداخلية في عهد جون كنيدي في « النيويورك تايمز »** والذي دحض فيه بقوة

المعطيات التي بنى عليها نيكسون سياسته لمعالجة أزمة النفط ووصف التدابير التي اقترحها نيكسون في خطابه لمعالجة أزمة الطاقة بأنها **« كمن يضع ضمادة على نزيف في الدماغ »** . وقال : « ان الامة التي تبني سياستها الوطنية الحيوية على اوهام لا بد وان تجلب المتاعب لنفسها » ، أما هذه الاوهام التي أشار اليها ستيوارت اودال فهي :(١١) **الوهم الاول** هو الفهم الخاطىء بأن الازمة مؤقتة ، بينما الواقع انها معضلة تزداد عمقا ، وأنها في نهاية المطاف لا بد وان تتصاعد فترسل صدمات تهز الاقتصاد الامريكي لمدة عقد من الزمان على الاقل . **والوهم الثاني** هو الفهم الخاطىء القائم على الاعتقاد ان لدى الامريكيين موارد احتياطية من شأنها ان تنقذهم في المدى القريب . اما الحقيقة المرة فهي ان جميع صناعات الطاقة تحتاج الى اوقات تحضير تتراوح مددها بين ٦ سنوات و١٠ لتأتي بنتائج هامة ، وان اوقات التحضير هذه قد ضاعت الى غير رجعة . وقد ضلل الرئيس الشعب الامريكي تضليلا تاما حول هذا الامر ، والحقيقة هي أنه لا توجد وسيلة يمكنها ان تجعلنا مكتفين ذاتيا بالطاقة بحلول عام ١٩٨٠ . **والوهم الثالث** هو الافتراض بأن الولايات المتحدة هي من الغنى والقوة (ومن القدرة على صنع المعجزات التقنية بسرعة) . بحيث ان تعرضها الى عجز خطير في امدادات الطاقة امر لا يخطر على بال ، والحقيقة المرة هي أن عصر النفط الرخيص الوفير قد انتهى ، ولا يوجد أي بديل سريع يحل محل هذه السلعة المتعددة المنافع . **والوهم الرابع** هو الفهم الخاطىء بأنه ما من حاجة الى تدابير الزامية للحفاظ على الموارد ، فعلى الرغم من نذر الشؤم ، ظل برنامج نيكسون لحماية الموارد وعظيا حتى هذا الشهر ... ويمكن القول انه كلما تم التعجيل في تطبيق تقنين الزامي شامل كان ذلك افضل ... **والوهم الخامس** هو الافتراض بأن سياسة الولايات المتحدة في تنفيق النضوب في النفط كانت حكيمة ، اذ يرجح ان هذه السياسة كانت حكيمة قبل عدة عقود من الزمان عندما كانت صناعة النفط في المهد ، اما الان ، وقد وصل انتاج النفط الى ذروته وبدأ سيره الانحداري الطويل فان المطلوب هو أن تصبح لنا سياسة فعالة لحماية الموارد ... **والوهم السادس** ، هو تمنية النفس بأن العرب لن يجرؤوا على استخدام سلاحهم النفطي ضد امريكا . وقد جاءت الاحداث لتحطم هذا السراب بنظاظة ، فلسلاح النفط حد قاطع ، والعرب يستخدمونه بمهارة لا تخطىء ، وهم منذ الان سيضعون قواعد لعبة النفط العالمية ...

وقال ستيوارت اودال **ان شركات النفط (التي يتصرف نيكسون وكانه صداها) قد وضعت الامريكيين في طريق مسدود لا بد وان يشل الاقتصاد الامريكي** . وقال ان شعار هذه الشركات القائل ان « امة تسير على النفط لا تستطيع تحمل نقصانه » يعكس أبعاد فلسفتها المستعجلة للكوارث . وختم مقاله بالقول : « ان سياسة النفط الوطنية هي من الاهمية بحيث ينبغي الا يترك امرها لرجال النفط وحدهم » ، وذلك على غرار قول كليمنصو المأثور : « ان شؤون الحرب هي من الاهمية بمكان بحيث ينبغي الا يترك امر تقريرها للعسكريين وحدهم » .

لقد تصاعدت حملة الانتقاد لسياسة السلطات الامريكية تجاه ازمة النفط العربي حتى ان نيكسون اضطر الى التخلي عن كبير مستشاريه لشؤون سياسة الطاقة جون لاف ونائبه تشارلز ديبونا . « وكان جون لاف هذا قد تعرض لانتقادات متزايدة خلال الاسابيع الاخيرة بسبب تفاؤله الزائد عن اللزوم واخفاقه في معالجة الامور بفعالية » . واستحدث نيكسون وكالة فدرالية خاصة بشؤون الطاقة عهد برئاستها الى وليسم سيمون نائب وزير المالية الامريكي . وقد حذر وليم سيمون هذا الامريكيين ، فور تسلمه منصبه الجديد من أن ارتفاع الاسعار وتقنين النفط قد يستخدمان لتحقيق الاكتفاء الذاتي الامريكي في ميدان الطاقة .

وبازدياد تفاقم ازمة النفط في أمريكا « **حذرت الحكومة الامريكية المواطنين بانه حتى لو نجحت الولايات المتحدة في تدابير الطوارىء التي اتخذتها فانها لا بد وان تواجه نقصا في امداداتها في الربع الاول من العام المقبل مقداره ٧٤٠٠٠٠ برميل في اليوم** ، وذلك نتيجة للحظر العربي على تصدير النفط اليها »(١٢). « **وقد قدر المجلس الامريكي للبترول النقص بنحو ١ر٨ مليون برميل في اليوم من النفط الخام ونحو ٢ر١ مليون برميل في اليوم من المنتجات** . وقد استنتج المجلس ان ينبغي فرض بعض التدابير الالزامية مع تقنين البنزين وزيت التدفئة »(١٤).

ازمة طاقة مستفحلة ودائمة

بحلول الاسبوع الاول من شهر كانون الاول (ديسمبر) تبلورت ازمة النفط العربي في الولايات المتحدة الامريكية بصورة جلية وواضحة بحيث لم يعد بوسع السلطات او التيارات الموالية للصهيونية تضليل المواطنين الامريكيين حول مدى المخاطر التي تترصدهم . وقد بلور هذا الواقع القاتم الى حد بعيد **كليفتون غارفن جونيور رئيس شركة اكسون كبرى شركات النفط الامريكية** حيث وجه الى المواطنين الامريكيين تحذيرا قال فيه :(١٥) « **ان ازمة الطاقة العالمية ليست مؤقتة بل ستظل مستمرة حتى بعد انتهاء التدابير العربية الراهنة** » . وقال : اننا نتجه نحن نقص مستمر في امدادات الطاقة خلال السنوات العشر او الخمسة عشر القادمة ، **وان هذا النقص قد يكون من الشدة بحيث يترك اثارا جذرية على النمو الاقتصادي ومستوى المعيشة لعدد كبير من البلدان** . وقال أيضا : **اننا مهما فعلنا فلا بد لنا من أن نواجه مشكلة كبرى في العقد القادم** . فانتاج النفط لا بد وان يتضاعف من الان وحتى عام ١٩٨٥ لتلبية الطلب المتزايد ، وذلك حتى اذا افترضنا ان استخدام الفحم والطاقة النووية سيزداد بالسرعة المطلوبة ، وان الغاز الطبيعي والطاقة الكهربائية قد جرى استغلالها استغلالا تاما . وقال رئيس شركة نفط « اكسون » كذلك : **ان غالبية الزيادة في امدادات الطاقة خلال السنوات العشر او الخمسة عشر القادمة يجب ان تأتي من الشرق الاوسط واذا شئنا ان نسد العجز بين العرض والطلب فهذا يقتضي رفع انتاج الشرق الاوسط الى اقصى مستوى مادي ممكن من الان وحتى عام ١٩٨٥** . بيد أنه تساورنا الشكوك في أن بعض دول الشرق الاوسط قد تعمد الى تحديد الانتاج حتى بعد تسوية المشكلة السياسية التي كانت السبب في تدابير الحظر والتخفيض الراهنة . واستنتج رئيس شركة « اكسون » ان الاحتمال الاغلب هو أن معظم الدول المستهلكة للنفط ستواجه نقصا في امداداتها . وقال ان هذه الوضعية تحمل في طياتها مخاطر كبيرة منها :

— **اذا طال النقص في امدادات الطاقة فان ذلك قد يترجم بسهولة الى ركود اقتصادي والى مستويات للبطالة غير مقبولة** .

— **ان التنافس على الامدادات المتوفرة قد يؤدي الى مواجهات خطيرة بين الدول** [طبعا دول المعسكر الغربي — المحرر] .

— **ان النقص قد يزيد من حدة الصراع القائم بين الحاجة الى تطوير مصادر للطاقة وبين الحاجة الى حماية البيئة** .

ترى هل يدرك المسؤولون العرب تماما اية قوة يملكون زمامها في قبضتهم ؟ وهل لديهم الاخلاص والتقدير الكافي للمصلحة الوطنية بحيث يضعوا هذه القوة التي يملكون في خدمة القضايا القومية حتى مداها الاخير ؟؟ ان الايام المقبلة وحدها هي التي ستجيب عن مثل هذه التساؤلات ...

سمير كنعاني

---

١ — **الدكتور زهير مكداشي** ، جريدة « **النهار** » البيروتية في ١٩٧٣/١١/٢١ .
٢ — جريدة « **النهار** » البيروتية في ١٠/١٣/ ١٩٧٣ .
٣ — انظر نشرة « **عالم النفط** » الاسبوعية ، العدد ١٤ في ١٩٧٣/١١/١٧ .
٤ — جريدة « **النهار** » البيروتية في١٩٧٣/١١/٩ .
٥ — صحيفة «**التايمز**» اللندنية في ١٩٧٣/١٠/٨ .
٦ — صحيفة « **التايمز** » اللندنية في ١٠/٢٠/ ١٩٧٣ .
٧ — جريدة « **النهار** » البيروتية في ١١/١٣/ ١٩٧٣ .
٨ — جريدة « **النهار** » البيروتية في ١١/١٧/ ١٩٧٣ .
٩ — نشرة « **عالم النفط** » في ١٩٧٣/١٢/١ .
١٠ — **المصدر ذاته** .
١١ — **المصدر ذاته** .
١٢ — نشرة « **عالم النفط** » في ١٩٧٣/١٢/٨ .
١٣ — نشرة « **عالم النفط** » في ١٩٧٣/١٢/١ .
١٤ — **المصدر ذاته** .
١٥ — نشرة « **عالم النفط** » ، العدد ١٧ ، المجلد السادس في ١٩٧٣/١٢/٨ .

[٢]
الصحافة السوفياتية والنفط العربي

في الاونة الاخيرة بدأت الصحافة السوفياتية بالتركيز بصورة مكثفة على النفط العربي وتأثيره في السياسة العالمية وخاصة تأثيره في أزمة الشرق الاوسط بعد أن دخل بصورة مباشرة الى حلبة الصراع الدائر في المنطقة . فقد صدرت عدة دراسات نظرية سوفياتية حول النفط وتأثيره على مسار الاتجاهات السياسية في أوروبا الغربية واليابان وامريكا . وفي هذا التقرير سوف نتطرق لموقف الصحافة السوفياتية أثناء الحرب من موضوعات النفط العربي وتأثيره في المعركة، آخذين بعين الاعتبار ما أوردته وكالات الانباء السوفياتية على لسان معلقيها السياسيين والاقتصاديين ونشر في الصحافة السوفياتية . وقبل الدخول في معالجة هذا الموضوع لا بد من التأكيد على أمر هام وهو ان كل الصحف السوفياتية موجهة من قبل الحزب الشيوعي السوفياتي وتعبر بالتالي عن وجهة نظر الدولة السوفياتية في كافة المواضيع التي تعالجها وكذلك وكالات الانباء السوفياتية .

في يوم ٧٣/١٠/١٣ اي بعد بداية حرب تشرين بأسبوع تقريبا أوردت وكالة انباء « نوفستي » السوفياتية تعليقا حول النفط العربي تحت عنوان « الامبريالية النفطية تشكل عقبة في طريق التقدم » وقد جاء في بداية التعليق : « أدان المؤتمر الرابع لبلدان عدم الانحياز في الجزائر الامبريالية التي وصفها بأنها أكبر عقبة في طريق تحرر وتقدم البلدان النامية ، وتحوز البلدان النامية ، الغنية بالنفط ، تحوز بالتأكيد ادلة لا تدحض ابدا تؤكد هذا الوصف . ان الكارتيل النفطي الامريكي — الانكليزي — الهولندي الذي يستثمر هذه البلدان بالتواطؤ مع كل الاجهزة الاحتكارية للدول المشار اليها ، هو من أوقح تجسيدات الامبريالية » .

ثم يستطرد التعليق للتساؤل : « فما هي الحواجز التي يضعها هذا الكارتيل اليوم في طريق تقدم بلدان عربية عديدة ، وكذلك في طريق تقدم ايران ، فنزويلا ، نيجيريا ، وبلدان اخرى غنية بالنفط ؟ »

ويتحدث التعليق عن الحواجز ذات الطابع الاقتصادي التي وضعت في طريق استخدام البلدان المنتجة للنفط من اجل عدم استغلال ثرواتها الطبيعية لمصالحها الوطنية ومن اجل عدم تمكين هذه الدول تطوير القوى المنتجة بما يتلاءم ومتطلبات التقدم العلمي والتقني .

ويقول التعليق : « لنأخذ مجال الانتاج النفطي ، فقد بدأت بلدان عربية عديدة خلال العقد الاخير المنصرم انشاء شركات وطنية ، وفي الاعوام الاخيرة تأميم الامتيازات الاجنبية في اراضيها ، ونتج عن ذلك انه بين عامي ١٩٧٠ — ١٩٧٢ ارتفع نصيب الشركات الوطنية في الانتاج الاجمالي للنفط في البلدان العربية من ٢٠ الى ٨٠ مليون طن اي من ٣ الى ١٠ ٪ » .

ثم يتحدث التقرير عن الانتاج وكيفية عودة حصة الاسد للاحتكارات الاعضاء في « الكارتيل » وللامبرياليين الغربيين الذين ينهبون باطن أرض الغير ليقول : « وهكذا فمن أصل ٨٢٠ مليون طن من الذهب الاسود أنتجت في العام الماضي في البلدان العربية ، فان ٥٣٠ مليون طن استخرجتها شركات امريكية ، و١٥٠ مليون طن شركات انجليزية وهولندية ، و٦٠ مليون طن شركات فرنسية ويابانية وغيرها من الشركات الاجنبية » .

وينتقل التعليق الى مصافي النفط ومجالات تحويله ونقله ويقول : « ينبغي القول انه في بداية عام ١٩٧٣ كان العالم الرأسمالي يضم ٦٩٤ مصفاة للنفط منها ٣٠ فقط موجودة في اراضي البلدان العربية » .

وهنا يتطرق التعليق الى نتيجة هامة يجدر ملاحظتها اذ يقول : « ونتج عن ذلك تفاوت كبير حيث ان العالم العربي ينتج ٤٠ ٪ من النفط المستهلك من قبل البلدان الرأسمالية لكنه لا يحول منه سوى ٤ ٪ » .

ثم يشير التعليق الى ان المصافي الموجودة في العالم العربي يملكها احتكاريون غربيون وينتقل بعد ذلك للاشارة الى وسائل نقل النفط وسيطرة احتكاريي الغرب عليها فيقول : « ان اسطول الناقلات في العالم الرأسمالي يضم اليوم زهاء ٣٥٠٠ ناقلة تزيد حمولتها الاجمالية عن ٢٣٠ مليون طن ، ولكن من أصل كل هذه الناقلات فان ٢٠ ناقلة فقط تعود للعرب ولا يزيد مجموع حمولتها عن مليون طن » .

ويتحدث التعليق عن السياسة التي تمارسها الاحتكارات النفطية في الشرق الاوسط في سبيل تعقيد الموقف وزرع الشقاق واختلاق النزاعات السياسية وتصعيد الصراع بين الانظمة وذلك من أجل ابقاء سيطرتها ومن أجل زيادة انفاق دول المنطقة ميزانيات التسلح وعدم الاكتراث بتطوير القطاعات الاقتصادية الحيوية الزراعية والصناعية وفتح المدارس والمستشفيات وغير ذلك ، اذ يقول : « ووفقا للمعطيات الصحفية انفقت بلدان الشرق الادنى خلال الخمسة سنوات الماضية فقط مبالغ اسطورية تصل الى ١٠ مليارات من الدولارات لشراء الاسلحة . وفي الاعوام الخمسة القادمة يمكن ان تبلغ هذه النفقات ١٥ مليار دولار » .

ويتحدث التعليق ايضا مطولا عن دعم الامبريالية للانظمة الرجعية والاقطاعية في المناطق الغنية بالنفط من العالم العربي قائلا : « وليس فقط بتقديم الاسلحة انما تنتزع الامبريالية من العرب المال الذي يحصلون عليه من النفط . فهي تسعى جاهدة لدعم النظام الاقطاعي في المناطق الغنية بالنفط حيث يوجد مصير الوف العرب في عدة بلدان بين ايدي زعماء القبائل الخاضعين لمشيئة الاجنبي . وهذه الطغمة الاقطاعية والبيروقراطية تستولي على القسم الاكبر من مداخيل النفط وتنفق بشكل طفيلي على حساب مصالح الشعوب العربية . وقد أصبح اسطوريا بذخ مشايخ القبائل العرب الذين يقطنون قصورا فاخرة وينفقون على النساء حتى في رحلاتهم السياحية ، ومدخراتهم البالغة مليارات الدولارات مودوعة في المصارف الامريكية والانجليزية وغيرها من مصارف غربية تدعم القدرة المالية للامبرياليين بينما تظل مشاريع اقتصادية عربية حبرا على ورق لعدم توفر المال لتنفيذها ». ويقول كاتب التعليق بأنه في سنة ١٩٨٠ سيبلغ مدخول انتاج النفط العربي في منطقة الخليج حوالي ٢٠ مليار من الدولارات يذهب معظمها للسعودية والكويت وبعض الامارات الصغيرة الاخرى التي لن تكون قادرة في تلك الفترة على انفاق مثل هذه المبالغ بشكل منتج .

ويدعو التعليق الى الاقتداء بالجزائر والعراق وليبيا وذلك في تأميم الشركات النفطية الاحتكارية. وتتابع الصحافة ووكالات الانباء السوفياتية شرح أهمية النفط العربي في المعركة ضد اسرائيل ، وتشير بشكل ايجابي للخطوة الجريئة التي اتخذتها حكومة العراق عندما أممت شركات « ستاندرداويل اوف نيوجرسي » و « موبيل اويل كوربوريشن » كرد من العراق على الدعم الامريكي المقدم لاسرائيل .

ففي يوم ١٩٧٣/١٠/٢٠ تقول الصحافة السوفياتية : « ان الارباح التي تحصل عليها الاحتكارات الامريكية من استثمار موارد الشرق الادنى النفطية هي ارباح هائلة وتبلغ أكثر من مليارى دولار في العام ، ولا يمكن ان يكون موضع بحث الحياد السياسي للاحتكارات النفطية . وأسوأ من ذلك فان الاحتكارات النفطية لها أوثق الاتصالات مع اسرائيل ، ومعلوم جدا بأن اسرائيل ليست قادرة على ان تمول بنفسها سياستها التوسعية . فبعد عدوان ١٩٦٧ فان الخزينة الاسرائيلية ارادت ان تغطي أكبر قسم من النفقات العسكرية بواسطة الاموال الاتية من الخارج ، وقد وزعت في البلدان الاجنبية سندات قروض بمئات الملايين من الدولارات ، واشترت الشركات النفطية الامريكية هذه السندات » .

وتضيف الصحافة السوفياتية حول هذا الموضوع قائلة : « صحيح ان الاحتكاريين يتكتمون جدا حول ارقام المبالغ التي اشتريت بها سندات القرض الاسرائيلي . ولكن يمكن التأكيد عن يقين بأن قسما هاما من الارباح المجنية من استثمار النفط العربي قد انفق لشراء السندات الاسرائيلية » . وأوردت الصحافة السوفياتية تحليلا حول تأثير النفط العربي ودوره الاساسي في المعركة تحت عنوان « في وجه تحديات ملوك البترول » بقلم الدكتور في علم الاقتصاد « راتشنكوف » ونشرته وكالة انباء نوفوستي بتاريخ ٢٢ تشرين الاول١٩٧٣، وقد استهل الكاتب مقاله بنبذة سريعة عن اشتداد تصدي الدول النامية الغنية بالبترول منذ مطلع السبعينات ضد الاحتكارات الاستعمارية الداخلة بما يسمى باتحاد البترول العالمي ، ومحاولة تلك الدول استرجاع سيادتها على ثرواتها الطبيعية . ويقول الكاتب : « وقد كانت جهود احتكارات البترول وكامل استراتيجيتها حيال الدول المنتجة للبترول حتى الان تستهدف الحفاظ على أهم وسائل الانتاج في مجال استخراج البترول ونقله وتسويقه ووضع اتحاد البترول العالمي صناعات النفط في الدول المنتجة في حالة التبعية الكاملة له ،

وجعل ميزانية تلك الدول تتوقف كليا على عائدات البترول لكي يضمن لنفسه حرية الحركة من اجل ان يتمكن من اتخاذ عقوبات اقتصادية صارمة ضدها في أي لحظة يشاء » .

وفي مجال التأميم يقول : « لقد قامت الجزائر في شباط ١٩٧١ بتأميم ٥١٪ من استثمارات الشركات الاجنبية في اراضيها ، فارتفعت بذلك حصة الرأسمال الوطني في صناعة استخراج البترول في الجزائر الى ٨٠ ٪ . وقامت ليبيا في كانون الثاني ١٩٧١ بتأميم نصف استثمارات شركة برتش بتروليوم البريطانية فيحقول «السرير». وقامت العراق في حزيران ١٩٧٢ بتأميم شركة بترول العراق وهي اكبر فرع من الفروع الداخلة في اتحاد البترول العالمي التي تعمل في العراق . وفي حزيران ١٩٧٣ قامت ليبيا بتأميم النصف الثاني من استثمارات الرأسمال الاجنبي في حقل «السرير» وهو ملك « بانكر هانت » الامريكية شريكة « بريتش بتروليوم » ثم صدر عن ليبيا في اول ايلول ١٩٧٣ مرسوم بشأن تأميم ٥١ ٪ من ممتلكات جميع شركات البترول الاجنبية العاملة في اراضي البلاد » .

ويقول الكاتب بأن حقول البترول التي تم تأميمها في البلاد العربية في العامين الاخيرين قادرة على ضخ حوالي ٢٠٠ مليون طن من البترول في العام . ويقول : « وقد زادت حصة القطاع العام للدول العربية في انتاج البترول الاجمالي في عامي ١٩٧١ ، ١٩٧٢ الى ١٠ ٪ مقابل ٣ ٪ عام ١٩٧٠ » .

ويتحدث بعد ذلك عن الاجراءات الانتقامية التي واجهتها هذه الدول من قبل الاحتكارات الاستعمارية وتمثلت هذه الاجراءات بمنع استيراد الخمور من الجزائر وكان ذلك مصدرا أساسيا للعملة الصعبة في الجزائر ، وسحبت الخبراء من العراق ، وتهديد ليبيا بالمحكمة الدولية ، وغير ذلك من اجراءات انتقامية .

وحول اضطرار الاحتكارات الى التراجع يقول: « فكانت الاحتكارات النفطية في الجزائر تطالب بتعويض يتراوح ما بين ٣٠٠ ــ ٧٠٠ مليون دولار ثم اضطرت في نهاية الامر الى الاكتفاء بـ ١٠٠ مليون دولار، وكانت شركة بترول العراق في العراق تطالب بمبالغ أكبر بكثير الا انها ايضا اضطرت ان توافق تعويضا على خسائرها على قبول ١٥ مليون طن من البترول العراقي والذي تقدر قيمته النقدية بـ ٣٥٠ مليون دولار . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان الشركة اضطرت في الوقت نفسه الى سد ديونها السابقة للعراق بنفس المبلغ تقريبا نجد ان العراق لم تخسر شيئا من هذه العملية ، اما مقدار التعويضات في ليبيا فلم يحدد بعد نتيجة لموقف الاحتكارات الغربية المتعنت » .

ثم ينتقل الكاتب للحديث عن ضرورة توطيد التضامن بين الدول المنتجة للنفط وتشديد نضالها ضد الاحتكارات الغربية ، ويتحدث عن نشأة منظمة « اوبيك » ويأتي للقول بأنه اثر حرب حزيران ١٩٦٧ اثبتت بعض الدول العربية بأنه يمكن استخدام سلاح النفط ضد الدول المؤيدة بشكل سافر لاسرائيل . ويختتم مقالته بالتنويه لدور الاتحاد السوفياتي في دعم الدول العربية وتأييدها بقوة في وجه الاحتكارات ، ويذكر بأن السوفيات عقدوا عدة اتفاقيات مع العراق والجزائر لشراء كميات كبيرة من نفطهم ، ويقول بأن الاتحاد السوفياتي يقدم الدعم الفني الكبير في مجال استخراج النفط وتحضير الكوادر العلمية وغير ذلك .

وتحت عنوان « الاحتكارات النفطية ونفط العرب » بقلم « اروتونيان » ونشرته صحف موسكو واوردته وكالة نوفستي بتاريخ ١٩٧٣/١٠/٢٤ يقول الكاتب : « وفي عام ١٩٦٠ وللمرة الاولى في تاريخ الصناعة النفطية ، تجاوز استخراج النفط مليار طن . وقد اقتضى الامر مرور قرن للوصول لهذه النتيجة . وبلغت الكمية المستخرجة في عام ١٩٦٠ مليار و٩١ مليون طن ، منها ٢١٨ مليون طن قد استخرجت من البلاد العربية أي ١٩،٨٪ من الانتاج العالمي للنفط أو ٢٣،٦٪ من الانتاج الاجمالي في العالم الرأسمالي . وفي عام ١٩٦٩ بلغ الانتاج العالمي للنفط ٢ مليار و ١٤٧ مليون طن . انتجت منها البلاد العربية ٦٦٣،٣ مليون طن أي بنسبة ٣٠،٩٪ من الانتاج العالمي. ٣٧،٢ ٪ من انتاج العالم الرأسمالي . وتثبت ارقام سنة ١٩٧٢ ان الدول العربية حققت ٣٧،٥٪ من الانتاج الاجمالي للعالم الرأسمالي . وتثبت الارقام المستشهد بها بأن النفط العربي يلعب دورا أهم دائما في اقتصاد البلدان الرأسمالية ».

وتورد الصحافة السوفياتية ارقاما عن زيادة

اسعار البترول للطن المتري في الدول المنتجة وتأثير ذلك على شركات البترول الغربية ، كما تورد ارقاما حول ما تستورده اوروبا واميركا واليابان من النفط العربي فمثلا تقول الصحافة السوفياتية بأنه في عام ١٩٧٠ استوردت الولايات المتحدة ٢٠٠ مليون طن من النفط العربي ومشتقاته أي أكثر من ٢٥ ٪ من استهلاك البلاد ، وفي العام الجاري سترتفع نسبةالاستيراد الى ٣٥ ٪ وبعد عامين الى ٥٠ ٪ . وفيما يتعلق بأوروبا الغربية فان حوالي ٧٠ ٪ من مستورداتها النفطية اليوم هي من النفط العربي ، وتبلغ نسبة النفط العربي في مستوردات اليابان ٨٠ ٪ .

وتحت عنوان « الغرب والنفط العربي » كتب مراسل نوفستي « كروتكوف » من القاهرة ١٩٧٣/١١/١٤ يقول : « لقد توقفت العمليات العسكرية في الشرق الادنى لكن السلم الحقيقي لم يستتب بعد في هذه المنطقة . ولهذا السبب فان حرب النفط التي أعلنها العرب ردا على العدوان الاسرائيلي تستمر وتتسع . ففي تشرين الاول انخفض تصدير النفط العربي من ١٩،٥ مليون برميل في اليوم الى ١٦ مليون برميل ، وانخفض ايضا الى ١٤ مليون برميل منذ ٥ تشرين الثاني . وقد نشأ الوضع التالي : ان النفط العربي ، حلم الدول الامبريالية ، قد تحول اليوم الى سلاح ضد اولئك الذين خلقوا النزاع » .

ويستطرد المراسل السوفياتي قائلا : « وهكذا فان نفط الشرق الادنى الذي استخدم باسمه الامبرياليون اسرائيل كقوة ضاربة لهم من أجل خلق وضع نزاع في هذه المنطقة ، هذا النفط نفسه بدأ استخدامه من قبل العرب في النضال ضد حماة اسرائيل » .

ثم يقول المراسل : « وفي الوقت ذاته يطالب الرأي العام العربي أكثر فأكثر باستخدام وسيلة أخرى لم تستخدم حتى الان وهي المال » .

ويقول : « ولا يعرف احد بالتحديد قيمة الاموال العربية المودعة في مصارف الولايات المتحدة الامريكية ولكن هناك شيئا واضحا هو أن هذه الاموال تبلغ مليارات الدولارات . ومن الجلي ايضا انه اذا سحب العرب هذه الاموال وحولوها الى جنيهات استرلينية ، وفرنكات فرنسية ، وينات يابانية او الى عملات أخرى ، فلن يكون الموقف لصالح الدولار الامريكي المريض » .

ويوما بعد يوم يلاحظ آثار ازمة الطاقة — بسبب تخفيض انتاج النفط الغربي — في الولايات المتحدة الامريكية وبعض الدول الغربية المؤيدة للاعتداءات الاسرائيلية ، مما جعل حكومات هذه البلدان تتخذ اجراءات وتدابير ملحة من اجل تدارك النقص المتوقع في النفط لديهم ، وهذه الاجراءات والتدابير وصلت الى حد اعلان حالة الطوارىء ، فقد أعطى الرئيس نيكسون امرا بتكوين « فريق عمل خاص » لهذه الغاية ، ومن أجل توفير استهلاك الوقود امر بتخفيض حرارة التدفئة في البيوت السكنية وتخفيض الاضاءة في شوارع المدن والتقليل من تزويد البيوت بالماء الساخن ، اذ ان موارد الولايات المتحدة الامريكية من الطاقة هي ادنى حد وصلت له في تاريخها . وأعلنت الحكومة البريطانية حالة الطوارىء بسبب خطر ازمة الطاقة الذي يهدد الغرب ، والخطر يدق في بلجيكا والمانيا الغربية والسويد وغيرها من دول غرب اوروبا الصناعية والتي هي بأشد الحاجة للنفط العربي ، اما الوضع الاصعب فهو الذي تمر به هولندا التي تواجه مقاطعة نفطية شاملة من قبل الدول العربية المنتجة للنفط ، ومن هنا فان استغاثتها بدول السوق الاوروبية المشتركة تجعل دول السوق في موقف حرج .

رفعت ابو العون

[٣]

اشترك النفط في المعركة ... تقييم لمقررات وزراء النفط العرب

كثر الكلام في الاونة الاخيرة عن استخدام النفط كسلاح في المعركة وظهرت عدة اراء متباينة وتتفاوت في قسوتها وشدتها . كانت هناك أصوات تطالب بتخفيض انتاج النفط ، واخرى ترى قطع النفط عن الدول التي تساند العدو ، بينما كانت هنالك أصوات تطالب بتأميم المصالح النفطية الاجنبية وتخصيص الدخل المتحقق لخدمة المعركة . علت هذه الاصوات قبل نشوب الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة وكان لكل من أصحابها دوافعه ومبرراته ولكن كل ذلك بقي حبرا على ورق ولم يستعمل النفط كسلاح . وجاءت الحرب الاخيرة لتصهر العرب وتظهر وحدتهم ودخل النفط المعركة. فقد عقد وزراء النفط العرب اجتماعين في الكويت اتفقوا في الاول بتاريخ ١٩٧٣/١٠/١٧ على تخفيض انتاج النفط بنسبة ٥ ٪ شهريا كحد ادنى حتى ازالة آثار عدوان عام ١٩٦٧ واعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وقد تجاوزت الدول النفطية هذه النسبة وجعلتها ١٠ ٪ وبادرت الى قطع امدادات النفط عن الولايات المتحدة وهولندا بسبب مساندتهما لاسرائيل . أما في الاجتماع الثاني بتاريخ ٤–١٩٧٣/١١/٥ فقد قرر وزراء النفط العرب رفع نسبة تخفيض الانتاج وجعلها ٢٥٪ عن مستوى شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ ، داخلا فيها الكميات المخصومة نتيجة قطع النفط عن امريكا وهولندا على ان يستمر خفض الانتاج بنسبة ٥٪ شهريا اعتبارا من شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ .

وقد أقدم العرب على هذه الخطوات من مركز قوة بعد ان نجحوا في اثبات قدرتهم القتالية وكان يمكن ان يكون سلاح النفط دليل ضعف اذا استخدم قبل ذلك . وقد كان لهذه القرارات النفطية دور كبير في التأثير على أزمة الشرق الاوسط ويمكن ايجاز الاثار الايجابية بما يلي :

اولا : الضغط على الولايات المتحدة لتحييدها في الصراع العربي — الاسرائيلي واقناعها بانها لن يمكنها الجمع بين مصالحها في الدول العربية ودعم اسرائيل . والمعروف ان امريكا تستورد من العالم العربي نحو ٢ مليون برميل يوميا وهذه الكمية تشكل ١٢ ٪ من استهلاك النفط في امريكا . وهناك نقطة هامة وهي ان احتياطي النفط في الولايات المتحدة الذي يبلغ ٣٦،٤٣ بليون برميل سينفد في مدى عشر سنوات اذا لم تكتشف حقول جديدة ، هذا مع العلم ان الاكتشافات النفطية الجديدة أصبحت قليلة وضئيلة فضلا عن ان المصادر الاخرى للطاقة مثل الطاقة الذرية والطاقة الشمسية لم تطور بعد بصورة كافية لتحل محل النفط . والولايات المتحدة ستتأثر هذه الايام الى حد ما بقطع النفط العربي عنها ولكنها بعد فترة وجيزة ستكون في أمس الحاجة اليه بسبب تزايد استهلاكها مع عدم قدرتها على زيادة انتاجها المحلي بنسبة كبيرة وعدم وجود مصادر بديلة تمدها بالكميات الضخمة التي ستحتاجها .

ثانيا : التأثير على اوروبا الغربية ومنعها من مساندة اسرائيل عن طريق الاعلان ان أي دولة تفعل ذلك ستكون عرضة لحظر النفط عنها ، مع العلم ان النفط هو عصب الحياة في اوروبا الغربية والعمود الفقري لصناعاتها ، فهي تستورد حوالى ١٠،٨ مليون برميل في اليوم من العالم العربي او ما يشكل ٧٢ ٪ من احتياجاتها النفطية . ومن الصعب ان لم يكن من المستحيل ايجاد مصدر بديل يمدها بهذه الكميات الضخمة التي يعتمد عليها اقتصادها وازدهارها .

ثالثا : القرارات النفطية استثنت الدول الصديقة من تخفيض حصصها النفطية مما يشجع الدول على اتخاذ مواقف متعاطفة مع الدول العربية ومؤيدة للحق العربي . وجدير بالذكر هنا ان الدول العربية لم تلجأ الى استخدام النفط كسلاح رغبة في ايذاء الدول المستهلكة ولكن املا بأن ذلك سيثيبها الى رشدها ويفتح أعينها على الحقائق التي لا يمكن تجاهلها في النزاع العربي — الاسرائيلي . وأبسط هذه الحقائق ان الاسرائيليين يحتلون اراض عربية لا يملكون فيها سندا ولا حقا ويعتدون على حقوق الشعب الفلسطيني مع العلم ان مبادىء القانون الدولي لا تجيز تحقيق مكاسب اقليمية عن طريق الحرب كما ان ميثاق حقوق الانسان لا يسمح باغتصاب اراضي الافراد ومبانيهم وممتلكاتهم .

والجدول التالي يبين تقديرات انتاج النفط العربي قبل وبعد القرارات النفطية التي صدرت عن مؤتمر الكويت(١):

الدولة	انتاج ايلول	« بالاف البراميل يوميا » المستوى الجديد للانتاج	التخفيض	النسبة المئوية للتخفيض
السعودية	٨٢٩٠	٥٦٦٠	٢٦٣٠	٣١،٧
الكويت	٣٢٠٠	٢٢٥٠	٩٥٠	٣٠،٠
العراق	٢٠٠٠	١٥٠٠	٥٠٠	٢٥،٠
أبو ظبي	١٤٠٠	١٠٥٠	٣٥٠	٢٥،٠
قطر	٦٠٠	٤٥٠	١٥٠	٢٥،٠
المنطقة المحايدة	٥٨٠	٤٣٥	١٤٥	٢٥،٠
ليبيا	٢٣٠٠	٧٢٥	٥٧٥	٢٥،٠
الجزائر	١٠٥٠	٧٨٧	٢٦٣	٢٥،٠
دول اخرى*	١٠٥٠	٧٨٧	٢٦٣	٢٥،٠
المجموع	**٢٠٤٧٠**	**١٤٦٤٤**	**٥٨٢٦**	**٢٨،٥**

* البحرين ومصر وسوريا ودبي وعمان .

١ ــ **المصدر** : نشرة **عالم النفط** المجلد السادس العدد ١٣ بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٣ .

وقد يقال ان الاجراءات التي اتخذتها الدول النفطية غير كافية وليست فعالة الا ان هذه الاجراءات تدل على التضامن العربي كما انها تصاعدية ولها نتائج ملموسة بدأت اثارها في الظهور . فقد فرضت الولايات المتحدة سلسلة من الاجراءات هدفها الاقتصاد في استخدام الوقود والتوفير في استهلاك الطاقة وقال الرئيس الامريكي نيكسون للامريكيين ان الولايات المتحدة تواجه أشد نقص في الطاقة منذ الحرب العالمية الثانية وذلك بسبب فقدانها لامدادات النفط من الشرق الاوسط . ومن هذه الاجراءات التي اتخذت منع بيع البنزين مساء كل يوم سبت وايام الاحاد وتحديد السرعة القصوى للسيارات الصغيرة بـ ٨٠ كيلومترا في الساعة وللسيارات الكبيرة وسيارات الشحن بـ ٨٨ كيلومترا في الساعة . كذلك خفض زيت التدفئة في المنازل بنسبة ١٥ ٪ ، وفي المكاتب بنسبة ٢٥ ٪ وفي القطاع الصناعي بنسبة ١٠ ٪ . ومن هذه الاجراءات ايضا خفض مد المحيطات بالنفط بنسبة ١٥ ٪ والتحول في مصافي النفط الى خفض انتاج البنزين وزيادة انتاج زيوت التدفئة وزيت الديزل . وبالنسبة الى الطائرات النفاثة التي تعمل على الخطوط الداخلية فسيخفض الوقود المخصص لها بنسبة ٥ ٪ عما كان عليه عام ١٩٧٢ ، أما الوقود المخصص للطائرات التي تعمل على الخطوط الدولية فسيخفض الى المستوى الذي كان عليه عام ١٩٧٢ . وقد أمرت الحكومة الامريكية بعدم انارة لافتات الاعلانات وانوار الزينة بما في ذلك انوار عيد الميلاد خارج المنازل .

أما هولندا فقد منعت سير السيارات في أيام الاحاد وفي ساعات معينة من النهار ولجأ الناس الى استعمال الدراجات . ويتخوف البعض من ان يخسر مرفأ روتردام الهولندي مركزه كمرفأ النفط رقم واحد . واذا ما توقف وصول الناقلات وتدنى انتاج المصافي بصورة حادة فقد يفقد ١٥ الف روتردامي وظائفهم . وأما بريطانيا فيعتبر وضعها أفضل من وضع البلدان الاوروبية الاخرى واليابان لكونها لا تعتمد على النفط الخام سوى بنسبة ٤٧ ٪ من مجمل حاجاتها الى الطاقة . الا انه قد بدأ نوع من الاقبال على شراء المنتجات النفطية

وهناك احتمال برفع سعر البنزين بمقدار ٢ بنس للجالون .

وفي اليابان طلبت الحكومة من المصانع خفض الانتاج بنسبة ١٠ ٪ حتى آخر السنة والتحول الى العمل خمسة ايام في الاسبوع ، وستخفض ايضا ساعات العمل في المتاجر الكبيرة والحانات والنوادي الليلية والملاهي . وأمر مجلس الوزراء الياباني بخفض استخدام السيارات الحكومية بنسبة ٢٠ ٪ وكذلك بالاقتصاد في استخدام النور الكهربائي في النهار وبخفض حرارة أجهزة التدفئة في المكاتب الحكومية . وسيطلب الى محطات النفط ان تغلق ابوابها ايام الاحاد وايام العطل الرسمية كما ستحث السكان على عدم استخدام سياراتهم الخاصة في النزهات وسيطلب من شركات السياحة عدم تنظيم رحلات جماعية في سيارات الركاب الكبيرة .

وفي المانيا الغربية اعلن ان حظرا سيفرض على تنقل السيارات الخاصة في ايام الاحاد اعتبارا من ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) الا ان الحظر لن يطبق كل يوم احد . ويجيء ذلك في اعقاب نداءات وجهتها الحكومة الالمانية الى الشعب خلال شهر تشرين الثاني للتوفير طوعا في استهلاك الوقود . وهناك قلق في المانيا الغربية من انخفاض كميات النفط لانها تستورد قسما من احتياجاتها عن طريق مرفأ روتردام الهولندي وهي تدرس زيادة طاقة انتاج مناجم الفحم بنسبة ٢٠ ٪ . اما في ايطاليا فتتجه الحكومة الى اغلاق محطات التوزيع يوم الاحد ومضاعفة اجور المرور على الاوتوسترادات . وفي النروج وسويسرا طلب من المواطنين خفض التدفئة في المنازل والابنية الى ٢٠ درجة مئوية . اما فرنسا فقد وضعت حظرا على تصدير المنتجات النفطية الى الخارج وهي مطمئنة بعض الشيء باعتبار ان مواقفها من العرب ودية. وجدير بالذكر ان الدول العربية المنتجة للنفط لم تخسر من جراء المقررات الاخيرة بل على العكس هي الرابحة من ذلك . فالنفط الذي لا ينتج الان سيظل محفوظا في مكامنه ذخرا للمستقبل فضلا عن ان قيمته واسعاره هي في تزايد مستمر . كذلك الدول العربية المنتجة للنفط لديها فائض من الاموال مودعة في المصارف الاجنبية وهي ليست بحاجة الى مزيد من هذه الاموال التي قد تتعرض للخسارة بسبب الهزات الاقتصادية وانخفاض قيمة العملات الاجنبية . ويبرز هنا ان الدول العربية المنتجة للنفط بما لديها من احتياطي مالي كبير تستطيع الصمود مدة أكثر من تلك التي تستطيع ان تصمدها الدول المستهلكة للنفط .

وهناك نواح ايجابية في الاجراءات التي اتخذتها الدول العربية المنتجة للنفط ومن ضمنها وحدة الكلمة والاجماع على الرأي وهذا بحد ذاته بادرة حسنة تظهر ان العرب يتسون خلافاتهم عندما يواجهون الشدائد وعندما توضع وحدتهم وثقلهم على المحك . والناحية المهمة الثانية هي ان القرارات النفطية التي اتخذت تزداد اثرا وفعالية مع مرور الزمن . فقد نصت هذه القرارات على تخفيض انتاج النفط العربي بمعدل ٥ ٪ شهريا حتى يتم انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ واعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وسيجد حلفاء اسرائيل ان امداداتهم النفطية ستتناقص بشكل كبير ومتصاعد مما يدفعهم الى تغيير سياساتهم في منطقة الشرق الاوسط ، وبهذا يكون النفط قد لعب دوره كعامل ضغط لا كعامل استعداء . وجدير بالذكر ان وزراء النفط العرب قد قرروا في اجتماعهم الذي عقد مؤخرا عدم تخفيض انتاج النفط العربي بنسبة ٥ ٪ المقررة لشهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ بالنسبة لدول السوق الاوروبية المشتركة — باستثناء هولندا — وذلك تقديرا منهم للموقف البناء الذي وتتخذه هذه الدول باصدارها بيان يؤيد الموقف العربي . كذلك قرر العرب مؤخرا تطبيق الاجراء نفسه على اليابان والفلبين بعد ان اعادتا النظر في سياساتهما لصالح القضية العربية . وقد يقال هنا ان العرب يستخدمون النفط كوسيلة للابتزاز ولكن ذلك ليس صحيحا فمن حق العرب ان يستخدموا كل امكاناتهم وثرواتهم بما فيها النفط من أجل استعادة حقوقهم المسلوبة . ولقد تحررت ارادة العرب من الخوف ودفعوا ضريبة الدم في المعركة وبذلوا في سبيلها النفيس والرخيص ولم يكن هناك أقل من ان يشارك النفط بدوره كذلك.

نزار الشقيري

[٤]
آثار حرب تشرين وازمة النفط في الدانمارك

هل الدانمارك بلد « امبريالي » ؟ وهل تشارك بلدان مثل الدانمارك (السويد ، والنروج وغيرها ...) في نهب العالم الثالث ، وضمنه الوطن العربي ، مع انها تعرف بـ « حيادها » ولا تبدو عليها غالبا السمات المألوفة للامبريالية ؟ وهل يقوم العداء الراسخ للعرب ، والاعجاب باسرائيل ، والمنتشر بين الطبقات العمالية نفسها، على العامل الحضاري وحده (مجمل موقف الثقافة الغربية من العرب ذي الطابع العنصري الواضح) أم ان ثمة عوامل راهنة ومباشرة ، ذات طابع اقتصادي وسياسي تلعب دورا هاما في تقرير موقف هذه الشعوب من قضايانا ؟

ان احدى حسنات حرب تشرين وقطع امدادات النفط العربي او تخفيضها هو انها كشفت للمواطن الاوروبي العادي ، وللمواطن العربي ، احد «اسرار» التناقض العربي الاوروبي المستند واقعيا الى عملية نهب للثروة العربية تتخذ طابع التجارة البريئة وهي في واقعها الفعلي أشبه بمقايضة التجار الاوروبيين مع الهنود الحمر السذج . ولننظر الى الموضوع من زاوية تأثير حرب تشرين وتخفيض امدادات النفط على الدانمارك .

الاثار المباشرة

تستورد الدانمارك ٦٨ بالمئة من نفطها من البلدان العربية المنتجة مباشرة . وهي تحصل على ٢٠ بالمئة اخرى عبر هولندا . الامر الذي يعني ان ٨٨ بالمئة من حاجاتها النفطية تتأثر مباشرة بتطورات معركة النفط العربية .

والنتائج المباشرة لتخفيض امدادات النفط كانت قطع التدفئة كليا في النقل العام وتخفيض التدفئة الى أقصى حد ممكن في معظم المصانع ، وتخفيضها بنسبة ٢٥ بالمئة في المنازل . كذلك استحدثت قيود على سرعة السيارات ومنع استخدام السيارات الخاصة ايام الاحاد . وتصل عقوبات خرق الانظمة الجديدة المتعلقة بتقنين النفط الى السجن مدة سنتين . وتمنع الانظمة تعبئة البترول في صفائح أو علب .

وتأثرت اوضاع العمل مباشرة . فاغلقت العديد من المصانع وارتفعت نسبة البطالة (وتحولت الى قضية سياسية وانتخابية)[١]، وتجري بين مجلس النقابات وجمعية ارباب العمل مفاوضات تتناول امكان الاتفاق على ٤١/٢ ايام عمل في الاسبوع ، بمعدل ١٠١/٢ ساعات يوميا .

وقد لجأت بعض الصناعات الى استخدام الفحم لتعويض النقص في النفط . لكن اسعار الفحم أصبحت ضعفي سعرها الاصلي ، الامر الذي لا بد ان يؤدي الى رفع الاسعار بالنسبة للمستهلكين.

ومن الواضح ان مجمل النتائج تؤيد مباشرة وبالدرجة الاولى في اوضاع الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة ، خاصة بالنسبة للبطالة وارتفاع الاسعار .

التناقض مع شركات النفط العالمية

لكن الازمة الراهنة اضاءت جانبا آخر في الصورة النفطية العالمية ، هو جانب العلاقة مع احتكارات النفط الكبرى . فقد بدأت الصحف الدانماركية تتحدث عن الشركات الاميركية التي تتحكم بتموين البلاد بالنفط والتي لجأت الى رفع الاسعار مؤخرا . وتتوقع هذه الصحف ان تصبح ايام هذه الشركات معدودة او على الاقل فانها لا تستطيع الاستمرار في شكلها الراهن .

وتقول صحيفة Land OG Folk اليومية ، الشيوعية ، ان ردة فعل العرب ضد هولندا خاطئة « وان الهدف ينبغي ان يكون الشركات المتعددة القوميات التي قررت معاقبة هولندا الصغيرة لانها تبيع النفط بأسعار رخيصة » .

وتمضي الصحيفة لتقول : « رفعت شركتا شل وب ب (بريتش بتروليوم) سعر النفط . وقد اكتفى « بابلاغ » مجلس الاحتكار بالسعر الجديد ، حيث لم يعد مطلوبا منه ان يوافق على الزيادات.

---

١ — جاء في احد الاعلانات الانتخابية للاشتراكيين — الديمقراطيين : « لقد خلق الاشتراكيون — الديمقراطيون العمل الكامل . والان بدأت المشاكل تأتينا من الخارج وتزداد يوما بعد يوم. لا تخاطر بمستقبلك — اقترع للاشتراكيين — الديمقراطيين » .

وعلى الحكومة بان تعترف بأنها لا تملك أية سيطرة على أهم مصدر للطاقة في البلاد — وهو النفط . وقد كشف ان شركات النفط الاميركية الكبرى خفضت عمدا طاقة مصافي النفط لكي تتمكن من رفع الاسعار » .

ويبدو ان هناك اتجاها لانشاء خط مباشر لتجارة النفط بين الشرق الاوسط واوروبا . وفي الدانمارك تم تشكيل (مجلس توزيع) ، لان العديد من الشركات الصغيرة التي تتعامل بالنفط الرخيص المستورد من هولندا اضطرت للتوقف عن العمل نتيجة احتكار الشركات الاميركية الكبيرة للنفط .

وفي اجتماع اللجنة التنفيذية لموزعي النفط والفحم قال رئيس اللجنة : « ان الوضع ، ببساطة ، ينذر بكارثة . واذا ما استمر هذا الوضع فلن تبقى شركة واحدة مستقلة حين ينتهي الشتاء . ان المسألة ليست مسألة كارثة اقتصادية فحسب ، بل هي ايضا مسألة وجودنا نفسه . ان الشركات الكبرى قد ضيقت مؤخرا تسهيلات الحسم والتسليف » .

وقالت الصحيفة اليومية للحزب الاشتراكي الديمقراطي : « ان شركات النفط الكبرى تتحكم بدرجة الحرارة في غرف نومنا » . وقد دفع العديد من الفقراء اربعة أضعاف السعر العادي لتأمين البترول للتدفئة ، غير ان الحكومة وضعت في النهاية سعرا أقصى للبترول .

من جهة اخرى دعت بعض الصحف الى الغاء المناورات المقررة لحلف الاطلسي في ١٠ — ١٦ كانون الاول لان المناورات ستسبب هدرا ضخما للطاقة .

لا بديل للنفط

هل من حلول للوضع ؟ في ٢ كانون الاول الراهن دعت صحيفة Berlingske Tidende اليومية اليمينية ، في صفحتها الاولى ، « كل بيت دانماركي الى الحصول على مولد خاص للطاقة من الشمس من أجل الاستغناء عن النفط في المستقبل » . لكن هذا الاقتراح قد يكون أكثر واقعية بالنسبة لبلدان المتوسط منه للدانمارك ذات الشتاء الشديد البرودة !

ولاحظت جريدة يمينية اخرى ان « كل البلدان الغربية تصرفت تصرفا غير مسؤول . فأزمة الوقود قد تكون نتيجة لحرب الشرق الاوسط ، وقد تميل الى التحسن . لكن الغرب لن يحصل ثانية على مثل هذه الكميات الكبيرة من الوقود الرخيص مثلما فعل منذ الحرب العالمية الثانية ، ومن الضروري اجراء تعديل كامل تمهيدا للانتقال باتجاه استخدام مصادر اخرى للطاقة... وسوف يكون هذا التغيير صعبا . فالنمو الاقتصادي للغرب وثراؤه الظاهر نتجا بشكلرئيسي عن حصوله على وقود رخيص... لكن الحكومة لا تعلن الحقيقة كلها ... ان ثمة كارثة محدقة ، وعلى الدانمارك ان تنشىء لجنة للطاقة اليوم استعدادا لاستخدام كل أنواع الطاقة ... » .

لكن ولسوء حظ الدانمارك وغيرها من الدول المتضررة ، فقد نشرت جريدة Borsen الاقتصادية اليومية ، ذات الاتجاه اليميني ، تقريرا في صفحتين حول مضمون مسح اعدته الاتحادات الصناعية في بلدان السوق الاوروبية المشتركة بطلب من لجنة السوق حول مشاكل الطاقة . وكانت خلاصة الوثيقة السرية ان ازمة الطاقة ستستمر حتى ١٩٨٥ ، وان اوروبا ستكون هي الخاسر . وسوف يزداد الاعتماد على النفط العربي — يأتي ٦٠ بالمئة من النفط حاليا من الشرق الاوسط ، لكن هذا الرقم سيرتفع الى ٦٦ بالمئة في غضون سنوات قليلة . ولم تبد سوى دلائل ايجابية قليلة حول امكانية حل اوروبا لازمة الطاقة وذلك بسبب فقدان المصادر الطبيعية هنا ، وبسبب عدم وجود أية سياسة واضحة حول الطاقة .

تقلبات الموقف الحكومي

وعلى الصعيد السياسي اصابت اثار حرب تشرين وتقنين النفط الدانمارك في وقت كانت فيه تستعد لانتخابات عامة جديدة بسبب اندثار الاغلبية السابقة التي كانت الحكومة تستند اليها في البرلمان ، فيما يبدو انه مزيج من ردة نحو اليمين وخيبة أمل تجاه الاحزاب القديمة .

على الصعيد الحكومي أعلن رئيس الوزراء آنكر يورغنسن في الاجتماع الاشتراكي — الديمقراطي في ميدلفارت : « بالنسبة للحرب الاخيرة ، اعتبر ان البلدان العربية هي التي بدأتها . وباستطاعتي ان ادافع مطولا عن عدوانية اسرائيل لان جيرانها هم الذين يهددون بالقائها في المتوسط. ان مشاعري

هي غالبا الى جانب اسرائيل ، وانني آمل واعتقد ان المجموعة الاوروبية ستتضامن مع هولندا » . وكان بيان رئيس الوزراء هذا جوابا على مطالبة بعض الحضور بـالا تنحـاز الدانمارك الى أي من الجانبين (اسرائيل او الدول العربية) !

وفي اليوم نفسه كانت بلدان المجموعة الاوروبية تحاول في اجتماع رأسه وزير خارجية الدانمارك ، ان تتوصل الى اسس مشتركة لموقف موحـد من البلدان المنتجة للنفط .

ولاحظت جريدة Information اليوميـة ، المستقلة ، « ان الحكومة ايدت بيان وزراء خارجية المجموعة الاوروبية حول الشرق الاوسط ... لكن رئيس الوزراء قال شيئا مختلفا تماما هنا . فقد أعلن بوضوح تام ان الدول العربية هي التي تفتقد الاحترام للسيادة الاقليمية لاسرائيل ... وكان محققا ان يعتبر تصريحه ، ذو المضمون المؤيد لاسرائيل ، مهينا بالنسبة للدول العربية . وفي أسوأ الاحوال يمكن ان تصل الامور الى حد فرض حصار نفطي على غرار الحصار المفروض عـلى هولندا . وستكون النقطة الحاسمة هي الى أي حد سينتبه الشرق الاوسط الى تصريحات رئيس الوزراء ، والى المقارنة بينها وبيان المجموعـة الاوروبية » .

وعلق دبلوماسي عربي بقوله ان الملاحظات كانت بالغة السوء ، وانها جعلت من أصعب الامور الدفاع عن الدانمارك امام البلدان العربية الاخرى. وفي ٢١ تشرين الثاني أعلن وزير النفط السعودي في مقابلة جرت معه ان « الدانمارك لم توضع على اللائحة السوداء مـع أننـا سمعنا عن تصريـح رئيس وزرائكم . فقد سمعنا بعد ذلك بقليل ان الانتخابات العامة ستجري قريبا ... لقد كانت الدانمارك على مسافة صوتين فقط من المقاطعة التامة » .

ولم ينف التصريح الجديد الذي ادلى به رئيس الوزراء ، أنكر يورغنسن ، في ٦ تشرين الثاني ملاحظاته السابقة . فقد قال :

« ان الاعلان الذي اتفق عليه وزراء الخارجية التسع هو تعبير دقيق عن المبادىء الكفيلة بحل نزاع الشرق الاوسط ، هذه المبادىء التي تشعر الحكومة الدانماركية انها ينبغي ان تكون جوهرية. وهو يتوافق مع مقررات مجلس الامن . ان هنالك سببا للرضى لان البلدان التسعة استطاعت بهذه الطريقة ان تتفق على موقف مشترك تجاه هـذا النزاع الذي يكتسب حله أهمية حيوية بالنسبة لاطراف عديدة ليست البلدان الاوروبية آخرها . وينبغي حشد كل الجهود لايجاد طرق ووسائل لتوفير سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ، يضمن الوجود المستقل لكل دولة في المنطقة .

ولن يكون من العدل تحميل أي من الاطراف بمفرده مسؤولية التطور المحزن للوضع في الشرق الاوسط خلال الـ ٢٥ سنة الماضية . انه وضع بالغ التعقيد . وينبغي ان يكون الهدف الرئيسي البحث عن تسوية سلمية دائمة تستطيع، وحدها، ان توفر اسس مجرى جديد للتطور » .

ولا ريب في ان الكثيرين من الدانماركيين يؤيدون تصريح يورغنسن الاول ، ويشعرون ان الدانمارك ينبغي ان تعرب عن تأييدها لاسرائيل مهما كان ثمن هذا التأييد . لكن في حين يمكن للمرء ان يوافق بأنه ينبغي تحمل عواقب سياسة خارجية مدروسة جيدا ، فسيكون من سوء الحظ لو نتجت هذه العواقب عن ملاحظة لا تستطيع الحكومة التراجع عنها . واذا كان بقي ما يكفي من الوقت فمن المحتمل ان أنكر يورغنسن قد تعلم ان السياسة الخارجية ينبغي ان تناقش في بروكسل ، وليس في ميدلغارت (مدينة دانماركية صغيرة). وبمواجهة بلدان النفط سيشدد الدبلوماسيون الدانماركيون على ان سياسة الدانمارك الخارجية هي تلك التي قررتها مجموعة البلدان الاوروبية . وهكذا سيكون زعيم الحكومة الدانماركية قد ادى ، مرغما ، قسطه في تشجيع تعاون بلدان المجموعة الاوروبية في مجال السياسة الخارجية .

كذلك تلاحظ جريدة انفورماسيون « ان الدانمارك تؤيد دعوة هولندا للتضامن . وهذا منطقي ، لاننا نعطف على هولندا ، ولان وضعنا قد يصبح شبيها بوضع الهولنديين في وقت قريب .

« ان بلدان المجموعة الاوروبية لم تتوصل الى اتفاق ، لكن الدانمارك تدعم في هذا المجال الطرف الذي يدعو لاتخاذ قرارات قد تسبب عواقب واسعة على صعيد السياسة الخارجية . فالموافقة على دعم المجموعة الاوروبية لهولندا قد يعتبر بمثابة جبهة صريحة تنشؤها المجموعـة الاوروبية ضـد بلدان النفط ، الامر الذي يتسبب في حصار أوسع.

ان هذا قد لا يحدث ، لكن أي قرار يتخذ ضد بجرنا ، وفي أي حال ، الى تعاون بعيد المدى في السياسة الخارجية ... لقد اتبع الوضع منطقه الصارم ، وبات على الدانمارك ان تقبل النتائج . لقد كان هذا ما قاله اعداء الانضمام للمجموعة الاوروبية قبل الاستفتاء في العام الماضي . اما الحكومة فقالت شيئا مختلفا تماما . لقد كذبت الحكومة حول الاحتمالات والنتائج » .

وشددت جريدة لاند اوج فولك اليومية الشيوعية على ان « ... التضامن يمكن ان يجر عواقب مشؤومة على كل بلدان المجموعة الاوروبية ... ويمكن للمجموعة الاوروبية ان تنهار اذا لم تلب النداء وقت الحاجة ... وثمة محاولات تجري لتحويل ازمة النفط ، وازمة الشرق الاوسط والخلاف مع الولايات المتحدة حول فقدان التضامن معها اثناء الحرب الى انذار يساعد في تحويل المجموعة الاوروبية الى اتحاد سياسي وعسكري كان السياسيون الدانماركيون المؤيدون للمجموعة الاوروبية وعدوا الا يقوم ابدا » . كذلك قالت الجريدة « ان بيان انكر يورغنسن الذي ورد فيه انه يقف كليا الى جانب اسرائيل قد ادى به الى اليمين ، الى جانب المحافظين ... ان التصريح المناهض للعرب يستند كليا الى مزاعم احتكارات النفط الاميركية ... » .

وعلى صعيد الرأي العام يمكن القول ان الازمة الراهنة تشكل بداية تبلور للموقف من العرب يمكن له ان يتجه الى أي من الاتجاهين . وفي كل الاحوال بدأ الدانماركيون يكتشفون ان هنالك شيئا اسمه « النفط » . وقد بدأوا يشعرون قليلا بذلك النزاع الذي توجب على العرب ان يتعايشوا معه طوال الـ ٢٥ سنة الماضية .

ان احد جانبي الصورة هو انه ، وفقا لجريدة Jyllands Posten ، اليومية المحافظة، الواسعة الانتشار ، يقف ٦١ بالمئة من الدانماركيين الذين يزيد سنهم على ٢٠ سنة الى جانب اسرائيل في النزاع الراهن ، بينما يؤيد ٣ بالمئة العرب ، ويقف ٢٨ بالمئة على الحياد ، في حين ليس لدى ٨ بالمئة أي وجهة نظر .

وهنالك نزعة معينة ضد « مشايخ النفط العرب، الاغنياء ، والرجعيون ، الذين يمارسون الابتزاز ضد طرف ثالث بريء » . وقد قادت الصحف اليمينية لدى بدء حصار النفط حملة تشهير « بالابتزاز » العربي . واستفادت هذه الحملة من العداء المسبق الموجود اصلا لدى الدانماركيين بالنسبة للعرب .

وصدق او لا تصدق كتبت جريدة Politiken ، التي هي أكثر صحف الدانمارك صهيونية ، مقالا بعنوان « منظورات جديدة في ازمة النفط » جاء فيه « ان القدرة الجنسية تتناقص حين تزداد حرارة الغرفة » . واضافت « ان مناخ داخل الغرف والسيارات والباصات الدافئة قد سببت المزيد من الامراض ، وشركاء جنسيين منحصرفي الصحة ، وانتاجية أقل . والقضية هي ببساطة ان المرء يصبح أكثر كسلا حين يكون الجو دافئا كثيرا » . وهذا الكلام شبيه بما تقوله الكتب المدرسية الدانماركية عن ان « الناس في البلدان المحيطة بالمتوسط كسالى » مع استثناء الاسرائيليين الذين ينظر اليهم كقوم بالغي النشاط .

لكن من جهة اخرى هنالك دلائل ايجابية من وجهة النظر العربية . فالعداء للعرب لم يزدد بشكل ملحوظ بعد الحرب . كما انه « لامر غريب جدا ان تسمع اناسا لم يكونوا يعترفون سابقا بوجود شيء اسمه الشعب الفلسطيني ، وهم يتحدثون الان عن الحقوق الشرعية للعرب الفلسطينيين » .

وقد دأبت كل الصحافة اليسارية — من الجريدة اليومية للحزب الشيوعي حتى صحف أقصى اليسار — على اتخاذ موقف ايجابي من القضية العربية اثناء الحرب وفي الظرف الراهن . بل ان بعض الصحف الليبرالية ايجابية الى حد معين. وتقف كل الحركة اليسارية ، بما فيها « الشباب الاشتراكي — الديمقراطي » الى جانب المقاومة الفلسطينية ، ومع اقامة دولة ديمقراطية في فلسطين .

وكتبت صحيفة Aktuelt اليومية ، الاشتراكية — الديمقراطية ، في ٧ تشرين الثاني مقالا جاء فيه :

« لا يوجد ما هو أصعب من التخلي عن سياسة خدمت الاهداف المرغوبة لسنوات عديدة . ومع ذلك ، على القادة الاسرائيليين ان يختاروا الان ما بين المشاركة في الجهود الحقيقية لتحقيق السلام او الاستمرار في سياسة أمن كانت مناسبة في الماضي ، غير انها ربما لن تكون مرضية في

المستقبل ... ونقط عبر قبول المطالبة المبررة باخلاء المناطق العربية المحتلة يمكن لاسرائيل ان تساهم في تحقيق السلام ، وان تنتقل من حدود آمنة عسكريا الى حدود آمنة سياسيا . وستكون تلك خطوة صعبة ، وعلى الدول العربية ان تساعد اسرائيل في اتخاذها . لكنها ايضا ، وبعد ان اثبتت الجيوش العربية مؤخرا قدرتها على خوض حرب حديثة ، خطوة لا يستطيع الاسرائيليون تجنبها اذا كانوا يريدون الحفاظ على وجود أمتهم. وبالنسبة لكل اطراف النزاع هنالك واقع ان عليهم ان يتعايشوا مع الوضع الجغرافي — السياسي المتضمن ان اسرائيل تقع في العالم العربي ، وانها لا تستطيع العيش الا كجزء منه وليس كذراع للولايات المتحدة ممتدة في الشرق الاوسط !! » .

خـلاصـة

ان الوضع في الدانمارك مفتوح للاحتمالات . فهل تملك القوى التقدمية في الدانمارك (وفي اوروبا) قوة ونفوذا كافيين لقيادة الطبقة العاملة ولاقناعها ان المجتمعات الرأسمالية تستغل عمالها ايضا ، الى جانب استغلالها للعالم الثالث وشعوبه ؟ وهل ستفهم شعوب اوروبا (ومنها شعب الدانمارك) ان مستوى معيشتها المرتفع تسببا هو نتيجة استغلال العالم الثالث ، وانه حين يتوقف هذا الاستغلال بأي شكل من الاشكال فان هذا المستوى المرتفع بصورة مصطنعة سينهار على الفور ؟ وهل ستبدأ الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة في اوروبا ، بعد ان بدأت تذوق قليلا من المعاناة التي عاشها العرب لسنوات في الاستيقاظ ، وفي اظهار روح المسؤولية بالقتال ضد الرأسماليين في بلادها وبالتضامن مع شعوب العالم الثالث ؟ وهل تستطيع المقاومة الفلسطينية بالتعاون مع القوى التقدمية في الدانمارك وغيرها من البلدان الاوروبية ان تجعل الناس يفهمون ان ما لم يستعد الشعب الفلسطيني حقوقه الشرعية — تحديد بلاده ، واقامة دولة ديموقراطية فوق ارض فلسطين كلها — فان الدانمارك وبقية الغرب قد يكون عليها ان تعاني ليس من البرد والبطالة و... فحسب ، بل ربما من حرب عالمية ثالثة .

لكن الى جانب هذه التساؤلات تقوم احتمالات اخرى متشائمة . فاذا لم تكن القوى التقدمية في غرب اوروبا قوية بما فيه الكفاية فسيظل الناس هنالك خاضعين لـ « غسيل دماغ » يدفعهم لدعم اسرائيل . والى جانب ذلك ، اذا ما استمرت البطالة والحياة الصعبة فان الديماغوجيين الفاشيين قد يكسبونهم كما حصل خلال الازمة الكبرى في الثلاثينات . ان الوضع الراهن يبدو مظلما — فثمة اجواء يمينية فوق اوروبا . وان ايطاليا ، والمانيا الغربية ، هذا حتى لا نتحدث عن اليونان ، تظهر نزعات فاشية واضحة .

لقد انتهت الانتخابات العامة في الدانمارك بظهور تخلي الناخبين عن الاحزاب الخمسة القديمة وانتخابهم لخمسة احزاب جديدة الى البرلمان المؤلف من ١٧٩ عضوا . فقد حصل الاشتراكيون — الديمقراطيون على ٤٦ مقعدا مقابل ٧٠ مقعدا في البرلمان السابق ، وحصل حزب الشعب الاشتراكي اليساري على ١١ مقعدا مقابل ١٧ في السابق ، وبالنسبة للمعارضة تراجع الليبراليون الاجتماعيون من ٢٧ الى ٢٠ مقعدا ، والليبراليون (حزب المزارعين) من ٣٠ الى ٢٢ مقعدا . كذلك خسر المحافظون حوالي نصف مقاعدهم ١٦ مقابل ٣١ سابقا . وكان حزب التقدم اليميني المتطرف ، الذي شكل حديثا ، المستفيد الاكبر اذ حصل على ٢٨ مقعدا الامر الذي يجعله ثاني اكبر حزب في البلاد . كذلك حصل حزب **« ديمقراطي الوسط » الذي شكل قبل اسبوع** من الانتخابات على ١٤ مقعدا . ويمكن لهذين الحزبين الجديدين ان يكونا خطرين تماما بالنسبة للتطور السياسي المقبل في الدانمارك بحكم نزعاتهما اليمينية المتطرفة .

بالمقابل كانت احدى النتائج الايجابية للانتخابات حصول الحزب الشيوعي — الذي ظل خارج البرلمان خلال الـ ٨ سنوات الماضية — على ٦ مقاعد . وهذا أكثر مما كان متوقعا .

ان الوضع السياسي في الدانمارك صعب وحساس للغاية . وهو أخطر وضع تشهده البلاد منذ الحرب العالمية الثانية ، وازمة الطاقة هي العنصر الاكثر أهمية بالنسبة للتطور المقبل .

آني كنفاني

[٥]
التحالف الغربي يتصدع على برميل النفط العربي

لعل أهم حصيلة التفاعلات التي نجمت عن التلويح باستخدام سلاح النفط العربي تصدع جبهة الحلفاء الغربيين وحدوث شرخ عميق في العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية ومعظم حليفاتها من دول اوروبا الغربية الاعضاء في حلف شمال الاطلسي واليابان . وقد جاءت الازمة الاخيرة التي نشبت في المنطقة والقلق الذي رافقتها خشية عواقبها على انتظام امدادات النفط العربي لدول المعسكر الغربي لتفجر التناقضات الثانوية التي كانت تتفاعل داخل صفوف المعسكر الغربي منذ مطلع الستينات ، ولا سيما بين الولايات المتحدة من جهة وحليفاتها الاوروبيات الغربيات ، وذلك منذ ان رفع الجنرال ديغول راية الاستقلال الاوروبي عن الولايات المتحدة الامريكية . وهذه التناقضات الثانوية بين دول المعسكر الغربي والناشئة عن تضارب المصالح بين الرأسماليات الغربية أدت الى تململ الطبقات الرأسمالية الحاكمة في دول اوروبا الغربية واليابان وطموحها للتحرر من ربقة السيطرة الرأسمالية الامريكية ، وهي سيطرة كانت تامة وطاغية في مطلع الخمسينات ولكنها اخذت تنحسر تدريجيا ، ولكن ببطء شديد ، منذ مطلع الستينات نتيجة نمو قوة الرأسماليات الحاكمة في دول اوروبا الغربية واليابان واستعادتها بعض مواقعها السابقة واكتسابها مقومات القوة الذاتية بحيث اصبحت تشعر بثقة متزايدة بقدرتها على الوقوف على رجليها وأصبحت تبدي تململها من الثمن الباهظ الذي يتأتى عليها أن تدفعه من قدرتها على الحركة واستقلاليتها وبالتالي من أرباحها نظير « التمتع » بالمظلة النووية الامريكية حماية لها من « الخطر السوفياتي » . ففي الخمسينات ومطلع الستينات كان القائد الاعلى لقوات حلف الاطلسي ، وهو أمريكي دائما ، بمثابة « نائب الملك » في أوروبا حسبما يقول الاستراتيجي البريطاني أليستير بوخن(١) .

وقبل الازمة الاخيرة شهدت العلاقات الاوروبية الغربية — الامريكية أزمات أخرى شديدة منها أزمة حرب السويس عام ١٩٥٦ ، يوم أن راودت أنطوني ايدن رئيس الوزراء البريطاني الرغبة في التمرد على السيطرة الرأسمالية الامريكية الزاحفة لالتهام البقية الباقية من المصالح الاستعمارية البريطانية في المنطقة العربية فكال له جون فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكي آنذاك الصاع صاعين وجعل الاسد الاستعماري البريطاني الهرم وحيدا في وقت الشدة يتلقى ضربة قاضية وهزيمة مذلة أودت بما هو أكثر من ذنبه الذي قضمه أبو الهول ...

وفي اطار الازمة الامريكية — السوفياتية حول كوبا عام ١٩٦٢ تفاعلت من جديد أزمة شديدة في العلاقات بين أمريكا جون كينيدي وحليفاتها الاوروبيات الغربيات لا سيما بريطانيا ، لان جون كينيدي دفع بالاحداث الى شفير الهاوية النووية دون ان يطلع حليفته المقربة بريطانيا على الامر الا في اللحظة الاخيرة باتصال هاتفي أجراه في منتصف الليل (الساعة الخامسة صباحا بتوقيت لندن)(٢) مع رئيس الوزراء البريطاني آنذاك هارولد مكميلان ... بيد أن تلك الازمة قد لجمت ضمن الاطار الديبلوماسي ولم تنفجر علنا ، وكان انسحاب فرنسا الجنرال ديغول من حلف الاطلسي عام ١٩٦٦ علامة أخرى على درب الالام في علاقات التحالف والصراع القائمة بين امريكا وحليفاتها في اوروبا الغربية ، وخطوة الانسحاب هذه ، وان يكن قد صاحبها ضجيج اعلامي وسياسي شديد ، فانها لم تمس جوهر المصالح الاستعمارية الامريكية كالازمة الحالية التي نحن بصددها ... فاذا كانت خطوة ديغول تلك قد نمت عن نزوع الرأسمالية الفرنسية للتحرر من الغزو الرأسمالي الامريكي لمصالحها في عقر دارها ، فان الازمة الراهنة في العلاقات انما هي مظهر لطموح رأسماليات اوروبا الغربية ، ولا سيما في فرنسا وبريطانيا لشن هجوم مضاد على المصالح الاستعمارية الامريكية الرئيسية وورائتها في أشد المواقع حيوية واستراتيجية وهو النفط العربي .

الغطرسة : أسلوب تعامل أمريكا مع حليفاتها :

ان مقدارا غير ضئيل من بواعث الازمات المستحكمة في العلاقات بين امريكا وحليفاتها الاوروبيات الغربيات انما يكمن ، علاوة على التناقضات القائمة بين المصالح الرأسمالية لكلا الفريقين ، في أسلوب الغطرسة والصلف الذي يتوجه به المسؤولون الامريكيون نحو أقرانهم

الاوروبيين الغربيين طالبين منهم الخضوع التـام لمشيئتهم بصـورة ذيلية دون أن يراعـوا حتى اعتبارات حفظ ماء الوجه لدى هؤلاء الحلفاء ...

وتتحدث مجلة « التايم » الامريكية عن علاقات امريكا بحليفاتها الاوروبيات في عهد ولاية جونسون فتقول(٣): « لقد تجـاهل ليندون جونسون حلف الاطلسي والسوق الاوروبية المشتركة تجاهلا تاما — اللهم الا عندما كان يتطلع للفوز بالدعم الاوروبي لحربه في الفيتنام . وقد بدأ الانقطاع في الاتصالات بين الفريقين يوم أن بعث جونسون وزير خارجيته دين راسك ليبلغ الزعمـاء الاوروبيين بأن « خط الدفاع عن أوروبا ضد الشيوعية انما يبدأ علـى شواطىء الفيتنـام » . وقد أراد جونسون مـن الاوروبيين أن يبرزوا هوية مواقفهم تجاه الصراع في الهند الصينية بوضوح على غرار ما فعلوه ايام الحرب الكورية . وعندما رفضت بريطانيا الاستجابة لطلب الرئيس الامريكي منها ارسال قوات الـى الفيتنام ، انفجر ديـن رسك قائلا : « يبدو أنكم نسيتم الحرب العـالمية الثانية . والان بوسعكم أن تسألوا أنفسكم فيما اذا كنا سنصنع من جديد في يوم من الايام ما صنعناه آنئذ » ...

وتستعرض مجلة التايم الامريكية(٤)، بطريقتها الخاصة ، علاقات أمريكا بحليفاتها الاوروبيات في عهد نيكسون فتقول أن هذه العلاقات قد بدأت بداية طيبة ولكنها ما لبثت ان تعثرت في ضوء اشتداد حدة التورط الامريكي في فيتنـام وامتداد الحرب الفيتنامية ثم تطور الحوار المبـاشر بين واشنطن وموسكو وبين واشنطـن وبكين مـن فوق رؤوس الحليفات الاوروبيات ... ثم ان نيكسون وكيسنجر ما أن فرغا من حل قضية الانسحاب مـن فيتنام وتحديد اطار العلاقات الجديدة مع كـل من بكين وموسكو حتى انفجرت فضيحة ووترغيت . وكـان نيكسون قد قال أن عام ١٩٧٣ سيكون « عـام أوروبا » بمعنى أنه سيفرغ معظم وقته طوال ذلك العام لتنقية أجواء العلاقات بين أمريكا وحليفاتها الغربيات ورأب الصدع والشقوق التي تتآكل هذا التحالف ، ولكن الظروف شاءت أن يكون عام ١٩٧٣ بالنسبة لنيكسون « عام ووترغيت » ... وكان نيكسون قد قرر القيـام بجولة في أقطار أوروبا الغربية في ربيع عام ١٩٧٣ ، ولكنه بعد أن أجل هذه الجولة عـدة مرات ، تحت ضغوط مفاجآت فضيحة ووترغيت، أصبحت هذه الفكرة من أساسها الان في مهب الريح ... وازاء انشغال كل مـن نيكسون وكيسنجر بهذه الازمات المتلاحقة أسندت مهمة اجراء الاتصالات المباشرة مع الدول الاوروبية الغربية الى مسؤولين من الصف الثاني والثالث مثل جون كونالي الذي عاد من جولة في أوروبا الغربية يقول : ان ما تحتاج اليه اوروبا حاجة ماسة هو « ضربة قوية على مؤخرتها »(٥)!! ثم تلاه وليم ايبرلي ممثل الرئيس الامريكي الخاص لشؤون التجارة الذي كان موضوع حديثه المفضل خلال جولته في أوروبا تلقين الاوروبيين دروسا في أصول البروتوكول ... وفي احدى هذه المرات أبلغ مجموعة مـن مفاوضي دول السـوق الاوروبيـة المشتركة : « انني لا أحب أولئك الناس الذين يومئون ويهزون رؤوسهم دون أن يقولوا ما يجول بخواطرهم »(٦)!! وقد عبر أحد الديبلوماسيـين الامريكيين عن طبيعة العلاقات بين أمريكا وحليفاتها الاوروبيات ونوعية الاجواء التي تسود الاتصالات والمحادثات فيما بينها خلال السنوات الاخيرة بقوله: « يوجد هنالك دائما خلال هذه المحادثات من يود أن يضيف الملاحظة — بدوني أنا — تحت كل أو أي من الفقرات لاي بيان او اتفاق يتم التوصل اليه خلالها »(٧)...

وفي حين أن مجلة « التايم » الامريكية في عرضها لاسباب ودواعـي الصدع الذي اعترى علاقـات التحالف الغربي اثر الحرب العربية الاسرائيليـة الاخيرة قد اجتزأت هذه الاسباب في شكليات ومظاهر تبسيطية سطحية ، الا أنها اضطرت الى الاعتراف بأن قسطا غير يسير من الانقسامات والانشقاقات داخل صفـوف دول اوروبا الغربية انما يعـود لدسائس الولايات المتحدة ذاتها التي عندما لمست اتجاه دول أوروبا الغربية للتململ والتمرد على سيطرتها عملت بمنـاورات وتكتيكات خبيثة الـى استغلال التناقضات الثانوية الكثيرة القائمة بين دول أوروبا الغربية لتفريق صفوفها واستفرادها الواحدة بعد الاخرى لكي تحول دون اجتماع كلمتها ومواجهتها كتلة واحدة قوية . فتقول مجلة «التايم» المذكورة : « وعندما يتطرق الحلفاء لبحث القضايا المالية والنقدية غالبا ما وجدت واشنطن ان مـن المفيد لها أن تشتت شمـل الحكومات الاوروبية باستخدام بعض التكتيكات والمناورات الجانبية»(٨).

فاذن ، قبل نشوب الازمـة الاخيرة في المنطقة بسنوات غير قليلة أصبح التحالف الغربي أشبه ما يكون « بحوار الطرشان عبر الاطلسي » كمـا

يقول الدبلوماسي الامريكي روبرت شتزل السفير الامريكي السابق لدى السوق الاوروبية المشتركة(٩). وأصبحت صورة العلاقات داخل المعسكر الغربي أقرب الى التضارب والتنافس الاطلسي منها الى التحالف الاطلسي . « وبدا الحلفاء الاوروبيون في نظر الامريكيين فجأة كشوم أشرار مسؤولين جزئيا عن تخفيض قيمة الدولار مرتين ، كما بدوا في أعين الكونغرس الامريكي — بكل تأكيد — غير راغبين في المساهمة بقدر كاف في تحمل أوزار الدفاع عن بلادهم »(١٠)...

وازاء تطور أجواء سياسة الوفاق الدولي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في الفترة الاخيرة وجد الحلفاء الاوروبيون الغربيون أنفسهم أكثر فأكثر خارج لعبة القوى الدولية وفي فراغ سياسي أثار لديهم الشكوك في جدوى التحالف الاطلسي وقدرته على الاستمرار في البقاء ... كذلك فان لسياسة الوفاق الدولي هذه بعدا اقتصاديا ، ففي السنوات الاخيرة أصبح الاتحاد السوفياتي وبلدان الكتلة الاشتراكية من الاسواق الرئيسية للمعدات والسلع الاوروبية الغربية ... وسياسة الوفاق الدولي تحرم دول أوروبا الغربية من هذه السوق الواسعة وتفتحها أمام منافسها الرئيسي والاقوى وهو السلع والمعدات الامريكية ...

وفي اطار هذا الواقع الجديد من العلاقات الدولية الذي أخذ يتبلور مضت فرنسا قدما في انتهاج خطها المستقل عن السياسة الامريكية وترسيخ دور أوروبا المستقل بين القوتين الاعظم ، وأخذت بريطانيا تخطو بحذر نحو توثيق اواصر علاقاتها وارتباطاتها بأوروبا مدركة ان « علاقتها الخاصة » بالولايات المتحدة الامريكية قد أصبحت من مخلفات الماضي . اما المانيا الغربية فأدار المستشار فيلي برانت دفة سياستها باتجاه الانفتاح على الشرق محطما الكثير من المحرمات والاقانيم التقليدية لسياسة المانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية .

وعندما نشبت الازمة الاخيرة في المنطقة اهتز كيان التحالف الغربي وتصدعت أركانه ، وبدأ الحلفاء يتبادلون الاتهامات عبر المحيط الاطلسي أمام الملأ بصورة لم يعهدها العالم من قبل ...

فتش عن النفط :

لقد كانت مواقف دول اوروبا الغربية بصورة اجمالية ممالئة لاسرائيل خلال حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، وما زالت استفتاءات الرأي العام في أقطار أوروبا الغربية تظهر تأييدا قويا لاسرائيل ، فما الذي استجد بحيث بدت معظم دول أوروبا الغربية وكأنها تجهد في اعلان حيادها عندما نشبت الحرب العربية — الاسرائيلية الاخيرة . وتجيب على هذا التساؤل مجلة « التايم » الامريكية الواسعة الانتشار قائلة : « لقد تضاعف استهلاك أوروبا الغربية من النفط العربي منذ عام ١٩٦٧ »(١١). فقد أيقنت دول أوروبا الغربية ان الحرب ستتمخض عن تطورات دراماتيكية ، لا سيما على صعيد النفط . وهي لم تشأ أن تعرض موارد حياتها النفطية للخطر ، بل أكثر من ذلك انها تمني النفس بأن تحل شركاتها النفطية محل شركات النفط الامريكية في السيطرة على النفط العربي ، وهي بهذا تؤدي التحية للمصالح الاستعمارية الامريكية ، وخصوصا النفطية منها ، التي سعت منذ الحرب العالمية الثانية الى طرد المصالح الاوروبية من المنطقة والحلول محلها ، وخطت خطوات كبيرة في هذا السبيل . ويتجلى الان نزوع أوروبا الغربية لاستعادة مواقعها في المنطقة العربية ، لا سيما في ميدان النفط ، في مواقف كل من فرنسا وبريطانيا .

وقد ألقى الصحفي البريطاني المعروف روبرت ستيفنز بعض الضوء على ما يجري وراء كواليس الدبلوماسية الغربية ودور النفط في الصراع الدائر ، فقال(١٢):

« ترجع الازمة الراهنة بين دول المعسكر الغربي ، بصورة أساسية ، الى التناقض الظاهر بين مصالح الدول الاوروبية النفطية في الشرق الاوسط وبين اعتبارات الاستراتيجية الكونية للولايات المتحدة تجاه الاتحاد السوفياتي . فالامريكيون بعد أن أخفقوا في أن يضعوا القومية العربية في مجابهة مع السوفيات في الستينات ، بدأوا في السنين الاخيرة يتطلعون الى القوى المحلية الاخرى ، كايران واسرائيل وتركيا لتتولى مهمة الحد من انتشار النفوذ السوفياتي لا سيما في مصر وسوريه والعراق . وكان الامريكيون يرون ان سياستهم هذه تخدم ثلاثة أهداف هي ضمان وجود اسرائيل ، وضمان تدفق الامدادات النفطية الى الغرب ومنع السوفيات من الاخلال بميزان القوى في منطقة حيوية من العالم » ...

وكانت مجلة « الايكونوميست » البريطانية قد رصدت مؤشر التطورات اللاحقة منذ الايام الاولى

لنشوب القتال ، وكشفت ان التنافس في التسابق على الفوز بالنفط العربي سيحظى بالاولوية على أية روابط أو أهداف أخرى ، فقالت(١٣): « ما من شك أن بعض الحكومات الاوروبية لن تسمح بأن يتعرض مواطنوها للبرد ، أو أن يحرموا من استعمال سياراتهم من أجل دعم سياسة الولايات المتحدة الخارجية أو اسرائيل . فاذا توقفت الامدادات النفطية ، فمن المحتمل أن تتخذ بعض هذه الحكومات خطوات لعقد ترتيبات خاصة بها مع الحكومات العربية مباشرة من وراء ظهر شركات النفط الامريكية الكبرى ، بل وربما أيضا من وراء ظهر شركتي « شل » و« البترول البريطانية » اذا ما بقيت بريطانيا ملتزمة بالسياسة الامريكية » ...

ونقلت صحيفة « الانترناشيونال هيرالد تريبيون » الامريكية صورة من المرارة والغيظ الذي يعتلج في صدور الاوساط الامريكية من تخلي حلفائهم الاوروبيين عنهم في غمرة تهافتهم على الفوز بامدادات النفط العربي ، وبما هو أكثر من الامدادات ان سمحت الظروف حيث بادرت معظم حكومات أوروبا الغربية فورا الى منع تصدير منتجات النفط المكررة في مصافيها والذي تستورد منه امريكا كميات كبيرة لا سيما من ايطاليا وهولنده وبلجيكا واسبانيا ، فقالت : « ان القيود التي فرضت على تصدير المنتجات النفطية تتفاعل في اوروبا الغربية بحيث أنها قد تتطور الى صدع في جبهة حلف الاطلسي » .

« ان الولايات المتحدة غاضبة من القيود الاوروبية على التصدير والموجهة اليها بصورة رئيسية . ويقول الامريكيون ان واشنطن هبت لنجدة أوروبا خلال أزمة النفط التي تلت حرب السويس عام ١٩٥٦ ، وكان الاولى بأوروبا أن ترد لها الجميل الان ... وفي العادة تشتري الولايات المتحدة من أوروبا ، في هذا الوقت من السنة ، كميات كبيرة من زيوت التدفئة . وان حظر تصدير المنتجات النفطية يمكن أن يزيد حدة النقص على الامريكيين هذا الشتاء »(١٤).

ولخصت نشرة « بلاتس اويلغرام » الامريكية المتخصصة في النفط الحقائق المرة للصراع الدائر بين الحلفاء فقالت : « ان الرأي العام (الامريكي) سيعلم تدريجيا أنه قد ضلل ، وان الاوروبيين ، وليس العرب ، هم المسؤولون الرئيسيون عما حدث لهم »(١٥).

ولم يقتصر أثر الصراع على النفط وتوتر العلاقات من جراء التنافس عليه على تصدع التحالف الاطلسي فحسب ، بل فجر الموقف بين الولايات المتحدة واليابان ، ففي حين أن الولايات المتحدة تطلب من جميع حلفائها بما فيهم اليابان دعم سياستها العدوانية ضد الشعوب العربية ، فان اليابان تدرك أن أوضاع اقتصادها لا تستطيع أن تتحمل أدنى اضطراب في امدادات النفط العربي . وعندما زار وزير الخارجية الامريكي اليابان « شدد المسؤولون اليابانيون في محادثاتهم مع كيسنجر على مدى اعتماد اليابان على شحنات النفط التي تمدهم بها شركات النفط الغربية . وقالوا ان هذه الشركات تفرض على امداداتهم قيودا تفوق في حدتها القيود التي فرضها العرب . ولمح المسؤولون اليابانيون لوزير الخارجية الامريكي بأن عليه أن يتدخل ليضمن لليابان معاملة منصفة »(١٦). أما بقية القصة فمعروفة ، اذ سرعان ما اقتدت اليابان بدول أوروبا الغربية وأصدرت بيانا سياسيا حول النزاع العربي — الاسرائيلي على غرار البيان الذي أصدرته دول مجموعة السوق الاوروبية المشتركة في ١٩٧٣/١١/٦ . وقالت صحيفة « الغارديان » البريطانية في هذا الصدد أن أزمة النفط في العالم قد خلقت وضعا جديدا فيسياسة اليابان الخارجية. وان خوف اليابان من جفاف النفط قد دفع بها فورا الى الجانب العربي مما أغضب الولايات المتحدة وأظهر مدى تعرض سياسة اليابان الى الضغط الاقتصادي(١٧).

وأكثر من ذلك ، أن كندا جارة أمريكا الاقرب اختارت هذا الوقت الحرج لتقوم « بتخفيض صادراتها للولايات المتحدة من النفط المنتج في المناطق الغربية من كندا بمعدل ١٧٥٠٠٠ برميل يوميا »(١٨).

وحتى سنغافورة أدارت ظهرها لصديقتها أمريكا . فقد أعلن المسؤولون في شركات النفط الامريكية في سنغافورة أنهم تلقوا أوامر بالتقيد بقرار الدول العربية الخاص بحظر بيع النفط الى الولايات المتحدة . وأبلغت شركات النفط سفارة الولايات المتحدة الامريكية في سنغافورة «انه لم يعد بالامكان تنفيذ عقود الشركات مع وزارة الدفاع الامريكية »(١٩). وهذه الخطوة تؤثر على تموين الاسطول الامريكي السابع بالنفط .

ومن جهة أخرى دب التنافس بين دول أوروبا

الغربية ذاتها على النفط ، بل حتـى بين الدول الاعضاء في السوق الاوروبية المشتركة . « وقد ابلغت السلطات في كل من فرنسا وبريطانيا وايطاليا شركات النفط العاملة في كل منها في اجتماعات عقدت على أعلى المستويات أنهـا تتوقع استلام النفط حسب المستويات المعتادة ، بالرغم من التخفيض الذي يتوقع أن يقلص الامدادات الاوروبية الاجمالية بنسبة ٢٠ ٪ ابتداء من منتصف شهر تشرين الثاني (نوفمبر) »(٢٠).

وقد أعلـن رئيس الوزراء البريطاني ادوارد هيث ، بشيء من الانشراح ، أمام مجلس العموم ان بريطانيا قد تلقت تأكيدات من الدول الرئيسية المنتجة للنفط بأنهـا لا ترغب في الاضرار بمصالح بريطانيا ، وانها ستتخذ خطوات ضمن صلاحياتها لمنع حدوث ذلك(٢١).

ولا ريب ان مواقف بريطانيا هذه ، بالاضافة الى مواقف فرنسا ، تثير غيظ هولندا زميلتهما في السوق الاوروبية المشتركة التي حظر عنها النفط العربي . وعبثا حاول الهولنديون أن يجروا الى جانبهم في المحنة زملاءهم الاوروبيين الاخريـن الاعضاء في السوق المشتركة . وقد قال وزير خارجية هولنده فان درشتول في مؤتمر صحفي عقب حظر النفط عن هولنده أنه لا يستطيع تجنب الانطباع بأن « العرب يعتقدون انهم عن طريق وقف شحنات النفط الى هولنده يستطيعون أن يمارسوا ضغطا على أوروبا في أي حل للنـزاع في الشرق الاوسـط »(٢٢). وواصل المسؤولون الهولنديون ، بنشاط محموم ، التشهير بمواقف شريكاتها الاخريات في السوق لا سيما بريطانيا وفرنسا لتخليها عنهـا مهددة بدفع الامور الى حدود نسف بنيان السـوق الاوروبية المشتركة من الاساس اذا لم تتضامن معها شريكاتها الاخريات في السوق في محنة قطع النفط العـربي عنها ... وابلغ وزير الخارجية الهولندي البرلمان الهولندي أن المبادىء الرئيسية للسوق تقضي بأن تحصل الدولة العضو في السـوق المشتركة على امدادات نفطية مضمونة تتناسب مع حجمها . وقال ان الوضع الراهن يجب ان يشجع السوق على وضع سياسة موحدة للطاقـة(٢٣). وقال رئيس الحكومة الهولندية جوب دون أويل أن هولنده لن تتردد ، اذا لزم الامر ، في قطع امدادات الغـاز الطبيعي عن فرنسا والمانيا وبلجيكا اذا أخفقت دول السوق في الوصول الـى اتفاق حول اقتسـام المستوردات النفطية(٢٤) .

ورغم هذه المناورات الهولندية النشيطة لـم يتكاتف مع هولنده سوى سلطات المانيا الغـربية « الصديقة التقليدية المزيفة » لبعض العرب ، اذ أن المستشار الالماني الغربي فيلي برانت ما انفك يرفع صوته عاليا في كل مناسبة مشهرا بمواقف بريطانيا وفرنسا وداعيا الى التضامن مع هولنده وتشكيل جبهة أوروبية — امريكية مشتركة لمواجهة ضغوط الدول العربية النفطية بصورة موحدة .

ومن جهة اخرى ، عقد ممثلو الدول الاعضاء في « منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية » التي تضم ٢٤ عضوا من الدول الغربية بمـا فيها اليابـان والولايات المتحـدة الامريكية باعتبارهـا الدول المستهلكة للنفط العربي اجتماعات في اواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) وفي ٢١ تشريـن الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ لتدارس خطة مشتركة لمواجهة ضغوط دول النفط العربية ولكنها لم تحقق أي نجاح في هذا السبيل وسرت اشاعـات ان خلافـات مستعصية قد دبت بينهم ، وشلت حركتهم خشية دول مثل اليابان وفرنسا وبريطانيا ان تفسر الدول العربية أي اجراء مشترك أو أية خطـة موحدة يتخذونها مثل توحيد الامدادات النفطية وتقاسمها فيما بينهم تحديا لها ، وعلق أحد المراقبين على نتائج هذه الاجتماعات بأنهم « اتفقوا على تبـادل المعلومات بدلا من تبادل الامدادات النفطية » !!..

وعندما يئست هولنده مـن تضامن زميلاتهـا الاوروبيات معها فرضت القيود على تصدير النفط الخام ومنتجاته منها مستهدفة بذلك الاستئثار بالكمية الكبيرة من النفط الخام والمنتجات المخزونة فيهـا باعتبارها أكبر مركز للنفط في أوروبا ومركزا رئيسيا لاستيراده وتكريره وتصديره .

رياء المانيا الغربية و« صداقتها التقليدية » المزعومة مع العرب :

أظهرت اجتماعـات القمة الاوروبية التي بدأت في كوبنهاغن في ١٩٧٣/١٢/١٤ استجابة للدعوة التي أطلقها الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو في مطلـع الشهر السابق أن غالبية دول السوق الاوروبية المشتركة مترددة في التضامن مع هولنده . ففي حين ان هولنده والمانيا الغربية تجاهران بالدعوة لتنسيق مواقف دول أوروبا الغربية واليابان مـع موقف الولايات المتحدة في تشكيـل جبهة موحدة

تواجه ضغوط دول النفط العربية ، فان الدول الاخرى لا سيما فرنسا وبريطانيا تقاوم هذا الاتجاه.

وقد نقل مراسل صحيفة « النهار » البيروتية (١٩٧٣/١٢/١٦) صورة عن أجواء مؤتمر القمة الاوروبي المذكور وردود الفعل لقيسام وفد عربي مؤلف من وزراء خارجية الجزائر وتونس والسودان واتحاد الامارات العربية باجــراء الاتصالات فــي كوبنهاغن وتسليم الرؤساء الاوروبيين رسالة مؤتمر الجزائر فقال : « بينمــا رحبت بريطانيا وفرنسا بالوفد العربي استنكرت المانيا الغربية وهولنده هذه الزيارة ، وطالبتا باتصالات مماثلة مع اسرائيل وابلاغها بما يحدث في المؤتمر بخصوص قضيــة الشرق الاوسط . وتصر المانيا الغربية وهولنده على اقتراح هنري كيسنجر ايجاد فريق عمل مشترك لحل أزمة الطاقة ، غير ان بريطــانيا وفرنسا تعارضان الاقتراح بشكله الراهن لانه اقتراح عام قد يثــير غضب الدول العربية ويضر باستقــلال اوروبا . وقد علم ان بريطانيا مستعدة لقبول اي تعاون أوروبي في أزمة الطاقــة شرط أن لا يكون موجها ضد الدول العربية . وتشارك فرنسا حكومة هيث في موقفها هذا وتطالب بتعاون اوروبي ضمن الصيغة التي تعمل بها لجنة النفط المنبثقة عــن السوق الاوروبية المشتركة » .

لقد كشفت أزمة النفط العــربي موقف المانيا الغربية المعادي للقضية العربية بثبات وخسة ، وأسقطت القناع المزيف عن « صداقتها التقليدية المزعومة » !! للعرب ، وظهرت المانيــا الغربية كأقوى وأثبت حليف للولايات المتحدة الامريكيــة واسرائيل . وان رياء سلطــات بون وحركاتهــا المسرحية المكشوفة لا تخدع أحدا . وقد أوردت مجلة « نيوزويك » الامريكية (١٩٧٣/١١/١٢) نموذجا من هذا الرياء الالماني الغربي المفضوح في ادعائها الصداقة مع العــرب فقالت : « يقول المسؤولون في المانيا الغربيــة أنه رغم التهديــد العربي النفطي فان بون أغمضت عينيها لكي لا ترى شحنات الاسلحة المنقولة من أراضيها الى اسرائيل طوال أكثر من اسبوعين الى أن أرغم وهج الدعاية وضجيجها وزير الخارجية أنيلفت انتباه واشنطن». وكذلك أوردت مجلة « التايم » الامريكية (١١/١٢/ ١٩٧٣) مسلسلا طريفا يظهر مدى عهر سلطات بون في تغاضيها عن نقــل كميات هائلة مــن الاسلحة والمعدات من القواعد العسكرية الامريكية في المانيا الغربية الى اسرائيل وادعائها عــدم معرفة ان الطيارين الاسرائيليين كانوا يصلون الى المانيــا الغربية تباعا ويقلعون بطائرات الفانتوم من القواعد العسكرية الامريكية الى اسرائيل مباشرة ، مثلما ادعت عدم معرفتها بأن البواخر الاسرائيلية مثل الباخرة « ناركيس » والباخرة « غليله » Galila كانت تقلع من ميناء بريمرهافن الالماني الغربي محملة بالاسلحة والمعدات من القواعد العسكرية الامريكية فيها ... ولعمري ان هذا هو قمة الرياء والعهر في السياسة الدولية ... ولكن ، ألا يستحق أمر المحافظة على « الصداقة التقليدية » المزعومة مع بعض العرب شيئا من الرياء ؟

امريكا تستهدف تركيع حلفائها الاوروبيين :

لم تكن الازمة التــي اعترت علاقات امريكــا بحلفائها ابان وعقب الحرب العربية ــ الاسرائيلية الاخيرة هي أولى الازمات من هذا النوع ، ولكنها كانت أول أزمة تخرج الى العلــن بهذه الصورة العنيفة ، فطوال اسبوعين بعد وقف اطلاق النار في المنطقة بدأ المسؤولون الامريكيون والاوروبيون الغربيون يتبادلون الاتهامات عبر الاطلسي امــام الملأ . وتناوب المسؤولون الامريكيون الواحد بعد الاخر استلام مطرقة التصريحات العنيفة وأخذوا يهوون بها بعنف علــى رأس الحلفاء الاوروبيين الغربيين . وكان السبب الظاهــري لتبادل هذه الاتهامات هو استغــراب المسؤولين الاوروبيــين الغربيين لتسرع نيكسون في اعلان حالة الطوارىء في القوة النووية الامريكية الضاربة بعــد اقرار وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل دون التشاور مع حلفائه الاوروبيين ، بيد ان سر هــذه الازمة وتفاعلاتها الباطنية انما تكمن في الصراع على موارد النفط في البلاد العربية وفي التنافس للفوز بهذا النفط ...

وبدأ وزير الدفاع الامريكي جيمس شليسنغر سيل التصريحات الامريكية معنفا الحلفاء الاوروبيين ومحذرا بان « الولايات المتحدة ستتحرى جميع وجوه ردود فعل حلفائها الغربيين في ضوء انفراط عقد حلف الاطلسي خلال الازمة التي نشبت في الشرق الاوسط »(٢٥) وكذلك حذر المانيا الغربية من أن موقفها سيحمل امريكا على اعادة النظر في بعض الاسس التي تستند اليها في وضع قــوات امريكية في المانيا الغربية(٢٦). ثم تلاه روبــرت مكلوسكي الناطق بلسان الخارجية الامريكية الذي

انتقد « عددا من حلفائنا الذين جهدوا في تمييز مواقفهم علنا عن مواقفنا خلال ازمة الشرق الاوسط »(٢٧).

ثم جاء دور الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون الذي صعد حدة الاتهامات للحلفاء الاوروبيين بقوله أنهم « لم يتعاونوا في المواجهة مع موسكو ، وهددهم من مغبة المضي قدما في مواقفهم المستقلة بالادعاء انه لولا نجاح الولايات المتحدة في تحقيق وقف سريع لاطلاق النار فان « الاوروبيين كانوا سيتجمدون حتى الموت هذا الشتاء »(٢٨).

وبعد ذلك جاء دور وزير الخارجية الامريكي هنري كيسنجر الذي نترك لمحرر مجلة « التايم » الامريكية رواية مساهمته في حملة التصريحات المدبرة هذه ، اذ يقول(٢٩): « وكان وزير الخارجية يتميز غضبا وهو يخاطب وفدا من البرلمانيين الاوروبيين في واشنطن قائلا لهم انه عندما انفجر الموقف في الشرق الاوسط مما استلزم الولايات المتحدة اتخاذ قرارات مصيرية تصرف الاوروبيون وكأن حلف الاطلسي لا وجود له . وبدلا من التعاون في عمل موحد تهافت الحلفاء الغربيون سعيا وراء تحقيق مكاسب ذاتية » .

ويستطرد محرر مجلة « التايم » الامريكية قائلا: « لقد كرر كيسنجر شكاواه هذه (من الحلفاء الاوروبيين) في جلسة مغلقة للجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الامريكي ، وكان ما يزال يغلي حنقا وغيظا عندما انفضت الجلسة ، اذ سمعه احد مساعديه يقول لاحد اعضاء الكونغرس وهو خارج من القاعة : « لم يعد يهمني ما يحدث لحلف الاطلسي ، فانني مشمئز » ... وقد نفت الخارجية الامريكية ذلك ، بيد انه سواء قال كيسنجر ذلك أم لم يقله ، فان هذا يعكس بدقة مدى قرف الولايات المتحدة من حلفائها الغربيين » ...

وواقع الامر ان حملة التصريحات العنيفة التي وجهها كبار المسؤولين الامريكيين الى الحلفاء الغربيين لم تأت بمحض الصدفة ، وانما هي خطة متعمدة لدفع العلاقات مع دول اوروبا الغربية الى حافة الهاوية بمقتضى سياسة نيكسون المعروفة باسم « ديبلوماسية الصدمات » من أجل اشعار هذه الدول بان امريكا ستتخلى عنها وتتركها وحيدة في مواجهة « الخطر السوفييتي » اذا لم ترضخ رضوخا تاما لمشيئة الولايات المتحدة وتنصاع لها تماما في كل كبيرة وصغيرة ، وتدرك الولايات المتحدة انها بممارستها أسلوب « الابتزاز الدفاعي » هذا تستطيع ان تحقق المكاسب السياسية والاقتصادية التي تريدها على حساب حلفائها الاوروبيين الغربيين . وهذه ليست المرة الاولى التي تلمح فيها امريكا بأنها ستسحب قواتها من اوروبا الغربية البالغ عددها (٣١٩) الفا وتترك اوروبا دون غطاء نووي اذا لم ترضخ لمطالبها سواء من حيث تدعيم الدولار او اجبار المانيا الغربية واليابان على رفع أسعار تحويل عملتيهما الخ...

وقد لخص اخيرا احد كبار المسؤولين في وزارة الدفاع الامريكية موقف امريكا من حلفائها بقوله(٣٠) : « يميل حلفاؤنا الى الاستناد علينا كعكازة ، انهم لا يستطيعون ان يستخدموا الولايات المتحدة كعكازة ثم ان يتظاهروا بأنه ليس بوسعهم ان يقدموا لنا شيئا مقابل ذلك ... ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تتحمل موقفا وسطا في التورط معها » ... وقد أظهرت اجتماعات مؤتمر المجلس الوزاري لحلف الاطلسي الذي اختتم في بروكسل في ١١/١٢/١٩٧٣ ان الخلافات بين امريكا وحلفائها الاوروبيين ما زالت مستحكمة ، وقد عكس البيان المشترك الذي صدر عن هذه الاجتماعات هذه الخلافات اذ جاء فيه انه : « تم تحقيق تقدم ملموس من أجل التوصل الى اتفاق بشأن اصدار بيان مشترك حول العلاقات الاطلسية»(٣١).

لقد فجر التنافس على النفط العربي التناقضات بين الدول الغربية ، وبوسع الدول العربية ، اذا أحسنت المناورة ، ان تعزل الولايات المتحدة عن حليفاتها الاوروبيات واليابان وان لا تتيح لهذه الدول مجتمعة ان تتكتل ضدها، وبمثل هذه المناورة يمكن شل ارادة هذه الدول مما يضمن لاستخدام سلاح النفط النجاح ...

س. ك.

---

١ ــ مجلة « التايم » الامريكية ، عدد ١٢/١١/ ١٩٧٣ ، ص ١٦ .

٢ ــ مجلة « التايم » الامريكية ، عدد ١٢/١١/ ١٩٧٣ ، ص ١٣ .

٣ ــ المصدر ذاته .

٤ ــ المصدر ذاته .

٥ ــ المصدر ذاته .
٦ ــ المصدر ذاته .
٧ ــ المصدر ذاته .
٨ ــ مجلة « التايم » ، عدد ١٩٧٣/١١/١٢ ، ص ١٤ .
٩ ــ المصدر ذاته .
١٠ــ المصدر ذاته .
١١ــ المصدر ذاته ، ص ١٢ .
١٢ــ صحيفة « الاوبزرفر » البريطانية الاسبوعية في ١٩٧٣/١١/٤ .
١٣ــ صحيفة « الايكونوميست » البريطانية في ١٩٧٣/١٠/١٣ .
١٤ــ صحيفة « الانترناشيونال هيرالد تريبيون » في ١٩٧٣/١٠/٢٤ .
١٥ــ نقلا عن نشرة « عالم النفط » في ١١/٣/ ١٩٧٣ .
١٦ــ نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١١/١٧ .
١٧ ــ نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١٢/١ .
١٨ــ نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١١/١٧ .
١٩ــ المصدر ذاته .
٢٠ــ نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١١/١٠ .
٢١ــ نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١١/٣ .
٢٢ــ صحيفة « النهار » البيروتية في ١٠/٣١/ ١٩٧٣ .
٢٣ــ نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١١/٢٤ .
٢٤ــ المصدر ذاته .
٢٥ــ مجلة « التايم » الامريكية في ١٩٧٣/١١/١٢.
٢٦ــ صحيفة « النهار » البيروتية في ١٠/٣١/ ١٩٧٣ .
٢٧ــ مجلة « التايم » الامريكية في ١٩٧٣/١١/١٢.
٢٨ــ المصدر ذاته .
٢٩ــ المصدر ذاته .
٣٠ــ مجلة « التايم » الامريكية في ١٩٧٣/١١/١٢.
٣١ــ صحيفة « النهار» البيروتية في ١٢/١٢/ ١٩٧٣ .

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

التمثيل الفلسطيني

كان ابرز ما واجهته الثورة الفلسطينية خلال الشهر الماضي مسألة تثبيت حقها في تمثيل الشعب الفلسطيني والنطق باسمه . فقد جعلت حرب تشرين الاول — بكل ما حبلت به نتائجها من احتمالات — تمثيل الفلسطينيين قضية مركزية وحاسمة بالنسبة للثورة الفلسطينية ولخصومها على درجة واحدة من الاهمية . ذلك ان من اظهر نتائج هذه الحرب ان المنطقة العربية سادها « اقتناع » ما — اقتناع يصل الى درجة اليقين احيانا — بأن القضية الفلسطينية برمتها قد وصلت الى عتبة التسوية الشاملة التي سيكون فيها الشعب الفلسطيني وبعض الارض الفلسطينية هدفين من جملة اهدافها . ومن منطلق هذا « الاقتناع » الذي تختلف حيثياته وتتناقض كذلك ، تكتسب مسألة تمثيل الشعب الفلسطيني اهميتها التي تتعاظم طردا كلما تكاثرت احتمالات التسوية ، لان هذه المسألة تتعلق بصميم مصير الشعب الفلسطيني والارض الفلسطينية . وقد وصلت هذه المسألة ذروتها المتفجرة في القرار الذي اتخذته القمة العربية في الجزائر باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني . وعلى الرغم من ان هذا القرار لم يكن جديدا ليكتسب مثل هذه الاهمية الكبيرة بل جرى تأكيده في العلن بصيغة او باخرى وعلى اكثر من صعيد عربي وعالمي ، فان قيمته الحقيقية الراهنة تكمن اولا في توقيته الذي جاء في بداية مرحلة جديدة من مراحل القضية الفلسطينية غنية بالاحتمالات ومليئة بالتوقعات والتوقعات المضادة والتي تشير جميع دلائلها الى ان مصير الشعب الفلسطيني سيكون محور اهتمام في واحدة من ادق هذه المراحل واخطرها . وتكمن قيمة قرار التمثيل ثانيا في انه جاء تفشيلا لمسعى النظام الاردني (المستفيد الوحيد من معارضة تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني) نحو اقتناص حق التمثيل لنفسه ومن ثم التصرف فلسطينيا بعواقب هذه التسوية . وقد زاد من قيمة القرار ان تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني قد اقترن بأن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني مرهونة مواصفاتها بارادة المنظمة نفسها . فحسب نص قرارات القمة كما نشرتها « النهار » ١٢/٤ جاء ما يلي : « الالتزام باستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفق ما تقرره منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني » (ذكرت « وفا » ١١/٢٧ ان مؤتمر القمة اتخذ قرارا ينص على الالتزام بحقوق الشعب الفلسطيني كما تعبر عنها منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني) . وكان من الطبيعي ان يتحفظ ممثل النظام الاردني على هذا القرار (النهار ١٢/٤) ويسعى جاهدا لابطاله او تنفيس مفعوله . وقد لجأ النظام الى التهديد بمقاطعة « مؤتمر السلام » احراجا للدول العربية الذاهبة هناك . فقد ذكرت وكالة الانباء الاردنية (١١/٢٦) ان الملك حسين ارسل تعليمات عاجلة الى الوفد الاردني الى مؤتمر القمة تتضمن التأكيد ان « الاردن لن يشترك في مؤتمر السلام اذا قرر مؤتمر القمة اعتبار المنظمات الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني » . وبعد صدور قرار التمثيل قال الملك في خطاب القاه في مجلس الامة الاردني « اننا نرى ان القاء صفة تمثيل اهلنا [!] في هذا المجال على غيرنا معناه اقصاؤنا عن دورنا فيتأمين حق شعبنا في الضفة الغربية وسعينا الى استعادة ارضنا ، الامر الذي يتطلب الايضاح والتبيان مع الاطراف العربية الشقيقة المعنية لنكون على بينة من مسؤولياتنا فنعرف كيف نتقدم

الى هذا المؤتمر [مؤتمر السلام] او كيف نتوقف عن الذهاب اليه » . غير ان هذا الموقف المعلن والذي اراده النظام حاسما لم يمنعه عن محاولة المساومة على قضية التمثيل الفلسطيني في مسعى لابتزاز موقف تنازلي من حركة المقاومة . وقد توضحت ملامح هذا المسعى الاردني ضمن الخطوط التالية :

١ — نزع الصفة الفلسطينية عن فلسطينيي الضفة الغربية او في احسن الاحوال الاصرار على ازدواجية انتمائهم من خلال التأكيد على اعتبارهم اردنيين بالاضافة الى فلسطينيتهم . ففي مذكرة كتبها الملك حسين وكشف بعض نصوصها الاخ ابو أياد في خطاب القاه في جامعة بيروت العربية ١١/٢٧ ذكر الملك ان « الفلسطينيين في الضفة الغربية هم مواطنون اردنيون علما بأنهم فلسطينيون كذلك » . وبذلك فان للنظام الاردني « حقا » في المشاركة بمعالجة قضيتهم من هذا المنظور ، بهدف تثبيت وصايته على الفلسطينيين في الضفة الغربية .

٢ — غير أن الملك يتساءل في مذكرته السابقة بعد أن توصل الى هذا « الاكتشاف » في ازدواجية الانتماء الفلسطيني « من هو الشعب الفلسطيني ومن يمثله وكيف ؟ » غير ان التساؤل ينصب هنا في الاساس على « الفلسطينيين غير الاردنيين » بعد أن حسم الملك قضية «الفلسطينيين الاردنيين»، لذلك فهو لا يعترض « على اشراك وفد فلسطيني في مفاوضات السلام » ، بحيث لا تشمل مهمته قضية الضفة الغربية وفلسطينييها الاردنيين وانما « نشدان حقوق الشعب الفلسطيني ... خارج الضفة الغربية — مثلا غزة — واية مطالب اخرى كاعادة التوطين او التعويض » (من مذكرة وجهها الاردن الى الدول الكبرى نشرتها النهار ١٢/٥) . بتعبير اخر هناك قضيتان منفصلتان تماما الاولى تخص « الفلسطينيين الاردنيين » مفوض بها نظام الاردن ، والاخرى تخص الفلسطينيين غير الاردنيين تناط « بوفد فلسطيني » لا يحدد النظام في هذه المرحلة المبكرة مواصفاته .

٣ — غير أن النظام الاردني في كل محاولاته تلك يسعى الى تطويق منظمة التحرير الفلسطينية فيقترح ان ينضم وفد المنظمة (الذي لن يتحدث عن قضية « الفلسطينيين الاردنيين ») الى الوفد الاردني . جاء ذلك على لسان زيد الرفاعي، رئيس الوزراء الاردني ، (انظر النهار ١٢/٧) « انطلاقا من وحدة الشعب في الضفتين في رأيي ان يضم الوفد الاردني وفدا من منظمة التحرير » ، كما قدمت الحكومة الاردنية عرضا مماثلا حمله مبعوث اردني الى قيادة الثورة في بيروت دعا الى ان يجري تنسيق بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الاردنية بخصوص مؤتمر السلام » (وفا ١٢/٨) . ومثل هذه العروض التي رفضتها المقاومة تكرس وصاية النظام الاردني لا على فلسطينيي الضفة الغربية فحسب وانما كذلك على مجموع الشعب الفلسطيني .

٤ — من تكتيكات النظام الاردني في مسألة التمثيل وبحث مصير الارض الفلسطينية انه لجأ الى محاولة تأجيل البت في المشكلة الى ما بعد التسوية . ففي خطاب الملك حسين في مجلس الامة (١٢/١) قال « اذا يسر الله لنا الامر وسدد خطانا في طريق التحرير [!] فسيكون اول ما نطرحه على كل ابناء فلسطين بالنسبة الى ارض فلسطين ان يعطى لهم الخيار اما ان يبقوا معنا او يتحدوا وايانا او ينفصلوا عنا في استفتاء عام يجري تحت اشراف دولي محايد » . غير انه من الواضح ان قذف المشكلة الى زمن مؤجل لا يعني — حسب هذا المنظور — اعفاء النظام الاردني من السعي الى « التحرير » كما في المنطوق الملكي الذي يعني حقيقة مساهمة النظام في التسوية ممثلا للفلسطينيين .

وعلى الرغم من ان « مؤتمر السلام » كان أحد الاسباب الرئيسية الحاضرة لاثارة مسألة التمثيل الفلسطيني بهذه الحدة ، فان قيادة الثورة الفلسطينية لم تعلن موقفا رسميا من حضوره او عدم الحضور . فقد أكد الاخ ابو عمار (حديث للاهرام — وفا ١١/٢٨) ان الثورة « تحتفظ بحقها في عدم ابداء الرأي الان حول اشتراكها في مؤتمر السلام » ذلك « ان ما يلوح في الافق امام الثورة الفلسطينية الان هو مجرد شيء غير محدد الملامح ومن صالحنا في هذه الحالة ان نظل صامتين » . وهناك تأكيدات علنية جازمة ان حركة المقاومة لم تدع الى هذا المؤتمر فقد أكد ابو عمار « اننا لم نتبلغ شخصيا بهذا المؤتمر الذي يطلق عليه اسم مؤتمر السلام » (وفا ١٢/٣) . غير ان الاخ ابو اياد (في ندوة اقيمت في الجامعة اللبنانية — النهار ١٢/١٢) ذكر « ان المقاومة لم تتلق اي

دعوة لحضور مؤتمر السلام ، **والدعوة الوحيدة جاءت من الرئيس السادات الذي لا يحق لـه** دعوتنا » . وكانت هذه اشارة الى ما تردد من ان الرئيس السادات ابلغ قيادة المقـاومة ان الفلسطينيين قد يدعون في مرحلة متأخرة من مراحل مفاوضات المؤتمر .

على كل حال يبدو واضحا ان قيادة الثـورة الفلسطينية لم تتخذ موقفا حاسما من هذه المسألة، فقد كانت القرارات الوحيدة التي اتخذها المجلس المركزي لمنظمة التحرير في الاجتماع الذي عقده في تشرين الثاني الماضي ذات طبيعة عامة اكدت ما يلي : اولا التمسك بالحق التاريخي للشعب الفلسطيني بتحرير كامل التراب الفلسطيني . ثانيا عدم عودة الضفة الغربية وقطاع غزة الى الملك حسين. ثالثا حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. (ابو اياد في ندوة جامعة بيروت العربية ١١/٢٧). وبجانب ذلك فأن هناك تأكيدا مبدئيا لا تنازل عنه هو أن المنظمة هي الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب الفلسطيني . وقد برز هـذا التأكيـد في جميـع الندوات المتكاثرة التي عقدها رجال المقاومة خلال الشهر الماضي ، بل اكثر من ذلك فأن وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) نظرت الى العمليات التي نفذها الثوار الفلسطينيون في القدس ونابلس والخليل وعلى طريق ناتانيا — تل ابيب (انظـر جدول العمليات العسكرية) من منظور مسألة التمثيـل الفلسطيني . فقد كتب محرر الوكالة السيـاسي (١٢/١١) يقول : « ليس من شك في أن العمليات الاخيرة كانت تعبيرا عن تأييد قرار التمثيل الـذي انتزعته الثورة الفلسطينية بنضالها الطويل الشاق طيلة تسع سنوات والذي تكرس في قرار مؤتمـر القمة الاخير في الجزائر . ان العمليات المؤثـرة الاخيرة التي نفذها ثوارنا الابطال ضـد العـدو الصهيوني انما هي ايضا وفوق ذلك كله تعبير عن رفض جماهير شعبنا ومناضلينا لعودة الملـك حسين ذي التاريخ الاسود المعروف جيدا لـدى شعبنا مثلما هي ايضا تعبير عن ان شعبنا يرفض رفضا قاطعا ان يتصرف احد بقضيته التي دفع من اجلها دماء عشرات الاف الشهداء » .

وقد احدثت قضية التمثيل الفلسطيني تفاعلات ايجابية على اكثر من صعيد لدى مواطني المناطق الفلسطينية المحتلة ، وقد اوردت الانباء نتـائج هذه التفاعلات من خلال البيانات التي اصدرها عدد من المنظمات والهيئات هناك (انظر نصوصها في وفا ١٢/١١) . فقد ذكرت ان منشورات ثورية وزعت في معظم مدن الضفة الغربية وقطاع غـزة يومي ١٠ و١١ كانون الاول جاء فيها « ان منظمة التحرير الفلسطينية وطلائعها المقاتلة هي الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب الفلسطيني » ودعـت المواطنين الى الالتفاف حول الثورة الفلسطينيـة لهذا الاعتبار . كما طالب بيان وزعته « الجبهة الوطنية الفلسطينية » شعبنا « ان يوحد كلمته ويرص صفوفه ويلتف من حول منظمة التحريـر الفلسطينية فهي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني». كذلك أصدرت الهيئة الاسلامية في القدس بيانـا أعلنت فيه « تأييدها لمقررات مؤتمر القمة » وكانت تلك اشارة ضمنية الى قرار التمثيل الفلسطيني . كما أصدرت هيئة تجمع النقابات المهنية في القدس بيانا أعلنت فيه « تأييدها التام لقرارات مؤتمـر القمة ، وخاصة البند الذي يؤكد على ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيـد للشعب افلسطيني » ، وجاء في بيان لرابطة الطلاب الفلسطينيين في الضفة الغربية ان « منظمة التحرير الفلسطينية وطلائعها الثوريـة المقاتلة الممثلـة الشرعية الوحيدة للتحدث باسم جماهير الشعـب الفلسطيني في داخل وخارج فلسطين المحتلة » .

ان مسألة التمثيل الفلسطيني قد خمرت بين الفلسطينيين حالة ايجابية جديدة تستطيع قيـادة الثورة استثمارها والارتقاء بها الى افق جديد من النضال السياسي خاصة داخل فلسطين المحتلة ، وبذلك تكرس حتى النهاية شرعية تمثيلها لجماهير الشعب الفلسطيني في نضالها المتعدد الجبهات .

الوفد الفلسطيني في موسكو

كان قيام وفد من منظمة التحرير الفلسطينيـة برئاسة الاخ ابو عمـار بزيارة الى الاتحـاد السوفياتي من جملة تحرك المقاومة السيـاسي لاكتشاف آفاق المرحلة واسماع الرأي الفلسطيني الى الاصدقاء . وقد استغرقت هذه الزيارة التي ابتدأت في التاسع عشر من تشرين الثاني الماضي ستة أيام ، وضم الوفد الفلسطيني بالاضافة الى الاخ ابو عمار كلا من الاخوة فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمـة التحريـر الفلسطينية (فتح) وزهير محسن ، رئيس الدائرة العسكرية في المنظمة (الصاعقة) واحمد اليماني، رئيس دائرة التنظيم الشعبي في المنظمة (شعبية)

وعبد الوهاب الكيالي ، عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة (جبهة عربية) ونايف حواتمه ، امين عام الجبهة الشعبية الديموقراطية وابو صالح عضو اللجنة المركزية لفتح . وقد ذكرت « فلسطين الثورة » (١١/٢٨) ان الوفد الفلسطيني « اجرى مباحثات هامة مع المسؤولين السوفيات فتناولت الاجتماعات الموقف الفلسطيني والعربي والدولي من قضية الشرق الاوسط . وعلى الرغم من أن تفاصيل المحادثات احيطت بكثير من الكتمان الاعلامي من كلا الفريقين الفلسطيني والسوفياتي فقد كثرت التكهنات الصحافية حول هذه التفاصيل، فقد ذكرت « النهار » (١١/٢٥) على سبيل المثال — استنادا الى « مصادر مطلعة » — ان « المسؤولين السوفيات ابلغوا المقاومة الفلسطينية رسميا أنهم يؤيدون اشتراك المقاومة في مؤتمر السلام على أساس ان منظمة التحرير الفلسطينية هي التي تمثل الشعب الفلسطيني وابلغ السوفيات وفد المقاومة انهم يريدون ان يشترك الفلسطينيون في المؤتمر من بدايته .. وأكد السوفيات لوفد المقاومة انهم يؤيدون اقامة دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة وغير منزوعة السلاح في الضفة الغربية وغزة والقدس ... واقترح السوفيات على الوفد تأليف حكومة فلسطينية تضم شخصيات من الضفة الغربية وغزة وترسل هي عنها وفدا الى مؤتمر السلام ... وشدد السوفيات في شكل استثنائي على ضرورة توحيد الموقف الفلسطيني... وأكد المسؤولون السوفيات ان حركة المقاومة يجب ان تتبع خطة مرحلية لتحقيق اهداف الشعب الفلسطيني » .

مقابل ذلك اوردت وكالة « تاس » السوفياتية للانباء (١١/٢٦) الموضوعات التي جرى البحث فيها كما يلي « ان ياسر عرفات أطلع محدثيه على اهداف ومهام حركة المقاومة الفلسطينية خلال المرحلة الراهنة وتعاون منظمة التحرير في النضال من أجل السلام العادل في الشرق الاوسط مع كل البلدان العربية المناضلة من أجل ازالة اثار العدوان الاسرائيلي والتسوية السياسية لنزاع الشرق الاوسط وتأمين الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني . وقد جرى اثناء المحادثات تأكيد الاهمية البالغة في التضامن المتعزز بين البلدان العربية والتنسيق المتزايد لاعمالها في النضال من اجل ازالة اثار العدوان الاسرائيلي ... وقد أكد الجانب السوفياتي العزم مستقبلا كذلك على ابداء المساعدة والدعم الى نضال الشعب العربي الفلسطيني من أجل تأمين حقوقه الوطنية الشرعية » . ويلاحظ في هذا النبأ الذي وزعته وكالة « تاس » الجملة التي تنص على « التسوية السياسية لنزاع الشرق الاوسط » واقترانها بتعاون منظمة التحرير مع البلدان العربية ، كما يلاحظ كذلك ان البيان أبرز مرتين ان الوفد الفلسطيني اجرى محادثاته مع اللجنة السوفياتية للتضامن الافرو — اسيوي مع ان المحادثات الرسمية قادها من الجانب السوفياتي بوناماريوف ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المرشح للمكتب السياسي ، وهو جهة ارفع مسؤولية واكثر رسمية من لجنة التضامن .

هذا ، وقد وصف الاخ ابو عمار (وفا ١١/٢٨) محادثاته في موسكو بانها « صريحة كما كانت في الوقت نفسه مفيدة جدا للثورة الفلسطينية » وقال « لقد شعرت خلال محادثاتي في موسكو مع المسؤولين السوفيات برغبة صادقة في دعم وتأييد الشعب الفلسطيني ، وقد أعلن لي القادة السوفيات انهم يؤيدون حقوق الشعب الفلسطيني ويساندون امانيه » .

اتصالات دولية

بجانب زيارة موسكو اجرت حركة المقاومة عدة اتصالات بهدف تعزيز علاقاتها الدولية واكتساب مواقع صداقية جديدة ، فقد قام وفد فلسطيني بزيارة داكار واجتمع بليوبولد سنغور ، الرئيس السنغالي ، (١١/٢٨) . وذكرت « وفا » ان الرئيس السنغالي اكد للوفد « تأييد بلاده لنضال الشعب الفلسطيني وكفاح الثورة الفلسطينية المسلح لتحرير فلسطين واقامة الدولة الديموقراطية الفلسطينية » . وقالت ان الوفد زار السنغال بدعوة من رئيسها . وقد خصص سنغور طائرة للوفد لينتقل الى جمهورية ساحل العاج في زيارة رسمية لها بدعوة من رئيس جمهوريتها لتعزيز علاقة الثورة الفلسطينية بجمهورية ساحل العاج. وذكرت « وفا » (١٢/٧) ان وفد الثورة اختتم زيارته لساحل العاج بعد أن سلم الرئيس يونيه رسالة من الاخ ابو عمار تحمل الشكر والتقدير لقيام ساحل العاج بقطع علاقاتها مع اسرائيل وقد اجتمع الوفد بالرئيس يونيه عدة ساعات وكذلك

بوزير خارجيته اللذين أكدا تأييد ساحل العاج لنضال الشعب الفلسطيني .

وقام وفد فلسطيني برئاسة الاخ فاروق القدومي بزيارة الى بلغراد (١٢/٤) تلبية لدعوة رسمية من التحالف الاشتراكي اليوغسلافي . وقالت «وفا» (١٢/٥) ان المباحثات التي أجراها الوفد هناك ستسهم في تعزيز العلاقات الكفاحية بين الثورة ويوغسلافية ، اذ سيتم رفع درجة التمثيل القائم بينهما من مكتب اعلام فلسطيني الى مكتب رسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وفي ١٢/٧ وصل وفد فلسطيني الى جمهورية مالي في زيارة لها بدعوة من موسى تراوري ، رئيس الجمهورية ، وقد حمل الوفد رسالة من الاخ ابو عمّار تنقل تحياته وتقديره والشعب الفلسطيني للرئيس تراوري وحكومة مالي وشعبها مع الموقف المؤيد لنضال الشعب الفلسطيني .

وفي اليوم نفسه سلم وفد فلسطيني رسالة خاصة من الاخ ابو عمار الى احمد سيكوتوري ، الرئيس الغيني ، كما سلم رسالة اخرى الى رئيس جبهة التحرير في غينيا بيساو . وقالت « وفا » (١٢/٧) ان الوفد الفلسطيني كان قد سافر الى غينيا للمشاركة في الاحتفالات التي جرت لمناسبة الذكرى الثالثة لصد الغزو البرتغالي .

النضال المطلبي الفلسطيني

شهدت المخيمات الفلسطينية خلال اشهر تموز وآب وايلول الماضية موجة من الاضرابات لمواجهة سياسة وكالة غوث اللاجئين (الاونروا) انتهت باتفاقات قامت بها اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان مع الاونروا تحققت بموجبها بعض مطاليب الفلسطينيين في تحسين احوالهم المعيشية (راجع « شؤون فلسطينية » العددين ٢٥ و٢٦) غير أن هذه الموجة التي خفت حدتها بهذه الاتفاقات قد عادت مرة اخرى الى الظهور لان « المخيمات الفلسطينية تعيش حالة تململ نتيجة للخدمات السيئة التي تقدمها [الاونروا] للمخيمات ولعدم وفائها بالاتفاقات التي تمت بينها وبين اللجنة السياسية لشؤون الفلسطينيين في لبنان » (وفا ١١/٢٨) وقد ظهرت بوادر هذه الموجة الجديدة من الاضرابات الهادفة الى تحقيق خدمات معيشية افضل ، على صعيد مدارس الاونروا ، فقد قام الطلبة الفلسطينيون في هذه المدارس باعتصام بدأوه داخل صفوفهم في ١١/٢٦ مطالبين بتأمين الكتب المدرسية وتوفير التجهيزات الضرورية اللازمة لمدارسهم وتأمين العدد الكافي من المعلمين تلافيا للنقص في الجهاز التعليمي في هذه المدارس . وقد صعد الطلبة اعتصامهم في اليوم التالي فقام بعضهم بالاعتصام داخل مكاتب الاونروا في سن الفيل والحازمية . وقد ساهم المعلمون الفلسطينيون في هذه الحملة الطالبية فأصدر اتحادهم العام في لبنان بيانا (١١/٢٧) شرح ممارسات الوكالة تجاه الطلبة وكشف عن الاوضاع التي تعانيها المدارس الفلسطينية نتيجة سياسة الوكالة وأكد على النقاط التالية « ١ — تنافي هذه السياسة مع أبسط المبادىء التربوية الصحيحة . ٢ — تنافي هذه السياسة مع الانظمة التربوية المرعية في لبنان . ٣ — خطر هذه السياسية بتحويلها العملية التعليمية الى عملية زرابة ، في الصف » .

وقد تكثف هذا الاضراب في منطقة بعلبك ، وقادت اللجنة الشعبية في مخيم الجليل هذا الاضراب وحددت المطالب التي تقدمت بها للوكالة بما يلي (وفا ١١/٣٠) : اولا : الضرورة القصوى لوجود المدافىء في مدرسة القسطل التكميلية نظرا لشدة البرد . ثانيا : نقص الكتب المدرسية للصفوف التكميلية وعدم توفير المياه والشبابيك . ثالثا : النقص في الادوية وعدم اجراء العمليات الا على نفقة اصحابها في مستشفى تل شيحا . رابعا : تزفيت الاماكن الموحلة داخل المعسكر وسطوح الابنية وترميم المساكن وابدال الزينكو بألواح جديدة وبناء جدران داخل البركسات والابنية محل الكرتون . خامسا : عدم صلاحية بناء مدرسة الجرمق في تعلبايا . وقد حدد البيان الذي اصدرته اللجنة الشعبية مهلة اسبوعين لتقوم الوكالة بتنفيذ هذه المطاليب واكد ان الاضراب سيستمر ويتصعد.

وقد أصدرت اللجنة في وقت لاحق بيانا (نشرته وفا ١٢/٥) ذكرت فيه انه قد عقد اجتماع بين نائب المدير العام لوكالة الغوث و« مندوبين عن جماهير البقاع المعتصمة » تعهد فيه المذكور بتنفيذ المطاليب التالية : (١) ان تباشر الوكالة يوم ١٢/٤ بتركيب المدافىء وتصليح نوافذ المدرسة . (٢) ان تقوم الوكالة بتزفيت المناطق الموحلة في المخيم بأسرع وقت ممكن . (٣) ان تعيد الوكالة تزفيت سطوح المنازل في المخيم بمواد صالحة وذلك لعدم جدوى

التزفيت الذي أجرته الوكالـــة في اول الشتاء . (٤) ان تباشر الوكالة فورا ببناء جدران داخل البركسات والابنية مكـــان الكرتون . (٥) ان تستبدل الوكالة الواح الزينكو لسقـــوف المنازل بالواح جديدة من خلال الطلبات التي تقدم لمدير المخيم . (٦) نقل سيارة الاسعاف من زحلة الى المخيم واستعمالها في الحالات الطارئة. (٧) يكلف طبيب الاسنان بمعاينة الفلسطينيين منسكان تعلبايا دوريا كما هو حاصل في معسكر الجليل. (٨) يكلف الدكتور المشرف على الخدمات الطبية في الوكالة يوم ١٢/٥ ببحث مشكلة اجراء العمليات الجراحية مع ادارة مستشفى تل شيحا لعقـــد اتفاق جديد يضمن مطاليب الجماهير الفلسطينية ومصلحتها . (٩) أن تدفع الوكالـــة تكاليف جميع الحالات الطارئة في مستشفى تل شيحا لحين ابرام الاتفاق الجديد . (١٠) زيادة كميـــة الادوية المخصصة لمنطقة البقاع .

ونتيجة هذه الوعود أعلنت اللجنة الشعبية في بيانها الرجوع عن الاضراب الذي اعتبرته « ليس تراجعا على الاطلاق ، وانما هو مهلة لاختبـــار جدية الوكالة في تنفيذ وعودها ، واذا استمرت في تجاهل هذه المطاليب سنتحرك مجددا بأساليب أكثر فاعلية وأشد تأثيرا لانتزاع حقوقنا التي تهضمها وكالة الغوث الدولية » .

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

اولا : مؤتمر القمة :

لقد عقد مؤتمر القمة العربي ، بعد أكثر من شهر ، على انتهاء معركة تشرين . دعت الى المؤتمر مصر وسورية ، على ان تكون الجزائر مكان انعقاده . شاركت في المؤتمر كل الـــدول العربية ، ما عدا العراق وليبيا . وارســـل الملك حسين وفدا برئاسة بهجت التلهوني رئيس الديوان الملكي .

اتخذ المؤتمر قرارات أهمها :

١ ـــ اعتبار منظمة التحرير الممثل الوحيـــد للشعب الفلسطيني . ان هذا القرار هام وتاريخي، وهو انتصار لشعب فلسطين ، لانه قلص دور النظام الاردني في تمثيل الفلسطينيين .

٢ ـــ التمسك بمقررات مؤتمرات القمة السابقة ومنها مؤتمر الخرطوم : ان أهمية هذا القرار تنبع من ان أية تسوية مقبلة ستكون مشـــروطة بلاءات الخرطوم الثلاث .

٣ ـــ عقـــد مؤتمـــر القمـــة سنويـــا : وسيعقد المؤتمر القادم في نيسان القادم . ان هذه الخطوة هامة لانها توجد اطارا لتحرك عربي رسمي منتظم . وهذا الاطار يخدم الذين يقاتلون او يناورون ، ويقود الى خطوات موحدة ، حتى ولو كانت محدودة (الانوار ١١/٣٠) .

٤ ـــ انشاء قيادة عربية موحدة : وعلى الرغم من ان القيادة العربية الموحدة أنشئت منذ سنة ١٩٦٤ ، فان اعادة تكوينها ضرورية ، ولا تعدم بعض الفوائد ، ولو كان ذلك في أضيق الحدود . (الانوار ١١/٣٠) .

٥ ـــ انشاء صندوق للدعم العسكري : ان هذا القرار من أهم القرارات ، لان الدول العربيـــة حددت التزاماتها فيه . (الانوار ١١/٣٠) .

٦ ـــ انشاء صندوق الدعوة . وصندوق الدعوة هدفه القيام بنشاط اعلامي واسع لخدمة القضية عالميا. وقد رصد مبلغ خمسة ملايين دولار للصندوق، على ان يمول بثلاثة ملايين اخرى كل سنة . (المحرر ١١/٣٠) .

٧ ـــ انشاء بنك عربي افريقي للتنمية : حدد

رأس المال بمبلغ ٢٥ مليون دولار مبدئيا ، باعتبار ذلك مرحلة اولى . واهمية هذا القرار تنبع من ان افريقيا اتخذت قرارات مؤيدة للعرب ، وقطعت معظم دولها العلاقات مع دولة الاحتلال الصهيوني، وضحت دول كثيرة من أجل ذلك بمصالحها . وهذا يستوجب الاهتمام بالدول الافريقية والعمل على حل بعض مشاكلها الناجمة عن مقاطعة اسرائيل (الاخبار ١١/٢٩) .

٨ — واتخذت مجموعة قرارات بالنسبة لافريقيا ، عدا انشاء البنك العربي — الافريقي . ومن هذه القرارات : أ — ان تقاطع جميع البلاد العربية التي لم تقاطع بعد ، جنوب افريقيا وروديسيا والبرتغال . ب — ان تطبق المقاطعة الكاملة لهذه الدول بتروليا. جـ — ان تعزز المساندة الدبلوماسية والمادية لحركات التحرر الوطني في افريقيا . د — ان تتخذ الترتيبات الخاصة لاستمرار مد البلاد الافريقية الشقيقة بالبترول (الاخبار ١١/٢٩) .

واصدر المؤتمر بيانا ختاميا جاء فيه : « ان العالم العربي يجتاز مرحلة حاسمة من تاريخه ، وتعد محاربة الغزو الصهيوني مسؤولية تاريخية طويلة المدى وتتطلب الكثير من المعاناة والتضحيات» (الاخبار ١١/٢٩) وقال البيان انه لن يكون هناك سلام دائم ولا أمن حقيقي في منطقة الشرق الاوسط ما لم يتم ازالة أسباب الحروب العدوانية والتوسعية التي تضع العالم على عتبة الحرب عامة » (الاخبار ١١/٢٩) .

كما أكد البيان ان لتحقيق السلام « فانه ينبغي توافر عدد من الشروط من بينها شرطان مقدسان ولهما الاولوية : الاول : انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة واولها القدس . والثاني : استرداد الشعب الفلسطيني لكافة حقوقه الوطنية» (الاخبار ١١/٢٩) .

ووجه المؤتمر اربعة بيانات الى دول افريقيا والدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز ودول اوروبا الغربية .

كان هنالك المتفائلون الراضون عن نتائج المؤتمر وكان هنالك المتشائمون الغاضبون .

وقد صرح الرئيس بومدين ، بعد نهاية المؤتمر قائلا : « اننا خرجنا من هذا المؤتمر بتصور كامل للمستقبل كأمة عربية واحدة ، ثم وضعنا سياسة عربية افريقية شاملة ، واتخذنا موقفا موحدا لدعم الحركات التحررية الافريقية والاتفاق على لقاء عربي — افريقي وتعاون اقتصادي بينهما في صورة بنك عربي — افريقي » وأضاف : « اننا وضعنا خطة محكمة لاستخدام البترول تقوم على أسس موضوعية » ، وزاد على ذلك قائلا : « ان أهم ما تحقق في مؤتمر القمة العربي بالجزائر اننا نتحرك في هذا كله كمجموعة عربية لان التجمعات الكبرى لا تتأثر بنا الا كمجموعة عربية متفقة ومتعاونة سياسيا وعسكريا واقتصاديا ودبلوماسيا . وبالاضافة الى ذلك فلقد تحدد لاول مرة وبصورة قاطعة الاجابة على من يمثل شعب فلسطين. وانتهى المؤتمر الى اقرار ان الفلسطينيين هم الطرف الشرعي الذي يتحدث باسم شعب فلسطين».وحين سئل اذاكان موضوع مؤتمر السلام قد بحث او لم يبحث قال: لم يكن مدرجا على جدول الاعمال ولكن من الناحية العملية « اتخذنا قرارات لتحرير الارض وحددنا شروط ووسائل تحقيق السلام الحقيقي الدائم والقائم على العدل على اساس انسحاب اسرائيل الفوري من كل الاراضي العربية بما فيها القدس مع رفض تدويلها وصيانة حقوق الشعب الفلسطيني حسب التصور الذي تقدمه المقاومة » (الاهرام ١٢/١) .

وصرح الحبيب بورقيبه قائلا : ان المؤتمر كان مرضيا . وقد توصلنا بعد المناقشات والمشاورات الى نتائج ملموسة ارجو ان تتحقق في المستقبل القريب . وأعرب عن اعتقاده بأن نتائج المؤتمر كانت ايجابية واوضح ان كل التوصيات التي تمخض عنها المؤتمر يجب ان تطبق في اقرب فرصة. وأكد الرئيس التونسي ان المناقشات جرت بروح من الاخوة والتضامن وان كل دولة عربية أعلنت مقدار مساهمتها المالية في مختلف المشروعات التي سيتم تنفيذها على المستوى العربي ، والتي تبلغ تكاليفها مائة مليون دولار ، ويبلغ نصيب تونس ٥ ملايين . وأعرب الرئيس التونسي عن اعتقاده بأن المؤتمر تمكن من بلوغ أهدافه وقال ان الهدف الاول هو قبول العرب لحل وسط لا يستهدف القاء اليهود في البحر . ويرتكز هذا الحل على اساس العودة الى قرار الامم المتحدة الصادر في عام ١٩٤٧ ، وهو الامر الذي حاز قبول الفلسطينيين أنفسهم » (الحياة ١١/٣٠) .

وفي ليبيا اذاعت الاذاعة تعليقا هاجمت فيه

مؤتمر القمة وجاء في هذا التعليق : « البيان الختامي جاء مخيبا لامال الجماهير العربية وضد ارادتها » . وذكر التعليق ان مؤتمر الخرطوم قرر ثلاثة مبادىء : لا سلام ، لا اعتراف ، لا صلح . وقال راديو طرابلس الغرب : لكن مؤتمر القمة العربية الذي عقد في الجزائر انتهك هذه القرارات وأبطلها » (المحرر ١١/٣٠) .

ثانيا : مؤتمر السلام :

كان مؤتمر السلام جزءا من قرار وقف اطلاق النار الذي اتفق عليه الطرفان السوفيـاتي والاميركي ، خلال اجتماع كيسينجر بالمسؤولين السوفيات في موسكو اثناء حرب تشرين .

وكان من المفروض ان يجيء مؤتمر السلام تتويجا لخطوات تنفيذية على طريق تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . الا ان المؤتمر سينعقد والقوات في الاماكن التي بلغتها ، لا عند وقف اطلاق النار ، بل بعد ذلك ايضا .

وكان من المقرر ان يعقد المؤتمر في ١٨ كانون الاول فجرى تأجيله ثلاثة ايام .

ومن المفيد ان نحدد مواقف الدول العربية الثلاث المدعوة للمشاركة فيه :

أ — **مصر** : لقد طرح الرئيس السادات فكرة مؤتمر السلام في خطابه الذي القاه قبل نهاية القتال . وان كانت طروحاته تختلف عما قررته المعركة فيما بعد . ولقد حرصت مصر على ان تبلغ الدولتين العظميين ثلاثة شروط لحضورها مؤتمر السلام وهي : ١ — ان يقوم مجلس الامن بدعوة الاطراف المعنية . ٢ — ان يحضر الامين العام للامم المتحدة الاجتماعات التمهيدية وان يعين مندوبا عنه . ٣ — ان تشترك كل الاطراف المعنية ، على أن تشترك منظمة التحرير في وقت لاحق (الانوار ١٢/١٠) .

وكانت مصر قد أبلغت واشنطن وموسكو انها لن تحضر مؤتمر السلام اذا لم تنسحب اسرائيل الى خطوط ١٩٧٣/١٠/٢٢ . (المحرر ١٢/٧) .

وقد أعلن في القاهرة يوم ١٢/١٠ ان مشروع دعوة وجه الى مصر . واوردت الاهرام الملابسات التي تحيط بالمؤتمر ، وهي : ١ — ليس للمؤتمر ضوابط غير أحكام الشرعية الدولية أي قرارات الامم المتحدة . ٢ — هناك أكثر من طرف عربي مقابل اسرائيل . ٣ — لا ينبغي التعجل ولكن لا يجوز ان يصبح المؤتمر ساحة للمراوغـة . ٤ — ضرورة التركيز على النقاط الواضحة . ٥ — الذهاب الى المؤتمر لا يلغي احتمالات القتال (الانوار ١٢/١١) .

واعلن الدكتور عبد القادر حاتم ان « اشتراك الفلسطينيين في المؤتمر اعتراف دولي بحقوقهم » (النهار ١٢/٩) .

ويبدو ان كل الاجراءات قد تم الاتفاق عليها ، وان مصر كانت ستحضر يوم ١٢/١٨ .

ب — **سورية** :

أعلنت سورية ، رسميا ، أنها لن تشترك في مؤتمر السلام . جاء ذلك في بيان صدر بتاريخ ١٢/١٨ ، ورد فيه : « في ضوء الاتصالات التي تمت أخيرا ومنها الاتصالات مع مصر ومع الولايات المتحدة الامريكية خلال زيارة وزير خارجيتها لدمشق وفي ضوء مختلف المعطيات التي توفرها الظروف الراهنة والتي تشير الى مجموعة من المناورات تستهدف خدمة المصالح الاسرائيلية ، كما تستهدف تحويل المؤتمر لبحث امورا جزئية تجرنا الى متاهات لا نهاية لها ، بغية تمييع القضية الاساسية واضاعة الطريق اليها في وضع برنامج الانسحاب الكامل من الارض التي احتلت عام ٦٧ وفي وضع صورة محددة تؤمن حقوق الشعب العربي الفلسطيني . في ضوء ذلك تقرر عدم اشتراك الجمهورية العربية السورية في مؤتمر جنيف الذي سيعقد في ٢١ كانون الاول ١٩٧٣ » .

جـ — **الاردن** :

حاول الملك حسين ان يؤثر في قرار مؤتمر القمة بالجزائر ، فيما يتعلق بقضية تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر السلام ، فأعلن ان الاردن سيقاطع المؤتمر اذا مثلت المنظمة الشعب الفلسطيني . (١١/٢٨) .

وظل الاردن يحاول ان « يلعب » على هذه القضية . وكل ما يريده ان يبقى موضوع التمثيل غائما وضائعا . وحين تحدث بهجت التلهوني ، رئيس الديوان الملكي أشار الى ان الاردن يعتبر قضية فلسطين قضية الدول العربية والامة العربية بمجموعها وانطلاقا من هذا المبدأ فان الاردن : « يعتبر كل الدول العربية ممثلة وتحمل على كاهلها

أعباء تحرير الاراضي العربية واستعادة حقــوق الشعب الفلسطيني » . وأضاف : « ان التمثيل في القضية العربية يبقى لكل الدول العربية ، بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية حتى تتحرر الارض ويزول الاحتلال عن الشعب الفلسطيني ، ويقرر هذا الشعب المناضل الابي ويختار وفــق ارادته ومشيئته ومراده » (النهار ١٢/٥) . وعاد الملك حسين فاعلن ان الاردن : « لن يشترك الا اذا اتفق مع الدول العربية المعنيــة بالقرار ٢٤٢ على موقف مشترك يلتزم به ... ». (النهار — الحياة ١٢/١١) .

وعلى الرغم من هذه التصريحات المختلفة ، فان الاردن سيشارك في مؤتمر السلام ، خاصة بعد ان ضمن عدم مشاركة منظمة التحرير في المرحلة الاولى على الاقل .

هل اتفقت الدول الثلاث على خطة ؟ لا نعلم ولكن من المؤكد ان سورية ومصر اتفقا على خطة لمواجهة المؤتمر ، ولمواجهة المراوغة الاسرائيلية .

ويحاول النظام الاوروبي في هذه الايام ان يدخل مؤتمر السلام على اساس عدم تجزئة القضية وعدم المساومة على جزء من الاراضي المحتلة على حساب جزء آخر . ومثل هذا الطرح هدفه الايحاء للدول العربية بأن الاردن لا يسعى الى صلح منفرد . كما ان هدفه من الجهة الاخرى ان يساوم بأوراق مصر وسورية ، لانه لم يدخل الحــرب وليس له موقع قوة يساوم منه . ومن هنا فــان الموقف الاردني لا يمكن الاعتماد عليه .

ثالثا : محادثات الكيلو ١٠١

عندما اختار الاسرائيليون الكيلو ١٠١ مكانا للمحادثات، هدفوا من ذلك الى الكسب السياسي. أرادوا ان يقولوا نحن هنا موجودون . وكان يمكن مثلا ان تتم المحادثات على قناة السويس او في أي مكان آخر . ولقد تحولت اجتماعات الخيمة عند الكيلو ١٠١ الى حفلات تصـــوير للصحافة والتلفزيون . وكان واضحا ما يريده الاميركيون والاسرائيليون منها ، عندما أخذ الوقت يمضي دون ان تحقق شيئا يذكر .

وأمام المراوغة المستمرة التي يقوم بها العــدو في الخيمة عند الكيلو ١٠١ كان لا بد من أن تقول مصر كفى . ولقد أعلنت مصر توقف المحادثات . وردت الصحف تفاصيل المراوغة الاسرائيلية التي سبقت انقطاع المحادثات . وذكرت الصحف ان مصر قدمت عدة اقتراحات رفضها العدو وأصر على موقفه . وأشارت الصحف الى ان ياريف لم يقبل بمناقشة قضية العودة الى خطوط ١٠/٢٢ (المحرر ١٩٧٣/١٢/٢) (الاهرام ١٢/١) .

وبعد ان اوقفت مصر المفاوضات استقبل الرئيس السادات سفيري الولايات المتحدة والاتحــــاد السوفياتي ، واوضح لهما موقف مصر مـــن مباحثات الكيلو ١٠١ وقرارها وقف هذه المباحثات، وذلك نتيجة استمرار اسرائيل في خرق وقف اطلاق النار وعدم جديتها في مناقشة الانسحاب الــى مواقع ١٠/٢٢ ، تنفيذا لقرارات مجلس الامن واتفاقية ١٩٧٣/١١/١١ (الاخبار ٧٣/١٢/٢) . وأشارت الانباء ايضا الى ان الرئيس الســادات طلب تدخل اميركا والاتحاد السوفياتي (النهار ١٢/٢) .

وهكذا توقفت محادثات الكيلو ١٠١ ، لتكون صفحة من صفحات الصراع مع مراوغة العدو ، حتى لا ينسحب من أرضنا ، وحتى يكسب الوقت. ان محادثات الكيلو ١٠١ صورة عما يمكن ان تكون عليه المفاوضات مع العدو .

ناجي علوش

ملحـق القضية الفلسطينية عربيا : النظام الاردني يسقط في الاختبارات المتعددة

منذ وقف اطلاق النار في الرابع والعشرين من شهر تشرين الاول (اكتوبر) الماضي ، وميدان العمل السياسي يشهد تحركات واتصالات اردنية مكثفة ، تستهدف في مجموعها الاجابة عـــلى المعضلات السياسية التي خلفتها الحرب وتفاعلاتها السياسية في المنطقة العربية وفي الساحة الاردنية على وجه الخصوص .

لقد كان من أهم ما اسفرت عنه حرب تشرين انها دفعت قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ أمام احتمال وضعه موضع التطبيق العملي . وكان هذا واضحا في قرار المجلس رقم ٣٣٨ الصادر في ١٩٧٣/١٠/٢٢ ، الذي نص على وقف اطلاق النار تمهيدا لدخول الاطراف المعنية الى « مؤتمر سلام » يعقد تحت « اشراف مناسب » لتطبيق قرار المجلس الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ . وبالطبع فان الاردن وهو أحد الاطراف المشمولة بذلك القرار الدولي ، قد بدأ يعد اوراقه في انتظـــار توجيه دعوة رسمية له للمشاركة بأعمال مؤتمر السلام . وفي نفس الوقت بدأ في « اتصال مستمر مع اميركا وروسيا وبريطانيا وفرنسا ومع كل دول السوق الاوروبية المشتركة » كما قال بذلك رئيس الوزراء الاردني زيد الرفاعي لمندوبة جريدة الانوار اللبنانية (الدستور ١٩٧٣/١١/٧) .

ورغم ان الاردن « دولة احتلت اراضيها في حزيران ١٩٦٧ وهذه الارض مشمولة بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وكذلك حق السيادة على الجزء العربي في مدينة القدس » (تصريح الملك حسين لجريدة الانوار ١٩٧٣/١١/٤) ، فان العقبات التي كانت تنتظره على طريق مؤتمر الســـــلام صعبة وكثيرة . فبين حربي العام ١٩٦٧ والعام ١٩٧٣ ، أصبحت الشخصية الوطنية الفلسطينية ــ من خلال الكفاح المسلح ــ ذات حضور سياسي طاغ على مختلف الاحداث والتطورات في هـــذه المنطقة من العالم . واذا كان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ قد صدر قبل ان تستكمل هذه الشخصية الوطنية كافة ملامحها ، فانه بعد ست سنوات من ذلك ، يصعب معالجة المسألة الفلسطينية على اعتبار انها مسألة لاجئين كما ورد في قرار المجلس رقم ٢٤٢ . وكان اول من ادرك هذه الحقيقـــة النظام الاردني نفسه ، فجاء مشروع « المملكـــة العربية المتحدة » الذي اعلن عنه الملك حسين في ١٥ اذار (مارس) ١٩٧٢ ، ليصادر كافة التطلعات الوطنية الفلسطينية المشروعة ضـــمن اطار « اقليم فلسطيني » في المملكة العربية المتحدة. لذلك كان على النظام الاردني قبل ان يذهب الى مؤتمر السلام ، ان يعالج مسألة التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني بالحصول على اقرار فلسطيني او اعتراف عربي بحقه في التحدث على مائدة المؤتمر باسم الشعب الفلسطيني .

التحرك الاردني على الصعيد العربي

بدأ الملك ومبعوثوه ، تبيل انعقاد مؤتمر القمة العربي ، بجولة من الاتصالات في عواصم عدد من الدول العربية ، فاستقبل الرئيس الســــوري حافظ الاسد المستشار السياسي الخاص للملك عامر خماش في دمشق ، وسلمه « رسالة عاجلة » من الملك لم تعلن طبيعتها (الدستور ٩٧٣/١١/١١). وبعث الملك حسين برسالة اخرى الى الرئيس المصري انور السادات حملها فتحي قنديل سفير مصر في الاردن الىالقاهرة (الدستور٩٧١/١١/١٣). وكان الملك حسين قد قام يوم ١٩٧٣ /١١/١١ بسلسلة من الزيارات الخاطفة الى كل من سلطنة عمان وقطر والبحرين في الخليج العربي ، ثم زار الريـــاض وابـــو ظبـــي والكـــويت ودمشق فـــي اليوم التالي (الدستور ١٩٧٣/١١/١٣) . ونقلت « الدستور » عن صحيفة الحياة اللبنانية مـــا يستدل منه على طبيعة هذه الزيارات بقـــولها « لقد تلقى الملك حسين تأكيدات حاسمة من جانب أغلب الملوك والرؤساء العرب ، بأنهم سيرفضون اي مشروع لحل ازمة الشرق الاوسط على **حساب الاردن** » (الدستور ١٩٧٣/١١/١٣) . وكـــان الملك حسين قد عاد فجر يوم ١٩٧٣/١١/٧ من جولة قام بها الى السعودية ودولة الامـــارات العربية والكويت وسوريا (الدستور ١٩٧٣/١١/٧). الى جانب كل ذلك بعث الملك برئيس ديوانه بهجت التلهوني وممثله الشخصي عبد المنعم الرفاعي الى كل من دمشق وبيروت ليسلما رسالتين منه الـــى

الرئيسين الاسد وفرنجية (الدستور ١٤/١١/١٩٧٣).

لقد كانت هذه الاتصالات السياسية ، كما اتضح فيما بعد ، تهدف الى قطع الطريق على منظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر القمة ، وحصولها على اعتراف عربي بحقها في تمثيل الشعب الفلسطيني كطرف وحيد .

الاردن ومؤتمر القمة العربي

عاد الملك ومبعوثوه من جولاتهم في العواصم العربية دون ان يعلن في عمان عن النتائج العملية التي اسفرت عنها هذه الجولات . غير ان الخطوة التراجعية التي أعلن عنها الملك حسين بعد ذلك ، وقبيل انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، تشير بوضوح الى ان النظام الاردني قد فشل في انتزاع اقرار عربي جماعي بحقه في تمثيل الشعب الفلسطيني . فقد أخذ الطرح السياسي الاردني يتحدث في ذلك الوقت عن أكثر من ممثل للشعب الفلسطيني ، في محاولة للالتفاف حول حق منظمة التحرير الفلسطينية بتمثيل الشعب الفلسطيني كطرف وحيد . ففي حفلة تخريج الدورة الثانية عشرة لضباط الكلية الحربية الاردنية قال الملك حسين : « في نفس الوقت الذي لا ندعي فيه ... باننا **نمثل كافة ابناء فلسطين** او ندعي حق تمثيلهم، فسنرفض من جهة اخرى ، او بأقل تعديل ، لن نكون طرفا في اية عملية تستهدف بعد التحرير فرض أي وضع معين على ابناء القضية ابناء فلسطين . نحن مع حقهم في تقرير مصيرهم في جو من الحرية وسنقبل بما يختارونه ، وسنكون دائما وأبدا على هذه الارض الى جانبهم **ومعهم سنظل أسرة واحدة** ... » (الدستور ٢٣/١١/١٩٧٣). وكان الملك حسين ينتظر من مؤتمر وزراء الخارجية العرب جواب المؤتمر على هذا الموقف الذي حمله الوفد الاردني الى الجزائر ، وأرهن حضوره مؤتمر القمة العربي بموافقة المؤتمر على هذا الطرح السياسي الجديد للنظام الاردني . غير ان مؤتمر وزراء الخارجية رفع بعد مناقشات واسعة ، توصية الى مؤتمر القمة تتضمن مشروع قرار يعتبر منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني . عند ذلك قاطع الملك حسين أعمال مؤتمر القمة رغم الرسالة التي وجهها له المؤتمر عقب جلسته الافتتاحية ، طالبا حضوره الى الجزائر . وقد لخصت جريدة الدستور الاردنية موقف النظام في تلك الفترة بقولها : بعد ان دفع وزراء الخارجية العرب قراراتهم الى الملوك والرؤساء ، تلقى بهجت التلهوني « تعليمات عاجلة من عمان حول تمثيل الشعب الفلسطيني »، بينما قدم عبد المنعم الرفاعي ممثل الملك وعضو الوفد « تحفظات بخصوص التمثيل من جانب واحد . ومن المتوقع الوصول الى وضع يقبل به الاردن وذلك عن طريق السيد محمود رياض الامين العام لجامعة الدول العربية ، بعد اطلاعه على نص البرقية التي وصلت الى السيد بهجت التلهوني من عمان ، والمتضمنة ان الاردن لن يشترك في محادثات السلام اذا اتخذ المؤتمر الحالي قرارا يؤيد تمثيل المنظمات **وحدها** » (الدستور ٢٧/١١/١٩٧٣) .

بعد انتهاء اعمال مؤتمر القمة وعودة الوفد الاردني الى عمان جرى اجتماع موسع ضم كبار العسكريين والمدنيين الاردنيين « لاستعراض نتائج القمة » . وقد ترأس الملك هذا الاجتماع بحضور ولي العهد الامير حسن ، رئيس الوزراء زيد الرفاعي ، الممثل الشخصي للملك وسفيره بالقاهرة عبد المنعم الرفاعي ، مستشارو الملك ، عدنان أبو عودة وزير الثقافة والاعلام ، حابس المجالي القائد العام للجيش الاردني ، زيد بن شاكر رئيس الاركان واعضاء الوفد الاردني لمؤتمري القمة ووزراء الخارجية العرب وعلى رأسهم بهجت التلهوني رئيس الديوان الملكي ، حيث تدارس المجتمعون ، بالاضافة الى نتائج القمة ، الموقف السياسي الدولي والعربي « والجوانب المختلفة للسياسة الاردنية للمرحلة الحالية » (الدستور ٣٠/١١/١٩٧٣) .

وكانت صحيفة الحياة اللبنانية قد ذكرت قبل ذلك ان وفد الاردن الى مؤتمر الجزائر قد أعد صيغة مشروع متكامل من اجل حقوق الشعب الفلسطيني وحريته في تقرير مصيره لعرضه في مؤتمر القمة العربي . وتضيف « الحياة » معلومات اخرى حول طبيعة التحرك الاردني قبل انعقاد المؤتمر واثنائه قائلة : « وفيما لوحظ ان دوائر وأجهزة الاعلام الاردنية تركز الان بصورة واضحة على حقوق الشعب الفلسطيني ، وحقه في تقرير مصيره ، باعتبار ان هناك فلسطينيين لا يحملون الجنسية الاردنية ، فقد أكدت الدوائر الدبلوماسية ان رسائل الملك حسين للملوك والرؤساء العرب

تتعلق بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ضمن القطر الفلسطيني الذي تضمنه مشـروع المملكة العربية المتحدة » . وتلاحظ صحيفـة الحيـاة اللبنانية ان المسؤولين الاردنيين « لا يفصحون عن الحقائق التي تشكل محور او قاعدة التحركات الاردنية الاخيرة وعلى الاقل مضمونها العـام ، بل يكتفون بتسجيل الزيارات والمقابلات وانها تهدف الى تحقيق الصالح العام للقضـية العربية » (الحياة ١٩٧٣/١١/٢٦) .

الاردن والموافقة على حضور مؤتمر السلام

بالرغم من تهديدات المسؤولين الاردنيين بعدم الذهاب الى جنيف لحضور مؤتمر السلام فيما اذا اعتبر مؤتمر القمة العربي ، منظمة التحـرير الفلسطينية ممثلا شرعيا **وحيدا** للشعب الفلسطيني فقد أصدر المؤتمر قراره معتبرا المنظمة الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني (النهـار ١٩٧٣/١٢/٤) . اذن ، فقد أصبح مترتبا على النظام الاردني وضع تهديده بمقاطعة مؤتمر السلام موضع التنفيذ العملي . غير أن النظام الاردني عوضا عن ذلك اتبع سياسة « التريث » ليعلن عن قراره المناسب في الوقت المناسب . ولخص الملك هذه السياسة من خلال الخطاب الذي افتتح به الدورة العادية السابعة لمجلس الامة الاردني ، كما يلي : « اننا لا نقبل أية تسوية مجزوءة او منفردة ، **وان التسوية العامة يجب ان تكون مع الفريق العربي بشكل موحد** » . واضاف الملك : « غير اننا نرى ان القاء صفة **تمثيل أهلنا** في هذا المجال **على غيرنا** ، معناه اقصاؤنا عن دورنا في تأمين حق **شعبنا** في الضفة الغربية... الامر الذي يتطلب الايضاح والتباين مع الاطراف العربيـة الشقيقة المعنية ، كي نكون على بينة مـن مسؤولياتنا فنعرف كيف نتقدم في هذا المؤتمر ، وكيف نتوقف عن الذهاب اليه ... وعلى هذا فما زلنا نعلق الجواب النهائي عن هذه الدعوة حتى تتضح الصورة » (الدستور ١٩٧٣/١٢/٢) . وكان الملك قبل ذلك قد استقبل سفيري الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بعمان حيث وجهـا دعوة للحكومة الاردنية لحضور مؤتمر السـلام بجنيف في الثامن عشر من كانون الاول (ديسمبر). وكان الى جانب الملك في هذا اللقاء زيد الرفـاعي رئيس الـوزراء ، الذي أدلـى عقب ذلـك لوكالة الانباء الاردنية الرسمية بتصريح قال فيه ان الاردن « غير مستعد لحضور مؤتمر السـلام اذا تقرر انشاء حكومة فلسطينية في المنفى تطالب بالسيادة على الضفة الغربية وغزة على اساس انها اراض فلسطينية ومن اختصاص الحكومـة الفلسطينية » . واضاف الرفاعي ان الاردن لن يحضر المؤتمر كذلك اذا اعتبر مؤتمر القمة منظمة التحرير ممثلا وحيدا للشعب الفلسطيني . (وكان المؤتمر لم ينه اعماله بعد في الجزائر) . ثم أضاف الرفاعي (على لسان الملك للسفيرين) : اننا لا نمانع في حضور وفد عن فلسطين في مؤتمر السلام ولكن يجب ان يكون واضحا للجميع بأننا غـير مستعدين للمشاركة بمؤتمر السلام اذا لم يوافق الاخوة العرب على منح الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره . وذكر ان الملك قال للسفيرين ايضا : « اما ان يكون الاردن هو الدولة المعنية بانسحاب اسرائيل من الضفة الغربية بمشاركة مصر وسوريا ... ويتبع ذلك استفتاء للشـعب الفلسطيني او ان يتقرر تحميل هذه المسؤولية لمنظمة التحرير الفلسطينية او لحكومة فلسطينية في المنفى . وعندها نصبح نحن في الاردن في حل من كل التزام ومسؤولية » (الدستور ١١/٢٨/ ١٩٧٣) . ثم وضح الملك شرطه لحضور مـؤتمر السلام في مقابلة مع مراسل جريدة اللوموند الفرنسية ، حيث قال ان الاردن يعمل للتنسيق بين الوفود العربية الى المؤتمر وان ذلك يشمل ، كما قال المراسل ، تراجعا عربيا عن الاعتراف بمنظمة التحرير كممثل وحيد للشعب الفلسـطيني وعرض التعاون في « السراء والضراء » مـع منظمة التحرير . (النهار ١٩٧٣/١٢/١١) . ومن أجل هذه الغاية سافر عبد المنعم الرفاعي الى القاهرة يوم ١٩٧٣/١٢/٨ ، وعاد منها يـوم ١٩٧٣/١٢/١٣ حيث عقد مجلس الوزراء الاردني اجتماعا تقرر فيه فجأة قبول الاردن المشاركة بمؤتمر السلام دون الاعلان عن مصير الشرط الذي علق به الملك اشتراكه بالمؤتمر ، بموافقة الـدول العربية على اعتبار انه يمثل الى جانب منظمة التحرير ، الشعب الفلسطيني .

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

تم تطبيق كل بنود اتفاقية وقف اطلاق النار التي وقعتها مصر واسرائيل عند الكيلومتر ١٠١ على طريق القاهرة السويس باستثناء البند الثاني الذي ينص على تسوية قضية عودة القوات الاسرائيلية على الضفة الافريقية من قناة السويس الى مواقعها التي كانت قائمة في ٢٢ تشرين الاول ١٩٧٣ (راجع « شؤون فلسطينية » عدد ٢٨ ، ص ١٨٥ — ١٨٦) . بعبارة اخرى تم تبادل الاسرى والجرحى بين الطرفين بسرعة واخذت المؤن تصل الى مدينة السويس والجيش الثالث على الضفة الشرقية من قناة السويس بصورة منتظمة وتحت اشراف القوات الدولية (مع تفتيش اسرائيلي لضمان خلو المؤن من المواد العسكرية) كما تم رفع الحصار العربي الذي كان مضروبا على مضيق باب المندب. الا ان مفاوضات الكيلومتر ١٠١ فشلت في احراز أي تقدم باتجاه اقناع اسرائيل بالانصياع لقرارات مجلس الامن والعودة الى الخطوط الحربية كما كانت قائمة يوم ٢٢ تشرين الاول أي يوم صدور القرار الدولي رقم ٣٣٨ الداعي الى وقف القتال على كافة الجبهات. بعد سلسلة من الاجتماعات بين الطرفين العسكريين الاسرائيلي والمصري ونتيجة لرفض اسرائيل المتوقع لفكرة الانسحاب أعلنت مصر في آخر شهر تشرين الثاني توقفها عن المشاركة في اجتماعات الكيلومتر ١٠١ « بسبب مراوغة اسرائيل المستمرة في تنفيذ البند الثاني من اتفاقية اطلاق النار » على حد قول المتحدث الرسمي المصري . وعلى اثر هذا التطور الهام توتر الوضع العسكري على الجبهات العربية مما أدى الى بروز مساع دبلوماسية ثنائية ودولية بغية الحؤول دون انفجار الموقف العسكري من جديد. ففي اول كانون الاول اجتمع الرئيس السادات بالسفيرين السوفياتي والامريكي في القاهرة من أجل ايضاح موقف مصر من محادثات الكيلومتر ١٠١ وشرح قرارها بايقافها . وقد أكد السادات مسؤولية الدولتين العظميين في الزام اسرائيل على احترام اتفاقية وقف اطلاق النار وقرارات مجلس الامن باعتبار انهما ضمنا تنفيذ قرارات المجلس المتعلقة بالحرب الاخيرة وتنفيذ بنود القرار رقم ٢٤٢ . ومن ناحية اخرى تدخلت هيئة الامم بشكل مباشر في محاولة لمنع وقف اطلاق النار من الانهيار فقابل الجنرال سلاسفو، قائد القوات الدولية في المنطقة ، وزير الحربية المصري وتباحث معه في الوضع العسكري المتدهور ثم انتقل الجنرال الى اسرائيل حيث قابل دايان للغرض نفسه . كذلك أجرى الامين العام للمنظمة الدولية اتصالات بسفيري مصر واسرائيل في هيئة الامم في محاولة لاعادة احياء محادثات الكيلومتر ١٠١ . ويبدو ان المساعي الدولية قد نجحت في تهدئة الوضع العسكري ولكن بدون ان تؤدي الى احراز اي تقدم باتجاه ارغام القوات الاسرائيلية على الانسحاب الى خطوط ٢٢ تشرين الاول . وعلى الرغم من اشتراط مصر حضور مؤتمر السلام الذي سينعقد في جنيف في ١٨ كانون الاول (على الارجح) بالانسحاب الاسرائيلي المذكور ، تشير كل الدلائل الى ان محادثات الكيلومتر ١٠١ قد انتهت وان مسألة الانسحاب الاسرائيلي قد انتقلت الى مؤتمر السلام الذي سيناقشها ويفترض ان يبت فيها قبل أية قضية اخرى . وتركز النشاط الدبلوماسي الامريكي بشكل ملحوظ على العمل لعقد مؤتمر السلام في النصف الثاني من شهر كانون الاول . وتضمن هذا النشاط : نشر جو اعلامي متفائل وايجابي عن السياسة الامريكية الجديدة في المنطقة وحول امكانية انعقاد المؤتمر واحتمال توصله الى نتائج مرضية على صعيد تحقيق تسوية نهائية للنزاع العربي الاسرائيلي . ففي الاسبوع الثاني من شهر تشرين الثاني نشرت مجلة « نيوزويك » الامريكية اخبارا مفادها ان كيسنجر أبلغ الرئيس السادات انه بالامكان اقناع اسرائيل بالانسحاب من سيناء خلال عام واحد وانه طلب من الرئيس المصري بعض الوقت لاقناع اسرائيل بذلك . كما ذكرت المجلة على لسان سيسكو قوله لكبار المسؤولين في مصر ان اتجاه سياسة بلاده اخذ يتغير لمصلحة العرب بسبب المصالح الامريكية النفطية والاستراتيجية في المنطقة وان الكونغرس بدأ يعيد النظر في مواقفه في الموضوع ذاته على الرغم من النفوذ الصهيوني التقليدي في اوساطه . وفي منتصف شهر تشرين الثاني ادلى كيسنجر بتصريحات اثناء زيارته للصين تعزز هذا الاتجاه الاعلامي الامريكي حيث أشار الى امكانية عقد معاهدة دفاعية بين بلاده واسرائيل في مقابل

الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة ، هذا بالاضافة الى الضمانات الدولية لحدودها . وأبدت أعلى الاوساط السياسية الاسرائيلية قلقها الشديد من جراء كلام كيسنجر اذ رأت فيه عودة الى مشروع روجرز الداعي الى انسحاب اسرائيلي مع بعض التعديلات الطفيفة على الحدود ، كذلك أعلن كيسنجر بأنه لم تعد هناك اية عراقيل في طريق عقد مؤتمر السلام في جنيف في ١٨ كانون الاول . ولا شك ان هدف هذه التصريحات كـان طمأنة الجانب العربي و « مساعدته » على التغلب على أي تردد أو شك بالنسبة لحضور المؤتمر . وفي اواخر تشرين الثاني تم الاعلان عن زيارة جديدة سيقوم بها كيسنجر للمنطقة مما كان من شأنه تطويق احتمالات أي انفجار عسكري على الجبهات بعد ان قطعت مصر مفاوضات الكيلومتر ١٠١ . وسيرا على نفس هذا الخط الاعلامي أعلن الرئيس نيكسون في منتصف تشرين الثاني ان ازمة الشرق الاوسط أهم من ازمة فيتنام لان منطقتنا تقع على مفترق طرق العالم وتحتوي على جزء كبير من نفط العالم مما يعني انه على الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي المحافظة على مصالحهما الحيوية في المنطقة عن طريق الاتفاق تفاديا لاية مواجهـات نووية . وعلى اثر اجتماع نيكسون وكيسنجر بأقطاب مجلس الشيوخ الامريكي صرح السناتور فولبرايت بأن مؤتمر السلام سينعقد في ١٨ كانون الاول وانه سيكون مؤتمرا جديا ، كما أضـاف ان استئناف شحن النفط العربي الى امريكا مرهون كليا بمدى التقدم الذي تحـرزه المفاوضات في المؤتمر . وجدير بالذكر هنا ان كيسنجر عقـد مؤتمرين صحفيين مهمين بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني و٧ كانون الاول عرض فيهما الخطوط العريضة للسياسة الامريكية بالنسبة لمؤتمر السلام وللنزاع العربي الاسرائيلي بشكل عام . وكانت أهم النقاط التي أبرزها الوزير الامريكي في مؤتمره الاول كما يلي :

١) ان المفاوضات العسكريـة المصريـة ـ الاسرائيلية على الكيلومتر ١٠١ أحرزت ما يكفي من التقدم لعقد مؤتمر السلام في جنيف قريبـا بأشراف مشترك من الولايات المتحدة والاتحـاد السوفياتي وهيئة الامم .

٢) ان الولايات المتحدة ألزمت نفسها بقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الذي ينص على تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ مما يعني بأنها ستفي بتعهداتها ببـذل جهود كبيرة لتنفيذ هذا القرار بكل أجزائه .

٣) ان هدف حكومته هـو تحريك الاطـراف المتحاربة باتجاه روح المصالحة وبذل أقصى جهدها من أجل تضييق شقة الخلاف بين فرقاء النزاع من أجل الاتجاه نحو السلام الدائم. الا ان الولايات المتحدة لن تتقدم بمشروع تفصيلي تضيع الجهود في مناقشته او مهاجمته بل ستترك للفرقاء المعنيين تحمل المسؤوليات المترتبة على المـواقف التي يطرحونها في المؤتمر . وقال كيسنجر « حالما يحدد هؤلاء مواقفهم على مائدة المفاوضات سـتتقدم الولايات المتحدة لسد الفجوة بينهم وعندئذ ستقدم بعض الافكار التي تبدو مفيدة لتحقيق هــذا الغرض » . وشرح كيسنجر الاسلوب الذي يمكن ان يعمل به مؤتمر السلام باقتراحه عقد جلسات لكامل اعضاء المؤتمر تنقسم بعدها الى مجموعات تقوم بمفاوضات ثنائية تتناول القضايا المناسبة لهذا النوع من المفاوضات ، ولكنه شدد على انه يتوجب على الفرقاء المعنيين تحديد الاسلوب الذي يرونه مناسبا لتسيير المؤتمر واجـــراء المفاوضات خلاله .

٤) ان خطوط حرب حزيران ١٩٦٧ هي التي ولدت الحرب الاخيرة ولذلك ينبغي تبديلها ، وبما ان خطوط وقف اطلاق النار الحالية لا يمكـن استمرارها لا بد للتسوية السلمية من ان تشمل انسحابا اسرائيليا وترتيبات أمنية بين الـدول العربية المعنية واسرائيل . بالاضافة الى ضمانات خارجية للحدود . وعلى المؤتمر بحث كل هذه القضايا بالاضـافة الى مسألة مستقبل القدس والفلسطينيين . وأكد كيسنجر انه ليس مـن الضروري ان تضغط الولايات المتحدة على اسرائيل لتحقيق هذه النتائج وجعلها تقدم التنازلات اللازمة للوصول الى مثل هذه التسوية . ان ما ستفعله حكومته هو اجراء مشاورات كاملة مع السلطات الاسرائيلية ومع الحكومات العربية المشتركة في المؤتمر وسيتم تحديد الموقف الامريكي (مـن موضوع الضغط على اسرائيل او عدمه) على ضوء تطور المفاوضات ومجراها ونوعية المواقف التي ستحددها الاطراف المعنية .

٥) ان مسألة دور الفلسطينيين في المؤتمـر مسألة صعبة جدا « اذ انها تتناول اسرائيل والدول العربية ، وعلى الاخص الاردن » وهي مسـألة

تحتاج الى بحث صريح في مرحلة لاحقة من سير أعمال المؤتمر لان المراحل الاولى ستركز على القضايا العسكرية . وأكد كيسنجر « ان القضية الفلسطينية ستكون من القضايا الرئيسية التي ستبرز في المؤتمر » .

٦) ان الولايات المتحدة تدعو الزعماء العرب الى اعطائها الفرصة اللازمة لتحقيق التسوية المنشودة بدون ممارسة الضغوط الاقتصادية والنفطية عليها خاصة بعد افتتاح مؤتمر السلام في جنيف . وشدد كيسنجر على ان مطالبة حكومته بتحقيق مطالب معينة تحت الضغط النفطي لن يؤدي الى نتيجة لان بلاده ترفض التعامل بهذا الاسلوب الذي يضر بمستقبل العلاقات العربية — الامريكية . ثم هدد الوزير الامريكي الدول العربية باتخاذ اجراءات مضادة اذا استمرت الضغوط النفطية على بلاده « بصورة غير معقولة والى ما لا نهاية » على حد قوله . وفي المؤتمر الصحافي الثاني الذي عقده كيسنجر كرر النقاط المذكورة أعلاه مع ابراز الامور التالية :

١) ان وقف اطلاق النار غير معرض للانهيار وان مؤتمر السلام في جنيف سينعقد في موعده المحدد وسيتناول القضايا العسكرية العالقة اولا ، ثم يتحول الى جوهر القضية السياسية ليتوصل الى تسوية شاملة للنزاع وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وأكد بهذا الصدد ان بلاده ستستخدم نفوذها في المؤتمر للخروج بمثل هذه النتيجة الايجابية .

٢) ان القضايا العالقة التي ادت الى انقطاع مفاوضات الكيلومتر ١٠١ قابلة للحل وخاصة ضمن اطار مؤتمر السلام حيث ستتمكن دول أخرى من القيام بدور أكثر فعالية من قبل في التوصل الى تسويتها .

٣) ان قضية دور الفلسطينيين في مؤتمر السلام تشتمل على ثلاث نواح هي :

أ) من يتكلم باسم الفلسطينيين ويشترك عنهم في المؤتمر ؟ . ب) ما هي طبيعة العلاقة بين الفلسطينيين والاردن من ناحية وبين الفلسطينيين واسرائيل وبقية الاطراف المشتركة في المؤتمر من ناحية ثانية ؟ . ج) ما هي الشروط الاساسية التي سيتم تقديمها في المؤتمر لحل القضية الفلسطينية ؟ وعلق كيسنجر على السؤالين الاول والثاني بقوله ان الاجابة عليهما متروكة للمؤتمر نفسه لان الفرقاء المعنيين من المشتركين فيه هم أفضل مرجع للبت في هذا الموضوع . أما بالنسبة للسؤال الثالث فقد أعطى كيسنجر الجواب الغريب التالي : « ان المؤتمر سيبحث الشروط المحددة لتسوية القضية الفلسطينية على اساس الارتباط الذي اعترفت به الولايات المتحدة في وثائق دولية متعددة بين حقوق الفلسطينيين وبين قدرة المناطق الفلسطينية التي كانت تحت الانتداب على الاستيعاب ». وهذه هي المرة الاولى التي ترد فيها مثل هذه الاشارة الى ارتباط حل القضية الفلسطينية بقدرة « فلسطين » على الاستيعاب ، أي استيعاب المزيد من السكان . وواضح ان الغموض يكتنف هذا التلميح من قبل كيسنجر وربما كان قصده ان حل مشكلة النازحين الفلسطينيين مرهون بقدرة الضفة الغربية وقطاع غزة على استيعاب المزيد من السكان . ومعروف ان هذه القدرة ضعيفة ، ضمن الظروف الحاضرة على أقل تعديل . وأجاب كيسنجر بقوله :

٤) ان الولايات المتحدة مستعدة للنظر فيموضوع مرابطة قوات امريكية وسوفياتية بصورة دائمة في الشرق الاوسط كجزء من الضمانات الدولية لحدود دول المنطقة بعد انجاز التسوية السلمية .

٥) ان الاتحاد السوفياتي قام بدور بناء بالنسبة لعقد مؤتمر السلام في جنيف ، وان الحكومة الامريكية تدرك انه لا يمكن التوصل الى تسوية في المنطقة بدون تعاون الاتحاد السوفياتي . وأعرب الوزير الامريكي عن أمله في ان يستمر الاتحاد السوفياتي في دوره البناء هذا اثناء انعقاد المؤتمر « لانه اذا حاول السوفيات الدفع بحلول متطرفة سيصبح التوصل الى تسوية سلمية مسألة صعبة جدا » . كما ان الوفد الامريكي سيشجع بقوة جميع الفرقاء في المؤتمر على انتهاج سبيل الاعتدال مما سيسمح له بالتعاون معهم على الوصول الى الهدف المنشود .

بعد هذا العرض للخطوط العريضة التي طرحها كيسنجر حول السياسة الامريكية في منطقتنا من المفيد الاشارة الى ان عمر السقاف (وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية) صرح في الاسبوع الاول من شهر كانون الاول بان وزير الخارجية الامريكي « رجل قادر على العمل وقادر على ان ينتج ولا شك بأنه راغب رغبة قوية في تسوية

مشكلة الشرق الاوسط » .

أما بالنسبة لمؤتمر السلام نفسه فقد ذكرت الانباء ان أمانة عامة (لم تعرف هويتها) تعمل الان في جنيف تحت اشراف كيسنجر العام للتحضير لانعقاده في ١٨ كانون الاول ، وان المؤتمر سينشيء لجانا ولجانا فرعية تتولى كل واحدة منها دراسة موضوع من الموضوعات التفصيلية التي على المتفاوضين مناقشتها والتفاهم حولها . كذلك أكدت الانباء ان فالدهايم سيفتتح المؤتمر بحضور كيسنجر وغروميكو ، وانه لن تتم دعوة أي فريق لحضور المؤتمر (بالاضافة الى امريكا والاتحاد السوفياتي وسوريا والاردن ومصر واسرائيل وهيئة الامم) الا بموافقة اجماعية من المؤتمر نفسه . وواضح ان هذا الاجراء موجه ضد منظمة التحرير اولا وضد حضور دول اوروبية وافرو — اسيوية قد يرغب الجانب العربي بحضورها ثانيا .

عشية انعقاد مؤتمر السلام في جنيف قام كيسنجر بزيارة لمنطقة الشرق الاوسط شملت عددا من العواصم العربية بالاضافة الى تل ابيب حيث تباحث مع كبار المسؤولين بهدف العمل على انجاح مؤتمر السلام . بدأ الوزير الامريكي زيارته بالجزائر حيث قابل الرئيس هواري بومدين، وأعلن ان الرئيس نيكسون كان قد أخبر وزير الخارجية الجزائري اثناء مروره في واشنطن بأن الولايات المتحدة ستبذل كل جهدها لاحلال سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، واضاف كيسنجر قائلا « انه حضر الى الجزائر ليبدأ بتنفيذ هذا الوعد » كما وصف محادثاته مع الرئيس الجزائري حول الشرق الاوسط بأنها كانت « ودية ومفيدة وبناءة » . وذكر مسؤول امريكي ان « المحادثات حققت تقدما حسنا » كما لمح الى ان العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ستستأنف في الاشهر القليلة المقبلة . انتقل كيسنجر من الجزائر الى القاهرة حيث استقبل بحفاوة لفتت انتباه المراقبين . وعقد الوزير الامريكي اجتماعين مع الرئيس السادات توسطهما اجتماع للزائر مع السفير السوفياتي في القاهرة . وصرح كيسنجر بأنه ناقش مع الرئيس المصري نظام انعقاد مؤتمر السلام وجوانب المؤتمر الاجرائية وانهما اتفقا على ان تكون مسألة « فك الارتباط » بين القوات المصرية والاسرائيلية موضوع البحث الرئيسي في المرحلة الاولى من أعمال المؤتمر . ووصف كيسنجر محادثاته في القاهرة بأنها كانت « مفيدة جدا وشاملة للغاية » كما قال انه نقل الى الرئيس السادات ارتياح الرئيس نيكسون لسير المحادثات في القاهرة ، وذكرت مصادر مطلعة في القاهرة ان التفاهم قد تم في المحادثات المصرية الامريكية على ان يقوم فالدهايم، بطلب من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، بتوجيه الدعوات للمؤتمر . وفي الرياض اجتمع الوزير الامريكي بالملك فيصل لمدة ٩٠ دقيقة خرج بعدها متجهم الوجه بعد ان كان قد دخل الاجتماع وهو يبتسم ابتسامته العريضة المعهودة . وذكرت المصادر الامريكية المطلعة ان كيسنجر يواجه في الرياض أصعب جزء من مهمته كلها نظرا لتصلب الملك فيصل بالنسبة لموضوع الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة وفي مقدمتها القدس . وذكرت مصادر صحفية مقربة من الاوساط السعودية ان كيسنجر عرض على الملك التساهل باستعمال سلاح النفط مقابل تقديم تعهدات امريكية — سوفياتية بارغام اسرائيل على الانسحاب ووضع القدس تحت ادارة عربية وعودة الفلسطينيين الى ديارهم وفقا لجدول زمني ينفذ على مراحل متقاربة وسريعة . كذلك ذكرت هذه المصادر ان الملك فيصل أبلغ كيسنجر بأنه يحمل امريكا وحدها مسؤولية عدم تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وبقية قرارات هيئة الامم المتعلقة بالقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني، كما نفت أي نية لدى السعودية بالتساهل في استخدام سلاح النفط ما لم يصدر اعلان رسمي بعزم اسرائيل الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة مع ضمان هذا الاعلان من قبل الولايات المتحدة . وذكرت الانباء كذلك ان الملك فيصل أصر على ان تكون الضمانات الامريكية للانسحاب الاسرائيلي صادرة في بيان رسمي وعلني وانه لا يمكن ان يقبل بالضمانات السرية . وتوجه الوزير الامريكي من السعودية الى دمشق حيث قابل الرئيس حافظ الاسد وكبار المسؤولين هناك . واتسمت زيارته بالفتور بعكس الجو الذي ساد في العواصم العربية الاخرى . ويبدو ان اللقاء الامريكي السوري لم يحقق أية نتائج تتعدى تبادل وجهات النظر حول القضايا المطروحة بعد حرب تشرين الاخيرة ، الا ان ذلك استغرق وقتا طويلا اذ ان المقابلة مع الرئيس الاسد استمرت لمدة ٧ ساعات تقريبا في حين انه كان مقررا لها الا

تستغرق أكثر من ساعتين ولذلك وصل كيسنجر الى عمان متأخرا خمس ساعات عن موعده المحدد رسميا . وترددت انباء صحفية تقول بأن الرئيس الاسد رفض طلب الوزير الامريكي بتسليمه قائمة بأسماء اسرى الحرب الاسرائيليين وأصر على أن سوريا لا يمكن ان تفصل بين قضية الاسرى وقضية الانسحاب الاسرائيلي من المناطق العربية المحتلة. وعند مغادرته دمشق اكتفى كيسنجر بالتصريح بأنه « أجرى محادثات طويلة وصريحة » في دمشق ، وعندما سئل ما اذا كان قد توصل الى أي إتفاق مع مضيفيه اجاب بقوله : « لا يمكن ان اقول أكثر مما قلت » .

وفي عمان اجرى الزائر الامريكي محادثات مع الملك حسين حول مؤتمر السلام واجراءاتـــه وأهدافه بالاضافة الى الموضوعات التي سيتناولها. وأشاد رئيس الوزراء الاردني بالزائر قائلا ان كيسنجر يبذل كل ما في وسعه للمساعدة في الوصول الى تسوية سلمية لمشكلة الشرق الاوســط . ووصف المحادثات معه بأنها كانت مثمرة ومنتجة جدا وان الاردن توصل الى اتفاق كامل مع كيسنجر حول كل المواضيع التي تناولتها المباحثــات . وتوجه كيسنجر من عمان الى لبنان حيث قابل رئيس الجمهورية ووزير الخارجية . وترددت انباء صحفية تقول ان المحادثات توصلت الى تحــديد موعد حضور لبنان مؤتمر السلام في جنيف وان رئيس البلاد شدد على الخطر الاسرائيلي عــلى جنوب لبنان ، وعلى حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وكان الوزير الامريكي قد أعلن بأنه « يزور لبنان كصديق من أجل تدارس امكانات الوصول الى حل لقضية الشرق الاوسط » . وعلق وزير الخارجية اللبناني على المحادثات بقــوله انها كانت « مفيدة وباعثة على التفاؤل » . وكانت آخر مرحلة في رحلة كيسنجر هي زيارة اسرائيل حيث قابل رئيسة الوزراء وكبار المسؤولين . وتناولت المحادثات على ما يبدو مسألة تسوية المشكلات التي ما زالت تعترض طريق مؤتمــر السلام في جنيف ، ونتائج المباحثات التي اجراها الوزير الامريكي في العواصم العربية بالاضافــة الى مشكلة التسوية بشكل عام . وذكرت الانباء ان كيسنجر طمأن اسرائيل بأن شروط التسوية السلمية لن يقررها مجلس الامن بل مؤتمر جنيف وان مسألة تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر الســلام لم تكن من المسائل البارزة في أي من المحادثات التي اجراها في العواصم العربية التي زارها . وصرح كيسنجر بعد اجتماعه بغولدا مائــير ان المحادثات تجري بصورة حسنة جدا ، الا ان آخر الانباء افادت بأن الحكومة الاسرائيلية لم تتمكن حتى اللحظة التوصل الى قرار اخير حول مؤتمر السلام وما يتفرع عنه من مشكلات وقضايا .

قبل بدء مؤتمر السلام في جنيف بثلاثة ايام تم الاعلان عن تأجيل انعقاده من ١٨ كانون الاول الى ٢١ منه . وفي الوقت نفسه أصدر مجلس الامن الدولي قرارا قضى فيه بوضع مؤتمر السلام تحت اشراف الامم المتحدة بدلا من الدولتين الكبريين . وقد طلب مجلس الامن في قراره من فالدهايم بأن يقوم بدور فعال وكامل في المؤتمر ، وأعــرب عن أمله بأن يترأس الامين العام جلسات المؤتمر . وقد صوتت كل الدول الاعضاء في المجلس الــى جانب القرار باستثناء الدول الخمس الدائمــة العضوية في المجلس التي امتنعت عن التصويت .

على صعيد جبهة البترول عقدت الدول المعنية اجتماعا هاما في الكويت في الاسبوع الثاني من شهر كانون الاول قررت فيه : اولا استئناف خفض انتاج البترول بنسبة ٥ ٪ ابتداء من أول شــهر كانون الثاني بالنسبة لجميع الدول ما عدا الدول المستثناة من ذلك بموجب قرارات سابقة . ثانيا رفع الحظر عن تصدير البترول الى الولايـــات المتحدة حال البدء بتنفيذ الانسحاب الاسرائيلي من كل الاراضي العربية المحتلة بما فيها القدس وفقا لجدول زمني توقعه اسرائيل وتضمن تنفيذه الكامل الولايات المتحدة الامريكية . ومن الملاحظ ان هذا القرار يشكل تراجعا عن القرار السابق الــذي اتخذته الدول البترولية العربية بعدم رفع الحظر عن شحن البترول الى امريكا الى ان تنسحب القوات الاسرائيلية كليا من كافة الاراضي العربية المحتلة . ثالثا ، حال التوصل الى اتفاق حــول الجدول الزمني للانسحاب تضع الدول العربيــة المعنية جدولا زمنيا لاعادة رفع انتاج النفط يتناسب طرديا مع مراحل الانسحاب . رابعا ، سيتم تزويد الدول الاسلامية والافريقية بالكميات المترتبة لها من البترول بموجب عقود حتى لو ادى ذلك الى رفع مستويات الانتاج شريطة الا يعاد تصــدير أي من هذا النفط الى دول يشملها الحظر العربي. وفي تطور آخر رد أكثر من مسؤول عربي علــى

التهديد الذي أطلقه كيسنجر باتخاذ اجـراءات مضادة ضد الدول العربية في حال استمرارهـا استخدام سلاح النفط للضغط عـلى الغرب ، خاصة وان تكهنات كانت قد انتشرت حول امكانية قيام الولايات المتحدة باحتلال حقول النفط اذا دعت الحاجة الى ذلك . فقد صرح وزير البترول السعودي زكي اليماني بأن بلاده مستعدة لتفجير النقاط الحساسة في حقول نفطها في حال تعرضها لاية أعمال عسكرية معادية كما انها على استعداد لخفض انتاجها بنسبة ٨٠ ٪ اذا عمدت الولايات المتحدة واوروبا واليابان الى اتخاذ أية تدابير انتقامية لمواجهة المقاطعة النفطية العربية . كذلك أعلن الرئيس الجزائري هواري بومدين في الاسبوع الاول من كانون الاول انه « اذا حاول الغـرب التصرف بعجرفة او استخدام القوة فانه سيصاب بكارثة لان كل الابار ستحرق وكل انابيب النفط ستدمر وسيدفع الغرب الثمن » .

وعلى صعيد آخر تركت المقاطعة النفطية آثارا سلبية كبيرة على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في امريكا وفي عدد من دول اوروبا الغربية واليابان. ففي الولايات المتحدة تلقت سوق الاسهم ضربة لم تعرف مثلها منذ عقد من الزمن وأصيبت الصناعات البتروكيميائية وصناعات السيارات بنكسات كبيرة ومباشرة كما أخذ قطع النفط العربي يترك آثاره المضرة على صناعات الحديد والصلب المعروفة بأنها تشكل العمود الفقري للاقتصاد الامريكي . وفي اواخر شهر تشرين الاول أعلن نيكسون تطبيق اجراءات تقشفية قاسية للحد من تفاقم أزمة الوقود في بلاده . وكانت أهم هذه الاجراءات : منـع بيع الوقود للسيارات ابتداء من مساء كل يوم سبت حتى صباح الاثنين (أي اغلاق محطات بيع البانزين خلال العطلة الاسبوعية) ، خفض كميات الوقود المعدة للتدفئة في المنازل والمكاتب والمصانع عدم انارة لوحات الاعلان (وهذا امر مهم جدا في امريكا) وأنوار الزينة بما في ذلك زينة أعيـاد الميلاد ورأس السنة ، خفض الحد الاعلى لسرعات السيارات على الطرقات الرئيسية ، خفض كميات الوقود المخصصة للطائرات النفاثة العاملة عـلى الخطوط الداخلية والخارجية بنسب محترمة . واعترف نيكسون صراحة ان قطع النفط العربي عن الولايات المتحدة سيؤدي الى احداث عجز مقداره ١٧٫٣ ٪ من امدادات البلاد بالنفط خلال الاشهر الثلاثة الاولى من العام ١٩٧٤ . أما اليابان فقد أعلنت رسميا عن تحول اساسي في سياستها حيال الدول العربية والنزاع العربي الاسرائيلي وذلك تحت ضغط حاجتها الماسة الى النفط العربي. وتجسد هذا التحول في البيان الذي أصدرتـه الحكومة اليابانية حول الشرق الاوسط قالت فيه بأنها كانت وما زالت تأمل في ان يتحقق سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط عن طريق التنفيذ العاجل والكامل لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كما انهـا تؤيد قرار الجمعية العمومية للامم المتحدة المتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصـيره . وحددت الحكومة اليابانية المبادىء التالية باعتبارها الاسس الصحيحة لتحقيق السلام في المنطقة : ١) عدم جواز الاستيلاء على أية اراض واحتلالها بالقوة . ٢) انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي المحتلة في حرب ١٩٦٧ . ٣) احـترام سلامة اراضي كل الدول في المنطقة وامنها على أساس الضمانات اللازمـة لهـذا الغـرض . ٤) الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني واحترامها بموجب ميثاق الامم المتحدة . واستنكر البيـان استمرار اسرائيل في احتلال الاراضي العربيـة ودعاها الى الالتزام بالمبادىء المحددة اعلاه . وبعد صدور هذا البيان ببضعة ايام أعلن مصدر مسؤول في وزارة التجارة الدولية اليابانية ان بلاده لن تشارك أبدا في أية مقاطعة موجهـة ضد العرب لان اليابان تعتمد على النفط العـربي الى أقصى الحدود وليس بامكانها مخاصمة الدول العربية واستعدائها .

وعلى صعيد آخر أكد الاتحاد السوفياتي في أوائل كانون الاول عبر صحافته عن تصميمه العمل على انجاح مؤتمر السلام في جنيف والمشـاركة بنشاط في جلساته . وترددت انباء صحفية في بيروت تفيد : أ) ان الاتحاد السوفياتي يحبذ اشتراك لبنان في مؤتمر السلام لانه من غير الممكن التوصل الى تسوية نهائية للنزاع بدون مشاركة جميـع الدول العربية المجاورة لاسرائيل ، ب) انه يؤيد اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية تتمتع بالسيادة وتكون هي ارض الشعب الفلسطيني ، ج) انه ينظر الى وحدة حركة المقاومة سياسيا وتنظيميـا على انها قضية اساسية وحيوية في تحقيق أي تقدم بهذا الاتجاه ، د) وانه يعتبر اشـتراك الفلسطينيين في مؤتمر السلام ضروريا وسيسعى لتأمين هذا الاشتراك . وعاد الزعيم السوفياتي

اليكسي كوسيغن الى تأكيد موقف بلاده من التسوية السلمية في المنطقة بقوله في منتصف شهر تشرين الثاني انه لا يمكن احلال السلام الحقيقي في الشرق الاوسط بدون الانسحاب الاسرائيلي الكامل من كافة الاراضي العربية المحتلة . وكان من الطبيعي ان يحاول الاتحاد السوفياتي الاتصال بالعراق بالنظر الى موقف الاخير المعارض للتسوية السلمية ومؤتمر السلام في جنيف . ففي اواخر تشرين الثاني قام وفد سوفياتي رفيع ،(برئاسة بوريس بوناماريف العضو المرشح للمكتب السياسي وأمين اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي) بزيارة بغداد حيث اجرى محادثات على أعلى المستويات تناولت القضايا المتعلقة بالوضع الراهن لازمة المنطقة ومستقبلها . وعلى أثر انتهاء الزيارة صدر بيان مشترك أشاد بتطوير العلاقات الناجح بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوفياتي ، بالسياسة التحررية المعادية للامبريالية التي تسير عليها العراق كما أشاد « بالاجراءات الحازمة التي اتخذتها الحكومة العراقية في تأميم ثروتها النفطية وتطوير صناعتها النفطية » . وحول النزاع العربي الاسرائيلي ذكر البيان « ان الجانبين كرسا اهتماما خاصا للاوضاع في المنطقة العربية وادانا بحزم العدوان الاسرائيلي في هذه المنطقة على الشعب العربي . وانه لا يمكن تحقيق السلام الدائم والعادل في المنطقة من دون تحرير كل الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي » . كذلك أشار البيان الى « ان حركة المقاومة الفلسطينية جزء لا يتجزأ من الحركة الوطنية التحررية العربية ولا بد من استمرار تقديم المساعدات والتأييد لها » . واذا صحت الانباء الصحفية القائلة بأن هدف الوفد السوفياتي هو تأمين بعض التضامن من جانب العراق مع بقية الدول العربية بالنسبة للتسوية السلمية ومؤتمر السلام في جنيف ، فلا بد من الاستنتاج ان الوفد لم يتمكن من تحقيق هدفه على ما يبدو حتى الان . وترددت أنباء صحفية في بيروت لم تتأكد بعد بأن اتصالات سرية تجري في الوقت الحاضر بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفياتي لتحسين العلاقات بين البلدين والنظر بامكانية انشاء علاقات دبلوماسية بينهما .

ترددت أنباء صحفية حول قيام مساعي عربية للاتصال بالفاتيكان من أجل ضمان مستقبل القدس والاماكن المقدسة فيها . وأفادت الانباء ان الرئيس النميري والملك فيصل أجريا اتصالات مع هيلاسيلاسي ، امبراطور الحبشة ، من أجل دراسة امكانية قيام الامبراطور والرئيس السوداني بزيارة البابا من أجل معرفة رأيه بالموضوع وابلاغه رسميا رأي المسلمين والمسيحيين في العالم العربي والقارة الافريقية الذي يرفض ابقاء المدينة المقدسة تحت السيطرة العسكرية لطائفة من الطوائف والتمني عليه تأييد قرار يرمي الى اعادة المدينة الى كل الطوائف التي تؤمن بقدسيتها وتتطلع الى تحريرها من سيطرة الطائفة الواحدة بأسرع وقت ممكن . وقام الرئيس النميري بدور هام في هذه الاتصالات اذ انه زار أديس أبابا والرياض في محاولة لوضع خطة عمل مشتركة للاتصال بالفاتيكان من أجل بيان اسلامي — مسيحي يشدد على ضرورة اعادة القدس الى العرب وعدم تهويد المدينة . وكان البابا بولس السادس قد أعرب في منتصف تشرين الثاني عن قلقه حول مصير القدس والاماكن المقدسة وعبر عن أمله في ان تؤدي المفاوضات بين العرب واسرائيل الى حل « يأخذ بعين الاعتبار الحقوق المشروعة لكل الاطراف المعنية وتطلعاتها » . كذلك ترددت انباء تقول ان الملك فيصل ينوي ارسال وفد على مستوى عال الى الفاتيكان للبحث في مستقبل القدس والاماكن المقدسة فيها .

في الامم المتحدة تبنت اللجنة السياسية الخاصة التابعة للجمعية العمومية توصية تؤكد حق النازحين الفلسطينيين الذين تركوا ديارهم اثناء حرب حزيران ١٩٦٧ في العودة الى منازلهم وتدعو اسرائيل الى المساعدة في تنفيذ هذه المهمة . كذلك تبنت اللجنة توصيتين تؤكد اولاهما حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وتعرب عن قلق كبير لان اسرائيل حرمت الشعب الفلسطيني من التمتع بحقوقه الثابتة ومن استخدام حقه في تقرير مصيره كما تعلن ان حق الفلسطينيين في العودة الى منازلهم واستعادة ممتلكاتهم أمر ضروري لتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين . أما التوصية الثانية فقد حثت الدول الاعضاء في المنظمة الدولية المساهمة بسخاء في نفقات وكالة غوث اللاجئين .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

حرب اوكتوبر ومصير المناطق المحتلة : لقد فوجيء سكان المناطق المحتلة كغيرهم بنشوب حرب اوكتوبر ، وكانت المفاجأة مشفوعة بالفرحة لسببين ، لواقع اندلاع الحرب على أمل التحرير والخلاص ، وللانجازات العظيمة التي حققتها القوات العربية في الجنوب والشمال وخاصة في الايام الاولى من الحرب ، وقد اعترف الصحفيون الاسرائيليون بالفرحة الغامرة التي اعترت نفوس المواطنين العرب هناك ، فقد ذكر الصحفي « يئير كونلر » : « خلال الايام الاولى لحرب يوم الغفران كانت هناك حالة من الاغتباط تسود نابلس ومدن الضفة الاخرى ، كان السكان المحليون يتحدثون بأصوات عالية ، يرفعون أيديهم ، ويرسمون بأصابعهم اشارة النصر ، يتجمعون في الساحات والحوانيت والمساجد ، ويتفوهون بملاحظات تجاه وسيطة نقل اسرائيلية ، لقد كانت المعنويات عالية (ملحق هآرتس ١٢/١١/١٩٧٣) .

وقد خلق تحت ظلال هذه الحرب نوع من الحرب النفسية المتبادلة بين الاهالي العرب وسلطات الحكم العسكري ، فقد أخذ الكثير من الاهالي يعرضون على عدد من اليهود الحماية في حال انتصار الجيوش العربية ، وفي المقابل أخذ الحكام العسكريون يجتمعون مع رؤساء البلديات ويتدارسون مشاريع بعيدة الامد ، مثل مشروع تزويد مدينة نابلس بالمياه وتنظيم طرق المواصلات بها في عام ٢٠٠٠ ، والموافقة على اقامة مدرسة في بيت جالة ، ومنح البلديات قروضا ...

باستثناء حالة الفرح والاغتباط أملا في الخلاص من الاحتلال ، لم تحدث هناك مقاومة عنيفة ، بسبب مجموعة من الظروف والمعطيات ليس هنا مجال تفصيلها ، والتي حالت دون تصاعد النضال الوطني ، مما دفع بعض الفئات المراهنة الى توجيه نقد ضد سكان المناطق المحتلة متجاهلة ان المقاومة الشعبية العنيفة ليست بنت ساعة ، بل هي وليدة نضال يتطور ويتصاعد خلال أعوام طويلة . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان بعض الانظمة العربية قد عمل قبل حرب اوكتوبر ولا يزال يعمل على منع نقل أية قطعة سلاح لسكان المناطق المحتلة . ان ذلك لا يعني ان سكان المناطق المحتلة اكتفوا بتعقب سير المعارك ، فقد قام بعض الاهلين كما ذكرت المصادر الاسرائيلية برش الطرقات بالمسامير ، كما وحدثت بعض العمليات العسكرية ضد أهداف اسرائيلية . وقاطع العمال العرب منذ اليوم الاول لنشوب الحرب المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، وبالرغم من ذلك ، فقد عمدت احدى الاذاعات العربية التي حالت سلطتها دون جيشها من خوض معركة الشرف مع الجيش المصري والسوري ، الى ترديد نداء كل نصف ساعة تقريبا طيلة ايام المعركة الى العمال العرب في المناطق المحتلة للتوقف عن العمل في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، موحية افتراء وبهتانا بان العمال العرب لم يتوقفوا عن العمل في تلك المرافق . والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو مصير المناطق المحتلة بعد الحرب ؟ ان مصير هذه المناطق يرتهن بنتيجة صراع الارادة لدى الاطراف ذات الصلة بالموضوع ولذا فاننا سنكتفي هنا بسرد موجز لمواقف تلك الاطراف .

١ — مصر وسوريا : تدعوان الى العودة الى خطوط الرابع من حزيران واعادة الحقوق الشرعية للشعب العربي الفلسطيني .

٢ — المقاومة الفلسطينية : تطالب بدحر الاحتلال مع رفض عودة سيطرة النظام الاردني على أية منطقة تحتلها اسرائيل ، وعدم التخلي عن الهدف الاستراتيجي المتمثل في تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني .

٣ — اسرائيل : عدم الرجوع الى حدود الرابع من يونيو مع استعداد للتنازل عن مناطق واسعة. ورفض قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة والقطاع كما جاء في برنامج حزب العمل .

٤ — النظام الاردني : يسعى النظام الاردني بكل الوسائل لاعادة سلطته على الضفة الغربية وقطاع غزة مع ابداء استعداد لتنازلات أقليمية طفيفة على الحدود شريطة ان تكون متبادلة !! ويعتبر الموقف الاردني نشازا بين المواقف العربية التي تصر على استعادة جميع المناطق المحتلة بدون تعديلات طفيفة او كبيرة على الحدود . فقد جاء في المذكرة السرية التي بعثها الاردن الى سفارات الدول الكبرى والتي كانت صحيفة النهار

البيروتية قد نشرتها بتاريخ ١٩٧٢/١٢/٥ ما يلي : « ان الضفة الغربية من الاردن منطقة اردنية فلسطينية احتلتها اسرائيل سنة ١٩٦٧ . ان مسؤولية وواجب وحق الاردن استعادة هذه المنطقة للفلسطينيين ، نظرا الى ان خط ما قبل ١٩٦٧ ، كان خط وقف اطلاق النار مع اسرائيل ، **والاردن مستعد ان ينظر في تعديل طفيف متبـــادل في الحدود** ... » أما فيما يتعلق بمصير الشــعب الفلسطيني بعد الانسحاب الاسرائيلي فتقــول المذكرة « ... عند رجوع الضفة الغربية للاردن في اتفاق نهائي ومنفصل ، فنحن مستعدون تنفيذا لالتزاماتنا وتنفيذا لكلمتنا للقبول بأن نعطي الشعب في الضفة الغربية للمرة الثانية الحق في تقرير مستقبله . نقبل ذلك من أجل مصلحة اعطاء الشعب الفلسطيني تماما حقه في تقرير مصيره ، شرط ان يطبق هذا على المناطق المعادة وسكانها ، وشرط ان يحل بعد الانسحاب الاسرائيلي وجود دولي ، هذا الوجود الذي عليه خلال أقصر وقت ممكن ان يعمل بأمانة تامة ومن دون تدخل على تحقيق تقرير لمستقبل مصير فلسطيني علــى الاسس التــالية : ١ — ان تشكــل حكومة فلسطينية منفصلة فــي جميع تلك المناطق . ٢ — تتحد مع الاردن وفقــا لمشروع المملكة العربية المتحدة . ٣ — ان تكون جزءا من المملكة الاردنية الهاشمية » .

٥ — سكان المناطق المحتلة : يمكن تصويــر الموقف العام لسكان المناطق المحتلة كما صوره أحد الصحفيين من أبناء تلك المناطق لصحيفــة الانباء الاسرائيلية ، فقد ذكرت صحيفة « الانباء » على لسان ذلك الصحفي بعد ان اجرى عملية استقراء لهيئات اجتماعية مختلفة انها تطالب بـــ « (١) تشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة تمثل الشعب الفسطيني ، (٢) انسحاب اسرائيلي من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، (٣) وضع منطقة الضفة الغربية وقطاع غزة تحت اشراف الامم المتحــدة لمدة لا تتجاوز خمس سنوات ، (٤) اجراء استفتاء شعبي بعد مضي ثلاثة سنوات تحت اشراف الجامعة العربية من أجل تقرير مصير الشعب الفلسطيني وفيما يتعلق بقضية تمثيل الشعب الفلسطيني « فان الاردن لا يملك حق التحدث باسم الشــــعب الفلسطيني » وان « **اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية هي الممثــل الشــرعي للشــعب الفلسطيني** . وبذا يبقى مصير المناطق العربيــة المحتلة رهنا بنتيجة صراع المواقف المختلفة ذات العلاقة بالموضوع .

تصاعد حركة النضال المسلح في المناطق المحتلة:

أخذت موجة النضال المسلح تتعالى في المناطق المحتلة وسط الجهود الدولية والمحلية المتلاحقة والمريعة لايجاد تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي، وقد ترتب عن ذلك في المقابل ان اخذت سلطات الاحتلال تشدد قمعها للمواطنين الابرياء .

اتسمت هذه الموجة النضالية بتوجيه ضربات لاهداف مختلفة ومتباعدة وتراوحت ما بين زرع الالغام والقاء القنابل او دسها والقيام بهجمات ضد أهداف عسكرية ومدنية . وسنشير هنا الى بعض العمليات كما اعترف بها العدو ، فعنــد منتصف شهر نوفمبر تم نسف مضخة مياه وعامود كهربائي بالقرب من مدينة ايلات ، وفي الرابع من شهر ديسمبر وقع انفجار في أحد شوارع القدس العربية كان يعج بالمستوطنين اليهود ، وأسفر الانفجار عن اصابة ٢١ شخصا بجراح من بينهم خمس مجندات . وفي اليوم التالي وقع انفجــار آخر داخل سيارة اوتوبيس كانت متوجهة من تل ابيب الى نتانيا وأسفر عن اصابة ١٦ شخصا بجراح ، وفي الثامن من نفس الشهر توج المناضلون كفاحهم بمهاجمة الحاكم العسكري لمدينة نابلس العقيد اليعازار سيجف اثناء مرور سيارته فــي المدينة وأسفر الحادث عن اصابة الحاكم العسكري بجراح ، وفي نفس اليوم قام الفدائيون خــلال الليلبمهاجمة دورية عسكرية كانت تتجول في الخليل.

حيال هذه الموجة صعدت سلطات الاحتــلال من قمعها من خلال اتباعها اربعة وســـائــل : (١) التفتيش المشفوع بالاهــانة علــى الجسور المفتوحة ، حيث أخذت سلطات الاحتلال تشدد من قبضة التفتيش هناك ، وترغم من يمر فوق تلك الجسور على خلع ثيابه ويقف عاريا ، الامر الذي اثار سخطا شعبيا في المناطق المحتلة مما دفع بعض رؤساء البلديات الى تقديم احتجاج ضد هــذه الاجراءات القاسية . (٢) خلق جو ارهابي في مدن الضفة الغربية وخاصة في مدينة نابلس ، حيث قامت قوات الاحتلال هناك بأعمال استفزازية مشينة ضد السكان الامنين مثل ضرب المــارة وتوقيفهم في الساحات العامة لمدة طويلة وزج المئات بالسجون تمهيدا للتحقيق معهم ، واستمر هذا الوضع طيلة اسبوع حتى ظهور بوادر تمرد

شعبي عام ضد هذه الاجراءات . وقد توجه رئيس بلدية نابلس الحاج معزوز المصري على رأس وفد الى الحاكم العسكري للمدينة وقدم له احتجاجا ضد هذه التصرفات وذكر له « ان الاعتداء على المواطنين لن يفيد أي شيء وانما من شأنه ان يزيد من اشتعال نار الحقد والكراهية » . وهدد بتقديم استقالة المجلس البلدي في حال استمرار الاستفزازات ، وعلى اثر ذلك وتلافيا لحدوث اضراب عام اضطر قائد الضفة الغربية رفائيل فاردي ان يصدر اوامره الى وحدات الجيش والامن العام بالكف عن التعرض للمواطنين في المدينة .

٣ ــ الابعاد : في العاشر من شهر ديسمبر أقدمت سلطات الاحتلال على ابعاد ثمانية اشخاص من مواطني الضفة الغربية الى الضفة الشرقية بتهمة « التحريض » والتعاون مع « منظمات المخربين » . وهؤلاء الثمانية هم عبد الجواد صالح رئيس بلدية البيرة ، عبد المحسن ابو ميزر من القدس وعضو المجلس الاسلامي الاعلى ، الدكتور وليد قمحاوي ، حسين محمود زعرور ، عربي موسى عواد ، شاكر ابو حجلة من نابلس ، وجريس عياد قواس من البيرة ، وجميل حسين عودة من رام الله . وقد حاول هؤلاء بعد ابعادهم العودة الى الضفة الغربية الا ان القوات الاسرائيلية المرابطة على الجسر حالت دون رغبتهم بعد اشتباك معهم بالايدي . وكنتيجة لهذه السياسة قامت سيدات القدس بتنظيم تظاهرة ضد هذه الاجراءات، الا ان قوات الاحتلال فرقت المتظاهرات واعتقلت ١١ سيدة .

٤ ــ غلق مؤسسات تعليمية : لقد اقدمت سلطات الاحتلال عند منتصف شهر ديسمبر على غلق كلية بير زيت في رام‌الله ، بحجة ان هذه الكلية قد تحولت في الاونة الاخيرة الى بؤرة وطنية حيث قام طلبتها بسلسلة من التظاهرات، وأصدروا مناشير تندد بالاحتلال ، كما واصدروا صحيفة « غير شرعية » وأعلنوا تعاطفهم مع ما تسميه سلطات الاحتلال « بمنظمات التخريب » .

اغتيال فريد طشطوش في المعتقل الاسرائيلي : ارتكبت سلطات الاحتلال عشية حرب اوكتوبر جريمة بشعة حين أقدمت على اغتيال المناضل الفلسطيني فريد طشطوش من مدينة نابلس ، بعد ان قضى اسبوعين في الاعتقال الانفرادي تحت وطأة التعذيب الوحشي حتى لفظ انفاسه الاخيرة بين يدي جلادي المعتقلات .

وكعادتها في حالات سابقة ، لم تعترف سلطات الاحتلال بهذه الجريمة بل ادعت ان فريد طشطوش قد « انتحر » . وتعيد ذريعة « الانتحار » الواهية التي تحتمي بها سلطات الاحتلال عند اقدامها على قتل انسان ، الى الاذهان ، ذريعة « الامن » التي تتسلح بها عند اقدامها على نهب الارض ومصادرتها . فقد رفض الدكتور نايف الطيبي (من نابلس) بعد معاينته للجثة ، باصرار ، ان يسجل في بند سبب الوفاة كلمة « انتحار » وكتب فقط بعد المعاينة كلمة « قتل » ، كما وكشف النقاب عن وجود كسر في ساق المتوفي وعلائم زرقاء تكسو جسده ، مما يشير الى انه عانى من تعذيب وحشي . كما ان طبيب وزارة الصحة الاسرائيلي ي. مئير الذي وقع على رخصة الدفن لم يذكر هو ايضا سبب الوفاة ، بل أبقى فراغا مقابل سبب الوفاة .

وقبل أن ننقل ردود الفعل الذي احدثها اغتيال طشطوش تجدر الاشارة هنا الى اوضاع المعتقلين العرب في السجون الاسرائيلية . لقد سبق وان تطرقنا في شهريات المناطق المحتلة الى نضالات المعتقلين المتمثلة في قوالب شتى مثل الاضراب عن الطعام او حلاقة الذقن او عن زيارة ذويهم ، او رفض القيام بأعمال من شأنها افادة الجهد العسكري الاسرائيلي مثل حياكة شبكات التمويه الخاصة بالدبابات . وقد كشفت تلك النضالات عن الاوضاع السيئة التي يعاني منها هؤلاء المعتقلون، الامر الذي جعل قضيتهم تشق طريقها خارج أسوار المعتقلات ، فقد اخذ بعض اليساريين من ذوي الضمائر الحية ، مثل المحامية فيليتسيا لنغر ، يعرون وجه الاحتلال من خلال مقالات ينشرونها في الصحف . ويمكن تلخيص اوضاع المعتقلين كما جاء في مقال للمحامية لنغر تحت عنوان « الظلم بين الاسوار » (زوهديرخ ١٠/٨/ ١٩٧٣) بالنقاط التالية :

١ ــ التعذيب : لقد غدا التعذيب ضد المعتقلين العرب ــ كما تقول المحامية لنغر ــ الذي نفذ وينفذ في السجون وفي اقسام خاصة خاضعة لسلطة رجال المخابرات ، شيئا عاديا .

٢ ــ اكتظاظ المعتقلات : لقد غدا الاكتظاظ

صفة ملازمة للمعتقلات التي يزج فيها المعتقلون العرب ، حيث « يزج في كثير من الاحيان بالغرفة ضعف امكانية استيعابها » .

٣ — النوم على الارض : بالاضافة الى حالة الاكتظاظ هذه ، فان المعتقلين العرب لا يحظون بسرير او حتى بوسادة يضعونها تحت رؤوسهم ذلك ان « المعتقلين ينامون على البلاط ، على حصيرة واهية ، في الوقت الذي يستخدمون فيه الاحذية كوسادة ، جسد بقرب جسد ، وفي بعض الاحيان يجد المرء صعوبة في مد رجليه ، كما ان هنالك صعوبة في استنشاق الهواء اثناء حرارة الصيف ... ان الباطون البارد يسبب مرض الروماتزم كما وان الطعام البسيط والغير كاف يسبب امراض المعدة والامعاء ... » .

٤ — الافتقار الى العلاج الطبي : بالرغم من هذه الظروف القاسية التي تنجم عنها حالات صحية سيئة سواء من الناحية النفسانية او البدنية ، فان سلطات الاحتلال التي تتباهى عادة بالنسبة المرتفعة من الاطباء في مجتمع المهاجرين والمستوطنين تهمل الناحية الصحية للمعتقلين اهمالا تاما فـ « المعالجة الطبية ليست مرضية بالبتة ، ففي بعض الاحيان ينبغي التوسل من أجل اجراء فحص طبي شامل ، وعندما تجري عملية الفحص ، فان العلاج الذي يعطى بشكل عام يتمثل في قرص ابيض ، قرص اسبيرين » .

٥ — عنصرية السجان : وفوق ذلك يواجه المعتقل العربي روحا عنصرية من قبل المسؤولين عن السجن ، فقد ذكرت المحامية لنغر انها توجهت باسم موكلها المعتقل الى احد المسؤولين عن السجن من أجل اصدار عفو عنه بعد ان قضى مدة طويلة في السجن مقابل تهمة بسيطة « أجابني الرجل : انني متأكد من انهم لن يعفو عنه ، **انني اريد ان اراه يموت رويدا رويدا ، وتخرج روحه عن طريق انفه** » .

٦ — عنصرية السجناء اليهود : لا تقتصر الروح العنصرية على السجان الاسرائيلي المسؤول بل تشمل ايضا اليهودي ، وفي كثير من الاحيان تسير الروح العنصرية السجان والسجين معا ضد المعتقلين العرب لارتكاب حوادث مشينة ، كما حدث في سجن شطة حيث « تام السجناء اليهود في سجن شطة بمذبحة ضد المعتقلين السياسيين العرب ، وكانت هذه المذبحة على درجة كبيرة من التخطيط، بحيث يمكن القول انه من غير الممكن ان تكون الادارة على غير علم مسبق بذلك » ... او كما حدث للمعتقلين العرب الدروز في هضبة الجولان في سجن « كفاريونا » حين كان يباغتهم السجناء اليهود بالضرب .

٧ — النظرة السيئة تجاه المعتقل السياسي : تتسم النظرة الاسرائيلية تجاه المعتقل السياسي وخاصة تجاه المعتقل العربي بالحقد والضغينة ، ولذا فان مفهوم اصطلاح السجين السياسي غير وارد هناك ، او كما تقول المحامية لنغر بحق « ان مفهوم السجين السياسي غير قائم عندنا ، ومن هذه الناحية نجد انفسنا ادنى ، للاسف ، حتى من البلدان الفاشستية » .

تحت وطأة هذه الظروف اغتيل او كما يحلو لسلطات الاحتلال « انتحر » فريد طشطوش . ومن المعروف ان هذا الشاب ينتمي الى اسرة فقيرة مسحوقة ، لم يمكنه عوزها من استكمال دراسة الطب في ايطاليا ، فعاد الى وطنه ليناضل ضد عدوين : الفقر والاحتلال ، واغتيل على يد العدو الثاني . وقد أحدث ذلك ردود فعل قوية في المناطق المحتلة وخاصة في مدينة نابلس ، حين شهدت قاعة بلدية المدينة عند مطلع شهر اوكتوبر الماضي مظاهرة نسائية ضخمة للتعبير عن الاستياء العام الذي عم الاوساط الشعبية نتيجة هذا العمل ، حيث اعتصمت أكثر من ٣٠٠ سيدة وآنسة ، وقامت المعتصمات بارسال مذكرة الى السلطات الاسرائيلية والصليب الاحمر جاء فيها : « نحن المعتصمات في قاعة بلدية نابلس والممثلات لامهات وزوجات المعتقلين والشعب في الضفة الغربية وقطاع غزة ، لاعلان استنكارنا واحتجاجنا الشديدين للحوادث الدامية المتكررة التي يتعرض لها ابناؤنا للموت في السجون الاسرائيلية بطرق مفجعة ، كاستشهاد السجين الطشطوش ومن قبله أنور الشخشير ومؤيد الحبش ، والاجراءات العقابية الاخرى التي تنفذ فيهم من اذلال وتعذيب، نطالب بتأليف لجنة محايدة ولجنة من الصليب الاحمر للبحث فورا في هذه الامور الخطرة خاصة واوضاع السجن عامة ، ولتسهيل الزيارة لذوي المعتقلين في سجون بئر السبع ، ولايقاف كل هذه المخططات الرهيبة الرامية للارهاب والقضاء على كل حق الانسان بأن يعيش في ارضه ووطنه عزيزا حرا».

عبد الحفيظ محارب

(٥) اسرائيليات

[١]

دايان ... واللاءات السبع !

حطمت حرب تشرين (اكتوبر) للاسرائيليين خطوطا كثيرة وقواعد عديدة ، ليس اخطرها خط بارليف ، ولا اهمها القواعد العسكرية فوق الارض وتحت سطحها .

وفي محاولة لفهم حقيقة هذه الحرب وابعادها داخل المجتمع الاسرائيلي ، كما تنعكس عبر صحفه واذاعته ومواقف مسؤوليه وسياساتهم ، لا بد من تقديم عرض موجز للنقاط الاساسية التي كانت تشكل مرتكزات الوضع الاسرائيلي ، ثم دراسة مدى صمود هذه المرتكزات امام الواقع الذي تطور الى أن اوصل الى نشوب الحرب ، التي شكلت محطا حقيقيا كشف الحقائق وفصل الحقيقة عن الاوهام ، ليس امام اعين العالم واعيننا فحسب ، بل امام اعين الاسرائيليين انفسهم قبل غيرهم .

١ — اولى هذه النقاط كانت تتمثل في التأكيد على قدرة اسرائيل المطلقة ، ليس فقط على تحقيق النصر في أية مواجهة عربية اسرائيلية ، بل على تحقيق النصر الساحق الماحق والسريع كالبرق على جميع الجيوش العربية ، وعلى جيش مصر بشكل خاص .

٢ — وثانية هذه النقاط ، كانت تركز على تهديد الدول العربية ، ومصر بشكل خاص ايضا ، بأن أية محاولة من جانبها للبدء بحرب محدودة ، او أي نوع كان من حروب الاستنزاف ، ستقابلها اسرائيل بشدة ، وستحولها الى حرب شاملة .

٣ — وثالثة هذه النقاط ، كانت تقول بأن اية حرب جديدة تنشب ، ستكون — بفضل بعد خطوط المواجهة عن قلب اسرائيل ومناطقها الاهلة ، وبفضل التفوق المطلق للطيران الاسرائيلي — مجرد معارك سريعة يحسمها الطيران بفعالية كبيرة ، وهي — اي الحرب — لن تستدعي بالتالي دعوة الاحتياط ، او جميعه على الاقل ، وتعطيل سير الحياة الطبيعي في اسرائيل ، ذلك لان الذي يشارك في الحرب الى جانب الطيران ، اعداد محدودة من الدبابات وسيارات الجيب التي ستضم الى المناطق المحتلة مساحات جديدة تبلغ ما يمكن للدبابات والسيارات من وصوله عند اعلان وقف اطلاق النار من جديد .

٤ — ورابعة هذه النقاط ، هي تلك التي كانت تراهن ، على انه عاجلا ام آجلا ، ستتغير نظم الحكم في كل من مصر وسوريا ، ويصل الى السلطة « حكام واقعيون » ، يفهمون « الامر الواقع » ويستخلصون منه العبر ، وتكون حرب الايام الستة في حزيران ١٩٦٧ ، هي الحرب الاخيرة .

وفي الساعة الثانية من بعد ظهر السادس من اكتوبر ، بدأت هذه المرتكزات تتحطم الواحدة منها تلو الاخرى . اذ ان اسرائيل عجزت عن تحقيق النصر الساحق الماحق الذي كانت تتحدث عنه ، بل انها عجزت عن تحقيق النصر من اي نوع او اي لون كان ، وتلقت بدل ذلك هزيمة ذريعة وخسائر فادحة ، لم تتمكن عملية الخرق في القطاع الاوسط من جبهة القناة من اخفائها عن اعين الاسرائيليين .

كذلك فان مصر وسوريا سبقتا اسرائيل في جعل المواجهة حربا شاملة ، وجعلتا الحرب تمتد اكثر من سبعة عشر يوما ، لم يكن فيها للطيران الاسرائيلي لا التفوق ولا الحسم .

وقبل أن تتحطم هذه الركائز الاربع ، كانت — منذ حرب حزيران ١٩٦٧ — تشكل قاعدة قامت عليها سياسة اسرائيل ، وعبرت عنها الصحف الاسرائيلية ، ورمزت اليها بعض الشعارات و« الاقوال المأثورة ! » ، التي كان اولها قول دايان انه يجلس في مكتبه منتظرا رنين الهاتف الذي يتحدث من طرفه الاخر هذا الحاكم العربي او ذاك .

ولحق بهذا القول اقوال عديدة ، من ابرزها قول غولدا مئير أنها تفضل ان يغضب العالم على اسرائيل على أن يبكي عليها ، وقول دايان

« شرم الشيخ بدون صلح خير من صلح بدون شرم الشيخ » وشعارات زعماء حيروت حول « ارض اسرائيل الكاملة » ورافق هذه الشعارات انتشار اساطير كاذبة عن القدرات الخارقة للجيش الاسرائيلي في مقابل العجز المطلق على الجانب العربي .

ولقد خلقت هذه الامور مجتمعة جوا عاما في اسرائيل يعارض الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، وزادت من قوة وتأثير اليمين المتطرف في اسرائيل وسارت بالمجتمع الاسرائيلي نحو اليمينية والشوفينية والتطرف، التي يمكن ملاحظتها بوضوح — على سبيل المثال — عبر اشارتين :

١ — قبول الرأي العام الاسرائيلي — بشكل عام — لانسحاب كتلة غاحال اليمينية المتطرفة من حكومة « التكتل الوطني » احتجاجا على اتخاذ الاغلبية في الحكومة في شهر آب (اغسطس) ١٩٧٠ قرارا بقبول مشروع روجرز الذي انهى حرب الاستنزاف .

٢ — تحرك حزب العمل الحاكم نحو اليمينية ، كما ظهر ذلك جليا في ازدياد وزن دايان وكتلته داخله ، وعبر ما يعرف في اسرائيل بـ « الاتفاق غير المكتوب » الذي يتضمن مبدأ « الضم الزاحف ببطء » ، وكذلك عبر « وثيقة غاليلي » التي اتخذتها سكرتارية الحزب عشية حرب اكتوبر . (انظر حول هاتين النقطتين في مكان اخر من هذا العدد) .

وهذه السياسة الاسرائيلية المستهترة بالعرب وقدراتهم وحقوقهم ، قادت الى استهتار اسرائيل بالرأي العام العالمي وبالعديد من دول العالم والامم المتحدة وقراراتها ، وأدت الى وضع أصبحت فيه اسرائيل معزولة ، او شبه معزولة ، واصبح « لاسرائيل صديق وحيد هو الولايات المتحدة الاميركية ، وحليف وحيد هو الشعب اليهودي في الشتات » كما قال ذلك الجنرال اسحق رابين ، سفير اسرائيل السابق في واشنطن ، في مقابلة نشرتها جريدة على همشمار يوم ٧٣/١١/١٦ .

ومنذ أن بدأت تتضح للاسرائيليين نتائج الحرب ، عم اسرائيل جو كثيف من الجدل على جميع الاصعدة من عسكرية وسياسية . ولئن كانت اولى علامات عنف الجدل وخطورة الاتهامات قد بدأت بالظهور في الاسبوع الاول بعد وقف اطلاق النار ، لدى استقالة الوزير شابيرا احتجاجا على عدم استقالة دايان او اقالته ، فان شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ، كان « شهر الجدل وتبادل الاتهامات » التي لم يسلم منها احد على الاطلاق في اسرائيل ، حيث بلغت حدة وشمول الاتهامات بين الزعامة السياسية في الائتلاف والمعارضة ، وقيادة الجيش الميدانية وقيادته على صعيد التخطيط والاعداد والاستخبارات حد اتهام المجتمع الاسرائيلي وكل فرد في اسرائيل ، في عملية تعذيب للنفس ورفض لكل ما كان قائما قبل الحرب ، وفي ما أسماه ناثان دونفيتش في هآرتس يوم ١٩٧٣/١١/٢٨ « هجمة المازوشية » .

فكيف بدأ الجدل ؟ وكيف تطور ؟ والى اين وصل حتى الان ؟

حاولت غولدا مئير ، بداية ، امتصاص نقمة الاسرائيليين باعتمادها خطين ، اولهما التأكيد على ان جميع التطورات التي سبقت الحرب والتطورات اثناء سير المعارك هي قيد الدرس لاستخلاص العبر ، وثانيهما التأكيد على ان مسؤولية الوزراء هي مسؤولية جماعية ومردود تصرف أي وزير يعود على الحكومة مجتمعة .

لكن ، ومع رفض العديد من الاسرائيليين لهذا الاتجاه (معاريف ٧٣/١١/٢) بدأت محاولة ايقاف الجدل ومحاربة موجة الاشاعات العارمة حول « التخاذلات والتقصير » وتصرفات العديد من المسؤولين . وقاد هذه الحملة بعض من قادة حزب العمل الحاكم ، وكان ابرزهم أهرون يدلين سكرتير حزب العمل الذي قال في ندوة اذاعية شاركه فيها الدكتور اليميلخ ريملط رئيس ادارة حزب الاحرار (الذي يشكل مع حركة حيروت كتلة غاحال ، ومع غيرها من الاحزاب اليمينية ما يعرف باسم « التكتل ») انه يجب ايقاف الجدل والنقاش حول تهم التقصير والاخفاق عشية حرب ٦ اكتوبر « ذلك لانه اذا كان الكلام من فضة ، فان السكوت من ذهب » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١١/٢) ، ورد ريملط على ذلك معارضا ومؤكدا انه « اذا كان هذا الموضوع يقع على عاتق ومسؤولية القيادة السياسية ، فسوف يكون موضوعا منطقيا للحملة الانتخابية » .

ولم يكن اليمين المتطرف وحده هو صاحب الذراع الطويلة في طرح هذا الموضوع للجدل وادارة النقاش حوله ، بل ان الاحزاب الاقل يمينية ، او

« اليسارية » بالمعايير الاسرائيلية (أمثال افنيري وغيره) كانوا أكثر تشددا وأكثر عنفا في حربهم ضد القيادة السياسية ، التي تشمل دايان وغيره من الجنرالات الاعضاء في الحزب الحاكم ، واصدر أوري أفنيري أكثر من عدد من مجلته « هعولام هزي » بغلاف يطالب باستقالـــة دايان ومئير ، واقالتهما ، مثل غلاف يوم ٧٣/١١/٢٨ ، الذي أظهر صورة غولدا مئير تحت كلمة « أبعادها ! »، وغلاف يوم ٧٣/١١/١٤ ، الذي أظهر صورة تجمع دايان والعازار وسؤالا يقول : « هل يحققا مع أنفسهما ؟ » اضافة الى مواضيع عديدة اخرى تحمل دايان ومئير وغاليلي بشكل خاص مسؤولية الفشل ومسؤولية الهزيمة التي لحقت باسرائيل في حرب تشرين ، وضرورة استخلاص هؤلاء للنتائج وتقديم استقالاتهم .

هكذا تصاعد الجدل ، من حديث هامس في الغرف المغلقة ، الى ان وصل الى اعمدة الصحف ، ثم الى الكنيست في جلسات عديدة ، الى ان عـــم اسرائيل بكل ما فيها من مؤسسات وبلغ ابعادا لم يصلها جدل حول اي موضوع آخر من قبل ، واشتدت حملة المطالبة بتشكيل لجنة تحقيق ، تحقق في كل تقصير ، وتضع استنتاجات على ضوء ما يصل اليه تحقيقها . وقد عبر عن هذه المطالبة في افتتاحيات عديدة للصحف الاسرائيلية وفي مقالات كثيرة في صفحات الرأي والتعليقات (معاريف ١٢/ ٧٣/١١ ، هآرتس ٧٣/١١/٦ ، يديعوت احرونوت ٧٣/١١/١٣ وغيرها) .

وفي يوم ٧٣/١١/١٨ ، اقترحت غولدا مئير على الحكومة تعيين لجنة تحقيق قضائية (معاريف ١٨/ ٧٣/١١) بعد أن كانت ترغب من قبل في تشكيل لجنة تحقيق شعبية . ثم تشكلت هذه اللجنة من خمسة اعضاء هم : رئيس محكمة العدل العليـــا اغرانات وقاضي محكمة العدل العليـــا لنداو ، ورئيسين سابقين لهيئة اركان جيش الاحتلال هما حاييم لسكوف ، والبروفيسور يغآل يدين ، ومراقب حسابات الدولة نيفتسائيل .

الا ان تشكيل لجنة التحقيق قوبل بالرفض لدى بعض المعلقين الاسرائيليـــين مثل يرمياهو يوفيـــل (دكتور في الجامعة العبرية في القدس) الذي كتب في هآرتس ٧٣/١١/٢٨ مقالا بعنوان « الخطـــوط التي سقطت » وانتقد فيه تشكيل لجنة تحقيق ووجه الاتهام للسلطة السياسيـــة وحملها مسؤوليـــة التخاذل ، وقال « ان لجنة التحقيق التي شكلت بمبادرة من الحكومة ، قد تقوم بمهمة تضليلية . يجب ان نأمل ان يقوم أعضاء اللجنة بتنفيذ مهمتهم باخلاص ، وأن يتوصلوا الى نتائج صادقة ... لكن ، ان مجرد تشكيل هذه اللجنة يسبب اخفاء الجوهر . وليس فقط لان الحكومة ترغب عن طريق تعيين اللجنة اسكات كل مناقشة جماهيرية (باعتماد أسلوب المناورة بالسرية وفرض السرية على مـــا يدور من بحث) ، بل لان تشكيل اللجنة يخلق الانطباع وكأن التقصير الذي نحن بصدده ، هو مسألة تقنية بحتة ، خلل او اكثر اصاب الهيكل بالصدفة ، ويمكن اصلاحه بسهولة نسبية ، كما نغير دولابا أصيب بعطب او كما تخلـــع ضرسا مصابا .

« والواقع ان التقصير اعمق وأكثر جذورا . تبلـــغ جذوره بنية المجتمـــع كله ، ... وتمتص مصادره من القيادة مباشرة . واذا كان الجمهور مذنبا ، فان ذنبه فقط هو انه خدع بقادته ، الذين وضع بهم ثقته ، وقبل على مدى سنين ان يعطل عقله ونقده امامهم ، ووافق على الاشتراك معهم في غضبهم وسخريتهم من كل من حاول ان يطالبهم بتقديم تقرير ارادي عقلاني عن تصرفاتهم ، سواء كان ذلك عضو كنيست مراقب من المعارضة ، او كان مفكرا غير ملتزم ومتحرر بموجب مواهبه او محيطه من التأثير السام للتنظيرات الرسمية » .

وأكد في مقاله ان الذي سقط ليس خط بارليف وحده بل خط السياسة الحكومية التي قصرت على مدى السنوات الست بعد حرب حزيران في تقديم اي مشروع سلام والتقدم نحـــو التسوية نظـــرا لتصورات اثبتت حرب اكتوبر بطلانها وزيفها .

وعلى صعيد تبـــادل العسكريين الاسرائيليـــين للاتهامات بالتقصير والتخاذل والوقوع في الاخطاء برز دافيد العازار واريك شارون ، حيث اتهـــم العازار الاستخبارات العسكرية في مقابلة تلفزيونية (٧٣/١٠/٢٨) عندما قال ان فترة الانذار التي أعطيت للجيش الاسرائيلي كانت قصيرة للغاية وغير كافية . ولما كان توجيه الانذار وابلاغ الجيش بالتحركات على الطرف الثاني من الجبهة هو من مهام الاستخبارات العسكرية ، فقد فهم من ذلك ان العازار يحاول التنصل من المسؤولية بتوجيه اصبع الاتهام نحو الاستخبارات . وقد رد كثير من المعلقين والصحافيين الاسرائيليين على العازار ،

كذلك نفى هذه التهمة عدد من مسؤولي الاستخبارات الاسرائيلية سابقا (مثل يهوشفاط هركابي ، ومئير عميت (معاريف ٧٣/١١/٩)) ، وقال شبتاي طيفت في هآرتس ٧٣/١١/٢ ، تحت عنوان « افتقار للانذار ام ثقة بالذات ؟ » ان ما حدث في الواقع هو « ان رئيس هيئة الاركان العامة ، ووزير الدفاع اعتقدا بأن التشكيل النظامي وحده باستطاعته ان يصد بنجاح هجوما عربيا ، او على الاقل ان يوقفه جيدا ويكون بذلك قد منح فترة كافية لتجنيد الاحتياط . . » .

اما العميد (احتياط) اريك شارون ، فقد وجه اتهاماته للقيادة العليا للجيش الاسرائيلي في مقابلات نشرتها الصحف الاجنبية (واشنطن بوست ، ولوس انجلوس تايمز يوم ١٩٧٣/١١/١١ وجريدة نيويورك تايمز يوم ٧٣/١١/١٠) وانتقد في هذه المقابلات الاسلوب التي اديرت به الحرب ، وادعى انه من الصور التي أخذت من الجو تمكن يوم ٧٣/١٠/٥ (أي قبل الحرب بيوم واحد) من معرفة ان الحرب ستنشب خلال يوم او يومين ، كما اتهم القيادة العسكرية بأنها لم تقدم له الدعم الكافي في عملية العبور التي قادها في القطاع الاوسط من قناة السويس . وقد قوبلت تصريحات شارون هذه بنقد شديد في الصحافة الاسرائيلية، ولامه رئيس الاركان عليها وطالب العديد من المعلقين الاسرائيليين بمنع الضباط في الجيش من الادلاء بتصريحات للصحف ووسائل الاعلام الاخرى .

على ان هذه الحملة التي تعرض لها شارون لم تقض عليه نظرا لاحتمائه بالهالة التى منحته اياها الصحف الاسرائيلية كقائد لعملية الخرق التي مكنت تلك الصحف من البدء بمحاولة تقليص حجم الانتصار المصري على طول جبهة قناة السويس ، ووضع عملية الخرق على قدم المساواة مع عمليات جيش مصر .

وخلال شهر نوفمبر الماضي ، حاول « التكتل » اليميني ، الذي يضم غاحال وغيره من الاحزاب اليمينية المتطرفة ، والـذي كان شارون ابـرز مؤسسيه ومرشحيه للانتخابات المقبلة (انظر حول موضوع الانتخابات في مكان آخر من هذا العدد) ، حاول أن يجير « انتصار » شارون لصالحه ، وطلب شارون سن قانون جديد يمكنه من الاستمرار في العمل ضمن صفوف الجيش ، والحفاظ على منصبه كأحد مرشحي التكتـل في الوقت ذاته ، الا ان الكنيست رفضت اقرار مشروع قانون بهذا المعنى، وقال عدد من كبار المسؤولين في حزب العمل « انه لا يجوز اقرار أي قانون تحت تهـديد ضابط في الجيش » (معاريف ٧٣/١١/٢٣) .

على الصعيد السياسي ، شهدت اسرائيل في شهر نوفمبر الماضي تحركا كثيفا بفعل حرب اكتوبر ، التي اثرت على كل المواقف الاسرائيلية ، وأدت الى تغيير موعد الانتخـابات للكنيست واخضاع برامج الاحزاب للدراسة والمناقشة من جديد . كما أدت الى تشجيع العديد مـن الاحزاب والتكتلات والافراد على طرح مشاريع سلام جديدة على ضوء حرب اكتوبر، وما أدت اليه من تحريك لازمة الشرق الاوسط وتحرك اميركا وغيرها مـن الدول نحـو الاسراع بايجاد حل والتوصل الى تسوية لها .

ومع زيارة كيسنجر الاولى الى عدد مـن دول الشرق الاوسط ، وبـدء مباحثات الخيمة عنـد الكيلومتر ١٠١ على طريق القاهرة ــ السويس ، وتحديد يوم ٧٣/٢/١٨ لبدء عقد جلسات « مؤتمر السلام » في جنيف ازدادت وتيرة المشاريع التي تنشرها صحف اسرائيل لمعلقيها ولاحزاب اخرى على شكل اعلانات ودعايات انتخابية .

نبدأ بالحكومة ووزرائها . ان ابرز ما في اقوال غولدا مئير خلال الشهر الماضي ، هو استمرارها في التعنت ، خاصة بعد اجتماعها الى نيكسون في واشنطن في نهاية شهر اكتوبر ، حيث عادت بعدها الى مواقفها قبل الحرب ، « واستنكرت فكرة اقامة دولة فلسطينية غربي نهر الاردن » واضافت قولها « انه اذا أراد الاردنيون اقامة دولة فلسطينية على حدودهم الشرقية فانها لا تعارض هذا ويمكنهم تسميتها فلسطين الاردن او الاردن فلسطين ، لكن لا يمكن ايجاد دولة اخرى على حدود اسرائيل » ، (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١١/٢) .

اما موشي دايان فقـد ادخل على القامـوس السياسي للازمة تعبيرا جديدا هو «اللاءات السبع»، وهي اللاءات التي أوردها على انها معالم سياسته في نادي الحقوقيين ، وأوردتها هآرتس يوم ٢٨/ ١٩٧٣/١١ على النحو التالي :

ــ لا انسحاب من شرم الشيخ .

ــ لا انسحاب من نهر الاردن .

ــ لا انسحاب من الجولان .

ــ لا انسحاب من جبال نابلس .

ــ لا تنازل عن برنامج العمل في المناطق (اقامة

مدينة يميت) .

— لا ضمانات بدل حدود آمنة .

— لا انسحاب بدون سلام .

ورغم ما في هذا الكلام (غولدا مئير وموشي دايان) من تعنت وتصلب ، فان قوة « الحمائم » داخل حزب العمل قد ازدادت بعد حرب اكتوبر ، وكبر حجم المؤيدين للخط المعتدل داخل الحزب ، والذي يقف على رأسه بنحاس سابير وزير المالية ، كما ازداد حجم كتلة اريبه الياف (السكرتير الاسبق للحزب ، وأحد أبرز منظري الحـزب ومعارضي قيادته والداعي الى تقديم مشروع تسوية يتضمن اقامة دولة فلسطينية) .

وقد نشر الياف مقالا في معاريف (٧٣/١١/٩) تحت عنوان « فتحت لنا بوابة » قال فيه « بهامة منتصبة ، وبفخر ودون التحرك شبرا واحدا حتى الان ، علينا أن نقول للشعب المصري الكبير اننا سنعيد له سيادته على سينـاء في مراحل وبعـد مفاوضات وحل جزئي وبعد التجريد التام لشبـه جزيرة سيناء من الاسلحة ، وتحت مراقبة مصرية — اسرائيلية مشتركة ، وبوجودنا في المضائق . هذه المراقبة تخرج من قلوبنا تدريجيا الشكوك الرهيبة التي ازدادت بعد حرب يوم الغفران .

« علينا التوجه للعرب الفلسطينيين وللاردن حيث تكمن جذور النزاع ونقول لهم بأننا سنتقاسم معهم تركة آبائنا وآبائهم ، أرض اسرائيل الكبرى من البحر الى الصحراء على ضفتي الاردن .

« علينا ان نكون مستعديـن لمفاوضة ممثلين معتمدين منهم لخلق أساس لدولة ، وربما دول لهم تضم شرق الاردن ومعظم مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة، في حين تكون الضفة والقطاع منزوعتي السلاح ، وتحت مراقبة مشتركة .

« علينا ان نجد سوية حلا خاصا مـن نوعه للقدس ، بابقاء المدينة موحدة وعاصمة لاسرائيل ، وتؤمن لهم في الوقت نفسه ممرا ذا سيادة لاماكنهم المقدسة ، او حلولا اخرى غير عادية .

« علينا أن نقترح ونساعد في ايجاد حلول على نطاق واسع وشامل لتوطين اللاجئين العرب فـي المناطق التي تعاد وفي الاردن .

« علينا ان نتوجه للسوريين ونقترح عليهم تقسيم الجولان وتوطين لاجئيه وبعد مفاوضات بمراحل ، تجريد ومراقبة متبادلة للمناطق التي تعاد » .

وبرغم ان جميع هذه البنود التي يقترحها الياف، مرفوضة عربيا وفلسطينيا ، الا ان بروزها من وسط حزب العمل الحاكم ، وان يكن من قبل كتلة الاقلية فيه ، مسألة تستأهل الاهتمام والملاحظة ، خاصة في هذه المرحلة التي تحرض فيها جماعات ضغط كثيرة في اسرائيل (همولام هزي ٧٣/١١/٢٨) ، المعتدلين في حزب العمل للتصدي للتيار الذي يقوده ثلاثي مئير — دايان — غاليلي .

ولقد بدأت المواجهات داخل حزب العمل في شهر نوفمبر الماضي تأخذ شكلا مكشوفا اكثر من الماضي ، تظهره التعابير التي تحمل أكثر من تفسير في بيان المبادىء الاربعة عشر » الذي أقره مركز الحزب ، والتفسيرات المتناقضة التي يعطيها لهذا البيان كلا التيارين (انظر حول هذا الموضوع في مقال عن الانتخابات البرلمانية في مكان آخر في هذا العدد) .

وكذلك فانه رغم حاجة الحزب الشديدة — نظرا لاقتراب موعد الانتخابات — الى التظاهر وكـأن الاتفاق داخل صفوفه تام ، فان الصراعات داخله بدأت تبرز امام أعين الاسرائيليين ، وعلى صفحات الصحف ، وكان آخرها في شهر نوفمبر طلب اهرون يدلين من دافيد شوحام رئيس تحرير مجلة الحزب « أوت » بالاستقالة لانه فقد ثقته ، ورفض شوحام مؤكدا ان الثقة به مصدرهـا مكتب الحـزب لا سكرتيره ، وانه « سيكون من المؤسف جدا اذا ما اتضح ان الرجل الوحيد القادرة قيادة حزب العمل على اقالته نتيجة للتقصيرات ، هو محرر مجلـة أوت » (هآرتس ٧٣/١١/٢٨) . وكان تصريح يدلين ورد شوحام قد جاءا بعد توقيع شوحام على بيان وزع على الصحف يوم ٧٣/١١/٢٧ ، وفيه مطالبة بمبادرة سلام اسرائيلية فورية ، وادعى يدلين ان شوحام وقع على البيان مع رجال متسبين وسياح ، ورد شوحام انه رأى بين الموقعين أعضاء من أحزاب العمل والاحرار المستقلين والمفدال ، واضاف شوحام « ان من الغريب ان يكون سكرتير حزب العمل ما زال يعتقد بأن هناك امكانية تحميل المسؤولية عن كل ما يحدث في الدولة على مجموعة من ٢٠ شخصا من حركات متطرفـة ، ويتجاهل بعناد قرارات حلقة « اتغار » وحلقـات عريضة اخرى داخل الحزب » (المصدر السابق) .

وأعد أعضاء « الحلقة الفكرية لتوضيح قضايا المجتمع والدولة في حزب العمل » مظاهرة لدى

اجتماع مركز الحزب يوم ٧٣/١١/٢٨ ، مطالبين فتح قائمة مرشحي الحزب للانتخابات من جديد ، واجراء تعديلات عليها ، ومطالبين بوضع مشروع سلام وتقديم مبادرات سلام ، واختيار قيادة شابة. وعقد ممثلون عن هؤلاء مؤتمرا صحافيا في « بيت سوكولوف » في تل ابيب ، وقال الدكتور يوحنان بيرس من جامعة تل ابيب « ان جمهورا واسعا في الحزب ، يؤيد حاليا المبادىء ووجهات النظر الاساسية للحلقة ولعضو الكنيست ارييه الياف ، كما عبر عنها في كتابه « أرض الغزال » (المصدر السابق) .

وتقابل هذه الخلافات داخل حزب العمل ، على صعيد الائتلاف الحكومي ، خلافات بين اطراف الائتلاف ، تجد لها أصداء عبر صحف اسرائيل ، وكان أبرزها حتى الان صوت وزير السياحة موشي كول من حزب الاحرار المستقلين الذي انتقد سياسة الحكومة الاسرائيلية وخط دايان بشكل خاص في مقال نشره في جريدة دافار شبه الرسمية ، قال فيه «لقد طالب حزب الاحرار المستقلين وممثلوه في الحكومة والكنيست ، بتشجيع اقامة تمثيل لعرب الضفة الغربية ، وبالسماح لهم بممارسة النشاط السياسي ، واشراكهم في التطور الزراعي والاقتصادي والاجتماعي ، وتمكينهم من بلورة مفوضية حقيقية تتألف من شبان جدد وقادة قدماء ، تفتش عن حل مع اسرائيل وليس ضد اسرائيل... وعارض وزير الدفاع هذا الامر ، ومنحه « التجمع » كامل التغطية ... »

« ويجب أن يأتي الحل عن طريق مفاوضات بين اسرائيل من جهة والاردن والفلسطينيين من الجهة الاخرى ، وبدونهم لا يمكن التوصل الى حل وسلام، والسؤال هو : من يمثل الفلسطينيين ؟.. لقد تحطمت مفاهيم مختلفة من مفاهيم حزب العمل والتكتل في الحرب الاخيرة ، نحن جميعا ندفع ثمن الاخطاء والاوهام والاغلاط ... » (دافار ٢٦/١١/ ١٩٧٣) .

اما مواقف الاحزاب المعارضة فقد كانت — بالنتيجة وليس لنفس الاسباب — متفقة حول موقف واحد هو مطالبة الحكومة بالاستقالة. (رصد اذاعة اسرائيل ١٤/١١/١٩٧٣) ، والاصرار على تحميل اعضاء الحكومة ورئيستها كامل المسؤولية عن التقصيرات التي كشفتها الحرب وتطوراتها ، وكان الابرز في اعلان ذلك مناحيم بيغن زعيم التكتل اليميني المعارض .

وعلى صعيد علاقات اسرائيل الخارجية ، انصب الاهتمام بشكل اساسي على علاقات اسرائيل بالولايات المتحدة باعتبارها « الصديق الوحيد » الذي بقي لاسرائيل ، على حد تعبير رابين ، وتنوعت المقالات التي تحدثت عن هذا الموضوع ، وكان المميز بينها ما كتبه موريس كار في معاريف يوم ٧٣/١١/١٢ ، حيث هاجم كيسنجر بشدة ، ووصف « واقعية كيسنجر السياسية » بأنها بالنسبة لاسرائيل « موت بالتقسيط » ، وقال « ان الضمانات والحلول المطروحة هي مدخل لاسرائيل الى نكبة ، وان اميركا رضخت للتهديد الروسي ولسياسة الابتزاز العربي » . وتقدم كار باقتراح من ثلاث نقاط هي : « ١ — ان تتوقف رئيسة الحكومة عن اعطاء الشعب حقنا مخدرة ، ٢ — اقامة حكومة تكتل وطني ، ٣ — محاولة عقد صفقة مع الاتحاد السوفياتي » .

ورد يعقوب رابي في جريدة « عل همشمار » (الناطقة بلسان حزب مبام الذي يشكل مع حزب العمل « التجمع » العمالي) ، يوم ٧٣/١١/١٥ ، على آراء ومقترحات كار واصفا اياها بأنها هي التي تشكل « موتا بالتقسيط » لاسرائيل ، وقال : « ان فتح معركة مع الولايات المتحدة هو خطر كبير على اسرائيل ، وان اقامة حكومة « تكتل وطني » (أي حكومة تضم غاحال) ستقضي على أية مبادرة للسلام ، وان اجراء صفقة مع الاتحاد السوفياتي هو اكبر خطر على اسرائيل » .

وخلال شهر نوفمبر الماضي حفلت الصحف الاسرائيلية بالعديد جدا من المقالات التي تطالب الحكومة بتقديم مبادرات سلام واتهامها بالتقصير عن القيام بذلك في السنوات الست التي فصلت بين حربي حزيران وتشرين ، والتحذير من « تفاجؤ » اسرائيل بمبادرات السلام كما فوجئت بنشوب الحرب ، « والمهم ان لا ننتظر دون القيام بعمل ، حتى نتلقى الضربة السياسية من العرب في مؤتمر جنيف » (موشي جاك ، معاريف ٧٣/١١/١٤) .

وفي مقال تحت عنوان « منهكو قتال وجوعى للسلام » اتهم ا. ب. يهوشع في هآرتس (١١/٢/ ٧٣) اسرائيل بأنها كانت منذ ما بعد حرب حزيران، تحمل « السلام » اكثر مما يحتمل ، وتطالب بـ « سلام حقيقي » و« سلام ابدي » و« سلام دائم » ، الامر الذي يثقل على السلام ، والذي

حوله من شيء ملموس يمكن تحقيقه الى شعار مجرد ميتافيزيقي ، الى ان « أتت هذه الحرب ، وبضربة صاعقة أعادت الجوع الفوري للسلام ، وببساطة، لا سلام أبدي بل سلام بسيط لا يضطر فيه الانسان الى ترك عائلته ظهر يوم ليموت في صباح الغد ».

على ان عددا من اساتذة الجامعات في اسرائيل، ما زالوا حتى الان هم الاكثر حدة في مهاجمة سياسة الحكومة، وقد برز من بين هؤلاء البروفيسور يشعياهو ليبوفيتش من الجامعة العبرية في القدس الذي قال في هآرتس (٧٣/١١/٣٠) : « ان الخطأ لم يكن طوال الاعوام الستة الاخيرة (منذ حرب ١٩٦٧) ، وانما كان طوال الخمسة وعشرين سنة الاخيرة ايضا ، منذ توقيع اتفاقية رودس » ثم وصف السياسة الاسرائيلية القائمة على ابقاء اسرائيل في حالة لا سلم ولا حرب ، مع التأكيد على ان هناك أبدا حربا وشيكة الوقوع ثم شن الحروب القصيرة والمضمونة النتائج سلفا ، بأنها « سياسة اجرامية وشريرة » واتهم اسرائيل بـ « اننا ليس فقط لم نقم بأية محاولة الى الوصول الى سلام مع العرب، بل خربنا عن عمد وعن سابق اصرار كل مناسبة كان من الممكن ان تنطوي على امكانية احلال السلام » .

واعتبر البروفيسور افرايم اورباخ (من معاريف ٧٣/١١/٢٣) ان نتائج حرب تشرين هي « اكبر فشل في تاريخ اسرائيل » وحمل دايان مسؤولية هذا الفشل .

وانتهى شهر نوفمبر دون ان تنتهي « هجمة المازوشية » في اسرائيل والتي قد تقود — عبر الانتخابات القريبة — الى احداث تغييرات في توزيع المقاعد البرلمانية ، وتقود بالتالي الى احداث تغييرات في تركيب الائتلاف الحكومي وأعضائه .

عماد شقور

[٢]
الانتخابات العامة في اسرائيل

حزب العمل : تجميد للصراعات الداخلية ، واقرار وثيقة عمل جديدة

أدت الحرب الاخيرة كالعادة الى وضع عدة أمور وقضايا تتعلق بالصراع الاثني والطبقي والاجتماعي في اسرائيل ، « على الرف » . لذلك ، بدأت بعض القوائم التي تقدمت للانتخابات العامة، والتي بنت نفسها على اساس خوض معركة الانتخابات مستغلة تدهور الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، وبروز التناقضات الطائفية ، بالمطالبة بتأجيل موعد الانتخابات ، وانضم الى هذه الفئات ، ولاسباب اخرى ، مثل ضرورة ابراز وحدة الشعب اليهودي وتكتله امام التحديات واحتمالات الضغوط العالمية والاميركية بشكل خاص ، بعض الصحفيين والكتاب والمفكرين الى جانب الحزب الديني القومي « المفدال » الذي دعا الى تأجيل الانتخابات واقامة حكومة طوارىء وطنية على غرار ما حدث قبيل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . لكن التجمع العمالي الحاكم بزعامة جولدا مئير رفض دعوة المفدال وأصر على اجراء الانتخابات في موعدها المحدد ، وعدم تشكيل حكومة طوارىء وطنية .

وقد كان واضحا منذ البداية ان قبول المعراخ بتأجيل الانتخابات ، سيجره الى الموافقة على طلب المفدال التالي ، المتمثل باقامة حكومة طوارىء وطنية ، الامر الذي ، بالاضافة الى المعارضة الشديدة التي سيلقاها داخل حزب العمل والتجمع العمالي الحاكم ، كان سيفسر انتخابيا على انه اقرار من التجمع وحزب العمل بعجزهما عن مواجهة المرحلة القادمة . ومن ناحية اخرى كان سيضع قيودا على حرية الحركة والمناورة السياسية للتجمع الحاكم ، وأخيرا سيكون منفذا للتكتل اليميني للادعاء بأن وجوده في الحكم حال دون تقديم التنازلات والمحافظة على المكاسب. هذه الحسابات الانتخابية ، الى جانب ضرورة اعادة الوحدة الى صفوف الحزب ، واعادة الهيبة المفتودة لزعامته

السياسية ، تلك الهيبة وتلك الوحدة التي اصيبت بشرخ خطير نتيجة للاتهامات الخطيرة الموجهة للحزب ولقيادته من الداخل والخارج .

ومن الداخل كان اول من بدأ في الهجوم وزير العدل يعقوب شمشون شابيرا الذي طالب باستقالة وزير الدفاع موشي دايان ، محملا اياه مسؤولية ونتائج حرب السادس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ . وعلى الفور أعلن دايان انه يضع استقالته تحت تصرف رئيسة الوزراء ، التي بدورها أكدت ثانية على انه ما زال يتمتع بثقتها التامة والكاملة، مما ادى الى استقالة وزير العدل نفسه ، لكن وقوف جولدا الى جانب دايان ، مع تأكيدها على ان التحقيق سيأخذ مجراه لكشف وتحديد العيوب والسقطات ، لم يكن كافيا لاسكات اصوات الاحتجاج الداخلية التي أخذت تطالب باعادة النظر في مجمل سياسة الحزب ، وبضرورة صياغة برنامج انتخابي يأخذ بعين الاعتبار التطورات المستجدة وعلى رأسها مؤتمر السلام والتسوية السياسية وغيرها من الامور .

لذا بدأت اللجنة المركزية للحزب سلسلة من الاجتماعات ، منذ ٧٣/١١/٢٨ من اجل معالجة كافة المواضيع المطروحة ، مثل النظر في تأجيل الانتخابات ، واعادة فتح قوائم الترشيح ، وصياغة برنامج عمل انتخابي . وكان من ابرز الداعين الى اعادة فتح لوائح الترشيح سكرتير حزب العمل الاسبق آرييه الياف ووزير العدل السابق يعقوب شمشون شابيرا ودافيد هكوهين رئيس لجنة الخارجية والامن السابق ، لكن كلا المطلبين ، تأجيل الانتخابات واعادة فتح اللوائح رفضا بالاغلبية ، فقد رفض الاقتراح الاول بأغلبية ٣٠٠ صوت مقابل ٨٧ ، والاقتراح الثاني بأغلبية ٢٥٦ صوتا مقابل ١٠٧ أصوات .

وقد علل دافيد هكوهين الاقتراحين السابقين بقوله « تسود الجمهور اليوم خيبة أمل ، وليس من السهل جلب المقترعين الى صناديق الاقتراع». وادعى ان مكانة زعماء المعراخ قد تضعضعت ، بما في ذلك مكانة الوزير دايان ورئيسة الحكومة جولدا مئير . وانه اذا كانت هناك نية لدعم القيادة فينبغي فتح اللوائح وادخال دم جديد اليها . (ر أ أ — ٧٣/١١/٢٨ م٠ [٤٠٢]) .

وثيقة الاربعة عشر بندا

بعد أن أقرت اللجنة المركزية في اجتماعها الاول اجراء الانتخابات في موعدها المقرر ، وعدم ادخال تغيير على قوائم الحزب الانتخابية وترتيب المرشحين فيها ، تابعت مناقشة صيغة اتفاق بشأن سياسة الحزب حول القضايا الخارجية والامنية في الاعوام الاربعة المقبلة . وقد وضعت صيغة هذه الوثيقة لجنة مؤلفة من خمسة عشر عضوا يمثلون الكتل الثلاث في الحزب (المباي ، أحدوت هعفودا ورافي) وقد تم اقرار الوثيقة بعد جلسة صاخبة عقدتها اللجنة المركزية للحزب في اوائل الشهر الحالي . وفور اقرار الوثيقة بدأت النقاشات ، حول ما اذا كانت الوثيقة الجديدة تلغي وثيقة جاليلي ام لا . وقد طالب « الحمائم » في الحزب اتخاذ قرار بالغاء وثيقة جاليلي . اما الصقور فعارضوا ذلك بشدة . وهذا هو نص الوثيقة كما أوردته صحيفة دافار الاسرائيلية الصادرة في ٧٣/١١/٢٩ :

أ — مقدمة

١ — ستجري الانتخابات للكنيست الثامنة بعد حرب يوم الغفران ، في ذروة الصراع السياسي من أجل السلم ، وتحت ظروف ضرورة الاستعداد المستمر ضد خطر تجدد القتال بمبادرة الدول العربية . ويجب أن تنعكس ، في برنامج المعراخ للكنيست الثامنة بجميع فصوله وأقسامه ، الدروس والعبر المترتبة عن ظروف الحرب ونتائجها ، واستعداد الشعب والمجتمع لتحقيق السلام كهدف رئيسي .

ب — الامن

٢ — تشيد اللجنة المركزية بقدرة جيش الدفاع الاسرائيلي على الصمود ، وبالنصر الذي حققه على جيوش العدو بفضل قوة مقاتليه وبطولتهم . فجيش الدفاع الاسرائيلي تغلب على أعدائه ، على الرغم من تفوقهم في العدد ، وفي السلاح والعتاد الذي زودهم به الاتحاد السوفياتي .

٣ — تعرب اللجنة المركزية عن مشاركتها في حزن العائلات الثكلى ، ووقوفها الى جانب الاسرى والجرحى وعائلاتهم .

٤ — يجب أن تتصدر ضرورات الامن اهتمامات الدولة . وعلينا ألا نبخلَ بأي جهد يتطلبه دعم قوة جيش الدفاع الاسرائيلي وطاقته . فقوة جيش

الدفاع الاسرائيلي شرط أساسي لتحصين الامــن وتحقيق السلام .

ج — السعي للسلام

٥ — هدف اسرائيل المركزي هو احراز السلام مع الدول المجاورة ، واقامة علاقات تعاون مع شعوب المنطقة . فاسرائيل تسعى ، منذ قيامها ، لذلك الهدف ، ولكنــه لم يتحقق بسبب سياسة العداء ، وحالة الحرب والمقاطعة التي سلكتهــا الحكومات العربية خلال تلك الاعوام .

٦ — واليوم ايضا ، وفي غــداة الحرب التي بادرت اليها مصر وسوريا ، بمشاركة دول عربية أخرى ، فان اسرائيل مصممة على السعي ، بجهد أكبر ، لتحقيــق السلام . وبهذه الروح اتخذت الحكومة عددا من القرارات منذ نشوب حرب يوم الغفران :

(أ) الاستجابة لمبادرة وقف اطلاق النار ، وتنفيذه على اساس متبادل .

(ب) توقيع اتفاق البنود الستة مع مصر ، والسعي لاتفاقية بشأن فصل القوات وتثبيت وقف اطلاق النار .

(ج) الاعراب عن استعدادها للاشتراك في مؤتمر السلام الذي حدد انعقاده في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ .

٧ — ان مؤتمر السلام الذي سينعقد في كانون الاول (ديسمبر) هو حدث هــام جدا في تاريخ المنطقة ، يحمل في طياته امكان تغير كبير في علاقات اسرائيل بالدول العربيــة . وان أمل اسرائيــل وتوقعها هما ان تؤدي المفاوضات ، في المؤتمر ، بين اسرائيل وجاراتها الى السلام المنشود .

٨ — ستسعى اسرائيل ، في مؤتمر السلام وفي كل شبكة علاقاتها الدولية ، لاتفاق سلام ، يتم احرازه في مفاوضات دون شروط مسبقة . ويجب ان تدور هذه المفاوضات دون ضغوط او محاولات فرض من أي جانب .

٩ — ستسعى اسرائيل لاتفاق سلام يضمن :

(أ) انهاء جميع مظاهر العداء ، والحصار ، والمقاطعة .

(ب) حدودا يمكــن الدفاع عنها ، وتؤمــن لاسرائيل امكان الدفاع عن نفسها بفعالية ضــد هجوم عسكري او مكيدة حصار ، وترتكز على حل اقليمي وسط . وستحل حدود السلام محل خطوط وقف اطلاق النار . ولن ترجع اسرائيل الى حدود الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، التي كانت بمثابة اغراء بالعدوان .

(ج) المحافظة علــى الطابع اليهودي لدولــة اسرائيل من أجل تحقيق أهدافها الصهيونية ومهماتها في الهجرة وجمع الشتات .

(د) بدء مرحلة من العلاقــات الطبيعية بين اسرائيل والدول المجــاورة في الحقل السيــاسي والاقتصادي ، والاجتماعي ، والثقافي .

١٠ — يقوم اتفاق السلام مع الاردن على أساس وجود دولتين مستقلتين : اسرائيل وعاصمتهـا القدس الموحدة ، ودولة عربية الى الشرق منها . ويمكن للهوية الذاتية للعرب الفلسطينيين والاردنيين ان تجد تعبيرا لها في الدولة الاردنية الفلسطينية المجاورة ، من خلال سلام وعلاقات جوار جيدة باسرائيل . **وترفض اسرائيل قيــام دولة عربية فلسطينية منفردة اضافية غربي نهر الاردن .**

١١ — كل اتفاق سلام سيوقع بمعرفة الحكومة والكنيست .

١٢ — الى حين اتفــاق السلام ، ستحافظ اسرائيل على وقف اطلاق النــار ، وكذلك على التسويات المرحلية التي يتفق عليها بين اسرائيل وجاراتها كتسويات مؤقتة على طريق السلام . وفي حالة انعدام معاهدة سلام او تسويات مرحلية ، تستمر اسرائيل في الابقاء الكامل على الوضع كما تحدد مع وقف اطلاق النار .

وسيعمل على استمرار الاستيطان وتدعيمه ، وبناء المستوطنات بحسب القرارات التي ستتخذها حكومة اسرائيل من وقت لاخر ، مع اعطاء اولوية لاعتبارات أمن الدولة .

د — العلاقات بالولايات المتحدة

١٣ — تقدر اسرائيل العلاقة الخاصة بينها وبين الولايات المتحدة ، والمساعدة الكبرى التي تتلقاها منها . وستسعى اسرائيل لتوثيق هذه العلاقات في المستقبل .

هـ — التوجه الى يهود العالم

١٤ — تقدر اسرائيــل ، بالغ التقدير ، تجند

الشعب اليهودي في كل شتاته ، ووقوفه الى جانب دولة اسرائيل ، وتتوجه اليه بالنداء ليستمر في الوقوف الى جانبها في صراعها من اجل السلام والامن ، وفي جهوده لزيادة قوتها ، معنويا وماديا، وفي الهجرة الكبيرة الى اسرائيل .

اقرار للنص واختلاف في التفسير

لقد أريد للوثيقة ان تكون مقبولة على الجميع ، ولذلك فقد شارك في صياغتها واعدادها ممثلون عن جميع اجنحة الحزب . ومن يتمعن في بنود الوثيقة يلاحظ انها تتسم :

أولا ، بأنها عبارة عن صياغات لفظية قابلة للتأويل لمواقف حزب العمل السابقة .

ثانيا ، خلوها من مشروع تفصيلي للسلام ، والاكتفاء بطرح الموضوع كهدف تسعى اسرائيل لتحقيقه ، الامر الذي يفقد الموضوع اهميته ، اذ كهدف ، فان السلام متضمن في جميع برامج الاحزاب الاسرائيلية .

ثالثا ، خلوها من اي اشارة الى اتفاقات ووثائق حزب العمل والمعراخ السابقة سواء من ناحية التأكيد على استمرار مفعولها او من ناحية الغائها .

ويبدو ان هذه السمات بالذات ، هي التي جعلت بالامكان اقرار الوثيقة من كافة اجنحة الحزب ، حيث رأى فيها البعض (الحمائم) انتصارا للخط الذي طالما نادوا به ، بينما لم ير « الصقور » في عدم ذكر الوثيقة للاتفاق « الشفهي » ولوثيقة جاليلي الغاء لهما . وقد سارع وزير الدفاع موشي دايان للقول في نفس اليوم الذي نشرت فيه بنود الوثيقة ، للمقربين منه : « بأن واضعي الوثيقة اهتموا بألا تجيء متناقضة مع الوثائق السابقة ، بما فيها وثيقة جاليلي والاتفاق الشفهي . وان الوثيقة الجديدة ليست [برنامجا] عمليا ، ولكنها تتضمن كل العناصر الداخلة في وثيقة جاليلي » (م. د. ف — ٧٣/١٢/٦ ، العدد ٢٣) . بينما اعتبرها وزير المالية سابير في الواقع برنامج الحزب الانتخابي وطالب بعدم ادخال تعديلات عليها (ر أ — ٧٣/١٢/٥ ملحق ٤٠٨) . اما ابا ايبن فقال : « أعتقد ان الوثيقة الجديدة هي الوثيقة الوحيدة التي تلزمني كعضو في الحزب وذلك لعدة اسباب ، فأولا ، هذه الوثيقة قد وضعت بعد حرب يوم الغفران . وقد اخذت بالحسبان الوضع العسكري والسياسي والنفسي الذي نجم عن الحرب . وثانيا، كون الامور التي بدت معقولة للتنفيذ في آب (اغسطس) لا تحظى بالاولوية حاليا » (ر أ أ — ٧٣/١٢/٨ ، ملحق ٤١١) .

وثيقة جاليلي والاتفاق الشفهي

تركز النقاش في اللجنة المركزية لحزب العمل حول مصير وثيقة جاليلي والاتفاق الشفهي لحزب العمل . وكانت الاراء متناقضة تماما حول هذه النقطة . وقد مس هذه النقطة عضو الكنيست ابراهام عوفر (المباي — كتلة تل ابيب) ، اثناء مناقشة اللجنة المركزية للحزب للوثيقة الجديدة فقال : « اننا نتخذ قراراتنا كل مرة طبقا للوضع القائم في تلك الفترة . ووثيقة جاليلي كانت وثيقة حل وسط بين المواقف المختلفة ، وكذلك الوثيقة التي أمامنا هي ايضا وثيقة تسوية . وثمة فرق واحد بين الوثيقتين عدا كونهما واحدة قبل الحرب والاخرى بعد الحرب ، وهذا الفرق هو ، ان وثيقة جاليلي كانت وثيقة حل وسط ، ولكنها اقرت تحت الضغط وليس عن طريق حرية الاقتراع في الحزب، وقد أثرت العلاقات بين قادة الحزب على نص الوثيقة ، بينما الوثيقة الجديدة هي حل وسط عادل » . (ر أ أ — ٧٣/١٢/١ ، ملحق ٤٠٥) . واضاف عوفر ان الوثيقة الجديدة تعبر عن نهج جديد في طريق حزب العمل ، عندما تقارن « بالاتفاق الشفهي » حيث ذكرت الحدود التي تبتغيها اسرائيل .

اما عضو الكنيست آريه الياف فقد اقترح ازاء البلبلة التي نجمت عن تفسيرات متناقضة للوثيقة الجديدة ولمصير وثيقة جاليلي ، اضافة بندين للوثيقة الاول بخصوص وثيقة جاليلي والثاني بخصوص اجراء تغييرات في قيادة حزب العمل . وقد تحدث الياف حول اقتراحه المذكور في مقابلة اذاعية فقال : « البند ١٥ يؤكد ان اللجنة المركزية للحزب تلغي وثيقة جاليلي التي أقرتها سكرتارية الحزب قبل بضعة اشهر ، وهذا ليس لانني ارغب بصورة خاصة بالغاء الوثيقة ، بل لانه بعد جلسة اللجنة المركزية قبل بضعة ايام ، بدا ان ثمة ١٠٠ تفسير للاربعة عشر بندا ، ومنها تفسيرات متناقضة يراها الذين وضعوا نص الوثيقة فبعضهم يقول ان وثيقة جاليلي لا تزال قائمة » . (ر أ أ — ٧٣/١٢/٤ ملحق ٤٠٧) . واضاف الياف ان الهدف من اقتراحه هو وضع حد لهذا الغموض . اما بالنسبة

للبند الثاني المتعلق باجسراء تغييرات جذرية في القيادة ، فقد علله الياف بكونه يعبر عـــن رغبة جمهور واسع من المقترعين للمعراخ .

مقابل هذا فقد اكد كل من بيرس ودايان وجاليلي ان وثيقة جاليلي لم تلغ وانها ما زالت نافذة المفعول في حال توفير الاموال اللازمة لتنفيذها . وازاء هذا التباين في وجهات النظر بالنسبة لوثيقـــة جاليلي والاتفاق الشفهي نشـــر السكرتير العام للحـــزب اهرون يادلين ، بيانا جـــاء فيه : « ان المبادىء الموجهة لحملة التجمع العمالـــي الانتخابية (أي الوثيقة الجديدة) ... لم تأت لتلغي او لتصادق على قرارات سكرتارية الحزب المعروفة باسم وثيقة جاليلي » ... واضاف يادلين : « وبالنسبة الى المبادىء الاقليمية للتجمع العمالـــي ، المذكورة في الاتفاق الشفهي ، فان الوثيقة لم تشر الى الاتفاق الشفهي بقصد عدم رسم خرائط ، ولكن ليس هناك مبرر للقول انه لم يعد قائما » . (م. د. ف — ١٩٧٣/١٢/٦ العدد ٢٣) .

وقد أكدت رئيسة الوزراء جولدا مئير ما ذهب اليه سكرتير عام الحزب في كلمتها اثناء مناقشات اللجنة المركزية فقالت : « ... وبالنسبة لوثيقة جاليلي فانها لم تلق في سلة المهملات . فاذا توفرت لدينا الاموال نستطيع ان نجلس ونقرر ما ينبغي عمله من مخطط العمل الوارد في وثيقة جاليلي ، ولكن اذا كان الاشتراك في مؤتمر جنيف يتطلب الغاء هذه الوثيقة كشرط لتحقيق الســـلام فدعونا اذن نقترح على ذلك » . (ر أ أ — ٧٣/١٢/٦ ، ملحق ٢٠٨) .

وهكذا سحب الياف اقتراحه باجراء تصويت على الغاء وثيقة جاليلي بعد الحاح من الوزير سابير من اجل ذلك . وبقيت المسألة مجـــالا للتفسيرات المختلفة حيث لم يجر تأكيد ولا الغاء لوثيقة جاليلي.

لا جديد ... ولكن

كما تباينت الاراء والتقييمات حول الوثيقـــة الجديدة داخل الحزب ، هكذا كان الحال ايضا ، خارجه . فبينما رأى البعض فيها نهجا جديـــدا « يرسم خطوط سياسة واقعية » اعتبرها الاخرون منـــاورة وتكتيكا من ناحية ، ووثيقة تقود الى الاستسلام وتعرض اسرائيل للخطر من ناحيـــة أخرى . وقد تحدث ران كسلف عن ردود فعل بعض الاحزاب على الوثيقة فقال ان مركز حيروت هاجمها بشدة وانه جاء في قرار اتخذه بصـــددها ما يلي : « ان الحكام العرب الذين اجتمعوا في الجزائر قرروا المطالبة بتصفية اسرائيل . وفي تل ابيب ، قدمت الى اللجنة المركزية لحزب العمل الحاكم وثيقة تقود الى الاستسلام وتعرض اسرائيل للخطر » . وقال كسلف ايضا بان الوثيقة وصفت في نقاش سياسي جرى في ادارة الاحرار المستقلين، بأنها « مناورة لجر انصار ليوبا الياف الى الادلاء بأصواتهم من أجل دايان وجاليلي ». (م. د. ف — ١٩٧٣/١٢/٦ ، العدد ٢٣) .

اما دانييل بلوخ فقد علق على الوثيقة في (دافار ١٩٧٣/١٢/٢) بقوله : « انها ترسم خطوط سياسية واقعية ، من خلال تخطي حقل الالغام [المتمثل] بالرجوع الى الماضي » . واضاف ان « الذي يشغل نفسه بالسؤال فيما اذا كانت [الوثيقة الجديدة] قد أبطلت « وثيقة جاليلي » أم لا ، هو انسان لا يعيش في الزمن الحاضر . فكل من يقرأ « وثيقة جاليلي » يعرف انها ارتكزت على فرضيات معينة — سياسية وأمنية واقتصادية — تقوم على الافتراض ان وقف اطلاق النار سيستمر. وفي اللحظة التي تغيرت فيها الفرضيات الاساسية، لم تعد هذه الوثيقة بالضرورة قائمة ». واضاف بلوخ : « وهكذا ايضا يجب النظر الى عـــدم ذكر الاتفاق الشفهي في الوثيقة الجديدة . فقـــد حدد الاتفاق الشفهي عددا من المبادىء بشأن الحدود الامنة المقبولة منا . ولا يزال معظم هذه المبادىء صحيحا ... ولكن ليس من الحكمـــة الاعلان عنها بصراحة ، وخلق الانطباع كما لو اننا نذهب الى المؤتمر بشروط مسبقة » . والنتيجة التي يخلص اليها بلوخ هي ان الوثيقة تمثـــل « تسوية واقعية ، فيها ما يرضي مطالب المعتدلين في كلا معسكري الحمائم والصقور » . ويضـــيف بلوخ : « خلافا للتكتل والحزب الديني القومي ، المستعدين للتنازلات في سيناء فقط ، فان وثيقة حزب العمل تعبر عن الاستعداد للتسوية الاقليمية في جميع الحدود ، بما في ذلك الاستعداد لاعادة أجزاء من يهودا والسامرة (الضفة الغربية) الى الاردن . والعنصر الموجه لحزب العمل هو الرغبة في رؤية دولة اسرائيل دولة ذات طابع يهودي واكثرية يهودية واضحة ومستقرة ، بالاضافة الى مفهوم واقعي ، هو انه لن تحدث تسوية سلمية دون تنازلات اقليمية كبيرة » .

ورغم اقوال بلوخ هذه ، فانه لا يجوز الاعتقاد وكأن نهجا جديدا بدأ في حزب العمل . من الصعب الاعتقاد ان حرب تشرين وافرازاتها داخليا وعالميا كافية حتى الان لاحداث تغيير جذري في السياسة الرسمية الاسرائيلية ، أي في سياسة حزب العمل. والعقيدة الصهيونية ، وبالتالي السياسة الاسرائيلية التي قامت على الاغتصاب والتوسع لا تستطيع ان تقطع شوطا بعيدا فيما يسمى « بالاتجاه الواقعي » . وكما بينا سابقا فان مضمون النهج المتمثل في الوثيقة الجديدة لم يحسم بعد داخل حزب العمل ، ولذلك فمن السابق لاوانه التبشير باعتدال في مواقف حزب العمل ، لان الموضوع لم يحسم بعد والخلافات والصراعات ، طويت مؤقتا وهي ما زالت عرضة للتفجر مرة ثانية ، وليس هناك ما يؤكد ويجزم بسير الامور داخل الحزب نحو تغلب الاتجاه المعتدل نسبيا . فالصقور لم يهزموا كليا ، وتجديد الثقة بجولدا مئير وزعامتها في اللجنة المركزية للحزب أعاد الاعتبار لقيادة الحزب — على الصعيد الداخلي — المؤلفة من جولدا — دايان — جليلي .

ان ما يساء تفسيره من نهج جديد وسياسة جديدة ، ما هو سوى انحناء لحين مرور العاصفة، من أجل الانتصاب ثانية . وما يسمى او يفسر على انه اعتدال اسرائيلي ، غير مستعد بعد لملاقاة الدول العربية في منتصف الطريق بالموافقة على الانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، مقابل السلام وانهاء حالة الحرب والاعتراف بالحدود الامنة . وذلك لا يعني اننا نتجاهل بتاتا كل ما أفرزته الحرب عسكريا ، وسياسيا داخل اسرائيل وفي العالم ، ولكن استمرارية فعل هذه الافرازات تتوقف على مدى المثابرة على تصعيدها .

الاحزاب الاخرى

يمتاز مجتمع المستوطنين في فلسطين بطابعه التعددي من حيث تركيبه الاثني ، بالاضافة الى بنيته الاقتصادية التعددية أيضا (قطاع عام ، قطاع هستدروتي ، وقطاع خاص) . والى جانب هاتين الميزتين فان بنيته السياسية ، هي أيضا بنية تعددية . فعدد الاحزاب الممثلة في الكنيست الاسرائيلي يبلغ ثلاثة عشر حزبا وتنظيما . هذا بالاضافة الى منظمات اخرى ليس لها تمثيل برلماني.

ولا يمكن اعتماد مقياس واحد لتصنيف هذه الاحزاب ، كأن نقول مثلا ، أحزاب عمالية وغير عمالية ، فهناك مقاييس أخرى ، مثل أحزاب صهيونية وغير صهيونية ، وهنا تصبح كافة الاحزاب الاسرائيلية في جهة والحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » في جهة أخرى ، ثم هناك مجموعة الاحزاب الدينية ، والاحزاب غير الدينية . ولكن اذا استثنينا « راكاح » ، يصبح بالامكان تصنيف الاحزاب الصهيونية كالتالي :

« أ » مجموعة الاحزاب العمالية ، الممثلة الان بالتجمع العمالي الحاكم (العمل + المابام) ، أو بشكل أصح وأدق البيروقراطية العمالية الحاكمة .

« ب » مجموعة الاحزاب البرجوازية على اساس السياسة الاقتصادية ، واليمينية المتطرفة على اساس السياسة الخارجية والامنية ، وتتمثل هذه المجموعة بالتكتل اليميني المؤلف من حزب حيروت ، حزب الاحرار ، القائمة الرسمية (بقايا رافي) ، المركز الحر (المنشقين عن حيروت) . ويمكن ادراج حزب الاحرار المستقلين ضمن هذه المجموعة بالنسبة للسياسة الاقتصادية ، غير انه لا يلتقي معها بالنسبة للسياسة الخارجية والامنية ، حيث انه قريب في هذا من مفاهيم بعض اجنحة حزب العمل (الماباي) .

« ج » مجموعة الاحزاب الدينية — الحزب الديني القومي (المفدال) بشكل أساسي ، وتجمع حزبي اجودات يسرائيل وبوعالي اجودات يسرائيل. وهما حزبان مغرقان في التزمت الديني وغير فعالين من ناحية السياسة الخارجية والامنية .

« د » مجموعة الاحزاب والتنظيمات التي يمكن القول انها تلتقي حول شعار السلام والامن ، ولكنها تتباين في الوقت نفسه ، من حيث سياستها ومفاهيمها الاجتماعية والاقتصادية ، فمنها الاصلاحي مثل حركة هعولام — هزه ، او كما أصبح اسمها مؤخرا المعسكر الاسرائيلي الراديكالي « ميري » ، الذي تشكل منها ومن المنشقين عن « ماكي » وعن « سياح » . ومنها ايضا ما زال بعض اجزائه يدعي الماركسية او اليسارية الوطنية مثل قائمة « موكيد » المؤلفة من حركة « موكيد » برئاسة العقيد احتياط مئير بعيل والحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » واغلبية اليسار الاسرائيلي الجديد « سياح » ، ومنها ما ليس له هوية عقائدية محددة ، بل قائم ومبني على اساس طائفي

مثل حركة الديمقراطيين الاسرائيليين بزعامة شالوم كوهين وجزء من الفهود السود .

هذه المجموعة بشكل عام ، والمعسكر الراديكالي الاسرائيلي بشكل خاص ، تحاول استقطاب القوة الانتخابية ما بين التجمع العمالي و « راكاح » ، أي القوة الرافضة لسياسة الحكومة (العمل) والساخطة على موقف المابام الذيلي ، أي انهما تدعي تمثيل المصلحة الوطنية الاسرائيلية .

الصراع الرئيسي

يدور الصراع بشكل أساسي بين التجمع العمالي من جهة والتجمع او التكتل اليميني البرجوازي المتطرف من جهة ثانية . ولكن حتى الان لم تشكل المعارضة اليمينية بديلا جديا لسلطة التجمع العمالي . فقد اقتصر دور كافة احزابه — الى ما قبل اقامة التكتل — على كونها أداة ضغط خارجية، تستفيد منها السلطة العمالية لاظهار مدى مرونتها واعتدالها !! ازاء الرأي العام العالمي ، وعلى كونها عاملا مساعدا وداعما للاتجاهات اليمينية داخل حزب العمل ، التي كانت تعزز مواقعها داخل الحزب ، انطلاقا من التهديد القائم باحداث انشقاق والائتلاف مع اليمين . وبعد اقامة التكتل اليميني ازداد وزن وقوة الجناح اليميني داخل حزب العمل، وقد وجد هذا الامر تعبيرا له بفرض ومن ثم اقرار وثيقة جاليلي في سكرتارية حزب العمل . بالاضافة الى التكتل اليميني هناك حزب آخر يشكل أداة ضغط ائتلافية ودعم لمواقع الجناح اليميني داخل حزب العمل، وهو الحزب الديني القومي (المفدال). ومن الجدير بالذكر ان هذا الحزب هو شريك دائم تقريبا في جميع الحكومات منذ قيام الدولة . وهو رغم كونه لا يشكل منافسا للتجمع العمالي وقوة استقطاب لقوته الانتخابية ، اذ أن قوته (المفدال) ثابتة تقريبا ، فان وزنه ومدى ضغطه يتوقفان على نتيجة المعركة الانتخابية وعلى قوة المعراخ بشكل أساسي . فقد كان خروج المعراخ من المعارك الانتخابية قويا يساعده في المساومة والوقوف امام ابتزاز هذا الحزب ، سيما وانه اكثر قربا الى التكتل اليميني منه الى المعراخ من حيث مواقفه بالنسبة للسياسة الامنية والخارجية والاستيطان. وكون هذا الحزب لم يقطع « شعرة معاوية » في أي وقت من الاوقات ، وانه عمليا كان ينتهج سياسة ذيلية في كل ما يتعلق بالشؤون الخارجية والامنية رغم تطرفه اللفظي ومعارضته التنازل عما يسميه ارض الاباء والاجداد واصراره على الحق التاريخي « للشعب » اليهودي على كامل ارض فلسطين ، يعود الى حرصه على البقاء في الحكم ، والاستفادة انتخابيا من هذا البقاء . وهذا الحرص كان كفيلا بأن يحول دون احداث أزمة وزارية والى النزوع نحو ايجاد مخرج لكل أزمة . لكن وعلى الرغم من ذلك ، فانه يبقى مشكلة تواجه التجمع العمالي لدى تركيب كل حكومة . ومن الجدير بالذكر ، وتأكيدا لما نحاول الذهاب اليه ، الى أن المفدال كانت له حصة الاسد باقامة حكومة التكتل القومي قبيل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وفي فرض موشي دايان وزيرا للدفاع .

اما شريك المعراخ الاخر في الائتلاف الحكومي ، فانه لا يشكل اشكالا للمعراخ فيما يتعلق بالسياسة الامنية والخارجية ، ولكنه يسبب له الحرج فيما يتعلق بأمور الدين والدولة (مشروع الزواج المدني — او مشروع هاوزنر) ، حيث يعرض الوفاق العمالي — الديني والصفقات المعقودة بينهما للخطر . لكن هذا الحزب يشكل من ناحية اخرى دعما للتجمع العمالي وعاملا مساعدا له امام ابتزاز المفدال اذ انه في حالة تمادي الاخير في ابتزازه ، فانه يبقى بالامكان تشكيل الحكومة استنادا الى هذا الحزب (الاحرار المستقلين) واستنادا الى النواب العرب المرتبطين بالتجمع العمالي .

قدمنا هذا العرض لاتجاهات ووزن وعلاقة القوى السياسية الرئيسية في اسرائيل بعضها ببعض ، لتكون مؤشرا لما يمكن ان تسفر عنه من انعكاسات على السياسة الرسمية في الفترة القادمة ، فترة ما بعد حرب تشرين ، فترة مؤتمر السلام والتسوية السياسية .

لقد كتب الكثيرون من الصحفيين والسياسيين الاسرائيليين وغير الاسرائيليين حول حرب تشرين وانعكاساتها وما أدت اليه من نتائج وطرحته من موضوعات واسقطته من مسلمات . وبالتالي فان الجميع يجمعون على ان معركة الانتخابات القادمة (بعد الحرب) لا يمكن ان تسير بنفس اسلوب ومفاهيم وطروحات ما قبل الحرب ، وانها ستكون معركة قاسية ، خاصة بالنسبة لحزب العمل والتجمع العمالي الحاكم. ولقد رأينا في الباب الاول من هذا العرض انعكاسات الحرب والظروف التي

خلقتها ، داخل حزب العمل وما أدت اليـــه من صراعات داخلية مريرة انتهت باقرار وثيقة الاربعة عشر بندا . ولكن وكما سبق وقلنا فان اقرار الوثيقة والتفسيرات المختلفة التي أعطيت لها ، والصراعات التي دارت حول ذلك ، وما رافقها من اصوات من الداخل والخارج تطالب باجـراء تغيرات وتبديلات في قيادة الحزب واقالة بعـــض المسؤولين ، كل هذه الامور ، التي يبدو ان اللجنة المركزية لحزب العمل استطاعت تجميدها وتجديد الثقة بزعامة الحزب الحالية ، ستؤثر في نتائج الانتخابات المقبلة وستتأثر بها ، لجهة تعزيز او ضعضعة مكانة القيادة العمالية داخليا وشعبيا ، ولجهة الحسم في الصراع الناشب بين اجنحـــة الحزب . فنتائج الانتخابات سيكون لها تأثير على شكل الحكومة المقبلة من حيث الكتل المشتركة فيها ومن حيث وزن هذه الكتل وقدرتها علــى التأثير اعتدالا او تطرفا على الموقف الرسمي للحكومة في مؤتمر جنيف ، وعلى سير هذا المؤتمر .

تكتل اليمين :

بعد التجمع العمالي تتركز الانظار مباشرة على التكتل اليميني الذي طرح نفسه قبل الحرب كبديل للحكم . والاسئلة التي تطرح نفسها مباشرة هي : ما مدى تأثير الحرب على برنامج التكتل الانتخابي ؟ وهل ستبقى المنطلقات السابقة لكتل التكتل على ما كانت عليه ؟ وهل باستطاعة التكتل طرح برنامج سلام بديل ؟ وما هـــو موقف التكتل من مؤتمـــر السلام ؟

حتى كتابة هذه السطور ، لم يتضح بعد فيما اذا كان التكتل اليميني سيطرح برنامجا انتخابيا مغايرا لمواقفه المعروفة بالنسبة للنزاع العربي — الاسرائيلي ، وللسلام او التسوية السياسيـــة وأسسها ، ومصير المناطق المحتلة . ولقد توقع الصحفي الاسرائيلي ران كسليف (هآرتس ٢٥/١١/ ٧٣) نشوب خلافات في الرأي بين الاحزاب التي يتألف منها التكتـــل . وقال : « اتضحت » في الجلسة الاخيرة لادارة حزب الاحرار (المعقودة بتاريخ ٢٢/١١/١٩٧٣) في اثناء مناقشة وضـــع البرنامج الانتخابي الجديد للتكتل، معالم ابتعاد عن الموقف التقليدي لجاحال،في اتجاه الاستعداد لحلول اقليمية وسط بعيدة المدى مقابل اتفاقية سلام ». واضاف كسليف : ويمكن لهذا الموقف ان يتسبب، في الايام القريبة المقبلة ، في نشوب خلافات في الرأي داخل ادارة التكتل ، بين الاحرار وحيروت، خصوصا وان عددا من الشركاء الصغار في التكتل يميل الى قبول موقف الاحرار المعتدل » . وذكر كسليف ان عضو الكنيست يوسف تمير رئيس شعبة الاعلام في حزب الاحرار ، الذي افتتـــح النقاش في الادارة ، طالب بضرورة « اتباع سياسة حل اقليمي وسط ، والبرهنة على اننا لسنا حزب حرب » . ودعا تمير التكتل الى السعي من أجل سلام حقيقي على اساس المحافظة على حقنـــا في ارض — اسرائيل ولمعارضة تنازلات تشكل خطرا على الدولة » . وقال تمير « علينا عرض برامج بديلة في جميع المجالات وعدم الاكتفاء بالنقد » .

وذكرت هآرتس ايضا ان رئيسا بلديتي رماتجان ورحوفوت ، يسرائيل بيلد وشموئيل رخطمان قد عبرا عن رأيهما ، اثناء النقاش ، بوجوب تقديم تنازلات مقابل السلام الحقيقي . ودعا بيلد الى دحض افتراءات المعراخ الذي يحاول الصـــاق صبغة الحرب بالتكتل . أما رخطمان فقد دعا الى المفاوضات . كما وسمعت آراء تطالب بتغييرات تكتيكية في برنامج الحزب وبالتحدث عن الحدود الامنة بدل الحقوق التاريخية . وبالمقابل كانت هناك آراء معارضة لتقديم أية تنازلات . لكن مختلف كتل التكتل أبدت الذهاب الى مـــؤتمر السلام ، مع التشديد على ضرورة اعلان العرب عن اعترافهم بحق الشعب اليهودي في وطنـــــه والتشديد على الحدود الامنة . (نفس المصدر).

أما رئيس حزب الاحرار فقد أعلن في مقابلـــة اذاعية تعقيبا على بيان نشره التكتل وجاء فيـــه ان التكتل يرفض أي انسحاب يشكل خطرا على الشعب وسلامته ، ان مبدأ التكتل هـــو انـــه ينبغي التمييز بين ارض — اسرائيل وبين منطقة سيناء . ان حزب الاحرار يعرب عن رأيه ان الحزب على استعداد ، في المفاوضات حول معاهدة سلام ، أي احلال سلام طبيعي وليس تسويات مؤقتة ، للتوصية باجراء مفاوضات مع مـــصر بغية التوصل الى تسوية اقليمية ، بشرط المحافظة على كل ما هو ضروري لامن الدولة ، أي بشرط ضمان حدود أمنية فعالة » . واضاف ريملط رادا على سؤال حول موقف بقية شركائه في التكتل فقال : « ان جميع الشركاء في التكتل يميزون بين ارض — اسرائيل الغربية — ونحن في التكتل لا

نؤيد تقسيمها مجددا — وبين مناطق اخرى . وحتى الان لم يتم تفصيل ذلك . ويحتمل ان توجد بين كتل التكتل اراء مختلفة حول الموضوع ، وحتى الان لم ندرس الامر » . (ر.أ.أ. — ٧٣/١١/٣٠، ملحق ٤٠٤) .

أما زعيم حزب حيروت فقد صرح في اجتماع عام عقده التكتل انه اذا قدر للتكتل ان يفوز بالاغلبية في الانتخابات المقبلة فانه سيدعو كافة الاحزاب للاشتراك في حكومة تكتل قومي . وأضاف بيجين ان الطريق الى السلام ليست طريق الخضوع والتنازلات وان الانسحاب دون شروط ودون مقابل لن يقرب السلام ، بل انه سيسهل على العرب تدمير اسرائيل (ر.أ.أ. ، ١٩٧٣/١٢/٦ ، ٤٠٨).

وكان تصريح بيجين هذا اول رد على نداء المفدال لاقامة حكومة طوارىء وطنية ، قبل الانتخابات او بعدها . وفي تصريح آخر دعا بيجين الى عدم انتهاك أمن اسرائيل عن طريق اعادة تقسيم ارض — اسرائيل ، ودعا ايضا الى الصمود وعدم قبول الاملاءات .

وحول المفاوضات مع الاردن قال رئيس حزب الاحرار اليميلخ ريملط انه اذا جرى التفاوض مع الاردن حول اتفاقية سلام فاننا نستطيع ان نقترح على هذه الدولة نطاقا اقتصاديا كونفدراليا وان نمنحها منطقة حرة في احدى موانئنا على شاطىء المتوسط . ثم أعرب ريملط عن معارضته لاقامة دولة فلسطينية وقال ان هذا الامر يعني اعادة تقسيم ارض — اسرائيل الغربية ومنح أقسام منها لياسر عرفات . (ر.أ.أ. ، ١٢/٧ /٧٣ ، ٤١٠) .

من هذه التصريحات الاولية والتي اعتبرها كسليف بوادر نشوب خلافات في الرأي داخل التكتل اليميني (خصوصا تصريحات رئيس حزب الاحرار) يبدو انه لم يحدث تبدل اساسي في المنطلقات والرؤيا داخل تكتل اليمين . فالاقوال المتعلقة بالتسوية في سيناء ليست جديدة ، وبالفعل فقد كان هناك تمييز دائم لدى اليمين بين سيناء وبين ما يسمونه ارض — اسرائيل الغربية . ومع ذلك فالتسوية في سيناء حسب مفهوم التكتل ، كما يتضح اعلاه ، تخضع للاعتبارات والمفاهيم الامنية ، التي لا يبدو حتى الان انه قد طرأ عليها تحول بعد حرب تشرين . وفي اعتقادي فان التكتل اليميني سيستغل هذه الحرب — رغم انتقاده لما رافقها من أخطاء — للتدليل على صحة موقفه بالنسبة للعمق الاستراتيجي ولمفاهيمه الامنية .

برنامج بديل أم استغلال للاخطاء

ان التحالف العمالي بعدم تقدمه ببرنامج شامل ومفصل للتسوية وللسلام نجح الى جانب تخطيه لانعكاسات مثل هذا الامر وما يمكن ان يؤدي اليه من خلافات وربما انشقاقات داخلية ، نجح في سحب البساط من تحت أرجل التكتل اليميني الذي كان سيجد في ذلك فرصة ومادة دسمة لمعركته الانتخابية للمزايدة على موقف التجمع العمالي واستغلال وتوظيف خلافات الحزب الداخلية لصالحه في المعركة الانتخابية . ومن ناحية اخرى فالتكتل اليميني رغم انه يدعو للسلام مع العرب فان مواقفه السابقة واللاحقة المعلنة تجعل من شبه المستحيل عليه طرح برنامج للسلام أكثر اعتدالا وامكانية في ملاقاة الطرف الاخر (العربي) . ولو افترضنا حدوث ذلك فانه يفقد اساسا تميزه فيما يتعلق بالسياسة الخارجية والامنية عن حزب العمل والتجمع العمالي . وكل من هو مطلع الى حد ما على اتجاهات الراي العام الاسرائيلي يرى بوضوح ان لا أمل لاي برنامج للسلام يطرحه اليمين بناء على مفاهيمه ونظرته للصراع ، في استقطاب غالبية الناخبين هناك . ولذلك فان حملة اليمين الانتخابية ، — في اعتقادي — ستبقى ضمن الاطر والمفاهيم التي كانت عليها حملته السابقة أي في انتخابات عام ١٩٦٩ ، والتي ترتكز بشكل اساسي على رفض الانسحاب ، ورفض اعتبار التنازلات الاقليمية مفتاحا للتوصل الى تسوية مع البلاد العربية المعنية . ولذا فان الحملة الانتخابية لليمين ستشدد في الانتخابات الحالية ، اضافة الى شعاراتها السابقة ، على العيوب والسقطات والاخطاء التي ارتكبت في الحرب الاخيرة . وفي هذا المجال بالذات يواجه اليمين مشكلة تحد من اندفاعه في الهجوم تتمثل في شخصية دايان او كما سماها الصحفي الاسرائيلي ران كسليف « مشكلة دايان » .

يقول كسليف بعد ان يشير الى حساسية وضع التكتل اليميني بالنسبة لشعاراته المتطرفة التي بني التكتل على اساسها ومنها شعار ارض اسرائيل الكاملة التي لم تعد ملائمة للوضع الجديد،

وفي نفس الوقت ليس من السهولة بمكان التراجع او التخلي عنها ، يقول كسليف ما يلي : « وفي المقابل يريد التكتل ادارة معركة انتخابات لا على اساس جبهة سياسية عامة ، بل في الهجوم على التقاعسات والسقطات الامنية التي يشير اليها الجميع لكن احدا لم يحددها بوضوح . ان الهجوم الرئيسي سيكون ، على ما يبدو ، ضد الحكومة وحدها . ويبدو هذه المرة ان «بقرة الامن المقدسة» لن تحول دون المعارضة ومهاجمة الجهاز العسكري الاسرائيلي ، والنظريات العسكرية لدى جيش الدفاع ، وحاملي هذه النظريات — القيادة العسكرية ورئيس الاركان » . ويضيف كسليف : « وحتى في هذه الجبهة ، يجد التكتل نفسه في وضع حساس جدا ، الامر الذي يريح زعماء المعراخ . ان الرجل الذي يربك زعماء التكتل هو موشي دايان ... واذا لم يشأ التكتل ان يبقى في مجال الهجوم الغامض على الحكومة بصورة عامة ، من دون الدخول في تفاصيل السقطات وتحليلها ، فانه لا يستطيع الا المساس بدايان ، وهو (التكتل) على ما يبدو لا يرغب في ذلك . وما دام الامر كذلك ، فان الهجوم على سقطات الحكومة والجيش لن يكون مقنعا بما فيه الكفاية بحيث يضمن انتصاره في الانتخابات » (هآرتس ١٩٧٣/١١/٥) .

الحزب الديني القومي (المفدال)

لقد أشرنا في بداية هذا العرض الى ان مواقف هذا الحزب فيما يتعلق بالشؤون الخارجية والامنية كانت ذيلية لمواقف التجمع العمالي الحاكم من ناحية عملية ، رغم انها أقرب الى مواقف التكتل اليميني من ناحية لفظية . لكن هذه الحقيقة التي ثبتت في عدة مواقف (مثل اضطرار الحكومة الاسرائيلية للموافقة على قرار ٢٤٢ ، وما نجم عنها من تفسخ حكومة التكتل القومي) لا تعني بالضرورة ان هذا الحزب سيتصرف بنفس الاسلوب دائما وابدا . فهذا الحزب رغم انتهازيته (تحقيق بعض التنازلات من المعراخ في أمور اخرى مقابل بقائه في الائتلاف الحكومي) ، فان مدى هذه الانتهازية والابتزاز السياسي سيتوقف بالتأكيد على توازنات القوى السياسية الجديدة بعد الانتخابات العامة . ولذلك فانه من المحتمل جدا اذا أصر على موقفه الحالي المطالب باقامة حكومة طوارىء وطنية واذا ما سمحت له الظروف بالاستمرار في هذا الاصرار ، ان يؤدي بموقفه هذا الى تقوية جناح الصقور ، داخل التجمع العمالي الحاكم ، والى ترجيح كفتهم بالنسبة للامور التي لم يتم حسمها بعد . وبالتالي الى زيادة التصلب في الموقف الرسمي .

وسنختتم هذا العرض بالنسبة لمواقف بعض الاحزاب الاسرائيلية من النزاع العربي — الاسرائيلي ، بعد ان عرضنا مواقف الاحزاب والتكتلات الحزبية الرئيسية والفعالة ، بالتطرق والاشارة باختصار الى مواقف ثلاثة احزاب وكتل سياسية صغيرة (خمسة مقاعد حاليا) تلتقي جميعها في كونها معارضة غير يمينية بل متعددة الالوان ، ولكنها في نفس الوقت تختلف في منطلقات ومرتكزات معارضتها وفي رؤيتها للنزاع وطابعه وكيفية تسويته .

المعسكر الراديكالي الاسرائيلي « ميري »

ان المتتبع لمقالات اوري افنيري في مجلة هعولام — هزه يلاحظ تركيزا شديدا ومتواصلا في الهجوم على قادة او قيادة حزب العمل الحالية ، وعلى وزير الدفاع ورئيسة الوزراء والوزير جاليلي بشكل خاص . وأفنيري رغم مطالبته الدائمة بتنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، والانسحاب من المناطق المحتلة ، والدعوة الى اقامة كيان فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة ، والى ضرورة التفاهم مع الفلسطينيين ، لا يتطرق الى حقوق الشعب الفلسطيني القومية والى حق تقرير المصير بمفهومه الاعم ، وهو حين يعالج مسألة النزاع العربي — الاسرائيلي لا يميز بين المعتدي والمعتدى عليه ، بل يحمل الطرفين مسؤولية استمرار النزاع واستمرار الحرب . وقد قال بهذا الخصوص ما يلي : « فالحرب القادمة يمكن ان تنشب بعد بضعة أشهر وحتى بعد بضعة اسابيع ... ونفس الاشخاص ، العرب والاسرائيليين ، الذين يتحملون مسؤولية الاهمال المخيف في السنين الاخيرة ما زالوا مستمرين في ادارة وتوجيه السياسة لدى الطرفين » (هعولام — هزه ١٩٧٣/١١/٧) .

وفي انتقاده للسياسة الاسرائيلية الرسمية يقول : « وما تفعله حكومتنا اليوم على الجبهة الامريكية ، هو عودة دقيقة على ما عملته خلال السنين الست الاخيرة »، ويضيف : « لكن مجموعة المفلسين الذين يديرون شؤون الدولة — جولدا —

دايان — جاليلي وشركاؤهم — لا تريد وغير مؤهلة للسير بهذا الطريق . واذا انضم بيجين الى هذه العصابة ، تحت ستار حكومة تكتل او طوارىء فاحتمال السلام سيصبح أكثر بعدا » ولـــــذا « مطلوب قيادة جديدة للمعراخ وقيادة جديـدة للدولة ، مطلوب رص جديد لصفوف القوى المؤيدة لخط السلام ، لمواجهة المعسكر الذي يفضل الضم على السلام » (المصدر السابق) .

موكيـد

أما «موكيد» فلا تختلف كثيرا عن مواقف أفنيري، لكنها ترى بعكس افنيري ضرورة اجراء تعـديلات طفيفة في الحدود . اما بالنسبة للموقف مما أفرزته الحرب فقد شارك مئير بعيل أفنيري بالمطالبة بقيادة جديدة للمعراخ وباقالة دايان . ودعت موكيـد بتحويل المبالغ التي خصصت لتنفيذ بنود وثيقة جاليلي لتقوية الجيش وللشروع في حل مشـاكل اللاجئين . وبالنسبة لمصير المناطق المحتلة طالبت ادارة « موكيد » بالتمكين من اجراء انتخابات فورية بين سكان المناطق لايجاد ممثلين فلسطينيين في مؤتمر السلام المقترح كيلا يظل تمثيلهم في أيدي المنظمات الفلسطينية . كما وطالب رئيس قائمة موكيـد لانتخابات الكنيست الحكومة بأن تنشر بيانا عـن نوايا اسرائيل بالنسبة لمحادثات السلام ، وقـال ان مثل هذا البيان يجب ان يظهر بأن اسرائيل على استعداد لسلام عام مع الدول العربية على اساس مبدأ « مناطق مقابل السلام » .

القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح »

ينفرد هذا الحزب كما سبق وأشرنا بكونه الحزب الوحيد غير الصهيوني الممثل في الكنيست . ويعتبر الحزب الوحيد الذي حمل السلطات الاسرائيلية مسؤولية عدوان حزيران (يونيو عام) ١٩٦٧ ، ومسؤولية استمرار الجمود الذي أدى الى نشوب حرب تشرين . وقد نشر هذا الحزب مشروعا للسلام (الاتحاد ١٩٧٣/١٠/١٦) تضمن أربع نقاط يقوم على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ .

١— انسحاب اسرائيل من جميع المناطق التي احتلت في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

٢ — الاعتراف بحق وجود وسيادة وسلامة دولة اسرائيل والدول العربية الاقليمية .

٣ — احترام حقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية واحترام حقه في تقرير المصير وحق اللاجئين في اختيار الرجوع الى وطنهم او الحصول عـلى تعويضات .

٤ — ضمان حرية الملاحة لاسرائيل ، مثل جميع الدول في قناة السويس ومضائق تيران .

وعلى صعيد العلاقات الخارجية يدعو الحزب الى فك الارتباط بالامبريالية الامبركية سياسـيـا وعسكريا واقتصاديا ، من أجل بناء اسـتقلال اقتصادي حقيقي ، والى الابتعاد عن المخططات الاستعمارية في المنطقة وانتهاج سياسة حيـاد دولية وصداقة مع الاتحاد السوفياتي . ويرى الحزب ان هذه الامور مرهونة بتغيير ميـزان القوى السياسية في اسرائيل ووصول قوى السلام والتقدم الاجتماعي للسلطة .

هاني عبدالله

(٦) القضية الفلسطينية عسكريا

لا تزال الحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة دائرة حتى اليوم ، ولا يزال حوار الارادات يجري على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية . واذا كانت فترة القتال التي بدأت في ٦ تشرين الاول وانتهت عملياتها الواسعة في ٢٥ من الشهر نفسه عبارة عن مرحلة من هذا الحوار أخذت فيها الوسائل العسكرية مركز الصدارة مع استمرار عمل الوسائل الاقتصادية والسياسية ، فان فترة وقف القتال التي لا تزال قائمة حتى الان عبارة عن مرحلة تراجعت فيها الوسائل العسكرية الى الصف الثاني تاركة مركز الصدارة للوسائل الاخرى ، مع احتمال العودة الى العنف في اللحظة التي تعجز فيها الوسائل الاخرى غير العنيفة عن تحقيق هدف الصراع . وما دام سبب النزاع (الاحتلال وعدم الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني) موجودا ، فان النزاع قائم مهما اختلف الشكل الذي يأخذه والاساليب التي يلجأ اليها الطرفان المتنازعان لحسمه .

وبالرغم من مظاهر الهدوء النسبي المسيطر على المنطقة ، وذهاب عدد من الاطراف المتنازعة الى مؤتمر السلام في جنيف ، فقد شهدت فترة الهدوء التي نعيشها العديد من الاحداث العسكرية وكانت حافلة بالمسائل المتعلقة بالحرب بكل أشكالها . وفترة الهدوء هذه هي في جوهرها ، عبارة عن امتداد لجولة القتال الاولى ومقدمة لجولة القتال الثانية . انها لحظة سكون بين ايقاعين صاخبين. ولكنها لا تتسم بالسكون المطلق بل بالسكون المشوب بطنين الايقاع الصاخب الاول الذي انتهى وبداية الايقاع الصاخب الثاني الذي يمكن ان يبدأ في كل لحظة ، ولا يمكننا ضبطه او التحكم فيه اذا لم نستعد لاستقباله ولم نأخذ من لحظة السكون النسبي منطلقا له . ومن أهم الاحداث العسكرية التي شهدتها المنطقة خلال هذا الشهر وأعطت فترة الهدوء أهمية حربية خاصة الاحداث التالية :

١ — استمرار الاشتباكات على الجبهتين المصرية والسورية . ولقد استخدم في هذه الاشتباكات مختلف انواع الاسلحة البرية والجوية ، وكانت عبارة عن تراشق بنيران المدفعية والهاون والرشاشات . وحلقت الطائرات الاسرائيلية فوق خطوط القتال وتصدت لها وسائط الدفاع وأسقطت عددا منها ، وشهدت خطوط القتال عمليات القنص المستمرة وزرع الالغام على طرق تحرك الاليات . ويذكر الجنرال هيرتزل شافير مدير فرع القوة البشرية في رئاسة الاركان الاسرائيلية ان عدد العسكريين الاسرائيليين الذين قتلوا منذ وقف القتال حتى يوم ١٢/٨ بلغ ٥٧ رجلا . ولقد زاد هذا الرقم الى حد بعيد في الايام التي تلت ذلك نظرا لتعدد الاشتباكات التي وقعت وضخامتها . ويمكن اعتبار هذه الاشتباكات نوعا جديدا من حرب الاستنزاف وهي تختلف عن حرب الاستنزاف الماضية بأنها نجبر العدو على تعبئة كل قواته لمدة طويلة من الزمن ، وتسبب له خسارة اقتصادية بالاضافة الى خسائره بالافراد والمعدات ، دون ان تسمح له بتسديد ضربات انتقامية تفوق في الحجم والشدة الضربات التي يتلقاها . وهذا وضع جديد كل الجدة بالنسبة لما اعتاد عليه في معارك استنزاف (١٩٦٨ — ١٩٧٠) .

٢ — اعادة بناء الجيشين المصري والسوري ، واكمال كافة المعدات التي فقداها في معارك تشرين الاول ، مع تركيز السوفيات على تقديم الدبابات الحديثة ت — ٦٢ بدل الدبابات المفقودة ، ورفع عدد وحدات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، وزيادة عدد بطاريات الصواريخ ارض — جو من طراز سام — ٦ . وتذكر بعض المصادر الغربية ان سلاح الطيران المصري حصل على طائرة التفوق ميغ — ٢٥ (المقاتلة المعترضة) القادرة على التصدي لطائرات الفانتوم والتغلب عليها في المعارك الجوية . وتشير كافة تصريحات القادة العرب الى ان القوات العربية غدت أقوى مما كانت عليه في أي وقت مضى ، وانها مستعدة لبدء القتال عندما تأزف الساعة المناسبة .

٣ — اعادة بناء الجيش الاسرائيلي ، واكمال المعدات التي فقدها في معارك تشرين مع تركيز الولايات المتحدة على تقديم القذائف جو — جو وجو — أرض المتطورة ، والدبابات الامريكية الحديثة ، والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، والطائرات القاذفة — المقاتلة مع طياريها من المتطوعين اليهود ، مع محاولة اصلاح عيوب التشكيل الاساسي للقوات المسلحة الاسرائيلية ،

تلك العيوب التي ظهرت خلال الحرب وتمثلت بنقص المدفعية والاسلحة المضادة للدبابات والاسلحة المضادة للطائرات ، وعدم كفاية وحدات المشاة المرافقة للدبابات . ولقد استطاع الامريكيون اعادة القوة المادية للجيش الاسرائيلي الى مستوى أفضل مما كانت عليه عند بدء القتال، ولكنهم لم يستطيعوا ان يعيدوا لهذا الجيش معنوياته وقناعته السابقة بانه جيش اسطوري لا يغلب .

وهناك أنباء تقول بأن الولايات المتحدة ستعمل على تزويد اسرائيل بصواريخ أرض — أرض بعيدة المدى من طراز لانس المماثلة لصواريخ سكود السوفياتية . وتدعي واشنطن ان غايتها من اعادة تسليح اسرائيل هي جعل اسرائيل قوية لدرجة تجعلها قادرة على تقديم التنازلات في مؤتمر السلام (!) ولكن ساسة تل ابيب الغارقين في المزايدات الانتخابية حتى ذقونهم يفهمون الامور بشكل آخر ، ويرون في القوة مستندا لمزيد من التعنت والتمسك بالمفاهيم التوسعية العدوانية التي لم تثبت امام حقائق الحرب الرابعة .

٤ — تعدد حوادث الاشتباك مع وحدات هندسية معادية تعمل في مواقع متقدمة من الجبهة السورية، الامر الذي يدل على ان العدو ينوي تحصين مواقعه وتقديم اسلحة ثقيلة مضادة للدبابات الى الانساق الاولى ، كما يمكن ان يدل على انه يرسل الدوريات الهندسية لفتح ثغرات في حقول الالغام السورية استعدادا لهجوم مباغت . ولا يمكن تقدير طبيعة الاعمال الهندسية وهل هي هجومية أم دفاعية الا بعد معرفة أنواع المهمات التي كانت تقوم بها وحدات العدو وطبيعة المعدات التيكانت تستخدمها ، وهذا ما لم تذكره البلاغات العسكرية السورية . ومهما تكن طبيعة المهمات التي ينفذها العدو فان وجود وحدات هندسية تعمل نهارا — تحت ستار وقف اطلاق النار — في الخطوط الامامية ، دليل على اعداد شيء هام تستطيع القوات السورية التي اشتبكت معها تحديد طبيعة هذا الشيء الهجومية او الدفاعية . وهناك ما يدل بكل وضوح على أن القوات المسلحة السورية مصممة تماما على منع العدو من تحصين مواقعه داخل الجيب ، ومنع أية اعمال هندسية تزيد من مناعة هذه المواقع . وغاية السوريين من ذلك ابقاء الجيب الاسرائيلي ضعيفا ليسهل قطعه في المستقبل بهجمات من المجنبات .

٥ — زيادة حجم القوات الاسرائيلية الموجودة داخل جيب الدفرسوار وتحسين نوعية اسلحتها. وتذكر المصادر الغربية ان عدد القوات الاسرائيلية داخل الجيب وصل الى حوالي ٣٠٠ دبابة و٣٠ — ٤٠ الف جندي . ووحدات كثيرة من الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات .

ولرفع كفاءة خطوط الامداد والتموين عبر قناة السويس بنى الاسرائيليون في ١١/١٥ جسرا ثابتا ليحل محل الجسور العائمة التي نصبوها في ليلة ١٥ — ١٦ . ويمتاز الجسر الثابت على الجسر العائم بأن حساسيته للقصف أقل ، وعمليات صيانته أسهل ، ووتيرة عبور الاليات عليه أكبر ، وقد يسمح بالمرور في اتجاهين . ويستطيع العدو بعد بناء الجسور الثابتة فك الجسور العائمة لوضعها في احتياط المهندسين بغية استخدامها في المعارك المقبلة عند دمار الجسور الثابتة ، او عند العبور تحت النار في أماكن أخرى .

٦ — ارتفاع عدد ومستوى عمليات الثورة الفلسطينية داخل الارض المحتلة . فلقد قامت خلايا الداخل بعمليات نسف ، ومهاجمة دوريات ، ومهاجمة حاكم نابلس العسكري ، ... الخ ، وألحقت بالعدو خسائر بشرية ومادية كبيرة (راجع شهريات المقاومة الفلسطينية وجدول العمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية) . وتعتبر هذه العمليات امتدادا لنضال الشعب الفسطيني الذي انطلق لتحرير الارض منذ ٩ سنوات ، ولم يعترف بوقف القتال بعد حرب ١٩٦٧ او بعد حرب ١٩٧٣ .

٧ — تطويق القوات الاسرائيلية على الضفة الغربية وتحسين اوضاع الجيش المصري الثالث. ولقد تم هذا الامر بعد اتخاذ التدابير التالية :

أ — ايصال الذخائر الى الجيش الثالث عن طريق البحر ، ب — ضغط الجيب الاسرائيلي من الخارج عند ميناء الادبية جنوبي السويس ، ج — ضغط الجيب الاسرائيلي من الداخل عند ضاحية الزيتية غربي السويس ، د — خلق قوس قوي بوحدات الجيش الاول وجزء من الجيشين الثاني والثالث (مدرعات — مشاة — مدفعية — صواريخ ضد الدبابات ، صواريخ ضد الطائرات) يمتد من جنوب الاسماعيلية حتى جنوب ميناء الادبية ، هـ — تقليل عرض الجيب مقابل فايد كمقدمة لقطعه الى قسمين احدهما شمالي والاخر جنوبي ،

وعزل القسم الجنوبي عن خطوط التموين مع الضفة الشرقية ، و ــ انشاء احتياط استراتيجي (الجيش الرابع) يضم وحدات مدرعة مصرية ومغربيــة وجزائرية .

٨ ــ فك الحصار عن مضيق باب المندب . ففي ١٢/١١ نقلت وكالة « سانا » السورية عن برقية من الكويت ان سفنا اسرائيلية استطاعت اختراق الحصار المصري على مضيق باب المندب وعبرته في حماية قطع حربية تابعة للاســطول السابع الامريكي باتجاه البحر الاحمر في يــوم ١٢/٩ . وكانت مدمرتان مصريتان قد أغلقتا المضيق في وجه الملاحة الاسرائيلية منذ يوم ٦ تشرين الاول، وساعدتها في ذلك مراكب دورية ووحدات مــن القــوات البرية في الجمهورية العربيــة اليمنيــة وجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ، الامــر الذي جعل الامريكيين يدفعون عددا من قطــع اسطولهم السابع الى المحيط الهندي لعــرض عضلاتهم وتهديد امن اليمن ومساعدة المراكــب الاسرائيلية على خرق الحصار . ولقد بقي أمر هذا الحصار مجهولا حتى كشفته غولدا مائير في مؤتمرها الصحفي بلندن بتاريخ ١٢ تشرين الثانى عندما حاولت ربط تنفيذ اتفاق النقاط الست بعدة أمور من بينها « وضع نهاية سريعة للحصار المصري على باب المندب » (رويتر) .

ولقد أعطى الحصار ووجود وحدات بحريــة مصرية في البحر الاحمر نتائج جيدة خلال الحرب العربية ــ الاسرائيلة الرابعة ، ولم يصل الى ميناء ايلات أية مراكب خلال شهري تشرين الاول وتشرين الثانى . وكان من الممكن ان يؤدي الى نتائج أكبر خلال مرحلة المفاوضات لو ان الوضع العربي العام يسمح بوضع استراتيجية بحرية تستند الى القانون الدولي الذي يعطي اليمنيين حق اغلاق مضيق باب المندب في وجه مراكب العدو، حتى ولو ادى هذا الاغلاق الى مجابهة مباشرة مع امريكا .

٩ ــ مباحثات نقطة الكيلومتر ١٠١ : لقــد تحدثنا عن الاحداث الثمانية السابقة بايجاز رغم أهميتها ورغم حاجة كل حدث منها لبحث مستقل لا يسمح به حجم الشهريات . ولكننا سنتحدث عن مباحثات نقطة الكيلومتر ١٠١ باسهاب أكبر نظرا لانها لم تكن حدثا عسكريا فحسب ، بل كانت بداية مرحلة جديدة من مراحل الصراع . وكان لها بالاضافة الى معناها العسكري معنى تاريخيا بالغ الاهمية .

الكيلومتر ١٠١

في الساعة ٣،١٠ من بعد ظهر يوم الاحــــد ٧٣/١١/١١ تم توقيع الاتفاق المصري ــ الاسرائيلي الذي ينهي الجولة الاولى من الحرب الرابعــة ويوطد وقف اطلاق النار بانتظار عقد مؤتمر سلام دولي . ولقد تم توقيع هذا الاتفاق ، وهو أول اتفاق من نوعه بين مصر واسرائيل منذ هدنــة عام ١٩٤٩ ، داخل خيمة عسكرية عند نقطة الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة ــ السويس . ومثــل الجانب المصري في هذا الاجتماع اللواء محمد عبد الغني الجمصي مساعد رئيس الاركان المصري (الذي غدا رئيسا للاركان في ٧٣/١٢/١٢) ومثل الجانب الاسرائيلي الجنرال أهارون ياريف مساعد رئيس الاركان الاسرائيلي (الذي كان من قبل مستشار رئيسة وزراء اسرائيل غولدا مائير للعمليــات الخاصة ، والذي يطمح ان يحتل اليوم منصبا سياسيا بارزا في اسرائيل) . وأشرف على التوقيع الجنرال أنزيو سيلاسيفو قائد قوات الطــوارىء الدولية . ولقد ابرزت النيويورك تايمز أهمية هذا الاتفاق بقولها : « ان هذا الحدث الذي كان غير معقول في العقدين الماضيين سيطوي الصفحة التي صورته كنبوءة قبل ستة اسابيع ليس الا . انه اليوم حقيقة تاريخية » (١١/١٢) .

واحتوى الاتفاق ست نقاط لا بد من ذكرها لمتابعة تطور المحادثات وما تخللها من عقبات بالنسبة لكل نقطة من النقاط منذ بدء المباحثات حتى ايقافها رسميا من قبل الجانب المصري والنقاط الست هي:

« ١ ــ توافق مصر واسرائيل على مراعاة وقف اطلاق النار الذي دعا اليه مجلس الامن الدولي بدقة .

« ٢ ــ يوافق الجانبان على بدء المحادثات بينهما فورا لتسوية قضية العودة الى خطوط وقف اطلاق النار القائمة في ٢٢ تشرين الاول ضمن نطــاق اتفاق على فصل القوات باشراف الامم المتحدة .

« ٣ ــ تتلقى مدينة السويس تموينات يوميــة من المواد الغذائية والماء والادوية وينقل جميــع الجرحى المدنيين من مدينة السويس .

« ٤ ــ لن تكون هناك عقبات في طريق انتقال

التموينات غير العسكرية الى الضفة الشرقية .

« ٥ ـ تحل نقاط تفتيش دولية محل نقاط التفتيش الاسرائيلية على طريق القاهرة ـ السويس . وعند نهاية الطريق قرب مدينة السويس يستطيع ضباط اسرائيليون الاشتراك مع الامم المتحدة في الاشراف على الطبيعة غير العسكرية للشحنات عند ضفة القناة .

« ٦ ـ وبمجرد اقامة نقط التفتيش الدولية على طريق القاهرة ـ السويس سيتم تبادل أسرى الحرب بما فيهم الجرحى » .

وبدأت المحادثات في يوم ١٢ ، وحاولت قوة الطوارىء الدولية استلام نقطة التفتيش عند الكيلو ١٠١ ، ولكن الجانب الاسرائيلي كشف عن سوء نواياه منذ البداية اذ قام عدد من جنوده بنزع حاجز الطريق الذي اقامه جنود قوة الطوارىء على طريق القاهرة السويس ، واشتبكوا مع القوات الدولية بالايدي ، وادعت تل ابيب ان هذا الحاجز يقطع القوات الاسرائيلية المرابطة على الطريق عن تلك المرابطة غربي مدينة السويس .

وكانت مسألة الاسرى (النقطة السادسة) أهم المسائل التي تمسكت بها اسرائيل نظرا لحالة القلق التي سادت البلاد بعد الحرب ، وغضبة الجماهير الاسرائيلية من ضخامة الخسائر التي أصابت القوات المسلحة الاسرائيلية ، وتظاهر أهالي الاسرى في معظم المدن ومطالبتهم ببذل اكبر جهد ممكن لاستعادة الاسرى . ومن المؤكد ان رغبة القيادة الاسرائيلية باستعادة الطيارين الاسرى لاعادة بناء سلاح الطيران بعد وصول الطائرات الامريكية وتعويض الخسائر بالمعدات كانت وراء الحاح الجانب المعادي على هذه المسألة حتى ان غولدا مائير هددت في الكنيست بتاريخ ١٣ تشرين الثاني ، بعد عودتها من لندن ، بقطع الامدادات عن الجيش المصري الثالث (وفي هذا خرق للبند الرابع من الاتفاقية) اذا لم يجر المصريون تبادلا للاسرى . وفي مساء ١١/١٤ اتفق الجانبان المصري والاسرائيلي على تبادل الاسرى وتأمين الامدادات غير العسكرية الى الجيش المصري الثالث . وبدأ تبادل الاسرى بالفعل في يوم ١١/١٥ واستمر حتى يوم ١١/٢٢ وتم خلاله تسليم ٢٣٨ اسيرا اسرائيليا من بينهم عدد كبير من الطيارين مقابل ٨١٠٤ اسرى من المصريين وفيهم أعداد من الفلاحين المدنيين الذين أسرهم العدو على الضفة الغربية للقناة بعد احداث الثغرة في يوم ١٠/١٥ . وانسحب الاسرائيليون من نقطتي التفتيش عند الكيلو ١٠١ و١١٩ وحلت محلهم قوات الطوارىء الدولية ، ومرت قافلة محملة بالمواد الغذائية والادوية والمياه في طريقها الى السويس . وبدأ نقل الجرحى المدنيين من مدينة السويس وبدا وكأن الاتفاق يسير نحو طريق التنفيذ بلا عوائق . واستمر هذا الوضع خلال اليوم التالي . وفي يوم ١١/١٧ وخلال بحث مسألة فك الارتباط بغية العودة الى خطوط ١٠/٢٢ (البند الثاني) قدم أهارون ياريف اقتراحا يقضي بفك الاتصال عن طريق انسحاب القوات المصرية والاسرائيلية الى مواقع ٥ تشرين الاول ، على اعتبار انه من غير الممكن تحديد خطوط ١٠/٢٢ . وان فك الارتباط الذي يمنع تجابه القوات المسلحة ووقوع حوادث تبادل اطلاق النيران سيأخذ شكلا عمليا عند الانسحاب الى خط واضح على ضفتي القناة . ولقد طرحت رئيسة وزراء العدو المسألة نفسها في مقابلة اذيعت بالتلفزيون في ١١/١٦ عندما قالت « ان اسرائيل تسعى الى فك الالتحام بين القوات بحيث يخلي المصريون الضفة الشرقية للقناة ويخلي الجيش الاسرائيلي الضفة الغربية للقناة » (رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٣٩٣) وكانت مائير قد أعلنت أمام الكنيست منذ ١١/١٣ انها « شرحت للحكومة الامريكية ان اسرائيل لا تنوي التخلي عن خطوطها الحالية للانتقال الى خطوط وهمية تسمى خطوط ٢٢ تشرين الاول » وأضافت « ان خطوط ٢٢ تشرين الاول ليست الا شعارا سياسيا أوجدته موسكو والقاهرة لوضع اسرائيل في موقف صعب ولانقاذ الجيش المصري من المحاصرة» (و.ص.ف.). وجاء التأييد الامريكي لموقف غولدا مائير المراوغ على لسان جورج فيست الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية الذي قال تعليقا على كلام مائير « ان النقاط الست التي تضمنها الاتفاق هي مبادىء عامة ، وانها لا تطلب بالتحديد العودة الى خطوط ٢٢ تشرين الاول » (النهار ١١/١٤) .

ورفضت القاهرة اقتراحي مائير وياريف الذي يحاول استغلال غموض الفقرة الثانية من الاتفاق في سبيل البقاء في وضع عسكري مريح على الضفة الغربية ، وأعلنت تجميد اجتماعات العسكريين عند نقطة الكيلو ١٠١ ، وبدأت الاتصالات الدولية

بشأن العودة الى خطوط ٢٢ تشرين الاول (الاهرام ١١/١٧) وعلق احمد انيس الناطق الرسمي المصري على اقتراح مائير بقوله : « ان رئيسة وزراء اسرائيل تأخذ في الاعتبار ان الانتخابات العامة ستجري قريبا ، وان عليها ان تفعل شيئا ما لدعم موقفها » (النهار ١١/١٨) . وظهرت اول عقبة رئيسية على طريق المباحثات . ويرجع اهتمام الطرفين البالغ بالعودة الى خطوط ٢٢ تشرين الاول الى ان القوات الاسرائيلية كانت في هذا اليوم داخل جيب محدود يقع غرب القناة على عمق يتراوح بين ٢٠ و٣٠ كيلومترا ، ويمتد شمالا الى جنوبي الاسماعيلية . ويمتد جنوبا ليشمل جزءا من الضفة الغربية للبحيرات المرة . وكانت مقدمة الاسرائيليين تبعد عن مدينة السويس حوالي ١٥ كيلومترا ، ولم تكن وحداتهم قد أخذت مواقعها على جبل عتاقة . وكان الجيش الثالث آنذاك يعمل على ضفتي القناة ، وكانت وحداته مترابطة واتصاله البري مع القاهرة مؤمنا ، كما ان اتصاله البحري مضمون عن طريق ميناء الادبية . ثم حققت القوات الاسرائيلية بعد يوم ٢٢ تقدما وصل الى ميناء الادبية ، فقطعت الجيش المصري الثالث الى جزئين أحدهما شرقي القناة والثاني غربها ، وقطعت طرق امداد مدينة السويس برا وبحرا ، وأمنت احتلال مواقع حاسمة في جبل عتاقة . ولم تكن القوات القائمة بهذه العملية قوية ، وكان من الممكن دون شك تصفيتها ، ولكنها أخذت مناعتها من وقف العمليات الحربية . وكانت عودة القوات الى خطوط ٢٢ تشرين الاول تعني بالنسبة للاسرائيليين العودة الى جيب ضيق لا يسمح بالمناورة او الحشد ، وفقدان ورقة الضغط على الجيش الثالث ومدينة السويس . أما بالنسبة للمصريين فقد كانت العودة تعني فتح طرق امداد مدينة السويس ، وعودة تلاحم الجيش الثالث وتموينه واعادة قدرته القتالية بشكل كامل ، واستعادة مواقع منيعة تسهل في المستقبل تصفية الجيب الاسرائيلي . وكان تنفيذ الفقرة الثانية من الاتفاق يعني الغاء أهمية الفقرات الثالثة والرابعة والخامسة . وهكذا كانت العودة الى خطوط ٢٢ تشرين الاول لا تعني مجرد انسحاب قوات عسكرية من مواقع احتلتها ، بل كانت تعني احداث تعديل استراتيجي كامل في موقف الطرفين، واعادة الاسرائيليين الى الوضع الحرج الذي كانوا فيه حتى يوم ٢٢ تشرين الاول . ومن هنا جاءت أهمية النقطة الثانية وتمسك الطرفين بمطالبهما ازاءها .

ودام توقف المباحثات الرسمية من ١٧ الى ٢٢ تشرين الثاني ، ولكن الاجتماعات غير الرسمية بين اللواء الجمصي والجنرال ياريف استمرت خلال هذه الفترة عند الكيلومتر ١٠١ كما استمر تبادل الاسرى وتموين الجيش الثالث بالمواد غير العسكرية . وكانت مصر تنتظر ان تؤدي الضغوط الدولية، والامريكية خاصة، الى اجبار الاسرائيليين على الانسحاب ، على حين كانت اسرائيل تعتمد على الموقف الامريكي المتفهم لوضع الحكومة الحرج قبيل الانتخابات ، وعدم قدرتها على تقديم تنازلات تضعف المركز الانتخابي للحزب الحاكم . وكانت اسرائيل راغبة في تمييع الموقف واطالة أمد البحث حول هذه النقطة على حين كانت مصر المقبلة على مؤتمر القمة في ١١/٢٦ تفضل الذهاب الى المؤتمر وبيدها ورقة انسحاب اسرائيل الى خطوط ١٠/٢٢ كدليل على ان ثقتها بالولايات المتحدة الامريكية بقدرتها على الضغط على اسرائيل كانت في محلها.

وعند عودة المباحثات في ١١/٢٢ قدم الجانبان المصري والاسرائيلي مقترحات متباينة ، وكان أهم بنود المقترحات الاسرائيلية (حسبما اوردتها الصحافة الاسرائيلية والعالمية) : ١ — انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية ، ٢ — التراجع عدة كيلومترات شرقي القناة ، ٣ — تخفيف عدد القوات المصرية على الضفة الشرقية مع سحب الاسلحة الثقيلة (الدبابات والمدفعية والصواريخ) منها . أما بنود المقترحات المصرية فكانت : ١ — انسحاب اسرائيل الى حدود ٢٢ تشرين الاول او الانسحاب من الضفة الغربية بالكامل ، ٢ — تراجع الاسرائيليين عدة كيلومترات شرقي القناة ، ٣ — تخفيف القوات المصرية على الضفة الشرقية الى ٣ فرق فقط ، ٤ — تزويد الجيش الثالث بالمحروقات .

ولقد استمر الجدل حول هذه المقترحات اسبوعا كاملا . واخذ الاسرائيليون خلال هذه الفترة موقف المراوغة ، وكان من الواضح انهم غير متعجلين للوصول الى حل . وبالرغم من عزلة اسرائيل السياسية والضغوط الدولية المتزايدة عليها فقد بقيت تراوغ وتتهرب من المواقف الايجابية معتمدة

على التفهم الامريكي ، او بالاحرى تفهم كيسنغر وعجز نيكسون وتأييد القوى الصهيونية داخل أجهزة الحكم الامريكية . وفي مساء ١١/٢٩ أعلنت مصر انسحابها من المحادثات وادلى المتحدث الرسمي المصري أحمد انيس بان سبب وقف المحادثات هو مراوغة اسرائيل المستمرة في تنفيذ الفقرة الثانية من اتفاق ٧٣/١١/١١ . كما اعلن ان حكومة اسرائيل تراجعت عن الاقتراحات التي قدمتها من قبل لتنفيذ الفقرة الخاصة بفك التحام القوات والانسحاب الى خطوط ٢٢ تشرين الاول . وحملت مصر كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي مسؤولية اجبار اسرائيل على التراجع عن موقفها المتعنت الذي يقف حجر عثرة في طريق السلام .

ولقد حاول الجنرال سيلاسيفو عبثا اعادة المتفاوضين الى خيمة الامم المتحدة ، وقابل وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان لهذا الغرض . واتصل الدكتور كورت فالدهايم سكرتير الامم المتحدة بممثلي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ومصر واسرائيل لتحريك الجمود الذي أصاب المحادثات ، ومنع عودة الاشتباكات على نطاق واسع . ولقد نجحت الاتصالات الدولية الى حد ما في تهدئة الطرفين ومنع الصدام العنيف الواسع الذي كان مرتقبا ، ولكنها لم تحقق أي نجاح في اعادة المحادثات . ويبدو ان اقتراب موعد انعقاد مؤتمر جنيف قلل الاهتمام بعودة العسكريين الى الاجتماع عند نقطة الكيلومتر ١٠١ نظرا لان مؤتمر السلام قادر على بحث ما لم يتم الاتفاق عليه على طريق القاهرة — السويس . ففي ٦ كانون الاول أعلن هنري كيسنغر في مؤتمر صحفي عقده في وزارة الخارجية بأنه غير متأكد من ان محادثات الكيلومتر ١٠١ ستستأنف . وان موضوع انسحاب المصريين والاسرائيليين من خطوط وقف اطلاق النار يجب ان « ينظر فيه بسرعة قصوى » في جنيف اذا لم يتم التوصل الى اتفاق مسبق عند الكيلومتر ١٠١ . وفي ١٢/١٠ ذكرت مجلة نيوزويك الامريكية ان انهيار المحادثات العسكرية عند الكيلومتر ١٠١ كان سببه الدكتور هنري كيسنغر ، وان الاسرائيليين كانوا مستعدين للتفاوض على فصل التحام القوات في المحادثات . لكن كيسنغر نصح بعدم الوصول الى مثل هذا الاتفاق ، واوصى بأن يكون هذا الموضوع اول بند في جدول أعمال مؤتمر السلام في جنيف لان أي تنازل من اسرائيل عند ابتداء المؤتمر سيجعل مفاوضات السلام تبدأ بداية مشجعة . وبالرغم من نفي ابا ايبان وزير الخارجية لهذا النبأ في يوم ١٢/١١ وادعائه بـ « ان كيسنغر أشار علينا بعكس ذلك . فقد طلب منا ان نبذل كل جهد للاستمرار في محادثات بناءة عند الكيلومتر ١٠١ » (الانوار ٧٣/١٢/١٢) فان روح الخبر لا تتعارض مع أسلوب وزير الخارجية الامريكي الذي يسعى الى ضمان النجاح بشكل مؤكد قبل البدء بأية مهمة ، ويعتبر النجاحات الجزئية مقدمة لنجاحات اكبر ، ويرى في محادثات نقطة الكيلومتر ١٠١ مدخلا الى محادثات السلام التي خطط لها بعناية فائقة ، وهو يعلم انه سيراهن في جنيف على رصيده السياسي الدولي وسمعته التي اكتسبها في حل النزاعات المستعصية .

المقدم الهيثم الايوبي

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١١/١٦ ــ ١٩٧٣/١٢/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	تاريخه
١ ــ	١١/١٦	٣٦٠٠	يفتاح/الجليل الاعلى	هجوم	تذائف صاروخية واسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير بعض منشآت العدو	ــ	ــ	ــ	رقم ٩٨١	١١/١٦
٢ ــ	١١/١١	ــ	كريات شلومو/ حيفا	اشتباك	القنابل اليدوية والاسلحة الرشاشة	غيرمحدد	مهاجمة دورية للعدو	ــ	ــ	ــ	رقم ٩٨٢	١١/١٦
٣ ــ	١١/١٤	٢٠،٣٠	الخليل	كمين	تذائف صاروخية واسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية واعطاب اخرى	ــ	ــ	ــ	رقم ٩٨٣	١١/١٦
٤ ــ	١١/١٦	٤٠٠٠	بتاح تكفا	هجوم	صواريخ	غيرمحدد	تدمير عدد من المنشآت	ــ	ــ	ــ	رقم ٩٨٤	١١/١٦
٥ ــ	١١/١٦	٧٠٠٠	بتاح تكفا	كمين	الغــــام	غيرمحدد	انفجرت الالغام بدورية تابعة لسلاح الهندسة	ــ	ــ	ــ	رقم ٩٨٤	١١/١٦
٦ ــ	١١/٢١	ــ	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من بار هيلتون	ــ	ــ	ــ	رقم ٩٨٥	١١/٢٤
٧ ــ	١١/٢١	١٩٠٠٠	معسكر الجنيد/ نابلس	هجوم	تذائف صاروخية واسلحة مختلفة	غيرمحدد	اعطاب عدد من آليات العدو	ــ	ــ	ــ	رقم ٩٨٦	١٢/ ٢
٨ ــ	١١/ ١	٦٠٣٠	بين الخصب وهاكيكار/جنوب البحر الميت	تفجير	الغــــام	غيرمحدد	تدمير آلية عسكرية	ــ	ــ	ــ	رقم ٩٨٧	١٢/ ٣
٩ ــ	١١/١٣	٧،١٥	الخضير والغمد/ النقب الجنوبي	تفجير	الغــــام	غيرمحدد	تدمير سيارة لاندروفر	ــ	ــ	ــ	رقم ٩٨٧	١٢/ ٣
١٠ ــ	١١/١٨	ــ	بيتونيا/رام الله	تفجير	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اعطاب أحد باصات شركة ايجيــد	ــ	ــ	ــ	رقم ٩٨٧	١٢/ ٣
١١ ــ	١٢/ ٤	١٢،٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير عدد من المنشآت في شارع دافيد	ــ	ــ	ــ	رقم ٩٨٨	١٢/ ٤

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
١٢	١٢/ ٥	١٠،٢٠	بيت ليد ــ كفار سابا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير أحد باصات شركة ايجيــــد	—	—	—	رقم ٩٨٩	١٢/ ٥
١٣	١١/٢٣	—	مفرق كريات اربع/الخليل	تفجير	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة نصف مجنزرة	—	—	—	رقم ٩٩٠	١٢/ ٦
١٤	١١/٢٧	٧،٣٠	بين رفح ــ الماسورة	كمين	قنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	اعطاب باص للعدو	—	—	—	رقم ٩٩١	١٢/ ٨
١٥	١٢/ ٥	—	باتيام/جنوب تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير الجناح الشمالي في فندق بان اميركان	—	—	—	رقم ٩٩١	١٢/ ٨
١٦	١٢/ ٧	—	الخليل	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	مهاجمة دورية للعدو	—	—	—	رقم ٩٩٢	١٢/ ٨
١٧	١٢/ ٨	١٢،٣٠	نابلس	هجوم	اسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة سيارة الحاكم العسكري لمدينة نابلس	—	—	—	رقم ٩٩٣	١٢/ ٨
١٨	١١/٢٧	١٠،٠٠	الحفيرة/النقب الجنوبي	تفجير	الغـــــام	غيرمحدد	تدمير آلية للعدو	—	—	—	رقم ٩٩٤	١٢/ ٩

ملاحظة : تصدر التصاريح العسكرية عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية التي اعترف بها العدو من ١١/١٢ — ١٩٧٣/١٢/١٠

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	١١/١٢	—	تل ابيب	تفجير	قنبلة يدوية	١	—	تدمير أجزاء من منزل جندي اسرائيلي	—	—	—	ن. رقم٣٨٩ ص١٦٧٣	١١/١٣
٢	١١/١٥	—	ايلات	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	نسف مضخة المياه لمشاريع النحاس في تمناع وايلات وتدمير عمود كهربائي	—	—	—	ن. رقم٣٩٢ ص١٧٤٥	١١/١٦
٣	١١/١٦	—	كيبوتس يفتاح	قصف	قذائف بازوكا	—	—	—	—	—	—	ن. رقم٣٩٣ ص١٧٦٤	١١/١٧
٤	١١/١٦	١٠،٠٠	قرب ادميت	قصف	قذائف هاون	—	—	مهاجمة دورية لحرس جيش الدفاع الاسرائيلي	—	—	—	ن. رقم٣٩٣ ص١٧٦٤	١١/١٧
٥	١٢/ ٤	—	القدس	تفجير	قنبلة يدوية	٢١اصابة		—	—	—	—	ن. رقم٤٠٧ ص٢٠٨٤	١٢/٥
٦	١٢/ ٥	—	جنوب بيت ليد	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تفجير باص ولم ترد أية تفاصيل عن الاضرار	١	—	—	ن. رقم٤١٠ ص٢١٢٧	١٢/٧
٧	١٢ ٧	—	الخليل	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	—	أدى الاشتباك الى مقتل أحد المواطنين	—	—	—	ن. رقم٤١٠ ص٢١٤٢	١٢/٨
٨	١٢/ ٨	١٢،٣٠	نابلس	تفجير	قنبلة يدوية	—	١	اصابة الحاكم العسكري لمدينة نابلس العقيد العازر سيجف بجراح	—	—	—	ن. رقم٤١١ ص٢١٦٦	١٢/١٠

ن — نشرة رصد اذاعة اسرائيل تصدر يوميا عن مركـز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

باللغتين العبرية والعربية

اصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية، واعتبارا من اول تموز ١٩٧٣ نشرة اسبوعية ترصد الاخبار والتعليقات التي تبثها اسرائيل باللغة العربية . وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرا عليه في مختلف الميادين ، واخبار المناطق المحتلة حديثا بحيث يسهل على ذوي الشان ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتتميز النشرة الاسبوعية بقيمة كبيرة تكتسبها من دراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعبرية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب الى جانب جميع الاخبار المتعلقة بعرب المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ .

وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل اسرع .

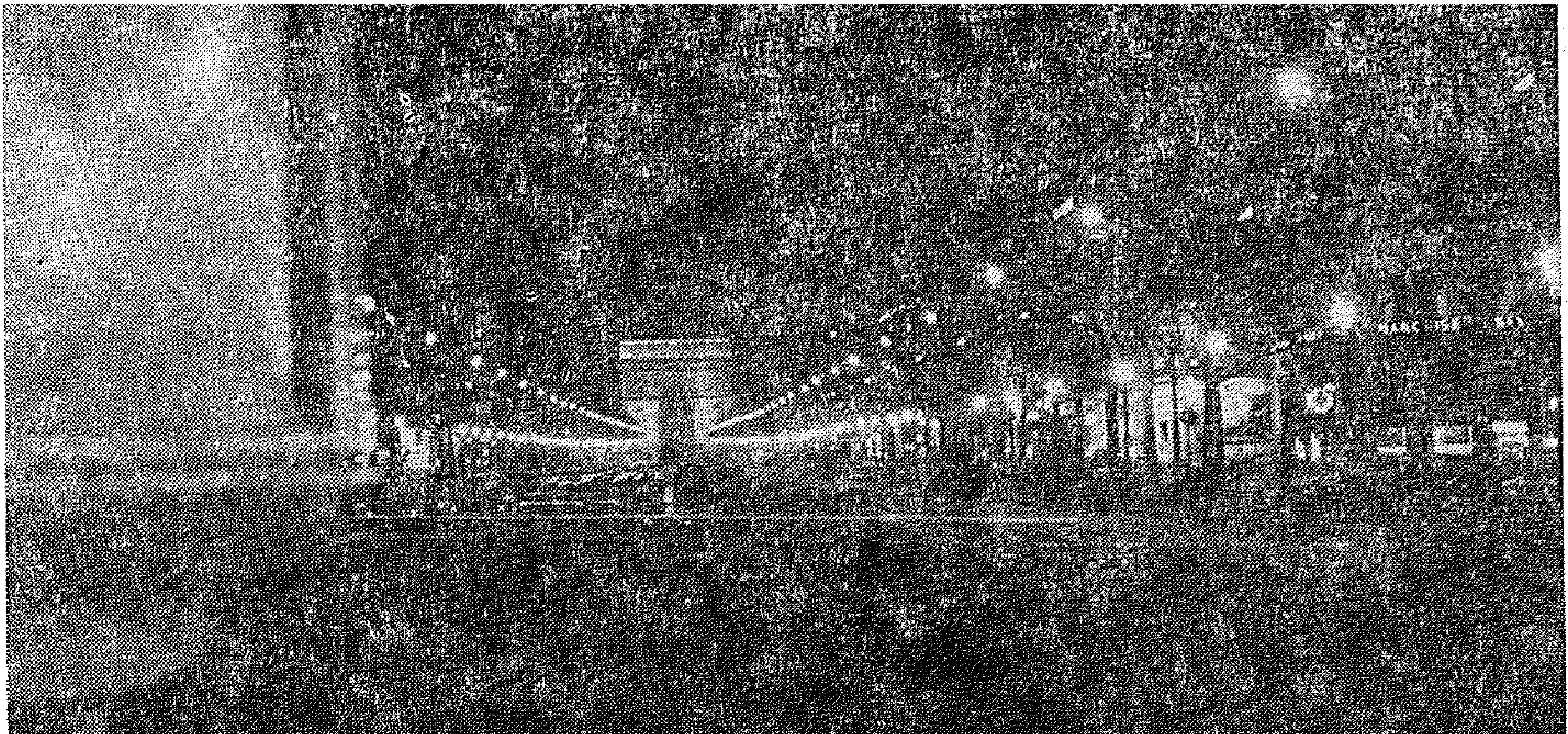
يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة او اكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل. ل. ، في اوروبه ١٥٠ ل. ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل. ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٢٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي ان نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيلية التي تبث باللغات الانكليزية والفرنسية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .

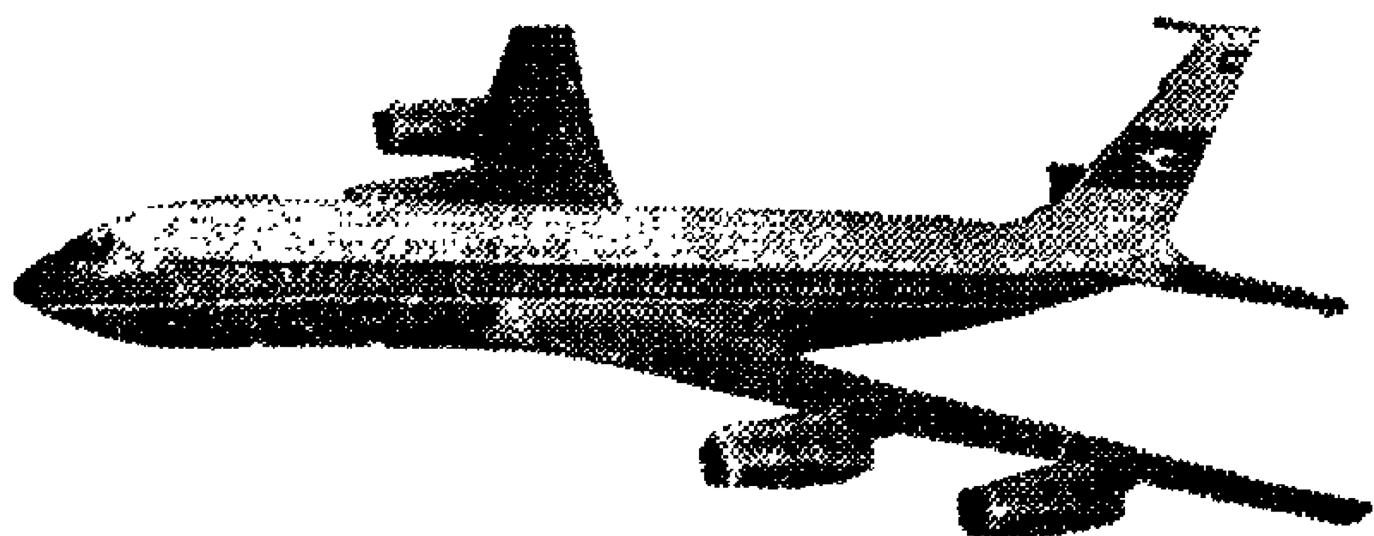


رحلات يومية من الكويت والخليج العربي إلى عواصم أوروبا الرئيسية



الثلاثاء: الكويت - اثينا - جنيف - لندن الساعة ١١,٣٠
الأربعاء: الكويت - لندن بدون توقف الساعة ١٥,٠٠
الخميس: الكويت - روما - فرنكفورت - لندن الساعة ١١,٣٠
الجمعة: الكويت - روما - باريس - لندن الساعة ١١,٣٠
السبت: الكويت - اثينا - فرنكفورت - لندن الساعة ١١,٣٠
الأحد: الكويت - روما - باريس - لندن الساعة ١١,٣٠

سافروا بطائرات الخطوط الجوية الكويتية واجعلوا رحلاتكم سهلة ممتعة. بمشاهدة العروض السينمائية التي أصبحت تقدم خلال جميع الرحلات، وذلك علاوة على الموسيقى المنوعة التي يمكنكم الاستماع إليها على ٦ أقنية مختلفة.

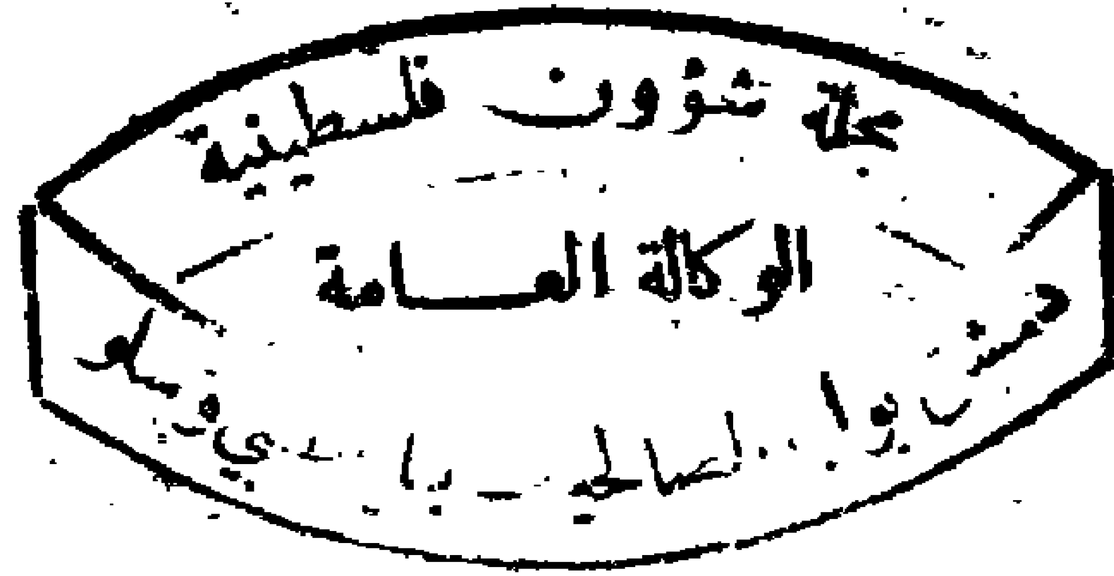


الخطوط الجوية الكويتية

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail) : Lebanon and Syria LL 30, other Arab countries LL 40, Asia, Africa and Europe LL 60, elsewhere LL 90; *Annual Subscription* (surface mail) : Countries outside the Arab World LL. 45. *Address :* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

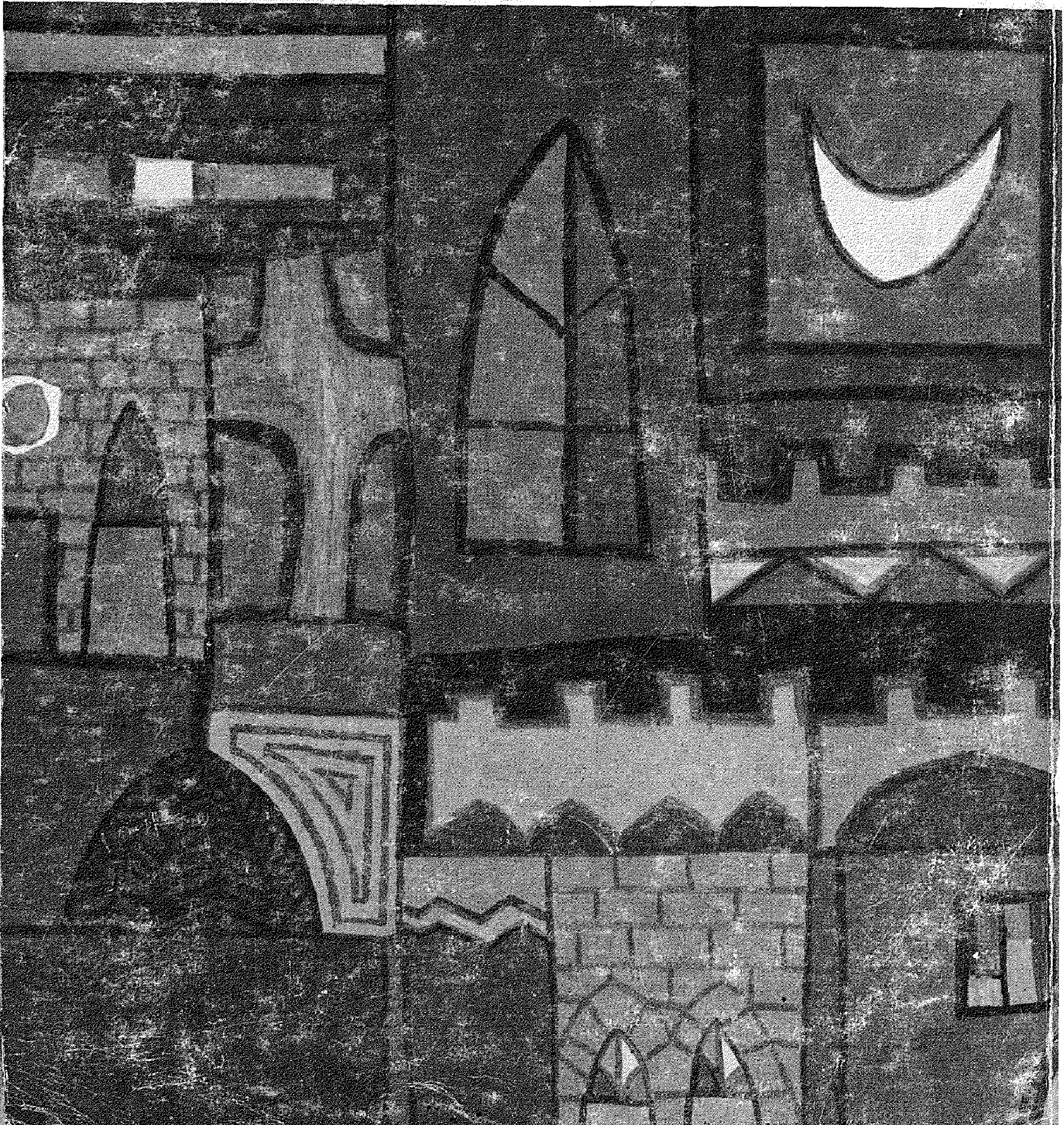
السعر ٢½ ل.ل. في لبنان
٣½ ل.س. في سوريا
٤٠٠ فلس في الكويت
٣½ ل.ل. في سائر الاقطار العربية



شؤون فلسطينية

٣٠

شباط (فبراير) ١٩٧٤



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٣٠ — شباط (فبراير) ١٩٧٤

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين.

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : لوحة فلسطينية مستوحاة من القدس

المحتويات

157 **تقارير** : (١) القضية الفلسطينية والصحافة البريطانية خلال شهر تشرين الثاني ، مصطفى كركوتي. (٢) الصحافة الفرنسية والحرب. (٣) اتجاهات الصحف في الضفة الغربية : التحركات السياسية بعد حرب تشرين الاول ، عيسى الشعيبي . (٤) الثروة النفطية في فلسطين ، الدكتور فلاح سعيد جبر . (٥) ابعاد الاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر ، عبد المنعم عباس. (٦) السويد تتجسس لحساب اسرائيل ، هـ.د. (٧) جوزيف ادوارد سيف ، سوزي زيادة .

192 **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ع.س. مع ملحق : « النظام الاردني ومؤتمر جنيف » ، ع.ع. (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، صادق جلال العظم. (٤) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب. (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١٣/١٢/١٩٧٣ — ١٢/١/١٩٧٤ ، غازي خورشيد .

شؤون فلسطينية

ندوة هامة

تعتبر « شؤون فلسطينية » استجابة قادة فصائل المقاومة لدعوتها الى الحوار الهام المنشور في هـذا العدد احدى اكبـر المساهمات الفكرية في المناقشات الدائـرة ، في هذه المرحلة ، حول التحديات الجديدة التي تواجه المقاومة الفلسطينية .

انها تعبير ساطع عن حرص القـادة على المحاورة العميقة قبل صياغة القرار المشترك .

وانها مشاركة في تقدير خطورة المرحلة التي يتعامل معها العمل الفلسطيني ، فكرا وممارسة .

وانها وثيقة هامة تضاف الى سجل ادبيات حركة المقاومة الغنية بالتجارب وآلام المخاض .

وانها ، بعد ذلك كله ، تكريم لهذا المنبـر الفلسطيني « شؤون فلسطينية » المفتوح للحوار الحـر الديموقراطي ، ضمن ضوابط المبادىء المشتركة ، والعقيدة الفلسطينية الراسخة .

وانها تعبير عما يكنه قادة المقاومة من رعاية لهذا المنبر ، وايمان منهم بالدور الذي يؤديه في الصراع الفكري والثقافي مع العدو .

لقد استجاب لدعوة « شؤون فلسطينية » لاجراء مناقشة عميقة وهادئة ، تميزت بروح الاخوة والمسؤولية المشتركة ، كل من الاخوة القادة : أبو اياد . زهير محسن . جورج حبش . نايف حواتمه ، وشفيق الحوت .

وربما نكون في غنى عن ملاحظة أن حصيلة الندوة دلت على وحدة الالتزام الفلسطيني بمبادىء الثورة الفلسطينية واهدافها العظيمة . ولم يكن الخـلاف في الراي بين الاخـوة المتحاورين خلافـا حـول المبادىء والاهداف ، ولكنه خلاف اجتهادات حول أحسـن السبل لبلوغ هذه الاهداف .

ونحن واثقون من أن هذه الندوة الهامة ستعطي اشارات ضوء للعاملين في ميدان الكفاح الفلسطيني والمهتمين به . وتشكل اجابات واضحة حول اسئلة كثيرة غامضة تطرح في هذه الايام .

ابو اياد . زهير محسن . جورج حبش . نايف حواتمه . شفيق الحوت

في ندوة خاصة بـ « شؤون فلسطينية » :

المقاومة الفلسطينية أمام التحديات الجديدة

اعداد : محمود درويش

محمود درويش :

يسر مركز الابحاث ومجلة « شؤون فلسطينية » ان تستضيف قادة فصائل الثورة الفلسطينية ومثقفيها السياسيين البارزين وترحب بهم في هذه الندوة التي نطمح الى أن تعطي اضاءات هامة ومسؤولة ، في هذه المرحلة الجديدة التي يبدو للكثيرين منا انها شديدة الغموض .

الى أين نحن ذاهبون ؟

ان هذا السؤال المطروح في سياق المتغيرات لا يشكل ، كما يبدو لنا ، هما شاقا ومضيعا اذا نظرنا اليه من زاوية المستقبل .. من زاوية الاهداف الاستراتيجية البعيدة التي لا تشكل اجتهادا فلسطينيا ، وانما هي قناعة ثورية نحملها جميعا ، ويصبح التخلي عنها تخليا عن الثورة .

ولكن السؤال يصير مثيرا للحيرة وقابلا للمناقشة والاجتهاد ، في منظار المرحلة الراهنة ــ الجديدة التي تعكف المقاومة على دراستها في جو من الحوار الديمقراطي ، وهو الاسلوب الوحيد لصياغة القرار الذي سيلزمنا جميعا بعد اتخاذه .

وربما لا نكون في حاجة الى القول ان من ابرز علائم الصحة والانفتاح في عقليتنا السياسية هذا المظهر الديمقراطي من المناقشات والاجتهادات الدائرة في صفوفنا الان حول تصور مستقبل العمل الفلسطيني ، بروح من المسؤولية والالتزام بالحرص على ضمان استمرار الثورة واهدافها الراسخة . ان ما يبدو انه اختلاف في وجهات النظر بيننا الان ليس الا اتفاقا على ضرورة البحث عن أفضل السبل لتأمين استمرار الثورة باهدافها الاستراتيجية العظيمة . وان ما يدور بين صفوفنا الان هو مساهمة مختلف الاجتهادات ، لا صراعها ، في مناقشة الخيارات التي تطرحها المرحلة الراهنة والواقع الجديد على الفكر الفلسطيني والممارسة الفلسطينية .

كيف نخترق ، نرفض او لا نرفض نقبل او لا نقبل ، او نتغلب على الحلول المطروحة وصولا الى الحلول التي نطرحها نحن ، دون ان نخسر لا المرحلة ولا المستقبل . كيف نوازن بين غموض ما تطرحه المرحلة وبين وضوح الهدف . وما هي البدائل الفلسطينية الممكنة الطرح والتحقيق .

اننا نعرف ان قرارنا ما زال قيد البحث والدراسة والانتظار . ونعرف ان الجماهير العربية المؤمنة بالثورة الفلسطينية تفهم ضوابط القرار الفلسطيني وصعوبة المخاض ولكن السؤال المطالب بالجواب هو : ما هي الخطوط العامة لتوجهنا السياسي في المرحلة الجديدة . الى أين نحن ذاهبون ؟ وبأية وسائل ؟ وكيف ؟

اننا في « شؤون فلسطينية » واثقون من أن هذه الندوة ، بسبب اشتراك قادة فصائل المقاومة فيها ، قادرة على صياغة اجابات عن الاسئلة الكثيرة المطروحة .

واسمحوا لي أن اقترح الصيغة التالية لسير المناقشة :

اقترح تقسيم الموضوع الى ثلاثة أجزاء :

الاول : **مناقشة المتغيرات في المنطقة وفي العالم بعد حرب تشرين ، وهي التي تشكل حدود المرحلة الجديدة .**

— هل نعترف ، اولا ، بوجود مثل هذه المتغيرات ؟

— ما هو تأثيرها على استراتيجية وتكتيك العمل الفلسطيني ؟

— هل تستدعي اعادة النظر في بعض مفاهيمنا ؟

— هل تدفعنا الى ضرورة الاخذ بالمرحلية في الاهداف ؟

— وهل تتعارض المرحلة مع حقنا التاريخي في فلسطين ؟

الثاني : **تقييم المرحلة القادمة التي تشكل جنيف بدايتها او معالمها البارزة :**

— ما هي وجهة سير الاحداث ؟ هل تسير الى تسوية سلمية للصراع العربي — الاسرائيلي ؟

— ما هو موقفنا من التحرك السياسي العربي من أجل الانسحاب ؟

— هل نعارض . أم نقبله ؟

— اذا عارضناه هل نملك القدرة على الغائه ؟

— واذا قبلناه ، هل نقبل المساهمة فيه .

— وما هي ترجمة كون منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني على واقع تبحث فيه قضية فلسطين باشتراك طرف آخر هو الاردن يدعي تمثيل الشعب الفلسطيني .

— ما هو الموقف الفلسطيني من كل ذلك ؟ اي ما هو الخيار الفلسطيني ؟

الثالث : **مستقبل الاراضي الفلسطينية المحتلة بعد الانسحاب الاسرائيلي عنها .**

— هناك احتمالان : عودة السلطة الاردنية اليها . او : اقامة سلطة وطنية فلسطينية عليها .

— ما معنى هذه السلطة الفلسطينية ؟

— واي البديلين يقربنا من تحقيق اهداف الثورة وحقوقها على ارض فلسطين .

نايف حواتمه :

كمدخل للتساؤلات المطروحة على جميع القوى الوطنية والثورية في الوطن العربي بعد الحرب نقول : ان حرب تشرين ليست حدثا عابرا في تاريخ القضية الفلسطينية ، وفي تاريخ المنطقة العربية . وبالتأكيد فان هذا الحدث يفهم من خلال مجموع المعطيات التي ولدتها الحرب . نحن نفهم حرب تشرين بأنها حرب وطنيـــة محدودة بحدود الافـــاق الطبقية والسياسية للقيادة التي حكمتها ، وتحديدا للقيادة البرجوازية الوطنية التـــي يمثلها السادات ، باعتباره ممثل الثقل الاساسي في قيادة هذه الحرب كما جرى عمليا وواقعيا . واستهدفت ، في تقديرنا ، اخراج أزمة الصراع العربي ــ الاسرائيلي من حالة اللاسلم واللاحرب لتوليد فرص جديدة تمكن من الوصول الـــى تسوية سياسية على ارضية القرار ٢٤٢ وسقفها الاعلى القرار ٢٤٢ مطورا في جانبه الفلسطيني ، في محاولة لاحلال فهم ما للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني مكان البند الخاص « بحل مشكلة اللاجئين حلا عادلا » ! كما ينص عليه القرار ٢٤٢ .

ولذا كان معروفا لنا منذ نهاية هذه الحرب انها لن تتخطى كونها هادفة تحسين فرص التسوية ضمن هذا الاطار الذي ذكرت ، ومع ذلك انخرطت الثورة الفلسطينية فـــي الحرب منذ اللحظات الاولى وناضلت من اجل تطوير هذه الحرب الى حرب تحرير وطنية تتابع الصراع بحيث يصبح من الممكن دحر الاحتلال الصهيوني عـــن الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ ، وانتزاع حق تقرير المصير لشعب فلسطين في المناطق الفلسطينية المحتلة التي يتم دحر الاحتلال عنها بدون قيد ولا شرط .

ومن هنـــا ناضلنا من أجل الزج بجميـــع الطاقات العربيـــة في هذه الحـــرب . كل الجيوش العربية للقتال ، فتح النار في الجبهة الاردنية ، دخول قوات الثورة مـــن الجبهة الاردنية ، استخدام سلاح النفط ، بالتأميم مرورا بأية اجراءات اخرى نفطية ، تحويل الارصدة العربية عن الدولار الخ . . من الصيحات التي اذيعت على لسان الثورة الفلسطينية والاستجابات التي تولدت في المنطقة العربية . الا انه تم قطع الطريق على هذه المحاولة قبل ان تستكمل هذه التفاعلات ، التي يمكن من الارتقاء بالحرب من حرب وطنية محدودة الى حرب تحرير تنهي الاحتلال على هذه الارض ، بالمبادرة التي اتخذها السادات يوم ١٦ اكتوبر وما تلاها من القبول بوقف اطلاق النار . ومن هنا لم تنجـــح جميع المحاولات التي بذلتها القوى الثورية الفلسطينية في تطوير هذه الحرب. فقد بقي زمام المبادرة في ادارة افقها العسكري والسياسي بيد السادات عمليا وموضوعيا . لتبقى هذه الحرب ضمن الحدود المرسومة لها مسبقا ، حربا محدودة تستهدف تحسين فرص التسوية السياسية ضمن اطار القرار ٢٤٢ بسقفه الادنى وسقفه الاعلى .

هذه الحرب المحدودة افرزت مجموعة من التطورات والمعطيات المرحليـــة العربية والدولية تبشر جميعها بأن مجموع هذه التطورات تضغط بخط الوصـــول الى تسوية سياسية . في مقدمتها شبه التوازن العسكري العربي ــ الاسرائيلي ، هز نظرية الامن الاسرائيلية ، الحاق ضربات موجعة بالقوى الحية العسكرية الاسرائيلية وآلات الحرب العسكرية الاسرائيلية الامبريالية ، دخول الجيوش العربية في قتال حديث حي وفعلي، وبروز امكانية استخدام الاسلحة الحديثة بفعالية ، بروز دور السلاح الذي بيد العرب وفعاليته دحرا لكل الاتجاهات السابقة لحرب تشرين والقائلة ان هذا السلاح دفاعي ولا يمكن العرب من اتخاذ موقف هجومي من العدو الاسرائيلي المحتل ، الحالة المعنوية الجماهيرية الفلسطينية والعربية وما ترتب عليها من شبه انتفاضة شعبية شاملة في الاراضي الفلسطينية المحتلة ضد الاحتلال الصهيوني. بجانب هذا كله افرزت حرب تشرين وما رافقها من استخدام سلاح النفط ضمن الحدود التي استخدم بها حالة عالمية ضاغطة

باتجاه حل مشكلة الصراع العربي ـــ الاسرائيلي ، حيث وقفت البلدان الاشتراكية بشكل ثابت وفعال مع حركة التحرر الوطني العربية ماديا وعسكريا وسياسيا ، كما ان نتائج الحرب فرضت على اوروبا الغربية الرأسمالية مراجعة موقفها من قضايا الشرق الاوسط على ضوء مصالحها ، حيث بدأت تهتز وبدأت تكتشف ان مصالحها الشرق اوسطية هي مع الناحية العربية اولا ، مما دفعها لاتخاذ موقف ضاغط متصل على الامبريالية الاميركية وعلى اسرائيل من اجل الوصول الى تسوية ما . ونرى ذات الحالة على يد الامبريالية اليابانية ، كما أخذت ترتفع اصوات خافتة محدودة داخل امريكا تطالب بمراعاة المصالح الامبريالية الاميركية في المنطقة التي لا تتطابق بالضرورة تمام التطابق مع الموقف الاسرائيلي الصهيوني .

ان مجموع هذه المعطيات هو الذي أخذ يشير ، كما جاء في الوقائع ـــ فيما بعد ـــ الى ان الامور تندفع باتجاه الوصول الى تسوية ما . هذا اولا . ثانيا ، في سلسلة الاتصالات والحوارات التي نشأت بين قيادة الثورة الفلسطينية وبين القوى العربية والعالمية الصديقة ، كان الاتجاه البارز لدى هؤلاء جميعا هو أن المنطقة مقبلة على تسوية نتيجة مجموعة هذه الضغوط التي ذكرت . ثالثا ، هذه التسوية لا تعني كما هو واضح من مجريات الاحداث ، اننا أمام تسوية واحدة بل أمام اكثر من شكل من اشكال التسوية ، امام تسوية ضمن اطار الحل الاستسلامي التصفوي ـــ الاميركي الصهيوني ـــ الهاشمي ، والذي مؤداه عدم العودة الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ ، حل مشكلة الشعب الفلسطيني ضمن اطار المملكة المتحدة ، وطمس الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة ، بالاضافة الى مجموع الاشتراطات التي تضمنها القرار ٢٤٢ . وحتى يصبح ممكنا دفع الامور في هذا الاتجاه فان الموقف الاستراتيجي الاميركي والاسرائيلي يدفع بخط استفراد الدول العربية ، واحدة بعد الاخرى ، على طريق التسويات الثنائية لان هذا يفتح فرصا اوسع للامبريالية الاميركية وللعدو الصهيوني في الوصول الى تسوية تنسجم مع الحل الاميركي الصهيوني ـــ الهاشمي الرجعي .

مقابل هذا هنالك فهم للتسوية متباين ايضا في خطوط الموقف العربي ، أقصد دول المواجهة المعنية تحديدا بالتسوية ، هناك في تقديرنا فهم مصري للتسوية ، في حال تعقد تسوية ضمن اطار مفهوم ٢٤٢ القائم على الانسحاب الاسرائيلي الشامل من الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة في حزيران ١٩٦٧ وتطوير قرار ٢٤٢ حسب الموقف المصري الذي يقول بأنه يفهم التسوية متضمنا الاقرار والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية ، في تقديرنا رغم هذا الاعلان فان الموقف المصري مستعد ، في حال تعقد الوصول الى التسوية ضمن هذا الاطار الى السير في خط التسوية الثنائية مع اسرائيل. كما ان الموقف السوري في فهمه للتسوية متباين عن الموقف المصري ، فالموقف السوري، ضمن اعلانه الذي اقترن بالموافقة على قرار ٣٣٨ يقول بأنه يفهمه متضمنا الانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة في حزيران وما بعده والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني بذات الوقت . وليس مستعدا للسير بخطى تسوية سياسية منفردة . بجانب هذا هناك الموقف السوفياتي باعتباره طرفا في الصراع الدائر يقول بتسوية ضمن اطار ٢٤٢ المطور ، حيث تحل مشكلة حقوق الشعب الفلسطيني مكان فهم هذه المشكلة بأنها مشكلة لاجئين . ويفهم الاتحاد السوفياتي هذه العملية ضمن اطار الانسحاب من الاراضي المحتلة عام ٦٧ والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، وهو يفهمها، كما دلت مباحثات الوفد الفلسطيني في موسكو ، بأنها قرارات الامم المتحدة بالنسبة للشعب الفلسطيني .

اذن ، نحن أمام اكثر من شكل من اشكال التسوية مطروح على

المنطقة . نحن نقول بوضوح ان جميع التسويات القائمة على الحل الاميركي الصهيوني الهاشمي ، تؤدي الى حل استسلامي وتصفوي للقضية الفلسطينية ، أمـا الاركان الاخرى التي لا تحدد بدقة فهمها لحقوق الشعب الفلسطيني ، فاننا نقول بوضوح أن موقفنا منها يتحدد بدقة على ضوء تأييدها لمضمون الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني. وكل ما يؤدي الى الانتقاص من هذه الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني والقائمة على كافة حقوقه ومكاسبه الراهنة والتاريخية سنقف ضده . وهذا يفترض بالضرورة ان نطرح موقفا ملموسا وطنيا وثوريا كفيلا باحباط كافة الحلول الاستسلامية التصفوية ، ويزرع الالغام في طريق هذه التسويات التي تقـوم على الانتقاص من هـذه الحقوق التاريخية والراهنة لشعبنا في كامل ترابه الوطني . وهذا يعني بوضوح ، من موقعنا الفلسطيني ، اننا نناضل من أجل دحر الاحتلال الصهيوني وتصفيته عن الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة عام ٦٧ مستمدين هذا الموقف من الموقف الاستراتيجي العام لتحرير كـامل التراب الوطني وموظفين هذا الانجاز الوطني والقومي في خدمـة المـوقف الاستراتيجي العام ، و في الوقت ذاته تمكين شعبنا الفلسطيني في جميع الاراضي التي يتم تحريرها وانسحاب العدو منها من تقرير مصيره بنفسه على هذه الاراضي واقامة سلطته الوطنية الفلسطينية المستقلة عليها. وذلك يتطلب تعبئة جماهير شعبنا بالداخل والخارج في هذا الاتجاه بوضوح كامل، لان النضال من اجل هذا الانجاز يخدم الموقف الاستراتيجي العام لمتابعة تحرير كامل التراب الوطني في المراحل اللاحقة .

هذا الموقف يترتب عليه ايضا موقف عربي يفترض التزاما واضحا مـن الانظمة الوطنية العربية وقوى حركة التحرر العربية معنا بهذا الاتجاه ، من الدول الصديقة ، فمثل هذا الالتزام سيؤدي بالضرورة الى نسف الحلول الثنائية ، الحلول الجزئية ، الحل الاميركي الصهيوني الهاشمي ، ونحن علينا واجب مباشر في الصراع ضد هذه الحلول التي تصب في النتيجة في خط تصفية القضية الفلسطينية في هذه المرحلة ، في خط طمس الهوية والشخصية الوطنية الفلسطينية ، ومرة اخرى الحاق الاراضي الفلسطينية اما ضمن اطار عملية التوسع الاسرائيلية او بالمملكة المتحدة. وان مرور مثل هذا الحل يعني بالضرورة توفير اجواء في المنطقة قائمة على نظرية الامن المزدوج لصالح اسرائيل ولصالح الدول العربية التي ابرمت مثل هذه التسوية ، مما يجعل الثـورة الفلسطينية مهددة بالتصفية ، ويجعل جميع المكاسب الوطنية مهددة أيضا . ويؤدي الى تثبيت وتجميد الصراع العربي — الاسرائيلي واعادة الاوضاع كما كانت عليه بين عام ١٩٤٨ — ٦٧ بالنسبة للشعب الفلسطيني ، بالاضافة الى تجميد الصراع العربي الاسرائيلي انطلاقا من انهاء حالة الحرب بين الدول العربية وبين اسرائيل .

ومن هنا نربط فعلا ربطا حسيـا وملموسا الموقف الرافض للحلول الاستسلامية التصفوية ببرامج محددة يتم تعبئة الجماهير حولها ونناضل من اجل تعبئة ومركزة حركة التحرر الوطني العربية من حولنا ، ونقطع الطريق على الحل الاميركي الصهيوني وعلى محاولات فرض الحل الهاشمي الاميركي على شعبنا من جديد . وننقل شعبنا الى مواقع جذرية افضل عندما يتيسر له قاعدة ارتكاز يقف عليها وتقف عليها الثورة تشد جماهير شعبنا في جميع مناطق الشتات لها ، تناضل من أجل المحافظة على جميـع مكاسبه الوطنية والتاريخية التي انجزها تحت راية الثورة والبندقيـة ، وتقدم فرصا اوسع لامكانية تنظيم وأعداد شعبنا والثورة لمراحل افضل في الصراع ضد العـدو الصهيوني . من هنا تكتسب معارضتنا للحلول التصفوية لقضية شعبنا مضمونهـا الملموس والكلي . ولا نكتفي باتخاذ موقف عام يقول بمتابعة النضال والعمل دون تحديد البرنامج والمحتوى الملموس الذي نناضل عليه ومن اجله في هذه المرحلة .

تبقى نقطة اخيرة أود الاشارة اليها تكملة لمدخل هذا الحوار ، وهي المتعلقة بمؤتمر

جنيف . قلت نحن مع النضال من اجل دحر الاحتلال وتصفيته وتمكين الشعب في الاماكن التي يتم دحر الاحتلال فيها وانسحاب العدو الاسرائيلي منها ، من السيطرة على ارضه واقامة سلطته الوطنية. ان الموقف من مؤتمر جنيف يتحدد على ضوء مجريات الاحداث. عندما تسير الاحداث باتجاه هذه الاتجاهات الاستسلامية التصفوية ، فسنجد انفسنا بالضرورة في موقع الرفض المطلق من مؤتمر جنيف هذا أولا . وثانيا ، حتى الان ، ليست الثورة الفلسطينية او منظمة التحرير مدعوة الى مؤتمر جنيف ، ونحن نخوض صراعا على من يقرر مصير شعب فلسطين ، والاراضي الفلسطينية المحتلة ، نحن ، ام الملك حسين والدول العربية ؟ هذه مسألة لم تحسم بعد ، فوفد حسين موجود في جنيف لا كادعاء تمثيل شعب فلسطين بل موجود في جنيف ليقرر مصير الاراضي الفلسطينية المحتلة والقضية الفلسطينية . وحسم هذا الصراع يجب ان يتم أولا ويفترض بالضرورة انتزاع اعتراف عام ، بأن الثورة ومنظمة التحرير هي التـي تمثل وتقرر مصـير الشعب الفلسطيني . عند انتزاع مثل هذا الاعتراف يصبح هناك فعـل مباشر لموقف الثورة الفلسطينية من مؤتمر جنيف . اذ أن هذا الفعل المباشر هو الكفيل آنذاك بهدم الهيكل على أصحابه اذا سارت الامور باتجاه فرض حلول استسلامية تصفوية . لان منظمة التحرير ، المعترف بها ممثلة للشعب الفلسطيني ومقررة لمصيره ، عندما ترفض مؤتمر جنيف في تلك اللحظة تكون قد أحبطت خطط جميع الفرقاء الاخرين بعد أن اعترف جميع الفرقاء بأنها فعلا هي المسؤولة عن تقرير مصير شعب فلسطين . اما قبل هذا فان اي اعلان سلبا او ايجابا هو اعلان بالمجان يقدم لجميع القوى في المنطقة بما يخدم تكتيكاتها المتباينة وليست لصالح قضية شعبنا .

نحن نعلم جميعا ان مصر تطالبنا باعلان موقف سريع . وسوريا تطالبنا باتخاذ موقف. ودول عربية أخرى ، كمـا ان السعوديـة والكويت تريدان منا ان نتخـذ موقفـا سريعا من مؤتمر جنيف سلبا أو ايجابا ، ولكن باتخاذنا مثل هذا الموقف سلبا أو ايجابا ، قبل أن تنتزع منظمة التحرير اعترافا بأنها هي فعلا الممثلـة والمقررة لمصـير الشعب الفلسطيني ، نكون فعلا قد قدمنا اعلانا بالمجان لا يخدمنا ، ولا يخدم لا استراتيجية ولا تكتيك الثورة الفلسطينية . فاذا كان موقف الثورة الفلسطينية هو في هدم مؤتمر جنيف ، فان ذلك يتوفر عندما يكون بيدها هذا السلاح وتكون هي المسؤولة ، ممثلة في منظمة التحرير ، ان اعلانها سلبا اذاك هو الذي يسقط في يد جميع هـذه القوى . واذا كان موقفها فرضا هو انها تريد خوض تجربة المحافل الدولية بالقول انهـا ترى ان حقوق شعبنا هي كذا وكذا وكذا ، فنحن نعلم جيدا ان اسرائيل والامبريالية والهاشميـين لا يرتضون أطلاقا التسليم بحقوق شرعية وقومية للشعب الفلسطيني . عند ذاك ايضا يتم هدم هيكل جنيف .

ومن هنا ، قلنا أكثر من مرة وما زلنا نقول انه لا ينبغي لنا أن نخوض صراعا وهميا يلخص المسألة بـ : هل تذهب الثورة ام لا تذهب الى مؤتمر جنيف ؟ فهذا ليس جوهر الصراع . بل ان جوهـر الصراع هو كيف يمكن ان نستخلص علـى ضـوء معطيات حرب تشرين البرنامج الملموس الذي يمكن من احباط العمل الاستسلامي التصفوي ، الذي يمكن من أحباط الحل الالحاقي والتوسعي ، سواء بالنسبة لاسرائيل بالتوسع ، أم بالنسبة للملك حسين بالالحاق. هذا البرنامج الذي يمكن فعلا من تصليب المواقع الوطنية على جبهات القتال، لدفع الامور باتجاه التصلب في وجه الضغوط الرجعية والامبريالية وفي وجه الحلول الثنائية ، التي تصب جميعا في الحل الاستسلامي التصفوي . اما اتخاذ مواقف تقوم على المعارضة السلبية ، على المعارضة اللفظية ، دون تحديد ماذا نريد بالضبط في هذه المرحلة ، واصدار اعلانات بالمجان فلا تمكننا فعلا من احباط محاولات فرض حلول استسلامية تصفوية بل تصب الماء في طاحونتها . اننا نتمكن من ذلك عندما

نضع برنامجا ملموسا متصادما مع هذه الحلول وننتزع هذا الاعتراف ، هناك يكون لموقفنا دوي عظيم واثر عظيم وباشر في ذلك الوقت .

زهير محسن :

في الفقرة الاولى من الاسئلة المطروحة ، تتضح العقدة الحقيقية التي يواجهها النضال العربي بصورة عامة والنضال الفلسطيني بصورة خاصة : « القرار الفلسطيني وصعوبة المخاض » ، ان صعوبة المخاض هذه تعبير دقيق عن المشكلة التي نواجهها . انا اعتقد ان المخاض صعب ، لاننا بعد الحرب الاخيرة نحس بأننا لاول مرة مطالبون بأن نتصرف بمسؤولية . مطالبون بأن نحدد برامجنا واهدافنا بشكل مسؤول يجمع بين الالتزام المبدئي وبين الواقعية .

قبل الحرب الاخيرة كان تفكيرنا ، فيما يتعلق بصراعنا مع الصهيونيـــة يتغلب عليه الطابع الرومانتيكي ، أو كان تفكيرنا رومانتيكيا . لم نكن نحدد ابدا ماذا نريد . وكان ذلك شيئا منطقيا وطبيعيا لاننا كنا طيلة ٢٥ سنة نعاني من هزائم متتالية ، فكنا لذلك نريد الحرب من أجل الحرب . نريد فقط ان نشعر اننا قادرون على أن نحارب ، أكثر مما كنا نريد تحقيق أهداف واضحة مبلورة ومرحلية . الشعور بالعجز كان هو الذي يحكم كل تصرفاتنا ومناهج تفكيرنا .

بعد الحرب الاخيرة حدث تبدل . زال الشعور بالعجز . لذلك لم يعد مقبولا من الامة العربية ولا من الحركة الوطنية الفلسطينية ان تظل حبيسة التفكير الرومانتيكي . صار مطلوبا منها أن تحدد في أطر واقعية ماذا تريد . وهذه حالة تنشأ للمرة الاولى . وهذا يمكن ان يفسر لماذا حاربنا وانتصرنا للمرة الاولى . ثمة اختبارات أصعب بكثير من التي كنا نواجهها عندما كنا نتلقى الهزائم ، وعندما كنا نعيش في الشعور بالعجز . كنا نشعر قبل ٦ تشرين بأننا كمن يجد نفسه غارقا في بحر ، وعليه ان يصارع الامواج فيه كما يشاء لكي يصل الى صخرة نجاة ، بغض النظر عن موقع هذه الصخرة . حتى اذا وصلنا بنتيجة حرب تشرين الى صخرة من صخور النجاة على شاطىء مـــا صرنا نواجـــه المسؤولية ، المرحلة المقبلة او مسؤولية ماذا نريد بعد او كيف نصـــل الى الشاطىء المطلوب ، عبر أية محطات ممكن ان ننتقل من هذا الموقع الذي وصلنا اليه فجأة بشكل لم تتوقعه الاغلبية الساحقة من ابناء شعبنا ، في هذه الرحلة .

كان تفكيرنا رومانتيكيا أكثر من اللازم لاننا كنا نريد فقط أن نحارب . ولم يكن اهتمامنا ينصب أو يعطى القدر الكافي للنتائج السياسية التي نفترض توقعها كنتيجة طبيعية لاية حرب . لم تنشغل القيادات الفلسطينية بالذات ، وسائر القيادات الوطنيـــة التي هي خارج الحكم وبالذات خارج مصر ، ولم تفكر بأنه من المهم أن تحدد سلفا تقديرات معينة للنتائج التي يمكن أن تنتهي اليها الحرب . والحرب دائما اما ان تنتهي بتحقيق انتصار حاسم أو بهزيمة حاسمة أو بتعادل ، ولكل حالة من هذه الحالات الثلاث نتائج سياسية لا بد أن نعرفها وان نقدرها سلفا كي لا نجد انفسنا مفاجئين بنتائج لا نعرف كيف نتصرف حيالها . وهذا ما وقع بالفعل في الحرب الاخيرة ، خاصة بالنسبة لكل القوى خارج مصر التي وحدها لم تكن متفاجئة الا بنسبة أقل من الاخرى .

الآن ، وبعد أن اثبتنا اننا قادرون على مواجهة العالم سواء بالسلاح او بالاجراءات الاقتصادية ، فاننا مطالبون بأن نحدد ماذا نريد بشكل واضح لاننـــا نطالب العالم ولا نطالب أنفسنا فقط . خرجنا من مرحلة اليأس ومن مرحلة الصراع الرومانتيكي ، لنبدأ مرحلة الصراع المصوغ في برامج محددة وواضحة . حتى لو أردنا أن ندفع باتجاه حرب

جديدة ، واعتقد ان هذا يجب أن يكون واردا في قمة مشاريعنا للمرحلة المقبلة ، هذه الحرب الجديدة أيضا لا بد وان نحدد لها أهدافا مرحلية ، لانه ليس فينا من يخالف بأن الوجود الصهيوني الذي وصل الى الحجم الذي وصل اليه خلال عشرات السنين وخلال عدد من الحروب لا يمكن ازالته بضربة واحدة وفي يوم واحد . لا بد من أجل ازالته نهائيا والتخلص منه نهائيا من حروب أخرى ومن عدد طويل من السنين . وكما تدرج الوجود الصهيوني ، مرحلة بعد مرحلة في الحجم وفي القوة ، فان عملية ازالته لا بد أن تأخذ شكلا متدرجا . هذا اذا أردنا أن نواجه الامور على الواقع وعلى الطبيعة ، لا على ما يمكن أن نتخيله في أحلامنا .

من هنا ، كانت حرب تشرين ، لهذه الاسباب وبغض النظر عن الاسباب السيكولوجية الاخرى ، سواء بالنسبة للمواطن العربي أو بالنسبة لليهود أنفسهم ، كانت منعطفا هاما في مجرى الصراع العربي الصهيوني ، ربما لم تكن منعطفا حاسما ، ولكنها كانت منعطفا هاما وهاما جدا . ولم تكن حدثا عابرا ، ولا بد ايضا من أخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار عندما نرسم برامجنا وأهدافنا السياسية ونحدد وسائل تحركنا السياسي ، لانه لا يجوز أن نبقى أسرى وسائل التحرك السياسي وبرامج العمل السياسي التي كانت قائمة قبل حرب ٦ تشرين ، بعد هذه الحرب لا بد ان نطور وسائل عملنا وبرامجنا المرحلية في ضوء النتائج والاعتبارات التي خلقتها الحرب . أقول ذلك لانه لا يزال يلاحظ بأن هناك نوعا من الاستمرارية لدى بعض المسؤولين ولدى بعض الفرقاء وربما لدى بعض الفلسطينيين، لعقلية ما قبل ٦ تشرين في معالجة او في نمط التحرك السياسي والعمل القائم .

قبل حرب تشرين كان القرار ٢٤٢ هو سقف المطامح العربية التي كانت تتوق الى أية تسوية يمكن ان تتم للازمة في المنطقة.بعد الحرب لا يجوز أن يظل القرار ٢٤٢ هو السقف الذي يحدد مطامح العرب كشرط لاجراء التسوية . التنازلات التي كان بالامكان تقديمها مقابل الحصول على المكاسب التي يقدمها القرار ٢٤٢ قبل ٦ تشرين يجب أن لا تظل بنفس الحجم في الظروف الراهنة حيث تغيرت موازين القوى وحيث غدونا أكثر قدرة على متابعة الصراع بما فيه الصراع المسلح بشكل اساسي . اذن المطامح العربية ووسائل النضال التي تحدد شروط التسوية يجب أن تتطور مع تطور الامور الدقيقة التي تمر فيها المنطقة بعد الحرب . انا اعتقد ان المخطط الامريكي الاسرائيلي الهاشمي ، الذي أشار اليه الرفيق نايف ، والذي يستهدف تمرير تسوية بشروط معطيات ما قبل حرب تشرين ، لا يمكن احباطه الا بمخطط مقابل تلتزم به الاطراف التي تشكل الجبهة المناهضة للجبهة الامبريالية الرجعية . اعني ان المطلوب لمواجهة المخطط الامريكي الاسرائيلي الهاشمي ، مخطط يلتزم به الاتحاد السوفياتي ومصر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية ، يحدد برنامج حد أدنى للمطالب المرحلية المطلوب انجازها في هذه المرحلة علـى الصعيدين العربي والفلسطيني . ويحدد أيضا سقف التنازلات التي يمكن للامة العربية أن تبلعها كثمن لتحقيق هذه المكاسب . وبدون أن يتم هذا الالتزام المتضامن من جانب الاطراف التي تشكل الجبهة المعاكسة لجبهة الاستعمار سوف لا يكون من السهل قطع الطريق على محاولات التسوية الثنائية وعلى محاولات تمرير حلول استسلاميـة يكون ثمنها السياسي باهظا . مطلوب هذا التضامن حول مخطط واضح يحدد برنامج الحد الادنى من المكاسب ويحدد سقف التنازلات ، لمنع تقديم تنازلات أساسيـة في مقابل مكاسب ثانوية ، ولابقاء الموقف الوطني متماسكا في وجه المحاولات الصهيونيـة الامبريالية ، الرامية الى العودة بالمنطقة الى الموازين التي كانت قائمة قبل الحرب الاخيرة .

من هنا اعتقد ان من واجب كافة القوى الوطنية أن تطالب وان تركز الآن بشكل آني لوقف عملية استمرار مشاركة مصر في أعمال مؤتمر جنيف لانها في غياب المخطط المتفق

عليه والذي يتضامن حوله كافة أطراف جبهة الاصدقاء ، فان استمرار مصر وحدها في وجه المخطط الآخر من شأنه أن يوقعها في فخ التسويات الثنائية والتنازلات الاساسية . واذا وقعت او سمح لمصر أن تقع في هذا الفخ فسوف تواجه المنطقة العربية حالة أكثر صعوبة ، وأوضاعاً تجعلها أقل قدرة على مواجهة المخطط الامبريالي — الصهيوني ، لانها تكون قد فقدت حلقة أساسية وهامة من حلقات المواجهة مع العدو . وأعتقد أن أي مشاركة عربية لا بد أن تؤجل الى أن يتم اقرار برنامج الحد الادنى الذي تلتزم به كافة الاطراف وتتضامن بالنضال لتحقيقه بشكل موحد وبدون ترك أي من الأطراف يحـــاور منفردا لمشكلته القطرية الخاصة .

لذلك ، بالنسبة لنا ، قبل أن نشارك في مؤتمر جنيف أو نقرر هذه المشاركة لا بد أيضا من أن نصل الى تحديد برنامج الحد الادنى لمطالبنا المرحلية وسقف التنازلات التي يمكن ان تقبل بها المنطقة وان نعمل على انتزاع التزام عربي وسوفياتي متضامن مع هــذا البرنامج . وفي ضوء هذه النتيجة نحدد بعد ذلك ان كان ذهابنا الى مؤتمر جنيف ، او اذا كان أي شكل من اشكال التحرك السياسي ، يخدم الاهداف المرحلية التي نريد تحقيقها او يخدم بالاتجاه المعاكس .

لا يمكن رفض أو قبول أي نمط من انماط التحرك السياسي بصورة مطلقة . نقبل أو نرفض في ضوء تقديرنا لمدى قدرة هذا النمط على تحقيق فائدة ملموسة او مادية لخدمة برامجنا المرحلية الموضحة والمحددة . ولذلك فان نوع رفضنا في هذه المرحلة يجب ان يميز عن رفضنا قبل الحرب ، عندما كنا نحس احساسا كبـيـرا بالعجز أو الاحساس الغالب علينا دائما هو العجز . وفي ظل العجز يصعب على أية قيادة أو أية حركة وطنية ان تتخطى أي شيء ، ربما في ظل العجز أو الهزيمة ، لو أعطي لنا ثلاثة ارباع مساحة فلسطين سيعتبر هذا نوعا من التصفية والانهزام . وسوف تجد أية قيادة نفسها محرجة في القبول . بعكس ما يحدث عندما تنشأ حالة الشعور بالقدرة على متــابعة الصراع ومواجهة الخصم ، يصبح اي مكسب هو خطوة في طريق تحقيق خطوات جديدة ومكاسب جديدة .

أنا لا أعتقد ان المشكلة التي نواجهها حاليا ، كثورة فلسطينيـــة أو كحركة وطنيـــة للشعب الفلسطيني ، هي مشكلة الملك حسين . الملك حسين هو مشكلة هامة ولكن ليس هو المشكلة الاساسية . المشكلة الاساسية تكمن في احتمال انهاء حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل في حال تمكن هذه الدول من التوصل الى تسوية معها . عندما يسمح بانهاء حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل فان حركتنا الوطنية سوف تواجه ظروفا جديدة كلية ، لا تسمح لها بمواصلة نشاطاتها ونضالها وفق الآفاق التي تقتضيها في المرحلة الراهنة . ولاوضح هذه النقطة أعود الى شرح الابعاد التاريخية لتطور نوع النضال التاريخي للشعب الفلسطيني .

منذ عام ٤٨ وحتى مطلع الستينات ، لم يكن يحس الفلسطينيون بضرورة أن يكون لهم حركتهم الوطنية المستقلة عن حركة التحرر العربي . لان الالتزام بفكرة التحرير المتضمنة انهاء الوجود الصهيوني كلية واعادة فلسطين أرضا عربية ، كان التزاما قوميا ، تعلن الالتزام به أيضا الحكومات وتعلن التمسك به أيضا الحركات الوطنية التي كانت خارج الحكم. لذلك كان الجهد النضالي للفلسطينيين يصب في الحركات السياسية الوطنية التي كانت تسعى الى اجراء تغيرات في بنية أنظمة الحكم القائمة مما يجعلها اكثر قدرة على خدمة هدف التحرير .

في مطلع الستينات بدأ يتبلور على المستوى العربي الرسمي ، شعور جديد وخاصة

لدى قيادة عبدالناصر ، وبدأت تتبلور قناعة بأن هدف التحرير بمعنى ازالة اسرائيل ليس ممكنا ، وبدأت تترسب قناعة مفادها ان شن الحرب لتدمير اسرائيل وازالتها أمر لم يعد متوفرا أو ممكنا في مقدور القيادات العربية القائمة آنذاك. لذلك بحثوا عن وسيلة جديدة لتحريك القضية الفلسطينية . بحثوا عن طريق جديد لابقاء هذه القضية متحركة ، ولكن ببنود جديدة ، ففكروا بما سمي آنذاك باحياء الكيان الفلسطيني الذي اتخذ أول قرار بشأنه في شتوره سنة ١٩٦٠ على ما اذكر. وكان الاردن ، حتى الاردن ، من جملة الدول التي وافقت على احياء هذا الكيان . أخذت فكرة احياء الكيان الفلسطيني تتبلور كبديل عن الالتزام القومي بفكرة التحرير التي كانت تعني التدمير الكامل للوجود الصهيوني . وهذه الفكرة تجسدت عمليا سنة ١٩٦٤ بانشاء منظمة التحرير لكي تكون كيانا سياسيا فلسطينيا يشكل وجودا اجتماعيا وبشريا متناقضا مع الوجود الاسرائيلي . واعتقد ان سقف المطامح العربية آنذاك ، عندما خلقت هذا الوجود ، كان يرمي الى الوصول الى قرار تنفيذ قرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين التي تنشىء دولة عربية ودولة اسرائيلية في حدود واضحة ومحددة وبالتفصيل .

جاءت حرب حزيران والهزيمة التي أسفرت عنها لتخدم الاتجاهات التي كانت بدأت قبل ذلك ، لتبني شعار حرب التحرير الشعبية ، شعار الكفاح الشعبي المسلح كبديل عن عجز الجيوش النظامية عن المواجهة . حرب حزيران خدمت هذه الاتجاهات وبالتالي اعدت لاعطاء منظمة التحرير مضمونا كفاحيا بعد أن كانت معدة لكي تكون أداة للتحرك السياسي فقط . منذ السنوات التي تلت حرب حزيران نجحت منظمة التحرير في أن تكون رمزا معبرا عن استمرارية الشعب الفلسطيني واستمراريـــة نضاله ، في ظل نشوء الالتزام الاكثر وضوحا من جانب الدول العربية بتحرير الاراضي التي احتلت عام ٦٧ ، وتخليها عن الالتزام المعلن على الاقل ، بتحرير فلسطين بكاملها ، الذي اعتبر مسؤولية طويلة ملقاة على عاتق حركة التحرير الفلسطيني ذاتها .

استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية ، بمضمونها الكفاحي ، ان تستمر كرمز معبر عن استمرارية القضية الفلسطينية ووجــود الشعب الفلسطيني في حالــة نضالية ، استطاعت ان تستمر في ظل استمرار حالة الحرب بين العرب واسرائيل . عندما تنتهي هذه الحالة سوف تصبح منظمة التحرير صيغة غير قابلة ، بمضمونهــا الحالي ، على الاستمرار وعلى البقاء . من هنا مسؤولية البحث عن صيغة جديدة تتحايل على الحالة الجديدة التي من المتوقع أن تنشأ عندما تنتهي حالة الحرب بين العرب واسرائيل بصورة رسمية ، صيغة جديدة للمحافظة على استمرارية القضية الفلسطينية واستمرار النضال الفلسطيني ولمنع تبعثر الشعب الفلسطيني ، ووقوعه مجددا في براثن اليأس والشعور بالعجز وبالوصول الى نهاية المطاف ، وحتى نتجنب الوقوع مرة أخرى في صيغة حكومة عموم فلسطين أو الهيئة العربية العليا التي اصبحت ، منذ السنوات الاولى لانتهاء حرب ٤٨ ، أسماء بلا مسميات وأجساما هيكلية ليس فيها أي حيــاة . هذا الشعور وهذه التقديرات تدفعني الى الدعوة الى ضرورة تبني برنامج واضح ، يفرض علينا أن ننتزع التزاما عربيا به ، يطالب هذه الدول بأن لا تنهي حالة الحرب ، وبأن لا تدفع هذا الثمن الا في حد أدنى من المكاسب التي تمكن الشعب الفلسطيني مــن ان يحتفظ بوجــوده متماسكا ، وبهويته النضالية وبقدرته على حماية قضيته واستمراريتها ومتابعة نضاله.

اذن ، ربما يكون الهدف الاساسي المطلوب أو التكتيكي في هذه المرحلة هو ان نحول دون انزلاق الدول العربية الى انهاء حالة الحرب في مقابل ثمن بخس ، لا يسمح للشعب الفلسطيني بتحقيق حد أدنى من المكاسب التي تمكنه من مواصلة نضاله او المحافظة على قضيته الوطنية .

جورج حبش :

تأملت في الاسئلة المطروحة التي طرحها مركز الابحاث اكثر من مرة . وانني أهنىء المركز على سياق البحث الذي طرحه امامنا ، لاني أرى فعلا ان الوقفة العلمية والثاقبة أمام كل سؤال من الاسئلة المطروحة ، هو طريق يدل بوضوح تـام ووضوح تفصيلي وبالتالي يعطينا القدرة على تحديد المواقف التي تخدم قضية جماهيرنا وقضية الثورة ، وباستثناء ملاحظة ستكون حادة جدا حول السؤال الثالث ، ملاحظة نقدية ، أشعر فعلا أن السياق العام هو السياق العلمي المطلوب ان تقف أمامه كافة فصائل حركة المقاومة في هذه الازمة .

من الطبيعي أن يكون الموضوع الاول هو : ما هو الجديد بعد حرب تشرين ؟ هذه هي الخطوة الاولى التي تستحق الوقفة الدقيقة . هذا هو الموضوع الذي نحن من أجله هنا. قبل حرب تشرين عقد المجلس الوطني الفلسطيني الحادي عشر ، وخرج برؤية سياسية وبرنامج سياسي معين لمتابعة نضال الثورة الفلسطينية . بعد ذلك أتت حرب تشرين ، بغض النظر عما أراده السادات من حرب تشرين او عن الافق الذي رسم لحرب تشرين، أعتقد ان هذه الحرب خلقت وولدت امورا جديدة لا نستطيع ان نخطط بشكل علمي قبل أن نراها بوضوح . الخوف هو ان ننشدّ في محاولتنا للوقفة أمـام الجديد بعـد حرب تشرين ، ان ننشدّ بالدرجة الاولى الى المتغـيرات السياسية سواء في المنطقة او على صعيد عالمي . أعني المتغيرات السياسية الواضحة والملموسة والكبرى أمامنا الآن . في هذا خطر لأنني اعتقد ان هناك بذور نتائج أفرزتها حـرب تشرين هي في غاية الاهمية والقيمة ، ويمكن ان تهدينا وتساعدنا جدا على رؤية مسيرة ثورتنا الفلسطينية والعربية مستقبلا .

حرب تشرين ، بنتائجها العسكرية قياسا بطبيعة الحال الى النتائج التي ارتسمت في ذهن الجماهير العربية ، بعد حرب حزيران ، رسمت لاول مرة علامـة سؤال ، ولو صغيرة جدا ، حول صحة المشروع الصهيوني من أساسه . وهذه نقطة من المفروض في قيادة الثورة الفلسطينية ان تتأملها جيدا . لا يجـوز أن نكتفي بنتائـج الانتخابات الاسرائيلية ، ونقول أن ما حصل هو تعزيز الموقف المتصلب الصهيوني المتعنت . وانما من الضروري أن نرى أيضا علامات الاسئلة الصغرى الآن التـي بدأت ترتسم داخل المجتمع الاسرائيلي نفسه حول صحة المشروع الصهيوني من أساسه . أعتقد ان هذا يحدث لاول مرة في تاريخ الحركة الصهيونية . قد يكون حدث في مرة سابقة ولكن بشكل أكثر ضآلة بكثير من هذه المرة ، في عز انتصارات الناصرية بعد قيام الوحدة السورية ، أذكر انه نوقشت في بعض المؤتمرات الاسرائيلية موضوع صحة الدولة الصهيونية . واعتقد ان هذا الموضوع بعد حرب تشرين أصبح أوضح ، ونحن من المفروض ان نرى الامور الجديدة ، النوعية ، واننا يجب ان نحاول استشفاف الرؤية القريبة والرؤية البعيدة المدى لان ثورتنا لا يمكن الا ان تكون ثورة قوية . كتبت على جدران بعض البيوت اليهودية في اسرائيل عبارات « يهودي وليس صهيوني » . واظن ان مجلة « فلسطين الثورة » كانت قبل بضعة ايام قد نشرت مجموعة أسئلة مطروحة مـن قبل فريق مـن الطلاب اليهود ، أسئلة من نوع « هل هذه هي فعلا أرضنا » و « هل قضيتنا عادلة وحقة ؟ » و « الم نحقق أهدافنا على حساب ومطامح مشروع لشعب آخر ؟ » أرجو ان نفكر طويلا في هذا الموضوع .

بالمقابل ، على صعيد الجماهير الفلسطينية والجماهير العربية ، ما الذي حدث بعد حرب تشرين ؟

بغض النظر عما أراده السادات لحرب تشرين وعن الافق الذي رسم بعد حرب تشرين ، ما الذي حدث ؟ الامور نسبية بطبيعة الحال . ويجب ان نقرأها قياسا للمرحلة التي سبقت حرب تشرين . كلنا نعرف طبيعة الهزيمة العسكرية الشنيعة التي تمت في حرب الايام الستة أو بالاحرى الساعات الست. كلنا نعرف آثار تلك الحرب على الوضع المعنوي والنفسي . والوضع المعنوي والنفسي ليس معزولا عن الوضع السياسي للجماهير وقناعاتها . حرب حزيران رسمت علامة سؤال في اذهان جماهيرنا العربية ، سؤال يقول « هل سيكون من الممكن القضاء على اسرائيل » ؟ كلنا يعرف الهالة التي اكتسبتها المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بعد حرب حزيران . وحاولت الصهيونية والامبريالية ان تعزز وترسخ هذه الامور في اذهان الجماهير . بطبيعة الحال حركة المقاومة عوضت وربما الى حد كبير . لكن بقيت جماهيرنا اجمالا ، الفلسطينية والعربية، ربما لا تتوفر لها القناعة الحقيقية بقدرتها على تحقيق هدفها الاستراتيجي ، أعني تحرير كامل التراب الفلسطيني . أرجو أن نتأمل هذه النقطة جيدا أيضا . الطلائع وحدها التي لم تفقد ايمانها في يوم من الايام لا تكفي لتحريك عجلة التاريخ . القوة التي تحرك عجلة التاريخ هي الملايين ، الجماهير . اذا كانت هذه الملايين غير مقتنعة ، بعمق ، بقدرتها على تحطيم هذه القاعدة النازية الفاشية ، العنصرية الامبريالية المتمثلة في اسرائيل ، فمن الصعب ان تعبىء هذه الجماهير كل طاقاتها لتحقيق هدف لا تتوفر لديها القناعة بقدرتها على تحقيقه .

حرب تشرين ولدت قناعات جديدة ، في صفوف جماهيرنا الفلسطينية وفي صفوف جماهيرنا العربية . يضاف لذلك شيء ثالث أفرزته حرب تشرين ، وهو كيف أن الوحدة الوطنية الفلسطينية والعربية تتم بشكل متين ، ومتين جدا من خلال حالة التصادم بحده الاعلى ، التصادم المسلح مع هذا العدو الغاصب . بالاضافة الى مستوى استعدادات جماهيرنا من المغرب حتى شرق الجزيرة العربية ، استعداداتها العالية جدا للعطاء من أجل هذا الهدف ، هدف تحرير جزء من الارض العربية ، هدف تحرير فلسطين ، استعداداتها الكبيرة للعطاء ولكل انواع العطاء . من الضروري أن تبقى هذه الامور في اذهاننا ، بغض النظر عن صعوبة الوضع السياسي الجديد علينا ، الذي نشهده فعلا بعد حرب تشرين . واعتقد ان من واجبنا جميعا ان نبرز هذه الحقائق اذا كانت لدينا القناعة بأنها حقائق حقيقية وموضوعية . طبعا لا يجوز أن نعود الى أي حالة معاكسة وبالتالي نعود الى اي تصور وهمي من خلاله نستخف بالعدو والتحالف المعادي الاسرائيلي — الصهيوني — الامبريالي — الرجعي وقدراته . لكن في تقديري يمكن لحرب تشرين ، اذا عمل المفكرون والكتاب والتنظيمات الثورية العربية على وضع نتائجها امام الجماهير العربية ، يمكن لها ان توفر الرؤية الثورية والعلمية التي تستطيع الجماهير العربية أن تتصور على ضوئها معاييرها ، وأن تحدد المواقف السليمة تجاهها .

على الصعيد العالمي ، ان أهم تغيير حدث ، في تقديري ، هو انتقال الامبريالية اجمالا والامبريالية الاميركية بشكل خاص من موقع الى آخر فيما يتعلق بموقفها ازاء الصراع العربي — الاسرائيلي ، ضمن حدود بطبيعة الحال . الامبريالية الاميركية تريد ان تطوق وبأسرع وقت هذه النتائج ولا تريدها ان تأخذ مداها، وبالتالي اصبحت حريصة جدا على عملية التطويق والتسوية في ظل ميزان القوى القائم الان والذي حصل بعد تشرين ، والذي ، وان كان قد تغير عما كان عليه ميزان القوى قبل حرب تشرين فان هذا التغيير تم ضمن حدود ، حدود جعلت الامبريالية مضطرة ان تقف امام التسوية ، مضطرة بالضغط النسبي على اسرائيل لشيء من التنازلات ، ولكن ضمن صيغة معينة في تقديرها انها تضمن الى حد كبير ، تأمين مصالح الامبريالية بشكل كامل ، وتأمين الوجود الصهيوني بشكل مضمون . اذا اضفنا هذا الموقف الاميركي الى وجهة نظر

السوفيات ، التي تعتقد أساسا ان قرار ٢٤٢ ولو من منطلق الصداقة ، تعتقد انه يخدم حركة التحرر الوطني الفلسطيني والعربي . واذا اضفنا لذلك الموقف الاوروبي ، فالموقف العالمي متمثلاً بدول عدم الانحياز والموقف الافريقي ، نجد ان أبرز شيء جديد سياسيا هو توفر هذه ، فلنقل ، الارادة الدولية التي تشعر انه ليس من مصلحتها استمرار هذا التوتر وهذا الصراع بهذا الشكل في المنطقة ، هذا الصراع الذي قد يعبر عن نفسه بين وقت وآخر بصدامات مسلحة . وهي عندما تحاكم هذه الصورة من مولقعها تجد انها لا تخدم مصالحها ، لا تخدم سياسة الوفاق الدولي ، لا تخدم كافة التوجهات التي تسير على أساسها السياسة الدولية في هذه الفترة بالذات . من هنا نحن لا نقلل في الواقع ، من اهمية وتأثير هذا الموضوع الجديد ، وهو هذه القوى الدولية التي تريد ان تدفع باتجاه التسوية السياسية .

اذا أضفنا الى هذا الوضع الدولي الجديد ، صورة الطرف العربي المعني والمؤثر في سير الاحداث في هذه الفترة ، لا أقصد الوضع العربي استراتيجيا ، انما أقصد مصر ووجهة نظر مصر بالدرجة الاولى . نجد ان مصر بعد حرب تشرين ، بدأت تشعر في سيرها على طريق التسوية انها حققت الهدف الذي ارادته ، ولو نسبيا من حرب تشرين ، وهو تحويل موضوع التسوية السياسية حتى تقف اميركا امام هذا الوضع المتوتر في المنطقة . هذا الوضع الذي قد لا يخدم مصالحها في المدى البعيد . اذا اضفنا لهذه النقطة ان القيادة المصرية ، تستطيع ان تصور لجماهيرها انها تخوض الان عملية التسوية السياسية على اساس القرار ٢٤٢ من منطلق الانتصار النسبي وليس من منطلق الهزيمة ، يصبح امامنا عامل آخر يدفع باتجاه التسوية وهو العامل العربي المؤثر حاليا في هذه المرحلة في سير الاحداث .

نحن لا نذكر اننا امام قطار التسوية الجارف وبالتالي نقر ضرورة ان يشمل التفكير كافة الاحتمالات التي يمكن ان تواجهها المنطقة في المدى القريب ثم في المدى البعيد ، انما هل هذا يعني ان موضوع التسوية أصبح حتميا ، لا مفر منه ؟ وان أي مخطط ذاتي وان العامل الذاتي المحلي الفلسطيني والعربي سيكون أعجز من ايقاف قطار التسوية ؟

هذا موضوع يجدر بنا ان نتأمله جيدا . نتأمله موضوعيا من ناحية ، ثم نعود ونتأمله عندما يدخل العامل الذاتي الثوري المؤثر الفاعل اذا استطعنا ان نصبح كثورة فلسطينية في موقع وموقف محدد وفاعل في الاوضاع .

رغم هذا التوجه الدولي الجارف باتجاه التسوية ، هناك عقبات موضوعية ، بغض النظر عن هذه الارادة الدولية الجارفة . اول عقبة موضوعية قائمة هي التناقض بين وجهة النظر الاسرائيلية — والمقصود هنا بالاسرائيلية بمعنى القوى المؤثرة في سير الاحداث في اسرائيل ، بمعنى المعراخ — ووجهة النظر العربية حتى ولو كانت متمثلة بالسادات لرؤية الحل . اعتقد ان هذه عقبة حقيقية ، ستعترض موضوع التسوية .

على ضوء اسرائيل : طبيعة القيادة الاسرائيلية القائمة الان ، كيف تفكر بالنسبة لموضوع الارض وموضوع الامن ؟ كيف تنظر الى تأثير أي انسحاب جذري من المناطق التي احتلت بعد ٥ حزيران على وضعها ثم الوضع المعنوي للجماهير في المجتمع الاسرائيلي ؟ قضية الارض وبشكل محدد قضايا محددة من نوع القدس ، من نوع شرم الشيخ ، من نوع الجولان ، من نوع الحدود في منطقة قلقيلية ، ستكون قضايا هامة وحساسة جدا بالنسبة للقوى الاسرائيلية الحاكمة الان والتي ستدعى الى مؤتمر جنيف والتي ستكون مؤثرة ، بطبيعة الحال ، في توجيه الاحداث في مؤتمر جنيف . اذا تركنا وثيقة غاليلي جانبا ، باعتبار انها وضعت قبل حرب تشرين ، وأخذنا وثيقة البنود الاربعة عشر ، ماذا نجد ؟ الرؤية هنا واضحة

جدا ، طبعا ستبقى الصورة متحركة وتستطيــع القيادة الاسرائيلية ، مثلهـا مثل أي قيادة ان تتحرك في طريقة ترجمة هذه الوثيقة لكن ضمن حدود معينة ، لا تستطيع ان تتجاوزها . لو حاولنا ان نتصور هذه الوثيقة ، وثيقة الاربعة عشر بندا ثم التنازلات التي ستضطر لها اسرائيل نتيجة هذه الارادة الدولية الضاغطة والجارفة ، وتوصلنا الى تصور معين حول مدى استعداد اسرائيل التنازل عن الصورة التي حلمت بها بعد انتصارها الشهير في ٥ حزيران ، لو حاولنا ان نصل الى تصور معين ثم طرحنا السؤال التالي : هل سيكون ذلك مقبولا من الوضع العربي الرسمي المتحكم الان في التسوية ؟ في تقديري نصل الى نتيجة خلاصتها ان هناك عقبة في هذا الطريق .

انا لا أقول انها عقبة لا تذلل ، طبعا الارادة الدولية ستحاول كل جهدها ان تضغط بهذا الاتجاه من ناحية وذلك الاتجاه من ناحية . لكن هذه العقبة عقبة موضوعية معينة ستعترض موضوع التسوية رغم كل هذه الارادة الدولية الدافعة في اتجاه التسوية . لو كان هناك تصور موحد ودقيق ومشترك ما بين اميركا من ناحية والاتحاد السوفياتي من ناحية أخرى حول التسوية تفصيليا وحول تنفيذ القرار ٢٤٢ تفصيليا ، ربما كان تقديري ان هذه العقبة ستكون ضئيلة . لماذا ؟ لان اميركا ستضغط على اسرائيل وستضطر اسرائيل للرضوخ . دايان رغم كل عنجهيته ، عندما قبلت اسرائيل بقرار ٣٣٨ و٣٣٩ ووجهت لديان انتقادات قال ما معناه « القبضاي يتفضل » ! « نحن لا نستطيع ان نواصل الحرب دون الاعتماد على اميركا ودون اوثق العلاقات مع اميركا ». الشيء نفسه بالنسبة للقيادة العربية الرسمية . بما انها لا تتصور صراعها مع العدو على اساس الطريقة الفيتنامية القائمة على الجماهير التي تحفر الخنادق والتي تصمد والتي تقاتل بأي نوع من السلاح وتستطيع بكل بساطة ان تحمي نفسها من بربرية العدو وأداة عدوانه مهما كانت ، لو كان لدى القيادة العربية الرسمية هذا المفهوم لكان من الممكن بطبيعة الحال ان تكون قادرة على رفض الضغوط ، لكن طالما ان تصورها قائم على اساس الميج ٢١ او ٢٣ ، قائم على هذه الاسس فانها هي ايضا لا تستطيع ان تتحرك كليا من هذا الوضع الدولي . وبالتالي أقول لو كان هناك اتفاق سوفياتي — اميركي تفصيلي حول كيفية تطبيق قرار ٢٤٢ ، لكانت العقبة الاولى عقبة بســيطة وممكن تذليلها .

لكن اذا أضفنا الى العقبة الاولى ، العقبة الثانية ، وهي حد معين من التناقض ما بين الصيغة الاميركية مقابل الصيغة السوفياتية حول كيفية تنفيذ قرار ٢٤٢ وربطنـا العقبة الاولى بالعقبة الثانية ، ثم أضفنا الى ذلك — وهذا مسؤولية العمل الثوري الفلسطيني والعربي — العامل الذاتي — هنا لا استطيع ان اخرج باستنتاج ان التسوية ستكون حتمية مائة بالمائة وان المعارضة لها بدون أي جدوى .

ان خطر التسوية يفوق أي خطر للتسوية واجهناه منذ ٥ حزيران حتى الان ، هذا صحيح ، خطر حقيقي ، هذا صحيح . لا يجوز ان نستهين بهذا الوضع الدولي الجديد ، كله هذا صحيح . لكن بالمقابل حتى نرى الامور من كل جوانبها ومن كل زواياها ، من الضروري ان نقف أمام العقبات الموضوعية ثم نقف امام التقييم العلمي الذاتي وأثره في تسيير الاحداث . هذه نقطة أعطيها الشيء الكثير من القيمة ، لانه اما ان نقول انه هكذا تسير الامور وبالتالي ليس أمامنا الا الرضوخ والاستسلام ، او نقول ان هـذه هي الصورة للتسوية والعقبات التي تعترض التسوية ، وبالتالي يمكن ان يدخل العامل الذاتي وتكون له نتائج اما في منع وعرقلة التسوية ، او في ان تتخذ اشكالا مختلفة عن الشكل او الاشكال المطروحة .

من هنا اقول ان رؤية المتغيرات في المنطقة وفي العالم ، بعد حرب تشرين ، هي المدخل

الصحيح والسليم لرؤية الامور بوضوح والقدرة على رؤية الامور السليمة . وحرصا مني على تتبع السياق الذي طرح ، لانني أعتقد انه سياق ممتاز وشامل ، وطبعا آخذ كافة القضايا التي كانت موضع حوار في الفترة الاخيرة . هل نعترف اولا بوجود مثل هذه المتغيرات ؟ الجواب : ضروري جدا ان نرى هذه المتغيرات . ولا نستطيع ان نكون علميين وثوريين ونستفيد من تجاربنا الا بعد ان نعترف بها ونؤكد عليها ، وتصبح موضع تثقيف ثوري للقيادات وللكوادر وللجماهير الفلسطينية والعربية ، وبالتالي تشكل منطلقات جديدة ، وخاصة بالشق الاول موضوع البذور الجديدة التي طرحتها حرب تشرين .

ما هو تأثيرها على استراتيجية وتكتيك العمل الفلسطيني ؟ تأثيرها على استراتيجية العمل الفلسطيني ، في تقديري ، أكدت بوضوح تام ان هدف الثورة الفلسطينية هدف ليس مجرد هدف عادل ومشروع وانما هو هدف قابل للتحقيق ، قابل فعلا للتحقيق ، واننا لم نكن نعيش مجرد اوهام ، وانما نستطيع امام تحديد الخط السياسي السليم وايجاد التنظيم الثوري الحقيقي ، وامام التعبئة الجماهيرية للجماهير الفلسطينية والعربية ، ومن خلال حالة القتال ، يصبح هذا الهدف ليس مجرد اوهام ، كما يدعي البعض، ولا احلام . وبالتالي فان تأثير هذه المتغيرات على استراتيجية العمل الفلسطيني هو أنها تثبت صحة استراتيجية العمل الفلسطيني ، وعلى رأسها الشعار الاساسي وهو المجتمع الديمقراطي في ارض فلسطين .

اما موضوع تأثيرها على تكتيك العمل الفلسطيني ، فهو الشيء الذي يعنينا بطبيعة الحال ، في هذه المرحلة ، فهذا موضوع أعتقد انه مرتبط بالسؤال الثاني ، لان السؤال الثاني هو الذي يتناول مؤتمر جنيف، نذهب او لا نذهب ، اذا لم نذهب ، ما هو العمل ؟ وبالتالي هنا يجب ان نأخذ المعطيات الجديدة لحرب تشرين بعين الاعتبار . تعليق سريع حول القسم الاخير من نفس السؤال الاول .

هل تدفعنا هذه المتغيرات الى ضرورة الاخذ بالمرحلية بالاهداف ؟ وهل تتعارض المرحلية مع حقنا التاريخي في فلسطين ؟ كلنا نعرف ان هذا السؤال ، سواء القسم الاول او القسم الثاني منه كان مطروحا ، من الناحية النظرية البحتة ، اذا كنا نحن بصدد حديث نظري حول العمل الثوري بشكل عام ، فكلنا نعرف بطبيعة الحال ، على ضوء التجارب الثورية الكبرى في العالم ، ثورة اكتوبر ، ثورة الصين ، الثورة الفيتنامية، كلنا نعرف ان موضوع المرحلية موضوع وارد وموضوع علمي وموضوع مشروع . وكلنا نعرف عبارات لينين وتأكيداته حول اضطرار اية ثورة لموضوع اسمه المساومات والتراجعات والمساومات بين وقت وآخر ، لكن كما يقول لينين ان هذا الموضوع لا يؤخذ بشكل مجرد . هناك فارق بين مساومة ومساومة . وبالتالي كل موضوع يجب ان يؤخذ وبشكل ملموس . وبالتالي هنا الاجابة النظرية شيء والاجابة النظرية في حيز التطبيق شيء آخر. وبالتالي من الضروري ان نحاول فهم بعضنا البعض. وبالتالي ليس من الضروري ، اذا رفضت مساومة معينة او كان هناك تخوف مشروع جدا ، من فهم معين لمرحلة معينة او نتائج مرحلة معينة ان يتهم هذا الموقف بموضوع التفكير المثالي والتفكير الرومانتيكي . ابدا لا يجوز ان يحاكم هذا الموضوع من خلال ان نأخذ هذه القوانين الثورية وهي ان المرحلية تجوز والمساومة تجوز ونطبقها على الواقع الذي نحن بصدده في فترة محددة بشكل ملموس .

هذا يقودنا الى السؤال الذي نحن بصدده الان ، تقييم المرحلة القادمة التي تشكل جنيف بدايتها او معالمها البارزة . ما هو عنوان المرحلة القادمة على صعيد المواقف

والبرمجة ؟ مؤتمر جنيف . وبالتالي امامنا سؤال محدد ، وليس مجرد سؤال نظري معلق في الهواء ، مستمد من قراآتنا الثورية بشكل مجرد . سؤال يجب ان يعطى الجواب عنه على ضوء الدراسة الملموسة ، الدقيقة ، لهذه المرحلة التي عنوانها مؤتمر جنيف .

هل نترك احتمالات مؤتمر جنيف لشتى الاجتهادات ؟ أي نراقب ، نتروى ؟ نرى كيف تسير الامور ؟ وعلى ضوئها نحدد المواقف ؟ ارجو بكل روح رفاقية ان أسجل تخطئتي الشديدة جدا لهذا الكلام ، لماذا ؟ مؤتمر جنيف ليس امام صورة واحدة ، انا اعترف بهذا . مؤتمر جنيف امام اكثر من صورة وامام اكثر من نتيجة . لكن هل هـذا يعفينا من محاولة الاستنتاج العلمي بالصورة العامة التي سينتهي لها مؤتمر جنيف اذا كان توجهنا للنضال يكتفي على الجانب السياسي والاقتصادي فقط ؟ في تقديري ، لا يجوز التهرب من هذا الموضوع بأي شكل من الاشكال . ما الذي سيحدد النتيجة في مؤتمر جنيف ؟ مؤتمر جنيف ستطرح فيه اسرائيل وجهة نظرها ، وجهة نظر اسرائيلية ، ستطرح اميركا وجهة نظرها ، ستطرح فيه الاردن وجهة نظرها . اوافق على القول ان وجهات النظر الثلاث هذه اجمالا متقاربة من بعضها البعض وبالتالي يمكن ان نقول انه سيكون في المؤتمر وجهة نظر امبريالية ـــ صهيونية ـــ هاشمية داخل مؤتمر جنيف .

الى جانب ذلك هناك طبعا وجهة النظر المصرية ، ووجهة النظر السوفياتية . ويمكن القول وجهة النظر ـــ المصرية السوفياتية . اريد ان اذهب اكثر من ذلك فأقول انه من الممكن ان نجد انفسنا في مؤتمر جنيف امام وجهة نظر ليس مصرية ـــ سوفياتية فقط ، انما أمام وجهة نظر مصرية ـــ سورية ـــ عربية اجمالا ـــ سوفياتية ، متفقة حول كل شيء . ما هي النتائج ؟ هل نترك النتائج للتقديرات ؟ لو كان الموضوع ان مؤتمر جنيف ستحدد نتائجه عملية الحوار التي ستدور ، وقناعات المستمعين او المقررين بوجهة النظر ، لتسنى لنا القول ان مؤتمر جنيف يحمل شتى الاحتمالات وقد ينتهي الى نتائج متباينة الى حد كبير ، وبالتالي فلننتظر ، لنرى ما هي النتائج التي يمكن ان تحدث .

لكن في تقديري ، ايها الرفاق ، لو نحاول التدقيق في هذا الموضوع ، لانه قد يكون من مصلحة ثورتنا ان تصل الى تصور غير اعتباطي ، وانما تصور علمي للنتائج التي يمكن ان ينتهي لها مؤتمر جنيف في ظل ميزان القوى القائم الان . ان ما سيحدد نتائج مؤتمر جنيف ، هو ميزان القوى . وأي تصور غير ذلك ، كأن نتصور انه سيكون للنقاش نتائج ، هو تصور مثالي . الموضوع موضوع ميزان قوى معين قائم الان في المنطقـــة ، بعد حرب تشرين تحسن الى جانب مصلحة العرب ولكن ضمن حدود وصفناها . ماذا ستكون النتائج ؟ طبعا ، علميا امام مؤتمر يستهدف التسوية بالطرق السياســـية والسلمية ، سيبدأ بوجهة النظر ، الاميركية ـــ الاسرائيلية ـــ الهاشمية ، مقابل وجهة النظر العربية ـــ مقصود الرسمية ـــ السوفياتية ، فلنتصور ماذا يحدث عادة في مؤتمرات من هذا النوع . خطوة من هنا، ثم خطوة من هنا، ثم خطوة من هنا، ثم خطوة من هنا، الى ان نصل الى نقطة مشتركة . الا نستطيع ان نرى هذه النقطة على ضوء ميزان القوى ؟ ما لم نتابع القتال ، ليس بشكل مغامر ، ولا بشكل أهوج ، ولا بشكل عاطفي ، اذا اكتفينا بالنضال السياسي والنضال الاقتصادي ، لان لي وجهة نظر ايضا ، في النضال الاقتصادي ، أقصد موضوع النفط ـــ اذا تركنا جانبا ضرورة استمرار الصراع المسلح . الا نستطيع ان نرى النتيجة التي سنتوصل لها في مؤتمر جنيف ؟

أريد من باب الجدل فقط ان اقول ان مؤتمر جنيف سينتهي بوجهة النظر السوفياتية ، مع ان هذا علميا ، طبعا ، غير وارد . كلنا نعرف انه علميا غير وارد ، لكن لو فرضنا جدلا انه انتهى بوجهة النظر السوفياتية ، ما هي وجهة النظر السوفياتية ؟ السوفيات

اصدقاء ، يجب ان نحرص على صداقتهم ، لكن في تقديري يجب ان يتخذ حرصنا على صداقتهم ، كمثل ، التجربة الفيتنامية التي كانت تجند كافة التحالفات لخدمة استراتيجية وتكتيك الثورة الفيتنامية ، ولا تخضع مصلحة الثورة لاي وجهات نظر لاي حليف مهما كان هذا الحليف . بقدر ما من واجبي ان اؤكد على صداقة السوفيات واهميتها وامتناننا الصادق لهم بالنسبة لهذا الموضوع وضرورة الحرص على هذا الموضوع ، اشعر ان من حقي ان أقول — وهذه نقطة يجب ان نفهمها وتفهمها كل جماهيرنا — اننا نحن الذين من المفروض ان نقرر برنامجنا وليس السوفيات ، وانه من الممكن ان تكون هناك تعارضات اساسية لا يجوز تغافلها ، وتغافلها نوع من التبعية والذيلية بالنسبة لمسيرة الثورة . والسوفيات اصدقاء لهم وجهة نظر معينة في قرار ٢٤٢ ، هل ميزان القوى مضافا الى وجهة نظر السوفيات تمكننا — على ضوء ما يتصور بعض الرفاق — من ان نصل الى هدف سلطة وطنية ديمقراطية فلسطينية ثم انسحاب كامل عن الاراضي العربية ، بدون اعتراف ، بدون صلح ، بدون حدود آمنة ، بدون مناطق مجردة من السلاح ، بدون قوات دولية ، بدون كل هذه الضمانات ؟ جوابي كلا ، من المفروض ان نطرح امورنا بوضوح أمام أنفسنا وامام الجماهير ، لماذا ؟ لانه كما قلت ، لو كان الحد الاعلى لمؤتمر جنيف ان تنتصر وجهة النظر السوفياتية ، فوجهة النظر السوفياتية ، في فهمها لموضوع التسوية العادلة — ما لم تقو الثورة الفلسطينية والعربية وتحدث تغيرات في وجهة النظر السوفياتية ، وجهة نظرهم ان تبقى اسرائيل ، واعتقد انكم سمعتم ذلك فعلا ، عندما ذهب وفدنا الى موسكو . ان وجهة نظرنا من موضوع اسرائيل وموضوع الحدود الامنة لاسرائيل تختلف عن وجهة نظر فريق آخر فاعل له وجهة نظر اخرى بالنسبة لهذا الموضوع . وانا اشعر ان اخلاصنا لجماهيرنا وقضيتنا لا يجوز ان يمنعنا من قول هذه الامور ولا يجوز ايضا ان نعبر عن هذه الامور او نترجمها بشكل لا يسيء الى هذه الصداقة . السوفيات يقولون : انتم قرروا موقفكم بأنفسكم ، جيد جدا، نحن هذا هو موقفنا ولسنا مستعدين للتنازلات عن هذا السقف. هل السقف المرحلي،ولا اقول طبعا الحقوق التاريخية ، السقف المرحلي الذي يتصوره بعض الاخوة في حركة المقاومة وهو سلطة وطنية ديمقراطية بدون اعتراف ، ولا صلح ، ولا تمثيل دبلوماسي ، هل هذا ممكن على ضوء ميزان القوى وبدون برنامج سياسي اقتصادي عسكري جديد بعد حرب اكتوبر . انا شخصيا عندي جواب واضح حول هذا الموضوع انه غير ممكن. ومن هنا أقول بالتخطئة الشديدة فعلا لهذا الموضوع لانه فعلا يضعنا في متاهات . من المفروض ان نرى الامور بوضوح ونطرحها لجماهيرنا بوضوح .

سمعت على لسان احد الرفاق الثمانية الذين قدموا مؤخرا من الضفة الغربية ، ان الناس في نابلس تحضر المشاعل للابتهاج ، لا أشد خطورة من خطورة هذا الموضوع ، تحضر المشاعل على ضوء ماذا ؟ على ضوء مناخ معين ، وعلى ضوء اجتهادات معينة . هذه الجماهير يجب ان تهيء البنادق . وهناك فارق كبير بين ان تهيء المشاعل وان تهيء البنادق ، فارق كبير في ان تطرح الثورة مواقف تجعلها تفكر بالمشاعل وبين ان تطرح الثورة مواقف تجعلها تفكر بالبنادق . وهذا موضوع هام جدا يا رفاق ، ونحن مسؤولون عن كل مستقبل ثورتنا وجماهيرنا وبالتالي من المفروض ان نقف امام هـذا الموضوع . اذا كان الموضوع سلطة وطنية ديمقراطية ، فنحن لا نتحدث عنه بعد خمس سنوات او عشر سنوات ، نحن نتحدث عن مؤتمر جنيف ١٩٧٤ ، في ظل وقائع محددة قائم على اساس قرار ٢٤٢ . قرار ٢٤٢ له شق اول وشق ثاني ، لا يمكن ان نقول أخذنا الشق الاول ، وخرجنا من مؤتمر جنيف هذا غير معقول ! من هنا أقول انه من الضروري جدا على ضوء هذا التحليل ان تقول الثورة رأيها في مؤتمر جنيف وهذا الراي هو الرفض .

على ضوء هذا التحليل اقول ان هذه هي كل المخاطر التي ستنتج فعلا عن حضورنا مؤتمر جنيف على ضوء ميزان القوى القائم الان وعلى ضوء النتائج التي ستكون. لاحظوا انني لم أتطرق الى اشياء شخصية أعتقد انها هامة جدا ، لانني اردت عن عمد ان اتحدث باللغة التي يمكن ان تكون مشتركة او مفهومة ، من قبل الرفاق . انــا لم اتحدث ــ على سبيل المثال ــ عن أهمية وقناعتي بأهمية وقدسية موقف الرفض الذي وقفته جماهيرنا الفلسطينية من المشروع الصهيوني منذ وعد بلفور حتى الان . انا اعتقد ان هذا البناء السياسي للشعب الفلسطيني ، كان له تأثير كبير في سير كل الاحداث في المنطقة باتجاه خدمة اهداف الجماهير . لكن الان في ظل كل الوضع الجديد المطروح ، يجب ان نبدأ بالتعلم من تجاربنا .

عندمـــا نستعرض فعلا كل تاريخنا النضالي ، بقدر ما فيه مـــن سلبيات يجب أن نستخرجها ، نحدد هل موقف الرفض الجذري الذي وقفته جماهيرنا موقف سليم ام لا ؟ أي ما قبل طغيان الوضع الدولي الجديد على ضوء هزيمة حزيران ، كلنا نعرف كيف كـــانت تنظر الجمـــاهير الفلسطينية والعربية الى أي امكـــانية تفاوض او جلوس ما بين حاكم عربي وحاكم اسرائيلي . وكلنا نعرف جيدا ان أقل عبارة كانت تقولهـــا جماهيرنا هي ان هذا خيانة في الواقع . نفكر في هذا الموضوع جيدا ، لمصلحة موضوع صراعنا وتفجير طاقات جماهيرنا الفلسطينية والعربية ، هل من مصلحتنا تبهيت هـــذا الرفض أم من مصلحتنا اعتبار أي تفكير من هذا النوع ، فعلا على صعيد الخيانة . أنا تركت هذا الموضوع كي اتحدث في لغة يمكن ان تكون مدخلا لتفكير مشترك لاني مقتنع بان الحوار الطويل الصبور ، الموضوعي ، ممكن .

نحن ابناء شعب واحد ، هذه حقيقة لا يجوز ان تغيب عنا . نحن قوى وطنية ولا يمكن ان يتطرق شك في ذهني الى خريطة التناقضات في المنطقة وكيف يجب ان نفهمها . نحن ضمن حركة وطنية فلسطينية ، القوانين التي تحكم تعارضاتنا في كل مرحلة من المراحل هي من نمط آخر غير القوانين التي تحكم تناقضاتنا مع العدو الرجعي او العدو الاسرائيلي . هنا ايماني الحقيقي بفائدة الحوار واملي الحقيقي بأن نستطيع من خلال البحث والتدقيق ان نتوصل ، لا أقول الى وجهة النظر التي أطرحها انا ، انما نتوصل الى وجهة نظر واضحة جدا تفصيلية جدا ، تمكننا من مواجهة الوضع الصعب .

هذه الارادة الدولية التي لا تستطيع مع الاسف ان تعيش أحاسيس جماهيرنا . متعاطفة معنا ، صحيح ، لكن هل تعيش قضيتنا كما نحن نعيشها ؟ لا ، هنا المشكلة ، وقد حصل خطأ كبير بعد حرب حزيران بحيث طرحت القضية على اساس العدوان بعد الخامس من حزيران ، فنلنا كل التعاطف الدولي على أساس عدوان ٥ حزيران ، بحيث صور انه اذا تم جلاء عدوان ٥ حزيران ، فان ذلك يعني انتصارا كبيرا وما فوق ذلك ، لقد طفح الكيل ، نحن بحاجة ، بشكل علمي الى اعادة طرح قضيتنا من جذورها عالميا ونحن قادرون بشكل علمي ان نطرح فهمنا لتقرير المصير ، بلغة العصر وبشكل سيواجه اعتراضات وصعوبات ، من قبل حلفائنا . لكن في النهاية من الممكن ان ننتصر . أتت فترة لم تكن فيها مراهنة على حركة المقاومة ، من قبل كثير من القوى الثورية في العالم ، لكن بعد فترة نالت حركة المقاومة كل هذا الاعتراف وكل هذا التأييد .

لندقق في موضوع نعلن او لا نعلن موقف الرفض . اول نقطة اريد ان اطرحها هنا ، هي ان تذهب المقاومة الى مؤتمر جنيف ، موضوع مطروح وارجو ان نفكر جديا في هذا الموضوع . صحيح لم توجه رسالة رسمية كما وجهت الى مصر وسوريا من قبـــل السوفيات واميركا ، وبالتالي نريد جوابا على هذه الرسالة . صحيح ان الامر ليس مطروحا الان . لكن هل نقول : بما انه لم توجه رسالة رسمية وبما ان الامر غير مطروح

الان ، فاننا لسنا مطالبين باعطاء جواب على هذا الموضوع . كلنا نعرف محاولات مصر الجادة والمتصلة حتى تكون المقاومة طرفا في هذا الموضوع ، وطبعا ، عندي اجتهاد معين ، انها تريد المقاومة طرفا لتغطية معنى الجلوس مع العدو الصهيوني ، لان حركة المقاومة الفلسطينية حركة ثورية ، أعادت فعلا للجماهير الفلسطينية وللجماهير العربية كرامتها في التفاف جماهيري ، وبالتالي اذا حضرت حركة المقاومة الى جنيف ، فان هذا يبعد السادات الى حد كبير على الخروج من حالة الاحراج التي يمثلها التنازل الكبير ، وعنوانه المفاوضات المباشرة ما بين الطرف العربي والطرف الصهيوني .

اذن مصر تطلب منا ، المذكرة التي قدمها السوفيات ، من الطبيعي ان تسير الامور بهذا الشكل ، وبالتالي فان الموضوع مطروح . وعدم تحديد منظمة التحرير الفلسطينية حتى الان موقفا من هذا الموضوع الا يؤثر على مدى تماسك الوحدة الوطنية الفلسطينية ووحدة الصف الفلسطيني ؟ هذا الموضوع ملموس عمليا ، نستطيع ان نراه ونقول عنه سلبا أم ايجابا . ألم يؤثر على الحالة الجماهيرية الفلسطينية ؟ واجبنا ان نكون صافين وصادقين ونقول انه أثر سلبا ام ايجابا . ألم يفقد حركة المقاومة قدرتها على الفعل العربي والدولي ؟ لنقارن . هنالك اعتبارات تكتيكية لموضوع عدم الاعلان ، هنالك اعتبارات أستطيع أن أراها ، ولكن ما يحسم هو الجواب حول السؤال التالي في ذهننا : أيهما في الاساس وأيهما العامل الحاسم في انتصار أي ثورة . العامل الذاتي أمموضوع التحالفات؟ هذا هو الذي يجعلك تقول : أعلن او لا أعلن . اذن الموضوع في تصورنا هو رأسمال الثورة الفلسطينية الاول كما نفهم ، كوادرها الملتفة حول قياداتها بثقة ، ثقة الجماهير بها ، موقفها السياسي الواضح ، برنامجها الفاعل باتجاه هذا الموقف السياسي . اذا كان تقديرنا ان هذا هو العامل الاساسي في تحديد مستقبلها ، يجب ان نحاكم موضوع الاعلان او عدم الاعلان على هذا الاساس ، فعلينا ان نتلمس نتائج عدم الاعلان على صعيد الساحة الفلسطينية ، ليس موضوعا خياليا ، موضوع لانه لم يحدد موقف . لسنا هذه النتائج . اما اذا كان تفكيرنا هو أن الاساس هو عدم توتير علاقاتنا مع صداقات عادية او دولية ، هنا يصير الموقف هو التريث في الموضوع . ثم الا نستطيع ان نطرح وجهة نظرنا على ضوء تحليل علمي مشروع مقبول من قبل اطارات عديدة من تحالفاتنا العربية والدولية . ارجو ان لا يفهم من التأكيد على ان المقاتلين هم الاساس والجماهير هم الاساس وان تذهب كل التحالفات الى الجحيم . ليس هذا المقصود انما المقصود هو ان نحدد ما هو العامل الاساسي وعلى ضوئه نحدد كافة العوامل الاخرى .

من هنا اقول ان مؤتمر جنيف ، في سقفه الاعلى ، قابل للرؤية وان لا نترك الموضوع للتجربة ، على ضوء ذلك من المفروض ان نحدد موقفا من هذا الموضوع المطروح سواء وجهت الينا دعوة او لم توجه . في تقديري ان منظمة التحرير لا تستطيع ان تبقى في هذا الوضع ، لماذا ؟ اذا الموضوع موضوع حوار ودراسة ، يشكل الثقة الكافية التي تقول ان اي قيادة — المفروض في القيادات ان تكون مبادرة ومبادهة — تكون قد اطلعت واستقصت وحاكمت الامور وبالتالي أصبح لدينا تقييم معين ، نحن لا نعيش الان اليوم الثاني او الثالث او الاسبوع الثاني او الثالث بعد وقف اطلاق النار او بعد المذكرة السوفياتية او بعد طلب مصر منا في اكثر من مناسبة بأن تقرر موقفا من هذا الموضوع . اذا كان الموضوع موضوع دراسة ، من المفروض أن نكون قد قمنا بواجبنا وانجزنا هذا الموضوع . اذن الموضوع اعتبارات تكتيكية ، هذه وجهة نظرنا ، قد نكون مخطئين . نأمل ان تكون مناسبة لمنظمة التحرير ككل ان توازن بين مكاسب وخسائر اعلان الموقف او عدم اعلان الموقف .

السؤال الثالث : حول مستقبل الاراضي الفلسطينية المحتلة بعد الانسحاب الاسرائيلي

عنها . هناك بديلان ، عودة السلطة الاردنية اليها او اقامة سلطة وطنية فلسطينية عليها . ما معنى هذه السلطة الفلسطينية ، واي البديلين يقربنا من تحقيق اهداف الثورة وحقوقها على ارض فلسطين ؟ بالقدر نفسه الذي قدرت به السياق العام والاسئلة ، اشعر ان هذا السؤال موضوع بشكل خاطىء . وما لم نكتشف الخطر في هذا السؤال ، ممكن ان لا نساعد أنفسنا ، او نساعد جماهيرنا على تحديد الموقف السليم . لو كان فعلا السؤال انه هناك بديلان عودة السلطة الاردنية اليها او اقامة سلطة وطنية فلسطينية عليها ، هل كان من الممكن ان يكون الموضوع موضوع نقاش ! من يستطيع ان يقف مترددا أمام موضوع ان تعود السلطة الاردنية الرجعية العميلة التي حددت كل منظمة من منظمات الثورة ومنظمة التحرير موقفا واضحا سافرا من رجعيتها بكل ما تعنيه ومشروع المملكة العربية المتحدة ، ليس هنالك مجال للمقارنة بين هذا الموضوع وبين سلطة وطنية فلسطينية . اذن اين الفخ في هذا السؤال ؟ الفخ في هذا السؤال ان نقول انه ممكن ان ينتج عن مؤتمر جنيف سلطة وطنية فلسطينية . لا يمكن ان ينتج عن مؤتمر جنيف ، في ظل ميزان القوى القائم ، سلطة وطنية فلسطينية ، لا يمكن ان تنسحب اسرائيل في ظل ميزان القوى القائم الا بحالتين،قوة رجعية او قوة مستسلمة، هل ستنسحب اسرائيل من الضفة الغربية وتقول السلام عليكم ؟ هذا لا يمكن . ربما بعد حرب اخرى ، ربما بعد برنامج نضالي نضعه ، هذا موضوع اخر ، اما الان فلتكن الصورة واضحة امامنا . الانسحاب لا يمكن ان يتم الا لسلطة رجعية او سلطة مستسلمة ، السؤال المطروح امام المقاومة هل ممكن أن تصبح الثورة مستسلمة ؟ هذا هو السؤال المطروح ، يبقى اخيرا ما هو برنامج العمل ؟ الموضوع ليس مغلقا ابدا ، واخيرا هنالك موضوع محدد ولكن له قيمته ، هو الرفض السوري . الرفض السوري يطرح امامنا مجرى محددا من المفروض ان تلتقطه حركة المقاومة وتستفيد منه الى أقصى الحدود ، موقف الرفض السوري ليس موضوعا بسيطا ، وانا أقول ان نترك العوامل الذاتية بمعنى انه قد يكون هناك قيادة ، لا يمكن ان تنحرف عن الخط النضالي الذي شقته الجماهير خلال خمسين عاما . نترك جانبا هذا الموضوع ، هناك أساس موضوعي ، الاساس الموضوعي هو الفارق بين سيناء والجولان . هذا وارد وبالتالي موضوع الجولان ليس بنفس السهولة مثل سيناء . نترك العامل الذاتي مع أنه المفروض ان يكون واردا . هذا الموضوع يجعل الموقف السوري يختلف عن الموقف المصري . لماذا رفضت سوريا ؟ هذا يعطينا منطلقا ، حتى لا يكون موقف المقاومة مجرد موقف مبدئي مسجل على ورق ، مع انه انا في تقديري انه عندما تجمع منظمة التحرير على برنامج معين ، لا يمكن ان يكون حبرا على ورق، لكن مع الرفض السوري تتبلور الصورة بشكل واضح . سوريا رفضت ، فلماذا لا ترفض المقاومة ؟ سوريا والمقاومة مطروح امامهما ما هو الحل ؟ انتم غير ذاهبين الى مؤتمر جنيف فما هو البديل ؟ استمرار النضال السياسي والاقتصادي والعسكري ، لتغيير ميزان القوى. اذن فلتبدأ نشاطاتنا العربية والدولية على هذا الأساس ، فليبدأ اتصال من حركة المقاومة وكل القوى الثورية في العراق لتترجم رفضها بشكل ملموس ، في الجزائر لتحسم موقفها ، لكل القوى الوطنية التي تقول نحن ننتظر المقاومة لتحدد موقفها ، لنحدد موقفنا على أساسها ، ونصبح امام برنامج متكامل .

ابو اياد :

لا أريد أن أضيف كثيرا الى ما قاله الاخوان عن التغيرات التي أحدثتها حرب تشرين في الواقع العربي والفلسطيني والدولي . وسأقفز عنها الى بعض الموضوعات التي أعتقد أنه ينبغي لنا التركيز عليها ، لان عدم التركيز عليها يجعلنا نعيش في دوامة .

نبدأ اولا ، بالقول ان اكبر خطأ تقع فيه حركة ثورية هو أن لا تحدد حجمها الطبيعي بالضبط . وربما أحب أن اوجه أولا النقد الى نفسي ، كعضو في حركة . اذ كان الواحد منا ، في كثير من الاحيان يعتبر انه طليعة لكل حركة التحرر العربي طليعة لحركة التحرر العالمية . وفي الواقع يجب ان نتواضع ونقول اننا جزء من حركة التحرر العربي وجزء من حركة التحرر العالمي .

قبل حرب تشرين ، كانت لنا مفاهيم . لا يمكن أن نتنكر لهذه المفاهيم اطلاقا ، ولكن القيمة الحقيقية لهذه المفاهيم والمبادىء ، في رأيي ، هو مدى قدرتنا على تحقيقها على أرض الواقع ضمن برنامج لم نضعه نحن قبل الان . وبالتالي عندما جاءت حرب تشرين وضعتنا أمام المرحلية . نحن فعلا بالضرورة عشنا مرحلة ضائعة ، لا نزال نعيشها الى الآن ، ونقول نحن نعيش في بلبلة ولكن ليس سبب البلبلة ان هناك من أعلن الموقف بالرفض ، وهناك من تريث ، ولا سبب البلبلة ان حرب تشرين وضعتنا أمام اختيار يوحي بأننا نريد أن نتنازل عن أشياء بديهية عشناها نحن من صغرنا ، هذا الموضوع تكلم فيه الدكتور حبش ولا أحب ان أتوسع فيه كثيرا ، موضوع الاعتراف والصلح الخ.

ان مبادءنا لن تغيرها حرب تشرين ، كما ان مبادىء العدو الصهيوني التي طرحها منذ اليوم الاول لانشاء اسرائيل على أساسها والتي قضى الايام الطويلة يبحثها ، أين يقيمون الدولة الاسرائيلية ؟ واخيرا خرجوا بحل أنهم سيقيمون دولة اسرائيل على « أرض اسرائيل » . وبالتالي حلوا المشكلة حتى تظل أطماعهم التوسعية باقية ولا يبدو أنهم بالجزء الذي قبلوا فيه أنهم قد تخلوا أو تنازلوا عن « حقهم التاريخي » في فلسطين او في غير فلسطين .

من هنا اقول : ليست الحالة التي نعيشها الآن مرسومة في ذهننا أكثر اختلافا ، رغم كل معطيات حرب تشرين الا ببعض القسمات عن حرب ٤٨ . واقول بعض القسمات لان هنالك عاملا دوليا دخل في الموضوع ونجد اخواننا العرب قاتلوا لاول مرة قتالا شجاعا أثر على المجتمع الصهيوني ، هذه حقائق كلنا نعرفها .

واجب أن أذكر انه عندما اطرح موضوع الفلسطينيين فانني اطرحه بمعزل عن الانظمة لا عن الجماهير العربية . في عام ٤٨ تسلمت الانظمة العربية القضية ، واقول هذا خطأ قياداتنا نفسها، هنا ليس الخطأ في رفض سنة ١٧ ولا في رفض ٢٢ ولا في رفض ٢٦ ولا في رفض ٣٣ ، على العكس . كان موقفا تاريخيا سجله شعبنا . وانما الخطأ في القيادات التي لم تحاول ان تضع هذا الرفض على ارضية . تستطيع ان تبقي القضية في يدها . اما الرفض فهو موقف تاريخي . لا يمكن ان نقول ان شعبا يسلم بقطعة من أرضه ، وقطعة تمثل مستقبل نضاله ، لقوى معادية تحتل هذا الوطن بأن رفضه خاطىء . ولكن لا بد من تجسيد هذا الرفض على أرضية فعلا من موقف وطني واحد ، بحيث لا يسلم هذا الرفض القضية مرة أخرى للانظمة العربية .

من هنا أقول هناك صورة ملامح ، وقد يبدو الواحد مخطئا في استيعاب الصورة بين ما بعد حرب تشرين وبعد ٤٨ ، لانه في تقديري كواحد من المؤمنين بالتريث في هذه المرحلة ، ان الصورة التي نعيشها هي ان هناك محاولة لانتزاع زمام المبادرة من يدنا الى ايدي الانظمة العربية. وهنا يكمن تخوف الاخ زهير محسن الذي قال ان منظمة التحرير، اذا أنهيت حالة الحرب ، واذا وضعت تكبيلات التسوية موضع التنفيذ ، قد تكون عبارة عن اعلانات ، وقد تكون حتى الاعترافات التي وقعها العرب ، سهلة الالغاء عمليا ، ان لم يكن سحب الاعتراف بمنظمة التحرير بموقف رسمي .

لعلي قد دخلت في صلب الموضوع مباشرة فأقول ان حرب تشرين فعلا وضعتنا بصورة

تحتاج الى وقفة تأمل عميقة ازاءها . ولا تدفعنا هذه الوقفة الى أن نفضل الحصول على شيء لشعبنا على حساب مبادئنا، ولا هي وقفة مستندة الى الاستسلام. ولكنها تستدعي التفكير الحريص على أن نجد الوسيلة الفعلية والارض الصلبة التي نستطيع ان نستمر بالثورة من خلالها .

المرحلية ؟ ربما قلت اننا كلنا كثورة لم نثقف كوادرنا تثقيفا حقيقيا في معنى المرحلة . قد أوافق على ان مؤتمر جنيف لم يأت لنا بشيء مما نحلم به ، ولا أتصور أن هنالك فردا في المقاومة يأمل في أن يحصل منه على السلطة الوطنية . فذلك يعني أننا نطلب من كيسنجر ومن ابا ايبان هذه السلطة الوطنية ، لا يمكن . انما نطلب شيئا واحدا ، هناك مطلب لاقامة السلطة الوطنية على قطعة في الارض الفلسطينية ، وهو مطلب نضالي ، هو مطلب صعب، واتساءل، اذا كان اقامة سلطة وطنية على الضفة الغربية او على أي أرض فلسطينية هو عملية صعبة . فاذن ، من الطبيعي أن تكون العملية الاصعب هي عملية التحرير ، فهي مطلب نضالي وليست مطلبا استسلاميا . قد نوافق على ان يكون هناك حدا أدنى لمطالبنا نضعه نحن كمنظمة تحرير ، وهـذه المطالب نناضل جماهيريا وعربيا وحتى مع الانظمة الوطنية في سبيل الحصول عليها وبهذه الوسيلة يمكن ان نحرج الانظمة في تقديم مزيد من التنازل . كل ذلك يعني ان التصور المطروح لا يتوقع الحصول على السلطة عن طريق مائدة جنيف ، وكل من يتصور أن السلطة الوطنية ممكنة عن هذه الطريق أو أن أية قوى وطنية قادرة على الاستيلاء على أي قطعة من أرض فلسطين بهذه الوسيلة ، يكون واهما . ولكن الذي أقوله هو أننا ، بنضالنا المشترك وبرفع شعاراتنا امام جماهيرنا نرد على أسئلتها عن المرحلة المطروحة الآن وندعوها ونناضل معها من أجل تحقيق أهداف هذه المرحلة .

وفيما يتعلق بأصدقائنا ، سواء كانوا قوى دولية أو عربية ، وسواء تعاملنا معهم منذ فترة قصيرة أو طويلة ، كنا نعرف أننا نختلف معهم حول بعض القضايا ، ولكن هذا الاختلاف لا يمنع اطلاقا أن نضع نحن أمامهم مطالبنا الواضحة . ولا أذكر كما قال الاخوان الذين ذهبوا الى موسكو ان وفد الثورة قد طرح غير موضوع الدولة الديمقراطية الفلسطينية كطرح عام كما طرحت كافة الشعارات الملتزمة فيها كافة فصائل الثورة الممثلة في الوفد . وفي نفس الوقت أقول ، دعونا نضع خياراتنا الاساسية كمقاومة على الطاولة ، ونضع صورة هذه الخيارات اذا كنا قادرين على تنفيذها ولا يعني عدم قدرتنا للتنفيذ ان لا نسعى لها ، انما نحاول بكل جهدنا . لا اعتقد ان فصيلا من المقاومة خياراته انه لا يكون هناك تسوية ، والا يكون متنكرا لمبادئه الاساسية ومتنكرا لكل الطروحات الادبية التي طرحها وبنى تنظيمه عليها . وأيضا جماهير شعبنا سواء الفلسطيني او العربي ، هي أيضا بحسها العفوي ونضالها المستمر هي ضد التسويات . لكن كما كانت حرب تشرين ، كما قدر لها ، فان القرار ليس بأيدينا ، الا ان هذه الحرب بالتأكيد كانت بالنسبة لقيادتها حربا محدودة وليست حرب الشعب ، لانها لو كانت حرب شعب ، لما سارت بالطريقة التي صارت فيها . نتائج حرب تشرين السياسية ايضا كانت محسوبة . قد تكون ثمة اختلاف الآن بين الاطراف العربية ، حول تقديراتهم لحدود التسوية ، ابعاد التسوية ، مؤتمر جنيف، ونحن كثورة فلسطينية نرتكب خطيئة كبرى اذا وجدنا طريقة لنقف وننشىء جبهة قتال تكون اقوى من جبهة الرفض لا نسير فيها ولا نسعى اليها . ولكن بشرط أساسي هو أن تكون الاطراف التي يعتمد عليها في جبهة القتال ، جبهة الرفض ، قابلة للموضوع . ولكن السؤال المطروح علينا والذي يجب ان نجيب عليه : ليس بين ما نطمح اليه حسب أدبياتنا ، انما المطلوب أن نفكر بالشيء الذي قد يفرض علينا وكيف نواجهه ، وطبيعي لا يمكن ان نرضى به اذا كان

استسلاميا . انما يكون فعلا بوضع برنامج نناضل جميعا من أجله ، وبرنامج يجيب على القضايا الراهنة ويتمسك بالحق التاريخي وبالقضايا الآجلة البعيدة المدى . في هذه الحالة اذا وضعنا مثل هذا البرنامج لا يعود السؤال ، او تحديد المواقف الثورية الصلبة فقط ، في الموقف من مؤتمر جنيف او عدمه ، انما يكون في الموقف من هذا الطرح او عدمه . وبذلك تكون القضية قضية هذا البرنامج ، قد نتفق نحن ان جزءا من هذا البرنامج يقضي بألا نذهب لمؤتمر جنيف ، قد يكون باتفاقنا ان نفتش على البديل الذي يتكلم باسمنا ، اننا نتفق جميعا على ان الحوار لا يعود علينا بأرض فلسطينية ، ولكن في نفس الوقت اقول أنه مطلوب ان يسمع صوت الشعب الفلسطيني في قضاياه والا تركت لآخرين اعتقد أنهم تاريخيا مسؤولون عن استمرار النكبة ، واستمرار تكبيل الشعب الفلسطيني ومنعه من التعبير عن نفسه برفض الاحتلال بموقف عملي .

بوسع كل فصائل المقاومة أن تضع مثل هذا البرنامج المرحلي وتتصرف على أساسه وحدة واحدة . على ضوء هذا البرنامج نلتزم بأسلوب التعرض للقضايا الرئيسية والخيارات الاساسية والقضايا المرحلية ، ونرى كيف نواجهها وكيف يمكن أن نحصل على سلطة وطنية غير ممهورة بامضاء كيسنجر وابا ايبان . فمثل هذا البرنامج الذي نتفق عليه جميعا نعلن ما نتفق عليه ونجعل لخطواتنا العملية جزءا آخر ومفيدا وقد يجيب في هذه المرحلة على كثير من الاسئلة التي تطرحها جماهيرنا ، يجيب على قضية الوحدة الوطنية ويجعلها أصلب وأقوى ، ونستطيع مواجهة المناورات التي يضعها مخططو الحل الاميركي — الصهيوني — الرجعي أمامنا ، حتى يأخذوا منا مواقف قد تخدمهم هم من حيث لا ندري . هذا البرنامج المرحلي شيء مهم يجعل كل المواقف واضحة بالنسبة لنا جميعا ، فاذا اتفقنا على مثل هذه الصورة اعتقد اننا سنقطع في مرحلة العمل الفلسطيني مرحلة يراهن الاعداء فيها أساسا على ان تنقسم الصفوف ويحدث شرخ داخل المقاومة ، هذا الشرخ لا نستطيع أن نتصور ابعاده ، وساعتها لا يفيدنا أن نعرف من المسؤول في ذلك . مثل هذا الموقف الفلسطيني الموحد ضمن برنامج مرحلي يزيد من التفاف الجماهير العربية حولنا لانه برنامج يتناول الامور المبدئية والتاريخية والمرحلية ، ويجعل حركة التحرر العالمية أيضا تشعر انها أمام ثورة جادة تريد ان تواجه مشاكلها الراهنة والتاريخية بحلول واقعية وثورية .

شفيق الحوت :

بما أني من المحسوبين على من يسمون بالمستقلين ، فلا بد لي في البداية من تحديد هويتي السياسية ، وأقول انني من أبناء هذا الشعب الفلسطيني ، الذين يطمحون الى تحرير وطنهم بكامل ترابه الوطني من خلال النضال القومي العربي الذي يعتبر نضال شعبنا الفلسطيني جزءا منه . انا من المؤمنين بأن تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني هي قضية قومية .

أريد من هذا التقديم الاخير أن اقول انني من المؤمنين بأن التحرير الكامل هو مهمة قومية عربية . واننا قد نقع في خطأ خطير اذا ما وقعنا في وهم الظن بأن تحرير كامل التراب الفلسطيني هو مسؤولية الشعب الفلسطيني لوحده ، وان كان لشعبنا الفلسطيني ولحركتنا الثورية دورها في تحريك الثورة العربية والجماهير العربية ، ووضعها ووضع قدرات الامة وثروات هذه الامة في سبيل التحرير الكامل . وأريد ان اقول اننا نمر في مرحلة ، ونصر على اعتبارها مرحلة ايجابية من مراحل نضال شعبنا الفلسطيني ، وأنظر اليها بعين الذي يشعر شعورا كاملا بأن حركتنا النضالية الفلسطينية استطاعت أن

تحقق على طريق التحرير الكامل انجازا كبـيرا . وانني لست بحاجـة لتعداد هـذه الانجازات ، التي أهمها وفي طليعتها ، اعادة الشعب الفلسطيني الى دوره في النضال ، وتحرير ارادته نسبيا في تقرير مصير قضيته . وأريد أن اقول أيضا أنني أنظر الى العلاقة الجدلية بين منظمات الثورة الفلسطينية والانظمة التقدمية العربية بأنها ليست علاقة تناقض . ربما كانت على الصعيد الايديولوجي تبدو كذلك ، الا أنها على صعيد الممارسة فان أقصى ما أستطيع أن أصف به موقف المنظمات من الانظمة أنه موقف تصحيحي وليس موقف تناقض . وأقول مرة أخرى انني لا اقارن مـن حيث الايديولوجيات التي تتبناها المنظمات والانظمة. انني من الناحية العملية ومن الارتباطات القائمة بين مختلف منظماتنا ومختلف أنظمتنا العربية . انني أركز على هذا التحديد لكي يكون في وعينا عندما نقرر أي موقف نضالي في هذه المرحلة بالذات ، فلا نقع في خطأ الظن بأننا شيء نقيض للانظمة العربية . وأريد أن أقول ايضـا ان ما سمعته من الرفاق والاخوان حتى الآن ، من نوع الكلام الذي يمكن أن يقال داخل تنظيم فلسطيني واحد ، كان يمكن ان تكون وجهات النظر هذه متباينة الى حد ما . هي وجهات نظر خلية واحدة في تنظيم واحد ولكن للأسف نحن لسنا حتى الان في تنظيم واحد . ولكننا في تنظيمات متعددة . وهذه في حد ذاتها من عوائق النضال الفلسطيني ، وتصبح كارثة اذا مـا ادى أي خلاف في مواقفنا في هذه المرحلة الى اي انقسام ، لان وحدة الشعب الفلسطيني ووحدة المنظمات النضالية في رأيي هي ما نراهن عليه جميعا ، كعامل ذاتي في تغيير وتطوير الوضع الراهن خطوة أخرى الى الامام .

وأريد أن أقول أيضا أننا ونحن نناقش ، لا يجوز لنا أن ننسى بأننا نمثل شعبا يعيش أوضاعا مختلفة ، متمزقة متفرقة جغرافيا وسياسيا . وأن مهمة القائد المسؤول عندما يتخذ القرار أن لا يتأمل وجدانه وحسب ، وأن لا يحاكم عقله وحسب ، وانما يجب أن يأخذ بعين الاعتبار ما يفكر به وما يسعى الى تحقيقه هذا القطاع أو ذاك القطاع من شعبنا ، آخذين بعين الاعتبار الظروف الموضوعية التي يعاني منها كل قسم من اقسام شعبنا ، حسب المكان الذي يحيا فيه والظرف السياسي الذي يتأثر به ويؤثر فيه .

عندما قلت أنني أرى أننا نعيش في مرحلة ايجابية ، أكون أشارك الرأي ، بشكل أو بآخر ، فيما قاله الاخ الرفيق زهير محسن ، عندما قال اننا أمام مرحلة ، أطلق عليها مرحلة الواقعية ، وهي أننا لسنا في مرحلة رومنسية .

أريد أن أوضح قليلا هنا فأقول ان ما يعرض اليوم ، ان كان ثمة شيء يعرض ، انما هو دليل على ما أنجزته حركة المقاومة في أرضنا السلبية . بالطبع عندما يبدأ الانسان في النضال وعندما يكون مسحوقا ، فانه ملزم برفع الشعارات الكلية الكاملة طالما أن الشعار شعار لا يؤبه اليه . ولكن عندما نمارس ، وعندما نضغط ، وعندما نؤثر ، تبدأ العروض تنهال علينا كما انهالت من قبل على غيرنا من الحركات الثورية . وليست كل هذه العروض بريئة ، بل أنها كلها تستهدف اجهـاض الهدف الاستراتيجـي للثـورة الفلسطينية . ولكن هذا يعني ان مجرد الحديث عـن الشعب الفلسطيني وعن حقوق الشعب الفلسطيني ، وحتى عن دولة فلسطينية ، هو من وجهة نظري نتيجة من نتائج النضال الفلسطيني ، ونتيجة لنضال شعبنا الفلسطيني . ولا أخال أن أية جهة دولية أو عربية كان من الممكن أن تتحدث بأي حل فيه شيء عن فلسطين وشعب فلسطين ، لولا حركة المقاومة ولولا نضال الشعب الفلسطيني .

واعتقد ان حرب تشرين التي تحدث الاخوان كلهم حولها بايجابية ، بشيء من التباين ربما في الدرجة. . . ان هذه الحرب لم تضعنا وحدنا أمام ما يسمى بأزمة، ولكنها وضعت العدو الاسرائيلي كذلك أمام أزمة ، ولعله من المفارقات ان الشعب الفلسطيني وحكومة

اسرائيل والحركة الصهيونية هما الفريقان الوحيـدان اللذان يعانيان الان مما يمكن تسميته بأزمة المرحلة على طريق الهدف الستراتيجي . وكمـا ان اسرائيل وكما ان الصهيونية تريد كامل التراب الفلسطيني بل وما هو أكثر من ذلك ، فانها اليوم ملزمة بشكل او بآخر او محرجة بشكل او بآخر للقبول بتنازلات معينـة . ونحـن كذلك أمام هدفنا الستراتيجي لتحرير كامل التراب ، نشعر اننا أمام قضية مرحلية ملزمين باتخاذ موقف منها . وأرجو أن يؤخذ هذا بعين الاعتبار ونتحسس هذه القضية ، لانها أزمة مرحلة ونتيجة معطيات محددة . وان هذا ليس بالشيء الثـابت ، لان الصورة السياسية في هذه المنطقة بالذات هي صورة ديناميكية ومتحركة وقابلة للتأثر بالعوامل التي تضغط عليها . نحن لسنا أمام نهاية ولسنا أمـام بداية ، نحن في حلقة جديدة ، وسنمر أمام حلقات أخرى ومواقف وأزمات أخرى على طريق التحرير الكامل . ولكن علينا دائما أن نقف في هذه المراحل السياسية الوقفة التي تكون قادرة على استمرارية النضال وأن لا تكون عائقا او جدارا أمام نضالنا من أجل الهدف الاستراتيجي الثابت ، ولنحاول أن ندخل الى شيء من التفصيل .

كلنا يعلم ماذا يدور الان في المنطقة نتيجة لحرب اكتوبر ، وكلنا يعرف الصراع الدائر حول هذه النتائج ، ومحاولات الشد والضغط من هذه الجهة أو تلك الجهة . كل يشد لصالحه ولصالح قضيته وأقول بأسف ان الجهود الامبريالية والجهود الاسرائيلية تبدو لي أنها تسجل ، حتى الآن ، أهدافها بتوفيق أكثر مـن الجانب العربي ومـن الجانب المتحالف معه .

نحن كقيادة فلسطينية لحركة مسؤولة ، لا نستطيـع أن نقف من هذا الذي يجري موقفا سلبيا ، ونقول انه لا يعنينا « ثمة مؤامرة . ولن نلطخ أيدينا فيما يجري » . هذا اذا افترضنا أن ما يجري هو عملية تصفوية عدائية . اننا لا نستطيع أن نحلل أنفسنا من مسؤوليتنا في أن نتحرك ، وفي أن نشارك في تقرير مصير هذا الشعب . لا يجوز ولا بشكل الاكتفاء بالقول بأن هذه مهمة عربيـة . جيوش عربية قاتلت فليذهب ممثلوها السياسيون ، وليروا ماذا يستطيعون ان يفعلوا لننتظر بعـد ذلك ما يترتب على هذا الموقف ، لنأخذ بموقف لفظي ينتقد هذه النتائج .

ان هذا موقف مؤرخ وليس موقف مناضل سياسي ومناضل ثوري . وهذا يعني كما سبق أن قلت في أكثر من مناسبة ، أن المشاركة في تقرير مصيرنا لا يعني أن نشترك في مؤتمر أو في مفاوضات محددة بالفعل . ولكن قد تكون قيمة المشاركة في أن لا نشترك ، وقد تكون في أن نذهب وان نعرقل ، أو في أن نتخذ القرار الذي نجد أنه القرار الاكثر صلاحية ، والاكثر قدرة على الفعل في مستقبل القضية الفلسطينية .

نأتي الى موضوع الضفة الغربية وقطاع غزة . أعرف كما يعرف الجميع انه ليس هنالك من عرض علينا . ولكن أعرف كما يعرف الجميع انه ثمة امكانيات ، ونتيجة لحرب اكتوبر ، وللضغوط والضغوط المضادة ، هنالك شيء اسمه الارض العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ ، هذه الارض .. ما مصيرها ؟ من سيقرر مصير قطاع غـزة ومصير الضفـة الغربية ومصير شعبنا هناك وشعبنا هنا ؟ أعرف أنه لا يمكن أن تقدم لنا هذه الاراضي بقرار من مؤتمر جنيف . ولا يمكن اعطاؤنا صكا لاقامة سلطة وطنية . ولكني أعرف أن مهمتنا النضالية هي أن تعود هذه الارض لشعبها ، وان تحكم هذه الارض سلطة وطنية تكون حليفة للمقاومة أو جزءا من المقاومة ، قادرة بشكل من الاشكال على استئناف النضال . هذا غير ممكن ؟ ربما . ولكن المطالبة به ، هل هي أمر خطأ أم لا ؟ وانا من الراغبين بالفعل في احباط اية تسوية تصفوية ، أتأمل في بعض الاحيان أيهما اكثر قدرة على احباط التسوية وافشالها ؟ أن نقول أننا لن نسمح لأية جهة بأن تحكم أرضنا وشعبنا

في غزة وفي الضفة الغربية ، الا سلطة وطنية ، أم نكتفي بالقول ان هذا الامر لا يعنينا ، ولتعد الامور الى ما كانت عليه ؟ ايهما يفشل مؤتمر جنيف من هذه الناحية بالذات : المطالبة بالسلطة الوطنية ؟ أم الاكتفاء بالقول ان المقاومة غير معنية كما صدر ذات يوم عن اللجنة التنفيذية حول هذا الذي يجري؟هذا لا يعني بالضرورة ان يذهب فلان أو فلان، هذا التنظيم أو ذاك التنظيم ، ولكن على صعيد الدعاية ، على صعيد القول ، على صعيد القرار السياسي أيهما يفشل مؤتمر جنيف أكثر ، الاصرار على حقنا في أرضنا عام ٦٧ دون أي تنازل عن حقنا التاريخي أم الاكتفاء بموقف يقول ان هذا المؤتمر وما يترتب عليه لا يعنينا على الاطلاق ؟ ثم أريد أن أسأل بالفعل وبصدق اذا نحن اضطررنا لموقف يتناقض مع موقف سوريا ومصر بالذات ، ماذا يترتب على هذا التناقض ؟ الحدود الآمنة التي يخشى البعض أن نوقع نحن عليها مضمونة بقرار سوري وبقرار مصري فيما لو وافقت سوريا ومصر على ذلك . ساعتئذ ، هذا يعني اننا أمام صراع مع دولتين هامتين من دول المجابهة العربية . ولدي الاحساس بأن وراء هاتين الدولتين وما سيخرج عنه هذا المؤتمر دولا عربية كثيرة : ربما يقول قائل ان هنالك دولا رافضة ، وأنا أقول أن هذا صحيح ، ولكن علينا أن نعرف المتغيرات الطارئة في الوطن العربي . كنا بالامس نتحدث عن دولتين رافضتين احداهما اليوم أصبحت جزءا من الجمهورية العربية الاسلامية برئاسة الزعيم الحبيب بورقيبة صاحب المواقف المشهورة من قضية التحرير الكامل . فأنا لا أقول ان هذا يعني ان لا نعارض على الاطلاق ، ولكن أقول ان هنالك اعتبارات يجب أن تبقى نصب أعيننا ونحن نقرر الموقف .

لقد تعرضنا في عام ١٩٧٠ لتجربة دموية كبيرة ، ودون أن يؤخذ كلامي على أنه تجريح لاي نظام عربي ، الا أننا ذبحنا ولم نستطع الا أن نقبل هذه المذبحة . ربما لو أعدنا النظر في موقفنا عام ١٩٧٠ ربما نكون قد اتخذنا اجراءات أخرى ومواقف أخرى ، كان من الممكن أن تؤدي الى تأجيل المذبحة أو على الاقل عدم ضرب حركة المقاومة هذه الضربة الساحقة في أهم ساحة من ساحاتها . كلنا يعرف ان تحرير كامل التراب الفلسطيني قضية لا تناقش في المؤتمر . التحرير قضية فعل . التحرير الكامل واعلان ازالة الدولة العنصرية سيصدر عن ثائر عربي في مؤتمر صحفي يعقده في تل أبيب بعد تصفية الوجود العسكري الاسرائيلي . ولكن الى أن نصل الى هذا نحن أمام مراحل ، وهل من قضية تحرير تمت في معركة واحدة !

ان التفكير الفلسطيني بامكانية ازالة دولة اسرائيل بعملية حربية واحدة ، هو تفكير موروث عن فكرنا السابق عندما كانت هنالك امكانية لنظام عربي ما أن يضرب اسرائيل ضربة واحدة ويزيلها من هذا الوجود . في تقديري ان الموقف تعقد لاسباب كلنا يدركها . واصبحت قضية التحرير مضطرة لان تمر على طريق هدفها الاستراتيجي في مراحل متعددة . حتى اصدق أصدقائنا السوفييت كما أشار الدكتور جورج حبش ، يعتمدون هذا الموقف السياسي او الحل السياسي . ولكن ، أنا أؤمن بأن الحوار ضروري مع السوفييت ، ويجب أن يستمر . وبكل تواضع ، كنت مع اخواني الذين جاهدوا في سبيل اقامة علاقة بين المعسكر الاشتراكي وحركة المقاومة ، ولكن في اطار المرحلة ، نحن نعرف انه لا يمكن الا نتيجة لتغيرات نحدثها نحن في المنطقة ، أن نغير في المواقف الدولية . ولكن اذا قلنا الان « لا » حتى للحلول التي يتقدم بها أصدقاؤنا ووقفنا موقفا عدائيا وغير موفق في اخراجه فهذا يعني أننا أصبحنا ، كشعب وحركة وطنية ، ملزمين بالصراع ضد جميع شعوب ودول العالم .

هل هذا الكلام الذي سقته حتى الآن يعني انني أريد الذهاب الى جنيف ؟ وانني أريد الدولة الفلسطينية ؟ وأنه لا ارادة لي سوى الذهاب والتوقيع على ما هو جار ؟ في خيالي

السياسي أعتقد اننا ملزمون باتخاذ قرار فيه كل الحنكة السياسية ، والتعامل مع هذه المرحلة بذكاء سياسي وتكتيك مرن ، يشعر الاصدقاء ممن نختلف معهم في التقدير بأننا نرى أكثر منهم ، وان المستقبل ، من خلال تحرك الاحداث ، سيصبح أقرب لنظرتنا. وأن نعزل العدو ومن مع العدو أكثر فأكثر على الساحة الدولية . وأكثر من ذلك أريد لجماهيرنا العربية ولجماهيرنا الفلسطينيــة بالذات ولا سيما في قطــاع غزة والضفة الغربية أن لا تشعر أننا نحرمها من امكانية حل ، هو في رأيي غير قائم وغير وارد ، فاننا نحاول ، ومن خلال هذه المحاولة التي نتأكد من عدم نجاحها سلفا ، نثبت لهذه الجماهير ، أنه ليس أمامها الا الاستمرار في مسيرة الثورة وفي حمل البنادق بدلا من حمل المشاعل كما أشار الاخ جورج حبش انهم في الضفة الغربية يحضرون المشاعل ظنا منهم ان القضية قضية الانفراج على الابواب. فاذا وقفنا وقلنا « لا » فقط وشجبنا فقط ، ولم نترك لشجبنا وتنديدنا أن يأخذا صفة التحرك ، وحك المواقف ، أنا أعتقد أننا نكون على الصعيد الاعلامي والتعبوي لجماهيرنا التي هي في النهاية رصيدنا الثوري الاول والاخير خسرنا كثيرا .

قد أكون من المتفائلين ، ولكنني مما سمعت من الاخوة المسؤولين في فصائل المقاومة، بغض النظر عن اللغات المختلفة وعن التعابير المختلفة نسبيا ، أرى أننا بالفعل قادرون على اتخاذ الموقف السياسي الثوري الكفيل بأن يضع غيرنا في الازمة ، بدلا من أن نشعر اننا نحن في أزمة . وكما قال أخي محمود درويش بعد استماعه الى احاديث الاخوة انه ليس الضمير الفلسطيني موضع المناقشة انما هي قدرة العقل الفلسطيني على الخروج من مرحلة الى مرحلة ، بأحسن الاجتهادات الممكنة على طريق تحقيق أهدافه المشروعة.

نايف حواتمه :

في حديثــي الاول ، أردت أن أقدم مدخــلا للحوار ، ممــا حجب عني امكانيــة مناقشة آراء الاخوان في الجولة الاولى ، الان سأحاول جاهدا ، الاختزال معتذرا سلفا اذا تجاوزت قليلا .

في الجولة الاولى اتضح ان جميع الاخوة حددوا طبيعة المتغيرات التــي وقعت في المنطقة وفي العالم بعد حرب تشرين ، وكان هناك التقاء واسع ، بين الجميع بأن المرحلة الراهنة التي نعيشها تفتح امكانات التسوية السياسية والتباين الذي كان قائما،هو حجم هذه الامكانيات . بعضنا يعتبر حجم هذه الامكانيات ضمن حدود، والبعض الآخر يعتبرها قادمة وعلى حد تعبير الاخ جورج ان اطار التسوية جارف بفعل الارادة الدولية . وفي تقديري ان عملية التسوية احتمــالاتها آتية وبشكل كبــير . وقد أوضحت ان هناك عقبات وتناقضات نسبية تقف في طريق هذه التسوية، مما يعطل انجازها سريعا فيجعلها تأخذ مدى زمنيا ربما يستغرق عاما او عامين وربما أكثر من ذلك .

هذه التسوية بفعل مجموع المعطيات التي أفرزتها حرب تشرين ، بحكم معرفتنا لحركة التاريخ ووقائعه ، هي بالضرورة تعبير عن هدنة مؤقتة ، ربما تكون طويلة نسبيا على صعيد الصراع العربي الاسرائيلي . ومهما كان شكل التسوية، سواء أخذت صيغة الحل الاستسلامي التصفوي الاميركي الصهيوني الهاشمي ، أو صيغة التسوية العربية التي تتضمن الانسحاب الكامل من الاراضي التي احتلت عــام ٦٧ مهما كانت صيغة هــذه التسوية بهذا الشكل أو ذاك، فهي بالتأكيد تعبير عن هدنة مؤقتة ربما طويلة ليس اكثر. أي لا يمكن أن تؤدي الى تصفية نهائية للقضية الفلسطينية الممثلة في الصراع الفلسطيني والعربي الاسرائيلي ، فجميع أشكال التسويات في هذا العالم كتبت بالقلم ولكنها وليدة حد السيف . وواقع التاريخ يخبرنا كما قال الشاعر دائما بأن « السيف أصدق انباء من

الكتب » . فليس هناك من تسويات متناقضة مع حركة التطور التاريخي تتخذ طابعا خالدا . فجميع التسويات وما يترتب عليها من مواثيق ومعاهدات ستكون بالضرورة معرضة للتمزيق في اللحظة التي يختل فيها ميزان القوى بين الارادات المتصارعة ، ارادات الشعوب المظلومة والشعوب الظالمة والقوميات الظالمة والمظلومة والطبقات المظلومة والطبقات الظالمة . وبما ان حالة التسوية ستقع في المنطقة اذا لم نتمكن من احباطها فستحمل بالضرورة اشتراطات متقابلة يستفيد منها العدو الصهيوني مثل معاهدة سلام ، انهاء حالة الحرب ، فان هذه الاشتراطات تكرس موقتا وجودا صهيونيا قام على القهر والاغتصاب القومي والطبقي في مرحلة تاريخية سابقة. ان شعوب المنطقة سترفض هذه العملية بالضرورة على المدى القريب والمتوسط والبعيد . وحركة الصراع في المنطقة ستأخذ مجراها للاخلال بميزان القوى من جديد لصالح حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية ، لتلغي هذه الاتفاقات وتمزقها بحد السيف مرة أخرى ، لان الوجود الصهيوني على أرض فلسطين هو وجود كولونيالي استيطاني عنصري توسعي ووليد ائتلاف بين الحركة الصهيونية وبين الرأسمالية في المرحلة الكولونيالية .

النقطة الاخرى حول التسوية ايضا : ولدت اسرائيل المعززة بايديولوجية توسعية عنصرية محصلة لمرحلة تاريخية بكاملها ونتيجة للتزاوج بين الحركة الصهيونية الاستيطانية الكولونيالية وبين مرحلة الرأسمالية الكولونيالية. وكان ميزان القوى في هذه المرحلة التاريخية مختلا لصالح قوى الاستعمار والصهيونية عالميا ، وفي منطقتنا العربية كان مختلا اختلالا واسعا لصالح الصهيونية والامبريالية . فالمنطقة العربية كانت بمجموعها خاضعة للكولونيالية العالمية وبمجموعها تحكمها انظمة طبقية اقطاعية كمبرادورية . منطقتنا العربية بمجموعها لم تنهض بعد من مرحلة الانحطاط الطويلة التي ورثناها منذ غزوة التتار مرورا بالعهد العثماني انتهاء مع نهاية القرن العشرين . في ظل هذه المرحلة ولدت دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ومارست دولة اسرائيل توسعا جديدا بعد عام ٤٨ . ففي عام ٤٩ النقب ، ٥١ ايلات. . الخ. وبدأت المنطقة تشهد تغيرا ملموسا متراكما كما بدأ العالم بمجموعه يشهد عملية ثورية متراكمة تسير باتجاه معاكس ومتصادم مع المرحلة التاريخية التي ولدت فيها دولة اسرائيل ، باتجاه الصراع الذي يلحق هزائم يوما بعد يوم ومتتالية بالامبريالية بالرجعية الدولية بالكيانات العنصرية وفي منطقتنا يلحق هزائم يوما بعد يوم بالامبريالية بالانظمة الاقطاعية الكمبرادورية والرجعية المحلية،وبتعبئة شاملة ضد الكيان الصهيوني العنصري الاستيطانيالتوسعي.

ثالثا : ان هذه المرحلة التي نشهدها ستتنامى بالضرورة لاننا نعيش مرحلة تاريخية كما قلت متناقضة مع المرحلة التاريخية التي ولدت فيها دولة اسرائيل . وكلنا على ما أعتقد متفقون على أنها مرحلة انحسار الامبريالية وانتقال العالم من الرأسمالية الى الاشتراكية وانتصار حركات التحرر الوطني في العالم .

رابعا : هذه المرحلة فيها لشعب فلسطين والشعوب العربية دور ذاتي فاعل في منطقتنا بمتابعة الصراع ولالحاق الهزيمة من موقع المكان والزمان الذي نعيش فيه وتعيش الشعوب العربية فيه ، بالامبريالية ، بالرجعيات المحلية، بالقوى اليمينية . وكل هذا له دور فاعل على صعيد الصراع مع الكيان الصهيوني . كما ان هذه المرحلة تمكنت حديثا جدا من أن ينتزع او ان يخرج منها في ظل اصرار شعب فلسطين على انتزاع دوره الخاص دورا خاصا فعلا على صعيد الصراع الفلسطيني ـــ الاسرائيلي الصهيوني ، والعربي ـــ الصهيوني .

أردت بهذه الملاحظة ان اقول بوضوح مهما كان شكل التسوية ، اذا لم نتمكن من احباط التسويات التي تتم على حساب حقوق شعب فلسطين المباشرة والتاريخية ، فهي

بالتأكيد ليست بأكثر من هدنة مؤقتة ربما تطول نسبيا بفعل قوانين الصراع الجدلية والديناميكية الجارية في هذه المنطقة وفي هذا العالم . وفعلا استطاع رجل برجوازي عصري مثل بومبيدو ان يلتقط هذه المسألة من بعيد ، بينما غابت هذه المسألة عن الكثيرين من القائلين بالماركسية والتقدميين والديموقراطيين العرب عندما قال في تصريحه الاخير بأن اي تسوية في المنطقة هي في تقديره ليست بأكثر من هدنة مؤقتة لان شعوب المنطقة سترفضها . لم يحدد لماذا سترفضها لكننا نحدد لماذا سترفضها ، لان هذه التسوية ثبتت مؤقتا أوضاعا أمنية متعايشة بين المنطقة العربية ودولة اسرائيل .

أمام احتمالات التسوية قلنا جميعا ان هناك اشكالا من التسوية . ثم هناك ثمن لهذه التسوية ، اذا تمت بالمضمون الامبركي الصهيوني الهاشمي او بالمضمون المصري او المضمون المصري السوري السوفياتي . لكل شكل متباين من أشكال التسوية نتائج متباينة . مع ذلك قلنا بأن هناك عقبات امام هذه التسوية . عقبات وليدة التصادم بين حركة شعب فلسطين وارادتها في تحرير كامل التراب الفلسطيني والوجود الوطني وبين المشروع الصهيوني الاستيطاني الكولونيالي. تناقضات بين الحل الامريكي الصهيوني الهاشمي والحل السوفياتي المصري وربما السوري وحتى تناقضات بين الحل الامريكي الصهيوني الهاشمي والحل الثنائي المصري . هذه التناقضات فعلا موجودة . ولذا علينا أن نحدد بدقة ووضوح كيف يمكن استثمار مجموع هذه التناقضات وتوظيفها في صالح الموقف الوطني والثوري الفلسطيني والعربي دون ان نعلق اوهاما على حجم هذه التناقضات بل نضعها ضمن اطارها فعلا وكيف نستثمرها . التناقضات المصرية مع الحل الامريكي الصهيوني الهاشمي يمكن ان تتعاظم اذا صلب الاتجاه الوطني في مصر المتعاكس مع الاختراق السياسي الامريكي في مصر ، حتى لا يصبح كيسنجر هو بطل العبور الامريكي الى مصر وهذا يتطلب بالضرورة تضامنا من جميع القوى الوطنية والثورية الفلسطينية والعربية مع الاتجاه الوطني ضد التسويات الثنائية . وللنضال المشترك من أجل دحر الحل الامريكي الصهيوني الهاشمي . واذا أمكن تطوير الموقف المصري الى مرتبة ارقى ، كيف يمكن أن يستثمر التناقض السوري مع الحل الثنائي ومع الحل الامريكي الصهيوني الهاشمي ، لان الموقف السوري الذي كما فهمت من الاخ جورج اعتبره في نهاية المطاف في حديثه أقرب الى كونه حجر الزاوية في الاعتماد عليه لاستخلاص موقف . الموقف السوري ليس في موقع الرفض المطلق ، الموقف السوري هو بالضبط في موقع نعم ولكن . وهذا شكل من أشكال الموافقة المشروطة بموقع نعم للتسوية حسب قرار ٢٤٢ و ٣٣٨ و ٣٣٩ ونعم لمؤتمر جنيف ولكن التسوية على أساس الانسحاب الشامل من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ والمحافظة على حقوق الشعب الفلسطيني دون تحديد حقوق الشعب الفلسطيني . كذلك الحال من مؤتمر جنيف وآخرها تصريحات وزير الاعلام السوري لمجلة البلاغ اللبنانية الذي يقول ان موقفنا هو الذهاب في ظل الاشتراطات التالية الذي تلخيصه نعم ولكن . مع ذلك كيف علينا ان نستثمر هذا الموقف من أجل تطويره . ومن هنا كانت تحيتنا للموقف السوري باتجاه النضال المشترك ، ومن أجل تصليبه . كيف يمكن ان نستثمر لصالح الموقف الوطني الفلسطيني الثوري والعربي اية مواقف عربية أخرى تتخذ مواقف عملية في صالح تصليب القوى الوطنية في مصر والموقف الوطني السوري ضد اية اتجاهات اخرى وفي صالح التضامن مع الموقف الفلسطيني في وجه وأمام التسوية الاستسلامية المحتملة .

بالتأكيد لسنا نحن وحدنا المطالبين بوضع الاجابة على تساؤل ما العمل تجاه مجموع هذه المتغيرات التي اعترفنا جميعا بوجودها لمجموع حركة التحرر الوطني العربي لكننا مطالبون بالمساهمة في الاجابة على ما العمل ، وقبل هذا نحن مطالبون بالاجابة ذاتيا

على ما العمل لنحدد موقفنا ودورنا امام مجموع هذه التحديات والمتغيرات . هنا يصبح مؤتمر جنيف نتيجة وليس جوهرا ولا يصبح مؤتمر جنيف بداية المرحلة القادمة ولا أحد معالمها البارزة ، فهو ميدان لها ، اذ ان جوهر الصراع ليس مؤتمر جنيف ، جوهر الصراع بالضبط امام هذه المتغيرات واحتمالات التسوية ... أين موقع الشعب الفلسطيني وأين موقع حركة التحرر الوطني العربية امام مجموع هذه الاوضاع ؟

هنا في الموقع الفلسطيني عندما نصر عليه ليجيب بوضوح على ما العمل حتى نحدد بالضبط دور العامل الذاتي الفلسطيني ، الذي يضع الثورة والشعب الفلسطيني في موقع دائرة الفعل المباشر التاريخي ، في مجموع هذه الاوضاع . وهنا فعلا عندما تتحدد الاجابة على ما العمل لنحدد دور العامل الذاتي ضمن اطار دائرة الفعل المباشر والتاريخي ، تصبح التحالفات العربية والدولية قوى تستثمر لمساندة موقفنا ، ولا نصبح أسرى لهذه التحالفات . بينما اذا غاب التحديد في دور العامل الذاتي للثورة ولشعبنا سنجد أنفسنا خطوة خطوة اسرى للتحالفات وبرامجها وليس العكس . وعندما نحدد دورنا لا يضيرنا عندئذ التباين الواقع بيننا وبين قوى عربية وطنية ، فالفواصل تصبح محددة بالضبط ، ولا يضيرنا التباين بيننا وبين الاصدقاء كالاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الاخرى مثلا ، او بلدان عدم الانحياز او افريقيا ، اذ أن الفواصل قد تكون محددة بيننا وبين الاصدقاء . نلتقي على ما يمكن الالتقاء عليه من قاسم مشترك ، ضمن اطار دائرة ما العمل ، التي نحددها نحن . اما ما هو خارج اطار القاسم المشترك من قضايا خلاف نحلها بمزيد من الحوار والصراع الديموقراطي . وبهذا نخرج انفسنا من دائرة رد الفعل وليس الفعل . ونخرج أنفسنا من دائرة الوقوع أسرى التحالفات ، بينما المفروض تجنيد هذه التحالفات وتوظيفها على أقصى مدى ممكن .

نستطيع ان نقف ونقول بوضوح ان قرارنا هو كذا وفعلنا هو كذا ، ونحن نطالب مساندتكم وتضامنكم معنا ضمن هذا الاطار ، وبالتأكيد سنجد اشكالا من المساندة ترتقي في مستواها بارتقاء فعلنا ودورنا في ذلك .

للاجابة على تساؤل ما العمل في هذه المرحلة ، علينا أن نحدد بوضوح الحلقة المركزية لنضال شعبنا وثورتنا في هذه المرحلة ، حتى لا يقع بنا ما وقع في تجارب الحركة الوطنية الفلسطينية على امتداد السبعين عاما الماضية ، اذ ان الخطأ ليس في رفض شعبنا لجميع اشكال الوجود الصهيوني في فلسطين وفي رفض النتائج المترتبة على ٤٧ و٤٨ او المترتبة على ٦٧ ، فقد كان الحس العفوي لدى الشعوب العربية ومنها شعبنا حسا صائبا وصحيحا في الرفض الدائم للامبريالية والاستعمار وللرجعيات العربية ورفض دائم للكيان الاستيطاني الصهيوني الكولونيالي التوسعي . وهذا الرفض وان شابه شيء من اليأس في هزيمة حزيران ، الا ان جماهير امتنا لم تتخل عنه ، ولها من تراثها في النضال ضد الغزوات المعادية ومن تراثها الديني ، ولها من تاريخها ومن ثقتها بأنها في موقع التصادم الدائم مع الصهيونية مع الامبريالية مع الرجعية ، ما يعطيها باستمرار الحوافز لاستمرار موقف التصادم مع القوى المضادة للشعب الفلسطيني ولشعوب أمتنا العربية .

ومن هنا أعطت حرب تشرين لشعبنا حوافز جديدة ثبتت أمام شعبنا وشعوب أمتنا العربية الموقف المبدئي من الكيان الصهيوني ، وبأن هذا الكيان الذي ولد في مرحلة تاريخية كولونيالية معينة فقد دخل العالم مرحلة تاريخية متعاكسة معه . وعلينا أن نفعل ذاتيا في هذه المرحلة الجديدة حتى نختزل العملية التاريخية ولا نستسلم للحتمية التاريخية. كما حملت الحرب جديدا على هذا الصعيد داخل المجتمع الاسرائيلي، تفترض أشكالا أولية من المراجعة للايديولوجية الصهيونية وحتى نتائج الانتخابات في اسرائيل

تدلل على هذا وكأنها شكل من أشكال المراجعة : انتصار تكتل ليكود شكل من اشكال المراجعة فان ليكود اخذ من الجيش الاسرائيلي عشرين الف صوت زيادة عن المعراخ لان المؤسسة العسكرية لا زالت أسيرة لمجموع أوهامها وأطماعها الصهيونية التوسعية . وحتى استعداد التكتل الحاكم للقبول بالتسوية هو في أحد وجوهه شكل من أشكال المراجعة عن برنامجه قبل تشرين المعروف ببرنامج غاليلي . بالتأكيد هذه العملية ستنمو اكثر فأكثر وتأخذ مظاهر متعددة منها الدراسة التي أقدمت عليها دائرة التعليم في اسرائيل . منها كسب راكاح على سبيل المثال مقعدا جديدا ليست قيمته الحقيقية بالمقعد الجديد ولكن قيمته بالتوجه . لكن هذه العملية بطيئة جدا في اسرائيل نظرا لتغلغل الايديولوجية الصهيونية في صلب كافة طبقات المجتمع في اسرائيل . منها الاصوات الخافتة التي بدأت تظهر بحزب العمل مثل الياف ومثل أهارون من الهستدروت التي تقول بالاعتراف بوجود شعب فلسطين ، وموقف التنكر الكامل لوجود شعب فلسطين ليس صحيحا . لكن تبقى هذه الاصوات خافتة . وهذه كلها بذور لمراجعة داخل اسرائيل للايديولوجية الصهيونية الكولونيالية التي يقابلها موقف ازداد قناعة وتماسكا بصفوف الجماهير الفلسطينية والعربية ضد الايديولوجية الصهيونية الاستعمارية ومجموع المشروع الصهيوني الاستيطاني التوسعي في وطننا .

ولكن المعضلة ليست هنا . المعضلة في الحركة الوطنية الفلسطينية على امتداد تاريخها انها افتقدت الى تحديد الحلقة المركزية في كل مرحلة من مراحل النضال ، وبقيت تراوح عند تحديد الموقف الاستراتيجي المبدئي العام وحتى الآن . وسأوضح هذه النقطة بايجاز شديد . قبل ٤٨ لم تحدد قيادة الحركة الوطنية على امتداد تاريخها الحلقة المركزية في النضال في تلك المرحلة بأنها مرحلة صراع ضد الانتداب البريطاني من أجل طرده واعتباره هو الاصل ، والكفيل عند طرده بحل مشكلة الهجرة اليهودية . فصرفت أنظار الجماهير الفلسطينية بشكل اساسي الى الصراع ضد الهجرة وليس ضد الانتداب ، الذي هو الاصل ، مما جعل طاقات الشعب تتبدد في صراعات من المرتبة الثانية بدلا من ان تصب وتوحد وتتوحد في دائرة الحلقة المركزية للصراع ضد الانتداب ، بينما اتخذت قيادة الحركة الوطنية سياسة المهادنة والمساومة الدائمة مع الانتداب البريطاني وليس تشديد الصراع ضد الانتداب البريطاني ، مما جعلت النضال يتم على الجبهة الثانية وليس الجبهة الاصل في الصراع كما ارتكبت ايضا خطأها ثانية بافتقاد الحلقة المركزية عشية قرار التقسيم عندما رفضت مشروع الدولة الديموقراطية الفلسطينية ، اذ كانت تطالب في حينه بدولة فلسطينية عربية نقية وتجمعات الهجرة اليهودية التي دخلت يجب ان تخرج أولا ولا يبقى الا الذين كانوا قبل وعد بلفور . ونحن الان بعد ٢٥ عاما نناضل من أجل تنفيذ وانجاز ما رفضته قيادة الحركة الوطنية قبل ٢٥ عاما .

مرة اخرى بعد ٤٨ فقدت الحركة الوطنية الفلسطينية تحديد الحلقة المركزية للنضال في ظل المعطيات الجديدة التي تشكلت بعد ٤٨ والمترتبة على قيام دولة اسرائيل وعمليات الالحاق التي تمت للاراضي الفلسطينية بالدول العربية المجاورة ، زائد التعامل مع تجمعات الشتات كلاجئين وضيوف . مرة اخرى الحركة الوطنية فقدت الحلقة المركزية حيث كان يجب ان تصر على دور الشخصية الفلسطينية المتميزة ضمن الاطار القومي العام ، كما هي الحال بالنسبة للشعب السوري او اللبناني او العراقي او المصري او أي شعب عربي آخر . اذ ان لشعب فلسطين دورا وطنيا خاصا ضمن اطار الدور القومي العام . ووجدت نفسها امام معطيات ٤٨ تصل الى مرحلة فقدان التوازن وانعدام الوزن بذات الوقت ، وتنخرط نتيجة لهذه الاوضاع ايديولوجيا وسياسيا

وتنظيميا في صفوف حركة التحرر الوطني العربية كليا ملغية تماما الشخصية الوطنية المستقلة الخاصة بالشعب الفلسطيني متجاوبة بذلك عمليا وموضوعيا مع عملية الالغاء التي قامت بها الرجعية العربية للوجود الوطني الفلسطيني المستقل بعد عام ٤٨ .

وبقي هذا الوضع قائما من ٤٨ حتى ٦٤ ، فجميع طلائع شعبنا انخرطت بالحركات القومية والوطنية العربية ومنهم الجسم الاساسي بالجبهة الديموقراطية الان ايضا كانوا منخرطين في مجموع الحركات القومية في ظل تغييب الدور الخاص الوطني الفلسطيني على صعيد الصراع مع اسرائيل وعلى صعيد الصراع من أجل قضية التحرر الوطنية ضمن الاطار القومي العام . ومن هنا نستطيع ان نعتبر بأن محاولة عبد الناصر عام ٦٤ تشكيل منظمة التحرير ليست عملية تحلل من الدور القومي والالتزام القومي بل محاولة تصحيح ومن منظور عبد الناصر لعملية التزاوج الجدلية والديناميكية بين الدور الخاص للشعب الفلسطيني على صعيد الصراع مع اسرائيل والدور الوطني ضمن الاطار القومي، كما هو الحال بالنسبة لاي شعب آخر من الشعوب العربية . هذه المحاولة من عبد الناصر فرضت على جميع الحركات القومية والحركات الوطنية العربية مرة اخرى أن تبدأ بمراجعة للتفتيش عن الدور الخاص للشعب الفلسطيني . وهذا الذي دفع حزب البعث في مؤتمره السادس ان يخرج بقرار عام ٦٤ بضرورة تحويل هذه الشخصية السياسية الفلسطينية متمثلة بمنظمة التحرير الى مضمون مادي حسي ، والمطالبة بأن تقع وتسقط على ارض فلسطينية أي على ارض الضفة الغربية وقطاع غزة ومنطقة الحمة . وحمل وفد حزب البعث في حينه للمجلس الوطني الفلسطيني الاول الذي انعقد في القدس هذا الموقف ، ليطالب بتحويل هذه المسألة الى قضية مادية حسية، وتشكيل كيان فلسطيني وطني مستقل على ارض الضفة الغربية وقطاع غزة والحمة ، وانهاء عمليات الالحاق التي تمت للاراضي الفلسطينية . وهذا الذي دفع ايضا حركة القوميين العرب في حينه ان تبدأ بمراجعة التفكير بالدور الخاص لشعب فلسطين مما دفعها لبداية تشكيل فرع فلسطين في العمل الحزبي . وهذا الذي دفع فتح ، وان كانت بدايتها سابقة على ٦٤ ، ان تبحث أطاراتها القيادية بالدور الخاص للشعب الفلسطيني بعد مرحلة تغييب الحلقة المركزية في تحديد الدور الخاص مما أدى الى انطلاقة ١/١/٦٥ التي أعطت بالاضافة الى ولادة منظمة التحرير بداية تشكل الشخصية الوطنية الفلسطينية والدور الخاص بالشعب الفلسطيني . جاءت العملية متأخرة صحيح . وجاءت ظروف ٦٧ حزيران لتمكن هذه المحاولات الاولية أن تأخذ مداها في ظل الهزيمة ، وفي ظل حالة اللاسلم واللاحرب تبلورت الشخصية الوطنية الفلسطينية . لكن قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية لم تتمكن بعد هذا من ان تستكشف الحلقة المركزية الجديدة المطلوبة ، بعد ان انجزت هذه الحلقة في تلك المرحلة ، والتي تمكنها من ان تجعل عملية التحرير واستراتيجية التحرير قضية في متناول اليد ، قضية يمكن انجازها بانجاز مراحل منها ، قضية يمكن حل الحلقة الاولى ضمن حلقات هذه الاستراتيجية ، استراتيجية تحرير كامل التراب الوطني حيث كان مطروحا على الحركة الوطنية الفلسطينية ان تستكشف بدقة ان الحلقة المركزية المطلوبة منها في تلك المرحلة هي اسقاط النظام الاردني ، هذا النظام في الاردن الذي لم نتمكن من الاجماع على ضرورة اسقاطه الا بعد تموز ٧١ وبعد خراب جرش . قبلها لم نتمكن من الاجماع على هذا الموقف وكان يثار بوجه من يقول بأن هذه الحلقة المركزية التي تجعلنا نقترب خطوة ضمن حلقات استراتيجية التحرير الشامل ... كان يقال في حينها ان الثورة لا تستلم سلطة اذا استلمت سلطة تنتهي ، تماما نفس الموضوعات التي تقال الان عن مصير الضفة الغربية وقطاع غزة . وكان يقال في حينها ان شرق الاردن ليس لديه المقومات الاقتصادية حتى يعيش ، واذا اسقطنا النظام ، سنتورط بالمشكلات

الاقتصادية ، وكان يقال في حينها ان اسرائيل ستحتل الضفة الشرقية في حال سقوط هذا النظام وبالتالي علـى طريقة « اللي راح عالجامـع لاقاه مسكر تللو ايجت منك ما ايجت مني » . نفس الموضوعات التي تثار الان حول مصير الاراضي المحتلة . ولماذا هذه هي الحلقة المركزية ؟ لان الوضع في الاردن له خصوصية بالنسبة لشعبنا ، مختلفة عن سوريا او العراق او مصر او اي بلد عربي آخـر ، حيث حدث اندماج الحاقي . واكثرية هذا التكوين الجديد من الشعب الفلسطيني ، من هنا خطأ مـا كان يطرحه منظرو النظام الاردني بأنه مستعد للتعامل مع الثورة الفلسطينية كما تتعامل سوريا ومصر او اي بلد عربي آخر . هذا الخطأ مصدره بالاصل تغييب ان الوضع في الاردن مختلف عن الوضع في أي قطر عربي آخر بالنسبة لشعب فلسطين ، انطلاقا من موقع الاندماج الذي وقع وهو اندماج الحاقي ، ولكن وقع .

نحن الان مرة اخرى امام الاجابة على التساؤل ما العمل ؟ وضرورة تحديد الحلقة المركزية الآن ، ضرورة فورية ومباشرة حتى نستطيع فعلا النضال ، من أجل احباط المشروع والحل الاستسلامي الاميركي الصهيوني الهاشمي ، والقائم على عدم العودة الى حدود ٤ حزيران ــ رفض أي وجود وطني مستقل للشعب الفلسطيني ــ توسع جغرافي لاسرائيل ــ مشروع المملكة المتحدة هذا اولا ، وثانيا ما يمكننـا فعلا مـن النضال ضد أية تسوية عربية تقوم على تصفية القضية الفلسطينية ، وهي تصفية بالضرورة مؤقتة لن تكون دائمة ، اذا نحن فهمنا حركة التاريخ وتطورها والفعل فيها ، أو تقوم على طمس الشخصية الوطنيـة الفلسطينية ، وتقـوم على حساب الشعب الفلسطيني ، ومكاسبه وحقوقه المباشرة والتاريخية . ان تحديد الحلقة المركزية تمكننا ايضا من مراكمة مجموع القوى الوطنية والثورية العربية للنضال معنا ، ويمكننا من تصليب الموقف والاتجاه الوطني في مصـر وسوريا ، هنـا فعلا علامـات فارقة في تحديد الحلقة المركزية والاجابة على ما العمل ، عالم يتخذ موقف الرفض السلبي ، لكل ما هو قائم ويكتفي بهذا الموقف دون تحديد المهمات الراهنة والمباشرة المطروحة على شعبنا ، بشكل ملموس . وعالم يقول انني انطلق من مواقع الرفض الثوري الملموس ولذا أحدد المهمات الراهنة والمباشرة . وما هي الحلقة المركزية في هذه المهمات الراهنة والمباشرة ، لاننا لا نعالج قضية على المدى المتوسط والبعيد . نحن نعالج قضية مطروحة على المدى المباشر والقريب . والكل أجمع في الجولة الاولى من المناقشة بأن احتمالات التسوية كبيرة طبقا للمتغيرات التي نشأت عن تشرين . وبعضنا قال ان قطار التسوية جارف ، انطلاقا من ذات المعطيات . اذا نحن نعالج مشكلة مباشرة وراهنة ، مطالبين بتحديد الدور والبرنامج الخاص لشعبنا للنضال ، حتى يناضل ، لا ان نكتفي بالقول ان حركة الجماهير العربية ستنتصر لنا وستناضل معنا، هذا كله صحيح، عندما نحدد دورنا تناضل معنا وربما نضالها معنا غير كافي لانجاز ما نحدده ، كما وقع على سبيل المثال في الاردن . في الاردن وقعت مجزرة ايلول والجماهير العربية متعاطفة متضامنة معنا . ودول عربية كثيرة متعاطفة متضامنة معنا، بدرجات متفاوتة. ومع ذلك تمكن الملك حسين من انجاز عملية التصفية للتواجد العلني للمقاومة في الاردن . ولم تنفع اتفاقية القاهرة، لان اتفاقية القاهرة مثلها مثل باقي الاتفاقيات التي تعقد في التاريخ ، هي وليدة ميزان قوى وقعت بحد السيف ، عندما اختل ميزان القوى لصالح الملك حسين ، نقضها ومزقها . نفس الشيء بالمناسبة ، الاتفاقات التي تعقد بيننا كقوى وطنية ، لقد اعددنا عشرين برنامجا مشتركا ، كلها تنقض ، عندما يختل ميزان القوى ورأت المنظمة الفلانية ان هذا البرنامج لا ينسجم ضمن رؤياها تجمده ، اذا كان ميزان القـوى لصالحها ، واذا انسجم مع رؤياها تمسكت به . لذا نحن نقول بوضوح في هـذه المرحلة نعالج مشكلات على المدى المباشر والقريب ، امام هذه الاحتمالات التي ذكرت ، شعبنا وثورتنا

لها دور من مواقـــع الرفض الثـــوري الملموس للحلول التـــي ذكرتهـــا والنتائـــج المترتبة عليها ، وهذا يفترض بالضرورة ، اننا نناضل ضد جميع أشكال التسويات التي تقوم على طمس الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة ، تصفية القضية الفلسطينية، وهي تصفية في نظر اي ثوري لن تكون خالدة وازلية ، لكنها على المدى المباشر والقريب تلحق أفدح الاضرار بقضية نضالنا ونضال شعبنا ، تقوم على الحل الامريكي الصهيوني الهاشمي ، تقوم على الصلـــح والاعتراف باسرائيـــل ، مـــع ان الدول العربيـــة نفسها تستطيع ، ان تناضل من أجل الوصول الى نتائج حتى في ظل معطيات تشرين ، تعفيها من الصلح والاعتراف لان الدول العربية يمكن أن تتسلح بسلاح ان اسرائيـــل قائمة ضمن اطار شرعية دولية منبثقة عن قرارات الامم المتحدة ، فهذه الدول العربية يمكن ان تقول انني افهم حقوق الشعب الفلسطيني بأنها قرارات الامم المتحدة ، بما فيها العودة الى قرار التقسيم وقرار حق العودة رقم ١٩١ .واسرائيل بالضرورة سترفض هذا فلا يقع لا صلح ولا اعتراف ، صلح واعتراف بأي حدود ؟ هل بالحدود الواقعية التي تشكلت بالقوة ، أم بالحدود « الشرعية » التي ولدت على ضوء حدود ٤٧ ؟ واسرائيل لن تقبل بالعودة الى حدود٤٧ لان بيدها صباح٤ حزيران، ٧٧٪ من الاراضي الفلسطينية. بينما قرار التقسيم يعطيها ٥٦ ٪ فقط من الاراضي الفلسطينية زائد عودة اللاجئين بمثابة براميل بارود لتفجير الاوضاع داخل اسرائيل نفسها ، لن تقبل هذا حتى لا تلوث يهودية الدولة او عبرية الدولة الاسرائيلية لانه من المعروف ايضا مـــا هي نتائجها . المشكلة ان قادة اسرائيل فعلا يتمتعون بعقلية ديناميكية ، جدلية برجوازية عصرية ، شفافة جدا ، ولذلك تقوم خططهم على هذا الاساس ، ومن ابرزها رفض اي وجود وطني فلسطيني مستقل على حدود لانه متصادم ومتعاكس مع وجود دولة اسرائيل على المدى المباشر والتاريخي .

اذن نحن مطالبون بالتحديد القائم على رفض أية تسويات كما قلت تتضمن تصفية القضية الفلسطينية . والدول العربية نفسها بامكانها ، ان تتسلح بالقرارات الدولية لاحباط عملية الصلح والاعتراف ، رفض اي تسويات تقوم على طمس الشخصيـــة الوطنية الفلسطينية ، رفض أي تسويات تقوم على الالحاق من جديد ، لانه ينهي الدور الخاص للشعب الفلسطيني ، ويعيدنا الى الوضع الذي كان قائما بين ٤٨ — ٦٧ رغم بداية منظمة التحرير وفتح باعتبارها بدايات ، ورفض أي مشاريع تقوم على التوسع الاسرائيلي . هذه العملية تترجم عمليا بماذا ؟ تترجم عمليا بالنضال . بالاضافة الى هذا كله الذي ذكرته بالنضال وتعبئة وتنظيم شعبنا وتأطيره داخل الاراضي المحتلة وخارجها للنضال من أجل انتزاع حق تقرير المصير . أي لا للاحتلال ، لا لمشروع المملكة المتحدة ، لا لعودة قوات الملك حسين ، النضال من اجل حق تقرير المصـــير واقامـــة السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة . وهذه العملية النضالية ، هي التي تمكن شعبنا داخل الاراضي المحتلة من ان يلتقي على هدف سياسي وطني ، مباشر وراهن موحّد وموحّد لمجموع قواه . لاننا بطرح هذا نكون ماذا ؟ نكون فعلا قد قاتلنا وناضلنا ضد السياسة التوسعية الاسرائيلية ، ضد المشروع الاميركي القائم على تصفية الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة ضمن اطار المملكة المتحدة ، ضد السياسة الصهيونيـــة التي ترفض اي وجود وطني فلسطيني مستقل ، وتطرح مشروع المملكة المتحدة ، ضد السياسة الهاشمية القائمة على الالحاق ضمن اطار مشروع المملكة الاردنية او المملكة المتحدة ، وبذات الوقت ضد التسويات العربية الاخرى التي يمكن ان تتجاوز شعب فلسطين وتبرم تسوية من وراء ظهره ، تقوم على تصفية قضيته وطمس وجوده الوطني المستقل ، وهذا يؤدي بالضرورة الى استنهاض همم جماهير شعبنا استنهاضا هائلا .

وعلينا ان نلاحظ ان شبه الانتفاضة التي وقعت ، وقعت بعد حادثين ، حرب تشرين وما ولدته من حوافز ، وما فتحته من آفاق ، لاحتمالات تصفية الاحتلال وتقرير المصير في ظل سلطة وطنية فلسطينية مستقلة ، وعلى ضوء قرار قمة الجزائر الذي يعتبر منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني الذي أجبر الجعبري اول البارحة ان يقف ليقول بأن منظمة التحرير هي الممثل الوحيد لنا ، ونحن نطالب بتقرير مصيرنا وبعد تقرير المصير نرى كيف ستصبح علاقتنا بشرق الاردن . طبعا الجعبري عندما يقول هذا يقوله تحت ضغط التيار الشعبي الجارف ولا يقوله لانه رجل وطني أطلاقا ، لانه اول امس كان في منزل دايان في الوليمة التي أقيمت لكيسنجر ، لكنه قاله مرغما لا بطل . وليس العكس . وهذا يتطلب ايضا تضامن شعبنا ونضاله مع شعبنا في الداخل ضمن هذا الاطار زائد النضال من اجل طرد وفد الملك حسين من مؤتمر جنيف وطرد وفد الملك حسين من أي مائدة تبحث تقرير مصير الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية ، لان وفد الملك حسين لا يقول انا أمثل ، والا كلا ، ما عادت القصة من يمثل ، تجاوزتها . باتت من يقرر مصير القضية الفلسطينية والمناطق الفلسطينية . وفد الملك حسين يبحث في تقرير مصير نابلس والقدس واريحا والخليل وغزة والقضية الفلسطينية . يجب العمل على طرده . ومن أجل انتزاع ان منظمة التحرير والثورة الفلسطينية هي المقرر الوحيد لمصير الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية وهذا يعني ايضا، ليس فقط طرد وفد الملك حسين ، وعزل الحكومة الاردنية عن التدخل في تقرير مصير القضية الفلسطينية والاراضي الفلسطينية ، بل ايضا حجب أي محاولة عن الدول العربية ، أي دول عربية ، لتقرير مصير الشعب الفلسطيني على يدها من وراء ظهر الشعب الفلسطيني ، مهما كانت نواياها طيبة ومعنا .

هنا نحدد بالضبط الاجابة على تساؤل ما العمل في هذه المرحلة وبشكل ملموس وندفع بالضبط كل القوى الوطنية العربية لتتضامن معنا بهذا الاتجاه ، وكل القوى الصديقة عالميا لتتضامن معنا بهذا الاتجاه . هنا فعلا نكون قد قدمنا لشعبنا بشكل ملموس أشكالا محددة لمضامين محددة للنضال ضد التسويات التي تقوم على الحلول التي تؤدي الى تصفية القضية والتوسع الاسرائيلي والالحاق للاراضي الفلسطينية بالنظام الرجعي الهاشمي . نكون قد قدمنا لشعبنا فعلا الحلقة المركزية ، في نضاله المتحلقة حول حقه في تقرير مصيره واقامة سلطته الوطنية وعزل حكومة الملك حسين عن تقرير مصيره ، وتمكين وانتزاع حق منظمة التحرير والثورة الفلسطينية في تقرير مصيره ، هذا يعني بوضوح اننا حددنا أهداف مباشرة وراهنة للنضال . هذه الاهداف الراهنة والمباشرة عندما ننجزها واذا تمكنا من انجازها ، نستطيع فعلا ان ندفع ثورتنا خطوات كبرى الى الامام ، على طريق مواكبة عملية التحرير الشامل ، لاننا نكون قد فككنا حلقة مركزية لصالح شعبنا وثورتنا من الحلقات المترابطةباستراتيجية التحرير الشامل .

هنا تثار تساؤلات ، ان التسوية اذا وقعت ، وقطارها جارف كما قيل ، لن تسلم لنا بهذه المناطق ، صحيح لن تسلم ، وتتم عملية تسلم وتسليم بين اسرائيل والملك حسين ، صحيح . أين دورنا نحن في افشال هذه العملية ؟ اين دور شعبنا في العملية النضالية الوطنية ؟ هل نترك المياه تجري كما تشتهي سفن اسرائيل والملك حسين وندير ظهرنا ، أم اننا من الان نؤطر وننظم شعبنا ونوحده حول النضال من أجل انتزاع حق تقرير المصير وطرد الاحتلال ، ليتابع نضاله من اجل طرد الاحتلال ويتابع نضاله من أجل تقرير مصيره وعدم عودة الملك حسين . بالنضال في هذه العملية سواء ضد الاحتلال او اذا وقعت الصفقة الاردنية الهاشمية الاسرائيلية يكون شعبنا مؤطرا

منظما موحد المواقف على هذا الاساس، يشن انتفاضته، ضد عودة قوات الملك حسين. ومن اجل اقامة سلطته الوطنية . في حال وقوع هذه الحالة ، قد يقال انه قد يفشل — نعم قد يفشل ، في عمان فشلنا ، صحيح ، قد يفشل ، وقد يقال ان اسرائيل ستعاود احتلال الضفة الغربية ، نعم احتمال قائم ، هذا سيف مسلط دائما ، قبل ٦٧ وبعد ٦٧ ، قبل ٦٧ قالوا : لا تعملوا شيئا للنظام في الاردن فاسرائيل ستحتل الضفة الغربية ، بعد ٦٧ من الاجابات التي يرددونها اذا اسقط النظام بشرق الاردن ، ستحتل اسرائيل الضفة الشرقية ولا نستطيع ان نحميها ، هذا سيف مسلط دائم نرفض الاستسلام له وبهذا نكون قد حددنا لشعبنا هدفا مركزيا محددا نناضل عليه . يحبط اشكالا عديدة من التسويات ، ويفتح المناخ لتواجد الثورة على أرضها بين شعبها ، مما يمكنها من متابعة الصراع ، ضد الكيان الصهيوني ، ومتابعة الصراع باتجاه وحدوي مع شعبنا والقوى الوطنية الاردنية لحل مشكلة شرق الاردن وتجديد الوحدة بين الشعبين على اساس وطني وديمقراطي ، هذه قضايا نضال . يقال هنا انه ايضا في معرض الرفض لهذا الموقف لهذه الحلقة ، يقال ، ان هذه السلطة الوطنية لا تستطيع ان تعيش ، فمقوماتها الاقتصادية كذا ... كذا ... كذا ... مقوماتها البشرية الخ ... هذا الذي يقال مسألة مثيرة للالم وبنفس الوقت للضحك ، لا ادري هل نحن في مرحلة اختيار وطن أم بمرحلة استرجاع وطن ، نعم نحن بمرحلة استرجاع وطن ، حتى لو كانت هذه الارض صحراء مقفرة ليس فيها الا الشوك ، هذه ارضنا هذا شعبنا . نحن في مرحلة استرجاع وطن . وضمن هذا الاطار لماذا يناضل الناس لاسقاط نظام الملك حسين اذا ، ان الوضع بشرق الاردن بطاقاته الاقتصادية أضعف من الوضع الموجود بالضفة الغربية وقطاع غزة ، زائد ليست هذه هي المشكلة ، المشكلة هذا هو وطننا ، هذا تكوينه . هذه طاقاته ، نحن في مرحلة استرجاعه لا في مرحلة اختيار وطن متكامل اقتصاديا وبشريا وعسكريا وسياسيا والخ ... لذلك نناضل من اجله . قد يقال ايضا في هذا المجال ، ان هذا وضع محاصر كيف سيعيش ، صحيح وضع محاصر ، اذا انتزعناه لكنه يستطيع اختزال اسقاط نظام الملك حسين بسنوات قليلة جدا بينما عودة الملك حسين للضفة وربما القطاع يجعله يعيش ١٠ — ١٥ سنة زيادة ، وكما ان هذا الوضع محاصر ، لكن له قاعدته البشرية من ٩٠٠ الف بشرق الاردن زائد القوى الوطنية الاردنية ، فالوضع بشرق الاردن ايضا محاصر ، منا ومن سوريا والعراق ، بما يحكم الطوق عليه في هذه الحالة .

هذا المجرى النضالي الذي سنخوضه اذا تمكنا من احباط هذه التسويات خير على خير ، ونحن نناضل بهذا الاتجاه ، ضمن هذا البرنامج المحدد تقرير المصير ، لكل الاراضي التي يتم تحريرها وانسحاب اسرائيل منها وبناء السلطة الوطنية عليها ، طرد وفد الملك حسين وعدم تمكين وفد الملك حسين من البحث بتقرير مصير القضية الفلسطينية ، عدم تمكين الدول العربية من البحث بتقرير مصير شعب فلسطين والقضية الفلسطينية حسب برنامجها ، نحن نناضل من أجل انتزاع اننا نمثل شعب فلسطين ونحن لنا الحق بتقرير مصيره ، هذا المجرى النضالي للرفض الثوري الملموس ، والذي يمكن ان يلقى تضامنا عربيا وعالميا معا .

نقطة اخرى تقال قبل الاخيرة ، اذا وقعت تسوية ما ، رغم أنفنا ، اذ قيل بأن قطار التسوية جارف ، اذا وقعت طالما قطار التسوية جارف ، كيف لا نستطيع ان نناضل من أجل انتزاع سلطة وطنية ديمقراطية في الارض المحتلة ، ونحن نريد ان نحبط التسوية ، كيف ؟ أيهما أسهل علينا ! هذه قضية نضال ايضا . وقضية النضال من

اجل تحرير كامل التراب قضية تاريخية طويلة الامد مرتبطة باشتراطات لمرحلة تاريخية معينة ، مع ذلك نحن نناضل من أجل التحرير الشامل ، ان الاقرب والاكثر امكانية للتحقيق هو النضال من اجل انتزاع حق تقرير المصير وبناء السلطة الوطنية الديمقراطية، وهذا يفشل المشروع الاميركي الصهيوني الهاشمي ، يفشل اي مشروع يتم على حساب الوجود والدور الخاص للشعب الفلسطيني ، ويمكن القضية الفلسطينية من ان تبقى حية ، وتحفظ الحقوق التاريخية . ونحافظ على الثورة ونحميها لا نسوقها للابادة في حال غياب هذا البرنامج . ونبقى في مواقع الفعل التاريخي المباشر والدائم ، ضد العدو الصهيوني ومع حركة التحرر العربية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية . هنا فعلا ارى بوضوح أن التساؤل الاخير الذي طرح حول مستقبل الاراضي الفلسطينية هو جوهر وصلب المسألة ، وليس طرحه خطأ هنا لماذا ؟

لان هذه المسألة هي التي يمكن ان تحبط أشكالا عديدة من التسويات او تجند شعبنا على طريق النضال من اجل احباطها ، وتحدد الدور المركزي لشعبنا في عملية النضال من مواقع الرفض الثوري الملموس . كما أنها اذا وقعت هذه التسوية ضمن اطار تسلم وتسليم من الان نكون قد عبأنا وأطرنا ونظمنا شعبنا ودججناه بكافة أشكال النضال... السلاح وغيره ، للانتفاض بعد انهاء الاحتلال ضد عودة قوات الملك حسين واقامة سلطة وطنية ، قد ينجح وقد لا ينجح ، لكن هذه قضية نضالية ، علينا أن نطرحها ، ونتابع النضال على طريقها . أما الطرح الاخر الذي يكتفي بالقول نناضل من أجل احباط دون تحديد «كيف»، فانه يثير زوابع في وجه امكانية تقرير المصير ، ويعبىء ضد تقرير المصير، وضد بناء السلطة الوطنية ، وهو في هذا فعلا لا يخدم الشعب الفلسطيني ، بل يخدم المشروع الاميركي الاسرائيلي الصهيوني الهاشمي . لا يناضل من أجل طرد وفد الملك حسين حتى لا يتصرف بمصير الشعب الفلسطيني ، هو عمليا وموضوعيا لن يحبط لانه لا يضع عصي في دواليب احباط التسويات . وان لسان حاله عمليا وموضوعيا هو دع مشروع المملكة العربية المتحدة يمر وأية مشاريع اخرى ! ان الذي يثير زوابع بعدم وجود مقومات اقتصادية ، وبأنها قضية غير ممكنة نقول له نحن في مرحلة استرجاع وطن ، وهذه قضية نضالية ، وطالما ان هذه قضية غير ممكنة ، فكيف يمكن احباط التسوية ؟ وكيف يمكن تحرير كل فلسطين ؟ ان الصراع لتقرير المصير وبناء السلطة الوطنية هو طريق التحرير .

ان الطرح الذي يكتفي بالرفض السلبي دون ان يحدد المهام هو الذي يقود فعلا الى نتائج عدمية تؤدي الى مرور مشاريع كثيرة استسلامية فعلا ، هو الذي يستسلم الى موازين القوى الراهنة وامكانات الحل الاميركي الصهيوني الهاشمي ، بمعنى مشروع المملكة المتحدة . ان نضالنا الاخر هو الذي يمكننا من انتزاع حقنا بتقرير مصيرنا وبناء سلطة وطنية والحفاظ على بنادق الثورة. وهنا تحمل الجماهير في الارض المحتلة المشاعل لانها تجد موطىء قدم ثوري تتابع منه النضال ، وهي لا تحضر المشاعل للاحتلال والحكم الهاشمي والاعتراف . انها تحضر المشاعل لامكانات السلطة الوطنية . هذا موقف وطني صحيح ، وهذا حس ثوري ، لان هذا الوضع هو الذي يمكن من الاستمرار ، يمكن من الحفاظ على الحق التاريخي ، يمكن من البقاء بمواقع الفعل المباشر والتاريخي ، ويمكن من الخلاص سريعا من حكم الملك حسين ، واسقاطه وطبعا هذا يعني ان لا نقف لحظة واحدة دون مقارعة النظام الهاشمي ، طرده من محاولات تقرير المصير ، متابعة الصراع ضده من أجل اسقاطه ، لكن علينا ان نحدد المجرى الواضح وأين تقع الحلقة المركزية بالمجرى الواضح ، ومن هنا عندما نناضل من أجل طرد وفد الملك حسين ، بالاضافة الى حق تقرير المصير ، واقامة السلطة الوطنية ، فاننا نناضل من أجل انتزاع كوننا اننا نحن الذين نقرر مصير شعبنا ، نحن فعلا

نناضل من اجل امتلاك سلاح جديد يمكننا من احباط مجموع هذه التسويات التي تتم على حساب المصالح والمكاسب والحقوق الراهنة المباشرة والتاريخية لشعبنا . عند ذاك فعلا نستطيع ان نقف ونقول اننا نحن الذين نقرر مصير شعبنا نحن نريد كذا كذا كذا لا نريد كذا كذا كذا ، ومن هنا يصبح مؤتمر جنيف نتيجة وليس جوهرا لهذه الحالة ، لانه اذا انتزعنا هذا الحق فنحن الذين نكون قادرين على احباط كل مجرى مؤتمر جنيف ، عندما تسير سفنه باتجاه معاكس ، وقدرتنا على الفعل تكون اعظم بكثير لحظة ذاك ، لماذا ؟ لاننا انتزعنا اعترافا من جميع الفرقاء ، بأننا نحن الذين نقرر مصير شعب فلسطين ، لا مصر ولا سوريا ولا الاردن ولا غيرها . من يتضامن معنا بالاتجاه الوطني نتضامن معه لاننا نناضل من أجل تصليب المواقف الوطنية الفلسطينية والعربية .

هنا فعلا ، يكون لنا دوي ودور عظيم وفعل مباشر . اما بغير هذا فنحن نستجيب لمواقف رفض صامتة ، مواقف رفض عدمية ، مواقف خارج اطار الصراع ، نلبي تكتيكات الاوضاع العربية ، تكتيكات الاوضاع الاميركية الاسرائيلية الهاشمية ايضا ، وعلينا ان لا نلبي هذا . علينا ان نناضل من أجل انتزاع هذا الموقع بتحديد برنامج العمل الملموس . وبالتأكيد هذه العملية عملية نضالية . واذا لم نتمكن من انتزاع حقوق شعبنا على ضوء هذا البرنامج الملموس المتصادم مع مخططات الاعداء وتمت تسوية بمعاهدات متبادلة بتعايش ، تؤدي الى تجميد الصراع العربي الاسرائيلي ، وتؤدي الى طمس الهوية الفلسطينية والصراع الفلسطيني الاسرائيلي ، فهل نرغم على الانتقال للعمل السري ؟ نعم . لان وجودنا العلني سيكون معرضا للقمع والتصفية . الملك حسين من أجل التعايش على الحدود وامكانيات حل المشكلة ثنائيا ذبحنا ، الدول العربية في حالة تسوية لضروريات الامن المزدوج ، الحدود الامنة مع اسرائيل ، وامنها واستقرارها ، ستقمعنا بالضرورة او اسكتوا بهذه الحالة ، لكن هذا لا نختاره ، بمحض اختيارنا ، اذا فرض علينا ، سننتقل الى العمل السري ، لان كل حركة وطنية وثورية بالتاريخ ، تناضل من أجل مراكمة القوى لانتزاع نضال علني وصراع علني مسلح وجماهيري لانه يعطيها طاقة أقدر على صراع القوى المضادة ولو كان هذا الموضوع بمحض اختيارنا لكنا أقدمنا على الانتقال للعمل السري في الاردن دون ان نعرض شعبنا لخمسة وعشرين الفا بين شهيد وجريح .

زهير محسن

في البداية أود أن اعلق قليلا على ملاحظة أبداها الاخ شفيق حول طبيعة الحوار الجاري في هذا اللقاء ، في الحقيقة لم أفهم ماذا قصد عندما قال ان نتحاور وكأننا في خلية واحدة من تنظيم واحد ولكن ، من وجهة نظري الخاصة وعندما قبلت المشاركة في هذه الندوة كنت أنطلق من الرغبة في ان تكون هذه الندوة حوارا وليس مناظرة ، حوارا يتيح مزيدا من تفاعل الافكار التفاعل الايجابي ، الذي يمكن أن يقود الى بلورة مفاهيم ، متقاربة ، ومواقف مشتركة ، تساعد في صياغة برنامج سياسي جديد يستجيب للمتغيرات الجديدة التي انتجتها الحرب وان لم يكن الاستعداد للتفاعل متوفرا فالحوار سيكون عقيما ، وربما يقود الى مزيد من التمزق والمزيد من الاساءة اساءة الفهم المتبادل لبعضنا البعض ، في حين ان توفر الاستعداد للتفاعل الايجابي هو الذي يجعل الحوار خصبا ونمائيا وقادرا على تحقيق الغاية المطلوبة منه .

المهم ان نكون على طريق واحد . فالمطلوب ان نتفاعل لا ان يتناور بعضنا على بعض لان هنالك ربما بعض الفرقاء سواء أكانوا موجودين داخل هذه الندوة أم خارجها يتشبثون اكثر من اللازم بمواقف تكتيكية مسبقا ويحاولون البحث عن الذرائع

والحجج اللازمة لاثبات وجهة نظرهم ودحض وجهة نظر الغير . في حين ان الاهتمام لا يزال غير منصب على صياغة الاهداف المرحلية التي يجب ان نناضل من أجلها بل هو منصب اكثر على تحديد رأي فيما يتعلق بالاسلوب السياسي او التكتيكي الذي يمكن توسله في هذه المرحلة لتحقيق أغراض ما تزال غير واضحة في أذهان الكثيرين .

في الورقة التي امامي السؤال الاول هل تعترف بوجود مثل هذه المتغيرات ؟ عند التحدث عن المتغيرات فان تعليقي على هذا السؤال هو ان الحرب ليست مباراة كرة قدم ، مباريات كرة القدم يتصارع الفريقان لتسلية الجمهور ، ثم بعد ان يخرجوا من الملعب يعود كل الى حيث كان دون ان يتأثر في كثير او قليل . فهو يتألم او يفرح لساعات الا أنه لا يترتب على ذلك نتائج لا اجتماعية ولا سياسية ولا اقتصادية ، ولا سيكولوجية . الحرب شيء اخر تترتب عليه نتائج حاسمة حضاريا، واخلاقيا واقتصاديا، ولا بد ، شئنا أم أبينا ، أن تعكس اثارها على البنية العقلية والنفسية لكافة الناس المعنيين ، ولا بد ان يعكس ذلك نفسه بصورة واضحة على السلوك العام لكافة الافراد الذين مستهم هذه الحرب من قريب او من بعيد . من هنا في الجلسة السابقة ركزت على ضرورة ادراك الطبيعة الجديدة للمرحلة التي خلقتها حرب تشرين ، باعتبار أن هذه الحرب جاءت تسجل انعطافا هاما في مجرى الصراع العربي الصهيوني ، لانه طيلة الخمس وعشرين سنة السابقة كنا نتوقع الحرب التي تنتهي بهزائم . الحروب بالنسبة لنا كانت وسائل لمزيد من الاذلال ، ولمزيد من القهر ، ولمزيد من الشعور بالعجز . بينما الحرب الاخيرة كانت شيئا مختلفا ، فتحا جديدا في تاريخ الحروب بيننا وبين الصهيونية. ولذلك لا بد ان يؤثر ذلك بصورة واضحة على سلوكنا وطريقة تناولنا للمسائل الهامة والاساسية والمصيرية ، بحيث نبدأ بمعالجة قضايانا من منطلقات ما بعد حرب ٦ تشرين وليس من منطلقات ما قبل حرب تشرين . اي بمنطلقات الشعور بالقدرة على الانجاز وليس بمنطلقات الشعور بالعجز والهزيمة الذي لازمنا طيلة ربع قرن . قبل حرب تشرين كنا نقاتل لمجرد ان نثبت لانفسنا اننا قادرون على القتال ، ونثور لمجرد ان نثبت لانفسنا اننا قادرون على الصمود وقادرون على الرفض . كان القبول بأي شيء في ظل الهزيمة يدعو الى القلق والى الحذر والى الخوف وكان يلازمنا ايضا شعور بالعجز عن تحقيق أي انجاز مهما كان صغيرا الا في مقابل تنازلات باهظة .

بنتيجة الحرب الجديدة انتقلنا كما أشرت في الجزء الاول من الندوة الى مرحلة القدرة على الانجاز انتقلنا من مرحلة الاكتفاء بالرفض الى مرحلة القدرة على المطالبة وعلى الاخذ . انتقلنا من الثورة لمجرد الثورة او القتال لمجرد القتال الى القتال لتحقيق اهداف عملية ملموسة يمكن أن نجسدها بشكل مادي . ان ما كان يمكن ان نطالب به في ظل واقع الهزيمة كان من الطبيعي أن يثير المخاوف وان يثير أيضا السخرية . لكن بعد أن تجاوزنا مرحلة الهزيمة الى مرحلة القدرة على مواصلة الصراع والاخلال بالتوازن مع العدو لصالحنا ، صارت المطالبة بتحقيق انجازات مرحلية مسألة واقعية جدا ، ومسألة لا بد من أن تأخذها الثورة بعين الاعتبار ، والا فأنها ستظل تسبح بالرومنسية الى الابد ، وهذا لا يجعلها ثورة قادرة على الاستمرار ضمن الافاق الحالية ، بل يضطرها في كثير من الاحيان الى الانكفاء . لان اي تفكير رومنسي لا يمكن ان يقود الى خطوات متقدمة ، وفي الوقت ذاته فان الجمود ليس من طبيعة البشر ولا من طبيعة العمل السياسي . في العمل السياسي اما ان تتقدم خطوة واما ان تتراجع خطوتين اذن فان اثار الحرب الاخيرة والمتغيرات التي أحدثتها لا بد ان تنعكس على معالم المرحلة الجديدة ، أن تنعكس على مناهج تفكيرنا وعلى أسلوب عملنا وكافة مفاهيمنا السابقة ، بحيث تطرح عليها التعديلات اللازمة والانتقال بمستوى نضالنا خطوة الى الامام .

بالنسبة للمرحلة المتعلقة بمؤتمر جنيف او التي اعتبر مؤتمر جنيف بداية لها اقول انه بالرغم من ان الحوار بدأ من مناقشة مسألة حضور مؤتمر جنيف او عدم حضوره ليس هو البداية الصحيحة للحوار حول ما ينبغي ان نقرره لانفسنا في هذه المرحلة ، الا ان هذه المسألة اعتبرت هي المسألة المركزية ، في حين ، في تقديري ، ان المسألة المركزية التي تواجهنا في هذه المرحلة هي تحديد برنامجنا المرحلي ، تحديد ما سميته في الجلسة السابقة برنامج الحد الادنى الذي ينبغي ان يلتزم به الجانب العربي بصورة عامة او ينبغي ان تلتزم به جبهة الاصدقاء ، والذي ينبغي ان نواجه به مخطط الجبهة المعادية او جبهة الخصوم . وقبل أن نقر هذا البرنامج الذي نسعى الى تحقيقه يصبح الحوار حول الاسلوب الذي يتبع لتحقيق هذا البرنامج نوعا من ضياع الوقت ، لاننا نناقش اسلوبا لتحقيق شيء غير معروف ، فعلينا اولا ان نحدد ماذا نريد ، وبعد ذلك نناقش الاساليب او الوسائل التكتيكية التي يمكن ان تقود باتجاه اهدافنا المرحلية او برنامجنا المرحلي . والملاحظ انه بدأ مؤتمر جنيف ، وشاركت فيه بعض الاطراف العربيـــة ولم تشارك الاطراف الاخرى قبل ان تتوصل الاطراف العربية مجتمعة او جبهة الاصدقاء المتضامنة الى تحديد برنامج حد أدنى ، أو خطة مرحلية تحدد الحد الادنى من الاهداف المرحلية المطلوب انجازها في هذه المرحلة ، وتحدد بالمقابل سقف التنازلات التي تقبل او التي يمكن تقديمها ثمنا لنيل او تحقيق الاهداف التي يلتزم ويتضامن الجميع بانجازها . وأعتقد أن المشكلة الان هي مشكلة العودة بالحوار الى بدايته الصحيحة ، وانقاذ الوضـــع الخاطىء الذي وقعت فيه الاطراف العربية من خلال الخلاف حول مؤتمر جنيف قبل ان تتفاهم على تحديد هدف مرحلي بشكل واضح ودقيق . ان مسؤولية الخروج من هذا الوضع تقع بالدرجة الاولى على الجانب الفلسطيني ، لانه في مؤتمر القمة الاخير حدد الهدف المرحلي بأنه يتضمن تحرير الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ واعادة الحقـــوق المشروعة للشعب الفلسطيني وفق ما تحدده منظمة التحرير الفلسطينية، وهناك محاولة واضحة للهروب من تحديد فهم محدد وواضح لما يقصد بعبارة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، ونحن لا يجوز ان ننساق وراء هذا الهروب ، فعندما يهرب الاخرون من تحديد حد ادنى للالتزام بما يتعلق بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ينبغي ان نواجه هؤلاء بمشروع ننتزع الالتزام به ونضمن عدم انسياق أي طرف عربي وراء تقديم تنازلات اساسية كانهاء حالة الحرب مع اسرائيل قبل ضمان تحقيق هذا الحد الادنى من الحقوق المرحلية او المطالب المرحلية للشعب الفلسطيني . لان هذا الغموض الذي يتعلق بالكلام عن حقوق الشعب الفلسطيني في هذه المرحلة سيعطي يوما بعد يوم الانطباع بأن بامكان الشعب الفلسطيني والامة العربية ان تقبل تحديدا لهذه الحقوق يقل كثيرا عما تعطيه الشرعية الدولية ذاتها للشعب الفلسطيني من حقوق وفق قرارات ما تزال قائمة بالرغم من أن موازين القوى التي نشأت منذ عام ١٩٤٨ وحتى الان تجعل تنفيذ هذه القرارات مسألة غير متيسرة . وليس صحيحا ان رفضنا لهذه القرارات هو الذي حال دون تنفيذها ، لانه عندما تتخذ الامم المتحدة قرارا فلا ضرورة لان توافق عليه الاطراف لكي ينفذ ، ولكنه ينفذ من خلال موازين القوى .

اذن فمن مسؤولية منظمة التحرير ان تعمل للعودة بالتحرك السياسي العربي الى مجراه الصحيح ، من خلال المبادرة الى تحديد خطوط أساسية لبرنامج الحد الادنى المطلوب الالتزام به والتضامن لتنفيذه في هذه المرحلة من قبل مصر وسوريا والفلسطينيين والطرف الدولي الصديق المتمثل بالاتحاد السوفياتي ، وهذا الاهتمام بتحديد هـــذا البرنامج يجب أن يسبق الاهتمام بالكشف عن مخطط الخصوم والعمل على احباطه . لانه بوجود مخطط خاص بك تكون تلقائيا قد دخلت في صراع مباشر مع مخطط الخصم .

صحيح انه ، كما يقال ، عندما تجد نفسك تتكلم لغة خصمك فلا بد من أن تجري مراجعة عامة . لكن الاهم اولا ان تكون لك لغتك الخاصة قبل ان تبدأ بالمراجعة او بالاطلاع على لغة الخصم نفسه . لذا اعتقد انه بات من واجب الحركة الوطنية الفلسطينية ، كمسألة ملحة في الوقت الحاضر ، ان تبادر الى صياغة برنامج مرحلي ، يحدد الحد الادنى من المطالب الوطنية الفلسطينية في هذه المرحلة ويحدد سقف التنازلات التي يمكن ان تقبل من أي طرف عربي تقديمها ، وان تبادر بعد ذلك الى اجراء الاتصالات اللازمة مع الإطراف العربية الوطنية لاخذ التزام جماعي ومتضامن للعمل على تحقيق هذه الاهداف في هذه المرحلة ، وكذلك الحوار مع الطرف الدولي الصديق ليتضامن بدوره مع هذا البرنامج ويلتزم به . بعد ذلك يصبح اي تحرك سياسي يخيف ، ويقيم اي أسلوب من اساليب العمل السياسي او التحرك السياسي وفق تقديرنا لما يقدمه لهذا المخطط من خدمة او ما يمكن ان يلحق به من اضرار ، ونكون بذلك قد أعدنا الحوار الى وضعه المنطقي ، نحدد الهدف ثم بعد ذلك نختار ما يناسب لتحقيق هذا الهدف من اساليب . وبغير ذلك فان انغماسنا في مناقشة حضور او عدم حضور مؤتمر جنيف سيقود في تقديري الى مزيد من التمزقات المجانية التي تتضمن الضرر المحض ولا تتضمن أية فائدة، وربما يجرنا ايضا الى تقديم تغطية مجانية لما يمكن ان يقدم عليه بعض الاطراف العربية من تنازلات في مقابل مكاسب ثانوية. فكما هو واضح يحاول المخطط الاميركي الاسرائيلي أن ينتزع مكسب انهاء حالة الحرب في مقابل عملية الفصل بين القوات فقط ، وليس في مقابل الانسحاب الكامل والاستجابة او لتنفيذ القرارات المتعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني او الاستعداد لتنفيذها .

طبعا اتحدث هنا عن المرحلية ، لان اي حركة سياسية مسؤولة وواقعية لا بد ان تأخذ هذه المسألة بعين الاعتبار . واذا جاز أن نستفيد من الدروس التي تقدمها الحركة الصهيونية ذاتها ، فأن المشروع الصهيوني ذاته كما أشار الرفيق نايف قام على مراحل وهو لا يعتبر حتى وجوده ضمن الحدود الحالية الا خطوة مرحلية تهيىء للمراحل المقبلة. ونحن حينما نطالب أنفسنا بصياغة برنامجنا المرحلي، ينبغي ان يتم ذلك في ضوء تقديرنا لطبيعة المشاكل التي يواجهها نضالنا الوطني في المستقبل ، بحيث يصبح انجازنا المرحلي او تحقيق برنامجنا المرحلي ، محطة صالحة للانطلاق منها الى انجاز المرحلة اللاحقة او المرحلة التالية من مراحل نضالنا الهادفة الى انجاز الهدف الستراتيجي المتمثل في انهاء الوجود الصهيوني ذاته . ان الوجود الصهيوني لم ينشأ نتيجة معركة واحدة ، ولم يخلق في مرحلة واحدة ، بل خلق او تكامل تكوينه عبر عدد من المراحل ، وعبر خوض عدد من المعارك. وهكذا فان انهاءه ايضا لا بد ان يمر بالحلقة نفسها. وأنا مع الاخ شفيق عندما أشار الى ان تفكيرنا بانهاء الوجود الصهيوني بضربة واحدة او بعملية واحدة هو نوع من الرسوبات الموروثة عن المراحل السابقة التي تعايشت معنا منذ عام ١٩٤٨ عندما كان الكيان الصهيوني لا يزال هزيلا ولا يزال غير قادر على الصمود فيما لو توفرت آنذاك الاوضاع العربية المؤهلة لمواجهته . من هنا ، فأن مسألة السعي لانشاء السلطة الوطنية الفلسطينية هي مسألة في صلب العمل السياسي والوطني لاي حركة مسؤولة . ان أي حركة ثورية ، أي ثورة ، لا بد ان تسعى الى انشاء السلطة ، والا فهي نوع من العبث . ان السلطة ليست ذلك الشر الذي يتلوث الثوار او يأثمون بمجرد التفكير به . ولا تكون أي ثورة جديرة بهذا الاسم اذا لم يكن هدفها في النهاية انشاء السلطة الثورية ، او انشاء السلطة الوطنية التي تستطيع ان تتابع اهداف الثورة عبر استخدام أدوات الحكم والسلطة . لكن السعي وراء انشاء سلطة قبل أن تتكامل المقومات التي تضمن لهذه السلطة البقاء او الحياة — وأنا أتحدث عن السلطة لا عن الدولة . ولا عن الارض — فانه يمكن ان ينتهي بكارثة او بخطوة تراجعية كبيرة ، تماما مثلما تتم عملية

ولادة قبل ان يكتمل تكوين الجنين . فليس هناك ما يضمن حياة هذا الجنين او ما يمكن أن يحميه من الموت السريع ، بل انه سيولد ميتا حتما . ان السلطة الوطنية التي ينبغي ان تنشأ على أي ارض فلسطينية يمكن تحريرها (وينبغي ان نعمل على انشاء السلطة الوطنية الفلسطينية فوقها فورا وبلا تردد حينما يكون ذلك متاحا)، هذه السلطة مطالبة بمسؤوليات ضخمة وهائلة سوف تنوء تحتها وتفقد صفتها الوطنية اذا لم تكن قادرة على مواجهتها منذ البداية . فمثلا لقد خلق الاحتلال خلال السنوات السبع الماضية في الاراضي الفلسطينية التي احتلها كثيرا من العادات غير الوطنية ، خلق كثيرا من المصالح التي تجعل قطاعا واسعا من ابناء شعبنا مرتبطا بالاقتصاد الاسرائيلي ذاته ، خلق عادة التعايش والتنقل والسياحة ايضا الى المدن والمستعمرات الاسرائيلية ، وان استمرار هذه العادات يكاد ربما ان يؤثر او يجرد شعبنا من هويته النضالية ومن قدرته على الاحتفاظ بشخصيته الوطنية المتماسكة القادرة على مواصلة الصراع والتي ينبغي ان تشكل الوجود المقيت وليس الوجود المتعايش مع الوجود الصهيوني . ولقمع هذه العادات ينبغي ان تكون السلطة التي ستنشأ فوق هذه الاراضي قوية . والقوة هنا لا تأتي من قوة عضلات الاشخاص الذين سيتولون الحكم ، ولكن تأتي من مدى ثقة الجماهير بهذه السلطة ومن نوع الثمن الذي دفع في مقابل وصولها الى الحكم . فالسلطة التي تصل الى الحكم عبر تقديم ثمن باهظ وكبير ، لا يمكن ان تصل الا ضعيفة ومحرجة وبالتالي غير قادرة على مواجهة المصاعب والتحديات التي هي مضطرة لمواجهتها من اللحظة الاولى لقيامها . ويخشى في ظل غياب سلطة وطنية قادرة على مواجهة التحديات ان يقع هذا الوجود الفلسطيني المستقل مباشرة بصورة فورية في احضان السيطرة الصهيونية ذاتها من جديد . من هنا تأتي اهمية البحث عن صيغة تجعل الوحدة الوطنية الفلسطينية حول موقف وطني متناسق هامة جدا ، لانها هي الطريق الوحيدة لضمان بقاء الوجود الفلسطيني متماسكا وقادرا سواء على انشاء الحكومة الوطنية ، السلطة الوطنية ، او على التعبير عن وجوده ، او ربطه بوسائل مختلفة اذا قرر ان يرفض او اكتشف ان من الضروري ان يرفض الان تكوين هذه السلطة او اكتشف ان مراحل نضج او تكوين هذه السلطة لم تكتمل بعد . لكن من حيث المبدأ فلأن الصراع مع الصهيونية لا يجوز ان يتوقف ولانه ينبغي ان يظل النقيض التاريخي قائما الى جانب الوجود الصهيوني ، هذا النقيض الذي هو الوجود الفلسطيني بالدرجة الاولى ، ولان تحقيق التسوية سوف ينهي مظاهر حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل وبالتالي يسحب من أيدي المناضلين الفلسطينيين الاوراق والامكانات المتوفرة حاليا لمواصلة النضال المسلح وكافة أشكال النضال الاخرى مما هو متوفر الآن ، فلا بد من ايجاد صيغة جديدة للتعبير عن استمرارية القضية الفلسطينية ذاتها ، واستمرارية النضال الفلسطيني ذاته ، الذي لا بد في ظل نشوب أوضاع جديدة ان ننتقل الى صيغ جديدة تتلاءم مع هذه الاوضاع . وبطبيعة الحال فاذا كان بامكاننا أن نختار بين أن تجري التسوية الآن وبين أو نحول دون اجرائها بانتظار توفر شروط ومناخ افضل لمصلحتنا ، بحيث تجعل حجم المكاسب التي يمكن تحقيقها أكبر وحجم التنازلات التي نضطر الى تقديمها أقل ، فينبغي الا نتردد في ذلك ، وينبغي أن نسعى في ظل جهدنا وامكانياتنا لعرقلة المساعي الرامية الى اجراء التسوية الآن ، وتأجيل ذلك الى ما بعد أن تتوفر شروط افضل ، وبعبارة اخرى الى نشوب حرب جديدة تعدل ميزان القوى بحيث يختل اكثر لصالحنا . واعتقد ان هذا المطلب ليس غريبا ، فالتسوية وان كانت تبدو الآن اكثر واقعية من أي وقت مضى بحكم الانتقال من مرحلة اختلال الموازين لصالح العدو الى مرحلةالتوازن والتكافؤ النسبي ، الا انه بمضي الايام والزمن قبل الوصول الى التسوية تصبح عملية التسوية يوما بعد يوم أصعب والعراقيل في وجهها أكثر ويعود التشبث

الاسرائيلي من جديد كما كان قائما في السنوات الست الماضية . ولا يجب ان نتغافل عن الحقائق التي كانت قائمة في السنوات الست او السبع الماضية حين كنا دوما نعتقد ان التسوية على الابواب ونظن أن التسوية جاهزة وستنفذ خلال أسابيع . لقد عشنا في ظل هذا الكابوس منذ صدور قرار مجلس الامن وحتى اللحظة التي بدأت فيها حرب تشرين وكان هناك باستمرار ترويج بأن الجبارين القويين قد توصلا الى صيغة ، وهناك ترويج بأن مصر وأمريكا قد توصلتا الى صيغة مشروع روجـرز الذي سبب مباشرة أو كان السبب المباشر في مذابح أيلول . أيضا كان يوحي بأن التسوية قد أنجزت أو أصبحت على وشك الانجاز .

سنعيش في هذه الدوامة في تقديري لفترة طويلة ، وان طبيعة المحادثات الجارية في جنيف أو التي جرت أخيرا تشير الى أن هذا المناخ يمكن أن يستمـر ، وبالتالي فان العوائق التي كانت قائمة في وجه اجراء تسوية غير مذلة للعرب لا تزال مرشحة لان تظهر من جديد ، وبالتالي فالتحضير لحرب جديدة لا بد أن يكون المهمة الاساسية العاجلة التي تركز عليها القوى الوطنية العربية أكثر جهودها . وواقع الحال أن المساعي تجري الآن ، والرفض السوري للذهاب الى مؤتمر جنيف بصورته الحالية نابع من اعتبارين : الاعتبار الاول هو عدم وجود البرنامج المشترك ، برنامج الحـد الادنى المتفق عليـه والمتضامن حوله ، بين الاطراف المعنية والذي يحدد الاهداف المرحليـة ويحدد أيضا أساليب العمل لتحقيقها . وأيضا الى جانب ذلك فان موازين القوى الحالية لا تسمح باجراء تسوية تضمن الحد الادنى من العدالة فيما يتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني . هناك امكانية لاستئناف الحرب من جديد واحراز مواقع أفضل تتيح امكانية الوصول الى تسوية بشروط أفضل واستعادة حقوق مرحلية للشعب الفلسطيني يمكن ان توازي في حجمها الخسارة الناجمة عن انهاء حالة الحرب . هذا الموقف السوري ، وأنا في ذلك مع الدكتور جورج ، يمكن أن يصبح أساسا للدفع باتجـاه اعاقة التسوية في الظـروف الراهنة ويمكن أن يتعمق ويتصلب بقدر ما يتجمع حوله مـن قوى وطنية قادرة على التأثير وقادرة على جعل العمق الاستراتيجي لسوريا أكبر وأكثر . بمعنى آخر بقدر ما يترافق معه موقف وطني فلسطيني صلب ومتماسك وبقدر ما يترافق معه تجاوب عراقي بحيث يمكن ان تشكل من هذه القوى الثلاث قوة جديدة تعيد الثقة مجددا حتى الى مصر وتساعد في انقاذ مصر من الانسياق أكثر فأكثر في اتجاهها او ما يقال عن احتمال التسوية الثنائية التي تسعى دبلوماسية كيسنجر الى انجازها بمعزل عن سوريا وعن الشعب الفلسطيني .

وأشير الى نقطة الرفيق نايف . حقيقة ان المعاهدات ، والاتفاقات أيضا ، لا تكون خالدة وان موازين القوى ليست ثابتة وبالتالي لا بد أن تتأثر معها باستمرار حقائق الجغرافيا وحقائق العلاقات السياسية وان أي تسوية ستكون لا يمكن أن تكون لاكثر من مدة مؤقتة من خلال نوع الشروط المادية التي تكون ضمن هذه التسوية . وهناك نقطة اخرى لا بد أن يشار اليها تتعلق بالموقف الفرنسي والاوروبي بصورة عامة . ان بومبيدو أشار الى أن هذه التسوية لا يمكن أن تكون الا كهدنة مؤقتة ولا تطول . وادراك فرنسا لهذه المسألة جرى التعبير عنه ، في تقديري ، في عملية الصفقة الاخيرة التي تمت بين السعودية وفرنسا لبيع النفط مقابل السلاح . وفـرنسا وبريطانيا ربما عادتـا فاكتشفتا من جديد ان أوربا وهذه الدول لا تستطيع ان تكون ذات نفوذ أو قادرة أن تلعب دورا في مشكلة الشرق الاوسط الا من خلال وجودها المادي المترتب بوجود سلاحها بين أيدي الاطراف المتصارعة . لقد استطاعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ان تستأثرا كدولتين كبيرتين بالاشراف على عملية التسوية لانهما الدولتان الوحيدتان اللتان تزودان السلاح الى الطرفين المتصارعين في المنطقة . ولم يحس أحد بوجود بريطانيا أو

فرنسا أو الدول الاوروبية الاخرى وهذا خلاف ما كان قائما في ١٩٥٦ والى ٦٧ . فمن ١٩٤٨ الى ١٩٥٦ اسرائيل كانت تتسلح من بريطانيا ومن ٥٦ الى ٦٧ اعتمدت على فرنسا . ثم كان هناك اعتماد أساسي على امريكا وخرجت بريطانيا وفرنسا بشكل فاضح من المنطقة . الآن هناك محاولة فرنسية للعودة الى المنطقة من خلال العودة الى تزويد المنطقة بالسلاح . وان كان هذا ينصب على أطراف عربية ليست هي الاطراف المباشرة في الصراع مع اسرائيل . على أية حال هذا يدخل عاملا جديدا او عوامل جديدة لا بد من اعتبارها في المستقبل وهذا العامل على حساب الولايات المتحدة (وليس على حساب الاتحاد السوفياتي) لان هناك حسابات جديدة بين أطراف كانت تشكل معسكرا واحدا وهذا يخلق فيما بينها صراع مصالح في المنطقة يمكن استثماره لاجراء مزيد من الضغط على الولايات المتحدة ولتقليص حجم الدور الذي تقوم به الولايات المتحدة في منطقتنا . وبالتالي على المدى البعيد سيكون لهذا العامل أثره في امكانية خلق شروط موضوعية أفضل لتحقيق تسوية بثمن أقل وبمكاسب أكبر . وسيبقى الاساس هو أن نعرف كيف نصوغ برنامجنا المرحلي وأن نعرف كيف نتحرك لانتزاع الالتزام بهذا البرنامج المرحلي على اوسع نطاق عربي ودولي ثم لنناضل متضامنين من أجل تحقيقه .

الدكتور جورج حبش :

ما هوهدفنا من اي حوار يدور في هذه المرحلة في الساحة الفلسطينية ، سواء اتخذ شكل ندوة أو اي شكل آخر من الاشكال ؟ امام الوضع الصعب الذي تمر به الثورة الفلسطينية في هذه المرحلة بالذات يجب ان يكون الهدف واضحا ، ويجب أن نستهدف بكل قدراتنا أن يكون هدف هذا الحوار محاولة للتوصل ، بقدر الامكان ، الى رؤية سياسية موحدة اذا أمكن أو رؤية سياسية متقاربة على الاقل ، أو محاولة تفهم وجهات نظر بعضنا البعض . واذا لم نستطع خلال فترة قصيرة أن نوحد رؤيتنا السياسية ، أو تصبح رؤيتنا السياسية متقاربة ، فنأمل على الاقل أن تصبح تحليلاتنا ومواقفنا مفهومة من قبل بعضنا البعض . أريد فقط ان أشير الى ان مثل هذا الهدف ، لا يتحقق الا من خلال الصراحة ، ومن خلال الشعور المطلق بضرورة ممارسة حرية الكلمة دون أن يخشى الانسان من اساءة فهم لاي رأي قد يطرح . هناك فارق بطبيعة الحال بين أن يكون بين فصائل حركة المقاومة مناخ ايجابي شكلا ، وبين أن يكون هناك مناخ مبني على أساس رؤية سياسية واحدة أو متقاربة ، أو فهم لمواقف بعضنا البعض ، أقول ذلك لاني سأتناول بعض الموضوعات دون وجل ودون تخوف من أن يسيء أي أخ من الاخوان هنا الهدف أو القصد أو النية من وراء أي فكرة سأطرحها . واثناء سماعي للحديث الذي دار في هذه الندوة سجلت العشرات من النقاط، لكن سأضع هذه النقاط جانبا وأتناول ما اعتقد انه يشكل الموضوعات المركزية فعلا التي تبين انها كذلك اثناء الحديث الذي دار في هذه الجلسة .

من الضروري أن نلاحظ نقطة في غاية الاهمية ، وهي ضرورة الفصل والتمييز الواضح جدا والدقيق جدا بين اي برنامج مرحلي تريد أن تستخرجه الثورة الفلسطينية الآن لتلافي — فلنقل — خطأ سابق وقعت به لعدم تحديدها مثل هذا الهدف ، ضرورة التمييز الواضح والدقيق بين هذا الموضوع ، وبين مؤامرة موضوعة الآن لتصفية القضية الفلسطينية . وما لم يكن مثل هذا التمايز واضحا كل الوضوح ، أمامنا وأمام كوادرنا وأمام جماهيرنا ، فمن حق الجماهير أن تتخوف ومن حق الجماهير ان تعتقد أن كل ما يقال في هذه المرحلة قد يكون مجرد تغطية لفظية ، مجرد تغطية افتتائية للمؤامرة التي تدور الآن لتصفية القضية الفلسطينية. أعتقد اذا لاحظنا جميعا هذه النقطة ووقفنا أمام

مسؤوليتنا تجاهها فان هذا يقربنا خطوة كبيرة الى الامام من حيث فهمنا لبعضنا البعض من ناحية ، ثم من حيث قدرتنا على الوصول فعلا الى موقف موحد لحركة المقاومة ، ثم من حيث قدرتنا على استقطاب الجماهير بشكل ثوري حول هذا الموقف . ما الذي اقصده بالضبط من هذه النقطة ؟ أقصد بالضبط من هذه النقطة أن المجلس الوطني الفلسطيني اجتمع قبل حرب تشرين ببضعة أشهر ، وهذه واقعة معينة ، واستخرج برنامجا معينا من المفروض أن يكون كل تنظيم وكل فصيل مسؤول في حركة المقاومة قد وقف أمام النضال الفلسطيني بمختلف مراحله لاستخراج دروسه الاساسية ، ثم عكس ذلك على برامج النضال التي وضعت في تلك الفترة . ليس امامي الآن برنامج المجلس الوطني الحادي عشر لكن هذا البرنامج يحمل ادانة واضحة وصارخة للقرار ٢٤٢ ، يحمل ادانة واضحة وصارخة لاي تسويات تصفوية ، يحمل ادانة واضحة وصارخة لاقامة أي دولة على جزء من التراب الفلسطيني في ظل المعطيات التي انعقد فيها المجلس الوطني الحادي عشر . بعد ذلك كانت حرب تشرين ، وبعد حرب تشرين أتى مؤتمر جنيف وعند مؤتمر جنيف شهدت الساحة الفلسطينية موضوع « ضرورة الواقعية » ، موضوع « مللنا كلمة لا » ، موضوع « من الضروري أن نتخذ مواقف ايجابية » الى آخر ذلك من الاشياء التي طرحت بعد حرب تشرين وبمناسبة مؤتمر جنيف بالذات . هنا من الضروري أن نفكر : أليس من حق هذا المواطن أن يعتقد ان البعض يرى ان ما حصل بعد حرب تشرين وميزان القوى الدولي والعربي والفلسطيني الذي حصل بعد حرب تشرين ، والمجرى الذي طرح بعد حرب تشرين من خلال مؤتمر جنيف ، هو الطريق لمثل هذا الهدف المرحلي الوطني ؟ اعتقد ان من حق الجماهير أن يحدث في ذهنها مثل هذا الارتباك . لماذا ؟ لان الجماهير كانت واقفة أمام حدث سياسي محدد ، حركة المقاومة مدعوة لحضور مؤتمر جنيف . محاولة واضحة في الواقع لاحتواء ما تبقى من حركة المقاومة وثورية حركة المقاومة . الجماهير كانت تدرك أنه لا يمكن ان تجري تسوية للمنطقة كما تريدها اميركا وكما تريدها قوى غير اميركا في ظل بقاء هذا الفصيل (المقاومة الفلسطينية) الذي ما يزال يتميز بثوريته وبندقيته والتصاقه بالجماهير والتصاقه بأهدافه الثورية . اذن ستجري محاولات ، محاولات جادة جدا لاحتواء هذه القوة بكل الوسائل، بالضغوطات ، بالاكراه ، بمحاولات الاقناع ، بمحاولات التحريف ، بكل الوسائل الممكنة. وعندما تستعرض جماهيرنا ان بعض الثورات تخطىء وتقع في أخطاء وتنحرف أحيانا (وهذا ما قصدته عندما لفت النظر لضرورة رحابة الصدر لاننا نناقش قضايا علمية ، فكل ثورة من الثورات معرضة للانحراف ، معرضة لان تنحرف قيادتها ، معرضة لان تقف في نصف الطريق ، معرضة لان تكتفي باستقلالات شكلية كما حصل في حركات التحرر الوطني) عندما تستعرض جماهيرنا هذا وعندما تطرح كل هذه السلسلة من الموضوعات في ظل حدث سياسي معين هو مؤتمر جنيف فان هذا يفسر فعلا البلبلة التي عاشتها جماهيرنا .

اذا كانت عملية الحوار التي دارت منذ مؤتمر جنيف حتى الآن والتي ساهم فيها كثير من الفصائل وكثير من الرفاق قد بلورت المواقف بشكل اوضح وهذا ليس عيبا بل شيء ممتاز ، فان ما اقصد في الحقيقة أن اطرحه هو ضرورة التمييز بين مؤتمر جنيف وبين أي موضوع تواجهه الثورة قبل مؤتمر جنيف واثناء مؤتمر جنيف وما بعد مؤتمر جنيف ، وهو موضوع ما هو تصورنا لمرحلية نضالنا وصولا الى تحرير كامل التراب الفلسطيني ؟ اذا كنا متفقين على هذه النقطة بالذات وحتى يكون هناك فاصل واضح جدا ما بين محاولات ستتخذ شكل ارضاء الشعب الفلسطيني وما بين تفكير ثوري مرحلي للوصول الى التحرير فمن الضروري ان نؤكد على مجموعة قضايا ، فنطرح التحليل السياسي السليم لهذه المؤامرة التي تستهدف الثورة الفلسطينية ليس فقط من قبل اميركا ، نطرح كل

المواقف بوضوح على صعيد دولي ، نطرح كل المواقف بوضوح كما هي قائمة على صعيد عربي ، ونبين فعلا الى أين يمكن أن يؤدي مؤتمر جنيف . وما زلت رغم كل ما سمعت مقتنعا فعلا بعمق بضرورة تحديد موقف من قبل الثورة الفلسطينية تجاه هذا المجرى . بمعنى هل هذا المجرى يؤدي الى أي هدف مرحلي وطني نريده أم لا ؟ علينا أن نفحص هذا الموضوع ، ونقدم شرحا كاملا وواضحا للجماهير عن الوضع الدولي الذي نشأ عن حرب تشرين والوضع العربي الذي نشأ عن حرب تشرين وبالتالي ما نواجهه نحن من مخططات . أنا سمعت على لسان كل أخ من الاخوان هنا تخوفه من موضوع التسوية في هذه المرحلة ، بعبارات من نوع « كيف نحبط موضوع التسوية » . وهذا الموضوع يجب أن يكون واضحا كل الوضوح ، وبالتالي لا يختلط في موضوع آخر هو موضوع كيف نمرحل نضالنا وصولا الى تحرير كامل التراب الفلسطيني . هذه نقطة أولى وان لم أكن مخطئا فقد كان هناك في الواقع التباس واضح جدا ما بين الموضوعين . من يتحمل هذا الالتباس ؟ الجماهير بعفويتها ، أم اساءة فهمنا لبعضنا البعض ، أم ان المواقف عندما طرحت لم تحدد بدقة هذه الموضوعات ؟ هذا موضوع قائم بذاته ولا أريد أن أتطرق اليه، لكن جماهيرنا عاشت حالة معينة ، ومن مسؤوليتنا أن نسأل لماذا ؟ فهذه القيادة اجتمعت في المجلس الوطني الحادي عشر ، ووضعت برنامجا بنقاط محددة في ظل مؤامرة دولية تستهدف التصفية بشكل واضح كما بينت في حديثي السابق ، اذن فمن حق هذه الجماهير في الواقع أن تتخوف وأن تطرح كل علامات الاسئلة التي شهدتها الساحة الفلسطينية في الفترة السابقة .

هذه نقطة أولى حول الموضوع الرئيسي ، والنقطة الثانية هي ما هي الحلقة المركزية. وهنا ايضا علينا أن نميز فعلا بين رؤيتنا لهذه الحلقة المركزية بين ما هو مطروح دوليا من قبل امريكا بالذات أو فلنقل من قبل القوى المعادية ، أو من قبل المجتمع الدولي ، ولي وجهة نظر في هذا المجتمع الدولي سجلتها بجرأة وبوضوح وأعتقـد بعلمية في الجلسة السابقة . من الضروري أن نحدد الحلقة المركزية كما نراها نحن ، كما تراها الثورة الفلسطينية . اقول ذلك لان الحل المطروح من محصلة القوى الدولية هو موضوع كيان فلسطيني او دولة على جزء من الارض الفلسطينية . طيب . نحن الان كثورة ، هل هذا هو تحديدنا للحلقة المركزية ؟ ما هي الحلقة المركزية ؟ كما ظهر اثناء الحديث كانت الحلقة المركزية في فترة من الفترات اسقاط النظام الرجعي في الاردن ، وفي فترة قبل هذه الفترة كان يجب أن تكون الحلقة المركزية موضوعا آخر . ما هي الحلقة المركزية الان ؟ هل نكتفي في الواقع بأن نقول ان الحلقة المركزية هي الاراضي الفلسطينية التي ستنسحب منها اسرائيل واقامة سلطة وطنية على هذه الاراضي بدون تنازلات ؟ لماذا ؟ أنكتفي بهذه الحلقة المركزية على أساس انها هي أقرب للواقع أم على أساس أنها تشكل قناعتنا — نتيجة تفكير — بغض النظر عن قربها من الواقع او بعدها منه . أقول ذلك لان هناك خصوصية موضوعية بالنسبة للساحة الاردنية أقصد شرق الاردن . فسبعون بالمئة من سكان شرق الاردن هم من الشعب الفلسطيني . فما هي الحلقة المركزية بالنسبة لهذا الجزء من الشعب الفلسطيني الذي يشكل نحو ٤٠ ٪ من شعبنا الفلسطيني ؟ هل يبقى نضاله أيضا بدون تحديد وبدون هدف ؟ اقصد من قولي أن ليس من الضرورة ان تكون الحلقة المركزية في هذه الفترة متشابكة مع الحلقة المركزية المطروحة على صعيد دولي ، وانما يمكن أن تكون في الواقع من بندين رئيسيين ، البند الاول هو مقاومـة الاحتلال الاسرائيلي حتى يجلو بالقوة .. لان هذه الحالة — طريقة جلائه بالقوة العسكـرية والسياسية — هي وحدها التي تمكنا من القول انه جلاء بدون اعتراف بدون صلح . والبند الثاني في الحلقة المركزية هي اسقاط النظام العميل الرجعي في الاردن عن طريق

الجبهة الوطنية الفلسطينية ــ الاردنية ، وبالتالي فان لي وجهة نظر فيما يتعلق بموضوع ما هي الحلقة المركزية .

ومن الاشياء التي ولدت الالتباس أيضا أنه لماذا نقول في هذه الفترة أن الحلقة المركزية هي فقط ما هو مصير غزة والضفة الغربية ؟ لماذا لا يشمل تفكيرنا ، وبالتالي نقول ، ان الحلقة المركزية هي من بند أول وبند ثان ؟ لاننا بقدر ما نحن مطالبون بأن نحدد هدفا مرحليا لمليون وربع المليون فلسطيني داخل فلسطين المحتلة ، فنحن أيضا مطالبون بأن نحدد هدفا مرحليا واضحا لحوالي مليون فلسطيني أو على وجــه التحديد ٩٠٠ الف فلسطيني في الضفة الشرقية . نقطة ثالثة بالنسبة للحلقة المركزية أو فلنقل بالنسبة للهدف السياسي الذي نريد ان نطرحه ، أو ما يمكن أن يسمى الحلقة المركزية في البرنامج السياسي ، لان موضوع الدخول في البرنامج السياسي وترجمته الى بنــود تفصيلية موضوع قائم بذاته . صحيح أننا حركة تحرر وطني فلسطيني ، ولكن مهما أردنا أن نؤكد على الهوية النضالية للشعب الفلسطيني ومهما أردنا أن نؤكد على الثورة الفلسطينية واستقلاليتها فنحن كما ذكر الاخ ابو اياد في المرة السابقة بقدر ما نحن حريصون على الاستقلال عن أنظمة عربية رجعية أو مستسلمة ، فنحن وراء أوثق العلاقات مع حركة التحرر الوطني العربية في أي جزء من الوطن العربي . وترجمة ذلك لا يمكن أن تتم الا بتبني مواقف محددة أيضا بالنسبة للمشكلات الوطنية التي تعانيها دول عربية معينة ، وبالتالي هذا يجب ان يدخل في صلب مواقفنا . ان موضوع بأي طريقة يريد السادات أن يحل القضية الوطنية الان في مصر من حقي كمواطن فلسطيني عربي أن يكون لي رأي فيه مثلما السادات له رأي . وكذلك كل مواطن عربي . ونحن يجب أن نعيد هذا التفكير لانه خلال عشر سنوات أو عشرين سنة لن تكون لنا قوة الا جماهيرنا المعبأة بالوعي السياسي ، ولن نستطيع أن نحقق أهدافنا الا عندما نبني مثل هذه القوة . صحيح تأتي مناسبات تحتاج الى حنكة سياسية ، وانا اوافق الاخ شفيق عــلى هذا الموضوع ، فموضوع التكتيك أساسي لكن في ظل رؤيتنا للقوة الاساسية التي يمكن أن تصنع التاريخ، وهي قوة الجماهير . وقوة الجماهير لا يمكن ان تبنى الا على اساس برامج سياسية علمية وثورية ومتكاملة . ليس هناك فكر ثوري قطري ، الفكر الثوري هو فكر قومي ، وبالتالي نحن لا نستطيع في الواقع أن نعفي أيضا برنامج المرحلة (جوابا على قضية المراحل) من تحديد موقف واضح فيما يتعلق بمسلكية النظام القائم في مصر ، ومسلكية النظام القائم الآن في سوريا . صحيح هناك اعتبارات تكتيكيــة ، لكن هنــاك أيضا جماهيرنا التي تنتظر موقفا من الثورة الفلسطينية وتأثير هذا الموقف . من هنا فعندما لا يقف برنامجنا السياسي المعبر عنه في الحلقة المركزية ، عند ما هو مشترك فقط مع ما يطرحه المجتمع الدولي (اعني ماذا عن غزة والضفة الغربية) وانما نضع البرنامج الذي يعطي جوابا على كل هذه القضايا ، فان هذا يساعد أيضا على التمييز الواضح ما بين ثورة تريد أن تضع برنامجا علميا مرحليا آخذا بعين الاعتبار الوضع الدولي والعربي ، وبين موضوع آخر مطروح . هذا ولا نستطيع أن ندير وجهنا ونتصرف وكأنه لم يطرح شيء فأي شيء الان ستطرحه الثورة الفلسطينية او سيطرحه اي فصيل ، أردتم او لم تريدوا ، فان الجماهير ستنظر له وتحاكمه من خلال ما هو مطروح دوليــا وعربيــا (موضوع مؤتمر جنيف أو لا مؤتمر جنيف) . صحيح نحن كقيادة يمكن أن نقول ان هذا هو حجم مؤتمر جنيف ولكن متى يمكن أن يحصل ذلك ؟ عندما نطــرح تحليلا للثــورة الفلسطينية وبرنامجا للثورة الفلسطينية يضع الحد الفاصل والواضح وبين ما هو مطروح دوليا وبين خط الثورة في مواجهة ما هو مطروح .

نقطة أخيرة ، في تقديري بقدر ما يجب ان نؤكد على ضرورة كذا وضرورة كذا وضرورة كذا فأنا أشعر أن الجماهير قد تتساءل أيضا لدى تغييب أي قضية مركزية تحس بأهميتها

وتتساءل عن أسباب غيابها . لقد أكد الاخ زهير على ضرورة أن نحدد الهدف السياسي أولا ، وأنا بمستوى تأكيدي على الهدف السياسي أؤكد علـــى ضرورة التأكيد على أي وسيلة سأصل بها الى هذا الهدف . فليكن هدفنا السياسي مرحليـــا ، وليكن هدفنا السياسي مقبولا الان من قبل جماهيرنا الفلسطينية وجماهيرنا العربية والوضع العالمي، ولنضع فعلا هذا البرنامج السياسي الذي يمكننا تلخيصه في جلاء الاحتلال الاسرائيلي عن الضفة الغربية وغزة واسقاط النظام الرجعي العميل في الاردن وموضوع وجهة النظر في الموقف العربي الرسمي من القضايا او المؤامرة المطروحة الآن لتصفية الصراع العربي الاسرائيلي ، وكل ذلك وبشكل واضح دون أي اعتراف ، دون صلح ، دون مفاوضات مباشرة ، عندما نضع هذا الهدف فمن الضروري جدا ــ وهذا يواجه كل ثورة وكل فكر ثوري ــ أن نحدد ما هي الوسيلة للوصول الى هذا الهدف . وهنا في اعتقادي انه من الضروري أن تقول الثورة الفلسطينية ان كان ميزان القوى القائم الآن لا يحقق هذا الهدف أو يحققه . هذا الهدف الذي يمكن ان نتفق عليه ويجب ان يكون لدينا حماس شديد للاتفاق لان هدفنا هو التغلب على التناقض الرئيسي . وبعد أن نحدد هذا الهدف بوضوح ــ دون صلح ودون اعتراف ــ (وقـــد خضت في موضوع الصلح والاعتراف وبينت خطورتهما في الجلسة السابقة) بعد ذلك ضروري أن نقول أن ميزان القوى كما هو قائم الآن لا يمكن ان يوصلنا الى هذا الموضوع . لا يمكن ؟ لا نكتفي بهذا الكلام بل نقول أيضا أن النضال السياسي وحده لن يوصلنا لهذا الموضوع . طوال سبع سنوات من ٥ حزيران حتى حرب تشرين لم يؤد كل النضال السيـــاسي الذي خاضته الانظمة العربية الى أي جلاء عن شبر واحد . اذن فمن الضروري أن نؤكد ان موضوع النضال السياسي وكل التحالفات وقوة السوفيات وضغطهم ــ في تقديري ــ لن يؤدي الى هذا الهدف . اما الحرب الاقتصادية ، أقصد بذلك حرب النفط ، فان القوى التي تقودها هي قوى أعجز من أن تخوض مواجهة حاسمة مع الامبرياليـــة . هي مستعـــدة لخطوات تكتيكية معينة تمرر من خلالها الحل الامبريالي الرجعي. اذن فلتكن هذه الامور واضحة. ما الذي يمكن اذن أن يوصلنا لهذا الهدف المرحلي . هذا شيء يجب أن يقال لجماهيرنا. انه القتال ومزيد من القتال . هذا الشيء الوحيد الذي يجب أن تصب كل قوتنا باتجاهه. والخلافات التي ربما قد تبدو بسيطة تكون في تقديري هامة : الى أين نكون مشدودين ، وأين الثقة ، وكيف نطرح الامور لجماهيرنا ، وبأي هدف نطرح الامور لجماهيرنا ؟ وهذه هي أهم الاسئلة . فان أي قضية أو أي موقف أريد أن أطرحه للجماهير علي ان أسأل نفسي : ماذا ستكون النتيجة على صعيد تصاعد قوة الجماهير في طريقها للوصول الى هذا الهدف ؟ في تقديري ان من أهم القضايا التي يجب على الثورة ان تركز عليها الآن ، في كل ندواتها وفي كل كلماتها وفي كل ما تكتبه ، أهم هذه القضايا هي اننا سنكون واهمين اذا كنا نظن انه يمكن الوصول الى هذه الاهداف المرحلية عن طريق مؤتمر جنيف . نكون واهمين اذا اعتقدنا اننا نصل عن طريق النضال السياسي . هذا الشيء لا يمكن أن نصل له الا عن طريق المزيد من القتال .

ويقودنا هذا الى البرنامج المفصل المتعلق بهذا الموضوع ببنوده المحددة . ان شعور كافة فصائل المقاومة بمسؤوليتها تجاه الوضع الذي نعيشه الآن يجعلها تحاول بأسرع وقت ممكن أن تصل الى وضوح حول هل هناك وحدة في الرؤية السياسية ، هل هناك تقارب في الرؤية السياسية ؟ أين نحن متفقون ، وأين مختلفون ؟ كيف نحدد علاقاتنا على أساس هذا الموضوع ؟ هذا موضوع لا بد من جلائه بين فصائل حركة المقاومة ، وهو في تقديري يمكننا من تصور طبيعة أداة الثورة واسلوب عملها في المرحلة القادمة : بناء قاعدة جماهيرية مسيسة في فلسطين المحتلة نتوج نضالها السيـــاسي بالعنف ، العمل الجاد لخلق الجبهة الفلسطينية الاردنية على أرض الاردن بهدف نضال يومي وتراكمات

يومية هدفها الاستراتيجي أو شعارها الاستراتيجي اسقاط نظام الملك حسين ثم ربط كل ذلك بحركة الجماهير العربية وحركة الجماهير العربية تعبير هام جدا تندرج تحته حركة التحرر الوطني اللبناني والوقفة الجادة أمامها حتى تشكل حماية لحركة المقاومة ووجودها العلني هنا . لكن أبرز نقطة الآن ، واقول هذا بقناعة ، أبرز نقطة الآن في هذه الفترة فيما يتعلق بالوضع العربي ، هي موضوع الرفض السوري . والاخ زهير يعرف ما هي علاقتنا نحن بسوريا بشكل خاص . ولكن هذا شيء ، وموضوع أن نرى الامور بعلمية وموضوعية شيء ثان . ان الرفض السوري لا توجد اوهام حول مداه . أنا ذكرت قضية موضوعية هي اختلاف موضوع سيناء عن موضوع الجولان، واكتفيت بهذا السبب تجنبا للنقاش . لكن اذا أردنا أن نذكر أسبابا أخرى فهناك أسباب اخرى . في تقديري ان البنية الطبقية للسلطة في سوريا تختلف عن البنية الطبقية للسلطة في مصر . بعد كل التوجه نحو اليمين الذي سار فيه السادات في مصر . ويمكن ان يكون هناك احيانا الفروقات الذاتية والشخصية . فشاب عاش في سوريا ، وعاش كل الحالة الوطنية فيها لا يقدر ولا يستسيغ أن يجلس هو واسرائيل على طاولة واحدة . وعندما يكون هذا الانسان قائدا فان هذا الموضوع يلعب دورا في الحقيقة . ولكن لو تركنا كل هذه العوامل جانبا ، فهناك قضية الرفض الآن . كيف تواجهها الثورة الفلسطينية ؟ نتأملها ؟ نقول هذه قضية تكتيكية ؟ نطرح هذا التحليل ونقول لا بد من قتال ، ونضع خطة كاملة لجبهة مقاتلة ، ليست جبهة رافضة سلبا ولا جالسة على الرف ولا ناسية جماهيرها ، ولا تريد ان تزايد لاننا فعلا نواجه مواقف ، كل واحد منا واقف بمسؤولية أمامها . الحل المطروح اذن برنامج قتالي يمكن أن يتم ارتكازا الى موقف موحد يمكن أن تتخذه المقاومة ويلتحم فعلا بالموقف السوري . وعندما يلتحم بالموقف السوري يبدأ نشاطنا السياسي لنضع العراق أمام مسؤولياته ، ونضع الجزائر أمام مسؤوليتها . نعرف جميعا القوى العربية التي كانت تنتظر ان تحدد المقاومة رأيها حتى تحدد هي موقفها . الحركة الوطنية اللبنانية تقول ما تحدده حركة المقاومة كذلك اليمن الديمقراطي والجزائر . فلتحدد حركة المقاومة وتقول هذا هو تحليلي وهذا هو فهمي لمؤتمر جنيف ، وهذه هي استراتيجيتي المرحلية الخاصة المتميزة والمستقلة عن مؤتمر جنيف والمتناقضة معه . وليس هذا فقط هذا هو مدى رؤيتي لاسلوب تحقيق أهداف هذه المرحلة ، فاذا كانت حركة المقاومة قد عاشت في الفترة السابقة في حالة ضياع مكنت بعض القوى من عدم القيام بالتزاماتها فعلينا ان نضعها أمام مسؤوليتها . ونحن نستند هنا الى عمق بشري وجغرافي ، عمق جغرافي يمتد من الجولان على طول سوريا ومعها العراق ، وعمق بشري بحدود ١٥ مليونا . وقد دلت حرب تشرين على ان هذا الخط السياسي ثم هذا العمق الجغرافي والبشري بالاضافة الى قيادات مصممة على استمرار القتال لفترة طويلة ، كل ذلك قادر على أن يهز ميزان القوى كما هو قائم الآن . ودلت حرب تشرين ان هذا التفكير ليس تفكيرا وهميا ، بل هو الطريق الوحيد الذي يجعل قوتنا نامية ، حتى لا نعيش سنة او سنتين في حالة جدل حول المواقف السياسية فقط لنجد بعد ذلك ان كافة اوهامنا حول امكانية جلاء اسرائيل كانت في الحقيقة مجرد اوهام .

أبو ايـــاد

أود ان أبدأ بملاحظة اولى حول الحوار كله . اعتقادي ان هذه الجلسات في مركز الابحاث ، وغيرها من الحوارات التي تجري بين المنظمات ، اذا كان هدفنا منها هو تسجيل مواقفنا والتعبير عن مواقف منظماتنا فقط ، دون عملية أخذ وعطاء ، فربما يكون الحوار غير مجد ، ويكون كل واحد فينا سائرا في طريق مسدود ، ويكون حوارنا شبيها

بحوار الطرشان . اما اذا كان هدف هذا الحوار فعلا ان ينطلق من الحقائق ويثبت هذه الحقائق ، ثم بعد ذلك نفتش عن كل الوسائل التي يمكن بها تصليب هذه الحقائق القائمة واستمرار نضال شعبنا ، فأعتقد انه يمكن ان نصل نتيجة حوارنا الى موقف لفصائل المقاومة اولا ، وللشعب الفلسطيني الذي نعتبر نحن طليعته ثانيا .

على العموم انا لست متشائما . بالعكس ، قد أكون أكثر تفاؤلا بأن هذا الحوار مجدي وان ليس لنا بديل عنه الا ان نستمر فيه . في رأيي يجب في أي تحليل لمرحلة من المراحل ان نحاكم المسائل او نحاكم المرحلة على ضوء عناصر أساسية ، اولى هذه العناصر فعلا وقائع التاريخ النضالي التي مر به شعبنا وليس من قبيل ان نذكر المراحل التي مر بها نضال شعبنا وننقلها كما كانت في عام ٣٦ او عام ٣٣ او ٤٨ ، أو بعد ذلك . ربما لم يكن لنا دور كبير في حرب ٥٦ كحرب ٦٧ أو حرب تشرين . يجب ان نستقرىء التاريخ لهذا النضال حتى نأخذ منه العبرة . أين أخطأ قادتنا السابقون . أين وقفوا وقفات غير صحيحة وأين وقفوا وقفات سليمة . من هنا أقول اولا انه ليس بوسع انسان ان يقول ان موقف اجدادنا السابقين من قضيته التاريخية موقف خطأ . بمعنى ان شعبا يرفض ان يأتي عليه احتلال ويستوطن في ارضه ويحتل بلاده ويقيم دولة على انقاضه . من البديهي ان يكون موقفه موقفا وطنيا وموقفا ثوريا . كان الخطأ الذي يقع فيه اجدادنا دائما انهم كانوا يقفون عند حدود التمسك في الحق التاريخي لشعبنا من غير ان يناضلوا في كل مرحلة على ضوء المعطيات الموجودة فيها .

ان البعض يطرح القضايا وكأن هنالك اناسا يريدون ان يستسلموا واناسا يريدون ان يكملوا المشوار ان ذلك لا يخدم الحوار والمناقشة وهو نوع من الارهاب الفكري قد يجعل المرء يحجم عن التفكير بوسائل نضالية حقيقية لتحقيق اهدافه. ان سطوة الارهاب الفكري عليه تجعله يمتنع عن ابداء رأيه او يقول رأيه في مرحلة معينة من المراحل .

في هذه المرحلة ، أقف عند نقطة معينة . بعد حرب تشرين ، هل القيادات الفلسطينية المختلفة سواء منها من عبر عن مواقفه بالرفض المطلق او بالتريث هل هذه المواقف فعلا تتعارض مع البرنامج السياسي الذي أشار اليه الدكتور والذي أقررناه ؟ أما البرنامج السياسي فلم يصدر عن أية منظمة من المنظمات بيان يعلن انها تخلت عنه . ولم تقل أي منظمة من المنظمات ان هذا البرنامج السياسي لها او الميثاق الوطني لها . انما حصلت في حرب تشرين كما تحدثنا جميعا ، متغيرات في الواقع الدولي ، فيها التحرك والارادة الدولية ، ولكن الجانب الاميركي فيها متحرك بشكل مكثف أكثر وقدرته على التحرك وعلى الفرض أقوى من الطرف الصديق . وربما تكون الدول العربية التي خاضت الحرب كانت مخططة لحرب تكون محدودة ، تقف عند حد معين .

وكلنا أجمعنا في هذه الندوة ، على ان حرب تشرين أعطت معطيات جديدة ، هذه المعطيات الجديدة التي اعطتنا اياها الحرب يجب ان نحاكمها محاكمة موضوعية ، لا بمعنى التسليم بنتائجها ، لانه اذا سلمنا بنتائجها يعني اننا تخلينا عن كل مبادئنا . انما يجب ان ننظر الى ايجابياتها ونعتبرها نوعا من المد او مزيدا من العطاء لتفكيرنا في حرب الشعب وتفكيرنا في الكفاح المسلح واستمرار المقاومة ، ولكن ايضا لا يجوز ان نتجاهل ، انه يوجد ارادة قهرية عند الدول الكبرى وعند بعض الانظمة العربية التي فعلا كانت تفكر بحدود ان تصير الحرب ثم تحرك القضية ثم يصير مؤتمر سلام . هنالك دول عربية كانت تفكر بهذه الطريقة . اي انها حددت سقفا معينا لا تريد ان تتجاوزه .

والان يوجد مشكلة ستواجه جزءا من الارض الفلسطينية وجزءا من الشعب

الفلسطيني . هنـــا انطلق اول ما أنطلق الى خيارات اساســـية ، واقول بكل صراحة وبكل وضـــوح ان هذه الخيـــارات يجب ان تكون واضحة لكل واحـــد لانه يجب ان يبـــدي رأيه ، وان أي فلسـطيني او عربي يقول انه علينـــا ان نحبط التســـوية فقط فأنا اعتبر ان هذا كلام غير ثوري وليس له علاقة بالوطن ، أول شيء يجب ان نجتمع ، ونحن كقيادات ، لم نجتمع الى الان حتى نقرر مـــا هو حجم قدرتنـــا على احبـــاط التسوية ، ســـواء كانت هذه التسوية باتجـــاه مذل او باتجـــاه الحل الجزئي ، او تســـوية بوجه عام ، لماذا ؟ لانه كما قـــال الرفيق زهير وكما قـــال الاخوان الدكتور ، والاخ نايف ان اية تســـويات بالطبيعـــة يوجد فيها تنازل وتنازل مقابله ، التنازلات المتقابلة هذه ، لا بد ان تفرض على حركتنا كشعب فلسطيني وعلى حركة الجماهير العربية قيودا .

ونسأل هنا ، هل وحدنا نقدر على احباط التسوية ؟ . . وفعلا بكل صراحة ، اذا كان خيارنا هذا وأجبنا عليه بأننا نقدر ؟ فسنكون قد خنا قضيتنا اذا لم نبذل كل جهد وكل عطاء لاحباط التسوية .

نأتي لموضوع آخر الخيار الثاني ، اذا كان بامكاننا ان نخلق جبهة قتال عربية تمنع التنازل الجزئي وتصلب الموقف العربي بحيث يشعر ، أن الموقف السوري ليس وحده منعزل وما من شك في ان كل واحد يرى فوارق كثيرة بين المواقف العربية ، الا ان هذا الموقف العربي حتى نصلبه يجب ان نبذل كل جهد وكل امكانيات تحرك المقـــاومة ، حتى لو كان اعـــلان موقف مما يجـــري الان يصلب هـــذا الموقف ويجعـــله ســـائرا في الطريق فســـنرتكب خطأ فاحشـــا اذا لم نأخذ هـــذا الموقف . وعـــن مـــوقف العراق ، لقـــد اطلعت على مبـــاحثات العـــراق الدائرة . اذا كـــان العراق يريد ان يأخذ موقفـــا باتجـــاه تصليب جبهـــة ســـوريا واذا كان بامكاننـــا ان نـــدفع العـــراق الى هذا الموقف ونتـــأخر لحظة ايضـــا فســـنرتكب خطيئة كبـــيرة ، ولكن يجب يا اخـــوان ان ننظر للامور نظرة موضوعية . فاذا كانت هـــذه خياراتنا ويجب ان نبحث بها ، هل يمنع هذا ان نفكر انه اذا كانت هذه التسوية واذا فرضت علينا ، وعلى المنطقة فرضا ، كيف نستطيع ان نواجهها . قد أقول اننا في حوار طويل حول نتائج تسوية باعتبار ان التسوية قائمة ومفروضة ، ولم نبحث بالمسائل المحددة وفي نفس الوقت اقول ، انه ليس خطأ ان يشمل تفكيرنا مصير أي ارض فلسطينية او عربيـــة تنالها التسوية بشرط ان نبحث الخيارات ضمن البرنامج المرحلي ، واذا كنا نقول ان هناك تسوية قد تفرض بحكم الارادة الدولية وبحكم الواقـــع العربي وموازين القوى ، فعلينا ان نواجه وان نعطي حلا لهذه التسوية المفروضة . يجب ان نفرق بين طرحنـــا المرحلي وبين التسوية المفروضة بل يجب ان نطرح طرحا مستقلا اذا فرضت التسوية على المنطقة . هذا هو موقفنا من هذه الاراضي التي احتلت ونريـــد ان نضيف لهـــذا البرنامج اسقاط النظام الهاشمي ، ونضيف اليه أشياء اخـــرى . يعني انا مـــع كل الاضافات ولكن بشرط ان نكون قادرين على تحمل مهماتنا فعلا . وان نمارس باتجاه أخذ هذه المهمات مأخذ الجد حتى لا نحمل انفسنا اكثر مما نطيق .

يجب علينا ان نقف على ارضية واحدة لنواجه كل المشكلات الراهنة التي تواجـــه منطقتنا الان . ان الطرف الامريكي الاسرائيلي الهاشمي يحاول ان يفرض التسوية على هواه ويرتب الاوضاع حتى يكون لهذه التسوية الطابع الامريكي الاسرائيلي الهاشمي . ولكي نستطيع مواجهة هذه التسوية التي يحاول هذا الطرف فرضها يجب ان نضع في وجهها العقبات . وليس من الضروري الان فتح المعارك مع الانظمة التي خاضت حرب تشرين . أنا ضد هذا الشيء ولكنني ايضا مـــع توضيح موقفنا مـــن كل تصرف

نشعر انه قد يجعل هذه الانظمة تتخلى عن مواقفنا . اذا نحن وضعنا الامور بالشكل هذا يكون عندنا أساس ، كحركة فلسطينية ، هو الاجتماع الذي تعقده اللجنة التنفيذية لقادة المقاومة كلها في جلسة تبحث فيها الامور كلها بصراحة تامة ويوضع فيها البرنامج الاساسي الذي لم نتخل عنه . ولكن من الضروري ان نضع برنامجا يواجه هذه المرحلة ويتضمن جوابا على كل ظرف طارىء او ظرف يفرض على المنطقة . ومن هنا نستطيع ان نمنع البلبلة عن جماهيرنا . فتصمد هذه الجماهير في مواجهة التحديات القادمة عليها . وبغير هذا الاجراء السريع الذي يجب ان يتم وبأسرع مدة ممكنة ، قد تمر بعض المشروعات التي تصب في المخطط الامريكي الصهيوني الهاشمي . وهنا اؤكد مرة ثانية على ان الحوار الذي تم في المرحلة الماضية لم يكن كله خطأ . القضية المصيرية كان لا بد ان نتحاور فيها وكان لا بد ان نبذل جهدا في ارائنا . ولكن آن لنا الان ان نبدأ مرحلة العمل لان المرحلة ليست مرحلة تسجيل مواقف للتاريخ ولا مرحلة تسجيل مواقف لهذا التنظيم او ذاك . المرحلة أخطر من هذا اذا كنا جادين في مواجهة كل ما ستفرضه القوى الامبريالية على المنطقة . علينا ان نواجه هذا الشيء صفا واحدا قويا ومتينا .

شفيق الحوت

مرة اخرى أقول — ربما لانني انتمي الى المستقلين — اني أشعر بالفعل وبصدق وبدون أي احساس بالتمني ، انه رغم التباين الجزئي الذي ظهر بين الرفاق والاخوان ، الا انني أشعر اننا ما زلنا جميعا على أرضية واحدة .

لم أستمع حتى الان الى رفيق او أخ مسئول تنازل عن الحق التاريخي لتحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني ، ولم أسمع أي أخ يقول بأنه على استعداد ، في سبيل مكسب راهن ، ان يتنازل عن الهدف التاريخي القومي في فلسطين ... الموضوع المطروح : كيف نحفظ الحق التاريخي . هذه هي النقطة . هنا ثمة تباين في وجهات النظر حول كيفية التصدي لما أسماه الدكتور المؤامرة . وانا اعتقد ان المؤامرة مستمرة، وان الصراع مستمر ، لانه لم يصدر بيان عن الحركة الصهيونية بأنها تنازلت عن ايديولوجيتها . ولم يصدر بيان ولم تقم ثورة في الولايات المتحدة الامريكية تعلن نهاية وتصفية رأس الحربة الامبريالية في العالم . كما انه لا يمكن ان يصدر عن الجانب العربي والفلسطيني بشكل خاص اي تنازل عن اهدافه القومية والوطنية . المشكلة الان كيف نتصدى لما يسمى بالتحديات الجديدة . ونحن في صراعنا ننتصر وفي صراعنا ننهزم . وهذه طبيعة الصراع .

السؤال الملح في خاطري هو « ما العمل » لو استطاع قطار جنيف ان يمر ؟ وليست جنيف في رأيي الا التجسيد الجغرافي السياحي لنتيجة ومحصلة صراع القوى على المستويات الدولية وعلى المستوى القومي . كان يمكن ان يحدث هذا في جنيف ويمكن ان يحدث في نيويورك . ليست الجغرافيا هي المهم وانما جنيف هي مصطلح تعبر عن محصلة الصراع الذي وصل ذروته في حرب تشرين . انا أخشى ان يكون طرح الشعارات الاستراتيجية للرد على تحديات مرحلية عملية غير مقنعة . نحن الان لسنا في مرحلة تحرير كامل التراب الوطني . الظروف الموضوعية غير متوفرة . اداة التحرير غير متوفرة ، انا لا يمكن ان شئت ان أتصدى مثلا للنظام المصري في مساره الراهن ، لا يمكن ان نغير هذا النظام او نصحح من مساره، لو طرحنا امام الجماهير المصرية قضية تحرير يافا . ولكن ربما أؤذيه وأسقطه او أصحح مساره اذا قلت له ان أي تنازل عن شبر من حدود الـ ٦٧ هو تنازل عن موقفك ، وخيانة لآلاف الشهداء الذين استشهدوا هنا وهناك . أما لو قلت الان لثلاثة

ملايين مهاجر مصري ينظرون الى السويس والاسماعيلية وبور سعيد نظرة أمل وعودة انه عليكم ان تؤجلوا هذا في سبيل تحرير يافا ، أكون أطرح شعارا ليس خطأ من الناحية المبدئية ولكن من الناحية التكتيكية يرتد علي غالب الظن في موقف جماهيري سليم . وانا أخشى ما أخشاه بالفعل ، وقد أكون هنا اتكلم بالواقعية ان أخشى ما أخشاه ما يسعى اليه الامريكي في التعامل مع النظام المصري بأنه غدا يبدأ فتح القنال . يشتغل مئات الالوف من العمال . يعاد بناء ثلاث — اربع مدن على البحر الاحمر والبحر الابيض . ملايين من الدولارات . انفتاح وارتداد عن الخط الاشتراكي ، ستصبح مصر في نوع من ازدهار مفتعل يشعر الجماهير المصرية وكأنها أنجزت شيئا . وبالفعل تكون قد أنجزت شيئا ولكن على حساب الاهداف التاريخية . على أهداف النضال العربي القومي الثوري .

أريد ان نخاطب المرحلة بلغتها . وانا أعتقد ، ودعوني افكر بصوت ، انني كطرف فلسطيني أقل الاطراف المعنية حرجا في الحديث عن هذه المرحلة . العدو معروف والصديق تأييده محدود والدول العربية رغم مواقفها القومية المعلنة الا انها معنية شئنا أم أبينا كذلك بقضايا قطرية وبانجازات قطرية . ممكن عربيا رسميا تأجيل كل شيء على حساب القضية الفلسطينية . ممكن تأجيل تحرير حتى الضفة الغربية وقطاع غزة اذا أخذنا هناك في الجولان قليلا وهنا في سيناء قليلا . صحيح ان الفكر القومي والثورة القومية من صنع الجماهير ، واشارك الدكتور انه كثيرا ما خاطبنا الانظمة أكثر مما خاطبنا الجماهير وحركاته الثورية ، وربما كان ذلك ايضا ، من نتاج مرحلة ليست من صنعنا . كنا مضطرين او كانت بعض فصائل الثورة ، تتعامل مع أنظمة محكومة نظريا بأنها رجعية وانها متخلفة وانها ربما تكون في الخندق المضاد للثورة ولكن ظروف المرحلة التي انطلقت فيها حركة المقاومة الفلسطينية ولا سيما بعد هزيمة ٦٧ كانت تفرض الكثير من الامور التي لا يقرها المفهوم النظري الثوري .

مرة اخرى أقول ان هذه المرحلة التي تطرح حلولا مرحلية لنا أجوبة عليها ، صحيح نحن نريد ولا يمكن ان نتنازل ، ومن يتنازل خائن ، وقد ننتهي كثورة وقضية ولكن الجماهير باقية وستستأنف الصراع ، نحن لا نملك ان نتنازل عن حق من حقوقنا في فلسطين . ولكن كيف نرد على المؤامرة على أجزاء بأجزاء مضادة ؟.

أنا أعتقد ان رفع شعار ان الضفة الغربية وقطاع غزة هي أرض فلسطينية ، ولشعب فلسطين وليس لاي جهة في الدنيا ان تتصرف بمصير هذه الارض بعيدا عن ارادة شعبها ، انا لا اعتقد انني بهذا الموقف اكون قد تخليت عن حقوقي القومية في الارض التي احتلت عام ١٩٤٨ . أما من يستلم السلطة فهذا موضوع آخر ولكن يجب أمام تحركات الملك حسين وأمام تحركات بعض الانظمة العربية ، ان يكون الرد المرحلي على قضية مرحلية بأن اقول لا لاية وصاية دولية او عربية على ارض فلسطينية فوقها شعب فلسطيني . وهذا الشعب ليس قاصرا ، هذا الشعب قادر على ان يخوض معركته وعلى ان يتسلم سلطته . انا مع الاخ زهير محسن بأن السلطة ليست كلمة بالفم ، ولكنها مسؤولية ومسؤولية تاريخية ، ولكن منذ اللحظة التي اصبح لشعب فلسطين دوره الخاص في النضال معنى ذلك انه مطالب كذلك بأن يتحمل المسؤولية التي تترتب على هذا الدور الخاص ، مع التحرير الكامل ومع التحضير لكل أدوات التحرير الكامل ، ومع الضغط من أجل الانتقال من هذه المرحلة ، الى مرحلة تؤدي الى هذا الطريق . من أجل هذا انا اشارك اقتراح الاخ زهير فهو اقتراح عملي ، ان تعالوا نقرر ماذا نريد لهذه المرحلة ، لا أحد يتحدث بالتحرير الكامل لان هذا تحصيل حاصل واعادة النظر فيه معناها تشكيك فيه ، اما الان فنحن في هذه المرحلة ، أمام

هذه المعطيات الجديدة ، امام هذه المتغيرات ، ما هو شعار المرحلة ؟ ماذا تقول جماهيرنا في هذه المرحلة . نقول تحرير كامل في الوقت الذي يتهدد فيه نصف سيناء ؟ وفي الوقت الذي تقول فيه اسرائيل انها لن تتنازل عن شبر أرض من الجولان ؟

لنقل وانا مع الدكتور انه كما يحق لهذا النظام العربي ، او لذلك الحزب العربي او لذلك التنظيم العربي ، او لذاك المواطن العربي ان يتدخل في شؤون القضية الفلسطينية وهذا واجبه ، علي كذلك ان اقول رايي في كل شبر محتل في جمهورية مصر العربية ، وفي الجمهورية العربية السورية . أي ، لا يوجد موقف فلسطيني منفصل . وهذه طبيعة الصراع وطبيعة التفاعل . ومن هنا يا أخ زهير ، من هنا يمكن أن أكون براغماتيكيا مائة بالمائة . أنا أقول لك من الان موقفي . انا لا أستطيع ان اتناقض في شكل نضالنا الحالي ومسيرتنا الثورية الحالية مع سوريا بالذات . قناعتي هي أنه لا أستطيع ان أكون في خندق مضاد لاي قرار سوري يتخذ ، ربما لا أقر الموقف نظريا ولكني لا أستطيع ان أتصارع مع سوريا الا اذا اردت ان أغير من مسيرتي ومن شكلها ومن جغرافيتها ، فأنا مع اقتراح الاخ زهير المحدد ، وهذا مطلوب الحقيقة من الاخوان قادة الفصائل، طالما اننا كلنا متفقون على خطنا الستراتيجي بأنه ثابت ولا نحيد عنه ولا نملك ، ان نتنازل عن شبر أرض ، ومن منطلق الثقة ببعضنا البعض ، ان يجتمع قادة الفصائل على أعلى مستوى مسؤول ، وهنا كمستقل أريد ان اقول ، ان هذا الاقتراح يجب ان يكون اقتراحا محدود الامد ، من المفروض ان تجيبوا على هذا السؤال ماذا نريد من هذه المرحلة ؟ كيف نتصدى للتحديات الجديدة ؟

واقول ، مختتما ، ان أي حديث يتجاوز المرحلة يكون هروبا من المرحلة وتشبثا بالهدف الستراتيجي الذي يكون طرحه مجردا عن هذه المرحلة نوعا من التفكير غير العملي وربما الهروبي عن غير قصد وعن غير وعي ، انتم أمام مرحلة جديدة . أمام اقتراحات محددة امام وسائل تصفية محددة ، عليكم ان تردوا عليها واحدة ، واحدة . وان تقيموا كل الاحتمالات . ماذا لو تم ذلك ، ما هو الموقف ، ماذا لو تم الموقف الاخر ، التسوية الاخرى ؟ ما هو الموقف ، وعلينا ، كذلك ان نعبد اوسع الطرق لاعرض قواعد شعبنا وقياداتنا ، لكي تساهم في عملية التصدي لتحديات المرحلة الجديدة .

حول نتائج الانتخابات للكنيست الثامن :

اربعون عاما من الاستقرار السياسي داخل الكيان الصهيوني

صبري جريس

تشكل الانتخابات العامة للكنيست (البرلمان) الاسرائيلي ، التي جرت يوم ١٢/٣١/ ١٩٧٣ بعد ان كان من المقرر ان تجري يوم ١٩٧٣/١٠/٢٨ ثم تأجلت بسبب الحرب ، مناسبة فريدة في نوعها للوقوف على بعض ميزات النظام الاسرائيلي ، بعد مضي ربع قرن على قيام اسرائيل . وتكتسب هذه الانتخابات اهمية خاصة باعتبارها جاءت بعد فترة وجيزة من وقوع الحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة ، وما أسفرت عنه من فشل منيت به العسكرية الاسرائيلية أدى الى تحطيم نظريات القوة والامن الصهيونية التي كانت اساسا للاستراتيجية الاسرائيلية خلال فترة طويلة من جهة ، واجبرت اسرائيل على اعادة النظر في موقفها وتقييمها للعالم العربي وامكانات القوة العربية من جهــة اخرى . كذلك فان لهذه الانتخابات مدلولها لجهة استقراء راي المواطن الاسرائيلي العادي ، بالمدى الذي يمكن ان تعتبر الانتخابات وفقا له وسيلة لذلك ، في المشاكل التي تواجهها اسرائيل داخليا وخارجيــا وامكان الوصول الى تسوية للنزاع العربي — الاسرائيلي ، ثم محاولة التكهن بشأن معرفة موقف الحكومة الاسرائيلية المقبلة من تلك القضايــا ومدى استعدادها ، او قدرتهــا ، على اتباع سياسة جديدة في ضوء نتائج الانتخابــات .

دولة الكتل والقوائم الانتخابية

ان اول ما يلفت النظر في الانتخابات الاسرائيلية هو كثرة عدد القوائم التي خاضت معركة الانتخابات ، والتي وصل عددها في الانتخابات الاخيرة الى ٢١ كتلة وحزبا وقائمة انتخابية . وهذا الوضع ، الذي تعود أسسه الى طابع المنظمة الصهيونية العالمية على اختلاف فئاتها وتنظيماتها ، والى الاوضاع السياسية بين المستوطنين اليهود فــي فلسطين ايام الانتداب ، ليس بجديد وانما رافق الحياة البرلمانية في اسرائيل منذ قيامها . ففي الانتخابات للكنيست الاول وحتى السابع ، اشتركت — على التوالي — ٢١ و١٧ و١٨ و٢٤ و١٥ و١٧ و١٦ قائمة فازت منها ١٢ و١٥ و١٢ و١٢ و١٣ و١٣ قائمة بمقاعد في الكنيست(١) . أما في الانتخابات الاخيرة للكنيست الثامن فقد فازت ١٠ قوائم بمقاعد في الكنيست وفشلت الــ ١١ قائمة الباقية . ويعتقد ان السبب الرئيسي لازدياد عدد تلك القوائم بهذا الشكل يكمن في طريقة الانتخابات النسبية المباشرة المتبعة في اسرائيل ، والتي تعتبر بموجبها اسرائيل بأكملها دائرة انتخابية واحدة ، بحيث تجمع لصالح أية قائمة كل الاصوات التي تحصل عليها في أي مكان في اسرائيل ويسمح لها بالاشتراك في توزيع المقاعد في الكنيست اذا حصلت على ١ ٪ من مجموع الاصوات العام او أكثر ،

الجدول ١

نتائج الانتخابات العامة للبرلمان الاسرائيلي (الكنيست)
(عدد النواب لكل حزب ــ من مجموع ١٢٠)

الحزب / القائمة / الكتلة	الكنيست الأول ١٩٤٩/١/٢٥	الكنيست الثاني ١٩٥١/٧/٣٠	الكنيست الثالث ١٩٥٥/٧/٢٦	الكنيست الرابع ١٩٥٩/١١/٣	الكنيست الخامس ١٩٦١/٨/١٥	الكنيست السادس ١٩٦٥/١١/٢	الكنيست السابع ١٩٦٩/١٠/٢٨	الكنيست الثامن ١٩٧٣/١٢/٣١
التجمع (معراخ)	—	—	—	—	—	٤٥(١)	٥٦(٢)	٥١
مبــــــاي	٤٦	٤٥	٤٠	٤٧	٤٢(١)	—	—	—
أحدوت همنوداه	—	—	١٠(٣)	٧	٨(١)	—	—	—
مبــــــام	١٩	١٥	٩	٩	٩	٨(٢)	—	—
رافي	—	—	—	—	—	١٠(٤)	—	—
القائمة الرسمية	—	—	—	—	—	—	٤(٥)	—
التكتل (ليكود)	—	—	—	—	—	—	—	٣٩(٦)
غــاحــــــال	—	—	—	—	—	٢٦(٧)	٢٦	—
حــــيروت	١٤	٨	١٥	١٧	١٧(٧)	—	—	—
الاحــــــرار	—	—	—	—	١٧(٧)	—	—	—
المركز الحر	—	—	—	—	—	—	٢(٨)	—
الاحرار المستقلون	—	—	—	—	—	٥(٩)	٤	٤
الصهيونيون العموميون	٧	٢٠	١٣	٨(١٠)	—	—	—	—
التقدميون	٥	٤	٥	٦(١٠)	—	—	—	—
الحزب الديني القومي (مفدال)	١٦(١١)	١٠	١١	١٢(١٢)	١٢	١١	١٢	١٠
اغودات يسرائيل		٣	٦	٦	٤	٤	٤	٥
عمال اغودات يسرائيل		٢			٢	٢	٢	
الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي)	٤	٥	٦	٣	٥	١(١٣)	١	—
موكيــــد	—	—	—	—	—	—	—	١
القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح)	—	—	—	—	—	٣(١٣)	٣	٤
هاعولام هازيه	—	—	—	—	—	١	٢	—
قائمة الحقوق المدنية	—	—	—	—	—	—	—	٣(١٥)
القوائم العربية	٢	٥	٥	٥	٤	٤	٤	٣(١٦)
غــيرهم	٧	٣	—	—	—	—	—	—

مراجع الجدول رقم ١ :

١ ــ التجمع ، مباي ــ أحدوت هعفوداه ، بعد ان اتفق الحزبان على الاشتراك في الانتخابات بقائمة موحدة .
٢ ــ التجمع ، حزب العمل الاسرائيلي ــ مبام . وأسس حزب العمل الاسرائيلي سنة ١٩٦٨ بعد ان اتحد مباي واحدوت هعفوداه وبعض اعضاء رافي .
٣ ــ احدوت هعفوداه كان جزءا من مبام .
٤ ــ انشق عن مباي بعد اقامة تجمع مباي ــ احدوت هعفوداه .
٥ ــ انشقت عن رافي بعد انضمامه الى حزب العمل الاسرائيلي .
٦ ــ يضم التكتل غاحال والمركز الحر والقائمة الرسمية وحركة العمل من أجل ارض اسرائيل الكاملة .
٧ ــ اقيمت غاحال بعد ان اتفق حزبا حيروت والاحرار على الاشتراك في الانتخابات بقائمة موحدة .
٨ ــ انشق عن غاحال (أعضاء حيروت) سنة ١٩٦٧ .
٩ ــ انشقوا عن الاحرار بعد اقامة غاحال .
١٠ــ اتحدا سنة ١٩٦١ واقاما حزب الاحرار .
١١ــ في الانتخابات للكنيست الاول اتحدت كل الاحزاب الدينية في قائمة موحدة : « الجبهة الدينية المتحدة ».
١٢ــ أسس الحزب الديني القومي (مفدال) سنة ١٩٥٦ بعد اتحاد مزراحي وهابوعيل همزراحي .
١٣ــ انشق الحزب الشيوعي الاسرائيلي سنة ١٩٦٥ الى شطرين : ماكي « اليهودية » وراكاح « العربية ».
١٤ــ تضم جماعة الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) .
١٥ــ تتزعمها عضو الكنيست شولاميت الوني ، التي انشقت عن حزب العمل .
١٦ــ قائمتان مرتبطتان بالتجمع (سابقا بمباي) .

وهو وضع يغري الكثيرين لتشكيل القوائم الانتخابية وخوض معركة الانتخابات ، سعيا وراء الحظ . غير انه على الرغم من ارتفاع عدد القوائم الانتخابية ، بالشكل الذي أشرنا له ، فقد دارت المعركة الانتخابية الاخيرة ، مثل سابقاتها ، بين ٣ كتل رئيسية هي التجمع العمالي (معراخ) ، التكتل اليميني (ليكود) وقائمتي المتدينين : الحزب الديني القومي واغودات يسرائيل بشطريها ، الذين حصلوا فيما بينهم على ٨٢،٠ ٪ من مجموع الاصوات (انظر الجدول ٢) ، بينما حصلت القوائم الست الاخرى التي فازت في الانتخابات على ١٣،٢ ٪ من المجموع وكانت الــ ٤،٨ ٪ الباقية من نصيب الــ ١١ قائمة الفاشلة .

تجدر الاشارة ، قبل بحث نتائج الانتخابات ، الى أن تسجيل القوائم التي اشتركت في الانتخابات تم قبل نشوب الحرب الاخيرة وبالتالي فان تشكيلها ووضع الخطوط العريضة لبرامجها الانتخابية ومواقفها المبدئية لم تتغير كثيرا بسبب الحرب . وقد ارتفعت بعد الحرب أصوات عديدة منادية بفتح باب الترشيح واعادة تشكيل القوائم او استبدال مرشحين ، وكذلك كان هناك من طالب بتأجيل الانتخابات لمدة سنة او اكثر واقامة حكومة تكتل وطني ، ولكن كل تلك الطلبات رفضت في نهاية الامر . ولم يحدث على هذا الصعيد ، بعد توقف القتال ، اي تغيير ملحوظ يجدر ذكره ، عدا عن ذلك الذي تضمنه برنامج حزب العمل الانتخابي الذي نجم عن ازدياد قوة الحمائم داخل الحزب ، وفسر وكأنه اعتراف « بوجود » الفلسطينيين . اذ على الرغم من ان البرنامج كرر معارضة اسرائيل قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية ، لان هناك مكانا ، بحسب رأي الحزب، لاقامة دولة عربية واحدة فقط الى الشرق من اسرائيل ، فقد تبنى البرنامج الموقف الصهيوني المستحدث واضاف ان العرب الفلسطينيين والاردنيين يستطيعون ان يجدوا

تعبيرا عن انفسهم في تلك الدولة الاردنية الفلسطينية المشتركة . وهذه على حد علمنا – اول مرة ترد فيها كلمة « الفلسطينيين » (بدلا من « عرب ارض – اسرائيل ») في وثيقة رسمية تصدر عن حزب العمل او اجداده ، منذ وطأت اقدامهم ارض فلسطين في مطلع القرن الحالي .

جاء تشكيل القوائم الانتخابية ، الذي تم قبل نشوب الحرب ولم يتأثر بنتائجها كما اشرنا ، انعكاسا للوضع الداخلي في اسرائيل ومشاكلها الاجتماعية ، التي أثرت بشكل ملحوظ على تشكيل القوائم ونوعيتها وعددها ، في ضوء الركود الذي ساد الحياة السياسية هناك والذي ظهر ، قبل الحرب ، وكأنه سيستمر لفترة طويلة . فقد اتجه التجمع العمالي الحاكم لخوض الانتخابات بالتركيب نفسه الذي اشترك به في الانتخابات السابقة ، اي تحالف بين حزب العمل الاسرائيلي (بأجنحته الثلاثة : مباي ، وهو أكبرها ، واحدوت هعفوداه ورافي) وبين حزب العمال الموحد ، مبام . ولكن قبل الانتهاء من عملية تشكيل قائمة التجمع الانتخابية ، انفصل عنه بعض اعضائه بقيادة عضو الكنيست (السادس) السابقة شولاميت الوني ، وشكلوا قائمة منفصلة خاصة بهم (« قائمة الحقوق المدنية » التي حصلت بعد الانتخابات على ٣ مقاعد في الكنيست) وذلك أساسا لاسباب داخلية : معارضة تسلط الجهاز الحزبي ، الحد من تعاظم النفوذ الديني(٢)، الدعوة الى تغيير طريقة الانتخابات ، الخ . اما التكتل اليميني على عكس التجمع ، فقد استطاع الاحتفاظ بكل قواه وابتلاع قوى جديدة ، اذ أن غاحال (كتلة حركة حيروت – حزب الاحرار) حافظت على تماسكها ، ونجحت ايضا في ضم نائبي الكنيست السابقين من كتلة المركز الحر اليها ، اللذين كانا قد انشقا عن الكتلة سنة ١٩٦٧ ، اثر خلاف بين شموئيل تامير ، زعيم المركز الحر وبين قيادة حيروت . كذلك انضم الى قائمة اليمين ٤ نواب من القائمة الرسمية ، التي تزعمها في السابق بن – غوريون (وقد عاش بن غوريون ليرى ، في نهاية ايامه ، بقايا انصاره ينضمون الى تكتل يرأسه عدوه اللدود ، مناحم بيغن) . وكانت القائمة الرسمية قد انفصلت عن رافي سنة ١٩٦٨ ، عندما اتحدت الاخيرة مع مباي وأحدوت هعفوداه ضمن اطار حزب العمل ، بعد ان كانت قد انشقت عن مباي سنة ١٩٦٥ عندما اقام مع احدوت هعفوداه تجمعا اشترك بقائمة موحدة في الانتخابات التي جرت يومها . ولعل حادثة انضمام انصار بن غوريون هذه ، كبير مؤسسي الجناح العمالي الصهيوني وزعيمه خلال نصف قرن من الزمن ، الى تكتل اليمين الصهيوني ، وبن غوريون لا يزال على قيد الحياة ، كافية لتعطينا فكرة عن مدى تعاظم الاتجاه اليميني ، عامة ، بين صفوف كافة احزاب اسرائيل وفئاتها السياسية ، وهي الاتجاهات التي قويت بشكل خاص بعد حرب ١٩٦٧ . وبالاضافة الى تلك القوى فقد انضم الى معسكر اليمين ايضا ممثل عن حركة العمل من أجل ارض – اسرائيل الكاملة ، وكانت جماعة ارض – اسرائيل الكاملة قد اشتركت في الانتخابات للكنيست السابق ، ولكنها لم تفز بأي مقعد (بعد ان حصلت على ٧٥٩١ صوتا) . وفي مقابل تجميع قوى اليمين هذه انفصل عن التكتل عضو الكنيست العميد عيزر وايزمان ، القائد السابق لسلاح الجو الاسرائيلي ، لخلافات بينه وبين ادارة حيروت ، ولكنه لم يقم بأي نشاط انتخابي مضاد بحيث لم يؤثر انسحابه على كمية الاصوات التي حصل عليها التكتل . وينبغي ان نشير هنا الى ان العميد اريئيل شارون، أحد «فلاسفة» سياسة القوة الاسرائيلية والمنفذ الرئيسي للعمليات الانتقامية الاسرائيلية ضد الدول العربية خلال ١٩٥٣ – ١٩٥٦ وقائد عملية العبور الاسرائيلية الى غرب قناة السويس خلال حرب تشرين ، كان صاحب المبادرة التي دفعت نحو تكتيل قوى اليمين بالشكل الذي أشرنا له ، بعد أن احتل مرتبة المرشح السادس في القائمة الموحدة، وذلك في محاولة لخلق بديل للتجمع العمالي في الحكم . اما بالنسبة للمتدينين فقد

حدث ايضا انشقاق بينهم ، اذ انفصل عضو الكنيست افنر شاكي عن الحزب الديني القومي (مفدال) واشترك في الانتخابات بقائمة خاصة به ، ولكنه مني بالفشل ، بينما اشترك الجناح المتدين الاخر (اغودات يسرائيل وعمال اغودات يسرائيل) في الانتخابات بقائمة موحدة وبالتشكيل القديم نفسه .

حدثت تغييرات مماثلة بالنسبة للقوائم الصغيرة ايضا ، فالاحرار المستقلون ، وهم فئة يمينية معتدلة كانت قد انشقت عن الاحرار بعد اتحادهم سنة ١٩٦٥ مع حيروت ضمن اطار غاحال ، وكذلك القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) بقوا على حالهم واشتركوا في الانتخابات بتشكيلاتهم القديمة نفسها . اما الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) فقد وصل قبيل هذه الانتخابات الى قمة « التطور » الذي بداه منذ حدث الانشقاق الاخير في الحزب الموحد سنة ١٩٦٥ واستمر في تقربه من الصهيونية الى ان وصل اخيرا لحد التنازل عن اسمه والاشتراك في قائمة « صهيونية يسارية » اطلق عليها اسم موكيد . ولكن تغييرات ملحوظة طرأت على القوائم الصغيرة الاخرى ، فقد انشقت كتلة هاعولام هازيه على نفسها ، اثر خلافات شديدة نشبت في الماضي بين عضويها ، اوري افنيري وشالوم كوهين(٣)، فاشترك افنيري في الانتخابات وحده وتحالف كوهين مع جناح من الفهود السود ، بينما خاض جناح آخر منهم معركة الانتخابات وحده . كذلك ادخلت تغييرات على تشكيل القوائم العربية ، فارتفع عددها الى اربعة (اثنان مرتبطتان بالتجمع العمالي وثالثة بالتكتل اليميني ورابعة «مستقلة»). واشتركت في الانتخابات ايضا ٤ قوائم طائفية من اليهود الشرقيين ، بالاضافة الى القائمتين الطائفيتين اللتين مر ذكرهما : قائمة شالوم كوهين ــ الفهود السود وقائمة الفهود السود المستقلة . ويلاحظ ان ثلاثة من قوائم اليهود الشرقيين كانت برئاسة اعضاء كنيست سابقين انفصلوا عن تجمعاتهم الاصلية ، فبالاضافة الى القائمة التي تزعمها شالوم كوهين ، تزعم افنر شاكي الذي انشق عن الحزب الديني القومي القائمة الثانية وتزعم آشر حيسين ، الذي انشق عن مباي ، القائمة الثالثة . كذلك اشتركت في الانتخابات قائمة رابطة الدفاع اليهودية بزعامة مؤسس الرابطة ، الحاخام مئير كهانا والقائمة الاشتراكية الثورية برئاسة رامي ليفنه ، ابن عضو الكنيست ابراهام ليفنبراون من كتلة راكاح ، والذي حكم عليه مؤخرا بالسجن بصفته احد اعضاء «الجبهة الحمراء»، التي اتهمت بالتعاون مع المخابرات السورية . ولكن كل تلك القوائم الصغيرة ، بما في ذلك كل قوائم اليهود الشرقيين ، منيت بالفشل في الانتخابات ، كما أشرنا .

الاصوات للكتل الصغيرة ... والمقاعد للكبيرة

سجلت عمليات الاقتراع نسبة عالية من المقترعين، كالعادة، اشتركت في الانتخابات. فمن بين اصحاب حق الاقتراع البالغ عددهم ٢،٠٣٧،٤٧٨ شخصا اشترك في التصويت ١،٦٠١،٠٩٨ شخصا (واتضح ان ٣٤،٢٤٣ صوتا منها كانت فاسدة)(٤)، أي ان ٧٨،٦٪ من أصحاب حق الانتخاب اشتركوا في التصويت ، مقابل ٨١،٧٪ اشتركوا في الانتخابات السابقة (١٩٦٩) و٨٣،٠٪ سنة ١٩٦٥ و٨١،٦٪ سنة ١٩٦١(٥). واسفرت نتائج الانتخابات عن فوز التجمع العمالي الحاكم بـ ٥١ مقعدا (التوزيع حسب تركيب القوائم الداخلي : ٣٠ مقعدا لمباي و٧ مقاعد لكل من أحدوت هعفوداه ورافي ومبام) من مجموع مقاعد الكنيست ، البالغ ١٢٠ ، مقابل ٥٦ مقعدا في الكنيست السابق ، أي خسارة ٥ مقاعد (انظر الجدول ١) . اما التكتل اليميني فقد فاز بـ ٣٩ مقعدا (حيروت ــ ١٧ ، الاحرار ــ ١٣ ، القائمة الرسمية ــ ٤ ، المركز الحر ــ ٤ ، حركة العمل من أجل ارض ــ اسرائيل الكاملة ــ ١) مقابل ٣٢ مقعدا في السابق ، أي بزيادة ٧ مقاعد . اما المتدينون ،

الجدول ٢
نتائج الانتخابات العامة في اسرائيل بالنسبة للكتل الرئيسية*

الكتلة	الكنيست الخامس ١٩٦١	الكنيست السادس ١٩٦٥	الكنيست السابع(٥) ١٩٦٩	الكنيست الثامن ١٩٧٣
عـــدد الاصـــوات				
العمال(١)	٤٩١،١٥٤	٦٠٨،٦٨٧	٦٣٢،٠٣٥	٦٢١،١٨٣
اليمين(٢)	٢٧٥،٨٥٤	٣٠٢،٢٥٦	٣٥٥،٣٤١	٤٧٣،٣٠٩
المتدينون(٣)	١٥٥،٣٩٢	١٦٩،٨٢٧	٢٠٢،٢٠٨	١٩٠،٣٦١
غـــيرهم	٧٧،٤٨٧	٩٥،٠٥٣	١٦٣،٣١٤	٢٠٦،٢٧٥
القوائم الفاشلة(٤)	٧،٠٧٧	٢٠،٩٠٥	١٤،٨٤٥	٧٥،٧٢٧
مجموع الاصوات	**١،٠٠٦،٩٦٤**	**١،٢٠٦،٧٢٨**	**١،٣٦٧،٧٤٣**	**١،٥٦٦،٨٥٥**
نسبـة الاصـــوات				
العمال(١)	٤٨،٨	٤٨،٨	٤٦،٢	٣٩،٦
اليمين(٢)	٢٧،٤	٢٧،٥	٢٦،٠	٣٠،٢
المتدينون(٣)	١٥،٤	١٤،١	١٤،٨	١٢،٢
غـــيرهم	٧،٧	٧،٩	١١،٩	١٣،٢
القوائم الفاشلة(٤)	٠،٧	١،٧	١،١	٤،٨
مجموع الاصوات	**١٠٠،٠**	**١٠٠،٠**	**١٠٠،٠**	**١٠٠،٠**

* المصدر : نتائج الانتخابات للكنيست كما نشرها مكتب الاحصاء المركزي (اسرائيل) ، سلسلة نشرات خاصة رقم ١٦٦ ، ص ٥ ورقم ٢١٦ ، ص ١٣ (المقدمة) وص ٥ ورقم ٣٠٩ ، ص ١٣ (المقدمة) وص ١٥ ، وكذلك نتائج الانتخابات للكنيست الثامن كما نشرتها لجنة الانتخابات المركزية ، ونقلتها « هآرتس » ١٩٧٤/١/٩ .

(١) في الكنيست الخامس : مباي ، أحدوت هعفوداه ومبام وفي السادس : تجمع مباي ـ احدوت هعفوداه ، مبام ورافي وفي الكنيست السابع والثامن : تجمع حزب العمل الاسرائيلي ـ مبام .

(٢) في الكنيست الخامس : حيروت والاحرار وفي السادس : غاحال والاحرار المستقلين وفي السابع : غاحال ، المركز الحر والقائمة الرسمية (باعتبار انها انضمت الى اليمين فيما بعد) وفي الثامن : التكتل (ليكود) .

(٣) الحزب الديني القومي (مفدال) ، اغودات يسرائيل وعمال اغودات يسرائيل .

(٤) لم تحظ بتمثيل في الكنيست ، حيث ان كل منها حصلت على اقل من ١٪ من مجموع الاصوات .

(٥) نجمت الخسارة النسبية لكل من العمال واليمين خلال هذه الانتخابات ، بالمقارنة مع الانتخابات السابقة ، بسبب انشقاق القائمة الرسمية عن جناح العمال والمركز الحر عن اليمين .

بشطريهما ، فقد خسروا جزءا من قوتهم ، بمعدل مقعد لكل منهما فحصل الديني القومي على ١٠ مقاعد ، بدلا من ١١ في الكنيست السابق بينما حصلت القائمة الموحدة لاغودات يسرائيل وعمال اغودات يسرائيل على ٥ مقاعد ، ، بدلا من ٦ في السابق . وقد حافظ حزب الاحرار المستقلين وموكيد (مـاكي سابقا) على قوتهما ، وحصلا على عدد المقاعد نفسها التي كانت من نصيبهم في الماضي : الاحرار المستقلون — ٤ ، موكيد — ١ . اما القوائم العربية المرتبطة بالتجمع العمالي فقد خسرت احد مقاعدها وانخفض عددها الى ٣ ، بينما زادت مقاعد القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) بمقعد واحد وارتفع عددها الى ٤ . وكانت القائمة الجديدة الوحيدة التي فازت في الانتخابات ايضا قائمة الحقوق المدنية (الوني) التي حصلت على ٣ مقاعد .

يتضح بعد الاطلاع على نتائج الانتخابات ، لاول وهلة ، ان الجناح العمالي قد مني بخسارة واضحة (٥ مقاعد) بينما حصل اليمين على زيادة ملحوظة في قوته (٧ مقاعد)، تفوق نسبة الخسارة التي كانت من نصيب العمال . ولكن نظرة أعمق الى هذه النتائج تظهر ان تلك الفوارق في عدد المقاعد لا تعكس نسبة القوى الحقيقية التي تؤيد كلا من المعسكرين ولا تدل على أي تحول جذري في موقف الناخب الاسرائيلي ، حيث انها نجمت اساسا عن طريق توزيع فوائض الاصوات على فوائض المقاعد ، حسب القانون الجديد الذي أقره الكنيست بهذا الشأن ، خلال شهر نيسان (ابريل) من العام الماضي(٦)، («قانون بدر — عوفر») بمبادرة من الكتلتين الكبيرتين ، التجمع وغاحال ، في محاولة لسلب فوائض أصوات الاحزاب الصغيرة . وقد وقع التجمع — هذه المرة — ضحية لمكيدة من المكائد العديدة التي يحيكها ، أحيانا وحده وأحيانا باشتراك غاحال ، ضد الاحزاب الصغيرة ، واكتشف بعد فوات الاوان ان القانون الذي ساعد على سنه أدى الى زيادة قوة خصمه ، التكتل ، بعد ان سلب بعض القوائم الصغيرة فوائض اصواتها. وتشير هذه الواقعة بحد ذاتها ، من ناحية اخرى ، الى المحاولات الدائمة التي تبذلها الاحزاب الكبيرة في اسرائيل للقضاء على الفئات السياسية الصغيرة او ابتلاعها ، امعانا في تقوية سيطرتها على النظام الاسرائيلي ، وكانت آخرها سن قانون لتمويل الاحزاب(٧) من ميزانية الدولة ، بما في ذلك تمويل مصاريف حملاتها الانتخابية ، بشكل يحصل معه كل حزب على ١٩٥ الف ليرة مقابل كل نائب من نوابه في الكنيست لتمويل نشاطه(٨)، مما يضع مبالغ كبيرة نسبيا في تصرف الاحزاب الكبيرة اذا ما قيست بالمبالغ التي تحصل عليها الاحزاب الصغيرة . اما التغيير الذي ادخل على طريقة توزيع فوائض الاصوات ، الذي اشرنا له ، والذي ازدادت بسببه نسبة الزيادة في مقاعد التكتل اليميني بحوالي ضعفي نسبة الزيادة في الاصوات التي حصل عليها ، فقد تم بعد ان لاحظ زعماء الادارة الحزبية لكل من التجمع وغاحال ، وهما أكبر كتلتين في الكنيست السابق ، ان اكثر من قائمة من القوائم الصغيرة قد حصلت على عدد من المقاعد الاضافية بناء على كمية فوائض الاصوات التي كانت تحسب بشكل نسبي عادي ، أي ان من يتبقى لديه فائض أكثر من عدد الاصوات يحصل على فوائض المقاعد .

بعد ذلك « الاكتشاف » بادرت الكتلتان الكبيرتان الى تغيير القانون في الكنيست ، بشكل تتوزع معه فوائض الاصوات حسب أكبر معدل ينتج عن تقسيم الاصوات التي حصلت عليها قائمة ما على عدد المقاعد الذي كان من نصيبها ، أي — بلغة بسيطة — تقسيم الفوائض حسب معدل الاصوات المطلوبة للحصول على مقعد في الكنيست حسب مقاييس الاحزاب الكبيرة ، مما سيؤدي الى اخراج الاحزاب الصغيرة كليا عند حساب فائض الاصوات . وقد واجهت تلك المحاولة معارضة شاملة من قبل الاحزاب الصغيرة، التي حاولت عرقلة عملية الاقتراع على القانون في الكنيست ، بواسطة تمديد الجلسات،

التي استغرقت احداها ، ولاول مرة في تاريخ الكنيست ١٦ ساعة متواصلة ، عن طريق القاء الخطب الطويلة ، ولكن دون جدوى(٩). ولكن نتائج الانتخابات التي أسفرت عن فشل ١١ قائمة صغيرة ، حصلت فيما بينها على حوالي ٤،٨ ٪ من مجموع أصوات الناخبين العام ، بينما لم تحصل اي منها وحدها على ١٪ من مجموع الاصوات على الاقل لتشترك في توزيع المقاعد ، قلبت تلك المقاييس راسا على عقب ، وحصرت النزاع على تقسيم فوائض الاصوات بين الكتلتين الكبيرتين : التجمع العمالي والتكتل اليميني . ولكن بما ان معدل الاصوات للمقعد بالنسبة للتكتل جاء ، صدفة ، أكبر من مثيله بالنسبة للتجمع ، فقد كانت معظم المقاعد التي نجمت عن توزيع فائض الاصوات من نصيب التكتل ، الذي حصل على ٧ مقاعد اضافية ، رغم ان الزيادة في نسبة الاصوات التي حصل عليها بلغت ٤،٢ ٪ فقط ، بينما خسر التجمع ٥ مقاعد مقابل خسارة ٦،٦ ٪ من الاصوات ، بالمقارنة مع الانتخابات السابقة ، أي ان الفرق بين نسبة زيادة اصوات التكتل ومقاعده زادت بضعفين عن نسبة خسارة التجمع ، بسبب طريقة توزيع فوائض الاصوات . ولو اتبعت طريقة تقسيم فوائض الاصوات القديمة ، لحصل التكتل على ٣٦ مقعدا بدلا من ٣٩ والتجمع على ٤٩ مقعدا بدلا من ٥١ ، ولكانت المقاعد الخمسة الباقية من نصيب الاحزاب والكتل الصغيرة .

استقرار سياسي مع زيادة طفيفة في قوة اليمين

ان ما ذكرناه حتى الان لا يعطينا فكرة كاملة عن طبيعة الصراع السياسي الدائر بين القوى السياسية المختلفة داخل اسرائيل، ولا يشير الى قواها الحقيقية . فبالنسبة للتجمع العمالي ، ينبغي ان نشير هنا الى ان المقاعد الثلاثة التي حصلت عليها قائمة الحقوق المدنية (الوني) جاءت أساسا على حساب التجمع الذي انشقت عنه ، واذا علمنا ان هذه القائمة حصلت على ٣٥٠،٠٢٣ صوتا ، أي ٢،٢ ٪ من مجموع الاصوات ، يتضح ان الجناح العمالي قد خسر ، في نهاية الامر ، ٤،٤ ٪ من مجموع اصوات الناخبين في اسرائيل ، مقابل زيادة ٤،٢ ٪ حصل عليها التكتل اليميني . والواضح ان الاصوات التي خسرها الجناح العمالي لم تكن بأكملها من نصيب اليمين ، اذ ان جزءا لا بأس به منها اتجه نحو الاحزاب والقوائم الصغيرة ، التي زادت من قوتها على حساب الكتل الرئيسية الثلاث . كذلك ازدادت نسبة الاصوات التي حصلت عليها القوائم الفاشلة ، التي لم تحظ بتمثيل في الكنيست ، بأكثر من ٤ اضعاف ما كانت عليه في الانتخابات السابقة (انظر الجدول ٢) . ومن هذه الناحية ، لا تدل نتائج الانتخابات الاخيرة على أي تغيير ملموس في مواقف الناخبين الاسرائيليين ، اذ ان الاتجاه نحو زيادة قوة اليمين بشكل طفيف ، بالاضافة الى الاتجاه نحو دعم الاحزاب والكتل الصغيرة ، يرافق الحياة السياسية في اسرائيل منذ اوائل الستينات . ولقد كان هذا الاتجاه ، الناتج أساسا عن تبرم بالجناح العمالي الحاكم ، الذي لا يزال يحتفظ بمركز الصدارة داخل الكيان الصهيوني منذ أربعين عاما ، وتضعضع مركز الهستدروت ، النقابة العامة للعمال ، وتقلص نفوذ الحركة الكيبوتسية في الجهاز الحاكم ، اذا قيس بالوضع في الماضي ، احد الاسباب الرئيسية التي دفعت قادة الاجنحة العمالية الى التفتيش عن طريق لتوحيد صفوفهم(١٠)، حتى وصلوا الى اتفاق مبدئي بهذا الشأن عندما أقاموا التجمع قبيل انتخابات ١٩٦٥ ثم حزب العمل الاسرائيلي سنة ١٩٦٨ . وكانت هذه التطورات بحد ذاتها هي التي دفعت الجناح اليميني الى تجميع صفوفه من الجهة الثانية : غاحال منذ ١٩٦٥ والتكتل (ليكود) منذ ١٩٧٣ . وتجدر الملاحظة هنا انه على الرغم من ان التجمع حصل على أكبر نسبة من الاصوات في الانتخابات ، عامة ، فان التكتل اليميني حصل على أكبر نسبة من أصوات الجنود . ولم يكشف النقاب عن عدد الجنود الذين اشتركوا

في التصويت ولكن ذكر ان التكتل حصل على ٤١٪ من أصواتهم مقابل ٣٩٪ حصل عليها التجمع ، ولعل السبب في ذلك يكمن في تعبير اولئك الجنود ، الذين يكثر عددهم نسبيا على جبهة قناة السويس ، عن تأييدهم لقائدهم العميد شارون ، مرشح التكتل . ولكن يجب ان نشير الى ان اصوات الجنود هي التي منحت ايضا قائمة الحقوق المدنية مقعدها الثالث ، مما يدل على اهتمام الجنود البالغ بقضايا اسرائيل الداخلية ، وكذلك حصلت قائمة موكيد المعارضة على نسبة لا بأس بها من أصوات الجنود .

. واستمرارا لمقارنة نتائج الانتخابات بالنسبة للكتلتين الكبيرتين ، على صعيد انتخابات البلديات التي جرت مع الانتخابات للكنيست في المدن الثلاث الكبرى في اسرائيل : تل ابيب وحيفا والقدس نشير الى ان التجمع العمالي مني بالفشل في انتخابات بلدية تل ابيب وتنحى يهوشواع رابينوفيتش ، زعيم « الكتلة » (غوش) المسيطرة داخل مباي ، عن رئاسة البلدية لصالح مناوئه ، العقيد شلومو لاهط ، مرشح التكتل . ولا تنم هذه الواقعة ، ايضا ، عن اي تجديد جذري ، فبلدية تل ابيب كانت منذ تأسيسها سنة ١٩٣٤ ، ولاسباب لا مجال لبحثها هنا ، معقلا لقوى اليمين الصهيوني المناوئة للجناح العمالي اجتماعيا وسياسيا (في معارضتها « فلسفة » الجناح العمالي الصهيوني وتعاونها مع سلطات الانتداب البريطاني) ، ولم يستطع مباي « احتلالها » الا سنة ١٩٥٩ ، أي بعد مرور ربع قرن على انشائها ، ولكن الوضع عاد الان الى ما كان عليه قبل الاحتلال المبائي . اما حيفا « الحمراء » فقد حافظت على ولائها للجناح العمالي ومنحت مرشحيه لانتخابات البلدية أكثرية مطلقة ، بينما بقي الوضع في القدس على ما كان عليه ، أي ان مرشح التجمع العمالي ورئيس البلدية السابق ، تيدي كوليك ، سيستمر في الاحتفاظ بمنصبه ، على ما يبدو .

كذلك لم تسفر الانتخابات عن تغيير يذكر بالنسبة للقوة السياسية الثالثة ، مـــن حيث كبرها ، في اسرائيل : احزاب المتدينين . ولقد استطاعت هذه الاحزاب المحافظة ، تقريبا ، على قوتها في هذه الانتخابات ، بعد ان خسرت مقعدين من مجموع ١٧ مقعدا . ويبدو ان هذه الخسارة نجمت عن وجود قائمتين انتخابيتين جديدتين جذبتا عددا من أصوات المتدينين ، هما قائمة عضو الكنيست السابق أفنر شاكي الذي انشق عن الحزب الديني القومي وقائمة الحاخام مئير كهانا ، زعيم رابطة الدفاع اليهودية ، التي يبـــدو وكأنها جذبت عددا من أصوات المتدينين المتطرفين . وهما القائمتان اللتان كانتا بين القوائم الــ ١١ الفاشلة (بعد ان حصلتا ، كل منهما على حدة ، على مـــا مجموعه ٢٣٠٠١٣ صوتا) أي ان اصوات المتدينين بقيت داخل معسكرهم ولم تذهب لجهة اخرى .

ومما يلفت النظر ايضا في الانتخابات الاخيرة ، اذا ما قورنت بالانتخابات السابقة، هو ان نصف القوائم الصغيرة التي اشتركت في تلك الانتخابات كانت من القوائم الطائفية ، التي تزعمها يهود شرقيون . وتعبر هذه القوائم عن الفقر والضائقة الاجتماعية اللذين يميزان اوضاع قطاعات واسعة من اليهود الشرقيين ، مؤكدة شعور الغربة الذي يسود تلك القطاعات . وكانت العلاقات بين اليهود الشرقيين والسلطة الاسرائيلية قد تأزمت بشكل خاص منذ ١٩٧١ ، بعد الهدوء الذي ساد اسرائيل اثر ايقاف حرب الاستنزاف على جبهة السويس في صيف ١٩٧٠ وضرب العمل الفدائي في الاردن في خريف تلك السنة ، عندما ظهرت حركة الفهود السود بينهم . والواقع أن أية انتخابات للكنيست ، جرت في الماضي ، لم تخل من اشتراك قائمة انتخابية واحدة على الاقل يتزعمها يهود شرقيون ، غير ان كل تلك القوائم باءت بالفشل ، عدا تلك التي اشتركت في انتخابات الكنيست الاول . ويبدو ان اليهود الشرقيين لم يتعلموا دروس الفشل الذي كان من

نصيبهم في الماضي . بل ان فشلهم كان هذه المرة اكبر بكثير من الحالات السابقة . فقد حصلت قوائم اليهود الشرقيين الست التي اشتركت في الانتخابات الاخيرة ، منفصلة عن بعضها البعض ، على ٣٨،٢٠٨ اصوات ، وهي نسبة تؤهلها ـ خلافا للماضي ـ للحصول على ٣ مقاعد في الكنيست ، على الاقل ، لو كانت قد اتحدت فيما بينها قبل الانتخابات ، خاصة وان الخلافات بين تلك الفئات لا تتعدى ابدا مدى الخلافات بين الكتل الحزبية القائمة داخل التجمعات الكبيرة (كذلك فان القوائم الـ ١١ الفاشلة ، التي حصلت على ٧٥،٧٢٧ صوتا ، كانت ستفوز بـ ٧ مقاعد على الاقل ، لو اتحدت فيما بينها قبل الانتخابات) . ولكن بينما تتحد القوى الكبيرة في سبيل الحفاظ على مصالحها ونفوذها وثروتها ، يستمر الفقراء والمسحوقون في الانقسام على انفسهم . ويبدو ، من ناحية ثانية ، ان الاجراءات التي اتخذتها الاحزاب الكبيرة لاحتواء اليهود الشرقيين ، كما سنرى ، كان لها اثرها على تلك النتائج .

يتضح مما تقدم ان حرب تشرين لم تؤثر بشكل جذري على نتائج الانتخابات في القطاع اليهودي في اسرائيل ، رغم تأثيرها على الاوضاع والاستراتيجية الاسرائيلية بشكل عام . ولعل هذه الواقعة بحد ذاتها من اكبر الدلائل على استقرار النظام السياسي في اسرائيل من جهة وقوة الاجهزة الحزبية التي تحكم البلد وتجذب الناخبين اليها بمختلف الوسائل من جهة اخرى . كذلك تؤكد هذه النتائج ان مشاكل السياسة الخارجية ليست الوحيدة التي تشغل تفكير الناخب الاسرائيلي ، وانما هناك ايضا القضايا الداخلية على اختلاف انواعها التي لا تقل اهمية عن القضايا الاخرى . ويظهر الاهتمام بالقضايا الداخلية ، على اوضح ما يكون ، عندما نقارن بين نتائج الانتخابات للكنيست وللبلديات في عدد من المدن الاسرائيلية ، مثل القدس وحيفا ورامات غان ورحوفوت واشدود ورامات هاشارون ، حيث كانت فوارق كبيرة في عدد الاصوات التي حصلت عليها كل من الكتلتين الكبيرتين للكنيست او للبلديات ، واتضح ان نسبة كبيرة للغاية من الناخبين تصوت للبلدية على عكس التصويت للكنيست ، حسب تأييدها لهذا المرشح او ذاك وقدرته على ادارة مدينتهم ، دون اكتراث بالانتماء الحزبي . ولكن الحرب قد فعلت عكس ذلك بالنسبة للقطاع العربي وجاءت لتؤكد ، مرة اخرى ، ان نسبة لا بأس بها من الناخبين العرب في اسرائيل تصوت وفقا لاعتبارات قومية ، متأثرة بشكل مباشر بالاحداث التي تجري في المنطقة . وتعتبر نتائج الانتخابات بالنسبة للقائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) ، حزب المعارضة الرئيسي بالنسبة للعرب الذي يتمتع بتأييد قطاعات واسعة بينهم ، خير دليل على ذلك . ففي انتخابات الهستدروت التي جرت قبل نشوب الحرب بحوالي الشهر حصلت راكاح على نسبة من اصوات العرب الذين اشتركوا في تلك الانتخابات اعتبرت فشلا بالنسبة لها ، اذا قورنت بما كانت تحصل عليه في السابق. اما في انتخابات الكنيست فقد تغير الوضع بصورة ملحوظة ، اذ حصلت راكاح على ٥٣،٣٥٣ صوتا ، اي ٣،٣٪ من مجموع الاصوات (مقابل ٢،٨٪ سنة ١٩٦٩ و ٢،٣٪ سنة ١٩٦٥) ، بزيادة ٣٧٪ عما حصلت عليه في انتخابات الكنيست السابقة ، ويقال ان ٤٣ الفا من تلك الاصوات ، اي ان اكثر من ٨٠٪ من مجموع الاصوات التي حصلت عليها القائمة ، كانت اصواتا عربية ، وذلك بعد ان حصلت على اكثرية الاصوات في العديد من المدن والقرى العربية في الجليل والمثلث(١١)، ومن بينها مدينة الناصرة ، كبرى المدن العربية في اسرائيل . فقد زاد عدد مقاعد راكاح في الكنيست نتيجة لذلك الى اربعة مقاعد ، بزيادة مقعد عما كان عليه الوضع في السابق ، سيشغله الشاعر توفيق زياد من الناصرة . اما «عرب الحكومة» فقد خسروا واحدا من مقاعدهم الاربعة، بعد ان قرر التجمع العمالي الذي يتحكم بقوائمهم الانتخابية التخلي عن خدمات اثنين منهم (الياس نخلة وذياب عبيد ، اللذين اشتركا في الانتخابات وكان مصيرهما الفشل ،

كمصير باقي اعضاء الكنيست العرب الذين قرر التجمع التخلي عنهم في الماضي ، بعد ان كانوا مرتبطين به) . وكان التجمع العمالي قد قرر ان يشترك « عربه » في الانتخابات الاخيرة بقائمتين ، تزعم احداها سيف الدين الزعبي وجبر معدي ، اللذان لا يزالان يتعاونان مع السلطات الاسرائيلية منذ اقامة اسرائيل ، وتزعم الثانية وهي قائمة بدوية جديدة ، الشيخ حمد ابو ربيعة من بدو النقب ، وقد فاز الثلاثة في الانتخابات . ويبدو ان التجمع قد لجأ الى وسائله القديمة في استغلال الطائفية ، فشكل قائمة بدوية — لاول مرة — لاجتذاب أصوات البدو ، بعد ان شعر انهم درجوا في الماضي على منح اصواتهم لاية جهة تدفع ثمنا أكبر . كذلك أضاف التجمع الى قائمته الانتخابية ، على حساب مرشحي مباي ، أحد المرشحين العرب ، محمود عباسي ، رغم ان حزب العمل لم يقرر حتى الان قبول العرب اعضاء فيه . ولكن عباسي لم ينتخب ، حيث ادرج اسمه في مكان غير مضمون (رقم ٥٩ في القائمة الانتخابية) أما مرشح مبام العربي ، نائب وزير الصحة عبد العزيز الزعبي (رقم ٣٣ في القائمة) فقد أعيد انتخابه . كذلك حصل الحزب الديني القومي على حصة من اصوات العرب الذين يؤيدونه لقاء المنافع المادية التي يقدمها لهم ، من خلال سيطرته على وزارتي الداخلية والاديان .

استنادا الى ما قدمنا يمكن القول ، تلخيصا لنتائج الانتخابات ، ان الاستقرار السياسي الذي ساد اسرائيل منذ قيامها لا يزال على حاله (للاطلاع على نتائج الانتخابات السابقة ، أنظر الجدول ١) .

تركيب اجتماعي جديد ؟

ان النتيجة التي أشرنا لها بشأن استمرار الاستقرار السياسي في اسرائيل ليست النتيجة الوحيدة التي يمكن التوصل اليها استنادا الى نتائج الانتخابات ، فهناك نتائج اخرى لا تقل اهمية عنها ، تتعلق بقدرة الكيان الاسرائيلي على تطوير نفسه وصقل قوته لمجابهة التحدي الذي يوجه له داخليا ، مما ستنجم عنه ، كما يبدو ، نتائج بعيدة المدى في المستقبل .

يتضح من استعراض اسماء اعضاء الكنيست الجديد(١٢) ان ٤٠ عضوا منهم ، أي الثلث ، هم وجوه جديدة (التجمع — ١٥ ، التكتل — ١٦ ، الحزب الديني القومي — ٣ ، الحقوق المدنية — ٢ ، وواحد من كل من قوائم راكاح والاحرار المستقلين وموكيد والبدو) تدخل الكنيست لاول مرة . وهذه النسبة من الوجوه الجديدة هي من أعلى النسب التي تدخل الكنيست منذ تأسيسه ، وقد تكون لها دلالتها الخاصة . فلقد وجهت في الماضي انتقادات عديدة لزعماء النظام الاسرائيلي ، من كافة الاتجاهات ، لجهة احتفاظهم بمقاعدهم لفترات طويلة ، مما يفوت على القوى السياسية الصاعدة من مؤيديهم الحصول على مراكز ملائمة لهم ، تمكنهم من المساهمة في الحكم بشكل فعال . ويبدو ان الاجهزة الحزبية اعترفت مؤخرا بصحة تلك الانتقادات وعملت ، تدريجيا ، على اصلاح الوضع ، بدلالة تلك النسبة الكبيرة من الوجوه الجديدة التي تدخل الكنيست . كذلك يتضح ان نسبة لا بأس بها من الاعضاء الجدد تنتمي الى جيل « الشباب » ، بمفهوم الحياة السياسية في اسرائيل ، ومعظمهم في العقد الثالث او الرابع من عمره . ويبدو ان ابناء الهجرتين الثانية والثالثة ، الذين قدموا الى فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، والذين سيطروا على الكيان الصهيوني وحكموا اسرائيل خلال العقدين الاولين من قيامها بدأوا ، الواحد بعد الاخر ، يتركون مواقعهم للاجيال الجديدة — وللتغييرات التي قد تنجم عن ذلك .

غير ان أهم تغيير في التركيب السياسي — الاجتماعي الذي يكشف عنه تشكيل الكنيست هو ذلك الذي تتضمنه قائمة التجمع العمالي . ويتضح بعد الاطلاع على

تركيب هذه القائمة(١٣) ان ١٠ اعضاء كنيست من الـ ٥١ عضوا الذين انتخبوا بموجبها، اي الخمس ، هم من اليهود الشرقيين (٥ من مواليد العراق — ٣ رجال وامرأتان — وواحد من مواليد كل من ليبيا ومراكش وتونس واليمن ومدينة القدس) . وهذه النسبة من اليهود الشرقيين هي ايضا من أعلى النسب التي تدخل الكنيست منذ تأسيسه . كذلك فان مرشحي هذه القائمة اللذين يقفان على عتبة الكنيست (رقما ٥٢ و ٥٣ في قائمة المرشحين) واللذين يحتمل ان يدخلا الكنيست اذا استقال او توفي أحد الاعضاء الذين تم انتخابهم من القائمة ، هما ايضا من اليهود الشرقيين (من مواليد العراق ومراكش) . وعلى ذكر اليهود الشرقيين نشير ايضا الى ان قائمة الحزب القومي تضم ايضا مرشحين اثنين ، تم انتخابهما ، من اليهود الشرقيين (من مواليد ايران ومراكش ، وعمر كل منهما ٣٥ سنة) . ويبدو ان ازمة العلاقات الطائفية بين اليهود الشرقيين والغربيين التي ثارت مؤخرا داخل اسرائيل كانت من الاسباب الرئيسية لتلك الزيادة في المرشحين من اليهود الشرقيين ، ويعتقد ايضا ان هذه التشكيلات ، التي جذبت دون شك عددا من أصوات اليهود الشرقيين لصالح قوائمها ، كانت من العوامل الهامة التي ادت الى فشل القوائم الطائفية الشرقية الصغيرة . كذلك يضم الكنيست الجديد ١٠ نساء ، منهن ٧ من قائمة التجمع (مقابل ٥ في الكنيست السابق) . ويلاحظ ايضا ان قائمة التجمع العمالي تضم ٦ من كبار الضباط السابقين في الجيش الاسرائيلي ، منهم ٣ من رؤساء الاركان السابقين ، برتبة لواء (راف الوف) وهم : موشيه ديان وحاييم بارليف ويتسحاق رابين و٣ برتبة عميد (الوف) : يغئال آلون وموشـيه كرمـل (قائدي البلماح السابقين) واهرون ياريف ، الرئيس السابق للمخابرات العسكرية ، وذلك مقابل عميدين استطاع التكتل اليميني ضمهما الى صفوفه : اريئيل شارون وابراهام يافيه ، ممثل حركة العمل من أجل ارض — اسرائيل الكاملة . اما الضابط السابع ، والاخير ، في الكنيست الجديد فهو العقيد مئير باعيل ، ممثل موكيد .

من الواضح ان الاوضاع الاجتماعية — السياسية التي تسود اسرائيل حاليا كانت من بين الدوافع الرئيسية لادخال التغييرات التي أشرنا لها على قوائم المرشحين ، ان ذلك تم لجهة زيادة عدد المرشحين من اليهود الشرقيين او من الضباط او النسـاء . ولكن على الرغم من ذلك تظهر فوارق واضحة بين التغييرات التي تدل عليها قائمة التكتل اليميني وبين تلك التي تحتوي عليها قائمة التجمع العمالي. ويتضح من استعراض اسماء مرشحي قائمة التكتل ان اليمين لجأ ، الى حد ما ، الى « دفاتره القديمة » لاختيار مرشحيه الجدد ، اذ نجد بينهم ضابط العمليات السابق في منظمة اتسـل (الارغون) ، ايتان ليفني ، واحد قادة منظمة ليحي (شتيرن) السابقين ، يتسحاق شامير ، وكذلك المذيعة السابقة في اذاعة ليحي السرية ، غيئولاه كوهين . ويلاحظ ايضا ان نصف اعضاء الكنيست الجدد من قائمة التكتل جاؤوا على حساب المقاعد السبعة الجديدة التي حصلت عليها القائمة ، بينما نرى ان معظم مرشحي التجمع الذين يدخلون الكنيست لاول مرة هم من الوجوه الجديدة الشابة الذين جاء ترتيبهم في أماكن مضمونة مسبقا في القائمة الانتخابية ، تأمينا لانتخابهم . ومرة اخرى ، يثبت حزب العمل الاسرائيلي ، الحزب الجماهيري الذي وصل عدد اعضائه سنة ١٩٧٢ الى ٣٠٠ الف عضو(١٤)، ولكنه رغم ذلك لم يضع دستورا خطيا لنفسه ، للمؤيدين والمناوئين انه حزب « مسؤول » ، يتحمل اعباء حكم دولة ويكيف نفسه (واحيانا مبادئه) مع روح الزمن الذي يعيش فيه — ودائما في الوقت المناسب . ولعل هذه « المرونة » التي يتصف بها الجناح العمالي الصهيوني هي أحد العوامل الرئيسية التي ساعدته عـلى السيطرة على الكيان الصهيوني في فلسطين منذ حوالي اربعين عاما وحتى اليوم ، دون انقطاع .

الجدول ٣

الاحزاب والكتل التي اشتركت في تشكيل الحكومات الاسرائيلية*

الحزب / القائمة / الكتلة	تاريخ تشكيل الحكومة(١) ١٩٤٩/٣/٨	١٩٥٠/١١/١	١٩٥١/١٠/٨	١٩٥٢/١٢/٢٣	١٩٥٤/١/٢٦	١٩٥٥/٦/٢٩	١٩٥٥/١١/٣	١٩٥٩/١٢/١٧	١٩٦١/١١/٢	١٩٦٣/٦/٢٤	١٩٦٦/١/١٢	١٩٦٧/٦/٤(٢)	١٩٧٠/٩/١
التجمع (معراخ)											*	*	*
مبـــاي	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*			
احدوت همفوداه							*	*	*	*			
مبـــام							*	*					
رافي												*	
القائمة الرســمية													
التكتل (ليكود)													
غاحـــال													
حـيروت												*	
الاحـــرار													
المركز الحـــر													
الاحرار المستقلون											*	*	*
الصهيونيون العموميون				*	*								
التقـــدميون	*	*		*	*	*	*	*					
الحزب الديني القومي			*	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*
اغودات يسرائيل	*	*											
عمال اغودات يسرائيل													
الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي)													
موكيـــد													
القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح)													
هاعولام هازيه													
قائمة حقوق المواطن													
القوائم العربية(٣)	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*
غـيرهم	*	*											

* **المصدر** : آشر تسيدون ، « بيت هانبحاريم » ، (« مجلس النواب ») ، تل ابيب ، احيآساف ، ١٩٧١ ، الطبعة السادسة ، ص ٣٢١—٣٣٥ وص ٤٩٢—٤٩٦ .

١ — يشار للحزب المشترك في الحكومة بعلامة * . لا يشير الجدول الى الاحزاب التي انسحبت من حكومة ما بعد تشكيلها ، ولم تؤخذ بالحسبان القوى الصغيرة التي كانت تشترك من حين لاخر في الحكومات المختلفة او بعض الاشخاص غير الحزبيين الذين كانوا يعينون وزراء من حين لاخر .

٢ — حكومة التكتل القومي ، التي شكلت قبل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

٣ — القوائم العربية تؤيد الحكومات الاسرائيلية بصورة تلقائية نظرا لتبعيتها لحزب العمل الاسرائيلي (سابقا مباي) .

لا تاثير لنتائج الانتخابات على مواقف اسرائيل في المستقبل

يتضح من نتائج الانتخابات ان وضع جهاز الحكم في اسرائيل سيبقى على ما كان عليه قبل الانتخابات ، رغم التغييرات الخفيفة التي طرأت على عدد المقاعد التي حصلت عليها الكتل المختلفة في الكنيست . ان نظرة سطحية على توزيع المقاعد النيابية في الكنيست تظهر ان التجمع العمالي هو الكتلة الوحيدة المؤهلة لتشكيل الحكومة الاسرائيلية المقبلة ، اذ انه بحاجة الى تأمين تأييد ١٠ اعضاء كنيست آخرين لتفوز حكومته بالثقة ، وباستطاعته تأمين هذا العدد لدى اكثر من جهة وبأكثر من وسيلة . فالتجمع ، باعتبار انه يرفض الاشتراك في ائتلاف يضم التكتل او راكاح ، يستطيع اقامة حكومة ائتلافية بالتعاون مع كل الفئات الاخرى الممثلة في الكنيست او مع أي جزء منها ، ان كان ذلك مع المتدينين وحدهم ، او مع المتدينين والاحرار المستقلين او مع أي من هذه القوائم والقائمتين الصغيرتين الاخريين ، قائمة الحقوق المدنية والقوائم العربية . وفي مقابل ذلك يتضح ان اليمين ، كالعادة ، عاجز عن تشكيل حكومة ، بل انه غيَّر الشعار الذي نادى به قبل الحرب داعيا الاسرائيليين الى تأييده كبديل للجناح العمالي في الحكم ، متبنيا بدلا من ذلك شعارا آخر يدعو الى اقامة حكومة تكتل وطني من كل الفئات ، على غرار تلك التي قامت قبل حرب حزيران ١٩٦٧ وبقيت حتى صيف ١٩٧٠ ، عندما انسحب منها اعضاء غاحال بعد ان قبلت اسرائيل المبادرة الاميركية التي تضمنها مشروع روجرز . والواضح ان اليمين بشعاره هذا يريد فرض نفسه على الحكومة لمنعها من تقديم « تنازلات » ، وخاصة عدم « اعادة تقسيم ارض — اسرائيل » ، وبلغة عملية عدم الانسحاب من المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ، ضمن اطار اية تسوية سلمية للنزاع في المنطقة ، قد يتم الوصول اليها .

يتضح من المعطيات التي يمكن الاستناد اليها في ضوء نتائج الانتخابات من جهة وامكانات تشكيل الحكومة المقبلة و« ميزات » الاحزاب التي قد تشترك بها من جهة اخرى ، في ضوء « التقاليد » التي اتبعت لتشكيل الحكومات الاسرائيلية السابقة (انظر الجدول ٢) ان اليمين لن ينجح في مساعيه هذه اذ أن مجرد تشكيل مثل تلك الحكومة كاف لان يشل حتى امكانات المناورة الاسرائيلية ، نظرا لتصلب التكتل، وهو وضع لا تستطيع اسرائيل احتماله طويلا . ولا نقصد بقولنا هذا ان الحكومة الاسرائيلية ، ان شكلت على غرار الحكومات السابقة ستهرول الى الموافقة على مشاريع التسوية لازمة المنطقة ، على عكس اليمين ، اذ لا ينبغي ان ننسى ان الخلافات بين التجمع العمالي والتكتل اليميني بالنسبة للموقف من العالم العربي ليست كبيرة الى المدى الذي يتصوره المرء وان التجمع العمالي كان وراء السياسة الاسرائيلية المتصلبة ، منذ اقامة اسرائيل . كذلك يبدو انه لن يطرأ تغيير كبير على مراكز الاشخاص والقوى المؤثرة على السياسة الاسرائيلية التي كانت قائمة قبل الحرب . ومن هنا فان ضرورة التعامل من خلال مراكز القوة ، باختلاف اشكالها ، والضغط ، عربية كانت ام دولية ، مع الكيان الصهيوني لا تزال قائمة لتأمين سلامة العالم العربي وامنه وحقوق الفلسطينيين ، بل ربما هناك حاجة لمزيد من الضغوط او اللجوء الى استعمال القوة في ضوء نتائج الانتخابات التي زادت من قوة اليمين ، رغم أن الزيادة كانت طفيفة . وعليه فان ما نقصد قوله هو أن حكومة اسرائيلية يقودها التجمع العمالي ، قادرة على تنفيذ اي تسوية لازمة المنطقة ، بما في ذلك الانسحاب من كل المناطق المحتلة او معظمها ان « أقتنعت » بضرورة ذلك ، دون ان تخشى من فقدان ثقة الكنيست بها وسقوطها او تسلم التكتل اليميني الحكم في اسرائيل ، بحيث يمكن اعتبار الوضع الحالي استمرارا للوضع الذي كان قائما في اسرائيل قبل الانتخابات ، واعتبار ان نتائج الانتخابات لم تؤثر ، تقريبا ، عليه .

تشير الدلائل الى ان الحكومة الاسرائيلية المقبلة ستتشكل ، كسابقاتها ، بزعامة التجمع العمالي واشتراك الاحزاب الصغيرة الاخرى، شريكة الجناح العمالي «التقليدية» في الحكم ، الحزب الديني القومي وحزب الاحرار المستقلين ، او باشتراك بعض الكتل الصغيرة الاخرى ، او أي منها بالاضافة الى القوى الرئيسية . والواضح من هذه التشكيلة ان التجمع العمالي ، في ضوء علاقاته الماضية والحاضرة مع الاحزاب الاخرى التي قد تشترك في الحكومة ، يستطيع « اقناع » تلك الاحزاب بالموافقة على اية تسوية يضبطر هو نفسه ، للاسباب التي أشرنا لها ، الى الموافقة عليها . فالحزب الديني القومي ، كبير الشركاء في الحكومة ، رغم ان بعض عناصره تطالب بحكومة تكتل وطني ورغم انه أعلن انه « لن يمد يد العون لاعادة تقسيم ارض — اسرائيل » بحاجة ماسة الى التعاون مع التجمع لتأمين نفوذه الديني في اسرائيل ، وهو هدف الحزب الاول ، بحيث ان شراكته مع مباي سابقا ، والتجمع حاليا ، كانت دائما من أجل تحقيق هذا الهدف ، ولم يقم مرة بفسخ تلك الشراكة ، ايام الانتداب او بعد اقامة اسرائيل ، لاسباب غير دينية . وعندما حدث وقام بذلك (في مطلع الخمسينات وفي آخرها احتجاجا على اجراءات اتخذها مباي وفسرت كأنها تمس بالوضع الراهن بالنسبة للشؤون الدينية) عاد وانضم الى الحكومة في اول فرصة سنحت له ، نظرا للاجراءات « التأديبية » التي اتخذها مباي بحقه(١٥)، بعد اتباع طريق « التسوية السلمية » بين الحزبين . والواضح ان التجمع العمالي لا يزال حتى الان قادرا على تقديم الاقتراحات المغرية للمتدينين للحفاظ على مصالحهم ، او تهديدهم باتخاذ اجراءات بحقهم ، بما فيه الكفاية لضمان تأييدهم لحكومته . كذلك يستطيع التجمع استغلال الحساسية القائمة بين شطري المتدينين لضمان تأييد الطرفين او أي منهما له . اما حزب الاحرار المستقلين ، اليميني المعتدل ، فيكاد لا يجد خلافات بينه وبين التجمع بشأن سياسة اسرائيل الخارجية والامنية ويرفض « مبدئيا » الاشتراك في حكومة يقودها التكتل اليميني ولهذا فان اشتراكه في حكومة التجمع شبه مؤكد . وهذا الحزب أيضا ، وآباؤه (حزب التقدميين) كانوا ، ولا يزالون ، من الشركاء المريحين في الحكم بالنسبة للجناح العمالي . كذلك يستند التجمع الى تأييد النواب العرب الثلاثة لحكومته ، ويستطيع ايضا ضم النواب الثلاثة من قائمة الوفي لتلك الحكومة .

يبدو ، من ناحية اخرى ، ان الخطر الوحيد على استمرار قيام حكومة بالشكل الذي أشرنا له او سقوطها اذا التزمت بتقديم « تنازلات » كبيرة في سبيل تسوية سلمية هو انشقاق بعض الزعماء الصقور عنها بزعامة ديان ومؤيديه وانضمامهم الى حكومة يشكلها اليمين او اندماجهم في صفوفه . ولكن نظرة اعمق الى هذه الناحية تظهر ان مثل تلك التطورات غير ممكنة ، وان حدثت فانها لن تؤدي الى تغييرات جذرية . فهناك اولا شك في أن يترك ديان التجمع ما دامت مئير ، القريبة منه في آرائها ، رئيسة للحكومة ، ولكن حتى وان قام بذلك ، اذا قرر التجمع تشكيل الحكومة من شخصيات لا تتصف بتعاطفها مع ديان ، يشك جدا اذا كان باستطاعة ديان حمل اعضاء الكنيست السبعة من كتلته ، رافي ، على السير وراءه ، بعد التجربة التي خاضوها في هذا المجال في انتخابات ١٩٦٥ والفشل الذي كان من نصيبهم وقتها ، اذ فازت رافي في تلك الانتخابات بـ ١٠ مقاعد من مجموع ١٢٠ ، رغم ان بن — غوريون وديان وبيريس تزعموا القائمة يومها ، وكانت النتيجة أن تاه ديان في « صحراء المعارضة » مدة ثلاث سنوات ١٩٦٤ — ١٩٦٧ ، الى ان جاءت حرب ١٩٦٧ وانتذته ، وذلك نظرا للمقاومة التي بذلها الجهاز المبائي الحزبي ضد رافي ، والتي لم تتوقف الا عندما انقسمت القائمة على نفسها ورجع جزء من أعضائها الى حزب العمل ، بينما توجه الباقون الى التكتل اليميني . يضاف الى ذلك أن هناك امكانا ، في مثل هذه الحالة ، لاختراق التجمع العمالي صفوف اليمين

وجذب عدد من أعضائه اليه ، خاصة من بين جناح الاحرار . كذلك لا يبدو ، من ناحية ثالثة ، انه ستكون ضرورة لاجراء الانتخابات مرة اخرى ان وصلت تطورات التسوية السلمية الى مرحلة الحسم ، او حتى تأزم الوضع وتجدد القتال ، وحتى لو تقرر اجراء انتخابات كهذه ، فليس هناك من سبب يدعو لان تكون نتائجها مختلفة كثيرا عن نتائج الانتخابات الاخيرة ، او تلك التي سبقتها .

خلاصة القول ، ان الجناح العمالي الذي يسيطر على الكيان الصهيوني منذ «انقلاب» المؤتمر الصهيوني الثامن عشر (١٩٣٣) ، ويحكم اسرائيل منذ قيامها ، لا يزال الفئة السياسية الوحيدة التي تستطيع الحسم ، عند الضرورة ، في معظم المواقف الاسرائيلية، ان لم يكن كلها ، ان كان ذلك بالنسبة للشؤون الخارجية ، بما في ذلك الامنية ، او الداخلية . وعليه فالمواقف الاسرائيلية في المستقبل ستكون استمرارا لمواقف الماضي والحاضر من جهة وانعكاسا للاجراءات التي سيتخذها العالم العربي تجاه اسرائيل ومؤيديها من جهة اخرى ، دون أن يكون لنتائج الانتخابات اي تأثير على ذلك .

---

١ — للتفاصيل ، انظر آشر تسيدون ، « بيت هانفحاريم » ، (« مجلس النواب ») ، تل ابيب ، احيآساف ، ١٩٧١، الطبعة السادسة، ص ٤٠ — ٤٥ ، ٤٧٧ ، ٥١٤ — ٥١٦ .

٢ — وكانت رئيسة القائمة ، شولاميت ألوني ، قد نشرت قبل مدة كتابا (« هاهسدير : ممدينات حوك لمدينات هلخاه » — « التسوية : من دولة قانون الى دولة شريعة » ، تل ابيب ، اوتبار، ١٩٧٠) انتقدت فيه بشدة وسائل الاكراه الديني المتبعة في اسرائيل ، وحملت حزبها السابق ، حزب العمل ، مسؤولية ذلك بعد أن كشفت النقاب لاول مرة عن بعض الاساليب التي اتبعها المتدينون لتأمين تعاظم نفوذهم .

٣ — بعد الخلاف بين الاثنين نشر كوهين كتابا (« هاعولام هازيه » — « هذا العالم » ، تل ابيب ، طفحوت ، ١٩٧٢) ضمنه العديد من فضائح افنيري ومجلته ، « هاعولام هازيه ».

٤ — استنادا الى بيان لجنة الانتخابات المركزية، كما نقلته « هآرتس » ، ١٩٧٤/١/٩ .

٥ — مكتب الاحصاء المركزي (اسرائيل) ، نتائج الانتخابات للكنيست ، سلسلة نشرات خاصة رقم ١٦٦ ، ص ٥ ورقم ٢١٦ ، ص ٥ ورقم ٣٠٩ ، ص ١٥ .

٦ — انظر قانون الانتخابات للكنيست (نص موحد) (تعديل رقم ٤) ، « الوقائع الاسرائيلية » ، كتاب القوانين رقم ٦٩٢ ، ١٩٧٣/٤/٩ ، ص ١٠٨ (بالعبرية) .

٧ — المصدر نفسه ، رقم ٦٨٠ ، ١٩٧٣/٢/١، ص ٥٢ (بالعبرية) .

٨ — انظر « الوقائع الاسرائيلية » ، مجموعة النشرات رقم ٣٠٣٧ ، ١٩٧٣/٧/٢٠ ، ص ١٦٧٨ ورقم ٣٠٤٦ ، ١٩٧٣/٨/١٤ ، ص ١٧٩٠ (بالعبرية) .

٩ — انظر النقاش في « محاضر الكنيست » ، ١٩٧٢/١٠/٢٥ ، ص ١٤٣ — ١٥٥ ، ١/١/ ١٩٧٣ ، ص ١٠٢٣ — ١٠٨٠ ، ١٩٧٣/٤/٣، ص ٢٤٨٦ — ٢٥٦٥ .

١٠ — انظر ايضا آدام دورون ، « ميفليجيت هاعفوداه هايسرائيليت » ، (« حزب العمل الاسرائيلي ») ، تل ابيب ، بيت بيرل ، ١٩٧٢، ص ١١٤ — ١١٦ .

١١ — أنظر ايضا مقالة اهود يعري في « دافار »، ١٩٧٤/١/٤ .

١٢ — بناء على بيانات بهذا الشأن نشرت في « يديعوت احرونوت » ، ١٩٧٣/٩/٢٦ ، و« دافار » ٢٣ — ١٩٧٣/٩/٢٦ و« هآرتس »، ١٩٧٤/١/٣ .

١٣ — استنادا الى معطيات عن مرشحي القائمة الستين الاوائل ، كما نشرها التجمع في اعلان انتخابي في « هآرتس » ، ١٩٧٣/١٢/٢٨ .

١٤ — انظر آدم دورون ، « حزب العمل الاسرائيلي » ، المصدر السابق ، ص ١٥٨ — ١٥٩ .

١٥ — انظر ، مثلا ، يوناه كوهين ، « براكيم بتولدوت هتنوعاه هسادتيت هليئوميت » ، (« فصول في تاريخ الحركة الدينية القومية »)، تل ابيب ، قسم الاعلام في الحزب الديني القومي ، ١٩٧٣ ، ص ١١٤ — ١١٥ .

الدولة الديموقراطية التقدمية في فلسطين

الدكتور صبري عبدالله حلاوة

الطبيعة الطبقية للحركة الصهيونية ولعملية استعمارها الاستيطاني في فلسطين

لكي يصبح بالامكان فهم المحتوى التقدمي لشعار الدولة الديمقراطية ينبغي أن نشير هنا الى بعض الحقائق الموضوعية المتعلقة بالطابع الاستعماري الاستيطاني للوجود الصهيوني في فلسطين ودوافعه ، والاسس العنصرية التي يرتكز عليها في ترسيخ دعائمه على حساب الحقوق الوطنية والقومية للشعب العربي الفلسطيني . كما ينبغي التنويه بالدور الذي يضطلع به هذا الوجود في الدفاع عن مجمل النظام الامبريالي العالمي واعاقة مسيرة حركة التحرر العربية .

ان توضيح واقع سياسي ما يعني اجراء تحليل علمي لاسباب نشوئه وحركة تطوره وشروط اضمحلاله ، واعطاء شكله الاجتماعي المعقد صورة واقعية مبسطة . أي نقله من حالة التعقيد الى حالة التبسيط دون تشويهه أو ابتذاله ، الامر الذي يخلق امكانية رؤيته موضوعيا ويساعد على تحديد ترابط مختلف اجزائه ضمن اطارها العام المتحرك كما ان تجريد هذا الواقع من خصائصه الذاتية وارجاعها الى أصولها الاجتماعية في حقبة تاريخية محددة ، يضمن الابتعاد عن الشكلية في التحليل ، ويجنب الوقوع في الاوهام الطوباوية حول هذا الواقع .

فالمعرفة العلمية لنشوء وتطور عملية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين لا يمكن تحصيلها دون الفهم الموضوعي للتغيرات النوعية العميقة والهائلة التي طرأت على البناءين التحتي والفوقي للمجتمعات الاوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، حيث تكونت الشروط لنمو جذور الحركة الصهيونية العالمية .

ان انتصار الرأسمالية على الاقطاع في أوروبا والتطور اللاحق السريع للصناعة والعلوم الطبيعية والاجتماعية ، ونشوء طبقة البروليتاريا وتصاعد كفاحها الاقتصادي والسياسي قد خلق ظروفا جديدة أدت الى نشوء ظواهر اجتماعية وسياسية متعددة من بينها اندثار حواجز الجيتو اليهودي في اوروبا الذي تناسب وجوده مع طبيعة تركيب المجتمع الاقطاعي القائم على الاقتصاد المبعثر . كما تسارعت عملية اندماج اليهود مع سكان البلدان التي يعيشون فيها ، حيث ترتب على عملية الاندماج هذه رفع وصاية الفئات المسيطرة من كهنة وتجار وأصحاب مصانع وبنوك يهود عن جماهير اليهود الكادحة التي اندمجت مع غيرها من السكان تحت تأثير أسلوب الانتاج الجديد . وقد كتب فلاديمير اليتش لينين عن هذه الظاهرة قائلا : « في اوروبا كلها كان سقوط القرون الوسطى وتطور الحرية السياسية يسيران جنبا الى جنب مع رفع الوصاية السياسية عن اليهود ومع انتقالهم من لغتهم الخاصة الى لغة الشعب الذي يعيشون بين ظهرانيه ومع التقدم الاكيد مع السكان المحيطين بهم »(١).

ان التطور الاقتصادي اللاحق للرأسمالية في اتجاه تمركز الانتاج ورأس المال في أيدي الاحتكارات الضخمة قد أثر بشدة على السياستين الداخلية والخارجية للدول الرأسمالية

فعلى الصعيد الداخلي ازدادت شدة التمايز الطبقي وأصبح الصراع بين البرجوازية المالكة لوسائل الانتاج وطبقة البروليتاريا المضطرة لبيع قوة عملها لقاء ما يكفل بقاءها على قيد الحياة يهدد مجمل علاقات الانتاج الراسمالية . وعلى الصعيد الخارجي ازدادت حاجة الدول الراسمالية الى تصدير رؤوس الاموال والاستيلاء على المستعمرات فيما وراء البحار لتأمين المواد الاولية وتصريف المنتجات الصناعية أي بجعل المستعمرات توابع لاقتصاد الدول الرأسمالية المتطورة ، حيث انتقلت الراسمالية بفعل تأثير الشروط الاقتصادية الجديدة الى مرحلة أعلى أطلق عليها لينين اسم « مرحلة الامبريالية » او « مرحلة الاستعمار » .

ومن بين أهم المشاكل التي نشأت في تلك المرحلة من تطور الراسمالية والتي توجب على برجوازية الدول الاستعمارية حلها لصالح توطيد مجمل النظام الراسمالي مشكلتان اساسيتان :

الاولى تفتيت وحدة الطبقة العاملة في البلدان الرأسماليـــة (الاستعمارية) وشل قدرتها الكفاحية .

الثانية كسب أكبر عدد ممكن من المستعمرات فيما وراء البحار بمختلف الوسائل .

وقد كتب ف. أ. لينين عن هذه المرحلة قائلا : « ولئن كانت الرأسمالية في نضالها ضد النظام الاقطاعي قد لعبت دور محرر الامم ، فان الرأسمالية الامبريالية قد أصبحت أعظم مضطهد للامم . والرأسمالية التي كانت فيما سلف عامل تقدم قد أصبحت الان رجعية . فلقد طورت القوى المنتجة الى درجة ان الانسانية ما عاد أمامها من سبيل سوى ان تنتقل الى الاشتراكية أو أن تعاني طوال سنين بل عشرات السنين من الصراع المسلح بين الدول « الكبيرة » من أجل الحفاظ بصورة مصطنعة علـــى الراسمالية بواسطة المستعمرات والاحتكارات والامتيازات وشتى اشكال الاضطهاد القومي »(٢).

من أجل تحقيق المهمة الاولى لم تكتف البرجوازية الاستعمارية باستخدام جهاز الدولة الذي تملكه وما يتبع هذا الجهاز من أدوات القمع والارهاب ضد النضال الاقتصادي والسياسي للطبقة العاملة ، بل أنشأت مؤسسات جديدة ذات اختصاصات مختلفة منها ما هو سياسي او فلسفي او ديني او تنظيمي ، هدفها جميعا طمس الوعي الطبقي لدى الجماهير الكادحة وخاصة البروليتاريا التي تقف في طليعة هذه الجماهير للاطاحة بنظام الاستثمار .

ولتحقيق المهمة الثانية انشأت البرجوازية الاستعمارية منظمات خاصـــة لممارسة النشاط الاستعماري في بلدان ما وراء البحار بقصد النهب والاثراء على حساب الشعوب الاخرى . ولتبرير هذا النشاط وكسب عطف وتأييد الجماهير الكادحة لسياسة التوسع الاستعماري أو الحروب التي خاضتها برجوازية هذا البلد أو ذاك ضد البلدان الاخرى ، فقد صاغ مفكرو البرجوازية مجموعة من الاراء والافكار التي لعبت على وتر النعرات القومية والتعصب الشوفيني ، واثارة العواطف والاوهام الدينية . كما اوجدت نظريات حول التفوق العرقي لهذه الأمة او تلك وبشرت بمفاهيم مزعومة حول الرسالة التاريخية أو الحضارية وأحيانا الالهية (السماوية) التي أنيطت بهذا الشعب أو ذاك الى مـــا هنالك من نظريات فلسفية وادبية أو سياسية حيث شكلت مجموعها لب الايديولوجية الاستعمارية .

ان اندثار حواجز الجيتو اليهودية في أوروبا واندماج اليهود في الوسط الذي يعيشون فيه ، وتأثرهم بعملية الاستقطاب الطبقي في المجتمعات الراسمالية المتطورة هي نتائج حتمية لاسلوب الانتاج الراسمالي الذي اتسم بميزتين أساسيتيـــن : أولهما الطبيعة الاجتماعية لعملية الانتاج وثانيهما الطبيعة الخاصة لملكية وسائل الانتاج .

فقد تولد عن التناقض بين هاتين الخاصتين انقسام المجتمع الى طبقتين متعارضتين من حيث المصلحة المادية .

ان مساهمة المستثمرين اليهود في كفاح البروليتاريا الاوروبية قد شكل خطرا بالدرجة الاولى على مصالح الطبقات المستثمرة في المجتمعات الرأسمالية وخلق اساسا موضوعيا لتلاقي مصالح هذه الطبقات مع مصالح الفئات اليهودية البرجوازية التي مارست سابقا السيطرة على جماهير اليهود الكادحة داخل اطار الجيتو . لهذا فقد أصبح لجميع الفئات المستثمرة سواء كانت مسيحية ام يهودية في أوروبا مصلحة مشتركة في منع عملية الاندماج وفرض العزلة على جماهير اليهود الكادحة وتحويلها من قوى ثورية تدعم الحركة العمالية الى قوى مضادة للثورة واعادة اخضاعها من جديد لسيطرة البرجوازية اليهودية تحت شعارات ومفاهيم تتلاءم وروح العصر .

وحول دعم الرجعية الاوروبية لعزلة اليهود ومنع اندماجهم كتب ف. أ. لينين عام ١٩٠٣ متسائلا : « هل يمكننا ان نرجع الى الصدفة هذه الحقيقة القائلة بأن القوى الرجعية في اوروبا كلها ولا سيما في روسيا تتكاتف جميعا ضد اندماج اليهودية ومن اجل تعزيز عزلتها »(٣).

ولا بد من التأكيد على ان فكرة عزل اليهود ومنع اندماجهم في الوسط الذي يعيشون فيه وتهجيرهم خارج اوروبا قد ارتبطت منذ القدم بمصالح الطبقات المستثمرة في اوروبا وخاصة تلك التي تسلمت زمام السلطة في الدول العظمى صاحبة الاطماع في السيطرة والتوسع على حساب الشعوب المتخلفة في آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية . فقد جرت محاولات جدية ومحددة في هذا الشأن قبل نشوء الحركة الصهيونية تحت زعامة هرتزل بزمن طويل . وبقصد الاستشهاد وليس الحصر نقدم بعض الامثلة على ذلك :

« فبموافقة الشركة الهولندية هندو غربية وتحت حمايتها تم تسليم جوزيف نونيز وآخرين غيره الاراضي الصالحة للزراعة في جزيرة كوراساوة عام ١٦٥٢ لاقامة مستعمرة يهودية هناك . لكن المحاولة لم تكلل بالنجاح »(٤).

وفي عام ١٦٥٤ فكرت بريطانيا جديا في مسألة توطين اليهود في مستعمرتها سورينام كما ان فرنسا أعلنت عن رغبتها في ذلك الحين حول استيطان اليهود في كينيا .

ولقد كانت الامبراطورية الفرنسية أول من حاول جديا تهجير اليهود الى فلسطين بقصد الاستيطان وذلك اثناء زعامة نابليون بونابرت لاهداف استراتيجية عام ١٧٩٩ . الا أن فشل حملة نابليون على سوريا وفلسطين كان احدى الاسباب الرئيسية المباشرة لعدم نجاح تلك المحاولة . وقد علق الكاتب السوفياتي يوري ايفانوف على محاولات فرنسا وبريطانيا المتعددة استخدام تهجير اليهود لصالح توطيد مركزيهما الاستعماري قائلا :«فاذا كانت محاولات المستعمرين الفرنسيين في استخدام اليهود لتحقيق مآربهم في الشرق الادنى يمكن اعتبارها فصلا تاريخيا لم يكتب ، فان جهود الاوساط الحاكمة الانكليزية في هذا السبيل كانت عملية تنفيذ لمخطط محكم »(٥).

يتضح من الامثلة السالفة الذكر ان فلسطين لم تكن المنطقة الوحيدة التي كان عليها ان تستخدم كمكان لاقامة الجيتو اليهودي الجديد المعبر عنه بطريقة حديثة نسبيا تلاءمت وروح العصر آنذاك وهو اصطلاح « المستعمرة اليهودية ». والادب السياسي الصهيوني يقدم لنا أمثلة محددة على ان هنالك امكنة اخرى في افريقيا وامريكا الجنوبية كانت مجالا (موضوعا) ليس للبحث وحسب بل وللنشاط العملي في هذا السبيل .

وانطلاقا من الحقائق التاريخية المعروفة يمكننا القول ان الانتباه قد تركز على فلسطين في الفترة التي ابتدات فيها الامبراطورية العثمانية بالضعف والتفكك ، حيث اخذت القوى

الاستعمارية الاوروبية تتصارع فيما بينها لاقتسام المناطق العربية الخاضعة لسيطرة الدولة العثمانية ، وخاصة سوريا بما فيها فلسطين باعتبارها منطقة استراتيجية هامة تقع على الطريق التجاري المؤدي الى الهند والصين والمستعمرات في جنوب شرقي آسيا . وقد تضاعف هذا الاهتمام بعد فتح قناة السويس .

ففي رسالة بعث بها السياسي الانكليزي المعروف آنذاك شافيتسبوري الى وزير خارجية بريطانيا العظمى بالميرستون بتاريخ ١٨٤٠/٩/٢٥، كتب يقول : « من الضروري تحويل سوريا الى مستعمرة انكليزية ، وأكد أن ذلك يتطلب رأسمالا وأيدي عاملة الا انه أشار لطبيعة اتجاه رأس المال نحو البلدان التي تكون فيها الملكية والحياة مؤمنتين من الاخطار . وفي ختام رسالته اقترح شافيتسبوري : « فاذا ما امعنا التفكير في مسألة عودة اليهود في ضوء تجديد بناء او استعمار فلسطين لتأكدنا من ان ذلك هو ارخص واضمن السبل لسد كل حاجيات هذه المنطقة الفقيرة بالسكان »(٦).

وفي الخامس والعشرين من كانون الثاني (يناير) عام ١٨٥٣ صرح العقيد غيورج غاولر الحاكم العام السابق لجنوب استراليا والحائز من خلال وظيفته على خبرات عريقة بشؤون الاستعمار فيما وراء البحار اذ قال في البرلمان البريطاني :

« المشيئة الالهية جعلت سوريا ومصر في طريق انكلترا الى الاقاليم الاخرى الاكثر اهمية في مجال تجارتها الخارجية الاستعمارية — الى الهند والصين وجزر الهند واستراليا . ان اصبع المولى تشير على بريطانيا ، ان تعمل بهمة ونشاط من أجل خلق الشروط المواتية في هاتين الولايتين .. ان على بريطانيا ان تجدد سوريا بواسطة الشعب الوحيد الجدير بهذه المهمة والذي يمكن استخدام طاقاته بصورة دائمة وفعالة ، بواسطة الابناء الحقيقيين لهذه الارض أبناء اسرائيل »(٧).

فاذا ما نحينا جانبا بعض الالفاظ المخصصة لدغدغة العواطف الدينية لدى جماهير اليهود لوجدنا ان هذا المنطق ليس غريبا على المستعمرين بل يعكس مصلحتهم في السيطرة والتوسع والاثراء الفاحش . فالمسألة بالنسبة لهم تجارية محضة وحساباتهم تجري طبقا لمبدأ الربح والخسارة وليس لاي شيء اخر ، ولدينا من الوقائع التاريخية ما يبرهن على ان حقوق الشعوب ومستقبلها لم ولن تكن في اي يوم من الايام موضع اهتمام وتقدير من قبل السادة المستعمرين ، بل ان جل هذا الاهتمام قد تركز دائما على مصالحهم الانانية . وان محاولات المستعمرين البريطانيين منذ البداية ومن ثم دعمهم او مشاركتهم لعملية خلق مستعمرة صهيونية في فلسطين لم تكن خارج اطار هذه المصالح ولم يدفعهم لذلك اية اسباب انسانية او عطف على اليهود كما ادعوا ويدعون. كما ان السياسيين البريطانيين في تلك الفترة لم يفكروا غير ذلك بدليل ان السياسي الانكليزي شافيتسبوري كتب في الفترة الاخيرة من عمره يقول : « ان سوريا (ومن ضمنها فلسطين انذاك) ستصبح بعد تعميرها بلدا تجاريا من الدرجة الاولى . ومن هم التجار المتفوقون في العالم ؟ وهل من الممكن ايجاد مكان افضل او مناخا اكثر ملائمة لتطويره بجد من قبل اليهود ؟ او ليس لانكلترا مصالحها الخاصة في تحقيق الاجراءات الضرورية في هذا الشأن ؟ ان ضررا قويا سيلحق ببريطانيا اذا ما سيطرت احدى الدول المنافسة على سوريا »(٨).

لذلك فقد بدأت بريطانيا نشاطها الاستعماري المنظم في فلسطين فأنشأت في العام ١٨٦٥ صندوق اكتشاف فلسطين في لندن، حيث عمل به عسكريون من سلاح الهندسة في الجيش البريطاني . وبتوجيه من وزارة الحرب البريطانية قاموا باجراء مسح عام للنواحي الطبيعية والاجتماعية في فلسطين كما ان مهمة هذه المؤسسة قد توسعت فشملت بعض الاقطار الاخرى في منطقة الشرق الاوسط وخاصة سوريا وقبرص ومصر

والسودان . ولم تقتصر نشاطات موظفي هذه المؤسسة على البحث العلمي بل ان بعضهم ساهم بنشاط في تنظيم حملات القمع التي قام بها الجيش البريطاني ضد الحركة الوطنية في مصر والسودان مما اثبت علاقاتهم بالمخابرات البريطانية وكشف الطابع التجسسي لمهمتهم امثال الكابتن كوندر والملازم كتشنر ولورانس وغيرهم .

وفي السبعينات من القرن التاسع عشر انشئت في انكلترا الشركة الاستعمارية السورية الفلسطينية بقصد « ضمان استيطان سوريا وفلسطين والبلدان الاخرى المجاورة لها من قبل الفئات المرضي عنها مسيحية كانت ام يهودية». ايفانوف ص ٤٠ .

وهكذا لم يبق على الصهيونية الا الظهور والا « فستجد انكلترا نفسها مضطرة لاختراعها » كما صرح بذلك الزعيم الصهيوني ماكس نوردو في بداية القرن العشرين(٩) .

ففي نهاية القرن التاسع عشر انتهت عملية تحول الرأسمالية الى امبريالية وشمل التوسع الاستعماري جميع المناطق في العالم تقريبا . وابتداء من هذه الفترة اخذت تتكون تحالفات جديدة بين بعض الدول الاستعمارية ضد البعض الاخر بقصد اعادة تقسيم المستعمرات بحيث تتناسب مع نسبة التركيبة الجديدة للقوى الدولية التي تتغير باستمرار .

في هذه الفترة بالذات تكونت شروط اقتصادية وسياسية محددة موضوعيا (مصلحة الدول الاستعمارية) وذاتيا (مصلحة الفئات البرجوازية للجاليات اليهودية في اوروبا) لنشوء الحركة الصهيونية العالمية . لهذا فقد تداعى ممثلو الفئات البرجوازية للجاليات اليهودية في اوروبا ـ الطامحين لحصول على نصيب من غنيمة البلدان المستعمرة عندما يحين الوقت لاعادة تقسيمها من جديد ـ لعقد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل عام ١٨٩٧ حيث وضعوا الاطار التنظيمي وحددوا المحتوى الحقيقي للحركة الصهيونية العالمية . لقد كانت مسألة اقامة مستعمرة صهيونية من أهم الاهداف التي وضعت على بساط العمل من أجل المباشرة في تحقيقها والتي قسمت الى ثلاث اقسام : التنظيم ، الاستعمار ، الاتصالات مع الدول الاخرى .

لهذا تعتبر الصهيونية من وجهة نظر تاريخية ملحقا للاستعمار العالمي وذيلا له لكونها قد ظهرت في مرحلة من التطور كان النظام الاستعماري فيها قد اكتمل نضجه بحيث شمل العالم باسره كشكل للعلاقات بين الامم وطبع العصر بطابعه .

لقد نشأت الصهيونية فكرا وعملا كاداة استعمارية مهمتها سد بعض الثغرات في النشاط الاستعماري واستكمال حاجاته والدفاع عن وجوده . ففي عام ١٩٠٠ صرح تيودور هرتزل (مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية) : « ان العودة الى أرض الاباء التي وعدت بها الكتب السماوية تمثل مصلحة سياسية جاءت في اوانها بالنسبة للدول التي تبحث عن مصالح معينة في آسيا »(١٠) .

ان تحديد الاطار التاريخي لنشوء الحركة الصهيونية العالمية يعتبر مسألة ذات اهمية بالغة ليس فقط لاولئك الذين وقعوا ضحية النشاط الاستعماري لهذه الحركة ويقع على كاهلهم العبء الرئيسي في انهاء النتائج التي ترتبت على هذا النشاط لكون مصلحتهم تكمن في ذلك ، بل وبالنسبة لاولئك الذين يهمهم بحكم موقعهم في الحركة التاريخية المعاصرة تحطيم جميع اشكال العلاقات الاستعمارية قديمة كانت أم حديثة .

لقد اكتسبت الصهيونية العالمية حق اقامة مستعمرة لها في فلسطين نتيجة قرار اتخذته الدول الاستعمارية المنتصرة في الحرب العالمية الاولى ـ ذات الطابع

الاستعماري ــ اثناء اجتماعات مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ والتي بموجبه جرى اعادة ترتيب اوضاع العالم وتقسيمه من جديد فيما بينها .. وقد كتب لينين واصفا الحرب العالمية الاولى : « فهي حرب ترمي اولا الى توطيد عبودية المستعمرات عن طريق تقاسم « اعدل » واستغلال لاحق افضل « توزيعا » ، وترمي ثانيا الى تشديد وطأة النير الذي تئن تحته الامم الاجنبية داخل الدول الكبيرة ذاتها ... وترمي ثالثا الى تشديد عبودية الاجراء ، واطالة امدها ، لان البروليتاريا مجزأة مرهقة ، بينما يستفيد الراسماليون على جميع المستويات فيغتنون من وراء الحرب ويسعرون الاراء القومية المسبقة ويدعمون الرجعية التي رفعت راسها من جديد في الاقطار جميعها ، حتى في الاقطار الجمهورية الاكثر تحررا »(١١).

وباختصار « انها حرب بين وحوش كاسرة لتقاسم الغنائم ولاستعباد البلدان الاخرى » .

لقد خصصت الدول الاستعمارية المنتصرة جزءا بسيط نسبيا من الغنائم التي ربحتها في الحرب الى الحركة الصهيونية العالمية مقابل دور محدد تضطلع به هذه الاخيرة في خدمة مجمل النظام الامبريالي العالمي وخاصة الدولة القائدة لهذا النظام آنذاك بريطانيا.

وحول تحديد الادوار المتبادلة بين الاستعمار البريطاني من جهة والمستعمرة الصهيونية المزمع اقامتها في فلسطين من جهة اخرى قال ماكس نوردو احد الزعماء الصهاينة الاوائل موجها كلامه الى الدوائر البريطانية الحاكمة في اجتماع جرى عام ١٩١٩ وبحضور كبار الامبرياليين البريطانيين انذاك لويد جورج واللورد بلفور ما يلي : « نحن نعرف ايها السادة ماذا تنتظرون منا . تريدون ان نحرس لكم طريقكم الى الهند عبر الشرق الادنى . ونحن على استعداد للقيام بهذه المهمة الشاقة لكنه من الضروري ان تسمحوا لنا بانشاء قوة ذاتية تمكننا من القيام بهذا الواجب »(١٢).

وهذا ما يفسر لنا حقيقة دمج النقاط الرئيسية الواردة في وعد بلفور ضمن صك الانتداب الذي اقرته اداة الدول الاستعمارية المنتصرة « عصبة الامم » حيث تسلمت بريطانيا بموجبه مهمة تحويل فلسطين الى مستعمرة صهيونية .

وعند بداية الانتداب البريطاني على فلسطين فان عدد اليهود فيها لم يكن يتجاوز ٥٦ر٧٠٠ نسمة من اصل مجموع السكان البالغ عددهم ٧٠٠ر٠٠٠ نسمة . فاليهود الاصليون والمهاجرون الجدد منهم كانوا وقتها يؤلفون نسبة ٨ ٪ من مجموع السكان ويملكون ما نسبة ٢ر٥ ٪ من مجموع مساحة اراضي فلسطين(١٣).

وخلال فترة وجوده التي تقارب الثلاثين عاما في فلسطين خلق الاستعمار البريطاني جميع الشروط الذاتية والموضوعية اللازمة لنشوء المستعمرة الصهيونية في فلسطين . فقد استخدم جيشه الاستعماري وجهاز امنه لسحق الحركة الوطنية الفلسطينية بالعنف اثناء الانتفاضات والثورات الشعبية الموجهة لانهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ووقف عملية الاستيطان الصهيوني فيها . كما ان سلطات الانتداب البريطاني سخرت جهازها الاداري لمساعدة الهجرة الصهيونية المنظمة الى فلسطين حيث ارتفع عدد اليهود في فلسطين بفضل هذه الهجرة من ٨٪ الى الثلث كما هيأ الظروف لانتقال الاراضي الى ملكية الشركات الصهيونية وذلك بمنحه جميع الاراضي الحكومية التي ورثها عن الدولة العثمانية مجانا الى المنظمة الصهيونية العالمية مما زاد في نسبة ملكيتهم لاراضي فلسطين حتى بلغت ٦ ٪ في عام ١٩٤٨ . كما ساعد الانتداب البريطاني على بناء القوة الذاتية الصهيونية في فلسطين وخاصة عسكريا واقتصاديا حتى اصبحت الوكالة اليهودية في فلسطين دولة داخل دولة وهيأ لها من الامكانات ما يؤهلها

بالاضطلاع بمهام الدولة من خلال خلق جميع الاجهزة اللازمة لهذه المهمة سواء كانت عسكرية او اقتصادية(١٤).

وعندما اصبح الوجود الصهيوني في فلسطين في وضع يمكنه من طرد السكان الفلسطينيين العرب اعلنت دولة الاستعمار البريطاني عن انهاء انتدابها على فلسطين وانسحاب قواتها العسكرية بتاريخ ١٥/٥/١٩٤٨ . وقد قامت الاجهزة الصهيونية المعدة سلفا بعملية طرد شعب فلسطين خارج حدود وطنه بالقوة والعنف واقيمت على انقاضه المستعمرة الصهيونية في فلسطين قبل خروج اخر جندي بريطاني منها واعلن الكيان الصهيوني نفسه دولة واسماها اسرائيل في نفس اليوم الذي غادر فيها البريطانيون ١٥/٥/١٩٤٨ .

اما بالنسبة للتحالفات التي عقدتها الحركة الصهيونية — عبر تاريخها الذي يقارب ثلاثة ارباع القرن — مع هذه الدولة الاستعمارية او تلك فقد خضعت لطبيعة تركيب القوى الاستعمارية ونسبة توازنها ، بحيث ارتبطت الصهيونية على الدوام بالكفة الراجحة في هذه القوى او بالتحديد تقول انه كان على الصهيونية وما يزال باعتبارها اداة استعمارية ان تضع نفسها في خدمة الدولة الاستعمارية التي تتصدر موقع القيادة في هذا النظام .

وانطلاقا من وجهة النظر هذه يمكننا تفسير حقيقة ارتباط الصهيونية بل وتبعيتها الى مخططات الاستعمار البريطاني عندما تولى قيادة النظام الاستعماري العالمي بحكم موقعه الاقتصادي والسياسي في هذا النظام ، ومن ثم كيفية انتقال هذا الارتباط والتبعية الى الامبريالية الامريكية التي ورثت قيادة هذا النظام عن بريطانيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية .

اما بالنسبة للامم المتحدة وقراراتها المتعلقة بفلسطين فنود الاشارة الى ان الحركة الصهيونية العالمية وكيانها المصطنع في فلسطين الذي اتخذ لنفسه صفة الدولة عام ١٩٤٨ لم يقيموا اي وزن كان لهذه المنظمة ولقراراتها وانما نظروا لها كعامل مساعد في تحقيق اهدافهم الاستعمارية . فيطرونها عندما تكون لجانبهم ويدوسون عليها بالاقدام عندما تتعارض ومصالحهم في العدوان والتوسع . وليس هذا مجرد رأي ذاتي محض بل الحقائق المتعلقة بتاريخ الدولة الصهيونية وسلوكها المدون منها الكثير في وثائق الامم المتحدة تثبت صحة رأينا هذا .

فعندما خرقت الجمعية العمومية لمنظمة الامم المتحدة ميثاقها وانتهكت حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره واوصت في ٢٩/١١/١٩٤٧ بتقسيم فلسطين التي لا تتجاوز مساحتها ٢٧٫٠٠٠ كم٢ الى ثلاثة كيانات ، رحبت الحركة الصهيونية العالمية بهذا القرار الذي اتخذ نتيجة ضغط الدوائر الامبريالية العالمية وخاصة الامريكية . ويصبح هذا الترحيب مفهوما اكثر عندما نعلم ان الصهاينة لم يملكوا حينها سوى ٦٪ من مجموع مساحة فلسطين في حين اعطتهم الامم المتحدة حقا لا تملكه بل يعود للشعب العربي الفلسطيني لاقامة دولة صهيونية على مساحة قدرها ٥٦٪ من مجموع اراضي فلسطين وفي حين كان يقطن هذا القسم عددا من الفلسطينيين العرب يبلغ ٥٠٩٫٧٨٠ نسمة و ٤٩٩٫٠٢٠ يهوديا ، بينما كانت الدولة العربية الفلسطينية المقترحة سوف تحوي ١٠٫٠٠٠ يهودي بين سكانها البالغ ٧٣٥٫٠٠٠ نسمة (صايغ السلام ص ١٦) .

فالصهاينة لم يكتفوا بما حدده مشروع التقسيم بل احتلوا ٧٧٫٤٪ من مساحة فلسطين بالقوة والارهاب المسلح مستخدمين المجازر الدموية على نمط مذبحة دير ياسين . وطردوا عنه ٧٥٠٫٠٠٠ فلسطيني عربي خارج ديارهم الى الدول العربية ولم يبق سوى ١٧٠٫٠٠٠ فلسطيني عربي داخل الدولة الصهيونية حيث صودرت املاكهم

وفرضت عليهم الاقامة الجبرية في مناطق مغلقة ومنعوا من الانتقال خارجها الا بموجب تصاريح خاصة كما هو الحال بالنسبة للسود الافريقيين في جنوب افريقيا . وقد رفضت دولة الصهاينة جميع توصيات الجمعية العمومية وقرارات مجلس الامن المتعلقة باعادة اللاجئين الفلسطينيين . لكن الدولة الصهيونية لم تتوقف عند هذا الحد بل ازداد نشاطها كاداة امبريالية فاشتركت عام ١٩٥٦ في العدوان الثلاثي المسلح الى جانب بريطانيا وفرنسا ضد مصر لاعادة السيطرة الاستعمارية على قناة السويس ونالت لقاء ذلك حق استخدام مضائق تيران المصرية .

وعندما تعاظم تيار حركة التحرر العربي عام ١٩٦٧ باتجاه تصعيد الكفاح ضد الوجود الامبريالي ولاح في الافق امكانية تأميم بعض مصادر النفط العربي سارعت الامبريالية الامريكية ودفعت الدولة الصهيونية لشن عدوان مسلح في ٥ حزيران (يونيو) لكي ترهب الحركة الثورية العربية . لقد توسعت مساحة الدولة الصهيونية بفضل هذا العدوان اربعة اضعاف عما كانت عليه قبل الخامس من حزيران . فاحتلت القسم المتبقي من فلسطين الضفة الغربية وقطاع غزة ، والبالغ مساحته ٦٢٤٠ كم٢ . كما احتلت سيناء والبالغة مساحتها ٦١ر١٩٠ كم٢ (والتي تؤلف نحو ٦ ٪ من مجموع مساحة مصر وتبلغ ضعفي مساحة اسرائيل) . واحتلت كذلك ١٥٠ر١ كم٢ في منطقة جولان السورية والتي تبلغ مساحتها نحو ٦ر٠ ٪ من مجموع الاراضي السورية .

وهكذا نرى ان الدولة الصهيونية اذ تقوم بدور الحارس الامين للمصالح الامبريالية في الوطن العربي وجلاد حركته التحررية وعازل بشري وجغرافي لشطريه في المغرب والمشرق انما تفعل ذلك بدافع مصلحتها الذاتية في النهب والتوسع . ولكن ينبغي التأكيد على انه ليس بوسع الدولة الصهيونية ان تقوم بهذه المهمات الشاقة لولا المساعدات الضخمة التي تتلقاها من الدوائر الامبريالية العالمية . فقد تلقت مساعدات مالية فقط من الولايات المتحدة بين عام ١٩٤٨ — الربع الاول من ١٩٧٣ — مبلغ قدره تسعة مليارات دولار اميركي . كما قدمت المانيا الغربية على شكل تعويضات للدولةالصهيونية حتى عام ١٩٧١ ٨ر١٠ مليار دولار . هذا ما عدى المساعدات العسكرية والاقتصادية .

ان تقديم المساعدات الضخمة للدولة الصهيونية لا يتم طبقا للعواطف الانسانية او بدافع اجتذاب اصوات الناخبين اليهود كما يجري تصويره احيانا ، بل هنالك دوافع اكثر جدية لان المستعمرين قد عودونا ان لا نرى خلف سياستهم سوى مصالحهم الانانية . وللعلم نشير الى ان سكان الوطن العربي يشكلون ٣ ٪ من عدد سكان العالم و ١٢ ٪ من دول الامم المتحدة وتزيد مساحة بلادهم بمقدار مليون كم٢ من مساحة القارة الاوروبية ويملكون اضخم احتياطي للنفط في العالم ٦٠ ٪ ويشكل وضعهم الجغرافي تقاطعا حيويا في التجارة العالمية برا وبحرا وجوا ، ولديهم طاقات اقتصادية وزراعية وصناعية ، حيث يمكن استخدامها في تسريع وتيرات التطور الاقتصادي والاجتماعي للوطن العربي اذا ما تحرر من النفوذ الاستعماري .

بعد ان حددنا الاطار التاريخي لعملية نشوء وتطور الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين يترتب علينا الانتقال الى تحديد شروط اضمحلاله .

يرتكز الوجود الصهيوني في فلسطين كأية ظاهرة اجتماعية اخرى على مجموعة من العلاقات والتي اوجدتها هنا عن وعي الحركة الصهيونية العالمية . ومما هو جدير بالملاحظة ان هذه العلاقات ليست انعكاسا لعلاقات الانتاج في المجتمع الفلسطيني انذاك كما أنها ليست وليدة لاسلوب انتاجه . بل هي انعكاس لعلاقات الانتاج في المجتمعات الراسمالية الاوروبية في مرحلة تحولها الى أمم مستعمرة . لهذا فان علاقات الدول الاستعمارية بالبلدان المستعمرة تحمل معها جميع الخصائص الجوهرية لعلاقات الانتاج

الرأسمالية وتناقضاتها القائمة على استثمار الانسان لاخيه الانسان حيث خلقت بنفسها ورغما عن ارادتها شروط زوالها .

ونظرا لكون الواقـــع الصهيوني الاستيطاني ودولته قائمين عـــلى اساس تشريـــد الشعب الفلسطيني من وطنه لذلك يصبح هذا الشعب نقيضا متعارضا موضوعيا مع الاستيطان الصهيوني ودولته اسرائيل . كما ان الغاء هذا التعارض يتطلب بالضرورة الغاء شكـــل العلاقة التي اوجدتهـــا الصهيونيـــة بين المستوطنين اليهود والشعـــب الفلسطيني .

ولما كانت رقعة الاستيطان الصهيوني قد توسعت بالفعل عدة مرات عن طريق القوة المسلحة وما زالت تتوسع طبقا لبرنامج محدد على حساب الدول العربية وبنفس النمط الذي استخدمته الصهيونية في فلسطين لهذا تكون الصهيونية قد خلقت حلفاء طبيعيين للشعب الفلسطيني حيث يشتد هذا التحالف طرديا مع زيادة خطر العدوان والتوســـع الصهيوني .

كما ان زيادة حجم الدور الذي تضطلـــع به الدولة الصهيونية في تنفيذ مخططـــات الامبريالية العالمية سواء كان ذلك على صعيد تغلغل الاستعمار الجديد في افريقيا وآسيا حيث يجري تسريب رؤوس الاموال وارسال البعثات الاقتصادية والعسكرية عن طريق اسرائيل . ام على صعيد التخريب داخل المعسكر الاشتراكي وبشكل خاص الاتحـــاد السوفياتي . حيث تشن الصهيونية ودولتها اسرائيل حملة هستيرية لانقاذ مزعوم ليهود الاتحاد السوفياتي لكي يتم تهجيرهم والحاقهم بجيش الاحتلال الاسرائيلي . كل ذلك من شأنه توسيع قاعدة الجبهة المعادية للصهيونية ولدولتها في فلسطين .

وبما ان الدولة الصهيونية نفسها تشكل جيتو مغلق اقامته الصهيونية لعزل اليهود في فلسطين واخضاعهـــم لسيطرتها وتسخير نشاطهـــم لخدمة الرأسمال الاحتكـــاري العالمي ، واستخدامهم كأداة عدوان وتوسع ، وتخريب على الحركة الثورية العالميـــة الامر الذي جعلهم في وضع معاكس لاتجاه سير التطور التاريخي وخلق أساسا موضوعيا لتناقض مصلحة جماهير اليهود مع أهداف الحركة الصهيونية .

ان هذه الحقائق تشكل القاعدة التي ستنبثق منها الشروط اللازمة لزوال الدولـــة الصهيونية وجميع مؤسساتها .

واستطرادا لما تقدم نقول أن كفاح الشعب الفلسطيني لانهـــاء شكل العلاقات التي اوجدتها الصهيونية في فلسطين يشكل جزءا لا يتجزأ من كفاح جميع الشعوب المستعمرة في كل من آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية من أجل الغاء مخلفات النظـــام الامبريالي العالمي حيث يلتحم هذا الكفاح مع كفاح جميع الطبقات والفئات المستثمرة في المجتمع الرأسمالي لانها جميعا تخضع لاستثمار واضطهاد الرأسمال الاحتكاري العالمي .

واذا كانت هنالك بعض الخصائص المميزة لكل ظاهرة استعمارية على حدة الا أنها جميعا تشترك في سمة عامة واحدة وهي كونها وليدة أسلوب الانتـــاج الرأسمالي في مرحلة الاستعمار .

وبما ان الربح والاثراء هو الهدف الاساسي لنشاط كل الفئات والطبقات الاجتماعية المتميزة في العالم ، لذلك تصبح مسألة المحافظة على نظام العلاقات الذي يضمن تدفق الارباح وتراكم الثروات في يد هذه الفئات مسألة حياة او موت . لان بقاءهـــا كفئات متميزة في المجتمع يستحيل دون استمرار هذه العلاقات .

ولما كانت المنظمة الصهيونية العالمية هي الاداة السياسية والتنظيمية المعبرة عـــن

المصالح العليا للفئات البرجوازية الاحتكارية من الجاليات اليهودية في العالم فانه من الطبيعي بل ومن الضروري أيضا ان يكون الاثراء والربح على حساب الغير والدفاع عن نظام العلاقات الذي يكفل ذلك هو الهدف الرئيسي لنشاطها وكل ما عدا ذلك يبقى وسائل تتفاوت فقط في اهميتها بالنسبة لتحقيق هذا الهدف .

ومن هنا نستطيع ان نستنتج حقيقة كون جميع الانشاءات الفكرية التي صاغها منظرو الحركة الصهيونية العالمية حول « الامة اليهودية العالمية » و « شعب الله المختار » و« العرق اليهودي النقي » و« أبدية اللاسامية » و« عدم امكانية حل المسألة اليهودية في بلدان الاغتراب » والحنين الابدي الى « أرض الميعاد » وان « جميع الشعوب سواء كانت مجتمعة او كل منها على حدة هي لا سامية » . فهذه الانشاءات ليست سوى تبرير فكري لمنع عملية اندماج اليهود وتعزيز عزلتهم لان في ذلك يكمن سر قوة الصهيونية على اخضاع جماهير اليهود لسيطرتها ووضعهم في خدمة مصالحها العليا للاثراء والدفاع عن الامبريالية العالمية . (وهذا ما يفسر تركيز الصهيونية على تهجير اليهود السوفيات الى داخل الجيتو في فلسطين ، في حين لم تبذل اية محاولات لتهجير اليهود من الولايات المتحدة مع العلم ان عدد يهود الولايات المتحدة يفوق ضعفي يهود الاتحاد السوفياتي) .

ان النشاط الصهيوني في الحقلين الفكري والتنظيمي الموجه لعزل اليهود ومنع اندماجهم يمثل موقفا سياسيا واعيا لتلك الفئات التي تتطلب مصلحتها الطبقية اعاقة عملية الاستقطاب الطبقي في المجتمع بقصد المحافظة على علاقات الانتاج الرأسمالية. كما تستدعي وقف مفعول الميل العفوي نحو الاندماج . ان الميل العفوي نحو اندماج الناس المساهمين في عملية الانتاج بغض النظر عن لونهم وعرقهم وقوميتهم يشكل قانونا موضوعيا نابعا من طبيعة الحياة الاجتماعية حيث يزداد مفعوله طرديا مع اتساع دائرة قسمة العمل (وطنيا وعالميا) وتقدم العلم والتكنولوجيا .

وحول مقاومة العناصر الرجعية اليهودية في روسيا القيصرية ضد اندماج اليهود مع السكان هنالك كتب لينين عام ١٩١٣ متسائلاً : « فعلام يدل هذا ؟ انه يدل على ان اولئك الذين يقيمون الدنيا ويقعدونها على « الاندماج » انما هم فقط اليهود البرجوازيون الصغار الرجعيون الذين يريدون ان يعكسوا اتجاه سير عجلة التاريخ . ان الاندماج لم يرذل أو يهاجم قط من قبل خيرة عناصر اليهود الذين نقشوا اسماءهم المجيدة في التاريخ اذ قدموا للعالم مرشدين طليعيين للديموقراطية والاشتراكية . والمولهون المعجبون بـ « المؤخرة » اليهودية هم وحدهم الذين يرفعون عقيرتهم ضد الاندماج »(١٥).

فاذا كان نشاط الفئات البرجوازية للجاليات اليهودية قد استطاع بالتعاون مع الرجعية العالمية في الفترة الممتدة من عام ١٨٩٧ الى عام ١٩٤٧ اقامة الجدار الروحي والتنظيمي للجيتو اليهودي على صعيد العالم ، فقد تمكنت هذه الفئات بفضل مساعدة الامبريالية البريطانية في المرحلة الاولى والامريكية في المرحلة الثانية اقامة الجدار الجغرافي للجيتو اليهودي الجديد الاكثر انغلاقا في فلسطين عام ١٩٤٨ .

ومن هنا يتضح ان الدولة الصهيونية في فلسطين ليست سوى تجسيد واقعي ملموس لعملية عزل اليهود ليس فقط ضمن جدار تنظيمي وروحي كما جرى ويجري في مختلف انحاء العالم بل ضمن جدار جغرافي أيضا ، حيث اقتضت اقامته طرد الشعب الفلسطيني من وطنه خارج الجدار الجغرافي للجيتو وحرمان هذا الشعب ليس فقط من التمتع بحق تقرير المصير السياسي كما هو الحال في البلدان المستعمرة في كل من آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية بل حرمانه كذلك من حقه الطبيعي في العيش على أرض وطنه التي حولت الى مكان لاقامة الجيتو اليهودي الجديد .

وما دامت عملية عزل اليهود داخل جدران الجيتو قائمة في فلسطين فان هذا يعني استمرار قيام المستوطنين اليهود داخل هذا الجيتو بدور اداة العدوان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني وكافة الشعوب العربية الاخرى، كما يعني كذلك استمرار خضوعهم للسيطرة الصهيونية وخدمة اهدافها التوسعية . اذا فالعدوان ليس وليد مرحلة معينة من مراحل تطور الدولة الصهيونية في فلسطين ولا هو نتيجة خطأ في سياسة الدوائر الحاكمة فيها كما يعتقد البعض ، بل أن العدوان ينبع من طبيعة تركيب هذه الدولة . فجذور هذا العدوان قد نبتت مع بدء تنفيذ البرنامج الصهيوني لاقامة الجيتو اليهودي في فلسطين الذي اتخذ شكل استعمار استيطاني على حساب الشعب العربي الفلسطيني . ولم يكن الاعلان الصهيوني عن تأسيس دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ سوى انجاز للقسم الاول من هذا البرنامج .

ولا يغير من هذه الحقيقة كون آلة الدعاية الصهيونية قد دفعت الى الاسواق بمئات الكتب السياسية والاف المقالات الصحفية لاقناع الرأي العام العالمي بان ما جرى في فلسطين عام ١٩٤٨ لم يكن سوى حرب استقلال ضد بريطانيا وللانفصال عنها . ولكن من سوء حظ الصهيونية ان الرأي العام العالمي التقدمي قد أصبح يملك اليوم رصيدا من التجارب والخبرات باساليب الاستعمار قديمة وجديدة ما يمكنه من كشف اكاذيب الامبرياليين العنصريين في جنوب افريقيا وروديسيا وفلسطين وخاصة نمط استقلالهم المزعوم الذي هو في الحقيقة سجن كبير يتم فيه اضطهاد سكان البلاد الاصليين من افريقيين وفلسطينيين .

لقد عبر الكاتب السوفياتي يوري ايفانوف عن رفضه الضمني للرأي الذي يعتبر بدء العدوان الصهيوني في الحرب التوسعية الثالثة التي شنتها الدولة الصهيونية في حزيران عام ١٩٦٧ عندما قال : « ان حرب الايام الستة ليست اول وقد تكون ليست آخر مغامرة للصهيونية العالمية اذ أن افاق مطامعها ومخططاتها لا تقف عند حدود منطقة قناة السويس »(١٦).

واذا ما أريد فعلا العثور على حل جذري لمسألة العدوان الصهيوني فلا بد من التفتيش عليه في عملية خلق الدولة الصهيونية نفسها والتي تمثل عدوانا مزدوجا . فهي من جهة اولى قد اقيمت على حساب حرية الشعب الفلسطيني وحرمانه ليس من حق تقرير مصيره السياسي وحسب بل ومن حقه الطبيعي في العيش على أرض وطنه . ومن جهة ثانية فقد ارتكزت الدولة الصهيونية على أساس عزل اليهود في جيتو مغلق واخضاعهم لسيطرة الحركة الصهيونية التي سخرتهم للقيام بدور الاداة في اضطهاد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى حيث انطبقت عليهم الموضوعية الماركسية الشهيرة القائلة ان الشعب الذي يضطهد شعبا اخر لا يمكن ان يكون حرا . لهذا فان أي حل لمسألة العدوان الصهيوني يتجاهل هذه الحقائق الموضوعية سيبقى حلما طوباويا بعيد المنال لانه لا ينطلق من أرض الواقع بل يقفز من فوق تناقضاته .

ان الحل الجذري يتمثل في تجريد الصهيونية من سلاحها الرهيب الذي تمتلكه وتهدد به حرية الشعوب والسلم والامن ليس في منطقة الشرق الاوسط وحسب بل وفي العالم. ان هذا السلاح يتجسد في عزل اليهود ضمن جدار الجيتو الجغرافي في فلسطين والذي يتوسع باستمرار طبقا لبرنامج محدد يعكس مصلحة الصهيونية والامبريالية العالمية وخاصة الامريكية في الربح وكبت حرية الشعوب .

ان القوى التقدمية في العالم التي ترى في اللينينية « ماركسية عهد الامبريالية » لن تقع تحت تأثير الانشاءات الفكرية والحجج اللامنطقية المصاغة لتبرير حل المسألة اليهودية عن طريق خلق الحقائق الاستعمارية الاستيطانية في فلسطين . وستبقى هذه

القوى رغم بعض الملابسات ترى أن الحل الجذري الوحيد لهذه المسألة المنسجم مع اتجاه سير التطور التاريخي متمثل في الحل اللينيني المعروف بفك عزلة اليهود وتحطيم جدران الجيتو التي اقامتها الصهيونية اي بتحطيم هذه العزلة وتحقيق الاندماج . وقد كتب لينين حول هذه المسألة قائلا : « تبدأ المسألة اليهودية على هذا النحو » . أما الاندماج او العزلة . ان « القومية اليهودية » تحمل طابعا رجعيا سافرا ليس عند انصارها « الصهاينة » فحسب ، بل وعند اولئك الذين يحاولون جمعها مع أفكار الاشتراكيين الديموقراطيين « البونديين » .. ان العداء للفئات الغريبة من السكان سوف يمحى « فقط عندما تصبح الفئات اليهودية غير غريبة على السكان بل تندمج مع الجماهير العاملة . انه الحل الوحيد للمسألة اليهودية وعلينا نحن أن نساند كل ما من شأنه ان يساعد في القضية على العزلة اليهودية »(١٧).

وعلى ضوء ما تقدم يمكن فهم الطابع التقدمي لشعار الدولة الديموقراطية الذي أعلنته الثورة الفلسطينية كهدف استراتيجي لكفاحها في مرحلة التحرر الوطني من الاستعمار الصهيوني .

ان المضمون الحقيقي لهذا الشعار هو فك العزلة المفروضة على جماهير اليهود داخل الجيتو بفلسطين وتحريرهم من القيود التي تكبلهم بها الصهيونية وتربطهم بعجلة الرأسمال الاحتكاري العالمي ، ومن الجهة الثانية عودة الشعب العربي الفلسطيني الى وطنه وخلق الاسس الواقعية لاندماج طوعي تدريجي بين كافة المواطنين في فلسطين بغض النظر عن لونهم او عرقهم او أصلهم الاثني وخلق علاقات جديدة فيما بينهم طبقا لموقع كل منهم في عملية الانتاج اي الغاء الطابع الاستعماري العنصري الذي يميز العلاقات بين الجماعات البشرية داخل فلسطين . فالحل الديموقراطي لمسألة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين (والعدوان احدى خصائصه) يعني الغاء جميع أنواع العلاقات التي أوجدتها الصهيونية في فلسطين . ان هذا الحل يلغي العلاقات ذات الطابع الاستعماري والعنصري فقط والتي يترتب عليها سيطرة جماعة اثنية او دينية على جماعة اخرى . ونحن لا نزعم انه سيحل بشكل آلي المسألة الطبقية . الا أن طبيعة العصر الذي يجري فيه الكفاح لتصفية الوجود الصهيوني في فلسطين وترابط هذا الكفاح بحركة التحرر العربي التي اخذ مضمونها الاجتماعي يغلب على المضمون السياسي ، وكذلك ازدياد تأييد القوى التقدمية في العالم وخاصة المعسكر الاشتراكي لحركة التحرر الوطني الفلسطيني ، هذه العوامل ستمارس بالتأكيد تأثيرها على مجرى سير العملية الثورية ضد الكيان الصهيوني . وستؤدي بجانب عوامل داخلية ايضا الى تغيير نسبة تركيب القوى الوطنية داخل حركة التحرر الفلسطيني لصالح القوى ذات المصلحة في الحل الطبقي . ويمكن القول انه ستنشأ ظروف جديدة تمكن من وصل عملية التحرر الديموقراطي من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني بعملية التحرر الاجتماعي كما حصل في بعض الثورات الاخرى،اي حل المسألة الطبقية داخل فلسطين. كما انه سيترتب على التحرير نقل ملكية الاحتكارات الصهيونية في فلسطين الى ملكية الدولة الديموقراطية الجديدة الامر الذي سيخلق حقائق جديدة ليست في مصلحة الفئات البرجوازية على اقل تقدير . لكن ذلك سابق لاوانه الان .

ان الكفاح المسلح الذي تخوضه الثورة الفلسطينية لتحقيق الدولة الديموقراطية على كامل التراب الفلسطيني هو تطبيق عملي لشعار « اخرجوا من المستعمرات » . وفي معرض دفاعه عن هذا الشعار ربط لينين بعبقريته الفذة بين الثورة الاجتماعية في البلدان الرأسمالية المتطورة (استعمارية) والثورة الوطنية التحررية في البلدان المستعمرة فقال : « ان الثورة الاجتماعية لا يمكن ان تحدث الا في شكل عصر تتحالف

فيه الحرب الاهلية التي تشنها البروليتاريا ضد البرجوازية في البلدان المتقدمة مع سلسلة كاملة من الحركات الديموقراطية الثورية بما فيها حركة التحرر الوطني في الامم غير المتطورة والمتأخرة المضطهدة »(١٨).

وحول المكانة التي تحتلها حركة التحرر الديموقراطي للمستعمرات في الحركة الثورية العالمية والعلاقة بين تحررها السياسي وتحررها الاجتماعي كتب لينين عام ١٩١٦ قائلا : « اما الماركسيون فهم يعلمون ان الديموقراطية لا تلغي الاضطهاد الطبقي بل تجعل صراع الطبقات أكثر صفاء واتساعا ووضوحا وجلاء . وهذا بالضبط ما نحن بحاجة اليه . فكلما كانت حرية الطلاق أوسع نطاقا اتضح للمرأة بمزيد من الجلاء ان علة عبوديتها البيتية هي الرأسمالية ، لا انعدام الحقوق . وكلما كانت المساواة بين الامم في الحقوق أكثر كمالا (...) وكلما كان النظام أكثر ديموقراطية اتضح لعمال الامة المضطهدة بمزيد من الجلاء ، ان الرأسمالية هي رأس الداء ، لا انعدام الحقوق وهكذا دواليك »(١٩).

واذا كان نشوء وتطور الصهيونية وعملية استيطانها الاستعمارية لفلسطين قد حدث في سياق التوسع الاستعماري الاوروبي في بلدان ما وراء البحار فان من الضروري الاشارة الى ان عملية تحطيم الواقع الصهيوني في فلسطين تجري في سياق العملية التاريخية الجبارة لشعوب آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية لتحطيم النظام الامبريالي العالمي بل وفي الفترة الاخيرة من حياة هذا النظام . ولذلك يجب ان لا يثير استغرابنا الدفاع المستميت الذي تبديه الامبريالية العالمية عن وجودها في فلسطين لانه يشكل احد اهم معاقلها التي بقيت في أيديها بعد ان تحررت مئات الملايين من الشعوب المستعمرة .

ان كفاح الشعب العربي الفلسطيني ليست ظاهرة منعزلة بل يرتبط عضويا بالكفاح البطولي الذي تخوضه الشعوب المضطهدة للتخلص من عبوديتها والانطلاق نحو حياة أنضل .

كما أن شعار الدولة الديموقراطية ليس جديدا في حد ذاته على برنامج الحركة الوطنية الفلسطينية بل أن مضمون هذا الشعار يأخذ طابعا اكثر تقدمية في هذه المرحلة من تطور الكفاح الوطني التحرري الفلسطيني والذي يجري في ظروف تاريخية جديدة تتميز بتسارع وتيرات تفكك النظام الامبريالي العالمي .

فتاريخ فلسطين الحديث وخاصة القسم المتعلق منه بالكفاح الوطني ضد الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الاولى حتى قيام الدولة الصهيونية العنصرية عام ١٩٤٨ ، يشهد ان شعار اقامة دولة ديموقراطية واحدة لكل الفلسطينيين دون استثناء ، قد كان مطلبا جماهيريا وهدفا أساسيا لهذا الكفاح الذي استغرق قرابة الثلاثين عاما على الارض الفلسطينية . ولم يختف هذا الشعار الا في الفترة التي اعقبت تشريد الشعب الفلسطيني خارج حدود وطنه حيث اجهض كفاحه بالعنف الامبريالي الصهيوني والرجعي العربي .

ولكن مع تصاعد الكفاح الثوري للجماهير الفلسطينية في اوائل الستينات من هذا القرن باتجاه تغيير الواقع المفروض من قبل الصهيونية وحلفائها اخذت الحركة الوطنية الفلسطينية تتحرر شيئا فشيئا من الشعارات الخاطئة . ويقول الدكتور محمد رشيد أحد مفكري الثورة الفلسطينية في هذا الصدد « أخذت تتكون نظرة جديدة الى العدو واصبح هناك معنى للتمييز بين اليهودي والصهيوني . كما أدى الادراك بأن الثأر ليس سببا لشن حرب تحررية الى مزيد من تمحيص الاهداف »(٢٠).

ان التخلص من الافكار الخاطئة الناجمة عن الويلات التي حلت بالشعب الفلسطيني

نتيجة قيام الدولة الصهيونية ليس عملا سهلا بل هو عمل معقد ويحتاج الى جهود متواصلة من قبل الثورة الفلسطينية وقيادتها . لهذا يقول الدكتور م. رشيد « عكف القادة الثوريون على البحث والدرس الجدي في الموضوع وبرز تعلم الحقائق القديمة من جديد ، فاليهود ذاقوا الاضطهاد على أيدي المجرمين العنصريين تحت حكم النازية ، وهذا ما حل بنا « نحن » في ظل الصهيونية . ولقد جرى اكتشاف العديد من المقارنات التي توحي بوجود التشابيه والتوازي فراح الثوريون يتساءلون : « كيف لنا أن نكره اليهود كيهود ؟ وكيف نقع في الفخ العنصري ذاته »(٢١).

ومرة اخرى يأتي الدليل المادي على صحة الموضوعة الماركسية القائلة ان الانسان عندما يغير الطبيعة (والواقع الاجتماعي والسياسي جزء منها) فانما يغير نفسه أيضا . فالمفاهيم الثورية يجري صقلها وتطويرها في سياق العملية الثورية لتغيير الواقع . ولذلك يقول الدكتور م. رشيد : « ان الثورة جلبت معها النضج للمقاتلين »(٢٢).

وحول دور الممارسة الثورية في صقل المفاهيم الثورية تقول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين : « اننا من خلال المعركة سنكتسب الوعي السياسي لحقائق العصر . ومن خلال المعركة سنلقي بالاوهام ونتعلم قيمة الحقائق »(٢٣).

ان الكفاح المسلح من أجل اقامة الدولة الديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني لا بد وأن يمر بالضرورة عبر تحطيم الكيان الصهيوني المرتكز على مجموعة من العلاقات التي يجري تثبيتها بواسطة ادوات خاصة . فالغاء العلاقات التي فرضتها الصهيونية وتحرير الانسان منها يهوديا كان أم مسيحيا أم مسلما ام لادينيا يستحيل دون تحطيم هذه الادوات . لهذا فان تحطيم الكيان الصهيوني يمس فقط هذه العلاقات والادوات ولا يمس من قريب او بعيد الوجود الفيزيائي للانسان اليهودي في فلسطين الا بمقدار ما يبدي هذا الانسان من تعلق بالصهيونية ودفاع عن هذه العلاقات والادوات .

ومنعا لحدوث أي التباس حول تعبير « الديموقراطية » الواردة في هذا الشعار نود ان نشير الى ان المعنى المقصود لهذا التعبير هنا ليس المعنى الحقوقي البرجوازي المتعارف عليه بمبدأ تقسيم السلطات في الدولة بل انما المقصود هو المعنى التاريخي المتعلق بنمط العلاقات التي فرضتها الدول المستعمرة على الشعوب المستعمرة في فترة تاريخية معينة ، حيث شكل الضم والالحاق الاستعماريين مضمون هذه العلاقات . فمسألة تحطيمها واحلال علاقات من نمط جديد مكانها قائمة على المساواة في الحقوق والمنفعة المتبادلة ومعاداة جميع أشكال الاضطهاد والتمييز والانغلاق العنصري هو المقصود هنا بشعار تحقيق الديموقراطية في فلسطين . لذلك فالدولة الديموقراطية الواحدة في فلسطين تشكل نقيضا متعارضا للدولة الصهيونية من حيث كون الدولة الديموقراطية تمثل نمطا جديدا من العلاقات يختلف نوعيا عن النمط السائد الان ويستحيل التوفيق بين هذين النمطين او التعايش بينهما في آن معا . وحل هذا التعارض يمر بالضرورة من خلال تحطيم جميع الاجهزة والمؤسسات الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي تكرس السيطرة الصهيونية العنصرية المتمثلة في الدولة الصهيونية . وفي طليعة الاجهزة الصهيونية هذه تقف المؤسسة العسكرية الاسرائيلية المزودة باحدث أدوات التدمير والابادة المصنوعة في الولايات المتحدة الامريكية لكي تنجز مهمة العدوان والتوسع وارهاب حركة التحرر العربي .

لقد اثبت نشاط الدولة الصهيونية خلال وجودها على امتداد ٢٥ عاما ان العنف الامبريالي المسلح هو الاسلوب المعتمد من قبلها لفرض السيطرة الصهيونية الامبريالية في فلسطين ومنطقة الشرق الاوسط . كما ثبت ايضا ان العنف الثوري المسلح من

جانب الجماهير الشعبية صاحبة المصلحة الحقيقية في التحرر من هذه السيطرة هــو الاسلوب الوحيد القادر على مجابهة الوجود الصهيوني وانهائه .

وكما أن العنف الامبريالي الصهيوني المسلح ليس هدفا في حد ذاته بل هو وسيلة لفرض السياسة الامبريالية الصهيونية ، فان العنف الثوري المسلح من جانب الجماهير المضطهدة ليس هدفا في حد ذاته ايضا بل هو امتداد لسياسة هذه الجماهير الرامية الى التحرر من السيطرة الامبريالية الصهيونية واقامة حياة ديموقراطية جديدة .

ان العنف الثوري المسلح الذي تمارسه حركة التحرر الوطني الفلسطيني لاسقاط الوجود الصهيوني واقامة الدولة الديموقراطية في فلسطين مكانه يمثل حربا وطنية عادلة تجري في سياق العملية التاريخية الجبارة لتصفية النظام الامبريالي العالمي . وعدالتها تنبع من كونها موجهة لتحطيم أحد أهم معاقل هذا النظام في عصرنا الراهن .

ان معرفة العلاقة بين الحرب والعصر الذي تشن فيه تكتسب اهمية قصوى بالنسبة لمن يهمهم فهم محتوى هذه الحرب وتحديد موقف منها .

وحول الموقف من الحرب العالمية الاولى كتب لينين : « ان المهمة هي أن نحدد بصورة صحيحة العلاقة بين العصر والحرب الراهنة فمن غير الممكن فهم الحرب الراهنة بدون فهم العصر »(٢٤) .

وقال لينين ايضا : « ينبغي التمييز بين حرب وطنية حقا وبين حرب امبريالية مموهة تحت شعارات وطنية » وتساءل لينين : « ما السبيل اذن الى اماطة اللثام عن «الماهية الواقعية» للحرب وكيف تحددها » ويجيب لينين على ذلك بقوله : ان الحرب هــي استمرار السياسة . وينبغي ان تدرس السياسة قبل الحرب ، السياسة التي افضت وتفضي الى الحرب فاذا كانت السياسة امبريالية اي اذا كانت تدافع عــن مصالح الرأسمال المالي وتنهب وتضطهد المستعمرات والبلدان الاجنبية فان الحرب التي تنجم عنها هي حرب امبريالية . واذا كانت سياسة تحرر وطني اي اذا كانت تعبر عن حركة جماهيرية ضد الاضطهاد القومي فان الحرب التي تنجم عنها هي حرب تحرر وطني»(٢٥) .

وكثيرا ما يعترض بعض التقدميين في العالــم على شعار الدولــة الديموقراطيــة في فلسطين بحجة انه غير واقعي اي غير قابل للتحقيق بحكم واقع التفوق العسكري للدولة الصهيونية المدعومة من الامبريالية العالمية وخاصة الامريكية ولكن نحب ان نذكر هؤلاء الرفاق أن لينين قد عالج مثل هذا النمط من المواقف المتجاهلة لجدليــة الواقع وتغيره باستمرار لصالح القوى النامية التي تمثل المستقبل فكتب يقول : « ان المهــم بالنسبة للرجل العادي (العامي) ، هو معرفة أين تقف القوات ؟ ولمن الغلبة في الوقت الراهن . أما بالنسبة الى الماركسي فان المهم هو معرفة مــا الهدف الذي تشن لاجله الحرب الراهنة التي يمكن تارة لهذا الجيش وطورا لذاك ان ينتصر فيها»(٢٦) . ان الحرب التي تخوضها فصائل الثورة الفلسطينية المسلحة تمثل امتدادا لسياسة الشعب العربي الفلسطيني في التحرر من الصهيونية والامبريالية العالمية وتهدف الــى تثبيت حقــه في العيش بوطنه الى جانب المواطنين اليهود الراغبين في العيش معه بسلام ومساواة بعيدا عن تأثير الشوفينية والعنصرية ومصالح الامبريالية . انه كفاح من أجل حــق تقرير المصير على كامل تراب الوطن والذي ينسجم كل الانسجام مع الموضوعة اللينينية الشهيرة حول حق تقرير المصير القائلة ان « حرية الامم في تقرير مصيرها لا تختلف في شيء عن الكفاح في سبيل تحرر الامة الكامل وفي سبيل الاستقلال الكامــل وضــد الالحاقات . والاشتراكيون لا يستطيعون ان يرفضوا شن مثل هذا النضال في مختلف اشكاله بما في ذلك التمرد والحرب من دون أن يكفوا عن أن يكونوا اشتراكيين »(٢٧) .

وعلى الرغم من أن الحرب التحررية التي يخوضها الشعب الفلسطيني ضد الدولة الصهيونية العنصرية تندرج تحت نمط الثورة الوطنية الديموقراطية ، الا انها مع ذلك تتميز ببعض الخصائص النابعة من طبيعة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الذي تميز عن أشكال الاستعمار الاخرى بطرد السكان الاصليين واحلال المستوطنين مكانهم .

ان تفكيك الواقع الصهيوني القائم على أساس ان جماعة بشرية مشردة وجماعة اخرى مشردة ، جماعة مضطهدة وجماعة اخرى مضطهدة ، جماعة تتمتع بامتيازات متعددة وجماعة اخرى محرومة نسبيا من جميع الحقوق بما فيها حق العيش في أرض الوطن ، جماعة يرتبط نشاطها بمخططات الامبريالية العالمية وجماعة اخرى يرتبط نشاطها بحكم الضرورة مع حركة التحرر الوطني في المنطقة والعالم . نقول ان تفكيك هذا الواقع الاستعماري واستبداله بواقع جديد ديموقراطي تقدمي هو الهدف الاساسي لحركة التحرر الوطني الفلسطيني وهو يشكل المضمون الحقيقي لشعار الدولة الديموقراطية التقدمية في فلسطين .

ولا بد من الاشارة الى أن امتلاك الصهيونية لآلة حرب متطورة مدعومة من الامبريالية العالمية وانتصارها في ثلاث حروب عدوانية توسعية خلال ٢٥ عاما من وجودها لا يستطيع ان يكون سببا في عدم شن الكفاح المطلوب لتحطيم هذه الالة . بل العكس هو الصحيح ، حيث يشكل سببا مباشرا وضرورة حتمية لخوض حرب ثورية طويلة الامد تحشد فيها الجماهير صاحبة المصلحة في التحرر من الصهيونية كل امكانياتها البشرية والمادية . ومن الخطأ الفادح الاعتقاد بأن مثل هذه الحرب التحررية مستحيلة لاعتبارات آنية منها التضحيات المطلوب تقديمها لاحراز النصر في هذه الحرب . وقد واجه لينين مثل هذه المواقف قبل أكثر من نصف قرن حيث كتب يقول : « وغالبا ما تستخدم عبارة « استحالة التحقيق » بمعان شتى وغير محددة بما فيها الكفاية . ولهذا طالبنا في أطروحتنا بما تفرضه كل مناقشة نظرية تفسير المعنى المقصود من « استحالة التحقيق » تلك ، ونحن لم نكتف بطرح السؤال ، بل شرعنا بالاجابة عليه . فاذا كان المقصود ان التحقيق سيثير مصاعب سياسية او انه لن يكون ممكنا بدون سلسلة من الثورات فان المطالب الديمقراطية كافة هي « غير قابلة للتحقيق في عصر الامبريالية »(٢٨) .

لقد عملت الحرب الصهيونية الامبريالية الثالثة عام ١٩٦٧ على تعرية الوجود الصهيوني في فلسطين وتبيان حقيقته كعدو ليس للشعب العربي الفلسطيني وحسب وبل لمجمل حركة التحرر العربي والعالمي وأوضحت كذلك دور هذا الوجود في الدفاع عن المصالح الامبريالية العالمية وخاصة الامريكية . وهذا برهان جديد على ان الغاء هذا الوجود ليس ممكنا وحسب بل هو ضرورة تاريخية تقتضيها مصلحة التقدم والتطور . وكما ان كل شيء في الواقع الاجتماعي هو فعل وعمل أي ممارسة ، فان الانتقال الى الضرورة التاريخية يفترض أيضا العمل والممارسة وان كان ذلك ضمن شروط معينة .

وهكذا عندما يعترف التقدميون ان الكيان الصهيوني هو جزء من الامبريالية تكون في سياق نشاطها يصبحون عندئذ ملزمين بموقف محدد تجاه هذا الكيان .

وعندما تشن حرب ثورية لانهاء هذا الكيان يصبح التقدميون ملزمين بموقف محدد لدعم هذه الحرب الثورية .

وعندما يعترف التقدميون (ماركس ولينين في طليعتهم طبعا) ان عزل اليهود ومنع اندماجهم هو السلاح الفعال الذي تفرض بواسطته الصهيونية سيطرتها على اليهود وتسخرهم لخدمتها ، يصبح التقدميون ملزمين بموقف حازم يهدف الى نزع هذا السلاح من يد الصهيونية وذلك بتحطيم العزلة وتحقيق الاندماج .

وعندما يعترف التقدميون ان الكيان الصهيوني في فلسطين يقوم على أساس فرض هذه العزلة ضمن اطار جيتو جديد هو اسرائيل ، يصبح التقدميون ملزمين بموقف محدد يهدف الى ازالة الحواجز الجغرافية والفكرية والتنظيمية بين اليهودي وغير اليهودي في فلسطين . كما يصبح التقدميون ملزمين كذلك بمقاومة الحل القائم على اساس استمرار اي شكل من أشكال العزلة مخففة كانت أم مركزة . أي بمقاومة خلق أو تثبيت الكيانات ذات الطابع الاثني او العنصري في فلسطين لان ذلك يعني استمرار سيطرة الصهيونية على اليهود من جهة ومواصلة العدوان والتوسع الصهيوني على حساب الشعب العربي الفلسطيني والشعوب العربية من الجهة الاخرى .

وعندما يعترف التقدميون ان تثبيت عزلة اليهود عن غيرهم في فلسطين يجري بواسطة أجهزة صهيونية متعددة حيث تمثل قيدا على حرية اليهودي وغير اليهودي في فلسطين عندئذ يصبح التقدميون في العالم ملزمين بموقف محدد تجاه الكفاح الثوري الذي يخوضه التقدميون اليهود داخل الجيتو لفك عزلتهم داخل اسرائيل والمرتبط عضويا مع كفاح الفلسطينيين المشردين للعودة الى وطنهم وتحقيق الاندماج الطوعي داخل الدولة الديموقراطية التقدمية في فلسطين .

وحول وضع مشابه كتب لينين يقول : « عندما يعترف الاشتراكيون بأن هذه الحرب أو تلك مرتبطة بمصالح التحرر الوطني يصبحون ملزمين بتكتيك محدد وعندما يعترفون بأن حربا من الحروب هي حرب امبريالية توسعية ذات مآرب لصوصية يترتب عليهم تكتيك آخر »(٢٩) .

---

١ — ف.ا.لينين: **المؤلفات الكاملة** ، الجزء ٨ ، ص ٧٤ (راجع يوري ايفانوف ، **احذروا الصهيونية** ، ترجمة أحمد داود ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في سوريا ، بالعربي ، ص ٤٨ .

٢ — ف.ا.لينين : **المؤلفات الكاملة**، المجلد ٢١، ص ٣٠٩ — ٣٢٠ ، (**نصوص حول الوطن والوطنية** ، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة بيروت ، ص ٥٠—٥١ بالعربي) .

٣ — ف.ا. لينين : **المؤلفات الكاملة** ، الجزء ٥، ص٧٤، (ايفانوف ، **احذروا الصهيونية** ، ص ٧ ، بالعربي) .

٤ — ايفانوف ، ص ٥٢ ، عن Charles P. Daly, *The settlement of the Jews in North America :* N.Y. 1939 (quoted : Sokolow N. Vol. I), p. 57.

٥ — ايفانوف ، ص ٥٣ .

٦ — Sokolow N., *History of Zionism,* Vol. II, p. 230, London.

٧ — *Ibid.*, Vol. I, p. 138.

٨ — ايفانوف ، ص ٥٦ — ٥٧ .

٩ — *Max Nordau to his people.* N.Y. 1941, p. 57.

١٠— ايفانوف ، ص ٢٢ ، بالعربي .

١١ — ف.ا. لينين، **المؤلفات الكاملة**، المجلد ٢١، ص ٣٠٩ — ٣٢٠ ، كتب في تموز — آب ١٩١٥، (راجع كتاب **نصوص حول الوطن والوطنية** ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٥٤ — ٥٥) .

١٢ — الدكتور اميل توما ، **جذور القضية الفلسطينية** ، ص ٨٦ — ٨٧ ، مركز الابحاث ١٩٧٣ ، بيروت ، كذلك ايفانوف ، ص ١٤٣ .

١٣ — Dr. Fayez A. Sayegh. *Palestine, Israel and Peace,* Beirut. 1970. p. 11-12.

١٤ — الاحصاءات حول مساحة الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، ونسبتها مأخوذة عن **شؤون فلسطينية** ، عدد ٢٢، من مقال انطوان بطرس.

١٥ — ف.ا. لينين ، كتب في تشرين الاول وكانون الاول عام ١٩١٣ ، **المؤلفات الكاملة** ، المجلد ٢٠ ، ص ١٥ — ٢٢ . راجع كتاب **نصوص حول المسألة اليهودية** — دار الطليعة بيروت ، تموز (يوليو) ١٩٧٢ .

١٦ — ايفانوف يوري ، ص ٢٤١ .

١٧ — ف.ا. لينين ، **المؤلفات الكاملة** ، الجزء

٨ ، ص ٧٤ — ٧٥ ، انظر ايفانوف بالعربي ، ص ٢٥٩ .

١٨ — ف.ا. لينين، (كتب بين آب وتشرين الاول ١٩١٦) **المؤلفات الكاملة** ، المجلد ٢٣ ص ٢٧ — ٨٣ . (راجع **نصوص حول الوطن والوطنية** ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١٤٠) .

١٩ — **المصدر نفسه** ، طرابيشي ، ص ١٥٩ — ١٦٠ .

٢٠ — الدكتور محمد رشيد ، **نحو فلسطين ديموقراطية** ، مركز الابحاث في م.ت.ف. ، بيروت ، ص ١٨ .

٢١ — **المصدر السابق** ، ص ١٩ .

٢٢ — **المصدر السابق** ، ص ١٨ .

٢٣ — الجبهة الشعبية ، **فلسطين : نحو حل ديموقراطي** (كراس) ص ٢٠ ، ١٩٧٠ ، دائرة الاعلام .

٢٤ — ف.ا. لينين ، كتب في آب ١٩١٦ **المؤلفات الكاملة** ، المجلد ٣٥ ، ص ٢٢٦ — ٢٢٨ ، (راجع**نصوص حول الوطن والوطنية** ، ترجمة جورج طرابيشي ، ص ٩٠) . **المصدر السابق نفسه** .

٢٥ — ف.ا. لينين (كتب بين آب وتشرين الاول ١٩١٦) ، **المؤلفات الكاملة** ، المجلد ٢٣ . ص ٢٧ — ٨٣ . (راجع **نصوص حول الوطن والوطنية** ، **المصدر السابق** ، ص ١٠١) .

٢٦ — **المصدر السابق** ، جورج طرابيشي ، ص ١٠٢ .

٢٧ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٣ .

٢٨ — **المصدر نفسه** ، ص ١١٢ .

٢٩ — ف.ا. لينين ، (كتب في نهاية ١٩١٥ ، **المؤلفات الكاملة** ، المجلد ٢١ ، ص ٤٥٧ — ٤٦٠) ، (راجع **نصوص حول الوطن والوطنية**، ترجمة ج. طرابيشي ، ص ٦٤ . **المصدر السابق**) .

القوة العاملة والاستخدام في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ :

تحليل احصائي وتقديرات

الدكتور محمد فريد البستاني

نعمد في دراستنا لاوضاع وتطور القوة العاملة في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ الى اظهار الطاقات البشرية الفلسطينية في هذه البقعة من العالم العربي وكيف تسعى اسرائيل الى الاستفادة من جزء لا بأس به من هذه الطاقات في عملية الانتاج الهادفة الى تنمية الاقتصاد الاسرائيلي وخاصة في قطاع البناء . واسرائيل ان تقدم على ذلك فهي تسعى اولا ، الى تخفيض كلفة الانتاج لكثير من سلعها عن طريق استخدام يد عاملة ذات أجر منخفض اذا قورنت باليد العاملة الاسرائيلية ثانيا ، الى افقار سوق العمل في الاراضي المحتلة من اليد العاملة العربية وبالتالي عجز المزارع والتاجر العربي عن الوقوف في وجه المضاربة الاسرائيلية الهادفة الى تحطيم الدعائم الاقتصادية للاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . كما اننا نهدف ، عن طريق مقارنة مؤشرات العمالة المعدومة بمثيلاتها في الدول العربية المجاورة ، الى اظهار وتحديد الطابع الاقتصادي للمأساة التي يعيشها العرب في الاراضي المحتلة .

اما الارقام الاحصائية المعتمد عليها في هذه الدراسة فهي مستوحاة، بصورةاساسية، من « نشرة الاحصاءات الشهرية للاراضي المحتلة » بعد حرب حزيران ١٩٦٧ والصادرة عن المكتب المركزي للاحصاء في اسرائيل .

تعاريف ومفاهيم : لا بد لنا من الاشارة الى طبيعة البيانات الاحصائية المعالجة ومدى شمولها . الواقع ان البيانات الواردة في هذه الدراسة ليست نتيجة حصر شامل سكاني للاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وانما هي بيانات ناتجة عن دراسة للقوة العاملة عن « طريق العينات العشوائية » وبحيث عممت النتائج فشملت كامل الطاقات البشرية في هذه الاراضي المحتلة . وعندما نتكلم عن القوة العاملة العربية في الضفة الغربية وفي قطاع غزة وشمال سيناء ، فاننا نحدد شمول القوة العاملة بما يلي : تشمل القوة العاملة كل فرد فوق الـ ١٤ سنة ويقوم بنشاط اقتصادي معين او الفرد الذي له مهنة معينة ويبحث عن عمل . اذن القوة العاملة ، في بحثنا هذا ، هي جزء من السكان الذين هم فوق الـ ١٤ سنة .

اما في تحليلنا للاستخدام فاننا نقصد بالمستخدمين كل من يعمل في المؤسسات الحكومية العامة والخاصة ، اي أن فئة المستخدمين تشمل كل شخص يعمل باجر .

القوة العاملة في الضفة الغربية

القوة العاملة الفلسطينية في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ هي جزء من القوة العاملة الفلسطينية المشتتة في بقاع العالم العربي ولا بد لنا من تحديد الطاقات البشرية للشعب الفلسطيني للعمل على الاستفادة منها وتوجيهها لكسب معركة المصير. والاكثر من ذلك ان اسرائيل تحاول استغلال الطاقات البشرية الفلسطينية لدفع عجلة التطور الاقتصادي الاسرائيلي ، ولهذا فمعرفة الهيكل التركيبي للقوة العاملة من جهة وتطورها الزمني من جهة ثانية يشكلان الخطوط العريضة في هذه الدراسة .

١ ــ **الذكور والقوة العاملة في الضفة الغربية** : يظهر الجدول رقم (١) ، الاهمية النسبية لمشاركة الذكور في القوة العاملة ولقد سجلت هذه النسبة خلال الفترة ١٩٦٩ ــ ١٩٧١ معدلا وسطيا قدره ٦٢ ٪ وهي نسبة تقع في حدود مثيلاتها في البلاد العربية المجاورة ــ وبالفعل فقد بلغت نسبة مشاركة الذكور في القوة العاملة في الجمهورية العربية السورية ، حوالي ٦٨ ٪ (١). ــ أما الجزء الباقي والذي يبلغ ٣٨ ٪ فمعظمه من تلاميذ المدارس الثانوية وطلاب الدراسات العليا بالاضافة الى غير القادرين على العمل بسبب العجز والمرض . وعلى الاغلب ان الانخفاض النسبي لمشاركة الذكور في القوة العاملة يعود الى الظروف التي يعيشها العرب الفلسطينيون من تعذيب وتشنيع بحيث أصبح قسما لا بأس به من القوة البشرية يعيش على هامش الحياة الاقتصادية بالرغم من الطابع الانتاجي للمجتمع الفلسطيني(٢).

أما من ناحية التطور الزمني للقوة العاملة من الذكور . فاننا نلاحظ من الجدول رقم (١) تزايدا ملموسا في السنتين الاخريتين ١٩٧١ ، ١٩٧٢ وبالفعل فقد ازدادت القــوة

جدول رقم (١) : القوة العاملة من الذكور في الضفة الغربية من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧٢ (بالآلاف)

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
الذكور فوق سن الـ ١٤	١٤٨،٦	١٥٣،٧	١٥٧،٧	١٦٠،٩
القوة العاملة من الذكور	٩٢،٤	٩٤،٤	٩٧،٨	١١٠،٢
العاملون	٨٨،٢	٩١	٩٥،٣	١٠٩،٢
المتعطلون	٤،٢	٣،٤	٢،٥	١
نسبة العطالة (٪)	٤،٦	٣،٦	٢،٦	٠،٩

* ارقام ١٩٧٢ تمثل القوة العاملة في الربع الثاني من العام ولا تمثل العام بكامله .

---

١ ــ عادة تقدر العمالة بنسبة القوة العاملة الى القوة البشرية ١٤ ــ ٦٥ وفي هذه الحالة تبلغ النسبة فــي الجمهورية العربية السورية ٧٥ ٪ للذكور ، أما النسبة ٦٨ ٪ فقد حسبت باعتبار القوة البشرية هي فئة فوق الــ ١٤ سنة وذلك بدافع المقارنة مع الاراضي المحتلة .

٢ ــ دراسة السكان في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ــ للكاتب « شؤون فلسطينية » العدد رقم ٢٣ ــ تموز ١٩٧٣ .

العاملة المذكرة من ٩٢،٤ الفا في عام ١٩٦٩ الى ٩٧،٨ الفا في عام ١٩٧١ اي بزيادة قدرها ٥،٤ آلاف ولقد دلت الارقام المتوفرة لعام ١٩٧٢ عن زيادة هامة في القوة العاملة. اما العطالة فقد سجلت تناقصا ملحوظا اذ هبطت من ٤،٦ ٪ في عام ١٩٦٩ الى ٢،٦ ٪ في عام ١٩٧١ الى ٠،٩ ٪ لعام ١٩٧٢ حيث تناقص عدد العاطلين عن العمل من ٤،٢ آلاف لعام ١٩٦٩ الى ١٠٠٠ متعطل لعام ١٩٧٢ وهذا التناقص الملحوظ يعود الى تشغيل قسم كبير من المتعطلين في قطاع البناء داخل فلسطين المحتلة وذلك بعد خضوعهم الى دورات تدريبية مهنية .

تقتصر البيانات لعام ١٩٧٢ على حجم القوة العاملة من الذكور وعدد المتعطلين وذلك للفترة (نيسان ، ايار ، حزيران) من نفس العام واذا أخذنا موسمية العمل وطبيعة التغيير الحادثة في عام ١٩٧١ فاننا نقدر حجم القوة العاملة لعام ١٩٧٢ بحوالي ١٠٧ آلاف أي بزيادة قدرها ٦٢٠٠ عامل عن ١٩٧١ .

من الجدير بالذكر ان الزيادة المحسوسة في القوة العاملة المذكرة ، ليست موجهة بكاملها لدعم وخدمة اقتصاد الضفة الغربية وانما الجزء الكبير منها لخدمة اسرائيل وذلك بصورة مباشرة عن طريق مشاركتها في عملية الانتاج والنمو الاقتصادي الاسرائيلي وبصورة غير مباشرة عن طريق عدم مشاركتها في الحفاظ على دعائم الاقتصاد العربي الفلسطيني في الضفة الغربية .

جدول رقم (٢) : القوة العاملة من الاناث في الضفة الغربية من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧٢ (بالآلاف)

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
الاناث فوق سن الـ ١٤	١٦٥،١	١٦٩،٢	١٧٢،٢	١٧٤،٥
القوة العاملة من الاناث	٢٢،٢	٢٤	٢١،٩	٢٤،١
العاملات	٢١،٧	٢٣،٦	٢١،٥	٢٤
المتعطلات	٠،٥	٠،٤	٠،٤	٠،١
نسبة العطالة (٪)	٢،٢	١،٧	١،٨	٠،٤

* ارقام ١٩٧٢ تمثل القوة العاملة من الاناث في الربع الثاني من العام ولا تمثل العام بكامله .

٢ — **الاناث والقوة العاملة في الضفة الغربية** : بصورة عامة ان نسبة مشاركة الاناث في القوة العاملة هي اقل بكثير من مشاركة الذكور والسبب هو فئة « ربات البيوت » المعتبرة خارج قوة العمل ، علما انها تشكل عاملا غير مباشر في عملية الانتاج(٣). ومن الملاحظ ان الجدول رقم — ٢ — يظهر الاهمية النسبية لمشاركة الاناث في القوة العاملة حيث بلغت وسطيا حوالي ١٤ ٪ خلال الفترة ١٩٦٩ — ١٩٧٢ وهي نسبة ضئيلة اذا قورنت بمثيلاتها في الدول العربية المجاورة (نسبة مشاركة الاناث في

٣ — تعتبر ربة البيت خارج عن قوة العمل لانها لا تمارس اي نشاط اقتصادي معين ولا تبحث عن عمل . وفي رأينا ان هذا الاعتبار خاطىء بالنسبة للمجتمع العربي بصورة خاصة حيث تقوم المرأة كربة بيت بنشاط اقتصادي غير ملحوظ ، « تربية الطفل ، تدريسه وتعليمه ، الحياكة ... » .

القوة العاملة في الجمهورية العربية السورية هي حوالي ٣٦ ٪) والجزء الباقي فمعظمه من ربات البيوت ، التلميذات والعاجزات . وعلى الاغلب ان خوف المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية من اعمال العنف واللاخلاقية التي يرتكبها جنود العدو المحتل ، قد أدى الى انكماش المرأة العربية وعدم مساهمتها في عملية الانتاج المباشرة .

وتدل بيانات الجدول رقم ــ ٢ ــ على عدم انتظامية في التطور الزمني لحجم القوة العاملة من الاناث وبالفعل فقد هبط حجم القوة العاملة من ٢٤ الفا في عام ١٩٧٠ الى ٢١،٩ الفا في عام ١٩٧١ ثم عاد الى الارتفاع ثانية فبلغ ٢٤،١ الفا لعام ١٩٧٢ . اذن على الرغم من ازدياد القوة البشرية للسكان فان حجم القوة العاملة بقي شبه ثابت في الفترة الواقعة بين ١٩٧٠ و١٩٧٢ وهذا يعكس ــ كما نوهنا آنفا ــ اوضاع الاحتلال التي يعيشها المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية والتي أدت الى قيود فرضها الرجل العربي على مشاركة المرأة في عملية الانتاج ويؤكد تحليلنا هذا تناقص نسبة العطالة اذ هبطت من ٢،٢ ٪ في عام ١٩٦٩ الى ٤ بالالف في عام ١٩٧٢ وبالفعل فقد هبط عدد المتعطلات من ٥٠٠ انثى لعام ١٩٦٩ الى ١٠٠ انثى لعام ١٩٧٢(٤). ولهذا فان انخفاض العطالة بين الاناث في الضفة الغربية يعود الى عدم مشاركة الاناث في القوة العاملة وليس لوجود فرص عمل متاحة للجميع .

جدول رقم (٣) : القوة العاملة في الضفة الغربية
من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧٢ (بالآلاف)

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
السكان فوق سن الـ ١٤	٣١٣،٧	٣٢٢،٩	٣٢٩،٩	٣٣٥،٤
القوة العاملة	١١٤،٦	١١٨،٤	١١٩،٧	١٣٤،٣
العاملون	١٠٩،٩	١١٤،٦	١١٦،٨	١٣٣،٢
المتعطلون	٤،٧	٣،٨	٢،٩	١،١
نسبة العطالة (٪)	٤،١	٣،٣	٢،٤	٠،٨

* ارقام ١٩٧٢ تمثل القوة للربع الثاني من العام ولا تمثل العام بكامله .

٣ــ القوة العاملة في الضفة الغربية : يلاحظ من الجدول رقم ــ ٣ ــ ان القوة العاملة ازدادت من ١١٤،٦ الفا في عام ١٩٦٩ الى ١٣٤،٣ الفا في منتصف عام ١٩٧٢ اي بزيادة قدرها ١٩،٧ الفا خلال ثلاث سنوات وبالفعل فقد ساير تطور القوة العاملة التطور الزمني للقوة البشرية بحيث حافظت نسبة مشاركة السكان في القوة العاملة على معدل قدره ٣٦٪ خلال الفترة الواقعة بين ١٩٦٩ و١٩٧٢ . اما عدد العاملين فقد ازداد بصورة محسوسة خلال السنوات الاخيرة حيث بلغ حوالي ١٣٣،٢ الفا في عام ١٩٧٢

---

٤ ــ بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط حافظت الدول العربية على نسب عطالة متقاربة خلال السنوات الماضية مع اتجاه نحو التزايد . في الجمهورية العربية السورية نسبة عطالة الاناث ٩ ٪ اما الذكور فتبلغ حوالي ٦ ٪ لعام ١٩٦٩ .

مقابل ١٠٩٤٩ آلاف عام ١٩٦٩ وقد رافق ازدياد عدد العاملين انخفاض محسوس في عدد المتعطلين — انظر الجدول رقم ٣ — حيث انخفضت نسبة العطالة من ٤١،٤٪ لعام ١٩٦٩ الى ٨ بالالف لعام ١٩٧٢ وهذه الظاهرة الاقتصادية في سوق العمل عائدة الى استخدام اسرائيل للعمال العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة وتشغيلهم في قطاع البناء بصورة خاصة وفي مختلف القطاعات الاقتصادية بصورة عامة . وليست غاية الكيان الصهيوني من اتاحة فرص العمل للعمال العرب هو رفع مستوى حياة الفرد العربي انما الاستفادة من العامل العربي ذو الاجر المنخفض نسبيا للقيام بنفس العمل الذي يقوم به العامل اليهودي ذو الاجر المرتفع وبالتالي تخفيض كلفة الانتاج مع المحافظة على نوعية الانتاج ومستواه عن طريق دورات تدريبية ومهنية يخضع لها العامل العربي قبل مباشرته العمل .

جدول رقم (٤) : عمال الضفة الغربية المستخدمين في اسرائيل
حسب النشاطات الاقتصادية
من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٢

النشاط الاقتصادي / السنوات	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
الزراعـــــة	١٧٧٦	٢٥٤٨	٧٦٩
الصنـاعـــة	٣٩٠٦	٥٤٧٤	٥٣٢٩
البنـــاء	١٠٨٣١	١٢٢٤٤	١٢٦٦٣
نشـاطات أخـرى	١٣٨٦	٢٠٩٩	٢٢٢٤
المجموع	**١٧٨٩٩**	**٢٢٣٦٥**	**٢١١٠٥**

* بيانات ١٩٧٢ تمثل نصف العام فقط .

٤ — عمال الضفة الغربية المستخدمين في اسرائيل حسب النشاطات الاقتصادية :
سنحاول في تحليلنا لبيانات مكاتب الاستخدام الاسرائيلية الى اعطاء صورة واضحة عن بنية ذلك الجزء من القوة العاملة العربية والتي تستخدمها اسرائيل في قطاعاتها الاقتصادية المختلفة . وبالفعل يظهر الجدول رقم — ٤ — النشاطات الاقتصادية التي يمارسها عمال الضفة الغربية في اسرائيل والاهمية النسبية لكل منها ، فالمستخدمون في قطاع البناء يشكلون ٥٨ ٪ من مجموع عمال الضفة الغربية المستخدمين في اسرائيل ولقد تطور عددهم من ١٠٨٣١ في عام ١٩٦٩ الى ١٢٦٦٣ لعام ١٩٧٢ . المستخدمون في الصناعة يحتلون المرتبة الثانية ولقد ازداد عددهم من ٣٩٠٦ في عام ١٩٦٩ الى ٥٤٧٤ لعام ١٩٧٠ اي بزيادة قدرها ١٥٦٨ مستخدما ثم عاد الرقم الى التناقص في عام ١٩٧٢. أما في الزراعة فقد اظهرت بيانات عام ١٩٧١ ، استنزاف اسرائيل البشري للعمال الزراعيين في الضفة الغربية فقد بلغ عدد العاملين منهم في فلسطين المحتلة حوالي ٢٥٤٨ عاملا . مما أدى الى اهمال كثير من الاراضي الزراعية الخصبة بسبب فقدان القوة العاملة ومصادرة قوات الاحتلال الاسرائيلية لهذه الاراضي بحجة الاهمال وكذلك نفس الشيء بالنسبة للمؤسسات الصناعية والتجارية . فكثير منها اغلق وصودر بسبب الافلاس وعدم استطاعته الوقوف بوجه المضاربات الاسرائيلية الهادفة الى تحطيم

الاقتصاد العربي في الاراضي المحتلة . اذن فاسرائيل تستخدم حوالي ١٩ ٪ من مجموع العاملين في الضفة الغربية ساعية الى تغطية النقص في اليد العاملة الاسرائيلية وفي كثير من الاحيان الى خفض كلفة الانتاج عن طريق استخدام يد عاملة رخيصة نسبيا والاكثر اهمية الى فصل العامل العربي عن مجتمعه وبيئته وأرضه .

ه ــ **مكاتب الاستخدام الاسرائيلية في الضفة الغربية** : تلعب مكــاتب الاستخدام الاسرائيلية دورا هاما في تأمين استخدام العمال العرب في اسرائيل بصورة اساسية وفي الضفة الغربية بصورة ثانوية وقد بلغ عدد العمال العرب المسجلين في هذه المكاتب في حزيران ١٩٧٢ حوالي ٣٧٠٦٤ عاملا .

جدول رقم (٥) : العمال المسجلون في مكاتب الاستخدام الاسرائيلية

من ١٩٧٠ حتى ١٩٧١

مؤشرات	السنوات	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢
عمال يبحثون	مهنيون	١٢١٨٦	١٢٤٥١	٤٣٩٩
عن عمـــل	غير مهرة	٩٩٠٦	١١٥٧٠	١٨٥٦٦
	المجموع	**٢٢٠٩٢**	**٢٤٠٢١**	**٢٢٩٦٥**
المسجلون في مكاتب الاستخدام الاسرائيلية		٢٧٩٦٢	٣٠٥٤٨	٣٧٠٦٤*

* المسجلون في شهر حزيران ١٩٧٢ .

ويلاحظ ان معظم المسجلين في مكاتب الاستخدام الاسرائيلية يسعون عن طريق هذه المكاتب الحصول على عمل جديد اما في اسرائيل او في الضفة الغربية وبالفعل بلغ عدد الباحثين عن عمل عن طريق مكاتب الاستخدام الاسرائيلية حوالي ٢٢٩٦٥ لعام ١٩٧٢ مقابل ٢٢٠٩٢ في عام ١٩٧٠ اي بنسبة تراوحت بين ٧٩ ٪ و٦٢ ٪ في الفترة ١٩٧٠ — ١٩٧٢ . ان كل ما نخشاه ان تتطور مكاتب الاستخدام الاسرائيلية وتتحول الى جهــاز يتحكم بمصير العمال العرب في الضفة الغربية بصورة خاصة وفي الاراضي المحتلة بصورة عامة . وما يجب ان يكون هو رفض العمال العرب في الاراضي المحتلة التعامل مع امثال هذه المكاتب والتي تحقق بصورة مباشرة ، اهداف دولة العدوان في تحطيم دعائم المجتمع العربي في الاراضي المحتلة .

القوة العاملة في قطــاع غزة وشمال سينــاء

ان ضرورة دراسة العمالة والاستخدام في قطاع غزة وشمال سيناء بصورة منفصلة عن الضفة الغربية ، ناتجة عن اختلاف في الطبيعة الاقتصادية والاجتماعية بين هاتين المنطقتين والتعرف على تركيب القوة العاملة في قطاع غزة وشمال سيناء مهم مثل ما هو في الضفة الغربية لان كل منهما يعيش نفس المأساة ويخضع الى نفس الظروف .

١ ــ **الذكور والقوة العاملة في قطاع غزة وشمال سيناء** : بلغت نسبــة مشاركة الذكور في القوة العاملة لقطاع غزة وشمال سيناء حوالي ٦٢٪ خلال الفترة ١٩٦٩ — ١٩٧٢ وهي نسبة مشابهة لمثيلتها في الضفة الغربية وأقل بقليل من نسب الدول العربية المجاورة ــ مثل الجمهورية العربية السورية حيث تبلغ النسبة حوالــي ٦٨ ٪ —

وانخفاض هذه النسبة عن مثيلاتها في الدول العربية المجاورة بصورة خاصة وعن مثل هذا المؤشر بالنسبة للدول الاخرى يعود الى الظروف التي يعيشها في المنطقة وما خلقه الارهاب وملاحقة الشباب الفلسطيني المناضل من انكماش وابتعاد اجباري عن المشاركة في النشاطات الاقتصادية المكونة لدعائم القطاع .

جدول رقم (٦) : القوة العاملة من الذكور في قطاع غزة وشمال سيناء من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧٢ (بالآلاف)

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
الذكور فوق سن الـ ١٤	٨٥،٨	٩٠،٤	٩٢،٤	٩٤،١
القوة العاملة من الذكور	٥٣،١	٥٧	٥٧،١	٥٩،٧
العاملون	٤٩،٥	٥٤،٦	٥٥،٨	٥٩،١
المتعطلون	٣،٦	٢،٤	١،٣	٠،٦
نسبة العطالة (٪)	٦،٩	٣،٤	٢،٣	١،١

* ارقام ١٩٧٢ تمثل حجم القوة العاملة في الربع الثاني من العام وليس العام بكامله .

من جهة اخرى ، يظهر الجدول رقم — ٦ — التطور الزمني للقوة العاملة من الذكور حيث ازدادت القوة العاملة المذكرة من ٥٣،١ الفا في عام ١٩٦٩ الى ٥٩،٧ الفا في ١٩٧٢ اي بزيادة قدرها ٦،١ آلاف حيث تتخطى بذلك ازدياد القوة العاملة في الضفة الغربية . وقد رافق ازدياد العاملين تناقص محسوس في عدد المتعطلين حيث هبط عددهم من ٣٦٠٠ متعطل لعام ١٩٦٩ الى ٦٠٠ متعطل لعام ١٩٧٢ . ويلاحظ ان ازدياد عدد العاملين ، تم بسرعة اكبر بكثير من سرعة تزايد القوة العاملة وبالفعل فقد كان وسطي التزايد السنوي للقوة العاملة هو ٢٢٠٠ شخص سنويا مقابل ٣٢٠ للعاملين . وهذا يؤكد بالطبع عملية استخدام اسرائيل لعمال قطاع غزة وشمال سيناء وما يظهره — فيما بعد — تحليلنا لمكاتب الاستخدام الاسرائيلية في القطاع وكيف تسعى هذه المكاتب الى تأمين العمل للباحثين عنه من العمال العرب هادفة الى التحكم بمصير هؤلاء العمال والى سلخ جزء كبير من العمال الزراعيين العاملين في بيارات البرتقال عن الارض التي يعملون فيها وبالتالي الى مصادرة هذه البيارات بحجة اهمال اصحابها الشرعيين لها .

٢ — **الاناث والقوة العاملة في قطاع غزة وشمال سيناء** : تعكس نسبة مساهمة المرأة في القوة العاملة لقطاع غزة وشمال سيناء ، واقع التخلف الذي يعيشه القطاع وشمال سيناء من جهة والخوف من اللااخلاقية التي يرتكبها جنود العدو المحتل في مجتمع يعتبر محافظا . وبالفعل فقد بلغت نسبة مساهمة المرأة في القوة العاملة حوالي ٥،٤ ٪ لعام ١٩٦٩ مقابل ٤،٤ ٪ لعام ١٩٧١ مع اتجاه في التناقص حيث تقدر لعام ١٩٧٢ بحوالي ٢،٢ ٪ وهي نسبة ضعيفة جدا اذا قورنت بمثيلاتها في الدول العربية المجاورة وحتى بالنسبة لدول العالم الثالث .

أما الجزء الباقي وهو حوالي ٩٥ ٪ من النساء فهن ربات البيوت والتلميذات والعاجزات واللاتي يشكلن عبئا ثقيلا على عاتق الفئة المشاركة في عملية الانتاج وهذا بالطبع عامل أساسي في واقع التخلف .

جدول رقم (٧) : القوة العاملة من الاناث في قطاع غزة وشمال سيناء من ١٩٦٩ حتى ١٩٧٢

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
الاناث فوق سن الـ ١٤	٩٣،٢	١٠٦،٤	١٠٨،٣	١٠٩،٩
القوة العاملة من الاناث	٥،١	٥،٤	٤،٨	٤،٣
العاملات	٣،٤	٤،١	٤	٣،٧
المتعطلات	١،٧	١،٣	٠،٨	٠،٦
نسبة العطالة (٪)	٣٣	٢٤	١٧	١٤

* ارقام ١٩٧٢ تمثل مؤشرات القوة العاملة عن الربع الثاني فقط من العام .

من جهة اخرى ، يظهر الجدول رقم — ٧ — طبيعة التطور الزمني لحجم القوة العاملة من الاناث في قطاع غزة وشمال سيناء . فقبل ١٩٧١ كان هناك اتجاه تزايد في حجم القوة العاملة من الاناث وايضا في عدد العاملات حيث ازداد العدد من ٥١٠٠ عاملة في عام ١٩٦٩ الى ٥٤٠٠ في عام ١٩٧٠ اما اعتبارا من ١٩٧١ فقد ظهر اتجاه نحو التناقص في كل من حجم القوة العاملة وعدد العاملات الذي بلغ ٤٣٠٠ في عام ١٩٧٢ وذلك على الرغم من الازدياد البسيط في حجم القوة البشرية من الاناث . أمـــا بالنسبة للعطالة فيلاحظ تناقص النسبة من ٣٣ ٪ في عام ١٩٦٩ الى ١٤ ٪ لعام ١٩٧٢ وبالفعل فقـــد تناقص عدد المتعطلات حوالي ٩٠٠ متعطلة خلال الفترة ١٩٦٩ — ١٩٧٢ والسبب لا يعود الى فرص عمل جديدة اتيحت لنساء قطاع غزة وشمال سيناء وانما لاستنكاف قسم كبير من النساء العاملات عن العمل وذلك تحت ضغط الظروف الاجتماعية التي تحياهـــا الاسر العربية في هذه المنطقة من العالم العربي .

٣ — **القوة العاملة في قطاع غزة وشمال سيناء** : يبتعد قطاع غزة وشمال سيناء عن حظيرة الدول العربية — من ناحية العمالة — فمساهمة القوة البشرية في القوة العاملة يقدر بحوالي ٣١ ٪ فقط وهي نسبة ضعيفة جدا وسبب انخفاضها عائد — كما رأينا فيما مضى — الى انخفاض نسبة مشاركة النساء في القوة العاملة . وهذا ما أدى بالطبع الى تجميد النفقات الاستهلاكية للمجتمع بأكمله على فئة قليلة من السكان . الذكور وبالتالي الى انخفاض في مستوى المعيشة في هذه المنطقة . اما بالنسبة لتطور حجـــم القوة العاملة فقد اتصف بعدم الانتظامية حيث تناقص ٦٢،٤ الفا الى ٦١،٩ الفا بين العامين ١٩٧٠ و١٩٧١ ثم عاد للتزايد بعد ذلك حتى بلغ ٦٤ الفا لعام ١٩٧٢ . بالنسبة لعدد العاملين فقد أظهر الجدول رقم — ٨ — تزايدا مستمرا خلال الفترة ١٩٦٩ — ١٩٧٢ حيث بلغت الزيادة حوالي ٥٨٠٠ عامل وقد رافق الزيادة في عدد العاملين نقصان في عدد المتعطلين بمعدل ١٠٣٥ متعطلا سنويا وهذا ما أظهرته نسبة البطالة اذ تناقصت ٩،١ ٪ لعام ١٩٦٩ الى ١،٩ ٪ لعام ١٩٧٢ متخطية بذلك مؤشرات العطالة في العالم العربي وحتى في بعض دول العالم المتمدن . ولهذا نجد انه من الضروري التنويه لطبيعة هذا النقص في العطالة . فهي على التأكيد ليست نتيجة انتعاش اقتصادي للمنطقة وانما عن طريق استخدام اسرائيل لجزء لا بأس به من عمال المنطقة متبعة ، في ذلك ، سياسة

جدول رقم (٨) : القوة العاملة في قطاع غزة وشمال سيناء
من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧٢ (بالآلاف)

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
السكان فوق سن الـ ١٤	١٨٩	١٩٦،٨	٢٠٠،٧	٢٠٤،٩
القوة العـــاملة	٥٨،٢	٦٢،٤	٦١،٩	٦٤،٠
العاملون	٥٢،٩	٥٨،٧	٥٩،٨	٦٢،٨
المتعطلون	٥،٣	٣،٧	٢،١	١،٢
نسبة العطالة (٪)	٩،١	٦	٣،٤	١،٩

* ارقام ١٩٧٢ تمثل الربع الثاني من العام وليس العام بكامله .

دفع اجور مرتفعة نسبيا ــ اذا قورنت بأجر العامل العربي في قطاع غزة ــ تؤمن للعامل العربي المستخدم في اسرائيل حياة بسيطة دون توفير يساعد اسرته في مكان اقامتها. وبالتالي دون امكانية دعم اقتصاد القطاع عن طريق ما يمكن توفيره من اموال .

٤ ــ عمال قطاع غزة وشمال سيناء المستخدمين في اسرائيل حسب النشاطات الاقتصادية : يظهر الجدول رقم ــ ٩ ــ توزيع عمال قطاع غزة وشمال سيناء المستخدمين في اسرائيل بحسب النشاطات الاقتصادية . وباعتبار ان البيانات المدروسة صادرة عن مكاتب الاستخدام الاسرائيلية في القطاع، فتحليلها يعكس الطبيعة الاقتصادية لاستخدام اسرائيل للقوة العاملة العربية . وبالحقيقة فالوجه الزراعي لهذا الاستخدام هو الغالب فحوالي ٤٢ ٪ من مجموع العمال المستخدمين في اسرائيل يعملون في الزراعة، وهذا بالطبع ما تهدف اليه اسرائيل فافقار الارض العربية من العامل الزراعي هو الخطوة الاولى في تحطيم زراعة الحمضيات في قطاع غزة وبالتالي الاستيلاء على البيارات بحجة اهمالها وعدم زراعتها . ويأتي بالمرتبة الثانية ، البناء ، حيث يمتص ٣٠ ٪ من

جدول رقم (٩) : عمال قطاع غزة وشمال سيناء
المستخدمون في اسرائيل حسب النشاطات الاقتصادية من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٢

النشاط الاقتصادي / السنوات	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
الزراعـــة	١٨١٦	٣٦٤٧	٥١٥٢
الصنـــاعة	٨٣٧	١٧٩٧	٢٥٥٦
البنـــاء	١١٥٧	١٦٢١	٣٥٣٩
نشـــاطات أخـــرى	١٣٦٣	١٧٥٦	٨٥٨
المجموع	**٥١٧٣**	**٨٨٢١**	**١٢١،٥**

* بيانات ١٩٧٢ تمثل وسطي نصف العام فقط .

مجموع عمال قطاع غزة والعاملين في اسرائيل . اما بالنسبة للصناعة فهناك حوالي ٢٠ ٪ ، ولقد ازداد عددهم بصورة محسوسة فبلغوا حوالي ٢٥٥٦ عاملا في عام ١٩٧٠ مقابل ٨٣٧ عاملا في عام ١٩٧٢ .

وبهذا نجد ان مكاتب الاستخدام تستفيد من الطابع الزراعي لقطاع غزة وكذلك من الطابع الصناعي والبنائي للضفة الغربية وهي بذلك ضامنة الحصول على يد عاملة مؤهلة في جميع النشاطات الاقتصادية ومحافظة على مستوى الانتاج في هذه النشاطات عن طريق دورات تدريبية لهؤلاء العمال .

٥ ــ **مكاتب الاستخدام الاسرائيلية في قطاع غزة وشمال سيناء** : كما هو الحال في الضفة الغربية فان الجدول رقم ــ ١٠ ــ يظهر الدور الذي تلعبه مكاتب الاستخدام الاسرائيلية في تأمين استخدام العمال العرب في اسرائيل بصورة اساسية وفي قطاع غزة وشمال سيناء بصورة ثانوية . وبالفعل فقد بلغ عدد العمال العرب من قطاع غزة والمسجلين في هذه المكاتب حوالي ٢٨٧٥٣ في شهر حزيران ١٩٧٢ ولقد ازداد عــدد المسجلين حوالي ٩٤٤٧ شخصا خلال الفترة ١٩٧٠ ــ ١٩٧٢ وهذه الظاهرة الخطيرة والتي تعبر عن اعتماد العمال العرب على مكاتب الاستخدام الاسرائيلية من أجل ايجاد فرص عمل لهم أو البحث عن عمل جديد ، تعتبر مؤشرا اكيدا على ضعف اتحاد العمال العرب في القطاع ان لم يكن على عدم وجوده ، ولهذا يبقى العامل العربي طعما لمكاتب الاستخدام التي تتحكم بمصيره واقتصاد بلده . ومهمتنا توعية العامل العربي في قطاع غزة ــ بصورة خاصة ــ على رفض التعاون مع أمثال هذه المكاتب وخاصة ان نسبة العمال الذين يبحثون عن عمل عن طريق هذه المكاتب بلغت حوالي ٧٩٪ من مجموع المسجلين فيها لعام ١٩٧٠ .

جدول رقم (١٠) : عمال قطاع غزة وشمال سيناء
المسجلين في مكاتب الاستخدام الاسرائيلية من ١٩٧٠ حتى ١٩٧١

مؤشرات / السنوات	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢
عمال يبحثون عن عمل			
مهنيــون	٣٢٨٩	٤٠٢٠	٤٠١١
غير مهرة	١١٨٩٠	١٢٢٠٠	١٣٠٦٤
المجموع	١٥١٧٩	١٦٢٢٠	١٧٠٦٥
المسجلون في مكاتب الاستخدام	١٩٣٠٦	٢٠٢٣٤	٢٨٧٥٣*

* المسجلون في شهر حزيران ١٩٧٢ .

اضواء حول القوة العاملة والاستخدام في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧

تشكل القوة البشرية حوالي ٥٢ ٪ من مجموع سكان الاراضي المحتلة بعــد حرب حزيران ١٩٦٧ وهذا ما يعطي المجتمع الفلسطيني طابعا انتاجيا اذا كانت نسبة المشاركة في القوة العاملة مرتفعة وتقع في حدود ٧٠٪ ويبقى المجتمع السكاني في الاراضي المحتلة

مجتمعا فنيا اذا قورن بالمجتمع اليهودي في اسرائيل حيث تشكل القوة البشرية حوالي ٦٨٪ من مجموع السكان . واذا علمنا ان المشاركة في القوة العاملة للاراضي المحتلة تبلغ حوالي ٣٤٪ من مجموع القوة البشرية يمكننا تصور العبء الذي تحمله الفئة العاملة في الاراضي المحتلة من أجل تأمين لقمة العيش لابناء هذا المجتمع ، ونظرا للظروف التي تحياها المنطقة وما تدبره اسرائيل من خطط لتحطيم المقومات الاجتماعية والاقتصادية في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، فاننا نخشى ان يعيش الشباب العربي الفلسطيني يأسا قاتلا يرافقه شعور بتخل الدول العربية عنهم مما يدفعهم الى الهجرة والرحيل وهذا ما تسعى اليه اسرائيل .

جدول رقم (١١) : العمال العرب في الاراضي المحتلة ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ (بالآلاف)

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
عمال الاراضي المحتلة المستخدمين في اسرائيل	٩،٥	٢٠،٦	٣٣،٨
عمال الاراضي المحتلة المستخدمين في الاراضي المحتلة	١٥٣،٣	١٥٢،٧	١٤٧،٨
المجموع	**١٦٢،٨**	**١٧٣،٣**	**١٨١،٦**

أما بالنسبة للعطالة فقد تناقص عدد المتعطلين عن العمل من ١٠ آلاف متعطل في عام ١٩٦٩ الى ٥ آلاف في عام ١٩٧١ أي ما يقابل نسبة عطالة مقدارها ٢،٧٪ في عام ١٩٧١ وهي نسبة منخفضة جدا ولا تعكس بحال من الاحوال وضعا اقتصاديا متينا ، اذ ان تحليلنا للعمالة في الضفة الغربية من جهة وفي قطاع غزة وشمال سيناء من جهة ثانية أظهر استفادة اسرائيل من أعداد لا بأس بها من عمالنا الفلسطينيين العرب في دعم مختلف النشاطات الاقتصادية في فلسطين المحتلة وبالفعل فقد بلغ عدد العمال العرب المستخدمين في اسرائيل حوالي ٣٤ الفا لعام ١٩٧١ أي ما يعادل ٢٦٪ من العمال العرب المستخدمين في الاراضي المحتلة في ذلك العام وبالفعل يعكس الجدول رقم ــ ١١ ــ التطور الزمني للعمال العرب المستخدمين في اسرائيل والذي يتميز بزيادات مطلقة على جانب كبير من الدلالة . فبينما تناقص عدد العمال العرب المستخدمين في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة من ١٥٣،٣ الفا لعام ١٩٦٩ الى ١٤٧،٨ الفا لعام ١٩٧١ تزايد عدد العمال العرب المستخدمين في اسرائيل من ٩،٥ آلاف في عام ١٩٦٩ الى ٣٣،٨ الفا في عام ١٩٧١ .

مقارنة بين
المقاومة الفلسطينية والثورة الجزائرية

نانسي جلاجر

مقدمة : كثيرا ما نجد الكتابات حول حركة المقاومة الفلسطينية تشير اشارات عابرة الى الثورة الجزائرية.وغالبا ما يجري عقد المقارنات بين الحركتين من قبل الفلسطينيين والجزائريين أنفسهم . وعمد بعض الكتاب ، من ناحية أخرى ، الى ابراز الفروقات بين الحالتين ، وحذر من اجراء التعميمات السطحية والمبسطة . وعلى اي حال ، لا بد من الاعتراف بدرجة معينة من التشابه بين الحركتين اذ أن هناك تزامنا جزئيا بينهما ، وفي كل من البلدين شعب يواجه خصما متفوقا من الناحية التكنولوجية ، جاء من أوروبا وأقام لنفسه وجودا على الارض . كذلك فان نجاح حرب الاستقلال الجزائرية يجعل مثل هذه المقارنات أمرا شيقا . ان المسألة الفلسطينية ، انطلاقا من مثل هذه المقارنات ، تقع ضمن النضال المعادي للامبريالية في العالم الثالث ، وجزء من الحرب ذاتها التي خاضتها الجزائر والدول الافريقية وفيتنام . ولم يعد انشاء دولة اسرائيل مسألة فريدة ، ضخمة وغامضة . ولم يعد الفلسطيني ، بفعل درس الجزائر ، تلك الذبيحة تضحيها قوى مجهولة ، بل انسان يعاني من أحد أشكال ظاهـــرة التوسع الكولنيالي الغربي المألوفة .

سوف ننظر الى هذه المقارنات بشيء مــن الحذر . وستبحث هــذه المقالة أولا في الوضعين بشكل عام بحيث تظهر بعض الفروقات بينهما . ثم تعالج مجالات أربعة كان للنموذج الجزائري تأثير واضح فيها . واخيرا سنحاول تقييم معنى هذه المقارنة وفائدتها بالنسبة لمارسة النضال الفلسطيني في وضعه الراهن .

في ١٦ آب ١٩٧٢ كتب محمد حسنين هيكل في الاهرام مشيرا الى بعض الفروقات بين الوضع الفلسطيني والوضع الجزائري وكذلك الوضع في فيتنام . فقال انه في الجزائر كان هناك ٤٠٠ الف جندي فرنسي وسط مجموع سكان الجزائر البالــغ عشرة ملايين جزائري . اما في اسرائيل فالعرب يقلون عن المليون بينما يبلغ عدد الاسرائيليين مليونين وربع ، ولدى اسرائيل ربع مليون جندي يمكن أن يعبأوا بسرعة . وأرض فلسطين ليست كأرض الجزائر بجبالها الوعرة وأماكنها الطبيعية الصالحة للاختباء . فسهول فلسطين وتلالها الصغيرة ليست كافية ، خاصة برقعتها الضيقة المقفلة . ومن ثم يسهل العثور على الفدائيين بطائرات الهليكوبتر الواقفة دائما على أهبة الاستعداد . ولا توجد أماكن قريبة يمكن اللجوء اليها لاستعادة النشاط الفدائي والتحضير لهجمات جديدة ، كما لا توجد على الحدود دولة منيعة كما هي الصين بالنسبة للفيتناميين وكما كانت تــونس والمغرب بالنسبة للجزائريين . فالاسرائيليون على استعداد لضرب أية دولة عربية دون ان يكون بمقدور أي من هذه الدول مقاومة مثل هذا الهجوم(١).

ويختلف الاسرائيليون عن المستعمرين الفرنسيين بما هو أكثر من الفارق العددي .

ان للاسرائيليين، كما كان للمستعمرين الفرنسيين دافعا قويا وتصميما اكيدا على البقاء، وهذه مسألة لا جدال فيها . ولكن الاسرائيليين يشعرون بأن مسألة الخيار في العودة الى الوطن الام والعيش فيه كمواطنين سادة ، غير متوفرة بالنسبة لهم . فلقد اقتنع كثير من الاسرائيليين بالفكرة القائلة ان الطريقة الوحيدة لبقاء الشعب اليهودي في المستقبل تكمن في دولتهم الخاصة المعبأة بالسلاح . ولهذا لا يوجد في اسرائيل رأي ذو وزن يؤيد اعادة حقوق الفلسطينيين . وهذا الوضع يختلف عما كان في الجزائر حيث كان للثورة العديد من المؤيدين الفرنسيين في الجزائر ذاتها وفي فرنسا .

وكان الفلسطينيون يأملون ان يشكل اليهود العرب في اسرائيل قوة داخلية تعطف على نضالهم غير ان هذا الامل لم يتحقق له وجود ، اذ أن اليهود الاسرائيليين من أصل عربي أعلنوا عن ولائهم للدولة الجديدة .

ويفتقد الفلسطينيون الى التماسك الاقليمي الذي توفر في الجزائـر . فلقد أبعد الفلسطينيون عن وطنهم وتوزعوا في مناطق عدة ، في العالم العربي وخارجه ، في أوروبا والاميركتين ، مما جعل الاتصال فيما بينهم في غاية الصعوبة . والبنيان الاقتصادي ـ الاجتماعي الفلسطيني لم يتعرض فقط للاهتزاز والاضطراب كما حدث في الجزائر، ولكنه تحطم بشكل كامل ، وبالتالي فقد كانت اعادة البناء الاجتماعي خطوة أساسية من أجل مقاومة فعالة .

وعلى عكس الفلسطينيين الموزعين جغرافيا ، يتركز الاسرائيليون ، كأكثرية سكانية، في مختلف مناطق فلسطين المحتلة . وقد أبقيت الاراضي المحتلة في غزة والضفة الغربية تحت اشراف دقيق مباشر ولم يسمح لسكانها العرب بالاقامة في اي مكان آخـر . والاعتماد على العمل العربي في اسرائيل اقل بكثير مما كان في الجزائر ، على الرغم من ان هذا الوضع يتغير الان ببطء . لذلك ليس بامكان الفلسطينيين ان يشكلوا تهديدا داخليا معرقلا لاسرائيل اذ لن يكون لاضراب جماهيري او مظاهرة احتجاج فعالية كبيرة .

كان بامكان الجزائريين اللجوء الى الحكومة الفرنسية بفرنسا والتي كانت قادرة على ممارسة سيطرتها واشرافها على المستعمرين . لكن الفلسطينيين لا يملكون شيئا من مثل هذه القنوات . وقد توضح عجز الامم المتحدة مرارا وتكرارا ، كما ان الدول الكبرى لا تريد فرض تأثيرها ونفوذها على الاعمال الاسرائيلية .

لقد تغيرت مصالح الدول الكبرى منـذ الخمسينات . خرجت أوروبا مـن الحرب ضعيفة ووجدت أن بنيانها الاقتصادي لا يتطلب سيطرة سياسية على المستعمرات . وأدى ظهور الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي كأعظـم قوتين عالميتين الى حجب التنافس بين الدول الاوروبية للحفاظ على مناطق النفوذ في افريقيا وآسيـا ، الا ان الاضطرابات في الشرق الاوسط لم تلحق الضرر بمصالحها . اما في الجزائـر فكان للاحداث تأثير ثقيل الوطأة على فرنسا الضعيفة أصلا . وبدا ان الازمة الداخلية التي تولدت في فرنسا تحتم ايجاد حل للمسألة في الجزائر . اما اسرائيل فلم تظهر كعبء اقتصادي حتى الآن . بل انها كانت ماهرة جدا في الحفاظ على الذين يدعمونها اقتصاديا، وتعتمد عليهم ، في حين تتصرف هي بدرجة كبيرة من الاستقلال . ومثل هذا الامر لم يكن باستطاعة المستعمرين في الجزائر ، فالحكومة الفرنسية بباريس كانت قادرة على ارسال قواتها العسكرية وسحبها حسبما تشاء .

وهناك اختلاف هام أيضا يتمثل في الوضع العربي او البيئة المحيطة . فالجزائريون ، كما ذكرنا ، كان بامكانهم اللجوء الى الدول المجاورة دون ان يتعرضوا نسبيا لتدخل الانظمة المضيفة . ولم تشأ فرنسا ان تشن حربا ضد تونس والمغرب وتجاهلت بشكل عام الدور الذي كانتا تقومان به . كان للجزائريين قاعدة اقليمية ، لهم فيها كمواطنين

جقوق مشروعة لا نزاع فيها ، ولذلك لم يطلبوا المساعدة العسكرية من العرب الآخرين (في ميدان القتال) ولان أراضي الدول المجاورة لم تكن محتلة او مهددة بالاحتلال. وهكذا كان الجزائريون قادرين على العمل باستقلال كبير ، بينما الفلسطينيون يعتمدون الى حد كبير على رضا الانظمة العربية ، باستثناء الفترة القصيرة بين عامي ١٩٦٧ ــ ١٩٧٠ ، حيث كانوا قادرين على الاستفادة من فراغ السلطة القائم في أعقاب حرب ١٩٦٧ .

ان معظم الحكومات العربية الحالية حكومات ضعيفة ، همها الاول ، حتما ، ان تظل في السلطة . وهي تعتمد في قوتها على الجيش أكثر مما تعتمد على قاعدة شعبية . وهي لذلك عاجزة عن ارسال قواتها العسكرية لدعم الفلسطينيين ، وليست قوية بما فيه الكفاية للوقوف في وجه الضغوطات التي سيسببها هذا الدعم . كان التأييد الشعبي الواسع من أبرز النواحي التي ساعدت على ظهور المقاومة ، وشكل هذا التأييد الشعبي ضغطا على الحكومات العربية ، مثل حكومة لبنان وحكومة الاردن ، وجعلها تنكيف مؤقتا مع وجود الفدائيين . ولكن حين تنامت حركة المقاومة ، قوة ونفوذا ، بدأت الحكومات المضيفة تعيد تجميع أنفسها . ويقدم فؤاد جابر ، في هذا المجال ، توثيقا دقيقا لمجرى التحالفات العربية الجديدة ، في بحث له بعنوان « الانظمة العربية والثورة »(٢). وكانت نتائج السياسات العربية على المقاومة من أهم وابرز الامور في تطور الحركة .

ولقد حاولت عدة حكومات عربية ايجاد جماعات فدائية تكون تابعة لها وتنفذ سياساتها . ونظر الى الجماعات المستقلة على انها تمثل مصدر خطر على المستوى الداخلي حيث يمكن بفعل تأييدها الشعبي أن تشكل تحديا للحكومة ، وكذلك على المستوى الخارجي حيث يؤدي نشاطها داخل اسرائيل ، وقد أدى فعلا ، الى أعمال انتقامية عنيفة من جانب اسرائيل. وكان من شأن الحاجة للتعاون مع الحكومات العربية أن تضيف عاملا جديدا الى المتاعب الحاصلة بين الفدائيين والناجمة عن الاختلافات الايديولوجية .

كذلك أدى التعدد بين الفلسطينيين الى تعقيد تشكيل جبهة تحرير واحدة . كانت جبهة التحرير الوطني في الجزائر قادرة على استيعاب الفئات او العناصر المنافسة ، وعلى تحييد او تصفية الذين يشكلون تحديا حقيقيا لهيمنتها . ان هذا التكتيك لم يمنع ظهور انقسامات خطيرة من جديد ، ولكن جبهة التحرير الوطني كانت قادرة على طرح نفسها على انها الممثل الوحيد والشرعي لاهداف الشعب الجزائري . اما الفلسطينيون فقد امتنعوا عن اللجوء الى العنف لقمع الجماعات المنافسة وأعلنوا بوضوح انهم يرفضون تشكيل حكومة في المنفى . الا أن هذا لم يمنع من تبوء حركة فتح مركز العمود الفقري في الثورة الفلسطينية . وحين أصبحوا أقوياء حقا تعرضوا لضربات قاتلة على يد الجيوش النظامية لبعض الانظمة المضيفة، وهكذا أصبحوا يواجهون عدوين: عدوا في الجبهة التي يقاتلون عليها ، وعدوا من وراء ظهورهم . ان هذه الاختلافات تظهر أن الفلسطينيين يواجهون وضعا أصعب من ذلك الذي واجهه الجزائريون .

غير ان هناك تشابها أيضا بين الثورتين . ولعل من ابرز الامور المتشابهة هي الطريقة التي ظهرت فيها كل منهما . فخلال السنوات الاولى من المقاومة كان كل من الطرفين قادرا على القيام بعدة مئات من العمليات في السنة . وكان تكتيك الثوار متشابها ــ كانت الهجمات تتم بزرع الالغام ، ومدافع الهاون والمتفجرات المصنوعة محليا ... الخ(٣). وكان انتقام العدو سريعا ومؤثرا بحيث كان الثوار في الحالتين مضطرين للحد من نشاطاتهم . وكانت فعالية الثوار ، من حيث الدمار الذي يلحق بأهداف العدو ، متشابهة في الحالتين ، الا أن الفعالية السياسية كانت مختلفة تماما . فلقد عجلت الحركة في الجزائر بالازمة الاهلية في فرنسا ، واستطاع الجزائريون في

النهاية كسب الراي العام العالمي الى جانبهم . اما هجمات الثوار الفلسطينيين فقد أدت الى ازدياد قسوة السياسة الاسرائيلية ضد الفلسطينيين ، فواصلت اسرائيل ضمها للمناطق المحتلة في حين تمارس اجراءات الغرض منهـا تشجيع نزوح الفلسطينييـن العرب من الاراضي التي تحتلها اسرائيل .

عند بدء الثورتين واجه قادة كل منهما ظروفا متشابهة الى حد بعيد . فلقد واجهت كل من الجماعتين عدوا ضخما ومحصنا تحصينا جيدا . وكان الشعبان يفتقدان الى المؤسسات السياسية المتطورة ، ولم يكونا مدربين عسكريا ولا منظمين سياسيا لخوض مقاومة فعالة . لقد فقد الشعبان ، هنـا وهناك ، زعماءهما المعروفين ، وكان على النخبة الثورية ان تبدأ الطريق من أوله في محاولاتها لتعبئة وتوجيه وخوض المقاومة الشعبية . ولم يكن بامكان أي من المجموعتين ان تصبح بمثابة « الدولة » .

وكانت هناك فروقات كبيرة بين الشعبين . معظم الجزائريين مسلمون ولكن ثلثهم على الاقل من البربر . وشكلت اللغة مشكلة للقادة ؛ فكثير من القادة كان يعرف الفرنسية اكثر مما يعرف اللغة العربية ، ولاقوا بذلك صعوبة كبيرة في الاتصال والتفاهم مع أهل الريف . وفي فلسطين حوالي عشر السكان من المسيحيين أما الغالبية فمسلمة . وأثناء سنوات المنفى اصبحت الفروقات الاجتماعية ــ الاقتصادية بين الفئات الفلسطينية ، كبيرة .

كان على القادة في البلدين أن يجعلوا من هذا التنوع الشعبي جسما مؤيدا كخطوة اولى نحو وحدته الوطنية المتينة . وفي هذا المجال كان وضع القيادتين متقاربا جدا . ومن الواضح الآن أن شعب الجزائر أصبح بالفعل « امة » . لقد كلف النصر الجزائري ثمنا باهظا ؛ اذ فقدت الجزائر حوالي ثمن سكانها ، كذلك كان التدمير وفقدان الكوادر المدربة فنيا ، كبيرا أيضا . اما بالنسبة للفلسطينيين ، فالمستقبل وحده يعرف كم سيكون مقدار هذا الثمن ؛ مع ان الثمن الذي دفع حتى الآن كبير سواء بالنسبة للفلسطينيين أو للدول المجاورة ويبدو ان هذا سيستمر على امتداد المستقبل المنظور .

مع اعترافنا الكامل بالاختلافات بين الثورتين ، فمن الواضح ان هناك أسسا معينة للمقارنة بينهما . ولذا فمن الطبيعي بالنسبة للفلسطينيين ان يتطلعوا الى الجزائريين يستلهمون منهم الدروس . ولقد قام الجزائريون بنشاط ملموس في تدريب الفلسطينيين، منذ أوائل الستينات على الارجح . وتتفهم الجزائر المشاكل الخاصة التي يواجههـا الفلسطينيون وحاجتهم الى حلول جديدة . يقول ابو عمار ، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ، في مقابلة صحفية :

« اننا نقوم بتدريب رجالنا على حرب العصابات ، وبشكل خاص في المناطق التي جرى او يجري فيها خوض الحروب الشعبية . ان تجربة اخواننا الجزائريين في نضالهم ضد الامبريالية الفرنسية كانت تجربة مفيدة جدا تعلمنا منها الكثير . وما نفعله اننا نكيف التجربة المحددة لشعب آخر مع أوضاعنا الخاصة . ان الاوضاع الطبيعية هنا ليست هي ذاتها في الجزائر او فيتنام . ويجب الا نقفز فوق الحدود التي تفرضها علينا الاوضاع العسكرية والمادية والطبيعية ، الا أننا قادرون على التغلب على هذه الحدود، وسنتغلب عليها اذا كيفنا استراتيجيتنا معها »(٤) .

ما هي المجالات التي كانت التجربة الجزائرية فيها ذات فائدة للفلسطينيين ؟ ان التأثير الجزائري واضح ولا شك في بعض جوانب المقاومة الفلسطينية . وهذه الجوانب هي :

الدعم المعنوي : حين نفض الغبار عن عام ١٩٤٨ وجد الفلسطينيون أنفسهم يواجهون عالما ممزقا ، ومعضلة لم يكونوا مسؤولين عنها ولا ادركوا كنهها . كان العالم غير عابىء

بالمصير الذي آلوا اليه . ومع مرور السنين نما لديهم شعور بالمرارة والسلبية والامتعاض . وكانت الحقائق الاليمة تغيب امام الحجة القائلة بأن الاحتجاجات الصاخبة قابلة لان يساء فهمها وتفسر على انها معاداة للسامية في عالم يعتريه القلق والرغبة في أن يخلص نفسه من العبء النفسي للجرائم التي ارتكبت ضد اليهود في الحرب العالمية الثانية . وفيما بعد بدأ بعض الفلسطينيين يتأملون الوضع في محاولة لفهم اعمق للمسألة من جذورها . وقدمت الثورة الجزائرية المثال المباشر والمشجع . فلقد عززت من الفكرة القائلة بأن اسرائيل هي مستعمرة أوروبية لا تزيد من حيث شرعيتها ودوامها عن المستعمرة الفرنسية ـ الجزائرية . واصبحت مع جنوب افريقيا وروديسيا وفيتنام موضع مقارنة بالنسبة للفلسطينيين . لقد قاتل بعض الفلسطينيين فعلا مع الجزائريين. وجاء توقيع معاهدة ايفيان يشكل دفعا قويا جدا للفلسطينيين . فالجزائريون اثبتوا ان من الممكن الانتصار على التفوق وعلى قوة أوروبية . كما انه من الممكن أيضا كسب قسم هام من الراي العام العالمي .

وهكذا أصبحت حرب الاستقلال الجزائرية مصدرا هاما للدعم المعنوي والملهم بالنسبة للفلسطينيين . وكذلك كانت الايديولوجية ، والتكتيك ، والتنظيم ، والدعاية جميعها متأثرة بالمثال الجزائري .

الايديولوجية : كان الدين ، والقومية فيما بعد ، أبرز القوى الايديولوجية خلال الثورة الجزائرية . وفي وقت لاحق اسهم المثقفون في تقديم تحليل يساري مضاد للامبريالية . وثبت ان احدى نقاط الضعف في الثورة الجزائرية تمثلت في عدم اهتمام الثورة بتحليل الاوضاع الداخلية ، والتركيز الزائد على كسب الاستقلال السياسي. فلقد أحجمت جبهة التحرير الوطني الجزائرية عن وضع ايديولوجية خاصة ، وضمت الجبهة في داخلها عناصر الانقسام بدلا من التخلص منها ، وعملت كجبهة مؤتلفة وليس كحزب سياسي .

سارت فتح بشكل عام على هذه السياسة الرافضة لانتهاج ايديولوجية خاصة ، والقول بأن الخلافات الايديولوجية ستؤدي الى صراعات قاتلة . ثم ظهرت جماعات أخرى وابتدأت سلسلة من الصراعات والاختلافات بشأن الاستراتيجية . وعلى عكس ما حصل في الجزائر لم يؤد الاختلاف داخل حركة المقاومة الى قمع الجماعات الاخرى بالقوة .

وكان لمفكري الثورة الجزائرية اثرهم في تكوين الايديولوجية الفلسطينية . وفي هذا المجال تبرز أفكار فانون بشكل خاص . يقول فانون ان العنف هو العلاج او الوسيلة التي تؤدي الى انعتاق المواطن وتغسل عقليته من آثار الاستعمار وتهيئه للنضال الجماعي . وهذه الافكار واضحة تماما في استراتيجية ونشاط الفدائيين . ويعكس الموقف الايديولوجي التقدمي ، التحليل الجزائري للقوى الكولينالية والامبريالية ، كما وردت في برنامج طرابلس عام ١٩٦٢(٥). الا أن الفلسطينيين يضيفون الى ذلك دعوتهم من أجل العلمانية ومساواة المرأة ، وتجاهل السلطة الدينية . وفي هذا المجال يقول أبو عمار :

« ان ثورتنا ليست ثورة فلسطينية أو عربية فحسب ، ولكنها جزء من الثورة العالمية من أجل انعتاق الانسان وحريته ، من أجل العدالة الاجتماعية ، والكرامة ، وتقرير المصير والوحدة. ونحن نتوقع ونحصل على دعم من العرب والمسلمين الذين لهم مصلحة خاصة في هذا النضال . كذلك نتوقع التأييد من جميع الذين يؤمنون بعدالة قضيتنا وبالنضال ضد الامبريالية والعنصرية ... ان مأساة فلسطين مأساة انسانية مثلما هي مأساة عربية وفلسطينية . ونعتقد ان معركة الحرية هي معركة واحدة على امتداد الساحة العالمية . وهزيمة الاستعمار في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية تعتبر انتصارا للنضال من أجل الحرية ... »(٦).

ووسعت بعض الجماعات الفلسطينية برنامجها ليشمـــل البلدان العربية المجاورة وبدعو الى الثورة الداخلية والنضال الموحد لجميع الشعوب العربية . وحاولت هذه الجماعات الافلات من الاطار الاقليمي الضيق ، مما شكل مصدر ازعاج للانظمة العربية. واكبر هذه الجماعات هي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي تقدم تحليلا اشتراكيا متكاملا للوضع . ويقود هذه المنظمة عناصر فلسطينية مثقفة ثقافـــة غربية ، ويمكن تشبيههم بالعناصر الجزائرية ذوي الثقافة الفرنسية والذين لعبوا دورا بارزا في الثورة.

تحدد الجبهة الشعبية معسكر الاعداء باسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية والرجعية العربية(٧). وتعتبر نفسها حزبا ماركسيا ــ لينينيـــا ، وتطرح تحليلا طبقيا للصراع . وهي لا تقبل المساعدات من الانظمة العربية القائمة .

وتقول الجبهة في التقرير السياسي الصادر عن مؤتمرها الوطني الثالث :

« لقد أصبحت حركة المقاومة نموذجا يؤكد العنف الثوري أسلوبا تواجه به الجماهير اعداءها . كما أصبحت تمارس ضغطا على الانظمة الوطنية ممهدة بذلك الطريق لظهور حركة وطنية تتخطى هذه الانظمة ، وتشكل تهديدا حقيقيا للمصالح والقواعد الامبريالية في المنطقة ، خصوصا تلك التي يمثلها النظام الرجعـــي في الاردن . كذلك بدات قوى اليسار في حركة المقاومة (أي الجبهة الشعبية وغيرها) تمارس ضغطا متزايدا على مجمل الوضع السياسي كما يبدو ذلك من خلال : موقفها من مشاريع التسوية ، وتأكيدها بصورة خاصة على الارتباط العضوي بين الوجود الاسرائيلي ، والمصالح الامبريالية ، والانظمة الرجعية في المنطقة . . . »(٨).

ويبدو واضحا من هذا الكلام ان النمو الايديولوجي الفلسطيني قد افترق عما هو لدى الجزائريين . ان القاسم المشترك بين الجهتين ــ المستعمر (بفتح الميم) ضد المستعمر (بكسر الميم) ــ يظل قائما . الا أن الفلسطينيين يرون نضالهم بمنظور أشمل .

الدعاية والتكتيك : يعرف الفلسطينيون ، كالجزائريين ، انه ليس بامكانهم الحاق الهزيمة العسكرية بالعدو بشكل حاسم وسريع . لذلك فالتكتيكات التي يتبعونها ترتبط مباشرة بقيمتها السياسية والدعاوية . كانت الدعاية الجزائرية تتوجه الى الجمهور بشكل عام . واصدروا لذلك النشرات والصحف ، وحضروا اللقـــاءات والمؤتمرات السياسية وسعوا للحصول على الاعتراف الدبلوماسي حيثما أمكن . اما الفلسطينيون فيوجهون دعايتهم بالدرجة الاولى نحو اليسار . منذ الخمسينات والعالم يشهد انقساما متزايدا الى شطرين أساسيين ، وشهد اليسار والعالم الثالث قوة نامية. كان الاستعمار في الجزائر يعتمد على فرنسا الضعيفة نتيجة للحرب العالمية الثانية وحربها في فيتنام . في حين تحظى اسرائيل بتأييد العالم الغربي بشكل عام ودعم الولايات المتحـــدة بشكل خاص . وقد نجحت الدعاية الصهيونية في اظهار الاسرائيليين على انهم الضحية . ويركز الفلسطينيون ، بالنتيجة ، على العناصر التي من شأنها ان تقربهم مـــن العالم الثالث وحركات التحرير .

ولجأ الفلسطينيون الى تكتيك لم يستخدمه الجزائريون ، وهو ما يمكن ان نطلق عليه تعبير « تكتيك ــ الصدمة » الذي يهدف الى ارغام العالم على تذكر المأساة الفلسطينية ووجود الفلسطينيين . وتشتمل هذه التكتيكات علـــى خطف الطائرات والهجوم على السفارات والمؤسسات الاسرائيلية والصهيونية .

قام الجزائريون والفلسطينيون بالتنظيم الشعبي وسط شعبين يصعب اعتبار الواحد منهما « أمة » . فالشعب غير موحد ، غير منظم وليس اكيدا مما ينبغي عمله . وقام المندوبون في الحركتين بالتوجه الى الشعب لنشر الدعاية السياسية وتنظيم المؤيدين .

لكن الفلسطينيين يواجهون مشكلة خاصة ناجمة عن توزع الشعب الفلسطيني في عدة قطاعات ــ داخل اسرائيل ، وفي الاراضي المحتلة عــام ٦٧ ، وفي مخيمات اللاجئين ، بالاضافة الى المنتشرين في عدد كبير من الدول العربية وغير العربية . ويقوم الفدائيون بانشاء المدارس والعيادات والمؤسسات الاخرى في مخيمات اللاجئين ، وحققوا تأييدا شعبيا كبيرا . وفي السنوات التي تلت هزيمة ١٩٦٧ ، ملأ الفدائيون الفراغ الذي نجم عن فقدان الثقة بالحكومات العربية . ووصل التأثير الى الفلسطينيين في الخارج فبداوا ينتظمون بطريقة شبيهة بتنظيم المنظمة الصهيونية العالمية لجمع الاموال من اجل دعم المقاومة .

لم يكن الاعتراف الدبلوماسي ممكنا بالنسبة للفلسطينيين . وقد رفضوا ، كما ذكرنا سابقا ، بشكل قاطع ان يشكلوا حكومة مؤقتة . تقول احدى نشرات المقاومة : « ان رفضنا لمشروع حكومة في المنفى يرتكز على فهمنا لميزان القوى بين الثورة وأعدائها . يجب أن يكون واضحا ، أولا ، اننا نواجه في الوقت الحاضر محاولة تصفية من جانب الصهيونية والامبريالية وكل قوى الرجعية في العالم العربي . ونتيجة لذلك، فاننا نحاول متابعة عملنا بطريقة سرية ونحول الاطار التنظيمــي المنفلش الى جهاز يعمــل تحت الارض ... ويجب ان ندرك ان حركة المقاومة الفلسطينية في وضعها الراهن لم تصل الى مستوى يمكنها من الاحتفاظ والسيطرة على مناطق محررة ، تقوم فيها حكومة ثورية مؤقتة...والى جانب ذلك فنحن لا نملك المكان المنيع كي نلجأ اليه كما يقول الوطنيون في فيتنام ، او كما فعل الجزائريون حينما كانوا يخوضون حرب الاستقلال »(٩).

تبدأ منظمات المقاومة عادة بنواة صغيرة من الاعضاء الواعين سياسيا ويحاولون تعبئة الجماهير . وقد بدأت الحركتان الجزائرية والفلسطينية ، بهــذه الطريقــة ، بنشاطات سرية وجهود لنشر الدعاية ، ترافقها عمليات عسكرية متقطعة . ثم ازداد التأييد للحركتين ، الا ان القيادة الفلسطينية لم تستطع انجاز وحدة فعلية رغم التقدم الملموس الذي تمثل في تشكيل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي انتخبت في كانون الثاني ١٩٧٢ في المجلس الوطني الفلسطيني والتــي ضمت ممثلين عــن المنظمات الرئيسية ومارست مسؤولياتها كقيادة جبهوية مسؤولة في مواجهة العديد من القضايا والاحداث . في عام ١٩٧٠ قامت منظمات المقاومة الرئيسية بعمليــة توحيدية باشراف منظمة التحرير . غير أن تلك الوحدة كانت شكلية اذ استمرت المنظمات تتصرف كجماعات مستقلة . واختلفت المنظمات بشأن السياسة التي يجب اتباعها تجاه النظام الاردني ، وكان البعض يدعو الى الاطاحة به . وفي ايلول ١٩٧٠ تحرك الجيش الاردني ضد الفدائيين وحاربهم بشراسة . وقامت الحكومات العربية منذ ذلك الوقت بالحد من نشاط الفدائيين الى درجة كبيرة . ويقارن بعض المراقبين بين الفترة التي اعقبت معركة الجزائر المدنية عام ١٩٥٦ حين أضحى النشاط العسكري الجزائري في أدنى صوره ، وبين الوضع الراهن لحركة المقاومة ، الا ان الفلسطينيين لم يتحولوا الــى الجبهــة السياسية والدبلوماسية ، وبشكل فعال كما فعل الجزائريون بسبب اختلاف الظروف في الحالتين ، فالعمل السياسي بالنسبة للفلسطينيين يعني المساومة والتنازل اذا فهم منه انه بديل للكفاح المسلح ، كما وانه بالتالي لن يؤدي نتائجه الفعالة الا في ظــل الاصرار على الكفاح مهما كانت الصعاب .

سار الفلسطينيون ، الى حد كبير ، في تكتيكاتهم العسكرية على النمط الذي استخدم في الجزائر ، كما يتمثل في : عمليات المدن ، اضرب واهرب ، القاء القنابل اليدوية وزرع الالغام . ولكن الفلسطينيين ، بسبب عدم امتلاكهم الاراضي الامنة يشنون منها غاراتهم، ظلوا معتمدين الى حد كبير على مواقف الانظمة العربية .

ان الفلسطينيين يواجهون عدوا لديه جيش قوي ويعمل من موقع استراتيجي متفوق.

وكان عليهم أن يفترقوا عن المثال الجزائري من عدة وجوه . لكنهم ، كالجزائريين ، يحاولون استخدام الكفاح المسلح لتحقيق التأييد الشعبي واقامة القواعد الامنة في الوقت الذي يتحاشون المواجهة المباشرة مع العدو الا في حالات محددة اثبتوا فيها عن فاعلية وروح معنوية عالية هزت صورة الجندي الاسرائيلي المتفوق كما حدث في الكرامة في آذار ١٩٦٨ وفي بيت فوريك وجنوب لبنان وفي عدة حوادث مجابهة في غزة .

أما نظرة الجزائر المستوحاة من تجربتها الخاصة ، الى المقاومة الفلسطينية فيصفها محمد يزيد على النحو التالي :

« (ينبغي على الفلسطينيين) الا يعتمدوا على أية جهة غير فلسطينية من أجل تحقيق هدفهم في التحرير . والدرس الثاني هو عدم القبول بالتدخل الخارجي في شؤونهم . ثالثا ، وهذه نقطة اود ان اركز عليها ، هي أن قوة الثورة لا تكون فقط بعدد المقاتلين ولا بعدد السلاح او بكميات الاموال التي بحوزتها . ان قوة الثورة هي في امتلاك المواقف الواضحة ، الهدف الواضح ، ان تعرف بالضبط ماذا تريد ، وأن تعلن ذلك بوضوح للاصدقاء والاعداء على السواء ... والفرق هو اننا في الجزائر بدأنا كفاحنا المسلح بموقف أساسي واحد هو وحدة حركة المقاومة ، واعطينا ذلك اولوية حقيقية ، واعطيناه من التفكير بقدر ما اعطينا للقتال اليومي ضد الفرنسيين .ثانيا ، لقد كنا واضحين جدا حول شيء واحد ، هو أن العدو ليس المستعمر الفرنسي فقط ، بل والجزائري الذي يتعاون مع المستعمر الفرنسي ايضا . ثالثا ، ووجدنا أنه مهم جدا ان يكون لنا قواعد في البلدان المجاورة ، ومنذ اليوم الاول تعاونا مع هذه البلدان على اسس واضحة ، اي عدم تدخل البلدان المضيفة في شؤوننا الداخلية ، وعدم تدخلنا نحن في شؤونها الداخلية »(١٠).

غير أنه ثبت صعوبة تطبيق هذه الدروس . فالفلسطينيون يدركون أن نضالهم سيكون طويلا ، والخسائر كانت كبيرة ، ولسوف تستمر كذلك ، كما ان تداخل ابعاد القضية الفلسطينية في الاوضاع العربية لم يكن هناك ما يماثله بالنسبة للثورة الجزائرية .

استنتاج : ان أية مقارنة بين الثورة الجزائرية والمقاومة الفلسطينية من شأنها ان تبرزبجلاء ضخامة الصعوبات التي تواجه الفلسطينيين . لكنها من جهة اخرى تشكل نموذجا لاستخلاص الدروس المفيدة . فهي تضع الوضع الفلسطيني في اطار اوسع للصراع العالمي . وتظهر اهمية الوحدة ، واقامة « الجبهة » المعترف بها ، ووضع برنامج استراتيجي متين .

كذلك أصبح واضحا في الوقت ذاته ، ان المقاومة ليست تماثلا . فهناك فروقات أساسية قد ظهرت بين الجهتين ، في معظم ، ان لم يكن في جميع الوجوه ، لذا فلا بد ان يختلف التحليل لكل منهما . ان القاسم المشترك ، حيث أهل البلاد يقاومون عناصر دخيلة غريبة ، مسألة واضحة تماما ، وكذلك الامر بالنسبة لوضع الشعب المتخلف تكنولوجيا يحارب شعبا يعيش مرحلة ما بعد العصر الصناعي . لكن الفلسطينيين يفتقدون الى العديد من العوامل التي ساعدت الجزائريين في نضالهم الشاق ، ومن ثم فان نجاح الجزائريين لا يعني ان الطريق سهل وقصير بالنسبة للفلسطينيين . غير انه يتعين علينا ان نتذكر ان المشاكل التي كانت تحيق بالقضية الجزائرية في اوائل الخمسينات ، بدت لكثير من المراقبين على انها لا يمكن التغلب عليها . والمقاومة الفلسطينية لا زالت في بداية الطريق .

ان العديد من المبادىء التي تعلمها الفلسطينيون كانت ناجحة بشكل ملحوظ . ففي

غضون بضع سنوات أصبح العالم يعي تماما وجود الشعب الفلسطيني ، وبدرجة أقل ، الظلم الذي لحق به . أما الاعتقاد السابق والقائل بأن الفلسطينيين سرعان ما يذوون وينتهون ، فقد تلاشى تماما .

تحت سيطرة دولة اسرائيل الان اقلية عربية تبلغ ٣٥ ٪ من السكان ، بما في ذلك سكان الاراضي المحتلة عام ٦٧ . وفي حال استمرار معدلات النمو والهجرة الحالية ، فسوف يصبح العرب نصف السكان في عشرين عاما . واي تحليل للوضع لا بد والحالة هذه من ان يتضمن عنصر التغيير الاجتماعي . فالاوضاع في اسرائيل وفي الدول العربية المجاورة اوضاع غير ثابتة .

ان الوعي الوطني الفلسطيني قد تمثل في ايديولوجية تقوم على تقرير المصير الوطني لضمان بقاء الشعب الفلسطيني كجماعة متميزة . وعلى العكس من الجزائريين الذين واجهوا عدوا يخضع للحكومة الفرنسية ، فان الفلسطينيين ، وعلى الرغم من الوحشية والتجاهل القائمين في الوضع ، قدموا لليهود المقيمين في فلسطين برنامجا متسامحا يتمثل في دعوتهم لاقامة دولة ديمقراطية تقدمية علمانية تساوي بين جميع سكانها ولا تميز بينهم بل وتساوي ما بين المستوطنين الذين قدموا منذ سنوات قليلة والذين قدموا امس وسيقدمون غدا ، تساويهم بسكان البلاد الاصليين .

ان الفلسطينيين ، على اي تقدير ، يعيشون وضعا سيئا في الوقت الحاضر . وما يقوله قسطنطين زريق في كتابه « معنى النكبة » قد يكون هاجسا لا مبرر له ، وان « النكبة » قد تصبح دافعا لتطور متقدم في الشرق الاوسط . يقول قسطنطين زريق :

« ليست هزيمة العرب في فلسطين مجرد عنترة بسيطة او شرا عابرا . انها نكبة بكل ما في الكلمة من معنى وواحدة من أقسى التجارب والمحن التي لحقت بالعرب عبر تاريخهم الطويل . . . ان الامكانات التي تتوفر للقوى الصهيونية من أجل النمو والتوسع سوف تضع العالم العربي والى الابد تحت رحمتها ، وسوف تشل حيويته وتعيق تقدمه وتطوره في درجات التقدم والحضارة — هذا اذا ما سمح للعالم العربي ان يوجد على الاطلاق »(١١) .

ليس من السهل على الفلسطينيين ان يقولوا وبكل بساطة « ونحن نستطيع أيضا كما استطاع الجزائريون » ، ولكن المرء لا يستطيع ان يتجاهل المكاسب المثيرة للاعجاب والتي تمثلت في اعادة خلق الاحساس بالتضامن والوعي الوطني والاصرار على مواصلة النضال ، والتي تحققت على يد الثورة الفلسطينية ، كما فعلت الثورة الجزائرية قبل ذلك بعقد من الزمن .

---

١ — **الاهرام** ، ١٩٧٢/٨/١٦ .

٢ — *Journal of Palestine Studies*, vol. II No. 2 (Jan. 1973).

٣ — Quandt, William B. *Palestinian Nationalism: Its Political and Military Dimensions*, 1971, p. 80.

٤ — *Palestine in the Western Press*, 196 ? p. 6.

٥ — **برنامج طرابلس** ، ١٩٦٢ ، ص ١—٣ .

٦ — *Palestine in the Western Press*, 196 ? p. 6.

٧ — Leila Kadi, *Basic Political Documents of the Armed Palestinian Resistance Movement*, 1969, p. 190.

٨ — *Bulletin*, No. 4, 1972, p. 5.

٩ — **المصدر نفسه** ، ص ١ .

١٠ — *Journal of Palestine Studies*, vol. No. 2, Winter, 1972, pp. 6-7.

١١ — مأخوذة من كتاب
A Palestine Entity ? 1970, p. 21 & p. 31.

نظرة اولية في ميزانية وكالة الغوث ودلالاتها السياسية

نزيه قوره

موضوع وكالة الغوث وميزانيتها موضوع يستحق أقصى درجات الاهتمام من قبل جماهير الشعب الفلسطيني والمسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية بالدرجة الاولى ومن قبل الدول العربية التي يتواجد على ارضها الفلسطينيون. اذ ان ما جرى مؤخراً في المخيمات الفلسطينية من اضرابات واعتصامات في وكالة الغوث احتجاجا على الاوضاع اللاانسانية المفروضة على جماهير شعبنا في المخيمات ليست سوى البداية .

يجب أن ندرك ان المستوى الحالي للخدمات التي تقدمها الوكالة رغم هزاله هو المهدد . ولا نستطيع أن نحتمي طويلا وراء القول بأن الوكالة « مسؤولة » عن تقديم مثل هذه الخدمات ، وان هذه الخدمات « حق » للشعب الفلسطيني على هيئة الامم التي « ساهمت في اخراجه من أرضه وتشريده وحرمانه من وطنه » .

صحيح ان الامم المتحدة هي التي أنشأت هذه الوكالة ولكنها لا تعتبر نفسها مسؤولة عن تشريد الشعب الفلسطيني اذ لم يرد اعتراف بالمسؤولية في أي من وثائق الامم المتحدة . ومن هنا فأن القياس الحاسم للمسؤولية الذي يتمثل في تخصيص ميزانية ثابتة تكون جزءاً من ميزانية الامم المتحدة ، غير موجود . اذ أن ميزانية الوكالة تجمع بالطريقة نفسها التي تجمع بها الجمعيات الخيرية أموالها . والفارق الوحيد بين وكالة الغوث والجمعية الخيرية هو في الاسلوب الذي تتوجه به كل منهما الى المتبرعين . فالجمعية الخيرية تخاطب في المتبرعين مشاعرهم الانسانية ، أما وكالة الغوث فتخاطب مشاعر الخوف في نفوس المتبرعين . ان قراءة اي تقرير من تقارير وكالة الغوث الى الجمعية العمومية للامم المتحدة او قراءة محضر اجتماع يعقده ممثل الوكالة مع مندوبي الدول المتبرعة لميزانية الوكالة ، تدهشنا بكثرة تكرار عبارة « المحافظة على الامن والسلام في الشرق الاوسط » ، باعتبارها غاية اساسية من غايات الوكالة . كذلك نجد ان الحجة الاساسية التي يستعملها رجال الكونغرس الاميركيين ، او اعضاء مجلس العموم او اللوردات البريطانيين في حثهم تلك المجالس على اقرار التبرع لوكالة الغوث ، هي دور الوكالة في المحافظة على «الامن والسلام في هذه المنطقة المضطربة من العالم». ونجد المفوض العام للوكالة باستمرار يحذر الدول المتبرعة من النتائج الخطيرة التي تترتب على عدم دفع التزاماتها تجاه الوكالة او تخفيض هذه الالتزامات .

واذا ترجمنا كلمات « الامن والسلام في المنطقة » الى لغتنا فاننا سنجد ان « الامن والسلام » لا يعنيان شيئا في الواقع غير المحافظة على الوضع القائم الذي لا يخدم في النهاية غير ضمان استمرار خضوع شعوب المنطقة للسيطرة الامبريالية واستمرار نهب واستنزاف ثرواتنا الوطنية .

من هم « المحسنون » :

الحكمة التي تسير سياسة المتبرعين لوكالة الغوث هي الحكمة القائلة « وأحسن كما احسن اصحاب النفط اليك » . واذا ما بحثنا عن « فاعل الخير » الاول فلن نتعب في ايجاده . لقد قدمت حكومة الولايات المتحدة لوكالة الغوث عبر الفترة الممتدة بين ١٩٥٠ ــ ١٩٧٢ ، مبلغا قدره ٥٢٥ مليون دولار من مجموع ٨٠٠ مليون دولار تلقتها الوكالة من الحكومات المختلفة ، وهذا يعادل نسبة ٦٥،٦ ٪ من مجموع ميزانيات الوكالة عبر ٢٣ عاما . أما « فاعل الخير » الثاني فليس مصادفة كونه يأتي في الترتيب الثاني بعد الولايات المتحدة في امتلاكه امتيازات النفط العربي . فقد دفعت بريطانيا لوكالة الغوث عبر ٢٣ سنة (١٩٥٠ ــ ١٩٧٢) مبلغ ١٢٣ مليون دولار اي ما يعادل نسبة ١٥،٤ ٪ تقريبا من المجموع . وهذا يعني ان مجموع ما تبرعت به الدولتان يعـادل ٨١ ٪ من مجموع ما تبرعت به ٩١ دولة من دول العالم .

ان درجة الحرص على « الامن والسلام » في المنطقة تتناسب مـع الحرص علـى استمرار الوكالة في عملها . ولهذا نجد أن أشد الاطراف حرصا على الامن والسلام هم الذين كانوا اشدهم حرصا على استمرار عمل وكالة الغوث . غير ان الحرص علـى الامن والسلام في المنطقة له تعبيرات اخرى . اذ أن عمليات تطويع وتدجين الفلسطينيين ليست كافية لضمان « الامن والسلام » ، وخاصة ان عملية التطويع والتدجين غـير مضمونة النتائج اذا تركت لوكالة الغوث وحدها ، كما اثبتت السنوات الاخيرة . ولهذا كان لا بد من زرع انياب حادة في لثتي « مستحقي صدقة » آخرين . لقد كلفت عملية زرع الانياب في لثتي وكالة اخرى غير وكالة الغوث ، وهي الوكالة اليهودية التي اصبحت في زمن ما « دولة اسرائيل » مبالغ تزيد بعشرين ضعفا عن المبالغ التي كلفتها عملية قتل العافية في جسد الشعب الفلسطيني .

كيف « يحسنون » ؟

هناك قانون اساسي تخضع له ميزانية وكالة الغوث : يجب ان لا يتحول اي جزء من ميزانية الوكالة الى رأسمال مادي أو بشري . وهذا يعني عدم السماح بتطور او نمو قوى منتجة من ناحية وعدم السماح بتراكم رأسمال من ناحية اخرى . ومن أجل تحقيق هاتين الغايتين قسمت الميزانية الى ثلاثة أبواب جرى تجميد البابين الاولين وجعـل الباب الثالث متغيرا . ومن أجل توضيح الطريقة التي تمكنت بواسطتها الوكالة مـن تنفيذ استراتيجيتها عبر ميزانيتها الخاصة لاشراف دقيق من قبل « المتبرعين » ، سنعطي فكرة عن كل بند من بنودها .

١ ــ **الاعاشة** : ظلت المواد الغذائية التي تعطى للاجئين ثابتة من حيث الانواع ومن حيث الكمية . وبالتالي ظل المبلغ الذي ينفق على تزويد اللاجئين بالمواد الغذائية شبه ثابت . فهو لم يزد عن ١٢ مليون دولار في اية سنة من السنين . ومن جهة اخرى جرى وضع حد لعدد اللاجئين الذين يتلقون الاعاشة . فرغم ازدياد عدد اللاجئين المسجلين لدى الوكالة من حوالي ٩٠٠،٠٠٠ شخص عام ١٩٥٠ الى اكثر من ١،٥ مليون عـام ١٩٧٢ الا ان عدد المستفيدين من الاعاشة لم يتغير بشكل جذري . فقد بلغ عام ١٩٥٠، ٨٢٦ الف نسمة وفي عام ١٩٧٢ بلغ ٨٢١ الف نسمة . أي أن الفرد الواحـد يتلقى ما يعـادل ١٤،٥ دولار في العام من المواد الغذائية . وحتى يصبح لهذا الرقم معنى نذكر بأن قيمتها في الشهر الواحد هي ١،٢ دولار ، اما في اليوم الواحد فتبلغ قيمة هـذه المواد أربعة سنتات أمريكية وهي تعادل ١٢ قرشا لبنانيا وهي لا تزيد كثيرا عن ثمن رغيف خبز جاف . وحتى هذه الكميات بدأت الوكالة بتخفيضها في الاشهر الاخيرة الى النصف.

٢ ــ **الخدمات الصحية** : رغم ازدياد الفلسطينيين بالنسبة التي ذكرناها اي من حوالي ٩٠٠،٠٠٠ الى اكثر من ١،٥ مليون فأن مخصصات الخدمات الصحية ظلت ثابتة نسبياً . وهي تزيد أو تنقص قليلا عن خمسة ملايين دولار في العام . وهذا يعني ان ما ينفق على الفلسطيني في العام الواحد يساوي ٣،٢٣ دولار . وهذه يجب ان تنفق على انشاء مجارير وجمع النفايات والتطعيم ومرتبات الاطباء والمستشفيات والدواء . . الخ، علما بأن مبلغ ٣،٢٣ دولار ، أي ما يعادل عشر ليرات لبنانية وهو مبلغ لا يكفي لشراء بضعة علب اسبرو . ان ما ورد في مطالب اهالي مخيم البرج الشمالي والمخيمات الاخرى بشأن الوضع الصحي والخدمات الطبية والنظافة ودوام الطبيب وكميات وانواع الدواء ، أمر يتفق تماما مع حجم مخصصات الوكالة للخدمات الصحية . ان هذه الارقام تبين كم هي شكلية وغير مجدية تلك الخدمات التي تقدمها الوكالة وتطلق عليها خدمات صحية .

ان حجم الخدمات الصحية وخدمات الاعاشة وتجميد هذا الحجم عند حد معين ، في ظل التغير السريع الذي تشهده انماط الاستهلاك في المجتمعات المحيطة وارتفاع مستويات المعيشة فيها ، لا يقصد منه ضمان حياة الفلسطينيين بمقدار ما يقصد منه جعل الحياة في مناطق تجمع الفلسطينيين امرا مستحيلا ، مما يدفع اعدادا كبيرة من الفلسطينيين وخاصة المؤهلين علميا وفنيا منهم الى الهجرة الى مناطق بعيدة عن الحدود الفلسطينية ، وهنا يأتي دور البند الثالث في ميزانية وكالة الغوث وهو البند الوحيد المتغير في هذه الميزانية ، نقصد بند التعليم .

٣ ــ **التعليم** : بخلاف البندين السابقين اللذين عملت الوكالة على تجميدهما عبر السنوات الثلاث والعشرين الماضية ، فقد ظلت مخصصات التعليم ترتفع سواء بالارقام المطلقة . او بنسبتها المئوية الى مجموع الميزانية . ففي عام ٥٣ ــ ٥٤ بلغت نفقات التعليم حوالي ثلاثة ملايين دولار تشكل ما نسبته ١٠ ٪ من الميزانية . وفي عام ٧٢ بلغت مخصصات التعليم أكثر من ٢٣مليون دولار تشكل٤٦،٦٪ من مجموع الميزانية. ومن هذا الرقم بلغت نفقات التعليم الاكاديمي الذي يشمل المرحلتين الابتدائية والاعدادية ١٧ مليون دولار أي ما يعادل ٧٤ ٪ من مجموع نفقات التعليم .

ان الهدف من اتباع هذه السياسة ، أي الاحتفاظ ببندين من بنود الميزانية ثابتين وتغيير البند الثالث ، هو تطبيق استراتيجية معروفة بأسم استراتيجية حذوة الفرس . ان المحافظة على شروط حياة متدنية مع عدم الاهتمام بالتطوير الاقتصادي لمناطق تواجد الفلسطينيين ، سواء كان هذا بسبب عوامل موضوعية أم بسبب سياسة مخططة ، لا يمكن أن يؤدي الا الى نتيجة واحدة ، عملية فصد دائم لدم الشعب الفلسطيني عن طريق حرمانه ، اولا بأول ، من عناصره الشابة المؤهلة علميا وفنيا لتشكيل هيكل عظمي له يحفظ تماسكه ويمنحه صلابة تمكنه من القيام بدوره في المنطقة. وفي النهاية تبقى الوظيفة الاساسية التي تقوم بها وكالة الغوث هي العمل على منع وجود تجمعات فلسطينية قوية على حدود الارض الفلسطينية . وقد تحقق هذا الهدف في مناطق التجمع الاساسية وهي الضفة الغربية وغزة ولبنان .

التطورات الاخيرة في الميزانية :

عندما بدأت الوكالة عملها على اساس القيام بمجموعة من مشروعات التوطين الزراعي للاجئين كانت تملك احتياطيا يبلغ ٤٨ مليون دولار ، وعندما فشلت هذه المشاريع بدأت الدول المتبرعة ، وعلى وجه الخصوص الولايات المتحدة ، بتقليص التزاماتها ، وبدأت ميزانية وكالة الغوث تعاني عجزا دائما وخاصة بعد سنة ١٩٥٥ . فقد انخفض الاحتياطي بين سنتي ٥٥ ــ ٥٧ من ٣٧ مليون دولار الى ٢٠ مليون دولار.

أي أن النفقات زادت على الواردات خلال سنتين بمبلغ ١٧ مليون دولار مما اضطر الوكالة في سنة ٥٧ الى الغاء او تخفيض عدد من المشاريع . ولعل اصرار الولايات المتحدة وبريطانيا في تلك السنتين على تخفيض مساهمتهما في ميزانية الوكالة يستهدف حرمان الوكالة ، بصفتها الدولية ، من المرونة التي يمنحها اياها وجود احتياطي يعادل او يزيد عن نفقات الوكالة خلال سنة واحدة ، وهو أمر يسمح لهاتين الدولتين ، وخاصة الاولى منهما ، بمراقبة مباشرة وتحكم اكثر شدة بأوجه انفاق ميزانية الوكالة . كما يسمح انعدام وجود احتياطي كاف ، للولايات المتحدة ، بالضغط السريع على الحكومات المضيفة للاجئين لضمان عدم معارضة هذه الحكومات لسياسة الوكالة .

وقد ظل هذا الاحتياطي البالغ ٢٠ مليون دولار ثابتا نسبيا بين سنوات ٥٧ — ٦٣ حيث بدأ بالانخفاض السنوي الى أن وصل الى أدنى مستوى له عام ١٩٧٢ وهو ٣ ملايين دولار ، في الوقت الذي بلغت فيه ميزانية الوكالة حوالي ٤٨ مليون دولار . فاذا حسبنا الانفاق الشهري لوكالة الغوث لبلغ ٤ ملايين دولار في الشهر وهذا يعني ان ثلاثة الملايين دولار التي تشكل الاحتياطي لا تكفي لاكثر من ٢٢ يوما ، فيما اذا تأخرت البلاد المتبرعة كلها او بعضها عن دفع « التزاماتها » .

ميزانية ١٩٧٢ : لقد طرأت تطورات عديدة على ميزانية الوكالة من ناحية عدد المتبرعين وحجم تبرعاتهم . فقد استمرت الولايات المتحدة في تخفيض مبلغ ما تتبرع به الى أن ثبتته على مبلغ ٢٢ مليون دولار تقريبا . وهذا يساوي حوالي نصف التبرعات الحكومية التي تتلقاها وكالة الغوث . وتصر الولايات المتحدة منذ اكثر من خمس سنوات على عدم زيادة تبرعاتها رغم ازدياد ميزانية الوكالة من ٣٧ مليون دولار عام ١٩٦٦ الى ٤٩ مليون دولار عام ١٩٧٢ وهي زيادة تعادل ٣٢ ٪ خلال ست سنوات .

وقد بلغ عدد الدول المتبرعة لميزانية عام ١٩٧٢ ، ٦١ دولة ، تبرعت ١٠ دول منها بما مجموعه ٤١ مليون دولار تقريبا من مجموع التبرعات الحكومية البالغة ٤٦ مليون دولار تقريبا ، ويضاف الى هذا مبلغ ٣،٥ مليون دولار تبرعت بها مؤسسات دولية غير حكومية وقد كانت التبرعات الحكومية لعام ١٩٧٢ موزعة على الشكل التالي :

ميزانية ١٩٧٢ (بالمليون دولار)

نصف — ١		١ — ٥		فوق ٥	
البلد	**المبلغ**	**البلد**	**المبلغ**	**البلد**	**المبلغ**
الدنمارك	٨٩٧،٣٢٣	كندا	١،٥٥٤،٥٥٠	الولايات المتحدة	٢٣،٨٧٦،٠٠٠
اليابان	٧٥٠،٠٠٠	المانيا الغربية	٣،٨٠٥،٠٠٠		
النرويج	٦٩١،٣٧١	السويد	٣،١٥٨،٠٠٠		
اسبانيا	٧٤٤،٥٠٠	سويسرا	١،٠١١،٧١٥		
		بريطانيا	٤،٨٨٦،٢٥٠		
المجموع	٣،٠٨٣،١٩٤		١٤،٤١٥،٥١٥		٢٣،٨٦٧،٠٠٠

وهناك بالاضافة الى الدول العشر المذكورة في الجدول حوالي ٥١ دولة تبرعت بما يقارب ٤،٥ مليون دولار اي ما يعادل ١٠ ٪ من مجموع التبرعات الحكومية . ونستطيع أن نلحظ عند مقارنة تبرعات هذه الدول ببعضها ، التناسب القائم بين حجم التبرع وحجم المصالح التي لهذه الدول مع الدول العربية ، كما اننا نلاحظ تناسبا اشد بروزا

بين حجم التبرع ودرجة ارتباط الدولة بالولايات المتحدة الاميركية .

اما الدول العشر التي تبرعت بما يقارب ٩٠ ٪ من ميزانية الوكالة فان ستة منها هي الدانمارك والنرويج وكندا والمانيا الغربية وبريطانيا والولايات المتحدة ، اعضاء في الحلف الاطلسي . اما الدول الاربع الباقية فان ارتباطها بالمخططات الاميركية التي تستهدف استمرار السيطرة على المنطقة ، غير خاف .

وهناك ملاحظات جديرة بالتسجيل حول الميزانية الاخيرة للوكالة (١٩٧٢) .

آ ـ ارتفعت تبرعات اليابان من ٤٠،٠٠٠ دولار عام ١٩٦٨ الى ٧٥٠،٠٠٠ دولار عام ١٩٧٢ ، علما بأن مجموع تبرعات اليابان للوكالة عبر ١٨ عاما (١٩٥٠ ـ ١٩٦٧) لم يزيد عن ٣٣٢،٥٠٠ دولار . اي ان التبرع في سنة واحدة هي سنة ١٩٧٢ زاد بمقدار الضعف عن تبرعات ١٨ عاما . وليس بمقدورنا ان نفصل بين ازدياد استثمارات اليابان في النفط العربي وازدياد حجم صادراتها الى الدول العربية وبين هذه الزيادة في تبرعاتها لوكالة الغوث .

ب ـ ازدادت تبرعات المانيا الغربية من ٢،١٤٩،٢٦٣ دولارا عام ١٩٦٨ الى ٣،٨٠٥،٠٠٠ دولار عام ١٩٧٢ . وعند المقارنة نجد أن مجموع ما تبرعت به المانيا الغربية خلال ١٨ عاما على وجود الوكالة لم يزد عن ٤،٣٨٨،٥٢١ دولارا . هذا بالمقارنة مع مساعدات عسكرية واقتصادية قدمتها المانيا الغربية لاسرائيل زادت عن ٢٠٠٠ مليون جنيه استرليني .

جـ ـ كذلك ازداد اهتمام بلجيكا ، وهي عضو اخر في الحلف الاطلسي ، بوكالة الغوث ، وهذا الاهتمام « بتوفير الخدمات للاجئين الفلسطينيين » عبر عن نفسه بزيادة تبرعات بلجيكا من ٣٥،٠٠٠ دولار عام ١٩٦٨ الى ٣٨٠،٠٠٠ دولار عام ١٩٧٢ ، مع ملاحظة أن مجموع تبرعاتها خلال الثمانية عشر عاما السابقة بلغت ٤٦٣،٠٠٠ دولار .

د ـ ان اكثر ما يلفت النظر في الميزانية الاخيرة لوكالة الغوث هو ما طرأ من تغير على مساهمة فرنسا في هذه الميزانية . فقد بلغ مجموع ما تبرعت به بين سنتي ١٩٥٠ ـ ١٩٦٧ ، ١٣،٧٠٩،٨٣٥ دولارا ، وفي سنة ١٩٦٨ بلغ ما تبرعت به فرنسا ١،١٢٨،٤٥٧ دولارا ، **وانخفض** هذا الرقم الى ٤٧١،٠٠٠ دولار . لقد حصل هذا الانخفاض في الوقت الذي حصلت فيه تغيرات هامة في السياسة الفرنسية تجاه مسألة الصراع العربي الاسرائيلي . كما ان السياسة الفرنسية ابتعدت كثيرا خلال هذه الفترة وفي الفترة التي سبقتها مباشرة عن السياسة الاميركية ، واضحت اقل تماثلا معها ، كما وضعت فرنسا اسسا جديدة لسياستها تجاه الدول العربية ، تتميز باقترابها اكثر فأكثر من تفهم واحترام المصالح الوطنية للشعوب العربية .

هـ ـ عبر دراستنا لميزانية وكالة الغوث وجدنا ان الدول الاشتراكية ، امتنعت منذ البداية عن المساهمة بأي مبلغ كان في ميزانية وكالة الغوث . وفي الوقت الذي لا نملك فيه تفسيرا رسميا لهذا الامتناع ، الا أننا لا نستطيع فصله عن موقف الدول الاشتراكية، وخاصة الاتحاد السوفياتي من مسألة المساهمة في ميزانية الامم المتحدة لاغراض الانفاق على القوات الدولية في الكونغو وقبرص وغزة . كذلك لا نملك الا ان نقارن هذا الموقف من وكالة الغوث ، بمواقف الدول الاشتراكية من قضايا حركة التحرر الوطني العربية ، والمساعدات التي قدمتها الدول الاشتراكية للدول العربية المتحررة .

الوضع الحالي :

تبلغ ميزانية الغوث لعام ١٩٧٣ حوالي ٥١ مليون دولار حسب ما ورد في الميزانية

المعدة عام ١٩٧٢ . وقد طرأت تطورات عالمية غير مباشرة على وكالة الغوث وتتطلب حلولا عاجلة :

آ — فمن ناحية انخفض سعر الدولار بنسبة كبيرة وظل سعره عبر السنة الحالية يتذبذب تذبذبا شديدا . فقبل بضعة اشهر كان سعر الدولار يساوي اكثر من ٣ ليرات لبنانية ، وفي فترة من الفترات هبط الى ٢٫٣٠ ليرة لبنانية ثم عاد فاستقر على ٢٫٥ ليرة لبنانية . أي أن نسبة السقوط بلغت الان نسبة ١٦٫٦ ٪ . وهذا يعني ضرورة زيادة ميزانية الوكالة بهذه النسبة حتى تستطيع تقديم نفس الخدمات التي اعتادت تقديمها .

ب — ان المتطلبات التعليميــة للشعب الفلسطيني تزداد باستمرار ، وهذا يعنــي المتحدة ، وبشكل خاص سعر القمح . فاذا أصرت الولايات المتحدة ، التي تقدم قسما كبيرا من مساعداتها عينا بشكل مواد غذائية وخاصة القمح ، على عدم زيادة مساهمتها في الميزانية ، فان هذا سيعني بالضرورة ، تخفيض حجم المواد الغذائية التي تقدمها .

ان النتائج المترتبة على عدم زيادة ميزانية وكالة الغوث ، حتى في حالة عدم المطالبة بتحسين مستوى الخدمات الحالي ، نتائج بالغة الخطورة وتتطلب اهتماما فوريا :

آ — فمن ناحية تعرض موظفو وكالة الغوث البالغ عددهم ١٤٥٠٠ موظف الــى خسارة مالية ، بسبب احتفاظ الوكالة لودائع هؤلاء الموظفين بالدولار . وهذا يعني ان كل موظف سيخسر من توفيره بالعملات المحلية ، مبلغا يعادل انخفاض الدولار .

ب — بأن المتطلبات التعليمية للشعب الفلسطيني تزداد باستمــرار ، وهذا يعني ضرورة زيادة الاعتمادات لصالح جهاز التعليم ، من أجل تحسينه وزيــادة قدرته على استيعاب الاعداد الجديدة . فاذا لم تزد هذه الاعتمادات فاننا سنشهد انخفاضا سريعا في مستوى التعليم المتدني أصلا والبعيد عن تلبية احتياجات شعبنا . وقد عبر الاعتصام الاخير الذي قام به ٧٥ معلما من معلمي الوكالة ، عن جانب من المشكلة . فقد ورد في بيانات المعلمين المعتصمين ان الوكالة صرفت هؤلاء المعلمين من وظائفهم في الوقت الذي تخسر فيه أكثر من ٥٥ طالبا في الصف الواحد . وباستطاعتنا ان نتصور جدوى العملية التربوية في وضع كهذا .

جـ — ان قسما كبيرا من ميزانية الوكالة يقدم عينا لا نقدا . وهذا يعني ان اول من سيتضرر من الوضع المالي للوكالة هم الموظفون الذين ، كما ذكرنا آنفا ، يبلغ عددهم ١٤٥٠٠ موظف . وقد يدفع العجز في الميزانية بالوكالة الى فصل قسم مــن هؤلاء الموظفين نتيجة عجزها عن رفع رواتبهم .

لقد تبينا ان الخدمات الصحية وخدمات الاعاشة التي تقدمها الوكالة محدودة الفائدة في جميع الاحوال . وقد لا يعني فقدانها حدوث كارثة . ولكن حرمان الفلسطينيين من الخدمات التعليمية ، رغم ضعفها واغراضها ، وحرمان اعداد منهم من وظائفهم سيشكل وضعا لا يمكن ان يمر بدون حدوث مضاعفات خطيرة . واذا أدركنــا ان الدول التي تساهم في ميزانية الوكالة ، لا تفعل هذا ، بدوافع انسانية ، ولا تستهدف بالتالي أهدافا انسانية بمقدار ما تستهدف المحافظة على الاوضاع القائمة ، واذا كانت هذه التبرعات ليست ناتجة عن الخوف على صحة الفلسطينيين بل عن الخوف من الفلسطينيين ، في هذه الحالة يتوجب علينا أن نوفر اجابة منطقية على السؤال : كيف يمكن التوفيق بين النضال الذي يخوضه الفلسطينيون والقوى الثورية العربية الاخــرى ضد الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة ، وبين ترك حياة وصحة الفلسطينيين وتربيــة وتعليم أبنائهم تحت رحمة القوى نفسها التي يحاربونها ؟

ان الدول الامبريالية ستستمر في دعم وكالة الغوث ما دامت هذه الدول تلمس جدوى

دعم هذه الوكالة وفعاليته في تجميد أوضاع المنطقة لصالح هذه الدول ، ويعنينا هنا ان نؤكد ان صدى هذا الدعم ليس مرتبطا باحتياجات الفلسطينيين أو بمدى شعور هذه الدول بالاثم تجاه الفلسطينيين ، ومن هنا كان المستوى المتدني للخدمات التي تقدمها الوكالة .

ان تجميد حجم المساهمة الاميركية والبريطانية في ميزانية الوكالة يعني ان هاتين الدولتين لا تريان أية جدوى اضافية يمكن أن تنتج عن زيادة دعمهما للوكالة . وليست هناك اسباب تدعونا للاعتقاد بامكانية تغيير موقفيهما لصالح زيادة مساهمتهما . على ان المسألة قد لا تقف عند هذا الحد ، فقد تقرر الدولتان او واحدة منهما على الاقل وخاصة الولايات المتحدة ، أن المردود السياسي لمساهمتهما لا يتناسب مع حجم هذه المساهمة ، فتقرر تخفيض او قطع هذه المساهمة . وهناك سوابق تشير الى هذا الاحتمال . ففي عام ١٩٦٦ طلب الكونغرس الاميركي قطع الاعاشة عن مجندي جيش التحرير الفلسطيني في غزة . وفي هذه الايام يثيرون مع الوكالة مجموعة من القضايا تتعلق بوجود المقاومة في المخيمات الفلسطينية . واذا عرفنا ان الابقاء على المستوى الحالي لمساهمتها في ميزانية الوكالة لن يمنع وجود عجز سوف يبلغ عن السنة القادمة حوالي عشرة ملايين دولار ، بسبب انخفاض الدولار وارتفاع أسعار القمح ، فكيف سيكون الوضع لو قررت الولايات المتحدة تخفيض او ايقاف مساهمتها كليا ؟

ان الطلب من منظمة التحرير الفلسطينية تحمل أي جزء من هذه المسؤوليات أمر غير وارد ، والسبب هو عدم وجود الامكانيات وليس « حقوق » الفلسطينيين على الامم المتحدة ، فقد تبينا ان الامم المتحدة ليست ملتزمة رسميا بشيء تجاه الفلسطينيين . ان التفكير بمصادر محلية وطنية لتمويل الخدمات الاساسية التي اعتادت الوكالة تقديمها للفلسطينيين وخاصة خدمات التعليم ، أمر لا يمكن تأجيله ، اذا أردنا حقا توفير أسس صحيحة لخوض صراع ظافر ضد كل عوامل التجزئة والتخلف والتبعية التي تعاني منها شعوبنا .

الكركدن المعاصر
دراسة حول توفيق صايغ

الدكتور عيسى بلاطه

يوم الاحد الواقع في الثالث من كانون الثاني عام ١٩٧١ كان توفيق صايغ في طريق عودته الى منزله في تمام العاشرة مساء من حفلة عشاء في منزل أحد زملائه في بيركلي من اعمال ولاية كاليفورنيه الاميركية . وما أن استقل المصعد الى شقته حتى فاجأه الموت داخله . وحين فتح باب المصعد صرخت فتاتان كانتا تنتظران المصعد فور مشاهدتهما توفيق وهو جالس بلا حراك وعيناه تلمعان وتعلو وجهه ابتسامة كأنــه في نشــوة الابتهاج . وتبع ذلك كله حركة غير عادية نقل على أثرها جثمان توفيق الى شقته ثم اعلن نبأ وفاته للعالم عبر وكالة اليونايتد برس انترناشيونال على النحو التالي :

« بيركلي ، كاليفورنيه ي. ب. أ. وجد توفيق صايغ ، وهو شاعر عربي مرمــوق ومحاضر في جامعة كاليفورنيه ورئيس تحرير مجلة « حوار » سابقا ، ميتا في شقته ليلة الاحد هنا ، وكان في السابعة والاربعين من عمره . وقد اعلن مكتب التحقيق في الوفيات ان وفاته كانت نتيجة ذبحة قلبية » .

ولد توفيق في اليوم الرابع عشر من كانون الاول من العام ١٩٢٣ في قرية خربة في حوران ، جنوب سوريه . ثم انتقلت اسرته الى فلسطين قبل أن يبلغ الثانية من عمره حيث حصلت على الجنسية الفلسطينية وكانت فلسطين انذاك في ظل الانتداب البريطاني. اما والده عبدالله فقد ولد في خربة الشعار قرب دمشق نحو العام ١٨٨٥ وتلقى علومه في مدرسة الفنون الانجيلية في صيدا . وولدت والدته عفيفة البتروني في العام ١٨٩٣ في البصة في شمالي فلسطين ودرست في المدرسة التي درس فيها زوجها . وفي العــام ١٩١٥ تزوج عبدالله من عفيفة . وكرس عبدالله قسيسا مشيخيا في العام ١٩٢٣ بعد تخرجه من كلية اللاهوت في القدس . وعاشا في البصة ثم رحلا الى طبرية في منطقة الجليل(١) .

نشأ توفيق وترعرع بين اشقاء خمسة وشقيقة واحدة وكان طفلا حساسا منطويــا على ذاته . تلقى علومه الابتدائية في طبرية ثم تخرج من الكلية العربية في القدس بدبلوم المترك الفلسطينية في العام ١٩٤٢ وانتقل بعد ذلك الى الجامعة الاميركية في بيروت حيث درس الادب العربي والانكليزي . وتخرج بدرجة بكالوريوس في الاداب في العام ١٩٤٦ ليعود في السنة ذاتها الى فلسطين حيث درّس في القدس خلال السنة الدراسية ١٩٤٦ — ١٩٤٧ . وفي هذه السنة كان الانتداب البريطاني على فلسطين يقارب على الانتهاء وبدات الفوضى في الانتشار في البلاد عندما كان العرب واليهود يســتعدون لانســحاب بريطانية من البلاد في أيار من العام ١٩٤٨ . وبدأ القتال بين الطرفين حتى قبل مغادرة القوات البريطانية البلاد واخذ المدنيون العرب غير المسلحين يبتعدون عــن مسارح القتال ويهجّرون بالقوة عن بيوتهم. وغادر توفيق القدس عائدا الى منزل والديه في طبرية

التي لم تكن بدورها في أمان . لقد كان الصهيونيون على الرغم من كونهم اقل عددا من انفلسطينيين العرب أكثر وافضل منهم عدة وأحسن تنظيما بحيث تركت نجـــاحاتهم العسكرية أملا ضئيلا للمدنيين العرب العزل من السلاح بأن يشعروا بالامان . ثم وقعت مذبحة دير ياسين الرهيبة التي جرى الاعلام عنها بطريقة مقصودة ترمي الـى نشر الرعب في قلوب المدنيين العزل . وقد سقط ضحية هذه المذبحة ٢٥٤ مدنيا عربيا — من الرجال والنساء والاطفال — في التاسع من نيسان ١٩٤٨ . وارتكب الصهيونيون اعمالا وحشية مماثلة اثارت الهلع في النفوس وأدت الى الفرار الجماعي من البلاد طلبا للسلامة بحيث اخليت البلاد تقريبا وأعلن قيام اسرائيل .

وقررت عائلة صايغ مغادرة بيتها في طبرية مثل الاف الناس الاخرين ، وانتهى بها الامر في لبنان فاقامت في بيروت حيث درّس توفيق لفترة من الزمن الادب العربي في الجامعة الاميركية في بيروت ورئس تحرير « صوت المرأة » التي كانت تصدر في بيروت باللغـــة العربية عن الاتحاد النسائي اللبناني . ثم أصبح بعد ذلك مديرا لمكتبـــة مركز الاعـــلام الاميركي في بيروت .

وحاز توفيق في العام ١٩٥١ على منحة مؤسسة روكفلر لدراسة الادب المقـــارن في جامعة هارفارد . ثم نال في العام ١٩٥٢ منحة من المجلس الثقافي البريطاني لدراسة الادب في جامعة اكسفورد . وفي السنة الدراسية ١٩٥٣ — ١٩٥٤ تابع الدراسات العليا في الادب في جامعة كامبردج منهيا على حد قوله «ثلاث سنوات من الحج الادبي». وبعد ذلك عين أستاذا للدراسات المشرقية في جامعة كامبردج لينتقل منها في العـــام ١٩٥٩ الى جامعة لندن كمحاضر في الادب العربي حيث بقي في هذا المنصب حتى العام ١٩٦٢ .

وفي العام ١٩٦٢ نفسه عاد الى بيروت ليرئس مجلة « حوار » منذ بدايتها حتـــى نهايتها في العام ١٩٦٧ ، وكانت تجربة أثرت في نفسه كثيرا ما لبث بعدها أن ذهب الى الولايات المتحدة في خريف العام ١٩٦٧ حيث قضى نحو سنة جولة يحاضر فيها فـــي الجامعات الاميركية مثل جامعة برنستون حيث القى سلسلة محاضرات امتدت على مدى ستة أسابيع حول الشعر العربي المعاصر . وعين في خريف العام ١٩٦٨ محاضرا في قسم لغات الشرق الادنى والادب المقارن في جامعة بيركلي في كاليفورنيه ، وبقي فيها الى ان وافته المنية في كانون الثاني من العام ١٩٧١ .

لم ينشر توفيق صايغ شيئا بعد سفره الى الولايات المتحدة عدا ترجمته العربيـــة لرباعيات ت. س. اليوت . وقد صدرت في بيروت في العام ١٩٧٠ اثناء زيارة توفيق بيروت لهذا الغرض في ذلك العام . لكنه كان قد بدأ ترجمة هذا الكتاب في العام ١٩٦١ والعام ١٩٦٢ عندما كان لا يزال في لندن ، ثم نشرها مسلسلا في مجلة « أصوات » الفصلية الصادرة بالعربية في لندن وقد قدم للمسلسل بدراسة نقدية ممتازة . ولكن اوراق توفيق الخاصة لم تكن في المتناول اذ جمعها في شقته ومن مكتبه في بيركلي اخوه الدكتور فايز صايغ . ولا تزال عائلته تدرس تلك الأوراق قبل السماح بنشرها . ومع ان توفيق احاط نفسه بستار من الصمت الا انني اعلم انه كان يكتب نوعا من المذكرات الشعرية او بالحري سيرته الذاتية شعرا كما يراه الاخرون .

ولكن توفيق خلف وراءه عددا من اعماله المنشورة اكسبته مكانة في عـــالم الادب العربي المعاصر ، وهي مكانة لا تزال موضع نقاش : فالتقليديون ينكرون عليـــه هذه المكانة انكارا شديدا ، أما الطليعيون فيعترفون له بتلك المكانة بصورة رئيسية . ولقد استوحى توفيق صوغ أفكاره من القيم الثقافية الغربية أكثر مما استوحاه من القيـــم العربية التقليدية . هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية جاءت معاناته الروحية واهتماماته

الماورائية نتيجة لكونه مسيحيا منغمسا انغماسا شديدا بمسائل لاهوتية حول علاقة الخالق بالمخلوق . وهاتان الناحيتان لا تجدان بسهولة صدى في نفس القارىء العربي المسلم أو حتى المسيحي ما لم يكن قد تعرف الى هذه المسائل وتمرس بها . أضف الى ذلك ان رؤياه الشخصية جدا ، مصاغة بأسلوب شخصي جدا ومفردات شخصية جدا أيضا ، لا تجعل من آثاره رائجة وشائعة او سهلة الفهم والتذوق بين القراء . الا انني اعتقد ان العمق والاصالة والاخلاص والشجاعة لدى توفيق كشاعر تحدى التقليد ستجعل منه انسانا معروفا على نطاق واسع ولو متأخرا .

بدأ توفيق ينظم الشعر في اواخر الاربعينات ونشر بعضا من شعره في مجلة «صوت المرأة» التي رأس تحريرها لفترة قصيرة في بيروت . واختار منذ البداية الشعر الحر وسيلة للتعبير عما يتأجج في نفسه . ومنذ البداية كان متمردا لانه عرف ان ما اراد ان يقوله لم يكن ممكنا احتواؤه في الصيغ القديمة . لقد جاء شعره نوعا متطرفا من الشعر العربي الحر الذي أخذ يظهر في الدوائر الادبية العربية في اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات ، ذلك ليس فقط لان الشعر الحر رفض كل المفاهيم الكلاسيكية حول الاوزان والقوافي بل أيضا لانه لم يقبل بالعروض الجديد الذي أخذ يشق طريقه في صفوف الشعراء العرب الشبان والذي يعتبر التفعيلة المنفردة الوحدة العروضية الاساسية في الشعر ، ذلك مقابل التفعيلة المتعددة (البحر) في بيت الشعر العربي الكلاسيكي والتغيرات الحديثة التي دخلته . لقد كان شعر توفيق متحررا من جميع الاشكال الشعرية السابقة وخارجا على الوزن والقافية . لقد جاء شعره حرا ومنسابا ، ومتموجا رقراقا ، وغزيرا جارفا ، منسجما مع انسجام وتناغم الفكرة التي تنساب مع الكلمات التي تحملها محدثة جرسا موسيقيا جميل الايقاع . ان توفيق لا يعترف في شعره الا بذبذبات الجملة المنسابة مع نبض الفكرة .

القصيدة لدى توفيق هي كليا تعبير حر عن التجربة الانسانية ، هي تعبير يحمله الشاعر الى القارىء لا من أجل ان يتحسس التجربة بل بصورة رئيسية من أجل ان ينفث الشاعر قوة داخلية احدثت ألما في نفسه فأحس به وكأنه شحنة كهربائية تزداد قوة وتزيده ألما بازدياد قوتها وتزيده في أثناء انطلاقتها خلقا وابداعا شعريا . من الواضح ان مفهوم الشعر هذا لم يكن ليقبل قيود العروض التقليدية لانه لم يرض ان يكون مقيدا وملجما ويفقد بالتالي طبيعته . ان مفهوم الشعر هذا آمن بحرية الشاعر حرية تامة في التعبير عن رؤياه الذاتية وعالمه الخاص بلغة عربية معبرة جدا عن ذلك . لقد نظم قليلون من الشعراء شعرهم مثله في ضوء هذا المفهوم ومنهم جبرا ابراهيم جبرا وانسي الحاج ومحمد الماغوط ثم ادونيس . ان غالبية «أصحاب الشعر الحر» الاخرين اختاروا الاحتفاظ بالتفعيلة في نظم شعرهم كما احتفظوا أحيانا بنوع من القافية ، وانغمسوا انغماسا عميقا في شؤون امتهم العربية الاجتماعية ـ السياسية عندما كانت الامة العربية تمر في مرحلة مضطربة اضطرابا عظيما بشأن التغيير وأزمة الهوية في منتصف القرن . وقد كان شعرهم ، الذي تعرض لهجوم العناصر المحافظة في المجتمع ، ملتزما بقضية الجماهير ومتبنيا مواقف ايديولوجية ماركسية او متمسكا بمبادىء الواقعية الاشتراكية .

أما توفيق صايغ فلم يكن ملتزما الا برؤياه الشخصية ولم يتمسك بغير مبدأ الحرية الفردية في تعبير جمالي . ومن هذه الناحية يمكن اعتباره من أكثر المتمردين تطرفا في الشعر العربي الحديث ، ولذلك قد يكون واحدا من العرب القلائل الذين فهموا معنى « الحديث » وليس فقط معنى « المعاصر » في مجال الابداع الفني في القرن العشرين(٣) .

ترك توفيق صايغ ثلاث مجموعات شعرية نشرت جميعها في بيروت . اولها «ثلاثون قصيدة»(٣) صدرت في العام ١٩٥٤ . وثانيها « القصيدة ك »(٤) ونشرت في العام ١٩٦٠. والثالثة هي « معلقة توفيق صايغ »(٥) وصدرت في العام ١٩٦٣ . ثم نشر توفيق بعد ذلك قصائد اخرى في المجلات ولكنها لم تجمع بعد ، كان اخرها مجموعة من قصائد الحب بعنوان « أيضا وايضا » نشرت في اخر عدد من اعداد مجلة « حوار » في اذار ـــ نيسان ١٩٦٧(٦).

ركز توفيق في جميع اعماله الشعرية على ثلاثة جوانب رئيسية في وعيـــه الشعري يوحدها موضوع واحد : تلك الجوانب هي الوطن والحبيبة والخالق ، وذلك الموضوع هو الحب . الا انه لحظة ما يصل الشاعر الى ذروة الاحساس وقمة الوعي واسمى درجات رقة الشعور تتداخل الجوانب الثلاثة معا وقد تفهم القصيدة عندهـــا علـــى مستويين او حتى ثلاثة مستويات من المعنى بالقدر نفسه . ويصير موضوع الحب الذي يعم شعر توفيق عميقا لدرجة يتحول معها من عاطفة متأججة الى كراهية ظاهرية .

وفي خضم هذا الحب الشديد يظهر الوطن وكأنه موضع كراهية بسبب تأخره مقابل ماضيه المجيد ، كما يظهر وكأنه موضع انتقاد وتأنيب بسبب خضوعه للزعامة المستبدة وتعهيره للمثل السامية . ومن اعماق هذا الحب الشديد ايضا ينظر الى حبيبته القاسية وكأنها حاملة العذاب والموت ، ويرى في رغباتها الجسدية وشهوانيتها خطيئة قاتلة لا بد من تجنبها . ومن حرارة هذا الحب ايضا نظر اخيرا الى الله وكأنه «حارس السماء» الذي يتبع الشاعر بلا كلل مراقبا ضعفه وخطيئته .

لذلك قد يكون من الانسب القول ان الموضوع الرئيسي الذي يدور حوله شعر توفيق هو الاغتراب : الاغتراب تجاه الوطن والاغتراب تجاه الحبيبة والاغتراب تجاه الله . يصح قول ذلك اذا ما فهمنا ان اغتراب الشاعر أمر لا خلاص منه ، مبعثه الحب الذي يراه الشاعر مشوها تشويها مأساويا ، ومحطما تحطيما مستمرا بواسطة ظـــرف الانسان او ضعفه ، وسببا دائما للمعاناة ؛ لذلك فان شعر توفيق هو صرخة متألمة تعبر عن وضع الانسان وتستحق الاهتمام والانتباه لانها تلقي ضوءا على روح الانسان في القرن العشرين .

لنتناول الجوانب الثلاثة الان بشيء من التفصيل .

الوطن : فلسطين هي الوطن الذي نشأ فيه توفيق طفلا وترعرع شابا . ان بحيرة طبريه والناصرة وجبل تابور والمجدل وبيت عنيا والقدس وبيت لحم كانت بالنســـبة لتوفيق أكثر من اسماء لاماكن على الخارطة وأكثر من ذكريات ورد اسمها في الكتاب المقدس وفي «مدرسة الاحد». تلك أجزاء من كينونته عملت على تكوين ذاته الواعية وغير الواعية التي عبر عنها في شعره فيما بعد . لقد أحب وطنه وتذكر اللحظة الحزينة التي طرد فيها من وطنه في العام ١٩٤٨ . ان صور تلك اللحظة المأساوية تتردد كلما نظر الى الوراء الى حياته المضطربة في « معلقته » التي نظمها في العام ١٩٦١ . يقول توفيق :

حياتي تلاحق نار ونار ، / زماني أؤرخه بالنار ، / تشحط وتأكل ، / تشحذ السيوف .

ثم يقول بعد رجوعه من القدس الى طبريه :

هربا من النار جئنا الماء . / من رفسة بالظهر الى / ذراعين في انفتاح . / هربا من النار المدنسة / جئنا المياه المقدسة ، / تضرب حيطان بيتنا / نشربها بلا تصفية . / يسوع الشيخ / عاد فتيا بلاعبني ، / اله الصلوات الطوال البعيد / انتشلني لدياره / جعلها دياري .

أما عن لجوئه الى لبنان فيقول في مكان اخر من القصيدة ذاتها :

ويوم ارتكضنا شمالا / كما كنا ارتكضنا لجنوب / وتركنا المياه المقدسة / بلوثها المغتصبون / بلوثها أكثر الاخصياء .

...

يوم تركنا الديار / ولم نحمل معنا / سوى الذكريات ، والمخاوف والمفاشل ، / وقام بين الديار وبيننا / سيف مديد عنيد .

...

عرفت ان عهد التيه استهل / ولا بعد أمان، / ان كل قطر معاد / وكل بحر قد نشف / وكل خيط قد انقطع.

وفي قصيدة سابقة (القصيدة الرابعة عشرة في «القصيدة ك») يتذكر توفيق بيته الذي بقي وراءه في وطنه ويندب وضعه الحالي منفيا ولاجئا فيقول :

تشققت قدماي أبلاني العراء . / ومقاعد الباركات تركت / ترب أضلعي أضلعا جددا . / نظر لي الشرطة شزرا / وتجرجرت من مكان لمكان ، / معدما ، الا / من ذكريات طوال النهار لمنزل / كان لي بالامس / بالامس وحسب ، / وفي العشايا / من رؤى / لسكناي فيه من جديد ، / توقظني / لاهجا (لا أغفر) / بمن (لاأستطيع اللعن) / شردني .

لا يحصر توفيق نفسه هنا ، كما في كثير من قصائده ، ضمن حدود المعنى الظاهر للنفي المـــادي من فلسطين . فعلى الرغم من انه قد يتكلم عن اللاجئين العـــــرب الفلسطينيين ولاجئي الشعوب المقهورة الاخرى في القرن العشرين المتميز بظاهرة اللجوء فانه يمكننا فهم قصيدة توفيق بمعنى اخر . فهو يتحدث من الناحية الرمزية عن الانسان الحديث الذي كتب تاريخه بالنار والذي تطارده قوى الشر من المياه المقدسة ليحيا في منفى عن الله . فهو يعاني في تلهفه للعودة الى يسوع الشاب الذي يحمله الى وطنه الالهـــي .

ويجد سعي الانسان الحديث الى الخلاص الروحي في ملكوت الله صورته في قصيدة رمزية اخرى هي القصيدة رقم ٢٤ من مجموعة « القصيدة ك » حيث يفقد الشاعر ، وهو المسافر بدون جواز سفر، الامل في دخول ملكوت الله أبدا مثلما فقد الامل اطلاقا بالعودة الى فلسطين المحتلة . انه يشعر نفسه وكأنه على ظهر سفينة ترسو في ميناء بعد اخر دون ان يسمح له بالنزول على ظهرها لانه لا يملك جواز سفر. ينزل مسافرون ويصعد اخرون وهو يبقى على متن السفينة يمنعه باستمرار عملاق من النزول في ميناء وجهته. وتأتي لحظة ينادي عندها بصوت حزين شجي :

« أوراقي سليمة / في كل جيب شهادة ، / لماذا لم يصدروا لي جوازي ؟ / ماذا وشى بي ؟ من وشى ؟ / ما تهمتي / فأدفع تهمتي ؟ / وليس في اليم سفارات » . / « وما سفارتك ؟ » / « كنت أعرفها / أرتادها في كل مناسبة : / نسيت نسيت / ما سفارتي » .

لم يكن شعر توفيق بشأن الوطن شعرا حماسيا انفعاليا في لهجته ، وذلك على عكس الكثير مما نشر من الشعر في هذا الوقت . وبما ان الوطن في شعر توفيق لـــم يكـــن محدودا ضمن مفهوم جغرافي فانه شمل الثقافة والحضارة العربية ككل . لقد أحزنه حزنا شديدا وحز في نفسه ان يرى العالم العربي يتلكأ خلف الامم الاخرى وينقسم على نفسه ويهدر طاقاته او يخضع لحكم يحرم الفرد من حريته التي هو بحاجة ماسة اليها اذا كان ليساهم في بناء وطن عربي حديث . ونظر توفيق الى الامجاد العربية الغابرة فصعب عليه ان يصدق انهم وصلوا الى الحالة المتدنية التي هم فيها الان . ولكنه يعكس اعتقاده بذلك ليقول في مجموعته « ثلاثون قصيدة » قصيدة بعنوان « نشيد وطني » :

أحقا عرفت صبيا / وحقا أثار الفتنة / اصطخاب ردفيك في الشباب ؟ / أحقا تراست المنتدى / وكرست

أعدادها لنساتينك / مجلات الموض ! / لا أصدق ؛ / أحقا قلبت زوجك زعيما وهدى / وبنى لك زوجك معلقات ، / يا بلادي !

أحقا فناك باجلال / من كان بحرقة غناك / وحقا حدوت الخيل / وساقها بنوك لبعيد المراعي / وما فتحت فاها لتضم / وفتحته لصهيل كترنيم مآذن ! / لا أصدق / لا أصدق يا بلادي .

لا لانك شخت : / ففي اغبرار الذوائب وقار / وللتجاعيد فعل قصر عنه الغضوض . / ولا لانك انزويت : / لو أنك اذ تنحت الاضواء عنك / احتضنت المعاهد / او افتتحت المياتم او جمعت التبرعات . / لا يا بلادي : / وكنت اذا لأهواك / وأغني جمالا يتدرج وما يزول ، / وكنت اذا أزورك / وأحرم اذ أزور .

لكنك تكللت مع المشيب بالهوان / ونفضت عنك ذكرى زوجك والشباب / كأنهما غبار على جسمك المعفر . / لكنك أخصيت بنيك / ورأيتهم طأطأوا الرأس لذكراك . / وتمرغت مع هذا وذاك من منحرفي الميول / (وكيف أصدق ما يقال عن ماضيك / يا بلادي / أنا الذي رأيت بيتك وأضواءه الخافتة !) / واما أشاح عنك العاشقون / قودت لبناتك / يا بلادي / يا بلادي .

علق توفيق امالا كبارا على امته العربية من المحيط الى الخليج . لكنه تألم وحزن لما رأى القيادة لا تتخذ الخطوات التي اعتبرها الخطوات الصحيحة المؤدية الى تحسين مصير الجماهير . كما أحزنه ايضا ان يرى الجماهير ، وقد فقدت ارادتها تقريبا ، لقد كان توفيق ليبراليا ومفكرا متمردا في وطن رآه يتجه نحو فرض القيود من شتى الانواع ونحو القبول بقيم اعتقد انها تبقي على حالة التخلف . لكنه لم يكن سياسيا ولم يحب السياسة . فهو يقول في القصيدة السادسة والعشرين من مجموعته «ثلاثون قصيدة»:

« رحماك زعيمي ! » / وتبلت أسفل القضبان . / ورماني بضحكة وقال : / « غن ، أكسر القضبان » . / وتنحنحت ، أستجر النديب / أستجر الرجاء . / وغنيت وغنيت ، / وتراقص الصوت / ولم توقع له حنجرة ، / وغنيت وطيبت لي . / وانتهى الي صوت بعيد : / « كفى ! » / قلت : « ابتعد ايها الشيطان » . / والح : « جئت بالمطرقة » ، / قلت : « بلى ، ولكن / لست ارى القضبان » .

وهكذا يجد توفيق الحرية في الشعر تلك الحرية التي يرى ان مجتمعه يفتقد اليها . ومن خلال الشعر يأمل ان يحول بني قومه ، لا من خلال السياسة . ولقد كان التوجه الرئيسي لمجلته « حوار » لدى عودته الى الشرق الاوسط في العام ١٩٦٢ بعد غياب دام سنوات في اميركه وبريطانيه هو خلق مناخ للمناقشة والحرية الفكرية . ولذلك سميت « حوار » . وفي الافتتاحية الوحيدة التي كتبها لمجلة « حوار » قال :

ونحن نؤمن ان المثقف العربي ، كاتبا كان أو قارئا ، فنانا أو أديبا أو مفكرا ، لا يعيش كما ينبغي أن يعيش الا ان تيسر له مناخ الحرية ، شأنه بذلك شأن المثقف في أي بلد آخر . ونؤمن ان المثقف في تعطش دائم الى مزيد من هذه الحرية ، اللازمة له أكثر من لزومها لاي سواه من أفراد المجتمع ، وان مجتمعات العصر الحديث لم تحقق في مجالات الحرية ما حققته في مجالات العلم والتقدم والحضارة .

لذا فان « حوار » ستعنى عناية خاصة بقضايا الحريات ، وعلى رأسها حرية الثقافة ، حرية التفكير والتعبير والقول والقراءة ، في العالم كله . ستدعو اليها ، وتتنبه لها ، وتدافع عنها ، وتقيم المذاهب والنظم على أساس تبني هذه للحريات او تنكرها لها .

لقد حقق توفيق في اثناء اصداره مجلة « حوار » المثل التي أعلن عنهـا في تلـك الافتتاحية ولكنه ما لبث ان اصيب بخيبة أمل ومرارة ادت في النهاية الى اغلاق «حوار». وفي قصائد الحب « أيضا وايضا » التي حملها اخر اعداد « حوار » مقطوعة يعبر فيها عن حبه للوطن بعد مرارته وخيبة امله ورفضه بقوله(٧):

في سني النفي / أنستني النفي ، / ساعة ساعتين في النهار ، / حفنة من تراب / رافقتني بتجوالي / غير ذات ثقل . / بعدت عن ارضي / حملت ارضي الي . / داعبتها لاعبتها / كحبيبة كمسبحة . / حمتني شددتني / شدتني للارض ، أرضي ، / علمت قدمي التقدم للوراء .

نثرتها في الهواء ، ذريتها ، / هواء وطني الخانق ، / تدمتها ذبيحتي / لا نباتا لا حياة / في اللحظة الاولى / في بلادي . / على وجهي ارتميت .

أرضي بوار ، / مدنها صوامت ، / هجرتها العقبان حتى ، / أشجارها اجتثت ، / ترابها وحل وبراز . / ليست لي الارض هذي / لم أرها فيما مضى ، / قلبي بعيد / تجد قدماي في لحاقه .

تسعيان للمنفى ، من جديد ؟ / تسعيان للمنفى . / أرضي لم تكن ارضي / التي عدت أمس اليها : / حفنة تراب / فقدتها / أرضي .

وهنا يظهر اغتراب الشاعر تجاه وطنه اغترابا كاملا . فهنا الحب الذي يبدو وكأنه استحال كراهية ومهد الطريق للمنفى الجسدي الاختياري . ولكن توفيق كان قبل ذلك منفيا وسط شعبه . فوطنه فلسطين كان صعب المنال وكذا كان مثاله . لقد كان مصيره ان يعيش منفيا الى الابد .

الحبيبة : ان المراة بالنسبة له ، مع انها مصدر شعري ، لم تكن مبعث حب رومنطيقي بل مبعث حب ساحق ومعذب جدا وربما أيضا مصدر خطيئة أنهكه الى حد الموت .

لقد استوحى ثلث قصائد مجموعته « ثلاثون قصيدة » من الحبيبة . الا اننا لا نعلم من هي تلك الحبيبة أو ما اذا كانت هي حبيبة من حبيبات . اننا نقرأ في قصيدته السادسة عشرة عن حب جميل وقصير الاجل :

كالبرقة في منتصف ليل شتوي / ومضت ، / كالبرقة لمعانا وخطفا ، / لا رائدة غيث ولا بشرى ربيع . / لمعت ، ولمع الافق ، / واختفيت أبدا ، وكأن ما كان ما كان .

عرفتك / وأنا اناء من الزهر خلو ، / فكنت الزهر : لكن ما كان أسرع ما فني ، / وأنا ديوان ليس فيه شعر ، / فكنت الشعر : لكن ما كان أقصر غمرته ، / وأنا هيكل غاب عنه القدس ، فكنت القدس : / قدسا واشتهيتك .

وغبت وغبت ، / واستكان القلب ، من غير هدوء / وارتمى الفكر ، من غير سنة ، / ولكن أحقا أتيت ؟ / وحقا كنت ؟ / وكنت ؟

وفي قصائد حب أخرى من المجموعة ذاتها نرى سعادة وبهجة طفولية، نظرات عفيفة، عيون مثل بحيرات زرقاء تبعث في النفس رغبة في السباحة فيها . ثم نسمع توفيق يتحدث عن « نقص حفي أليم » في حبه « الى أن انزاح الستار الاخير » . ويقول بعد أن يتحدث عن الازدراء والخيانة والهجر :

كذا يكون الرحيل : / مطهر اماني وارتياب / فرعشة نعيم / تمحي في جحيم سرمدي ؟

اما في قصائده (في المجموعة ذاتها) التي يخاطب فيها الله فاننا نسمع صوت خاطىء تائب أحيانا ومتمرد أحيانا أخرى . الا أننا لا نعلم ما هي خطيئته ولكننا نراه يبحث في القصيدة الاولى في مجموعته « ثلاثون قصيدة » عـــن « الملذات » في الظلام ثم يعترف بقوله :

في لحظات الذرى رأيت الهاوية ، / ومع نشيق العطور تنشقت الحنوط .

ثم يتساءل توفيق :

أأنا الملوم / اذا استدار القفل ولم يتدحرج المفتاح / الا في منزل على جبين ربته / وصمة كوصمتي ؟

الا أن الشاعر يواجهنا في « القصيدة ك » التي صدرت في العام ١٩٦٠ بنوع آخر من الحب ، وانني أعتقد ان هناك حبيبة أخرى . الا ان ثلاثا فقط مـــن الخمس وعشرين قصيدة التي تضمها هذه المجموعة مستوحاة مباشرة من الحبيبة ولكن تأثيرها يسير بقوة في كل القصائد الاخرى . وربما كان ذلك سبب اطلاق اسم « القصيدة ك » على هذه

المجموعة الشعرية اذ أن « ك » يشير الى اسم الحبيبة دون ذكرها . لم يذكر توفيق قط اسم تلك الحبيبة بل اكتفى بالاشارة اليها فيما بعد بالحرف الانكليزي «K» في « معلقته ».

من هي « كاي » ؟ ان أحد المصادر القليلة عنها هو جبرا ابراهيم جبرا ، صديق توفيق ، والشاعر والروائي وكاتب القصة القصيرة والناقد الادبي والرسام العربي الفلسطيني . وجبرا يكبر توفيق بثلاث سنوات وكان قد تعرف اليه في الكلية العربية في القدس حيث درسا في العام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ . وتخرج جبرا من جامعة كيمبردج ثم درّس في فلسطين والعراق مدة من الزمن ليعود في العام ١٩٥٢ لمتابعة الدراسات العليا في جامعة هارفرد حيث عاد فالتقى توفيق وتعرف اليه جديدا . وبعد ذلك عمل جبرا مديرا للشؤون الثقافية في شركة نفط العراق في بغداد ولا زال يحتفظ بمنصبه حتى الان ، وهو منصب أتاح له السفر لمدة خمسة أو ستة أسابيع سنويا الى لندن حيث التقى مرة أخرى توفيق الذي كان يدرس في كيمبردج وبعدها في جامعة لندن . والتقى الاثنان باستمرار في لبنان حيث كان توفيق يقضي صيفه . وكان تبادل الرسائل بينهما مستمرا . يقول جبرا(٨): « كانت كاي تغويه وتعذبه معا ، وتتقن كلا الفنين وتتمتع بهما . ما رأيته في لندن في أواخر الخمسينات ، الا وهو في تباريح غريبة من هذه الفتاة — وهي فنانة تقيم في لندن ، تتشبث به وتغار عليه ، وتعقد عليه لذة الحب بلذائذ من قسوتها السادية لا يستطيع منها فكاكا . تغار عليه حتى من أصدقائه ، فلا تريده أن يراهم ، ولا تريد هي أن تراهم . أسماء صحبه لديها تعاويذ شريرة . يأتيني منهكا ، شاحب الوجه ، محروم النوم ، مهووسا برعب هذا الحب اللذيذ المرير » .

اما المصدر الآخر لمعلوماتنا عن كاي فهو الكاتب والناقد الادبي السوري الاصل رياض نجيب الريس الذي كان يقيم في كيمبردج في العام ١٩٥٦ حيث كان توفيق يدرس. يقول الريس(٩): « لكن « كاي » كانت الهاجس الذي كان يأخذ توفيق صايغ منا كل جمعة في كيمبردج ولا يعيده الينا من لندن الا ليل الاثنين . وكان يعود متعبا منها ، حتى قضت على وتر الحيوية فيه ، فأعطى كل هذا الالم والكثير من ذلك الشعر . وعندما انتقل الى لندن استاذا في جامعتها ، كانت « كاي » بدأت تختفي من حياته ، الا أن عذابه بغرامها تصاعد حتى استوى على وتيرة واحدة من الالم ، اعتادها » .

يتضح من هذه المعلومات الضئيلة ان ذلك كان نوعا غير عادي من الحب . « فكاي » هي تلك الحبيبة السادية التي تحب أن تمتلك حبيبها وتوفيق هو ذلك الحبيب المطيع وربما الماسوكي . ربما كان توفيق مستمتعا بهذه العلاقة الى حد ما . الا انه يبدو بالرغم من ذلك أنه لم يكن سعيدا بهذه العلاقة وثار عليها أخيرا وأنهاها . ثم حاول أن يحرر نفسه من العذاب الناتج عن ذلك عن طريق التعبير المتألم عن تجربة حبه في تلك القصائد التي تضمها مجموعة « القصيدة ك » . لا بد ان عذابه كان عظيما اذ اعترف لجبرا في لندن انه كان يفكر في احدى ليالي ربيع العام ١٩٦٠ بالانتحار . فحاول جبرا جهده اقناع توفيق بالعدول عن مثل هذا العمل الجنوني ودعاه الى مأدبة طعام وشراب سخية في فندق بيرنر على شارع اكسفورد حيث كان يأمل اقناعه بعدم الانتحار عن طريق المنطق والحس المدرك(١٠). ولا بد ان يكون جهد جبرا قد آتى ثماره فساعد توفيق على التغلب على أزمته وربما لا على رغبته الخفية في الموت ، اذ قال توفيق في مقالة غريبة كتبها فيما بعد بعنوان « أنا .. توفيق صايغ » متذكرا « كاي » وأمه أيضا التي توفيت في العام ١٩٥٠(١١):

مرتين ، في ١٩٥٠ وفي ١٩٦٠ ، كنت على وشك الانتحار دفعة واحدة . آنذاك اجتزت احدى أزمتين في حياتي (لا تضاهيهما الا أزمة الولادة) . في احداهما أقصيت عن النعيم ، وفي الاخرى عن الجحيم ، يتحدثون

عن فاجعة الفردوس المفقود : الفاجعة لا في أنه الفردوس الذي فقد ، بل في الفقدان ذاته ، لفردوس كان أو لنار . في ١٩٥٠ و ١٩٦٠ لم يكن الجبن الذي صدني ، اخيرا ، عن الانتحار .

ولماذا لا أنتحر مرة واحدة ؟ ألم ... تكتشف ان في من (من ماذا ؟ أجل قلها : من النرطقة ، من الماسوكية ، من الانحراف ؟) ما يجعلني استمرىء الانتحار التدريجي البطيء ، أتلذذ ، أتمتع به ، ارتمي عليه ارتماء الرضيع على ثديي ماردة ، والمحب على حبيبة ــ أنعى ، فلا أود ان استعجل الشبع الكافي ، ولا اللذعة ، المرهقة ــ المريحة ، الحاسمة ؟

حاولت « كاي » العودة اليه ، لكنه قاومها رغم تهديدها له بالقتل او التشويه . الا ان قلبه لم يسترجع سلامه . ففي القصيدة الثانية عشرة من « القصيدة ك » يتذكر كيف كان ولهان بحب « كاي » ومستعداً لاعطائها قلبه ثم يجدها تغدر به :

خليا كنت ، / بريئة ارضي . / أجئت تعيدين علي / مأساة بلادي ؟ / فتحت ، فتحت لك أعماقي / واعطيتك الشط والتلال / وحملت التربة الحية بكف / نبشتها لك من الاقاصي / والماء بكف ، / وقلت لخضرة واحتيك اليوم / وخضرة أرضي غدا / وللمدارس والمعابد والمصحات / والزورق الذي جاء على زرقة البحر / وكأنه جاء على زرقة السماء . / لو عرفت لو عرفت ، / وكيف يعرف زارع الزيتون والعنب / نن القتال ، / كيف يعرف عاصر الزيت والنبيذ / معنى للقتال ؟ / واقصى أقصى ما علمتني الذكرى / جيشان يقتتلان بأرض ثالث / أو بلد يخرب الديار ويجلو / وينقى بعده الدم وتشمخ المباني ، / ولم تعلمني عن بلد / يخرب ويعمر لذاته / ويجلي ولا يجلو .

يلاحظ في هذه القصيدة أن الوطن والحبيبة يندمجان مع اشتداد حبه . ان المستوطنين الصهيونيين في فلسطين الذين أعطوا الساحل والتلال ليطــردوا في النهايـــة العرب الفلسطينيين ترتسم صورتهم في وعي الشاعر عندما تصبح حبيبته أمرأة غازية بعد أن فتح لها أعماق أعماقه . ان حبه لهذه المرأة هو في وعيه نقيض حبه لامه : ان حب «كاي» مهلك اما حب امه فهو دافق ، الاول جحيم والثاني نعيم . لقد ظن ان بامكانه احلال احدهما محل الآخر ولكن كانت الفرصة قد فاتته عندما اكتشف انهما متصارعان وانه هو حلبة الصراع .

ان هذه الافكار ومشاعر الشاعر الدينية تجاه الخطيئة ونفيه من وطنه واغترابه في المدنية الحديثة شكلت مادة أعظم قصائده وهي تلك التي نشرت تحت عنوان « القصيدة الاخيرة » في العدد العشرين من مجلة « شعر » في العام ١٩٦١ والتي نشرت منفصلة في كتاب في العام ١٩٦٣ بعنوان : « معلقة توفيق صايغ » .

يصور الشاعر بايجاز في هذه القصيدة تجربته في الحياة وذلك في أجزاء أربعة مثل حركات السيمفونية الاربع ويرى في مكان آخر من القصيدة في امه و K مريمين فيقول :

سيفا النار لا يتعبان / يترنحان ولا يهويان / من يد المريمين : / مريم الاحزان ومريم الاحزان ، / مريم الهدوء ومريم الصخب ، / مريم الفرس والعناية / وميناء السلامة ومسح الجبين / ومريم المطرقة والفأس / وبذر البثور / والاظفار تغرز في الحبيب قبل الغريم / والذات قبل الحبيب ، / مريم البذل والوقاية / ومريم تطلب كل يوم ضحية ، / مريم القلب ومريم الجسد ، / مريم الاحزان ومريم الاحزان ، / مريم الحب ومريم الحب ، / مريمين ، مريم .

وبعد صلب الحب هذا يشطح الشاعر « جثته » مــن مكان لمكان متمتمـــا صلوات قدسيتها ليقول في النهاية :

وأرفع يدي / وقلبي وفمي : / « أعني . أعني » .

انه يسعى وراء عون يسوع لانه بحاجة اليه ، فهو معلق بين الحياة والموت .

الخالق : وننتقل الى موضوع الله عند توفيق لنجده معرّفا حسب الظرف فهو يسوع

حينا والله حينا آخر مع ان الشاعر لا يذكر أيا منهما عادة . وهو يخاطب الله في معظم قصائده الدينية على شكل محادثة معه ، وهذا يصل احيانا درجة السخرية المهينة ، اذ يسخر الشاعر من ضعف الله او يعجب لعدم تحركه ويصل أحيانا الغضب عليه لانه ينظر نظرة ارتياح الى ضعف الشاعر وهو يتلوى ألما وشعورا بالذنب. ويتساءل الشاعر عن قيمة خلاص الانسان اذا ترك هذا الانسان بلا مساعدة .

ليس معنى ذلك ان الشاعر لا يؤمن بحاجته هو شخصيا للخلاص . بل هو ، على العكس، يشعر نفسه منجرا باستمرار بعيدا عن الله وأنه بحاجة الى يد يسوع تنتشله. الا أن هذه اليد الممتدة لا يبدو له انها تمتلك القوة أو الارادة لانتشاله . انه يريد من الله أن يسعى اليه بلا انقطاع وان يحبه بلا فتور . يقول في القصيدة الاولى من مجموعته الشعرية « القصيدة ك » :

أكلما مسمر الوحل قدمي / وشلني الا يدين رفعتهما اليك / تمسمرت وشللت يديك / وطالبتني بالانبثاق بالارتقاء اليك ؟ / أكلما صرخت واستغثت / واكتسبت عطف من حواليك / عطفت لكنما اكتفيت / (يديك اريد بديك) / بتدلية حبل الي ؟

وعلى الرغم من حاجته لمحبة الله وعونه فانه يبحث عن وقت ومكان يكون فيهما حرا من الله وغير مراقب مراقبة دائبة . وهو يرغب في أن يستطيع اغمـــاض عينيه ليرى مشهدا لا يكون الله فيه « منتج الشريط والمخرج والممثل الوحيد » ، على حد قول توفيق.

يؤمن الشاعر بأن الله وهو يحتاج أحدهما الآخر وانهما في خطر السقوط عن الحافة. وهو بأن الله ميت في العصر الحديث بل انه ضعيف وغير قادر على الفعل . وهو يعجب كيف واجه المسيح الصلب بشجاعة ويتخلى الآن عن أتباعه . وفي رباعية بعنوان « أربع اغنيات لأحب » يتوسل الى المسيح ان « ينهض ويمزق الاكفان ويلون الوجنتين ويترك ديار الصقيع » ، ويطلب اليه الا يتركه يصبح ذبيحة اذا كان حقا يريد الرحمة لا الذبيحة. وينتظر مجيء المسيح الذي لا يصل أبدا ويتركه ينتظر :

ووعدتنا رجوعا قريبا كطرفة عين / محملا لنا بالعطايا . / وامتطيت صاروخا وئيدا لم يختبر بعد ، / وانطلق ، وانطلقت ، واختفيتما / كأن ما كان ما كانا .

...

علينا ان ننتظر ؟ / علينا ان ننتظر .

وينتظر الشاعر « في الغرفة المهجورة » ليأتيه « اللهب الموقظ ، وارتجاف الحمامة »، ينتظر لحظة النشوة الفريدة ليسمع رسول المسيح يقول ان سيده « مغلوب كايانا وفي عوز مثلنا وأسر وصحراء » .

يبدو لتوفيق ان الخلاص مستحيل وهو يعرف انه بحاجة للخلاص . ولكن السماء ، مثل وطن توفيق الضائع فلسطين لا يستطيع العودة اليها طالما هو على ظهر سفينة بلا جواز سفر :

اقتراب ، ولا دخول / وسعي ، ولا وصول : / بدونه لا دخول / ولا تحمله / فلا دخول .

ما هي هذه المرارة التي يعبر عنها الشاعر في قصائده الدينية ؟ هل ملحد ؟ كافر ؟ لو كان كذلك لما اعطى الله أو المسيح معظم نتاجه الشعري . انه المؤمن الذي يشك لانه يريد لايمانه الا يهتز ، مثل المحب المرتاب لانه يريد حبيبه أكثر صدقا ، أو مثل مقدم على الانتحار يريد العودة الى الحياة بنهم ولذة . يقول في رسالة الى صديقه جبرا بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٠ (١٢): « ان من يحمل الصليب ولكن يحب أبا أو أخا أو زوجة أكثر من المسيح فانه لا يحب المسيح . ولا مجال للمساومة » .

ان ايمانه العميق هو الذي يجعله يتعذب ويعاني خاصة عندما لا يجد الخلاص لانه يعتقد انه يقع اكثر فأكثر في الخطيئة . ويدرك انه يستحيل على الانسان ان يكون بلا خطية . فهو يصرخ صادقا(١٣):

الاحتك أبدا بدعائي ، / أكرره بدون رتابة : / وماذا علي ان خرقت طبلتيك / ولم تبق ما لم تخرقه في ؟

لا بد ان تكون قصيدته الطويلة « من الاعماق صرخت اليك يا موت » في « القصيدة ك » قد نظمت قبيل اعترافه لجبرا بنية الانتحار لديه . لم يكن فقدان فلسطين او فقدان امه وحبيبته « كاي » او السوء الذي لقيه وشعره في وسط المفكرين العرب او الجماهير العربية ، لم يكن ذلك مبعث رغبته في الموت كما لم يكن اعتقاده بأنه خاطىء او ان الانسان الحديث مصيره الهلاك ، انما مبعث تلك الرغبة هو نظرته الى الحياة ، تلك النظرة المأساوية هي التي تجعله يرى هذه الاشياء قاسية ومظلمة اكثر مما هي في نظر الاخرين . انه يرى نفسه :

مقعد ، ولا / أهل ولا / بيت حسدا ، / كسيح ولا مسيح(١٤).

ان الانسان الحديث في نظره محاصر بالشرور بأنواعها ، تحطمه وتفقده انسانيته . ومع ذلك لا يرى توفيق المسيح فاعلا في هذا العالم . انه يؤمن ان انتصار الشر على الانسان هو هزيمة لا للانسان وحده بل وللمسيح ايضا . لذلك يقول في نهاية معلقته :

لا تتركني أجف أنتهي / أنساق للعتمة ملوثا بعيدا عنك . / لا تدع الملك الكالح / يتعرى يغتصبني / ويدمغني بدمغته / لا ليقهرني / بل (الهي الهي) ليقهرك .

وهكذا نفهم توسله لله : « أعني . أعني » .

اي حديث عن صغر توفيق لا يكون تاما دون ذكر الكركدن ، ذلك الحيوان الاسطوري الجميل المعروف في الثقافة الغربية منذ القرن الثاني عشر . يظهر الكركدن في ميثولوجيا القرون الوسطى على انه حيوان قوي شرس يشبه الحصان وله قرن واحد في جبهته . وهو لا يمكن اخضاعه اذ يفضل الموت على الخضوع . يشتهر الكركدن بعفته وسعيه المستمر للحصول على عذراء عفيفة . وما ان يجدها حتى ينبهر بحضورها ويلقي برأسه في حضنها . والعذراء هي الطعم الذي يلقي به الصيادون أمامه . وما أن يستقر في حضنها حتى يمسكوه ويقتلوه . وتذهب الاسطورة الى ان قرنه العاجي يزيد من قوة الرجل الجنسية ويخفف من آلام الولادة عند المرأة ويزيل عن السم ميزة القتل . ويشبه الكركدن بالمسيح الذي رفع قرن الخلاص من أجل البشرية وعاش في رحم مريم العذراء.

نشر توفيق في العام ١٩٦٣ قصيدة طويلة تزيد عن اربعمئة سطر من الشعر الحر تحت عنوان : « بضعة أسئلة لاطرحها على الكركدن »(١٥)، ثم أعاد نشرها في معلقته . وكانت تلك آخر قصيدة رئيسية له قبل ان ينشر قصائد حبه « أيضا وايضا » في العام ١٩٦٧ . وبعد ذلك لم يصدر عنه شيء حتى وفاته .

قد تكون هذه القصيدة أغرب قصيدة في الادب العربي . يقيم توفيق فيها أوجه شبه بين أسطورة القرون الوسطى عن الكركدن وبين حياة المسيح ، وهو شخصيا ينسب نفسه الى الكركدن . ويبدو انه وجد اخيرا لنفسه الصورة المناسبة التي تتناسب ونظرته الى نفسه والى الحياة . فهو يسعى هنا وراء عذراء نادرة بتلهف حب افلاطوني ليجدها مصيدة أقامها له الصيادون . هي ترغب في الحب الجنسي والامومة والحياة . وهو لا يستطيع ان يقدم لها ذلك لانه اذا مات فيموت لوحده . واذا لم يمت كذلك فسيسقط على يد الصيادين . انه محاصر من جميع الجهات ولكنه يفضل ان يبقى صادقا لطبيعته :

يعطي الحب العفيف فقط ويلقى الموت مقابله . الا ان موت الكركدن يختلف عن موت المسيح . يقول توفيق مخاطبا الكركدن :

لاحقتها / كما لاحق المسيح الصليب ؟ / (تنشدان الفناء . / يفتى ليفدي / فالفناء موقت / والصليب الكسير / وتفنى لتفتدى / فموتك الموت الاخير) .

ان الرمزية في هذه القصيدة غنية يمكن فهمها بأكثر من معنى . حتى بدون الوضوح نشعر بأن العذراء في القصيدة ليست بالضرورة امراة عرفها الشاعر واحبها ، فهي قد تكون « كاي » او غيرها من اللواتي كن بعيدات عن مناله(١٦) ان العذراء تمثل فعلا بالنسبة للشاعر كل المثل والمبادىء التي يؤمن بها هو والتي ينكرها العالم . الا ان الشاعر يؤثر التمسك بحب ما يؤمن به حتى العذاب والموت على الخضوع للعالم والمساومة على مبادئه او مثله . ان خلاصه اذا يكمن في موته فقط .

هذا هو عالم توفيق صايغ الشاعر . وهو عالم ليس سهل الدخول او الفهم . وقد يكون عالمه شخصيا جدا حينا وخاصا جدا حينا آخر . الا ان الشاعر يريدنا ان نرى العام عبر الخاص . ولذلك فان شعره شهادة رهيبة على وضع الانسان في العالم الحديث(١٧) .

---

١ — المعلومات الشخصية حول عائلة صايغ وردتني من الدكتور أنيس صايغ في رسالة بعثها لي من بيروت بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٧١ .

٢ — أنظر غالي شكري ، **شعرنا الحديث ... الى أين ؟** القاهرة : دار المعارف ١٩٦٨ ، ص ٨٤ — ٨٩ .

٣ — **ثلاثون قصيدة** ، بيروت دار الشرق الجديد ١٩٥٤ .

٤ — **القصيدة ك** ، بيروت ، دار مجلة شعر ، ١٩٦٠ .

٥ — **معلقة توفيق صايغ** ، بيروت ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ١٩٦٣ .

٦ — ص ١٦٢ — ١٧٠ . لقد كتب توفيق الى جانب أعماله الشعرية كتاب عن جبران خليل جبران تحت عنوان « **أضواء جديدة على جبران** » صدر في بيروت في العام ١٩٦٦ ، والكتاب وضع على أساس دراسة أكثر من ٦٠٠ من الرسائل المتبادلة بين جبران وماري هاسكل بالاضافة الى مذكرات ماري الموجودة مع الرسائل في جامعة نورث كارولينا منذ العام ١٩٥٣ . وكتب توفيق عددا من المقالات الادبية في المجلات العربية .

٧ — « **حوار** » ، العددان ٢٦ — ٢٧ ، بيروت : آذار — نيسان ١٩٦٧ ، ص ١٦٣ — ١٦٤ .

٨ — « **شؤون فلسطينية** » ، العدد الثاني ، بيروت : ايار ١٩٧١ ، ص ١٣٣ — ١٣٤ .

٩ — « **النهار — ملحق الاحد** » ، بيروت ، ٢٤ كانون الثاني ١٩٧١ ، ص ٧ — ٨ .

١٠— « **شؤون فلسطينية** » العدد الثاني، بيروت، ايار ، ص ١٣٣ — ١٣٤ .

١١— « **النهار** » ، بيروت ، ٤ تشرين الاول ١٩٦٠ .

١٢— « **شؤون فلسطينية** » ، العدد الثاني ، بيروت ، ايار ١٩٧١ ، ص ١٣٦ .

١٣— « **القصيدة ك** » ، العدد ١١ .

١٤— « **معلقة توفيق صايغ** » ، القصيدة الثالثة .

١٥— « **حوار** » العدد الثالث ، بيروت ، آذار نيسان ١٩٦٣ ، ص ٥٣ — ٦٤ .

١٦— أنظر مراجعة طربيه ، لمعلقة توفيق صايغ في **حوار** ، العدد الخامس ، بيروت ، تموز — آب ١٩٦٣ ، ص ١١٢ — ١١٧ عن تقييم الرمزية الجنسية .

١٧— نشرت هذه الدراسة في الاصل ، باللغة الانكليزية في « مجلة الادب العربي » التي تصدر دورية عن مؤسسة بريل في ليدن بهولندا ، وقد قامت شؤون فلسطينية بترجمة الدراسة الى العربية باذن من الناشر .

مراجعات

Yehoshafat Harkabi, **Palestine et Israel,**
(Editions de l'Avenir, Genève, 1972).

يهوشفات هركابي ضابط اسرائيلي . في الخمسينات شغل منصب رئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية . اما اليوم ، فهو جامعي « وكاتب » اخصائي في الشؤون العربية ، وله العديد من المؤلفات والمقالات والمحاضرات في العبرية والانكليزية .

وكغيره من « المستعربين » (او المستشرقين اذا صح التعبير) ، التفت في السنوات الاخيرة الى المقاومة الفلسطينية . لان المقاومة غدت بعد حرب حزيران الموضوع المركزي في العالم العربي . ولان المقاومة الجديدة — بما مثلته من صعود الشعب الفلسطيني بقوة على خشبة التاريخ — هي اليوم كما كانت بالامس المصدر الرئيسي للقلق الكياني الذي رافق الصهيونيين في مشروع بنائهم للدولة « اليهودية » (اي الخالية من غير اليهود) .

وبما ان اسرائيل دولة « ديموقراطية » (اقرأ : مبنية على النمط الرأسمالي) وهركابي مثقف « اكاديمي » (اقرأ : مشبع بالفكر البورجوازي)، فهو يكتب « بموضوعية » (اي بوحي من الايديولوجية الرأسمالية البورجوازية) . وهنا تكمن قدرته على التأثير على اوساط واسعة في الغرب ، وحتى — ولو لم يعترفوا بذلك — على بعض اوساط المثقفين العرب ذوي الثقافة « الاكاديمية » (بمعناها اعلاه) .

كلمتان عن هذه الموضوعية قبل أن نعود لهركابي . يدعي المثقفون البورجوازيون انهم عندما يضعون الارقام وما يسمونه بالوقائع (facts) بعضها تلو البعض الاخر دون اي تعليق ، فهم بذلك يعرضون الحقيقة كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة . أما اذا دخل عالم الحقائق هذا ، تعليق تحليلي او توضيح لموقف الكاتب ورؤيته ، فقصر الموضوعية يكون قد انهار بفعل « الادلجة » و« التحيز » الخ ، وكأن ترتيب « الوقائع » **واختيارها** وطريقة عرضها والاسلوب « المجرد » ليس تعليقا او تحيزا .

أكثر من هذا ، في هذا النمط من العرض يكمن صلب الايديولوجية البورجوازية التي تعطي الناس والاشياء صفات ثابتة ابدية وتوحي بأن الانسان في دراسته للانسان والتاريخ قادر على التجرد عن موقعه وتاريخه الاجتماعي الاقتصادي وكأنه يتفحص طبقات الارض او قوانين الحرارة . اي ان انبياء هذه الايديولوجية التي توصلت في الدول الرأسمالية المتقدمة وحتى في العالم الثالث الى التأثير على قطاعات واسعة من الطبقات غير البورجوازية (وحتى من الطبقات المستغلة — بفتح الغين —) ، يلجأون عن عمد او غير عمد الى الايحاء بان الموضوعية هذه هي ارقى درجات الدراسة في ميدان العلوم الانسانية .

لنعد الى هركابي . فمنذ عام ونصف (وبالتحديد في تشرين الثاني ١٩٧٢) صدر عن احدى دور النشر في جنيف كتاب له باللغة الفرنسية تحت عنوان «فلسطين واسرائيل» . والكتاب عبارة عن مجموعة مقالات بعضها صادر سابقا والبعض منها جديد ، تقول المقدمة « انها من اهم المقالات » التي كتبها هركابي .

ويتضمن الفصل الاول الذي نشر عام ١٩٦٩ تحت عنوان « **وجهة نظر اسرائيلية** » ضمن مؤلف بعنوان « قنبلة موقوتة في الشرق الاوسط » صادر في نيويورك باللغة الانكليزية ، عرضا عاما لآراء الكاتب حول ما أسماه بالصراع الاسرائيلي العربي: « الصهيونية ، نمو التعنت العربي ، اللاسامية العربية ، الدولة الديموقراطية ، رفض التعايش

وافاق السلام » (ص ١٠) .

أما الفصل الثاني فيحلل **أسباب الهزيمة العربية** في حزيران ١٩٦٧ . وقد ظهر في عدد الخريف ١٩٦٧ من مجلة اوربيس الامريكية الصادرة عن جامعة بنسلفانيا . وتؤكد التقدمة ان التحليل قد يصلح لفهم أسباب « ضعف الفلسطينيين اثناء الحرب الاهلية التي واجهوا فيها الجيش الاردني في ايلول ١٩٧٠ » .

والفصل الثالث نص محاضرة القاها المؤلف في جامعة تل ابيب في أيار ١٩٦٩ ونشرت في «معاريف» في عدد ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٩ . وتدور المحاضرة حول **المقاومة الفلسطينية** . ويتلخص موقف المؤلف في تشديده على صعوبة ايجاد حل بين « اسرائيل والفلسطينيين » نظرا لما ينسبه الى هؤلاء من تعنت في رفضهم لوجود اسرائيل .

أما الفصل الرابع فهو تحليل المؤلف **للميثاق الوطني الفلسطيني** الصادر عن منظمة التحرير . وقد نشر التحليل في « معاريف » بتاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٦٩ كما نشر مع الفصل الثالث في « نشرة جامعة نيويورك للقانون والسياسة الدوليين » في ربيع ١٩٧٠ .

والفصل الخامس تلخيص لثلاث مقالات حول « الدولة الديموقراطية » ظهرت في نيسان وتموز ١٩٧٠ في معاريف كذلك ، وتستهدف مواجهة نجاح هذا الشعار بالحديث عن مصير اليهود في دولة المستقبل .

ويعالج الفصل السادس **بيان ٦ ايار ١٩٧٠** الذي اتفقت عليه كافة المنظمات الفدائية الفلسطينية . وقد ظهر لاول مرة في معاريف ايضا بتاريخ ١٧ تموز ١٩٧٠ .

أما الفصلان الاخيران اللذان كتبا في ايار ١٩٧١ وتشرين الاول ١٩٧٢ فيستعرضان **التطورات الاخيرة للاحداث** وتوقعات هركابي للمستقبل والنصان (المكتوبان اذا بعد معارك ايلول ١٩٧٠) سلسلة من عبارات التحقير والنعي للمقاومة الفلسطينية . والصيغة الجنائزية تختلف تماما عن صيغة المقالات السابقة التي كانت تأخذ شعارات واهداف المقاومة محمل الجد وتعمل بالتالي على ابراز ما يراه المؤلف من نقاط ضعف فيها .

وفي كافة هذه المقالات يلجأ المؤلف الى مقولات محدودة يهدف منها التأثير على القارىء باتجاه معاد للمقاومة وحقوق الشعب الفلسطيني . وابرز هذه المقولات التي تتردد مرارا في الكتاب :

١ — ان الفلسطينيين والعرب يضمرون **العداء لليهود** ويعملون من اجل ابادتهم ان لم يكن جسديا فسياسيا (politicide). وبهذه المقولة يقوم المؤلف بقلب الادوار . فبينما يواجه الفلسطينيون حرب ابادة حقيقية ، يركز المؤلف على « ابادة » محتملة وغير معقولة اعتبارا لميزان القوى الحالي ولاهداف الثورة الفلسطينية ، ليثير في مخيلة قرائه ذكريات العهود اللاسامية .

٢ — يعتبر المؤلف ان السبب الرئيسي للازمة الحالية هو **الرفض العربي** لوجود اسرائيل . ولو قبل العرب — والفلسطينيون بالذات — بالوجود الاسرائيلي لحلت المشكلة . وهذا المنطق تقليدي في اللغة الدعائية الصهيونية . وهو عبارة عن دعوة مباشرة للاستسلام الكلي للشهوات الصهيونية المتزايدة ، واستبدال اللهجة الدفاعية بلهجة هجومية .

٣ — ان التكوين الايديولوجي للمؤلف يدفعه الى تحليل للواقع العربي والفلسطيني يعتمد الى حد بعيد على نظرة **عنصرية** . فالعرب في نظره لهم صفات عامة سيئة تمنعهم من التطور ومواجهة العالم الحالي بواقعية وتضفي عليهم طابعا عدوانيا شرسا الخ . ويعتمد على مصادر سوسيولوجية امريكية (الاصل او التربية) ليعطي لتحليله طابعا علميا (!).

٤ — يعمد المؤلف الى ابراز « **تناقضات** » **المقاومة** وما يمكن ان يظهر كنقاط ضعف للتأكيد على انحلالها وعدم فعاليتها وحتمية فشلها . وينتهي الى الدعوة للاعتراف « بالهزيمة التاريخية » للفلسطينيين التي لا يغير منها — برأيه — اي اعتبار اخلاقي .

وسنعطي أمثلة على كل ذلك .

يقول هركابي : « يرفض العرب اليوم اللقاء بنا وجها لوجه ، وكأن مجرد رؤيتنا تلوثهم . وهم يجترون بلا توقف رغباتهم في الانتقام ويصفون مرارا اسرائيل بأحط العبارات واكثرها اهانة ، ويصلون الى حد استيحاء سموم اللاسامية التقليدية » (ص ٣٥) . يلفت انتباهنا قبل كل شيء استعمال كلمة « العرب » والصاق اوصاف

وتهم عامة بهم جميعا . فعنده العرب كلهم سيان، لهم صفات واحدة ومواقف واحدة وتصرفات واحدة. فنوري السعيد مثلا مثل جمال عبد الناصر والامام يحيى وعلي سالم ربيع شيء واحد . ولو استعملنا كلمة اليهود مكان كلمة العرب في هذه العبارة وفي عبارات اخرى سنستعرضها فيما بعد ، لالصق هركابي بنا تهمة اللاسامية . على حق هذه المرة. ولكننا سنلصق به تهمة العداء للعرب . العداء بمفهومه **العنصري** والذي ينبع بالتحديد من المنطلق الذي ذكرناه اعلاه . ونحن لا نتوقع من هركابي ان يتفهم او يقبل بهذا الوصف لانه من قبله موقف ايديولوجي — اي جزء من الايديولوجية العامة التي يتبناها هركابي عن ادراك او غير ادراك والتي نبعت الصهيونية منها وتنطق بوحيها .

وفي الاوصاف العامة التي يلصقها بالعرب يلجأ هركابي الى استعمال اسلوب تقليدي في الاعلام (او التجهيل) الصهيوني : وهو التشبيه بين مواقف « العرب » تجاه اليهود ومواقف اللاساميين التقليديين في اوروبا باستعمال الفاظ وتعابير توحي حتى بدون ذكر واضح — بهذا التقارب . وهو هنا يستعمل تعبير « التلوث » الذي يربط المخيلة مباشرة بالماضي اللاسامي . والعبارة الثانية اكثر وضوحا في هذا المجال .

ولا يضير الكاتب ان يناقض نفسه شكليا بعد صفحات فيقول بأن العرب يرفضون المحادثات المباشرة ليس لان « لديهم حساسية خاصة تجاه فكرة اللقاء بالاسرائيليين » وانما لخشيتهم من التخلي عن «مشاريع الابادة السياسية» politicide (وهو تعبير مخترع ليغطي فكرة القضاء على دولة اسرائيل كدولة وبعيد الى الاذهان الكلمة ذات التركيب المشابه génocide والتي تعني القضاء على جنس بأكمله ، واستعملت في حينه لوصف عمليات القتل النازية ضد اليهود) . فالكاتب لا يخشى اذا ان يناقض نفسه في موضوع ثانوي هو « حساسية العرب تجاه اللقاء مع اليهود » ، طالما أنه في النهاية يؤكد لصق التشبيهات اللاسامية بهم .

والامثلة على هذا النمط عديدة .

فالمقال حول الميثاق الوطني الفلسطيني يستهدف أساسا ابراز العداء « الرسمي » الفلسطيني (اي على صعيد « المنظمات الممثلة للشعب الفلسطيني ») لليهود وفكرة بقائهم في فلسطين الديموقراطية ، كما يستهدف التأكيد على عدوانية الفلسطينيين وحبهم للعنف (وهنا أيضا فكرة عنصرية : كأن الانسان الفلسطيني يلد عنيفا) ويركز الكاتب في كافة الفصول على المادة ٦ من الميثاق الوطني (التي تحدد من من اليهود فلسطينيون) ليؤكد رغبة الفلسطينيين في القضاء السياسي وحتى البشري على اليهود - politicide génocide (ص ١٧٢) . .

وفي فصل اخر حول « ضعف وتناقضات الفدائيين » يقول هركابي في معرض حديثه عن الطرح الفلسطيني العربي لاسرائيل : « ان مسؤولية استمرار الصراع واستحالة التوصل الى سلم حقيقي موضوعتان (من قبل العرب) على حساب **الانحراف** التكويني perversité لاسرائيل» (ص ٢٢١) وفي الصفحة التالية يشير الكاتب الى استمرار الاذاعة والصحافة المصريتين في استعمال لقب **« عدوة الانسانية »** بين القاب اخرى **تنعت بها** اسرائيل التي **« تجسد الشر »** (ص ٢٢٢) والعبارات المشدد عليها من قبلنا اعلاه تعيد الى ذاكرة القارىء اليهودي او الاوروبي ما درج الادب اللاسامي على استعماله من اوصاف لنعت اليهودي واليهودية . فمرة اخرى ودون اللجوء المباشر الى تهمة اللاسامية ، يقوم الكاتب بعملية خبيثة تربط في اذهان القارىء (والمقال الاخير مكتوب خصيصا لقارئي الفرنسية) بين تصرف اللاساميين تجاه اليهود وموقف العرب من اسرائيل . فاسرائيل وريثة اليهودية (وهذا ما تريد الصهيونية ان تؤكده كل يوم) تواجه العرب ورثة اللاساميين. وهكذا يتم طمس القضية الفلسطينية وتاريخ الاستيطان والاحتلال كلية لصالح المسألة اليهودية التي يعرفها القارىء الاوروبي بشكل افضل .

وهذا التعطش العربي والفلسطيني « للدماء اليهودية » لا يقتصر على مجموعة دون اخرى بل يشمل الجميع يمينهم ويسارهم . ففلسطينيا مثلا من المعروف عن الجبهة الشعبية — على حد تعبيره — تعلقها بالعنف على مستوى عالمي بينما تعارض فتح العمليات الخارجية . « الا اننا لا نستنتج من هذه المعارضة ان فتح اقل رغبة في الابادة génocide » (ص ١٤٩) ويلي العبارة استشهاد باحد النصوص العسكرية في مجلة « الثورة الفلسطينية » يتكلم فيها الكاتب عن

« افناء العدو للحلول مكانه » . وحتى الجبهة الديموقراطية — التي يستعمل احيانا بعض انتقاداتها « لليمين الفلسطيني » ، ليست اكثر شهامة من الشقيري (ص ١٤٧) او اقل تعلقا بالعنف وبفكرة القضاء على اسرائيل (ص ١٤٨) ويستعرض الكاتب احدى الندوات التي نشرتها الانوار في ربيع ١٩٧٠ حول الدولة الديموقراطية ويشدد على رفض ممثل الجبهة الديموقراطية لفكرة امكانية تحول اسرائيل ذاتيا الى دولة تقدمية او اشتراكية (ص ١٥٧) وبالتالي ضرورة محاربتها (تذكير القارىء الاسرائيلي والغربي بعدوانية « العرب » وحتى اليساريين منهم لاسرائيل) .

وهنا نود ان نفتح قوسين لمناقشة هذه الفكرة بشكل سريع ، لانها مروجة بشكل واسع من قبل ما يسمى بيسار الصهيونية وتجد احيانا صدى حتى عند بعض الاوساط الصديقة . ولنضع السؤال كالتالي : **هل يعقل ان تتحول اسرائيل الى دولة تقدمية او اشتراكية ؟** جوابنا طبعا بالنفي وسنوضحه .

في احدى مقولاته الشهيرة ، يقول كارل ماركس انه لا يمكن ان يكون شعب ما حرا اذا اضطهد شعبا آخر . فكيف يمكن ان تكون اسرائيل تقدمية وهي رمز دائم لقمع واستعباد الشعب الفلسطيني . وما هي هذه الاشتراكية التي يبنيها غزاة في ارض الغزو بينما يقبع ضحايا اشتراكيتهم في مخيمات البؤس او تجمعات الاستغلال والقهر القومي .

هذا على الصعيد الاخلاقي . اما على الصعيد المادي ، فان تحول اسرائيل الى دولة تقدمية او اشتراكية على صعيد يهودها انفسهم (اذا تركنا جانبا القهر القومي) يقتضي القضاء على الاعتماد الاقتصادي على الامبريالية والرأسمالية الدولية (بما فيها الرأسمالية اليهودية ، والامريكية منها بشكل خاص) . وهذا التحول يعني تماما القضاء على الفكرة الصهيونية التي كانت اساسا لقيام الدولة والاتجاه نحو الانخراط الاقتصادي في المجتمع الغرب — اسيوي (او الشرق — اوسطي اذا شئنا استعمال هذا التعبير الهجين) أي المجتمع العربي . وهذا التحول بالاضافة الى حل المسألة القومية (الذي يعني الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني على الارض التي يختار العيش عليها) يؤدي بنا الى « الدولة الديموقراطية »

التي تشكل حتى بهذا **المفهوم المبدئي العام الذي** يحتاج الى توضيح « الحل التقدمي الاشتراكي » الوحيد لما يمكن ان نسميه بالمسألة الاسرائيلية .

مرة اخرى الى موضوعنا .

يعمد هركابي اذا الى التركيز على العدوانية وحب العنف عند العرب والفلسطينيين ويصل الى حد مقارنتهم باللاساميين في عدائهم لاسرائيل . ويشير ايضا الى ان صلب المشكلة هو الرفض العربي وليس لاسرائيل أي ذنب في الوضع المتأزم في المنطقة . (مثلا : « ليست المشكلة في ان نعترف بحق الفلسطينيين في جزء من البلد ، بل في عدم اعترافهم هم والعرب بشكل عام بحقنا في حياة قومية مستقلة » ص ١٠٢) . في كل هذا يستعمل هركابي العسكري قانونا أوليا في مجاله وهو استبدال الدفاع بالهجوم وقلب الادوار للرد على الخصم . والامثلة هنا كذلك عديدة .

يقول مثلا : « كان التعنت العربي هو الذي ادى الى التقسيم ومن ثم الى خلق الدولة اليهودية » (ص ١٩) . نعم ، هكذا : العرب هم الذين خلقوا اسرائيل ، ولولا تعنتهم وعدوانيتهم لما وجدت ، فالصهاينة لم يفكروا اطلاقا في خلق دولة يهودية ولم يقبلوا بالتقسيم الا مرغمين . المبادرة العدوانية دائما في الجانب العربي . الصهيونيون لم يكونوا الا أدوات طيعة في يد القدر الذي يقتص من الاجرام العربي . هكذا يكتب الاستاذ هركابي التاريخ . هكذا يتحول تلامذة هرتزل (صاحب « الدولة اليهودية ») الذين أتوا من اوروبا وسائر أنحاء العالم ليخلقوا بؤرة نزاع (وهذه كلمة ملطفة) في منطقة يسكنها اناس مسالمون ، هكذا يتحولون الى مدافعين عن انفسهم ضد الغزو العربي .

الفصل الاول كله على هذا المنوال . فهو ليس تبريرا للاحتلال الصهيوني فحسب وانما تأكيد على الطابع الدفاعي (كذا) لعملية الاحتلال والتوسع الصهيونية : (« العداء العربي دفع اسرائيل للامتداد لمواجهته بشكل افضل » ص ٥٠) . ويضيف في معرض حديثه عن حلقة مفرغة في المنطقة: « ان هذا العداء ... يفسره العرب على انه نتيجة اتجاهات توسعية ذاتية [عند اسرائيل] مما يضاعف عداءهم » . والامور في الحلقة تعاد الى نصابها اذا قلبت رأسا على عقب . هكذا :

الاحتلال الاسرائيلي خلق العداء العربي ، وفي ادعائها مواجهة العداء العربي تلجأ اسرائيل الى التوسع مما يضاعف العداء . هذا اذا لم تكن اسرائيل بحاجة الى هذا « العداء » لطمس التناقضات في مجتمعها واستدرار تبرعات الرأسماليين اليهود وغير اليهود وكتبرير للتوسع بالذات الذي له منابع اخرى .

والامثلة على قلب الامور أقداما فوق الرؤوس تكاد لا تعد . فكل العرض المفصل « لوجهة النظر الاسرائيلية » الموجهة للقارىء الغربي عملية تلاعب بالالفاظ وبالوقائع ، كما لاحظنا اعلاه . مثل آخر: في الصفحة ٢٢٤ يقول الكاتب على نمط المنطق السابق ان احد العناصر الاساسية في السياسة الاسرائيلية هو « حاجة اسرائيل الى مواصلة السيطرة على عدة مواقع استراتيجية لمنع العرب من العودة الى مواقع عدوانيّة » . والقارىء العربي لا يستغرب هذا المنطق الذي يشكل ترنيمة دائمة في الاعلام الاسرائيلي . فاسرائيل احتلت الضفة الغربية « لحماية » القدس الغربية والمدن الاسرائيلية الاخرى واحتلت غزة لمنع الفدائيين من العمل منها واحتلت سيناء لمنع الامداد عن غزة واحتلت الجولان « لحماية » قرى الجليل الشمالي وربما احتلت غدا المزيد من أراضي سوريا ولبنان لحماية مستعمراتها في الجولان والجليل الاعلى والضفة الشرقية لحماية مستوطناتها في الضفة الغربية وهلم جرا . هذا هو المنطق اليومي لتبرير التوسع الاسرائيلي الذي تبثه بفعالية متدنية أكثر وأكثر أجهزة الاعلام الصهيونية .

هناك نقطة بحاجة الى عودة وتركيز : نظرة هركابي (العنصرية في نهاية التحليل) الى الواقع العربي . وتتجلى بشكل واضح في تحليله لاسباب الهزيمة العربية في حزيران ١٩٦٧ (الفصل الثاني). يستشهد الكاتب ببعض المصادر الغربية (ومن بينها بعض من يحملون اسماء عربية) ليدعم تحليله ، الذي يتناقض كليا مع اية نظرة مادية علمية . ولن ينقذ التحليل اللجوء الى بعض المصادر السوسيولوجية (الاجتماعية) والبسيكولوجية (النفسية) اللتين تنهلان من منبع المثالية الطوباوية . امثلة قليلة ستضيء مقولتنا .

يتحدث الكاتب عن استنتاجات بعض الباحثين التي تنسب الى العرب صفات « الارتياب وانعدام الثقة والشعور بالعداء بدرجة اعلى بينهم من بين أية مجموعات عرقية اخرى » (ص ٦٠) هذا « العداء العائم » يبحث عن ضحية يتجسد من خلالها . وهذه الضحية البريئة هي بالطبع اسرائيل .

وفي مكان آخر ، يقول هركابي : « رغم التصريحات (العربية) الموجهة للعالم الغربي ، فان اليهود المعادين للصهيونية ينعتون في الكتابات العربية بالخبث والدجل » (ص ٣١) .

مرة اخرى الكلام عن العرب ككل واتهامهم بالخداع والخبث في علاقتهم مع اليهود المعادين لاسرائيل والصهيونية . وهنا نريد ان نذكر هركابي ان مثل هذه التهم وجهها اللاساميون لليهود ككل بصدد الكلام عن طاقتهم وصداقاتهم مع الاخرين . وننتهز الفرصة لنؤكد له بأن بعض من يطلق عليهم اسم العرب ، وبالذات المقاومين الفلسطينيين ، يفخرون بأن يقف الى جانبهم عدد متعاظم من اليهود التقدميين في العالم وحتى في اسرائيل نفسها (وقد ذهب البعض من هؤلاء الى حد رفض الخدمة العسكرية وحتى المشاركة في خلايا مقاومة).

في حديث هركابي عن المقاومة الفلسطينية ، تبرز النقاط التالية :

— التركيز على **سلبيات ونقاط ضعف المقاومة** ، أحيانا من منطلقات يسارية ليست بشكل عام ضمن اسلوب التفكير العادي للمؤلف . المهم تحقير المقاومة واظهارها بأية حيلة كأنها كتلة من المساوىء .

— التشديد على **عدم فعالية اعمال المقاومة** وعدم تأثيرها على اسرائيل .

— التأكيد على **عدم واقعية أهدافها** وعلى حتمية فشلها أمام الواقع القائم في اطار عملية **تيئيس** شاملة .

فالفصل ما قبل الاخير (ص ٢٠٣ — ٢٢٦) يحمل عنوان « ضعف الفدائيين وتناقضاتهم » .

والفصل كله (المكتوب بعد أيلول ١٩٧٠) تأبين للمقاومة التي كان الكاتب يرهق نفسه قبل ذلك في التمحيص في نصوصها .

« فالفدائيون لم ينجحوا في اقامة خلايا مقاومة في الاراضي المحتلة » (ص ٢٠٥) . والنشاط

الفدائي « شكل تبلا مشكلة ضئيلة بالنسبة لاسرائيل ، اما اليوم فهو يكاد لا يذكر » (ص ٢١٢) . و« حرب العصابات العربية ضد اسرائيل قد فشلت » (ص ٢٤٣) و« حتى عند اليساريين المتطرفين انفسهم بدأت تساؤلات تظهر حول قيام الفلسطينيين فعلا بحرب ثورية مستندة على جماهير ثورية » (ص ٢١٢) « والواقع ... انهم لم يقوموا بحرب تحرير وطنية حقيقية ، بينما قامت اسرائيل بحرب دفاع عن الوجود » (ص ٢١٣) .

ومشكلة الفلسطينيين في عدم واقعيتهم برأي هركابي لانهم « مهما عملوا ، فلن يتوصلوا ابدا الى اقناع الاسرائيليين بالتخلي عن سيادتهم على اسرائيل او نزع الصفة الصهيونية (وهذا يعني اليهودية) لبلدهم » (ص ٢٠٥) . فمأساتهم اذا ليست « بأنهم لم ينالوا الاعتراف بوجودهم كشعب او امة ، ولكن لان ليس بمقدورهم ان يترجموا هذا الاعتراف الى وقائع سياسية » (ص ٢٣٣) .

وحتى يتوصل الفلسطينيون الى واقعية اكبر (أي استسلام تام امام الاستعمار الاسرائيلي) لا بد من استعمال كافة اساليب « الاقناع » : « أي تغيير بهذا العمق (باتجاه تليين مواقف المقاومة) لن يحدث الا اذا ضاعفت الدول العربية في قمعها ضد الحركات الفلسطينية . عندما تدرك الدول العربية لاي مدى يقودها الصراع الى الانحلال السياسي ... ربما قررت القيام بعمل حاسم ضد الاجهزة الفلسطينية في الخارج » (ص ١٠٤) . ومن المفيد الاشارة الى ان هذا النداء لقمع المقاومة من قبل انظمة عربية نشر في مطلع ١٩٧٠ .

وليس للكاتب الا ان يأمل بأن « الانكسارات المتتالية في العمل من أجل تدمير الدولة اليهودية سيقود جدليا الى ... الرضوخ الى وجودها ، وانتهاء الصراع هكذا » (ص ٥٠) .

لا طريق اذا الا القبول « بالسلام الاسرائيلي » ولا حل الا بدويلة او مقاطعة متعاونة او متحدة مع الاردن واسرائيل . وهذا الحل لا يشكل « الصورة المثالية التي يتمناها الفدائيون وعدد كبير آخر من الفلسطينيين ... الا ان التاريخ احيانا ظالم وبما انه ليس بمقدور الفلسطينيين ان يغيروا أيا من اسرائيل او الاردن حسب رغبتهم ، فالتاريخ لا يطرح لهم حلا آخر » (ص ٢٣٩) ولا تجدي الدموع شيئا « فقد نأسف لمصير الفلسطينيين الذين يجدون آمالهم هكذا محدودة . وقد نعتبر ان هذا المصير مأساويا . ولكننا يجب ان ندرك ان اي توقع آخر خيالي ويفتح المجال امام آلام جديدة سيكون المعنيون اولى ضحاياها طالما لم يعوا الحدود التي يفرضها الواقع عليهم » (ص ٢٤٠). « والمصير الانساني يقضي بأن العديد من المصائب غير قابلة للتعويض » (ص ٢٥٠) .

هذا هو ملخص النظرية الهركابية التي لا تختلف بشيء عن النظرية الرسمية الاسرائيلية : لقد خسر العرب والفلسطينيون حروبا متتالية ضد اسرائيل، والواقعية تفرض عليهم ان يقبلوا بهذه الهزيمة التاريخية (!) — كما فعل الهنود الحمر في امريكا — وان يقبلوا بحلول تضعهم عمليا تحت الرعاية الاسرائيلية . كل هذا يقال بصيغة متعالية توحي بنفس الوقت بشيء من التجرد «والموضوعية».

المشكلة بالنسبة لهركابي ولدولته ان الفلسطينيين لن يرضوا — كما قال احد قادة المقاومة — بأن يكونوا الهنود الحمر في المنطقة . ونضالهم المستمر وتضحياتهم ونضال وتضحيات الشعوب العربية الاخرى خلال اكثر من نصف قرن اثبات على هذا القول . لقد شاء التاريخ — عكس ما يقوله هركابي — ان تأتي الغزوة الاسرائيلية متأخرة في عصر اصبح فيه الاستعمار الاستيطاني غير قابل للتطبيق الناجح . ومأساة الهنود الحمر لن تتكرر في القرن العشرين في عصر ثورات العالم الثالث وانتصارات الاشتراكية المتتالية في العالم . والتاريخ — ولو لم ير هركابي ذلك بحكم موقعه — يسير باتجاه معاكس : اتجاه تحرر الشعوب وتطبيق حقها في تقرير المصير ، اتجاه انهزام الامبريالية في اركان متسعة من العالم . ومهما كان النضال الفلسطيني صعبا ، ومهما حيكت المؤامرات الامبريالية حوله وحول حركة التحرر العربية ، ومهما طالت عملية التطور داخل اسرائيل باتجاه تخلص السكان من الهيمنة الايديولوجية للصهيونية ، فالاتجاه العام في العالم ينطبق على المنطقة وسينتهي الصراع بانتصار قوى التحرر عربا ويهودا ضد اركان القمع الامبريالي والصهيوني . وخطابات التأبين التي ترددها اجهزة الاعلام الصهيونية و« المثقفون » (امثال هركابي) في خدمتها ، لن تدخل اليأس الى قلوب ابناء فلسطين وابناء قضايا الشعوب . وسيتذكرون عبارة احد القادة الثوريين : « ان يتهجم عليك العدو ، فهذا شيء حسن » .

بقي ان نستعرض المغالطات والتناقضات التي وقع فيها هركابي ، وهي ليست قليلة وسنكتفي باستعراض بعضها . يقول في معرض ذمه للمقاومة : « ان تعدد مجموعات الفدائيين ليس له سابقة في تاريخ حرب الغوار » (ص ٢٠٧) . وهنا يظهر كل جهل هركابي عن حركات التحرر وتاريخها . فأي من دول امريكا اللاتينية لم يعرف العديد من المنظمات الغوارية . وأي من الدول الافريقية التي تحارب الاستعمار البرتغالي والعنصرية البيضاء اليوم او التي حاربت بالامس اشكالا اخرى من القمع لم تعرف منظمات عدة . وهل يجهل هركابي ان جبهة التحرير الفيتنامية تضم ٢٨ منظمة . وان اية حركة تخوض نضالا في مرحلة التحرر الوطني لا بد وان تضم ممثلين عن كافة القوى والطبقات التي لها مصلحة في التحرير ، والتمثيل يأتي بالتالي صورة لهذا التآلف . ونحن نقول لهركابي باننا لا نعتبر التعدد حالة مرضية ، بل بالعكس انعكاسا لواقع المجتمع الفلسطيني . اما قضية الجبهة الواسعة التي تسعى حركة التحرر الفلسطينية لتشكيلها لتضم كافة المنظمات ، فمهمة بنائها تقع على عاتق الشعب الفلسطيني من خلال نضاله ، ونحن واثقون من ان هركابي لن يرحب بتحقق هذه الجبهة .

— في معرض عرضه لاراء ومواقف المنظمات الفدائية يقول هركابي : ان الجبهة الشعبية « تؤكد على القومية العربية ، بينما تنادي الجبهة المنافسة (أي الديموقراطية) بالاشتراكية الاممية والفلسطنة » (ص ٢٦٠) ولن نعلق على هذا القول ونضع العبارة أمام القارىء المطلع .

وعبارات اخرى شبيهة يقول فيها ان الجبهة الديموقراطية لا تطرح فكرة الوحدة العربية (ص ٢٦٤) وانها تطالب الطبقة العاملة وحدها بالقيام بمهمة التحرير (ص ٢٧٢) .

— في حديثه عن تاريخ الاستيطان الصهيوني يقول هركابي ان الاراضي التي حصل عليها الصهاينة « لم تنتزع من العرب وانما بيعت بأسعار مرتفعة » وتشكل — على حد تعبيره — « نسبة جيدة من الاراضي الزراعية في القطاع الخاص » (ص ١٧) . وفي مكان آخر يناقض هركابي نفسه تماما اذ يقول بأن معارضة العرب « اثناء الانتداب لكل بيع اراض لليهود ولاية هجرة يهودية لم يستهدف الا المحافظة على الشخصية العربية للمنطقة » (ص ١٣٧) و« بدل ان يرضوا بحل وسط ، مهما كان ، قام العرب باثارة الشغب ضد المهاجرين الجدد » (ص ١٨) . فبين البيع الاختياري للاراضي وبين المعارضة واثارة الشغب ضاعت حقيقة هركابي .

— في المقال نفسه يقول هركابي بأن الصهاينة « لم يريدوا اي شر بالعرب » في عملية استيطانهم. ولكنه يضيف بعد كلمات قليلة بأن « مقابل المصائب التي نجحوا في الفرار منها ... كانت معارضة العرب للهجرة ذات اهمية ثانوية » (ص ٢٤) وبالتالي فالشرور التي لقيها العرب شرعية ومقبولة طالما ان الذين يرتكبونها قد تلقوا « شرورا » أشد هولا منها . فالنية اذا كانت موجودة والتبرير كذلك .

— يقول كذلك : « ان العرب بحاجة الى السلام بقدر اسرائيل . واذا كان انعدام السلام كابوسا للدولة العبرية فهو أشد تدميرا للدول العربية » وفي نفس الصفحة (ص ٤٦) : « الصراعات الدولية دائما مصيبة . الا انها في الصراع الحالي ذات تأثيرات ايجابية على اسرائيل في اتجاه الدمج القومي وبناء البلد . اما بالنسبة للعرب ، فهي كارثة قومية وعقبة امام تقدمهم » . فالسلام تارة حاجة لاسرائيل وتارة وبال عليها . على اي حال، يعترف الكاتب بأن الحرب وحالة الصراع تساعد على بقاء التماسك الاسرائيلي الداخلي وتدفق المساعدات الخارجية ، اي ان الجنوح نحو العنف هو في صلب السياسة الصهيونية ، وليست ادعاءات السلام الا غطاء شفافا لم يعد يقنع حتى الاوساط القريبة من اسرائيل .

— يقول هركابي : انه « لن يكون هناك مكان كاف في نفس الوقت لليهود ولكل الفلسطينيين » (ص ١٧٣) وذلك في معرض حديثه عن الحل الديموقراطي للصراع . اما اذا تحول الفلسطينيون الى يهود ، فامكانية الاستيعاب تصبح غير محدودة : فالمعلوم ان حوالي مليون ونصف من الفلسطينيين يعيشون اليوم خارج الاراضي المحتلة، وهم « المرشحون » للعودة اليها . وفي الوقت نفسه يطالب القادة الصهاينة برفع عدد السكان اليهود الى خمسة ملايين اي بزيادة اكثر من مليونين وذلك في السنوات القريبة المقبلة . واذا اخذنا الموضوع بشكل حسابي محض ادركنا مدى الخداع في كلام هركابي . علما باننا لا نخدع انفسنا

بحل كهذا ولا نترك مجالا للاوهـــام الحسابية بأن تسيطر على رؤيانا السياسية .

ـــ يعمد الكاتب اكثر من مرة الى التأكيد على الاختـــلاف بين الوضـــع الجزائـــري والوضـــع الفلسطيني . فيقول : « ان الفدائيين يتمادون في اقامة تشبيه بين عملهـــم وعمل جبهة التحريـــر الجزائرية ولكـــن اذا تمكنت الجبهة من ارغـــام الفرنسيين على التخلي عن سيطرتهم على الجزائر ، فلن يقوى اي عمل ارهابي علـــى ارغامهم علـــى التخلي عن سيادتهم على فرنسا» (ص ٤٤ والفكرة نفسها معادة ص ٢٠٥) . الكاتب نفسه يقيم هنا تشبيها خادعا بين وضـــع الفرنسيين في فرنسا ووضع الصهاينة في فلسطين . ويريد بتشبيهه هذا ان يضفي شرعية تاريخية على عملية استعمارية لم يمض ربع قرن على تتويجها بقيام الدولة. ورغم فجاجة هذا التشبيه ، الا انه كثيرا ما يؤثر على الاوساط البسيطة والقليلة الاطلاع ، التي اعتادت ان تعتبر اسرائيل دولة مثل غيرها .

ـــ يقول هركابـــي : « ان اسرائيل اعتـــرفت بالفلسطينيين بمجرد قبولها بمشروع التقسيم عام ١٩٤٧ الذي نادى بخلق دولة فلسطينية مجاورة » (ص ١٠٢) . والولايات المتحدة اعترفت بوجود الفيتناميين بمجرد القائها القنابل عليهم . يكاد المنطقان يتشابهان . علما بأن كل المعلومات تشير الى رفض كافة المسؤولين الصهاينة الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني حتى هذه اللحظة . وتصريحات مئير الاخيرة ترفض حتى فكرة تمثيل هذا الشعب خارج اسرائيل والاردن .

وفي النهاية سننبري لمناقشـــة تعليقات الكاتب حول بعض مواد الميثـــاق الوطني الفلسطينـــي (وبالذات المواد ٦ ، ١٢ و٢٣) . المادة السادسة التي يعود لها الكاتب بمناسبـــة وبدون مناسبة أصبحت احدى المجالات الرئيسية للاعلام الصهيوني المضاد لفكر المقاومة واهدافها . ماذا تقول هذه المادة ؟

« اليهود الذين كانوا يقيمون اقامة عادية في فلسطين حتى بدء الغزو الصهيوني لهـــا يعتبرون فلسطينيين » .

وماذا يستنتج منها الكاتب ؟

ان الفلسطينيين يعتبرون اليهود الذين أتوا الى فلسطين بعد ١٩٤٧ اجانب ولا بد من طردهم بعد التحرير (ص ١١٢) . وفي مكان آخر يعيد الكاتب تاريخ فلسطينية اليهود الى ١٩١٧ ، اي ان اليهود الذين أتوا بعد وعد بلفور لن يعتبروا فلسطينيين ولن يسمح لهم بالتالي بالبقاء (ص ٣٤) . ويعود هو والعديد من الدعائيين الصهيونيين مرارا على هذه المادة ليؤكدوا للقارىء الاجنبي ـــ ولليهودي كذلك ـــ بأن شعار فلسطين الديموقراطية ليس الا خدعة يستعملها الفلسطينيون للاعلام الخارجي ، بينما يقررون غير ذلك في مجالسهم الوطنية .

ورغم محاولات الربط المفتعل بين فقرات متباعدة يسهل الرد على هذه الافتراضات . فالميثاق الوطني أراد في المادة ٥ ان يحدد من من العرب وفي المادة ٦ من من اليهود فلسطينيون . اي من يحق له الانتماء الى الشخصية الفلسطينية حاليا وليس من يحق له البقاء على ارض فلسطين بعد تحريرها . وهذا التحديد له علاقة بالمؤسسات الحالية القائمة وليس بمؤسسات المستقبل . ومن الواضح اننا لا يمكن ان نعتبر اليهودي الفرنسي فلسطينيا بالمعنى المحدد حاليا الا اذا أراد هو ذلك . وهنا تطرح قضية اليهود غير الفلسطينيين او بشكل اكثـــر تحديدا اليهود غير العرب الذين اصبحت لهم ثقافة مميزة وانتماء يحتاج الى تحديد اكثر في المستقبل في اطار الدولة الديموقراطية . وقد قامت المنظمات الفدائية الرئيسيـــة بتحديد رؤياهـــا في كتابـــات وتصريحات عدة مطالبة ببقاء كافة السكان الذين يرضون بالتخلي عن المواقف الشوفينية الصهيونية وبالتعايش مع السكان الاصليـــين في ظل نظـــام ديموقراطي تقدمي . وهنا قد يتساءل هركابي اذا عنى هذا الموقف استثنـــاء الصهيونيين من هـــذه الدولة . والجواب هو انه في دولة ديموقراطية حقا تحرم كافة الفئـــات الرجعية من مستغلـــين وعنصريين من ان يمارسوا ما يسمونه حـــريتهم على حساب حرية ومصالح الشعب بمجمله ذلك ان الحرية كل لا يتجزأ . ونظرا لطبيعة الصهيونية العدائية لكل ما هو عربي ، والمرتبطة بالرأسمال والامبريالية العالميتين والمتناقضة مع امن وسلام شعوب المنطقة ، فلا يمكن ان يشمل حق تقـــرير المصير للفئات المشكلة للدولة الديموقراطية انبياء هذه الايديولوجية .

ولا بد من الاشارة مرة اخرى الى ان التركيز على البرنامج الفلسطيني لمستقبل اليهود يقصد منه

التغاضي عن المشكلة الرئيسية المطروحة حقيقة على ارض الواقع وهي مستقبل الفلسطينيين في اطار الوضع العسكري السياسي المسيطر للصهيونية . وهكذا يلجأ هركابي مرة اخرى الى قلب الادوار واستبدال الدفاع بالهجوم وتحويل موضوع الازمة الحقيقي الى موضوع مبدئي آخر لا تطرحه الموازين الحالية للقوى بنفس الحدة .

اما المادة الثانية عشرة فتقـول : « الشعب الفلسطيني يؤمن بالوحدة العربية ولكي يؤدي دوره في تحقيقها يجب عليه في هذه المرحلة من كفاحه الوطني ان يحافظ على شخصيته الفلسطينية ومقوماتها ، وان ينمي الوعي بوجودها وان يناهض أيا من المشروعات التي من شأنها اذابتها او اضعافها » (الميثاق ص ٧) . وهركابي يرى فيها تناقضا مع المادة الرابعة التي تؤكد على اصالة وعدم زوال الشخصية الفلسطينية (ص ١٢٠) . وهذا التناقض ليس الا تناقضا شكليا . اما في الواقع فالترابط **الجدلي** عميق في الظروف الحالية بين التأكيد على الشخصية الفلسطينية وتميز الشعب الفلسطيني كطرف رئيسي في المطالبة بالحقوق القومية في البلد المحتل من جهة ، والتشديد على ترابط النضال الفلسطيني بالنضال العربي في المعركة الواحدة المتعددة الجبهات ضد السيطرة الامبريالية في المنطقة من جهة اخرى ، ومدى التركيز على الشخصية الفلسطينية او الجانب الوحدوي العربي يتوقف في كل حقبة على خصائصها المميزة .

فهكذا كان لا بد من الطرح الفلسطيني القوي في بداية النضال لابراز الضحية الاساسية للعملية الاستعمارية الصهيونية وحقوقها في النضال وتقرير المصير . كما انه لا بد من التأكيد على التعريب في مرحلة متقدمة يصبح فيها التلاحم الفلسطيني العربي ضرورة حيوية لبقاء واستمرار النضال من اجل التحرير .

اما عن الخصائص الاقليمية بشكل عام (لكل بلد عربي) ورؤية تناقضها مع النداء الوحدوي ، فهذه ايضا جزء من النظرة اللاجدلية للموضوع . فحتى في الاتحاد السوفياتي حيث تتعايش عشرات القوميات في اطار دولة واحدة ، لم تشكل الخصائص القومية المتباعدة بشكل اكبر عن الفروقات الاقليمية العربية عقبة امام احترام مزدوج لوحدة البلد وشخصية كل قومية .

اما المادة ٢٣ التي تقول بأن « دواعي الامن والسلم ومقتضيات الحق والعدل تتطلب من الدول جميعها ، حفظا لعلاقات الصداقة بين الشعوب واستبقاء لولاء المواطنين لاوطانهم ان تعتبر الصهيونية حركة غير مشروعة وتحرم وجودها ونشاطها » فيخرج منها هركابي باستنتاج غريب : ان الفلسطينيين التقدميين الذين ينادون بالاممية وازالة الحدود القومية يلجأون هنا الى موقف « قومي شكلي ضيق » بمنعهم (اليهود) من التعلق ببلد خارج حدود البلد الذي يعيشون فيه (ص ١٢١) .

وهذا بالطبع فهم غريب للاممية . بل هو نقيضها ويطلق عليه اسم آخر في القاموس اليساري « الكوسموبوليتية » . ولا بأس من التذكير باحدى عبارات الاشتراكي الفرنسي جان جوريس : « قليل من الاممية يبعدني عن بلدي وكثير من الاممية يعيدني اليه » . ذلك ان الاممية الحقيقية هي في العمل في بلد التواجد من اجل خدمة تطور مجتمعه وذلك اكبر اسهام في سبيل تطور وانتصار الانسانية . وهنا مرة اخرى لا بد من فهم **جدلي** للعلاقة بين خدمة الوطن والنضال القومي من جهة وخدمة قضية الشعوب والنضال الاممي من جهة اخرى .

ونحن هنا لا نناقش هركابي بقدر ما نستغل بعض التناقضات التي يقع فيها لتحديد قضايا نظرية وعملية متعلقة بها .

كلمة اخيرة : رغم الاطلاع على العديد من ادبيات المقاومة والسياسة العربية ، ورغم مسحة التجرد و« الموضوعية » التي يحاول الكاتب ان يضفيها على لغته ، فكتابات هركابي لا تخرج عن الاطار العام لعملية غسل الدماغ التي يقوم بها الاعلام الاسرائيلي والصهيوني بشكل دائم . وهركابي لا يتقدم بأي جديد على هذا الصعيد .

داود تلحمي

Jakob Goldberg: **Der Nahost - Konflikt,**
(Verlag Marxistische Blaetter, Frankfurt/Main, 1972).

ضاعفت الاحزاب الشيوعية والقوى التقدمية في البلدان الرأسمالية بأوربا الغربية جهودها بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ لتعريف جماهيرها بحقيقة مشكلة الشرق الاوسط . ويأتي اصدار هذا الكتيب لمؤلفه الماركسي يعقوب كولدبرك والصادر عن دار للنشر تابعة للحزب الالماني الشيوعي DKP كجزء من هذه المحاولة . وهو يكتسب اهميته ليس فقط من طبيعة الموضوع الذي يعالجه ، وانما لانه يحاول ان يقرب مشكلة الشرق الاوسط وبشكل مختصر ومبسط الى اذهان القراء الالمان .

يمهد المؤلف لبحثه بعرض عام لتطور الاوضاع السياسية والاجتماعية في بلدان الشرق الاوسط منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى الوقت الحاضر ، ويؤكد في هذا المجال ، وفي اكثر من موضع ، على تأثير اكتشاف النفط في الشرق الاوسط على تطور دول وشعوب المنطقة . لقد كانت الاحتكارات النفطية البريطانية هي المسيطرة على الجزء الاعظم من التوظيفات في هذا المجال في البداية ، اما اليوم فقد أصبح الاستعمار النفطي امريكيا بالدرجة الاولى .

لقد عمد الاستعماريون من اجل الحفاظ على استغلالهم للشرق الاوسط الى تطبيق سياسة « فرق تسد » ، فكان الاستعماريون البريطانيون اول من مارسها ثم تلاهم الامريكيون . ولهذا شجع الاستعماريون البريطانيون (والامريكيون في الوقت الحاضر) « ومنذ البداية الحركة البرجوازية — القومية الصهيونية التي اصبحت اصدق حليف لهم في مكافحة التطلعات القومية للشعوب العربية » — ص ١٤ — . ولهذا كان من المنطقي ان تصبح اسرائيل بانتهاء حرب ١٩٤٨ منطقة نفوذ للاستعمار ، وخاصة الاميركي .

ويرد كولدبرك في مجال استعراضه للتطور المعاصر في سوريا ومصر على حملة التضليل التي تروجها الصهيونية في الغرب الراسمالي حول حقيقة الاوضاع في هذين البلدين فيقول : « من اجل اسدال الستار على طبيعة عدوان حزيران ، تجري عندنا محاولات لوصف النظام القائم في مصر وسوريا بأنه عسكري — ديكتاتوري ، نظرا لوجود عدد كبير من العسكريين في الحكم ، بينما توصف اسرائيل بأنها « ديمقراطية » بل وحتى « اشتراكية » ، نظرا لوجود الكيبوتزات ، وكثيرون ، بل وحتى البعض ممن ينتمي الى اليسار ، وقعوا ضحية هذه الكذبة » — ص ١٩ — .

ويرى كولدبرك ان الصهيونية ، ومنذ نشوئها ، حركة بورجوازية قائمة على الكراهية العنصرية ، تحاول تغطية طابعها الطبقي الاستغلالي بغلاف قومي مزيف ، وقد وضعت نفسها ومنذ البداية في خدمة الاستعمار ولمحاربة الحركات الثورية . ويسنه كولدبرك في مناقشة طويلة عددا من المفاهيم التي يروج لها القادة الصهاينة ، ومنها مفهومهم عن « الامة العالمية التي تتجاوز الحدود » ، ويصف ما جاء في برنامج المؤتمر الصهيوني الذي عقد في القدس عام ١٩٦٨ عن « الدور المركزي لاسرائيل بالنسبة للحياة اليهودية » — ص ٤١ — ، بأنه خرافة .

اما الوضع « الاشتراكي » في اسرائيل فيكشف المؤلف بالارقام والادلة حقيقة أنه استعمار استيطاني يستند من ناحية الى الاستغلال الرأسمالي ، ومن ناحية اخرى الى الترويج للعنصرية وخاصة ضد العرب المقيمين في اسرائيل . وليس أدل على « اشتراكية » اسرائيل من تصريح لوزير الاقتصاد والمالية الاسرائيلي بنحاس سابير والذي نقله المؤلف عن معلومات نشرتها لجنة فلسطين في ميونيخ في حزيران/تموز ١٩٧١ ، يقول فيه : « بالامكان القول بأن لدينا نظاما ديمقراطيا ، فمن حق أي شخص أن يأتي الينا ويباشر نشاطه كرجل اعمال » .

ويتطرق المؤلف الى التعاون الاميركي — الاسرائيلي فيتحدث عن التنسيق الواسع بين الطرفين ، وعن تبادل المعلومات بينهما حتى حول امكانيات الاستخدام الفعال للاسلحة النووية في الشرق الاوسط . اما التنسيق بين اجهزة المخابرات فقد بلغ مرحلة متطورة ، « بل ان فاعلية السلاح الجوي الاسرائيلي في ٥ حزيران ١٩٦٧ ترجع ، في بعضها على الاقل ، الى المعلومات التي اعطتها المصادر الاميركية الى اسرائيل حول وضع المطارات المصرية بالاضافة الى المعلومات الدقيقة عن أماكن تجمع الطائرات المصرية المقاتلة » .

وبينما تواصل الولايات المتحدة الامريكية اسنادها الكامل لاسرائيل، تواصل الاخيرة مطالبتها الخداعة بالمفاوضات المباشرة بدون شروط مسبقة للضغط على الدول العربية وفرض سلام يضفي الشرعية على الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية . لقد تحولت الاراضي المحتلة الى مصدر للارباح الهائلة للمؤسسات الرأسمالية الاجنبية والاسرائيلية « أما نفط سيناء فهو مصدر ربح رئيسي ، وبموجب خطة أمدها ربع قرن فان انتاج النفط في سيناء الذي بلغ ستة ملايين طن في عام ١٩٦٧ سيرتفع الى عشرين مليون طن » . وبينما يجري هـذا فان سياسة الترحيل وبناء المستعمرات الجديدة والارهاب ضد السكان العرب مستمرة ، فقد بلـغ عدد الدور العربية التي فجرتها قوات الاحتلال حتى الخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٦٩ ، ٧٥٥٥ دارا . كما ان اسلوب تعذيب المعتقلين قد تحول الى نظام متكامل يمارسه موظفو التحقيق . يقول دايان : « باستثناء الاعدام ، فان المعتقل يمكنه ان يتعرض الى كل ما يمكن تصوره » — ص ٩١ — .

اما حركة المقاومة الفلسطينية فيشخصها المؤلف تشخيصا صحيحا فيقول « ان الفدائيين يشنـون كفاحا فعالا من اجل حق تقريـر المصير للشعب العربي الفلسطيني ، وهم جزء من حركة التحرر الوطني العربية » . ويدين كافة المحاولات الهادفة الى تصفية حركة المقاومة ، وفي مقدمتها المذبحة التي دبرها الملك حسين والرجعية الاردنية .

وفي سياق استعراضـه للمواقف السياسيـة والايديولوجية وبرامج منظمـات المقاومة يشـير كولدبرك الى ان مفهوم (فتح) عن اهداف حرب المقاومة والذي صيغ في معظمه في وثيقة « مبادىء الثورة الفلسطينية » التي أقرها المجلس الوطني الفلسطيني في ٦ ايار ١٩٧٠ لا يعطي اهتماما كافيا بالعلاقة الضرورية بين الكفـاح المسلح والكفاح السياسي . ويرى ان قرار مجلس الامن لعـام ١٩٦٧ يمكن ان يكون أساسا لحل في المنطقة ، ويدين اسرائيل لانها الطرف الذي لا يريد تحقيق السلام . وفي رأيه ان تحقيق انسحاب القـوات الاسرائيلية وفقا لقرار مجلس الامن « يمكن ان يحسن ظروف كفاح الفدائيين من اجل حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني » — ص ٩٥ —. كما انه يرى ان الهدف الذي حددته وثيقة « مبادىء الثورة الفلسطينية » والقاضي باقامة دولة فلسطينية يتمتع فيها المسلمون والمسيحيون واليهـود بحقوق متساوية « يبدو مغريا ، ولكنه بعيد عـن واقع الامور ، ففي هذا الخصوص يجري تجاهل حقيقة ان أمة (Nation) قد تكونت في اسرائيل ، وان هناك دولة اسرائيلية اعترف بها العالم ، وايضا من قبل جاراتها الدول العربية التي تتبنى اقرار مجلس الامن . كما انه ليس من الممكن اعتبـار اسرائيل والصهيونية اسمان لمسمى واحد ، بينما يكافح عدد متزايد من مواطنيها ضد الصهيونية . ان كفاح الشعب العربي الفلسطيني من اجل حق تقرير المصير كفاح عادل ، ولهذا فانه يتمتع بتأييد البشرية التقدمية . ان التناقض في « المبادىء » (المقصود وثيقة مبـادىء الثورة الفلسطينية — أ. غ) يكمن في حقيقة انها تضع حـق **الشعب** الاسرائيلي **(des Israelischen Volkes)** في تحقيق مصيره موضع التساؤل . ان المنطلـق القومي الضيق يضر بالفدائيين ويساعد الاوساط الصهيونية الحاكمة في اسرائيل » . — ص ٩٥ و ٩٦ — *.

على الرغم مـن ان كولدبرك اثار مثل هـذه الاسئلة وتركها دون اعطاء اجابة وافية عليها رغم اهميتها الحاسمة بالنسبـة لقضية الصراع مـع اسرائيل ، وعلى الرغم من بعض الاراء التي جاء بها والتي تحتاج الى مناقشة علمية ضافية لا مجال لها هنا ، فان البحث الذي قدمه محاولة مخلصة للتعريف بمشكـلة الشرق الاوسط وبالقضيـة الفلسطينية في بلد كجمهورية المانيا الاتحادية يعتبر مجالا شبه مغلق للدعاية الاسرائيلية .

أنور الغساني

---

* خطوط التأكيد من وضعي ، وهي اشارة الى وقوع كولدبرج في تناقض حول تحديد هوية سكان اسرائيل ، هل هم أمة أم شعب ؟ ولم يستطع المؤلف أن يبت في هذه المسألة في مواضع اخرى في كتابه . ومن المعروف ان تحديد هوية سكان اسرائيل تحديدا علميا أمر له اهميته سواء من الناحية الاكاديميـة او في المجال السيـاسي والتطبيقي. كما وأرجو ملاحظة ان هذه المراجعة محددة بالكتاب الذي تناولته ولم تأخذ بنظـر الاعتبار التطورات الاخيرة بعد حرب اكتوبر .

سعد جمعه ، **ابناء الافاعي** ، (دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٧٣)

اريد أن أقول اولا بأن هـذا هو ثالث كتـاب للاستاذ سعد جمعه ، رئيس وزراء الاردن السابق (كما يحرص على ذكر هذا اللقب في صدر كتابه) اقوم بمراجعته ، وبأني اتابع النشاط لهذا المؤلف بقدر لا بأس به من المتعة . واظنني لا ابالغ اذا وصفت كتبه بأنها « صيد سمين » للباحث الذي يتمنى ان ينتشله من الانغماس في مراجعة الكتب الجدية المرتبطة باختصاصه ، كتاب يحتوي علـى نثر به درر كهذا الذي يفتتح الكتاب : « هذه الباقة الملومة من هوامش النكبـة وحواشي المأساة ، أقدمها مشحونة بالاسى معجونة بالمرارة ، مغسولة بالدموع . قد صنعتها من دمي ، بنصها ونبضها ، في مناسبات عابرة تدل عليها تواريخها » . ان الاستاذ جمعه يختص منذ اول كتاب ألفه ، بالندب والنحيب لان « الامة الشريدة الطريـدة المثخنة بجراحها المدماة ، ما زالت [كعهد القارىء بها] تئن ولا من مجيب ، وتشكو ولا من ملب ، وتتلوى ولا من راحم .. » ولذا يكاد القارىء يرى آثار الدموع في كل سطر من سطور رئيس وزراء الاردن السابق .

ان المؤلف ينعي على العرب ميلهم الى اليسـار ويرى في ذلك الفاجعة الكبرى . فبالنسبة اليه ، الميل الى اليسار معناه الكفر بالدين والخيـانة للقومية والتنكر للتراث والسير في طريق العمالة . أن جمعه يتمنى ان يتعلم العرب من بن غوريون الذي يورد قوله بأن الدين هو الذي وحد شمـل اليهود وحفزهم على بناء دولة صهيون . كما انه يستشهد بحديث لابنة موشي ديان وصفت فيـه « القوة الروحية الهائلة » التي بثها الحاخام الاكبر في قلوب الجنود الاسرائيليين عشية الهجوم على سيناء عام ١٩٦٧ . ولا يكتفي بهذا القدر للدلالة على ضرورة العودة الى الدين ، بل انه ايضا يثني على شازار وبن غوريون لانهما امتنعا عن ركوب العربات اثناء وجودهما في لندن للاحتفال بدفـن تشرشل . فقد صادف الاحتفال يوم السبت « فأبى الشيخان اللذان جاوزا السبعين ، ركوب العربات كغيرهما من الوفود ، بل سارا علـى الاقدام ، حفاظا على شعائرهما الدينية التي تحرم استخدام وسائل النقل ذلك اليوم ، مسافة طويلة تزيد على كيلومترين . فلم يتهما بالرجعية والتخلف ، بل استحقا احترام المشتركين ، واثبتا للعالـم أن العقيدة مقدمة عندهما على كل شيء » . وسعد جمعه يقدم هذه الامثلة الاسرائيلية الـى العرب ليقتدوا بها ، لانها في رأيه قمة العظمة . الا انه انتقائي في تبجيله للاديـان ، فاذا كان الديـن اليهودي يفوز بفائق احترامه ، فانه ايضا يكن كل الاحتقار للهنود ، « عبدة الابقار » ، كما يسميهم.

ويشعر سعد جمعه بأن الاسلام في حالة حصار ، اذ يقول : « جميع الاحزاب اليسارية قامت فـي الاساس لمحاربة الاسلام .. جميع الحركات القومية وجدت في الاساس لمناهضة الاسلام » . ولذا فانه ينصب نفسـه محاميا للروحانيات ضد الهجوم الذي يتخيله . حتى الجبهات الطلابية التي تساند الموقف العربي يطعن بها لانها تنتمي الى اليسار ، فهو يكتب : « كما تبين عدم اخلاص الثورة الطلابية للمبادىء التي زعمت انها دفعتها الى التحرك ، وهي لا أخلاقية الحرب في فيتنام ووضع حد لمـا يسميه فولبرايت : « قذارة القوة الاميركية » .. **فهم لم يشيروا مرة واحدة الى لا اخلاقية الحركة الصهيونية في الشرق الاوسط** .. » وهكذا ينفـي المؤلف في سطر واحد جميع الجهود التي بذلتها فئات كبيرة داخل اليسار الغربي الجديد في سبيل الدفاع عن القضية الفلسطينية .

ويبدي المؤلف اشمئزازه من الارهاب . فهو عقب حادثة الالعاب الاولمبية في ميونيـخ كتب يقول : « اننا نستنكر الاعتداء على العزل من السلاح ، وننكر النضال القومي في غير ارض المعركة ، لان ذلك لا يورثنا الا الضياع والتبدد والخسران ، في هذا العالم المجنون الضالع مع الباطل ، المجانب للحق .. » وينبغي هنا التذكير بأن الاستاذ جمعه لا يتعاطف كثيرا مع المقاومة الفلسطينية . ففي كتاب سابق له اتهم رجالها بالانشغال عن القتال باقتناء الصور الخليعة !

ان قراءة كتاب لهذا المؤلف تترك انطباعا يمكن وصفه بأنه يشبه الاثر الذي يخلفه فيلم مصري من الاربعينات ، يتناوب فيه يوسف وهبي وامينة رزق البكاء والنواح ، في نفوس جمهور في السبعينات من هذا القرن . فالكتاب يزخر بالصور الهزلية غير المتعمدة التي تستحق ان تحتل مكانة مرموقة في خانة الادب المضحك . وفيما يلي نموذج على هذه

المزليات : « ان اسرائيل تسخو اليوم في رواتب العمال العرب ، ولكن الانباء التي جاءتنا تؤكد ان ما يقبضه العمال العرب باليمين ، يعيدونه الى اسرائيل بالشمال .. فبعد مغيب شمس كل يوم تنطلق مئات بل ألوف الفتيات الاسرائيليات ، **حاسرات عاريات متبرجات** الى الاحياء العربية ، حيث المناخ النفسي معد مسبقا للانجذاب الى الاغراء الكاسح المدمر ، بغية امتصاص الصمود العربي ، وضرب التحدي العربي ، وبروز جيل من شبابنا المنحرفين اللاابالين المذهولين بالشهوة والجنس ، تتحكم فيهم بواعث الرذيلة ، وتوجههم نزوات التهتك والجنس المحموم » .

الا يذكر هذا المنظر بأفلام المخرج الايطالي فريدريكو فيلليني ؟ ليتصور القارىء الشوارع وقد امتلأت عند المغيب بآلاف الاسرائيليات العاريات وهن متوجهات بتصميم صهيوني شرير لامتصاص الصمود العربي ، ولضرب التحدي العربي تحت الحزام . انها صورة مريعة لا شك . وقد يتساءل القارىء عن طبيعة العمل الذي يقوم به هؤلاء العمال العرب اثناء النهار ، فيصبحوا « ضحية لمناخ نفسي معد مسبقا للانجذاب الى الاغراء الكاسح المدمر » . حقا ان اسرائيل ماكرة !

وفيما يلي صورة سينمائية اخرى تذكر بمخرج « الحياة اللذيذة » و « روما » و « ساتيريكون » : « جرى مؤخرا في فندق الاردن عقد قران كلب المغني الزنجي في النادي الليلي في الفندق على كلبة مديره الاجنبي ، واقيمت للمناسبة السعيدة حفلة صاخبة وجهت لها الدعوة الى اصدقاء العروسين الجليلين، وجلس الزوجان السعيدان على مائدة غصت بما لذ وطاب وفي وسطها كعكة الزفاف ، وطافت بالمدعوين كؤوس الشمبانيا وعلا ضجيج الروك اندرول . قال لي احد المدعوين : خرجت من الحفل المهيب بعد منتصف الليل اشكو الى الله هذا الدمار الخلقي ، وحين سلكت سبيلي الى سيارتي ، استوقفني شاب ، مد الي يده يطلب حسنة لوجه الله ، يضع بها شيئا في جوفه الذي لم يدخله طعام منذ ايام » . ولا يخبرنا الاستاذ جمعه لماذا حضر صاحبه هذا الحفل المهيب اذا كان يشكو الى الله من الدمار الخلقي ، أو لعل المؤلف نفسه كان احد المدعوين ؟

قد يلوح للقارىء لاول وهلة بأن كتاب الاستاذ جمعه يمكن اهماله على اساس انه ليس اول ولن يكون آخر كتاب تخطى فيه مؤلفه حدود العقل السليم الى الهبل المضحك . ولكن لنتذكر قبل القاء هذا الحكم بأن المؤلف سبق له وان شغل المناصب العالية في بلاده ، اذ كان سفيرا ووزيرا ، وفي غضون حرب حزيران اصبح رئيسا للوزراء . كما انه جاد في تأليف الكتب ، وقريبا سيصدر له كتاب رابع (ان لم يكن قد صدر فعلا) وهذا النشاط « الفكري » المستمر من شأنه أن يقودنا الى الاقتناع بأن نكون قد أحسنا الظن في نياته اكثر مما يجب ان نفعل فيما لو رمينا كتبه جانبا بحجة السخف المتناهي الذي يسري في كل سطر من سطورها . فالرجل يتصرف وكأنه يؤدي رسالة سامية أوكلت اليه . فهناك ناشرون ينشرون له كتبه ، وصحف تعلن عنها في مقالات كلها مديح ، وجهات تشتري النسخ بالجملة .

ويبدو ان هناك فئات معينة يسرها ان يعزف هذا المؤلف في كل كتاب يكتبه على النغمة العتيقة التي طالما فسر بها وعاظ السلاطين كل كارثة نزلت بقومهم ، وهي ان الاله غاضب على هؤلاء القوم لانهم تقاعسوا في عبادتهم له . على كل حال ، لا بد ان المؤلف قد شعر الان بأنه وضع قدمه في فمه عندما ارتفع صوته بالندب والنواح على هزيمة الانسان العربي (ظهر كتابه اثناء حرب رمضان) في الوقت الذي كانت فيه القوات العربية تحارب العدو في ثلاث جبهات ببسالة ادهشت العالم . ولذا فاننا نتمنى ان يصاب الاستاذ سعد جمعه ، رئيس وزراء الاردن السابق ، بتوبة من الحياء تجعله يكف عن الوعظ والارشاد على صفحات الكتب ، وينصرف الى نشاطات اخرى اكثر ملاءمة مع مواهبه وامكاناته .

ف. المنصور

صالح عبدالله سرية ، **تعليم العرب في اسرائيل** ،
(مركز الابحاث في م.ت.ف. ، بيروت ١٩٧٣)

تعتبر المدرسة واحدة من اهم مؤسسات المجتمع الهادفة بشكل تعمدي مباشر الى تربية وتعليم الاجيال الصاعدة ، ففيها يقضي الفرد اهم فترة من سني عمره يتم خلالها القسط الاكبر من عمليات تكوينه وتشكيله عقليا وعاطفيا .

لذا يحرص كل نظام قائم في أكثر بلدان العالم على اعداد فلسفة للتربية والتعليم خاصة به ليضع على ضوئهـا البرامج الدراسية ووسـائل تطبيقها التي تؤدي الى خلق الانسان الذي يريده في مواطنيه . ويتسنى للدولة ان تقوم بهذه المهمة عن طريق الاشراف علـى الدعامتين الرئيسيتين للتربية والتعليم ، المعلمين والمناهج ، اللتـين تشكلان مع الطلاب المقومات الاساسية للمدرسة.

وقد خططت الصهيونية منذ البدء لتكون التربية احدى الاسس التي ترتكز عليها في بنـاء جيـل يهودي – صهيوني يعيش في مجتمع عصري موحد من جهة ، وتهويد من تبقى من العرب داخـل الاراضي المحتلة وابقاءهم كما متخلفا عـن بقيـة المجتمع الاسرائيلي من جهة اخرى .

احب أن اشير منذ البدء الى ان قضيتنا فـي فلسطين ليست قضية عرب مضطهديـن تحـت الاحتلال ، بل قضية غزاة يجب طردهم . ولكـن مأساة مئات الالوف من العرب في اسرائيل جانب هام من جوانب قضيتنا نسلط الاضواء عليـه . لنكشف عن الطبيعة الفاشية لهذا الاحتلال.ولعل الحاجة ماسة الى تذكير العالم بحقوق من تبقـى في فلسطين من اصحابها الحقيقيين ، والى تعريـة التنكر الصهيوني لكل القيم والحقوق ، وان كنا على ثقة تامة بأن الحقوق لا تعـود بالتذكـير والمناشدة بل بالكفاح المسلح وحده .

وكتاب الدكتور صالح عبدالله سريه « تعليـم العرب في اسرائيل » محاولة موضوعية تتنـاول احوال العرب في اسرائيل منذ ١٩٤٨ من المنظـور التعليمي وما تعنيه هذه الاحوال وتترجم عنه من اوضاع اجتماعية واقتصادية . والكتاب في اصله اطروحة للدكتوراه حول تعليم العرب في اسرائيل تقدمت لجامعة عين شمس في القاهرة في صيف عام ١٩٧٢ ، وقام مركز الابحاث بنشرها في حوالي ٢٥٠ صفحة موزعة على مدخل وثمانية فصول وخاتمة وثمانية ملاحق وثبتا بالمراجع العربية والاجنبية . وتناول الفصول الموضوعات التالية : نبذة تاريخية عن اوضاع العرب في اسرائيل ، معالم فلسفـة التعليم وتطبيقاتها في اسرائيل ، النظام التعليمي في اسرائيل ، مشكلة الكم في تعليم العرب ، مشكلة الكيف في المدارس العربية ، صورة الامة العربية في تعليم العرب ، صورة اسرائيل واليهود في الكتب المدرسية العربية ، وتربية العرب من اجل الولاء لدولة اسرائيل والشعب اليهودي .

فلسفة التربية عند اليهود : تستمد التربية في اي مجتمع اصولها واهدافها من الفلسفة السائدة في ذلك المجتمع واهدافه من حيث هي انعكاس لمطالبه واحتياجاته كما يعبر عنها ذوو الشأن في المجتمع. وباستقراء ما كتبه زعماء الحركة الصهيونية وقادتها نستطيع ان نخرج بعدد من المعالم التي اشتقت منها الاهداف التربوية في اسرائيل ، وهذه المعالم هي مبدأ القومية اليهودية الرامية الى جمـع شتات اليهود في العالم ، ارتباط الدين بالقوميـة وخاصة عقيدة الشعب المختار الذي يقتضي معاملة الامم الاخرى وخاصة المغلوبة بسياسة التمييـز العنصري ، ولقد زاد هذه السياسة العنصرية ما عاناه اليهود من اضطهاد العالم لهم حتى أصبحت فلسفة الاضطهاد جزءا من عقيدتهم بالاضافة الى احياء الثقافة اليهودية والتراث اليهودي .

تطبيقات هذه الفلسفة على تعليم العرب : تلك هي المبادىء العامة التي تحدد سياسة التعليم في اسرائيل للطلاب اليهود . اما بالنسبة للعـرب فيمكن ان نحدد منطلقات اسرائيل في وضع هـذه الاسس بالميدأين الاتيين ١ – خلق الانسان العربي – الاسرائيلي ، المنسلخ عـن تراثه وانتمائـه العربي،والمرتبط والمقدم الولاء للصهيونية ودولتها. ٢ – تهيئة الطالب العربي ليأخذ دوره كمواطن درجة ثانية في المجتمع الصهيوني . ويمكن تلمس هذه السياسة واضحة من خلال ١ – وجود نظام تعليم منفصل خاص بالعرب يكون خاضعا خضوعا مباشرا لادارة يهودية ومختلف تماما عن نظـام التعليم الخاص باليهود وتكون مهمته متلائمة مـع انتاج الجيل العربي الخادم الذلول . وعلى هذا

يحرم من كثير من الانجاهات الحديثة او التسهيلات المادية اللازمة كالعديد من انواع التعليم والخدمات التعليمية المختلفة . ٢ — تدني نسبة انتشار التعليم بين الاقلية العربية بكل مقياس سواء بالنسبة الى اليهود في اسرائيل او بالنسبة للاجئين الفلسطينيين في البلاد العربية او حتى بالنسبة للبلاد العربية او لعهد الانتداب البريطاني في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ . ويمكن ملاحظة تدني هذه النسبة بشكل اكثر حدة كلما ارتفع السلم التعليمي. ويزيد من حدة انخفاض انتشار التعليم بين العرب ضخامة المهدور فيه ، فمن أصل مئة طالب يدخلون الصف الاول الابتدائي لا يصل الى نهاية المرحلة الثانوية الا سبعة طلاب ولا يتخرج منهم الا طالب واحد فقط . ٣ — تدني مستوى التعليم حيث كانت نسبة الناجحين في الامتحان الوزاري للدراسة الثانوية قبل ١٩٦٠ تدور حول ١٠ ٪ في حين ان هذه النسبة لليهود كانت حوالي ٨٥ ٪ . ٤ — طبيعة محتوى المناهج والكتب التي تدرس للعرب والتي وضعت لتجهيل الاجيال الصاعدة بتاريخ امتهم مقابل تقديم معلومات مضخمة عن اليهود واسرائيل والعالم الغربي ، ويظهر ذلك بشكل جلي من خلال تشويه مناهج التاريخ والتراث العربي ، حيث يظهر التاريخ العربي تاريخ خلافات وفتن وحروب داخلية ، وتظهر الحضارة العربية بأنها معدومة ومقتبسة من غيرها بشكل كامل . والاخطر من هذا محاولة غرس وتنمية الانتماء الديني الطائفي الضيق بدل انتمائه العربي لتمييع صراعه القومي مع الصهيونية كحركة سياسية عنصرية تستهدف عروبة فلسطين وشعبها ، يرافق ذلك تقديم الحركة الصهيونية كحركة حضارية متقدمة لها جذور في فلسطين وبالتالي حق اقامة الدولة عليها ، بل اقامة دولة ديمقراطية تتعايش فيها الطوائف بسلام . كل ذلك لنفي اسباب الثورة والصراع بالنسبة للطالب العربي تحت الاحتلال، بل وربطه بالدولة وخلق الولاء لها .

بعد هذا الاستعراض الموجز لاهم محتويات الكتاب ، لا بد من القول ، ان هذا الكتاب وان كان لا يكشف عن وثائق جديدة ولا يضيف معلومات جديدة ، وكل ما فيه مفرق في كتب عربية واجنبية ، فهو يثير قضايا جديدة ، والمؤلف مشكور على الجهد الذي بذله في اعداد هذا الكتاب المفيد للقارىء في ظروفنا المصيرية القائمة . ومع ذلك فلا بد من ابداء بعض الملاحظات التي لا تقلل من اهمية هذا الجهد .

فأول ما يلاحظ هو عدم الاهتمام الكافي والعميق بدراسة وتحليل ابعاد محاولة غرس وتنمية الانتماء الديني الطائفي الضيق للطالب بدل انتمائه القومي ، كما يلاحظ ضعف ومحدودية الدراسة التحليلية التي حاولها المؤلف وخاصة لمواد الاجتماعيات ، وثالث الملاحظات هو الايجاز المخل الذي قدم به المؤلف مقترحاته لمعالجة سياسة اسرائيل التربوية ، ورابعها هو التناول السريع والسطحي لدور مؤسسات التعليم العربية الخاصة في اسرائيل كالثانوية الاكليريكية في الناصرة والكلية الارثوذكسية العربية في حيفا ، التي اسسها في الناصرة وعكا والفرير في حيفا ، الاميركان الانجيلة في الناصرة وكلية الجليل في عيلبون وغيرها الكثير من المدارس الابتدائية الطائفية والارسالية المنتشرة في المدن وبعض قرى الجليل والتي لعبت دورا كبيرا في نشر المعرفة والعلم والثقافة بين الطلاب العرب . وخامسها خلو الدراسة من معالجة لاوضاع التعليم في الضفة الغربية وقطاع غزة واثر حرب ١٩٦٧ واتصال الاقلية العربية الموجودة داخل حدود ١٩٤٨ بالعرب الموجودين داخل حدود ١٩٦٧ على التعليم لدى كل منهم . وسادس هذه الملاحظات هو معالجة المؤلف لموضوع بحثه من خلال تأكيده الملح على فكرة تقسيم العرب تحت ظل الاحتلال الى طوائف ومذاهب وفي هذا ما فيه من محاذير ومنزلقات خطرة ، واخر واهم هذه الملاحظات هو سؤال الدكتور سريه عن الكيفية التي توصل فيها الى استنتاجه ان المقاومة الفلسطينية لم تستطع استقطاب الاقلية العربية في اسرائيل لتشاركها الثورة بشكل فعال ومؤثر ؟ واذا جازت الشهادة بما يقول العدو فأود ان يقرأ معي الدكتور سرية ما قالته صحيفة هآرتس الاسرائيلية في عددها الصادر يوم ٧١/٧/٢ « ان معظم الذين يتجندون للنشاط التخريبي من بين عرب البلد ينتمون الى الشباب المثقف من ابناء الطبقات المتوسطة والغنية الذين حصلوا على مساعدات من الدولة تتجاوز المقاييس المعروفة للشبان اليهود المحتاجين للمساعدة وخصوصا في مجال التعليم » .

سمير أيوب

ثقافة

الشعر الحديث والبدايات الثورية

تقدم الشاعرة الفلسطينية سلمى الخضراء الجيوسي في دراستها « الشعر العربي المعاصر ، تطوره ومستقبله » المنشورة في مجلة « عالم الفكر » — المجلد الرابع ، العدد الثاني — سجلا يكاد يكون شاملا ، لاهم التيارات التي تتجاذب الحركة الشعرية المعاصرة . فالدراسة تعود الى بدايات هذا القرن لتكتشف الممهدات الفنية والثقافية التي أدت الى بروز الحركة الشعرية الحديثة بمصطلحاتها وتياراتها الرئيسية. كما تقيم في الوقت نفسه بناء نقديا لا ينحصر في النقد الفني والجمالي، بل يمتد ليستوعب علاقة الشعر بالواقع السياسي وبالتحولات الاجتماعية التي طرأت على حياتنا العربية بعد « نكبة » فلسطين ١٩٤٨ . فعام « النكبة » هو الحد الفاصل بين القديم والحديث في رأي الكاتبة : « ولعل عام ١٩٤٨ هو التاريخ الوحيد الممكن اعتباره نقطة تحول فوري وحاسم في الادب العربي الحديث ، فقد اعلنت نكبة ١٩٤٨ نهائيا وبشكل قاطع افلاس نظام الحياة القديم وسقوطه ، وبرز عندنا جيل من شعراء الرفض والادانة والانكار » — وهي لا تنزلق الى معادلات العلاقة المباشرة للشعر بالتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية . بل تعتبر هذه التطورات صورة متحركة في خلفية الدراسة ، وتترك لنفسها البحث الادبي والفني المباشر .

تقسم الدراسة الى قسمين رئيسيين :

تعالج الكاتبة في **القسم الاول** مقدمات الحركة الشعرية الحديثة . **الرومنطيقية** المرتبطة بالثورة على الكلاسيكية التي مثلها شوقي . ثم **الاتجاه الرمزي** الذي مثله اديب مظهر وسعيد عقل . ثم تنتقل بعد هذا التقسيم الافقي الى تقسيم عامودي نتناقش **اللهجة والموقف من الحياة** متوقفة عند الاتجاه الشعري الساخر ، وعلى الموقف المزدوج من المرأة ، وتنتقل الى **اللغة الشعرية** لتتحدث عن الانجازات اللغوية الجديدة في هذه المرحلة ثم تتوقف عند ظاهرة **الشعر السياسي** كما تمثل في شعر الجواهري وتنتقل بعد ذلك الى مناقشة **مسألة الشكل الشعري** لتكتشف معها اهمية التجارب التشكيلية التي سبقت الحركة الشعرية الحديثة متوقفة عند تجارب العديد من الشعراء الذين استطاعوا بثورتهم على الشكل القديم التمهيد لتحرر الشعور العربي الحديث من القوالب الجامدة .

أما القسم الثاني من الدراسة فهو مخصص لدراسة الحركة الشعرية المعاصرة كما ظهرت بداياتها في الخمسينات : « واذا نظرنا الى الشعر المعاصر استطعنا ان نقول انه في جوهره شعر سياسي بمعنى واحد : هو انه ينزع الى التأكيد على ضرورة تغيير العالم » . وتقسم الدراسة شعر الطليعة الى قسمين : الشعر العقائدي : السياب في شعره الباكر والبياتي ، والشعر الذي لم تسيطر عليه عقائدية مؤمنة فهؤلاء « كانوا شديدي الصرامة والاتهام والادانة في حكمهم على عصرهم ولم يسر بعضهم (ادونيس ، بلند الحيدري ، السياب — بعد تحوله عن الماركسية) ان اسباب الامل أصبحت مشروعة ، فأرهصوا في شعرهم لحزيران ١٩٦٧ » . ونحن سنتوقف في استعراض هذا القسم من الدراسة عند نقطتين :

١ — ترى الجيوسي ان الشعراء كانوا أسبق من المفكرين الى اكتشاف الذات . « فالكتب الفكرية لم تجرؤ على الرفض الكامل الذي جرؤ عليه الشعر ، ولا على تلك الادانة الكاملة ، بل اتخذت موقفا تبشيريا قاصرا اكتفى بالوعظ والارشاد . ولم يعلن المفكرون سقوط القيم التي بني عليها المجتمع التقليدي وافلاسها الروحي والانساني الا بعد رؤية الشعراء » . هذه النقطة البالغة الاهمية

التي تقوم الدراسة ببسطها مـن خلال تحليلات سريعة لاعمال عدد من الشعراء بحاجة الى تفسير وتحليل . فهل يخرج الشعر بهذا التعميم عـن مسار الايديولوجية العربية السائدة ؟ وكيف يتم خروجه ؟ أي عبر اية عملية خاصة استطاع الشعر دون غيره ان يكشف الغطاء عن واقعنا مجبـرا « الفكر » على اللحاق به ؟ ان الدراسة لا تطرح هذا السؤال وهنا تكمن الخطورة الاساسية . فالنمذجة التي قامت بها الكاتبة لم تصل الى نهايتها المنطقية أي الى التقاط علاقة الشعر بغيره مـن المستويات . لذلك ونحن نبحث مـع الكاتبة عن مفاصل التجربة الحديثة : اللغة ، الصورة ، الموسيقى ، اكتشاف الفاجع في حياتنا العربية ، الرموز ، لا نصل الـى اكتشاف الجواب علـى السؤال المنطقي الذي يطرحه هذا النص .

٢ ــ في النمذجة السريعـة التي قامت بهـا الدراسة ، نلاحظ ان الشعر المعاصر لا ينقسم الى مدارس ، بل ينقسم الى شعراء . فهناك ادونيس ــ السياب ــ حـاوي ــ درويش الخ . ، لكننا لا نرى نمذجة للمدارس الشعرية بل تأتي النمذجة من نمط آخر : اللغـة ، الصورة ، الشكل ، الوزن ، قصيدة النثر الخ . ، ان غياب النمذجة عن هذا القسم الثاني يدفعنا الى التساؤل حول مشروعية نمذجة القسم الاول . فالواضح مـن الدراسة ان رومنطيقية ابي شبكـة ورمزية عقل ليست هي الرومنطيقية أو الرمزية الاوروبية . فهي تستعير منها لكنها ليست جزءا منهـا . والشعر المعاصر يستعير هو الاخر من الكثير من المدارس الشعرية الغربية . وربما كانت نمذجته المدرسية لا تزال سابقة لاوانها . غير ان سؤالنا يدفعنا الى البحث عن امكانية جديدة لنمو نقد عربي ينطلق اساسا من تحليل واعادة اكتشاف الادب العـربي الحديث ، ويقدم على هذا الاساس نماذجه وطرائقه الخاصة به .

تتميز هذه الدراسة بميزتين هامتين :

فهي **أولا** تعيد التأكيد على نقطة بالغة الاهمية ، هي علاقة الثـورة الشعرية الحديثة بتاريخهـا المباشر . أي بالمدارس الشعرية التي سبقتها . من هنا فالثورة الشعرية ليست طفرة بلا مقومات ، بل ان مقوماتها عميقة الجذور في تراثنا الادبي . ورغم أن هذه النقطة البالغة الاهمية تبقى ناقصة اذا لم يجر ربطها بالاثر المباشر الذي أحدثته الحركة الشعرية العالمية (وليس فقط الغربية وان كانت هذه لعبت دورا بالغ الاهمية) في دفع وتيرة التثوير في شعرنا المعاصر .

كما انها **ثانيا** تلتقط أهم مفاصل الرؤيا الشعرية وتعيد اكتشافها من جديد ، واضعة اياها في سياق تركيبي يحمل هم مرحلة شعرية بأسرها . ورغم ان الانطباعية تظهر في بعض ثنايا الدراسة ، فانهـا استطاعت ان تتحرر من أثرها لتصل الى اعطاء صورة موضوعية عن الحركة الشعرية المـربية رغم بعض الانتقائيـة التي حجبت بعض الاعمال الشعرية الهامة كأعمال الماغوط والبياتي التي لم تلق عليها سوى ضوءا خافتا .

بقي لدينا ملاحظة واحدة : فالكاتبة تبدأ دراستها النقدية هذه بتحديد للشاعر العربي المعاصر مـن طبقة الرواد تقول فيه : « انه شاعر مصاب بجرح روحي عميق ، منقسم على نفسه ، تهيمن عليه مواقف مختلفة من الغضب والرفض والرعب والامل الجديد » . وتنتهي الدراسة بالقول عـن زمننـا الراهن:« انه وقت انفجار الشعر المروع والمبصر، لانه زمن الحركة والمغامرة نحو المستقبل » . لكن مغامرة هذه الدراسة النقدية تتوقف عنـد حدود شعراء محدودين جدا ومن جيل واحد . ولم يخترق أحد جدار هذا الجبل سوى محمود درويش الذي يبقى التحليل الذي قدمته عن شعره بحاجة الى كبير نقاش ، لانه لا يصلنا بالتجريبية الجديدة التي دخلها هذا الشعر مع ديوانيـه الاخيرين ومـع قصائده الجديدة . غير اننا نتساءل هل تنتهـي خريطة مستقبـل الشعر المعاصر قبـل دراسة الارهاصات الشعرية الجديدة التي تتشكل اليوم دون ذلك الخوف والاشتياق الى الغرب كثقافـة سائدة ؟

على قمة الدنيا وحيدا

تتابع فدوى طوقان في مجموعتها الشعرية الجديدة « على قمة الدنيا وحيدا » الخط الذي رسمته لنفسها في مجموعاتها السابقة . فهي تبقى أسيرة الحزن بمعناه الرومانسي الفردي المباشر . وتبقى ضمن شبكة لغتها الشعرية المائلة الى القتامة والرتابة . وهي حين تحاول أن تجد لنفسها مكانا في الشعر الفلسطيني المعاصر تبقى على طرف هذا الشعر ، تحاول الحوار معه ومع نماذجه ، غير ان الصدفة تظل أقوى من الرياح التي تهب ، فلا تنفتح الا ببطء شديد وتعود بعد ذلك الى الانغلاق باحثة عن نقاط سابقة تستطيع استيعاب المجاري الجديدة . والتحول البطيء نحو الغنائية الجماعية الذي نشهده في هذه المجموعة الجديدة ، هو وليد تطور بطيء بدأ مع مجموعتها « الليل والفرسان » التي حاولت فيها الاقتراب من نماذج الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة . لكنها بقيت عند الحدود الخارجية الوصفية لهذه النماذج . من هنا يحاول الشعر الفلسطيني ان يقفز عبر تثوير لغته وتشكيله ، بينما تمشي طوقان ببطء شديد على القاعدة القديمة التي بنتها لنفسها عبر ممارسة الشعر فترة طويلة من الزمن .

ماذا تقدم هذه المجموعة ؟

قبل الاجابة على هذا السؤال ، فاننا سنحاول أن نقرأ المجموعة قراءة نقدية تسمح لنا باكتشاف مفاصل الحركة الشعرية . تضم المجموعة اثنتي عشرة قصيدة تتراوح بين البكائيات الحزينة والمراثي ونشد قصيدتان عن هذا المنحى الفاجع : « نبوءة العرافة » و« أغنية صغيرة لليأس » . هنا يحاول الشعر اختراق رتابته بالوصول الى الغنائية الجماعية التي تنفجر وسط الالم . غير ان محاولة الاختراق هذه تصطدم بالتراث الشعري الخاص الذي بنته طوقان فلا يلبث الايقاع الرتيب من التغلب على انطلاقة المحاولة . وتعود المجموعة لتنتمي الى رؤية شعرية خاصة تبعدها عن مسار الحركة الشعرية الفلسطينية بتياراتها المختلفة . لكنها لا تسمح لطوقان بتشكيل تيار خاص بها . فليس في هذه التجربة شمول لغوي او رؤيوي ، أي انها لا تؤسس ، بل تتابع . من هنا تبقى صوتا خاصا له مذاقه ودوره .

تحاول هذه المجموعة أن تمركز نفسها حول خمس نقاط :

١ — فهي تنطلق **من احساس حاد بالغربة** : على قمة الدنيا وحيدا ، هو كذلك عنوان أهم قصائد المجموعة . فيستحيل الشهيد وائل زعيتر الى رمز فلسطيني شامل . فهو الحنين الى الارض ، وهو الغربة الشاملة الساحقة . لكن وحدته تستحيل مع فعل الموت الذي يدخل فيه الى جسر للوصول صوب الآخرين :

« نحن نمضي ونسافر
ونلاقيك ، نلاقيك على
قمة الدنيا وحيدا يا بعيدا ، يا
قريبا ، يا الذي نحويه فيضا في الخلايا ،
في مسام الجلد ، في نبض الشرايين التي
وترها الحزن المكابر »

هذا الامتداد الذي يشكل قمة التوتر الشعري في القصيدة ، هو قمة محاطة بسفحين من الحنين الرومانسي والتفجع العاطفي . فالغربة تبقى غربة فردية لها سماتها الخاصة ، وهي حين تحاول أن تتعمم لا تلبث أن تعود الى الشعارات الجاهزة والخاتمة المتوقعة . فالموت هنا ، هو موت حقيقي وعياني . والتجربة الشعرية لا تستطيع أن تمسك به كلحظة تاريخية . من هنا تصبح الغربة فردية ، رغم محاولة اقناعنا بجماعيتها ، ورغم ما فيها هي كتجربة حية من امتداد يتخطى الفرد ، ويصب في النقطة التي توحد شعبا بأكمله . هذه الغربة الفردية ، لا تلبث ان تطالعنا في أولى قصائد المجموعة « في المدينة الهرمة » فالتداعي بين لندن ونابلس يستطيع ان يتجاوز مسألة وعد بلفور ليصل الى صلب العلاقة الامبريالية نفسها . لكننا هنا ، بين وعد بلفور وبين تحقيقه في مجنزرة اسرائيلية تعبر شوارع الضفة الغربية . لذلك يأتي النفس الشعري خائفا من المواجهة . يحاذي المسألة ، ويتطلع اليها ، دون ان يصل الى ربط المسألتين . « كلنا في حصار التوحد » تقول القصيدة . وينساب اللحن جنائزيا امام العجز الكامل عن مواجهة الحقيقة . فالحقيقة المرة نعتادها دون أن نواجهها ونبقى في الوحدة القاتلة .

٢ — وننتقل الى **التقديرية المباشرة** في محاولة الاقتراب من الحدث اليومي في بساطته . ففي قصيدة « كوابيس الليل والنهار » تحاول القيام بعملية مزدوجة . التركيز على الرمز الشعبي « عنترة العبسي » والالتفات الى المشاكل اليومية — مصادرة الارض — هذه المزاوجة تحاول ان تنقل صورة الواقع الفلسطيني كما هو — الفدائي الذي يضربه النظام العربي — والجندي الاسرائيلي الذي يدق على الابواب وينهب الارض . في هذه العملية ينقلب الشعر الى مجرد انهيار بطيء فعبلة التي تزوجها الغرباء لا تستطيع فتح بابها . والعدو في الارض ونحن نرفع الشكاوى اليه لانه يعتدي على أرضنا . هكذا تضيق مساحة الامل . ويفقد الشعر قصره المتلىء ، ليتسطح بنثرية خالية من التوتر على الورق . والشاعرة تقوم من اجل انقاذ قصيدتها من السقوط بحبكة بارعة . فتكسر الرتابة في خاتمة القصيدة بصور متلاحقة تشد مفاصل النثر وتعطيه عبثية البعد اللاواقعي .

« ينكسر الصمت

يعوي حيوان في غابة

وتلعلع في طيات السحب الرعدية

ضحكات الرب » .

٣ — ان شد خيوط الشعر والوصول الى القصيدة المتعددة العناصر يأتي مع قصيدة « نبوءة العرافة » . هنا يأتي **اللحن الذي يتكرر عبر لازمة دائمة** ، وهنا نشهد تجربة معقدة مبدئيا ، تتعدد فيها الاصوات . صوت العرافة ، صوت فلسطين، وصوت الفدائي. لكن هذا الطموح الذي يمثله تعدد الاصوات وقدرة أحدها على الوصول الى غنائية شفافة — صوت الفدائي — لا يلبث ان يخنقه عاملان : المباشرة الفجة التي نسمعها من صوت العرافة . « حاذري اخوتك السبعة » فالرمز هنا، الذي يبدو للوهلة الاولى معقدا ، تأتي هذه الجملة لتضربه ضربة قاتلة . فتنحل القصيدة امام اصرار العرافة على تكرار نبوءتها الممل . فالقصيدة التي تحاول ان تكون شهادة على واقع النضال الفلسطيني ، تتحول الى مجرد سرد تقديري يفتقد التحليل العميق ، ويتفجع على الحلم الذي سقط قبل أن ينضج ويتكامل . لكن العرافة بعد أن تحققت النبوءة لا تتركنا فريسة لليأس . فترفع صوتها معلنة ضرورة عودة المقاتل :

« حين تتم دورة الفصول

ترجعه مواسم الامطار

يطلعه آذار

في عربات الزهر والنوار » .

٤ — تأتي **اللغة الشعرية القديمة والخافتة** ، لتشكل في النهاية دائرة كاملة ، فالصوت خافت ، واللغة الشعرية لا تبحث عن مجالات جديدة ، وعن آفاق خاصة بها . والصورة الشعرية ، تبقى أسيرة التشبيه المباشر . أي أن البحث عن ميادين جديدة للممارسة يبقى بعيدا عن هموم هذه المجموعة الشعرية . فالوطن الذي يمد ذراعيه ليستقبل جراح المناضلين ، لا يفتح لهذه الجراح أراضي جديدة خاصة بها ، بل يضعها الى جانب جراحه السابقة . لذلك فحين لا تتجدد الرؤيا الشعرية ولا تتعقد ، فان البحث عن لغة جديدة يصبح بحثا عقيما وتشكيليا محضا . وهذا ما لم تسقط فيه فدوى طوقان . فبقيت محافظة على تراثها الكلاسيكي ، وبنت لجراح الارض صورة خاصة مطبوعة بطابعها . لذلك بقيت الرؤيا الشعرية تراوح مكانها . فهذا الشعر يذكرنا بشكل مباشر بشعر الخمسينات ، في لغته ورموزه المباشرة وتشابيهه وفي هذا التوجه الرومانسي الذي ينفعل بشكل مباشر بالحدث المباشر ، ولا يعيد صياغته من جديد . « فأصابع الزنبق ، والكف المخملية وزهرة قلبي والعبق الطري » وغيرها من التشابيه والصور تعود بنا الى الذاكرة ، ولا تضعنا في مواجهة المستقبل . واذا كان لهذه المجموعة من محاولة على المستوى التشكيلي فانه يكمن في بحثها عن اكتشاف حركيتها من خلال الافعال. أي الابتعاد قدر الامكان عن التشابيه . لكن الفعل هو الآخر يأتي بطيئا وغير قادر على نقل البعد التشكيلي الذي يحمله ، فيأتي الشعر خافتا امام بوابة الوطن . يقف خلفها ويقرع .

٥ — في المقابل تحاول هذه المجموعة البحث عن **غنائية لمقاومة العدو** كما في قصيدة « أغنية صغيرة الى اليأس » . ففي هذه القصيدة ، يرتفع الصوت الغنائي لينضم الى صوت الشعر القادم من الارض المحتلة . فالعلاقة القمعية التي يفرضها المحتل ، تواجهها علاقة من نوع آخر . علاقة الانفتاح الكامل المليء بالامل . فالطبيعة ستبقى خضراء . وجسد المرأة تحت سوط الجلاد سيظل قادرا على الانجاب

وعلى التعلم من الطبيعة سر الخصب :

« وأعلم أن الحياة تظل صديقة

وأن القمر

وان ضل عني ، سيعرف نحوي طريقه » .

هذه القصيدة وحدها ، على قصرها ، تشكل علامة مختلفة الابعاد ، عن كل ما في المجموعة الشعرية . فهي تحاول الامتداد الى خارج سور المستوى السيكولوجي الذي تحشر فيه طوقان معاناتها الفنية . لكن هذا الخروج ، يبقى لحظة واحدة ، ولا يغير بشكل جذري في بنية العمل الشعري الذي نعرفه عند فدوى طوقان . ونجد لهذا الحس الغنائي أثرا في قصيدة أخرى « أمنية جارحة » ، لكن هذه القصيدة ، على ما فيها من المباشرة ، والحس الرومانسي ، هي أغنية فنية أكثر من كونها قصيدة متكاملة . فهي تلتقط لحظة واحدة وتضرب علبها بجميع الاوتار التي تتقن استعمالها . فالخبب ينقل الموسيقى الشعرية الى القدرة على الايصال . وربط التراث القديم بالحاضر ، يجعل من الحركة الشعرية عالما يتفتح ولا ينغلق . لكن هذه الغنائية المباشرة التي نلمسها في هاتين القصيدتين تبقى بعيدة عن الاندماج في حركة الشعر الفلسطيني المعاصرة .

ان تجربة فدوى طوقان الشعرية تستحق دراسة خاصة . فهي تمثل نسيجا مستقلا ، له ثوابته الفنية . من هنا ، فان دراسة هذه الثوابت ومدى ما طرأ عليها من تحوير وتبديل بعد الهزيمة وارتفاع أسهم الشعر الفلسطيني ، حري بالدراسة الهادئة ، لانه يكشف لنا عن أكثر من جانب واحد لعملية تطور الشعر وعلاقته بالايديولوجيا .

من يقف على قمة الدنيا وحيدا ؟ مجموعة فدوى طوقان ، تحاول عندما تقدم صورة مباشرة للواقع الفلسطيني بعد مذابح أيلول ان ترسم صورة مسيح جديد ، يصلب في ارض غريبة . وهذه المعاناة تضيق ، تضيق كلما أعدنا قراءة هذه المجموعة . فلسنا أمام صورة شاملة . نحن أمام عدسة لا تعيد صياغة الحدث عبر المعاناة الجماعية . فالمعاناة تبقى فردية . ويسقط الفرد من قمة الدنيا ليكتشف أنه كان وحيدا .

صقر قريش والتاريخ الذي لا يستعاد

تعطي مسرحية محمد الماغوط « المهرج » انطباعا حادا بالفجيعة المباشرة . فهي تنسج نفسها بشكل دائري . تبدأ وتنتهي عند تنوعيتين على مساحة واحدة من العلاقات . فحين تبدأ المسرحية بفرقة الممثلين الشعبيين الذين يقتحمون المقهى ويقدمون امام الناس مشاهد بطولية مضحكة من تاريخنا القديم . فانها تنتهي عند محادثات الممثلين الاصليين الذين يحتلون خشبة مسرح الاحداث السياسية وهم يساومون على رأس صقر قريش . وبين هاتين النقطتين ينتقل الضغط الدرامي من الكوميديا الجارحة الى توتر تراجيدي عنيف يقلب مقاييس القارىء أو المشاهد ، ويضعه مواجهة أمام واقعه السياسي المباشر ، وأمام فجيعته القومية . غير أن هذا التوتر التراجيدي يحمل في داخله انعطافات وتعرجات متعددة . فهو ينتقل من قمة الايقاع الدرامي الى الخفوت البطيء والحوار الذي يريد استجلاب الضحك بشكل مباشر . ثم يحاول العودة الى مواقعه الاصلية . وهو في تنقله بين هذين الحدين يحاول أن يستعرض موقفا موحدا من هزيمة حزيران عبر اضاءة أكثر من جانب واحد منه .

ان التعامل النقدي مع نص مسرحي يختلف من حيث التوجه عن التعامل مع مسرحية تلعب على خشبة . ففي الحالة الاولى فان العمل النقدي ينصب على محاولة اكتشاف منطق الحركة المسرحية في النص ، ويعامله بعد ذلك كنص ادبي . بينما في الحالة الثانية ، فان العمل النقدي ينصب في الاساس على دراسة علاقة النص بالحركة الواقعية الحية . وينتقل بعد ذلك الى دراسة العمل المسرحي كشبكة علاقات معقدة تضم الاخراج والحركة والنص والجمهور . ورغم ان « المهرج » لعبت منذ سنتين على خشبة مسرح سينما «أورلي» في بيروت ، فاننا سنكتفي بمناقشة القسم الاول ، أي قراءة المسرحية بشكل نقدي .

١ — التاريخ والارضية الواقعية : تبدأ مسرحية الماغوط بشكل واقعي مباشر . وتضعنا بدايتها الواقعية في صلب عملية البحث

التي يقوم بها المسرح العربي لاكتشاف أرضه الواقعية . فالبداية تقترب كثيرا من محاولات التمسرح ومن منطق اكتشاف ارضية تراثية تسمح للعمل المسرحي بتجاوز المسافة الثقافية التي تفصله عن تاريخنا وواقعنا العربي . فنحن في مقهى شعبي ، حيث تأتي فرقة من الممثلين ، يذكرنا رئيسها بالحكواتي التقليدي ، لكنه بدل أن يقوم هو بدور الحكواتي بأسره فانه يستعين بفرقة من الممثلين . ويبدأ برواية مقاطع من تاريخنا . عطيل. هارون الرشيد . صقر قريش . والخيط الذي يربط حركة هؤلاء الثلاثة هو خيط واحد من القمع والذل والقهر . تسمح هذه البداية لجمهور المتفرجين بأن يكشف عن جوانب من الايديولوجية السائدة. وتأخذ حيويتها من جو السخرية اللاذعة على واقعنا . لكننا نجأة ، وبدون مقدمات واقعية ، ننتقل من الواقع الى الحلم . يتلفن صقر قريش للممثل الذي يلعب شخصيته ويسحبه الى التاريخ القديم . هنا تنتقل المسرحية الى ذروة الحركة في داخلها . اذ ننتقل من السخرية المباشرة الى السخرية الحزينة أو الحضارية اذا شئنا . فمن خلال الحوار بين صقر قريش وحفيده الممثل نكتشف مسافة طويلة بين منطقين مختلفين لا يستطيعان اللقاء . فهناك قطيعة تامة بين منطق الماضي . منطق النهوض العربي . وبين منطق الحاضر . منطق الهزيمة والانحطاط . وحين يفاجأ صقر قريش بالواقع العربي يكشف له المهرج عن سبب الهزائم . فاذا هو القمع . رجال الشرطة هم اليوم أسياد التاريخ . يوقفون عجلته بسحق كرامة الانسان العربي . الى هنا والحركة المسرحية تتقدم بوتيرة متصاعدة، رغم بعض الخفوت الذي يصاحبها من جراء الاصرار على دمج هذا التوتر الدرامي ببعض النكات السريعة والمباشرة . لكننا مع بداية الفصل الثالث والاخير نعود الى الواقع . لكن العين التي تكتشفه هي عيون القارىء وقد وضعت في الماضي . أي نعود الى اكتشاف الواقع من خلال عين صقر قريش الذي يقرر المجيء الى تاريخنا الحديث شاهرا سيفه الذي سيحرر به فلسطين . هنا نكتشف ان المؤلف قد حشرنا بين نفقين ، ومنع عنا الضوء والهواء . فبين سذاجة صقر قريش المفرطة في تعامله مع رجل الحدود وبين خبث السياسيين الذين يقررون تسليم صقر قريش الى اسبانيا ، لا دور لنا سوى مع الجماهير التي أتت مصفقة مهللة لعودة صقر قريش ثم خرجت مستسلمة تاركة بطلها بين يدي جلاديه دون أن

نتحرك . وتنتهي المسرحية ببطء شديد . الحركة دبلوماسية . والصقر يغيب عن الخشبة . ويأتي الظلام .

عندما خرج أهل الكهف في مسرحية الحكيم من كهفهم فانهم عادوا اليه . لانهم اكتشفوا أن الدنيا تغيرت . لكن صقر قريش لم يرجع الى كهفه . بل أعادوه الى اسبانيا ليحاكم هناك . فتاريخنا ليس فقط أمام جدار استحالة التكرار . لكنه حين يحاول العودة الى البروز فانه يحاكم بأيدي الغرباء . ويشنق . لذلك فحين لا يستطيع صقر قريش فهم واقع الحاضر فانه يدفع ثمن انتصاراته التاريخية واقفا وحده في السجن ، لا يعلم شيئا مما يجري. هكذا فأهل الكهف يقتلون من جديد . ليس لان الحياة تغيرت مقاييسها لانها تتقدم ، بل لان مقاييس البداوة استبدلت بمقاييس التجار ، ولان الحاضر هو مجرد تابوت نلقى فيه كجثث بلا حركة .

بين الماضي والحاضر ، هنالك هوة سحيقة . ولا يوجد مكان للضوء . ومن أجل الوصول الى هذه النقطة قام الماغوط بضغط الحاضر حتى الاعتصار ونحن لا نناقشه حقه الفني بالقيام بذلك. لكنه بعملية الاستعادة التاريخية على ارض الحاضر قام بعملية ارخاء لخيوطه سمح للحركة المسرحية بالركود في الحوار المضحك الذي لا يرى الحياة العربية الا من نافذة معلقة في أعلى جدار سجن الثقافة بمعناها النخبوي.فبنىنفقين مسدودين.وترك حواره ينز على الارض ولم يقم بعملية تكثيف عند نقطة لقاء النفقين ، بل تركها متعرجة ومنفلشة . وهو بذلك حول التاريخ الى مجرد انعكاس مقلوب للحاضر ولم يقم النص بعملية التمييز الحادة بينهما. ان هذه الرؤيا السوداء لعلاقة الماضي بالحاضر تغلف أفق المستقبل . ويعود الشعر الى مجرد مراث نلقيها أمام قبورنا قبل أن نموت .

٢ — **الدائرة والحركة** : حين يقوم النص المسرحي باقامة دائرة محكمة الاغلاق ، فانه لا يقوم بها لاسباب جمالية محضة . أي لا يقوم بها في سبيل الوصول الى خاتمة سهلة المنال فقط . بل هو يحاول ان يجد اطارات لحركة الشخصيات التي تتكون . لكننا هنا لسنا متابعين لصيرورة اجتماعية حتى نناقش الدائرة التي رسمها الماغوط من خلال تطور شخصياته . لكننا أمام واقع جامد لا حركة فيه . الحركة هي مجرد شكل او اطار لعلاقة احتكاك لا تفاعل فيها . فالفصل الاول الذي يسمح

للعلاقة مع الجمهور ان تكشف عن بعض بديهيات الايديولوجية السياسية السائدة ، ليس سوى المقدمة لحركة الاحتكاك الخشن بين الماضي والحاضر . لذلك لا تتطور الشخصيات ، بل تسمح للمؤلف من خلال مواقعها بادارة حوار فيه الكثير من النكهة الاسقاطية . فالحوار الذي يبدأ بوصف طريقة الحياة العربية بين المهرج وصقر قريش يسمح بأكثر من امكانية واحدة . لكن اختيار المؤلف مرتبط بنسق ايديولوجي يريد به الوصول الى لحظة الفشل الكامل دون أي فجوة أمل . من هنا ومع انتفاء الحركة بمعناها التفاعلي تصبح الدائرة مجرد اختيار ايديولوجي وصفي ، تصف الحياة العربية من خارجها دون ان يتداخل هذا الوصف مع منطق داخلي يشد بخيوط مناطق الانفجارات الثورية . لذلك يأتي العمل المسرحي مشدودا ، رغم كل محاولات التقرب من القارىء او المشاهد التي تعبر عن نفسها بافتقاد الكثافة الايحائية من لغة النص ، لتأتي هذه اللغة منفلشة وممدودة على مسافة شاسعة من الخفوت والبطء الذي يسمح بتنفيس اللحظتين المشدودتين في المسرحية : لحظة لقاء المهرج بصقر قريش ولحظة عودة صقر قريش الى حياتنا العربية المعاصرة . فالحركة السريعة في الفصل الاول تتحول الى مجرد لحظتين طويلتين في الفصلين الثاني والثالث . والمباشرة الشعبية تتحول مباشرة ايديولوجية مدروسة . فتفقد بذلك بكارتها التشكيلية واللغوية على حد سواء .

٢ — **الاستعادة والاضافة** : بين « المهرج » و « حفلة سمر من أجل ٥ حزيران » لسعدالله ونوس ، اكثر من رابطة . فهما يتحدثان عن نفس الموضوع : الهزيمة . ويقتربان من حيث الشكل المسرحي العام وان اختلفا من حيث تفاصيل هذا الشكل . فبينما يصل ونوس بعملية التمسرح الى حد اشراك الجمهور مباشرة في العمل المسرحي عبر نسف المسافة التي تفصل الخشبة عن جمهور المشاهدين فان الماغوط يمسرح عمله بشكل اكثر تحفظا عبر قيامه بعملية التمسرح فوق الخشبة وحدها . اما من حيث البناء الداخلي فان ونوس في مسرحيته اكثر انفلاشا . أي انه يسمح للحركة بأن تأخذ مجراها ، ويسمح للانفجارات بالتبلور على الخشبة . وحين يجيء القمع فانه يأتي من خارج الحركة الاجتماعية ليقمع هذه الحركة . بينما البناء الايديولوجي المحكم لمسرحية الماغوط ، لا يسمح للحركة الاجتماعية بالبروز أبدا . فالمسرحية مغلقة على التحرك الداخلي . لذلك تأتي استعادته للحظة الخامس من حزيران ، استعادة خاصة تقترب من دور الشعر ، في كونه لحظة وموقفا ، وتبتعد عن الواقعية المسرحية في كونها تطورا وتحولات اجتماعية . من هنا فالماغوط حين يلجأ الى التاريخ وبعكسه على جغرافية الوطن العربي ، فانه يقوم ببناء فني يلغي المسافة بين الفن والايديولوجيا . فاذا كان النص الفني هو ممارسة ايديولوجية عبر الاحتماء بالبناء التشكيلي الموسيقي ومن داخله . فان نص الماغوط يجعل من هذا البناء هيكلا خارجيا لمادة ايديولوجية لا مكان في داخلها لصراعات الممارسة الحادة .

هكذا تأتي « المهرج » استمرارا غير مباشر « للعصفور الاحدب » أولى مسرحيات المؤلف . لكنه هنا يستعير أدواته من الواقع ليصل الى لحظة اليأس الكامل . فعلاقته مع الواقع علاقة محاذاة وليست علاقة تفاعل . لكنه على الاقل يسمح لحنجرته بالصراخ . والصراخ هنا صراخ يتفجر بلحظات الشعر والحزن .

دهشة الاطفال أمام الحرائق

في « دمشق الحرائق » نعود لنكتشف مع زكريا تامر في مجموعته القصصية الجديدة هذه نكهة الدهشة في ادبنا العربي . تأتي الدهشة طفولية وعارية ، وفيما هي تلبس ثياب الاسطورة الشعبية تعود لتكتشف ارضها الواقعية ، وتستحيل الى تجربة اجتماعية بالغة المرارة . بين هذين الطرفين الدهشة والواقع الاجتماعي ، تقوم الاسطورة الشعبية بدور الوعاء والحلم في آن . وبهذه الدورة الثلاثية تنفصل تجربة تامر الجديدة، وتأخذ لنفسها دورها الخاص في القصة العربية القصيرة . انها بحث عن رؤيا خاصة ، تتكثف في داخلها مشاكل المجتمع العربي . لكن الكثافة تأخذ هنا شكلا بالغ

الشفافية . فالقصة ليست حلما ، لكنها تحمل في ثناياها ايقاع الحلم الهادىء السريع ، ايقاع البحث الطفولي عن معان جديدة ، وعن تشكيل لغوي جديد متردد في أحايين كثيرة ، لكنه يقتحم حين يجد نفسه مضطرا الى مخارج اللغة الجديدة والى تقاطيع الصوت الشعبي المباشر داخل هذه اللغة .

نستطيع بشكل أولـي ، أن نكتشف في هـذه المجموعة أربعة أصوات :

١ ـ الصوت الاول هو **الطفولة** . فالطفولة في هذه المجموعة تسمح لنفسها بولوج أبعاد جديدة . تاركة للكلمة حرية البحث عن صورها وأشكالها . وهي تصب مباشرة في الاسطورة الشعبية المبتكرة . فالطفولة لا تحيا وحدها ، لذلك تأخذ دلالة الرمز وان بعدت عن المعنى الرمزي المباشر.فالرمز هنا هو نقل لتجربة جماعية تصطدم دائما بالجدار الذي يمنعها من التقدم . انها طفولة الدهشة . فالدهشة باعادة اكتشاف العالم بعينين جديدتين تعادلها دهشة اعادة استخدام الصور واللغة بخجل يقارب صورة الحلم . « وكان سليمان حين يقف امام المرآة في غرفته ، يحلو له الصياح بلهجة خطابية وقورة : ايها السادة ... فمهما وطني » . لكن الحلم الطفولي لا يلبث ان يصطدم بجدار الواقع الاجتماعي ، فالسفينة تغرق وجسد المرأة يمتلىء بالدماء (الحب) والعاشقان يتحولان الى صخرة (الشجرة الخضراء) وسميحة لا تستطيع العودة كما كانت قطرة ماء في غيمة (البستان) . هذا الصوت الطفولي ليس ساذجا لكنه بريء . أي انه يعيد تلخيص تجربة اجتماعية محددة في اطار اعادة اكتشاف العالم . غير ان الواقع يأتي ليسحق هذا الحلم الطفولي . فتموت الطفولة . لا تصالح، اذ لا مكان لها، ولا يوجد من يطلب منها المصالحة . هذا الصوت الطفولي الذي يبرز بشكل حاد في هذه القصص الثلاث ، يمتد ليشمل جميع قصص المجموعة . لانه يعطيها بعد الدهشة قبل ارتطامها بالحواجز الاجتماعية .

٢ ـ بعد الطفولة يرتفع صوت **التحليل النفسي،** فتامر لا يترك قصصه تنساب على مساحة العلاقات الاجتماعية بالعفوية التي يفاجئونا بها عند قراءة قصصه قراءة اولى . فالتوازن الدقيق بين عناصر القصة يدفعها الى البحث عن توازيات سيكولوجية تقيم بين عناصرها ورموزها توازنا دقيقا . ففي قصة (وجه القمر) نلاحظ اثـر هذا التوازن السيكولوجي في قدرته على تحريك اطارات ورموز القصة . فالمعتوه والشجرة والفأس والـزوج والفارس تتحول من وقائع مباشرة الى رمـوز جنسية واضحة تتحرك في لاوعي المـرأة الجالسة قرب نافذتها وحركة الحلم التي تترافق مع ايقاع ضربات الفأس تعطي للحركة القصصية ايقاعها الموسيقي ، الذي يتراوح بين خفوت الحركة وعلو ضجيجها . هذا التفاوت يصل الى ذروة ايقاعه مع صوت سقوط الشجرة وتحول الحلم المجاني الى حلم واقعي « ستكون ذات يوم وحيدة في البيت ، وستغري المعتوه بالدخول ، وستتعرى من ثيابها دون خجل ... وابتسمت سميحة اذ تذكرت القمر فلن يرعبها مطلقا بعد ان شاهدت وجهه دون أقنعة » . هذه الذروة هي نهاية القصة ونهـاية الكبت اللاواعي الذي يتحول في (موت الياسمين) من مجرد توازن سيكولوجي يلعب دور مفاصل القصة الى تحول نجائي واقعي فاجع . فالاطفال تركوا طفولتهم خلف باب المدرسة وجاؤوا ينهشون جسد سلمى المدرسة « اثر نيلها شهادة تثبت انها ضاجعت ٩٢٧ رجلا في سنة واحدة » . وحين استسلمت سلمى امام هذا العدد الهائل مـن الاطفال امتلكها الخوف المفاجيء» « وضحكت سلمى وهي توشك ان تبلغ ذروة الفرح ، فقد كانت تتمنى فيما مضى ان تعيش مع أطفال لم يعرفوا بعـد أقنعة الارض السوداء، غير ان هلعا جنونيا امتلكها فجأة حينما بدأت الاسنان الصغيرة تقرض لحمها وتصطدم بالعظم الصلب » . فالتوازن السيكولوجي في هذه القصص هو وجه من أوجه المأسـاة الاجتماعية ، يقترب منها مضيئا اياها من جانب واحد . غير ان هذا الضوء يشير في الوقت نفسه الى الاماكن الاخرى الى القاعدة ـ الاساس التي هي صلب المسألة في هذه القصص . فالبعـد السيكولوجي حين يتدخل بوجهه الفردي لا يحافظ على هذا الوجه بل يمتد ليشمل البعد الاجتماعي واضعا اياه في اطار اسطوري . أي ان زكريا تامر يقلب هنا معادلته . فحين ترك للطفولة مجال حلمها الاسطوري قام الواقع المباشر بصدم هذا الحلم . وحين يقيم توازناته السيكولوجية الواقعية فانه يعود ليصدمها بالاسطورة . فيكون قد كسر اجنحة الحلم بالواقع وبالتالي منعه من الاستقلال

عن المجرى العام للعملية الاجتماعية . ويكون في الوقت نفسه قد مد الواقع باطارات جديدة تمنعه من السقوط في فخ الفجاجة . فلسنا اذن امام حركة وحيدة الجانب . فالحركة المركبة تأتي لتوحد أطراف التجربة وتعطيها بعدها الخاص .

٣ — اما **الواقع السياسي المباشر** ، فان لصوته الخاص ايقاع الحلم والاسطورة . لكنه حلم يعبأ في ثلاثة أنواع من التجربة الفنية :

أ — ففي قصة (التراب لنا... وللطيور السماء) ينسج تامر اسطورة خاصة تشبه الحكايات الشعبية . وفيها يؤكد على امرين : — ضرورة التفاعل مع العلم الحديث وضرورة ترك القديم الموروث . فدمشق المحاصرة ترفض على لسان طبقتها الحاكمة اختراع الطائرة وتجد لنفسها آلاف الاسباب التراثية . فمسألة التقدم العلمي ترتبط بمسألة التقدم الاجتماعي وبتحدي التصدي للاعداء. ولما التهمت النار البيت والعالم والطائرة ، صاح أعوان الملك فرحين ، ولكن صياحهم خنقته سريعا الاعداء الذين نجحوا في التسلل الى دمشق غير مبالين بأسوارها .

ب — وفي (الاستغاثة) ينهض يوسف العظمة من قبره . يخرج الى شوارع دمشق حيث يعتقل. وفي القصة تداعيات بين خطواته وحواره وبين احداث معركة ميسلون . فالمعركة كانت اصرارا بطوليا على التمسك بالارض . وحديثه مع المسؤولين اليوم فيه نفس النبرة التي لا تثير فينا الضحك بقدر ما تثير الكآبة . فحين يعود العظمة الى شوارع دمشق ويكتشف الواقع الجديد ، لا يجد لنفسه مكانا سوى في السجن الانفرادي. «وأغمض يوسف العظمة عينيه ، وأحس بأن شرايينه تمتلك آلاف الاجنحة التواقة الى فضاء رحب ، فأطلق استغاثة التقت بالاستغاثة الآتية من ارض يحتلها الاعداء ، وامتزجتا في صراخ مديد تبدد في ظلمة الليل المهيمن على دمشق النائمة ».

ج — وفي (رجل غاضب) يتخلى تامر عن البناء الاسطوري ليصل مباشرة الى غايته ، هنا يرتفع صوت احتقار الموت امام رجال يرتجفون هلعا منه. فالموت سخيف . والرجل الغاضب يترك الرجال الذين يرتعدون امامه بعد ان صرخ بهم طالبا منهم محاربة العدو . يتركهم ويطلق الرصاص على صدغه وهو يقول لهم « الموت كما قلت لكم تافه وسخيف » .

٤ — وفي قصص **حارة السعدي** يحافظ المؤلف على مذاق الدهشة في قصصه ، لكنه يطرح بشكل مباشر **المسألة الاجتماعية** . مسألة تحرر المرأة . فالمرأة تذبح في سبيل الشرف . وترتكب الجرائم من أجلها . والتخلف الاجتماعي الذي يسحق حارة السعدي يمتد الى جميع مرافق الحياة . فالحياة رتيبة باردة وجامدة . واي محاولة لتحريك الماء على سطحها تصطدم بسدود قوية من التقاليد والقيم . لذلك فحين ترتفع لوحة الحارة ، فانها تمزج بين براءة اطفالها واحلامهم وبين الواقع الاجتماعي الذي يسحق « فطمة » وشعرها الاسود .

في هذه المحاور الاربعة تتكامل تجربة « دمشق الحرائق » لتعطي وجها جديدا في بناء القصة العربية . غير أن قصة واحدة (رحيل الى البحر) تخرج عن اطار محاور هذه المجموعة وان كانت محاولة كثيفة لنقل تجربة عميقة الجذور في واقعنا. فهي تستبدل الحلم بالكابوس وتحول الرمز الاسطوري الشفاف الى رمز مباشر . فالبحر بعيد ولا يصل اليه أحد والرحيل صوبه او صوب جسد المرأة يبقى رحيلا بلا نهاية . فالطريق طويل وشاق. وعلى الجانبين يقف رجال الشرطة ليمنعوا الرجل من الوصول . وفي النهاية يأتي الموت حاملا حزنه البارد : « انا لا استطيع الضحك او البكاء لان الديدان والجرذان أكلت رئتي وعيني وحنجرتي . ارسلي الي ملابس صوفية . آه القبر بارد يا ابي وشمس البحر ناحية » .

في اطار هذه المحاور الاربعة يأتي البناء القصصي ليؤكد على مسألتين :

من **جهة اولى** فهو تأكيد على ضرورة اكتشاف مجالات جديدة للتعبير . وتعبر هذه الضرورة عن نفسها في التقاط لحظة الدهشة بالحياة . فالاحداث اليومية ، والمواقف العادية تجري هنا عملية اعادة سكبها من جديد انطلاقا من عيون الاطفال . لكن عيون الاطفال ليست وحدها منظور الرؤية . انها نغم تاعدي يتحرك في ثنايا جميع القصص . لكن النغم ما ان يعلو قليلا حتى يتدخل صوت الواقع الاجتماعي ويقوم بعملية قمعه . فالرؤية اذن تأتي من خارج السياق ، انها مكان يشرف

على التجربة ويقوم بعملية ارسال الصدمـــات الواقعية اليها . حتى يجري تحديد السياق من بنية الحلم فتفتحه بلا ادنى مقدمات على الواقع ، او على العكس من ذلك يأتي صوت الطفولـــة ليشحن الحدث العادي بطاقة الايحاء . فللدهشة اذن حدودها . انها ليست دهشة مجانية ، بل هي دهشة الارتباط بالواقع الاجتماعي . ولكن زكريا تامر حين يضع حدود الدهشة من خارجها يمنع البناء الاسطوري من الانسياب . كما منعنا من اكتشاف دلالاته بأنفسنا . فهو يصر على الهدف، على صوت الايقاع المباشر ولا يتمهل على مخلوقاته. لذلك نخرج وطعم الاكتشافات الجديدة لم يستقر بعد على شفاهنا . أي ان البناء الاسطـــوري يتخلخل من أساسه . وهنا يأتي السؤال . ما معنى الادب الملتزم اجتماعيا . وهل وظيفة الادب هو القاء الصدمة الواقعية المباشرة أم انه يستطيع ان يفتح نوافذه الرؤيوية ويترك حركة الحلم في تشكلها الخاص تصل الى نهايتها المنطقية . حيث يتوحد الحلم والواقع في سيرورة التغيير الثوري !

ومن جهة ثانية يأتي البناء اللغوي في هـــذه المجموعة مليئا بالشعر . فاللغة تغتسل في الحلم وتصير مليئة بالصور الجديدة : « وتخيل غيوما تركض في الازقة مغبرة الثياب وتتشاجر مع الصغار وتحطم بحجارتها زجاج النوافذ » . وتأتي الصور لتختصر مساحة التشبيه بشكل بالغ الايحـــاء « وسطع لحمها عاريا ، وبلألأ نهار الجسد » . ونستطيع ان نجد الكثير من هذا التشكيل الشعري في بنية اللغة القصصية ، مما يشحن البناء القصصي بطاقة الايحاء ويخفف من ثقل لغة السرد العادية . في المقابل فنحن امام لغة فصيحة بشكل شبه كامل.

ورغم محاولات المؤلف لتبسيط لغته عبر تطعيمها ببعض الكلمات العامية القليلة « هكـذا يتكلم السواق » في (شمس للصغار) مثلا ، فانها بقيت أكثر ضخامة ورصانة من تحمل خط الدهشـــة الطفولية الذي يسير في جميع قصص المجموعة . لذلك فنحن نواجه بهذه الفجوة التي تضيق وتتسع نتيجة لقدرة الالتفاف البنائية على ردم الهوة . فحين تأخذ القصة شكل السرد الشعبي فاننا لا نشعر بهذه الفجوة الا في الحوار . وحين يخف ايقاع الخيط الاسطوري تصبح اللغة حاجزا بيننا وبين النص . والقصص تتشكل في زحف محدد انه الماضي . وهذا يضيق بدوره حلم الطفولة . وربما كان هذا هو بالضبط هدف المؤلف . أي ان الاطار الماضي يأتي عاملا مساعدا على انزال الحلم الى الواقع . فالحلم لا يستطيع التحولات المفاجئة المتتابعة اذا بقي امام جدار الراوي . هكـذا كان الماضي حاجزا امام التحول الذي يطرأ على الحدث من خلال البناء نفسه . وحين تخلى زكريا تامر عن الفعل الماضي كما في قصة (الاستغاثة) فانه استطاع الوصول الى اقامة توازيات سينمائية تتحدد من خلال علاقة شريط التداعي بالواقـــع الحدثي .

نكتشف من هذه الحرائق اكثر من خط واحد . لكنها تأتلف فيما بينها لتشكل قفزة نوعية حقيقية في القصة العربية،حيث يتحدد البناء من داخل التجربة الجماعية ، وحيث يأتي صوت الاطفال ليكون أكثر الاصوات قدرة على الايصال .

الياس خوري

تقارير

[١]

القضية الفلسطينية ... والصحافة البريطانية خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر)

قضى السلام **الهش** الذي يسود جبهة قناة السويس ومرتفعات الجولان على شعور صحفيي لندن باللامبالاة ، وبدا كل منهم وكأنه يلعب دور دكتور كيسينجر جديد ازاء الاحداث . فقرار وقف اطلاق النار الاخير ، الذي أشرف الدكتور كيسينجر على وضعه ، جعل من صحيفة « الغارديان » ، التي كانت تكرس اهتمامها في الدفاع عن القرار رقم ٢٤٢ في السابق ، ان تبدو المدافع الاول عن قرار وقف اطلاق النار . ويبدو ، بالنسبة للصحافة البريطانية ، ان قرار مجلس الامن الذي أعلن انه اساس أي مفاوضات سلام منذ وضعه في عام ١٩٦٧ قد وضع في زوايا النسيان .

ان اتجاه الصحافة البريطانية الحالي في تناولها للازمة الاسرائيلية — العربية اتجاه خبيث للغاية . فهل أصبح قرار وقف اطلاق النار الاخير المركز الذي تتمحور حوله جهود السلام التي تبذلها القوى الخارجية ؟ من الواضح جدا ، ان قرار مجلس الامن رقم٢٤٢ ، بالنسبة للقادة الاسرائيليين ، ومن خلال خطبهم ، هو في طريقه الى الدفن ، ان لم يكن قد دفن بعد .

ان وقاحة صحفيي فليت ستريت في لندن تدفعهم الى ارتكاب العديد من الحماقات . فعلى الرغم من الاحتلال الصهيوني لصحراء سيناء ، الذي امتد لفترة ستة اعوام حتى الان ، واقامة جسور للعبور فوقها للتغلغل الصهيوني في افريقيا ، فان صحف لندن لا تزال تعتبر ان تقديم التنازلات لا يزال من مسؤوليات مصر والدول العربية الاخرى .

ويبدو ان رسالة السادات حول الحرب لم تصل الى محرر صحيفة « التايمز » ، او لم يقرأها . فجميع خطب السادات وبياناته حول الاهداف المحدودة لحرب تشرين الاول (اوكتوبر) ، بالاضافة الى مراقبة التحركات العسكرية المصرية خلال المعارك ، تؤكد ان الاهداف تحددت في عبور القناة وتحرير جزئي لبعض الاراضي المصرية المحتلة . فبالتأكيد ، لم تهدف مصر الى تهديد أمن اسرائيل او وجودها .

على الرغم من ذلك حذرت صحيفة « التايمز » في الاول من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ، في مقالها الافتتاحي مصر بان « لا تغالي بقدرتها » . وأضافت انه « اذا تعرضت اسرائيل الى هزيمة شاملة ، فان الاميركيين سيجدون أنفسهم مضطرين للتدخل ، مهما كلفهم ذلك سياسيا ، ومهما تعرض السلام في العالم للخطر » . ولكن لا بد ان تكون القوة التي ستدفع دول العالم الى الحرب من أجل سلامة اسرائيل واستمرار احتلالها للاراضي التي اغتصبتها عام ١٩٦٧ ، لا بد ان تكون قوة خبيثة . وتحذر صحيفة « التايمز » انه لا يمكن الاعتماد على قدرات الدكتور كيسينجر في صنع السلام ، « فما يهودية الدكتور كيسينجر الا عذر جزئي ، وهو سوف يكون اول وزير خارجية يتسلم أمر معالجة هذه المسألة في الوقت الذي يتعرض البيت الابيض لضغوطات صهيونية محلية » .

ولكن ، على اية حال ، ما هي الدروس التي يمكن ان يتعلمها المرء من حرب تشرين الاول (اوكتوبر) ؟

في الواقع ، هناك الكثير من الدروس على حد تعبير صحيفة « الديلي تلغراف » (٨ تشرين الثاني — نوفمبر) . ويجب على الاسرائيليين ان يقبلوا تلك الدروس . و « الديلي تلغراف »

معروفة بارتباطها الوثيق مع الحركة الصهيونية ، وجاء حديثها عن دروس حرب تشرين الاول (اكتوبر) في مقال كتبه « مراسل خاص » لها . ووصف الكاتب على انه خبير في الشؤون العسكرية ، وله جولات عديدة في منطقة الشرق الاوسط . ويقول في مقاله ان اسرائيل « لم تتمكن من اختيار سياسة أمنية غير الاعتماد على القوة المسلحة ... الا ان العديد من الاسرائيليين كانوا يدركون دائما ان هذه السياسة باهظة الثمن في المدى القصير، او المتوسط ، ومهلكة في المدى البعيد ... كما ان العرب يتمتعون بتفوق بشري وجغرافي ، وبامتلاكهم للمواد الخام والاموال ، بينما اسرائيل تتجه الى فقدان تفوقها التكنولوجي ونقصان قـدرتهـا البشرية عاما بعد عام » .

ويضيف المقال « ان الحرب كانت امتحانا عسيرا لاستمرار السياسة الاسرائيلية الحالية ونتائجها : حرب تجر اخرى ، والحرب التالية أصعب وأكثر كلفة من التي تسبقها ، وهي تحارب طرفا يزداد قوة ، مما يؤدي الى جفاف العروق في جسـم اسرائيل » ... « فالوقت قد فات على الاسرائيليين كي يقولوا انهم لا يجرأون على قبول الفرص المتاحة بشأن مسألة الامن . فمن الافضل لهم ان لا يدعوا الفرصة الاخيرة تفوتهم من أجل اقامة السلام ، أو على المدى البعيد ، البقاء » ... « ليـس هناك أي شيء يطلق عليه اسم الامن العسكري المطلق ، ان الاصرار على ذلك يعني تحطيم امتهم (أي اسرائيل) » .

هذا ما تقوله « الديلي تلغراف » من أكـثر الصحف البريطانية دفاعا عن دولة اسرائيل . اما ما تقوله مجلة « النيو ستيتسمن » (٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر) ، وهي مجلة اخرى من المتعـاطفين بشدة مـع الدولة الصهيونية ، فشيء آخـر . وتكتب « ناعومي شبرد » ، التي لا ينازعها أحد في مسألة التأييد المتعصب لاسرائيل ، في المجلة وتقول ان « اسرائيل ، بالرغم من الارهـاق السياسي والعسكري الذي أصابها ، يجب ان تحسب مدى قدرتها لمواجهة حرب جديدة معمصر... فاذا كانت تستعد لسحب قواتها الى مواقع ما قبل الحرب اذا فعلت مصر الشيء ذاته ، فهي ليست مستعدة كي تدع المصريين يخرجون بسلام ».

وتضيف ان « اسرائيل التي كانت تعتقد بقدرتها الذاتية وبعد يقظتها الحالية ، وجدت نفسها تخشى الانتهاك المتصاعد لسيادتها ». ان الكاتبة «شبرد» تلخص في هذه الجملة واقعية التفكير الاسرائيلي . « فالانتهاك المتصاعد لسيادتها (اسرائيل) » ليس تهديدا لدولة اسرائيل التي اعترفت الامم المتحدة بها ، بل للدولة التي تمثل فلسطين واجزاء أخرى من اراضي دولتين عربيتين ، مصر وسوريا.

يبدو ان اسرائيل قد تعلمت الشيء القليل من الحرب الاخيرة ، ولا تزال تستعد لشن حرب اخرى واحتلال بعض الاراضي . وتضيف « ناعومي » انه « عند هذا الحد وفي الوقت الذي لا يتوافر فيه بديل حيوي آخر لدى الحكومة كي تتبناه ، تبرز الحاجة الماسة لروح جديدة بين قادة الامة ، روح قد يمنحها قريبا ، مناحيم بيغن ، للدولة الصهيونية ، مما لا شك فيه ».

لا بد من توجيه التهنئة الى « النيو ستيتسمن » لحرصها الشديد على ابراز وجهـة النظـر الاسرائيلية . ففي مقال آخر نشرته المجلة في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ، كتبه نيوري سايل ، يقدم اسرائيل للعالم على انها الدولة الاشتراكية العظيمة : « لقد صرفت معظم يومي في زيارة الكيبوتزات القريبة من الحدود اللبنانية ، متحدثا مع المسنين الذين اتى معظمهم من بولندا ، الجميع اشتراكيون » على حد تعبير « سايل » في الفقرة الاولى من مقاله .

ويتساءل سايل « ان المازق الذي واجه الاساس الاشتراكي ، والانساني بالضرورة لمجمل الحركة الصهيونية وناقضه هو ، ما هو مستقبل الشعب الفلسطيني الذي اقيمت على ارضه الدولـة اليهودية ؟ » ان الاساس الاشتراكي والانساني للصهيونية ، وفقا لمذكرات هرتزل ، هو طرد السكان خارج بلادهم وتشريدهم . هذا هو مستقبل الشعب الفلسطيني ما دامت الصهيونية قائمة في فلسطين . يجب ان يقرأ « نيوري سايل » العلاقة الودية بين حاييم وايزمان ، من اوائل الزعماء الصهاينة ، واول رئيس دولـة ، وبين جـان كريستيان سماتس ، رئيس وزراء جنوب افريقيا والامبريالي العريق. ويهاجم «سايل» اولئك الذين « يشبهون اسرائيل بروديسيا وجنوب افريقيا ، فهذه دول عرقية مستقلة ». الغريب ان «سايل» يتجاهل تماما ان حلفاء اسرائيل خلال حرب تشرين الاول (اوكتوبر) كانوا : البرتغال وجنوب افريقيا،

وروديسيا ، والولايات المتحدة الاميركية .

وقد تعرض حلف آخر الى الانهيار خلال حرب تشرين الاول (اوكتوبر) . والمقصود هو حلف الناتو (منظمة حلف شمال الاطلسي) ، وذلك عندما اعلن الرئيس نيكسون حالة الطوارىء والتعبئة النووية لجميع القوات الاميركية في العالم من دون ان يبلغ الامر للحلفاء الاوروبيين . فقد بذل العاملون في فليت ستريت ، والذين يخضعون لارادة الاستخبارات المركزية ، جهودا بالغة لاقناع الحكومة البريطانية كي تمتنع عن اصدار بيان تنتقد فيه قرار الرئيس الاميركي . فقد أعربت مجلة « ذي كريستشن ساينس مونيتور » (٣٠ تشرين الاول — اوكتوبر) عن استيائها وذكرت : « .. ان حجر الزاوية في أمن الولايات المتحدة يرتكز على حلفائها من دول اوروبا الغربية . الا ان هذا التحالف قد تعرض لمحاولة تخريبية خطرة قامت بها واشنطن خلال ازمة الشرق الاوسط الاخيرة » .

على الاقل ، فقد اوضحت الصحيفة ان الولايات المتحدة تحتاج حلف الناتو أكثر من حاجة اوروبا لاميركا ، واضافت « ان تحميل السفن بالسلاح الاميركي من مرافىء (بريمرهافن) ، المدينة الالمانية ، من دون الرجوع الى ، او حتى اعلام ، حكومة المانيا الغربية ، هو حط من شأن هذه الحكومة . لقد تم ذلك اثر اعلان الحكومة الالمانية عن موقفها الحيادي ازاء الحرب العربية — الاسرائيلية » . وتساءلت الصحيفة : « من يسلخ نفسه عن الاخر ؟ » واجابت « ان التصرف الاميركي يعتبر انسلاخا من الموقف الحيادي الذي اتخذته الدول الغربية الحليفة » . واضافت الصحيفة « ان الحليف الغربي الوحيد الذي سمح بنقل السلاح من بلاده الى اسرائيل كانت البرتغال » .

واخيرا ، تجدر الاشارة الى « انزعاج » صحيفة « الغارديان » من تعليقين وردا في مجلة « برايفت آي » وصحيفة « الاهرام » ، حيث ذكرا ان الصحافة البريطانية تؤيد ، من دون خجل ، الصهيونية . ولكن يبدو ان ما ذكرته المجلة والصحيفة ، اي « برايفت آي » و « الاهرام » ، حول الصحافة البريطانية ليس كافيا . فمن الحقائق البسيطة والواضحة بأن كل صحيفة تقريبا تملأ صفحاتها بقصص يكتبها العديد من المتعاطفين مع الحركة الصهيونية . والمعروف ان التقارير التي يبعث بها مراسلو الصحف الانكليزية من اسرائيل، ليست الا عبارة عن حملة دعائية مؤيدة للحركة الصهيونية ايضا .

لا يمكن للقضية العربية ، من ناحية اخرى ، ان تحوز في الصحافة البريطانية على التكريس المطلوب ، لان هذا التكريس غير موجود . فالصهيونية تمارس دعايتها على العلاقات العامة يوميا . وقد بدأت الصحافة البريطانية ، منذ اعلان وعد بلفور بمنح اليهود « وطن قومي » ، تصف اسرائيل بالدولة اليهودية . فالعرب عامة لا يتمتعون بآلة دعائية معقدة ومتشابكة في هذا البلد. وقد نوافق مع الصحافيين البريطانيين ان اسرائيل توفر وسائل أفضل واكثر عملية من الوسائل التي تتوفر لهم في العواصم العربية ، بل ان الفارق ، كما اتضح خلال الحرب الاخيرة ، ان الدول العربية طلبت من الصحافيين الاجانب ان ينتقدوا ويكتبوا بموضوعية وتجرد ، وهذا كل ما طلبه العرب ، ولكن اسرائيل تطلب منهم دائما الولاء التام .

وقد توفر اسرائيل وسائل أفضل للصحافيين البريطانيين ، ولكن على اساس ان يكتبوا ما يرغب المسؤولون الاسرائيليون في كتابته. ويبدو ان « بيتر نيسواند » ، مراسل « الغارديان » ، هو الصحفي الوحيد الذي رفض قبول تقديم الخدمات لاسرائيل . فبالاضافة الى نقله وجهات النظر الاسرائيلية ، فقد انتقل الى الضفة الغربية خلال المعارك واجرى لقاءات صحفية مع الفلسطينيين .

ففي الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) كتب مقالة نشرت في صحيفة الغارديان بعد ان عاد من اسرائيل وقال فيها : « تجهم وجه الضابط الشاب الذي يشرف على رقابة التقارير الصحفية ، وبدت علامات الغضب عليه عندما قرأ تقريري . وقال : انني لم اقرأ شيئا أكثر قرفا من هذا في حياتي... سأرفع بك تقريرا ، كما واني سأمنع جميع الصحافيين من الذهاب الى الجبهة . ان هناك طريقتين لتغطية أخبار الحرب : الطريقة السهلة وطريقتك » .

يكفي للمرء ان يتفحص عددا من الصحف والمجلات الغربية كي يتأكد من ان أغلب الصحفيين يختارون « الطريقة السهلة » .

مصطفى كركوتي

[٢]
الصحافة الفرنسية والحرب

نشرت مجلة Palestine Information (اخبار فلسطين) تصدرها في فرنسا حركة « مير » أي « الحركة المعادية للامبريالية وللعنصرية » نشرت في عدديها الصادرين في ١٥ و٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) ، مراجعة للصحافة الفرنسية خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ . ويهم مجلة « فلسطين انفورماسيون » ابراز وايضاح مواقف كبار الصحف الفرنسية كجريدة « لوموند » و « لوفيغارو » او جريدة « ليبراسيون » التي تعبر عن قسم من اليسار الجديد في فرنسا . ومما يجدر ذكره في البدء ان معظم الصحف الفرنسية اعتمدت على الاخبار الصهيونية باستثناء جريدة « لومانيته » الناطقة باسم الحزب الشيوعي الفرنسي التي اعتمدت على المصادر العربية والاسرائيلية وعبرت عن موقف اعلامي مؤيد للعرب وللمقاومة الفلسطينية ومناهض لاسرائيل .

في الواقع يتبين لنا ان موقف الصحافة الفرنسية الاساسي هو موقف مؤيد للصهيونية (سواء أعلن ذلك أم لم يعلن) . وحتى بعض الصحف التي تدعي انها يسارية مثل « النوفيل اوبسرفاتور » أظهرت سوء فهمها لدور اسرائيل كقاعدة متقدمة للامبريالية في الشرق الاوسط .

حرب اكتوبر كما رأتها جريدة « لوفيجارو » اليمينية : « ولمعت في عينه الوحيدة نظرة شرسة ... وضرب قبضته اليمنى في كفه الايسر وقال : آه ، لو حاول العرب ان يفعلوا هذه الحماقة (مهاجمتنا) » لوفيغارو ١٩٧٣/١٠/٨ اعادة لمقابلة اجراها « ايف كيو » مع موشي دايان في السنة ١٩٧٠ . وسنظهر موقف لوفيغارو بابراز العناوين الرئيسية لها (بالخط الاسود المشدد) وبعض الاستشهادات القليلة من نصوص المقالات (بالخط العادي) ، جامعين من جهة ما يخص الدولة الصهيونية ومن جهة اخرى ما يخص العرب. وذلك ابتداء من ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣.

لوفيجارو : ١٩٧٣/١٠/٨ : بداية الحرب ، ثقة كاملة بتفوق اسرائيل .

اسرائيل : « **القوات الاسرائيلية تقوم بهجوم مضاد جبار** » « **استعادة المواقع الاسرائيلية في الجولان** » .

العرب : « **عزل ..٤ دبابة مصرية في سيناء** ».

اسرائيل : « **حرب يوم الغفران** » (مراسل الفيجارو في القدس) : « اسرائيل تشن هجوما مضادا يهدد طاقة اعدائها العسكرية » . « **نصبت اسرائيل فخا لاعدائها** : لن تدوم الحرب بالتأكيد أكثر من ستة ايام... لا وجود للقلق اطلاقا ... »

العرب : « **مراهنة مصر وسوريا الخطرة لاعادة المفاوضات** » .

« **حصيلة الاشتباكات** : عزل ٤٠٠ دبابة مصرية، ضرب الخطوط الامامية العربية. الطيران الاسرائيلي يسيطر سيطرة كاملة على الاجواء، معظم الجسور المصرية مدمرة » .

رسم في الصفحة الاولى يصور ابو الهول محاولا مد قدمه الى الضفة الشرقية ... وقنبلة اسرائيلية تنفجر على رأسه . الصورة في الصفحة الاولى : دبابات اسرائيلية تتجول في الجولان .

١٩٧٣/١٠/٩ : هستيريا مؤيدة لاسرائيل .

اسرائيل : « **الاسرائيليون يعبرون القناة** ».

العرب : « **تقدم باتجاه ضواحي دمشق في الجبهة الشمالية** » .

اسرائيل : « **العازر : سنقضي على عدونا حبث يجب** ». « **في اسرائيل كل شيء طبيعي او شبه عادي** » . « **سيروا الى اقصى حد: فالمدحلة الاسرائيلية تتقدم** » .

العرب : « **مصر وسوريا تأملان بان تفرض الولايات المتحدة اليوم وقف اطلاق النار** » .

« اختياران امام القادة العرب بعد هجومهم الاحمق : انتظار وقف اطلاق النار الذي سيفرضه نيكسون بعد ان يكونوا قد تكبدوا خسائر فادحة ، او القيام بعمل يائس لاسترجاع كرامتهم » .

« معلق صهيوني شاهد عند الفجر ، جثث جنود مصريين تطفو بأعداد كبيرة على سطح مياه القناة».

الصورة في الصفحة الاولى : الجيش المصري يعبر القناة ، ومكتوب تحت الصورة : « كانوا

يأملون بالاحتلال ، اما اليوم فقد وقعوا في الفخ ».

٧٣/١٠/١٠ : بدأت لهجة الجريدة تتغير ...

اسرائيل : **« هجمات اسرائيلية عنيفة »** .

العرب : **« مقاومة شديدة »** .

اسرائيل : **« تل ابيب : بدأت معركة التدمير على الجبهتين »** .

العرب : **« القاهرة ودمشق : جيوشهم تواصل الضغط »** .

اسرائيل : يشرح « روجي ماسيب » رئيس تحرير الفيجارو ان « الاخبار الخاطئة التي نشرت في العدد السابق ، تعود الى ان الفيجارو مجبرة على استعمال المصادر المتوفرة لديها ... هل البلاغات العربية جديرة **بالثقة ! »** .

وفي الصفحة التالية :

اسرائيل : **« الثقة بديان ، العرب صعبة** (ياريف) » .

« صواريخ سوفياتية » . « العامل الجوي يخدم اسرائيل اقل من فترة حرب حزيران » .

العرب : قائد الاركان المصري : **« ان عبور القناة يتم بشكل مرض تماما »** . دمشق : **« الجيش السوري يحاصر القنيطرة » . « دمشق مصابة اصابة خطيرة »** .

« العرب يتلقون مساعدة » . « واشنطن خاب أملها بالاتحاد السوفياتي » .

٧٣/١٠/١١ : بدأ الشك يظهر ...

الصورة في **اول صفحة :** أسرى الكتيبة المدرعة الاسرائيلية ١٩٠ ، وأيديهم فوق رؤوسهم .

اسرائيل : **« السيدة مئير : اليوم الخامس من الحرب : الجولان بين ايدينا »** .

« واشنطن تحذر موسكو : بعد اعلان اقامة جسر جوي من الاسلحة للعرب » .

الصفحة الثانية :

« المحاربون يعتقدون ان النزاع سيكون طويلا وعنيفا » .

اسرائيل : **« في اليوم الخامس ، اسرائيل تستفرب المقاومة العربية »** ـ ياريف : **« الحرب لن تكون قصيرة »** .

« أبا ايبان : مستعدون لقبول وقف اطلاق النار في خطوط ١٩٦٧ » .

العرب : « شهادة من صحافيين غربيين مع المصريين في سيناء : **قادة الاركان في مصر وسوريا واثقون بانفسهم » . « ١٦ الف جندي عراقي في الجولان »** .

٧٣/١٠/١٢ : يزداد الشك ...

اسرائيل : **« حرب يوم الغفران : القوات الاسرائيلية تقدمت نحو ١٠ كيلومترات باتجاه دمشق ، ما وراء خطوط وقف اطلاق النار في ١٩٦٧ »** .

الصفحات التالية :

اسرائيل : **« في اليوم السادس من الحرب تحتفظ القوى المتواجهة بقدرتها العدائية »** .

ديان : **« اسرائيل ستلقن سوريا درسا لن تنساه ابدا »** .

العرب : **«رأيت مخازن النفط في اللاذقية تحترق»**

« ٨٠٠ دبابة فقدتها سوريا » .

« قلق قادة الاركان العرب : الصمود مهما كان الثمن الى ان تفرض الدول العظمى وقف اطلاق النار » .

١٣ـ٧٣/١٠/١٤ : اخبار متناقضة ...

اسرائيل : **« هدف اسرائيل : تخريب مقاومة الجيش السوري الذي يدافع عن الارض بشراسة»**.

جندي اسرائيلي : **« عادت الحياة الى طبيعتها في المناطق الجديدة المحتلة »** .

« تل ابيب : **مدينة مهجورة »** .

« لقد سحقناهم في أقل من خمسة ايام . والان سنؤدبهم ... »

العرب : **« مقبرة مدرعات في سيناء والجولان »**.

« الاستراتيجية العربية » : مقال يفسر اخفاقات اسرائيل على انها ناتجة عن عامل المفاجأة والمساعدة السوفياتية غير المشروطة للعرب .

استنتاجات : ما يلفت النظر في موقف **« لوفيجارو » هو تغير لهجتها بعد اليومين الاولين للحرب . فبعد اخبار ٩ تشرين الاول (اكتوبر)** الخاطئة التي اختلقتها الدعاية الصهيونية ، زال

للفرح الهستيري المؤيد لاسرائيل وحل محله دعم غير مشروط لكن يزداد تلقا وتناقضا حيال المقاومة العربية . فركزت عندئذ « لوفيجارو » على النقاط التالية :

١ — مفاجأة اسرائيل امام « العدوان » .

٢ — مساعدة الاتحاد السوفياتي « الضخمة وغير المشروطة » للدول العربية .

٣ — شعور بالاستغراب والالم امام التضامن النضالي العربي .

٤ — مخاطبة الضمير الاوروبي المذنب بسبب المجازر النازية .

٥ — التركيز على الطابع المقدس للحرب : حرب يوم الغفران « يوم الصلاة من اجل السلام » . « داود الصغير ضد جوليات البدين » .

٦ — انتقاد عنيف لموقف الحكومة الفرنسية الذي عبر عنه وزير الخارجية جوبير في قوله ان للعرب الحق في استرجاع اراضيهم .

٧ — انتقاد نيكسون لانه لم يفرض وقف اطلاق النار في الوقت المناسب لاسرائيل وذلك لانه يخشى ان يقطع العرب امدادات النفط .

وبأسلوب بشع — « المدحلة الاسرائيلية » ، « تأديب العرب وكسرهم » — تقوم جريدة « لو فيجارو » بدور الناطق باسم الصهيونية ، الفاشية ، العدوانية والهمجية .

لا تثق الجريدة الا بالمصادر الاسرائيلية ، وبالاكاذيب الصهيونية . ودائما ما تعتمد على العنصرية المعادية للعرب والمعاداة للسامية لدى القراء ، عارفة بأن المعاداة للسامية تغذي الصهيونية . وبالتالي لم تشجب الجريدة القصف الارهابي للمدنيين في دمشق والقاهرة وبورسعيد . وهي دائما تحاول ان تقنع قراءها بأن اسرائيل تمثل الغرب « وحضارتنا » في المحيط العربي الهمجي .

مفهوم السلام لدى « لو فيجارو » هو المفهوم الاسرائيلي للسلام ، فعندما أعلنت اسرائيل انها عبرت القناة في ٩ تشرين الاول (اكتوبر) وانها اصبحت على مشارف دمشق ، طالبت الجريدة من نيكسون ومن الدول الغربية ان تفرض « السلام » الاسرائيلي أي السلام الذي يمنح اسرائيل أراض جديدة .

ومن ناحية اخرى لم تذكر الجريدة ابدا الامدادات الامريكية بالاسلحة ، والمال والطيارين لاسرائيل .

اما بالنسبة لنضال الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة فتتخذ « لو فيجارو » موقف الصهيونية والامبريالية : صمت تام ، لا وجود لاي خبر عن الكفاح المسلح في الجبهة الشمالية لفلسطين المحتلة ، ولا شيء عن العمليات في غزة والقدس وتل ابيب . فالموقف هو تجاهل وجود الشعب الفلسطيني والمساهمة اعلاميا في تصفيته .

حرب اكتوبر ١٩٧٣ كما رأتها جريدة « لوموند »
(الوسطية الاقرب الى اليمين)

— تحليلات لوموند تجهل تماما وجود الفلسطينيين : في بداية النزاع تقدم جريدة لوموند (٧٣/١٠/٩) تحليلا للاوضاع هو في نفس الوقت موقف سياسي غير علني :

أولا : من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ انتقلت مبادرة الهجوم من فريق الى فريق ، لكن المبررات المقدمة من المبادرين هي ذاتها : « في حرب ٦٧ ، قامت الدولة اليهودية بتدمير طاقة عدوها العسكرية ، لفك الحصار عليها . في حرب ٧٣ قامت الدول العربية بعمليات محدودة ، بعد فشل مساعيها لاستعادة الاراضي المفقودة ، وهي لا تهدف الا للتفاوض من موقع افضل » .

ثانيا : استؤنفت المعارك ، دون ان يكون هناك معتد : « القول بأن هناك اعتداء مصريا سوريا هو تناس لكون المهاجمين يريدون استعادة اراض لم تنتلها اي سلطة دولية لسيادة اسرائيل ... القول بأن الاعتداء اسرائيلي ، على غرار الصحافة الاشتراكية ، يناقض تصريح الزيات امام الامم المتحدة » .

وتسكت جريدة « لوموند » عن اساس النزاع الذي يعود الى استعمار فلسطين .

ثالثا : تعترف « لوموند » بأن العرب حققوا انتصارا وهو : تحطيم « الصورة المنتشرة بأن العرب جبناء يتقهقرون بعد اصغر هزيمة » ، لكن ان يكون « العرب قد قاتلوا جيدا ضد عدو يتمتع بسمعة رهيبة هي انه لا يقهر ، هذا لا يعني اكثر من انتصار كرامتهم ، والكرامة ليست كل شيء » . فلا يزال الاسرائيليون العدو الذي لا يقهر . وتتابع لوموند : « تحتاج الجيوش العربية الى قوة لم

يعترف اي خبير عسكري بامتلاكهم لها ، لاجبار اسرائيل على قبول ما رفضته ولا تزال ترفضه ».

لم تحدد الصحيفة مـا هو هذا الشيء الـذي ترفضه اسرائيل . وترى « لوموند » ان توقيت الحرب يشكل بحد ذاته عقبـة امام « تنازلات » اسرائيلية :

« ان توقيت الهجوم في يوم الغفران يجـرح حواسهم . وقرب الانتخابات غير مناسب للتنازلات. اما دعاة سياسة ضم الاراضي فلن يمتنعوا عـن القول انه لو أعيـدت الاراضي المحتلة ، لكانت المعارك الحالية تدور في جوار تل ابيب والقدس».

ما نستطيع أن نستخلصه من هذه التحاليل هو ان « لوموند » تنصح بشكل غير مباشر الدول العربية بالهدوء والتريث الـى ان تغير اسرائيل عقليتها — لا شيء يشير الى ان « لوموند » ترى حلا آخر للنزاع .

في نهاية أول اسبوع من الحرب ، لم تتغـير وجهة نظر « لوموند » .

تستبعد الجريدة تحقيق حـل سياسي للنزاع ، وتتكهن بتدهور الاوضاع :

« فاما يكسر الاسرائيليون عظـام أعدائهم في سوريا ثم في مصر كما وعـد بذلك اللـواء أليعازار ... »

« أما ان الوضـع سيستقر على الخطوط الحالية، ويطبق وقف اطلاق النار . لكن هذا الوضع لن يحل المشكلة ، لان تمركز المصريين على الضفة الشرقية، يوازيه احتلال أراض سورية جديدة مـن قبـل اسرائيل . وهذا لن تقبل به دمشق أبدا ... » . (لوموند ١٤—٧٣/١٥) .

وللمرة الاولى ترى « لوموند » ان الاحتمـال الثاني هو بمثابة « هزيمة اسرائيلية خطيرة » لان اسرائيل « لاول مرة يجب ان تعترف بتعـادل القوى » .

وهناك تطور آخر في تحليل « لوموند » وهـو « الدرس » الذي تستخلصه من الاحداث :

« حتى اذا أدت هذه الحرب الى هزيمة عربية جديدة ، ستعود الاشتباكات بعد خمس او ست سنوات ، وستكون أصعب وأشرس من قبل . وفي هذه الحالة لن تكون الاراضي المحتلة فقط مهددة .

لكن ايضا وجود اسرائيل » (لوموند ١٤ — ١٥/ ٧٣/١٠) .

الثغرة الكبيرة في هذا التحليل هو ان « لوموند » تصور الوضع كأنه صراع عربي اسرائيلي في غياب الفلسطينيين .

«لوموند» تتجاهل تماما الفلسطينيين — لا وجود لفلسطين في رأي الجريدة . في اول ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ كانت الجريدة تعلن: « ان الدولة الاسرائيلية موجودة . رفض هذا الواقع هـو موقف مثالي وذاتي » .

الاعلام المؤيد لاسرائيل : لقد فوجئت « لوموند » ومعظم الصحافة الفرنسية ، بقوة الهجوم المصري والسوري ، وفعالية معداتهم ، وقتالية جنودهم . وأجبرت على الاعتراف بأن ١٩٧٣ لن تكون تكرارا لسنة ١٩٦٧ . وبخيبة أمل واضحة تعلن « لوموند » بعد اسبوع من ابتدائها ان « الحرب طويلة في الشرق الاوسط » .

لا تزال الجريدة تؤمن بأنه يستحيل هزم القوات الاسرائيلية .

وفي عدد ٨ اكتوبر يؤكد « شيماما » مراسل « لوموند » في القدس ان دايان رفض اخذ مبادرة الهجوم . ويضيف قائلا :

« أصبحت اسرائيـل الان قادرة على ممارسة التراجع الاستراتيجي وضرب العدو في المكان الذي تختاره . من الاسهل هـزم الجيش المصري في صحراء سيناء » (٧٣/١٠/٩) .

وفي نفس النهار كتب جـ. س. جيبو : « ان الحرب عـادة في اسرائيل والانتصار ايضا » . (٧٣/١٠/٩) .

وفي ١١ اكتوبر يكتب شيماما مـن تل ابيب : « اننا نقترب الان من اللحظة التي ستندفع فيها بقوة ، القدرة العسكرية الاسرائيلية » . (١٠/ ٧٣/١٠) .

لا شك ان اسرائيل قادرة على احتلال دمشق ، لكن هل الرغبة السياسية موجودة لديها ؟ هذا هو السؤال الذي تطرحه « لوموند » : « هل تريد اسرائيل الاستفادة من تفوقها الى هذا الحد ؟ » . (٧٣/١٠/١٣) .

ان معظـم الاستشهادات السابقة نابعة عـن

مراسل « لوموند » الدائم في القدس ، وعن مبعوثها الخاص الى تل ابيب . لا بد من التشديد هنا على ان لهجتهما تختلف تماما عن لهجة مراسلي « لوموند » في المدن العربية . هؤلاء ينقلون أقوال المسؤولين المدنيين والعسكريين بصفة مشاهدين موضوعيين في حين ان المراسلين في القدس وتل ابيب ملتزمون بالدعاية لوجهات النظر الصهيونية وخاصة لتصريحات لواءات اسرائيل :

« من المستبعد أن يكتفي اللواء دافيد اليعازر بتدفيع المصريين فقط ثمن القوات التي عبرت القناة. كل تصريحات المسؤولين الاسرائيليين تؤكد ان اي نزاع جديد مع مصر سيؤدي بهذا البلد الى الخراب الكامل » . (شيماما ، ٧٣/١٠/٩) .

« لقد أعلن اليعازر ، قائد الاركان الاسرائيلي ، بشراسة امام مئات الصحافيين : سنطاردهم في كل مكان ، ونحطم عظامهم » . (٧٣/١٠/١٠) .

« اعاد الجنرال هرتسوج الى الاذهان ان هدف اسرائيل « ليس فقط ، رد المهاجمين ولكن ايضا ، تلقينهم درسا سينزع عنهم لفترة طويلة ، حب الحرب » . ويضيف المراسل قائلا : « تحتاج اسرائيل الى فترة من الزمن لتحضير الضربة التي ستلقنها حتما لمصر وسوريا » . (٧٣/١٠/١١) .

« كسر عظام العدو » ، حسب قول اللواء دافيد اليعازر ، هذا هو الهدف الاساسي . (٧٣/١٠/١٣) .

« لوموند » هي بالتأكيد الجريدة الفرنسية التي أعطت أكمل المعلومات عن حرب الشرق الاوسط . لكن هذا الاعلام مؤيد لاسرائيل ، كما ان معظم محرري الجريدة مؤيدون لاسرائيل .

ان المعلومات المتوفرة في الجريدة عن « ردود الفعل في فرنسا » ، تشير ايضا الى موقف متحيز :

فقد قامت الصحيفة خلال كل الاسبوع بدور الناطق باسم الصهاينة في فرنسا . وأعطت مساحة غير عادية في صفحاتها لمظاهرات وتصريحات معظمها مؤيدة لاسرائيل . وقد نشرت خلال يومين متتاليين : « مواقف التجمعات البرلمانية للصداقة بين فرنسا واسرائيل » ونشرت لائحة بكامل الاسماء .

وفي المقابل لم تنشر جريدة « لوموند » بيان التجمع القومي من اجل فلسطين الذي كتب بعد تحرك يومي ٦ — ٧ اكتوبر .

لا شك أن الجريدة نشرت اخبارا سريعة عن بعض تظاهرات الدعم للمقاتلين العرب . لكن اللهجة كانت تختلف حسب المصدر . فاذا كانت التظاهرات مؤيدة لاسرائيل كانت لهجة الجريدة موضوعية ، اما اذا كانت التظاهرة تضامن فرنسي عربي أصبحت لهجة الجريدة « منتقدة » .

فحول الاجتماع الذي عقد في « الموتياليتي » لنصرة القضية الفلسطينية والعربية ، كتبت « لوموند » (١٤—٧٣/١٠/١٥) « ان التيار الماركسي — اللينيني (الذي دعا للاجتماع) ليس متماسكا» ، « ان وجود الحركات اليسارية المتطرفة في باريس لا يعني انها موجودة على المستوى القومي ، وهي لا تمثل الا بشكل تعسفي ، منظمات قومية » .

— **تحليل « لوموند » و « لو فيجارو » للاوضاع بعد وقف اطلاق النار** : تقدم الجنرال بوفر تحليلا لاسابيع الحرب الاربعة في جريدة « لو فيجارو » (٧٣/١٠/٢٧) ويبدو ان معظم الصحافة الفرنسية تبنت هذا التحليل .

كتب بوفر : « كانت المفاوضات مفتوحة منذ بداية الهجوم المصري السوري ، عندما أعلن الرئيس السادات انه لن يهدد اسرائيل وسيكتفي بتحرير الاراضي المحتلة في ١٩٦٧ . فكان واضحا منذ البداية ان هدف المجابهة المسلحة هو تحريك وضع سياسي مجمد وفتح الطريق للتسوية » .

« عندما اقام الاسرائيليون رأس جسر على الضفة الغربية للقناة ، توفرت كل الشروط لاقامة تسوية سياسية . العرب اظهروا قدرة عسكرية ، واستعادوا كرامتهم فأصبحوا قادرين على تقديم تنازلات على الحدود . والاسرائيليون بعد فترة المعارك الصعبة أنهوا الحرب بنجاح وأصبحوا هم أيضا قادرين على تقديم تنازلات ... » .

« لكن بعض الاطراف في اسرائيل — وربما اللواء شارون — رفضوا أن يمنع وقف اطلاق النار اسرائيل من تحقيق النصر الكبير والمكن . وسمحت ثغرات وقف اطلاق النار للاسرائيليين بمتابعة عملية الخرق غربي قناة السويس ... ثم قبلت اسرائيل وقف اطلاق النار الثاني في جو من النصر الحاسم ... »

« لكن هذا النصر للكرامة الاسرائيلية أخل بالتوازن الدقيق الذي حدث قبل يومين ... » .

« فلأنهم لم يحترموا قوانين الحروب المحدودة ، وجد الفرقاء انفسهم أمام مشاكل لا حل لها » . (لو فيجارو ٧٣/١٠/٢٧) .

اما جريدة « لوموند » ، فبعد ٤٨ ساعة من وقف اطلاق النار ، لخص « ميشيل تاتو » الاوضاع بالنقاط الاربع التالية :

١ — « ان الاتحاد السوفياتي يبحث جديا عن حل سلمي ... »

٢ — « ... رغم المساعدة السوفياتية الضخمة، وبسبب الانتصارات التي حققتها ... يبدو ان مصر تعتمد اكثر على الولايات المتحدة ، البلد الوحيد الذي يستطيع ان يضغط على اسرائيل لدفعها على اخلاء الاراضي المحتلة ... »

٣ — « ان هذا التكتيك ذكي ، لان بعض المسؤولين الاميركيين يبدون استعدادهم للضغط على اسرائيل . السيدان نيكسون وكيسنجر يريدان دفع اسرائيل الى التسوية ... »

٤ — « اما من الجانب الاسرائيلي لا شيء يشير الى أنهم تراجعوا عن فكرة «كسر عظام العدو»... ولم يستبعد اللواء دايان ان تضغط الولايات المتحدة على اسرائيل التي زادت تبعيتها لامريكا » . (لوموند ٧٣/١٠/٢١) .

وتلخص «لوموند» الاوضاع على انها مرور من مرحلة « لا حرب ولا سلم » الى مرحلة « لا غالب ولا مغلوب » او « نصف انتصار ونصف هزيمة ». (لوموند ٧٣/١٠/٢٤) .

« وأصبحت الكرة في أيدي الدولتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي » .

وتعترف « لو فيجارو » في عدد ٧٣/١٠/٢٤ : « ان المقاومة الفلسطينية التي ساهمت من خلال نضالها بعد هزيمة ١٩٦٧ ، في احداث الحرب العربية في اكتوبر ١٩٧٣ ، هذه المقاومة لن تسمح بتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني . ولا يستطيع اي نظام عربي ان يتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني . وحتى لو افترضنا ان مصر دخلت في اجراءات سلمية منفصلة وجزئية ، لن تحل المشكلة في الشرق الاوسط — واليوم اقل من البارحة — الا بأخذ حقوق الفلسطينيين بعين الاعتبار » . (لو فيجارو ٧٣/١٠/٢٤) .

الحرب كما تراها ليبيراسيون : الحرب كما تراها « ليبيراسيون » وهي جريدة تصدرها مجموعة يسارية من اليسار الجديد المتكون بعد ثورة مايو ١٩٦٨ (الطلابية) في فرنسا والتي يترأسها بصفة شرف الكاتب الفرنسي جان بول سارتر المعروف بموقفه المتذبذب من اسرائيل. وتبحث «ليبيراسيون» عن قرائها في الاوساط الشعبية : عمال فرنسيون ومهاجرون ، الشبيبة التقدمية الخ . والجدير بالذكر ان « ليبيراسيون » هي الصحيفة اليومية اليسارية الثانية في فرنسا بعد صحيفة « لومانيته » الناطقة باسم الحزب الشيوعي الفرنسي والتي توزع في الاوساط التقدمية اكثر بكثير من « ليبيراسيون » . (المترجمة) .

المقاومة الفلسطينيون اثناء الحرب كما تراها ليبراسيون : في عددها الصادر في ٩ اكتوبر وتحت عنوان « مقاومة متقطعة » (!!!) تقدم « ليبراسيون » سلسلة من المعلومات الصادرة عن وفا ، بعد أن وضعتها في صيغة « يقال أن » وفي نفس الصفحة نجد اخبارا من مصادر اسرائيلية وضعت في صيغة التأكيد . وهنا نتساءل : هل الاخبار الاسرائيلية أجدر بالتصديق من الاخبار الفلسطينية ؟

ونشرت الصحيفة أخبار المقاومة الفلسطينية دون تعليق او شرح ، ودون ابراز أهميتها ، مما يحد من فعاليتها على الصعيد العسكري والسياسي .

ثم تقدم « ليبراسيون » وجهة نظر المواطن العربي الوسط ، فتجري مقابلة مع « طالب جزائري » يبدي وجهة نظره حول الحرب قائلا : « ان الحل المثالي بالنسبة لي هو التفاوض ، لكن اسرائيل لن تقبل ابدا ، لانها مغرورة بنفسها ، ولن ترجع ابدا اراضيها . لكن الاسرائيليين أذكياء ونظاميون أكثر من العرب . التعايش السلمي ممكن بين العرب واليهود بالنسبة لنا ... » . وهكذا استعملت « ليبيراسيون » اسلوب الصحافة الرجعية : وهو اجراء مقابلة مع فرد غير واع وتقديمها على انها تمثل وجهة نظر الجماهير العربية .

نعود الى تصريحات « ليبيراسيون » حول الشرق الاوسط . في عدد ٧٣/١٠/١٢ كتبت : « نعمل في الجريدة يهودا ذوي جواز سفر اسرائيلي ، ومناضلين عرب وفلسطينيين . وكلنا معادون للصهيونية » .

لكن تتناسى الجريدة ان هناك فلسطينيين يريدون استرجاع وطنهم ، وتتباكى في عدد ٧٣/١٠/٦ على مصير اليهود السوفيات المهاجرين الى اسرائيل . وتنشر في عدد ٧٣/١٠/٩ صورة للمدرعات المصرية العابرة الى الضفة الشرقية تحت عنوان : « الدبابات الاسرائيلية اثناء القتال في سيناء » ... ثم تنشر في العدد التالي تكذيبا متواضعا جدا للخبر في زاوية مجهولة من الجريدة .

وتنسى « ليبيراسيون » ان تغطي اعلاميا التظاهرة الكبيرة التي اشترك فيها ١٥ الف شخص تضامنا مع الشعوب الفلسطينية والعربية . بالرغم ان « ليبيراسيون » تكتب : « لسنا تنظيما سياسيا ... ليس لدينا اي برنامج سياسي منظم » (١٢/ ٧٣/١٠) ، لا يمكنها ان تكون محايدة . واذا كانت تدعي بأن ليس لديها موقف سياسي حول مشاكل الشرق الاوسط فهي تساهم موضوعيا في نشر البلبلة الاعلامية لصالح الصهيونية والامبريالية .

[٣]

اتجاهات الصحف في الضفة الغربية
التحركات السياسية بعد حرب تشرين الاول
« سكان الضفة لا يريدون العيش في ظل نظام الملك حسين »

« **قابلت اوساط الشعب العربي الفلسطيني في المناطق العربية المحتلة قرار مجلس الامن الدولي بايقاف اطلاق النار بالوجوم التام** » . هذا ما قالته جريدة الشعب اليومية الصادرة في القدس يوم ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ . وبعد وقف اطلاق النار نشطت المساعي الدولية لوضع تسوية سياسية عامة في الشرق الاوسط ، تستند على قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ . وكان طبيعيا ان يأخذ مصير المناطق العربية الفلسطينية القسط الاكبر والاهم من تحركات واتصالات جميع الاطراف المعنية بالتسوية . وعلى ضوء معركة التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني الذي خاضته منظمة التحرير الفلسطينية بنجاح، ووصلت به نهاية المطاف في مؤتمر القمة العربي الذي عقد بالجزائر في اواخر شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ، رافق هذه « المعركة » وتبعها تحركات واتصالات من مختلف الاطراف المعنية للوقوف على وجهة نظر سكان الضفة الغربية وقطاع غزة تارة ، ولاستقطابهم الى هذا الجانب او ذاك في معركة التسوية السياسية تارة اخرى. فقد ذكرت صحيفة الفجر التي تصدر اسبوعيا في القدس انه منذ الاعلان عن اتفاقية وقف اطلاق النار ، « وجيش من الصحفيين ومراسلي محطات التلفزيون ووكالات الانباء العالمية يجوبون مدينة القدس العربية وبقية مدن الضفة الغربية ، في محاولة لمعرفة اراء الفلسطينيين المحتلين » . وتقول الفجر ان هؤلاء الصحفيين والمراسلين الاجانب يركزون احاديثهم مع سكان المناطق المحتلة « **على موضوع مؤتمر السلام المقترح والتمثيل الفلسطيني في هذا المؤتمر وعلاقة الفلسطينيين المحتلين باخوانهم في الخارج ومدى نفوذ النظام الهاشمي في الضفة الغربية** » (الفجر ١١/٢٤/ ١٩٧٣) .

الحكم العسكري يستطلع الاراء

اذن ، فان جانبا من هذه الاتصالات هو بهدف التعرف على اراء مواطني الضفة والقطاع بمستقبلهم السياسي . غير ان هذه الاتصالات لم تقتصر على الصحفيين **والمبعوثين** الاجانب ، بل تعدتها الى الرسميين والصحفيين الاسرائيليين . فقد ذكرت « الشعب » ان الحكام العسكريين الاسرائيليين ومساعديهم في مدن الضفة والقطاع قد اجروا سلسلة من الاجتماعات واللقاءات المتصلة لمدة اسبوعين مع المواطنين العرب « تحت باب استطلاع الاراء ... **وان الغاية كان مجرد الوقوف على مختلف الاراء** في اعقاب حرب السادس من تشرين » . ثم تعدد « الشعب » الحقائق التالية التي خرج بها الحكام العسكريون

الاسرائيليون ومساعديهم من خلال جولتهم الاستطلاعية هذه .

« — كانت الوجوه التي تم اللقاء معها تتمثل في قطاعات عديدة ، بينها ارباب المهن كالاطباء والمحامين والمهندسين والعاملين في الحقل السياسي والاجتماعي والتربوي ، الى جانب وجوه تقليدية معروفة ومن مختلف الاتجاهات .

— كان النقاش في مجمله يدور ضمن مواضيع ثلاثة هي :

١ — على فرض ان تمت التسوية وجرى الانسحاب الى حدود ١٩٦٧ ، فماذا تريدون بعد ، وهل تنتهي مطالبكم عند هذا الحد ام ان هنالك اشياء اخرى ؟

٢ — من ترون انه خير من يمثل الشعب الفلسطيني في اية محادثات او تسويات ستجري ؟

٣ — في حال قيام دولة فلسطينية هل ستكون مستقلة عن الاردن ام تنضم اليه ؟

وكان من الطبيعي ان يطرح السؤال التقليدي القديم : **وانتم هنا لماذا لا ترفعون صوتكم او تثبتون وجودكم او تاخذون زمام الامور بيدكم .**

— من عملية الاستقصاء التي وقفنا عليها : **ان الغالبية من كل هؤلاء كان رأيهم ان منظمة التحرير الفلسطينية هي فقط الممثلة لهم »** .

وتضيف « الشعب » قائلة انها المرة الاولى التي يسمح فيها الحكم العسكري بمناقشة هذا الموضوع من غير ان يتطرق الى تعبيراته التقليدية — « مخربون » — . وتستطرد في سردها للحقائق التي توصل اليها الحكم العسكري من خلال اتصالاته فتقول : « فيما يختص بالمستقبل كان مطلب الكثيرين هو اننا بعد ان يتحقق الانسحاب يمكننا انئذ تقرير مصيرنا ، في حين اوضح بعضهم رأيه بالدولة المستقلة مع تحفظات ، واخرون اعربوا عن انهم يميلون لوحدة مع الضفة الشرقية بشكل يختلف عما مضى » . وتذكر الصحيفة ان هذه اللقاءات شملت اكثر من مائة شخص (الشعب ١٩٧٣/١١/٢٠) .

من ناحية اخرى نشرت صحيفة معاريف الاسرائيلية في عددها الصادر يوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي « تحقيقا عن التطورات الفكرية والسياسية بالاراضي العربية المحتلة » ، استقته من خلال المقابلات التي اجراها مندوبو الصحيفة « مع عشرات من الشخصيات في الضفة الغربية وفي غزة من اوساط مختلفة ، واصحاب اراء مختلفة » . واستطاع مندوبو الصحيفة الاسرائيلية الوقوف على تطور التفكير الفلسطيني في هذه المناطق ، والذي كما تصفه الصحيفة « بعيد المدى ومخيف » ، من خلال الاتصالات الشخصية والمعرفة السابقة بهؤلاء . وتلخص « معاريف » التطورات الفكرية والسياسية لعرب المناطق المحتلة ، بانها « **تتمثل في تأييد المنظمات الفلسطينية وتأييد قيام دولة فلسطينية وعدم العودة للحكم الاردني وايمان بالوحدة العربية القائمة حاليا** » . وتشرح معاريف هذه التطورات بقولها : « قبل اربع سنوات برز التفسخ في الزعامة الفلسطينية وتصارعت فيها فكرتان او ثلاث ، والان بدا اتساق الاراء الذي ليس فقط بين الزعامة ، وانما ايضا بين الشيوخ والشباب محيرا .

« **هذه الحقيقة بارزة جدا ومن الافضل معرفتها في وقتها** . في هذه الايام يتبلور موقف قومي عند سكان المناطق المحتلة . التفاهم لم يكن بينهم سنوات عديدة ، ولكنه يبرز الان في موازاة للموقف الموحد الذي تظهره الدول العربية المختلفة » . وبعد ان تعدد « معاريف » العوامل التي لعبت دورها في بلورة هذا الموقف لسكان الضفة والقطاع ، تخلص الى ان التغييرات التي جرت في هذه المناطق هي كما يلي :

« **١ — غياب الزعماء التقليديين مؤيدي الملك حسين . الشباب المتطرفون مؤيدو المنظمات، اولئك الذين فاجئوا الاسرائيليين عندما حزنوا على ضحايا المنظمات في هجوم اسرائيل على بيروت ، بدأوا في رفع صوتهم . وجميعهم مؤيدي فكرة الدولة الفلسطينية .**

٢ — تصلب في موقف سكان المناطق التي كفت عن التواضع في طلباتها الاقليمية . زعيم في غزة الذي دعا غير مرة ، في الماضي ، اسرائيل الى ارجاع الضفة وغزة الى مملكة الاردن قال لي قبل عدة ايام بانه غير مستعد لتأييد اي حل لا يعيد للعرب المناطق التي خصصت لهم في قرار التقسيم.

٣ — ازدياد النظرة المتشككة في نوايا اسرائيل لدى سكان المناطق نتيجة ايمانهم ان زعماء العرب

والمنظمات هم الذين سيخلصونهم .

٤ — **ازدياد مقاومة الاردن** . كاتب وصحفي مقدسي قال لي انه حسب رأيه ، **ان ٩٥ بالمئة من سكان المناطق ليسوا معنيين بالحياة في ظل الملك حسين** ، ولكنهم يخافون من اعلان ذلك لئلا ينتقم منهم الاردن فيما اذا اعيدت الضفة للاردن نتيجة لاتفاق سري بين الاردن واسرائيل » .

وتجاه حقائق قاسية كهذه بدأ الاردن في نشاط واسع في المجال السياسي عددته « معاريف » كما يلي :

« ١ — محاولة للتقرب من المنظمات ، محاولة لم تنجح لان المنظمات رفضت كل اقتراحات حسين لادخال عدة رجال من المنظمات في حكومته .

٢ — محاولة التقرب من الطبقة الشابة في المناطق عن طريق ضمهم الى مؤيدي النظام الهاشمي ، والذي شمل تجديد دفع الرواتب لموظفي الدولة من سكان الضفة ابتداء من الشهر القادم .

٣ — محاولة ادخال شخصيات من سكان الضفة ومؤيدي الملك حسين الى المؤسسات الفلسطينية التابعة للمنظمات الشيء الذي لم تظهر نتائجه حتى الان . **وحتى الان لا يبدو ان في قدرة الملك حسين وقف الموجة المتعاظمة التي تطالب الانفصال عن الاردن واقامة دولة فلسطينية في الضفة وفي غزة . « بالنسبة للملك هذه حرب على وجوده ». قال مستشار الملك الذي يسكن القدس : اقامة دولة فلسطينية تعني ليس فقط تنازله عن الضفة وانما ايضا اقامة دولة متطرفة لن تكف عن تهديد نظام حكمه حتى يسقط »** .

الى جانب الاتصالات التي اجراها الحكام العسكريون الاسرائيليون ومساعدوهم ، وما اجراه مندوبو صحيفة معاريف وغيرها ، نقلت جريدةالفجر عن جريدة معاريف الاسرائيلية ان عبد العزيز الزعبي نائب وزير الصحة الاسرائيلي — عربي من الناصرة — قد اجرى لقاءات مع عدد من زعماء الضفة والقطاع ، بتنسيق مع حزب المابام الذي ينتمي الى عضويته — المابام شريك حزب العمل في الائتلاف العمالي الحاكم — . وعن هذه المقابلات قال الزعبي « انني خرجت متفائلا اكثر مما كنت عليه في المرات السابقة » (الفجر ١٩٧٣/١٢/١)

وبعد التصريحات التي أدلى بها الجعبري لصحيفة معاريف وقال فيها ان منظمة التحرير ليست ممثلة للشعب الفلسطيني ، قام القنصل الاميركي العام في القدس الشرقية بالاجتماع مع الجعبري بهدف « **عقد اجتماع عام في الضفة الغربية لانتخاب ممثلين للمناطق المحتلة تذهب الى عمان وتشترك ضمن الوفد الاردني الى محادثات السلام** » (الفجر ١٩٧٣/١٢/١) .

التحركات السياسية للنظام الاردني

اما اذا انتقلنا الى الجانب الاخر من الاتصالات التي يجريها النظام الاردني ، ليس بهدف الوقوف على الرأي واستطلاع الاتجاهات ، وانما بهدف كسب ولاء الضفة الغربية السياسي الى جانبه ، هذا الولاء الذي يتخذ في هذه المرحلة أهمية عملية، لقرب احتمال التوصل الى تسوية سياسية ، فاننا نجد من مجموعة الاخبار التي نقلتها صحف الضفة الغربية — خاصة جريدة الشعب — ما يشير الى تركيز كبير من جانب النظام لقطع الطريق على أية محاولة دولية ، وفلسطينية تهدف الى سلخ الضفة الغربية عن المملكة الاردنية . ومن الطبيعي ان ينصب اهتمام الحكومة الاردنية اولا على الوجهات التقليدية ، التي شكلت طوال السنوات الماضية الركيزة الاساسية لنفوذها في الضفة والقطاع . لذلك ، وفي حماة الصراع السياسي على كسب تمثيل الضفة الغربية وقطاع غزة ، استدعت الحكومة الاردنية خلال الايام الاولى من وقف اطلاق النار وطوال الفترة التالية « نواب واعيان » الضفة والقطاع لاجراء المشاورات معهم . وذكرت « الشعب » بعض أسماء من سافروا الى عمان خلال الايام الاولى من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) لهذه الغاية ، ومنهم النائب الدكتور امين مجج مع احد الاعيان الاخرين من مدينة القدس ، ومن نابلس الوزير راشد النمر وعبد القادر الصالح. وتؤكد « الشعب » ان محور الاستدعاءات والمشاورات يتركز حول ما هو رأي هؤلاء«الزعماء» بمستقبل الضفة الغربية « وايهما أجدى : العودة الى المملكة الاردنية كما كان الامر سابقا مع بعض الاصلاحات والغاء التمييز السابق المشكو منه ، او تنفيذ مشروع التطرين الفلسطيني والاردني .. ثم من هم مع الاردن في سياستهم وولائهم ومن هم مع الدول العربية الاخرى والمنظمات ومدى قدرة وقوة كل فريق » . وتذكر

الصحيفة ان شخصية عادت الى الضفة من عمان مؤخرا اطلعت على تفويض سلم الى البعض ممن عادوا الى الضفة من عمان ، للتوقيع عليه واعادته الى العاصمة الاردنية . وتذكر الصحيفة ان صيغة التفويض هي كما يلي : « انا أو نحن الموقعين ادناه ، والذي امثل او نمثل الحمولة او العشيرة او العائلة (الفلانية) وتعدادها كذا نفسا ، انوض او نفوض جلالة الملك الحسين المعظم تفويضا كاملا تاما ، فيما يتعلق بمستقبل الضفة الغربية ، وانه وحده الناطق باسم الشعب الفلسطيني » . وتضيف « الشعب » ان عشرات الالاف من الدنانير بدأت تتسرب الى الضفة وقطاع غزة من عمان . (الشعب ١٩٧٣/١١/٦) .

وكانت « الشعب » قد نقلت قبل ذلك عن صحيفة معاريف الاسرائيلية الصادرة يوم ١٩٧٣/١٠/٣١ رسالة لمراسلها ايدي سوفر ذكر فيها « ان عددا من شباب الضفة الغربية دعوا في اليومين الاخيرين الى عمان ضمن النشاط السياسي المكثف والمتشعب الذي يقوم به الحكم الاردني بالمناطق المحتلة . ومعظم المدعوين من الاطباء والمهندسين ، وصفتهم احدى الشخصيات في الخليل بأنهم وجوه جديدة. واضاف المراسل بأن من بين المدعوين صحفي مقدسي معروف وهو صاحب ومحرر احدى الصحف اليومية التي تصدر في القدس [الجريدة اليومية الوحيدة التي تصدر في القدس باستثناء صحيفة الشعب هي جريدة القدس لصاحبها ومحررها المسؤول محمود ابو الزلف ، الموصوف بأنه من المحسوبين على الحكومة الاردنية] . وقال المراسل ان مصادر مقربة من البلاط الملكي في الضفة الغربية ذكرت له بأن بهجت التلهوني وعامر خماش انتظرا يومين في القاهرة لمقابلة الرئيس السادات وانهما في النهاية قابلا حسين الشافعي وعادا الى عمان يحملان ردا خيب امال الملك حسين كثيرا من مفهوم مصر للممثل الشرعي للشعب الفلسطيني في محادثات السلام » وتضيف « الشعب » نقلا عن نفس الصحيفة الاسرائيلية وعلى لسان « شخصية » من الخليل « **بأنه على ضوء هذه الوقائع يجب رؤية نشاط عمان في هذه الايام في المناطق المحتلة ومحاولة التقرب من فئة المثقفين الشباب من انها تنبع من رغبة عمان في الحصول على اقصى تأييد بين سكان المناطق المحتلة** » (الشعب ١٩٧٣/١١/١) . وفي عدد «الشعب» الصادر في اليوم التالي جاء ان التحركات السياسية في الضفة الغربية ، والمتصلة بالحكومة الاردنية اوسع مدى ومتعددة الوجوه . فبعض هذه الحركات تمثل في الاجتماعات داخل بعض مدن الضفة الغربية وبعضها تمثل بالمسافرين الى عمان بدعوة او بدون دعوة من حكومتها . ومن المسافرين « النواب وبعض رؤساء البلديات والمجالس القروية والاطباء والصيادلة والشيوخ ، الى جانب ممثلين عن التربية والتعليم ومن باقي القطاعات الاخرى ». وتشير الشعب الى ان **محور هذه الاتصالات يدور في مدينة الخليل**. وتنقل على لسان المواطنين في المحافظة بان هناك « لعبة جديدة يريد الاردن ان يلعبها » . وتقول « الشعب » ان غالبية الناس « **ينظرون ان هناك من يحسن تمثيلهم خارج الاردن وخارج الاحتلال** » . وبالطبع فان الاشارة هنا واضحة الى منظمة التحرير الفلسطينية . وقد أكدت صحيفة معاريف الصادرة يوم ١٩٧٣/١١/١٢ ، ما كانت قد ذكرته صحيفة الشعب حول هذه التحركات . فقالت الصحيفة الاسرائيلية انه قد جرت في الايام الاخيرة « عدة اجتماعات في بيوت عدد من زعماء الضفة الغربية على ضوء امكانية بحث القضية الفلسطينية في مؤتمر السلام » واضافت الصحيفة ان هذه الاجتماعات « **لا تحمل طابعا رسميا بل تتم على أساس اجتماعي بين اناس يوجد بينهم تناسق فكري او روابط عائلية او يحاولون بلورة الموقف وسماع الردود** » .

ومن ابرز ما نقلته صحف الضفة الغربية عن تحركات اردنية بهدف احتواء مواطني الضفة سياسيا ، ما ذكرته « الشعب » عن **وسائل كتابية وشفوية بعث بها اميل الغوري** نائب مدينة القدس الى بعض المخاتير والوجوه في نابلس والخليل ورام‌الله وبيت لحم والقدس ، يهيب فيها بهم ، الالتفاف حول الملك حسين . وقد وجه لبعضهم الدعوة لزيارة عمان . كما قام بهذا الدور ، كما ذكرت « الشعب » ، بعض النواب والوزراء الفلسطينيين الموجودين في عمان حيث « اخذوا هم بدورهم يمارسون حكاية الاتصال باصدقائهم واقاربهم في الضفة الغربية من أجل هذه الغاية ايضا » (الشعب ١٩٧٣/١١/٢٦) .

التحرك المضاد للنظام الاردني

ولكن ماذا على الجانب الاخر ؟ جانب الرافضين

لهذه الاتصالات والتحركات الهادفة الى مصادرتهم سياسيا من جديد ؟

لقد نقلت جريدة الشعب الخبر التالي عـــن جريدة الجروزاليم بوست الاسرائيلية ، وهــذا الخبر في فحواه ومدلوله يمكن ان يعتبر دليلا جديا على أن هناك بالفعل من سيقاوم اتجاه الزعامة التقليدية المرتبطة ماديا وسياسيا مع النظـــام الاردني . وننقل في ما يلي النص الحرفي لما جاء في صدر الصفحة الاولى من جريدة الشعب : **« ذكر عدد من الشخصيات البارزة في الضفة الغربية انهم تلقوا رسائل تهديد محذرة اياهم من الاشتراك في اي نشاط سياسي نيابة عن الفلسطينيين . وقيل ان جماعات من الهيئات السرية هي التي بعثت بهــذه الرسائل والتي جــاء فيها ان المنظمات الفلسطينية هي الوحيدة التــي تنطـق باســم الفلسطينيين . وذكر بعض الذين تلقــوا هــذه الرسائل انه جرت محاولات لاتلاف ممتلكاتهم وبصفة خاصة سياراتهم »** (الشعب ١٩٧٣/١١/٢٣) .

أما صحيفة الفجر التي تصدر اسبوعيا فــي القدس فقد ادلت هي الاخرى برأيها في كل التحركات والنشاطات السياسية التي ينظمها انصار النظــام الاردني في السر والعلانية . ففي افتتاحية عددها الصادر يوم ١٩٧٣/١١/٢٤ نقتطف مما قالته حول هذا الموضوع ما يلي : « ان انصار النظــام الهاشمي في المناطق المحتلة، قد وجدوا انفسهم بعد النتائج التي تمخضت عنها الحرب الاخيرة،يعيشـون في عزلة من الجماهير الفلسطينية ، وحتى في عزلة من نظام « سيدهم » في عمان ، لهذا اسرعوا في عرض انفسهم كناصحين وكأصحــــاب مــدارس سياسية ، وكمخططين لرحــلة المســـتقبــل الفلسطينية ، ناسين او متناسين ان « النواة » ستظل طاهرة ... **ان تجاهل التناقض بين النظام الهاشمي وحقوق الشعب الفلسطيني ، هو تنكر لكل قيم الصمود والتحدي ، التي تصرف شعبنا بوعي كامل عليها ، كما ان هذا التجاهل من جانب « العقلانيين » هو اكبر اهانة توجــه لمشاعــر واحاسيس ثمانية الاف ارملة فلسطينية ، فقــدن ازواجهن برصاص البطش الهاشمي ، وبقنــابــل اقليمية حسين وطغمته في مخيم الوحدات وحده .. واما الحديث عن الوحدوية والانفصالية ، فلماذا لا يوجه الى الذين طعنوا الوحــدة في ايلــول ١٩٧٠ ... »** .

الى جانب ذلك فقد نشرت صحيفة الشعب تحت عنوان « **سكان المناطق المحتلة يرفضون ان يكون للاردن دور في مستقبل الشعب الفلسطيني ويؤيدون بشدة المنظمات الفلسطينية** » ، قول مراسل لاحدى وكالات الانباء الاوروبية جاء فيه : « لطالما حدثني بعض الوجهــاء التقليديين وبعض رؤساء بلديات الضفة الغربية ، ان منظمة التحرير الفلسطينية وبقية المنظمات الفلسطينية قد فقدت نفوذها فــي المناطق المحتلة . واعترف بانه في فترة من الفترات قد صدقت هؤلاء التقليديين ورؤساء البلديــات ، **لكنني اكتشفت انني قد خدعت . فالاحاديث التي اجريتها في غزة والخليل والقدس ورام‌الله ونابلس وطولكرم ومخيمات اللاجئين ، قد اثبتت ان التاييد السياسي الذي تحظى به المنظمات في المنـــاطق المحتلة هو من القوة بحيث ان تجاهله سيؤدي الى كوارث سياسية** » . وتذكر « الشعب » ايضا على لسان مراسل لاحدى كبريات الصحف البريطــانية قوله : « يظهر انه كانت هناك مصلحة لاسرائيــل والنظام الاردني والوجهاء التقليديين في الايحاء بان موقف سكان المناطق المحتلة سوف يكون مستقلا عن موقف منظمة التحرير الفلسطينية .. لقد كشفـت هذه الحرب حقائق يجدر بكل العقلاء ان يتعاملوا بها . ومن هذه الحقائق المهمة **ان الفلسطينيين في المناطق المحتلة ينظرون الى منظمة التحرير على انها الممثل الحقيقي لهم ، وان اية محاولة لتوجيه هذا الولاء الى اي جهة اخرى سيؤدي بلا شك الى تعقيــدات سوف لا تكون في مصلحة الســلام** » (الشعب ١٩٧٣/١١/٢٩) .

*

تناولت صحف الضفة الغربية خــلال النصف الثاني من شهر كانون الاول الماضي ، عددا مــن المسائل المتصلة بالموقف الراهن والاحداث المتغيرة، وتراوحت تعليقاتها بين الحديث عن نتائج حــرب تشرين ، مرورا بمحادثات الضباط في لجنة العمل العسكرية المنبثقة عن اعمال الــــدورة الاولى لاجتماعات مؤتمر جنيف ، وانتهــاء بالانتخابات الاسرائيلية . ويمكن القول ان المســائـل التـي انشغلت بها صحف الضفة الغربية في تلك الفترة، تشير الى الاهتمام بهذه المسائل في اوساط سكان المناطق المحتلة ، وان غابت عنها بشكل رئيسي مسألة اساسية وهامة ، وهي موضوع ابعـاد السلطات العسكرية الاسرائيلية لثمانيــة مـــن

المناضلين الفلسطينيين وما تركه هذا الابعاد من اثار وتفاعلات سياسية شملت معظم مدن ومناطق الضفة الغربية وقطاع غزة .

فحول نتائج حرب تشرين الاول كتبت صحيفة الشعب تصف اثار الحرب على الصعيد الشعبي الاسرائيلي قائلة : « كان الزلزال في رد فعله بالغا حد الانسحاق ، ذلك ان التعبئة القطرسية ، حصلت من مردودها ما لم تتمكن معه السلطة ، ولا الصحافة ، ان تتستر عليه او تخفيه » . وانتقلت الى وصف ردود الفعل على المستوى الرسمي الاسرائيلي لتقول : « أما على ساحة (المكابرة) الرسمية في مختلف مؤسسات الحكم ، فقد صارت في وجهها الخارجي تفتش على المناورات التي باتت من المكشوفية على شكل لم تعد تجد نفعا كما لم يعد لها أي بريق خاطف او خافت » . ثم تستطرد الصحيفة : « غير ان الاهم ما تبدى على الساحة الداخلية من مردود عصبي ظاهر ، ولا يعنينا في هذا المضمار حكاية القرض (الاختياري) ولا تدابير الاقتصاد المهزوز ، ولا الغلاء الفاحش الذي يعيشه الشعب الاسرائيلي ، ولا حتى النفسية المترفزة بين الجميع، انما يعنينا المردود الذي وجد متنفسه فقط في عرب الاراضي المحتلة الذين شاء القدر ان يكونوا من غير حرب » . ثم تختتم الشعب تعليقها قائلة ان « الانجازات » التي حققها الاحتلال « أصبحت بعد تشرين انجازات عصبية اكثر حدة وعنفا ، ليست في صالح الشعب الاسرائيلي ولا في صالح السلام ولا في مصلحة الامن والنظام » (الشعب ١٩٧٣/١٢/٢٠) .

وتحدثت الشعب في افتتاحيتين متتاليتين عن ما سمي فصل القوات الاردنية الاسرائيلية عقب انتهاء المرحلة الاولى من مؤتمر جنيف ، كما طالب بذلك رئيس الوزراء الاردني زيد الرفاعي . فقالت الشعب حول هذا الموضوع : ان هذا الامر ينطوي على ابعاد هامة لها من الدلالات الشيء الكثير . فالجبهة الشرقية لم تخض حربا « وكل من الطرفين غربي النهر وشرقيه يحرص على تجميد الاوضاع الى حد لا يحتاج معه الى دورية راجلة من الفرسان او دورية محمولة بسيارات الجيب » . وتقول الشعب « ونحتسب في حالة كهذه — ان تمت عسكريا — ان يعود الجيش الاردني المتقدم يرابط على مرتفعات السلط وعجلون والكرك ، مقابل انسحاب اسرائيلي مماثل الى طوباس وابو دبس وبني نعيم ، لكي تصبح اريحا والجفتلك والفشخة منطقة حراما او حلالا ، مما يهيء لمشروع التنمية الثلاثي بالاغوار على الضفة نجاحا على مناخ مدني هادىء . اما من الناحية المعنوية او النفسية رغم اصرارنا .. على الانسحاب من كل شبر من الارض العربية ، وحتى تكتحل العين لاول مرة بعد سنوات الاحتلال المجاف الثقال برؤية اي اخ عربي ، من أي قطر عربي ، فان الامر له بعد وثيق الارتباط بقضية وصولية هي : من يمثل الشعب الفلسطيني ، بل لعلها عملية التفاف مسبقة وذكية ومدروسة للايحاء بأن من تعطى له الارض او يضع اليد عليها هو صاحبها وهو ممثلها، قطعا للطريق على المالك الفعلي والممثل الشرعي الحقيقي » (الشعب ١٩٧٣/١٢/٢٥) .

وبعد ان وضعت « الشعب » يدها على المعنى الحقيقي لمسألة « فك ارتباط » القوات الاردنية — الاسرائيلية عادت في اليوم التالي تقول : « ولتكتمل صورة (الالتفاف) التي أشرنا اليها في حديث الامس ، من حيث التمثيل الشرعي للفلسطينيين ، ذلك الالتفاف الذي يربط بين طرف الفصل بين القوات كمصلحة مشتركة ، الى جوانب مشتركة اخرى معروفة ، يقول المصدر الدبلوماسي الاميركي بأنه « لما كان موقف الاتحاد السوفياتي يميل الى حل القضية الفلسطينية على صورة تتعارض مع مصلحة الاردن ، فانه من الممكن ان يسعى الاردن واسرائيل لاجراء تلك المحادثات الثنائية . واضاف: ان واشنطن لن تعارض في ذلك » (الشعب ٢٦/ ١٩٧٣/١٢) .

اما صحيفة القدس فقد علقت على محادثات العسكريين المصريين والاسرائيليين في جنيف قائلة : «ستكون محادثات العسكريين المصريين والاسرائيليين في موضوع فصل القوات ، احدى اثنتين : الشعرة التي تقصم ظهر « السلام » او الشعرة التي تسمح باستئناف المسيرة في مؤتمر « السلام » ... ومن موضوع التركيز على موضوع الفصل ، لا يلوح في الجو ما يدل على انه يسير في الاتجاه المأمول ، لا من خلال محادثات العسكريين في جنيف ، ولا من خلال تعاملهم في الجبهة » . وتضيف القدس قائلة ان تهديد مصر بالانسحاب من المحادثات اذا لم ينسحب الاسرائيليون بما يتمشى مع قرارات

الامم المتحدة هو تعبير موضوعي « عن الالتزام بالحق المشروع وعدم السماح باهدار المزيد من الوقت في حوار غير منتج . ولكن الذي يحمل على التساؤل باستمرار هو معرفة الهدف الذي ترمي اليه اسرائيل من التعطيل ؟ » .

وكانت « القدس » قد تحدثت عن دور الولايات المتحدة في مؤتمر السلام قائلة : « ان دورا يمكن ان تلعبه الولايات المتحدة واسرائيل ، يقوم على الاقناع بحل التكامل والالتفاف الى العوامل مجزأة، والتفاوض في كل جزء من جهة الاختصاص ، سيكون خطرا تقترب معه الامور من نهايات مفزعة . (القدس ١٩٧٣/١٢/٢٦) .

أما حول مؤتمر جنيف ككل فقد تحدثت عن ذلك كلتا الصحيفتين اليوميتين اللتين تصدران في القدس : « القدس » تساءلت بعد انعقاد المؤتمر وبعد أن اخذت الوفود ترد على المقر الاوروبي عما اذا كان ممكنا ان « يهبط السلام على ارض السلام » قائلة « على الرغم من الهالة الضخمة التي تحاول اميركا بالذات ان تضيفها عليه [المؤتمر] ، لظروف قد لا تعني اكثر من اميركا .. صحيح ان العالم كله سيكون مشدودا الى هذا المؤتمر ، ولكن بدوافع اخرى غير تلك التي تنشد اميركا . ولقد يعنينا بخاصة ، ان ننظر الى مردود هذا المؤتمر ، وان نسبق بنظرنا الزمن ، لنعلم مسبقا ما اذا كان ممكنا ان يؤتى أكلا مقبولا ، ام أن ذلك غير متوقع ؟ فان الجوانب السلبية فيما نعتقد هي التي تأتي في الكفة الراجحة » . وعندما تتطرق القدس للتحدث عن دور الفلسطينيين في المؤتمر تقول : « اما الفلسطينيون ، فعلى الرغم من أن ثمة موقفا محددا من دعوتهم للمؤتمر وفي أي مراحلة لم يتبين بعد بوضوح ، فان التواطؤ على تجاهلهم ، او دعوتهم على الاقل في المراحل الاخيرة من المؤتمر ، هو الشيء الواضح فقط . وفي هذا تقول جريدة معاريف « ان الولايات المتحدة الاميركية اخذت على عاتقها ان لا تتضمن الدعوة الرسمية للمؤتمر ذكرا للفلسطينيين ، وان تعمل بالتشاور مع اسرائيل لاحباط امكانية دعوتهم للمؤتمر ، لما في ذلك من مصلحة مشتركة » . ثم تعقب الصحيفة على ذلك بقولها : «ومع ذلك فان الفلسطينيين الذين تتعاقب اجيالهم منذ نصف قرن تقريبا ، حاملة راية الدفاع عن الارض والحق ، لن يلقوا بالا لهذا التواطؤ ، وسيتابعون مسيرتهم ، بحثا عن السلام بمفهومهم الخاص ايضا ،ما دامت هذه المسيرة هي قدرهم، وبحسبهم ان يذكروا دائما ان سلاما لا يرضون عنه ولا يكونون طرفا رئيسيا فيه سيظل سلاما ابتر غير مستقر لانه لا يقوم على العدل » (القدس ٢٠ /١٩٧٣/١٢) .

أما صحيفة الشعب فقد كتبت حول نفس الموضوع قائلة ان المؤتمر كان دعاية للحزب الحاكم في اسرائيل « أسهمت فيه دول كبرى ، ودول عدوة ، والمنظمة الدولية » . ومن خلال تقيمها لهذا المؤتمر تتطرق « الشعب » الى الدور الاميركي قائلة : ان الولايات المتحدة « تسرح وتمرح بانجازات وهمية خادعة ، اهمها في رأيها انعقاد المؤتمر ، وتوقيف اطلاق النار او النزف ». وتقول متنبئة بمستقبل المؤتمر : « ويقينا وبعد تشكيل الوزارة الاسرائيلية ، ستمتلىء الساحة ، ساحة المؤتمر وادراجه ، بمشاريع هامشية ، وتحولات جانبية ، فضلا عن امور شكلية اخرى كثيرة ، كوسيلة جيدة جديدة ، تتيح لاسرائيل مناخا للمناورات هي من امهر لاعبيها ، وتسنح لها بذلك فرصة هي اقدر على اهتبالها وانتهازها ، طالما ظل العمل السياسي (الدولي) مجرد وسيط للاخذ والرد ، والمد والجزر ، مع ان ذلك العمل... قادر على وضع الامور في نصابها الحاسم بكلمتين: الانسحاب الفوري لا الجدول الزمني ، وتنفيذ جميع مقررات الامم المتحدة منذ عام ١٩٤٧ وحتى اليوم » (الشعب ١٩٧٣/١٢/٢٤) .

وفيما يتعلق بمؤتمر جنيف ايضا ، خصصت صحيفة الشعب افتتاحيتها الرئيسية للتحدث عن الموقف السوري من مقاطعة المؤتمر . فقالت تحت عنوان « المقعد السوري الصامت ابلغ الخطباء » ان سوريا « كانت في غيابها عن المؤتمر، أبعد نظرا واعمق احساسا . فهي تعرف في اسرائيل مناوراتها والاعيبها . وتعلم في اميركا انحيازها ، وتعلم اكثر انه لا يجوز ان يجلس المتهم مع المعتدى عليه في قفص واحد ، حتى ولو كان قفصا فخما اسمه قصر الامم ... » . وتضيف الشعب ممتدحة الموقف السوري من المؤتمر بقولها: « وسوريا تفهم المعنى الحقيقي للسلام ، او اي مؤتمر يهدف الى السلام ، ان ينعقد المؤتمر بعد ان تلتزم اسرائيل علنا بقبولها كافة قرارات الامم المتحدة الصادرة حول هذه القضية .. بل تفهم

سوريا حضور المؤتمر اذا ما بدأت اسرائيل في سحب قواتها من الارض العربية المحتلة والمباشرة في الخضوع والانصياع بالتسليم بالحقوق العربية الفلسطينية ، وبالشعب الفلسطيني . فالمفهوم الطبيعي والمنطقي لاي مؤتمر سلام ان ينعقد اولا في جو خال من الاسباب التي أدت الى عدم السلام » . وتختتم الصحيفة تعليقها بالقول : « ولن يفوتنا في النهاية ان نشير الى ان الصمت السوري الذي يؤدي دوره غيابيا ، ويؤديه الوفد المصري الشقيق حضوريا ، ليس الا تكملة هامة وامينة للصورة العربية الواحدة ، في أن ما تعتنقه سوريا من قناعات اكيدة ضد النوايا الاميركية والاسرائيلية ، سيصبح — ذلك الاعتناق — قناعة دولية عامة بكشف كل الاحابيل والاباطيل والنوايا والمناورات ، بعد أن لم نتركا وسيلة للسلم الا قامنا بها ، ولا طريقا نحو الحق والعدل الا واتبعتاها » (الشعب ١٩٧٣/١٢/٢٣) .

بقي موضوع اخر تناولته صحف الضفة الغربية بالتعليق ، وهو موضوع الانتخابات الاسرائيلية التي جرت في ١٩٧٣/١٢/٣١ . وقد تناولت كلتا الصحيفتان موضوع الانتخابات من زاوية مختلفة. فصحيفة الشعب ركزت في تعليقها على صراع الاحزاب الاسرائيلية في اكتساب اصوات العرب الذين يحق لهم الاقتراع في الجزء المغتصب من فلسطين عام ١٩٤٨ ، بالاضافة الى سكان القدس التي ضمت رسميا الى اسرائيل عقب احتلالها عام ١٩٦٧ . وقالت الشعب : « امتلأت شوارع القدس العربية المحتلة أمس وقبله ، بشتى انواع الاعلانات والبطاقات تناشد اهلها العرب التصويت الى هذا التجمع الاسرائيلي او ذاك ، كما تعددت الخلوات هنا وهناك ، وراء اصطياد الاصوات ، رغم أن الشباك مختلفات » . . وتقلت صحيفة الشعب عن صحيفة معاريف الاسرائيلية قول الاخيرة في تحقيق لها « ان التصويت السلبي » هو المتوقع في معركة الكنيست والبلديات ، وتعني الصحيفة بالتصويت السلبي ، انه سيكون في صالح الحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » بوصفه مقاوما لدولة .. اما عن بلدية القدس فالمعركة تدور بين الحزب الحاكم « المعراخ » والحزب اليميني المعارض «الليكود» فضلا عن المتدينين ، حيث يقومون بنشاط دؤوب في القدس العُربية ، ويتوقعون حسب اعترافهم بأن النسبة التي قد يحصلون عليها منهم ستكون ضئيلة لقناعة عرب القدس العربية بأن تقسيم البلدة سيرجع الى ما كان عليه قبل الاحتلال » . وتضيف الشعب قائلة : « وامس في رام الله المجاورة للقدس ، وكلاهما من الارض العربية المحتلة من الضفة الغربية ، قام طلبة كلية بيرزيت بأروع احتجاج صامت لكنه معبر خير تعبير ، عندما تأبطوا مكانس البلدية بدلا من الكتب المدرسية واخذوا يكنسون الشوارع ، لان كليتهم اغلقتها سلطات الاحتلال بأمر عسكري » . ثم تنقل الشعب حادثة اخرى من القدس تقول فيها ان احد التجار أغلق محله احتجاجا على الضرائب البلدية . وعلق التاجر الى جانب اليافطة التي اعلن فيها عن اغلاق محله اوراق الدعاية الانتخابية التي وصلته من الاحزاب الاسرائيلية . ثم تتطرق الشعب الى مسألة اخرى مهمة فتقول : « وتمضي معاريف في تحقيقها تقول بأن حاجات الشباب العربي المثقف توجد فقط في مجال الايديولوجيا « العقيدة » وهم بذلك يقضون على الوهم السابق بانها حاجات اقتصادية ، لان الحاجات الاقتصادية هذه باتت الان حاجات ثانوية ، ومع ذلك ، كما تقول الصحيفة فالصراع على اصوات الناخبين العرب في القدس سيبلغ ذروته هذه الايام » (الشعب ١٩٧٣/١٢/٢٨) .

أما صحيفة القدس فتناولت موضوع الانتخابات الاسرائيلية من زاوية اخرى ، هي ارتباط محصلتها النهائية بمؤتمر جنيف ومسألة السلام في المنطقة . وتصفها القدس بأنها « الانتخابات التي ستضع المنطقة بأسرها على مفترق طريق ، فاما الى طريق السلام واما الى طريق ضياع هذه الفرصة الى امد بعيد » . وتقول الصحيفة ان ذلك هو سبب اهتمام العرب في كل مكان ، بما فيهم سكان المناطق المحتلة بنتائج هذه الانتخابات . وتختتم القدس تعليقها بالقول : « وعلى أي حال فان هذه الانتخابات وفي هذه المرحلة الهامة من تاريخ المنطقة ستظهر مدى وعي وتفهم الشعب الاسرائيلي لحقيقة الموقف ولحقيقة الاوضاع الراهنة ، فاذا ما اثبت المواطن الاسرائيلي تفهمه هذا فان نتائج الانتخابات ستكون بلا شك الى جانب اولئك الذين ينادون بالسلام ، والا فستتحمل المنطقة بأسرها النتائج الصعبة لسوء التقدير » (القدس ٣١ /١٩٧٣/١٢) .

عيسى الشعيبي

[٤]
الثروة النفطية في فلسطين

بمناسبة حرائق آبار النفط في سيناء تنشر « شؤون فلسطينية » هذا التقرير للمهندس الدكتور فلاح سعيد جبر كجزء من دراسة يعدها عن الثروة النفطية في فلسطين .

في ابحاث سابقة نشرتها في اعداد ماضية من « شؤون فلسطينية » بينت ان اهتمام اسرائيل باقامة اقتصاد متين ذاتي اعتمادا على خيرات وثروات الاراضي المحتلة المعدنية والزراعية دعاها الى ان تولي عمليات البحث والاستكشاف عن كل المصادر الطبيعية التي من الممكن استغلالها خدمة لاغراضها . ولكون الشرق العربي يعتبر مخزن الوقود العالمي والاحتمالات النفطية العديدة في فلسطين اولت اسرائيل عناية خاصة للتحري عن كافة الاحتمالات لوجود مكامن نفطية وغازية في الاراضي المحتلة . ولم تبق هناك بقعة بها أدنى احتمال لوجود مكامن نفطية الا وتحرتها اسرائيل وقامت بالعديد من الحفريات الاستكشافية فيها . فمنذ عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٥٢ جمعت اسرائيل كل المعلومات واجرت العديد من الدراسات الاولية لتحديد وتقسيم المناطق النفطية في فلسطين المحتلة، فصدر عام ١٩٥٢ قانون البترول الذي ثبت فيه اسس التحري واستغلال الثروة النفطية في فلسطين الذي قسمت بموجبه الى عدة مناطق نفطية اعتمادا على الخواص الجيولوجية للطبيعة الفلسطينية . واهم ميزة لهذا القانون انه اعطى الحكومة الاسرائيلية ١٢،٥ بالمائة من قيمة الترسبات المكتشفة كبدل استثمار من قبل الشركات التي تود العمل في هذا المضمار .

تلي ذلك تحريات مكثفة جيولوجية وجيوفيزيائية في كافة الارجاء الفلسطينية كان من نتائجها العثور على مكامن نفطية في حقل حيلتس — برور في الجزء الجنوبي القريب من ساحل البحر الابيض المتوسط في فلسطين عام ١٩٥٥ ، واستمرت الابحاث في نفس المنطقة حيث عثر فيما بعد على حقلين نفطيين بالقرب من الحقل الاول .

وفي عام ١٩٥٨ وفي منطقة جنوبي البحر الميت تم العثور على مكامن جيدة للغاز الطبيعي في منطقة روش زوهر . ومع مطلع الستينات تم العثور على حقلين اخرين للغاز الطبيعي بالقرب من الحقل الاول وفي نفس المنطقة .

عام ١٩٦١ كان مجموع الاستثمارات الاسرائيلية التي صرفت على مشاريع التحري والتنقيب عن النفط والغاز تقدر بعشرة ملايين ليرة اسرائيلية وتم خلال الفترة ما بين عام ١٩٥٣ وعام ١٩٦١ حفر (١٠٦) ابار عميقة و(٢٣٤) بئرا متوسطة الاعماق . ومع بداية عام ١٩٦٢ كان هناك (٢٦) بئرا منتجة طاقتها الانتاجية الاجمالية السنوية (١٣٠) الف طن من النفط الخام وهذه الكمية كانت تعادل عشر احتياجات اسرائيل من النفط ذلك الوقت اضافة الى ان الطاقة الانتاجية لحقول الغاز في حينه كانت تسعة ملايين قدم مكعب اي بمقدار (٩٠) الف طن من النفط الخام . وفي نفس العام ١٩٦١ اتمت اسرائيل انشاء انبوب لنقل الغاز بقطر (٦) بوصات يصل ما بين روش زوهر ومدينة سدوم لاستغلال الغاز في توفير الطاقة اللازمة للعديد من المنشآت الصناعية في المدينة .

عام ١٩٦٣ زاد انتاج اسرائيل من النفط الخام الى (٩٤٩) الف برميل وتم حفر ابار استكشافية وتطويرية مجموع أعماقها (٩٦٣٦٧) قدما . استمرت الزيادة في الاستكشافات والتحريات والانتاج عام ١٩٦٤ حيث بلغ مجموع اطوال الحفريات (١٣٥٦٩٧) قدما أي بزيادة مقدارها (٤٠،٨) بالمئة عن عام ١٩٦٣ .

وحفر ما بين عام ١٩٦٣ وعام ١٩٦٤ تسعة عشر بئرا ، ادت هذه الحفريات الى العثور على قمم نفطية في الصخور الجيرية التابعة لعصر الجوراسك في مناطق حيلتس ونيرعام. وتتسم طبيعة التحريات الجيوفيزيائية التي اجريت عام ١٩٦٤ بالتركيز على طريقة المسح الزلزالي لمردوداتها الايجابية . وانشأت الحكومة الاسرائيلية في العام نفسه مؤسسة تمويلية لاعمال التحريات الجيولوجية والجيوفيزيائية لاجراء التحريات ذات العلاقة

بالترسبات النفطية وحسب الحاجة .

كان توزع الابار التي حفرت عام ١٩٦٤ على النحو التالي (٨) ابار بالقرب من الساحل الجنوبي الفلسطيني وفي وسط وشمال النقب و (٨) آبار اخرى حفرت في حقل حيلتس أدت الى اكتشاف مزيد من الاحتياطي في الحقل المذكور. التحريات الجيوفيزيائية عام ١٩٦٤ كانت مركزة في مناطق الساحل الجنوبي الفلسطيني كما اجريت تحريات زلزالية على طول (٣٠٠) ميل جنوب فلسطين . كان عدد الابار المنتجة عام ١٩٦٤ ثلاثون بئرا من مجموع (٥٦) بئرا محفورة في الحقل المنتج في فلسطين ، جزء من الابار المنتجة في مناطق حيلتس — برور وفي كوخاف ثلاثة وتعطل الانتاج في سبعة آبار لاسباب فنية كما اغلقت نهائيا أربعة ابار مع العلم انه من مجموع الثلاثين بئرا المنتجة كان اثنان منها يعانيان من عدم اقتصادية انتاجهما. كان معدل الانتاج اليومي من النفط من حقل حيلتس (٣٩٢٠) برميلا وخططت اسرائيل في حينه لزيادة الانتاج ليصل حسب اعتقادهم عام ١٩٦٦ الى (٤٥٠٠) برميل يوميا .

وتجدر الاشارة الى انه في منطقة برور حقن الهواء عام ١٩٦٤ في الحقل من اجل دفع التجمعات النفطية أسفل انحدار الصخور الرملية الحاوية على تجمعات البترول لتسهيل عملية سحبها للاعلى .

فيما يتعلق بحقول الغاز الطبيعي المكتشفة ذات الاحتياطي الجيد نسبيا فان الحقل الاول (حقل زوهر) الذي بلغ احتياطيه من الغاز الطبيعي نتيجة حفر تسعة ابار بين اعوام ١٩٥٧ وعام ١٩٦١ اربعين بليون قدم مكعب ، هذا الحقل كان معدل الانتاج اليومي منه (٢ر٢) مليون قدم مكعب . اما الحقل الثاني للغاز الطبيعي وهو حقل حار — ماكاتين الذي قدر احتياطيه نتيجة حفر بئرين فقط عشرة بلايين قدم مكعب ، هذا الحقل لم يستثمر ما به من غاز وذلك لعدم وجود حاجة ماسة له ولاكتفاء اسرائيل باستثمار حقل زوهر لتغطية احتياجاتها من الغاز .

اهم الاكتشافات عام ١٩٦٤ كان اكتشاف البترول في نيرعام التي تبعد بمسافة ستة كيلومترات جنوب حقل حيلتس حيث عثر على النفط على عمق (٦٤٠٠) قدما في ترسبات صخور الجوراسك الجيرية . في نفس العام كان هناك سبع شركات ومؤسسات بترولية عاملة في فلسطين هي :

AOC — Asher Oil Corporation.
DEL — Delek, the Israel Fuel Corporation.
ICOC — Israel Continental Oil Company, Ltd.
INOC — Israel National Oil Company.
LIOP — Lapidot Israel Oil Prospectors Corporation.
NIPC — Naphtha Israel Petroleum Corporation, Ltd.
PET — Petrocana Ltd.

ولقد منحت الحكومة الاسرائيلية للشركات المذكورة اعلاه عشرة امتيازات للتنقيب عن البترول حيث كان مجموع مساحة الاراضي الفلسطينية التي تغطيها هذه الامتيازات (٣٥٩٢٥٠٠) فدان اضافة الى ان اسرائيل كانت قد منحت عقدين طويلي الامد الى شركتين نفطيتين للتنقيب واستثمار البترول على مساحة من الارض تبلغ نصف بليون فدان .

ادناه قائمة باسماء الابار الاستكشافية التي حفرت عام ١٩٦٤ والشركات التي حفرتها ونتائج الحفر .

اسم الشركة	اسم البئر	العمق (قدم)	الطبقة الجيولوجية	النتائج
ASH	اشار (١)	٧٨٠٠	جوراسك	جاف
LIOP + PAZ	حوسا (١)	٨٠٧٠	جوراسك	جاف
NIPC + DELEK	رامان (١)	١١٢٨٣	اركوس	جاف
LIOP	كرتون (١)	٨٠٨٣	جوراسك	جاف
LIOP + INOC	نيرعام (١)	٧٩٦١	جوراسك	جاف
LIOP	كرتون (٢)	٧٦٢٣	جوراسك	جاف
LIOP	ماروش يازك (١)	٨٤٠٩	جوراسك	جاف

LIOP + INOC	نيرعام (٢)	٦٢٢٠	جوراسك	جاف
INOC + NIR + IAOC	مفتاح (١)	٧٨٥٥	جوراسك	جاف
LIOP	نيرام (٣)	٨٥٠٥	جوراسك	جاف
NIPC	هاردوف	٥٤٩٢	رمليه	جاف
LIOP + INOC	نيرعام (٤)	٦٩٦٨	جوراسك	منتج
LIOP + INOC	برور	٣٦٧٧	١	—

زاد انتاج اسرائيل عام ١٩٦٥ من النفط الخام حيث بلغ معدل الانتاج اليومي (٤٤٩٥) برميلا وكان مجموع ما انتجته اسرائيل ذلك العام (١٤٩٥) الف برميل وبلغ عدد الشركات والمؤسسات النفطية العاملة (١١) ، حصلت هذه الشركات على ٢٦ اجازة استكشاف واستثمار اضافة الى عقدين طويلي الامد من الحكومة الاسرائيلية . زادت مساحة الارض الفلسطينية المعطاة للشركات البترولية من (١٠١٠٠٠) فدان الى (٢٨٨٥٥٥٠) فدانا . في نفس العام كان معدل زيادة الانتاج اليومي ٢٦٫٣ بالمائة عن العام السابق وزادت اطوال الحفر عن العام السابق بمعدل ١١ بالمائة . اما فيما يتعلق بالابار المحفورة فان عشرة منها كانت آبار استكشافية و (١٢) بئرا الباقية ابار تطويرية انتاجية .

ولقد اجرت اسرائيل في نفس العام العديد من التحريات الجيولوجية والجيوفيزيائية في مناطق الامتياز الممنوحة للشركات حيث ان التحريات التي اجريت عام ١٩٦٤ لم تكن كافية .

أدناه الجدول الاول يبين اسماء الشركات التي عملت في حقل الاستكشافات البترولية في فلسطين عام ١٩٦٥ ومساحة ومناطق الاراضي التي منحت لكل منها والجدول الثاني يبين مواقع ابار البترول المحفورة ونتائج الحفر .

الجدول (١)

الشركة	المساحة (فدان)	منطقة العمل
ARAVA	١٤٨٢٥٠	عربه
AOC	٩١٤٥٠	اشار
HRL	٢٢٢٤٠٠	بيت بوفرين
INOC	٢٣٩٧٠٠	جيلات — ناتايا
LIOP	٤٤٢٥٠	عسقلان — اريم
LIOP + PS	٤٩٦٧٠٠	تمبر — اودات — عرض حيمشر باران
NAPHTA	٢٦٩٣٥٠	بيت التقوى
LIOP + NAPHTA + INOC	١٨٥٣٥٠	ردمان
NAPHTA + DELEK	٩٨٨٥٠	طوبار — نامار
NAPHTA + DELEK + PS + ISC	٩١٩٢٥٠	الساحل

الجدول (٢)

الشركة	المنطقة	العمق (قدم)	الطبقة الجيولوجية	النتائج
LIOP	البيره	٧٦٦٧	جوراسك	جاف
INOC	شارشيريت (١)	٨٥٩٢	جوراسك	جاف
LIOP	شيمون	٧١٣٩	جوراسك	جاف
LIOP	مسقلان	٧١٩٢	الكريتاس الوسطى	جاف
INOC	شارشيرت (٢)	٩١٢١	جوراسك	جاف
NIPC	باربور	٨٥٤٣	جوراسك	غاز
LIOP	شيمون (٢)	٢٩٩٩	جوراسك	جاف
NIOP	ساريد	٦٦٠٤	—	جاف
LIOP	جمايش	٥١٧١	ما قبل الكمبرين	جاف
LIOP	الحديه	٧٠٣٧	جوراسك	جاف
AOC	اشبر (٢)	٤٣١٤	جوراسك	جاف
LIOP	عيدات	٣٢٤١	جوراسك	جاف
		٧٧٦٢٠		

عام ١٩٦٦ كان هناك اربع عشرة شركة ومؤسسة بترولية عاملة في فلسطين المحتلة وزادت مساحة الاراضي الممنوحة لهذه الشركات عن العام السابق حيث كانت ٢٨٨٥٥٥٠ فدانا الى ٣٣٢٥٧١٣ فدانا في نهاية عام ١٩٦٦ .

بلغ عدد الابار المنتجة ذلك العام (٣٨) بئرا للنفط في حقلي حيلتس — برور وكوخاف وقدر انتاجها الاجمالي بـ (١٣٨٦٦١٣) برميلا أي بمعدل (٣٧٠٠) برميل يوميا وهذا يشكل نقصان في الانتاج عن عام ١٩٦٥ بمقدار ٢٥ بالمائة . والسبب في ذلك يعود الى النجاح المحدود في اكتشاف مصادر بترولية جديدة في فلسطين . وفي نهاية عام ١٩٦٦ كان مجموع ما أنتج في فلسطين المحتلة من النفط عشرة ملايين برميل منذ بدء الانتاج وعليه كان المتبقي من الاحتياطي المعلن لا يتعدى الخمسة عشر مليون برميل .

فيما يتعلق بانتاج الغاز الطبيعي فلقد بلغ معدل الانتاج اليومي (٩٢٨٠) مليون قدم مكعب اي بزيادة مقدارها ٣٢٫٤ بالمائة عن معدل الانتاج اليومي لعام ١٩٦٥ واتخذت الاجراءات ذلك العام لدفع الطاقة الانتاجية للغاز لتصل الى (١١٠٠٠) مليون قدم مكعب في اليوم مع مطلع عام ١٩٦٧ . وتجدر الاشارة الى ان اهم المعامل المستهلكة للغاز في فلسطين المحتلة هي معامل البوتاس ومعامل الفوسفات في اورون .

عمليات الحفر للتنقيب عن مكامن النفط زادت عام ١٩٦٦ دون أن تؤدي الى أية اكتشافات جديدة الا ان مجمل عمليات الحفر كانت اقل من العام السابق اما فيما يتعلق بمواقع الابار التي تم حفرها فكانت ستة منها في حقل حيلتس ، اربعة منها في النقب وثلاثة عشر بئرا حفرت في شمال فلسطين .

قامت بعمليات الحفر شركتان نفط هما شركة LIOP وشركة NIPC وكان مجموع اطوال الحفر الاستطلاعي (٨٩٦١١) قدما والحفر التطويري (٦٠١٧) قدما . ولقد عثر على الغاز الطبيعي في احد الابار التي اخترقت طبقات الكريتاس السفلي ومكمن الغاز الطبيعي هذا وجد في طبقة رملية مسامية .

أجرت اسرائيل عام ١٩٦٦ العديد من المسوحات الجيولوجية والجيوفيزيائية (الجذبية) في منطقة وادي الاردن وعدة مناطق في النقب ومنطقة وادي عربة ومع انتهاء عام ١٩٦٦ كانت اسرائيل قد أعدت خطة كاملة لاجراء مسح شعاعي عام جرى لكل الاراضي المحتلة في حينه .

عام ١٩٦٧ كان هناك (١٢) شركة ومؤسسة

بترولية عاملة في فلسطين المحتلة وبلغت مساحة الارض المشمولة بعقود الامتياز (٢٩٤٢٩٦٢) فدانا وانتهت ذلك العام أعمال شركة Asher Oil في حين شاركت في عمليات التنقيب ولاول مرة شركة May Flower بالتعاون مع بعض المؤسسات الاسرائيلية ذات العلاقة بالتحريات عن مكامن النفط وشهد ذلك العام زيادة في عمليات الحفر حيث بلغت اطوال الابار المحفورة (٩٨٠٢٨) قدما كان أغلبها آبار تطويرية في حين ان عمليات الحفر الاستطلاعية نقصت عن عام ١٩٦٦ (نقصت من (٩٠) الف قدم الى (٦٦٤٤٩) قدما) بعكس الحفر التطويري الذي ارتفع من (٦٠١٧) قدما الى (٣١٦٠٩) أقدام .

مجموع الابار التي حفرت ذلك العام كان عشرة ابار ستة منها على الساحل واثنين في النقب واخر في وادي البحر الميت حيث وجد فيه اثار لزيوت بترولية .

كثفت التحريات الجيولوجية والجيوفيزيائية وشملت مناطق اوسع من الاعوام السابقة وخاصة التحريات التي اجريت على الساحل وفي المياه الفلسطينية الاقليمية في البحر الابيض المتوسط .

بلغ عدد الابار المنتجة للبترول ذلك العام (٣٢) بئرا وقدر انتاجها الاجمالي بـ (٩٧٤٠٠٠) برميل وعليه نرى ان معدل الانتاج نقص بمقدار (٢٧) بالمائة اذ أن معدل الانتاج اليومي لم يتجاوز (٢٧٠٦) براميل ومع نهاية ذلك العام كان مجموع ما استخرجته اسرائيل من النفط (١١٣٧٥٠٠٠) برميل .

أما انتاج اسرائيل من الغاز الطبيعي من مجموع الابار التسعة المنتجة فكان (٣٨٩٩) مليون قدم مكعب في السنة اي بمعدل (١٠٣٣٠) مليون قدم مكعب يوميا وكان هذا يمثل زيادة في الانتاج بمعدل ١٢ بالمائة عن عام ١٩٦٦ مع العلم انه في نهاية ذلك العام كان مجموع ما استخرجته اسرائيل من الغاز الطبيعي يقدر بـ (١٢٤٨٧) مليون مليون قدم مكعب .

عام ١٩٦٧ شهد زيادة ملحوظة في استهلاك النفط والغاز من قبل معامل ديمونه للطاقة الذرية ومعامل البوتاس — البحر الميت — ومعامل اورون للفوسفات ... وفي نفس العام استخرجت شركة اسرائيلية خاصة تسعين الف برميل يوميا من حقل بليان في شبه جزيرة سيناء التي احتلتها اسرائيل في حزيران ذلك العام . وفي نفس الوقت كانت اسرائيل قد انهت كسافة الدراسات الجيوفيزيائية (المغناطيسية) ونشرت الخرائط ذات العلاقة .

وادناه جدول بعدد واماكن الابار التي حفرت ذلك العام :

اسم الشركة	الحقل	بئر نفطي	بئر غازي	جاف	عدد الابار	اعماق الحفر (قدم)
LIOP	حيلتس	١	—	١	٢	١٧٠٤٢
LIOP	برور	١	—	—	١	٤٩٤١
LIOP	كوخاف	—	—	١	١	٥٣٤٨
NIPC	كيدود	—	١	—	١	٤٨٢٦
NIPC	حاكانم	—	١	—	١	١٦٤٠
NIPC	زوهر	—	١	—	١	—
المجموع		٢	٣	٢	٧	٣٣٧٩٧

مع نهاية عام ١٩٦٩ كان هناك ثلاث عشرة شركة بترولية عاملة في فلسطين المحتلة وبلغت مساحة الاراضي المشمولة بامتيازات هذه الشركات (٢٩٨٤٩١٤) فدانا ، من مجموع هذه المساحة كان هناك (٨٠٠) الف فدان في المياه الاقليمية الفلسطينية في البحر الابيض المتوسط .

زادت ذلك العام اعماق الابار التي حفرت للتنقيب عن النفط حيث كانت عام ١٩٦٨ (١٨٥٠٩) اقدام نفط وبلغت عام ١٩٦٩ (٧٤٢٠٧) أقدام ولم يكن من الابار التي حفرت ذلك العام ابار تطويرية .

فيما يتعلق بالابار التي حفرت كان ثلاثة منها في المياه الاقليمية ، وبئر واحدة في كل من حقل زوهر – وادي الاردن – وشمال فلسطين بالقرب من بحيرة الحمه حيث عثر هناك على مكامن للغاز الطبيعي .

الابحاث الجيولوجية والجيوفيزياوية ذلك العام ركزت على الساحل الفلسطيني .

عدد الابار المنتجة للنفط ذلك العام كان (٣٠) بئرا كان مجموع انتاجها (٧٢٥٠٠٠) برميل اي بمعدل (١٩٨٦) برميلا يوميا وهذا يمثل تناقصا في الانتاج مقداره ٥ر١٢ بالمائة في حين ان مجموع الانتاج منذ بدء استغلال اسرائيل للنفط بلغ في نهاية عام ١٩٦٩ ما مقداره (١٢٩٢٣٠٠٠) برميل.

أما الغاز الطبيعي الذي انتج من مجموع الابار الغازية المنتجة وعددها تسعة فقد بلغ (٥٥٦١) مليون مليون قدم مكعب اي بمعدل مقداره(١٥٢٣٦) مليون قدم مكعب يوميا . اي ان الانتاج زاد عن عام ١٩٦٨ بمقدار (١٠) بالمائة .

وتم نشر نتائج الابحاث الجيولوجية والجيوفيزياوية التي اعدها معهد الابحاث البترولية الاسرائيلي بالاشتراك مع المؤسسات الجيولوجية الاسرائيلية الاخرى التي اوضحت ان هناك احتمالات جيدة للعثور على مكامن جديدة للنفط في ترسبات عصر الجوراسك والترياسك والباليوزويك .

عام ١٩٧٠ كان هناك عشر شركات ومؤسسات بترولية عاملة في فلسطين المحتلة ، مساحة الاراضي التي غطتها امتيازات تلك الشركات بلغت (٢٢٨٠٥٠٠) فدان منها (٨٠٠) الف فدان في المياه الاقليمية وزادت اعماق الحفريات التي تمت ذلك العام اذ بلغت اعماق عشرة ابار استكشافية (٧٧٥٩٥) قدما ، تم حفر اربعة منها داخل المياه الاقليمية واربعة اخرى على الساحل وبئرين بالقرب من البحر الميت . الا ان نتائج هذه الحفريات لم تسفر عن أية مردودات ايجابية للعثور على مكامن جديدة للنفط .

واستمر انتاج اسرائيل بالتناقص بما يتعلق باستخراج النفط من الثلاثين بئر المنتجة في حقل حيلتس – برور وكوخاف اذ بلغ مجموع انتاج هذه الابار (٥٥٤٨٨٣) برميلا أي بمعدل (١٥٢٠) برميلا يوميا . وهذا يشكل نقصانا في الانتاج عن عام ١٩٦٩ مقداره (٢٣) بالمائة .

وبلغ انتاج اسرائيل من الغاز الطبيعي ذلك العام (٤٧٥٢) مليون قدم مكعب أي بمعدل (١٣٠١٩) مليون قدم مكعب يوميا وكان هذا يشكل نقصانا في الانتاج الاسرائيلي مقداره (١٤) بالمائة عن عام ١٩٦٩ .

لمحة موجزة عن شبه جزيرة سيناء

قبل عام النكسة (١٩٦٧) كانت الحقول البترولية العشرة المكتشفة في شبه جزيرة سيناء تستغل من قبل المؤسسة المصرية العامة للبترول بالتعاون مع شركة ايني الايطالية حيث كان انتاج هذه الحقول يقل قليلا عن الخمسة ملايين طن سنويا ، أي بمعدل (٩٠) الف برميل يوميا . وبعد استيلاء اسرائيل على هذه الحقول شكلت شركة نفطية انتاجية بأسم شركة نتيفي نفط المحدودة في شهر آب من عام ١٩٦٧ اي بعد اقل من شهرين على احتلال سيناء واعتبرت هذه الشركة كشعبة منتجة تابعة للجيش الصهيوني مهمتها استغلال وتطوير الحقول البترولية في سيناء .

ولقد وفرت هذه الحقول كميات كبيرة من النفط الخام لاسرائيل هي في امس الحاجة اليها حيث ان الانخفاض الكبير الذي وصل اليه انتاجها من حقلي حيلتس – برور وكوخاف الى (١٣٠٠) برميل يوميا عام ١٩٧١ في حين ان الانتاج اليومي كان عام ١٩٦٥ يزيد على (٤٥٠٠) برميل وواكب هذا الانخفاض في الانتاج زيادة كبيرة في الاستهلاك للفترة ذاتها من المنتوجات البترولية داخل الاراضي المحتلة اذ ارتفع الاستهلاك من (٥٦) الف برميل يوميا الى (١١٠) الف برميل وحسب توقعات الخبراء الاسرائيليين ستصل هذه الزيادة في الاستهلاك الى (١٦٠) الف برميل يوميا عام ١٩٧٥ .

ولزيادة وتطوير الانتاج الذي بلغ عام ١٩٧٢ من حقول النفط في سيناء حوالي (١٢٠) الف برميل يوميا اي بزيادة مقدارها (٣٠) الف برميل يوميا عما كان عليه انتاج هذه الحقول قبل الاحتلال فلقد قامت شركة نتيفي نفط المحدودة باصلاح مرافق التخزين والتحميل في حقل بلاعيم المغمور .

يشحن نفط سيناء حاليا الى فرضة عسقلان

البحرية والقسم الاخر يشحن الى مصافي البترول في حيفا . يبلغ الدخل الصافي من منطقة سيناء المحتلة من عائدات البترول خمسين مليون دولار سنويا والمبلغ هذا يعادل المبالغ التي كانت تنفقها اسرائيل على واردات النفط الخام سابقا .

خط انابيب البترول الجديد

بعد النكسة واغلاق قناة السويس خططت اسرائيل لانشاء انبوب بترول الشرق الاوسط (حاليا ايران) من خليج العقبة الى البحر الابيض المتوسط (من ميناء ايلات الى ميناء عسقلان) ليتم تصديره الى مراكز استهلاكه في اوربا . يبلغ طول هذا الانبوب (١٥٧) ميلا وقطره (٤٢) بوصة . واضافة الى ان هذا الانبوب ينقل النفط المستورد فهو ايضا يستغل لنقل النفط المنتج من حقلي حيلتس — برور وكوخاف . انجزت عمليات اقامة هذا الانبوب في شباط عام ١٩٧٠ وبلغت طاقته النفطية عام ١٩٧١ حوالي (٣٩٠) الف برميل يوميا اما طاقته للنقل عام ١٩٧٢ فتتراوح ما بين (٤٦٠) الى (٦٠٠) الف برميل يوميا ولقد خصصت حديثا الحكومة الاسرائيلية مبلغا يتراوح ما بين (٣٠) و (٣٥) مليون دولار لاقامة المزيد من المضخات واجهزة التخزين ومرافق التحميل لزيادة طاقة هذا الانبوب في اواسط عام ١٩٧٣ الى (٨٠٠) الف برميل يوميا وفي هذه الحالة سيبقى فقط ٤٠٠ الف برميل يوميا لتصل الطاقة النقلية الاجمالية للانبوب الى (١ر٢) مليون برميل يوميا حسب الخطة الاسرائيلية .

ولقد طورت اسرائيل من اجل الغاية نفسها فرضة عسقلان وفرضة ايلات لاستقبال ناقلات البترول ذات الحمولة الساكنة البالغة (١٥٠) الف طن . وتقدر الاموال التي ستثمرت في اقامة الانبوب وتحسين ايلات وعسقلان بمئة مليون دولار.

ناقلات البترول الاسرائيلية

مع بداية عام ١٩٧١ كان عدد ناقلات النفط التي تملكها اسرائيل (٢٥) ناقلة مجموع حمولتها الساكنة (٧٥ر١) مليون طن وهذا يشكل زيادة مقدارها (٤٣٠) بالمائة على الحمولة الساكنة البالغة (٣٣٠) الف طن التي كانت متوفرة لدى اسرائيل عام ١٩٦٧ حين كانت اسرائيل تملك (١٠) ناقلات فقط . وتتجه النية في اسرائيل الان لامتلاك الناقلات العملاقة وفعلا تسلمت شركة الملاحة الوطنية الاسرائيلية (تسيم) في بداية عام ١٩٧٢ ناقلة ضخمة حمولتها (٢٣٢) الف طن والشركة تملك الان (١٠) ناقلات طاقتها الساكنة تصل الى (٩٣٠) الف طن وفي عام ١٩٧٥ سوف تتسلم اسرائيل (٣) ناقلات عملاقة جديدة مجموع طاقتها الساكنة (٧٥٠) الف طن .

ادناه قائمة باسماء الشركات والمؤسسات البترولية العاملة او التي عملت في الاراضي الفلسطينية المحتلة :

AR — Arava Expl. Co.
MF — M Fisher.
BELCO — Belco Petroleum of Israel Ltd.
ISR — Isram Corp.
LIOP — Lapidoth Israel Oil Prospectors Co.
NIPC — Naphta Israel Petroleum Corp.
INOC — Israel National Oil Co.
MAY — Mayflower Co.
PS — Petroleum Services Ltd.
DEL — Delek the Israel Fuel Corp. Ltd.

الدكتور فلاح سعيد جبر

[٥]
ابعاد الاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر

اكتسب البحر الاحمر أهميته الاستراتيجية في العصر الحديث في وقت متأخر يبدأ مع فتح قناة السويس للملاحة في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، واصبح بذلك معبرا للسفن التجارية والحربية القادمة من البحر المتوسط الى المحيط الهندي — عبر البحر الاحمر — وبالعكس .

ويبلغ طول الشاطىء الاسيوي من البحر الاحمر حوالي ٢٠٠٠ كيلومتر وهو مغلق على الدول العربية حيث تقع عليه جمهورية اليمن الديمقراطية والجمهورية العربية اليمنية والمملكة العربية السعودية والاردن وفلسطين وجزء من مصر ، وان كان لاسرائيل وجود فعلي de facto على البحر يتمثل في ميناء ايلات الواقع على خليج العقبة .

أما الشاطىء الافريقي فتقع عليه كل من مصر والسودان (وتمتد شواطئهما على البحر الى حوالي ١٤٠٠ كيلومتر تقريبا) . اما الجزء الباقي فتقع عليه اثيوبيا والصومال والصومال الفرنسي (جيبوتي) . وتسيطر كل من جمهورية اليمن الديمقراطية والجمهورية العربية اليمنية على المدخل الجنوبي للبحر الاحمر عن طريق الجزر التابعة لهما خاصة جزيرة « بريم » (ميون) الواقعة في مدخل مضيق باب المندب والتابعة لليمن الديمقراطية ، وان كان لا يمكن اغفال الاهمية الاستراتيجية لجزيرة « حالب » الاثيوبية والمتاخمة لميناء عصب عند مدخل البحر الاحمر .

والمخرج الجنوبي للبحر الاحمر وهمزة الوصل بينه وبين البحار المفتوحة هو المحيط الهندي الممتد من رأس الرجاء الصالح الى البحر الاحمر والخليج العربي وخليج ملقا . وقد أصبح المحيط الهندي مسرحا لنشاط دولي كبير بعد دخول الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، والصين — الى حد ما — في صراع للسيطرة على المراكز الاستراتيجية فيه . وقد كان في السابق حكرا على الاسطول الامريكي العامل فوق مياهه حتى دخول الاسطول السوفياتي الى مجال المنافسة عام ١٩٦٨ ومنذ ذلك التاريخ تزايد عدد السفن السوفياتية في المحيط الهندي حتى وصل في بعض الاوقات الى ٣٠ سفينة(١). وقد أظهر الاتحاد السوفياتي اهتماما كبيرا بالمحيط الهندي والمناطق المجاورة حتى وصف أحد الخبراء النشاط البحري السوفياتي في هذا المحيط بأنه نشاط « تتزايد اثارته للاعجاب »(٢). وقد قام الاسطول السوفياتي بزيارة لمنطقة الخليج العربي في اواخر الستينات وكانت الزيارة الاولى لهذه المنطقة منذ قرن من الزمان .

وضعية البحر الاحمر والمحيط الهندي في الاستراتيجية الاسرائيلية

من المعلوم ان لاسرائيل منفذا على البحر الاحمر هو ميناء ايلات الواقع على خليج العقبة . وتخرج من هذا الميناء حوالي ٥ ٪ من تجارة اسرائيل مع العالم الخارجي . فضلا عن ان هذا الميناء هو وسيلة الاتصال مع دول الساحل الشرقي لافريقيا وجنوب شرق آسيا التي ترتبط مع اسرائيل بعلاقات متنوعة .

وتتحكم عوامل عديدة في تحديد الاستراتيجية الاسرائيلية في منطقة البحر الاحمر والمحيط الهندي، منها عوامل سياسية وعوامل اقتصادية ، وعوامل عسكرية .

١ — **العوامل السياسية** : يعتبر دافع الخروج من العزلة على رأس الدوافع السياسية التي تحرك وتوجه الاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة. وقد أخذت اسرائيل في الشعور بواقع العزلة التي تعيشها منذ نشأتها بسبب المقاطعة السياسية والاقتصادية والثقافية التي فرضتها عليها الدول العربية المحيطة بوصفها كيانا عدوانيا غريبا على المنطقة .

وقد حاولت اسرائيل كسر نطاق العزلة عن طريق اقامة علاقات مع الدول الافريقية والاسيوية الواقعة في خلفية العالم العربي ، وكانت أهم وسائلها في ذلك تدعيم مواصلاتها ووجودها في البحر الاحمر . ويقول بن جوريون معبرا عن ذلك الاتجاه بصفة عامة « ان الطريق الوحيد لكسر جدار الحصار الذي يحيط باسرائيل هو عبر اكتساب عطف وصداقة الامم القريبة منها والبعيدة على حد سواء »(٣). ويقول الكاتب الاسرائيلي يشوع رسن في تفسير اتجاه اسرائيل نحو افريقيا « ان السبب بالنسبة لاسرائيل واضح فالامر يتعلق بخرق حصار جيرانها وان تصل بواسطة البحر المتوسط كما بواسطة البحر الاحمر الى أن تؤثر في شعوب قد يؤدي تفهمها في يوم أو آخر الى

المساهمة في تقارب عربي اسرائيلي »(٤).

ويتكون هدف اسرائيل في الخروج من العزلة ، من عدة مكونات أهمها الاعتراف بالوجود الاسرائيلي من جانب أكبر عدد ممكن من الدول والحصول على التأييد في الامم المتحدة والمحافل الدولية ، ثم ايجاد رأي عام عالمي يضغط على العرب لقبول اسرائيل والتعايش معها .

أ — الاعتراف بالوجود الاسرائيلي : حاولت اسرائيل منذ نشأتها اكتساب الاعتراف الدولي بوجودها وشرعيتها كدولة وذلك للرد على عدم الاعتراف العربي . وهذا يفسر سعيها الدائب لاقامة علاقات مع الدول الافريقية والاسيوية وغيرها حتى تصبح عضوا له قبول عام في الجماعة الدولية . ويقول أبا ايبان معبرا عن هذه الفكرة « ان البند الاول لسياسة اسرائيل الخارجية يقوم على تجنيد أكبر قدر ممكن من النفوذ الدولي في تأييد استقلال دول الشرق الاوسط ووحدة أراضيها»(٥). وهو يقصد اسرائيل بطبيعة الحال .

ب — الحصول على التأييد في المحافل الدولية : ويعتبر هذا الهدف من بين الاهداف السياسية الاسرائيلية الهامة حيث تعمل اسرائيل دائما على محاولة كسب التأييد العالمي لمواقفها في الامم المتّحدة وغيرها من المنظمات الدولية لعرقلة صدور القرارات الخاصة بادانتها أو فرض العقوبات عليها بسبب اعتداءاتها المتكررة على الدول العربية.

ولو لاحظنا أن المجموعة الافريقية تشكل ما يزيد عن ٣١ ٪ من مجموع الاصوات في الامم المتحدة — وهو أكبر تمثيل قاري في المنظمة(٦) — لتبدت لنا أهمية اتجاه اسرائيل الى الدول الافريقية بصفة أساسية . ولكن اسرائيل لم تنجح في تحقيق هذا الهدف حيث رفضت الدول الافرو أسيوية قبولها في المجموعة الافرو أسيوية في الامم المتحدة كما لم تنجح في ارسال مراقب لمنظمة الوحدة الافريقية .

جـ — الضغط على العرب لقبول اسرائيل والتعايش معها : كانت اسرائيل تطمع في أن يؤدي تقاربها مع الدول الافريقية والاسيوية المتاخمة للعالم العربي اما لعزل الدول العربية وتطويقها من الخلف ، واما لاغراء هذه الدول — بالمساعدات والمعونات — بالضغط على العرب لقبول اسرائيل كأمر واقع في المنطقة . وفي سبيل تحقيق هذا الهدف اتجهت اسرائيل الى هذه الدول بنموذج جذاب وهو نموذج الدولة الصغيرة التي ليس لها أطماع استعمارية ، والتي تطور نفسها باستخدام العلم والتكنولوجيا ، فتكون بذلك نموذجا تحتذيه البلاد النامية . ويقول بن جوريون في هذا الصدد « ان الطريق الاكثر ضمانا للوصول الى السلام والتعاون مع جيراننا يكون عن طريق الحصول على اكبر عدد ممكن من الاصدقاء في آسيا وافريقيا ، الذين سيفهمون أهمية اسرائيل وقدرتها على المساهمة في تقدم الشعوب النامية حيث أنهم سينقلون ذلك المفهوم الى جيران اسرائيل »(٧).

٢ — **العوامل الاقتصادية** : وتأتي هذه العوامل في المرتبة التالية للعوامل السياسية ، فكثيرا ما تضحي اسرائيل ببعض الجوانب الاقتصادية او تقوم بتقديم مساعدات اقتصادية لتحقيق أهداف سياسية ، وان كان ذلك لا ينفي وجود العوامل الاقتصادية ضمن مكونات الاستراتيجية الاسرائيلية في منطقة البحر الاحمر والمحيط الهندي . فقد بلغت صادرات اسرائيل الى افريقيا — في عام ١٩٦٥ — عن طريق ميناء ايلات ، نسبة ٥ ٪ من مجموع الصادرات الاسرائيلية الكلية . بينما بلغت وارداتها من افريقيا في نفس السنة ٣ر١ ٪(٨).

وعلى الرغم من ضآلة هذه النسبة قياسا الى الحجم الكلي للتجارة الخارجية الاسرائيلية ، فان اسرائيل تحاول تنمية التجارة مع الدول الافريقية والاسيوية لعدة أسباب منها :

أ — محاولة الحصول على أسواق جديدة للمنتجات الاسرائيلية في دول افريقيا وآسيا النامية، وقد عبر عن ذلك كاتب صهيوني عندما قال ان التجارة تتبع المعونة وان افريقيا وعلى وجه الخصوص شرق افريقيا وكذلك بعض الدول الافريقية ستكون منفذا طبيعيا لنقب صناعي(٩).

ب — ايجاد مصادر للمواد الخام للصناعات الاسرائيلية ، ومن المعلوم ان معظم الدول الافريقية وبعض الدول الاسيوية التي تتعامل معها اسرائيل، ما زالت من الدول المصدرة للمواد الخام . وعلى سبيل المثال فان اسرائيل تقوم باستيراد الماس الخام من بعض دول افريقيا ، ثم تعيد تصديره بعد صقله . وتعتبر صناعة الماس من الصناعات الهامة في اسرائيل .

جـ — مقاومة المقاطعة الاقتصادية العربية ، عن طريق اقامة وتنمية العلاقات الاقتصادية مع الدول

الافريقية والاسيوية بحيث يصبح من الصعب احكام المقاطعة العربية حول اسرائيل. ويقول بن جوريون في هذا الشأن « ان استقلال اسرائيل الاقتصادي يعتمد أيضا والى حد كبير على الروابط الاقتصادية الوثيقة مع قارتي آسيا وافريقيا »(١٠).

٣ ـ **العوامل العسكرية** : تكمل مجموعة العوامل المحددة للاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر والمحيط الهندي بمجموعة العوامل العسكرية سواء الحقيقية او المفتعلة التي ترى فيها اسرائيل تهديدا لامنها واقتصادها . وتتحدد هذه العوامل فيما يلي :

أ ـ ضمان استمرار اسرائيل كقوة رئيسية في المنطقة عن طريق ضمان استمرار حرية حركتها في البحر الاحمر ومضيق باب المندب .

ب ـ ضرورة ضمان استمرار حصول اسرائيل على حاجاتها من البترول ، عن طريق البحر الاحمر، وقد ظهرت خطورة هذا العامل بعد الهجوم الذي شنته عناصر من الفدائيين علـى ناقلة البترول الليبيرية (كورال سي) التي كانت تحمل شحنة من البترول لاسرائيل عام ١٩٧٠ ، عند مضيق باب المندب .

جـ ـ عدم السماح لاية قوة عربية بالسيطرة على المضايق سواء في الشمال ، في مضايق تيران ، او في الجنوب عند باب المندب . ويتم ذلك اما بالطرق الدبلوماسية ومثال لها ايعاز اسرائيل الى بريطانيا أثناء مفاوضات الاستقلال بينها وبين الجبهة القومية لليمن الجنوبي بالحصول علـى ضمانات بعـدم استخدام جزيرة بريم ضد الملاحة الاسرائيلية(١١)، او باستخدام الوسائل العسكرية عن طريق احتلال بعض الجزر الواقعة عند مدخل البحر الاحمر(١٢).

وبصفة عامة فان أهداف الاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر والمحيط الهندي تتلخص في عدم السماح بقيام موانع او عوائـق أمام الوجـود الاسرائيلي في البحر الاحمر او في نفاذها من البحر الى المحيط الهندي والسيطرة ـ ان أمكن ـ على الملاحة في هذه المنطقة .

مرتكزات الاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة

تحددت معالم الاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر والجزء المتاخم له مـن المحيط الهندي ، خاصة بعد حرب يونيـو ١٩٦٧ ، في ضرورة مد سيطرتها الى جنوب البحر الاحمر بعد أن سيطرت على الممرات المائية في شمالـه ، بهدف الحيلولة دون قيام أية قوة عربية باغلاق مضيق باب المندب أمام الملاحة الاسرائيلية وبالتالي الحاق الاضرار بالخطط الاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة وشل الاقتصاد الاسرائيلي عـن طريق تهديد امداداته البترولية .

وقد ارتكزت الاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة على عدة مرتكزات تفـاوت استخدام المخطـط الاسرائيلي لها باختلاف الظروف المتاحة . ومنهـا استخدام اثيوبيا كمرتكـز رئيسي ثم استخـدام الاحتلال الفعلي لبعض الجزر العربية في المنطقة وشد بعض القوى الكبرى الـى التدخل تحقيقا لاهداف خاصة وذلك كمرتكزات مساعدة .

أولا ـ اثيوبيا كمرتكـز رئيسي للاستراتيجيـة الاسرائيلية في المنطقة : كانت اثيوبيا هي المرتكز الطبيعي لاسرائيل في المنطقة ، وذلك لعدة اعتبارات متشابكة ، ومن هنا اتجهت اسرائيل الـى اقامة علاقات وثيقة متنوعة معها للوصول الـى الاهداف الموضوعة .

وتتحدد دراستنا لوضعية اثيوبيا في الاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة ، في نقطتين رئيسيتين هما : أسباب التركيز علـى اثيوبيا ووسائل التغلغـل الاسرائيلي في اثيوبيا .

١ ـ أسباب التركيز على اثيوبيا : تطل اثيوبيا على الجزء الجنوبي للبحر الاحمر عن طريق اقليم أريتريا الساحلي، وتمتلك عدة مجموعات من الجزر الواقعة بالقرب من مضيق باب المندب وأهمها مجموعـة جزر دهلـك وجـزر حالب المجـاورة لمينـاء عصب الاثيوبي . واثيوبيـا بالنسبـة لاسرائيل قريبـة وكبيـرة الاهميـة وهي الدولة الوحيـدة علـى البحر الاحمر التي تتعامـل مع اسرائيل تجاريا (عن طريق ميناء مصوع) . واهتمامات اسرائيل باثيوبيا كحليف في المنطقة تنبع من عدة اعتبارات :

أ ـ هناك الاهداف التي تسعى اليها الاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة ، وقـد سبق مناقشتها ، وتتطلب هذه الاستراتيجية وجود موطىء قدم أو رأس جسر للوجود الاسرائيلي في المنطقة . ومن المعلوم ان المنطقة تقتصر جغرافيا على كل من الدول العربية ، ثم اثيوبيا والصومال الفرنسي (جيبوتي)

وجمهورية الصومال . ولما كانت امكانية التعامل فضلا عن التحالف الوثيق مع كل من جيبوتي أو جمهورية الصومال ضعيفة أو غير قائمة بالمرة ، اما بسبب السياسة الاستقلالية التي تتبعها فرنسا في ادارة جيبوتي ، واما بسبب عداء الصومال الواضح تجاه اسرائيل وتأييده للقضايا العربية ، فقد أصبحت اثيوبيا هي الحليف الممكن .

ب — وفضلا عن ذلك فان كلا من اسرائيل واثيوبيا تشتركان في عدة اهتمامات منها — كما يقول دبلوماسي اسرائيلي — اهتمام استراتيجي يتعلق بابعاد خطر التغلغل الشيوعي عن البحر الاحمر وقرن افريقيا(١٣). كما ان اثيوبيا هي مقر منظمة الوحدة الافريقية واللجنة الاقتصادية الافريقية التابعة للامم المتحدة وبها تمثيل دبلوماسي لعدد كبير من الدول الافريقية والاسيوية فضلا عن الدول الاوروبية ، ولذلك فهي نقطة مواتية لاتصال اسرائيل مع دول العالم الثالث . وفي الوقت نفسه فمن المهم أن يكون لاسرائيل مراقبون على مقربة من منظمة الوحدة الافريقية ، التي تضم ست دول عربية . والمستوى الرفيع لسفراء اسرائيل في اديس ابابا دليل آخر على أهميتها وآخر هؤلاء السفراء (حنان اينور) كان مديرا لادارة افريقيا بوزارة الخارجية الاسرائيلية وله مؤلف بعنوان « مذكرات عن افريقيا »(١٤).

جـ — كانت اثيوبيا على استعداد للتعاون مع اسرائيل لاعتبارات تراثية تتعلق بالنظرية القائلة ان امبراطور اثيوبيا من سلالة ملكة سبأ ولذا فهو يصر على انه يحمل لقب « أسد يهوذا المظفر » . كما ان اثيوبيا كانت لها مشكلاتها المستمرة مع الدول العربية اما بسبب منازعات الحدود مع السودان (قبل تسوية مشكلة جنوب السودان في فبراير ١٩٧٢) واما بسبب المساعدات التي تقدمها هذه الدول — خاصة سوريا — لجبهة تحرير أريتريا التي تعمل لفصل اقليم اريتريا عن اثيوبيا والحصول على الاستقلال . كما كانت اثيوبيا في حاجة للمساعدات الفنية والاقتصادية الاسرائيلية والمساعدات والخبرات العسكرية التي تمكنها من الوقوف في وجه ثوار اريتريا .

د — كما ساعد الوجود العسكري الامريكي في اثيوبيا ، المتمثل في قاعدة أسمره الواقعة في اقليم اريتريا ، على تمهيد الطريق للتعاون الاثيوبي الاسرائيلي خاصة في المجال العسكري . وتقول صحيفة معاريف الاسرائيلية ان الوجود العسكري الامريكي أتاح للاسرائيليين فرصة القيام بتدريب الجيش الاثيوبي وقوات الامن الداخلية(١٥).

٢ — وسائل التغلغل الاسرائيلي في اثيوبيا :
الى جانب المساعدات الفنية والاقتصادية التي تقدمها اسرائيل لاثيوبيا ووجود نشاط لبعض الشركات الاسرائيلية كشركة أنكودا وهارون اخوان، فقد اتخذ التغلغل الاسرائيلي في اثيوبيا — في اطار الاستراتيجية العامة لاسرائيل في المنطقة — عدة أشكال أهمها :

أ — أفادت بعض التقارير العربية السرية أن اسرائيل استأجرت مجموعة من جزر الساحل الاثيوبي ، منها جزيرة حالب لاقامة قاعدة عسكرية عليها مكان القاعدة الايطالية السابقة(١٦).

ب — لم تتوقف زيارات الخبراء العسكريين والمسؤولين الاسرائيليين لاثيوبيا وكان أهمها الزيارة السرية التي قام بها حاييم بارليف رئيس الاركان الاسرائيلي السابق والتي تمت في ١٣ سبتمبر ١٩٧١ . وقد عرض بارليف خلال هذه الزيارة قيام اسرائيل بمهمة تدريب القوات البحرية الاثيوبية مجانا وامدادها بزوارق الدورية وبعض زوارق الصواريخ وان تقدم لاثيوبيا شبكة رادار تقام على مدخل البحر الاحمر وان يقوم ضباط وجنود البحرية الاسرائيلية بتشغيل هذه الاجهزة والاسلحة الى حين تدريب قوات البحرية الاثيوبية عليها(١٧).

جـ — تجوب سفن الصيد الاسرائيلية منطقة جزر دهلك وعليها الخبراء الاسرائيليون الذين يفدون من اديس ابابا برفقة الملحق العسكري الاسرائيلي . والمرجح ان هؤلاء يقومون برسم الخرائط وعمل الدراسات عن المنطقة(١٨).

د — يقوم الخبراء الاسرائيليون — في المجال العسكري — بتدريب الجيش الاثيوبي بينما يقوم ضباط المخابرات بتدريب قوات الامن الداخلي . وهؤلاء الخبراء يتبعون مباشرة للاشراف التام لجهاز المخابرات الاسرائيلي . كما ان الخبراء الاسرائيليين يقومون ايضا بتدريب قوات الشرطة (بما في ذلك مدرسة الشرطة) وخلال الاعوام الماضية تخصص الاسرائيليون في تدريب وحدات الكوماندوز لمحاربة ثوار اريتريا . ولتسهيل هذه المهمة حصل الاسرائيليون على ثلاث قواعد في اريتريا وقاعدة اخرى في كلكرو في اقليم دنيرا الواقع جنوبي

اثيوبيا ، كما حصلوا على ثلاثة معسكرات للتدريب في جزر دهلك وحالب وفاطمه في البحر الاحمر(١٩).

ثانيا : احتــلال بعض الجزر العربية : ذكرت بعض المصادر الغربية ، في منتصف مارس ١٩٧٣ ، أن اسرائيل قامت منذ ثمانية أشهر باحتلال بعض الجزر العربية غير المأهولة الواقعة عند مضيق باب المندب ، وأنها أقامت قاعدة للاسلكي والرادار على جزيرة منها وهي جــزيرة ذوقار (ومساحتها حوالي ٧٠ ميلا وتبعد عن الشاطىء اليمني بحوالي ٣٣ كيلومترا) وهي احدى جزر مجموعة الحانيش التابعة للجمهورية العربية اليمنية(٢٠).

ومع نفي اسرائيل لواقعة احتلال الجزر العربية الا أن هناك مــن الاعتبارات ما يجعل من هــذه الواقعة أمرا محتملا :

١ ــ ان احتلال اسرائيل لجزر عربية في مدخل البحر الاحمــر يتمشى مع اتجاهــات وأهــداف استراتيجيتها العامة في المنطقة ــ كما سبق ذكرهاــ وسعيها الدائب في سبيل الحصول على وجود دائم لها هناك .

٢ ــ من السمات الواضحة في الاستراتيجية الاسرائيلية ، بصفة عامة ، فكرة ايجاد البدائل المتاحة لاداء نفس العمل حتى تجد اسرائيل نفسها قادرة على العمل اذا ما افتقدت هذا البديل او ذاك . وفي حالتنا هذه قد تكون اسرائيل قد عمدت الى احتلال الجزر العربية حتى يكون لديها بديل صالح للعمل فيما اذا تعرضت قواعدها في اثيوبيا للخطر كنتيجة لضغط سياسي او اقتصادي من جانب الدول العربية ، او كنتيجة لتغييرات داخلية .

٣ ــ قد يكون الاحتلال الاسرائيلي لبعض جزر مجموعة حانيش عامل توازن للموقع الاستراتيجي الهام الذي تتمتع به جزيرة بريم التابعة لليمــن الديمقراطية . ومن هنا يكون الاحتلال الاسرائيلي لهذه الجزر ضروري لمراقبة ما يجري فوق جزيرة بريم واحباط أية محاولة عربيــة لاستخدام هذه الجزيرة او الجزر العربية الاخرى في عمل ضد الملاحة الاسرائيلية في المنطقة .

ثالثا : محاولة جذب بعض القوى الكبرى للتدخل في المنطقة : تحاول اسرائيل ادخال قوى كبرى الى معترك الصراع الدائر حول منطقة مضيــق باب المندب لوضع العقبات أمــام التخطيط أو التدبير العربي اذا حاول السيطرة على المنطقة ، وتستغل اسرائيل في ذلك علاقتها العضوية بالولايات المتحدة وذلك في اطار عاملين اساسيين :

١ ــ الاستفادة من الوجود الامريكي في المحيط الهندي وفي قاعدة أسمره بأثيوبيا ، بشتى الوسائل للحيلولة دون قيــام اية عقبات أمــام الملاحــة الاسرائيلية في المنطقة .

٢ ــ اقناع صانع القرار الامريكي ان الوجود الاسرائيلي في المنطقة يخدم المصالح الامريكية .

كما قد حدث تطور آخر في مسألة خروج الصراع حول باب المندب الى مجال اهتمام الدول الكبرى وذلك حين قررت فرنسا مد المياه الاقليمية للصومال الفرنسي (جيبوتي) الى ١٢ ميلا . وردت جمهورية اليمن الديمقراطية باعلان مماثل . ومن نتيجة ذلك أن أصبح مضيق باب المندب بأكمله منطقة تنازع بين الصومال الفرنسي واليمن الديمقراطية حول أي دولة يتبع (حيث لا يزيد عرض المضيق عن ١٢ ميلا) . ولعل الرد اليمني باعتبار المياه الاقليمية اثني عشر ميلا من شأنه ــ نظريا ــ ان يجعل مياه باب المندب كلها مياها اقليمية عربية ، ولكن يقابل ذلك بالمثل ان اعلان الصومال الفرنسي يعني نفس الشيء . وعلى أفضل الاحتمالات فان تسوية هذا النزاع ــ بالطرق القانونية ووفقا لاحكام القانون الدولي ــ ستجعل منطقة المضيق مناصفــة بين البلدين ، وهو مــا يجعل فرصة فرض السيطرة العربية على المضيق بمثــابة عدوان على الميــاه الاقليمية لدولة أجنبية .

الاستراتيجية العربية المضادة

في مواجهة الاستراتيجية الاسرائيلية الرامية الى السيطرة على مدخل البحر الاحمر الجنوبي والغاء التأثير العربي في المنطقة ، يستوجب الامر قيام استراتيجية عربية مضادة تفتح الطريق أمام الجهد العربي للقيام بمهمة الدفاع عن الوجود العــربي والمصالح العربية (الشرعية) في المنطقة .

وكما تقوم الاستراتيجية الاسرائيلية على مجموعة متشابكة من المرتكزات والمحاور فعلى الاستراتيجية العربية المضادة استخــدام ذات الاسلــوب في التحرك . وهناك عدة محاور أساسية يمكن لهذه الاستراتيجية العمل عليها :

١ ــ تدعيم الوجود العربي في المنطقة عن طريق استخدام الامكانيات المتاحة للجزر العربية الواقعة

في مضيق باب المندب وخليج عدن . وأهم هذه الجزر جزيرة بريم ذات الموقع الاستراتيجي الهام . وتقع في مضيق باب المندب وتبعد عن ساحل اليمن العربية بنحو ثلاثة أميال وعن اليمن الديمقراطية بحوالي ٩٦ ميلا وعن الساحل الافريقي بنحو ٢١ ميلا . وتكمن أهميتها الاستراتيجية في تحكم موقعها في مضيق باب المندب وقربها من القاعدة الامريكية في أسمره ومن الجزر الاثيوبية التي يدور حولها النشاط الاسرائيلي . وتقسم جزيرة بريم مضيق باب المندب الى ممرين ، ممر شرقي عرضه ٧ر١ ميلا وممر غربي عرضه ٤ر١٠ ميلا وهو المستخدم للملاحة .

وهذه الجزر العربية حين يدب فيها النشاط يمكن ان تكون في مركز السيطرة على الممرات المائية في المنطقة ، واذا وفرت لها الخدمات الملاحية المتقدمة فانها يمكن أن تلعب دورها في التأثير الفعال على الموقف .

ويمكن لدولة اليمن الموحدة — في اطار استراتيجية عامة — أن تمثل عمقا دفاعيا من حول الطرف الجنوبي للبحر الاحمر نتيجة اتساعاتها الارضية وما تتيحه من امكانات منوعة للنشاط العسكري والبشري .

٢ — تقوية العلاقات الاقتصادية والسياسية العربية مع الدول الافريقية خاصة تلك الدول الواقعة على القرن الافريقي وفي شرق القارة وكشف أهداف التغلغل الاسرائيلي فيها ، مع عدم اغفال الدول الافريقية التي نجحت الدبلوماسية العربية في تغيير موقفها من اسرائيل ، وذلك باستمرار دعمها وتقوية العلاقات معها وذلك (لتثبيت) موقفها .

٣ — محاولة فتح حوار مع اثيوبيا حول اقامة تعاون اثيوبي عربي — لمصلحة الطرفين — في المنطقة . وقد يكون ذلك صعبا بسبب الوجود الامريكي والتغلغل الاسرائيلي فيها ، الا انه ليس مستحيلا بسبب عوامل الانفتاح التي سادت اخيرا بينها وبين الدولة العربية المتاخمة لها (السودان) بعد أن لعبت اثيوبيا دورا هاما في حل مشكلة جنوب السودان واتفاق انهاء منازعات الحدود بينهما .

٤ — التوصل الى صيغة للتنسيق بين الدول العربية المجاورة لمنطقة البحر الاحمر وبين الصومال كدولة صديقة ذات موقع استراتيجي هام في المنطقة ويمكن لهذا التنسيق ان تكون له آثار هامة .

عبد المنعم عباس

---

١ — **استراتيجية للغد ، الاستراتيجية الامريكية في السبعينات والثمانينات وحتى سنة ٢٠٠٠ ،** تأليف هانسون و. بالدوين ، ترجمة د. محمود خيري بنونه ، القاهرة ، ص ٢١٢ .

٢ — **المرجع السابق** ، ص ٢١١ .

٣ — Permant, Chaim, *Israel*, Thames and Hudson, 1967, p. 172.

٤ — محمد علي العويني ، **سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيا** ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ١٠٨ .

٥ — خطاب أبا ايبان في الكنيست الاسرائيلي يوم ١٩٦٥/٣/٢٣ — وكالات الانباء .

٦ — محمد علي العويني ، **المرجع السابق** ، ص ١١١ .

٧ — *Israel Government Yearbook*, 1960 - 1961, p. 12 FF.

٨ — جالينا نيكتينا ، **دولة اسرائيل** ، دار الهلال ، القاهرة (مترجم) ، ص ٢٤٤ .

٩ — Permant, Chaim, *Op. Cit.*, p. 171.

١٠— ابراهيم العابد، **سياسة اسرائيل الخارجية**، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٣٦ .

١١— مجلة **الوحدة العربية** (الليبية) ١٩٧٣/٥/١.

١٢— *The Time*, 19/3/1973.

١٣— جريدة **الحياة** (اللبنانية) بتاريخ ١٩٧١/٢/٣.

١٤— **المرجع السابق** .

١٥— جريدة **معاريف** الاسرائيلية ١٩٧٢/٤/١٤ .

١٦— جريدة **الثورة** (السورية) ١٩٧٢/١/١٨ .

١٧— جريدة **الاهرام** بتاريخ ١٩٧١/٩/١٥ .

١٨— جريدة **الانوار** (اللبنانية) ١٩٧٢/٦/٥ .

١٩— جريدة **معاريف** الاسرائيلية ، المرجع السابق.

٢٠— *The Time*, Op. Cit.,

[٦]
السويد تتجسس لحساب اسرائيل

بات معروفا منذ زمن طويل دور السويد الحيادي في سياستها تجاه الدول الاخرى . وهذه الشهرة اضفت على السويد القيام بدور هام في الامم المتحدة وفي المحادثات الدولية للتوصل الى حلول سياسية . وان الدور الذي لعبه الدكتور جونار يارينغ — سفير السويد لدى الاتحاد السوفياتي — هو انطلاق من ذلك المفهوم العام عن دولة السويد الحيادية . وهذه الثقة بدولة حيادية مثل السويد تأثرت بها دول العالم الثالث أكثر من الدول الغربية . ولقد كان لمشكلة فيتنام ولا يزال اثر عظيم على اهمية التأثير السياسي لدول حيادية صغيرة مثل السويد في السياسة الدولية ومشاكل الصراع. لقد لعبت السويد ولا تزال تلعب دور القيادة لتصعيد التأييد العالمي لكفاح شعب فيتنام ضد العدوان الامريكي ، ولقد ادت هذه السياسة الى تدهور العلاقات الامريكية — السويدية ، لا سيما عقب ادلاء رئيس الوزراء السيد اولوف بالمه ليلة عيد الميلاد سنة ١٩٧٢ بتصريح ضد الغارات الامريكية على فيتنام الشمالية ، ولقد قال رئيس الوزراء في تصريحه بأن القصف الامريكي الوحشي مشابه لاعمال النازية والفاشية خلال الحرب العالمية الثانية .

كل هذا بالطبع يعطي فكرة عامة بأن السويد تتبع سياسة مماثلة تجاه اي عدوان كان وهذا صحيح بالنسبة لدول افريقية — حيث ان السويد تقدم عونا ماليا لحركات التحرر الافريقية ، وكذلك الدور الذي قامت به السفارة السويدية في سنتياغو عقب الانقلاب العسكري اليميني والمساعدة الكبيرة التي قدمتها السفارة لعدد كبير من التقدميين ولحماية مصالح السفارة الكوبية هناك .

الا ان هذا « العشق » السويدي لحركات التحرر الافريقية ولكفاح شعب فيتنام ولادانة الانقلاب العسكري في تشيلي الخ يجب الا يقودنا التيه بان السويد ستكون في موقف تدين فيه اسرائيل . ان اي تحليل لدور السويد في مشكلة الصراع في الشرق الاوسط يواجه عقبات كبيرة ويضع المحلل الذي لا يقف على الاحداث متتبعا تغير السياسة السويدية والصحافة والراديو والتلفزيون والرأي العام في موقف صعب . الا ان المحلل السياسي سيصل الى نتيجة مشابهة لموقف دول اوروبية غربية اخرى نتيجة لاحداث الحرب العالمية الثانية ولما قامت به النازية ، بالاضافة الى تأييد اسرائيل انطلاقا من موقف ديني احيانا .

ان هذا التحليل في الواقع هو تحليل خاطىء واصبح بعيدا عن الحقيقة لمعطيات سياسية متعددة . ان موقف السويد من مشكلة الشرق الاوسط ليس موقفا حياديا بل على العكس فان السويد تؤيد اسرائيل على الصعيدين الحكومي والشعبي ، وهذا يعود لسببين بسيطين . ان تأييد السويد لاسرائيل على الصعيد السياسي سببه تعاطف ايديولوجي ، حيث ان الحزب الحاكم في كل من السويد واسرائيل هو حزب الاشتراكيين الديمقراطيين ، وان بالمه رئيس الوزراء صديق حميم لجولدا مائير ويلتقيان عادة في مؤتمرات الاشتراكية الدولية . واما على الصعيد الشعبي، فذلك يعود الى الدور الخطير الذي تلعبه الصحافة في نشر المعلومات الخاطئة عن حقيقة الصراع في الشرق الاوسط .

كل هذا يجب الا يدعونا الى الدهشة ، الا ان العجيب في الامر هو ان تضع السويد جهاز مخابراتها السري في خدمة المخابرات الاسرائيلية . ان هذه المعلومات عندما نشرت لاول مرة في مجلة Folket i Bild / Kulturfront عدد ٩ بتاريخ ١٩٧٣/٥/٣ وكذلك عدد ١٠ بتاريخ ١٩٧٣/٥/١٧ أدت الى فضيحة سياسية على أعلى المستويات أجبرت رئيس الوزراء ووزير الدفاع وقائد الجيش اولا بانكار المعلومات وبعد ذلك بالاعتراف بقسم منها . ان المجلة المذكورة مجلة سياسية يقوم على تحريرها عدد من الصحافيين التقدميين وبرنامجها السياسي يدعو الى الدفاع عن الحريات ومحاربة الامبريالية . ان المقالات التي نشرت في المجلة قام باعدادها الصحفي التقدمي بيتر برات والصحفي جان جويلو والمعروف بتأييده المطلق للثورة الفلسطينية . لقد نشرت المجلة في تقريرها عن وجود مكتب استعلامات يدعى Informationsbyron ويشار اليه بحرفي أ ب، ولم يكن معروفا من قبل وهو يقابل وكالة المخابرات المركزية CIA في الولايات المتحدة . ويقوم أ ب بالتعاون مع عدد كبير من مكاتب المخابرات مثل المخابرات المركزية (الولايات المتحدة) والمخابرات

العسكرية (بريطانيا) و SDECE (فرنسا) و BND (المانيا الغربية) وشين بيت (اسرائيل). الا ان مكتب الاستعلامات السويدي أ ب لم يحظ على الشهرة الا لدى مكاتب الاستعلامات (المخابرات) وايضا لدى رئيس الوزراء ووزير الدفاع (الذي يقوم برئاسة المكتب) وعدد محدود من رجال الجيش ، الا أنه غير معروف لدى معظم رجال الحكومة والبرلمان والشعب السويدي . لقد قام المكتب باعمال التجسس على دول اوروبا الشرقية وعلى الدول العربية — مصر — وعلى حركة المقاومة الفلسطينية . ولقد قام باعمال التجسس اما لحسابه الخاص او لحساب شين بيت او بالتعاون معا في عمليات عديدة في السويد وفي الدول العربية .

يقول الصحفي بيتر برات في كتابه الجديد عن أ ب والذي صدر بتاريخ ١٩٧٣/٩/٢٦ « بأن الامر الخطير بالدرجة الاولى ليس دعم السويد لاسرائيل ضد الدول العربية ، بل أن الخطر يقع في أن هذا الدعم حصل في سرية تامة ودون علم البرلمان والشعب السويدي » .

ان هذا الدعم لاسرائيل مباشرة او غير مباشرة بواسطة أ ب تم خلال السنوات الاربع الماضية على ثلاثة مستويات هي السويد واسرائيل والدول العربية .

التجسس في السويد يستهدف المجالين الفلسطيني والعربي . أما المجال الاول فقد كتب برات في الصفحة ١٢٧ من كتابه Ib och Hottet mot Var Zäkerhet أي « مكتب الاستعلامات وتهديد سلامتنا » « ان الشين بيت ارسل الى ستوكهولم سنة ١٩٧٠ احد افراده ، وبالتعاون مع أ ب وضعوا خطة بأربع عمليات ، وهذه العمليات كانت تستهدف التجسس على شباب عرب منهم ٣ شباب فلسطينيين . وبالفعل تمت العمليات بنجاح وقام كل من أ ب وشين بيت باقتحام شقق الشباب الفلسطينيين (عدا واحد) وتصوير الوثائق والاوراق الخ . اما الشاب الذي لم يحظ بزيارة العملاء فقد كان على الطرف المتسلم للارهاب الاسرائيلي ، اذ انه كان ضحية رسالة متفجرة أدت الى اصابته بجروح . هذا ولقد اعترف وزير الدفاع سفين اندرسون باحدى العمليات » .

قضية جونار أكبرغ : لقد بدأ جونار القيام باعمال التجسس في مطلع العام ١٩٦٩ على التنظيمات السويدية اليسارية والتقدمية ، ثم كلف من قبل أ ب بالتجسس على التنظيمات الفلسطينية حيث أصبح عضوا عاملا في لجنة مناصرة فلسطين في جوتنبرغ ومن خلال اللجنة تعرف على عدد كبير من مؤيدي الثورة الفلسطينية العرب منهم والسويديين . وكانت جميع تقاريره ترسل بعد ترجمتها الى المخابرات الاسرائيلية .

يذكر برات بان جونار قام بعمليتين استفزازيتين في السويد ، الاولى في ربيع ١٩٦٩ عندما اقترح كتابة منشور يحتوي على كاركتار ضد السامية ، الا ان اقتراحه فشل . وكان الغرض وراء ذلك عرض الحركة الفلسطينية بأنها ضد الشعب اليهودي . واما العملية الثانية فقد حصلت ايضا في ربيع ١٩٦٩ عندما قام جونار بالاتصال تلفونيا بمطار فرانكفورت واخبار رجال المطار بوجود قنبلة على متن طائرة العال الاسرائيلية قبل اقلاعها (المكالمة كاذبة ، حيث انه لم توجد قنبلة) ولقد اثبت تعقب المكالمة التلفونية بان الاتصال تم من السويد ومن مدينة جونار — جوتنبرغ — ، الا ان احدا لم يشك بالشخص في تلك الفترة . ويؤكد الكاتب بأن تحقيقا من قبل لجنة برلمانية ستثبت وتدين المسؤولين .

هذا وكان مكتب أ ب يتجسس على الصحف السويدية لصالح شين بيت حيث ان صحيفة Afton Bladet نشرت مقالا بتاريخ ٦ يوليو ١٩٧١ يفضح اسرائيل بمساعدة الملك حسين للحصول على ذخيرة امريكية تم ارسالها على سيارات شحن عسكرية اسرائيلية من ايلات الى الاردن .

الخبر كان مزعجا جدا لاسرائيل لا سيما وان التوقيت سبق حملة حسين على المقاومة الفلسطينية في احراش جرش من ذلك العام . كانت اسرائيل مهتمة بمعرفة اسم الشخص الذي أدلى بتلك المعلومات الى الصحيفة . الا ان الحصول على تلك المعلومات لم يكن صعبا حيث ان الصحفي الذي كتب المقال كان صديقا لجونار — عميل أ ب — حيث ان الشخصين كانا يعملان في لجان فلسطينية . ونتيجة ذلك عرفت اسرائيل بأن الدكتور اسرائيل شاحك قد أدلى بتلك المعلومات .

اما مجال التجسس ضد الدول العربية في السويد فهو يستهدف سفارة جمهورية مصر العربية . ولا تتجسس أ ب لحساب اسرائيل على العرب المقيمين في السويد فقط بل أيضا على المؤسسات العربية في السويد . ففي صيف ١٩٧٠ قام كل من أ ب وشين بيت باقتحام السفارة المصرية في ستوكهولم . تمت العملية بعد خداع حارس السفارة ودعوته الى مطعم فاخر ، وخلال غيابه قام أ ب بالاتصال بقسم المباحث الرسمي والمعروف بـ سابو لابعاد الحراسة البوليسية عن السفارة المصرية في شارع ستراند فاجن . كانت العملية ناجحة للغاية ، استطاع خلالها العملاء السويديون والاسرائيليون من اقتحام السفارة وتصوير الوثائق السرية .

٢ ــ اما الموقع الثاني والذي يتعلق باسرائيل، فهو في الواقع متصل بالموقع الاول حيث ان المعلومات التي ترسل من أ ب الى شين بيت تستعمل ضد الفلسطينيين في الاراضي المحتلة واثباتا على ذلك فان سلطات الاحتلال قامت باعتقال شاب فلسطيني يحمل الجنسية السويدية لدى زيارته لعائلته . كان اعتقال الشاب الفلسطيني والذي كان في احدى لجان فلسطين نتيجة معلومات ادلى بها جونار الى شين بيت عن طريق أ ب .

قام العملاء السويديون بالتجسس على كل من مصر وحركة المقاومة الفلسطينية في الاردن . كانت اعمال التجسس تتم بارسال اشخاص من لجان فلسطينية. كانت مهمة هؤلاء الاشخاص معرفة كميات الاسلحة الموجودة لدى حركة فتح بالذات. وتمت عملية التجسس الاولى في الاول من يوليو سنة ١٩٦٩ في مخيم البقعة الذي تعرض فيما بعد لغارة اسرائيلية أدت الى استشهاد عدد من الفلسطينيين . هذا وقد نشرت صحيفة Afton Bladet صورة بتاريخ ١٧ مايو ١٩٧٣ تثبت صحة ما ذكر ، حيث ان العميل السويدي كان يساعد في تدريب عدد من الفدائيين .

أما بالنسبة للتجسس على مصر ، فقد اسندت العملية لقبطان سفينة سويدية وطلب من القبطان ويدعى جلبرت ارسون تصوير ميناء الاسكندرية ومعرفة عمق الماء وارسال معلومات عن السفن الحربية في المنطقة . هذا وتعدى التجسس على مصر هذه الحدود عندما اسندت المخابرات الى امرأة تحمل الجنسية السويدية وهي من أصل هنغاري وتدعى ماريا لبك وحصل ان شاهدها صحفي سويدي في يوليو ١٩٧٠ في فندق كارلتون في القاهرة . وقامت المرأة بتصوير مناطق عسكرية استراتيجية لم يكن يسمح للسائح بزيارتها ، وبالطبع ارسلت المعلومات عن طريق أ ب الى المخابرات الاسرائيلية .

ان هذه المعلومات المثيرة تضعنا في حيرة ، فما هو غرض دولة حيادية كالسويد من التجسس على الدول العربية وحركة المقاومة لحساب اسرائيل . هذه الايام تبرر للدول الاوروبية الغربية كالمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا والسويد وغيرها ــ بعد قانون الارهاب ، انظر شؤون فلسطينية عدد ٢٠ ــ اعمالها بحجة الارهاب الفلسطيني في اوروبا ضد الرعايا والمؤسسات الاسرائيلية . لكن الغريب في الامر اولا ان عمليات الارهاب في الدول الاسكندنافية كانت كغيرها في اوروبا موجهة ضد الفلسطينيين والعرب . فالارهابيون الحقيقيون في معزل عن خطر مواجهة السلطات لهم ، واما الفلسطينيون فانهم يتعرضون اولا للارهاب الاسرائيلي بمساعدة السلطات الاجنبية، وثانيا فانهم ــ الفلسطينيون ــ يتعرضون لقوانين قمع جديدة من قبل تلك السلطات. ان ما حدث في السويد في نوفمبر ١٩٧٢ وما حدث في النرويج في يوليو ١٩٧٣ هو اثبات واضح على الارهاب الاسرائيلي في الدول الاسكندنافية ففي شهد نوفمبر ١٩٧٢ ارسلت رسائل متفجرة الى شاب فلسطيني في ستوكهولم واخر في كوبنهاجن وفي يوليو ١٩٧٣ قام العملاء الاسرائيليون بقتل شاب مغربي بحجة انه ينتمي الى أيلول الاسود . كان تصرف السلطات النرويجية في الواقع مشرفا للغاية ، حيث انها بعد التحقيق في الحادث طلبت من الملحق العسكري الاسرائيلي في السفارة الاسرائيلية في أوسلو مغادرة البلاد لعلاقته المباشرة في الحادث .

السؤال الآن هو ، ماذا تريد السويد من الدول العربية (مصر) وحركة المقاومة ؟ هل هي في موقف مواجهة مع مصر او مع المقاومة ؟ هل أعلنت مصر او المقاومة الحرب على السويد ؟

كل هذه الاسئلة يضعها المترقب للاحداث ، ولكن دون الحصول على رد ايجابي ودون تفسير .

[٧]
جوزيف ادوارد سيف

قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، يوم ١٩٧٣/١٢/٣٠ ، بمحاولة لاغتيال جوزيف ادوارد سيف وذلك عندما قام احد فدائييها باقتحام بيت المذكور واطلاق عيارات نارية عليه اصابته احداها في رأسه . وسيف ، كباقي افراد عائلته ، كان ولا يزال مشاركا فاعلا بنشاطات الجالية اليهودية الموظفة لخدمة اسرائيل واهدافها . وقد استفاد سيف من موقعه كرئيس لشركة ماركس وسبنسر وكأحد ابرز اثرياء بريطانية ، فأدى خدمات جلى لاسرائيل بعد أن نجح في تنظيم الجالية اليهودية وضمان تأييدها الصلب للدولة الصهيونية .

ولد جوزيف سيف في مانشستر في العام ١٩٠٥ حيث تأثر بالافكار الصهيونية التي كانت مانشستر مركز اشعاعها الرئيسي تماما مثلما كانت مركز النشاط الخاص بجمع الاموال اللازمة لدعم المشاريع الصهيونية . وفي هذين المجالين لعبت عائلة سيف دورا بارزا .

وبشكل محدد ، تأثر جوزيف سيف بفكر واهداف اخيه اللورد اسرائيل سيف الذي أسس، بالتعاون مع اللورد سايمون ماركس مؤسسة « ماركس آند سبنسر » . وقد كان اسرائيل سيف وسايمون ماركس واخرون جيلا جديدا من الصهيونيين . تعاونوا مع حاييم وايزمن ، الذي اقام في مانشستر في العام ١٩٠٤ ، وشكلوا معه العمود الفقري لحركة تجديدية عرفت باسم « مدرسة مانشستر الصهيونية » . وقد اعادوا تشكيل وتقوية وتوسيع نشاطات « الفدرالية الصهيونية لبريطانية العظمى وايرلنده » . وبحكم الخلفية التجارية لاسرائيل سيف فقد اسدى خدمات اساسية في مجال تنمية الموارد المالية للحركة الصهيونية وارتفعت بجهوده الاسهامات الى درجة لم ترق اليها من قبل .

وقد اقتفى جوزيف خطوات اخيه الاكبر والعائلة فكان نشطا ، على امتداد سنوات طويلة ، في « الفدرالية الصهيونية » التي وصل لرئاستها في الماضي والتي يشغل فيها حاليا منصب نائب الرئيس الفخري . والفدرالية هذه هي التنظيم الام الذي يجمع عددا من الهيئات الصهيونية في انجلترة وايرلنده وهدفها تنمية الوعي اليهودي والوحدة اليهودية من خلال ربطها بالفكرة الصهيونية تمهيدا لتسريع حركة الهجرة الى فلسطين . كما تقوم الفدرالية بنشاطات لصالح نداء فلسطين الموحد » (وهي مؤسسة لجمع الاموال) للمشاريع الصهيونية بالاضافة الى تعبئة الرأي العام في انجلترة لصالح اسرائيل والصهيونية وجذب الاستثمارات البريطانية لاسرائيل .

ولا تنتهي عند هذا النشاطات الصهيونية لجوزيف سيف . فهو حاليا نائب الرئيس الفخري « للجمعية اليهودية الخيرية لاسرائيل والشرق الاوسط » التي تقدم مساعدات في مجالات التعليم والتطبيب وفي دعم المؤسسات الخيرية والهياكل الدينية ، والمستشفيات ... الخ[١]. وهو ايضا نائب الرئيس الفخري « لجمعية اصدقاء اللاجئين اليهود » التي تهدف الى مساعدة المهاجرين اليهود في أي بقعة في العالم[٢]. كما أن جهوده لخدمة « مؤسسة دانيال سيف للبحوث في روحوفوت » في اسرائيل تنال اهتمامه الخاص . وهذه المؤسسة أسسها في الاصل اسرائيل سيف ، بدعم كبير من عائلتي سيف وماركس ، بهدف اجراء بحوث علمية في تنمية الصناعات في مجال الزراعة . وتتعاون هذه المؤسسة مع الجامعة العبرية لزيادة الانتاج الزراعي في اسرائيل[٣].

على أن اهم نشاطات جوزيف سيف تكمن في كونه رئيسا لمؤسسة « نداء فلسطين الموحد » التي تتولى المسؤولية الاساسية في جمع اموال يهود وصهيونيي بريطانية لصالح اسرائيل . وبهذا المجال ، يقوم جوزيف سيف وابناء عائلته بمعظم المتطلبات الادارية لهذه المؤسسة ، ويشرف هؤلاء على قرابة خمسة الاف جابي اموال، في بريطانية[٤]. ويبلغ معدل ما يجمعه هؤلاء سنويا لصالح اسرائيل اثنا عشر مليون جنيه استرليني[٥]. وعشية حرب حزيران ١٩٦٧ جمع يهود بريطانية ما يزيد على ١٧ مليون جنيه استرليني[٦]. هذا بالاضافة الى الملايين التي جمعت اثناء حرب اكتوبر ١٩٧٣[٧]. وكل ذلك بالجهد الخاص لسيف وعائلته .

وتتعدى خدمات جوزيف سيف هذه المجالات جميعها مستفيدة من مؤسسة « ماركس آند

سبنسر » . ففي « المؤتمر الثانـي للارشـاد الاقتصادي » في ربيع ١٩٦٨ لعبت تلك المؤسسة دورا بارزا في دعم الاقتصاد الاسرائيلي من خلال الاستثمارات الجديدة ومن خلال ايفـاد فنيين ومخططين وعلماء ليشرحوا للمنتجين الاسرائيليين احتياجات السوق البريطاني . ونتيجـة لذلـك ارتفعت المبيعات الاسرائيلية ، خلال عامين ، من ٩٠٠ الف الى ٢٠٣ مليون دينار استرليني(٨). واخيرا وليس اخرا تقوم مؤسسة « مـاركس آند سبنسر » بتنمية بيع البضائع الاسرائيلية وقد باعت في العام ١٩٥٩ وحده ما قيمته خمسة ملايـين دولار(٩).

وبالرغم من تعرض جوزيف سيف للاغتيال فانه لم يرتدع بل ازداد تماديا في دعمه للصهيونية .

وكان في الماضي لم يرتدع عندما هددته الجبهـة الشعبية بعملية تحذيرية من خلال القاء متفجرات على مستودعات « ماركس آند سبنسر » فـي العام ١٩٦٩ . لقد كانت العملية تلك تحذيرا لم يثن جوزيف اسرائيل عـن دعمه لاسرائيل(١٠). ولذلك تقوم الاسكتلنديارد بحمايته وحماية عدد من الصهيونيين البارزين(١١). وفي الختام ، ففي مقابلة له مع هيئة الاذاعة والتلفزيون البريطـانية ، (بتاريخ ٣ يناير ١٩٧٤) ، اكد جوزيف سيف ان محاولة اغتياله لم تؤثر علـى جهوده الدائمة للصهيونية واسرائيل ، تلك الجهود التي ينوي متابعة نشاطه لصالحها(١٢).

سوزي زيادة

١ — *Zionist Yearbook, 1973.*

٢ — *Ibid.*

٣ — ESCO Foundation for Palestine, *A Study of Jewish, Arab and British Policies,* p. 690.

٤ — *Sunday Telegraph,* Jan. 6, 1974.

٥ — S. Levenberg, «Zionism in Great Britain», *Encyclopedia of Zionism and Israel,* p. 429.

٦ — *Ibid.,* p. 424.

٧ — *Times,* (London), Dec. 31, 1973.

٨ — *The Israel Economist,* May 1968, p. 178.

٩ — *Ibid.,* p. 185.

١٠ — *Sunday Telegraph,* Jan. 6, 1974.

١١ — *Ibid.*

١٢ — Reproduced, *Times* (London), Jan. 4, 1974.

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

حسمت مسألة التمثيل الفلسطيني في قمة الجزائر العربية لمصلحة منظمة التحرير الفلسطينية. وعلى الرغم من اهمية قرار القمة المتعلق بهذا الشأن، فقد وضعت المقاومة بالقرار ومن خلال النتائج المترتبة عليه في جو امتحان صعب كان منتظرا منها ان تجيب كذلك على عدد من الاسئلة التي تمخضت عنها المرحلة ما بعد التشرينية والتي دارت أساسا — على صعيد الفلسطينيين — حول مستقبل الاراضي الفلسطينية المحتلة وحقوق الشعب العربي الفلسطيني. واذا كان هذان الموضوعان قد أثيرا في أوساط المقاومة (في ندواتها وأدبيات فصائلها) قبيل حرب تشرين ودار حولهما نقاش كثير، الا أنهما اتخذا في هذه المرحلة الراهنة شكلا أكثر حدة والحاحا ومسؤولية. فقد أدخلت النتائج السياسية سريعة التطور التي أعقبت الحرب، أدخلت هاتين المسألتين في صلب اهتمام اطراف الصراع، وأوصلتهما الى عتبة اتخاذ القرار بشأنهما على طاولة المفاوضات في مؤتمر جنيف. من هنا كان اهتمام المقاومة بمسألة التمثيل الفلسطيني اهتماما بالنتائج المنتظرة والتي ستسفر عنها المرحلة الراهنة — القادمة التي عنوانها العريض الاستفادة من نتائج حرب تشرين من أجل التوصل الى تسوية تأخذ في الاعتبار مصير الاراضي الفلسطينية المحتلة في العام ١٩٦٧ (أو بعضها) وحقوق شعب فلسطين. وقد عزز هذا الاهتمام ان مؤتمر جنيف قد باشر أعماله وسط تحرك اميركي واسع (رحلات الوزير الاميركي كيسنجر الى الشرق الاوسط) أثار الشك في شكل التسوية المرتقبة وكذلك التساؤل عن حجم الدور الاميركي في تصميم أبعادها وملامحها. وقد أوردت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) يوم ١٢/٢٠ تعليقا بهذا الشأن تحت عنوان « رأينا في مؤتمر جنيف » جاء فيه « ان المؤتمر ينعقد الان وسط مؤامرات اميركية مكثفة تستهدف تصفية قضية الشعب الفلسطيني وتمرير الحلول الاستسلامية وتركيع هذه المنطقة لتظل مرتعا للامبريالية وأدواتها وتثبيت مصالحها ». هناك اذن تخوف من مؤتمر جنيف، تخوف من البصمات الاميركية على المؤتمر ونتائجه. وقد عبر الاخ ابو اياد عن هذه الحقيقة بقوله « ومؤتمر السلام، يقولون انه سيعقد بعد سبعة ايام فهل تريد اسرائيل فعلا السلام ؟ من الذي يقود السلام؟ انه كيسنجر » (وفا ١٢/١٢). وبجانب هذه النظرة الى مؤتمر جنيف كانت هناك نظرة أخرى بلورها الدكتور جورج حبش في ندوته في جامعة بيروت العربية (١٢/١٧) منطلقة من « ان مؤتمر جنيف قائم على أساس واضح معين، هذا الاساس هو قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ... ان اية قوة تريد أن تذهب الى جنيف في هذه الفترة بالذات في ظل ميزان القوى الراهن فلسطينيا وعربيا ودوليا عليها أن تعي بوضوح انها مقابل أي كسب ستحرزه في مؤتمر جنيف سترغم على ان تدفع الثمن ... كسب الاراضي التي يمكن أن تجلو عنها اسرائيل مقابل الشق الاخر من قرار ٢٤٢ وهو : هذه هي اسرائيل وهي قائمة وهذه هي حدودها ويجب ان تصونوها وعلى كافة دول المنطقة والدول المشتركة في هذا المؤتمر ان تحارب أي محاولة مقبلة للتوتر او اثارة العداء في المنطقة ... وان الوضع الدولي بعد أن يصل مؤتمر جنيف الى مثل هذه الاتفاقية في حالة نجاحه لن يتقبل من أي قوة فلسطينية وعربية ان ترفض، في فترة زمنية مرئية على الاقل، هذا الشيء الذي رضيت به ووافقت عليه ». (الهدف ١٢/٢٢). ونتيجة هذه النظرة بنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين موقفها الرافض لمؤتمر جنيف، غير ان منظمة التحرير الفلسطينية لم تعلن رسميا موقفها من المؤتمر وان كانت اجهزة

اعلامها قد حبذت موقف سوريا الذي تمثل في رفض حضور المؤتمر فقد كتبت « وفا » (١٢/١٩) ان هذا الموقف « يمثل من وجهة نظر اساسية موقفا متشددا لصالح الشعب الفلسطيني وهو ما يمكن القول معه انه جاء تعبيرا عن رؤية الجماهير الفلسطينية والعربية لمؤتمر السلام الذي تعمل الولايات المتحدة الاميركية والعدو الصهيوني على سحبه الى الخيمة الاميركية » . (كذلك كتبت « الهدف » (١٢/٢٢) ان « الجماهير التي رحبت بالقرار السوري قد لمست فيه بادرة جريئة تحتضنها وتدعمها ، وتتطلع الى تطويرها باتجاه تشكيل جبهة عربية مقاتلة تلتقي في ساحتها كل القوى الوطنية والتقدمية والثورية الفلسطينية والعربية » . كما أعلنت الجبهة الديموقراطية (١٢/١٨) عن تثمينها للموقف السوري ودعت البلدان العربية الوطنية الاخرى الى دعم هذا الموقف) .

كان اذن بسبب من هذا الجو الذي أحاط مؤتمر جنيف ان مسألة مصير الارض الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني قد اكتسبت أهميتها الاساسية. يضاف الى ذلك ان اشتراك وفد عن النظام الاردني في المؤتمر قد جعل هذه الاهمية تكتسب صفة خاصة . فالنظام الاردني غير معني بمجريات المفاوضات في مرحلتها الاولى المخصصة لفصل التحام القوات وتثبيت اتفاقية وقف اطلاق النار . ومن هنا فان حضوره جلسات المؤتمر الاولى لا يحتمل الا تأويلا واحدا هو تكريس وجوده طرفا أساسيا في المفاوضات في مختلف مراحلها وهو أمر يكتسب دلالة خاصة اذا نظر اليه مقرونا بموقف النظام الاردني من مسألة التمثيل الفلسطيني ونظرته الى مستقبل الضفة الغربية .

بعد هذا الاستطراد نعود الى ما أثبتناه في البداية ان حسم مسألة التمثيل الفلسطيني لمصلحة منظمة التحرير قد فرض على حركة المقاومة ان تجيب كذلك على مسألة مصير المناطق الفلسطينية المحتلة التي سادت بشأنها «قناعة» ما بأن اسرائيل ستنسحب منها أو من بعضها كنتيجة للمعطيات الجديدة — العسكرية والسياسية العربية والعالمية — التي أسفرت عنها حرب تشرين . وعلى الرغم من اشكال الحوار الكثيف والغني الذي ساد أوساط حركة المقاومة حول هذا الموضوع الا ان منظمة التحرير لم تعلن موقفا رسميا منه . ومن الواضح ان عدم اعلان هذا الموقف الرسمي كان بسبب ان هذا الحوار لم يتوصل الى اجماع في الرأي وبالتالي فان الحفاظ على الوحدة الوطنية الفلسطينية ، وهي قضية مركزية ومصيرية في هذه المرحلة ، جعل قيادة المنظمة تتريث في اعلان الموقف الرسمي. وقد تأكدت هذه الحقيقة من تأجيل عقد المجلس الوطني الفلسطيني والمؤتمر الشعبي اللذين قررت اللجنة التنفيذية للمنظمة دعوتهما الى الانعقاد في النصف الثاني من شهر كانون الثاني . فقد أعلن الاخ خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، « ان المجلس المركزي لمنظمة التحرير قد تدارس في اجتماعه الذي انعقد في دمشق مساء ١٢/٢٠ الاوضاع السياسية الراهنة واجتماعات المجلس الوطني والمؤتمر الشعبي الفلسطيني وان المجلس المركزي اوصى بضرورة الاستمرار في دراسة الموقف الراهن بكافة ابعاده وخاصة فيما يتعلق باستطلاع رأي جماهيرنا العربية الفلسطينية داخل الاراضي المحتلة ، وفي الضفة الشرقية ، وبقية أماكن التجمعات الفلسطينية . واستكمالا لهذا ولاجراء مزيد من الدراسة والاستطلاع فقد اوصى المجلس بتأجيل عقد دورة المجلس الوطني والمؤتمر الشعبي اللذين كان مقررا عقدهما في شهر كانون الثاني القادم الى وقت لاحق يعلن في وقت قريب ». وقد ذكرت « وفا » (١٢/٢٢) التي أوردت التصريح ان المؤتمر الشعبي سينعقد في القاهرة في منتصف شهر شباط القادم. وبانتظار ذلك استمر الحوار الفلسطيني في طرح تصوراته للمسألة (ساهم مركز الابحاث الفلسطيني في ذلك بعقد ندوة في مقره حضرها بعض قادة المقاومة ومثقفيها نشرت نصوصها في مكان آخر في هذا العدد) والتي تبلورت خطوطها العريضة كما يلي :

ان الاتجاه الثابت في حركة المقاومة الفلسطينية هو رفض عودة الضفة الغربية الى حكم النظام الاردني . فقد أعلن الاخ ابو عمار لصحيفة « لومانيته » الفرنسية (وفا ١/٤) ، « ان الشعب الفلسطيني يرفض سيطرة الملك حسين على الضفة الغربية . ان للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية الحق في أن يقرر مصيره بنفسه دون أي تدخل اجنبي » . وقد كشف أبو أياد في ندوة في جامعة بيروت العربية ١٢/٣١ (وفا ١/١) ان الملك حسين أراد أن يطرح لقاء رباعيا بين سوريا ومصر والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية كي يتفاهموا على مستقبل الاراضي الفلسطينية . وأعلن أبو اياد

باسم فتح « اننا سنرفض هذا الاجتماع ولن نقبل به . اننا لا نريد ان يعود الملك حسين للضفة ولو لساعة واحدة » . كذلك اعلن الدكتور جورج حبش (المصدر السابق) عن مقاومة « عودة النظام الرجعي العميل في الاردن الى الارض الفلسطينية». واذا كانت عودة النظام الاردني الى الضفة الغربية مرفوضة فما المطلوب اذن ؟ تجمع مصادر حركة المقاومة ان أحدا ما لم يطرح مسألة « الدولة الفلسطينية » على حركة المقاومة ويتساءل ابو اياد عن هذه الدولة « هل يحكى لنا هذا الكلام ؟ ما هي الدولة ؟ » (وفا ١٢/١٢) . غير انه من الواضح ان هناك اتجاها متصاعدا داخل حركة المقاومة يدفع باتجاه لخصه ابو اياد بقوله : « ان المقاومة تريد ان **تنتزع بأي شكل** أي جزء من ارضنا في الضفة والقطاع » (المصدر نفسه) . وقد أوضح ابو اياد هذا الاتجاه في حديث مع مجلة « البلاغ » اللبنانية (وفا ١٢/٢٣) ردا على سؤال حول امكانات اقامة سلطة وطنية على جزء من الارض الفلسطينية وحول الانتقادات التي توجه الى امكانات نموها وضيق رقعتها الجغرافية فقال « ان هذه ليست هي القضية الاساسية ولكن القضية هل تعود هذه الارض الى الملك حسين ام تستلمها القوى الوطنية ؟ ان القوى الوطنية هي المطالبة بالنضال من اجل ان تكون هذه الارض قاعدة ثورية لشعبنا بامكاناتها الذاتية وبامكانات الاصدقاء » . واعتبر ابو اياد ان هذه « ستكون وسيلتنا الحقيقية لاستمرار النضال من اجل تثبيت وجود الشعب الفلسطيني على جزء من ارضه واتصال هذا الشعب من خلال النضال بمجموعة قوى التحرر العربية التي سيستمر نضالها لتغيير الواقع الرافض الى واقع افضل يمكن من خلاله ان نصل بجدية ومسؤولية الى خياراتنا الاساسية بحرب الشعب الطويلة الامد » . ويؤكد هذا الاتجاه ان اقامة السلطة الوطنية على بعض الارض الفلسطينية (اعتبرها ابو اياد في المصدر السابق مكسبا راهنا ، ونايف حواتمة في « الاخبار » اللبنانية ١٢/٢٢ ، هدفا للنضال في هذه المرحلة) لا يعني التنازل عن الحق التاريخي للشعب الفلسطيني في كامل ترابه الوطني . فحواتمه (في المصدر السابق) يؤكد على النضال من أجل « تمكين الشعب الفلسطيني في جميع الاراضي الفلسطينية التي يتم تحريرها والانسحاب منها ، من تقرير مصيره بنفسه ، على ارضه واقامة سلطته الوطنية المستقلة كخطوة على طريق النضال لانتزاع كامل حقوقه التاريخية واستكمال انجاز الحل الدمقراطي والتقدمي لبناء الدولة الدمقراطية على كامل ارض فلسطين » .

وكان نايف حواتمة في مناسبة سابقة قد اوضح هذا التصور بقوله « علينا ان نناضل من أجل انتزاع أقصى ما يمكن انتزاعه دون تقديم تنازلات مبدئية كالصلح والاعتراف والتنازل عن الحقوق التاريخية . فانتزاع أقصى ما يمكن انتزاعه دون تقديم تنازلات مبدئية هو الذي يمكننا بالضبط من النضال المتسارع الكثيف المختزل لاسقاط نظام الملك حسين وهو الذي يمكننا بالضبط من تنظيم مجموع شعبنا ليقف في جميع مناطق الشتات ملتفا حول سلطته الوطنية التي تدافع عنه وهو الذي يمكننا من حماية الثورة الفلسطينية ، من حماية البندقية الفلسطينية على هذه الارض الوطنية وفي ظل سلطة وطنية تحميها ، وهو الذي يمكننا من متابعة الصراع الفلسطيني الاسرائيلي ، وهو الذي يمكننا من الفعل التاريخي المباشر في الصراع لانتزاع الحق التاريخي » (الحرية ١٢/١٧)

ولكن الدكتور حبش (المصدر نفسه) يعتقد ان: « هذه السلطة في حالة استلام المقاومة الفلسطينية لها ما الذي سيحدد دورها التاريخي ؟ هل الذي سيحدده هو من سيكون على رأس هذه الدولة ؟ ان دور هذه الدولة ستحدده المعطيات المادية الملموسة التي اوجدت هذه الدولة . هل فكرنا بمساحة هذه الدولة ، هل فكرنا فعلا بالتناقض الذي سينشأ بين هذه الدولة وبين الجماهير الفلسطينية التي لن تحل مشكلتها الحياتية عن هذا الطريق ؟ ان هذه الدولة، هي دولة الستة آلاف كلم مربع ، هذه الدولة هي دولة ٢١ ½ بالمئة من مساحة فلسطين ،ثم ماذا عن بقية جماهيرنا الفلسطينية ؟ ان تناقضا اساسيا ستعيشه هذه الدولة هو تناقض بينها وبين جماهير الفلسطينيين هنا في لبنان وفي سوريا وجماهير الفلسطينيين في منطقة ١٩٤٨ وكافة الجماهير الفلسطينية التي لن تحل هذه الدولة حتى مشاكلهم الحياتية . هل فكرنا في المقومات الاقتصادية لمثل هذه الدولة ؟ هل فكرنا كيف سيكون موقع هذه الدولة في المحيط العربي؟ هل فكرنا بأن هذه الدولة ستكون محاطة باسرائيل من ناحية والنظام الرجعي الاردني من ناحية ثانية ؟ هل

فكرنا بأن هذه الدولة ستكون نتيجة معطيات عربية ودولية ! »

يقترن بمسألة مستقبل المناطق الفلسطينية المحتلة تصاعد أشكال النضال السياسي والجماهيري في الفترة الاخيرة في الضفة الغربية بشكل خاص . نبالاضافة الى النشاط العسكري الذي قامت به المقاومة هناك (راجع جدول العمليات العسكرية في هذا العدد) فقد اوردت وكالات الانباء (أنظر « الحياة » ١٢/١٤) ان التوتر الشديد قد ساد مختلف مدن الضفة الغربية بعد عمليات الابعاد وهدم البيوت التي تقوم بها سلطات الاحتلال ، وقد ازداد التوتر في اعقاب ابعاد ثمانية من المواطنين العرب من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية . وقد فرقت شرطة الامن متظاهرين في بلدتي بير زيت والبيرة في محاولة للقضاء على الاحتجاجات ضد طرد هؤلاء الثمانية . وقد اوردت « ومًا » تفصيلات عن حالة التوتر هذه فكتبت (١٢/١٢) ان التظاهرات عمت الضفة الغربية واغلقت المدارس وتظاهر الطلبة واغلقت المتاجر في نابلس والقدس والخليل وبيت لحم والبيرة . كما بعثت الهيئات والروابط والنقابات المهنية ورؤساء البلديات والتجمعات الوطنية برقيات استنكار واحتجاج الى لجنة حقوق الانسان والصليب الاحمر الدولي والى سلطات الحكم العسكري الصهيوني بصدد ابعاد المواطنين والمعتقلين في سجون العدو والذين بلغ عددهم عدة آلاف . كذلك ذكرت الوكالة (١٢/١٥) ان عدة مئات من المواطنين الفلسطينيين قاموا بتظاهرات في مدينة القدس ، وفي ١٢/١٦ ذكرت ان المسيرات والتظاهرات عمت مدن القدس ورام الله والبيرة والخليل وكانت أعنف هذه التظاهرات في مدينة نابلس حيث اشتبك المتظاهرون مع قوات العدو داخل المدينة وسقط عدد من الجرحى بين المتظاهرين . كما واصلت النساء الفلسطينيات في مدن نابلس ورام الله والبيرة والقدس اعتصامهن لليوم الثالث على التوالي في كل من بلديات نابلس والبيرة ورام الله . ووصفت الوكالة الحالة التي تمر بها الضفة الغربية بأنها « مخاض ثورة شعبية » . واوردت الوكالة (١٢/١٧) ان طلبة كلية بير زيت رفعوا في مقدمة التظاهرة التي اغلقت سلطات الاحتلال في أعقابها الكلية المذكورة ، رفعوا صور الشهداء كمال عدوان وابو يوسف وكمال ناصر . وقد أوردت ومًا (١٢/١٩) نقلا عن صحيفة « الشعب » التي تصدر في الضفة الغربية انه انضمت الى المتظاهرين الفلسطينيين في القدس تجمعات كبيرة من الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) وقاموا بتوزيع منشورات على المعتصمين وعلى المتظاهرين كما ان السلطات الاسرائيلية قامت باعتقال عدد من الاسرائيليين لمحاولتهم توزيع منشورات وبيانات من « الحزب الشيوعي الثوري » ومنظمة متسبن . وقد اوردت الوكالة (١٢/٢٨) نص منشور وزع في مدن الضفة الغربية بتوقيع القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية وقد جاء فيه « ان العدو الصهيوني يعمل على بقاء الاحتلال وعلى تكريس وجود دولته على ارض فلسطين . ان الملك حسين يتآمر مع العدو الصهيوني لاقتسام الضفة الغربية ومصادرة آراء الشعب الفلسطيني. ان القضية الفلسطينية تتعرض لمؤامرات صهيونية اميركية هاشمية من أجل تصفيتها وقهر الجماهير الفلسطينية . ان ارادة الشعب الفلسطيني تعلن من خلال الثورة وجماهيرها : لا للاحتلال الصهيوني والكيان الصهيوني . لا لعودة حكم الارهاب الهاشمي الى الضفة الغربية ... نعم لحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني على كل ترابه الوطني. نعم لسيادة الشعب الفلسطيني على ارضه . نعم لمنظمة التحرير الفلسطينية والثورة الفلسطينية » . وواضح من خلال هذه الشعارات المرفوعة في هذا المنشور انه يعكس القضايا الاساسية المطروحة امام المقاومة الفلسطينية المتعلقة بمسألة التمثيل الفلسطيني ومصير الاراضي الفلسطينية .

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

العناصر الايجابية التي أفرزتها حرب تشرين على الجانب العربي كانت كما يبدو غير كافية لارغام اسرائيل على التقيد بقراري مجلس الامن ٣٣٨ ، ٣٣٩ الداعيين الى عودة قواتها الى المواقع التي كانت عليها يوم ٢٢ تشرين الاول . وكان مصداق هذه الحقيقة فشل محادثات الخيمة عند الكيلومتر ١٠١ التي لم تحقق ابرز اهدافها المعلنة بفصل القوات المتحاربة ، وان كانت حققت لاسرائيل مطلبها الملح في تبادل الاسرى مقابل وصول التموين لمدينة السويس وقوات الجيش الثالث شرق القناة. وقد ذكرت مجلة « روز اليوسف » المصرية ان محادثات الكيلومتر ١٠١ استمرت عشرة اجتماعات سبعة منها لتنفيذ البند الثاني الخاص بفصل القوات المتحاربة والعودة الى مواقع ٢٢ تشرين الاول . وقد ذهب تحليل الى ان هذا الفشل كان مرتبطا بأوضاع اسرائيل الداخلية المتعلقة بالانتخابات وتأجيل المباحثات الى ما بعد ظهور نتائج هذه الانتخابات . غير ان « رأي القاهرة » ، كما ذكرت « روز اليوسف » كان « ان الاعتبارات الداخلية في اسرائيل ليست وحدها المحرك لهذا الموقف ، لان اسرائيل في موقفها هذا انما يشجعها عليه ما تتلقاه من دعم يساعدها على تجاوز النتائج الاستراتيجية لمعركة اكتوبر » . وقد كانت تلك اشارة ضمنية الى الدور الاميركي في افشال المحادثات وهو دور تكشفت ابعاده في المساعدات العسكرية الضخمة التي تلقتها اسرائيل بعيد حرب تشرين مما عزز موقفها في أي مفاوضات لاحقة . غير ان هذا الدور الاميركي كان له وجه آخر كشفت عنه مجلة « نيوزويك » الاميركية (١٢/١٧) عندما كتبت انها علمت « ان اسرائيل كانت على استعداد تام لاجراء مفاوضات حول فصل القوات مع المصريين في خيمة الهدنة ، غير ان هنري كيسنجر ، وزير الخارجية الاميركية ، اقنعهم في الدقيقة الاخيرة بالا يفعلوا ذلك . وكانت حجته ان هذا الموضوع يجب ان يكون البند الاول على جدول اعمال مؤتمر محادثات السلام المقرر افتتاحه في جنيف ، وان تنازلا من جانب اسرائيل في البداية سوف يعطي مفاوضات السلام بداية واعدة » . وقد يكون هذا السبب الذي اوردته المجلة الاميركية صحيحا ، ذلك ان نتيجة زيارة كيسنجر الثانية الى القاهرة في ١٢/١٤ أسفرت عن ان مصر وافقت على ان تكون قضية الفصل بين القوات المتحاربة هي القضية الاولى التي يجب معالجتها في مؤتمر السلام ، وكانت مصر تصر سابقا على ان تنسحب اسرائيل الى خطوط ٢٢ تشرين الاول قبل انعقاد المؤتمر ، (« المحرر » نقلا عن وكالات الانباء) . وهكذا باتت أبعاد المراحل الاولى من مؤتمر جنيف مقررة سلفا وقبل انعقاده فهي لا تتعدى كونها امتدادا لمحادثات الكيلومتر ١٠١ ، الهادفة الى فصل القوات المتحاربة .

حددت مصر شروطها لحضور مؤتمر جنيف قبل انعقاده . فقد كتبت الاهرام (١٢/٩) ان هذه الشروط التي أبلغتها مصر الى الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي هي « ١ — ان يقوم مجلس الامن الدولي بدعوة الاطراف المعنية لحضور المؤتمر وتعريف الهدف من الاجتماع والنتائج المتوقعة أي تنفيذ قرارات مجلس الامن . ٢ — ان يحضر الامين العام للامم المتحدة الاجتماعات التمهيدية ويعين مندوبا عنه في المؤتمر الذي سيكون برعاية المنظمة الدولية . ٣ — ان تشترك كل الاطراف المعنية وهي مصر واسرائيل وسوريا والاردن ، وان منظمة التحرير الفلسطينية ستشترك في وقت لاحق » . وكانت الدلائل تشير الى ان هناك تنسيقا مصريا — سوريا بالنسبة للاشتراك في المؤتمر . فقد ذكرت « الاهرام » (١٢/١٢) ان الرئيسين انور السادات وحافظ الاسد حددا « الموقف المشترك لمصر وسوريا ازاء مؤتمر السلام » في محادثاتهما التي جرت في القاهرة في ١٢/١١ وانهما « أصدرا توجيهاتهما الى السيد اسماعيل فهمي ، وزير خارجية مصر ، بشأن المرحلة المقبلة ومؤتمر جنيف » . غير ان التطور المفاجىء كان اعلان سوريا يوم ١٢/١٨ قرارها عدم الاشتراك في مؤتمر جنيف « في ضوء مختلف المعطيات التي توفرها الظروف الراهنة والتي تشير الى مجموعة من المناورات تستهدف خدمة المصالح الاسرائيلية كما تستهدف تحويل المؤتمر لبحث امورا جزئية تجرنا الى متاهات لا نهاية لها بغية تمييع القضية الاساسية واضاعة الطريق اليها في وضع برنامج الانسحاب الكامل من الارض التي احتلت عام ١٩٦٧ وفي وضع صورة محددة

تؤمن حقوق الشعب العربي الفلسطيني » (كما جاء في نص القرار السوري المنشور في الصحف). وقد ترددت انباء لاحقة عن « شروط » سوريا لحضور مؤتمر جنيف . فقد نسبت صحيفة «واشنطن بوست » (١٢/٢٠) الى السيد محمد زكريا اسماعيل ، نائب وزير الخارجية السورية ، قوله ان شروط بلاده الرئيسية لحضور مؤتمر جنيف ان المشتركين في المؤتمر « يجب ان يعلنوا انهم ذاهبون الى هناك لاجراء محادثات حول انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة ». وقال ان سوريا ستشترك في محادثات جنيف للسلام اذ انتقلت المحادثات نحو مفاوضات جادة لتسوية النزاع العربي ــ الاسرائيلي .

بخلاف الموقف السوري كان موقف النظام الاردني ، فعلى الرغم من انه هدد بمقاطعة مؤتمر السلام اذا قرر مؤتمر القمة العربي في الجزائر اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، فقد عاد وتراجع عن هذا الموقف لكن تراجعا تدريجيا . ففي ١٢/١١ صرح مصدر رسمي ان موقف الاردن من مؤتمر جنيف لم يتقرر بعد وان الاردن وافق على حضور المؤتمر من حيث المبدأ في انتظار موقف الدول العربية المعنية من قرار مؤتمر القمة العربي في الجزائر الذي يقضي باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للشعب افلسطيني . غير ان بيانا رسميا لاحقا صدر في ١٢/١٣ أعلن « ان الحكومة الاردنية قررت ان ترد بالايجاب على الدعوة التي وجهت اليها لحضور مؤتمر السلام مع كل من مصر وسوريا » . وواضح ان قرار النظام الاردني حضور المؤتمر كان بعد ان تأكد لديه ان منظمة التحرير الفلسطينية غير مدعوة لحضوره وبذلك فان تفرده في دعواه بالتمثيل الفلسطيني وتقرير مصير الارض الفلسطينية المحتلة أصبح غير منازع ، على الاقل في المراحل الاولى من المؤتمر .

وهكذا فان اشتراط مصر ان تشترك في المؤتمر جميع الاطراف المعنية لم يعد مكتملا باعلان سوريا رفضها الاشتراك ، كما ان الاردن غير معني بالمرحلة الاولى من المحادثات التي هي مكرسة لفصل القوات . (بالنسبة للشروط الاخرى وافق مجلس الامن الدولي في ١٢/١٥ على قرار يقضي بوضع مؤتمر السلام الخاص بالشرق الاوسط في جنيف تحت اشراف الامم المتحدة) . وقد كان عدم اكتمال هذا الشرط يوحي بأن مؤتمر جنيف لا يتعدى كونه محادثات ثنائية مصرية ــ اسرائيلية، ولتبديد هذا الايحاء كان تأكيد مصر على ان اهدافها في المحادثات تتجاوز الاهداف المصرية البحتة فقد صرح اسماعيل فهمي لدى وصوله الى مطار جنيف في ١٢/١٩ ان اهداف مصر من المؤتمر هي ١ ــ تحقيق الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة كلها . ٢ ــ استعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني (الاهرام ١٢/٢٠) . كذلك كان تأكيد مصري على ان الوفد المصري يتحدث باسم العرب جميعا ، فقد اجاب تحسين بشير ، الناطق باسم الوفد المصري ، على سؤال لصحيفة « النهار » (١٢/٢٠) عما اذا لم يكن غياب سوريا يعني ان المؤتمر سيتحول الى لقاء مصري ــ اسرائيلي ، بقوله : « سنتكلم نحن في المؤتمر باسم العرب جميعا وهناك اتفاق بين كل الدول العربية حول هذا الامر . ونحن لا نحضر المؤتمر باسم مصر وحدها ، لاننا لا نؤمن بأن هناك حلا مصريا للمشكلة ، بل هناك حل عربي ولا حل سواه » . وقد ذكرت « الاهرام » (١٢/٢١) ان الرئيس السادات بعث في اخر تعليماته الى اسماعيل فهمي باربع نقاط طلب ان تكون واضحة وقاطعة: « ١ ــ ان مصر ملتزمة التزاما جديا بقرار مؤتمر القمة العربي الاخير في الجزائر وذلك فيما يتعلق بالانسحاب من كل الاراضي التي احتلت بعد سنة ١٩٦٧ وكذلك باعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . ٢ ــ ان مصر وهي تحضر مؤتمر جنيف ليست مستعدة لاية مساومة على ارض . ٣ ــ ان مصر في هذا المؤتمر لا تجرب حل مشكلة مصرية وانما هي تتحمل مسؤولية قومية كاملة تتعلق بكل الحقوق والاراضي العربية . ٤ ــ ان مصر تفهم أسباب تغيب سوريا عن المؤتمر وهي تعتبر نفسها ــ بحكم القتال مع سوريا في حرب اكتوبر ــ مسؤولة عن سلامة التراب السوري بنفس مسؤوليتها عن سلامة التراب المصري » . ومهما يكن ، فقد توضح من سير اعمال المؤتمر فيما بعد ان طابع المحادثات الثنائية كان الصفة البارزة في المراحل الاولى .

مهد كيسنجر للمؤتمر بزيارة قام بها للمنطقة في الفترة بين ١٣ و١٢/١٧ وزار فيها كلا من الجزائر ومصر والسعودية وسوريا والاردن ولبنان

واسرائيل وافتتح المؤتمر يوم ١٢/٢١ (ووفقـا « للاهرام » (١٢/٢٢) كان اول « **خلاف** » نشأ « عندما أصر وفد مصر واعترض وفد اسرائيل على وضع مائدة سابعة للوفد السوري المتغيب كذلك قالت الصحيفة المصرية ان الوفد الاسرائيلي اثـار « ازمة » بالنسبة لترتيب موائد الوفود ، وفـي الحالتين كانت رغبة الوفد المصري هي المتغلبة . كذلك قالت الاهرام انه « لم يتصـافح اعضـاء الوفدين العربيين مع اعضاء الوفد الاسرائيلي كما لم يتبادل احد تحية ولو بايماءة الرأس !! ») وكان اول المتحدثين كورت فالدهايم ، الامين العام للامم المتحدة ، تلاه اندريه جروميكو ، وزيـر الخارجية السوفياتي وهنري كيسنجر، ثم اسماعيل فهمي وزيد الرفاعي ، رئيس وزراء الاردن وزيـر خارجيته ، وفي جلسة بعد الظهر تكلم ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل ورد عليه فهمي . ولم تسفر المباراة الخطابية التي شهدتها جلسات الافتتـاح سوى عن تشكيل لجنـة عسكريـة مصريـة — اسرائيلية ، فقد صرح فالدهايم (١٢/٢٢) انه « بعد مداولات رسمية توصل المؤتمر الى اجماع حول اعماله من خلال تشكيل لجنة عمل عسكريـة ولجان عمل اخرى ايضا التي يرغب المؤتمر في أن تشكل في المستقبل . ان لجنة العمل العسكريـة ستبدأ بمناقشة مسألة فصل القوات وسترفع لجان العمل توصياتها الى المؤتمر الذي سيستمر فـي مستوى السفراء على الاقل . ويعود المؤتمر الـى الانعقاد في مستوى وزراء الخارجية في جنيف حسبما تقضي الحاجة في ضوء التطورات » .

وكان أمرا طبيعيا الا يشارك الاردن في هـذه اللجنة العسكرية بسبب عدم « ارتباط » قواتـه بالقوات الاسرائيلية . غير ان الوفد الاردني كما يظهر من تصريحات اعضائه كان يصر على اشـارة هذا الموضوع فقد ادلى الرفاعي بعد عودته من مؤتمر جنيف بتصريح قال فيه ان موضوع فصـل القوات المتحاربة في الشرق الاوسط « يجب الا يكون مقصورا على جبهة واحدة فقط بل يجب ان يشمل جميع الجبهات العربية مع اسرائيل بمـا فيها الاردن » (« الدستور » ١٢/٢٤) . ولا يوجد تفسير لهذا الاصرار الا واحدا من اثنين او كليهما معا . ان « استبعاد » الاردن من المرحلة الاولى من المفاوضات قد تعتبر ظاهرة خطيرة اذا هـي تكررت ، وبذلك فأن اصرار الاردن على التواجـد في جميع مراحل المفاوضات حتى العسكرية منهـا يكرس وجوده اصيلا فيها . والتفسير الثاني ان احتمال عودة القوات الاردنية عن خط النهر في حال مفاوضات فصل القوات يتيح للاردن في هـذه المرحلة المبكرة من المفاوضات — وقبل مشاركـة الطرف الفلسطيني في تقريـر مصـير الاراضي الفلسطينية المحتلة — اعادة الادارة الاردنية الى جزء من الضفة الغربية الامر الذي يضع العصي في عجلة المقاومة الفلسطينية في مطالبتها بان يكون لها حق تقرير مصير هذه المنطقة .

عقدت اللجنة العسكرية ست جلسات (١٢/٢٦ و ١٢/٢٩ اعلن بعدها عن تأجيل الجلسات الى ما بعد الانتخابات و١/٢ و١/٤ و١/٧ و١/٩ اعلن في ختامها عن تأجيل المباحثات الى ما بعد ستـة ايام) . ما الذي دار في تلك الجلسات ؟ ان البيانات التي كانت تصدر في اعقاب كل جلسة لا تشير الى ذلك فقد كانت مقتضبة غامضة . غير انه يبدو واضحا من خـلال التقارير الصحافية ان المحادثات كانت فاشلة . ففي اعقـاب الجلسة الثانية كتبت « الاهرام » (١٢/٣١) تقول ان مصر واسرائيل توصلتا الى اتفاق علـى بعـض المبادىء الخاصة بفك ارتباط قواتهما على جبهـة القناة . وقالت ان الجانبين اتفقا على تقسيـم المباحثات الى مرحلتين بحيث تناقش في المرحلة الاولى المبادىء التي سيتم على أساسها الفصل بين القوات وقد طرحت خمسة مبادىء في هـذا الصدد تم الاتفاق على بعضها ولا يزال البعـض الاخر قيد المناقشة . واضافت ان من بين هـذه المبادىء ان يكون المقصود من الفصل بين القوات ان تنسحب القوات الاسرائيلية الى نقطة ما على الضفة الشرقية للقناة وان تكون المسافة الفاصلة بين القوات المصرية والاسرائيلة نحو ٣٠ كيلومترا وان تكون قناة السويس خارجة عن مدى مدفعية القوات الاسرائيلية . وقالت ان هـذه المبادىء طرحت للمناقشة في البداية لانها يمكن ان تسـهل البحث في المسائل التفصيلية المقبلة . وذكرت ان المرحلة الثانية تتعلق بفصل القوات على الطبيعة وبشكل مفصل يحدد مواقع كل جانب . وذكرت ان الجانب المصري في المحادثات اوضح ان عودة القوات المصرية الى مواقع ما قبل ٦ تشرين الاول ليست مطروحة للمناقشة وان القوات الاسرائيلية هي الوحيدة التي يجب ان تنسحب الى مواقـع

اخرى . غير ان صحيفة « النهار » (١/١١) ذكرت في رسالة لها من القاهرة ان الشروط الاسرائيلية المرفوضة من جانب مصر والتي جمدت محادثات جنيف هي : ١ — ان تصدر مصر سلفا اعلانا رسميا بانهاء الحرب مع اسرائيل . ٢ — ان تنسحب القوات المصرية مسافة محددة بحجة ان بقاء هذه القوات المصرية في مواقعها الحالية ستعرض القوات الاسرائيلية المنسحبة من الغرب (منطقة الدفرسوار) الى نيران القوات المصرية ٣ — ان تعيد مصر الى منطقة الدفرسوار كل المهجرين الذين سبق ان تم تهجيرهم وحجة اسرائيل انه اذا تمت اعادة المهجرين فأن القوات المصرية لن تطلق النار على الاسرائيليين لانها في هذه الحالة ستصيب الاهالي والقوات الاسرائيلية معا. وقد زادت صحيفة « اخبار اليوم » المصرية (١/١٢) على ذلك في مقال لرئيس تحريرها احسان عبد القدوس ، بأن محادثات جنيف تعتبر فاشلة حتى الان كمحادثات الكيلومتر ١٠١ . وقال ان الاسرائيليين قالوا اكثر من مرة انهم لن ينسحبوا شبرا واحدا ان لم ينسحب المصريون شبرا في المقابل ، وانهم اقترحوا ان توضع الاراضي التي دار حولها النزاع الاخير في اشراف الامم المتحدة . والمقصود بهذه الاراضي تلك التي احتلها الاسرائيليون في الضفة الغربية من قناة السويس وتلك التي احتلها المصريون في الضفة الشرقية .

وبهذا تنتهي المرحلة الاولى من مفاوضات جنيف التي استدعى فشلها قدوم كيسنجر مرة اخرى الى المنطقة بادئا جولة جديدة في ١/١١ مستئنفا مرحلة ثانية من المفاوضات .

هل بدأت اسرائيل لعبة السير في الحلقة المفرغة ؟ حتى الان تشير الدلائل من خلال محادثات الكيلومتر ١٠١ ومفاوضات جنيف (مجموع الاجتماعات في الجهتين ١٦) الى ان الامر كذلك . ويزيد من قدرة اسرائيل على المراوغة الدعم الكبير الذي ضخته الولايات المتحدة الاميركية في شرايين اسرائيل ففي هذه المرحلة بالذات وافقت السلطات التشريعية في الولايات المتحدة على مشروع قانون الادارة بدعم اسرائيل بـ ٢٢٠٠ مليون دولار . وفي الوقت نفسه كان يبدو ان جبهة النفط التي ارادتها الدول العربية وسيلة تجبر فيها الولايات المتحدة بالضغط على اسرائيل ، قد أصابها نوع من الخرق . فقد اعلنت دول النفط العربية (١٢/٢٦) انها ستوقف الخفض الشهري لانتاجها من النفط وابقت على المقاطعة النفطية الكاملة حيال اميركة وهولنده وقد أعلن وزراء النفط العرب اثر اجتماع عقدوه في الكويت انهم قرروا زيادة انتاج النفط في دولهم في الشهر المقبل (كانون الثاني) بنسبة ١٠ بالمئة ، وبتطبيق الزيادة الجديدة يصبح معدل الانتاج في كانون الثاني ٨٥ ٪ من انتاج ايلول الماضي . بالاضافة الى ذلك فقد ذكرت مجلة « نيوزويك » الاميركية (١٢/٢٤) ان هناك ثغرات في الحظر على النفط العربي المفروض على الولايات المتحدة واضافت ان الولايات المتحدة تتلقى يوميا وبطرق ملتوية ٧٠٠ الف برميل من النفط لم تكن اصلا متجهة اليها . وذكرت المجلة انها استقت معلوماتها هذه من بعض كبار موظفي التجارة الاميركية . وقد القى ظلا من التصديق على هذه الواقعة تصريح وليم سايمون رئيس وكالة الطاقة الاتحادية الاميركية فقد اعلن في واشنطن انه يأمل « ان يستمر تسرب واردات النفط الذي ظهر منذ فرض الحظر العربي على شحن النفط الى الولايات المتحدة » (النهار ١/٨). واذا صدقت هذه الوقائع فأن استبداد اسرائيل في مفاوضات السلام ستكون بلا سقف تقف عنده ، الامر الذي يثير اكثر من تساؤل عن مصير المفاوضات والمؤتمر الذي تتم باطاره .

ع . س .

ملحق القضية الفلسطينية عربيا : النظام الاردني ومؤتمر جنيف

بالرغم من تهديد النظام الاردني بلسان الملك حسين ورئيس وزرائه زيد الرفاعي ، بعدم حضور مؤتمر جنيف الخاص بالشرق الاوسط ، فيما اذا اعتمد مؤتمر القمة العربي الذي عقد في أواخر شهر تشرين الثاني الماضي بالجزائر ، مشروع القرار المقدم له من مؤتمر وزراء الخارجية العرب باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، بالرغم من ذلك التهديد فقد قررت الحكومة الاردنية حضور مؤتمر جنيف دون الاعلان عن مصير شرطها السابق الذي

علقت به حضورها مؤتمر جنيف . (راجع شؤون الفلسطينية عدد ٢٩ ، ملحق القضية الفلسطينية عربيا) .

صحيح ان القرار الاردني القاضي بحضور مؤتمر جنيف للسلام قد اتخذ رغم تحفظ الاردن على قرار مؤتمر القمة حول تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني ، وجاء بعد اتصالات اجراها الممثل الشخصي للملك وسفيره بالقاهرة مع المسؤولين المصريين ، الا ان عدم الاعلان عن سبب تراجع الحكومة الاردنية عن شرطها السابق وعدم اعلانها عن فحوى اتصالاتها مع الاطراف العربية المعنية ، قد أبقيا على الغموض الذي يكتنف التحرك السياسي الاردني ازاء هذه المسألة . والشيء الوحيد الذي ظل معلنا وصريحا هو الموقف الاردني من مسألة التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني . ففي مقابلة أجرتها مجلة « العروبة » التي تصدر في قطر عشية انعقاد مؤتمر جنيف ، قال رئيس الديوان الملكي الاردني بهجت التلهوني : « ان الاردن يعتبر الامة العربية بأسرها مسؤولة عن تمثيل الشعب الفلسطيني ، فهو يعتبر كل دولة عربية تمثل القضية الفلسطينية والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني حتى يتمكن من استرداد حقوقه وتحرير ارضه وارادته ، ويختار الممثل الحقيقي لارادته المستقلة » . وقال التلهوني ان الخيارات المتاحة امام الفلسطينيين بعد التحرير هي كما رسمها الملك على النحو التالي : « اما البقاء مع الاردن او الاتحاد معه او الانفصال عنه ، حيث سيجري استفتاء عام تحت اشراف دولي يختارون فيه نظام الحكم الذي يرغبون فيه والمستقبل الذي يرتضونه» (الدستور الاردنية ١٩٧٣/١٢/١٦) .

وفيما كان وفد الاردن الى مؤتمر جنيف يشد حقائبه استعدادا للسفر ، اعلن في دمشق عن عدم حضور وفد سوري اجتماعات المؤتمر التي تقررت في يوم ١٩٧٣/١٢/٢١ . وقد ارتأى النظام الاردني في هذه الخطوة السورية مجالا للمناورة وللكسب السياسي على حساب الموقف المصري . فقد دلت التحركات الاردنية التي جرت عقب الاعلان السوري عن عدم حضور المؤتمر ، على نية النظام الاردني في تشكيل محور سوري — اردني في مواجهة التحرك السياسي المصري . وقد قالت مصادر صحفية في ذلك الوقت ان الاردن أبدى استعداده للانسجام مع الموقف السوري بهدف احراج حضور مصر لمؤتمر جنيف . الا ان سوريا ، كما قالت تلك المصادر الصحفية ، رفضت ذلك وأكدت ان موقفها هذا جرى بمعرفة مسبقة من الحكومة المصرية ، وان التنسيق ما زال قائما بين البلدين اللذين خاضا معا حرب تشرين .

فك ارتباط القوات الاردنية — الاسرائيلية

كانت دعوة زيد الرفاعي خلال المؤتمر الى « فك ارتباط » القوات الاردنية — الاسرائيلية على الجبهة الاردنية ، ليس ابرز علامة من علامات التحرك السياسي الاردني خلال مؤتمر جنيف فحسب ، وانما محاولة من جانب الاردن لاستثمار الوضع السياسي الراهن للحصول على اكبر المكاسب والمزايا التي يمكن بها ومن خلالها استبعاد الدور المتوقع لمنظمة التحرير الفلسطينية التي حظيت باقرار من القمة العربية ومؤتمر قمة دول عدم الانحياز بتمثيلها للشعب الفلسطيني . فقد طلب زيد الرفاعي من السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة ومن الوفود التي حضرت مؤتمر جنيف — كما قالت الدستور — ان يطبق على « الجبهة الاردنية — الاسرائيلية ما يطبق على الجبهات الاخرى من حيث فصل القوات » . وقال الرفاعي ان موضوع البحث أمام مؤتمر جنيف « يجب ألا يقتصر على جبهة واحدة من جبهات المواجهة مع اسرائيل بل ان يشملها جميعا » . وقال الرفاعي أيضا بعد الجلسة السرية « ان الجبهة الاردنية — الاسرائيلية تمتد على خط طويل يشمل نهر الاردن بطوله والبحر الميت ووادي عربة وان هذه الجبهة تعرضت منذ عام ١٩٤٨ الى ثلاث حروب اشتبكت فيها القوات الاردنية مع القوات الاسرائيلية » . واضاف رئيس الوفد الاردني الى مؤتمر جنيف قائلا : « ان الاردن انطلاقا من كونه وافق على قرارات الامم المتحدة رقم ٢٤٢ و٣٣٨ فان ما ينطبق على جبهات القتال الاخرى يجب ان ينطبق على الجبهة الاردنية . وقال انه لا يوجد مانع طبيعي ذو بال بفصل بين القوات الاردنية والقوات الاسرائيلية اذ ان نهر الاردن يضيق عرضا حتى عن قناة السويس على سبيل المثال . وقال ان الوفد الاردني يصر على وضع هذا الموضوع مادة اولى للبحث » (الدستور ١٩٧٣/١٢/٢٣) .

ولدى عودة الوفد الاردني من مؤتمر جنيف بعد انتهاء المرحلة الاولى منه ، بانجاز واحد هو تشكيل لجنة عمل عسكرية مصرية — اسرائيلية

لبحث فك ارتباط القوات المتحاربة على جبهة قناة السويس ، قال الرفاعي في عمان : ان موضوع فصل القوات المتحاربة في الشرق الاوسط « يجب الا يكون مقصورا على جبهة واحدة فقط بل يجب ان يشمل جميع الجبهات العربية مع اسرائيل بما فيها الاردن » (الدستور ١٩٧٣/١٢/٢٤) . وكان التلفزيون الاردني قد بث مقابلة خاصة مع زيد الرفاعي رئيس وفد الاردن ، سجلت في جنيف خلال انعقاد المؤتمر ، وجاء فيها قوله « انه بحث موضوع اشتراك الاردن في فصل القوات المتحاربة مع الامين العام لهيئة الامم المتحدة ومع معظم الوفود التي اشتركت في مؤتمر جنيف . كما انه أثار هذه المسألة في الجلسة المغلقة التي عقدها المؤتمر . واضاف يقول انه لم يجد اية معارضة من اي فريق لوجهة نظر الاردن هذه » . ودلل الرفاعي على وجهة النظر هذه ، مرة اخرى ، بأن نهر الاردن يضيق عرضا عن قناة السويس وان الجيشين متقابلان وجها لوجه ، وانه قد حدث بينهما في السابق عدة حروب (الدستور ١٢/٢٤/ ١٩٧٣) .

ويفهم من هذا التصور الاردني لمسألة انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية المحتلة عن طريق « فك ارتباط » القوات الاردنية — الاسرائيلية في منطقة الاغوار ، انه ستجري انسحابات اسرائيلية الى الخلف مقابل انسحاب القوات الاردنية عن خط المواجهة ، وبذلك تدار اية منطقة يجري انسحاب اسرائيلي منها مستقبلا، بواسطة الشرطة او رجال البادية ، وتفرض فيها الادارة المدنية الاردنية تدريجيا ، وتدار سياسيا في المستقبل بمعزل عن الممثلين الشرعيين الحقيقيين لسكانها الفلسطينيين ، ونعني بذلك منظمة التحرير الفلسطينية . اي ان الامر كما وصفته احدى صحف الضفة الغربية بأن « تسليم وتسلم » بين الاردن واسرائيل ، لاجهاض امكانية اي حضور سياسي فلسطيني مستقل ومتميز في الضفة الغربية. وينسجم هذا التصور مرة اخرى ، مع الطرح الاردني الذي جرى شرحه كثيرا من المسؤولين الاردنيين ، والقائل ان موضوع الانسحاب الاسرائيلي هو الاهم، وان مسألة التمثيل السياسي للفلسطينيين يجب أن يجري بحثها في مرحلة لاحقة، عن طريق اجراء استفتاء للفلسطينيين يقررون فيه نوعية الحكم الذي يريدون . فقد قال بهجت التلهوني في مقابلة صحفية له مع مجلة الديار اللبنانية ، بعد انتهاء المرحلة الاولى من اجتماعات مؤتمر جنيف : « لا اعتقد ان موضوع تمثيل الفلسطينيين في هذه المرحلة بالذات يستوجب كل هذه المناقشات . فالمسألة ببساطة ان هناك ارضا شرد شعبها عنها وان البحث في كيف تدار شؤون هذا الشعب بعد ان يعود الى وطنه امر يستلزم بصورة اولية وبديهية ان تعود هذه الارض اولا الى شعبها ومن ثم يصار الى تقرير نوع الحكم الملائم . واكد ان تحرير الارض يجب ان يسبق موضوع البحث في الحكم » (الدستور ١٢/٢٥/ ١٩٧٣) .

وتأخذ خطورة الدعوة الاردنية « لفك ارتباط » القوات الاردنية — الاسرائيلية على الجبهة الشرقية ، من عدم اعتراض اي طرف مشارك في مؤتمر جنيف لهذه الدعوة ، ومن ترحيب ييجال ألون نائب رئيسة الحكومة الاسرائيلية بهذه الفكرة . واذا كان لنا أن نتصور ان عدم اعتراض ، بل وترحيب ، كل من الوفدين الاسرائيلي والاميركي لدى مؤتمر جنيف بهذه الفكرة ، نابع بالاساس من اعتراض الحكومتين الاسرائيلية والاميركية على اية امكانية لان تجري التسوية بما لا يخدم المصالح السياسية للنظام الاردني ، فان لنا ان نتصور ان الوفد المصري لم يكن له ان يعترض منطقيا على فكرة الدعوة « لفك ارتباط » القوات الاردنية — الاسرائيلية، وهو الذي يطالب بفك القوات المصرية الاسرائيلية على جبهة قناة السويس . اما الوفد الاخر من وفود مؤتمر جنيف فهو الوفد السوفياتي، الذي لا يمكن ان يكون داعيا لفك القوات على جبهة واحدة وضد فكها على جبهة اخرى ، انسجاما ، ليس مع العرف الدبلوماسي فحسب ، وانما مع دعوته القائمة منذ اكثر من ست سنوات، والمطالبة بانسحاب القوات الاسرائيلية من كافة الاراضي العربية المحتلة .

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

في ١٩٧٣/١٢/٢١ افتتح الامين العام لهيئة الامم مؤتمر جنيف للسلام بحضور وفود كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ومصر والاردن واسرائيل . ألقى فالدهايم الخطاب التقديمي الذي شدد فيه على (١) ضرورة تحقيق التقدم حول فك التحام القوات المتحاربة على جبهة السويس ، (٢) ضرورة اغتنام هذه الفرصة لحل مشكلة النزاع في الشرق الاوسط لان العالم يواجه وضعا خطيرا ومتفجرا في هذه المنطقة ، (٣) ان وقف اطلاق النار وترتيبات المحافظة عليه التي اتخذتها هيئة الامم هشة وهناك احتمال كبير بتجدد القتال ما لم يحقق المؤتمر تقدما ملموسا، (٤) ان اساس هذا المؤتمر هو قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الداعي الى وقف اطلاق النار في الحرب الاخيرة والى اجراء مفاوضات بين الاطراف المتنازعة لاقامة سلام عادل ودائم في المنطقة على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

وكان غروميكو اول الخطباء من رؤساء الوفود وكان أهم ما جاء في خطابه الواضح والمركز ما يلي : (١) أهمية تحقيق السلام في الشرق الاوسط بالنسبة لمصير العالم أجمع ومستقبله ، (٢) أن يؤدي المؤتمر الى التزام واضح من قبل اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، (٣) أن تضمن التسوية حق جميع شعوب المنطقة العيش بأمن وسلام بما في ذلك اسرائيل بالاضافة الى « تحقيق العدالة بالنسبة للشعب الفلسطيني » ، (٤) يجب ان تحمل الوثائق التي تصدر عن المؤتمر قوة القانون الدولي ، (٥) اشار الى امكانية شمول تسوية النزاع اقامة مناطق مجردة من السلاح واستخدام القوات الدولية . وأكد عزم بلاده على المساهمة في مثل هذه الخطوات شرط ان تكون مقبولة لجميع الاطراف المعنية ، (٦) شدد على أن الاتحاد السوفياتي مصمم على أن يعمل كل ما في وسعه لضمان سير المؤتمر على أسس بناءة لتحقيق السلام الدائم في الشرق الاوسط .

جاء خطاب كيسنجر تعبيرا ممتازا عن «الغموض» المتعمد الذي يلف الموقف الامريكي العلني والرسمي من النزاع في المنطقة وهو غموض يعكس بدوره النتائج الموضوعية غير الحاسمة التي توصلت اليها الحرب العربية الاسرائيلية الاخيرة . وركز رئيس الوفد الامريكي في خطابه على النقاط التالية: (١) ان المشاورات التي أجراها مؤخرا مع حكومات دول الشرق الاوسط أقنعته بأن المهمة الاولى للمؤتمر يجب ان تكون تحقيق اتفاق حول فك التحام القوات العسكرية . مع الاشارة الى ان هذا الترتيب يجب ان يشمل سوريا والاردن في المستقبل ، (٢) ان اتفاق السلام يجب ان ينص على انسحاب اسرائيلي (بدون تحديد مدى هذا الانسحاب) من الاراضي العربية المحتلة ، وعلى حدود معترف بها وترتيبات أمنية مثل اقامة مناطق مجردة من السلاح وضمانات دولية للحدود ، وعلى تسوية المصالح المشروعة للفلسطينيين والاعتراف بأن القدس تحوي اماكن مقدسة للديانات الثلاث الكبرى .

وربما كان المقطع التالي من خطاب كيسنجر أفضل دليل على « الغموض » المتعمد الذي يلف الموقف الامريكي : « يتطلب السلام منا ربط ضرورات الانسحاب بحاجات الامن، وربط ضرورات ضمانات الحدود بسيادة الاطراف المعنية ، وربط آمال المشردين بالحقائق القائمة الان » . أما كيف سيتم هذا الربط عمليا وماذا سيعني على صعيد التنفيذ العملي (وخاصة على صعيد انسحاب اسرائيل الكامل وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره) فهذا ما لم يوضحه كيسنجر على الاطلاق. (٣) يجب ان يكون الهدف الاخير للمؤتمر تنفيذ كل أجزاء قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، (٤) ان الولايات المتحدة تنوي تسهيل قيام مفاوضات واقعية بين الدول العربية المعنية واسرائيل وتقديم اقتراحات الى الجانبين اذا كان ذلك سيحقق تقدم المفاوضات باتجاه النجاح .

وشدد رئيس الوفد المصري في خطابه على ان مصر جاءت الى المؤتمر بهدف خلق سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط وان البلدان العربية ما زالت مستعدة للجوء الى وسائل اخرى لتحرير أراضيها واستعادة الحقوق المشروعة للفلسطينيين ان لم يحرز المؤتمر نجاحا بهذا الاتجاه . ثم حدد الخطيب المبادىء الضرورية للسلام على النحو التالي :

١ — انسحاب القوات الاسرائيلية الكامل من

الاراضي التي احتلت منذ ١٩٦٧ .

٢ — تحرير مدينة القدس العربية وعدم القبول بأي وضع قد يسيء الى السيادة العربية الكاملة على المدينة المقدسة .

٣ — ممارسة الفلسطينيين حق تقرير المصير والعيش بسلام وكرامة .

٤ — حق كل دولة في المنطقة في حدود غير قابلة للانتهاك وفي الاستقلال السياسي .

٥ — ضرورة وجود ضمانات دولية من الدول الكبرى او الامم المتحدة او الجبهتين معا كضمان آخر للسلام والامن في المنطقة .

ومما لفت الانتباه ان خطاب الوفد المصري لم يشر بشيء الى موضوع انسحاب القوات الاسرائيلية الى خطوط ٢٢ تشرين الاول ١٩٧٣ وهو الموضوع الذي دارت حوله مفاوضات الكيلومتر ١٠١ على طريق القاهرة السويس بين العسكريين المصريين والعسكريين الاسرائيليين . وقد ترددت انباء صحفية تفيد ان تجنب مصر الدخول في هذا الموضوع جاء نتيجة طلب كيسنجر من الرئيس السادات عدم الخوض في مسألة انسحاب اسرائيل الى خطوط ٢٢ تشرين الاول وتطبيق قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ ، والتركيز بدلا من ذلك على تحقيق تسوية مصرية — اسرائيلية تستند الى القرار ٢٤٢ وتنهي النزاع بين البلدين بصورة جذرية مما سيكون له تأثير ايجابي كبير في تشجيع بقية الفرقاء العرب على الاقتداء بمصر والقيام بمحاولات مشابهة لتسوية نزاعهم مع اسرائيل .

اما رئيس الوفد الاردني فقد شدد في خطابه على رفض فكرة التسويات الجزئية للنزاع باعتبار ان قضايا مثل « الانسحاب ورسم الحدود وحقوق الفلسطينيين واللاجئين والواجبات المترتبة على حالة السلام ووضع القدس » ، كلها قضايا مشتركة والمسؤولية العربية فيها جماعية . ثم أورد النقاط التالية باعتبارها الموضوعات الرئيسية التي على المؤتمر ان يبت فيها :

١ — انسحاب اسرائيل الكامل من الاراضي التي احتلت بعد حزيران ١٩٦٧ . ويجب اعداد برنامج وجدول زمني لهذا الانسحاب والموافقة عليهما .

٢ — يجب الاعتراف بالحدود الدولية لدول المنطقة واحترامها بالاضافة الى وحدة اراضي هذه الدول وسيادتها واستقلالها .

٣ — يجب في الحالات التي لا توجد فيها حدود دولية بين دولة عربية واسرائيل اقامة مثل هذه الحدود بالاتفاق ووفق مبدأ عدم القبول بالاستيلاء على الاراضي بالقوة .

٤ — يجب التعهد بحق كل دولة في المنطقة بالعيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها دون تهديد او قوة وضمان هذا الحق .

٥ — يجب تحقيق الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وفق قرارات الامم المتحدة ، كما ان على اللاجئين الفلسطينيين ان يمارسوا حقهم في العودة او التعويض عليهم وفق القانون والعدل .

٦ — ان القدس العربية جزء لا يتجزأ من الاراضي العربية المحتلة. ولذلك يجب على اسرائيل ان تتخلى عن سلطتها عليها. ويجب اعادة السلطة العربية على القطاع العربي من المدينة . ويجب المحافظة على الاماكن المقدسة لكل الديانات السماوية الثلاث وحمايتها واحترامها بالاضافة الى ضمان الوصول دون عائق من جانب اتباع هذه الديانات والمحافظة على ذلك .

وكان آخر الخطباء أبا ايبان الذي ألقى كلمة كانت آية في التصلب والاستفزاز مما اضطر كلا من غروميكو ورئيس الوفد المصري الى الرد عليه مباشرة قبل رفع الجلسة ، وكان تعليق الوزير السوفياتي الموجه الى ايبان هو ان الخطاب الاسرائيلي لم يترك ، منذ البداية ، أية فرصة لمزيد من البحث . وتساءل الوزير المصري بسخرية اذا كان ايبان يتوقع من الدول العربية ترك اسرائيل تضم الاراضي المحتلة بحجة الامن خاصة وان كلمة انسحاب لم ترد في الخطاب الاسرائيلي. وكان أهم ما جاء في خطاب ايبان :

(١) قوله ان هدف المؤتمر هو عقد مفاوضات سلام بين اسرائيل وجيرانها مع التنديد بحرب تشرين الاول معتبرا اياها حربا موجهة ضد اسرائيل نفسها .

(٢) ان مهمة المؤتمر في تحقيق السلام لن تكون سهلة وأنها لن تكون سريعة بالتأكيد لان في ذلك نقضا للتيار التاريخي العنيف الذي يسيطر على العلاقات العربية الاسرائيلية .

(٣) التنديد بقوة بسوريا وقوله بأن هذا البلد « غير مؤهل بعد للاشتراك في مؤتمر السلام » .

(٤) تحديه لحق منظمة التحرير في حضور المؤتمر في مراحله اللاحقة باعتبار المنظمة هي « القوة الدافعة وراء موجة اعمال العنف التي نقلت الصراع في الشرق الاوسط الى العالم كله » على حد قوله .

على الرغم من التباين الواضح في وجهات النظر العلنية الواردة في كلمات الوفود في جنيف فقد توصل المؤتمر في جلسة سرية لاحقة الى اتفاق على عقد مفاوضات عسكرية فورية بين مصر واسرائيل هدفها التوصل الى اتفاق حول فك التحام قوات الطرفين على جبهة السويس . كما تم الاتفاق على تشكيل لجان عمل أخرى للبحث في قضايا أخرى متنوعة تتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي . ولم تحدد البيانات العلنية طبيعة هذه اللجان او ماهية المواضيع التي ستبحث فيها . وقد تم اعلان ذلك في بيان أصدره الامين العام لهيئة الامم في ٢٢/١٢/١٩٧٣ حيث ذكر « أن لجان العمل سترفع توصياتها الى المؤتمر الذي سيستمر انعقاده على مستوى السفراء » .

وذكر ناطق اسرائيلي ان المواضيع التي ستعالجها لجان العمل غير العسكرية تشمل « مسائل مثل التجارة والتعاون الاقتصادي والدبلوماسي الثنائي والزراعة والملاحة » . وقد وصف ناطقون رسميون مصريون واسرائيليون في مؤتمرين صحافيين منفصلين في جنيف الجلسة السرية لمؤتمر السلام بأنها كانت جلسة عمل خالية من المهاترات وبأنها تشكل بداية طيبة للمرحلة القادمة من المفاوضات بين الطرفين المعنيين . وصرح كيسنجر قبل مغادرته جنيف ان المرحلة الاولى من مؤتمر السلام قد حققت الى حد بعيد الهدف المرجو منها لانها نجحت في تسوية المسائل الاجرائية والتنظيمية . كما عبر الوزير الامريكي عن انتعاش آماله ، نتيجة لذلك ، في تحقيق السلام في المنطقة وعن افتخاره واعتزازه بجمع الفريقين العربي والاسرائيلي في مؤتمر واحد لاول مرة . كذلك عقد اسماعيل فهمي مؤتمرا صحفيا قبل مغادرته جنيف (٢٣/١٢/١٩٧٣) كان أهم ما فيه تأكيده بأن « الفلسطينيين سيحضرون المؤتمر وسيحصلون على حقوقهم الوطنية » . كما أكد الشيء نفسه لممثل منظمة التحرير الذي ادلى بتصريح في ٢٦/١٢/١٩٧٣ قال فيه ان فهمي أوضح له كل ما جرى في مؤتمر جنيف منذ افتتاحه وكل نتائج الاتصالات التي قام بها الوفد المصري مؤكدا له « أهمية الحضور الفلسطيني في مرحلة مقبلة من المؤتمر » . وينسجم هذا التصريح لممثل منظمة التحرير مع الانباء الصحفية — الموثوقة التي أفادت ان الوزير المصري شدد على اهمية وجود طرف فلسطيني في مؤتمر السلام يستطيع ان يمثل كامل الشعب الفلسطيني في كل مكان وان الصيغة المقبولة لذلك على الصعيد العالمي هي تأليف حكومة فلسطينية .

اما بالنسبة للجنة العسكرية المصرية — الاسرائيلية في جنيف فقد استمرت في عقد اجتماعاتها للاتفاق على فك التحام القوات في جبهة السويس. ويمكننا تلخيص أهم التطورات التي أحاطت بهذه الاجتماعات على النحو التالي :

(١) اعلان الجنرال سيلاسفيو ، قائد قوات الطوارىء الدولية ، الذي يرئس المحادثات في ٢/١/١٩٧٤ « ان الطرفين توصلا الى مرحلة مهمة في المفاوضات » وصدور انباء في الصحافة المصرية تفيد ان الاتفاق على فك التحام القوات على جبهة السويس سيتم قريبا على اساس انسحاب اسرائيلي لمسافة تبعد ٣٠ كيلومترا عن القناة داخل سيناء (راجع « الاهرام » ٣١ كانون الثاني ١٩٧٣) . (٢) قيام دايان بزيارة واشنطن في بداية العام الجديد حيث قابل كيسنجر ووزير الدفاع الامريكي . وأعلن ناطق باسم البيت الابيض ان مباحثات دايان — كيسنجر ستتناول مؤتمر جنيف وقضية فك التحام القوات الاسرائيلية المصرية . وعلى اثر انتهاء زيارته صرح وزير الدفاع الاسرائيلي بأن بلاده « اصبحت الان في وضع تستطيع معه تقديم اقتراحات ملموسة حول فك التحام القوات على جبهة السويس » ، وان الحكومة الاسرائيلية ستعد اقتراحات ملموسة ، حال وصوله الى تل ابيب ، بهدف عرضها على المفاوضين العرب في جنيف . وعلق كيسنجر على المحادثات بقوله انها « كانت مفيدة وبناءة » ونفى ان تكون هناك اية مواجهة بين واشنطن وتل ابيب قائلا بأن العكس هو الصحيح « لانه لا يوجد اي فارق يذكر بين الموقفين » .

وترددت انباء صحفية تفيد ان مصادر اسرائيلية

مطلعة ذكرت ان دايان حمل معه الى واشنطن خطة لانسحاب القوات الاسرائيلية من ضفتي القناة الى مسافة ٣٠ كيلومترا داخل سيناء مما سيفسح المجال أمام مصر لاعادة فتح قناة السويس . وستفصل قوات دولية بين الجيوش المتحاربة (وفقا لما تردد حول خطة دايان) وتخفف مصر من كثافة وجودها العسكري على الضفة الشرقية من القنال بالاضافة الى السماح للسفن الاسرائيلية بالمرور فيها. (٣) قيام كيسنجر بزيارة مصر واسرائيل في منتصف كانون الثاني من أجل « مساعدة الفريقين على تطوير المفاوضات الخاصة بفصل قواتهما وفك الارتباط بينها » على حد تعبير البيان الذي صدر عن البيت الابيض عشية سفر كيسنجر الى المنطقة . وصرح كيسنجر لدى وصوله الى مصر بأنه « سيقوم بنشاط كبير باتجاه اتخاذ خطوة كبيرة نحو السلام في الشرق الاوسط » . واستقبل الرئيس السادات الوزير الامريكي في اسوان قائلا « اننا نرحب بكيسنجر كصديق » . وذكرت مصادر دبلوماسية امريكية ان كيسنجر سيعرض على الرئيس السادات الصيغة التي ناقشها مع دايان اثناء زيارة الاخير لواشنطن حول فك التحام القوات على جبهة السويس ، كما ذكرت مصادر مصرية مطلعة ان المحادثات مع الرئيس السادات تناولت القضايا التالية :

(١) تحديد المسافة التي ستفصل بين القوات المسلحة المصرية والاسرائيلية .

(٢) كيفية ربط اتفاقية فك التحام القوات بالتسوية الشاملة للنزاع العربي الاسرائيلي .

(٣) حجم المنطقة المجردة من السلاح والتي ستستقر فيها قوات الطوارىء الدولية لفترة ما .

(٤) نوع الاسلحة التي سيسمح للقوات المسلحة التزود بها وكميتها .

وترددت انباء صحفية شبه مؤكدة اثناء زيارة كيسنجر ان الاتفاق بين مصر واسرائيل على فك التحام قواتهما قد تم انجازه وان تفاصيله ستعلن في نهاية جولة الوزير الامريكي . وعلى اثر اجتماعاته بالرئيس السادات غادر كيسنجر اسوان الى اسرائيل لمقابلة كبار المسؤولين هناك على ان يعود الى اسوان مرة اخرى لانهاء مهمته . ويبدو ان محادثات كيسنجر في اسرائيل كانت ناجحة اذ أعلنت الحكومة الاسرائيلية في بيان رسمي انها خولت الوزير الامريكي صلاحية تقديم اقتراح الى مصر بصدد فك التحام القوات في جبهة السويس، وأنها طلبت منه ان يعرب عن استعداد اسرائيل للتفاوض بشأن فك التحام قواتها مع قوات سوريا شريطة ان تقدم الحكومة السورية لائحة بأسماء أسرى الحرب الاسرائيليين والسماح لمندوبي الصليب الاحمر الدولي بزيارتهم . وحتى كتابة هذه السطور كان كيسنجر ما زال في طريق عودته الى اسوان لعرض نتائج مباحثاته في اسرائيل على الرئيس السادات .

● سجلت جبهة النفط تراجعا في مواقفها على الرغم من ان محادثات جنيف لم تسفر عن اية نتائج ايجابية ملموسة باتجاه التزام اسرائيل بالانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة . ففي ٢٦ كانون الاول أعلن وزراء النفط العرب على اثر اجتماع لهم ليس فقط التوقف عن الخفض الشهري الذي كانت قد التزمت به دولهم سابقا (بنسبة لا تقل عن ٥ ٪) الى ان تتعهد اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة وتضمن الولايات المتحدة هذا التعهد علنا ، بل المباشرة بزيادة الانتاج بنسبة ١٠ ٪ مع ابقاء الحظر على شحن البترول الى امريكا وهولندة قائما . وبررت الدول العربية المعنية هذا الاجراء بقولها على لسان وزير النفط السعودي ـ احمد زكي اليماني ـ بأن تغييرا قد حدث بالفعل في نظرة الولايات المتحدة الامريكية الى النزاع العربي ـ الاسرائيلي وان هذا التغير قد شمل الرأي العام وأوساط الكونغرس الامريكي .

وبطبيعة الحال رحبت كل الدول الامبريالية بالاجراء وعلى رأسها الولايات المتحدة حيث وصف الرئيس نيكسون القرار النفطي العربي بأنه « خطوة في الاتجاه الصحيح » .

الا ان هذه الخطوة العربية البترولية لم تمنع كبار المسؤولين الامريكيين من العودة الى التهديد المفتوح والنصح باستخدام القوة للسيطرة على مصادر النفط وتأمين استمرار تدفقه الى الدول الصناعية الغربية . ففي ١٩٧٣/١/٦ قال وزير الدفاع الامريكي في تصريح له « ان الدول العربية ستواجه خطر استخدام القوة ضدها اذا هي استخدمت حظر النفط لشل العالم الصناعي » كما أعلن نائب الرئيس نيكسون في ١٩٧٣/١/٨ ان بلاده

قد تقدم على وقف شحن المنتوجات الغذائية الى الدول العربية اذا استمر حظر النفط على امريكا طويلا . وقد اضطرت هذه التصريحات الاستفزازية حكومة الكويت الى الاعلان بأنها لغمت حقول النفط تمهيدا لنسفها في حال قيام الولايات المتحدة او اية قوة أخرى بالتدخل في المنطقة . وجدير بالذكر ان السعودية كانت قد اصدرت اعلانا مشابها قبل فترة قصيرة على اثر تهديدات امريكية مماثلة صدرت قبل حين .

أخيرا لا بد من الاشارة الى تطورين دوليين جزئيين لهما صلة بموضوعنا : (١) وقع الرئيس نيكسون القانون الذي يعطي اسرائيل مساعدات امريكية طارئة قيمتها ٢ر٢ مليار دولار فأخذ بذلك صفة الابرام . (٢) قابل البابا في ١٩٧٣/١٢/٢٢ أربعة من الزعماء الافريقيين بينهم هيلاسيلاسي والرئيس جعفر النميري وذكر البيان الذي صدر على اثر المقابلة ان المحادثات شملت قضية التسوية العادلة لازمة الشرق الاوسط مع أخذ الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني بعين الاعتبار ، وان مدينة القدس يجب الا تظل تحت سيطرة ديانة واحدة كما يجب تسوية وضعها على اساس القرارات الصادرة عن هيئة الامم بهذا الشأن .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

في ضوء المساعي الراهنة لاحداث تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي ، يتقرر فيها ، اذا ما نجحت ، مصير المناطق المحتلة ، لا بد من الوقوف قليلا عند أبعاد هذه التسوية ، وهل يمكن لها ان تتم وهل يمكن لها ان تدوم ؟ فيما يتعلق بالشطر الاول من السؤال يمكن القول ان احتمالات قيامها كبيرة بفضل عوامل محلية ودولية ، اما فيما يتعلق بالشطر الثاني من السؤال فان دوامها يعتبر ضربا من المحال ، ولا يمكن لها ان تعمر طويلا ، ذلك ان هذه التسوية بالذات تعتبر حلا وسطا ليس بين حركتين يمكن التعايش بينهما ، كما حصل في كثير من النزاعات ، بل بين حركتين متناقضتين تماما ، الحركة الاولى استطاعت ان تأخذ جزءا من الارض العربية ، والثانية تريد استرداد هذا الجزء ، الاولى شردت اصحاب الارض الشرعيين وغرست ولا زالت تغرس مستوطنين فيها ، والثانية تريد اعادة اصحاب الارض اليها ، الاولى تسعى الى التوسع لابتلاع اراض جديدة معتبرة هذا التوسع بمثابة « استعادة لارض اسرائيل الكبرى » والثانية تعمل جهدها لوقف التوسع ، الاولى مرتبطة ارتباطا مصيريا مع الاستعمار ، والثانية مرتبطة ارتباطا مصيريا مع حركات التحرر العالمية المناهضة للاستعمار ، الاولى حركة عنصرية امبريالية تأخر ظهورها لسوء حظها بفترة تقدر بنصف قرن عن ظهور الحركات الاستعمارية الاستيطانية في العالم ، والاخرى مناوئة للعنصرية وتسعى كما سعت حركات اخرى وتخلصت من الاستعمار الاستيطاني . ان واقع وجود هاتين الحركتين في منطقة واحدة يعني استمرار الصراع بينهما ، ولا يمكن له ان ينتهي الا في حالة واحدة عندما يلفظ الوجود احداهما ، بيد ان ذلك لا يعني عدم امكانية حدوث « تسوية » فكثيرا من الصراعات وحتى الصراع العربي الاسرائيلي وهو من اكثر الصراعات حدة ، قد شهدت فترات هدوء او سكون او هدنة ، أعقبتها فترات عصفت بحالات الهدوء والسكون والهدنة . ان التسوية التي تفرض على المنطقة ستكبح جماح الحركتين المتنازعتين الى حين ، لتدخل المنطقة في مرحلة جديدة وسياق تاريخي جديد يتسم بتجربة فريدة من نوعها في تاريخ الحملات الاستيطانية تتمثل في كيفية التعايش ولو لفترة بين مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، وبين اصحاب الارض الشرعيين . واذا حدث وان وضع حد للقضية الفلسطينية من خلال التسوية المقبلة ، بهذا الشكل او ذاك ، لهذا السبب او لسبب آخر ، فان ذلك سينعكس

بالضرورة سلبا على حركة التحرر العربي خلال السياق التاريخي الذي يمكن للتسوية ان تطبعه بطابعها . ذلك ان القضية الفلسطينية كانت ولا تزال تشكل اداة تفجير في المنطقة العربية لصالح حركة التحرر العربي . خلال عملية تخدير الصراع والتي يمكن لها ان تستمر في احسن الافتراضات عشرين عاما ، ستبذل الحركة الصهيونية كافة جهودها وطاقاتها لتسخير الفترة لصالحها . ومن بين أهم الامور التي ستعمل على تحقيقها وأخطرها مضاعفة عدد سكان اسرائيل خلال العشرين سنة القادمة الى ثلاثة اضعاف العدد الحالي اي ٩ ملايين نسمة بواسطة الهجرات اليهودية . ويعتقد اريه الياف احد منظري حزب العمل الحاكم ويرئس مجموعة ما يسمى « بالمعتدلين » في الحزب ، انه بامكان اسرائيل استيعاب هذه الملايين التسع في حالة « التوسع العمودي » دون التوسع في الاراضي العربية ، الا ان هذا التوسع العمودي اذا ما تم سيذكي رغبة اسرائيل في التوسع الافقي، وسيلقي بظلاله الثقيلة على المناطق العربية المتاخمة ، حينئذ سينتهي مفعول ابرة التخدير « التسوية » وتشهد المنطقة صراعا رهيبا بين الحركتين من جديد .

نعود الان للحديث عن مواقف الاطراف (مستثنين مواقف مصر وسوريا والمقاومة الفلسطينية باعتبار ان تغطيتها قد جرت في مكان آخر في شؤون فلسطينية) ذات الصلة بالموضوع . هنالك ثلاثة اطراف ذات علاقة قوية بمصير المناطق المحتلة تمثل الصراع في المنطقة على حقيقته . الطرف الاسرائيلي الذي يريد الابقاء على المناطق المحتلة او جزء منها تحت سيطرته ويتخوف من ان ترغمه التسوية على الانسحاب منها ، والطرف الاردني الرجعي الذي يريد ان يعيد سيطرته على الضفة الغربية وقطاع غزة مع الاستعداد للتنازل لاسرائيل عن مناطق معينة ، ويتخوف من ان تبعده التسوية نهائيا عن الضفة الغربية وربما حتى عن الضفة الشرقية (انظر القضية الفلسطينية عربيا) ، والطرف الاخر هم سكان المناطق المحتلة المؤمنون بالثورة الفلسطينية ويسعون الى الخلاص من الاحتلال ويتخوفون من ان تؤدي التسوية الى وضع حد لحلمهم الكبير في تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني .

الموقف الاسرائيلي تجاه مصير المناطق المحتلة:

ليس من السهل تحديد الموقف الاسرائيلي النهائي تجاه مصير المناطق المحتلة لاسباب عدة من أهمها :

١ — ان هذا الموقف سيكون بمثابة محصلة للمواقف المختلفة والمتباينة لمواقف حزب العمل ، وكذلك لمواقف التجمع العمالي ، ولمواقف حكومة الائتلاف .

٢ — ان حكومة الائتلاف لم تشكل حتى الان ، وسيكون لتشكيلها أثر كبير في بلورة الموقف الاسرائيلي الرسمي .

٣ — ان الموقف الاسرائيلي سيكون بمثابة عملية مخاض كبيرة يتحكم فيه تباين المواقف الداخلية والضغوطات الدولية والرأي العام الاسرائيلي . وبالرغم من صعوبة تحديد الموقف الاسرائيلي الا انه يمكن للمرء ان يقترب منه ويزيل بعض الضباب الذي يحيط به اذا ما وقف على مجمل مواقف التيارات المختلفة الفاعلة في تسيير دفة الامور في اسرائيل ، ولذا فسنبدأ باستشفاف موقف حزب العمل من خلال وثيقة برنامجه الانتخابي التي أقرت بأغلبية الاصوات . تقول الوثيقة : « تسعى اسرائيل لاتفاق سلام يضمن ... حدودا يمكن الدفاع عنها وتؤمن لاسرائيل امكان الدفاع عن نفسها بفعالية ضد هجوم عسكري او مكيدة حصار، وترتكز على حل اقليمي وسط ، وستحل حدود السلام محل خطوط وقف اطلاق النار ، **ولن ترجع اسرائيل الى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧** التي كانت بمثابة اغراء بالعدوان » .

اما فيما يتعلق بمسألة اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة فقد ذكرت الوثيقة : « يقوم اتفاق السلام مع الاردن على أساس وجود دولتين مستقلتين : اسرائيل وعاصمتها القدس الموحدة ، ودولة عربية الى الشرق منها . في الدولة الاردنية الفلسطينية المجاورة ، يمكن للهوية الذاتية للعرب الفلسطينيين والاردنيين ان تعبر عن نفسها من خلال سلام وعلاقات جوار جيدة باسرائيل ، وترفض اسرائيل قيام دولة عربية فلسطينية منفردة اضافية غربي نهر الاردن » .

اذن يمكن القول ان حزب العمل يتمسك بعدم العودة الى حدود الرابع من يونيو ، وابقى مسألة الحدود الجديدة قابلة للنقاش لاختلاف وجهات النظر داخل الحزب ، فهناك فئة التوسعيين التي تعتقد أن الحدود الجديدة ينبغي ان تضم أراض

عربية واسعة ويقف على رأسها غولدا مئير ويسرائيل جليلي وموشيه ديان ، وفئة ما يسمى بالمعتدلين التي تدعو الى الانسحاب الاسرائيلي من معظم المناطق مقابل السلام ، وضم جزء بسيط منها ، ويقف على رأسها كل من بنحاس سبير ويتسحاق بن اهارون واريه اليئاف ، كما وان الحزب توصل في هذه الوثيقة الى حل وسط فيما يتعلق بالهوية الفلسطينية، فمن المعروف ان الجناح الاول كان في السابق لا يعترف بهذه الهوية باعتبار ان الشعب الفلسطيني كما تقول غولدا مئير « غير موجود ». اما الفئة الثانية وخاصة اريه الياف ، فقد كان قد اعترف في كتابه « ارض الغزال » بوجود شعب فلسطيني ودعا الى اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة والضفة الشرقية لنهر الاردن باعتبار ان شرقي الاردن تعتبر الجزء الشرقي « لارض اسرائيل » أي «فلسطين» . وفيما يتعلق بقضية تمثيل الشعب الفلسطيني اجمع المسؤولون الاسرائيليون على ان النظام الاردني هو الذي ينبغي ان يمثل الفلسطينيين في مؤتمر السلام بالاضافة الى عناصر من وجهاء المناطق المحتلة ، وعارض هؤلاء المسؤولون بشدة حق منظمات المقاومة الفلسطينية في تمثيل الشعب الفلسطيني ، فقد ذكرت غولدا مئير انها غير مستعدة ان تجلس على مائدة المفاوضات مع « القتلة » واعرب ديان عن رأيه بنفس الاسلوب ، كما ان وزير الخارجية ابا ايبن الذي يحاول ان يضفي مسحة من التساهل على المواقف الاسرائيلية ، ذكر هو الاخر عند مطلع شهر ديسمبر الماضي في مقابلة صحيفة « ان اسرائيل لن توافق على اشتراك ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في المؤتمر » ، واوضح « ان عقيدة ياسر عرفات تعارض بقاء دولة اسرائيل من جذورها » وشبه دعوته للمؤتمر بـ « دعوة البابا الى الاشتراك في مؤتمر هدفه تصفية المسيحية » . وحول نفس الموضوع اوضح وزير الشرطة شلومو هليل ردا على سؤال وجه اليه حول امكانية موافقة اسرائيل على حضور وفد من المقاومة الى مؤتمر جنيف كممثل للشعب الفلسطيني ، بقوله القاطع : « لا يمكن بأي حال من الاحوال . اننا نجري مفاوضات فقط مع الدول المتاخمة لنا. حول الحدود في الجنوب نجري مفاوضات مع حكومة القاهرة ، وحول الحدود في الشمال نجري مفاوضات مع حكومة دمشق ، وحول الحدود في الشرق نجري مفاوضات مع حكومة عمان ... » . أما عن رفض اسرائيل اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة فقد أوضح شلومو هليل هذا الرفض بقوله « لان دولة فلسطينية كهذه لن تكون قادرة على حل اية واحدة من القضايا الفلسطينية ، وأكثر ما يمكن لها ان تعمله حل مشاكل الفلسطينيين الذين يعيشون الان في الضفة الغربية وقطاع غزة. ولكن ضمن هذه الحدود لا يمكن لدولة كهذه ان تستوعب بداخلها الفلسطينيين الذين يعيشون على الطرف الثاني للاردن وفي الدول العربية الاخرى ، وبما ان الامر كذلك فان الخطورة من وجهة نظرنا هي انه اذا ما أرادت دولة فلسطينية كهذه الاستجابة الى القضايا الجوهرية ، وتجمع تحت كنفها معظم الفلسطينيين ، فانها ستجد نفسها مضطرة الى التوسع نحو اسرائيل كما تريد منظمات الارهاب » (معاريف ٧٣/١٢/٧) .

اذن يمكن تلخيص موقف حزب العمل بالامور التالية : (١) عدم العودة الى حدود الرابع من يونيو (٢) معارضة قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة (٣) حكومة الاردن هي التي تمثل الشعب الفلسطيني ، وعدم الاعتراف بمنظمات المقاومة الفلسطينية كممثلة للشعب الفلسطيني .

ننتقل الان الى موقف حزب مبام الذي يشكل مع حزب العمل « التجمع العمالي » . يتقارب موقف هذا الحزب مع موقف فئة « المعتدلين » في حزب العمل ، فقد جاء في توصيات المكتب السياسي لحزب مبام كما نشرته صحيفة المرصاد (١٢/٦/ ٧٣): « ... يجب تجريد المناطق التي سينسحب منها جيش الدفاع الاسرائيلي من السلاح بحيث يكون ذلك مصحوبا بضمانات دولية ملموسة لصالح الطرفين . على اسرائيل ان تقف موقفا ايجابيا من التوصل الى حل سياسي للقضية وذلك عن طريق اقامة دولتين مستقلتين اسرائيل من ناحية ودولة عربية من ناحية اخرى ، وفي نطاق هذه الدولة العربية المستقلة يمارس الشعب العربي الفلسطيني حقه في تقرير مصيره . والى جانب ذلك على اسرائيل ان تقف موقف التفهم والاحترام لكل قرار يتخذه الفلسطينيون والاردنيون بالنسبة لمصيرهم وسيادتهم واستقلالهم خارج حدود اسرائيل بتحفظ واحد وهو ان يقوم ذلك على حسن الجوار

مع دولة اسرائيل . على اسرائيل ان تشجع اشتراك ممثلين فلسطينيين طلاب سلام بحيث يمثلون سكان المناطق في نطاق محادثات السلام مع الاردن . ان مدينة القدس الموحدة هي عاصمة دولة اسرائيل » .

اما على صعيد الاحزاب التي تشكل حكومة الائتلاف ، فهناك بالاضافة الى التجمع العمالي حزب الاحرار المستقلين الذي يعتبر قريبا في مواقفه تجاه المناطق المحتلة من موقف حزب العمل ، حيث دعا في برنامجه الانتخابي بصيغة غامضة الى احلال سلام « يكون قائما على حدود يمكن الدفاع عنها وحل اقليمي وسط » وطالب بان تكون القدس الموحدة عاصمة لاسرائيل والى تجريد المناطق التي ستجلو عنها اسرائيل . اما فيما يتعلق بفكرة الدولة الفلسطينية او التمثيل الفلسطيني ، فان زعيم الحزب موشيه كول يعتقد بان « الوقت قد حان لكي نعي بان القضية الفلسطينية يجب ان تجد حلا لها في مفاوضات سلام بيننا وبين الاردن » (يديعوت احرونوت ٢٦/١٢/ ٧٣) .

هنالك نقاط مشتركة تجمع بين مواقف الاحزاب الآنفة الذكر تجاه مصير المناطق المحتلة ، الا ان هنالك حزبا آخر ضمن الائتلاف الحكومي يتبنى موقفا يختلف بشكل كبير عن مواقف شركائه في الائتلاف ويكاد يكون مطابقا لموقف التكتل اليميني المعارض المعروف بالليكود، الا وهو الحزب الوطني المتدين « المفدال » الذي طالب ببرنامجه الانتخابي بـ « حقنا الديني التاريخي في ارض الميعاد ، تحقيق سلام دائم ، تأمين حدود آمنة ، ووفقا لذلك وانسجاما مع قرار مؤتمر الحزب ، يرفض الحزب الوطني المتدين كل مشروع ينطوي على اي تنازل عن جزء من ارض اسرائيل التاريخية ، ارض آبائنا » وهدد الحزب أية حكومة بانه « لن يكون شريكا في مسؤولية حكومية اذا وضعت حكومة اسرائيل مشروعا يلزم بالانسحاب من يهودا والسامرة » .

ومن الجدير بالذكر ان الحزب الاقوى في اسرائيل « مباي » سابقا و « العمل » حاليا كان طيلة الفترة السابقة ولا يزال يضطر من أجل تشكيل الحكومة الى الاعتماد على مجموعة احزاب وخاصة الحزب الوطني المتدين ، ولذا فانه كان يساير هذا الحزب في القضايا الدينية ، كما ان أي اختلاف بين الحزب الاقوى والمفدال من شأنه ان يعصف بحكومة الائتلاف . واذا كان الخلاف في السابق يتمحور حول بعض القضايا التي يمكن تطويقها والحيلولة دون تفاقمها ، فان الاختلاف الراهن بين الموقفين كبير وتجاه قضية حساسة كقضية مصير المناطق المحتلة . ومن أجل التجسير بين الموقفين للوصول الى حكومة ائتلافية لا بد لحزب العمل ان يصل الى نقطة ما بين موقفه وموقف حزب المفدال الذي يطالب حتى بعد انتهاء الانتخابات بعدم التنازل عن شبر واحد من « ارض اسرائيل » أي المناطق المحتلة . فقد ذكر وزير الداخلية حاييم بورج (من المفدال) ردا على احد الاسئلة « انه يمكن ان يكون في حزب المفدال خلافات في وجهات النظر حول التكتيك ولكن ليس حول القيم ، لذا وبدون التنازل عن أي شيء ، اتخذت المبادىء التي يجب ان توجه اسرائيل في أية مفاوضات . بالنسبة لليهودي المؤمن هنالك بعد خاص لمفهوم ارض اسرائيل ومناطق ارض اسرائيل . لقد قرر مؤتمر الحزب قبل عام ونيف ان الحزب الوطني المتدين لا يمكنه ان يكون شريكا في مسؤولية حكومية في حال اتخاذ الحكومة مشروعا لتقسيم ارض اسرائيل ، ارض آبائنا » واضاف « سنناضل من أجل كل شبر من ارض اسرائيل ، وستقرر المؤسسات شكل النضال » .

من خلال الوقوف على مواقف الاحزاب الآنفة الذكر التي يمكن ان تتشكل من خلالها حكومة ائتلافية يمكن لنا استشفاف الموقف الاسرائيلي تجاه مصير المناطق المحتلة ، الا ان عملية الاستشفاف هذه ينبغي ان تأخذ بعين الاعتبار امرين هامين يعملان على بلورة الموقف الاسرائيلي ، الرأي العام الاسرائيلي تجاه مصير المناطق المحتلة وفي المقابل الضغوطات الدولية والمعطيات الجديدة التي تحيط بالموقف الاسرائيلي . فبالنسبة للرأي العام الاسرائيلي يمكن القول ان حرب اوكتوبر والمعطيات الجديدة الناتجة عنها قد دفعت مجتمع المهاجرين والمستوطنين الى اعادة النظر في مسائل كثيرة مثل الغطرسة والروح الاستعلائية بيد انها لم تكن من الشدة بحيث تدفع هذا المجتمع الى اعادة الحساب في المسألة الجوهرية المتمثلة بالتوسع والضم . فقد أسفر مسح للرأي العام نشر في صحيفة يديعوت أحرونوت ١٢/١٢/٧٣ عن المعطيات

التالية : يعارض ٩٠٪ من الذين شملتهم عملية الاستفتاء اعادة جميع المناطق او حتى « مع تعديلات طفيفة على حدود ١٩٦٧ » . ومقابل سلام حقيقي ابدى قسم كبير استعدادا للتنازل عن قسم من المناطق وخاصة في سيناء ، اما بالنسبة لهضبة الجولان فقد أظهرت نتيجة الاستفتاء ان ٩٣٪ ليسوا على استعداد للتنازل عن شبر واحد من الهضبة ، و٩١٪ ليسوا على استعداد للتنازل عن شرم الشيخ ، و٦٦٪ ليسوا على استعداد للتنازل عن شبر واحد من قطاع غزة و٦٠٪ لا يؤيد اعادة مناطق في الضفة الغربية ، و٣٨٪ على استعداد للتنازل عن جزء صغير من سيناء . وقد أيد ٩٪ فقط استعدادهم للتنازل عن جميع المناطق المحتلة مقابل السلام . وكالعادة ، واسوة بنتائج الاستفتاءات السابقة تجاه هذا الموضوع ذيلت نتيجة الاستفتاء بالقول : « ان الذين يتمتعون بثقافة أعلى اعربوا عن استعدادهم للتنازل عن مناطق » !

كتلخيص لما سبق يمكن القول ان الموقف الاسرائيلي الرسمي عشية التسوية تجاه المناطق المحتلة رهن صراع المواقف في التجمع العمالي بين فئة التوسعيين وما يسمى بالمعتدلين من ناحية وصراع المواقف بين التجمع العمالي من جهة والحزب الوطني المتدين من جهة اخرى ، مع الاخذ بعين الاعتبار الضغوطات الدولية لتليين الموقف الاسرائيلي وضغوطات الرأي العام الاسرائيلي لتصليب هذا الموقف . ومع ذلك هنالك ثلاثة امور واضحة في الموقف الاسرائيلي تتمثل في عدم العودة الى حدود الرابع من يونيو ، عدم التنازل عن القدس العربية باعتبارها عاصمة لاسرائيل ، عدم الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . وهكذا ندرك عدم امكانية تغيير الموقف الاسرائيلي من خلال الضغوطات الدولية والتغير في موازين القوى دون اللجوء للكفاح المسلح .

موقف سكان المناطق المحتلة : ليس المقصود هنا التحدث حول موقف السكان العرب من الاحتلال ، فهذه مسألة مفروغ منها ، ولكن المقصود القاء الضوء على وجهات النظر تجاه مصير المناطق في حال فرض التسوية والانسحاب الاسرائيلي من تلك المناطق . هنالك تياران في المناطق المحتلة احدهما ضعيف ويدعو الى حق النظام الاردني في تمثيل الشعب الفلسطيني ، والاخر قوي ويشمل جماهير المناطق المحتلة .ويعتبر المقاومة الفلسطينية الممثلة الشرعية للشعب الفلسطيني . يترأس التيار الاول شخصيات من الزعامة التقليدية ، من أعضاء البرلمان الاردني ، وعلى رأسهم صالح دامون من نابلس الذي نسبت اليه صحيفة معاريف قوله : « اننا نحن مواطني الضفة الغربية نريد الوحدة العربية ، والوحدة مع الاردن تعتبر خطوة لتعزيز تلك الوحدة . ان الضفة هي جزء من الاردن واننا نعمل وفق الدستور الاردني » واضاف : بما ان نصف اعضاء البرلمان والحكومة في الاردن هم فلسطينيون فانه من حق عمان ان تمثل الفلسطينيين . ويعمل الى جانب صالح دامون في الدعوة لحق تمثيل الاردن لسكان المناطق المحتلة زمرة من اعضاء البرلمان الاردني مثل حفظي ملحس من نابلس وسعيد يونس من قلقيلية وعبد القادر صالح من طولكرم . وعلى صعيد الزعامات المحلية التقليدية فقد فضلت هذه الزعامات الابتعاد عن الموضوع باستثناء شخصيتين ، محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل ، وحمدي كنعان الرئيس السابق لبلدية نابلس ، الاول يميل الى النظام الاردني ويحاول تخفيف هذا الميل امام سكان المناطق المحتلة . ففي مقالة له نشرتها صحيفة القدس ٧٣/١٢/٧ طالب الجعبري باجراء استفتاء عام تحت اشراف دولي لاختيار احد امرين : « دولة فلسطينية مستقلة او اتحاد فدرالي مع الاردن » . الا انه في نفس اليوم قال كلاما آخر في صحيفة حوتام الاسرائيلية حين قال : « يبدو لي ان الملك حسين هو الشخص المناسب لتمثيل الشعب الفلسطيني . ينبغي علينا ان لا نكون ناكرين للجميل . لا تنس ان نصف سكان الاردن هم فلسطينيون وان قسما من اعضاء البرلمان ونصف اعضاء الحكومة الاردنية من الفلسطينيين ، واذا ما تم فصل او عزل فلسطين عن الاردن فان ذلك بمثابة كارثة ... ولذا ينبغي تمكين الملك الاردني من تمثيل الفلسطينيين في المناطق » .

اما حمدي كنعان فيعتقد عكس ذلك لاعتقاده ، كما ذكرت صحيفة هآرتس على لسانه ٧٣/١١/٢٨ « انه لا يحق للاردن تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر السلام ، لان اهداف منظمة التحرير الفلسطينية هي اهدافنا ولذا فهي القادرة على تمثيلنا » .

اما الهيئة الاسلامية ، فقد أصدرت بيانا عاما دعت فيه الى « التمسك والانسجام مع وحدة الموقف العربي دعما لما انجزته هذه الامة من اعمال » .

وفيما يتعلق بموقف الجماهير فقد دفع تصاعد النضال الوطني في المناطق المحتلة بأشكاله المختلفة ، الاسرائيليين الى الاعتراف بأن الاتجاه العام يؤيد المقاومة الفلسطينية ويرى فيها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني . ومن الامثلة على ذلك ما جاء على لسان مراسل صحيفة دافار ٧٣/١١/٢٨ حين قال « ان مواطنين في الضفة يرون في ياسر عرفات الشخص الملائم لتمثيل سكان المناطق في مؤتمر السلام » وأوضح « خلال المباحثات التي اجريتها امس في الضفة مع اشخاص من اوساط مختلفة مسلمين ومسيحيين ، مثقفين وتجار وموظفين ، خرجت بانطباع بأن هذا هو الموقف السائد لدى الرأي العام هناك الذي يرفض حق الملك حسين او الفلسطينيين الموجودين في الاردن في تمثيل القضية الفلسطينية في الجزائر او جنيف » . وقد تحدثت صحف اسرائيلية اخرى بهذه الروح وذكرت ان الرأي السائد يتعاطف مع منظمات المقاومة . وبالاضافة الى ذلك اعترف وزير اسرائيلي بهذا الواقع عندما قال شلومو هليل في مقابلة مع صحيفة معاريف ٧٣/١٢/٧ : « يعي سكان المناطق ان الرياح لا تهب باتجاه القصر في عمان ، بل باتجاه ياسر عرفات . ان عرب المناطق على استعداد ليروا في ياسر عرفات الشخص الذي يتحكم في مصيرهم » .

حركة الاستيطان : كانت حركة الاستيطان عشية حرب اوكتوبر تسير بشكل سريع في شمال سيناء ، بيد انها اخذت في اعقاب حرب اوكتوبر تتجه نحو هضبة الجولان . ففي اواخر ايلول الماضي اخذت بعض الصحف الاسرائيلية تتحدث عن خطة جديدة لمصادرة اراض واسعة تخص بدو شمال سيناء ، استكمالا للخطة الكولونيالية الاولى التي تم من خلالها ترحيل سكان مشارف رفح (اكثر من عشرة آلاف نسمة) ومصادرة اراضيهم واقامة مستوطنات فوقها . وافادت المصادر الاسرائيلية ان المخطط الجديد يشمل مصادرة ٦٠٠ الف دونم اي ما يزيد على مساحة قطاع غزة بأكمله ، وطرد ما لا يقل عن ٣٥ الفا من السكان العرب (عل همشمار ٧٣/٩/٢٤) . وذكرت بعض المصادر انه قد بوشر بالفعل بطرد ٤٠٠ من السكان العرب وبالاستيلاء على مساحة من الارض تقدر بـ ٤٠ الف دونم . وقد أحدث ذلك استياء بين سكان كيبوتسات (مبام) المنطقة الجنوبية حيث ظهرت بين اعضائها حركة احتجاج قوية ضد عملية النهب والسلب الجديدة ، كحركة الاحتجاج التي قادتها تلك الكيبوتسات ضد عملية السلب والنهب الاولى في مشارف رفح . ويبدو ان حرب اوكتوبر قد جمدت المشروع الاستيطاني الكولونيالي الجديد في شمال سيناء ، الا انها لم تحل دون المشاريع الاستيطانية في هضبة الجولان ، بالرغم من ان عددا من مستوطنات الهضبة قد سقط خلال الايام الاولى من المعركة تحت اقدام الجيش السوري ، بعد ان فر مستوطنوها منها بدون اية مقاومة وبحالة ذهول دفعت ببعض المستوطنين الى ترك بعض اطفالهم في الملاجىء كما ذكرت المصادر الاسرائيلية .

يسير المخطط الاستيطاني في الهضبة في اتجاهين الاول مضاعفة سكان المستوطنات القائمة والاخر اقامة مستوطنات جديدة بما في ذلك اقامة مدينة. وقد تبارى عدد من المسؤولين الاسرائيليين في الاونة الاخيرة بالادلاء بتصريحات ذات طبيعة توسعية كولونيالية في الهضبة وعلى رأسهم وزير الزراعة حاييم جفاني ، اذ قال في مؤتمر نشيطي حركة ايحود هكيبوتسيم فهكيبوتسوت « ان مهمة على جانب كبير من الاهمية تنتظر الحركة وتتمثل في تعزيز هضبة الجولان . ويجري الان اعداد خطة لمضاعفة السكان في الهضبة وخاصة في المستوطنات القائمة، ومع ذلك ستقام مستوطنات اخرى ومن بينها مركز مديني » (عل همشمار ٧٣/١١/١٥) . الا ان ما تم حتى الان يتمثل في اقامة محطة تجارب زراعية في كيبوتس ماروم جولان ، والغرض من هذه المحطة تطوير انتاج الزهور المعدة للتصدير وبعض المزروعات الاخرى وتحسين الارض وانجاح وسائل الري . كما ويتمثل في تحديد مكان لاقامة مدينة تحمل اسم « جولانيت » حيث قامت لجنة عليا تتشكل من عدة وزارات بتحديد مكان المدينة . وذكرت المصادر الاسرائيلية ان المكان الذي ستقام عليه المدينة يقع بالقرب من الشارع الرئيسي جسر بنات يعقوب القنطرة . وستضم في المرحلة الاولى كما هو مخطط لها عشرة آلاف نسمة !

تصاعد النضال الوطني : تحدثنا في العدد السابق عن اشتداد ساعد الكفاح المسلح واحتدام

النضالات الطلبية ، وعسن الجو الارهابي الذي اخذت سلطات الاحتلال تفرضه على المناطق المحتلة بغرض كسر شوكة مقاومة السكان للاحتلال مثل الاقدام على ابعاد ثمانية من مواطني الضفة الغربية ، وفرض ارهاب عسكري على مدينة نابلس وتوقيف المواطنين في الساحات العامة لمدة طويلة، وتعرية الاشخاص الذين يمرون على الجسور بحجة التفتيش ، والعودة الى سياسة هدم البيوت وغلق مؤسسات تعليمية بتهمة تحولها الى بؤرة وطنية كما حدث لكلية بير زيت ، وزج اعداد كبيرة من المواطنين العرب في المعتقلات . وردا على الاجراءات الاسرائيلية اخذت الحركة الوطنية تفصح عن نفسها بأشكال نضالية مختلفة بدءا بالكفاح المسلح وانتهاء بالنضالات الطلبية . وقد جرت عدة تظاهرات واعتصامات وقعت خلالها اشتباكات مع سلطات الاحتلال وزج بالعديد من المتظاهرين في السجون . ففي القدس قامت السيدات هناك بتظاهرة ضد سياسة الابعاد الا ان قوات الاحتلال فرقت التظاهرة واعتقلت ١١ سيدة ، ثم اعقبتها تظاهرة لطلبة المدارس حين قام طلبة المدينة بمسيرة احتجاج حاملين لافتات تندد بسياسة الابعاد وغلق المؤسسات العلمية . وقد تصدت قوات الاحتلال للطلبة ، بيد ان هؤلاء تمكنوا من الوصول الى مكاتب الصليب الاحمر وأعلنوا الاعتصام هناك وسلموا بيانا لممثل الصليب الاحمر جاء فيه : نحن طالبات وطلاب مدارس مدينة القدس نستنكر بشدة ابعاد المواطنين العرب من ابناء الضفة الغربية الاحرار منذ ١٩٦٧ وحتى الان . ان هذا القرار يتنافى مع ابسط حقوق الانسان لذلك اننا نطلب منكم ومن المسؤولين جميعا التدخل السريع لاعادة المبعدين الى أهليهم وعائلاتهم وأبنائهم بكل ما يتفق مع العمل الانساني . وكذلك نطالب بالافراج عن زملائنا المعتقلين والمعتقلات العرب » .

لم تقتصر حركة النضال الطلبي على مدينة القدس بل امتدت الى سائر مدن الضفة الغربية. ففي مدينة رام الله قامت طالبات دار المعلمات باعتصام داخل المعهد احتجاجا على سياسة الابعاد ، وفي مدينة الخليل اعلن الطلبة احتجاجهم واستنكارهم بسياسة الابعاد وغلق كلية بير زيت وطالبوا باعادة المبعدين واطلاق سراح المعتقلين ، وكذلك حدثت تظاهرات مماثلة في مدينة نابلس .

وكنتيجة لتصاعد الحركة الجماهيرية الطلابية وجهت الهيئات والمؤسسات والقطاعات المحلية في الضفة الغربية احتجاجا الى الحاكم العسكري للضفة ضد اغلاق كلية بير زيت : « نحن الهيئات والمؤسسات والقطاعات المحلية في مدن الضفة الغربية نتقدم باحتجاجنا الشديد على الخطوة المجحفة التي اتخذت في حق كلية بير زيت والطريقة التي تم بها اغلاق المؤسسة المذكورة حيث عومل الطلبة والاساتذة بصورة تتنافى والحرمة الجامعية الممنوحة لكل الجامعات في العالم . كما نستنكر اعتبار السلطات ممارسة الفرد لحقه الشرعي في التعبير عن مشاعره الوطنية تجاه المظالم اللاانسانية التي يتعرض لها المواطنون في الضفة الغربية تهمة تستحق العقاب . ونحن اذ نقرر بطلان هذه التهمة نطالب باعادة فتح كلية بير زيت فورا لتواصل مسيرتها الانسانية في تأدية رسالتها التربوية المقدسة » . ووقع على العريضة عدد من رؤساء البلديات ومفتي القدس ورؤساء الهيئات الاجتماعية . ومن الجدير بالذكر هنا ان طلبة كلية بير زيت الذين اتهموا بتعاطفهم مع منظمات المقاومة وباصدارهم جريدة وطنية بشكل « غير شرعي » قد تصدوا لاوامر غلق الكلية بكل الوسائل ومن بينها قيامهم بأعمال التكنيس في شوارع المدينة ، الامر الذي اغاظ سلطات الاحتلال ودفعها الى اعتقال عدد من هؤلاء الذين تحولوا الى « كناسين » . بيد انها اضطرت بعد شهر من اغلاق الكلية الى اصدار أمر بفتح ابوابها .

عبدالحفيظ محارب

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

الاتفاق على فصل القوات على الجبهة المصرية

في جو من التوتر العسكري على الحدود المصرية والسورية ، ووسط موجة متزايدة من الاشتباكات العنيفة بين القوات الاسرائيلية وكل من القوات المصرية والسورية ، بدأ وزير الخارجية الاميركي هنري كيسنجر جولته الثالثة في الشرق الاوسط في يوم ١١ من كانون الثاني لمساعدة مصر واسرائيل « على تطوير المفاوضات الخاصة بفصل قواتهما وفك الالتحام بينهما » على جبهة قناة السويس بعد ان فشل المتفاوضون المصريون والاسرائيليون في جنيف في التوصل الى هذا الحل .

وكانت الاوساط السياسية المطلعة قد توقعت منذ مطلع هذا الشهر بان فك الالتحام على جبهة السويس سيتم قبل نهاية الشهر ، وان اقتصار البحث على نقطة محددة بالذات ، وعدم تعرض المتفاوضين للمسائل الشائكة الاخرى : كمسألة القدس ، او الجولان ، او الضفة الغربية وغزة ، او حقوق الشعب الفلسطيني لن يؤديا الى عرقلة الجهود الرامية الى فك التحام القوات . وبالرغم من هذا الرأي المتفائل ، وبالرغم من تأكيد وزير الخارجية الاميركي في مؤتمر صحفي عقده في ٣ كانون الثاني بأن هناك « احتمالا جيدا » لنجاح المباحثات الخاصة بفك الالتحام ، فقد كان هناك رأي متشائم يقول بأنه لا ينتظر تحقيق أي تقدم جدي في هذا الصدد قبل تشكيل الحكومة الاسرائيلية الجديدة التي لا بد وان تكون — حسب تعبير اسرائيل غاليلي الوزير بلا وزارة وأحد مستشاري رئيسة وزراء العدو — « مستعدة لتقديم تنازلات اقليمية » (رويتر ، ١٩٧٤/١/٤) وان تشكيل هذه الحكومة سيلاقي صعوبات كبيرة رغم بروز اتجاه قوي خلال الحملة الانتخابية يؤكد ضرورة بدء الانسحاب من الاراضي العربية مقابل اتفاق تعاقدي .

ولقد جاءت زيارة كيسنجر الثالثة للشرق الاوسط بناء على طلب الحكومتين المصرية والاسرائيلية ، ورغبة الولايات المتحدة الملحة في ان تحقق المفاوضات أي تقدم وان يتم فك التحام القوات بسرعة حتى تخف حدة التوتر ويصبح من الممكن فتح قناة السويس الامر الذي سيخلق جوا سياسيا ونفسيا واقتصاديا افضل لحل مجمل قضايا النزاع العربي — الاسرائيلي . وكان كيسنجر قد ذكر هذه النقطة في مؤتمره الصحفي المنعقد في ٣ من كانون الثاني عندما تحدث عن احتمال نجاح المحادثات وقال « ان هذا سيولد بدوره اوضاعا ايجابية جدا لاحراز تقدم مماثل على جبهات أخرى وسيكون جسرا جيدا في محادثات السلام العامة ». ثم كان مجيء وزير الخارجية الاميركية للقيام بدور « الوسيط » لا « المفاوض » الدليل الاكيد على أهمية نجاح المحادثات بالنسبة للسياسة الاميركية في المنطقة .

ودامت « وساطة » كيسنجر من ١١ كانون الثاني حتى مساء ١٧ من الشهر نفسه ، وهو يوم اعلان الاتفاق المصري — الاسرائيلي حول فصل القوات ، وتحديد يوم ١٨ لتوقيعه . واتبع وزير الخارجية الاميركي في وساطته أسلوب الاتصال المباشر ، فانتقل بين القدس واسوان ثلاث مرات حاملا معه المقترحات والمقترحات المعاكسة . واستطاع منذ البداية اكتساب ثقة الطرفين المتنازعين . فلقد اعلن في أسوان في يوم ١٤ « أنا وسيط ، وان الفرقاء وافقوا على مفهومي هذا » (النهار ١٩٧٤/١/١٥) ووصفه وزير الخارجية المصري اسماعيل فهمي في اليوم نفسه بأنه « ليس محاميا لاسرائيل » وان « دوره حيادي وبناء » (النهار ٧٤/١/١٥)، وفي وليمة الصحافة بتل ابيب أكد وزير دفاع العدو موشي دايان « انه كان أفضل مفاوض تدخل على مسرح الشرق الاوسط » (فيغارو ٧٤/١/١٥) ، وكان يساعد كيسنجر في عمله فريق اميركي — اسرائيلي وفريق عمل اميركي — مصري وكانت مهمة فريقي العمل صياغة المقترحات او الردود ووضع الخرائط ودراسة المواقف والمواقف المعاكسة . وتدل مختلف التكهنات والتحليلات العسكرية ان نقاط الخلاف الاساسية بين الجانبين المصري والاسرائيلي كانت تدور حول :

١ — حجم القوات المصرية التي ستبقى على الضفة الشرقية وطبيعة تسليحها الثقيل .

٢ — مدى الانسحاب الاسرائيلي باتجـــــاه الشرق .

٣ — نزع ســلاح المناطق التي تنسحب منها اسرائيل .

٤ — وجود القوات الدولية بين الطرفين .

٥ — التفتيش المشترك على تسليح القوات .

٦ — وجود الصواريخ ارض — جو المصريـــة على الضفة الشرقية للقناة .

٧ — هل سيشمل الانسحاب القوات الاسرائيلية الموجودة شرقي وغربي القناة فقط ، أم سيشمل القوات الاسرائيلية الموجودة على الشاطىء الشرقي لخليج السويس الامر الذي يؤدي الى اســتعادة المصريين لآبار النفط الموجودة على شاطىء خليج السويس وفي المياه الضحلة القريبة من الشاطىء ، وخسارة اسرائيل لما يعادل الف مليـــــون دولار سنويا .

وفي يوم ١٦ بدأت بوادر الانفراج والتقارب بين مقترحات الطرفين . وأعلن كيسنجر في مطار اللد ، قبل عودته الى اسوان ، ردا على سؤال حول رأيه الشخصي بالنسبة لمعالجة الازمة : « بالنسبة لي ، فان اعظم دليل يبعث على الامل ، هو الجو الصالح والرغبة بالسعي الى العدل التي تميز الطرفين في محاولتهما البناءة للتوصل الى تفاهم حول الموضوع المهم جدا ، وهو فك التحـام القوات . واذا كان بالامكان المحافظة على هذا الجو فيحتمل ان يتوفر الامل في ان تهدأ هذه المنطقة التي عانت من التوتر اعواما عديدة » (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، ملحق العدد ٤٣٨) . ثم تحدث وزير خارجية العدو ابا ايبان بعده قائلا « ان كلا من مصر واسرائيل قد قررتا في محادثات جنيف ان تعطى الاولوية لموضوع فك التحــــام القوات ، وانه منذ ذلك الوقت ، بذلت جهود عديدة للتوصل الى اتفاق حول هذا الموضوع » (ر.١٠١٠ ملحق العدد ٤٣٨) . وما ان وصل وزير الخارجية الاميركية الى اسوان حتى صرح في المطار بـــ « ان الفرق بين الطرفين قد تضاءل وآمل ان اقلله أكثر ايضا ، بل انني آمل ان الغيه » (فيغارو ٧٤/١/١٧) . وصرحت اوساط مقربة من الدكتور كيسنجر في يوم ١٦ ان اختلاف وجهتي النظر يعادل ٢٥٪ ، ثم انخفضت هـــذه النسبة في يوم ١٧ عندما عاد وزير الخارجية الاميركي الى القدس فوصلت الى ١٠٪ فقط . وبعد اجتماع كيسنجر مع آلون ودايان وايبان واليعازار صرح وزير خارجية العدو أبا ايبان لمراسل الاذاعة الاسرائيلية متفائلا : « كل مـــا استطيع قوله هو اننا لا نزال نبحث بعض المواضيع الاساسية . ولكن لدينا أمل كبير بالوصول الى الهدف الذي حددناه لانفسنا ، أي التوصل الى اتفاق لفك التحام القوات مع مصر ، اتفاق يعتمد على توازن في التنازلات والانجازات » (ر.١٠١٠ ملحق رقم ٤٣٩) .

وفي الساعة التاسعة من مساء يوم ١٧ أعلنت كل من مصر واسرائيل والولايات المتحدة انـــه قد تم التوصل الى اتفاق بين مصر واسرائيل حول فك التحام قواتهما في جبهة قناة السويس . وكان نص البيان كما يلي : « طبقا لقرار مؤتمر جنيف فان حكومتي مصر واسرائيل ، بمساعدة حكومـــة الولايات المتحدة الاميركية ، توصلتا الى اتفــاق لفك الالتحام والفصل بين قواتهما المسلحة وسيوقع هذا الاتفاق كل من رئيسي اركان حرب القـــوات المسلحة في مصر واسرائيل ظهر يوم الجمعة ١٨ كانون الثاني الحالي في الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة — السويس . وقد طلبت الاطراف من قائد قوات الطوارىء الدولية التابعة للامم المتحدة (الجنرال أنسيو سيلاسفو) أن يشهد التوقيع » (النهار ١٩٧٤/١/١٨) . وهكذا نجحت المفاوضات التي وصفها كيسنجر في يوم ١٤ « بانها أصعب وأعقد مفاوضات كلفت بالاشتراك فيها » (فيغارو ٧٤/١/١٦) .

ويمكننا ان نذكر بالنسبة لهذا الاعلان الملاحظات التالية :

١ — تؤكد احدى فقرات البيان على ان الاتفاق قد تم « بمساعدة الولايات المتحدة » وفي هذا تأكيد للدور الاميركي « المحايد » الفعال في المنطقة وتثبيت لامتلاك واشنطن لمفاتيح الحرب والسلام بين مصر واسرائيل ، وقدرتها وحدها على حل الازمة . ويستهدف مثل هذا التأكيد اقناع الاطراف العربية الاخرى بأن عليها ان تبحث عن حل نزاعها مع اسرائيل عن طريق واشنطن لا عن طريـــق موسكو ، وبأنه اذا كانت موسكو قادرة عـــلى تقديم السلاح اللازم للحرب فان واشنطن قادرة على تقديم السلام (!) وتحقيق الاهداف بـــدون حرب . وان الولايات المتحدة التي بذلت جهودها

« الحميدة » للوصول الى اتفاق لم تعد تستحق مقاطعة العرب النفطية .

وقد تجد هذه الفكرة صدى لدى بعض الاوساط العربية ، ولكن الغالبية الساحقة تعرف بأن الولايات المتحدة لم تهتم بحل المسألة ، ولم تبعث وزير خارجيتها الى المنطقة ليقوم بدور « الوسيط » المتنقل ، الا بعد ان خلق الجندي العربي ، المزود بالسلاح السوفياتي ، والمدعوم بالتضامن العربي الشامل وسلاح النفط الفعال ، حقائق جديدة محلية وعالمية ، وحول النزاع العربي — الاسرائيلي من قضية متجمدة يتجاهلها العالم الى قضية محورية يتوقف على حلها مصير الاقتصاد العالمي كله .

٢ — تؤكد احدى فقرات البيان أن توقيع الاتفاق سيتم من قبل « رئيسي اركان حرب القوات المسلحة في مصر واسرائيل » وهذا يعني ، انه اتفاق عسكري — تقني بحت ، كان من الممكن التوصل اليه في مباحثات الكيلو ١٠١ لو ضغطت الولايات المتحدة على اسرائيل للقبول بذلك . كما يعني ان وضع مسألة فك التحام القوات على رأس جدول أعمال مؤتمر جنيف قلب هذا المؤتمر من اجتماع على مستوى رفيع لحل الازمة من جذورها الى امتداد لاجتماعات الكيلو ١٠١ العسكرية — التقنية . وهنا لا بد لنا من ان نذكر ثانية بما قالته مجلة نيوزويك الاميركية في ١٠/١٢/١٩٧٣ عن ان هنري كيسنجر كان وراء انهيار المحادثات العسكرية عند الكيلو ١٠١ . وان الاسرائيليين كانوا مستعدين للتفاوض على فصل التحام القوات خلال هذه المحادثات ، لولا ان كيسنجر نصحهم بعدم الوصول الى هذا الاتفاق ، واوصى بأن يكون هذا الموضوع اول بند في جدول أعمال مؤتمر السلام في جنيف ، لان اي تنازل من جانب اسرائيل عند ابتداء المؤتمر سيجعل مفاوضات السلام تبدأ بداية جيدة .

٣ — حدد البيان مكان توقيع الاتفاق « في الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة — السويس » . وكان من الممكن ان يتم التوقيع في العريش او قلب سيناء او جنيف ولكن اختيار الكيلو ١٠١ واصرار الاسرائيليين عليه يستهدف دون شك تثبيت وصولهم الى طريق القاهرة — السويس في ذهن الرأي العام العالمي والاسرائيلي ، ودخول التاريخ كمنتصرين عن طريق لعبة جغرافية ، وتضخيم دور جيب الدفرسوار الذي لم يكن أكثر من « مغامرة محسوبة » تمت في البداية تحت غطاء الضمان الاميركي بأن لا هزيمة ان لم يتحقق انتصار ، ثم جاء وقف القتال ليحميها من التصفية ، وتتابعت التدابير العسكرية المصرية بعد ذلك لتحول القوات المشتركة فيها من خطر يهدد مؤخرة الجيش الثالث الى رهينة تعيش برئة اصطناعية يسهل تعطيلها في ظروف غير ملائمة للحياة .

٤ — جاء ذكر « قائد قوات الطوارىء الدولية التابعة للامم المتحدة » كمحاولة اميركية نجة لرد الاعتبار الى المنظمة الدولية ، مع ان العالم كله يعرف ان تصرف الولايات المتحدة منذ عام ١٩٦٧ حتى الان ودعمها السياسي والعسكري لاسرائيل هما اللذان عطلا تنفيذ قرارات مجلس الامن المتعاقبة ، وشجعا حكام تل ابيب على تحدي المنظمة الدولية ، وتجاهل رغبات الاسرة الدولية ، والتصرف بشكل يتنافى مع طبيعة العصر ويعرض العالم كله للخطر .

ويهمنا ان نذكر هنا ان الرئيس الاميركي نيكسون ظهر في الساعة التاسعة من اليوم نفسه على شاشة التلفزيون الاميركي ليصف الاتفاق بأنه « أول خطوة ذات مغزى نحو سلام دائم في الشرق الاوسط » ثم اضاف « سأحرص شخصيا على ان تواصل الولايات المتحدة دعمها للجهود من أجل الوصول الى اتفاق سلام بين مصر واسرائيل وايضا بين الاطراف المعنية الاخرى » (النهار ١٨/١/١٩٧٤) . ولهذه الاقوال دلالات هامة هي :

١ — ان من الممكن اعتبارها ، الى حد ما ، تعهدا علنيا من الرئيس الاميركي بتأمين انسحاب القوات الاسرائيلية . وبهذا يكون نيكسون قد قدم التعهد العلني الذي أمر العاهل السعودي على ضرورة تقديمه كشرط لا بد منه لاعادة النظر في تخفيف التدابير النفطية ضد الولايات المتحدة الاميركية ،

٢ — ان تعهد الرئيس الاميركي يشمل مصر والاطراف الاخرى أي انه يشمل سورية والاردن على اعتبارهما من الدول المجاورة لاسرائيل والتي اشتركت في حرب ١٩٦٧ ضدها . كما يشمل الشعب الفلسطيني صاحب القضية الاساسي ، والمتضرر الاول من الغزوة الامبريالية الصهيونية ،

٣ — ان الرئيس الاميركي يتعهد باحلال السلام ، والسلام العربي — كما حدده العاهل السعودي الذي يهم نيكسون مخاطبته — لا يمكن ان يتم الا

بالانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، وتحرير القدس العربية ، وحصول الشعب الفلسطيني على حقوقه المشروعة .

وفي الساعة ١٢،٣٠ يوم ١٨ كانون الثاني جرى توقيع اتفاق فصل القوات بحضور الجنرال انسيو سيلاسفو قائد قوات الطوارىء الدولية وقام بالتوقيع رئيسا الاركان المصري اللواء محمد عبد الغني الجمصي ورئيس الاركان الاسرائيلي الجنرال دافيد اليعازار . وقبل التوقيع على الاتفاق أصدر رئيسا الاركان المصري والاسرائيلي الاوامر الى قواتهما في جبهة قناة السويس بوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة الثامنة صباحا . ويشمل الاتفاق ٤ بنود ، وفي البند الثاني منها ٦ نقاط . ولقد وزعت وكالة الاسوشيتد بيرس نص الاتفاق الذي جاء فيه :

« أ — ستتقيد مصر واسرائيل من دون تردد باتفاق وقف اطلاق النار برا وبحرا وجوا الذي دعا اليه مجلس الامن الدولي وستمتنعان منذ توقيع هذه الوثيقة عن كل العمليات العسكرية وشبه العسكرية ضد بعضهما البعض .

« ب — سيتم فصل القوات العسكرية المصرية والقوات العسكرية الاسرائيلية طبقا للمبادىء الاتية :

« ١ — كل القوات المصرية في الجانب الشرقي لقناة السويس سترابط غرب الخط الذي يعرف بخط « أ » في الخريطة المرفقة . وسترابط كل القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية لقناة السويس والبحيرات المرة شرق الخط الذي يعرف بخط «ب» في الخريطة المرفقة .

« ٢ — ستكون المنطقة بين الخطوط المصرية والخطوط الاسرائيلية منطقة مجردة من السلاح ترابط فيها قوة طوارىء تابعة للامم المتحدة . وستظل قوات الطوارىء هذه مؤلفة من وحدات من دول اعضاء غير دائمة في مجلس الامن .

« ٣ — المنطقة بين الخط المصري وقناة السويس ستكون محدودة في ما يتعلق بالاسلحة والقوات المسلحة .

« ٤ — المنطقة بين الخط الاسرائيلي (المعروف بخط « ب » المرفق بالخريطة والخط المعروف بخط « س » المرفق بالخريطة) والذي يمتد على طول القاعدة الغربية لسلسلة الجبال حيث ممرات جدي وميتلا، ستكون ايضا محدودة في ما يتعلق بالاسلحة والقوات المسلحة .

« ٥ — ان التحديدات المشار اليها في الفقرتين الثالثة والرابعة ستدقق بها قوة الطوارىء الدولية . والإجراءات القائمة حاليا بالنسبة الى قوات الطوارىء بما في ذلك ضباط الارتباط المصريون والاسرائيليون الملحقون بقوات الطوارىء الدولية ستستمر .

« ٦ — سيسمح للقوات الجوية للجانبين بالعمل ضمن خطوطها من دون تدخل من الجانب الاخر .

« ج — ان التطبيق بالتفصيل لفصل القوات المسلحة سينفذه ممثلون عسكريون عن مصر واسرائيل وسيتفقون على المراحل في هذا الشأن. وسيجتمع هؤلاء الممثلون في موعد لا يتعدى ٤٨ ساعة بعد توقيع هذا الاتفاق عند الكيلومتر ١٠١ باشراف الامم المتحدة لهذا الغرض . وسينجزون مهمتهم في غضون خمسة ايام . ان فصل القوات المسلحة سيبدأ في غضون ٤٨ ساعة بعد انتهاء عمل الممثلين العسكريين وعلى أي حال لا يتعدى سبعة ايام بعد توقيع هذا الاتفاق .

« د — ان مصر واسرائيل لا تعتبران هذا الاتفاق اتفاق سلام نهائيا ، انه يشكل الخطوة الاولى نحو سلام عادل ودائم طبقا لقرار مجلس الامن الدولي الرقم ٣٣٨ وضمن اطار عمل مؤتمر السلام الشرق أوسطي في جنيف » .

ويفيد البند (أ) من الاتفاق ان قوات الطرفين ستتوقف عن جميع العمليات العسكرية (قصف ، دوريات ، هجمات ... الخ) والعمليات شبه العسكرية (استطلاعات ، حرب نفسية ، منع وصول امدادات ... الخ) وهو يشمل البر والبحر والجو الامر الذي يعني انه يمتد ليشمل تدابير الخنق الاستراتيجي في اعالي البحار وعند المضائق والممرات .

وتفيد النقاط الخمس الاولى من البند (ب) ان القوات الاسرائيلية ستنسحب الى خط يقع غربي خط الممرات ، وان خط القوات المصرية سيصبح كله على الضفة الشرقية بعد انسحاب الاسرائيليين من جيب الدفرسوار ، وان القوات الدولية ستفصل بين القوات المتحاربة التي سيكون حجمها بين الخط المصري وقناة السويس من جهة ، وبين الخط الاسرائيلي وخط الممرات من جهة اخرى

محدودا بالاسلحة والقوات المسلحة .

اما النقطة السادسة من البند نفسه فتشير الى السماح للقوات الجوية بالعمل ضمن خطوطها دون تدخل من الجانب الاخر . وهذا يعني ان طائرات الاستطلاع المتطورة القادرة على تصوير الخطوط والمواقع الدفاعية من ارتفاعات عالية ومسافات بعيدة تستطيع مراقبة مواقع الطرف الاخر وهي محلقة فوق اراضيها دون ان تتعرض لضربات الصواريخ ارض — جو القادرة على اسقاطها حتى ولو كانت محلقة على خط يبعد عن الجبهة مسافة ٢٥ــ٣٠ كيلومترا .

فاذا ما تجاوزنا البند (ج) باعتباره بندا عمليا يتعلق بالاجتماعات والمراحل ، واردنا تحليل البند (ب) وجدنا ان التحليل مرتبط مباشرة بالبند (د) الذي يعتبر الاتفاق خطوة نحو سلام عادل ودائم وفق قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الذي ينص على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة في حرب ١٩٦٧ . وهذا يعني ان اسرائيل ستقوم بجميع الخطوات التي تكفل ازالة أسباب التوتر في المنطقة وتخلق المناخ الملائم للسلام العادل الدائم !! والنظر الى البند (ب) مع تفاؤل بتطبيق البند (د) ، او بالاحرى تفاؤل بقدرة الولايات المتحدة على دفع اسرائيل نحو هذا التطبيق ، يوصلنا الى نتائج مختلفة كل الاختلاف عن النتائج التي يمكن التوصل اليها عند النظر الى البند (ب) مع الايمان بعدم رغبة الولايات المتحدة في اجبار اسرائيل على تطبيق البند (د) الذي سيحجّم الدولة الصهيونية ويجعلها « دولة — عبء » على الامبريالية بعد ان كانت « دولة قاعدة » للامبريالية . لان أي فصل للقوات العربية — الاسرائيلية المتجابهة لا يعقبه انسحاب اسرائيلي وفق جدول زمني محدد ولا يكون جزءا من حل شامل يعني ان اتفاق الفصل عبارة عن عمل عسكري — تقني مقطوع الجذور يتسم بالسلبيات التالية :

١ — انه يخلص القوات الاسرائيلية المتورطة في جيب الدفرسوار من حرب منهكة طويلة الامد تستنزف قواها المادية والمعنوية وتعرضها للاصابة « بمرض الخنادق » الذي يحرمها من قدراتها الحركية ، ويقلبها من قوات تعرضية هجومية الى قوات دفاعية هدفها التشبث بالارض ، وصد الهجمات ، والحفاظ على البقاء . خاصة وان حرب الاستنزاف التي تعرضت لها هذه القوات بعد وقف القتال في تشرين الاول ١٩٧٣ مختلفة كل الاختلاف عن حرب الاستنزاف الماضية (١٩٦٨ — ١٩٧٠) . وقد ذكر اللواء حسن جريدلي رئيس هيئة العمليات للقوات المصرية المسلحة في لقائه مع المغتربين المصريين في ١٩٧٤/١/٢ « ان هدفنا هو وضع القوات الاسرائيلية في الوضع الذي تقف فيه بكامل احتياجاتها وشبابها لان هذا يؤدي الى توقف اقتصادها واستنزاف كامل لها » . ولا ينطبق وضع الاستنزاف هذا على القوات المصرية ، فلقد اعتادت هذه القوات على البقاء طويلا في مجابهة العدو ، ولاءمت نفسها مع حرب الاستنزاف طويلة الامد . أما وجود قواتها المسلحة في حالة التعبئة التامة فما هو الا امتداد لوضعها منذ حرب ١٩٦٧. ولا تؤثر التعبئة العسكرية بشريا على الاقتصاد المصري الذي لا يشكو بشكل خاص (على عكس الاسرائيليين) من نقص اليد العاملة بالنسبة لفرص العمل . وبالرغم من خسائر المصريين البشرية خلال حرب الاستنزاف الجديدة (لان كل اشتباك يعني وقوع خسائر بين الطرفين) فان العمق البشري المصري وما يدعمه من عمق بشري عربي قادر على امتصاص الخسائر البشرية بشكل لا يمكن لعمق اسرائيل البشري الضعيف احتماله . فاذا أضفنا الى ذلك قرب الجبهة المصرية من قواعدها الخلفية وقصر خطوط مواصلاتها واحتمالات تزايد الحشد العربي مع طول مدة المجابهة نظرا لاهمية عامل الزمن بالنسبة لتعبئة القوات العربية (الجزائرية والليبية والمغربية والسودانية) وانتقالها من العمق الاستراتيجي الى العمق العملياتي ، وقارنا كل ذلك مع طول خطوط مواصلات الاسرائيليين وبعد قواعدهم الخلفية واضطرارهم الى اجراء الحشد البشري الكامل مقابل الحشد المصري الجزئي تصورنا مدى الاختلاف في تأثير حرب الاستنزاف هذه على الطرفين المتجابهين .

ولقد عبر ايغال آلون نائب رئيسة وزراء العدو عن هذه النقطة عندما قال في معرض الحديث عن مزايا فصل القوات انه سيجعل « أي استئناف لحرب الاستنزاف امرا مستحيلا » (النهار ١٩٧٤/١/١٨) .

٢ — انه يجعل القوات الاسرائيلية المتمركزة على خط الممرات قادرة على اعادة تنظيم نفسها ، وخلق مواقع قوية تسمح بتخفيف عدد القوات

الاحتياطية المعبأة التي تجهد اعدادا كبيرة من الرجال والمعدات والاليات وتنهك الاقتصاد الاسرائيلي — نظرا لخصوصية هذا الاقتصاد .

٣ — ان وجود القوات الاسرائيلية على الممرات سيساعدها على الدفاع (الدفاع أقوى من الهجوم) وسيؤمن لها امكانات الحرب على الخطوط الداخلية عن طريق الدفاع مقابل مصر بقوات محدودة وحشد كبد القوات لتسديد ضربة على الجبهة السورية التي لم يتم فك الالتحام عليها حتى الان .

٤ — ان وجود القوات الدولية بين الطرفين سيجعل المصريين مضطرين الى طلب سحب هذه القوات ، اذا ما عادت اسرائيل الى المماطلة والتعنت ورغبت مصر في استئناف القتال لتحقيق أهدافها العادلة ، الامر الذي يعطي تل ابيب هامشا زمنيا كافيا لاستدعاء احتياطها وتعبئة قواتها المسلحة المبنية اساسا على الاحتياط (ان القوات الاحتياطية الاسرائيلية تعادل ٢٠٠٪ من القوات العاملة) .

٥ — ان فك التحام القوات الذي لا يرافقه انسحاب اسرائيلي كامل من سيناء سيبقي منابع النفط الواقعة على الشاطىء الشرقي لخليج السويس بيد اسرائيل . وتذكر صحيفة « هيرالد تريبيون » ان ارتفاع اسعار النفط العالمية ، ووصول سعر البرميل الى ١٢ — ١٧ دولارا سيجعل خسارة اسرائيل في حالة انسحابها تعادل ١٠٠٠ مليون دولار . وسيجعل الاقتصاد الاسرائيلي الرازح تحت وطأة الديون والتضخم المالي مضطرا لدفع ٧٠٠ مليون دولار سنويا بالعملة الاجنبية لشراء حاجة اسرائيل النفطية التي تصل الى ١٣٠ الف برميل في السنة .

٦ — ان فك الالتحام دون تطبيق القرار ٣٣٨ سيعني خلق تناقض عربي — عربي وعربي — سوفياتي وسيؤدي الى تجميد الموقف والعودة الى حالة اللاحرب واللاسلم التي حطمها الجيشان المصري والسوري في يوم ٦ تشرين الاول الماضي . وكانت صحيفة الاهرام قد كتبت في ١٩٧٤/١/٥ « لا يمكن اعتبار الفصل بين القوات هدفا في ذاته بل يكتسب ما يبرره فقط باعتباره خطوة نحو تنفيذ خطوات التسوية المقبلة » ... « ان الاتفاق على مبادىء الفصل بين القوات ينبغي ان يتضمن ما يكفل عدم تجمد الموقف بعد تسلم القوات الدولية مواقعها بين القوات المتحاربة » . وفي ٦ من الشهر نفسه اعلن اشرف غربال المبعوث المصري لواشنطن ان مصر على استعداد للاتفاق مع اسرائيل على فك الالتحام بين قواتهما ثم اضاف « ولسنا نعارض تنفيذا مرحليا لتسوية شاملة ولكننا نعارض تجميد وقف اطلاق النار على خط آخر » (الانوار ١٩٧٤/١/٧) .

والنقطة الاخيرة التي لا بد من ذكرها هنا هي ان فك الالتحام على الجبهة المصرية سيخلق على الجبهة السورية وضعا جديدا أشد خطورة ، لانه سيسمح لاسرائيل بحشد قوات عسكرية ضخمة على هذه الجبهة . ولعل هذا هو السبب الذي جعل الرئيس المصري انور السادات يزور دمشق يوم السبت ٧٤/١/١٩ بعد عودته من السعودية ، ودفع وزير الخارجية الاميركي هنري كيسنجر الى زيارة العاصمة السورية يوم الاحد ١٩٧٤/١/٢٠ بعد مقابلة الملك حسين في ميناء العقبة . ولقد صرح الرئيس انور السادات امام الصحفيين الاميركيين في اسوان بتاريخ ١٩٧٣/١/١٨ « انني ملتزم بفصل القوات على الجبهة السورية لاننا جبهة واحدة . وقد بحثت هذا مع الدكتور كيسنجر . وقد وافق معي على ذلك » وعقب كيسنجر على ذلك بقوله « ان الولايات المتحدة تشجع تحقيق فصل القوات على الجبهة السورية وان الرئيس السادات كان واضحا في تعبيره عن ضرورة ان يتبع فصل القوات على الجبهة المصرية فصل مماثل على الجبهة السورية » وأضاف « ان الولايات المتحدة تستعد لبذل جهد مماثل في هذا الصدد » (أ.ش.أ ٧٤/١/١٨) . ومن الملاحظ ان الرئيس المصري والوزير الاميركي سيسعيان الى فك الالتحام على الجبهة السورية قبل البدء بأي عمل آخر ، وقبل العودة الى مؤتمر السلام في جنيف .

والخلاصة : ان اتفاق فك التحام القوات على الجبهة المصرية والذي رحبت به القاهرة وواشنطن والاوساط الحاكمة في تل ابيب ، وعارضته القوى اليمينية الاسرائيلية واعتبرته تنازلا وتراجعا عن أهداف معلنة امام الضغوط الاميركية ، وقابله الاتحاد السوفياتي ببرود ، ورأت سورية فيه « تطورا خطيرا قد تتضح عواقبه عما قريب » وقابلته بعض الدول العربية بارتياح على حين نظرت اليه دول عربية أخرى بتحفظ مشوب

بالعداء ، هو نتيجة جهد اميركي كثيف لتخفيف حدة التوتر في المنطقة على اعتبار ان هذا التخفيف يحسن سمعتها في العالم العربي ، ويخفف التدابير النفطية الموجهة ضدها ، ويقلل احتمالات صدامها مع السوفيات ، ولا يسمح بظهور تناقضاتها مع حلفائها الاوروبيين واليابانيين ، ويقلل من تغلغل النفوذ السوفياتي في البلدان العربية الراديكالية والبحر الابيض المتوسط ويمنع انتشار هذا النفوذ الى البلدان العربية التقليدية . وهو يشمل في طياته بنودا سرية متعددة تكون في مثل هـــذه الاتفاقات أهم من البنود المعلنة . ولا يمكن الحكم على الاتفاق ككل الا بعد ظهور نتائج تطبيق البند (د) ، لان التطبيق العملي لهذا البند هو الذي سيجعله خطوة على طريق السلام او منـاورة لتخليص اسرائيل والولايات المتحدة من معظم آثار حرب تشرين الاول .

المقدم الهيثم الايوبي

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٧٣/١٢/١٣ — ١٩٧٤/١/١٢

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	تاريخه
١ —	١١/٢٤	٢٠٠٠٠	مخيم النصيرات/ غزة	اشتباك	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	غير محدد	—	١	—	رقم ٩٩٥	١٢/١٣
٢ —			بيت صفافا/ بين القدس وتل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير جزء من خط سكة الحديد وتعطيل سير القطارات عليه	—	—	—	رقم ٩٩٦	١٢/١٤
٣ —	١٢/١٣	١٥٠٣٠	بين الجفتلك وعقربة/نابلس	اشتباك	أسلحة مختلفة	عددكبير من الاصابات	غير محدد	٢	١	—	رقم ٩٩٧	١٢/١٥
٤ —	١٢/١٥	—	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مكتب شركة «ريج» للبواخر في بناية راسكو وتصدع البناية وامتداد النيران الى البنايات المجاورة	—	—	—	رقم ٩٩٨	١٢/١٦
٥ —	١٢/١٥	—	الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مكتب العمل الصهيوني واشعال النيران فيه	—	—	—	رقم ٩٩٩	١٢/١٦
٦ —	١٢/١٩	١١٠٠٠	ريشون ليتسون/ جنوب شرقي تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير باص لشركة سياحية في شارع هورفيتس	—	—	—	رقم ٩٩٩	١٢/١٩
٧ —	١٢/١٩	٨٠٠٠	تلقيلية	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من مكتب العمل	—	—	—	رقم ١٠٠٠	١٢/٢٠
٨ —	١٤—١٢	١٨٠٣٠	غزة	تفجير	القاء قنبلة	غيرمحدد	اعطاب سيارة « باور واجن »	—	—	—	رقم ١٠٠٠	١٢/٢٠
٩ —	١٢/٢٧	٢١٠٣٠	سفوح جبل الشيخ	هجوم	أسلحة رشاشة ومختلفة	عددكبير من الاصابات	اقتحام موقع للعدو وتطهيره ، احراق مهاجعه وتدمير احدى آلياته	—	١	—	رقم ١٠٠١	١٢/٢٨
١٠ —	١٢/٢٥	—	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير برج للضغط العالي وقطع التيار الكهربائي عن بعض مناطق المدينة	—	—	—	رقم ١٠٠٢	١٢/٣٠

١١ — ١٢/٣٠	٤٠٣٠	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مكتب الهويات في المدينة واصابة المبنى بأضرار	—	—	—	رقم ١٠٠٣	١٢/٣١
١٢ — ١٢/٢٩	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير عدة أعمدة وكابلات الخطوط الرئيسية للهاتف	—	—	—	رقم ١٠٠٤	١٢/٣١
١٣ — ١٢/١٢	—	رفح	كمين	أسلحة مختلفة	٤ افراد	—	—	—	—	رقم ١٠٠٥	١٢/٣١
١٤ — ١٢/١٥	—	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير عبارة وجزء كبير من خط سكة الحديد وتعطيل سير القطارات عليه	—	—	—	رقم ١٠٠٥	١٢/٣١
١٥ — ١٢/١٦	٩٦٠٠	نحال عوز/غزة	تفجير	الغـام	١ —	تدمير جرار	—	—	—	رقم ١٠٠٥	١٢/٣١
١٦ — ١٢/٢١	—	بين رفح وغزة	هجوم	تنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير سيارة مخابرات عسكرية	—	—	—	رقم ١٠٠٥	١٢/٣١
١٧ — ١٢/٢٦	—	مقبرة الشجاعية/ غـزة	هجوم	تنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير سيارة بلور واجن	—	—	—	رقم ١٠٠٥	١٢/٣١
١٨ — ١٢/٢٧	—	هرتسليا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	— —	خروج قطار الركاب عن سكة الحديد وتعطيل الخط مدة ساعتين	—	—	—	رقم ٧٤/٢	١/٢
١٩ — ١٢/٣٠	—	نابلس	تفجير	القـاء قنبلة	— —	اصابة بعض باصات شركة ايجد بأضرار	—	—	—	رقم ٧٤/١	١/٢
٢٠ — ١٢/٣١	—	الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير مكتب العمل والعمال واشتعال النيران في محتوياته	—	—	—	رقم ٧٤/٣	١/٢
٢١ — ٥ /١	—	بين العوجا وأم الشرط	تفجير	الغـام	غيرمحدد	تدمير ناقلة للجنود	—	—	—	رقم ٧٤/٤	١/٥
٢٢ — ٦ /١	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير النادي الليلي في فندق « داني » واشتعال النيران فيه	—	—	—	رقم ٧٤/٥	١/٦
٢٣ — ٨ /١	—	مستوطنة هيمتسيا	تفجير	الغـام	١ —	تدمير جرار وقتل سائقه مختار المستوطنة	—	—	—	رقم ٧٤/٦	١/٨
٢٤ — ١٢/٣١	—	بيت عوا/الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مكتب العمل والعمال واشعال النيران فيه	—	—	—	رقم ٧٤/٧	١/٩

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٢٥	١/٨	—	نهاريا	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في عدة أقسام من مصانع مولر للنسيج واستمرت النيران حتى صباح ١/٩	—	—	—	رقم ٧٤/٨	١/٩
٢٦	١/٩	—	دورا/الخليل	هجوم	قنابل يدوية ورشاشات	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	رقم ٧٤/٩	١/١٠
٢٧	١/١٠	—	منحنى بارفابورا/ جنوب القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	انهيار قسم من الجبل على الخط الحديدي وتعطيل سير القطارات طيلة يوم ١/١٠	—	—	—	رقم ٧٤/١٠	١/١١
٢٨	١/١١	٦،٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير قسم كبير من ملهى دميث واشعال النيران فيه	—	—	—	رقم ٧٤/١١	١/١١

تصدر البلاغات العسكرية عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٧٣/١٢/١٣ — ١٩٧٤/١/١٢

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	١٢/١٢	—	الخليل	تفجير	القاء قنبلة	٨ اصابات		—	—	—	—	ن٠عدد٤١٤ ص٢٢٢٩	١٢/١٣
٢	١٢/١٧	—	شتولة	اطلاق نار	اسلحة رشاشة	—	—	—	—	—	—	ن٠عدد٤١٨ ص٢٣١٢	١٢/١٨
٣	١٢/١٧	—	شوميرا	اطلاق نار	اسلحة رشاشة	—	—	اصابة باص	—	—	—	ن٠عدد٤١٨ ص٢٣١٢	١٢/١٨
٤	١٢/١٩	١١:٠٠	ريشون لتسيون	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	—	—	—	—	ن٠عدد٤٢٠ ص٢٣٦١	١٢/٢٠
٥	١٢/٢٦	—	الخليل	تفجير	قنبلة يدوية	—	—	—	—	١	—	ن٠عدد٤٢٥ ص٢٤٤٩	١٢/٢٨
٦	١/٦	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اشتعال النيران في النادي الليلي في الفندق	—	—	—	ن٠عدد٤٢٩ ص٢٥٤٩	١/٧
٧	١/٩	—	نهاريا	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد		اشتعال النيران في مصانع ملابس مولر	—	—	—	ن٠عدد٤٣٢ ص٢٦٢٢	١/١٠
٨	١/١١	—	تل ابيب	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد		اشتعال النيران في النادي الليلي زيف	—	—	—	ن٠عدد٤٣٣ ص٢٦٥١	١/١١

ن٠ نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

Palestine Affairs

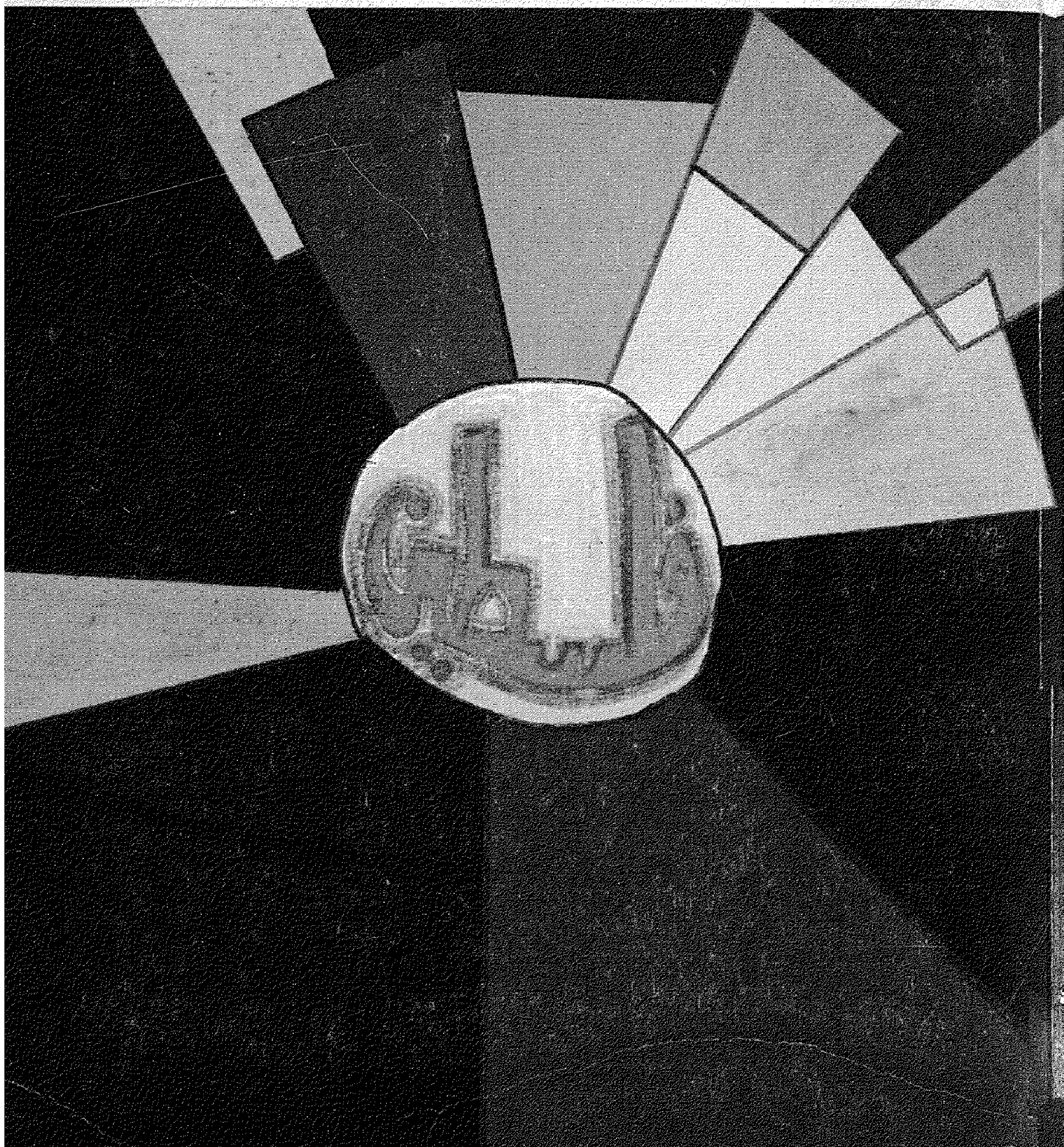
Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; ***Editor,*** Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail) : Lebanon and Syria LL 30, other Arab countries LL 40, Asia, Africa and Europe LL 60, elsewhere LL 90; *Annual Subscription* (surface mail) : Countries outside the Arab World LL. 45. *Address :* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٢½ ل.ل. في لبنان
٣½ ل.س. في سوريا
٤٠٠ فلس في الكويت
٣½ ل.ل. في سائر الاقطار العربية

شؤون فلسطينية

٣١

آذار (مارس) ١٩٧٤



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٣١ آذار (مارس) ١٩٧٤

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ــ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤١/٢ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

لم يترك لي مسؤول الطباعة في المجلة ، ونحن نخطط لهذا العدد الذي ندخل به عامنا الرابع ، غير صفحتين أختصر بهما حديثا طالما وددت أن أتبادله مع قراء شؤون فلسطينية ، أعرض لهم فيه جوانب من هموم تحرير المجلة ومتاعبها ، وأطرح عليهم استفسارات حول آرائهم في عدد من القضايا حتى أستنير بها ، وزملائي في التحرير ، وحتى نحاول تنفيذ ما يرد فيها من مقترحات وتوجيهات عملية ومن ضمن سياسة المجلة ومخططها . خاصة وان شؤون فلسطينية لا تنطق باسم حزب ولا منظمة ولا دولة ولا مؤسسة رسمية ما ، ولا تمثل في افكارها غير كتابها من داخل اطار ايمان أسرة تحريرها الكامل والتزامهم التام بأهداف الثورة الفلسطينية المحددة في الميثاق الوطني الفلسطيني، مما يعطي لآراء القراء وتوجهاتهم (وهم ، حسب استقصاءاتنا ، نخبة المثقفين العرب ، من مختلف الاتجاهات والاقاليم والاعمار والمهن والطبقات) أهمية خاصة لمجلة كهذه تطمح، بصدق وبجد، لان تكون مجلة المثقف العربي الثوري الاولى للشؤون الفلسطينية.

لكن هموم رئاسة التحرير ومتاعبها لا تنحصر بصفحتين او ثلاث ، ولا بعشر صفحات. فهي كثيرة بكثرة المصاعب التي تواجهها ثورتنا في كل مجال ، من جهة ، وبكثرة طموحاتنا في المجلة (وفي مركز الابحاث عموما) ومشاريعنا ومخططاتنا لتطوير عملنا وتنمية انتاجنا . وكدت في الواقع أيأس من امكان حصر هذه الهموم ، والاستفسارات التي نريد من القراء ، في الصفحتين الوحيدتين المتروكتين للافتتاحية ، لولا رسالة جاءتني من أخ لنا ، يراسلنا من القاهرة ويسهم في تزويد المجلة (والمركز) بالبحوث . وسأكتفي هنا بايراد رسالته ، بالنص ، طالبا من القراء ان يوافونا بآرائهم لا حول القضايا التي يطرحها الزميل (الاستاذ عبد القادر ياسين) في رسالته ، فقط ، بل بكل قضية أخرى يشعرون أن لهم فيها رأيا يودون أن نسمعه . وسوف تعكف رئاسة تحرير المجلة على دراسة جميع الآراء والمقترحات التي تردنا ، وخاصة من حيث امكان تطبيق ما يمكننا تطبيقه وتفسير احجامنا عن تطبيق ما نرى استحالة تطبيقه . وفي افتتاحية قادمة ، سنجيب على تساؤلات الاستاذ ياسين التالية مع تساؤلات وملاحظات كافة القراء الذين سيلبون دعوتنا بالكتابة الينا . والمهم ، بالطبع ، ان لا نكتفي بالكلام ، بل أن ننفذ الكثير من الاقتراحات . وهذا ما نعد بأن نفعله .

واننا اذ نطلب ذلك من القراء لا نتصيد المديح ولا نبغي عبارات الاطراء . بل اننا نلح على قرائنا أن نسمع ملاحظاتهم السلبية : كل ما يرونه نقصا او تقصيرا او عيبا او عجزا في المجلة ، وكل الانتقادات والمآخذ . ونعد ، في النهاية ، ان تكون اعداد العام الرابع اقرب الى أمل القراء ومطلبهم من مجلة كمجلتنا مما كانت اعداد السنوات الثلاث الاولى، على ما حققته الاعداد السابقة من نجاح تشير اليه ارقام التوزيع وطلبات الوكلاء .

كتب الاستاذ ياسين :

« تعكس المجلات الفكرية المستوى الحضاري للبلد الذي تصدر عنه . ومع ذلك فشؤون فلسطينية خرقت هذه القاعدة ، بل وبزت زميلاتها في الوطن العربي ، على الرغم من صدورها عن شعب بعثرته السنون في انحاء الارض الاربع .

وتقوم « شؤون فلسطينية » كقلعة علمية شاهقة الجدران ، تمتنع علــى الخصوم والاعداء . وان كان تخفيض عدد صفحاتها يوازي — في خطورته — الهبوط بجدران القلعة الى مستويات أدنى . وهذا الكلام لا نطلقه على عواهنه ، فقد تعودنا ألا يمتد العمر بأمثال هذه المجلة ، وتاريخ الصحافة في الوطن العربي خير دليل على ذلك ! ومن ثم كان على هيئة التحرير أن تغتنــم الفرصة لتكديس وحشد أكبر قــدر ممكن مــن الدراسات ، والبحوث ، والتقارير ، والمراجعات ، في كل عدد من أعداد هذه المجلة ، وتتصرف وكأن سيف حجب المجلة مسلط فوق رأسها ، ويمكن ان يهوي في كل لحظة . وأعتقد انني لا أصدر ، في كلامي هذا ، عن تقديرات ذاتية !

وباطفاء المجلة لشموعها الثلاث ، يجوز لنا تقييم الاعداد الثلاثين الماضية ، دونما خشية أو وجل ، فالوليد قد شب عن الطوق ، وأمراض الطفولة فات أوانها. ولي رجاء أن يساهم المختصون — كل في مجاله — في اجراء التقييم المطلوب ، حرصا على المجلة ورعاية لها . ومن جانبي سأتقدم بملاحظات سريعة عن الجانب الفني للمجلة .

ولنبدأ بالغلاف ، الذي تباين طابعه من عدد لآخر ، وافتقر للوحدة الفنية ، وان ظل أكثر تقدما ، من الناحية الفنية ، وبما لا يقاس ، عن بقية أجزاء المجلة .

فالصفحات الداخلية بدت وكأنها صبت في قالب واحد ممل وغير مريح ، والشيء نفسه يمكن ان يقال على عناوين المقالات . ويبدو ان المشرف الفني قد تواطأ مع أطباء العيون ! فبالرغم من استخدام بنط كبير في جمع المقالات ، الا أن العين سرعان ما ترهق من تتبع وملاحقة الكلام المجموع في عمود مفرط في عرضه (نحو ٥ر١٢ سم) . وكان الاجدى ان يقسم مثل هذا العمود الى عمودين لاراحة العين . وهذه ليست المؤامرة الوحيدة من المشرف الفني على عين القارىء ، اذ ان البنط ٩ (تسعة) الذي تجمع به التقارير والمراجعات ، يحمل العين أعباء غير هينة .

والامر المستهجن ، هو ترك الفقرات بدون بدايات واضحة ومحددة ، حسب ما هو سائد ومتبع ، اذ تبدأ الفقرة الجديدة ، في مجلتنا ، دون فراغ صغير .

اما الصفحات فكأنها اقتطعت من كتاب (مطالعة) للصفوف الابتدائية ، بلا أثر لاي جهد فني . وكان يمكن استخدام أنواع متباينة من العناوين ، بخطوط متنوعة ، وأحجام مختلفة ، وأوضاع متنوعة ، مع ادخال نظام « الكادرات » (أي البراويز) ، وملئها بالمفاتيح والتعريفات ، وتوزيعها في أشكال وأماكن مختلفة من صفحات المقال . وبذا يمكننا تقديم صفحات مريحة ومستريحة ، اذا جاز لنا التعبير .

وهناك تقليد (خدمي) هجرته المجلة دون تقديم الاسباب ، ألا وهو التعريف بكتّاب كل عدد . فهذا التعريف — في رأيي — ضروري ومطلوب ، خاصة وان سوق المجلة لا يقتصر على بلد واحد ، كما ان الكتابة فيها ليست وقفا على الفلسطينيين دون سواهم .

واذا كان من البديهي أن تهتم مثل هذه المجلة بالماضي والحاضر والمستقبل ، فان مجلتنا كثيرا ما تخرج عن هذه البديهية ، فتغيب من بين صفحاتها مقالات التاريخ الوطني المعاصر . وهي التي لا يختلف شخصان في اهميتها وفائدتها .

وبعد ، أرجو الا أكون قد بالغت في تصوير العيوب ، كما أعرب عن أسفي لعدم تركيزي على الايجابيات الفنية لمجلتنا الفتية . »

وداعا أيتها الحرب
وداعا أيها السلام

محمود درويش

● باب واحد لاكثر من زنزانة .

أو : باب واحد لكل الزنازين .

خرج ، ولم يعجبه الأفق . قال : هذا تربة المتاهة لا انعتاق الرؤية . وقف ليبحث عن شيء يرميه فيكسر به روتين هذا الأفق ، فكان القمر مندمجا . لعنه : حتى انت يا قمر . جمع الجهات في قبضة يده ، فازداد لون الأفق خطأ . حاول العودة من حيث أتى ، فكان الطريق [سابقا] مسدودا بالأحاديث عن الحرب البعيدة .

كأنه ينزل الآن من أمه . والدهشة عيب في الخارج . قالوا : هذا واحد من أهل الكهف المنسيين . ضحكوا منه ، لأنه يستعمل كلمات مهجورة ، ويسأل أسئلة أسرتها الحرب . اسم الوطن ، على سبيل المثال ، عورة لا يكشفها المهذبون في الشارع العام . وكثير من الجنود ماذا يفعلون الآن ؟ يحرسون الأخلاق مثلا .

كأنه غضب وقال : قادم من الكهف ! نعم . ولكنكم ذاهبون الى الكهف . مد يده والتقط حفنة وحل ، وصاح : اعتبروها سؤالي : العيب في الخروج من العبودية ، أم في الذهاب الاختياري الى العبودية ؟. وحين دقق الخبراء والشعراء الفاشلون في ذرات السؤال قالوا : سرحان يهذي . وكانت سوق البضائع مزدحمة بالمتفرجين . وكانت الأسعار مخفضة للأبطال ذوي الحناجر المصقولة . وكان الشهداء عرايا على الرمل . وكانوا ، كعادتهم ، صامتين .

باب واحد لأكثر من زنزانة .

قال لهم : لا تتفلوه ، لان الأفق باب شديد الاحكام . والمدى مفتاح صدىء . كان من السهل على عينيه أن تخترقا البوابة الفولاذية المغلقة ، ولم تكونا قادرتين على ملاقاة هذا الأفق المعاكس : « ليس هذا بخار الدم » . ملوك يخرجون من المقاعد التي كسرها الغضب [سابقا] . ولغات مهجورة تخرج من الكتب التي أحرقها الغضب [سابقا] وتتجول في الشوارع والاذاعة والمكاتب الرسمية . وكل شيء للبيع . وحين حاول العودة اتهموه بالبحث عن السجن الاختياري ، وقالوا : هذه حرية اختيار ، فأعادوه مرغما .

ـــ كنت أريد هذا . أنا الذي طلب . وليس هذا عقابا !.

باب واحد لأكثر من زنزانة .

هو : باب الحرية .

دوّن الجملة التالية : وداعا أيتها الحرب ! فأحس أنها جملة ناقصة . وقعت منه جملة مرادفة : وداعا أيها الوطن !

أعجبته العبارة ، ولم يفهم المعنى ، فحاول أن يملأها بأي معنى .

ثبت العلاقة بين الحرب والوطن ، حتى تحولت الى هاجس . اذا ودعت شيئا فلا بد من أن تعانق شيئا آخر . وداع الحرب معناه لقاء الوطن . فهل هذا ما حدث ؟

شطب ما كتب . وحاول تركيب المعادلة من جديد : وداعا أيتها الحرب !. فالى أين يقودني هذا الوداع ؟ هل هو طريق لقاء الوطن !. اذا ودعت شيئا كهذا فلا بد من أن تودع نفسك .

أعاد النظر : آن للفكرة ان تسكن صخرة . وآن للدم أن يتحول الى سنبلة. آن للوطن أن يترجل عن ضلييه وعن تجريدي . آن له أن يعود من رحلة القصائد والمؤتمرات والتبرعات . وآن للوطن أن يصير وطنا !. عاديا ، وبسيطا ، ومملا ككل البلدان . آن له ان يكون تقليدا يوميا ، لا ابداعا شعريا !. وآن له أن يصير شيئا قابلا للملامسة .. واللعنة !.

كان الحارس نائما . وكان حلم سرحان يتجول ، حرا ، في فضاء الزنزانة :

من أجل هذا تكون الحرب . من اجل هذا يكون الموت . ونحن لا ننفق العمر كله ، ونهدر الحلم والرؤيا الا من أجل خيبة أمل واقعية واحدة . من أجل صدمة على حجر . ومن أجل ان نعرف كل العذاب ، الا عذاب الندم . أيها الوطن المتسكع بين الحروب ! لم تكن جميلا فحسب، ولكنك كنت قاتلا في جمالك ، وجميلا في قتلك . فماذا صرت الآن ؟ لقد حملناك من أول العمر الى كل الحروب من أجل أن تكون فنكون . فماذا صرت الآن ؟ لقد نزلنا من القصيدة الى الرضا بالخيبة من أجل أن تكون . وماذا حدث ؟ حين كنت — لم نكن . وحين كنا — لم تكن . وفي الحرب قلنا : تكون . وهــا نحن نقول للحرب : وداعا . فماذا تكون ؟.

عثر على نفسه يبكي . اختلط الدمع بالكلمات وبالحلم ، فتحول الوطن ، امامه ، الى لوحة غامضة . « لم تكن واضحا الا في القلب أيها الوطن » .

وخاطب نفسه : يا سرحان ! انتظر قليلا . ان للجنون حكمة . ولكن ليس للحكمة جنون .

وحاول أن يعدل العبارة :

وداعا أيتها الحرب .. وداعا أيتها الحرية !.

أعجبه التعديل ، ولم يفهم المعنى ، فحاول أن يغزوه ، حاول أن يغتصبه .

واكتشف العلاقة بين الحرب والحرية ، حتى تحول الى هاجس آخر . وتذكر : حين جاءت الحرب كالفرح ، هكذا كتب دقيقتئذ ، غاصت جدران الزنزانة في لحمه ، فحمله وسار الى الشاطىء . ورأى من بعيد شعوبا تعثر على ارادتها وطاقاتها وتسير الى الحرب لتبدع حريتها .

وفي منتصف اقتحام الحرية ، اعادوا الشعوب الى بيوتها وأسرها . واعادوا الحرب الى مؤسستها . واعادوه الى الزنزانة . [انتهت الحرية واعيد الناس الى واجباتهم الوطنية] .

باب واحد لأكثر من زنزانة .

ومرة ثانية ، كان سرحان يصب نفسه في مأزق . « أن أبدع مأزقي بيدي خير لي من أن يعيروني فرحا بالاجرة من أجل أن يشرعوا الخطأ » .

٧

وكانت الشجرة تخرج من سقف الزنزانة الى سطحها . وكان ، هذه المرة ، لا يراها.

قال السجان : هو الحلم . . يا سرحان ؟

ــ كلا . أين الشجرة التي كانت هنا ؟

ــ كنت عائدا من الحرب اليوم . ورأيت شجرة على سطح زنزانتك . هل هي شجرتك ؟

ــ نعم . نزلت من سقف الزنزانة أيام الحرب . الم ترها ؟

ــ منذ عشرين سنة وانا حارسك ، ولم أر شجرا . الشجر لا ينمو في العتمة. الشجر ينمو على السطح .

ــ وماذا تفعل شجرة على سطح زنزانة ، ماذا تفعل ؟

ــ تجعل المنظر اجمل .

ــ للمشاهدين ، لا للسجناء .

ــ ولماذا تغضب ؟

ــ لا أغضب . ولكنني لا افهم . أنا أول من رأى . رأيت بالقلب والعينين . أتذكر يوم اتهمتني بالجنون حين قلت ان الاسمنت يزهر من صوت رصاصة ؟.

ــ ذلك انتهى . فغادرتك الشجرة . هكذا تريد أن تقول ؟.

هذه المرة ، لم يكتب سرحان : وداعا أيتها الحرب . . وداعا أيتها الشجرة !

بقي واقفا بين الوداعين في انتظار سجان آخر يشهد أن الشجرة تدلت من سقف الزنزانة .

كان مضرجا بالوداع والكلمات الغائبة . ليس البركان ما يهزه ؛ تحركه رغبة في الاشتباك بحبيبته الزانية ، ليسترد منها الكلمات التي كوّنت مصيره . لست نادما على شيء أيتها القديسة الزانية . ولكني أرغب في أن تبلغك انفجارات روحي. أريد أن أقشرك كلمة كلمة لتكوني عارية مني . وأريد أن أحتسي دمي الساري فيك ، قطرة قطرة ليعود منك اغترابي ، وتكوني معدة للسلام بدون جنيني . أعيدي اليّ عذاب اللذة الدموية التي ملأت بها أحشاءك . أعيدي الي ذبذبات البرق التي كنت أصبها فيك . ثم افعلي ما تشائين يا حبيبتي . لم يحبوك ولم يخرجوا من دمك . وأنا أحبك ، وترفعين دمي ستائر تخفي خيانتك عن الشارع . وكم أحبك يا حبيبتي .

أطل سجانه الجديد فجأة ، كأنه خارج من خلف تلك الستائر . سأله سرحان عن الحبيبة ، ورجاه أن يبلغها الرسالة .

ــ لا أهرّب الزلزال . ولا احمل ورقة طلاقي . قال السجان الجديد .

ــ حدثني عنها أرجوك . حدثني عنها .

ــ كانت خائفة من الشيخوخة . وانتهت الحرب . وصارت تخاف السلام .

ــ هل تتكلم ؟

ــ أحيانا ، في أواخر العاصفة ، وفي المطر الاول . وفي مطالع الحروب تكون بكامل شهوتها .

ــ استعدادا للعرس ، أم للهرب ؟
ــ استعدادا للصمت . هكذا يقول الشعراء .
ــ وماذا تقول أنت ؟
ــ استعدادا للخيانة .

[لو استطعت أن أملأ البلاد بالسواد
وأن أهدم الساعات من البكاء
لفعلت ذلك من أجل أن اشهد أمام منزلك
مجيء الصيف بشفاهه المحطمة
ومجيء العديد من الاشخاص متشحين بثياب ميتة]

ــ هل يصلها دمي ؟
ــ يصل اليها برقوق كثير . يقولون انه هدايا آخر الشتاء .
ــ قل لي : هل رأيت شجرة على سطح الزنزانة وانت قادم ؟.
ــ نعم . وتجمع حولها الصحفيون . وقالوا انها بشارة السلام .

باب واحد لأكثر من زنزانة .
أو باب واحد لكل الزنازين .
وحاول سرحان اقناع السجان بالهرب ، لان لزنزانتيهما بابا مشتركا .
ــ أين زنزانتي ؟ قال السجان .
ــ في البيت . هل أنت حر ؟
ــ انا حر هنا . وهذا واجبي .
ــ وماذا لو هربت وحدي ؟
ــ أطلق عليك النار .
ــ يحدث شيء مدهش : تختفي الشجرة عن السطح وتطلع من السقف . لا يراها الصحفيون ، وتختفي البشارة .
ــ وتكون لي . ولا يحرسني أحد .
ــ وماذا لو أطلقت سراحي وتجاهلت ؟
ــ تكون زوجتي في انتظارك . ولا يبقى لي عمل هنا . أموت من الوحدة والبطالة والتفكك .
باب واحد لزنزانة سرحان وبيت السجان .
ــ الا تستطيع أن تكون حرا بلا قهري ؟
ــ لا أستطيع ، والزوجة مشتركة .

ــ ما كنت تقول هذا الكلام من قبل . كنت تقول اني سارق .

ــ الحرب .. الحرب تغير .

دوّن سرحان عبارة جديدة في السطر الواقع بين وداعين :

وداعا أيتها الحرب .. وداعا أيها السلام .

أعجبته العبارة ، وأعجبه أن لها معنى لا يحتاج الى برهان . وتأهب لحوار طويل مع النفس : سرحان .. يا سرحان ! لماذا أضعت السلام ؟ كان السلام أيضا في قبضة يدك . وكانت الحبيبة في أوج الصمت . لماذا ضاع منك السلام .

... لأني أضعت الحرب . السلام لا يولد الا من نهاية الحرب ، ولا يسكن الحالة الواقفة بين حربين . رجل أضاع سلاما ، ماذا يفعل ؟ ماذا يفعل ؟ والحرب هاجرت . أو وضعت في زنزانة يحرسها الخصمان . يحرسها الخصمان .. ماذا يفعل ؟

... لا يستسلم .

تدخل السجان قائلا : ستأخذ شيئا يا سرحان .. ظل الشجرة الطالعة على سطح الزنزانة ستكون لك .

ــ فوقي ولا أراها . مني ولا أبلغها .

القلب بعيد عن العينين ولا يلتقي بهما . هل يرفض القلب العينين ؟

لا أرفض .. لكني لا أضع قلبي في صدر سجاني ، وأعيش بالوساطة .

شجرة الزنزانة لي . أنا أبدعتها . وهي ليست هدية . والسلام شيء آخر .

شيء آخر ، ولا أحارب سدى . وليس لحرب طهارة الينابيع مثل حربي . هي حرب الحب ليكون الحب سيد الطقس والشجر . تغسلني على ضفاف الانهـــار البعيدة ، تمشطني ، تجففني ، وتطهرني . ولا أقتل الا الخطيئة ، وأخلص نفسي والهواء من خطأ يتكاثر .

وفجأة ، جاءه الوطن متعبا . تصبب الضباب من اسمه الذي يغطونه ، في الخارج ، كما يغطون العورة . وأطلت الحرب خلفه بادية التعب كأنها تسير الى جنازتها ، وحولها ضباط يقلدون الابطال . قال سرحان : وداعا أيتها الحرب !.

ثم استدار الوطن الى الخلف كأنه خارج من فضيحة ، واختفى من ثقب الباب الى الافق الغامض المنهمر من كل الاطراف . قال سرحان : وداعا أيهـــا الوطن . وبكى كصفصافة . وحين مد يده الى صدره ، أمسك دقـــات القلب الباقي ، فصاح : الى اللقاء أيها الوطن . وجلس كالنسر .

الطريق المسدود
في الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل

اللواء الركن مصطفى طلاس

هذا هو الفصل الاول من كتاب يعده اللواء الركن مصطفى طلاس عن الحـرب العربية الاسرائيلية الرابعة .

دأبت إسرائيل منذ زرعها في قلب الوطن العربي ــ كعضو غريب عنه ــ على تحدي ارادة المجموعة الدولية والرأي العام العالمي ، وقد تجلى هذا التحدي برفض حكام تل أبيب الانصياع لقرارات الامم المتحدة التي صدرت بخصوص القضية الفلسطينية والنزاع العربي ــ الاسرائيلي منذ عام ١٩٤٨ ، على الرغم من أن قبول اسرائيل كعضو فـي المنظمة الدولية كان مشروطا بتنفيذ القرار رقم (١٩٤)(١) لعام ١٩٤٨ الخاص باعادة اللاجئين الفلسطينيين او التعويض على من لا يرغب منهم في العودة .

وفي عام ١٩٥٦ أسهمت اسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر مع انكلترا وفرنسا، مع أن أبسط المبادىء الاخلاقية كانت تحتم عليها أن لا تسهم في هذه الحملة الاستعمارية اذا كانت تنوي حقا ان تعيش بسلام ــ كما كانت تزعم ــ مع الدول العربية المجاورة .

وجاء عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، فزاد من غطرسة الصهاينة ومن صلف حكامهم الذين أصبحوا يواجهون جميع المحاولات الدولية لايجاد تسوية سياسية للنزاع القائم في الشرق الاوسط بالرفض المتعنت ، متسترين وراء دعوى « امن اسرائيل » لاخفاء نواياهم التوسعية والاستيطانية . وقد بدأت هذه النوايا تظهر بوضوح منـذ اللحظات الاولى التي اعقبت صدور قرار مجلس الامن رقم (٢٣٥)(٢) تاريخ ٩ حزيران ١٩٦٧ المتضمن أخذ العلم بموافقة كل من سورية واسرائيل على وقف اطلاق النار ، اذ على الرغم من صدور هذا القرار ، استمرت اسرائيل في عدوانها واحتلت القسم الاعظم من الاراضي السورية في هضبة الجولان ، مما اضطر مجلس الامن الى تسجيل هذا الواقع في قراره رقم (٢٣٦)(٣) الصادر بتاريخ ١١ حزيران ١٩٦٧ والذي يدين ، في اول بنوده ، انتهاك اسرائيل لوقف اطلاق النار ، ويطلب في بنده الرابع أعـادة القوات الاسرائيلية التي استمرت في عملياتها الحربية بعد الساعة (١٦،٣٠) من اليوم العاشر من حزيران ، الى مراكزها السابقة على الفور .

الا ان اسرائيل رفضت رفضا قاطعا الامتثال لقرار مجلس الامن هذا وأرخت بظل احتلالها البغيض على الجولان والضفة الغربية وشبه جزيرة سيناء . ودأبت منذ ذلك الحين على تطبيق سياسة الامر الواقع الرامية الى الاستيلاء على جميع هذه المناطق بأساليب الاحتلال والقمع . فهجرت السكان العرب بالارهاب تارة وبالعنف تارة اخرى. وأقامت العديد من المستوطنات العسكرية ، وغيرت معالم الاراضي المحتلة، متحدية بذلك قرارات الامم المتحدة العديدة في هذا الشأن. وراحت أجهزة الاعلام والدعاية الصهيونية

تركز جهودها على تهيئة الرأي العام العالمي للرضوخ لواقع التوسع الصهيوني ، يساعدها في ذلك مرور الزمن واستمرار واقع الاحتلال .. فلفقت نظرية « أمن اسرائيل » التي تركزت على ضرورة استيلاء اسرائيل على الجزء الاكبر من الاراضي المحتلة لاقامة الحاجز الجغرافي الضروري لامنها .

وقد استطاعت اسرائيل بفضل دعم الولايات المتحدة الامريكية رفض جميع ضمانات الامن الاخرى (كالضمانات الدولية والمناطق المجردة من السلاح ، ووضع قوات دولية على طرفي الحدود) التي طرحت واقترحت في هيئة الامم المتحدة او خارجها، كحلول بديلة لنظرية « الامن » الاسرائيلية التوسعية ، وتشبثت بمطامعها التوسعية معطلة بذلك جميع المبادرات ومحاولات التسوية السياسية التي اقترحت خلال السنوات الماضية على أساس احترام ميثاق الامم المتحدة ومبدأ عدم جواز الاستيلاء على اراضي الغير بالقوة .

غير أن اسرائيل ما كانت لتستطيع المضي طويلا في تحديها للمجموعة الدولية والرأي العام العالمي لولا الدعم الامريكي الذي أصبح خلال السنوات الاخيرة الماضية يتعدى حدود الدعم ليصل الى التشجيع السافر على العدوان على الدول العربية ، وعلى تقتيل الشعب العربي الفلسطيني وتشريده ، كما دل على ذلك سلوك الولايات المتحدة خلال العامين الماضيين متجليا بامداد اسرائيل بأحدث أسلحة القتل والتدمير بدون حساب ، وباستعمالها حق الفيتو ثلاث مرات للحيلولة دون ادانتها من قبل مجلس الامن ، لما اقترفته من أعمال القرصنة والقتل .

وان نظرة موضوعية الى وضع اسرائيل الدولي قبيل الحرب الرابعة ومقارنته بوضعها قبل عدوان حزيران ١٩٦٧ ، تدل على الثمن الباهظ الذي دفعته — على الرغم من الدعم الامريكي — لقاء تحديها للمجتمع الدولي وللرأي العام العالمي ، ولقاء سياسة القمع والارهاب والعدوان المستمرة التي مارستها بعد عام ١٩٦٧ من أجل الاحتفاظ بالاراضي المحتلة . فقد تغيرت بعد عام ١٩٦٧ صورة اسرائيل : « الحمل الوديع المسالم المحاط بالذئاب المفترسة » التي نجحت الدعاية الصهيونية — الاستعمارية بترسيخها في مخيلة قطاعات كبيرة من الرأي العام العالمي ولا سيما الغربي ، وبدأ طوق العزلة الدولية يلتف حول عنق اسرائيل شيئا فشيئا ، بقدر ما يزداد صلف اسرائيل وتحديها ورفضها للتسويات السياسية . حتى ان قطاعات كبيرة من الرأي العام العالمي التي كانت موالية في الماضي لاسرائيل بدأت تكتشف سياستها التوسعية وأطماعها غير المحدودة . فانتقلت دول اوروبا الغربية نفسها من سياسة التأييد بدون حدود لاسرائيل الى سياسة اكثر اتزانا .. أخذت تتطور شيئا فشيئا .. حتى وصلت الى حد تأييد التسويات السياسية التي ترفض التوسع الاقليمي الاسرائيلي ، والتي ترفضها بالتالي اسرائيل رفضا قاطعا (وثيقة شومان وزير الخارجية الفرنسي التي أقرتها دول السوق الاوروبية المشتركة الست عام ١٩٧١) .

كذلك بادرت الدول الافريقية الى اتخاذ موقف جماعي يطالب اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة، وبادرت منذ عام ١٩٧٢ الى قطع علاقاتها باسرائيل الواحدة تلو الاخرى . وقد تسارع هذا التيار خلال عام ١٩٧٣ ، حتى أن جميع دول افريقيه بدون استثناء كانت قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل مع نهاية الحرب الرابعة . ولم يبق للوجود الاسرائيلي علاقات سياسية في القارة الافريقية الا مع الانظمة العنصرية — الاستعمارية في افريقيه الجنوبية وروديسيا الجنوبية والمستعمرات البرتغالية . وهذا دليل أكيد على الترابط العنصري بين هذه الانظمة والنظام الاسرائيلي .

وقد بلغت عزلة اسرائيل ذروتها في مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز في الجزائر ، قبيل اندلاع الحرب الرابعة ، اذ توصل هذا المؤتمر ، الذي ضم أكثر من سبعين دولة ، الى اتخاذ قرارات(٤) في غاية الحزم ، فضحت وادانت الاعتداءات الاسرائيلية وسياستها التوسعية وطالبتها بالانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة . وان هذه القرارات الحازمة التي اتخذها مؤتمر دولي يضم اكثر شعوب العالم ودوله تدل مرة أخرى على نفاد صبر الرأي العام العالمي من تحديات اسرائيل للمجتمع الدولي ، كما يدل على عزلة اسرائيل الخانقة وامتداد هذه العزلة الى الولايات المتحدة نفسها التي أصبحت السند الوحيد لمطامع اسرائيل وتحدياتها في العالم .

وضعت اسرائيل نفسها ، بتعنتها وتحديها للمجتمع الدولي ، في طريق مسدود . فلا العزلة الدولية التي اصبحت تحيط بها من كل جانب ، ولا ضغط الرأي العام العالمي المتصاعد ، ولا تخلي حلفائها السابقين في اوروبا الغربية عن تأييد مطامعها التوسعية، كل هذا لم يؤد الى تراجع اسرائيل التي أصبحت لا تعتمد الا على دعم الولايات المتحدة وحدها ، العسكري والسياسي . وهذا ما خلق وضعا متفجرا في المنطقة ، اصبح يهدد باندلاع الحرب بين فترة واخرى منذ عام ١٩٧١ ، الى أن أدت ممارسة الاستمرار بالعدوان واللجوء الى القوة واعمال القرصنة من أجل الاستيلاء على الاراضي وتكريس واقع الاحتلال الى انفجار الصراع المسلح في العاشر من رمضان ١٣٩٣ الموافق ٦/١٠/١٩٧٣ .

ان العودة الى تفاصيل المبادرات السياسية المختلفة منذ عام ١٩٦٧ وتعطيل اسرائيل لجميع هذه المبادرات ، مهما كان مصدرها يبرهن ، بدون أي شك على ان الحرب الرابعة ما هي الا نتيجة حتمية لاستمرار العدوان الاسرائيلي القائم منذ عام ١٩٦٧ وان سياستها التوسعية والعدوانية هي سبب اندلاع هذه الحرب الرابعة . ونورد فيما يلي ظروف أهم المبادرات السياسية وتفاصيلها منذ عام ١٩٦٧ ، والتي أدارت لها اسرائيل ظهرها مبدية كل ازدراء واحتقار للمجتمع الدولي .

١ ــ قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) المؤرخ في ١٩٦٧/١١/٢٢ :

يمكن اعتبار قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) أول محاولة من قبل منظمة الامم المتحدة والدول الكبرى لايجاد تسوية شاملة ونهائية للنزاع العربي ــ الاسرائيلي وللقضية الفلسطينية انطلاقا من واقع الاغتصاب والتوسع والاحتلال الاسرائيلي ، فهو ينطلق من العدوان الاسرائيلي لعام ١٩٦٧ ليسدل النسيان على اغتصاب كل فلسطين، خلافا لقرار التقسيم وغيره من قرارات الامم المتحدة ، وليعترف بواقع تشريد الشعب الفلسطيني معتبرا قضيته قضية لاجئين فحسب ، ويرجع القضية الفلسطينية برمتها الى قضية انسحاب القوات الاسرائيلية من اراضي الدول العربية الثلاث التي احتلتها اسرائيل في أعقاب عدوان ١٩٦٧ . وبهذا يمكن اعتبار هذا القرار أهم واخطر قرار أصدرته المنظمة الدولية بشأن القضية الفلسطينية منذ قرار التقسيم عام ١٩٤٧ ، وتأتي خطورته من الاعتبارات التالية :

ــ ان هذا القرار لا ينحصر في حدود التوصية وذلك لصدوره عن مجلس الامن الذي يملك بموجب نصوص الميثاق القوة التنفيذية اللازمة لتنفيذ قراراته .

ــ ان صدوره بتأييد الدول الاربع الكبرى الاعضاء الدائمين في مجلس الامن يعطيه قوة سياسية وعملية كبيرة .

ــ ان قبوله من قبل اسرائيل من جهة ، ثم من قبل مصر والاردن من جهة أخرى وهما دولتان رئيسيتان من دول المواجهة يتيح له حظوظا وفرصا كبيرة في التنفيذ .

لقد كان هذا القرار ، في جوهره وفي مراميه ، حصيلة مواقف الاطراف المتناقضة ، فهو من جهة قد نص على مبدأ عدم جواز حيازة الاراضي بالقوة ، وترك المجال من جهة اخرى لاسرائيل وامريكا للتهرب من تنفيذ مبدأ انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي المحتلة عن طريق اللعب بتفسير النص الانكليزي للقـرار والتشبث بعبـارة « الانسحاب من أراض » لا من الاراضي كما ورد في النص الفرنسي . وذلك على الرغم من ان القرار قد نص في بنوده الاربعة على اعطاء الضمانات الكافية لاسرائيل ، لقاء الانسحاب ، وهي تعهد الاطراف بانهاء حالة الحرب ، واحترام وحدة أراضي دول المنطقة واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها(٥).

على الرغم من التفاؤل الذي ساد الاوساط الدولية لدى صدور هـذا القرار ، فان محاولات اسرائيل وأمريكا لتعطيله ، وتفسيره تفسيرا يضمن مطامع اسرائيل التوسعية، قد أظهرت منذ البدء عزم اسرائيل على افراغه مـن محتوياته الرئيسية الهادفة الـى انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة ومضيها قدما في تنفيذ سياستها التوسعية على أساس خلق الامر الواقع ، متحدية كعادتها قرارات الامم المتحدة والراي العـام الدولي . وان اجراءات اسرائيل في الاراضي المحتلة تمهيدا لسياسة الضم والالحاق ، واقامتها المستوطنات العسكرية في انحاء الاراضي المحتلة كافة ، وتصريحات حكامها ، أصبحت دليلا قاطعا ، لا مجال للشك فيه مع مرور الوقت ، على رفضها تطبيق احكام هذا القرار ، رفضا واضحا وملموسا .

وفي هذا الشأن ، ذكر أشكول رئيس وزراء اسرائيل في الكنيست في ١٩٦٨/١١/٥ ما يلي : « اننا عندما نقول ان نهر الاردن يعتبر حدودا آمنة لاسرائيل ، نعني بذلك اننا ، بعد عقد اتفاقية سلام ، لن نسمح لاية قوات أجنبية بعبور تلك الحدود حتى بعد توقيع اتفاقية صلح ، وان اسرائيل لن توافق على بقاء قوات اردنية او عربية او اي جيش آخر في الضفة الغربية للاردن في أية تسوية نهائية » .

كما صرح هو نفسه لمجلة نيوزويك الامريكية في عددها الصادر في ١٩٦٩/٢/٩ ما يلي: « بالنسبة لمرتفعات الجولان فاننا بكل بساطة لن نتخلى عنها ابدا . وهذا يسري ايضا بالنسبة الى القدس » .

وقالت « غولدا مائير »، رئيسة وزراء اسرائيل في حديث لها لوكالة رويتر في ١١/٢٤/ ١٩٦٩ « ان هناك أراض عربية لن يزول عنها الاحتلال الاسرائيلي ابدا ، ولن يرتفع علم أردني على القدس مرة اخرى ، وهناك اراض اخرى ، لا يمكننا اعادتها لاسباب تتعلق بأمننا » .

كما قال « يجآل آلون » نائب رئيسة الوزراء في هذا الصدد « ان امتناع الحكومة عن تخطيط الخريطة المقبلة للحدود لا يعني الامتناع عن خلق الحقائق الواقعة عن طريق اقامة القرى العسكرية والاستيطانية على الحدود الامامية التي نود الوقوف فيها ضمن الحدود الآمنة المقبلة »(٦).

وقال « موشيه دايان » وزير الدفاع الاسرائيلي : « انه ليس سرا ان اسرائيل تعتبر مرتفعات الجولان منطقة استيطان دائم لليهود ، ولا نرى حلا لمضائق تيران سوى وجود القوات الاسرائيلية هناك . وفيما يتعلق بالضفة الغربية ، عدا القدس ، فليست المسألة مسألة تعديلات طفيفة في الحدود كما في اللطرون مثلا »(٧).

ولما كانت الجمهورية العربية السورية تستلهم موقفها المبدئي من مقررات المؤتمرات القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، التي تؤكد على تحرير جميع الاراضي العربية المحتلة ، وعلى اعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، فقد رأت في مواقف

اسرائيل من قرار مجلس الامن هذا ومن تصريحات المسؤولين فيها ، ما يكفي للبرهان على رفض المسؤولين الاسرائيليين له ولاي قرار آخر لا يؤمن لهم مطامعهم التوسعية ، وهذا ما حدا بالحكومة السورية الى عدم الدخول في خضم التفسيرات ودوامة المحاولات العديدة الرامية لوضع هذا القرار موضع التنفيذ خلال السنوات الست الماضية ، والتي إنتهت جميعها — كما نعلم — بالاخفاق كنتيجة طبيعية لمطامع اسرائيل التوسعية..

وللامانة التاريخية رايت من الواجب ان اشير بهذه المناسبة الى ان موقف القطر العربي السوري من قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ولا سيما بعد الحركة التصحيحية التي قادها الرئيس حافظ الاسد في ١٩٧٠/١١/١٦ — لم يستمر ، كما كان سابقا ، الموقف المتشنج نفسه الذي يرفض قبول اي قرار صادر عن المجتمع الدولي لمجرد الرفض ، بل اصبح الموقف الناضج المبني على معطيات الواقع الراهن مع تقدير كبير للمسؤولية التاريخية(٨). ولعل اول اشارة وردت في هذا القبيل كانت في الكلمة التي القاها الرئيس حافظ الاسد على مدرج جامعة دمشق بمناسبة العيد التاسع للثورة ١٩٧٢/٣/٨ اذ قال :

... « وأمام الشعب العربي في ظروفه الراهنة هدفان لا يحيد عنهما ولا يتنازل ، وهما تحرير الاراضي العربية التي احتلها العدو في عدوان ١٩٦٧ ، واسترداد حقوق شعب فلسطين . ان ظروفنا كظروفنا ، لا يمكن تجاوزها الا بالعمل العسكري والعمل السياسي في آن واحد . والعملان معا يحققان في نهاية الامر هدفين أساسيين ، هما تحرير الارض المحتلة ، واسترداد حقوق شعب فلسطين .

هذا الموقف هو أحد المواقف الاساسية لدولة اتحاد الجمهوريات العربية . ونحن في جمهوريات الاتحاد منطلقون من أن كل موقف تتخذه أي من الجمهوريات تجاه جهد دولي ، يجب ان يعبر عن التمسك بهذين الهدفين . فليس في اتحاد الجمهوريات العربية من هو مع قرار مجلس الامن أو أي قرار غيره من قرارات الامم المتحدة على علاته وبغض النظر عن المضمون . وليس هناك من هو ضد هذه القرارات على علاتها وبغض النظر عن المضمون ، بل كلنا متفقون على ان كل سلوك ، سواء أكان معبرا عن الرفض او القبول ، يجب ان يخدم الهدفين اللذين نتمسك بهما ، أي تحرير الارض المحتلة وحقوق شعب فلسطين .

وما دمنا نعرف هدفنا ونصر عليه ونناضل في سبيله ، فان الواجب يقتضي ان نسلك كل السبل لبلوغه ، لا على أساس أن الغاية تبرر الوسيلة ، وانما استكمالا للنضال بكل الوسائل لبلوغ الهدف .

نحن في العمل الدولي غير متشنجين حيال أحد ، وتعاملنا مع الجميع يتوقف في المقام الاول ، على فعالية هذا التعامل في تحرير أراضينا واسترداد حقوق شعب فلسطين . ولكننا غير مستعدين للتعامل مع أية جهة يسيء التعامل معها الى هذا الهدف(٩) ».

واعتقد ان الرئيس حافظ الاسد في كلامه هذا ، الواضح ، المسؤول ، كان يلامس ضمير كل عربي من المحيط الى الخليج .

آ — مهمة الممثل الخاص ، السفير يارينغ :

يطلب قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) في بنده الثالث من الامين العام للامم المتحدة تكليف مبعوث خاص للعمل على تنفيذ بنود القرار رقم (٢٤٢). وبناء عليه قام الامين العام أوثانت حينئذ ، بتكليف السفير السويدي في موسكو (الدكتور غونار يارينغ) بالاتصال بأطراف النزاع لتهيئة السبل لوضع قرار مجلس الامن موضع التنفيذ . فسافر الى المنطقة وأقام فترة من الزمن في قبرص وبدأ اتصالاته بالدول التي أعلنت قبولها للقرار وهي مصر والاردن واسرائيل .

وعلى الرغم من تعنت اسرائيل ووضعها العقبات في طريق مهمة المبعوث الخاص ، تابع السفير يارينغ مهمته واغتنم فرصة قيام أمريكا بمبادرتها السياسية المعروفة باسم

(مشروع روجرز) ، فوجه في شباط ١٩٧١ مذكرة(١٠) الى كل من مصر واسرائيل ، ضمنها سؤالات محددة ، وتتضمن هذه المذكرة طلب تعهدات والتزامات متقابلة ومتوازنة من جانب كل من مصر واسرائيل ، لا تخرج في مجملها عن بنود قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) . فطلبت المذكرة من اسرائيل تعهداً بالانسحاب من الاراضي المصرية التي احتلتها القوات الاسرائيلية بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ كالتالي : « تتعهد اسرائيل بسحب قواتها من الاراضي المحتلة في الجمهورية العربية المتحدة حتى الحدود الدولية القديمة بين مصر وفلسطين زمن الانتداب البريطاني ».

وطلبت المذكرة من مصر بالمقابل تعهدها بانهاء حالة الحرب واعترافها بحدود آمنة ومعترف بها وبحرية المرور في الممرات المائية .

واشارت مذكرة يارينغ في فقرتها الرابعة الى قضية الشعب العربي في فلسطين كقضية لاجئين اذ جاء نص هذه الفقرة كما يلي : « شريطة التوصل الى حل مرض فيما يتعلق بجميع أجزاء التسوية السلمية ، بما في ذلك بصورة خاصة تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين » .

وقد ردت مصر بتاريخ ٨ شباط بالايجاب على طلبات يارينغ وتضمن ردها الموافقة على ما يلي :

١ ــ اطلاق حرية الملاحة الاسرائيلية في قناة السويس ومضايق تيران وخليج العقبة.

٢ ــ انشاء مناطق مجردة من السلاح على طول الحدود بين مصر واسرائيل .

٣ ــ انهاء حالة الحرب والموافقة على ضمان دولي للسلام .

كل هذا مقابل :

١ ــ تعهد اسرائيل بالانسحاب من جميع المناطق التي احتلتها في أعقاب عدوان حزيران ١٩٦٧ .

٢ ــ تسوية قضية الفلسطينيين التي تتعدى حدود « اللاجئين » التي رسمها لها قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) .

ولكن اسرائيل التي رأت في محاولة يارينغ هذه نقطة تحول جديدة للحد من مطامعها التوسعية ومن اجل التوصل الى تسوية سلمية للمشكلة ، عملت على تعطيل هــذه المحاولة فأهملت الرد على المذكرة .

ومع ان محاولة يارينغ كانت تسير متوازية منذ البدء ، مع ظل المبادرة الامريكية ، وتضمن لاسرائيل الاعتراف بحدود آمنة ومعترف بها، وتحقق لها مكاسب كبيرة فيما يتعلق باعادة حقوق الشعب الفلسطيني التي لم تعتبرها مذكرة يارينغ أكثر من قضية لاجئين ، على الرغم من هذا كله ، رفضت اسرائيل الجواب على مذكرة المبعوث الخاص للامين العام وبدأت بشن حملة مركزة على السفير يارينغ متهمة اياه بتجاوز حدود مهمته ، مدللة مرة أخرى على عزمها الاكيد على الاحتفاظ بالاراضي العربية المحتلة مهما كانت النتائج .

وقد نجحت اسرائيل في النهاية ــ تدعمها الولايات المتحدة ــ بتعطيل مهمة يارينغ تعطيلا نهائيا .

ب ــ مشاورات الدول الاربع الكبرى ضمن نطاق منظمة الامم المتحدة :

لما بدا من الواضح ان مهمة السفير يارينغ تتعثر أمام التفسيرات المتضاربة لقرار مجلس الامن ، الامر الذي يجعل من المتعذر التوصل الى تطبيقه ، اذا لم يتم الاتفاق

على تقارب وجهات النظر حول التفسيرات المختلفة لبنوده من قبل الاطراف المعنية ، ولا سيما من الدول الكبرى التي يتبنى بعضها وجهة نظر أحد الطرفين المتنازعين ، اقترحت الحكومة الفرنسية بتاريخ ١٩٦٩/١/١٧ على كل من الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفياتي ، ان تقوم بمجهود مشترك بوصفها الدول الاربع الكبرى التي لها مقعد دائم في مجلس الامن ، وتقع على عاتقها بالتالي مسؤولية خاصة عن المحافظة على السلام والامن الدوليين ، واقترحت فرنسا ان تكون غاية المجهود المشترك مساعدة الامين العام على تطبيق القرار رقم (٢٤٢) .

وافق كل من الاتحاد السوفييتي وبريطانيا على الاقتراح الفرنسي دون ابطاء ، ثم أعلنت الولايات المتحدة موافقتها مع بعض التحفظ وبدون حماسة بتاريخ ١٩٦٩/٢/٥ .

بدأت اجتماعات مندوبي الاربعة الكبار بتاريخ ١٩٦٩/٤/٣ وعقدت عشـــرات الاجتماعات واصبحت هذه الاجتماعات بمثابة لجنة عمل جديدة تعمل بصورة موازية للسكرتير العام للامم المتحدة ومبعوثه الخاص يارينغ من أجل تنفيذ القرار رقم (٢٤٢) .

لم تكن اسرائيل مرتاحة لاجتماعات الاربعة الكبار ومشاوراتهم، وشنت حملة للتشكيك في المستند القانوني لنشاطهم ، وعلى كل حال ، وعلى الرغم من الاضواء التي سلطت على هذه المشاورات في حينه ، فانها لم تقترن بأية نتيجة مثمرة بسبب الدور السلبي والعائق الذي كانت تقوم به الولايات المتحدة ، لا سيما حين بدأت هذه المشاورات ببحث الضمانات الدولية المختلفة البديلة عن الضمانة الوحيدة التي تتشبث بها اسرائيل ، وهي التوسع الاقليمي على حساب الاراضي العربية المحتلة .

ولما وصلت هذه المشاورات الى مرحلة الاتجاه نحو تفسير قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) على أساس اعطاء الضمانات الدولية بديلا عن سياسة التوسع (وهو موقف الاتحاد السوفياتي وفرنسا) ، وصلت هذه المشاورات الى طريق مسدود بسبب تعنت الولايات المتحدة الامريكية ورفض اسرائيل ، فصارت تعلق الاجتماعات لفترات طويلة الى ان دخلت في سبات عميق وتبخرت كغيرها من المحاولات .

٢ ــ المبادرة الامريكية (مشروع روجرز) :

ان المبادرة الامريكية المعروفة باسم (مشروع روجرز) قد صدرت بتاريخ ١٩/٦/ ١٩٧٠ خلال حرب الاستنزاف بصورة رسالة وجهها وزير الخارجية الامريكية روجرز الى وزير الخارجية المصرية محمود رياض وأهم نقاطها(١١):

١ ــ طلب العودة الى وقف اطلاق النار ولو لفترة محدودة (٣ اشهر) ،

٢ ــ الموافقة على تصريح يصدره المبعوث الخاص السفير يارينغ ويتضمن موافقة مصر والاردن واسرائيل على تعيين ممثلين لاجراء مباحثات من أجل التوصل الى اتفاق للسلام العادل والدائم المستند الى :

آ ــ الاقرار لكل دولة بسلامة اراضيها وسيادتها عليها القرار رقم (٢٤٢) .

ب ــ الانسحاب الاسرائيلي من « أراض احتلت » طبقا للقرار رقم (٢٤٢) .

ج ــ احترام قرارات مجلس الامن بوقف اطلاق النار (انهاء حرب الاستنزاف على قناة السويس) .

قام وزير الخارجية الامريكية (روجرز) يرافقه مساعده (سيسكو) بزيارة بعض عواصم المنطقة ، كان منها الرياض وعمان وبيروت والقاهرة والقدس ، وأعلن ان زيارته للقاهرة والقدس كانت تستهدف تلمس السبيل لتنفيذ حل جزئي للازمة يؤمن فتح قناة

السويس للملاحة الدولية كمرحلة اولى مقابل انسحاب القوات الاسرائيلية انسحابا جزئيـــا .

وقد بادرت مصر في شهر تموز ١٩٧٠ الى قبول هذه المبادرة الامريكية مدللة بذلك على حسن استعدادها لقبول تسوية سياسية للنزاع واعطاء امريكا فرصة للتدليل على حسن نواياها ، وقبلت على الفور وساطة الولايات المتحدة من أجل تنفيذ وقف اطلاق النار على جبهة القتال ، كمرحلة اولية ، من أجل السير قدما بالمبادرة الامريكية ، منهية بذلك حرب الاستنزاف . واشترطت ان يكون فتح قناة السويس للملاحة بمثابة مرحلة اولى مرتبطة ارتباطا عضويا بالحل السياسي الشامل القائم على انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة .

وقد بدأ الشعور بتعثر هذه المبادرة الامريكية ثم باخفاقها ، حينما رفضت اسرائيل ان تعتبر الترتيبات المقترحة من أجل اعادة فتح القناة كمرحلة اولى مرتبطة ارتباطا عضويا بالحل السياسي الشامل وفقا لاحكام القرار رقم (٢٤٢) ، وبصورة خاصة ، بالانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة .

ثم قطعت اسرائيل خطوات أخرى في طريق تعطيل هذه المبادرة الامريكية واحباطها ، فرفضت سحب قواتها الى أكثر من ١٠ — ١٥ كم من القناة ، كما رفضت الموافقة على أي وجود عسكري مصري على الضفة الشرقية للقناة . وأصرت في الوقت نفسه ان يكون لسفنها حرية المرور في القناة بمجرد اعادة فتحها ، كما أصرت أيضا على ان يشتمل الاتفاق على تعهد بوقف اطلاق النار لاجل غير محدود .

وهذا يعني ان اسرائيل رفضت في الواقع جميع نقاط المبادرة الامريكية ، وبدا بعد ذلك أن مهمة روجرز قد أخفقت اخفاقا ذريعا ، غير ان الدبلوماسية الامريكية لم تشأ ان تعترف صراحة بذلك واستمرت باشاعة الوهم عن وجود تقارب بين وجهات نظر الطرفين حول عدة نقاط تشجيعا للطرفين على قبول أسلوب (الدبلوماسية الهادئة) وكسبا للوقت لتحقيق وقف اطلاق النار على القناة الذي استمر فعلا حتى انفجار الموقف في ٦ تشرين الاول ١٩٧٣، ومن الواضح ان الاثر العملي لهذه الدبلوماسية الامريكية (الهادئة) هو المماطلة وكسب الوقت الذي تستغله لترسيخ واقع احتلالها للاراضي العربية .

٣ — وساطة الحكماء الافارقة :

في المؤتمر الخامس للمنظمة الافريقية الذي عقد في الجزائر في ايلول ١٩٦٨ ، أكدت منظمة الوحدة الافريقية مطالبتها بانسحاب القوات الاجنبية من جميع الاراضي العربية المحتلة منذ ٥ حزيران ١٩٦٧ وذلك طبقا لما اصدره مجلس الامـــن في قراره بتـــاريخ ١٩٦٧/١١/٢٢ وطلب فيه من جميع الدول الاعضاء في المنظمة استخدام نفوذها من اجل تطبيق هذا القرار .

وأكد المؤتمر السادس الذي انعقد في اديس ابابا في ايلول ١٩٦٩ قراره هذا واعرب عن تضامنه مع جمهورية مصر العربية وأهاب بالضمير الانساني أن يبذل كل جهد ممكن لتجنيب القارة الافريقية ان تصبح من جديد مسرحا للتوتر والنزاع .

أما المؤتمر الثامن الذي انعقد في حزيران ١٩٧١ في أديس أبابا ، فقد طلب الى رئيسه آنذاك ، الرئيس مختار ولد داده ، ان يتشاور مع رؤساء الدول الافريقية والحكومات كي يستخدموا نفوذهم لضمان تنفيذ هذا القرار تنفيذا كاملا . وتطبيقا لهذا القرار فقد اجتمع مندوبو عشر دول افريقية (لجنة الحكماء العشرة) وهم يمثلون: أثيوبيا، نيجيريا، زائير ، الكاميرون ، موريتانيا ، تنزانيا ، ساحل العاج ، ليبيريا ، كينيا ، والسنغال ، برئاسة رئيس الدورة الافريقية (٢٣—١٩٧١/٨/٢٤) وقرروا تشكيل لجنة مصـــغرة

مكونة من : الجنرال يعقوب غووان (نيجيريا) والرئيس أحمدو أهيدجو (الكاميرون) والرئيس ليوبولد سنغور (السنغال) والرئيس جوزيف موبوتو (زائير) ، برئاسة الرئيس السنغالي ، للاتصال بالمسؤولين في مصر واسرائيل وتقصي الحقائق ورفع تقرير للجنة الحكماء العشرة . وقد قامت لجنة الحكماء الاربعة المصغرة بجولتين في مصر واسرائيل في تشرين الثاني ١٩٧١ ، وقدمت تقريرا أقرته لجنة الحكماء العشرة وقدم للسكرتير العام للامم المتحدة في اوائل شهر كانون الاول ١٩٧١ ، ولكن بعض الدول الافريقية ، مثل السنغال ، لم تتقيد اثناء جلسة الجمعية العامة للامم المتحدة بقرارات المنظمة الافريقية .

كذلك تعنتت اسرائيل في مواقفها السابقة وتنكرت لمهمة الحكماء العشرة ورفضت الاستماع الى مناشدة الدول الافريقية تطبيق قرارات المنظمة الافريقية التي سبقت الاشارة اليها .

وقد دعا هذا الموقف السلبي الذي اتخذته اسرائيل الى تشدد المنظمة الافريقية في قراراتها اللاحقة ، ولا سيما في القرار التاريخي الذي اتخذته في أيار ١٩٧٣ ، في دورتها العاشرة المنعقدة في أديس أبابا ونورد فيما يلي نصه نظرا لاهميته البالغة بالنسبة لموقف القارة الافريقية بأجمعها :

« ان مؤتمر القمة الافريقي المنعقد في دورته العادية العاشرة في أديس ابابا من ٢٦ الى ٢٩ أيار ١٩٧٣ :

اذ يسجل بقلق عميق ، انه رغم القرارات العديدة الصادرة عن منظمة الوحدة الافريقية والامم المتحدة التي تطالب اسرائيل بالانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة ، فان اسرائيل لا تتمادى في رفض تنفيذ هذه القرارات فحسب ، بل انها تواصل ممارسة الارهاب بغية أن تخلق في الاراضي المذكورة حالة من الامر الواقع تستهدف خدمة مخططاتها التوسعية ،

واذ يندد بقيام اسرائيل بصورة منتظمة بعرقلة كل الجهود التي تبذل للتوصل الى حل سلمي للمشكلة على المستويين الدولي والافريقي ،

واذ يذكر في هذا الصدد بموقف اسرائيل السلبي تجاه مهمة رؤساء الدول الافريقية العشر والمفوضين من قبل منظمة الوحدة الافريقية ، للعمل على تنفيذ قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، الذي قضى بصفة خاصة بانسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي المحتلة وفقا لمبدأ عدم شرعية الاستيلاء على الاراضي عن طريق القوة ،

واذ يسجل بارتياح ان جمهورية مصر العربية لم تدخر وسعا للتوصل الى حل عادل ودائم للمشكلة وان هذه الجهود قد تميزت بتعاون مصر البناء مع المحافل الدولية والافريقية ،

واذ يسجل ايضا ان تعنت اسرائيل ورفضها المستمر الامتثال لارادة المجتمع الدولي يشكل تهديدا لامن القـــارة .

واذ يدرك تماما ان ما تتلقاه اسرائيل من مساعدات عسكرية واقتصادية ضخمة وغير ذلك من المساعدات والدعم السياسي والمعنوي من جانب دول معينة ، يمكنها من مواصلة عدوانها ويشجعها على ارتكاب أعمال ارهابية ، لا سيما مأساة اسقاط طائرة مدنية ليبية أسفرت عن مصرع أشخاص أبرياء ،

١ ــ يأخذ علما ببيان فخامة السيد حسين الشافعي نائب رئيس جمهورية مصر العربية .

٢ ــ يندد بشدة بموقف اسرائيل السلبي وأعمالها الارهابية وعرقلتها للجهود الرامية للتوصل الى ايجاد حل عادل ومنصف للمشكلة ، وفقا لقرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) الصادر في ٢٢ تشرين ثاني ١٩٦٧ .

٣ ــ يطالب مرة أخرى بالانسحاب الفوري غير المشروط للقوات الاسرائيلية من جميع الاراضي الافريقية والعربية المحتلة .

٤ — يعلن ان جميع التغييرات التي تدخلها اسرائيل على الاراضي المحتلة باطلة وكأنها لم تكن ، ويتعهد بعدم الاعتراف بأية تغييرات تؤدي الى خلق الواقع او من شأنها تهديد سلامة اراضي البلدان التي وقعت ضحية العدوان الاسرائيلي .

٥ — يعترف بأن احترام الحقوق الثابتة لشعب فلسطين يشكل عنصرا أساسيا في أي حل عادل منصف ، بالاضافة الى انه عامل لا غنى عنه لاقامة سلام دائم في المنطقة .

٦ — يؤكد من جديد باسم التضامن الافريقي وعملا بنص المادة (٢) الفقرة ١ (ج) من ميثاق منظمة الوحدة الافريقية تأييده الفعال والتام لجمهورية مصر العربية في نضالها المشروع من أجل استعادة وحدة أراضيها كاملة وبجميع الوسائل .

٧ — ينبه اسرائيل الى الخطر الذي يهدد أمن القارة الافريقية ووحدتها نتيجة لعدوانها المستمر ورفضها الجلاء من اراضي الدول التي وقعت ضحية العدوان ، ويعلن ان موقف اسرائيل قد يحمل الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية على ان تتخذ على المستوى الافريقي ، بصورة فردية او جماعية ، تدابير أساسية واقتصادية ضد اسرائيل تمشيا مع المبادىء الواردة في ميثاق كل من منظمة الوحدة الافريقية والامم المتحدة .

٨ — يطالب ، ملحا ، الدول الكبرى التي تمد اسرائيل بجميع انواع السلاح والعتاد الحربي وتمنحها مساندتها المعنوية والسياسية مما يتيح لها تعزيز قدرتها العسكرية ، أن تحجم عن ذلك .

٩ — يؤيد بشدة المبادرة المصرية التي تطلب الى السكرتير العام للامم المتحدة تقديم تقرير الى مجلس الامن عن الموقف المتفجر السائد في الشرق الاوسط ويعرب عن أمله في ان يتخذ مجلس الامن كل التدابير المناسبة لان تنفذ ، على الفور ، القرارات المعنية الصادرة عن الامم المتحدة حتى يمكن اقامة سلام عادل ودائم في المنطقة .

١٠ — يعين وزراء خارجية نيجيريا وتشاد وتنزانيا وغينيا والجزائر ليتحدثوا في هذه المسألة أمام مجلس الامن نيابة عن منظمة الوحدة الافريقية .

١١ — يكلف الرئيس الحالي لاجتماع رؤساء الدول والحكومات أن يعرض وجهات نظر منظمة الوحدة الافريقية حول هذه المسألة ، في الدورة القادمة للجمعية العامة للامم المتحدة » .

٤ — وثيقة شومان لدول السوق الاوروبية المشتركة :

التزمت دول اوروبا الغربية — وجميعها أعضاء في حلف شمال الاطلسي — جانب اسرائيل منذ اقامتها في قلب الوطن العربي ، الا ان هذه الصورة قد تغيرت بصورة تامة بالنسبة لفرنسا الديغولية التي أصبحت أميل الى تبني وجهات النظر العربية بشأن الانسحاب بعد عدوان ١٩٦٧ . كما بدأت هذه الصورة بالتغير تدريجيا بالنسبة لسائر دول اوروبا الغربية بعد هذا العدوان وانكشاف مطامع اسرائيل التوسعية واعتداءاتها وتحدياتها المستمرة للمنظمة الدولية وللرأي العام العالمي . فبدأ أكثر هذه الدول باتخاذ مواقف أكثر توازنا من مختلف أوجه النزاع العربي — الاسرائيلي ، اذ شعرت بأنها لم تعد ملزمة بالدفاع عن توسع السلطة الاسرائيلية واحتفاظها بالاراضي التي اغتصبتها بقوة السلاح ، ويمكن القول بأن القاسم المشترك الذي بدأ يوحد مواقفها بالنسبة للقضية هو قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) الذي أيدته جميع هذه الدول مع بعض الفوارق في التفسيرات والمواقف ، — وأكثرها يميل لصالح اسرائيل من حيث الضمانات واحداث تعديلات في حدود ١٩٦٧ — الا انها جميعها تجمع على مبدأ انسحاب القوات الاسرائيلية وعدم جواز حيازة الاراضي بالقوة ، وضمن هذا الاطار العام الذي يجمع مواقف دول اوروبا الغربية حول قرار مجلس الامن ، خرجت الى عالم الوجود الوثيقة المعروفة بورقة (شومان) وزير الخارجية الفرنسي والتي وقعت عليها دول السوق الاوروبية المشتركة الست التي هي في الوقت نفسه اعضاء في حلف شمال الاطلسي وهي: (فرنسا،

ايطاليا ، المانيا ، بلجيكا ، هولندا ، لوكسمبورج) وتتلخص هذه الوثيقة التي يعود الفضل لفرنسا باخراجها الى حيز الوجود ، بما يلي :

١ — **موضوع الحدود** : انسحاب اسرائيل الى حدود ما قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ وفق قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) مع ايجاد مناطق مجردة من السلاح تتخللها في بعض النقاط الحساسة مناطق تمركز قوات ، وتقوم فيها على جانبي المنطقة المجردة قوة مراقبين ، وترتبط قوات المراقبين بمجلس الامن .

٢ — يمكن اقرار مبدأ التصحيحات الطفيفة في الحدود على ان يكون نتيجة اتفاق متبادل بين طرفي النزاع .

٣ — **القدس** : تدويل المدينة القديمة والاماكن المقدسة اداريا بدون التعرض لمسألة السيادة التي يجب ان تقرر نتيجة الاتفاق بين طرفي النزاع .

٤ — **قناة السويس** : اعادة فتح القناة وحرية الملاحة لجميع الدول ومنها اسرائيل .

٥ — **اللاجئون** : الاختيار بين العودة والتعويض (قرار الجمعية العامة ١٩٤ ، في عام ١٩٤٨) .

ان هذه الوثيقة على الرغم من عدم تبنيها للحق العربي الا انه يمكن اعتبارها خطوة الى أمام — من قبل دول كانت على الدوام مؤيدة لاسرائيل — في طريق التفهم للحق العربي ورفض تأييد التوسع الاسرائيلي . وقد صدرت هذه الوثيقة وبقيت ولو من الناحية المعنوية ملزمة للدول الموقعة عليها ، على الرغم من الجهود التي بذلتها اسرائيل لدى الدول الموقعة عليها ، كل منها على انفراد ، لحملها على التراجع عنها . وقد حققت اسرائيل بعض النجاح في افراغ هذه الوثيقة من بعض محتوياتها لدى بعض هذه الدول المعروفة بولائها التقليدي لاسرائيل كهولندة والمانيا الغربية ، الا ان خميرتها قد بقيت وصمدت ، في جوهرها ، لتبقى القاسم المشترك لموقف دول السوق الاوروبية تجاه قضية الشرق الاوسط بصورة عامة . وقد كانت هذه الوثيقة نفسها الاساس للموقف المشترك التي اتخذته دول السوق الاوروبية التسع من القضية بعد اندلاع الحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة ... هذا الموقف لذي سارعت اسرائيل الى التنديد به ومهاجمته ملوحة بأن دول السوق التسع ، انما اتخذت هذا الموقف تحت تأثير الابتزاز النفطي العربي متجاهلة كعادتها ، أن جذور هذا الموقف الجديد ، انما تمتد الى وثيقة شومان لعام ١٩٧١ . وهو موقف يكرس من جديد انعطاف دول اوروبا الغربية الى اتجاه تفهم الحق العربي .

والخلاصة ، لقد تأكد للعالم بأجمعه ان السلطات الحاكمة في اسرائيل لا تنوي مطلقا الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة في عدوان حزيران ١٩٦٧ بل على العكس ، انها ادارت ظهرها لكل المحاولات والجهود الصادقة التي بذلت في هذا السبيل وكان همها الاساسي تخدير القضية ووضعها في براد عميق . وترك الموضوع للزمن الذي يعتبر من أهم عوامل النسيان ، مع العمل بالتوازي على تهويد المناطق العربية المحتلة وتغيير معالمها التاريخية واقامة المستوطنات شبه العسكرية على تخوم الاراضي العربية المحتلة ، لكي تكون قاعدة انطلاق للتوسع الجديد الذي كان من المتوقع ان يحدث في عام ١٩٧٧ — على افتراض ان العرب سيظلون نائمين حتى ذلك التاريخ — لان اسرائيل عودتنا على القفزات العدوانية التوسعية قرابة كل عشر سنوات (١٩٤٧ — ١٩٥٦ — ١٩٦٧) .

وفي صيف ١٩٧٢ ، بدأ العدو الاسرائيلي يردد نغمة ، هي قديمة في الاصل ، الا انه أخذ يرددها باستمرار وبمناسبة وبدون مناسبة . واقصد بذلك « أنشودة الامن

الاسرائيلي » . وقد عبر الرئيس حافظ الاسد عن هذه الحالة ابلغ تعبير فيخطابه على مدرج جامعة دمشق في العيد الثامن للفلاحين بتاريخ ١٩٧٢/١٢/١٤ :

« نحن نسمع الان ، كما سمعنا في الماضي ، انشودة العدو الدائمة ، انشودة الامن ، أمن اسرائيل ، الذي يبرر كل اعتداء وكل غزو وكل توسع .

فتحت ذريعة الامن ، تجاوز العدو خطوط الهدنة ، في حزيران عام ١٩٦٧ ، واحتل اجزاء جديدة من الارض العربية وأخذ يقيم عليها مستوطنات تشكل تلاعا عسكرية يحشد فيها المستوطنين المدربين على السلاح .

وتحت ذريعة الامن ، تمسكت اسرائيل بالارض العربية المحتلة ، وقاومت بكل السبل عودة ابناء فلسطين وبقية النازحين العرب الى ديارهم .

وتحت ذريعة الامن ، تضرب اسرائيل هذه الايام على خط الجبهة وفي عمق البلاد .

وتحت ذريعة الامن ، ستحاول اسرائيل ، عاجلا ام آجلا ، آن تقوم بالعدوان تلو الاخر الى ان تستطيع، حسبما تتصور ، تحقيق اسرائيل الكبرى . وهذا ما لن تستطيعه أبدا .

ذريعة الامن هذه ، بشكلها الاسرائيلي وخصائصها الصهيونية ، لم يسبق ان لجأت اليها دولة من قبل في تاريخ العالم .

بحجة الامن ، تضرب المدنيين في الداخل وترمي القنابل الموقوتة لتقتل اكبر عدد من الناس ، من الشيوخ، من الاطفال ، من النساء ، مما يؤكد لنا وللعالم أجمع ، ان لا صلة اطلاقا بين مقتضيات الامن وبين عمليات القصف هذه . ان عمليات القصف الاسرائيلي ، ان دلت على شيء ، فانما تدل على الحقد الصارخ ضد شعبنا وعلى نزعة القمع والعدوان التي تستهدف ابادة شعبنا وتشريده ، بحيث يصبح وطننا مرتعا للعدو ، خاليا من أهله وبنيه .

بحجة الامن، تقول اسرائيل : لا بد من الاحتفاظ بأراض جديدة ، لم تكن تحت سيطرتها في عام ١٩٦٧ ، من أجل تأمين سلامة المستعمرات الاسرائيلية . واذا افترضنا ان ذلك صحيح ، فلماذا تبني مستعمرات جديدة في الاراضي المحتلة حديثا ، وقرب خط وقف اطلاق النار ؟ .

أليست هذه المستعمرات الجديدة بحاجة بعد قليل الى أراض جديدة تبعدها عن خط النار وتبعدها عن الجنود العرب ؟

نعم ، مستعمرات بحاجة الى أرض جديدة من أجل الامن ، والارض الجديدة بحاجة الى مستعمرات من أجل الامن . ثم المستعمرات الجديدة بحاجة الى أرض جديدة . وهكذا الى ان تتحقق الدولة الكبرى ، الدولة التي تجسد قمة التوسع والسيطرة الصهيونية .

الامن شيء ، وما تهدف اليه اسرائيل شيء اخر . حجج ترددها وتضلل بها ، لتغطي وتبرر توسعا تلو توسع . وشعبنا يدرك هذه الحقيقة . ولا بد من ان يأتي اليوم الذي يدرك فيه العالم بأسره أيضا هذه الحقيقة .

اذا كانت اسرائيل تبحث عن أمن ، فكيف لا يبحث العرب عن أمنهم ، ازاء عدو يهدد أمنهم تهديدا صارخا ومستمرا ، عدو ظهر خطره وتكشفت نواياه وأسفر عن أهدافه العدوانية التوسعية ؟

ازاء هذا الخطر ، ليس أمامنا خيار سوى أن نصون حقنا وأن ندافع عن أرضنا وان نقف مواقف الرجولة والشرف والكرامة . ونحن ندرك ان عدونا يتلقى المساعدات الكثيرة والدعم الكبير . ولكننا ، في الوقت نفسه ، نثق بأن النصر في النهاية للقضايا العادلة والشعوب المناضلة .

ان اطماع العدو في أرضنا لن تزيدنا الا تمسكا بالارض واصرارا على تحرير ما احتله العدو منها ، وتصميما على بذل كل تضحية في هذا السبيل . ولقد كانت المواقف البطولية المشرفة ، التي وقفتها قواتنا المسلحة ، تأكيدا لهذه الحقيقة ودليلا على أن ارادة شعبنا سوف تنتصر في النهاية . وسنمضي على هذا الطريق يعمر صدورنا الايمان بالامة العربية وأرضها وحقوقها ، والايمان بأن الشهادة في سبيل الوطن شرف لا يعلو عليه شرف .

ان الخطر الرهيب المحدق بنا يجب ان يدفعنا ، في كل مكان من الوطن العربي ورغم كل العثرات

والصعاب ، الى بذل مزيد من الجهد وحشد كل الامكانات العربية والوصول الى موقف عربي موحد متماسك، ينعكس قوة عسكرية وسياسية واقتصادية فاعلة وفعالة في مقاومة هذا الخطر .

ولا بد من أن يستحوذ هذا الخطر على المرتبة الاولى من اهتمام كل العرب ، لان كل الخلافات والمعارك الاخرى ثانوية وهامشية بالنسبة للمعركة الاساسية مع العدو . وقد كانت كل الامم التي واجهت الاخطار عبر التاريخ ، تجمد خلافاتها ومعاركها الثانوية ، لان التوجه الاساسي يجب ان يكون للمعركة الاهم والاخطر ، فهل تكون أمة العرب ، في حاضرها ، غير ما كانت عليه في ماضيها المجيد وغير ما كانت عليه الامم الاخرى ، مع ان الخطر الذي تواجهه اكبر من أي خطر واجهته امة من الامم ؟

فاذا أدركنا الضرورة القصوى لحشد الامكانات العربية الكاملة وعملنا بما يؤكد هذا الادراك ويجسده ، نكون قد وضعنا أقدامنا على بدء الطريق الصحيح »(١٢).

وعندما شعرت اسرائيل ان « نغمة الامن الاسرائيلي » قد مجها المجتمع الدولي وان ليس في العالم من يصدق ان اسرائيل في خطر ، تحولت الى نغمة جديدة بدأت ايضا بترددها ثم استمرت عليها ، لتعتادها آذان الناس ، وهي نغمة «المفاوضات المباشرة». واسرائيل تعلم حق العلم ان العرب عندما يجلسون الى مائدة المفاوضات وهم مهزومون فانهم في الحقيقة لا يجلسون للتفاوض وانما لتوقيع صك الاستسلام ... وما يؤسف له ان الولايات المتحدة الامريكية بدأت هي الاخرى بطرح هذه النغمة « النشاز » على لسان مسؤوليها في البيت الابيض من نيكسون الى روجرز ، الى كيسنجر وحتى سيسكو ... وكانت اسرائيل مصممة « ضمنا » أنه في حالة قبول العرب بمبدأ المفاوضات المباشرة ، فانها متأهبة لتطرح مبادرة جديدة تستدرج بها الامة العربية الى فخ جديد آخر . وهكذا الى اخر ما في جعبة الصهيونية من مفاجآت ومقالب ظاهرها الكاذب الرغبة في السلام وباطنها العذاب .

واخيرا ، وبعد ان استعرضنا بالتفصيل الجهود الدولية التي بذلت من أجل انسحاب اسرائيل الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ وضمان حقوق الشعب الفلسطيني ورأينا موقف اسرائيل المتعنت من جميع المبادرات السياسية المطروحة ومراوغاتها واصرارها على تحدي ارادة المجتمع الدولي ، تدعمها في ذلك الولايات المتحدة الامريكية ، يتضح لنا ان اسرائيل قد سدت كل السبل في وجه الامة العربية من أجل الوصول الى حل عادل للقضية . وأصبح الاحتكام الى السيف امرا لا يدعو اليه الواجب الوطني والشرف العسكري فحسب ، وانما مصير الامة العربية ومستقبلها أيضا .

---

١ — قرار الجمعية العامة رقم (١٩٤) لعام ١٩٤٨. وقرار الجمعية العامة رقم (٢٧٣) لعام ١٩٤٩ .

٢ — قرار مجلس الامن رقم (٢٣٥) لعام ١٩٦٧.

٣ — قرار مجلس الامن رقم (٤٣٦) لعام ١٩٦٧.

٤ — قرارات المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز المنعقد في الجزائر بتاريخ ١٩٧٣/٩/٥ . حول الموقف في الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية.

٥ — قرار مجلس الامن رقم(٢٤٢) تاريخ ١٩٦٧/١١/٢٢ .

٦ — اذاعة اسرائيل في ١٩٦٩/٦/٥ .

٧ — جويش اوبزرفر ١٩٦٩/٧/٤ .

٨ — يقول الرئيس حافظ الاسد في هذا المجال : « ان القبول المطلق يعني الاستسلام ... والخنوع ... كما ان الرفض المطلق يعني لا وطنية ... ولا مسؤولية ... نحن نرفض ونقبل على ضوء الهدف الواجب تحقيقه » .

٩ — مختارات من خطب الرئيس، الكتاب الاول، ص ٢١٣—٢١٤ اصدار ادارة المخابرات العامة في دمشق ١٩٧٢ .

١٠ — مذكرة الدكتور غونار يارينغ الى مصر واسرائيل .

١١ — رسالة روجرز وزير الخارجية الامريكية .

١٢ — مختارات من خطب الرئيس حافظ الاسد الكتاب الاول ، ص ١٧٤ — ١٧٧ .

خواطر فلسطينية

المطران جورج خضر

للفلسطينيين حوار فيما بينهم قلق بشأن أرضهم ومصيرهم، وهم يتبينون انهم مدعوون لخيارات عملية تتراوح بين الرفض والتسوية ولعلها تجنح الى تسوية مشروطة ، الى الفن الممكن الذي هو الوجود السياسي . ففي الافق حكم وتقبل جزء من تراب الوطن . ولا شك ان هذا التقبل — اذا ما حصل — انما يعود الفضل فيه الى النضال الفلسطيني بدون منة من أحد وقد « اشتري بثمن كريم » على حد قول بولس . ولعل هذه المرحلة بدء الانتقال من الثورة الى التأسيس مع ما يرافق هذا من عثار وتلاشي النفحة والضياع .

وان هذا المسرى كله لامر منوط بالفلسطينيين اولا لانهم هم الذين حملوا مسؤولية الثورة ويتكلمون من مواقع التشريد والموت اللذين ذاقوهما طيلة جيل كامل . وليس لنا نحن الاخرين سوى مشاركة الغبطة كما كانت لنا مشاركة الشقاء في الرؤية الفلسطينية الواحدة . ولكن مسؤوليتنا اللاحقة جميعا هي الا نفرط بالشأن الفلسطيني في ترقب سلم قد لا يكون له بالنهاية نفع لقطر . وما لا يسوغ على الاطلاق ان تتحد العرب ، بقدر منظور ، في محاور او غير محاور ، لمنافع لها في الارض اذا كان على فلسطين ان تدفع ثمنا باهظا بحيث تكون شهادتها قد انهدرت او انكفأت في عتمات الصمت . ومع ذلك كله فلا يقدر أحد من العرب الا ان يبدأ بالخيار الذي يكون احرار فلسطين قد اعتمدوه او ان يجعله — بالاقل — جزءا من تأمله اساسيا في كل رجاء لدنيا العرب وكل التزام في تحريرها .

ولكن اذا كانت مواقفنا البرغماطيقية ، عربا ، تستلهم الموقف الفلسطيني أصلا ، فلنا جميعا تطلعات روحية حضارية واحدة قد تكون ذات ترجمة سياسية على دروب الحرية الكاملة . وأساس هذه التطلعات جميعا انه لا يجوز ان نلين في مقاومتنا للصهيونية ولا يجوز الرضوخ للكيان الصهيوني على انه كيان نهائي على أرضنا . لنا ان نبحث انطلاقا من استيطان يهودي في اطار حضور عربي سياسي . ولنا ان نرتضي تجمعا يهوديا وان نرفض مبدئيا كل ترجمة سياسية تعطى له بحيث نفقد كل تزكية حضارية لنا اذا نحن دمغنا دولة اسرائيل دمغة عربية اذ لا نجد لهذه الدمغة اساسا في تراثنا المشرقي او صلة بالمصير الذي نتحفز له في هذه الديار فيما ننفض عنا غبار الانحطاط ونبني ، على المحبة والعقل المنفتح انسانا جديدا .

ان كل قبول مبدئي للدولة العبرية بما تستوحيه من ايديولجية وما تقوم عليه من عسف وما تلده من قصاص لشعوبنا انما يعني التخلي عما نريد تقديمه نحن لهذه الشعوب من ديموقراطية تحاول هذا المستحيل، أعني الجمع بين العدالة والحرية، وما ننويه من علمانية تطهر الدين من ارزاء التاريخ وترفعه عن الزمنيات الحزبية ، تلك العلمانية السياسية التي تفسح وحدها في المجال لتعاون بين المؤمنين من كل جانب وحوار نتوق ان يكون خلاقا بين الديانات الكبرى ولن يجد هذا الحوار له ارضا الا في القدس أي في اطار روحي — قدسي ولكن مع بشر لا يستغلون الدين طائفية ويكونون قد اثبتوا صدق الحوار في جهاد خالص واقامة الحريات واثمار لمرافق الرزق كله في سبيل الانسان الكريم .

لست اعلم ما يعني هذا اذا ذهبت المقاومة الى جنيف ولكنه ، في أضعف الايمان ، يعني انها لا تأخذ بعين الاعتبار القرار ٢٤٢ ولا يعني موافقة حقوقية على دولة اسرائيل أو ان يعايشها العرب معايشة ديبلوماسية وتجارية تقويها وتبسط لها النفوذ ، ولا يعني تنازلا مبادئيا عن استعادة فلسطين كلها . كل شيء مثل هذا في شعوري ، خيانة لهذا التراب الفلسطيني العظيم ومن عاش عليه او مات في سبيله وسبيل العودة اليه او جاع وعطش وعري من أجل الالتحاق به . وضمن هذه الستراتيجية قد يكون من الممكن ان ينشأ كيان فلسطيني مرن التنظيم ، مرن الوجود .

يبقى ان يصير العرب التحدي الحضاري الكبير في عالم الغد وهذا في جدلية القوة والعدل بحيث لا تستحيل القوة ظلما او تفاخرا ولا يكون الحق صرخة مستغيث . كل تجمع فلسطيني لا يكون ذا معنى تاريخي الا بالرفض وبالقبول الخلاق بآن معا . فالعمل الذي ينتظر العرب جميعا عمل تنقية وبنيان خلقي كبير في تعمير ثقافي يستوحي أعماق التراث الانساني والمشرقي والعربي ويكتمل في خلق شعوبنا السياسي . ونحن بحاجة الى ان ندخل في رياضات روحية فكرية لا قبل لنا بها من قبل او ما كانت على الناس عميمة فيتغير شعبنا تغيرا كبيرا ويتخذ لنفسه وجها انسانيا ملامحه في انساننا القديم السابق للانحطاط ولكنها ملامح لن تتجمع بروح سلفية بل بروح الاقدام والابداع وبالاقبال على صيغ جديدة في كل مجالات حياتنا القومية .

ومن الواضح لدينا ان كل بعث لكيان فلسطيني ما ان هو الا خطة سياسية من شأنها الا تبقي لاسرائيل طاقة على التوسع والتمادي في الروح العسكرية والعنجهية الثقافية التي جعلت سفيرها في باريس يؤكد لمجلة « الاكسبرس » بعد حرب ٦ تشرين ان اليهود يقدمون لهذه المنطقة أدمغتهم والعرب ثرواتهم . فالمشكلة القائمة بيننا وبين اسرائيل روحية بالاساس لاننا نريد نحن ان نتحرر مما يعيق ارتفاعنا الى مستوى حضاري نقدم فيه لا الثروة وحسب بل العقل الفاعل ايضا وهذا في ظل استقلال لهذه المنطقة يؤهلنا ان ننمو في الطمأنينة والرجاء . ولذا كانت قضيتنا قضية الانسان في العالم كله . واذا نحن اكتفينا ، بقدرة قادر ، ان نحد من غلواء اسرائيل لا نكون قد قمنا بواجبنا الحضاري تجاه الانسانية التي من اجلها نكافح الصهيونية . نحن هاجسنا الانسان الجديد يهوديا كان أم عربيا . ويهمنا التراث العبري بما فيه من خيرات وان يكون له مع تراثنا ملتقى عسى ان نسهم في تحرير اليهود من الخوف والاضطهاد وهما عقدة أو تخوف او ادعاء مصطنع ام مزيج من كل ذلك . لا مفر لنا بعد اليوم من ان نجعل الانسان اليهودي قضية من قضايانا ، وفي ذروة المحبة يهمنا كالانسان العربي .

ويسوؤنا جدا ان يظلم نفسه اذا ما ظلمنا . نحن نريد ان نعيش معه على ارض واحدة في ضيافة بلادنا ولنا في السماحة جذور تؤهلنا لقبوله فيما بيننا اذا اراد ، بتواضع ، أن يسهم في بناء العالم العربي معنا بحيث لا يطغى في بقعة تكون له منطلقا لاذلالنا .

ولنا معه اشواط واشواط حتى يتعلم احترام هويتنا والاقرار بحضورنا وفعلنا في فلسطين . والقدس امتحان لنيته . ولا مجال لنا للاستغناء عنها . فهي رأس الجسم الفلسطيني وروح مدنيته . ولا يعني أي كيان فلسطيني — مهما صغر او كبر — شيئا ما لم يستمد من القدس وحيه وزخم نضاله ورمزا لتطلعاته نحو قمم السماء وآفـاق الارض . القدس وفلسطين لا يتراكمان موضوعين ولا يتلاحقان ولكنهما في الصميم حب واحد وجبهة واحدة .

قد يختلف الفلسطينيون في مدى التسوية ان قرروا بحثا لا بد للثورة من النظر فيه ولكنهم لا يستطيعون ان يربحوا جزءا من الارض وان يخسروا انفسهم . ونفوسهم جميعا معلقة بالقدس كالصخرة المشرئبة الى الاعالي . القدس ستجدد فلسطين ، ستحييها في خدمة المشرق كله . في حصيلة المعاناة العربية ، برفض وقبول ، سيقوم عندنا انسان معافى .

من اجل وحدة قوى الثورة الفلسطينية حول برنامج مرحلي جديد

كريم مروة

لا شك في ان الثورة الفلسطينية تواجه ، اليوم ، وضعا جديدا لم تعرفه من قبل . وهذا الوضع الذي توضحت معالمه بعد حرب تشرين هو ، في الواقع ، النتيجة الطبيعية لمجموعة عوامل كانت تتكون قبل الحرب الاخيرة . أهم هذه العوامل ، **فلسطينيا** ، حاجة الثورة الى تحديد برنامجها المرحلي وتجديد وتطوير ممارساتها السياسية بعد المعارك الصعبة التي خاضتها دفاعا عن النفس وفي ضوء الاعتراف الدولي الذي حصلت عليه ، **عربيا** ، اتساع وتعمق النضال الجماهيري ضد الامبريالية والرجعية وتزايد القناعة لدى الجماهير بضرورة احداث تغيير في قيادة حركة التحرر الوطني العربية باتجاه أكثر تقدما من أجل التمكن من حل المهمات الوطنية والاجتماعية في صالح تطور الحركة وتقدمها ، **اسرائيليا** ، بروز مؤشرات حول تعمق الازمة داخل المجتمع الاسرائيلي ارتباطا بالوضع الذي نشأ بعد حرب ١٩٦٧ وبالنظرة الى مستقبل اسرائيل في المنطقة ، **دوليا** ، حصول تغيرات هامة في نسبة القوى لصالح تعزز مواقع القوى المعادية للامبريالية والمناضلة من أجل التحرر والسلم والتقدم .

وقد كان من النتائج المباشرة لحرب تشرين انها عجلت في ابراز هذه العوامل وأسهمت في توضيح طابع الوضع الجديد وتحديد طبيعة المهمات المطروحة امام الحركة الثورية العربية ، ككل ، والثورة الفلسطينية ، بشكل خاص . وازاء هذا الوضع لا نستغرب أن يشتد الاهتمام بالثورة الفلسطينية من قبل القوى السياسية المختلفة في الوطن العربي ، وان يتسع الحوار داخل صفوف الثورة ، بين فصائلها ، حول القضايا المطروحة وموقف الثورة منها .

أما الاهتمام بالثورة الفلسطينية فيعود الى المكان الذي تحتله القضية الفلسطينية بين القضايا الاساسية التي تجابه الحركة الثورية العربية في تطورها ، والدور الذي لعبته ، بنوع خاص ، في المنعطفات التاريخية التي مرت بها هذه الحركة . واما الحوار فتمليه على فصائل الثورة الحاجة الى مواجهة المرحلة القادمة ، التي تشكل منعطفا تاريخيا جديدا بالنسبة للثورة الفلسطينية وبالنسبة لمجمل الحركة الثورية العربية ، ببرنامج يحدد بمسؤولية ، وسط صعوبات كثيرة ومخاطر عديدة ، خصائص هذه المرحلة وأهدافها ، في اطار الفهم العلمي للستراتيجية والتكتيك في النضال الثوري .

ولا جدال في أن المسؤولية التي تتحملها قيادة الثورة الفلسطينية اليوم تفوق أيـة مسؤولية تحملتها في الماضي . فالثورة لم تعد حركة عفوية كما كانت عند بدايتها ، بل لقد أصبحت ، بفضل نضالاتها ، وبالنظر للمكان الذي احتلته ، عربيا ودوليا ، حركة ذات وزن وتأثير ، واصبحت ذات دور في الاحداث لم يعد من الممكن تجاهله ، الامر الذي أصبح يفرض عليها اختيار مواقفها بدقة ومسؤولية . وأي موقف سيتم اتخاذه اليوم ،

برغم صعوبة الاختيار ، سيكون له تأثير باتجاه سلبي او ايجابي على التطور اللاحق للثورة وعلى درجة التفاف الجماهير الفلسطينية حولها .

وفي الواقع فان الثورة الفلسطينية التي شهدت تطورا كبيرا في مواقفها وفي مواقعها ، انما تشكل استمرارا ، بشكل جديد ، لنضالات الشعب الفلسطيني وثوراته التي سادت عهود الانتداب ، ضد الاستعمار وضد مطامع الصهيونية ومن أجل التحرير والاستقلال. وقد اتخذت ، منذ بدايتها ، طابع الرفض للمطامع الصهيونية ، الى جانب طابعها التحرري الاستقلالي . وبرز ذلك بوضوح ، في كل المرحلة التي سبقت تكون الدولة الصهيونية ، في الشعارات التي رفعت خلال النضال ، وفي الممارسات التي سلكتها فصائل الحركة الوطنية . وتأكد ذلك ، بوضوح ايضا ، في الفترة التي أعقبت قيام دولة اسرائيل ، في الاثر الذي طبعت به القضية الفلسطينية ، مجمل حركة التحرر الوطني العربية ، برغم الركود الذي أصاب حركة التحرر الوطني الفلسطينية ذاتها .

وقد استطاعت ، بالاستناد الى هذا الواقع التاريخي ، ان تستقطب حولها ، بعد الخامس من حزيران كل الجماهير الفلسطينية واقساما واسعة من الجماهير في البلدان العربية، وحققت بذلك قفزة نوعية في النظرة الى القضية الفلسطينية. وبفضل النضالات التي خاضتها ، على اختلاف اشكالها ، ولا سيما الكفاح المسلح ، وبفضل العدد الكبير من الشهداء الذين سقطوا في المعارك المختلفة التي خاضتها، برزت بشكل أكثر وضوحا، الشخصية المتميزة للشعب العربي الفلسطيني ، ليس على النطاق العربي وحسب ، بل على النطاق الدولي . وكان آخر تكريس عملي لها ما جاء في البيان الذي صدر عن لقاء بريجنيف — نيكسون ، باصرار من الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي ، حول حقوق الشعب الفلسطيني ، وما تحقق في مؤتمر الدول غير المنحازة الذي عقد في الجزائر في أيلول ١٩٧٣ من اعتراف كامل بالثورة الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني ، وما جرى الاقرار به ، في هذا الاتجاه ، في مؤتمر القمة العربي الذي عقد بعد حرب تشرين في الجزائر .

وهكذا حلت ، بشكل كامل ، في قاموس التداول السياسي ، كلمة «شعب فلسطيني» محل كلمة «لاجئين فلسطينيين» ، برغم وجود أكثر من نصف هذا الشعب، في المخيمات، بعيدا عن الارض والوطن . وهذا يؤكد بأن الامر الواقع ، في قضايا الشعوب والامم ، مهما امتد في الزمن وأيا كان الشكل الذي يتخذه ، غير قادر على ازالة وانهاء القضية الاساسية . فعشرون سنة من القهر والاضطهاد لم تقتل في الشعب الفلسطيني الروح القومية ، ولم تنسه قضيته الاساسية ، وعاد ، هو نفسه ، يمسكها بيده ويقاتل من أجلها . وتؤكد التجارب ، القديم منها والحديث ، بأن القضايا القومية للشعوب المضطهدة ، وهي أكثر القضايا تعقيدا في تاريخ الشعوب والامم ، تظل حية مهما بدا في ظروف معينة من علائم الموت فيها ، وتعود للظهور ، بهذا القدر من الحدة او ذاك ، في ظروف أكثر ملاءمة .

وفي القضية الفلسطينية ، تبين الاحداث والوقائع الان ، ان الخمسة وعشرين عاما التي انقضت منذ عام ١٩٤٨ ، لم تستطع ان تجعل من اسرائيل ، الدولة العسكرية الصناعية القوية المتطورة ، العميقة الصلات بأشكالها المختلفة ، بالامبريالية العالمية ، جزءا طبيعيا من الارض التي تقوم عليها ، وظلت بالنسبة للعالم المحيط بها وبالنسبة للقسم الاساسي من سكان الارض الفلسطينية ، بشكل خاص ، كيانا مصطنعا ، غريبا ، قام على اغتصاب ارض من اصحابها الشرعيين ، بعد ان شردهم من ديارهم واستولى على ممتلكاتهم ، وتركهم من دون ارض وبلا وطن. ولقد حاولت قبل اسرائيل والصهيونية العالمية ، كل من دولة الاتراك ، في عهد الامبراطورية العثمانية ، وفرنسا ، في زمن

الامبراطورية الفرنسية ، ان تغيرا التركيب القومي والسمات القومية المميزة ، بما في ذلك اللغة ، لعدد من الاقطار العربية وغير العربية ، باستخدام أفظع وسائل القهر والضغط والقمع ، فباءت بالفشل كل هذه المحاولات ، وصمدت امام التجربة كل القوميات المضطهدة المكونة تاريخيا .

ولذلك لم يكن مستغربا ان تتطور حركة المقاومة الفلسطينية وتلف حولها جماهير الشعب الفلسطيني .

ويمكن القول بأن هزيمة حزيران كانت البداية الحقيقية للتطور الجديد في الحركة الوطنية الفلسطينية . وقد استفادت هذه الحركة من ظروف الهزيمة ومن الاثر الذي تركته عند الجماهير العربية . فقد كان من نتائج العدوان الاسرائيلي الذي لم يحقق كامل أهدافه في تغيير الخريطة السياسية للبلدان العربية ، لا سيما في اسقاط الانظمة المعادية للاستعمار ، كان من نتائجه ان رقعة العداء للامبريالية والصهيونية ، والرجعية العربية قد اتسعت في صفوف هذه الجماهير وارتبطت القضية الفلسطينية ، أكثر من أي وقت مضى ، بحياة الناس وبمشاكلهم اليومية . وتحولت حركة المقاومة الفلسطينية الى مركز استقطاب أساسي ، بالنسبة للجماهير الفلسطينية المتعطشة الى الخلاص من اوضاع التشرد والقهر والطامحة الى التحرر والعودة الى الارض والوطن المفقودين . واستطاعت المقاومة ان تعوض بذلك ، ولو مؤقتا ، ولو من الناحية النفسية ، عن الاثر السلبي الذي تركته الهزيمة على الجماهير الفلسطينية بخاصة والعربية بعامة . وقد كانت هذه الجماهير ، بكل سلوكها في تلك الفترة ، ترفض الهزيمة وترفض الاعتراف بها . وكانت تنقاد الى مشاعرها العفوية هذه فصائل أساسية في حركة التحرر الوطني العربية . ولم تنج من ذلك حتى بعض الفصائل المتقدمة من هذه الحركة . وتساوت ، في هذه القضية ، من حيث ردة الفعل ، مظاهرات الجماهير الحاشدة في التاسع والعاشر من حزيران التي رفضت استقالة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، بمظاهر الالتفاف الجماهيري الواسع حول حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة ، فيما بعد . فاذا كانت الجماهير قد عبرت في الاولى ، برغم عنف الصدمة ، عن خشيتها من أن يذهب ، مع استقالة عبد الناصر ، كل ما تحقق لها من مكاسب على صعيد الوطن العربي كله ، فانها قد عبرت في الثانية ، عن أملها في أن تكون البندقية في يد المقاومة الفلسطينية ، وسيلة لاستعادة ما فقد وللحفاظ على ما بقي .

الا ان كل هذا التطور الذي حصل في وضع الثورة وفي المكان الذي احتلته بالنسبة للجماهير الفلسطينية ، اساسا ، وبالنسبة للجماهير العربية بشكل عام ، لم يقترن بتطور بنفس المستوى في مفاهيمها الفكرية وفي ممارساتها السياسية . وهو ما كانت تتهيأ الظروف ، قبيل حرب تشرين ، لحصوله بشكل قفزة . والحوار الجاري الان بين فصائل الثورة الفلسطينية هو امتداد للحوار الذي بدأ قبل الحرب ، تحت ضغط الضرورات الموضوعية من اجل التغيير سواء بالنسبة لبرنامج الثورة، أم بالنسبة للعلاقة بين فصائلها ، أم بالنسبة لاشكال نضالها ، أم بالنسبة لتحالفاتها .

ولا بدء في مطلق الاحوال ، من الاقرار بأن تغيرا هاما ، مع ذلك ، قد حصل في مجمل سلوك المقاومة ، بعد مجازر ايلول . وقد كانت تجربة ايلول نقطة الانطلاق الاولى في هذا التغيير . ذلك ان الحركة الثورية التي لا تستفيد من تجاربها وتجارب سواها ، هي حركة غير قابلة للنمو والتطور . واهم العناصر الجديدة التي برزت في اطار التغيير الذي جرى ، اربعة : الموقف من النضال السياسي ، الموقف من التحالفات ، الموقف من أشكال النضال ، الموقف من الوحدة الوطنية .

فقد أصبح النضال السياسي مهمة يومية بعد ان كان تهمة يحاكم عليها ، وجرى تغير

في طبيعة التحالفات داخليا وعربيا ودوليا ، باتجاه أكثر تقدما ، ونبذت أشكال معينة من النضال اثبتت الاحداث عدم تأثيرها ، وعدم تطابقها مع الحاجات الموضوعية لتطور الثورة ، وتحولت منظمة التحرير وهيئاتها القيادية والمؤسسات التابعة لها الى شكل ثابت للوحدة بين مختلف فصائل الثورة .

الا ان البرنامج السياسي ظل ، من حيث الاساس ، بدون تغيير ، وكان البرنامج الذي أقر في آخر اجتماع للمجلس الوطني الفلسطيني في اوائل عام ١٩٧٣ ، هو آخر صيغة لبرنامج الثورة . ان ذلك لا ينفي وجود اجتهادات تصدت لها بعض المنظمات ، او بعض الافراد ، باتجاه احداث تغيير جذري في البرنامج ، ليس بالنسبة للاهداف النهائية التي يطرحها ، بل بالنسبة للاهداف المرحلية على وجه التحديد .

واذا كان الحوار اليوم يتناول بشكل ملموس مصير الاراضي الفلسطينية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ والموقف الذي ينبغي اتخاذه من مؤتمر جنيف ، فان كل هذه القضايا التي اشرنا اليها تدخل ضمن القضايا التي يتناولها الحوار . وهو أمر طبيعي يستجيب لمتطلبات المرحلة الراهنة من تطور الثورة .

ولا بد لهذا الحوار في نهاية المطاف ، من ان يصل الى نتيجة . اذ ليس من المعقول ان تستمر الثورة الى ما لا نهاية بدون موقف محدد من قضايا يعود القرار فيها الى أطراف متعددة ، وليس الى طرف واحد ، والثورة الفلسطينية هي أحد هذه الاطراف . وبالطبع فان ما يحسم المواقف في حركة ثورية موحدة ، هو الاستمرار بالديموقراطية الى نهايتها . وحين تتخذ الهيئات الموحدة قراراتها ، سواء بالاجماع او بالاكثرية ، يتوحد الجميع حول القرار الذي يتخذ . وقريبا سينعقد المجلس الوطني الفلسطيني الذي ستكون له الكلمة الفصل في حسم النقاش عندما يجري اتخاذ القرار بالنسبة لكل ما يجري النقاش حوله ، بشكل ديموقراطي ، اما باجماع او بأكثرية .

وقبل ان يتخذ مثل هذا القرار نود ان نورد بعض الملاحظات حول النقاش الدائر بين فصائل المقاومة الذي تشارك فيه ، بأشكال مختلفة ، قوى سياسية عربية متعددة. ومشاركتنا في النقاش تتفق مع مفهومنا للعلاقة الاساسية القائمة بين الحركة الثورية في كل قطر عربي وبين تطور الحركة الثورية العربية ، بشكل عام ، وجوهر هذه العلاقة هو ما يربط بين الجزء والكل . وهذا ، بالطبع ، لا ينفي استقلالية أية حركة من هذه الحركات الوطنية بالنسبة للاخرى ، — وهي استقلالية نسبية — في تحديد مواقفها ، بل هو يؤكد هذه الاستقلالية في نفس الوقت الذي يؤكد فيه ضرورة الانسجام، في الاتجاه العام للمواقف ، مع التطور اللاحق للحركة الثورية العربية ككل .

نود قبل كل شيء ان نؤكد قناعتنا بأهمية التغيرات التي جرت وتجري على صعيد المنطقة وعلى الصعيد العالمي ، لا سيما بعد حرب تشرين الاخيرة . ونحن في هذا الموقف نلتقي مع بعض الاخوان في قيادة الثورة الفلسطينية ونختلف مع آخرين . اننا نتفق مع الذين يقولون بان هذه التغيرات هي تغيرات ايجابية لصالح نضالنا الثوري ولصالح النضال الثوري على الصعيد العالمي ، ضد الامبريالية ومن اجل السلم والتحرر والتقدم. ونختلف مع الذين يرون في هذه التغيرات مجرد « وفاق دولي » بالمعنى السلبي للكلمة ، أي اتفاق ضد مصالح الشعوب !

وبرأينا فان العامل الاساسي الذي ادى الى هذه التغيرات هو نضال الشعوب ، في بلداننا ، وفي كل بلدان العالم . هناك ، بالطبع ، قوى اكثر تأثيرا من سواها في هذا النضال . ولكن كل نضال يخوضه أي شعب من الشعوب انما يصب بالتأكيد في مجرى الحركة الثورية العالمية . وبالتالي فان له تأثيره ، ايا كان حجم هذا التأثير . وفي هذا

المجال لا نحتاج الى التأكيد بأن دور المعسكر الاشتراكي الاكثر فعالية والاكثر تأثيرا . كما لا نحتاج الى التأكيد بان الاتحاد السوفياتي هو القوة الاساسية ليس داخل المعسكر الاشتراكي وحسب ، بل على صعيد كل الحركة الثورية العالمية . وهي أمور تشكل السمات الاساسية لعصرنا . وقد استطاع الاتحاد السوفياتي ، من مواقع المسؤولية التي يتحملها ، وبالاستناد الى التغيرات الجارية ، ان يقوم بنشاط واسع ويتخذ مبادرات متعددة ، من أجل انتزاع مكاسب جديدة للشعوب . ففي الوقت الذي استطاع فيه ان ينتزع من الولايات المتحدة الاميركية ، وهي رأس الامبريالية العالمية ، مجموعة اتفاقات تعزز الانفراج الدولي ، استطاع كذلك ان ينتزع اعترافا صريحا بحقوق ومصالح الشعب العربي الفلسطيني . وفي الوقت الذي كان يعمل بكل امكانياته من أجل تعزيز الانفراج الدولي ، كان يقف بكل قدراته الى جانب النضال المشروع الذي تخوضه الشعوب العربية من أجل استعادة حقوقها المغتصبة .

وقد أثبتت حرب تشرين ان ميزان القوى على الصعيد العالمي يتغير بشكل ملموس في صالح النضال العادل للشعوب من أجل تحريرها وتقدمها . كما اثبتت ان هذا التغير على الصعيد العالمي يرافقه تغير في ميزان القوى على صعيد الشرق الاوسط . وكل وقائع الحرب ، وكذلك نتائجها ، برغم ما فيها من ثغرات ، تشكل براهين ملموسة على هذه التغيرات .

لنحدد ، بشكل ملموس ، ما هي أهم هذه التغيرات على الصعيد الدولي ، وما هي على صعيد منطقتنا ؟

على الصعيد الدولي :

اولا ، المعسكر الاشتراكي وطليعته الاتحاد السوفياتي، من حيث هو القوة الاساسية في النضال ضد الامبريالية ، يزداد قوة وتأثيرا ، ويتجاوز ، في مجالات عديدة ، المصاعب التي كان يعاني منها .

ثانيا ، حركات التحرر الوطني تتابع تطورها وتحقق انتصارات متوالية . وأهم مثال على ذلك ما حققه الشعب الفيتنامي من انتصار على الامبريالية الاميركية نفسها واجباره اياها على الجلوس على طاولة المفاوضات وتوقيع اتفاقيات باريس الجديدة .

ثالثا ، نضالات الطبقة العاملة والقوى الديمقراطية والقوى المناضلة من أجل السلم، في العالم الراسمالي ، تزداد ويزداد معها النضال الطبقي تعمقا وتتوحد ، بأشكال دائما جديدة ، برغم الصعوبات التي يجري تجاوزها ، القوى المعادية للامبريالية .

رابعا ، التناقضات داخل المعسكر الامبريالي تتفاقم على الدوام وتتفاقم معها أزمات النظام الراسمالي وتتخذ أشكالا متعددة (أزمة الطاقة ، ازمة المواد الاولية ، الازمة النقدية الخ ...) .

خامسا ، الامبريالية تفقد الكثير من امكانياتها في كبح نضال الشعوب ، وتضطر تحت ضغط القوى المحبة للسلم والحرية ، الى الكثير من التنازلات التي تتم لصالح قضايا الشعوب .

سادسا ، الانفراج الدولي ، كصيغة بديلة للتوتر الذي يحمل مخاطر حرب نووية بين النظامين العالميين ، الاشتراكي والراسمالي ، يزداد وتزداد معه امكانيات الشعوب للنضال في ظروف أكثر ملاءمة دفاعا عن قضاياها .

سابعا ، القضايا العربية تكسب تأييدا متعاظما في اوساط الرأي العام العالمي ، بما في ذلك الاوساط النافذة في العديد من البلدان ، وينعكس ذلك في مواقف محددة ، كما

جرى ، خلال حرب تشرين ، بالنسبة لبلدان اوروبا وافريقيا والعديد من بلدان آسيا واميركا اللاتينية ، مواقف تناقضت بشكل واضح مع السياسة الاميركية في الشـرق الاوسـط .

على صعيد المنطقة :

اولا ، لاول مرة منذ قيام اسرائيل ، تتمكن الجيوش العربية من تحقيق انتصـار معين ضد اسرائيل ، وتستبسل في القتال ، وتبدي براعة في استخدام السلاح السوفياتي الفعال ، وتعيد الثقة الى الشعوب العربية بقدرتها على مواجهة العدوان الاسرائيلي والتصدي له .

ثانيا ، الحرب قضت على اسطورة التفوق الاسرائيلي والجيش الذي لا يقهر ، وتكونت بفعل الهزيمة الاسرائيلية (الهزيمة الجزئية) اوضاع جديدة داخل اسرائيل تنذر بأزمة كبيرة تجلى بعضها في الصراع السياسي بين القوى الحاكمة والاستقالات التي تمت ، وتجلى بعضها في التساؤلات التي تطرح حول مستقبل اسرائيـل وحول الحقوق العربية ، وتجلى بعضها الاخر في موقف التأييد الذي منحته الجماهير العربية ، بشكل خاص ، داخل اسرائيل ، للحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) ، فضلا عن ذلك بدأت اسرائيل تعاني ازمة خانقة في علاقاتها مع الخارج .

ثالثا ، دخل النفط ، بفعل ضغط الاحداث ، سلاحا شديد الاهمية في المعركة ، ولم يعد من الممكن في الظروف الراهنة ، ارجاعه الى حيث كان قبل الحرب .

رابعا ، اتسع نطاق الحركة الثورية العربية ، وتعمق الوعي عند الجماهير ، واصبحت المطالب التي تطرحها ، في ضوء نتائج الحرب ، اكثر راديكالية ، من أي وقت مضى ، ليس فقط بالنسبة للموقف من المساومات حول قضية الارض المحتلة وحول الحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني وحول حقه في تقرير المصير ، بل كذلك حول المهمات المتعلقة باغناء حركة التحرر الوطني العربية بمضمون اجتماعي متقدم ، عن طـريق المحافظة على منجزات هذه الحركة وتحقيق منجزات جديدة . وفي هذا السياق ، وعلى هذا الاساس ، صار من المطالب الاساسية للجماهير اجراء تغيير في قيادة حركة التحرر الوطني ، باتجاه اكثر تقدما ، مع المحافظة على كل القوى الوطنية ، كل القوى المعادية للامبريالية ، وتجميعها في جبهة واسعة موحدة على أسس ديمقراطية .

خامسا ، اكتسبت الثورة الفلسطينية وضعا جديدا شديد الاهمية ، وتكرسـت ممثلة شرعية وحيدة للشعب العربي الفلسطيني ، وأصبح هذا الشعب ، بما له من قضايا ومصالح ، طرفا في المناقشات والمفاوضات بشكل ملموس ، اكثر من السابق ، وطرحت ، بشكل واضح ، صيغ محددة ، مقبولة او غير مقبولة لا يهم ، لحقه في تقرير مصيره ، بما في ذلك اقامة سلطة وطنية على الاراضي الفلسطينية التي ستجلو عنها القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة .

ان هذه المعطيات التي اوردناها عن التغيرات التي جرت على الصعيد العالمي وعلى صعيد المنطقة ، لا تعني ان الوضع أصبح ، بصورة كاملة ، لصالح نضال الشعوب العربية وقضاياها . فلو كان الامر كذلك ، لكان الواقع غير الواقع الراهن ، ولما كنا بحاجة الى كل هذا النقاش. هناك بالطبع صعوبات وثغرات ومؤامرات وقوى في الداخل وقوى من الخارج ، تتضافر جميعها لتحد من التأثير الايجابي لهذه التغيرات . وليـس أخطر ما في هذه الامور السلبية ، ما يأتي من العدو ، بل ان اخطر ما فيها هو ما يأتي من داخل جبهة القوى الوطنية المتحالفة . ويتجسد هذا الخطر بالدرجة الاولى في اساءة استخدام الامكانيات التي كشفت عنها الحرب ، عند الجيوش والشعوب العربية ، وفي

اساءة استخدام التحالفات الداخلية والخارجية الثابتة والموقتة التي تأكدت وتوضحت ، خلال الحرب ، وفي الركض وراء المساومات مع الامبريالية والتنازلات امامها ، وهي تنازلات ومساومات لم تكن لها مبررات ثورية ، في ظروف نسبة القوى التي نشأت .

الا ان هذه الاخطار ، برغم كل شيء ، لا تلغي المكاسب التي تحققت ولا تقلل من اهمية التغيرات التي حصلت . انها ، بالتأكيد ، تفرض النضال ضد ما هو سلبي والحذر في اتخاذ المواقف ، وتفرض ، في الوقت نفسه ، المسؤولية في رسم سياسة تأخذ بعين الاعتبار الظروف المستجدة ، وتحدد مهمات المرحلة من موقع نضالي ثوري ومن رؤية واقعية . ولا بد في هذا المجال من القول بوضوح ، وبدون تردد ، بأن هذه الظروف الجديدة ، قد أصبحت تتطلب ، في الواقع ، وبدون تأخر ، جملة من التغيرات في معظم المفاهيم القائمة ، داخل الثورة الفلسطينية ، وبشكل خاص فيما يتعلق بالبرنامج السياسي للثورة .

هنا تطرح أسئلة عديدة مشروعة :

ــ بأي اتجاه يمكن اجراء التغيير في البرنامج السياسي للثورة ؟

ــ هل تعني المرحلية التخلي عن الشعار الستراتيجي بتحرير الارض واقامة الدولة الديمقراطية على ارض فلسطين ؟

ــ ما هو المجرى الذي يسلكه تطور الاحداث بعد الحرب ؟

ــ هل ستجري تسوية سياسية شاملة للصراع العربي ــ الاسرائيلي في اطار مؤتمر جنيف ؟

ــ ما هي طبيعة هذه التسوية ، وما هي علاقتها بالمشاريع الامبريالية المرسومة للمنطقة وللقضية الفلسطينية وما هو الموقف من مؤتمر جنيف ومن الجلوس على طاولة المفاوضات مع اسرائيل ؟

ــ ما هو الموقف من الاتفاقات التي تعقد لتأمين انسحاب اسرائيل الجزئي من الاراضي المحتلة (اتفاقية فك الارتباط بين الجيشين المصري والاسرائيلي الخ . . .) .

ــ ما هو الخيار الفلسطيني في مواجهة احتمالات الانسحاب الاسرائيلي من الضفة الغربية وغزة ، وما هو الموقف من اقامة السلطة الوطنية على هذه الارض وما هو مستقبل هذه السلطة ؟

ثمة أسئلة عديدة اخرى تطرح في نفس السياق من الافكار ، في مواجهة الوضع الجديد . وحول هذه الاسئلة جميعها يدور الحوار الان داخل منظمة التحرير الفلسطينية ، بين فصائل المقاومة ، وعلى صعيد كل الحركة الوطنية الفلسطينية .

بنظرنا هناك اولويات في الاجابة على هذه الاسئلة . فالقضايا الاكثر الحاحا هي القضايا التي تحتاج الى المعالجة قبل سواها والى اتخاذ موقف محدد منها . **وأول قضية تحتاج الى معالجة هي قضية الوحدة داخل الثورة الفلسطينية** . فالحوار الدائر الان حول مجمل القضايا المطروحة لم ينته . ولم تمارس اية اكثرية ، قبل اتخاذ القرار الملزم ، اي تدبير . ولذلك فان من الخطأ الفادح استباق الاحداث والانفراد بالموقف قبل ان يصل الحوار الى نهايته . فان مثل ذلك سيعني عمليا ، السعي الى الانقسام كهدف بذاته . اذ ان من الطبيعي خلال عملية الحوار ، لا سيما اذا كان يدور حول قضايا من نوع القضايا المعقدة المطروحة ، ان تبرز وجهات نظر ومواقف واجتهادات مختلفة . الا ان هذا الاختلاف في الحركة الواحدة ، داخل الثورة الواحدة ، لا يعني ، بالضرورة ،

الخلاف والانقسام . واذا حصل من جراء الحوار تصدع في الوحدة داخل صفوف الثورة فان ذلك يعني ان الاسس التي تقوم عليها هذه الوحدة هي اسس غير ثابتة ، غير متينة .

ان الاخطار التي نشهد ملامحها والتي تهدد وحدة الثورة الفلسطينية تفرض علينا التوقف عند احدى ضرورات التغيير الاساسية التي تتناول تركيب الثورة وممارساتها . وفي هذا المجال نعتقد بأن منظمة التحرير الفلسطينية لم تتحول ، برغم كل الجهود التي بذلت وبرغم القرارات التي اتخذت ، الى جبهة وطنية متماسكة . فالوحدة لم تتوطد . وما زال أي خلاف سياسي أو تنظيمي ينشأ بين منظمتين قادرا على تعريضها الى التصدع . فهي لم تصبح مثل جبهة تحرير الفيتنام ولا مثل جبهات أخرى من النوع الذي يسود حركات التحرر الوطني المعاصرة . وهذا هو أهم ما تعاني منه الثورة الفلسطينية في تطورها الراهن .

ثمة ، بالطبع ، أسباب تاريخية لمثل هذه الصعوبات ، منها ، على سبيل المثال ، غياب الحزب الطليعي . ولكن المعضلة الاساسية تكمن في عقدة القضية الفلسطينية نفسها ، التي خلقت، خلال خمسة وعشرين عاما، شعارات سياسية عامة واستقطابات ومحاور حولها ، داخل البلدان العربية ، بحيث لم يبق للشعب الفلسطيني نفسه مجال لتوضيح مطالبه ولتحديد برنامجه على اساسها . والمسؤولية تقع ، اولا ، على القوى الوطنية الفلسطينية التي تخلت عن قضيتها لسواها ، وعلى القوى الوطنية العربية ، لا سيما الانظمة الوطنية ، التي فرضت وصايتها ليس فقط على القضية الفلسطينية ، بل على الشعب الفلسطيني ايضا .

واذا كانت الحركة الوطنية الفلسطينية قد تمكنت من البروز ، منذ عام ١٩٦٥ ، ولا سيما بعد هزيمة ١٩٦٧ ، كحركة وطنية مستقلة ، الا انها بفعل السنوات الطويلة التي سبقت هذا التاريخ وبسبب الاحداث الكبيرة التي رافقت تطور حركة التحرر الوطني العربية — ومعظمها كانت تدور حول القضية الفلسطينية — لم تستطع ، أي الحركة الوطنية الفلسطينية ، المحافظة بشكل كامل على استقلاليتها ، أسوة بسائر الحركات الوطنية التي تتجمع في اطار حركة التحرر الوطني العربية . وجرت ولا تزال تجري ، عند كل منعطف في تطور هذه القضية ، وعند كل حدث يفرض على الثورة الفلسطينية ، صراعات تشمل كل القوى الوطنية العربية ، تتجاذب هذه الحركة ، باتجاهات مختلفة ، حتى التناقض أحيانا . ومن هنا مصدر الصعوبة ، اولا ، في تعمق الوحدة داخل صفوفها ، والصعوبة ، ثانيا ، في تحديد برنامجها .

الا ان المعضلة الثانية الاساسية التي تواجه الثورة الفلسطينية ، اليوم اكثر من أمس ، وغدا أكثر من اليوم ، هي قضية البرنامج . وفي هذا الاطار تبرز ضرورة أخرى للتغيير ، قد لا تتناول البرنامج السياسي للثورة بشكل عام ، أي لا تتناول الاهداف العامة للثورة ، كما أقرتها اجتماعات المجالس الوطنية ، بل تتنازل ، بشكل خاص ، برنامج المرحلة التي تجتازها الثورة الان . فالمرحلة ، كما قلنا ، وكما هي في الواقع ، مرحلة جديدة . ولم يعد من الممكن الاكتفاء بالشعارات العامة لمواجهة المهمات التي تطرحها . وبالطبع فان ظروف تركيب الثورة وظروف علاقاتها التنظيمية وظروف ارتباطاتها العربية ، تجعل مهمة صياغة برنامجها المرحلي عملية شاقة مشحونة بالمخاطر . ومع ذلك فقد تصدت بعض فصائل الثورة ، بجرأة، لطرح شعارات جديدة لهذه المرحلة ، محطمة بذلك صنمية الشعارات العامة ذات الطابع الستراتيجي البعيد المدى . وبذلك طرحت على بساط البحث بشكل واقعي وبشكل جدي قضية اعادة النظر بالبرنامج المكتوب ، بما في ذلك آخر صيغة له ، وهي أكثر وضوحا

من الصيغ السابقة ، التي أقرها آخر اجتماع للمجلس الوطني الفلسطيني في اوائل عام ١٩٧٣ .

ماذا يقول البرنامج ؟

انه ينص بالنسبة للهدف النهائي على « **اقامة المجتمع الديموقراطي الفلسطيني الذي يتوفر فيه حق العمل والحياة الكريمة لكل المواطنين ليعيشوا بمساواة وعدل واخاء وضد كافة أشكال التعصب العنصري او العرقي او الديني** » .

وينص بالنسبة للاردن على : « **لحم نضال شعبنا بنضال الشعب الاردني الشقيق في جبهة تحرير اردنية فلسطينية تقوم ، فضلا عن مهامها على الساحة الفلسطينية ، بالنضال لاقامة حكم وطني ديموقراطي في الاردن** » .

وينص بالنسبة للعلاقة مع الحركة الثورية العربية على :« **تصفية كل أشكال الوجود الامبريالي من نفوذ سياسي وقواعد عسكرية واستثمارات اقتصادية ومؤسسات ثقافية ودحر كل القوى المحلية المرتبطة بها** » .

وينص بالنسبة للعلاقة مع الحركة الثورية العالمية على : « **ان النضال الوطني الفلسطيني والنضال الوطني الديمقراطي العربي هما جزء لا يتجزأ من حركة النضال العالمية ضد الامبريالية والعنصرية ومن أجل التحرر الوطني** » .

ان هذا البرنامج ، بمحاولته التوجه الى الجماهير الفلسطينية بمهمات أكثر وضوحا ، لا يزال أسير نفس الاعتبارات من حيث التحديد الملموس والمفصل للمهمات المرحلية . ولذلك ، وفي ضوء الوضع الجديد الذي نشأ بعد حرب تشرين ، لم يعد من الممكن في التوجه الى الجماهير الفلسطينية ، الاكتفاء بهذه المهمات ، وصار لا بد من تحديد طبيعة المرحلة ، وتحديد مهماتها وتعبئة الجماهير الفلسطينية حول البرنامج الذي يتضمن هذا التحديد للمرحلة ولمهماتها . وهذا الامر لا يتطلبه فقط مبدأ النضال الثوري، بل انه بدأ يصبح مسألة عملية بالنسبة للجماهير الفلسطينية التي لن يكون من الممكن استمرار تعبئتها الى أمد بعيد تحت شعارات غير قابلة للتحقيق في مدى منظور ومحدد من الزمن . فان بقاء الجماهير الفلسطينية اسيرة الشعارات العامة الصعبة التحقيق ، أي أسيرة النظرة الرومنسية الى القضية الفلسطينية ، من شأنه ، اولا ، ان يضعف الحماس الوطني الذي لا يزال يحركها ويشدها الى الارتباط بالثورة ، ومن شأنه ، ثانيا ، ان يخلق لدى أقسام من هذه الجماهير حالة معقدة من اليأس ما تلبث ان تتحول الى عنصر فوضوي ضاغط باتجاه معاكس لمصالح الثورة ولتطورها . ومعروف ان لكل حركة ثورية أهدافها القريبة والبعيدة ، ولها استراتيجيتها وتكتيكها ، لها أهدافها الستراتيجية وبرامجها المرحلية .

فماذا يمكن ان تكون مهمات المرحلة الراهنة التي يتكون منها برنامج الثورة الفلسطينية ؟

لقد أصبح اليوم بمثابة الاجماع الحديث لدى قيادة الثورة الفلسطينية وفي صفوف منظماتها عن ان المهمات الراهنة للثورة هي النضال ضد الاحتلال الاسرائيلي والنضال لمنع عودة الحكم الاردني الى الضفة الغربية . الا ان الخلاف هو حول التفسير الحقيقي لحق تقرير مصير الشعب الفلسطيني على هذه الارض . أكثرية المنظمات ، حتى الان ، تطالب بسلطة وطنية عليها وتعتبر ذلك الحلقة المركزية في النضال الراهن ، باعتباره هدفا واقعيا ممكن التحقيق وتحقيقه يشكل مكسبا للثورة على طريق نضالها الطويل لتحقيق أهدافها الستراتيجية . أما المنظمات التي ترفض هذه السلطة فهي تنادي باستمرار النضال ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية الاردنية وضد المساومات وضد

التنازلات الخ... ولكنها لا تضع بديلا ملموسا واضحا للحلول الثلاثة التي يمكن ان تطرح حول مستقبل هذه الارض : بقاؤها تحت الاحتلال ، او عودتها للحكم الاردني (بما في ذلك تنفيذ مشروع المملكة المتحدة) او اقامة سلطة وطنية عليها ؟ فالنضال ضد الاحتلال وضد العودة الى الحكم الاردني ، وضد المؤامرات على القضيـــة ، وضد التنازلات الاستسلامية ، لا تجيب على السؤال الذي يطرح حول مصير هذه الارض بعد توفر امكانيات اخراج القوات الاسرائيلية منها ، بالقتال أم بالمفاوضات ، لا فرق ، فكلها في النهاية وسائل نضال ، يكمل بعضها بعضا ، وفعالية هذا الشكل او ذاك تتحدد فيما يمكن الحصول عليه من مكاسب بعد استخدامه .

نعم ما هي الحلقة المركزية في المهمات التي تطرح في هذه المرحلة ؟ اذ لا بد من حلقة مركزية ، لا بد من هدف محدد تناضل الثورة من أجل تحقيقه لا من أجل رفضه ويشكل تحقيقه مكسبا وطنيا . فحتى الان كانت الحلقة المركزية النضال من أجل الهـــــدف الستراتيجي وفي اطار هذا النضال كانت تتحدد الشعارات العملية الملموسة بالرفض ، رفض الكيان الصهيوني، رفض المشاريع الاستعمارية، رفض الصلح والاعتراف الخ... أما الان ، وبعد حرب تشرين حيث تغيرت موازين عديدة واصبحنا أمام واقع جديد فلم يعد من الممكن ، الا من قبيل الرومانسية على حد تعبير أحد قادة الثورة ، طرح شعارات من هذا القبيل . فالرفض هو دائما سهل ، أما النضال من أجل تحقيق هدف محدد فهو الاشد صعوبة والاكثر مسؤولية .

الا ان الربط الشرطي المطلق لاي شعار مرحلي بالهدف الستراتيجي هو عمليـــة تعجيزية . لان ربط تحقيق هدف ما ، السلطة الوطنية مثلا في الضفة الغربية وغزة ، بشرط وضوح كيفية وزمن الوصول الى تحقيق الهدف النهائي ، الدولة الديموقراطية على كامل الارض الفلسطينية ، هو غير واقعي ، هو ، عمليا ، رفض هذا الهدف المرحلي . ان ذلك لا ينفي ، بالطبع ، وحدة الهدف المرحلي مع الهدف الستراتيجي . بل ان هذه الوحدة ضرورية ، فاي مكسب يتحقق في نطاق مرحلة معينة ، انما ينبغي ان يخدم ، بالضرورة ، النضال لتحقيق الهدف النهائي . غير ان واقع العمل الثوري يتطلب الحد الاقصى من المرونة . ولا يمكن التعامل مع الاحداث التاريخية التي وقعت والتي يمكن ان تقع ، كالتعامل مع الاشياء . فليس بمقدور الثورة ، اية ثورة ، ان تتجاهل خلال نضالها الوقائع والامكانيات ومجموعة كبيرة من القضايا والاعتبارات والظروف . اننا نريد ان نفترض ، كنتيجة لنضال الثورة الفلسطينية والقوى الحليفة لها ، أحد ثلاثة احتمالات ، الانتصار او الهزيمة او التعادل كما طرحها احد قادة الثورة . هل سيكون موقف الثورة واحدا في كل هذه الاحتمالات ؟ بالطبع لا ! لان موقف الثورة سيمليه عليها الوضع الملموس الذي ستجد نفسها فيه . في حال الانتصار يجب معرفة حجم هـــذا الانتصار والدور المحدد للثورة فيه ، بالنسبة للقوى الاخرى ، بما في ذلك قوى الحلفاء ، وقوى الضغوط الخارجية الخ ... وينبغي محاكمة الوضع ايضا ، بشكل ملموس وواقعي بالنسبة للاحتمالين الاخرين .

أي لا بد من الاجابة ، كما فعلت الثورة الجزائرية من قبل ، والثورة الفيتنامية ، والعديد من ثورات التحرر الوطني ، فضلا عن ثورة اوكتوبر نفسها ، على السؤال الذي يطرحه الواقع ، في حال الوصول الى احد هذه الاحتمالات الثلاثة ، ولا سيما احتمال تحقيق النصر : كيف نتابع المعركة ؟ كيف نحدد ملامح الوضع الذي سينشأ ؟

الثورة الجزائرية ظلت تقاتل الى ان وجدت نفسها أمام حتمية الجلوس على مائدة المفاوضات مع العدو الذي كانت تقاتله ، ووقعت معه اتفاقات مجحفة ، ثم تخلصت

تدريجيا من الاجحاف ، عندما رات انها قادرة على ذلك . كذلك فعلت الثورة الفيتنامية. وكذلك فعلت ثورة اوكتوبر .

فهل ستفعل الثورة الفلسطينية مثل سواها من الثورات ، أم ان لها منطقا آخر ؟ ان هذا السؤال لم يعد سؤالا عاديا بل أصبح من الامور الاساسية التي لم يعد من الممكن الهروب من مواجهتها .

هل تجلس الثورة الى مائدة مفاوضات مع اسرائيل وما هو ثمن المكسب الذي ستنتزعه : اعتراف ، صلح ، مناطق مجردة من السلاح ، وصاية الخ... على الثورة ان تقرر بجراة اذا وجدت نفسها أمام هذا الامر .

هذا أيضا يختلف الجواب عليه عند قادة المقاومة . البعض يريد الجمع بين الالتزام المبدئي وبين الواقعية . البعض الاخر يرفض الامر الواقع ويرفض التنازلات . وبالطبع فان رفض الامر الواقع، بالنسبة للشعب الفلسطيني، اذا كانت القضية تتعلق بالحقوق التاريخية ، هو رفض مشروع . لان الرفض هنا يعني التمسك بالحقوق . الا ان رفض التنازلات ، بصورة مطلقة ، تحت شعار الدفاع المطلق عن الحقوق ، أمر يتنافى مع عالم النضال الثوري . وبعض قادة المقاومة يرون أية تسوية اذا كانت متناقضة مع حركة التطور التاريخي ــ وهو أمر ممكن الوقوع ــ لا يمكن ان تستمر ، لا يمكن ان تصبح امرا ثابتا مستقرا . وكثير من المواثيق والمعاهدات تعرضت للتمزيق عند اول تبدل حصل في ميزان القوى . ويؤكد أصحاب هذا الرأي من قادة الثورة الفلسطينية ، بأنه يجب انتزاع السلطة الوطنية ، قبل كل شيء ، قبل الحديث عن قدرتها على العيش وقدرتها على التحرك وسط الحصار . فالمرحلة برايهم ، الان ، هي مرحلة استرجاع وطن ولو كان صحراء وليست القضية قضية اختيار طريق للتطور او شكل محدد للسلطة . فضلا عن ان الحصار هو أمر غير ذي أهمية كبرى حتى على المدى المنظور ، استنادا الى الثقة بالحركة الوطنية في الاردن التي تضم في صفوفها قوى فلسطينية ذات وزن وتأثير كبيرين ، وكذلك بمجمل التطور الذي سيحصل في كل حركة التحرر الوطني ، فضلا عما يمكن انتظار حصوله من تطورات داخل اسرائيل ذاتها ، في ضوء الوضع الجديد ، وفي ضوء نسبة القوى التي تتغير على صعيد المنطقة وعلى الصعيد العالمي في صالح النضال التحرري للشعوب ، وفي صالح القوى المعادية للامبريالية .

على ان التسوية المقترنة بالتنازلات ليست دائما مبررة وان تكن ، في العمل الثوري ، ممكنة وضرورية ، في بعض الظروف . وقد اتبعت الحركات الثورية المعاصرة ، على اختلاف أنواعها ، منذ ثورة اوكتوبر حتى الثورة الفيتنامية ، سبيل التسويات الموقتة ، قبل التمكن من انتزاع كامل الحقوق في الارض ، كامل الاستقلال ، كامل التحرر . ولينين قائد اول ثورة اشتراكية في العالم يعطينا ، بموقفه من صلح برست ليتوفسك ، المنهج ، أؤكد المنهج لا الصيغة ، في حل معضلة من نوع المعضلات التي تواجه الحركات الوطنية الثورية في مراحل نضالها . ويقول لينين في معرض الرد على الذين يستحوذ الخوف واليأس عليهم من جراء توقيع صلح برست ليتوفسك : « **اننا لن نهلك حتى من عشرات من معاهدات الصلح المرهقة للغاية اذا نظرنا الى الانتفاضة والى الحرب نظرة جدية . ولن نهلك من الغزاة اذا لم ندع اليأس والجملة الطنانة يهلكاننا** » . ويقول ايضا في نفس الصدد : « **ان رفض توقيع صلح قذر للغاية ، اذا لم يكن عندك جيش ، هو مغامرة سيكون من حق الشعب أن يتهم السلطة التي تقدم عليه** » .

ان استشهادنا بصلح برست ليتوفسك ليس من قبيل المقارنة . فالمقارنة هنا غير جائزة . الا اننا نستشهد بمنهج لينين في معالجة قضية خطيرة واجهت الثورة في أصعب مرحلة من مراحل تطورها ، مرحلة كان يمكن ان تهلك فيها الثورة لو لم تلجأ الى

تلك التسوية والتنازلات التي لم يكن بد منها من اجل انقاذ الثورة . ونحن نريد بهذا المثل ان نتسلح بالحجة التي تقدمها لنا التجارب الثورية في العالم ، للرد على الاخوان المناضلين في صفوف الثورة الفلسطينية الذين يتمسكون ، دون ان يتبنوا ذلك حرفيا ، بالمبدأ الخاطىء ، « كل شيء أو لا شيء » . وهو مبدأ عدمي لا يجوز ان يقع فيه المناضلون الثوريون ، سواء كان ذلك عن قناعة ، او عن غير قصد .

التسوية اذن انما يحدد الموقف منها ، بالرفض او القبول ، شرطان أساسيان : الاول ، هو التقدير الحقيقي لحجم الامكانيات الذاتية والموضوعية، الداخلية والخارجية، الشرط الثاني ، هو مقدار التنازلات بالارتباط مع ما توفره من امكانيات بالنسبة للثورة من أجل متابعة نضالها في المراحل التالية .

في هذا المجال تطرح قضية مؤتمر جنيف والمفاوضات الجارية داخله وحوله ، والتسويات والاتفاقيات التي وقعت والتي يجري النقاش حولها .

وحول هذه القضية تبرز آراء مختلفة . بعض قادة الثورة يرفضون بدون نقاش الجلوس الى مائدة المفاوضات انطلاقا من مبدأ الرفض لاية حلول سياسية لقضية الاحتلال الاسرائيلي للارض الفلسطينية ولسائر الاراضي العربية ، والبعض يرفض ذلك استنادا الى موقف سياسي له تبريراته ، اية كانت هذه التبريرات . والبديل عند هؤلاء القادة للحلول السياسية هو استمرار القتال . ولكن القتال ليس مجرد رغبة ، بل هو أيضا امكانية . فهل هذه الامكانية متوفرة ، من الناحية الموضوعية ومن الناحية الذاتية ومن ناحية توفر الظروف الخارجية، وأهمها نسبة القوى ؟ لا بد من معرفة ذلك وتحديده بوضوح لكي يمكن الحكم ، بمستوى مسؤولية المناضل الثوري ، عما اذا كان يوجد بديل للحل السياسي ، بالقتال . فاذا تعذر الجواب الايجابي على هذا السؤال ، عندئذ يصبح الاصرار على رفض الحلول السياسية شكلا من اشكال الهروب الى الامام في مواجهة واقع صعب .

فريق آخر من قادة الثورة يقر بضرورة الحلول السياسية ، في ظروف عدم توفر امكانية استمرار القتال . وهو يرى انه لا يجوز للثورة ان تبقى أسيرة وسائل التحرك السياسي وبرامج العمل السياسي التي كانت قائمة قبل الحرب ، وترى انه لا بد من برنامج مرحلي للنضال الثوري يأخذ بعين الاعتبار المعطيات الجديدة .

وفي الواقع فان الثورة الفلسطينية تمارس عمليا ، منذ فترة ، العمل السياسي ، من الباب الواسع ، وتعمل ، بمحض ارادة هيئاتها القيادية ، في اطار الحلول السياسية . وهذا الفريق من قادة الثورة الذين يقرون بمبدأ العمل السياسي ، الى جانب أشكال النضال الاخرى ، المسلح خصوصا ، يرون في الظروف الراهنة ان من الممكن ، في اطار نسبة القوى الجديدة ، الحصول على مكاسب للقضية الفلسطينية ، أهمها انتزاع سلطة وطنية في الضفة الغربية وغزة بعد اجبار الاسرائيليين على الجلاء عنها .

طبعا ان مؤتمر جنيف ليس المكان السهل للحصول على حلول جاهزة للقضية المطروحة . فالسلطة الوطنية ليست موضوعة على طبق من الفضة لكي تسلم الى الثورة الفلسطينية . كذلك فان الثورة الفلسطينية ليست ، حتى الان ، في عداد المدعوين الى مؤتمر جنيف . فضلا عن أن مؤتمر جنيف هو الان في عطلة ، عطلته مضاعفات اتفاق الكيلو ١٠١ الجزئية الثنائية بين مصر واسرائيل برعاية اميركا . ولذلك فليست الامور بالسهولة التي يجري تصويرها بها . ومن هنا فان القضية يجب ان تطرح بشكل آخر .

اولا ، ينبغي النضال من أجل ان يصبح الاعتراف بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا وحيدا

للثورة ، امرا واقعا . فهذا الاعتراف الذي جرى حتى الان في مؤتمر القمة العربية ، وفي مؤتمر عدم الانحياز ، سيظل حبرا على ورق ، سيظل بدون قيمة فعلية ، اذا لم يقترن لدى أية مفاوضة دولية او محلية ، حول مصير الارض الفلسطينية ، أية ارض فلسطينية باشراك ممثلي الثورة الفلسطينية في هذه المفاوضات طرفا وحيدا عن الشعب الفلسطيني . ان ذلك لم يحصل حتى الان . ولذلك ينبغي النضال من أجل تحقيقه . يجب ان يعترف مؤتمر جنيف والاطراف المشتركة فيه ، اذا تيسر له ان ينعقد مرة ثانية ، بهذا الواقع الجديد . فاذا رفضت الثورة الفلسطينية الذهاب الى مؤتمر جنيف ، في حال توجيه الدعوة اليها ، تكون قد رفضت ، عمليا ، الاعتراف الدولي والمحلي بها ، ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني . وسيكون عندئذ تمثيل الشعب الفلسطيني وقفا على حكام الاردن ، بالدرجة الاولى ، الذين على يدهم تمت أكبر مجازر عرفها الشعب الفلسطيني في تاريخه الحديث .

ويرى بعض قادة الثورة ، انه اذا كانت السلطة الوطنية ، مطلبا صعبا ينبغي النضال من أجل تحقيقه ، فان عملية التحرير لكامل التراب الوطني هي أشد صعوبة . ولذلك فليس من الطبيعي استبدال شعار مرحلي أقرب الى التحقيق بشعار استراتيجي امكانيات تحقيقه أكثر صعوبة وظروف النضال من اجله اكثر تعقيدا . ولذلك يرى هؤلاء القادة ان البرنامج المرحلي على أساس النضال من أجل سلطة وطنية في الاراضي التي يجري اجلاء القوات الاسرائيلية عنها ، هو أكثر قدرة على تعبئة الجماهير الفلسطينية حول ثورتها ، لانه يقربها من امكانية انتزاع مكسب وطني هام ، أي يجعلها بنظر هذه الجماهير اكثر جدية في نضالها واكثر استحقاقا في تمثيل مصالحه ومطامحه .

ان كل ذلك يدفعنا للتأكيد بأن البرنامج المرحلي ليس فقط حاجة موضوعية ، بل هو حاجة عملية لاستمرار الثورة .

هناك ، بالطبع ، جملة من الاعتراضات والتحفظات أهمها توقف بعض قادة الثورة عند الدور الذي تلعبه اميركا بالاتفاق مع اسرائيل وبالاستناد الى النفوذ الذي تتمتع به في الانظمة الرجعية العربية وبالاستناد الى العلاقات التي أنشأتها مع بعض الانظمة الوطنية ، مصر ، بصورة خاصة . وهذه التحفظات مشروعة . الا ان الذين يضعونها لا يأخذون بعين الاعتبار بعض العوامل الموضوعية التي تدخل في عداد التغييرات الناشئة بعد حرب تشرين ، بشكل خاص . **العامل الاول** ، من حيث الاهمية ، هو موقف الجماهير العربية الذي ، اذا كان لم يتحول الان ، فسوف يتحول ، في المستقبل ، ربما القريب ، الى عمل ملموس باتجاه التغيير . فمتطلبات الجماهير العربية بعد الذي أظهرته لها حرب تشرين هي أكثر من أي وقت مضى . وهي ، بالاستناد الى ما تكون لديها من ثقة بقدرتها ، تضع عملية التغيير في قيادة حركة التحرر الوطني العربية ، جنبا الى جنب مع النضال من أجل تحرير الارض . وهي تربط ، بشكل واع ، بين ما هو وطني من الشعارات وبين ما هو اجتماعي ، بين الارادة في التحرير وبين القوى التي تستطيع ان تحققه .

العامل الثاني ، هو وجود الاتحاد السوفياتي كقوة صديقة عظمى ، الى جانب الشعوب العربية في كفاحها العادل . اذ ان وجود الاتحاد السوفياتي في المنطقة قد اصبح ، بفضل المساعدات التي قدمها ويقدمها ، في كل مجالات الحياة ، جزءا من العملية الثورية الداخلية . فهو ليس مجرد حليف بل عضو اساسي في النضال الثوري العربي والفلسطيني من أجل تحقيق مهمات المرحلة التي تجتازها كل من الحركة الوطنية الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية . وفي هذا المجال تطرح ، بشكل جدي القضية الاساسية الثالثة بالنسبة للثورة الفلسطينية ، هي قضية التحالفات والموقف منها . هناك موقفان ، حتى الان ، من التحالفات داخل الثورة الفلسطينية :

الموقف الاول هو الموقف الذي يصر على تعميق التحالفات لانها عنصر أساسي من عناصر الظفر بالنسبة لاية ثورة ، ويعتبر ان الثورة الفلسطينية جزء لا يتجزأ ليس فقط من الحركة الثورية العربية ، بل من الحركة الثورية العالمية .

الموقف الثاني هو الموقف الذي ينظر الى التحالفات من خارج اطار العملية الثورية الواحدة ، على الصعيد العربي والعالمي ، ويضع في المؤخرة اهميتها .

طبعا ، القضية لا تطرح على هذا النحو : أيهما العامل الاساسي العنصر الذاتي أم التحالفات ؟ اذ لا جدال في ان العنصر الذاتي يأتي بالدرجة الاولى من الاهمية لانه الاساس . الا ان قضية التحالفات في الظروف الراهنة لقضيتنا ، وفي ظروف العصر كله ، هي أكثر من قضية تأتي بالدرجة الثانية . ومن هنا اصرارنا على ثلاث مسائل هامة : المسألة الاولى تتعلق بميزان القوى العالمي وعلى صعيد المنطقة لدى أي بحث في امور تتعلق بنضالنا وبامكانيات تحقيق مكاسب في هذا النضال . المسألة الثانية تتعلق بالارتباط الاساسي الذي لا يمكن الخروج منه بين حركتنا وأية حركة ثورية في أي بلد من بلدان العالم ، بالحركة الثورية العالمية . المسألة الثالثة تتعلق بالموقف من الاتحاد السوفياتي كقوة الصدام الاساسية في كل الحركة الثورية العالمية، في مواجهة الامبريالية العالميـــة .

ان أي فهم خاطىء لهذه الامور من شأنه ان يقود الى الخطأ في التقدير . وفي هذا المجال لا يسعنا الا ان نستغرب ما يساق على لسان بعض قادة الثورة من اتهام للاتحاد السوفياتي بأنه ينظر الى أية تسوية لازمة الشرق الاوسط انطلاقا من مصلحة الوفاق الدولي . وكأن هناك تناقضا بين سياسة الاتحاد السوفياتي المبدئية، في النضال من أجل السلم والتعايش السلمي ، وبين مواقفه في دعم نضال الشعوب . والامر الذي يدعو الى غرابة أشد هو الموقف المطلق من المجتمع الدولي . وفي هذا التعبير ترتكب مجموعة أخطاء في نفس الوقت. أولى هذه الاخطاء وأكبرها هو وضع كل القوى الطبقية المتناقضة على الصعيد العالمي في كيس واحد وعدم التفريق بين مواقف ومصالح كل منها . ثاني هذه الاخطاء هو تجاهل الصراع الطبقي وتفاقمه على الصعيد الدولي بين الاشتراكية والرأسمالية بين الطبقة العاملة والرأسمال . ثالث هذه الاخطاء هو تجاهل التضامن الاممي الذي يبديه الشغيلة في أقاصي العالم ، مع الشعوب المناضلة من أجل تحررها في الاقاصي الاخرى من العالم ، بما في ذلك شعوبنا ، ومنها الشعب الفلسطيني . رابع هذه الاخطاء هو اتهام الاتحاد السوفياتي بالتواطؤ مع الامبريالية ضد مصالح الحركة الثورية ومصالح الشعوب ، وهو ما لا يحتاج ، لبؤسه ، الى التوقف عنده . خامس هذه الاخطاء هو اخراج الثورة الفلسطينية من الحركة الثورية العالمية ، وعزلها ، واظهار ان العالم كله ، بكل طبقاته وقواه ، يتآمر عليها . وهو أعظم الخطأ .

ان جميع القضايا التي حاولنا ان ندخل طرفا في النقاش فيها ، هي قضايا أساسية وهامة . وهي ليست وقفا على الثورة الفلسطينية . بل هي تهم كل الحركة الثورية العربية . ويقيننا ان جميع القوى الوطنيـــة والتقدمية العربية ستبذل أقصى الجهد من أجل ان تساعد الثورة الفلسطينية بالخروج من هذا الحوار بما يتفق مع مصالح تطورها على طريق تحقيق أهداف الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على أرض وطنه واستعادة حقوقه المغتصبة .

وبالاضافة الى هذا المنطلق الاساسي ، فان اعتبارات عديدة اخرى تدفع الى التشديد على أهمية انتهاء الحوار الى نتيجة محددة . اول هذه الاعتبارات ان اسرائيل ما تزال قائمة ، وبالتالي احتمالات تكرار عدوان كبير ما تزال قائمة ، ولا يمكن ان يردعها سوى وحدة المقاومة ، ووحدتها مع الفصائل الاخرى في حركة التحرر العربية ، وتحالفها مع القوى التقدمية العالمية . وثانيها ان الثورة ما تزال تواجه اعداءها في داخل البلدان العربية حيث لا يستبعد ان تعود الرجعية الى محاولات التصفية ، وبالتالي فان التماسك بين فصائل المقاومة أكثر ضرورة . وثالثها ان العدوان الاسرائيلي قائم على الشعب الفلسطيني ، وعلى سائر الشعوب العربية ، وبالتالي فان مهمة ازالة هذا العدوان لا يمكن ان تحلها اتفاقات جزئية . وامام مثل هذه الاتجاهات يصبح من الخطر الذهاب بعيدا في الحوار والخلاف .

ورغم الخلافات الموجودة بين فصائل الثورة ، والتي يمكن ان توجد — وهذا أمر طبيعي نظرا لظروف عديدة ، طبقية وتاريخية ، رافقت نشوء وتطور المقاومة ، وأشرنا لبعضها — فان المهمة الاساسية هي الحفاظ على الثورة . فالثورة يجب ان تبقى ، وان تبقى موحدة ، وهذا هو الاهم . وما من شك في ان الانتهاء بالحوار الى اتفاق يخدم هذه المهمة .

فلسطين والشرق الاوسط في الجمعية العامة للامم المتحدة

تلخيص لاحداث الدورة الثامنة والعشرين

الدكتور فايز صايغ

في تلخيصنا لمنجزات الدورة السابعة والعشرين للجمعية العامة التي عقدت في خريف ١٩٧٢ أشرنا الى أن الجمعية في تلك الدورة « أعربت عن دعم اكبـر لقضية الشعب العربي الفلسطيني ولحقوق الدول العربية في كفاحها ضد اسرائيل ، مما كان عليه الامر في أية دورة سابقة » . وأضفنا « ان القرارات التي تعبر عن رأي الجمعية في القضايا المطروحة قد أقرت بأغلبية تفوق تلك التي كانت في الماضي . وهكذا نالت القضية العربية سواء بالنسبة لجوهر التأييد أم اتساعه ، عطفاً من الجمعية العامة في دورتها الاخيرة أكثر من أي من سابقاتها » . ويمكن ان يقال الشيء ذاته ــ وان كان بتأكيد أكبر ــ عن الدورة الثامنة والعشرين التي افتتحت في ١٨ ايلول (سبتمبر) واختتمت في ١٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ . غير أنه يمكن ملاحظة سمتين أخريين للقرارات التي اتخذتها الدورة التي اختتمت مؤخرا : الاولى ان الجمعية أصدرت أحكاما تتعلق ببعض جوانب القضية الفلسطينية وقضية الشرق الاوسط لم تكن قد عالجتها بشكل محدد في الدورات السابقة ، والسمة الثانية ان بعض اللجان الرئيسية في الجمعية العامة التي لم يسبق لها في الماضي ان عالجت تشعبات قضيتي فلسطين والشرق الاوسط ، حولت اهتمامها في الدورة الثامنة والعشريــن الى بعض جوانب هــاتين القضيتين التي تدخــل ضمن اختصاصها .

ومن جهة أخرى فان الجمعية العامة في دورتها الثامنة والعشرين لم تعالج موضوع « الوضع في الشرق الاوسط » ــ وهو الموضوع الذي جرى فيه نقاش واسع واتخذت بصدده قرارات أساسية في الدورات الخامسة والعشريــن والسادسة والعشريــن والسابعة والعشرين التي عقدت في الاعوام ١٩٧٠ و ١٩٧١ و ١٩٧٢ على التوالي ــ نظرا لانه قد عولج في مجلس الامن في أعقاب حرب تشرين الاول (اكتوبر) . وفي أي حال ففي اليوم الاخير من الدورة أقرت الجمعية الترتيبات الاجرائيــة التي لخصها رئيسها بالكلمات التالية :

« ان المشاورات الواسعة قد أشارت الى أنه ، نظرا للتطورات الاخيرة في الشرق الاوسط ، فان ثمة احساسا عاما بألا تجري معالجة هذا البند في الوقت الراهن ... ونتيجة لهذه المشاورات فثمة اعتقاد بأن أفضل سبيل يتبع هو ان تستأنف الدورة اذا استدعت الظروف ان تعالج الجمعية العامة هذا الموضوع ... ومن ناحية اجرائية فانه لن يعلن عن اختتام الدورة » .

وبالاضافة الى ذلك فقد اتخذت الجمعية القرار ٣١٠١ المتعلق بتمويل قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة .

قبل ان ننتقل الى تحليل القرارات الاساسية المتعلقة بقضيتـــي فلسطين والشرق الاوسط ، علينا أن نذكر ان الجمعية العامة قررت ادخال اللغـــة العربية ضمن لغاتها الرسمية والعامة. ففي اليوم الاخير من الدورة اتخذت الجمعية القرارين ٣١٩٠ و ٣١٩١ اللذين جاء في الاول منهما أن الجمعية العامة « تقر بدور اللغة العربية المهم في الحفاظ على حضارة الانسان وثقافته وفي نشرهما » و « تقرر ادخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية والعاملة في الجمعية العامة ولجانها الرئيسية ، وتعديل الفقرات ذات الصلة في أنظمة الجمعية الاجرائية » . وقد تم في القرار الثاني تعديل المواد من ٥١ الى ٥٩ من الانظمة الاجرائية المتعلقة باللغات بما يتلاءم مع القرار الاول .

*

يمكن وضع القرارات الرئيسية التي اتخذتها الجمعية العامة في دورتها الثامنـــة والعشرين والتي لها علاقة بقضيتي فلسطين والشرق الاوسط تحت ثلاثة عناوين : (١) اللاجئون والمرحلون . (٢) الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني . (٣) ممارسات اسرائيل في المناطق العربية المحتلة .

أولا : اللاجئون والمرحلون

(أ) **المساعدات :**

عالجت القـــرارات ٣٠٨٩ ـــ أ و ٣٠٨٩ ـــ ب و ٣٠٨٩ ـــ هـ مساعدة اللاجئيـــن الفلسطينيين المرحلين في العام ١٩٤٨ والاشخاص المرحلين في العام ١٩٦٧ ، وقد مدد القرار ٣٠٩٠ مهمة « مجموعة العمل لتمويل وكالة غوث وتشغيل اللاجئين في الشرق الادنى » مدة سنة واحدة . وقد تم اتخاذ هذه القرارات كافة في ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ .

والعنصر الوحيد الذي استجد في هذه القرارات كان في القرار ٣٠٨٩ ـــ هـ ، الذي نص في الفقرتين ٤ و ٥ من مقدمته على ما يلي :

« نظرا لان مساهمة الولايات المتحدة في الميزانية العادية للامم المتحدة قد تم تخفيضها الى ٢٥ بالمئة بقرار الجمعية العامة ٣٩٦١ ب (٢٧) نتيجة الفهم بأن الولايات المتحدة سوف تسعـى للابقاء على مساهمتهـا الطوعية ، وربما زيادتها ، الى مختلف وكالات الامم المتحدة وأجهزتها الاخرى ،

ونظرا للاهتمام العميق الذي أبدته دول معينة في أوروبه الغربية وبعض الدول الاخرى ازاء الشرق الاوسط طوال سنين عديدة » .

جاء القرار في الفقرة التنفيذية رقم ٢ كما يلي :

« تناشد [الجمعية] الدول الاعضاء خاصة تلك التي دخل الفرد فيها ١٥٠٠ دولار فما فوق الاخذ بعين الاعتبار زيادة مساهمتها لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الادنى » .

وقد تم اتخاذ هذا القرار بأغلبية ٨١ صوتا ومعارضة ٣ وامتناع ٤١ . اما الاعضاء المعارضون فكانوا اسرائيل والولايات المتحدة ونيكاراجوا .

(ب) **حق العودة :**

١ ـــ ان حق **لاجئي ١٩٤٨ الفلسطينيين** بالعودة الى وطنهم والذي اعترفت به الجمعية العامة منذ اتخاذها القرار ١٩٤ (٣) في ١١ كانون الاول (ديسمبـــر) ١٩٤٨ ، جرى تأكيده مرة اخرى في العام ١٩٧٣ بالقرار ٣٠٨٩ ـــ ب والذي أعـــاد عبارات القرارات السابقة دون تغيير ذي شأن . وقد اتخذ هذا القرار في الدورة الثامنة والعشرين، كمعظم سابقيه ، دون معارضة .

ان اعادة التأكيد على حق العودة قد تعزز مع ذلك بنص جديد تضمنته الفقرة ٣ من القرار ٣٠٨٩ ـــ هـ ، الذي اعلنت فيه الجمعية :

« ان تمتع اللاجئين الفلسطينيين العرب بحقهم في العودة الى مواطنهم وممتلكاتهم والذي اعترفت بـه الجمعية العامة بالقرار ١٩٤ (٣) في ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، والذي كررت الجمعية العامة تأكيده منذ ذلك التاريخ ، هو أمر لا غنى عنه من أجل تحقيق تسوية عـادلة لمشكلة اللاجئين ، ومن أجل ممارسة شعب فلسطين حقه في تقرير المصير » .

وقد علق كاتب هذه السطور بوصفه ممثلا للكويت على هذا القرار في الجلسة العامة للجمعية العامة رقم ٣١٩٣ المنعقدة في ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ بما يلي :

« بالنظر للمرحلة الدقيقة التي يمر بها الشرق الاوسط اليوم فان وغدي يجد من الاهمية القصوى أن يؤكد فهمه لمعنى القرار ١٩٤ (٣) الذي اتخذته الجمعية العامة منذ ربع قرن ، والقرارات التي اتخذناها هذا الصباح .

« ... ان الجمعية العامة قد اعترفت بأن عودة اللاجئين الفلسطينيين الى مواطنهم وأملاكهم هي حق أصيل ثابت ... وان هذه العودة يجب ان تكون : (أ) خاضعة فقط لاختيار اللاجىء نفسه ، لان اختياره بين العودة والتعويض هو الذي يقرر عودته او عدمها ... (ب) مسألة حق وليست مسألة منة مـن أي شخص . (ج) عودة الى وطنه مواطنا كاملا ذا حقوق كاملة وليس كمواطن مضطهد من الدرجة الثانية . (د) ان يعود وحقوقه مضمونة من الامم المتحدة كما ينص عليها المقطع (جـ) من القسم (١) في القرار ١٨١ (٢) وهي الحقوق التي رحل بسببها ...

« وأكثر من ذلك فاننا نفهم من الفقرة ٣ من مسودة القرار (١ د) [٣٠٨٩ ـــ د] الذي اتخذ قبل قليل ان عودة اللاجىء الفلسطيني الى موطنه في الشكل الذي وصفته الان هي (أ) أمر لا غنى عنه من أجل تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ، (ب) شرط لبلوغ الشعب الفلسطيني حقه في تقرير المصير ، (ج) شرط لسلام عادل ودائم في الشرق الاوسط بعامة . »

٢ ـــ وفيما يتعلق **بمرحلي ١٩٦٧** فقد اعادت الجمعية في قرارها ٣٠٨٩ ـــ ج تأكيد « حقهم في العودة الى مواطنهم ومخيماتهم » وهو ما أقرته في قرارات سابقة. ومن ناحية ثانية، فبينما كانت الجمعية في قراراتها السابقة « تعبر عن قلقها العميق لفشل السلطات الاسرائيلية في اتخــاذ خطوات لاعادة السكان المرحلين » فان القرار الاخير « عبر عن **الاسف** بشدة **لرفض** السلطات الاسرائيلية » اتخاذ مثل هذه الخطوات. وعلى الرغم من صيغة القرار القوية فقد تم تبنيه في الدورة الثامنة والعشرين بأغلبية ساحقة . فقد صوت الى جانبه ١١٠ اصوات ، وضده ٤ ، وامتنع ١٢ . ويقارن هذا مع التصويت الذي جرى في ١٩٧٠ اذ كان مـــع القرار ٩٣ صوتا ، و ٥ ضده و ١٧ امتنعوا عــن التصويت ، وفي العام ١٩٧١ كانت النتيجة ٨٨ و ٣ و ٢٨ على التوالي وفي العام ١٩٧٢ ٩٣ و ٥ و ٢٦ على التوالي . وكانت الاصوات الاربعة المعارضة (في العام ١٩٧٣) هي اسرائيل وباربادوس وكوستاريكا ونيكاراجوا . أما الولايات المتحدة فقد امتنعت عن التصويت وكانت تلك هي الحادثة الاولى التي لم تتبــع الولايات المتحدة اسرائيل في التصويت .

ثانيا : الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني

ا ـــ حق تقرير المصير :

لقد اعترفت الجمعية العامة رسميا ولاول مرة بحق الشعب الفلسطيني الثابت في تقرير المصير في دورتها السنوية الخامسة والعشرين في العام ١٩٧٠ ، واعيد تأكيد ذلك في الدورتين السادسة والعشرين والسابعــة والعشرين . ومرة أخرى أعيد تأكيده في الدورة الثامنة والعشرين بالقرار ٣٠٨٩ ـــ د .

فبالاضافة الى « اعادة التأكيد على ان شعب فلسطين مؤهل لحقوق متساوية ولتقرير المصير » (الفقرة ١) فان الجمعية في قرارها ٣٠٨٩ — د « تعرب مرة أخرى عن قلقها العميق بشأن حرمان اسرائيل لشعب فلسطين من التمتع بحقوقه الثابتة ومن ممارسة حقه في تقرير المصير » (الفقرة ٢) و « تعلن ان الاحترام الكامل لتحقيق الحقوق الثابتة لشعب فلسطين وخاصة حقه في تقرير المصير ، لازم من أجل سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط » (الفقرة ٣) . وهذه الفقرات هي تكرار لفقرات مماثلة تضمنتها قرارات سابقة مع تعديلات طفيفة . الا أن القرار ٣٠٨٩ — د يشمل تأكيدا لم تشمله القرارات السابقة على أن « تمتع اللاجئين الفلسطينيين العرب بحقهم في العودة الى مواطنهم وأملاكهم ... هو أمر لازم لا غنى عنه لتحقيق سلام عادل لمشكلة اللاجئين ولممارسة شعب فلسطين حقه في تقرير المصير » .

وعلى الرغم من هذه الفقرة الجديدة والتعديلات الصياغية في الاجزاء الاخرى فقد نال القرار ٣٠٨٩ — د في الدورة الثامنة والعشرين تأييدا أوسع ومعارضة أقل مما ناله أشباهه في الدورات السابقة ، وذلك كما يتبين من الارقام التالية :

القرار ٢٦٧٢ — ج (٢٥) في العام ١٩٧٠ : ٤٧ صوتا مع ، ٢٢ ضد ، ٥٠ امتناع

القرار ٢٧٩٢ — د (٢٦) في العام ١٩٧١ : ٥٣ صوتا مع ، ٢٣ ضد ، ٤٣ امتناع

القرار ٢٩٦٣ — د (٢٧) في العام ١٩٧٢ : ٦٧ صوتا مع ، ٢١ ضد ، ٣٧ امتناع

القرار ٣٠٨٩ — د (٢٨) في العام ١٩٧٣ : ٨٧ صوتا مع ، ٦ ضد ، ٣٣ امتناع

والاصوات الستة المعارضة في ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ كانت أصوات باربادوس وبوليفيا وكوستاريكا ونيكاراجوا بالاضافة الى اسرائيل والولايات المتحدة .

ب — حق الكفاح المسلح من أجل التحرير :

ان المعنى المتضمن للحق الثابت في تقرير المصير قد أوضح بصراحة في القرار ٣٠٧٠ في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ بناء على توصية من اللجنة الثالثة . وتضمنت : (أ) ربط مفهومي « الحرية » و « الاستقلال » بمفهوم « تقرير المصير » . (ب) تأكيد شرعية الكفاح من اجل التحرير « بجميع الوسائل المتاحة ، بما في ذلك الكفاح المسلح » . (جـ) دعوة جميع الدول الى تقديم العون لذلك الكفاح . (د) ادانة الحكومات التي لا تعترف بحق تقرير المصير والاستقلال . وقد أعلنت هذه المبادىء في الفقرات التنفيذية ١ و ٢ و ٣ و ٦ من القرار ٣٠٧٠ التي تنص على ما يلي :

« ١ — تعيد توكيد الحق الثابت لجميع الشعوب الرازحة تحت السيطرة الاجنبية والاستعمارية والاستعباد الأجنبي ، في تقرير المصير والحرية والاستقلال ، وفقا لقرارات الجمعية العامة ١٥١٤ (١٥) في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٠ ، ٢٦٤٩ (٢٥) في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ ، ٢٧٨٧ (٢٦) في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ .

« ٢ — تؤكد ايضا شرعية كفاح الشعوب من اجل التحرر من السيطرة الاجنبية والاستعمارية والاستعباد الاجنبي بجميع الوسائل المتاحة بما في ذلك الكفاح المسلح .

« ٣ — تناشد جميع الدول ، طبقا لميثاق الامم المتحدة وقراراتها ذات العلاقة ، ان تعترف بحق جميع الشعوب في تقرير المصير والاستقلال ، وان تقدم العون المعنوي والمادي وأشكال العون الاخرى لجميع الشعوب المكافحة من اجل ممارسة حقوقها الثابتة في تقرير المصير والاستقلال .

« ٦ — تدين جميع الحكومات التي لا تعترف بحق تقرير المصير واستقلال الشعوب ، خاصة شعوب افريقيه التي ما زالت تحت السيطرة الاستعمارية والشعب الفلسطيني . »

وينبغي التذكير بأن الاشارة الصريحة الى الشعب الفلسطيني لم ترد فقط في الفقرة ٦ لكن أيضاً في قرارين أعيد تأكيدهما في الفقرة (١) . وهكذا فالفقرة التنفيذية الخامسة من القرار ٢٦٤٩ (٢٥) تنص على ما يلي :

« تدين تلك الحكومات التي تنكر حق تقرير المصير للشعوب التي اعترف بأنها أهل له ، خاصة شعوب جنوب افريقيه وفلسطين » .

كذلك نص القرار ٢٧٨٧ (٢٦) في فقرته الثامنة من المقدمة وفقرته التنفيذية (١) على ان الجمعية العامة :

« اذ تعيد التأكيد على الحقوق الثابتة لجميع الشعوب ، وفي شكل خاص شعوب زمبابوي وناميبيه وانجولا وموزامبيق وغينيا (بيساو) والشعب الفلسطيني ، في الحرية والمساواة وتقرير المصير وشرعية كفاحها لاستعادة هذه الحقوق ،

« ١ — تؤكد شرعية كفاح الشعوب من أجل تقرير المصير والتحرر من السيطرة الاجنبية والاستعمارية والاستعباد الاجنبي ، خاصة في جنوب افريقيه وتحديدا شعوب زمبابوي وناميبيه وانجولا وموزامبيق وغينيا (بيساو) ، كذلك الشعب الفلسطيني ، بجميع الوسائل المتاحة المنسجمة مع ميثاق الامم المتحدة » .

وقد اتخذت الدورة الثامنة والعشرون القرار ٣٠٧٠ بـ ٩٧ صوتا بينما عارضه خمسة وامتنع ٢٨ ، ويقارن ذلك بالقرار ٢٦٤٩ (٢٥) في العام ١٩٧٠ اذ كان ٧١ مع و ١٢ ضد و ٢٨ امتناع ، والقرار ٢٧٨٧ (٢٦) في العام ١٩٧١ اذ كانت نتيجة التصويت ٧٦ مع و ١٠ ضد وامتناع ٣٣ .

وتجدر الملاحظة ان ثلاثا من فقرات القرار ٣٠٧٠ المذكورة أعلاه قد جرى التصويت عليها كلا على حدة في اللجنة الثالثة قبل أن يجري التصويت على القرار بمجمله . وقد تم تبني الفقرة (١) بـ ١٠٢ صوت الى جانبها وصوتين ضدها وامتناع ١٤ ، أما الصوتان المعارضان فكانا اسرائيل والبرتغال . كذلك تم تبني الفقرة ٦ بـ ٨٤ صوتا الى جانبها و٦ ضدها وامتناع ٢٩ . وكانت الاصوات المعارضة هي بوليفيا والبرازيل وجمهورية الدومينيكان ونيكاراجوا بالاضافة الى اسرائيل والولايات المتحدة . أما الفقرة ٢ فقد نالت ٨٢ صوتا بينما عارضها ١٢ وامتنع ٢٣ . وقد أثيرت المعارضة الكبرى لهذه الفقرة لتضمنها كلمات« بجميع الوسائل المتاحة ، **بما في ذلك الكفاح المسلح** » التي اعتبرتها بعض الحكومات ابتعاداً جذريا عن فقرات قرارات سابقة مثل القرار ٢٧٨٧ (٢٦) الذي تنص فقرته الاولى على « بجميع الوسائل المتاحة المنسجمة مع ميثاق الامم المتحدة » .

ج — حركة التحرير الفلسطينية :

١ — في اثناء مداولات اللجنة السياسية الخاصة تلقى رئيس اللجنة رسالة من ممثلي ٧٠ دولة من الدول الاعضاء جرى توزيعها كوثيقة تحمل الرقم A/SPC/164 مؤرخة ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ وتقول الرسالة :

« نتشرف بأن نشير الى القرار الذي اتخذه مؤتمر القمة الرابع للدول غير المنحازة الذي عقد في الجزائر في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ والذي أعلن « اعترافه بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلة شرعية لشعب فلسطين » ونرجو ان تستمع اللجنة الموقرة في اثناء التداول في البند ٤٣ لوفد منظمة التحرير الفلسطينية — الممثلة الشرعية لشعب فلسطين العربي والطرف الرئيسي في القضية الفلسطينية — وسوف يقوم الوفد بمخاطبة اللجنة وباعطاء أية معلومات قد تطلب منه » .

وفي الاجتماع الرقم ٨٨٢ المنعقد في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ وافقت اللجنة على الطلب الذي تقدم به أكثر من نصف أعضاء الامم المتحدة مع قيام ممثل اسرائيل بالاعراب عن تحفظات وفده على هذا الاجراء .

٢ ــ بالنظر الى ما تقدم فان ثمة اهمية خاصة تعلق على القرار ٣١٠٢ الذي اتخذته الجمعية بناء على توصية اللجنة السادسة (القانونية) في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ والذي نال الى جانبه ١٠٧ أصوات ولم يعارضه أحد مع امتناع ٦ عن التصويت . فقد أشار هذا القرار الى المؤتمر الدبلوماسي القادم حول « اعادة التأكيد وتطوير القوانين الدولية الانسانية المطبقة في النزاعات المسلحة » الذي سيعقد في جنيف بين ٢٠ شباط (فبراير) و ٢٩ آذار (مارس) ١٩٧٤ ، وقد جاء في الفقرة التنفيذية الرقم ٢ من القرار ما يلي :

« الحث على دعوة حركات التحرير الوطنية التي اعترف بها كثير من المنظمات الاقليمية ذات العلاقة ، الى المشاركة في المؤتمر كمراقبين انسجاما مع ممارسات الامم المتحدة » .

وهذا ينطبق تماما على منظمة التحرير الفلسطينية التي ــ منذ تأسيسها ــ اعترفت بها جامعة الدول العربية ، وهي الهيئة الحكومية الاقليمية المعنية بالامر والتي تضم ١٩ عضوا . هذا وقد أعطى قرار مؤتمر القمة الرابع للدول غير المنحازة في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ ومؤتمر الذروة العربي في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ ، أعطيا لاعتراف الجامعة العربية الراهن بمنظمة التحرير الفلسطينية دعما اضافيا .

٣ ــ ان القرار ٣١٠٣ الذي اتخذته الجمعية العامة بناء على توصية من اللجنة السادسة (القانونية) في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ والذي نال ٨٣ صوتا وعارضه ١٣ مع امتناع ١٩ عن التصويت ، هذا القرار أعلن عن « مبادىء رئيسية للوضع القانوني للمحاربين الذين يكافحون السيطرة الاستعمارية والاجنبية والانظمة العنصرية » ، لذلك فهو ذو صلة مباشرة بموضوعنا على الرغم من انه ذو صفة عامة ولا يعالج بصراحة مسألتي فلسطين والشرق الاوسط . وثمة أهمية خاصة للفقرات ١ و ٣ و ٤ و ٦ التي نصت على ما يلي :

« ١ ــ ان كفاح الشعوب الواقعة تحت السيطرة الاجنبية والاستعمارية والانظمة العنصرية من اجل تحقيق حقها في تقرير المصير والاستقلال هو كفاح شرعي ويتوافق مع مبادىء القانون الدولي .

« ٣ ــ ان الصراعات المسلحة بما في ذلك كفاح الشعوب ضد السيطرة الاجنبية والاستعمارية والانظمة العنصرية يجب ان تعتبر صراعات دولية مسلحة كما هو مفهوم في اتفاقات جنيف للعام ١٩٤٩ ، وان الوضع القانوني الذي ينطبق على المتحاربين حسب اتفاقات جنيف للعام ١٩٤٩ والمواثيق الدولية الاخرى ينبغي ان يطبق على الاشخاص المنخرطين في الكفاح المسلح ضد السيطرة الاستعمارية والاجنبية والانظمة العنصرية ،

« ٤ ــ ان المحاربين ضد السيطرة الاجنبية والاستعمارية والانظمة العنصرية الذين يقعون أسرى ، يجب ان يعتبروا اسرى حرب ، وان معاملتهم يجب ان تكون وفقا لمواد اتفاقية جنيف المتعلقة بمعاملة أسرى الحرب المؤرخة ١٢ آب (اغسطس) ١٩٤٩ ،

« ٦ ــ ان انتهاك الوضع القانوني للمحاربين الذين يكافحون السيطرة الاجنبية والاستعمارية والانظمة العنصرية خلال فترة الصراع المسلح يستتبع مسؤولية كاملة وفقا لاعراف القانون الدولي . »

ثالثا : ممارسات اسرائيل في المناطق العربية المحتلة

أ ــ تطبيق اتفاقية جنيف الرابعة للعام ١٩٤٩ :

١ ــ تبدأ اتفاقية جنيف الخاصة بحماية الاشخاص المدنيين زمن الحرب المؤرخة ١٢ آب (اغسطس) ١٩٤٩ ، (التي تعرف عادة باسم اتفاقية جنيف الرابعة للعام ١٩٤٩) بالمادة الصريحة التالية :

« المادة ١ : تتعهد الاطراف السامية المتعاقدة باحترام المعاهدة الراهنة وضمان احترامها في جميع الظروف » .

وعلى الرغم من ذلك فقد رفضت اسرائيل بعناد منذ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ان تقر بالتزامها بتطبيق هذه الاتفاقية في المناطق العربية التي احتلتها مذ ذاك .

٢ ــ في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ اتخــذ المؤتمر الدولي الثــاني والعشرون للصليب الاحمر ، قرارا نصت الفقرة الثانية من مقدمته والفقرتان التنفيذيتان الثانية والثالثة منه على ما يلي :

« نظرا للاهتمام البالغ بآلام السكان المدنيين العظيمة في المناطق المحتلة في الشرق الاوسط ، الناجمة عن عدم تطبيق اتفاقية جنيف الرابعة الموقعة في ١٢ آب (أغسطس) ١٩٤٩ الخاصة بحماية المدنيين زمن الحرب ،

« ٢ ــ يؤكد [المؤتمر] ان اتفاقية جنيف الرابعة تنطبق على المناطق المحتلة نتيجة نزاع حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ،

« ٣ ــ يناشد الاطراف المعنية الاعتراف بالتزاماتها وفقا لاتفاقية جنيف الرابعة والاستجابة لها » .

٣ ــ في ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ اتخذت الجمعية العامة القرار ٣٠٩٢ ــ أ الذي تناولت فيه هذه المسألة تناولا مباشرا . فبعد ان يستذكر القرار في الفقرة الثانية من المقدمة « ان اسرائيل والدول العربية ، التي احتلت اسرائيل في العام ١٩٦٧ اراضي بعضها ، هي أطراف في الاتفاقية » ، يمضي القرار فينص في فقرتيه التنفيذيتين ١ و ٢ على ما يلي :

« ١ ــ تؤكد [الجمعية العامة] ان اتفاقية جنيف الخاصة بحماية الاشخاص المدنيين في زمن الحرب المؤرخة في ١٢ آب (أغسطس) ١٩٤٩ تنطبق على المناطق العربية التي احتلتها اسرائيل منذ العام ١٩٦٧ ،

« ٢ ــ تطلب من سلطات الاحتلال الاسرائيلية ان تحترم مواد تلك الاتفاقية في المناطق العربية المحتلة وتلتزم بها » .

وقد اتخذ ذلك القرار بــ ١٢٠ صوتا لصالحه مقابل لا شيء مع خمسة ممتنعين هم بوليفيه وكوستاريكه ومالاوي ونيكاراجوه بالاضافة الى اسرائيل .

٤ ــ أكثر من ذلك فان القرار ٣٠٩٢ ــ ب الذي اتخذ في التاريخ نفسه نص في الفقرة الرابعة من مقدمته على ما يلي :

« آخذا بعين الاعتبار ان تطبيق اتفاقية جنيف في ١٢ آب (أغسطس) ١٩٤٩ لا يمكن ويجب الا تكون موضع نقاش في اوضاع الاحتلال العسكري الاجنبي ... » .

٥ ــ وثمة قرار آخر تناول « حقوق الانسان في اثناء النزاع المسلح » تناولا عاما دون اشارة خاصة الى الشرق الاوسط ، وهو القرار ٣١٠٢ الذي اتخذته الجمعية في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ بناء على توصية من اللجنة السادسة . وقد نصت الفقرة التنفيذية الرابعة المعدلة منه على ما يلي :

« تناشد جميع الفرقاء في النزاعات المسلحة الاعتراف بــ / والاستجابة لالتزاماتهم وفقا للمواثيق الدولية ، وان يراعوا القوانين الدولية الانسانية النافذة ، وبخاصة اتفاقيات لاهاي للعامين ١٨٩٩ و ١٩٠٧ وبروتوكول جنيف للعام ١٩٢٥ واتفاقات جنيف للعام ١٩٤٩ » .

وقد تم اقرار التعديل الظاهر في النص المقتبس اعلاه اثناء مداولات اللجنة السادسة بأغلبية ١٠٣ أصوات دون ان يمتنع أحد عن التصويت ، بينما انفردت اسرائيل في المعارضة .

ب ــ ممارسات سلطات الاحتلال الاسرائيلية :

١ ــ أقرت الجمعية العامة اعتمادا على المعلومات التي تضمنها التقرير السنوي للجنة الخاصة بالتحقيق في الممارسات الاسرائيلية التي تؤثر على تمتع سكان المناطق

المحتلة بحقوق الانسان ، اقرت القرار ٣٠٩٢ ــ ب في ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ الذي يؤكد من جديد مواد القرارات المماثلة التي اتخذتها الجمعية في دورات سابقة ، كذلك القرارات الاخرى التي اتخذها مجلس الامن والمجلس الاجتماعي والاقتصادي ولجنة حقوق الانسان ومنظمات الامم المتحدة الاخرى منذ العام ١٩٦٧ .

وعلى وجه التحديد ، فالجمعية في قرارها ٣٠٩٢ ــ ب :

« أ ــ تستنكر رفض اسرائيل الدائم السماح للجنة الخاصة بدخول المناطق المحتلة ،

« ب ــ تعبر عن قلقها الشديد لانتهاك اسرائيل اتفاقية جنيف » وخاصة تسعة اشكال محددة من الانتهاكات التي تؤثر على حقوق الانسان لسكان المناطق المحتلة، وتطلب من اسرائيل «الامتناع فورا عن تلك الممارسات»،

« ج ــ تعلن ان سياسات اسرائيل في « الضم » و « الاستيطان » وتغيير طابع المناطق المحتلة المادي وتركيبها السكاني وبنيتها الدستورية او وضعها او وضع أي جزء منها ، هي انتهاكات للقانون الدولي والاتفاقات الراهنة ولقرارات الامم المتحدة ،

« د ــ تحث جميع الدول على الاحجام عن أي عمل قد تستغله اسرائيل في تنفيذ سياستها في استعمار المناطق المحتلة » و « تناشد جميع الدول والمنظمات الدولية والوكالات المتخصصة عدم الاعتراف بأي تغييرات تجريها اسرائيل في المناطق المحتلة ، وان تتجنب القيام بأي عمل ، بما في ذلك أعمال المساعدة، التي يمكن ان تستخدمها اسرائيل للاستمرار في سياساتها وممارساتها المشار اليها في هذا القرار » .

وقد نال هذا القرار في الدورة الثامنة والعشرين تأييدا أوسع مما نالته قرارات مماثلة في دورات سابقة ، كما يتضح بالارقام التالية :

القرار ٢٥٤٦ (٢٤) للعام ١٩٦٩ ٥٢ مع ، ١٣ ضد ، ٤٩ امتناع

القرار ٢٧٢٧ (٢٥) للعام ١٩٧٠ ٥٢ مع ، ٢٠ ضد ، ٤٣ امتناع

القرار ٢٨٥١ (٢٦) للعام ١٩٧١ ٥٣ مع ، ٢٠ ضد ، ٤٦ امتناع

القرار ٣٠٠٥ (٢٧) للعام ١٩٧٢ ٦٣ مع ، ١٠ ضد ، ٤٩ امتناع

القرار ٣٠٩٢ ــ ب (٢٨) للعام ١٩٧٣ ٩٠ مع ، ٧ ضد ، ٢٧ امتناع

وكانت الاصوات المعارضة هي أصوات باربادوس وبوليفيه وكوستاريكه وجمهورية الدومنيكان ونيكاراجوه بالاضافة الى اسرائيل والولايات المتحدة .

٢ ــ أقرت الجمعية العامة بعد ان نظرت في التقرير السنوي للجنة ازالة التمييز العنصري (وهي هيئة تضم ١٨ خبيرا عالميا بصفتهم الشخصية) أقرت القرار ٣١٣٤ في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ ، وفي الفقرة التنفيذية الرابعة من هذا القرار لحظت الجمعية العامة قرار اللجنة المذكورة الرقم ٤ (٧) و « استذكرت موافقتها في المقطع الثالث من قرار الجمعية العامة ٢٧٨٤ (٢٦) ، على قرار اللجنة الرقم ٤ (٤) » . وقرارا اللجنة اللذان أشار اليهما قرار الجمعية العامة يعالجان أعمال التمييز العنصري في المناطق السورية التي احتلتها اسرائيل . واللجنة في قرارها الاخير « تعرب عن قلقها ازاء الوضع » وعن « أملها في ان يتمكن سكان مرتفعات الجولان بأسرع ما يمكن من التمتع بحقوقهم الانسانية العامة وحرياتهم الاساسية كمواطنين في الجمهورية العربية السورية » .

وقد اتخذت الجمعية قرارها ٣١٣٤ بـ ١١٣ صوتا دون معارضة مع امتناع ١١ عن التصويت . ولان التصويت لم « يسجل » فمن المتعذر معرفة الدول الاحدى عشرة التي امتنعت . غير ان سجلات اللجنة الثالثة تشير الى ان كلا من اسرائيل والولايات المتحدة

قد ادلتا ببيانات تشير الى انهما امتنعتا عن التصويت رابطتين الامتناع بموقفيهما من الفقرة الرابعة من القرار .

ج ــ حقوق العرب في التعويض واستعادة الاملاك :

١ ــ بناء على توصية من اللجنة الثانية (الاقتصادية) اتخذت الجمعية العامة قرارها ٣١٧٥ المعنون « السيادة الدائمة على الموارد الوطنية في المناطق المحتلة » في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ ، وقد نص القرار في فقراته التنفيذية ١ و ٢ و ٣ على ما يلي :

« ١ ــ تؤكد [الجمعية] حق الدول والشعوب العربية التي وقعت اراضيها تحت الاحتلال الاجنبي ، في السيادة الدائمة على جميع مواردها الطبيعية ،

« ٢ ــ تؤكد مجددا ان جميع الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لاستغلال الموارد البشرية والطبيعية في المناطق العربية المحتلة هي اجراءات غير شرعية وتدعو اسرائيل الى وقف هذه الاجراءات فورا ،

« ٣ ــ تؤكد حق الدول والشعوب العربية التي وقعت اراضيها تحت الاحتلال الاسرائيلي في استعادة تملك والتعويض الكامل عن استغلال الموارد الطبيعية ونهبها والاضرار بها ، كذلك عن استغلال الموارد البشرية واستخدامها في المناطق المحتلة » .

وقد نال هذا القرار ٩٠ صوتا وعارضه ٩ وامتنع ٢٦ . وكانت الاصوات المعارضة هي بوليفيه وجمهورية الدومنيكان ونيكاراجوه بالاضافة الى اسرائيل والولايات المتحدة.

٢ ــ في اليوم الاخير من الدورة اتخذت الجمعية العامة في جلسة عامة القرار ٣١٨٧ دون اشارة مسبقة الى اي لجنة رئيسية . وقد عالج هذا القرار « اعادة الاعمال الفنية الى الاقطار التي وقعت ضحية لاعمال المصادرة » . وتنص الفقرة الثامنة من المقدمة والفقرات التنفيذية ١ و ٢ و ٣ على ما يلي :

« اذ تستنكر [الجمعية] بشدة نقل **الاعمال الفنية** بالجملة وبدون مقابل من قطر لآخر تكرارا نتيجة للاحتلال الاستعماري او الاجنبي ،

« ١ ــ تؤكد ان اعادة الاعمال الفنية والتماثيل ومعروضات المتاحف والمخطوطات من قطر الى آخر دون مقابل ، سيعزز التعاون الدولي لان ذلك يشكل تعويضا عادلا عن الاضرار التي ارتكبت ،

« ٢ ــ تقر بالمسؤوليات الخاصة في هذا الصدد الملقاة على عاتق تلك الاقطار التي استولت على مثل هذه الاشياء نتيجة للاحتلال الاجنبي والاستعماري فقط ،

« ٣ ــ تدعو جميع الدول المعنية الى الامتناع عن مصادرة الاعمال الفنية من المناطق التي ما تزال تحت السيطرة الاجنبية او الاستعمارية » .

وتتضح علاقة هذا القرار بأعمال اسرائيل في المناطق العربية المحتلة من حقيقة ان « نهب الممتلكات الاثرية والثقافية في المناطق المحتلة » هو واحد من « انتهاكات » « المواثيق والانظمة الدولية النافذة » التي « أعربت [الجمعية] عن اسفها العميق ازاءها » داعية اسرائيل الى « ايقافها فورا » في الفقرتين ٣ (ز) و ٤ من القرار ٣٠٩٢ ــ ب .

وقد اتخذ القرار ٣١٨٧ بـ ١١٣ صوتا دون معارضة وامتناع ١٧ ولم تشارك اسرائيل في التصويت . اما الدول التي امتنعت عن التصويت فكان من بينها عدد من الدول وجدت نفسها في تناقض لكونها كانت في الماضي القريب **ضحية** مصادرة هذه الاعمال الفنية وفي الوقت نفسه **الجاني** الذي ارتكب أعمال هذه المصادرة وذلك خلال فترات « الاحتلال الاستعماري والاجنبي » ، فقد عانت هذه الدول من هذه الممارسات

عندما كانت تحت الاحتلال النازي في الحرب العالمية الثانية ، كذلك تورطت بهذه الاعمال عندما مارست هيمنتها الاستعمارية على الاقطار الاسيوية والافريقية . كما ان الولايات المتحدة امتنعت كذلك عن التصويت .

ملاحظات ختامية

عزلة اسرائيل العالمية

. ان الاحكام التي اقرتها الدول الاعضاء في الامم المتحدة بالنسبة للقضايا المطروحة والتي ظهرت من خلال تصويت ممثليها على القرارات المختلفة ، تظهر في وضوح ان دعم حقوق الشعب الفلسطيني والدول العربية في الصراع على اسرائيل — والذي كان يتصاعد في السنوات الاخيرة — قد بلغ أوجه ، بدعم شبه كامل ، في الدورة الثامنة والعشرين للجمعية العامة . وقد وجدت اسرائيل نفسها في عزلة مطبقة تقريبا في آسيه وافريقيه واوروبه ، شرقيها وغربيها على حد سواء ، ولم تجد لها بقايا دعم غير في اميركه اللاتينية على الرغم من ان هذا الدعم كان يتناقص بالمقارنة مع الدورات السابقة . وبالطبع فقد بقيت الولايات المتحدة السند الوفي لاسرائيل .

وفي التصويتات الرئيسية التسعة التي أشير الى نتائجها في الفقرات السابقة فان **نيكاراجوه** و**الولايات المتحدة** و**بوليفيه** صوتت أكثر ما يكون الى جانب اسرائيل اذ أعطت هذه الدول صوتها لاسرائيل في سبع مناسبات وست وخمس على التوالي . بالاضافة الى ذلك فان **كوستاريكه** تحالفت مع اسرائيل في اربع مناسبات و**باربادوس** و**جمهورية الدومنيكان** في ثلاث لكل منهما، و**البرتغال** (المشهورة بتهربها عند التصويت) و**ملاوي** و**البرازيل** في مناسبة واحدة لكل منها .

محاولة لتقييم سلاح النفط العربي في مواجهة اوروبا الغربية

الدكتور عاطف سليمان

نكتب هذا البحث وقد مضت ثلاثة أشهر على دخول النفط العربي سلاحا في المعركة. فمن المعروف أن وزراء النفط العرب اتخذوا قرارهم باستخدام سلاح النفط لدى اجتماعهم بالكويت في السابع عشر من شهر اكتوبر ــ تشرين الاول ــ الماضي وكانت حرب اكتوبر ــ رمضان على اشدها ، ورغم ان المعارك قد توقفت بعد حوالي أسبوع من ذلك التاريخ الا أن سلاح النفط بقي نافذا وما زال حتى الآن قائما ومؤثرا . لذا يبدو من المفيد بل من الضروري أن نحاول اجراء تقييم موضوعي لسلاح النفط العربي بالطريقة التي استخدم بها منذ الحرب الرابعة عن طريق رصد وتقييم النتائج التي ترتبت على استخدام هذا السلاح خلال فترة الاشهر الثلاثة المنصرمة ومدى ما حققه من الاهداف المرسومة له او الآمال المعلقة عليه ، مع محاولة تبيان الجوانب الايجابية والسلبية لهذا الاسلوب في ممارسة سلاح النفط وما قد يكون فيه من ثغرات وما قد يؤخذ عليه من مآخذ ، وذلك حتى يكون من الممكن ، على ضوء نتائج هذا التقييم ، القاء نظرة حول المستقبل ، نظرة على استخدام سلاح النفط في الفترة التالية ، والاجابة على بعض التساؤلات التي تطرح في هذا المجال : هل من المستحسن ايقاف سلاح النفط الآن أو التخفيف من اجراءاته ، أم ينبغي على العكس من ذلك مواصلة العمل به لتحقيق مزيد من النتائج ؟ والى متى ينبغي أن يستمر هذا الاستخدام ؟ وهل يستمر بالكيفية السابقة أم بالتعديل في اجراءاته وتكييفها لتحقيق مزيد من الفعالية على ضوء ما تحقق بالفعل من نتائج وما كان يؤمل او ينبغي ان يؤمل تحقيقه من نتائج ؟

ونظرا لاتساع الموضوع فقد خصصت هذا البحث لمحاولة اجراء مثل هذا التقييم الموضوعي بالنسبة لآثار اجراءاتنا النفطية على **اوروبا الغربية** فقط والنتائج التي حققتها والاجابة على بعض التساؤلات المتقدمة . ويتطلب تقييم اجراءاتنا النفطية في مواجهة أمريكا بحثا آخر منفصلا .

تذكير بالاجراءات النفطية المتخذة وتطورها

من المعروف ان البلدان العربية المنتجة للنفط قررت ، على اثر اجتماع لوزراء النفط العرب في الكويت في السابع عشر من شهر اكتوبر ــ تشرين الاول ــ الماضي ، تخفيض انتاج النفط العربي وصادراته بنسبة مبدئية لا تقل عن ٥ بالمائة شهريا ومواصلة زيادة هذا التخفيض بمعدل ٥ بالمائة كل شهر الى ان يتحقق الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وقد بادرت البلدان المعنية الى التنفيذ الفعلي لهذه الاجراءات فخفضت انتاجها بنسبة عشرة بالمائة أو أكثر ، كما في بعض هذه البلدان ، على أن تتواصل زيادة هذا التخفيض بنسبة ٥ بالمائة كل شهر الى أن تتحقق الاهداف التي حددها قرار التخفيض . كما أن البلدان النفطية العربية دعمت

هذا الاجراء بعد ذلك بحظر تام على تصدير النفط العربي الى الولايات المتحدة الامريكية، نظرا لتدخلها السافر الى جانب العدو الصهيوني ودعمها غير المشروط لطاقات العدو في المجالات العسكرية والمالية والسياسية والدبلوماسية ، ثم توسع هذا الحظر ليشمل هولندا نظرا لمواقفها العدائية من القضية العربية . وقد بادر العراق من جانبه الى تأميم كافة المصالح الامريكية والهولندية في الشركات البترولية العاملة في الاراضي العراقية .

وفي ٤ نوفمبر — تشرين الثاني — الماضي قرر وزراء النفط العرب تحديد نسبة تخفيض الانتاج العربي بخمسة وعشرين بالمائة من معدل الانتاج قبل اندلاع حرب رمضان على ان يزاد هذا التخفيض بعد ذلك بنسبة ٥ في المائة في بداية شهر ديسمبر — كانون الاول— وفي كل شهر من الاشهر التالية .

وعلى اثر صدور بيان الدول التسع الاعضاء في السوق الاوروبيـــة المشتركة في ٦ نوفمبر — وهو البيان الذي أكد مطالبة هذه الدول لاسرائيل بالانسحاب مـــن الاراضي العربية المحتلة كما تطالب بالاعتراف بالحقوق المشروعـــة للشعب الفلسطيني — قرر وزراء النفط العرب الايقاف المؤقت لنسبة التخفيض الاضافية (٥ ٪) المقررة لشهر ديسمبر وذلك فيما يتعلق بدول السوق الاوروبية المشتركة باستثناء هولندا .

ثم انعقد مؤتمر القمة العربي السادس في الجزائر في الفترة ما بين ٢٦ الى ٢٨ نوفمبر وأصدر قرارا في مجال النفط يقضي « بالاستمرار في استخدام النفط كسلاح اقتصادي في المعركة الى أن يتحقق الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق الوطنية لشعب فلسطين وذلك على النحو التالي : (١) الاستمرار في الحظـــر بالنسبة للدول المساندة لاسرائيل ، (٢) الاستمرار في نسب التخفيض الى الدرجة التي لا تؤدي الى تخفيض دخل الدولة أكثر من ربع دخلها في عام ١٩٧٢ ، (٣) تشكيل لجنة مـــن وزراء الخارجية والنفط في الدول العربية البترولية مهامها ما يلي :

اولا : وضع قائمة تصنيف الدول الى : دولة صديقة ، دولة محايدة ، ودولة مساندة للعدو .

ثانيا : متابعة تنفيذ قرار استخدام النفط واعادة النظر في تصنيف الدول وفقا لما يلي :

أ — نقل تصنيف الدولة من فئة الى أخرى وفق التزامها بتنفيذ الخط السياسي المقرر من قبل مؤتمر القمة او اتخاذها مواقف من شأنها اعادة النظر في تصنيفها وعلى أن تكون هذه المواقف سياسية واقتصادية وعسكرية .

ب — اعطاء الدولة المحايدة والتي تصبح صديقة الكميات التي كانت تستوردها في عام ١٩٧٢ وعلى أن تتعهد بعدم اعادة تصديرها خاما أو مواد نفطية .

ج — عدم جواز اعادة تصدير النفط من بلد مستورد الى بلد آخر معاد .

ثالثا : تجتمع اللجنة المشار اليها أعلاه لوضع التصنيف ويبلغ للدول العربية المنتجة للنفط او التي يصدر من مرافئها لتنفيذه » .

وعلى اثر الاجتماع العادي لمنظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط في الكويت بتاريخ ٨ و٩ ديسمبر الماضي اتخذ وزراء النفط العرب ، الى جانب قرارهم باستئناف خفض الانتاج شهريا بنسبة ٥ بالمائة ابتداء من شهر يناير ١٩٧٤ ومواصلة الحظر الشامل على شحن النفط الى الولايات المتحدة وهولندا ، اتخذوا القرارات التالية :

« ١ — **اذا تم التوصل الى اتفاق حول الانسحاب** من كل الاراضي العربية المحتلة منذ ١٩٦٧ وفي مقدمتها مدينة القدس **بموجب جدول زمني موقع من اسرائيل** تضمن الولايات

المتحدة تنفيذه فان الحظر على تصدير النفط الى الولايات المتحدة سيرفع فور بدء تنفيذ الجدول الزمني للانسحاب .

٢ ـــ يعقد وزراء النفط العرب حال الاتفاق على الجدول الزمني للانسحاب اجتماعا لوضع جدول زمني لاعادة انتاج النفط الى المستويات التي كان عليها في أيلول (سبتمبر) الماضي متماشيا بذلك مع مراحل الانسحاب .

٣ ـــ ستزود الدول الاسلامية والافريقية بالكميات الكاملة المترتبة لها بموجب عقود حتى اذا أدى ذلك الى رفع مستويات الانتاج الى معدل يضمن تلبية الحاجات المحلية لتلك الدول شرط أن لا يعاد تصدير أي من هذا النفط الى دول يشملها الحظر العربي » .

وفي ٢٥ ديسمبر الماضي اتخذ وزراء النفط العرب ، على اثـــر اجتماع استثنائي لهم بالكويت ، اجراءات جديدة حول استخدام النفط كسلاح في المعركة وذلك على ضوء نتائج الجولة التي قام بها كل من السيد بلعيد عبد السلام، وزير الصناعة والطاقة الجزائري ، والسيد أحمد زكي اليماني ، وزير البترول والثروة المعدنية ، بالملكة العربية السعودية.

وقد قرر وزراء النفط استمرار تطبيق الحظر الشامل على الولايات المتحدة وهولندا. وبالنسبة **لليابان** لاحظ الوزراء التغيير في السياسة اليابانية تجاه القضية العربية ، من جهة ، والوضع الاقتصادي المتردي في اليابان من جهة أخرى ولذا فقد قرروا معاملة اليابان بشكل خاص لا يخضعها لاجراءات التخفيض العام بشكل كامل رغبة منهم في حماية الاقتصاد الياباني وأملا في ان تقدر الحكومة اليابانية هذا الموقف للاستمرار في اتخاذ مواقف عادلة منصفة من القضية العربية .

كما قدر الوزراء « موقف **بلجيكا** السياسي وقرروا عدم اجراء تخفيض على تزويدها بالبترول والسماح بمروره الى أراضيها عبر هولندا بعد أخذ الضمانات الكافية بوصوله اليها كاملا وغير منقوص » .

« وقرروا ان يتم تزويد بعض البلدان الصديقة بحاجتها الفعلية من البترول حتى لو زادت عن مستوى استيرادها لشهر سبتمبر ١٩٧٣ شريطة الا يتسرب البترول العربي الى خارجها ويحل محله بترول غير عربي كانت تستورده » .

« وقرر المجتمعون تنفيذا لكل ذلك ان يرفع الانتاج في دولهم بنسبة عشرة بالمائة من انتاج شهر سبتمبر لتصبح نسبة التخفيض خمس عشرة بالمائة بدلا من خمس وعشرين بالمائة والا تطبق نسبة التخفيض الاضافية لشهر يناير » .

كما تقرر بأن يجتمع الوزراء مرة اخرى بمدينة طرابلس بليبيا ، يوم ١٤ فبراير (شباط) لاستعراض نتائج الجولة الثانية للوزيرين الجزائري والسعودي عبر العواصم الغربية الا اذا استدعى الامر الاجتماع قبل ذلك.

وأوضح وزير الصناعة والطاقة الجزائري على اثـــر الاجتماع المذكـــور بأن كافة اجراءات التخفيف قابلة لاعادة النظر فيها وسيبقى تطبيقها مرهونا بضمان عدم تحويل البترول التي تزود به البلدان الصديقة الى البلدان التي يشملها الحظر . كما أوضح بأن اللجنة المكلفة بمراقبة قرار المقاطعة والتي تضم ممثلين عـــن السعودية ، الكويت ، الجزائر وليبيا ستبدأ أعمالها في الايام القادمة . وذكر بأن الجزائر قـــد كلفت بتنسيق عمليات تزويد البلدان الافريقية بالبترول .

اهداف سلاح النفط

ولعله من الضروري أولا وقبل اجراء تقييم لنتائج استخدام سلاح النفط وما حققه من اهداف أن نتوقف قليلا عند معنى سلاح النفط وان نتبين الاهداف التي يراد منه تحقيقها

إذ لا بد أن يكون كل ذلك واضحا حتى يمكن تقييم سلاح النفط بالطريقة التي تم بهـا استخدامه وتحديد مدى فعاليته والى أي مدى حقق بالفعل الاهداف المرسومة له والمراد منه تحقيقها .

ان من الواضح بداهة ان سلاح النفط ذو طبيعة مغايرة للمعنى المرتبط عادة بمفهوم السلاح العسكري . وبينما يمثل استخدام السلاح العسكري ضغطا مباشرا على العدو من أجل سحق قوته أو اضعافه أو الضغط على ارادته لحمله على الاذعان لارادتنا والاستجابة لاهدافنا ، فان سلاح البترول هو سلاح اقتصادي وهو في حالتنا لا يمثل ضغطا مباشرا على العدو الصهيوني نفسه وانما ضغط على حلفاء اسرائيل وانصارها ومسانديها ليقوموا هم بالضغط عليها ، بدلا من ضغطنا المباشر ، وذلك سواء كان الضغط سياسيا او دبلوماسيا او عن طريق التهديد بوقف المساعدات المالية والعسكرية او وقفها فعلا والتخلي عن مساندتها او تخفيض مختلف انواع هـذه المساعدات مما يضعف شوكة العدو ، وكل ذلك من أجل حمله على الاستجابة لمواقفنا العادلة ومطالبنا المشروعة. وضغطنا على الدول المساندة للعدو الصهيوني يتحقق في هذا المجال البترولي عن طريق الحاق الضرر البالغ بهذه الدول أو التهديد الجدي بالحاق مثل هذا الضرر وذلك اما عن طريق وضع حد لامتيازات الشركات البترولية التابعة لها والعاملة في بلادنا وما يعنيه ذلك من حرمانها من الارباح الضخمة التي تجنيها ومن الميزة الاستراتيجية الهامة التي يمثلها لها وجود هذه الشركات في بلادنا وسيطرتها على استغلال نفطنا ، واما عن طريق حرمان تلك الدول من نفطنا الذي تستورده والذي هو ضروري جدا لصناعاتها ولمختلف جوانب نشاطها الاقتصادي وخلق مجاعة بترولية فيها تكون ذات نتائج خطيرة على اقتصادها أو على الاقل الحاق ضرر مادي كبير بها ، مما قـد يحملها على تغيير مواقفها المعادية لنا والمساندة لعدونا واتخاذ مواقف أكثر اعتدالا وانصافا والضغط على العدو الاسرائيلي للاستجابة لمطالبنا العادلة واقرار سلام دائم وعادل في المنطقة(١) .

ويمكن ان نوجز فيما يلي النتائج او الاهداف التي يمكن لها بشكل واقعي أن ننتظر تحقيقها من استخدام سلاح النفط في مواجهة أوروبا الغربية وذلك بالطبع ضمن اطار الهدف العام الاساسي الذي رسمته قرارات وزراء النفط وهو تحقيق الانسحاب من كافة الاراضي العربية المحتلة والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني :

١ ـ لعل أبسط هذه الاهداف وأكثرها تواضعا ، رغم ما يمثله من أهمية لا تنكر ، هو لفت نظر العالم الى قضيتنا والتوعية بها وابقائها حية في الاذهان والحث في الاسراع في ايجاد حل عادل لها . وهذا الهدف وان كنا نسعى للوصول اليه في مواجهـة البلدان الغربية في الدرجة الاولى الا أن من الممكن ان ننتظر تحقيقه على مستوى العالم أجمع ، فكل فرد في أي بلد من بلدان العالم وقد أحس بوطأة أزمة الطاقة التي انتشرت نتيجة اجراءاتنا النفطية او وصل اليه علم بآثارها لا بد وان يتساءل عـن السر الذي جعل العرب يقدمون على مثل هذه الاجراءات وعن القضية التي يدافعون عنها وأسس هذه القضية ومراميها وأهدافها ، ولا بد ان يزداد علما بها ووعيا بمختلف جوانبها . وكل ذلك من شأنه زيادة التفهم لقضيتنا والوعي بها لدى قطاع متعاظم من الراي العام العالمي وخلق تيار قوي لدى هذا الراي العام مؤات لنا ويمكن أن يمارس ضغطا من أجل تحقيق حل عادل أو فرض عزلة دبلوماسية متزايدة على اسرائيل في مواجهة هذا الراي العالمي. وهي كلها مسائل لا يمكن أن يستهان بأهميتها .

ومن الواضح ان تحقيق هذا الهدف يتطلب منا ان نشفع اجراءاتنـا النفطية بحملة اعلامية على أوسع نطاق عالمي ممكن لشرح وتوضيح مختلف جوانب القضية العربية الى جانب بيان الاعتبارات التي أملت علينا اتخاذ الاجراءات النفطية نفسها . وقد كان ذلك

هو هدف الجولة الاولى التي قام بها وزيرا النفط الجزائري والسعودي في أوروبا الغربية وأمريكا والجولة الثانية التي يقومان بها الآن . الا أن الجهد الاعلامي العربي في هذا المجال ينبغي أن يكون متواصلا ومكثفا .

٢ ــ خلال الحرب كان الهدف من استخدام سلاح النفط يتمثل في الضغط على الغرب لحمله على اتخاذ مواقف متفهمة لوجهة النظر العربية ومتعاطفة معها او على الاقل اتخاذ موقف الحياد في الحرب الدائرة وعدم تقديم أية مساندة لاسرائيل في المجالات الدبلوماسية والعسكرية والسياسية ... الخ .

وبعد انتهاء العمليات العسكرية فان استثناء الدول ، التي تعتبر صديقة ، من اجراءاتنا النفطية من شأنه أن يشجع الدول على التعاطف بشكل أكبر مع قضيتنا لتحظى بمعاملة الدولة الصديقة أو على الاقل منعها من اتخاذ مواقف معادية والالتزام بموقف الحياد حتى لا تتعرض للآثار الضارة المترتبة على تطبيق اجراءاتنا النفطية لا سيما نحو الدول المعادية .

٣ ــ واخيرا فان الهدف الايجابي الابعد أثرا مما تقدم والمطلوب تحقيقه من بلدان اوروبا الغربية يتمثل في **السعي الفعلي الايجابي من اجل تحقيق حل سريع وعادل للقضية** . هذه المجموعة من الدول هي ، من ناحية ، المستهلكة الرئيسية لنفطنا ، ومن ناحية اخرى ، الحليفات الرئيسية للولايات المتحدة ، القوة الكبرى المساندة لاسرائيل . ولهذه الاعتبارات فان من المنطقي ان ننتظر منها القيام بمثل هذا الدور الايجابي . هذه الدول قد لا تملك الضغط المباشر الحاسم على اسرائيل ، كما تملكه الولايات المتحدة ، ولكنها تملك ، من ناحية ، وسيلة للضغط غير المباشر على اسرائيل عن طريق الضغط على الحليفة الكبرى الولايات المتحدة ، كما تملك ، من ناحية اخرى ، مجموعة من وسائل الضغط المتنوعة على اسرائيل ، دبلوماسيا وسياسيا واقتصاديا (بل وعسكريا ، وبالنسبة لبعض هذه الدول ، عن طريق حظر كافة صادرات السلاح اليها) . ووسائل الضغط هذه وان لم تكن حاسمة الا انها ذات فعالية لا يمكن التقليل من اهميتها . هذا الهدف من الاهداف المرجو تحقيقها من استخدام سلاح النفط في مواجهة اوروبا الغربية يتمثل اذن في حمل هذه الدول ، عن طريق الضغط الواقع عليها من خفض صادراتها النفطية أو حظرها ، على ممارسة ضغط غير مباشر على اسرائيل عن طريق الضغط على امريكا لاجبار اسرائيل على تنفيذ قرارات الامم المتحدة والانسحاب من كافة الاراضي العربية المحتلة والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، من ناحية . ومن ناحية اخرى ، حمل هذه الدول على اتخاذ مجموعة من المواقف والاجراءات التي تمثل نوعا من الضغط المباشر الذي لا يستهان بتأثيره على اسرائيل ، في العديد من المجالات ومن ذلك على سبيل المثال :

(أ) اتخاذ مواقف أكثر وضوحا وانصافا من القضية العربية ، على الاقل عن طريق المطالبة والعمل لتنفيذ كافة قرارات الامم المتحدة في هذا المجال ، والاعلان عن ذلك رسميا وصراحة مع توجيه ادانة صريحة للمواقف الاسرائيلية المتعنتة . وكل ذلك يمثل نوعا من الضغط الدبلوماسي على اسرائيل وزيادة عزلتها الدبلوماسية لا سيما لدى مجموعة من الدول تعتبر من الاصدقاء التقليديين لاسرائيل .

(ب) الامتناع عن تقديم المساعدات المالية والاقتصادية لاسرائيل .

(ج) الحظر الشامل لتصدير الاسلحة الى اسرائيل ، ربما مع امكانية اتخاذ قرار بالسماح ببيع الاسلحة المتطورة الى العالم العربي .

هذه هي الاهداف التي يبدو من المعقول ان نسعى للتوصل اليها من استخدام سلاح

النفط في مواجهة اوروبا الغربية والنتائج الواقعية التي من حقنا أن نأمل في تحقيقها عن طريق هذا السلاح ، وعلى ضوئها يمكن اجراء التقييم الذي نحن بصدده .

على أن تساؤلا مبدئيا يفرض نفسه هنا ويبدو من الضروري التوقف عنده قبل مباشرة عملية التقييم . هذا التساؤل هو : هل نحن محقون ، سياسيا واخلاقيا ، في استخدام سلاح النفط بالطريقة التي نستخدمه بها في مواجهة اوروبا الغربية ؟

هل نحن محقون في استخدام سلاح النفط

ان السبب الذي يدعونا للتوقف عند هذه المسألة هو الاتهامات التي نسمعها تتردد مرارا وتكرارا في كثير من الاوساط الغربية ، لا سيما الصحافية والاعلامية منها ، والتي تتهمنا تارة بالابتزاز (الشانتاج) ، وتارة باننا نفرض العقوبات او نلحق الاضرار ببلاد لا مسؤولية عليها في النزاع العربي ــ الاسرائيلي وليس بيدها وسائل للعمل من أجل ايجاد حل ، وتارة أخرى باننا نسلط العقاب ونلحق الاذى بمواطنين ابرياء .

فهل هذه الاتهامات لها أساس من الصحة ؟ وما ردنا عليها ؟ ما هي حججنا في تبرير استخدام سلاح النفط ؟

١ ــ انهم في الغرب يتهموننا بالابتزاز . لماذا ؟ لاننا نحاول الحصول من الغرب على مواقف منصفة لقضيتنا ، ضمن اطار قرارات الامم المتحدة ، عن طريق تهديده بوقف نفطنا العربي عنه او تخفيض صادراته .

ولكن ما هو الشيء او الموضوع الذي يدور حوله هذا الابتزاز المزعوم : انه النفط العربي .. فمن يملك هذا النفط ، ومن له حق التصرف فيه ؟ وكيف يمكن ان يكون هذا التصرف ، ببيع نفطنا او حجبه وزيادة انتاجه او تخفيضه او وقفه ، جريمة وابتزازا ؟

أليس النفط ملكا للعرب كما هي طائرات الفانتوم ملك للامريكيين؟ فاذا كان الامريكيون يعتبرون أنهم احرار في ان يبيعوا طائراتهم لمن يحلو لهم او ليس العرب أيضا احرارا في ان يبيعوا نفطهم لمن يشاءون ؟(٢) .

ثم ان النفط العربي مثل اليورانيوم الامريكي مادة استراتيجية . والامريكيون لا يبيعون هذا اليورانيوم الا لحلفائهم وبشروط سياسية . فما الذي يمنع العرب من ان يفعلوا نفس الشيء بالنسبة لنفطهم . واذا كان الامريكيون لا يرغبون في أن يروا اليورانيوم الذي يبيعونه يعود اليهم على شكل قنابل ذرية او هيدروجينية فان العرب كذلك لا يرغبون ان يروا الطائرات تقصف مدنهم وقراهم بفضل نفطهم(٣) .

ان امريكا لها قصب السبق في استخدام السلاح الاقتصادي والمقاطعة الاقتصادية لا لتحقيق اهداف مشروعة وانما لفرض التبعية على الدول والتدخل في شؤونها الداخلية ، وقد كانت أول وأنشط من لجأ الى هذا السلاح في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ولها سجل حافل في هذا الصدد كان ينبغي ان يمنعها من أن تجرؤ على توجيه مثل هذا الاتهام للاخرين .

يبدو لنا من المفيد ان نورد بهذا الصدد فقرة من تعليق لكاتب سويدي ، هو جونار أدلر ــ كارلسون في جريدة داجنس نيهتر ، نوفمبر ١٩٧٣ ، مشار اليه في نشرة الصحافة الصادرة عن منظمة الاوبيك ، عدد ٣٠ نوفمبر ١٩٧٣(٤)، اذ يقول :

« ان سياسة المقاطعة الاقتصادية قد تعلمتها الدول العربية من الولايات المتحدة . فبعد الحرب العالمية الثانية قامت امريكا بتطبيق سياسة واسعة لحظر تصدير ما أسمته الولايات المتحدة « سلعا استراتيجية » ــ حسب تعريف واسع جدا ادخلت فيه احيانا أمشاط البلاستيط وصداري السيدات ــ الى البلدان الشيوعية والاشتراكية . هذه

السياسة بدأت ضد الاتحاد السوفياتي عام ١٩٤٧ ، وضد الصين عام ١٩٤٩ وضد كوبا عام ١٩٦٠ وضد الشيلي عام ١٩٧٠ . وعن طريق اللجوء الى مختلف وسائل الضغط فان الولايات المتحدة ضغطت على جميع البلدان غير الاشتراكية تقريبا للمشاركة في هذه المقاطعات الاقتصادية . فكوبا ، مثلا ، لم تستطع ان تشتري النفط من أي بلد في الغرب خلال ثلاثة عشر عاما واصبحت مجبرة على أن تعتمد كلية على الاتحاد السوفياتي . وعن طريق تهديد السويد بوقف ما تستورده من امريكا من مواد خام اساسية فان حكومة السويد المحايدة وجدت نفسها مضطرة الى اتباع سياسة تمييز في تجارتها مع البلدان الشيوعية في الخمسينات . وعن طريق تهديد السويد بوقف صادراتها الكبيرة من الصلب الى الولايات المتحدة ، فان المقاطعة الامريكية منعت شركات الصلب السويدية من استيراد النيكل من كوبا خلال الستينات .

« لقد كانت الولايات المتحدة ترمي الى سحق الشيوعية . والدول العربية ترغب في القضاء على اسرائيل . وكلاهما يستخدم سياسة المقاطعة ، فاذا كنا ، طائعين او كارهين ، قد تقبلنا الضغط الامريكي خلال خمس وعشرين سنة ، فانه يكاد لا يكون لدينا أي سبب لان نصرخ الان ، لان العرب هم الذين يستخدمون نفس هذا السلاح السياسي » .

ثم هل ننسى كيف حجبت امريكا القمح عن مصر عبد الناصر لانها صممت على الاحتفاظ باستقلالها السياسي والاقتصادي وعدم الخضوع للتبعية الغربية . فهل محاولة حرمان الشعب المصري من قوته الاساسي وفرض المجاعة عليه ، لا لذنب جناه ولمجرد حرص بلاده على عدم التفريط في سيادتها ، يعتبر حلالا لامريكا وعملا مشروعا ومقبولا ، اما حجب نفطنا لتحقيق اغراض مشروعة فيعتبر جرما وابتزازا لانه يسبب للمواطن الغربي المترف بعض المتاعب البسيطة فيحرمه من استعمال سيارته ايام الاحاد او يدعوه لتخفيض درجة حرارة التدفئة في مكاتبه ثلاث درجات !

وما دمنا بصدد امريكا وتاريخها الحافل في الضغوط غير المشروعة والابتزاز فلعله يكون من المناسب ان نعود قليلا للوراء ، الى ظروف التصويت على قرار تقسيم فلسطين في الجمعية العامة للامم المتحدة : فهل ننسى الضغوط التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ والتي مارستها امريكا ضد العديد من الدول الاعضاء ، بمختلف وسائل الترهيب والترغيب والضغوط غير المشروعة وغير الاخلاقية ، لحملها على التصويت على قرار التقسيم لصالح اسرائيل .

والحقيقة ان علاقة الغرب كله بالعالم العربي وبالبلدان النامية الاخرى في العالم الثالث كانت علاقة يسودها الابتزاز خلال عشرات السنين : لقد كانت بين أيديهم على الدوام السلطة الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية فقاموا بالتحكم فيها وابتزازنا وكان الثمن المطلوب منا على الدوام : هو خنوعنا(٥) .

« وسواء كان السلاح الاقتصادي بترولا او تكنولوجيا او معدات للتصنيع فهو ما يزال يستخدم حتى اليوم وخاصة من طرف الولايات المتحدة التي برعت في اساليب الحصار الاقتصادي ضد الشعوب التي رفضت التبعية الامريكية، فلم لا تلجأ الشعوب العربية لمثل هذا السلاح وهي انما تسعى لاستعادة حقوقها ؟ »(٦) .

وقد عبر عن فكرة مماثلة احمد بهاء الدين حينما خاطب الغرب قائلا : « بلادكم طالما استخدمت انتاجها من السلاح او الالات او القمح والاغذية، أسلحة للضغط على الدول، ولقلب الحكومات ، وللحصول على العقود والامتيازات ، أي لخدمة اهدافها المصلحية فلماذا يعد حرماننا على بلاد اخرى ان تستخدم انتاجها من الخامات لنفس الضغط

السياسي وانما من اجل ان تسترد ارضا محتلة وتعيد الى ارضه ووطنه شعبا طريدا، ساهمت كل قوتكم في صنع مأساته عندما كان هذا العالم الذي ننتمي اليه اكثر ضعفا وعجزا وتفككا »(٧).

ومن المؤكد ان الغرب لو كان في مثل ظروفنا لما تردد لحظة في استخدام سلاح النفط ضدنا . وقد صرح بمثل ذلك كريستوفر ماهيو ، عضو مجلس العموم البريطاني اذ قال، في تعليق له على استخدام العرب لسلاح النفط : « ان البريطانيين كانوا سيفعلون ذلك لو كانوا في نفس موقف العرب » !

٢ — ومن الاتهامات التي يوجهونها الينا في اوروبا الغربية اننا نعمل عامدين على هدم الاقتصاد الغربي وعلى تدمير الحضارة الغربية (بل وبعضهم يقول « تدمير الحضارة العالمية » على اعتبار ان الحضارة العالمية لا يمكن في نظرهم ان تكون الا الحضارة الغربية) .

ويكفي للرد على هذا الاتهام ان نتساءل : ما هي المطالب التي نطلبها من اوروبا الغربية في مقابل أن يعود نفطنا اليها بنسبه ومعدلاته السابقة ؟ ان هذه المطالب العربية الرسمية التي ربطت بسلاح النفط عبر عنها قرار وزراء النفط في الكويت في ١٧ اكتوبر الماضي وبينتها تصريحات وزيري النفط الجزائري والسعودي في جولتهما الاعلامية في الغرب ، انما تنحصر في مطالبة اوروبا بأن تعمل بشكل جدي وفعلي من اجل تطبيق القرارات التي اتخذتها الامم المتحدة بشأن الانسحاب الاسرائيلي من كافة الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

فهل هذه المطالب تعتبر خارقة للعادة ومستحيلة التنفيذ حتى يصروا على عدم الاستجابة لها ولو انهار اقتصادهم كما يدعون ؟ اذا كانت اوروبا تخشى فعلا أن ينهار اقتصادها وتدمر حضارتها ، أفلا يمكنها ان تخطو خطوة الى الامام في سبيل تنفيذ قرارات الامم المتحدة بأن تضغط على اسرائيل ضمن حدود امكانياتها — وهي امكانيات موجودة وان لم تكن حاسمة — او تضغط على الحليفة الكبرى امريكا لتمارس بدورها ضغطها على اسرائيل ؟

لقد كنا نفهم اتهاماتهم لنا بالعمل عامدين على تدمير الحضارة الغربية والاقتصاد الغربي لو أننا ربطنا تصدير نفطنا اليهم بشروط تعسفية مستحيلة التنفيذ . ولكننا بينا مدى اعتدال هذه المطالب . وقد كشفت تصريحات الوزيرين الجزائري والسعودي باسم كافة الدول المنتجة اثناء جولتهما في البلاد الغربية عن الاعتدال الكبير في مطالبنا . فهذا السيد بلعيد عبد السلام ، الوزير الجزائري للطاقة والصناعة يصرح في مؤتمر صحفي في باريس : « اننا لم نأت لنطلب من الاوروبيين الانحياز الى جانب العرب ولكن فقط ليعملوا على ان تدخل القرارات التي اتخذتها الامم المتحدة حيز التنفيذ وحتى تطبق فعلا ولا تداس كما هي الان » (عن جريدة « الشعب » الجزائرية ، بتاريخ ٧٢/١١/٢٨) . ويضيف الوزير : « اننا نعلم بأن اوروبا ليس بامكانها وحدها ايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط ولكن بين ايديها اوراق يمكن ان تسهم في ايجاد حل » . وقد صرح بمثل ذلك السيد احمد زكي اليماني اذ قال ان لدينا قرارات صادرة من الامم المتحدة لصالحنا ولكنها لم تنفذ وكل ما نسعى اليه هو ان نرى هذه القرارات توضع موضع التنفيذ .

ولقد تبين التساهل الكبير وحسن النية المفرط من جانب العرب في تعريف « الدولة الصديقة » التي يحق لها أن تستلم كميات النفط المعتادة التي كانت تستوردها قبل شهر اكتوبر ، عندما وضعوا بريطانيا وفرنسا ثم مؤخرا بلجيكا واليابان في صف الدول الصديقة لانها اعلنت عن بعض المواقف السياسية التي اتخذتها والتي تعتبر مواقف اكثر

توازنا واقل تحيزا لاسرائيل وهي لا تخرج عن اطار قرارات الامم المتحدة (التي من المعروف ، من وجهة نظر عربية ، انها أبعد بكثير من ان تحقق مصالحنا الحقيقية ومطالبنا العادلة لا سيما بالنسبة للقضية الفلسطينية) .

فاذا كان هنالك في الغرب من لا يزالون يصرون على عدم الاستجابة لهذه المطالب العربية المعتدلة جداً ويصرون على استمرار تحيزهم لاسرائيل فان عليهم ان يتحملوا تبعة تصرفاتهم وهم في هذه الحالة انما يهدمون اقتصادهم بأيديهم ويدمرون حضارتهم بمواقفهم غير المسؤولة والمنحازة كلية الى جانب الباطل وغير المتمشية مع الشرعية الدولية ومبادىء الاخلاق العالمية !

واذا كان البترول يمثل حاجة أساسية لهذه الدول الغربية التي تتكالب على النفط العربي ولا تكترث للحق العربي ، فان على تلك الدول ان تدرك ، حسب تعبير احد الباحثين ، « ان الامة العربية لا يمكنها ان تسلم في قضية تهم مصيرها وتضيف الى ذلك بترولها »(٨) .

وحقيقة الامر ان أكثر ما يغيظ الغرب ويجعله يكيل لنا كل انواع الاتهام دون حساب ومنها هذه التهمة بتدمير الاقتصاد الغربي ان هنالك مسألة كان مسلما بها في اذهانهم وهي أن القوة الاقتصادية هي حكر لاوروبا الغربية والولايات المتحدة وحدها والى الابد وان علاقتهم مع البلدان النامية هي علاقة تفوق دائم . ولكن ها هم يفتحون اعينهم على حقيقة مرة : ان مجرد تخفيض انتاج مادة أولية قد أدى الى ظهور نقاط ضعف في هذا العالم الغربي لم نكن الى عهد قريب نجرؤ حتى على مجرد العلم بها . وكل ذلك يكشف عن مدى اعتمادهم على هذا العالم الثالث النامي الذي لم يتعودوا ان يحسبوا حسابه وهو ما يثير فيهم أقصى درجات الغيظ ويخرجهم من صوابهم .

٣ — وهم يوجهون الينا الاتهام باننا عن طريق اجراءاتنا النفطية انما نفرض العقاب ونسبب الاضرار الكبيرة لبلاد لا ذنب لها ولا مسؤولية عليها في مواجهة النزاع العربي — الاسرائيلي ولا تملك وسائل العمل نحو ايجاد حل عادل .

وينبغي أن نوضح هنا اولا ان وزراء النفط العرب قد ضبطوا الان بشكل دقيق التفرقة بين بلد صديق وبلد محايد وبلد معاد وحددوا الاجراء المناسب لكل فئة من هذه الفئات . وعلى أثر صدور قرار ١٧ اكتوبر الماضي كان من المآخذ التي تؤخذ على القرار أنه حسب نصوصه لا يفرق التفرقة الكافية بين صديق ومحايد وعدو وان بعض البلدان الصديقة قد تضرر من هذه الاجراءات بقدر ما تتضرر الدول المعادية . ولكن مثل هذه المآخذ لم يعد الان واردا ، والتفرقة بينة وواضحة بين هذه الفئات ومن شأن تطبيقها ان لا تتضرر البلدان الصديقة من اجراءاتنا النفطية . ومن المعروف ان البلدان الافريقية ، التي ساندت الحق العربي ، وبلدان عدم الانحياز والبلدان الاسلامية قد استثنيت كلها من اجراءات تخفيض الانتاج وتقرر ان تؤمن لها كافة احتياجاتها ، شريطة ان تتعهد بعدم اعادة تصدير أية كمية من النفط للبلدان التي تشملها اجراءات الحظر . ولذا فان اتهامنا بالاضرار بهذه المجموعة من الدول الصديقة والمحايدة امر غير وارد الان اطلاقا .

بقيت بلدان اوروبا الغربية واليابان والولايات المتحدة الامريكية . فما مدى صحة الاتهام بالنسبة لاثار اجراءاتنا النفطية بالنسبة لهذه الدول ؟

من الملاحظ اولا أن حالة **الولايات المتحدة** لا تستحق التوقف ، فهذه الدولة قدمت وتقدم لاسرائيل المساعدة الضخمة غير المشروطة في الميادين العسكرية والمالية والسياسية والدبلوماسية ، ولا شك ان هذه المساندة هي العامل الاساسي الذي حفز

اسرائيل على العدوان المستمر والغطرسة غير المحدودة والمواقف المتطرفة والتحدي السافر للمجتمع الدولي ، كما ان امريكا هي الدولة الوحيدة التي تملك مفتاح الضغط على اسرائيل . ولذا فان توجيه سلاح النفط العربي ضد امريكا هو مسألة بديهية لا تحتاج الى أي تبرير .

ـ أما بالنسبة لاوروبا الغربية :

فان مسؤوليتها في خلق اسرائيل ونشأة المأساة الفلسطينية معروفة ، فاسرائيل على حد تعبير بلعيد عبد السلام « هي من صنع العالم الغربي وامتداد لنظامه الاستعماري وهي تمس حقوق وحرية الشعب العربي » . ولذا فان على اوروبا الغربية مسؤولية ضخمة ، اخلاقية وسياسية ، في ان تعمل من أجل ايجاد حل عادل لها . واوروبا الغربية لم تكتف بتهيئة كافة الظروف لاقامة اسرائيل ولكنها عملت بعد ذلك وخلال الربع قرن الذي مضى على نشوئها ـ عملت على تقويتها ومساندتها بالمساعدات الضخمة سواء كانت عسكرية (الاسلحة البريطانية والفرنسية والالمانية ـ مقابل التعويضات) أو مالية ـ وهي ما تزال ترد على اسرائيل ـ او تكنولوجية ـ (مثل مساعدتها لها في المجال الذري الذي يمثل خطورة متناهية) أو مساندتها لها دبلوماسيا واعلاميا فصحافة الغرب في غالبيتها موالية لاسرائيل وبوق لها ومنبر للدفاع عنها . ومما لا شك فيه أن وقوف اوروبا الغربية الى جانب اسرائيل خلال سنوات طويلة في كافة المجالات ، كان احد العوامل التي غذت عجرفتها وتصلبها وسياساتها العدوانية .

فأوروبا الغربية اذن ليست بريئة وعليها مسؤوليات كبيرة في هذا المجال وليس صحيحا ادعاءها انها لا تملك وسائل العمل للمساهمة في ايجاد حل عادل او للضغط على اسرائيل . وعلى حد تعبير السيد بلعيد عبد السلام « فاننا نعلم ان اوروبا ليس بامكانها وحدها ايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط ولكن بين ايديها اوراق يمكن أن تسهم في ايجاد حل » . وقوله ، ردا على حجة عدم مقدرة اوروبا على اسماع صوتها في المحافل الدولية وقلة ما تستطيع ان تعمله ، « ليس بامكاننا ان نقبل هذا التخلي من اوروبا عن واجباتها لان الدول الاوروبية والقوى الغربية الاخرى التي عرفت كيف تطبق المقاطعة ازاء النظم العنصرية بوسعها فعل ذلك تجاه اسرائيل ... فعلى اوروبا ان تعمل من أجل تنفيذ القرارات التي اتخذتها الامم المتحدة والمساعدة على تطبيق العدالة علما بأن بلدين اوروبيين كانا قد صوتا في مجلس الامن لفائدة هذه القرارات وينبغي اليوم تجاوز اطار التصويت للشروع في العمل » . (مقتطفات من ندوة في التلفزيون الفرنسي يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٧٣) .

واوروبا لديها امكانيات الضغط غير المباشر على اسرائيل عن طريق الضغط على الحليفة الكبرى ، الولايات المتحدة ، كما أن لديها وسائلها الخاصة للضغط ، كما سبق ان بينا ، دبلوماسيا ، مما يزيد من عزلتها الدبلوماسية في منطقة تعتبر تقليديا بمثابة منطقة صديقة ، وبالامتناع عن تقديم المساعدات المالية والاقتصادية لاسرائيل وبالحظر الشامل لتصدير الاسلحة اليها مع السماح بشحن الاسلحة للبلدان العربية ... الخ .

لكل ذلك فان التهمة الموجهة الينا بالحاق الضرر ببلدان بريئة لا مسؤولية عليها ولا وسائل للعمل لديها هي تهمة غير صحيحة فيما يتعلق بأوروبا الغربية .

ولا بد ان نقر بأن فعالية سلاح النفط بالنسبة لاوروبا الغربية لا سيما اذا طال وتصاعد جعلت كثيرا من المسؤولين الغربيين يدركون لاول مرة انه لا يمكن النظر للمصالح الحيوية لاية دولة او مجموعة من الدول من طرف واحد فقط . فالذين وضعوا في مخططاتهم وحساباتهم أن اقامة اسرائيل ودعمها وتأييد كل مراميها التوسعية يقيد

لحماية مصالحهم الاقتصادية عليهم ان يعلموا ان الامة العربية لا يمكن ان تتسامح مع استنزاف ثرواتها لكي تستخدم ضدها بعد أن احتلت اراضيها(٩).

ولا بد لنا هنا أن نذكر الغرب الذي لا يتكلم الان الا عن « عقوباتنا » النفطية ـ نذكره بالدور الايجابي الهام الذي لعبه النفط العربي وسيلعبه كأداة للتنمية والتقدم والازدهار في العالم الغربي والبلدان الصناعية بصورة عامة . ان من المعروف ان الجزء الاكبر من نفطنا يذهب الى بلدان اوروبا الغربية واليابان ليغذي صناعتها وتطورها الاقتصادي العالم بمصدر رخيص للطاقة مما ساهم مساهمة كبيرة في نهضتنا الصناعية وازدهارها. وفي الوقت الذي كنا فيه نصدر هذا النفط الخام بارخص الاسعار ـ التي كانت تحددها خلال سنوات طويلة الشركات الغربية نفسها التي تسيطر على انتاجنا ـ كنا نستورد من الغرب منتجاته الصناعية بأعلى الاسعار . كما ان الشركات البترولية الغربية جنت خلال اكثر من ثلث قرن ـ وبالنسبة لبعضها نصف قرن ـ ارباحا ضخمة ساهمت في ميزان مدفوعاتها هذه البلدان وفي تحقيق نهضتها الاقتصادية وازدهارها ورخائها .

ـ اما بالنسبة لليابان

فكما صرح الشيخ احمد زكي اليماني (في مقابلة له مع مجلة نيوزويك الامريكية ، عدد ٢٤ ديسمبر ١٩٧٣) فاننا نشعر بأن ليس علينا اية مسؤولية معنوية تجاه أي بلد لتأمين احتياجاته النفطية ما لم يقدم شيئا للقضية العربية . فاليابان كانت تتمسك بنوع من الحياد في النزاع العربي الاسرائيلي ، اي الحياد بين المعتدي والمعتدى عليه بينما العالم العربي يكون سوقا ضخمة لمنتجاتها كما انها تعتمد اعتمادا كبيرا على بترولنا ، اي انه تربطها بنا مصالح اقتصادية كبيرة بينما تكاد لا تكون لها أية مصالح البتة مع اسرائيل وليس هناك أية اعتبارات تدعوها لمجاملتها . أفلم يكن من الطبيعي والمنطقي ان ننتظر منها تفهما أكبر لقضايانا كأمة معتدى عليها ، واراضيها محتلة وحقوق جزء من شعبها مسلوبة .

ولقد استجابت اليابان الان للضغوط فعدلت من موقفها واتجهت نحو موقف عادل متوازن : فأصدرت بيانا تطالب فيه اسرائيل بالانسحاب من كافة الاراضي المحتلة والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وهددتها باتخاذ اجراءات أخرى اذا لم تنسحب من الاراضي المحتلة كما عرضت تقديم معونات تكنولوجية والمساهمة في عمليات التصنيع في البلاد العربية . وتبعا لذلك فقد قرر وزراء النفط مؤخرا اعتبارها بلدا صديقا وتأمين احتياجاتها النفطية ، على أن يكون ذلك مشروطا ببقائها على هذا الموقف العادل ومواصلة ضغوطها على امريكا للضغط بدورها على اسرائيل .

٤ ـ وأخيرا ، فانهم يتهموننا بتسليط العقاب والحاق الاذى بالمواطنين الابرياء (في اوروبا الغربية والولايات المتحدة) :

وردنا على ذلك ان الشعب في هذه البلدان الغربية يملك وسائل الضغط على حكومته وهو ينتمي الى احزاب ومنظمات ونقابات تستطيع ان تضغط على حكومة بلده لتسير في الاتجاه الصحيح ، وفي بلاد تفتخر بديمقراطيتها فان الشعب مسؤول عن سياسة حكومته ، واذا كانت سياسة هذه الحكومة معادية للقضية العربية فسكت المواطن عليها او تضامن معها فعليه أن يتحمل هو وحكومته تبعة هذه السياسة المعادية واذا استطاع عن طريق مجموعات الضغط التي ينتمي اليها ان يحمل حكومته على انتهاج سياسة عادلة نحو القضية العربية فان بلاده ستعتبر بلادا صديقة وتحصل تبعا لذلك على كل ما تحتاجه من النفط .

ومن المؤكد ان كثيرا من المصادر الغربية تبالغ في تضخيم متاعب المواطن العادي

لتخلق حملة من الكراهية ضد العالم العربي . وعلى نحو ما عبر عنه أحمد بهاء الدين : « ان عدم تمكن الغربي من قيادة سيارته يوم الاحد مأساة كبرى تشغل الصحف وتثير وكالات الانباء وتستدعي تشكيل اللجان وعقد المؤتمرات ، وكأن كوكب الارض كله في خطر ! ولكن موت مليون من الجوع في الهند او بنجالاديش ، او من العطش وسط افريقيا ، خبر صغير في زوايا الصحف ، وربما تحركت بعض الدول لارسال بعض المعونات « والصدقات » »(١٠).

وهم يسوقون كأمثلة على هذه المتاعب والمنغصات : حرمان المواطن من استخدام سيارته أيام الاحاد في امستردام والاستعاضة عنها بركوب الدراجة ، واطفاء اللافتات المضيئة في ميدان بيكادللي في لندن عند منتصف الليل وخفض حرارة التدفئة في مكاتب واشنطون ثلاث درجات !

فهل تقارن هذه المضايقات بمأساة الشعب الفلسطيني خلال اكثر من ربع قرن ، وهي المأساة التي خلقها الغرب ؟ وعلى حد تعبير أحد الكتاب : هل يقارن وضع راكب الدراجة في امستردام يوم الاحد باللاجيء الفلسطيني الصغير حافي القدمين ، وهل تقارن انوار بيكاديللي المطفأة عند منتصف الليل بالليالي الطويلة للشعب الفلسطيني ، وأين حرارة مكاتب واشنطون من حرارة خيام معسكرات اللاجئين في الشتاء القارص ؟(١١) !

وخلاصة القول بالنسبة لتبرير سلاح النفط وأحقيتنا في استخدامه انه سلاح مشروع يستخدم لتحقيق أهداف مشروعة ، ونحن لم نلجأ لاستخدامه الا عندما استنفدنا كافة الوسائل الاخرى دون جدوى . وكما قال بلعيد عبد السلام في رده على صحفي فرنسي « لقد اتخذ قرار الكويت فقط في اللحظة التي تبين فيها ان جميع الوسائل المستخدمة حتى الان لم تؤد الى أية نتيجة ... فقد بدا لنا ان اللحظة مناسبة لنا بأن يشعر العالم كله بأنه مسؤول عن هذا الوضع وان يعي مسؤولياته ومخاطر هذا الوضع ».

لقد أثبت الضمير العالمي الى حد بعيد عجزه عن التحرك لفرض الحل العادل وعدم اكتراثه بل أثبت بشكل خاص تحيزه ضدنا ، فلم يبق لنا الا ان نلجأ ، على حد تعبير أحد الكتاب ، الى ضميرنا والى قوتنا . ولقد ثبت من حرب البترول ان الغرب بوجه خاص حساس أمام الضغوط الاقتصادية ويستجيب لها أكثر بكثير من كافة العروض والشكاوى باسم العدالة والقانون والمنطق ، فتخفيض التسليمات البترولية من قبل العرب خلال ثلاثة اشهر كان كافيا لان يجعل الغرب يقر بأنه لا يوجد هناك قضية «لاجئين فلسطينيين» وانما قضية « حقوق الشعب الفلسطيني » وهو ما لم تستطع خمس وعشرون سنة من الدبلوماسية أن تحققه وتحصل عليه . وبذلك انتهى العرب أخيرا الى أن يجدوا اللغة التي يجب التحدث بها للغرب فلقد ثبت ان الغربيين لا يعترفون بالحقائق السافرة الا مجبرين ومرغمين سواء كان ذلك عن طريق البترول أو أية وسيلة أخرى « ولقد حان الوقت لكي يكون نتاج الارض العربية في خدمة تحريرها ولا يكون سببا لاستعبادها كما تريد ذلك المطامع التوسعية الصهيونية والاحتكارات والقوى التي تقف وراءها »(١٢).

. . .

بعد هذا العرض لحججنا في تبرير استخدام سلاح النفط ، وعلى ضوء الاهداف المشروعة التي رأينا انه ينبغي اسناد تحقيقها لسلاح النفط والآثار الواقعية التي من حقنا أن نأمل في احداثها من استخدام هذا السلاح في مواجهة اوروبا الغربية ، يمكننا الآن أن نباشر عملية تقييم اجراءاتنا النفطية والنتائج الفعلية التي حققتها حتى الآن .

تقييم اجراءاتنا النفطية :

من المؤكد أولا أن اجراءاتنا النفطية قد حققت بعض النتائج الايجابية العامة التي لا يمكن انكارها او التقليل من أهميتها :

١ ــ مما لا شك فيه باديء ذي بدء ان قيام الدول العربية المنتجة للنفط باتخاذ هذه الاجراءات يكتسي أهمية بالغة ومدلولا سياسيا كبيرا اذ هو يمثل التضامن العربي الكامل ويجسد وقوف البلدان العربية النفطية الى جانب شقيقاتها من بلدان المواجهة صفا واحدا متراصا كما انه أبرز امكانية واهمية قيام الامة العربية بوضع كافة اسلحتها وطاقاتها وامكانياتها المتكاملة في المعركة المصيرية. ومن المؤكد ان قرار وضع سلاح النفط العربي موضع التنفيذ كان في حد ذاته، وحتى قبل ان تظهر آثاره وبغض النظر عن مدى فعاليته، حدثا هاما على مسرح السياسة العالمية نظرا لان العالم كان يستبعد اقــدام البلدان العربية المنتجة على اقحام النفط سلاحا في المعركة وكان يعتقد ان العرب لا يستطيعون تحقيق مثل هذه الوحدة الصلبة المتماسكة واتخاذ مثل هذه الخطوات الموحدة المتناسقة، فقد عود العالم نفسه على رؤية العالم العربي مجزءا مفككا منقسما على نفسه وكان واثقا من استمرار هذه التجزئة وهذا الانقسام مما يحول بين العرب وبين الاتفاق على استخدام سلاح النفط بأي شكل من الاشكال . ولذا فقد جاء اعلان هــذه القرارات النفطية ، التي كانت عند اعلانها بمثابة ترتيبات مبدئية قابلة للتصاعد والتكثيف، مفاجأة كبيرة لكثير من الاوساط الغربية خيبت آمالها المعقودة على انقسام العالــم العربي واجبرتها على اعادة حساباتها . ولذا فان من المؤكد ان تلك الاجراءات النفطية ، من حيث مغزاها السياسي والمبدئي وحتى قبل النظر في اثارها الاقتصادية ونتائجهـــا المحددة لا يمكن الا ان تزيد في الوزن الدولي للامة العربية وتدعم عنــاصر الضغط العربي على البلدان المعادية لنا والموالية لاسرائيل ــ والتي هي بحاجة ماسة الــى نفطنا ــ لحملها على تبني مواقف اكثر عدالة وانصافا من القضية العربية وتجعل هذه البلدان تحسب حسابا اكبر للامة العربية وحقوقها المشروعة(١٣).

٢ ــ من المؤكد كذلك ان اجراءاتنا النفطية قد حققت بطريقة مرضية احد الاهداف المرسومة لها وهو لفت نظر العالم لقضيتنا والتوعية بها وابقاؤها حية في الاذهان . لقد أصبح موضوع النفط العربي ، منذ دخول سلاح النفط في المعركة ، حديث الساعة في الاوساط الدولية وهو يحظى باهتمام المسؤولين الحكوميين ورجال المال والاقتصاد ومختلف قطاعات الراي العام وكافة وسائل الاعلام في مختلف البلدان المستهلكة لنفطنا في كافة ارجاء العالم . وانك لا تفتح أية صحيفة بأية لغة من اللغات الا وتجد كلامـــا عن النفط العربي ومدى أهميته وآثار تخفيض انتــاجه او حظر تصديره . والمواطــن العادي في كثير من البلدان المستهلكة لا بد ان يكون قد تعرض لشيء من المضايقــــات والمتاعب والصعوبات نتيجة تطبيق اجراءاتنا النفطية . وكل ذلك لا بد ان يكون قد دعا ملايين الناس في العالم ممن لم يسمعوا من قبل بالقضية الفلسطينية او لم يكترثوا لها ــ دعاهم الى أن يتوقفوا قليلا ليسألوا انفسهم : من هم هؤلاء العرب ؟ ماذا يريدون ؟ ما هي القضية التي يدافعون عنها ؟ وماذا نستطيع ان نفعل لايجاد حل مناسب لهـــا تحقيقا للعدالة او تجنبا لما يصيب اقتصادنا من اضرار وما يلحق بنا من متاعب ؟ ومما لا شك فيه ان هذا الوضع لا بد ان يكون قد حفز الملايين الكثيرة من الناس الى ان يزدادوا علما بالقضية ووعيا بمختلف جوانبها السياسية والانسانية وربما اقتناعا بعدالة القضية ورغبة في العمل من اجل المساهمة في ايجاد حل عادل سريع لها . وكل ذلك قد يؤدي ، كما سبق أن بينا ، الى خلق تيار قوي لدى قطاع متزايد من الراي العام العالمي موات لنا

ويمكن أن يمارس ضغطا من اجل تحقيق حل عادل او فرض عزلة دبلوماسية متزايدة على اسرائيل في مواجهة هذا الراي العام العالمي .

ومن الواضح ، على نحو ما سبق ان ذكرنا ، ان تحقيق هذا الهدف ومواصلة جني ثماره تقتضي ان نقرن اجراءاتنا النفطية بحملة اعلامية متواصلة ومكثفة ، على أوسع نطاق عالمي ممكن لشرح وتوضيح مختلف جوانب القضية العربية والرد على كافة الحملات الاعلامية المضادة والمغرضة ، وتفنيد مختلف الاتهامات التي توجه الينا ، والتي استعرضنا اعلاه نماذج عنها ، وبيان اهدافنا المشروعة من استخدام سلاح النفط .

٣ ـ اجراءاتنا النفطية أفهمت البلدان المستهلكة بشكل حاسم بأن عليها بعد الان ان تتعامل مباشرة مع البلدان العربية المنتجة اذا كانت ترغب في تأمين احتياجاتها من النفط وانه لم يعد يكفيها ان تقيم العلاقات مع الشركات النفطية الامريكية والاوروبية . لقد كان من أبرز مساوىء الوضع السابق في مجال استغلال ثرواتنا النفطية ان الشركات النفطية الاجنبية ، التي تسيطر على استغلال نفطنا : هي التي تقوم بتصدير نفطنا مباشرة الى البلدان المستهلكة وتقيم معها الروابط والعلاقات ونحن غرباء عن العملية ولا احد يكترث لنا . وقد كان هذا الوضع يحرمنا من اقامة العلاقات المباشرة القائمة على المصالح المتبادلة .

لقد تغيرت الصورة الان تغيرا جذريا وأدركت البلدان المستهلكة ان عليها ان تقيم معنا العلاقات المباشرة التي لا بد ان تقوم على أساس المصالح المتبادلة بين الطرفين ومما يحققه ذلك من نتائج ايجابية : منها حرص هذه البلدان على مراعاة مصالحنا المشروعة باعتبارنا اطراف مباشرين في علاقة متبادلة ، ومنها فرضنا على هذه البلدان ان تقدم لنا في مقابل بترولنا منافع متنوعة لصالحنا مثل الحصول على الاسلحة او الخدمات التكنولوجية والمساهمة في عمليات تصنيع وتنمية العالم العربي . ولا ننسى ما لا بد ان تؤدي اليه العلاقات المتبادلة من نشوء التفهم الافضل بين الطرفين وخلق الصداقات والعلاقات الودية التي تلعب دورا كبيرا في حل القضايا والمشاكل السياسية .

وقد كان من نتائج كل ذلك ان ازدادت اهمية النفط العربي فلم يعد كما كانوا يقولون مجرد مادة تجارية عادية وانما ثبت بشكل قاطع انه مادة استراتيجية ذات أهمية سياسية واقتصادية بعيدة المدى ، مما لا بد ان يزيد من وزن البلدان المنتجة له ويرفع من مقامها الدولي .

ولعل من مظاهر هذا الاقتناع لدى الاوروبيين بضرورة اقامة العلاقات المباشرة مع البلدان المنتجة وهي العلاقات القائمة على المصالح المتبادلة ـ من مظاهر ذلك مثلا فكرة عقد مؤتمر عربي ـ اوروبي لدراسة مختلف جوانب التعاون الممكن بين الطرفين في المجالات الاقتصادية والمالية والتقنية ، وتكوين المجموعة البرلمانية اوروبا ـ البلاد العربية التي تشكلت في منتصف شهر ديسمبر الماضي في البرلمان الفرنسي والتي تهدف كما تقول الى خلق نوع من « مشروع مارشال » متبادل اذ تحصل اوروبا على النفط في مقابل تقديم المعونات والمساهمات الاقتصادية والتكنولوجية والعلمية .

ولا شك ان هذا الاتجاه لاقامة العلاقات المباشرة مع البلدان المنتجة قد اضعف الى حد بعيد من شوكة ونفوذ الشركات البترولية ، التي كانت تحتكر عملية تزويد اوروبا بنفطنا وقللت من اهميتها في هذا المجال وهو أمر من شأنه ان يؤدي الى تغيير جذري في هيكل صناعة النفط العالمية لصالح البلدان المنتجة واهميتها المتزايدة .

٤ ــ من النتائج التي يمكن الاشارة اليها هنا ان اجراءاتنا النفطية ،وما ترتب عليها من نقص في كميات النفط الداخلية الى السوق العالمية وزيادة الطلب على العروض ، قد هيأت ظروفا افضل لرفع الاسعار المعلنة للنفط . ونحن نميز هنا **بشكل واضح وقاطع** بين اجراءاتنا النفطية بتخفيض الانتاج او حظر التصدير ، وهي ذات هدف سياسي وبين قرار رفع مستوى الاسعار المعلنة للنفط الذي اتخذته منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبيك) وهو عملية اقتصادية بحتة لم تنفرد بها البلدان العربية المنتجة وانما شاركت فيها البلدان المنتجة الاخرى غير العربية والاعضاء في منظمة اوبيك ، كما ان من المعروف ان الاتجاه لدى هذه المنظمة نحو رفع أسعار النفط كان سابقا لدخول سلاح النفط في المعركة وهو مبني على اعتبارات اقتصادية تحتم تحديد اسعار عادلة للنفط لا سيما لموازنتها مع المستوى المرتفع لاسعار المنتجات المصنعة التي تستوردها البلدان المنتجة للنفط ، والبلدان النامية بصوة عامة ، من البلدان المصنعة . ولكن مما لا شك فيه ان اجراءاتنا النفطية والنقص المترتب عليها في كميات النفط المصدرة وارتفاع اسعار البيع الفعلية المتحققة في السوق قد هيأ ظروفا افضل لرفع الاسعار نحو مستوى عادل وجعل الاذهان مهيأة بشكل اكبر لقبول هذه الزيادة في الاسعار بردود فعل اقل عنفا .

هذه بعض النتائج الايجابية العامة التي ترتبت على استخدام سلاح النفط . ولنحاول الان تقييم النتائج المحددة لهذه الاجراءات ومدى فعاليتها وآثارها المباشرة في علاقتنا مع اوروبا الغربية .

آثار اجراءاتنا النفطية على اوروبا الغربية ونتائجها

هنالك ملاحظة مبدئية نود ابداءها قبل عرض الاثار المباشرة لاجراءاتنا النفطية على اوروبا الغربية : ان المراقب المتمعن يستطيع ان يلمس تيارين متناقضين في التقديرات او التعليقات الصادرة عن الاوساط الغربية بخصوص اثار اجراءاتنا النفطية على بلدان اوروبا الغربية .

فهنالك تيار يبالغ في هذه الاثار ويذكر بأنها توشك ان تؤدي الى تدمير الاقتصاد الغربي ان لم تكن قد حققت ذلك بالفعل ! ، ولعله يقصد من وراء ذلك الى تأجيج الشعور بالكراهية ضد العرب وتأليب الراي العام عليهم او ارضاء غرور العرب واقناعهم بان الاجراءات النفطية قد حققت كامل آثارها ولا داعي للاستمرار فيها . وهناك على العكس من ذلك تيار ثان يميل الى التهوين الكبير من اثارها ولعله يرمي من وراء ذلك الى تثبيط عزائمنا واقناعنا بأن سلاح النفط هو أمر غير مجد وانه لم يؤثر بالشكل الذي يسمح له بأن يكون عامل ضغط ولذا فانه لا جدوى من استمراره ، كما يحاول كذلك اقناع الرأي العام في اوروبا بأنه لا ضرورة للخضوع للضغط العربي والاستجابة له طالما ان آثار سلاح النفط محدودة وغير فعالة . وأمام ذلك فانه ينبغي لنا ان ننظر بكثير من الحذر في مثل هذه التقديرات وان نحاول جاهدين ان نبحث عن الحقيقة الموضوعية في هذا المجال .

ومن رأينا ان هنالك جملة حقائق وملاحظات من شأن ايرادها ان يساعد قدر الامكان على تكوين صورة معقولة عن آثار اجراءاتنا النفطية ويسهل عملية التقييم الصحيح لها :

١ ــ من المعروف ان اوروبا الغربية هي المستورد الرئيسي لنفطنا ، وهي تعتمد على النفط العربي لتغطية احتياجاتها النفطية بنسبة لا تقل عن ٧٠ ٪ من هذه الاحتياجات (وتصل هذه النسبة الى ٨٠ ٪ في فرنسا وايطاليا وتزيد عن ذلك بالنسبة لاسبانيا) ، وذلك حسب مجلة بتروليوم برس سرفيس ، عدد نوفمبر ١٩٧٣ (١٤). وتقدر هذه المجلة

في عددها المذكور بأن معدل ما كانت تستورده اوروبا الغربية من كافة المصادر ، في الفترة المنصرمة من عام ١٩٧٣ قبل نشوء الازمة البترولية الناتجة عن سلاح النفط ، قد ارتفع الى حوالي ١٤ مليون برميل في اليوم (اي ما يعادل حوالي ٧٠٠ مليون طن سنويا) وكان حوالي عشرة ملايين برميل في اليوم من هذه الكمية يأتي من البلاد العربية في الخليج العربي وشمال افريقيا .

٢ — يتضح مما تقدم مدى اهمية نفطنا لاوروبا الغربية ومقدار اعتمادها عليه . فلو اننا قطعنا نفطنا كلية عن هذه المنطقة فانه لا توجد أية مصادر أخرى تكفي للتعويض عن الكميات الضخمة التي تستوردها منه ولذا فان مجاعة نفطية كانت لا بد وان تحل باوروبا (لا سيما بعد ان يستنفد مقدار المخزون من الاحتياطي لدى هذه البلدان وهو يتراوح ما بين احتياجات شهرين الى ثلاثة اشهر حسب كل بلد) ، ومثل هذه المجاعة كانت ستحل لو أننا خفضنا انتاجنا تخفيضا كبيرا بالشكل الذي لا يمكن للمصادر الاخرى التعويض عنه .

ومن الواضح ان مثل هذه المجاعة النفطية لو حدثت لكان من شأنها ان تخلق اضطرابا كبيرا في الاقتصاد الوطني لهذه البلدان وتلحق به اضرارا بالغة وخطرا محققا كما كانت ستكون ذات آثار ضخمة على نشاطها الصناعي ومرافق الحياة فيها وتطورها الاقتصادي العام .

٣ — عندما أعلنت قراراتنا النفطية في ١٧ اكتوبر الماضي وتضمنت تخفيضا مبدئيا لا يقل عن ٥ ٪ من انتاجنا (من التخفيض الفعلي بدأ بما لا يقل عن عشرة بالمائة) على أن تزايد نسبة التخفيض بمعدل ٥ ٪ كل شهر وان يتواصل ذلك حتى يتم الانسحاب من كافة الاراضي العربية المحتلة واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني — عندما أعلن ذلك حدث نوع من الذعر في الاوساط الغربية المسؤولة لا خوفا من نسبة الخمسة بالمائة او العشرة بالمائة البادئة وتأثيرها الفوري وانما خوفا من مواصلة هذا التخفيض أشهرا طويلة في المستقبل وما ستصل اليه نسبة التخفيض حينذاك (وقد صرح الشيخ احمد زكي يماني في تلك الفترة بأن بلاده مستعدة ان تواصل تخفيض انتاجها الى نسبة ٨٠ ٪ منه) . ولقد ازداد هذا الذعر عندما رفعت نسبة التخفيض ، في ٤ نوفمبر الماضي ، الى ٢٥ ٪ مع مواصلة التخفيض بنسبة ٥ ٪ كل شهر بعد ذلك حتى تتحقق الاهداف المرسومة .

ومن الجدير ذكره هنا ان اوروبا الغربية بدأت باتخاذ اجراءات التقشف قبل ان تكون اجراءات التخفيض (بنسبها المبدئية القليلة : ٥ ٪ او ١٠ ٪) قد بدأت تحدث آثارها الفعلية ففي ١٧ اكتوبر عندما أعلن قرار التخفيض كانت الناقلات في عرض البحر وقد انطلقت من موانئنا تحمل نفطنا لاوروبا وهذه الناقلات تحتاج لمدة شهر للوصول الى موانيء اوروبا، ولذا فان التأثير الفعلي للتخفيض لم يكن ليحدث قبل مرور شهر على الاقل في اواخر نوفمبر او بداية ديسمبر بينما بدأنا نسمع عن اتخاذ اجراءات التقشف منذ اواخر اكتوبر . ثم أن اوروبا الغربية لديها احتياطي مخزون من النفط يكفي لاستهلاك شهرين او ثلاثة ، حسب مختلف البلدان اي ان كمية تتراوح بين ١٢٠ و١٨٠ مليون طن (على اساس معدل الاستهلاك البالغ ١٤ مليون برميل يوميا او ٧٠٠ مليون طن سنويا) . وفرنسا وحدها لديها احتياطي يبلغ حوالي ٣٠ ملين(١٥) ومن الواضح ان هذا الاحتياطي المخزون كان يكفي لسد النقص في الواردات لا سيما في تلك المرحلة الاولى دون اتخاذ أية اجراءات تقشفية .

٤ — كان من الممكن اذن لبلدان اوروبا الغربية ان تتلافى النقص الفعلي المتأتي من

تخفيض واردات النفط العربي عندما يتحقق وان تسد هذا العجز عن طريق اللجوء الى مخزونها من الاحتياطي النفطي والذي تتراوح مقاديره بين حاجات شهرين الى ثلاثة اشهر من الاستهلاك كما بينا . ولكن هذا الاحتياطي له قيمة استراتيجية ولذا فانها قررت عدم مسه وابقائه لحالات الضرورة القصوى ، وكان لا بد لاوروبا اذن في هذه الحالة وتحسبا لما سيكون عليه الوضع في المستقبل ان تلجأ لاجراءات التقشف لسد النقص الذي سيحصل في وارداتها من النفط العربي والذي بلغت أقصى نسبة له ٢٥ ٪ وذلك بالاضافة الى محاولة زيادة وارداتها ومن المصادر الاخرى غير العربية وزيادة انتاجها من مصادر الطاقة المحلية البديلة مثل الفحم الحجري . ومن نماذج اجراءات التقشف التي اتخذت : منع سير السيارات خلال عطلة نهاية الاسبوع ، اغلاق محطات البنزين ايام السبت والاحد ، تقنين استهلاك البنزين وغيره من المحروقات واستعمال نظام البطاقات ورفع الاسعار ، تخفيض حرارة التدفئة عددا معينا من الدرجات ، تخفيض الانارة في الشوارع واطفاء اللافتات المضيئة بعد ساعة معينة ، تخفيض سرعة سير السيارات ، تخفيض المخصصات من انواع الوقود ، اقفال المسارح مبكرا ... الخ (انظر مجلة ايكونوميست اللندنية ، عدد ١ ديسمبر ١٩٧٣ ، التي تورد كشفا بهذه الاجراءات التقشفية فيكل بلد من البلدان الغربية)، وقد ترتب بالطبع على هذه الاجراءات التقشفية متاعب ومضايقات للافراد كما ان بعض شركات الطيران مثلا خفضت من رحلاتها الداخلية ، وخفضت بعض الشركات (العاملة في ميدان البتروكيماويات مثلا من طاقة الانتاج فيها بنسبة قليلة كما ان بعضها استغنى عن عدد محدود من عماله . وهذه كلها مضايقات لها تأثيرها على المواطنين كما أن لها بعض التأثيرات على النشاط الاقتصادي العام ، ولكن القول بانها دمرت الاقتصاد الغربي او الحقت به الاضرار الجسيمة وعرضته للمخاطر هو قول مبالغ فيه كما هو واضح ، ولو ان الاقتصاد اوشك بالفعل على التعرض للخطر للجأت البلدان المعنية الى الاستعانة بمخزونها من النفط ولكنها لم تفعل الا ضمن أضيق الحدود وفي بعض هذه البلدان فقط بحيث يمكن القول بان هذا المخزون في مجموعه قد بقي على حاله تقريبا ولم يمس . وقد كان من الممكن ان يكون الوضع أسوأ بكثير لو نواصل التخفيض في صادراتنا بنسبة ٥ ٪ شهريا بعد وصوله الى ٢٥ ٪ ونستمر ذلك بضعة أشهر أخرى .

٥ ــ الصورة الحقيقية للوضع الذي نشأ بالفعل تتمثل اذن في انه لم يحدث مجاعة نفطية في بلدان اوروبا الغربية مع ما كان سيترتب عليها من نتائج مدمرة للاقتصاد . ومن أجل التعرف على الاثار الحقيقية التي ترتبت بالفعل على اجراءاتنا النفطية لا بد من التمييز بين **ثلاث فئات** من بلدان اوروبا الغربية نظرا لاختلاف الاثار من فئة لاخرى : وهذه الفئات هي فئة البلدان «الصديقة» فئة البلدان المعادية ولا تشمل الا هولندا، وفئة البلدان الاخرى المتبقية والتي تعتبر من البلدان المحايدة .

ــ فئة **البلدان الصديقة** شملت في البداية كلا من فرنسا وبريطانيا اللتين اعتبرتا كذلك منذ وقت مبكر بعد اتخاذ الاجراءات النفطية وذلك نظرا لمواقفها المتوازنة والمواتية للقضية العربية وتفهمها الافضل للموقف العربي ، وقد اتسعت هذه الفئة لتشمل اسبانيا ثم اضيفت اليها مؤخرا بلجيكا . وبالنسبة لهذه البلدان فان دولنا المنتجة تعهدت بتأمين كافة احتياجاتها من المواد النفطية . ولذا فان هذه البلدان لا تتأثر الان بشكل ملموس من اجراءاتنا النفطية . والاجراءات التقشفية الاحتياطية المختصة التي اتخذتها فرنسا تكاد تكون رمزية (وقد صرح مؤخرا البان شالاندون ، وزير الصناعة الفرنسي السابق ، بأن فرنسا ، نظرا للتموينات النفطية التي وعدتها بها البلاد العربية ومخزونها من النفط ، تستطيع ان تصمد اكثر من ثلاث سنوات دون اي تخفيض في استهلاكها) .

أما الصعوبات الحادة التي تواجهها بريطانيا في ميدان ازمة الطاقة فمردها الى اعتبارات اخرى (من أهمها اضراب عمال الفحم) .

ــ **هولندا** هي البلد الاوروبي الوحيد الذي اعتبر معاديا نظرا لاصراره على مواقفه المتحيزة لاسرائيل وتبعا لذلك فقد تقرر حظر النفط العربي عنه كلية . ولذا فان من المؤكد ان هولندا كانت اكثر بلد اوروبي تأثر من اجراءاتنا النفطية . لا سيما وان هولندا تستورد اكثر من ثلثي وارداتنا النفطية من العالم العربي . وفي الاشهر الستة الاولى من هذا العام استوردت هولندا (٥٠) مليون طن كان منها (٣٤) مليون طن من العالم العربي (اي بنسبة ٦٨ ٪) ، حسب مجلة بتروليوم برس سرفيس ، عدد نوفمبر ١٩٧٣ .

الا ان لهولندا وضعا خاصا من الناحية النفطية فهي تستورد كمية من النفط الخام تزيد كثيرا عن احتياجات استهلاكها المحلي، ولكن جزءاً من هذا النفط يفرغ في ميناء روتردام، الذي هو اكبر ميناء في اوروبا، ثم ينقل عبر هولندا الى بلدان اوروبية اخرى (لا سيما بلجيكا والمانيا الغربية التي تقدر نسبة النفط الواصل اليها عن طريق هولندا بحوالي ٣٠ ٪ من وارداتها النفطية) . كما أن لدى هولندا طاقة تكرير كبيرة ، تزيد كثيرا عن متطلبات احتياجاتها المحلية ، ولذا فانها تكرر النفط الخام المستورد ثم تعيد تصدير جزء كبير منه على شكل منتجات مكررة مستفيدة من فروقات السعر ومن كافة المزايا الاقتصادية المترتبة على صناعة تكرير مزدهرة .

وتقدر طاقة التكرير المتوفرة لهولندا بحوالي (١،٦٦٠،٠٠٠) برميل يوميا بينما لا يزيد استهلاكها المحلي عن (٧١٦،٠٠٠) برميل في اليوم ، ومعنى ذلك انها تصدر ما لا يقل عن (٩٠٠،٠٠٠) برميل يوميا من المنتجات المكررة(١٦).

ان مجموع الاستهلاك داخل هولندا كما ذكرنا يبلغ حوالي (٧٠٠) الف برميل يوميا او حوالي ٣٥ مليون طن سنويا ولكن من بين هذه الكمية ١١،٢ مليون طن سنويا تمثل الوقود الذي تستخدمه السفن التي ترتاد موانىء هولندا ، والاستهلاك المحلي الحقيقي هو (٢٤) مليون طن في السنة . وحيث ان هولندا تستورد النفط أيضا من مصادر غير عربية ، اذ تقدر كميات هذا النفط غير العربي بحوالي ٣٥ مليون طن ، فمعنى ذلك أن كميات النفط التي ما تزال تصلها من مصادر غير عربية تزيد عن احتياجات استهلاكها المحلي وتغطي هذه الاحتياجات واحتياجات الوقود للسفن التي ترتاد موانئها(١٧). ولذا فان مخزون هولندا من النفط لم يكن قد مس بعد شهرين من بدء تنفيذ اجراءاتنا النفطية، حسب المرجع المتقدم .

الا ان قطع النفط العربي عن هولندا يصيب صناعة التكرير فيها والتي هي من جهة أساسا للتصدير ، بضربة قاسية كما انه قد اثر وسيؤثر تأثيرا بالغا على ازدهار ميناء روتردام الذي تمثل تجارة المنتجات البترولية ٧٠ ٪ من نشاطه(١٨) وهذه كلها عوامل ضغط هامة على هولندا ومن شأنها ان تلحق باقتصادها اضرارا كبيرة لا سيما كلما طالت مدة الحظر ، وذلك رغم المحاباة التي تحظى بها من قبل الشركات النفطية العالمية التي ترسل اليها بشحنات نفط غير عربي كانت موجهة أساسا لبلدان اخرى ورغم تعهد الولايات المتحدة بمساعدتها في هذا المجال . ومقاطعتنا النفطية لهولندا درس فعال لكل بلد تسول له نفسه الانحياز الى العدو الصهيوني ومعاداة القضية العربية .

ــ البلدان الاخرى في اوروبا الغربية اعتبرناها دولا محايدة ولذا فاننا لم نطبق عليها الحظر الكلي ولكنها تأثرت بتخفيض انتاجنا النفطي وصادراته بالنسب المعروفة .

لقد خفضت الواردات النفطية لهذه البلدان في مرحلة اولى في حدود ١٠ ٪ الى ١٥ ٪ .

وهذا التخفيض كان من الممكن بسهولة سده من كميات النفط الاحتياطي المخزون (والذي يعادل احتياجات شهرين الى ثلاثة اشهر) اذ ان كمياته اكبر بكثير من مقدار العجز الحاصل في الواردات . ولكن هذه الدول ، احتياطا للمستقبل وتحسبا لوضع اكثر تأزما وعدم المساس بالمخزون الذي له أهمية استراتيجية ، قررت اللجوء الى اجراءات التقشف والتوفير المعروفة . هذه الاجراءات التقشفية كان من شأنها ان تحقق وفرا يكفي لموازنة النقص الى حد بعيد ، والنقص الذي يتبقى ليست له أية آثار هامة في الاقتصاد ولم تحدث بالطبع أية مجاعة نفطية .

ثم زيدت نسبة التخفيض الى ٢٥ ٪ وزاد الذعر في الاوساط المعنية خوفا على المستقبل ولاحظنا تكثيف اجراءات التقشف ، ولكن من الواضح هنا أيضا انه لم تحدث مجاعة نفطية ، والمخزون النفطي ما زال قائما بشكل شبه كامل . ولو أن نسبة التخفيض البالغة ٢٥ ٪ بقيت سارية مدة أطول مع زيادتها خمسة بالمائة كل شهر لاختلف الوضع وأصبح تأثير الاجراءات بالفعل بالغ الضرر . وقد بدأ الخبراء والمسؤولون حينذاك يتكلمون عن الانكماش الاقتصادي الذي سيحدث لو طال هذا الوضع ويقدرون نسبه ومعدلاته والبطالة التي سيستتبعها . ولكن نسبة تخفيض الخمس وعشرين بالمائة لم تطل أكثر من شهرين ، وأمكن موازنة قسم كبير منها بالتوفير في الاستهلاك بنتيجة التقشف وبزيادة الواردات من المصادر الأخرى وزيادة انتاج مصادر الطاقة البديلة (مثل الفحم الحجري الذي يمثل بالنسبة لالمانيا الغربية مثلا حوالي ٥٠ ٪ من كميات الطاقة المستهلكة) .

لقد حددت نسبة التخفيض الان بخمس عشرة بالمائة . ولسنا بحاجة للتأكيد على أن من الواضح ان من الممكن موازنة قسم كبير من العجز الحاصل باجراءات تقشف معتدلة وغير مرهقة بالاضافة الى الوسائل الاخرى التي اشرنا اليها أعلاه ودون حاجة الى اللجوء للاحتياطي المخزون . ويقدر خبراء منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية بأنه « بالنسبة لمعظم البلدان المتصنعة — باستثناء اليابان — فان توفيرا في استهلاك النفط بنسبة ١٠ ٪ الى ١٥ ٪ يمكن أن يتم دون أن يؤثر ذلك بشكل ملموس على طاقات الانتاج »(١٩) .

على أن ضرورة الاستمرار في اجراءات التقشف والمضايقات والمتاعب المترتبة على ذلك من شأنها ان تبقي القضية حية في الاذهان وتكون لها قيمة الانذار بخطورة الوضع لو عدنا لزيادة التخفيض في صادراتنا النفطية نتيجة المماطلة الطويلة في ايجاد الحل المنشود . هذه الاجراءات التقشفية التي لا غنى عنها وهذه المضايقات كلها ستكون بمثابة عامل ضغط وتذكير للمسؤولين الغربيين وعامل تحريك دائم للقضية تحسبا لوضع أكثر خطورة وتأزما . لقد بلغت قيمة الانذار الذي حملته اجراءاتنا النفطية ذروتها حين رفعنا نسبة التخفيض الى ٢٥ ٪ مقرونة بزيادة ٥ ٪ كل شهر ، وبلغ الذعر حينذاك اقصاه . وفي اعتقادنا ان الدرس الذي وعاه المسؤولون الغربيون حينذاك لن ينسى بسهولة .

الا اننا نعتقد في النهاية ان نسبة التخفيض ينبغي ان لا تنقص عن ١٥ ٪ لان الاجراء يصبح حينذاك غير فعال بالشكل المطلوب .

*

هذا عرض لاثار اجراءاتنا النفطية على اوروبا الغربية ، فماذا كانت انعكاساته على مواقفها من قضيتنا ، وماذا كانت النتائج التي حصلنا عليها والفوائد التي جنيناها ؟

(١) لا شك اننا حققنا في ميدان الاعلام نتائج ايجابية ونجحنا في لفت النظر بشدة الى

قضيتنا وزيادة التوعية والتفهم لمختلف جوانبها وابقائها حية في الاذهان ، والاقتناع بضرورة ايجاد حل سريع وعادل لها .

(٢) خلال العمليات العسكرية لحرب رمضان كان من الواضح ان بلدان اوروبا الغربية قد حرصت بصورة عامة ، على المستوى الرسمي على الاقل (اذ أن الراي العام ما زال في قطاعات كبيرة منه متحيزا للصهيونية) — حرصت على التزام موقف الحياد وعدم مساندة العدو الاسرائيلي . وهنا يتبين الفارق الكبير بين هذه المواقف ومواقف اوروبا الغربية خلال حرب ١٩٦٧ . ولا شك أن البترول قد لعب دورا هاما بهذا الصدد .

(٣) تحسبا للاثار الضارة الكبيرة التي لا بد أن تصيب بلدان اوروبا الغربية لو استمر سلاح النفط قائما مدة طويلة لا سيما اذا تزايد التخفيض — فان هذه البلدان ما زالت تحرص بصورة عامة على تبني مواقف متوازنة ومعتدلة من قضية الصراع العربي — الاسرائيلي بعد أن كانت في معظمها متحيزة بشكل كبير للمواقف الاسرائيلية . وهذا في حد ذاته مكسب لا يستهان به .

وقد جاء البيان الذي صدر عن دول السوق الاوروبية المشتركة في ٦ نوفمبر الماضي — اي بعد يومين من قرار وزراء النفط العرب برفع نسبة التخفيض الى ٢٥ ٪ — جاء ليدعم هذا الاتجاه . والى جانب مطالبة هذا البيان لاسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة فانه يطالب كذلك بالاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وهذه نغمة جديدة لم نتعود سماعها من اوروبا الغربية . وكما قيل عند صدور هذا البيان ، فانه تفوح منه رائحة البترول . ويكفي للتدليل على اهميته النسبية ان نلاحظ مدى الاستياء الذي أحدثه في الاوساط الاسرائيلية والاوساط الصحفية الاوروبية الموالية لها والتي تعتبره بمثابة خضوع للابتزاز البترولي العربي كما تسميه .

ومن المؤكد ان هذه المواقف قد زادت من العزلة الدبلوماسية لاسرائيل في منطقة كانت تعتبر تقليديا بمثابة منطقة صديقة وحليفة لاسرائيل . وقد علقت جريدة لوموند الفرنسية (في عددها المؤرخ ٢٠/١٢/٧٣) على هذه المواقف واثارها على اسرائيل بقولها : « ان من نتائج حرب البترول انها خفضت الى الصفر العون الذي يمكن لاسرائيل ان تنتظره من أي بلد باستثناء الولايات المتحدة »(٢٠).

(٤) هذه المواقف الاوروبية المتوازنة والمواتية بشكل اكبر للقضية العربية ساهمت الى حد كبير في زعزعة وحدة العالم الغربي ضدنا وفي اثارة خلافات هامة بين بلدان اوروبا الغربية الاعضاء في حلف الاطلسي وبين الولايات المتحدة بشأن مواقفها من قضية الشرق الاوسط وجعلت بعض هذه البلدان تحاول الضغط ولو بشكل مخفف على الولايات المتحدة لحملها على اتخاذ مواقف اكثر اعتدالا وتحفظا واقل تطرفا وتحيزا لاسرائيل حتى لا يتفاقم الضرر على اوروبا الغربية من جراء الازمة النفطية التي تواجهها والتي من الممكن ان تأخذ في المستقبل ابعادا اكبر . وبذا نكون عن طريق أجراءاتنا النفطية قد أحدثنا ضغطا غير مباشر على الولايات المتحدة عن طريق حليفاتها الغربية ومن خلال الاضرار التي بدأت تصيب هذه الحلفاء والاضرار الاكبر التي قد تصيبها لو شددت اجراءاتنا النفطية وطالت فترة تطبيقها .

والخلاصة فيما يتعلق باجراءاتنا النفطية في مواجهة اوروبا الغربية ان هذه الاجراءات قد احدثت آثارا ملموسة وفرضت ضغطا لا يستهان به وحققت تبعا لذلك نتائج ايجابية اشرنا اليها أعلاه .

الا اننا لا بد ان **نعترف هنا بان الهدف الاساسي لاجراءاتنا النفطية وهو انسحاب اسرائيل لم يتحقق بعد .**

وينبغي ان نقرر كذلك بان ضغوط اوروبا الغربية على امريكا في هذا المجال لم تكن حتى الان بالقوة اللازمة ولم تؤد الى اية نتائج ملموسة على الموقف الامريكي المتحيز والمعادي للمصالح العربية .

كما أن ضغوط اوروبا الغربية على اسرائيل لم تكن بالقوة والفعالية اللازمة ونموذجها البارز الوحيد هو بيان الدول التسع في السوق الاوروبية المشتركة ، مع ان بيد اوروبا وسائل للضغط على اسرائيل وان لم تكن حاسمة الا ان لها تأثيرها الكبير . ومن نماذجها مثد رفع الحظر على تصدير الاسلحة المتطورة الى البلدان العربية في خط المواجهة وابقاء حظر شامل على تصديرها لاسرائيل وهو ما يعكس التفرقة في المعاملة بين المعتدي والمعتدى عليه ، وكذلك وقف جميع انواع المعونات المالية والاقتصادية والتكنولوجية بل وفرض نوع من المقاطعة الاقتصادية ... الخ .

وعلى ضوء ذلك فان اجراءاتنا النفطية يجب أن تستمر في مواجهة اوروبا الغربية في الوقت الحاضر وينبغي عدم ايقافها حتى تتحقق نتائج اكبر . لقد خففت اجراءاتنا في ٢٥ ديسمبر الماضي حين قرر وزراء النفط العرب تحديد نسبة التخفيض بـ ١٥ ٪ بدلا من ٢٥ ٪ ، ويعتقد البعض ان هذا التخفيف كان سابقا لاوانه وان كان من ناحية اخرى دليلا على المرونة والانطلاق من موقع المسؤولية نحو العالم . والمهم الان عدم التخفيف منها دون مستواها الحالي حتى لا تنعدم فعاليتها ، مع امكانية اعادة النظر فيها بشكل دوري كلما اقتضى الامر ذلك اما بتشديدها او التخفيف منها بالنسبة لبعض البلدان اذا ما اتخذت مواقف تجعلها جديرة بان تنتقل من فئة الدول المحايدة الى فئة الدول الصديقة . وينبغي كذلك مواصلة الرقابة الفعالة على تنفيذ اجراءاتنا النفطية لمنع التلاعب ، وبشكل خاص لمنع وصول نفطنا الى البلدان المقاطعة : الولايات المتحدة وهولندا ، والاستمرار في حملات الشرح والتوعية باهداف اجراءاتنا النفطية وبمختلف جوانب القضية العربية .

---

١ — انظر كتابنا ، **النفط العربي سلاح في خدمة قضايانا المصيرية** ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٣ ، صفحة ٥٢ والمراجع المذكورة في هامشها .

٢ — صبحي بلقاسم ، جريدة « **المجاهد** » الجزائرية (بالفرنسية) ، ٧٣/١١/٢٠ .

٣ — **المرجع السابق** .

٤ — OPEC, *Reviews of the Press*, 30 Nov. 1973.

٥ — صبحي بلقاسم ، **المرجع السابق** .

٦ — عن جريدة « **الشعب** » الجزائرية ، ٢٤ /٧٣/١١ .

٧ — عن جريدة « **الانوار** » البيروتية ، ٢٤ /٧٣/١٢ .

٨ — عن جريدة « **الشعب** » الجزائرية ، ٢٤ /٧٣/١١ .

٦ — **المرجع السابق** .

١٠ — جريدة **الانوار** البيروتية ، ٧٣/١٢/٢٤ .

١١ — صبحي بلقاسم ، جريدة « **المجاهد** » الجزائرية (بالفرنسية) ، ٧٣/١١/٢٧ .

١٢ — عن جريدة « **الشعب** » الجزائرية ، ٧٣/١١/٢٤ .

١٣ — انظر كتاب المؤلف : « **النفط العربي سلاح في خدمة قضايانا المصيرية** » الذي سبقت الاشارة اليه ، صفحة ٦٤ ، ٦٥ .

١٤ — *Petroleum Press Service*, Nov. 1973.

١٥ — مجلة *Afrique-Asie* عدد اخر ديسمبر ١٩٧٣ .

١٦ — مجلة « **نفط العرب** » ، عدد نوفمبر ١٩٧٣.

١٧ — *The Economist*, December 1, 1973

١٨ — **المرجع السابق** .

١٩ — *Le Monde*, 10/1/74

٢٠ — *Le Monde*, 20/12/74

نظرية الأمن الاسرائيلية في ضوء حرب ١٩٧٣

محمود عزمي

الان بعد أن صمتت مدافع حرب السادس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، وخفت حدة الانبهارات الاعلامية بالمنجزات التكتيكية المختلفة التي جرت خلالها ، مثل كفاءة وفاعلية الصواريخ سام ٦ الموجهة ضد الطائرات ، والصواريخ الموجهة ضد الدبابات التي استخدمها الطرفان، غدا من اللازم اعادة بحث مختلف عناصر وأركان الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية العامة ، التي اصطلح على تسميتها بنظرية الامن الاسرائيلية ، ومراجعة هذه النظرية على ضوء نتائج حرب ١٩٧٣ الاخيرة ، باعتبارها اول حرب حقيقية تختبر فيها هذه النظرية .

● أركان النظرية الاستراتيجية الاسرائيلية :

استهدفت الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية ، منذ نشأتها ، تحقيق الاهداف السياسية للمشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين والوطن العربي ، عن طريق الضربات التي تحقق انتصارات عسكرية يترتب عليها مكاسب اقليمية أو توسعات جديدة (كانت تتم بعد تأمين المناورة الخارجية اللازمة وبواسطة « مناورة الخرشوفة » أي القضم المتتابع) ثم تأمين هذه التوسعات والمكتسبات عن طريق اعمال الردع المحدودة او الشاملة ، لضمان تحويل هذه المكتسبات الى أمر واقع لا مناص من الاقرار به ، والتسليم بوجوده ، وبعدم جدوى الصراع من أجل تغييره .

وقد تبلورت عناصر او أركان هذه النظرية الاستراتيجية الاسرائيلية العامة بصورة واضحة متكاملة السمات في الفترة الواقعة بين حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ . ويمكن ان نوجزها في النقاط التالية :

● مبدأ التفوق والردع :

ضرورة تمتع اسرائيل بتفوق مطلق في قوتها العسكرية ، يقوم في الاساس على التفوق ، الذي هو محصلة تفوق كيفي وكمي معا ، سواء في الاسلحة والمعدات الحربية او في ارتفاع مستوى التدريب والتنظيم والقيادة، يتيح لها تعويض الاختلال الكمي الخطير في علاقات القوى بينها وبين الدول العربية المحيطة بها (مصر وسوريا والاردن والعراق أيضا) في معطيات القوة البشرية والموارد الاقتصادية والموقع الجغرافي — الاستراتيجي. وبحيث تكون هذه القوة العسكرية الاسرائيلية قادرة على توجيه الضربات الحاسمة (أي العمل) وقادرة في الوقت نفسه على منع عدوها من التفكير في الهجوم (اي الردع).

وقد عبر « ايغال آلون » عن هذا الهدف الاساسي ضمن أهداف نظرية الامن الاسرائيلية فقال « ان الجيش القادر على كسب الحرب هو وحده الجيش الذي يردع ، وان الامل في الردع لا يعتمد على القوة العسكرية وحدها ، ولكن على التأكد من ان هذه القوة ستستخدم في الوقت المناسب وبطريقة حاسمة »(١) . كما عبر الجنرال « دافيد اليعازر » عن الفكرة نفسها في معرض حديث ادلى به في ١٩٧٢/٩/٦ بصدد « خطط

تطوير الجيش الاسرائيلي خلال السنوات العشر المقبلة » فقال « اننا بحاجة الى جيش قوي ، اولا وقبل كل شيء للحيلولة دون نشوب حرب . أي لجعل زعماء العرب والشعوب العربية يدركون انه ليس ثمة احتمال للتوصل الى حل ما في ساحة القتال . . . وسنكون بحاجة الى جيش قوي ولو توصلنا ذات يوم الى تسوية ما ، للحيلولة دون ان تسول لاي شخص نفسه بخرق التسويات . . . واذا لم تتحقق التسوية ، فنحن بحاجة الى جيش قوي كي ننتصر اذا نشبت الحرب »(٢) .

وعاد « ايغال آلون » يؤكد الفكرة ذاتها بعد تحقيق الجيش الاسرائيلي للنصر الخاطف في حرب ١٩٦٧ ، فقال : « يتعين على قوات الدفاع الاسرائيلية ان تجهز نفسها بالاسلحة الحديثة ، دون احداث أية تغييرات جذرية في نظرياتها ، وان تستخدم قواتها وفقا للظروف الاستراتيجية التي خلقتها الاراضي الجديدة ، ومناطق الضعف الواضحة في تنظيم العدو لقواته . ان هدف هذه القوات الصريح والمعلن هو ردع العدو عن بدء حرب جديدة . واذا قامت الحرب رغم ذلك ، تضمن النصر الاسرائيلي بأكبر قدر من السرعة والكفاءة ، مع أقل قدر من الخسائر في الارواح »(٣) .

وقد راهنت اسرائيل بصدد مسألة تفوقها العسكري واستمراره على تمتعها بالتفوق التقني بالنسبة للدول العربية ، واعتبرته ركنا أساسيا من اركان ضمان هذا التفوق، مضافا الى نوعية السلاح الذي تحصل عليه (خاصة في الطيران) ، ونوعية القيادة والتنظيم والتدريب . وعبر عن هذا الجانب الهام من جوانب ضمان التفوق العسكري الاسرائيلي الجنرال « يغال يادين » رئيس الاركان الاسبق بقوله « ليس عندي شك، في انه بالنسبة الى كل ما يتعلق بالقوة الفنية المرتبطة باستخدام الاسلحة ، سوف يكون لاسرائيل التفوق على العرب فترة طويلة ، وان كان علينا في هذا المجال ان نأخذ في الاعتبار ان الدول العربية سوف تتقدم ، وان الفارق الموجود اليوم سوف يقل »(٤) .

وبطبيعة الحال كانت القوى الامبريالية العالمية ، بريطانيا وفرنسا سابقا ، ثم المانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية بعد ذلك ، تقف وراء المجهود الاسرائيلي في هذا الصدد بكل قواها الصناعية والعلمية والتقنية .

- **مبدأ الحرب الخاطفة :**

ان وجود اسرائيل بين دول عربية تحيط بها من الشمال والشرق والجنوب جعل مخططي نظرية الامن الاسرائيلية يرون ان « هذا الوضع الجغرافي ـــ الاستراتيجي قد يغري واضعي الاستراتيجية العرب بأن يفكروا ، كما فعلوا في عام ١٩٤٨ ، في هجوم يشن ضد اسرائيل من اتجاهات مختلفة في وقت واحد ، بهدف دفعها الى توزيعها قواتها، وحرمانها من المبادرة »(٥) كما يقول « ايغال آلون » ، لذا كان لا بد لنظرية الامن الاسرائيلية ان تضع في اعتبارها ضرورة توفر القدرة على القتال على عدة جبهات في الوقت نفسه ، على أساس الافادة من ميزات الحركة على الخطوط الداخلية ، ونقل القوات بسرعة من جبهة لاخرى ، مع تركيز الهجوم الرئيسي على جبهة من الجبهات يرى بأن الوضع يتطلب البدء بالتوجه نحوها في المرحلة القتالية المعينة وفقا للظروف الاستراتيجية العسكرية التي يجري القتال في ظلها ، وتجميد الجبهات الاخرى مؤقتا بمواقف دفاعية أساسا ، حتى يتم تأمين الاوضاع في الجبهة الاولى ، ثم الانتقال الى جبهة اخرى (كانت الجبهة المصرية في بداية العمليات الحربية في حرب ١٩٦٧ محل تركيز الجهد الهجومي نظرا لكثافة الحشود المصرية وقوتها واقترابها الشديد من صحراء النقب وميناء ايلات ، على حين أصبحت هذه الجبهة في بداية حرب ١٩٧٣ محل تركيز الجهد الدفاعي لحين انتهاء الهجوم المضاد على جبهة الجولان ، نظرا للخطورة العاجلة

للهجوم السوري على مناطق سهل الحولة ووادي بيسان ، وهنا شكل عمق سيناء الصحراوي مخفف صدمة ملائم أعطى القيادة الاسرائيلية الفرصة اللازمة لكي تركز جهودها الهجومية في الشمال) .

وفرض هذا بطبيعة الحال ضرورة الحرب السريعة بالنسبة للقوات الاسرائيلية التي قد تصل الى « الحرب الخاطفة » ، في ظروف معينة ، باعتبار انها ارقى أشكال حرب الحركة . ومن ثم ضرورة التركيز على سلاحي الطيران والمدرعات باعتبارهما أداة الحرب الخاطفة الاساسية ، وباعتبار ان سلاح الطيران بالاضافة الى ذلك يشكل بالنسبة الى اسرائيل الاحتياطي الضارب الرئيسي الذي يمكن نقل جهده بسرعة من جبهة لاخرى تحت قيادة مركزية واحدة . وقد زاد من ضرورة حرب الحركة السريعة الخاطفة (قبل حرب ١٩٦٧) افتقاد اسرائيل للعمق الاستراتيجي المناسب لاتباع مناورات استراتيجية اخرى مثل الدفاع الاستراتيجي الذي يعقبه هجوم مضاد، وخطورة الآثار المادية والاقتصادية والنفسية التي يمكن ان تلحق بكيان اسرائيل اذا ما دارت المعارك الرئيسية لاي حرب تخوضها داخل رقعة الارض المحددة بقرار التقسيم ونتائج حرب ١٩٤٨، ومن ثم كان لا بد لنظرية الامن الاسرائيلية ان تتبنى أسلوب حرب الحركة السريعة الخاطفة ، لنقل المعارك الكبيرة والحاسمة الى ارض الدول العربية منذ الساعات والايام الاولى من القتال . هذا فضلا عن ملاءمة أسلوب الحرب الخاطفة بصفة عامة لتطبيق استراتيجية الخرشوفة التوسعية التي تستهدف فرض حالة من (الامر الواقع) الجديد في كل مرة ، بأقل قدر من المخاطر والخسائر .

- **مبدأ الهجوم المضاد الاجهاضي :**

ولتوفير افضل الظروف الملائمة لاستثمار التفوق العسكري ، ولنجاح « الحرب الخاطفة » وتحقيق « مناورة الخرشوفة » ، ولتوفير القدرة الفعالة للقتال على عدة جبهات ، تبنت النظرية الامنية الاسرائيلية مبدأ « الحرب المباغتة » التي أطلقت عليها اسم « الهجوم المضاد الاجهاضي » حتى تكسبها شرعية دولية بتصويرها أنها مجرد رد فعل لتأهب العرب لهجوم يزمعون القيام به ! وعلى هذا الاساس أعطت لعدوان ١٩٥٦ وعدوان ١٩٦٧ طابع الشرعية المزيفة ، واظهرتها وكأنها هجمات ضرورية لمنع هجوم العرب ! واحتل « الهجوم المضاد الاجهاضي » ركنا جوهريا هاما في النظرية الاستراتيجية الاسرائيلية سواء كأسلوب رئيسي للعمل او للردع . وأكدت نتائج حرب ١٩٦٧ صحة هذا المبدأ الاستراتيجي وملاءمته لاهداف السياسة العدوانية الاسرائيلية . ولذلك قال « آلون » عقب هذه الحرب « قبل ان تتحقق الظروف التي تلغي كل امكانية نشوب حرب كبيرة ، فان على اسرائيل ان تواصل الاحتفاظ بيدها بالحق التقليدي والقدرة التنفيذية للقيام بهجوم مضاد ومسبق في مواجهة هجوم يحتمل وقوعه وتجري الاستعدادات لتنفيذه »(٦) .

- **مبدأ الحرب القصيرة :**

فرض عامل النقص النسبي في القوى البشرية ، وعامل ضعف الموارد المادية والاقتصادية المحلية ، استحالة لجوء الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية الى أسلوب الحرب طويلة الامد (فضلا عن عدم ملاءمة هذا الاسلوب لمناورة الخرشوفة ، وللمتطلبات المعنوية والسياسية اللازمة للاستمرار في تدعيم الكيان العنصري للدولة الصهيونية ، عن طريق جذب رؤوس الاموال وتشجيع الهجرة اليهودية اليها الخ . . .) واستحالة الاعتماد على التفوق العددي او الكمي للقوات المسلحة في القتال ضد الدول العربية . ومن ثم كانت « الحرب القصيرة » و « الجيش العامل الصغير العدد نسبيا » و « القوات

الاحتياطية الكبيرة » التي يسهل تعبئتها بسرعة ، كانت كلها عناصر اساسية لا غنى عنها لنظرية الامن الاستراتيجي لاسرائيل . وهكذا نجد ان مبدأ « الاقتصاد بالقوى » يحتل مكان الصدارة في الاستراتيجية الاسرائيلية سواء في الاعداد والتنظيم (تفوق نوعي في المعدات والافراد والتقنية) ، او تحديد حجم القوات المسلحة العاملة ، او في اختيار أساليب القتال (حرب مباغتة سريعة الحركة خاطفة) ، او في تخطيط العمليات الحربية في ساحات المعارك نفسها (استراتيجية « التقرب غير المباشر » التي تقوم على اساس تلمس واستثمار خط التقدم الاقل توقعا وليس على أساس البحث دائما عن المعارك ومواجهة الخصم في اختبار مباشر للقوة في معركة حاسمة ، الخ ...) .

وقد دعمت نتائج حرب ١٩٦٧ من نظرية الحرب القصيرة هذه ، وجذبت اليها اهتمام الفكر العسكري الامبريالي العالمي ، وخاصة الامريكي منه ، باعتبار انها تجربة رائدة تصلح كنموذج لتنفيذ سياسة الحروب المحدودة العدوانية ، ولتشكيل جيوش الـــدول الحليفة والتابعة بنفقات قليلة نسبيا ، ولذلك نجد كاتبا عسكريا امريكيا يدعى « كينيث بروور » يكتب مقالا في مايو ١٩٧٣ بالمجلة العسكرية الامريكية عن « انظمة دفاع الحرب القصيرة » يقول فيه « طورت دولة وحيدة ، هي اسرائيل ، نظام دفاع لا يشبه أي نظام من أنظمة القوى الكبرى ، وهذا النظام مبني على نظرية دفاع الحرب القصيرة . وتسمح نظرية الحرب القصيرة لبلد صغير ان يرفع امكاناته الدفاعية الى مستوى ملحوظ بتكاليف منخفضة نسبيا ... فلدى اسرائيل مثلا الان الوية مدرعة اكثر من أية دولة حليفة للعالم الغربي . وتستطيع القيام بـــ ٢٥٠٠٠ طلعة بقاذفات نفاثة (بطائرات ذات نوعية ممتازة) في الاسبوع ، هذا مع انها تنفق ١٫٥ مليار دولار في السنة ... وبالمقارنة ، تنفق المانيا الغربية ٥ أضعاف ما تنفقه اسرائيل، ولها ثلثي الالوية المدرعة التي لاسرائيل، والتي يمكن اعتبارها مقاتلة عاملة ، وتستطيع ان تحقق نصف ما تحققه اسرائيل من الطلعات الجوية في اسبوع ... ان نظرية الحرب القصيرة تعطي الدول الاصغر دائما امكانية اختيار اسلوب الاستيلاء على اراضي غيرها اذا ما استغلت بشكل جيد ... ان نظرية الحرب القصيرة ما زالت صالحة للاستخدام ، وباعثها الحديث هو يغال يادين ، واسرائيل هي مثال حي على ذلك ، ويجب ان تدرس بكل عمق تعقيداتها الاستراتيجية بالنسبة لقوات دفاع العالم »(٧).

● مبدأ الاعتماد على القوة الذاتية :

وبالاضافة الى ما تقدم من عناصر واركان نظرية الامن الاسرائيلية فقـــد حاولت اسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ وما بعدها من سنوات ان تكون قوتها العسكرية وأساليبها الاستراتيجية والتكتيكية قادرة على « ان تضطلع بالمهمة بنفسها دون اية مســـــاعدة عسكرية من الخارج »(٨) كما يقول «آلون» وذلك لانه في الوقت «الذي تقدر فيه اسرائيل صداقة دول بعينها ، وحسن نواياها ، فانه ينبغي الا ندع بحال من الاحوال وجودها يعتمد عسكريا على أية ضمانات من الخارج . وذلك لان ... هذا سوف يتضمن اعتمادا يؤدي الى املاء سياسي لاساليب ووسائل حل النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، بصورة قد تكون في صالح اعدائنا ... ولان القوة الضامنة قد لا تكون بالضرورة متفقة معنا دائما في تقييم الحالة الفعلية للامور ... ولان نتيجة الحرب في أيامنا وفي عصرنا تتقرر في الايام القليلة الاولى ، بل وفي الساعات الاولى احيانا ، وبالتالي فان مساعدة حلفائنا قد تأتي متأخرة ومن ثم لن تجدي فتيلا ... واخيرا لاننا نعيش في عالم يقتضي ان يضطلع كل فرد بمسؤوليته ، وان استمرار وجود دولتنا انما يعتمد على قدرتنا في الدفاع عن انفسنا دون الالتجاء الى مساعدة عسكرية من الخارج ، باستثناء تزويدنا بالمعدات الحربية »(٩).
بهذه الكلمات حدد « آلون » أهمية قيام المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بدورها في

التوسع والردع بقواها الذاتية المحلية قدر الامكان ، وبأكثر قدر ممكن من الاستقلالية الشكلية عن المؤسسات العسكرية الامبريالية الاصلية . وذلك لان اسرائيل يهمها ان تقوم بدور الشريك الصغير ، لا بدور التابع العميل للامبريالية الامريكية في المنطقة ، ونجاحها في هذا الدور يتطلب الا تشكل عبئا سياسيا وعسكريا اضافيا على الولايات المتحدة ، مثلما تشكل الانظمة العميلة والتابعة في كوريا الجنوبية ، وفيتنام الجنوبية وكامبوديا ،... الخ . وقد عبر « آلون » عن ذلك الهدف السياسي لاسرائيل فقال « ان وجود دولة اسرائيل مستقلة قوية في قلب الشرق الاوسط ، وعلى شاطىء البحر المتوسط ، اصبح في صالح امريكا . ويمكن القول ان وجود الوضع الراهن في الشرق الاوسط مهم جدا بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ، بل استطيع ان اقول انه لا يقل اهمية بالنسبة اليها عن الوضع الراهن في جنوب شرق آسيا .. بل اؤكد انه اكثر اهمية . ففي الوقت الذي تحس فيه الولايات المتحدة أنها مضطرة لبذل جهد كبير لضمان استمرار ووجود وقيام حالة وضع راهن غير مستقر هناك .. تستطيع اسرائيل ان تدافع عن وجودها بقوتها الذاتية ، شريطة الا تسلب حق تزويدها بوسائل القتال . وتعتبر قدرة التزويد هذه كسبا كبيرا في المجال العالمي »(١٠).

والخلاصة ان النظرية الاستراتيجية الاسرائيلية التي وضعت لتحقيق الاهداف التوسعية للدولة الصهيونية ، وتأمينها عن طريق استخدام مخطط دقيق لاساليب « العمل » و« الردع » على مختلف مستوياتهما ، وبالمحافظة على سلامة ايقاع الحركة الجدلية بينهما، قد استندت نتيجة للظروف الجغرافية والسياسية والبشرية والاقتصادية المؤثرة في علاقات القوى العسكرية بينها وبين الشعوب العربية ، الى تحقيق تفوق عسكري يستخدم في حرب مباغتة وقائية خاطفة قصيرة يتم خلالها نقل المعارك الى الارض العربية بسرعة ، والقتال على عدة جبهات في وقت واحد مع استخدام الحركة على الخطوط الداخلية ، واختيار الجبهة الملائمة للهجوم ، وتثبيت الجبهات الاخرى بدفاع ديناميكي (يستند الى شبكة الدفاع الاقليمي او خطوط دفاعية ثابتة) يسانده الاحتياطي الجوي المتحرك على كل الجبهات ، وذلك بواسطة قوات مسلحة مشكلة من جيش نظامي عامل صغير نسبيا ، وقوات احتياطية كبيرة يمكن تعبئتها بسرعة ، وتكون قادرة على أداء مهامها دون الحاجة الى طلب معونة عسكرية خارجية مباشرة اثناء العمليات الحربية .

ومن اجل تنفيذ هذه المهام الاستراتيجية العسكرية فقد جرى اعداد القوات المسلحة الاسرائيلية بحيث تكون في الاساس قوة هجومية ، تعتمد على الحركة السريعة وقوة النيران ، لتعوض النقص في الكم الذي قد تواجهه في صدامها مع الجيوش العربية ، ولتركز ضرباتها في اقصر زمن ممكن . ولذلك طور الاسرائيليون السلاح الجوي بحيث يكون قادرا على القتال بمرونة ، وعلى توفير قوة نيران كبيرة ، وبقاء أطول في الجو ، وعدد طلعات اكبر ، وبذلك يؤدي مهمته القتالية بكفاءة ويتفوق على تفوق العرب الكمي في عدد الطائرات . وطوروا سلاح المدرعات بحيث تتوفر له قوة نيران كبيرة ، وقدرة على الحركة والمناورة في العمق العملياتي ، بمساعدة سلاح مدفعية محدود ذاتي الحركة ، وسلاح مشاة محدود ميكانيكي او محمول جوا ، بالاضافة الى الوحدات المساعدة اللازمة الاخرى .

● نتائج اختبار حرب ١٩٧٣ :

كانت هزيمة حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حافزا قويا للجيشين المصري والسوري لتطوير أساليب قتالهما ، بقدر ما كان النصر الاسرائيلي الخاطف في هذه الحرب دافعا قويا لدى القيادة الاسرائيلية العليا السياسية والعسكرية لتجميد نظرية الامن (اي

الاستراتيجية) ، وأساليب القتال (اي التكتيك) ، التي تبلورت وتطورت في فترة ما بين حربي ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، نظرا لان النتائج السريعة التي حققتها الحرب بدت وكأنها تأكيد مطلق لصحة ودقة وكفاءة هذه النظرية وتلك الاساليب القتالية .

وجاءت حرب الاستنزاف ١٩٦٨ — ١٩٧٠ ، بكل ما تحملته مصر فيها من خسائر بشرية ومادية واقتصادية ، فرصة عملية لتخطي الجيش المصري حاجز الرهبة الوهمي الذي اقامته هزيمة ٦٧ في نفوس مقاتليه ، ولاختبار بعض تكتيكاته القتالية وتطويرها وخاصة في مجال استخدام المدفعية بكثافة وتركيز للنيران (قصف خط بارليف الذي بدأ في ٨ مارس ١٩٦٩) . واغارات الوحدات الخاصة (المظليين المحمولين بطائرات الهليكوبتر والضفادع البشرية) عبر القناة وفي عمق سيناء حتى ميناء ايلات . وتكتيكات الدفاع الجوي (شبكة صواريخ سام ٢ و٣ التي كادت ان تحطم اسطورة الفانتوم وقتئذ) .

كما كانت في الوقت نفسه عاملا قويا مساعدا على مزيد من تجميد اساليب القتال الاسرائيلية ، رغم التحديثات التقنية التي ادخلت على سلاح الجو الاسرائيلي (المتمثلة في طائرات الفانتوم ، واستخدام صواريخ شرايك المضادة للصواريخ ، واجهزة التشويش الالكتروني المضادة لمحطات الرادار وبطاريات الصواريخ) وبعض الخبرات التي حققتها الوحدات الخاصة الاسرائيلية في عمليات الردع المختلفة التي تمثلت في الاغارات على « رادار رأس غارب » و« جزيرة شدوان » واغارات الازعاج التي جرت في عمق مصر العليا (عمليات « نجع حمادي » و« أدفو » الخ) . وذلك نظرا لانها دعمت الى حد بعيد اسطورة قوة الردع المطلقة لسلاح الجو الاسرائيلي لدى القيادة الاسرائيلية العليا، بالاضافة لما رسخته خبرة حرب ١٩٦٧ (التي جرت في ظروف شديدة الخصوصية بالنسبة لرد الفعل المضاد) من ايمان مطلق لدى هذه القيادة بدور الدبابات كخيالة خفيفة قادرة بمفردها (أي بدون مشاة ميكانيكية كافية ، او مدفعية ذاتية الحركة ، وبدعم جوي تكتيكي مباشر يفترض سيطرة جوية كبيرة او مطلقة) على الانطلاق في حرب حركة خاطفة داخل العمق العربي العملياتي والاستراتيجي .

وقد تجلى هذا الجمود واضحا في تصريح ادلى به « دافيد اليعازر » يوم ٧٢/٩/٦ في حديث له عن توزيع المخصصات المالية لبناء القوة العسكرية الاسرائيلية وفقا لخطة خمسية اذ قال « ان اسلوب الافضليات في بناء القوة الذي صمد في اختبار السنوات الاخيرة لن يتغير . هناك قوتا حسم : سلاحا الجو والمدرعات . وفي اطارهما تعطى الافضلية للطائرات والدبابات »(١١) ثم نشبت حرب ٦ تشرين الاول (أكتوبر) ، واستمرت ١٨ يوما دارت خلالها معارك في كلتا الجبهتين المصرية والسورية ، وأحدثت في تقديرنا الاثار التالية في اركان او عناصر نظرية الامن الاسرائيلية :

● انهيار مبدأ التفوق المطلق :

في ١٩٧٣/٦/٥ بمناسبة الذكرى السادسة للانتصار الاسرائيلي الخاطف في حرب ١٩٦٧ ، كتب المعلق العسكري لصحيفة هآرتس « زئيف شيف » يقول « ان التقدير [السائد في اسرائيل] هو أن القدرة العربية لن تتغير بصورة أساسية ، وما لم تساند العرب قوات محاربة لدولة اجنبية كبرى ، وما دمنا نتمتع بالغلاف الجغرافي الذي يقينا ... فلا خوف من أن يتمكن العرب من هزم اسرائيل »(١٢).

وعقب انتهاء حرب ١٩٧٣ قال « موشي ديان » في محاضرة القاها في تل ابيب ، نقلت هآرتس في ١٩٧٣/١٢/٣ فقرات عنها ، انني ، كوزير للدفاع لم اقوّم فعالية القدرة القتالية عند العرب ، على الرغم من معرفتي بنوعية الاسلحة التي يملكونها وكميتها ، والجسور التي جهزت لعبور القناة ... صحيح اننا لم نتوقع سلفا ، قبل اسبوع او

اسبوعين من يوم الغفران ، ان يشن العرب هجوما كبيرا علينا . ولكن شاهدنا الغيوم المتجمعة ، وزدنا القوات المدرعة في الجبهتين الشمالية والجنوبية ، باحجام ، قدرت سلفا ـــ أنا والجيش ـــ بأنها لازمة للصمود حتى يتم تجنيد الاحتياط في جبهة القنـــاة وهضبة الجولان . وافترضنا ان بامكان هذه القوات صد الهجوم العربي حتـــى تجنيد الاحتياط ... لم يكن هناك اهمال او لامبـــالاة ، وان كتلة كبيرة من ٢٠٠٠ دبابة في الشمال ، و ٢٥٠٠ دبابة في الجبهة المصرية ، وقوات مساعدة اخرى ، كـــانت تفـــوق كثيرا ما قدرت سلفا »(١٣) .

وهكذا ثبت ان مسألة التفوق الاسرائيلي الكيفي في القوى العسكرية القادرة على الحاق الهزيمة بالعرب فور محاولتهم الهجوم على اسرائيل ليست اكثر من اسطورة خلقتها اجهزة الدعاية الصهيونية عام ١٩٦٧ . وان شرط تحققها الرئيسي هو استعداد العرب المسبق للهزيمة لاسباب تتصل بأخطاء في استراتيجيتهم العليا. فلقد كان المفروض ان تلحق القوات العاملة الاسرائيلية بمساندة الطيران الهزيمة بالجيوش العربية فور قيامها بالهجوم، او على الاقل تستطيع ان تصد اندفاعها ريثما تتم تعبئة الاحتياط. وكان المفروض أن يتمكن الاحتياطي مع القوات العاملة فور اتمام التعبئة من تحطيم الجيوش العربية، كما كان يتصور القادة الاسرائيليون طوال السنوات الست التي انقضت بين حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ . ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، حتى بعد نجاح « شارون » في احداث « ثغرة الدفرسوار » ، وتطويق الجيش المصري الثالث (وهي عمليات تمت في ظل ظروف خاصة لا مجال لتناولها في دراستنا هذه ولا تعكس في رأينا استمرار عنصر التفوق العسكري الاسرائيلي بالصورة التي تستند اليها نظرية الأمن الاسرائيلية) الامر الذي اضطر معه الكاتب العسكري الاسرائيلي المعروف « شبتاي طيفت » (مؤلف كتاب دبابات تموز) ان يقول في يوم ١٩٧٣/١٠/٢٣ معلقا على وقف اطلاق النار في يـــوم ٧٣/١٠/٢٢ ومغزاه العسكري « أكد وقف اطلاق النار في هذا الموعد حقيقة ان جيش اسرائيل لم يستطع تدمير جيشي مصر وسوريا ، ان هذا الامر ملموس أكثر في الجبهة المصرية ... ولكن الحقيقة هي انه حتى دون وقف اطلاق النار الان ، من المشكوك فيه ان جيش اسرائيل كان سينجح في تدمير الجيش المصري . فمن اجـــل تحقيق تدمـــير الجيش العربي في وقت قصير ، كان جيش اسرائيل يحتاج الى قوات اكبر مما عنده ، بينما مـــن أجل تحقيق الهدف بالمعطيات القائمة ، كان يحتاج الـــى حـــرب طويلـــة ومضنية »(١٤) .

وقد كتب العقيد (احتياط) يوسف نيفو مقالا بصحيفة « يديعوت أحرونوت » . مؤكدا الحقيقة نفسها بمزيد من الوضوح فقال : « يبدو للوهلة الاولـــى وكـــأن المذهب [العسكري الاسرائيلي] قد صمد في الامتحان بالفعل . ان المصريين والسوريين لم يقطعوا شوطا بعيدا في تقدمهم ، وقد صدوا عندما تم تجنيد الاحتياط ، وانتقل الجيش الاسرائيلي الى الهجوم المتدرج في الجبهتين واحرز الانتصار فيهما . ولكن عندما نمعن النظر فيما حدث في جبهة السويس وفي الجدول الزمني في مرحلة الصد ، يثار شك كبير حول ما اذا كان هذا هو بالفعل الدرس الذي ينبغي علينا استنتاجه .

في نهاية اليوم الثاني للحرب تغلب الجيش المصري على قوات الصد التابعة لنا . لقد تكبدنا خسائر كبيرة ، حيث اخرجت عن العمل اعداد كبيرة جدا من الدبابات ، ولم يكن بوسع قواتنا المتبقية الصمود في وجه الفرق المصرية التي استمرت في عبور القناة شرقا .

ان واقع عدم استمرار الجيش المصري في تقدمه ، يعود ، في هذه الحالة ، الى خطأ هو بمقدار اكثر مما يعود الى القدرة التي ابديناها . في ذلك الوقت لم تكن القـــوات الرئيسية للاحتياط قد وصلت بعد . واكثر من ذلك ، فقد وصلت قوات الاحتياط الـــى

الجبهة قبل وقت طويل ، حوالي يوم كامل ، مـــن الموعد المخطط في مذهب الاستخدام لجيش الدفاع الاسرائيلي . لقد تجندوا بسرعة قصوى ، واختصروا اجراءات التزود ، وتحركت الدبابات نحو الجبهة بجنازيرها ، وبالرغم من ذلك ، لم تصل في الوقت اللازم لصد المصريين بالقرب من القناة ، لو ان هؤلاء اختاروا التقدم بدلا من التوقف » .

ولم يقتصر الفشل في المذهب العسكري الاسرائيلي المستند الى مسألة التفوق الكيفي على الجبهة المصرية ، التي قد تعتبر بعيدة نسبيا عن مراكز تجميع قوات الاحتياط داخل اسرائيل ، وانما تعدى الفشل مسألة البعد الجغرافي ، وتجلى ايضا في الجبهة السورية القريبة للغاية من قلب اسرائيل، وقد اشار العقيد « نيفو » الى هذا الفشل فقال في مقاله المذكور « ان الدبابات السورية وصلت في اليوم الثاني من الحرب الى السفوح الصخرية المتحدة الى نهر الاردن تقريبا ، وفتح أمامها امكان التقدم ونقل الحرب الـــى أراضي دولة اسرائيل وحقيقة ان ذلك لم يتم في تلك المرحلة ، ليست ناجمة في الاساس عـــن قدرتنا ، وانما عن خطئهم هم »(١٦).

● انهيار مبدأ الردع :

عقب الاغارة الاجرامية التي قامت بها وحـــدة خاصة اســـرائيلية عـــلى مساكن بعض قادة الثورة الفلسطينية ، وبعض مكاتبها ببيروت وضواحيها في فجر يوم ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٦٧ ، أخذ قادة اسرائيل السياسيين والعسكريين يفاخرون بقـــدرة الردع الاسرائيلية و« الذراع الطويلة للجيش الاسرائيلي » القادرة على الوصول الى اعداء اسرائيل في أي مكان يكونون فيه (تصريحات جولدا مئير ودافيد اليعازر الخ) . وقد كتب « زئيف شيف » بعد العملية بيومين مقالا في هآرتس علق فيه على الاغارة المذكورة فقال « ينبغي النظر الى عملية بيروت فجر العاشر من نيسان ، في اطار عمليات الهجوم العميقة المدى التي نفذت في الشهر الماضي ضد قواعد المخربين [الفدائيين] قرب طرابلس على بعد ١٨٠ كيلومترا من حدود اسرائيـــل . ان المنفذين في طرابلس وبيروت يمثلون التغيير الاستراتيجـــي في نهج اسرائيـــل .. لقد فتح جيش اسرائيـــل صفحة جديدة في عملياته . انها دون شك صفحة جديدة للمخربين [الفدائيين] ، ولكن ليس لهم وحدهم ، اذ انه سيكون هناك ، في الدول العربية ، من يدرك طبعـــا الدلالة العملية للهجومين الاخيرين »(١٧).

لقد كانت هذه العمليات الاسرائيلية الارهابية ، بالاضافة لعملية الكمين الجوي الذي دبره الطيران الاسرائيلي لبعض الطائرات السورية يوم ٧٣/٩/١٣ فوق البحر الابيض المتوسط شمال لبنان ، تمثل قمة مد سياسة الردع التي مارستها اسرائيل منذ انتصارها في حرب ١٩٦٧ ، لتدعم الاثر المعنوي لقوتها وتفوقها العسكري ، ولتؤمن تكامل العمل والردع . وجاءت حرب ١٩٧٣ محطمة اسطورة الردع الاسرائيلي ، نظرا لان القـــوة الاسرائيلية المتفوقة والرادعة المزعومة ، لم تستطع في نهاية الامر ان تمنع القيـــادة السياسية المصرية والسورية من اتخاذ قرار الحرب المحدودة ووضعه موضع التطبيق، ولم تستطع ان تحول نتائج هذه الحرب الى تأثير رادع كما تم عام ١٩٦٧ . ولذلك انزعج ممثلو الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي المقتنعين بأهمية عنصر الردع في نظرية الامـــن الاسرائيلية خلال الايام الاولى من حرب تشرين ، وكتب احدهم ، وهو «دان شفيطان» ، يقول في صحيفة هآرتس في يوم ٧٣/١٠/٩ « بادرت مصر وسوريا الى الحرب لانهمـــا اعتقدتا ان بامكانهما تحمل الثمن الذي وضعته اسرائيل . لذلك يجب ان يكون هدف اسرائيل من الحرب تحصيل ثمن لا يستطيع العرب تحمله .. ومن اجل ذلك ، فـــان هزيمة القوات المهاجمة او اصابة الجهاز العسكري اصابة كبيرة لا تكفيان ، وعلـــى اسرائيل ان تسعى لاكثر من ذلك بكثير .. ان احدى الطرق للوصول الـــى اثر كهذا،

هي التوجه نحو تدمير منهجي للقاعدة الصناعية ووسائل النقل ، وضرب أماكن استغلال الثروات الطبيعية ... ان اية نتيجة لهذه الحرب لا تكون بمثابة فشل ذريع للعرب ، ستكون بمثابة انجاز من وجهة نظرهم . وعندئذ نزرع بذور حرب اخرى مهما كان وضع علاقات القوى ... وسيكون لهذا كله ايضا مفعول في المدى البعيد ضد اسرائيل »(١٨).

ولكن الجيش الاسرائيلي لم يستطع ان يهزم الجيوش العربية او يقضي عليها ، كما لم يستطع الطيران الاسرائيلي (رغم قصف مصفاة البترول في حمص ، واللاذقية ، وبانياس وطرطوس وبورسعيد) ان يدمر القاعدة الصناعية في كل من مصر وسوريا، بل لقد سخر بعض الكتاب الاسرائيليين من هذه الافكار فكتب اللواء الاحتياطي «متتياهو بيليد» مقالا في « معاريف » يوم ١٩٧٣/١٠/١٩ يقول فيه : « عندما يكون المقصود العلاقات بيننا وبين مصر ، التي يبلغ تعداد شعبها اكثر من ٣٠ مليون نسمة ، فأن كل كلام عن تدمير قاعدة مصر الاقتصادية ما هو الا شهادة على فقدان الحواس... هل هناك من يفترض اننا نستطيع ان نحصل على المعدات الوفيرة والثمينة جدا والمطلوبة بكميات كبيرة ، كي ندمر ونحطم البنية الاقتصادية لشعب ما في منطقتنا ؟ »(١٩). واستخلص « شبتاي طيفت » درسا اساسيا من حرب تشرين مؤداه ان الجيش الاسرائيلي لم يملك قوة ردع في اي وقت ، حيث قال في مقال له بهآرتس يوم ٧٣/١١/٨ معلقا على تصريح للجنرال شارون قال فيه : ان احد المكاسب التي حققها المصريون ، هو اضرارهم الى حد ما ، بقوة الردع الاسرائيلية « ان الجيش الاسرائيلي لم يحقق ابدا اية قوة ردع بالنسبة الى العرب ، وانما على العكس : كلما كانت ضرباته قوية قويت الرغبة في افئدة العرب لتنمية قوتهم ومنازلتنا من جديد ، وانه من الافضل للجيش الاسرائيلي عدم البحث عن قوة الردع ... وان ما يجب ان يبحث عنه هو اليقظة الدائمة »(٢٠).

وهكذا تحطمت فرضية نظرية الامن الاسرائيلية التي عبر عنها « آلون » بقوله ان هدف القوات الاسرائيلية « الصريح والمعلن هو ردع العدو عن بدء حرب جديدة » !

- **نهاية الحرب الخاطفة :**

ـــ كشف كتاب صدر مؤخرا في اسرائيل أصدرته مجموعة من الصحفيين الذين سبق لهم تناول الموضوعات العسكرية الاسرائيلية المختلفة (مثل « يشعياهو بن فورات » الذي اشترك في كتاب عن تاريخ السلاح الجوي الاسرائيلي و« ايلي لانداو » الذي وضع كتابا عن حرب الاستنزاف الخ) عن بعض اسرار معارك الايام الاولى من حرب تشرين اذ جاء فيه مثلا « ان القوات الاسرائيلية عبرت الى الضفة الغربية للقناة في ليلة ١٥ ـــ ١٦ تشرين اول (اكتوبر) ولم تكن هذه اول محاولة قام بها الجيش الاسرائيلي ، خلال حرب يوم الغفران ، للعبور الى غربي قناة . فقد بدأت المحاولة الاولى صباح اليوم الثالث للحرب ، في الثامن من تشرين الاول ، عندما اصدرت قيادة المنطقة الجنوبية امرا لتشكيلات الاحتياط ، التي وصلت الى سيناء ، بشن هجوم على القوات المصرية التي سيطرت على الضفة الشرقية للقناة، واحتلال الجسور التي أقامها المصريون على القناة ، ومحاولة احتلال موقع على الضفة الغربية ... واعتقدت القيادة ان هذا هو اليوم السابع لحرب الايام الستة ، على حين انه كان اول يومين من الحرب مريرين ، وسحقت خلالهما قوات كبيرة ... وفي مساء ذلك اليوم،صد المصريون الهجوم وقضوا على المحاولة »(٢١).

ولذلك كان « موشي ديان » سيوجه مساء ٦ تشرين الاول بيانا من الاذاعة يقول فيه « ان قواتنا ، في الجولان وبالقرب من القناة ، مذعورة وفي حالة تقهقر . ولم يعد خط بارليف قائما .. وحتى لو شنينا هجوما مضادا ، لما كنت أود ان أكون في وضع رجال

المدرعات الاسرائيليين . لقد تم تحييد سلاح الجو بواسطة الصواريخ . وخسائرنا ، حتى هذه اللحظة ، ٣٦ طائرة فانتوم و٢٤ طائرة سكايهوك »(٢٢)!

وكان «دافيد اليعازر» هو الاخر سيذيع بيانا مساء يوم ٨ تشرين الاول من التليفزيون، عقب فشل الهجوم المضاد الذي سبق وأشرنا اليه ، يقول فيه « خرج اليــوم جيش الاحتياط الى هجوم مضاد ، ولكن علي أن ابلغكم بصدق ان الهجوم فشل فشلا ذريعا . وقوات العدو ، في البر والجو ، قوات هائلة ، حتــى أجدني مضطرا الــى خشية ان يحطموا عظامنا . واقصى ما نستطيع توقعه ، في الظروف الحالية ، هو أن المصريين سيكتفون بصدنا في سيناء » ! ولم يذع البيانان بســبب تدخل المسؤولين عن رفع المعنويات في الاذاعة والتليفزيون [ورئيسة الوزراء ايضا] ، وذلك كما يروي الصحفي « حاييم ايزاك » في صحيفة « دافار » يوم ١٩٧٣/١٢/٢٨ .

ولذلك ايضا قدمت الاذاعة الاسرائيلية تحليلا للموقف العسكري صباح يوم ١١/١٠/ ٧٣ جاء فيه « ان هذه الحرب ليست « حرب ايام ستة » . . . ان حملة سيناء [حرب ١٩٥٦] وحرب الايام الستة [حرب ١٩٦٧] خلفت في وعينا مفهوما راسخا كما يبدو، تدور بموجبه كل حرب بيننا وبين العرب كالاتي : حرب خاطفة ، حركة سريعة، والحسم خلال فترة قصيرة . لكن يتضح ان الحروب لا تتشابه . وبالطبع يجب ألا نقارن بيــن حرب تكون المبادرة فيها لنا ، وحرب دفاع وصد يتوجب علينا خوضها هذه المرة »(٢٣).

وهكذا اسقطت فرضية الحرب السريعة القصيرة الخاطفة التي تعتمد علــى ثنائي « الطائرة ــ الدبابة » في نقل المعارك منذ اليوم الاول او الساعات الاولى الى أرض العدو ، واثبت سلاحا الحسم « الطيران والمدرعات » عجزهما عن تحقيق هذه الفرضية المترسخة في الفكر الاسرائيلي ، عندما وجدا امامهما جيوشا تقاتل .

● سقوط نظرية الحرب القصيرة :

في ١٩٧٤/١/٢٤ ألقــى « بنحاس سابير » وزير الماليــة الاسرائيلي محاضرة امام اعضاء اللجنة التنفيذية في الهستدروت في تل ابيب قال فيها « انه بالاضافة الى الـــ ١٤ مليار ليرة ، التي كان من المقرر ادخالها في نفقات الامن في العامين ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، فان الحرب قد ادت الى وضع ميزانية اضافية للدفاع ، بمبلغ ٢٠ مليار ليرة اضافية . وهذا المبلغ سيحدد في الميزانية الاضافية .. ان نفقاتنا في الحرب ، والخسائر التي تكبدناها في اعقابها ، تساوي الانتاج القومي لعام كامل . وتجدر الاشارة الى ان الانتاج القومي في العام الماضي بلغ ٣٥ مليار ليرة تقريبا »(٢٤).

ونتيجة لفداحة نفقات الحرب على النحو المذكور ، والتي ترتبت على الخسائر المادية ونفقات تعبئة الاحتياط واستبقائه لاكثر من ثلاثة شهور (حتى تاريخ خطــاب سابير) والخسائر المالية التي اصابت الاقتصاد الاسرائيلي نتيجة لذلك ، تقدم «بنحاس سابير» الى سفير الولايات المتحدة في اسرائيل يوم ١٩٧٤/١/٣١ بمذكرة رسمية تتضمن نفقات الحرب ووضع ميزان المدفوعات الاسرائيلي مطالبا بتزويد اسرائيل بالمواد الاساسية والمساعدات العسكرية والاقتصادية من الولايات المتحــدة في السنة الماليــة الجديدة (يوليو ١٩٧٤) ، كما قدمت نسخة من هذه المذكــرة الى « سيسكو » مساعــد وزير الخارجية الامريكي(٢٥). لقد ادى طول فترة الحرب النسبي (١٨ يوما بالقياس لستة ايام عام ١٩٦٧ و٧ ايام عام ١٩٥٦) واستمرار التعبئة العامة وتجنيد الاحتياط لاكثر مــن ثلاثة شهور على خلاف المخطط المفترض في نظرية الامن الى معاناة الاقتصاد الاسرائيلي لمشكلات وأزمات حادة لم يعهدها من قبل في أي حرب من الحروب السابقة ، فهناك مثلا ٤٠ ٪ من العاملين في مزارع الكيبوتس مجندون وهم يشكلون ٢٠٪ من السكان القادرين

على العمل(٢٦). وعموما فان نسبة المجندين من مجموع العاملين في الاقتصاد تتراوح بين ١٥ ــ ٢٠ بالمائة(٢٧). كما ان الميزانية العامة المعدة للسنة المقبلة قائمة علـى أساس الاستمرار في تجنيد ما معدله ١٠٠ الف شخص ، ويمثل هذا العدد نحو ١٠ ٪ مـن مجموع الطاقة البشرية في اسرائيل ، وسيتحدد حجم تجنيد الاحتياط بنسبة ٢٠ ٪ من مجموع الطاقة البشرية خلال الربع الاول من عام ١٩٧٤(٢٨).

ومن الامثلة الدالة على تأثير استمرار حالة التعبئة العامة لفترة طويلة على الاساليب السابقة في الاعتماد قصير الامد على امكانات الاقتصاد المدنـي خلال فترات الحروب القصيرة ، تطبيقا لمبدأ الاقتصاد بالقوى ، مثال اعتماد الجيش الاسرائيلي المسبق على الشاحنات المدنية أساسا خلال فترة التعبئة ، وحول هذه المسألة كتب « يئير كوطلر » في صحيفة هآرتس يوم ٧٣/١١/٢٢ « ان الحرب كشفت عن فشل طريقة المواصلات والشحن التي اعتمدها الجيش الاسرائيلي من خلال الاعتماد على استعمال الشاحنات العامة في اسرائيل وقت الضرورة ، ان احد دروس الحرب هو أنه يترتب على الجيش الاسرائيلي انشاء جهاز شحن ومواصلات خاص به »(٢٨).

ولم يقتصر اثر استمرار تجنيد قوات الاحتياط على النواحي الاقتصاديـة في الحياة داخل اسرائيل ، وانما تعدى ذلك الاطار الى دائرة المعنويات الخاصة بالمجندين وذويهم، فقد كتب ايتان هيفر المراسل العسكري لصحيفة « يديعوت احرونوت » يوم ١٢/٧/ ١٩٧٣ يقول « خلال اعوام طويلة ، خضنا حروبا « دي لوكس » تدللنا فيها : تعبئة ، ثم قتال لبضعة ايام ، فانتصار ، وعودة الى المنزل . . . هذه المرة ، الامر مختلف ، ويقتضي الوضع الجديد تأهبا جسديا ونفسيا في الجيش وخارجه ، فالمواطنون لا يزالون يجدون صعوبة في استيعاب هذا الوضع . . . ان الحرب ونتائجها احدثت ثورة فعلية في الجيش الاسرائيلي ، تقتضي أن يبني نفسه على أساس معطيات جديدة تماما : فخدمة عدد كبير من رجال الاحتياط خلال وقت طويل ، تقتضي اعادة تنظيم التجهيزات بأسرها »(٢٩).

هكذا هزت حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، المحدودة الهدف والوسائل والمدة الزمنية ، مبدأ الحرب القصيرة والاعتماد علـى جيش عامل « صغـير العدد قـدر المستطاع »(٣٠) تسانده قوات الاحتياط الكبيرة المدربة جيدا الى حد اعتبارهم « جنودا نظاميين الا أنهم يقضون اجازة مدتها احد عشر شهرا في السنة » ، علـى حد تعبير « آلون » .

• انهيار مبدأ الاعتماد على القوة الذاتية :

قالت مجلة « هعولام هزه » في عددها الصادر يوم ٧٣/١٢/١٢ ضمن مقال بعنوان « موشي ديان انهار في اليوم الثاني للحرب » كتبه « يجال لفيف » ان ديان كان شديد الثقة بنفسه في اليوم الاول من الحرب نظرا لانه كان يعتقد ان الهجوم المعاكس الذي ستقوم به المدرعات بدعم الطيران « سيقذف بالمصريـين عبر القناة ، وبذلك ينهـي الحرب »(٣١). ولكن « هذه المدرعات التي شنت الهجوم المعاكس الفاشـل كانت هي المدرعات الوحيدة التي تغلق الطريق المؤدية الى اسرائيل ، لان سائر المدرعات كانت تحارب في الهضبة السورية . ولذلك بدأ انهيار « ديان » في اليوم الثاني للحرب ، لان سلاح الطيران الاسرائيلي الذي حاول معاونة المدرعات تلقى ضربات قوية من الصواريخ المصرية المضادة للطائرات . وكانت خسائر المدرعات والدبابات الاسرائيلية مفزعة ، وقد ألمح ديان الى ذلك أمام محرري الصحف ، في لقائه بهم في اليوم الثالث للحرب ، وأعلن أمامهم انه سيقترح على رئيسة الحكومة أن يقوم الجيش الاسرائيلي بانشاء خط جديد لفك الالتحام بينه وبين الصواريخ المصرية . وعندما يزول الخطر في الشمال قد يكون من الممكن اعادة المحاولة لصد المصريين ، وانه يشـك في امكانية العـودة الى السيطرة على القناة »(٣١).

وأوضحت المجلة ان محرري الصحف الاسرائيلية عادوا الى صحفهم يرتجفون من الذعر العام الآخذ في الانتشار ، وقد عبرت « جولدا مئير » عن هذا الشعور فيما بعد فقالت في تصريح لها يوم ١٩٧٣/١١/٢٥ « لاول مرة في تاريخنا كان ثمة شعور خلال اليومين الاولين من المعارك بأننا قد نخسر الحرب »(٢٢).

وازاء هذه التطورات غير المتوقعة من قبل ، وخاصة بالنسبة لارتفاع معدل خسائر الطيران والدبابات وفاعلية الصواريخ المضادة للطائرات والدبابات وكفاءة استخدامها من قبل القوات العربية (المصرية والسورية) ، اضطرت الولايات المتحدة الامريكية الى المسارعة باقامة جسر جوي الى اسرائيل لنقل ذخائر الدبابات والطائرات التي كانت على وشك النفاد — كما صرح « ديان » بعد ذلك — ولتعويضها عن خسائرها المفزعة في الطائرات والدبابات بقدر الامكان ، ولتزويدها بأسلحة حديثة مضادة للدبابات ولبطاريات الصواريخ وأجهزة الرادار ، حتى تساعدها على صد الهجوم العربي والانتقال الى الهجوم المضاد ، وهو دور ما كانت الولايات المتحدة تود القيام به على هذه الصورة من السرعة والعلانية ، لو أن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية حافظت على قدرتها السابقة على احراز النصر الخاطف على العرب بقواها الذاتية ظاهريا. وقد أشار الى ذلك كاتب اسرائيلي يدعى « جرشوم شوكن » في صحيفة هآرتس الصادرة بتاريخ ٧٣/١١/٢٣ ، حيث قال « ان الولايات المتحدة تدعي بأن اسرائيل لم تقم بواجبها كما كان متوقعا ، لان الجيش الاسرائيلي لم يحرز النصر الذي كان يتحدث عنه قادته، وانه لولا الدعم الامريكي لما استطاعت اسرائيل الصمود . ويجب الاعتراف بأن هذا الادعاء يسمع أيضا بيننا، دون ان يثير معارضة حقيقية . فليس الامريكيون وحدهم الذين خابت آمالهم بجيش الدفاع الاسرائيلي ، وانما اسرائيل أيضا ، والجيش كذلك خابت آماله بنفسه . فوزير الدفاع تكلم ، بصراحة مذهلة ، عن تعلقنا المطلق بالدعم العسكري المستعجل جدا ، ووزير الخارجية يحتفل في امريكا بعيد فشل « الخط الامني » في اسرائيل »(٢٣).

وأشاد « يتسحاق رابين » ، رئيس الاركان خلال حرب ١٩٦٧ وسفير اسرائيل السابق في الولايات المتحدة ، بالدعم الامريكي في حديث له مع « عال همشمار » يوم ٧٣/١١/١٦ فقال « دون هذا الجهد ، يصعب علي أن أرى كيف كنا سنصل الى الوضع الذي نحن فيه اليوم . . وأثبت نيكسون وكيسنجر ان الولايات المتحدة لن تمكّن من حسم عسكري ضد اسرائيل ، أو من حل سياسي مفروض لا ترضى به »(٢٤).

ومن الواضح ان هناك تخوفات ضد الدعم العسكري الامريكي ، وخطورة النتائج السياسية المترتبة عليه ، وتبدل نوعية العلاقات القائمة بين اسرائيل والولايات المتحدة، واحتمال تحولها الى علاقة تبعية كاملة بعد أن كانت (على الاقل من ناحية المظهر) علاقة شريك أصغر بشريك أكبر في السياسة الاستعمارية بالمنطقة العربية . ولقد أثارت هذه المخاوف والاحتمالات مناقشات وشكوك كثيرة لدى الكتاب الاسرائيليين ، الذين ما زالوا متشبثين بخرافة « القدرة الذاتية الاسرائيلية » التي شكلت احدى الدعائم السابقة لنظرية الامن ، فنجد على سبيل المثال كاتبا يدعى « اليعيزر ليفنه » يقول في صحيفة هآرتس يوم ٧٣/١١/١١ « ان الحكومة [الاسرائيلية] بقبولها املاءات واشنطن ، خلقت سابقة قد تقرر طبيعة علاقتنا بواشنطن . يعني ان اسرائيل تابعة لامريكا ، وعليها أن تقبل ارادة حاميها . وهذا خطأ كبير ، لان الولايات المتحدة تعتمد على اسرائيل في شبكة دفاعاتها العالمية ، بصورة لا تقل عن اعتماد اسرائيل على مساعدة واشنطن . وتقوم على هذا الاساس علاقات متبادلة بين ندين ، ان لم يكونا متكافئين بالقوة فهما متساويان في درجة اعتماد بعضهما على بعض . . . ودون الجيش الاسرائيلي ذي القدرة الكبيرة ، والقادر على العمل عند الضرورة على اتساع رقعة المنطقة (بما في

ذلك مضائق باب المندب) لا يكون لواشنطن متكأ ضد تسلط روسيا على دول النفط .. واذا جمد تعاظم القوة الاسرائيلية ، فستسقط ايران في فلك موسكو »(٣٥).

ويردد « جرشوم شوكن » ، في مقاله سابق الاشارة اليه ، افكارا مماثلة فيقول « لا اساس للتسليم ورفع الايدي أمام أصدقاء اسرائيل الامريكيين. فسياسة الابتزاز العربية أوضحت انه يمكن فقط بوجود اسرائيل قوية كبح هذه السياسة . والضمانات الامريكية لاسرائيل لا تؤمن مصالح اوروبا ضد الابتزاز العربي . واسرائيل القوية لا يمكن ان تكون اسرائيل المقلصة والمحرومة مجالات المناورة الاستراتيجية ... ان امريكا لن تخدم مصلحتها ، اذا هي رأت في دعمها لاسرائيل ، دعما لمحتاج عليه ان يدفع ثمن المساعدة بالتنازل عن استقلاله ، وليس انفاقا مجديا على المصالح الحيوية للولايات المتحدة . وفي نهاية الامر تلحق امريكا ضررا بنفسها أن هي تصرفت وكأن اسرائيل فقير يقف على بابها »(٣٦)!

وتعكس هذه الاقوال المختلفة للكتاب الاسرائيليين مدى انهيار مبدأ الاعتماد على القوة الذاتية الاسرائيلية الذي كانت تزعمه نظرية الامن مسبقا، بالاضافة الى ما تكشفه ضمنا من طبيعة دور اسرائيل المساعد للامبريالية الامريكية في المنطقة ورغبتها في الاستمرار في تأديته .

● اهتزاز مبدأ الامن الجغرافي :

عقب حرب ١٩٦٧ ، ركزت اسرائيل في دعايتها السياسية التي تستهدف تبرير استمرار احتلالها للأراضي العربية الجديدة على أهمية هذه الاراضي أو المناطق المحتلة بعد ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ في توفير العمق الجغرافي — الاستراتيجي اللازم لامن البلاد ، وعدم الانسحاب منها الا الى حدود آمنة تختلف تماما عن حدود ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وما زالت اسرائيل تردد هذه الفكرة الاستعمارية حتى الآن ، فقد صرح « موشي ديان » مثلا في يوم ٧٣/١١/٢٣ قائلا « لا اعتقد انه ينبغي أن ننسحب من هضبة الجولان ، حتى لو كان موقف الامريكيين يختلف عن موقفنا . كما لا ينبغي أن ننسحب من ضفاف نهر الاردن والا نسحب أجهزة الرادار من سلسلة جبال نابلس . والقضية الآن ليست قضية أراضي الاجداد ، بل قضية الاسلحة الالكترونية . فبسبب الاسلحة الموجودة لديهم ينبغي علينا أن نحافظ على أجهزتنا ومطاراتنا . واذا أرادوا منحنا ضمانات أمنية ، فلتكن اضافة الى هذه الامور ، لا بديلا عنها »(٣٧). ثم قال ديان في تصريح آخر « سيتوجب علينا الاختيار بين ما يسمى سلاما دون أمن ، أو الحفاظ على البلاد بواسطة حدود آمنة ، وجنود وأمور اخرى . واذا كان ينبغي أن نختار بين الامرين فانني أفضل الامكانية الثانية »(٣٨).

الا ان واقع معارك الايام الاولى من حرب تشرين قد اثبت عدم جدوى عنصر الامن الجغرافي — الاستراتيجي في منع نشوب الحرب أو ضمان انتصار اسرائيل ، رغم أنه أبعد ضربات الحرب عن داخلها ، ذلك لان استمرار القتال مع تزايد قوة حشد القوات العربية وانتهاجها أسلوبا هجوميا وحربا شاملة كان سيؤدي حتما الى هزيمة عسكرية كاملة لاسرائيل ما لم تتدخل أمريكا عسكريا مباشرة .

وقد انعكس واقع اهتزاز فرضية « الامن الجغرافي » على كثير من الكتاب والمفكرين داخل اسرائيل عقب انتهاء حرب ١٩٧٣ ، فقد كتب « دانييل بلوخ » مثلا في صحيفة دافار في عددها الصادر يوم ٧٣/١١/١٩ يقول « ان فشل المجتمع الاسرائيلي العام ينبع من أن « الصقور » على مختلف انواعهم ، وكذلك أكثرية « الحمائم » ، اعتقدوا أن الامور على ما يرام من الناحية العسكرية ، وانه لا مكان للقلق . ان الجدل الرئيسي لم يكن

حول ما اذا كان بامكاننا الاستمرار في الاحتفاظ بالمناطق ، بل حول ما اذا كان هذا ملائما من الناحية السكانية والاخلاقية والسياسية . ومن يعتقد ان هــذا لا يزال موضوع النقاش ، ويعتبر تنفيذ « وثيقة غاليلي » بشأن مضاعفة الاستيطان في هضبة الجولان ومشارف رفح ، حلا لمشكلتنا ، فانه لم يدرك حتى الآن ما حدث في حرب يوم الغفران ، وماذا تغير بسببها على صعيد المنطقة أو على الصعيد العالمي »(٣٩).

وكتب « امنون روبنشتاين » ، عميد كلية الحقوق في جامعة تل ابيب ومن ابرز المحللين السياسيين الاسرائيليين ، في صحيفة هآرتس يوم ٧٣/١١/٦ بهذا الصدد « أوضحت الحرب كم هو مضحك الادعاء بأننا نستطيع ان نقرر مستقبلنا دون الانتباه لحدود قوتنا، ودون اعتبار ارادة الولايات المتحدة ... لقد دحضت الحرب الاسطورة التي رأت في حدود وقف اطلاق النار حدودا آمنة مثالية .. ان الحرب قضت على فترة يمكن وصفها بـ « نشوة القوة المتخيلة » »(٤٠).

وعبر الدكتور « ناحوم غولدمان » ، رئيس المنظمة الصهيونية سابقا ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، عن المسألة نفسها في مقال له نشرته هآرتس يوم ١٩٧٤/١/١٤ حيث قال « ليست للحدود أهمية حاسمة أزاء مخازن الاسلحــة العصرية ، والطائرات ، والصواريخ ، وقد أثبتت حرب يوم الغفران ذلك »(٤١).

● استنتاجات عامة :

لقد هزت حرب ١٩٧٣ ، المحدودة المدى والزمن والتي لم يتم فيهــا استثمار كامل الطاقات العربية الاستراتيجية ، أركان نظرية الامن الاسرائيلية هزا عميقا للغاية ، بحيث يمكن القول أن الحرب ، رغم عدم تحقيقها حسما عسكريا لصالح اي من الطرفين ، قد أثبتت عجز هذه النظرية وفشلها ، وهزيمتها .

فقد ثبت خطأ مبدأ التفوق العسكري الاسرائيلي المطلق وفشل مبدأ الحرب القصيرة وقدرة الجيش العامل والطيران على امتصاص الضربة الاولى لحين تعبئة الاحتياطي . وكادت البنية الاقتصادية والنفسية للمجتمع الاسرائيلي أن تتحطم نتيجــة لهذه الحرب المحدودة التي لم تطل كثيرا ولولا الدعم الامريكي العسكري والاقتصادي والسياسي ، لتحقق الانهيار حتما في هذا المجال . وفشل ثنائــي « الطائرة ـــ الدبابة » في تكرار أسلوب الحرب الخاطفة مرة اخرى . وأثبت مبدأ الامن الجغرافي عجزه عــن توفير الظروف الملائمة لنجاح عسكري اسرائيلي حاسم كما كان يتصور « آلون » وغيره من مخططي نظرية الامن او الاستراتيجية الاسرائيلية عقب حرب ١٩٦٧ . وتلاشت اسطورة مبدأ الاعتماد على القوة الذاتية (والصناعة العسكرية الاسرائيلية التي زعم ديان قبل حرب ١٩٧٣ بأربعة شهور فقط انها قادرة على تلبيــة ٤٨ ٪ من مشتريــات الجيش الاسرائيلي لم تستطع أن توفر لهذا الجيش القذائف الكافية للاستمرار في القتال لاكثر من اسبوعين !) واضطرت اسرائيل الى طلب النجدة والحماية العاجلة المكشوفة من الولايات المتحدة . وحتى المبادىء الاخرى من نظرية الامن ، التي يبدو للوهلة الاولى انها لم تهتز أو لم تتعرض للتغيير ، مثل القدرة على الحــركة ، والمناورة علــى الخطوط الداخلية ، والقدرة على ممارسة حرب الحركة بصفة عامة ، وتطبيق بعض أساليب التقرب غير المباشر ، فان استمرار فاعليتها الى حد ما يرجع في الاساس الى ظروف خارجية متصلة بالاستراتيجية العربية .

وقد عبر العديد من الكتاب وأساتذة الجامعات والصحفيين داخل اسرائيل عن خلاصة فشل النظرية الاسرائيلية بوضوح تام ، فقال مثلا « أهرون بيخر » في صحيفة « يديعوت احرونوت » يوم ٧٣/١١/٩ « ان أكثر ما يقض مضجعنا ، علامة استفهام تحوم الآن في

سماء البلد ، تتعلق بذلك التقصير في مجال الامن الذي يتحدث الكل عنه ، دون أن يدرك احد ما هو المقصود به حقا . ان من آمن ايمانا صوفيا بقوتنا وبعدالة موقفنا الراسخ ، ومن بنى أحلاما كبيرة حول امبراطورية اسرائيلية ، يخوض الآن صيد جنيات قبيحا ضد أصنام الامس .. ان عدم المبالاة الذي ميز الوضع الراهن ، شل حواسنا . وكنا نقف ، من حين الى آخر ، أمام المرآة ونعرض عضلاتنا ، ونؤكد لانفسنا انه اذا حاول شخص ما تغيير الوضع الراهن فاننا سنكسر عظامه . واننا نستطيع الوصول الى بنغازي ، ودمشق موجودة في مدى مرمى مدافعنا... والعرب يجيدون الكلام فقط، ولكنهم يهربون حفاة في ساحات القتال . ان الثقة بالنفس واللامبالاة .. والشعور بأنه يحق لنا أن نشتري ونبيع الاراضي في المناطق ونشغل سكانها في دكاكين اللحوم، كل ذلك قوض تماما طابعنا القومي »(٤٢).

وقال البروفيسور « يشعياهو ليبوفيتش » استاذ العلوم في الجامعة العبرية في لقاء له مع صحيفة هآرتس نشر في ٧٣/١١/٣٠ « بماذا أخطأنا طوال الاعوام الستة الاخيرة؟ ان الخطأ لم يكن طوال هذه الاعوام فحسب ، وانما كان طوال الخمسة وعشرين عاما الاخيرة أيضا ، منذ توقيع اتفاقية رودس . كان الخـــط المرشد لسياستنا ولا يزال ، الرأي القائل ان وضعا دائما من اللاسلم واللاحرب مع حرب كامنة هو أحسن وضع بالنسبة الينا ، وينبغي المحافظة عليه بكل الطرق . ويضع هذا الوضع مشكلة الامن في مركز كل تفكير وكل نشاط سياسي ... وبالنسبة الى السياسة الخارجية والامن ، فاننا نقوي انفسنا من عام الى آخر في وضع من الحرب الوشيكة . ومن الممكن ، في وضع كهذا ، أن تنشب حروب فعلية من فترة الى أخرى ، تكون عـــادة قصيرة ، ونتائجها مضمونة مسبقا ، لان الفجوة بيننا وبين العرب كانت آخذة في الازدياد ، وبهذه الطريقة ننتقل من احتلال الى احتلال . لقد سادت هذه السياسة ، الاجرامية والشريرة ، طوال ٢٥ عاما كما توقع باعثوها ، حتى أدت بنا الى الازمة التي نعيشها الآن ، بعد أن دحضت جميع افتراضات تلك السياسة ... اننا لم نسع للسلام طوال خمسة وعشرين عاما . وكل التصريحات بشأن ذلك ، ليست الا تصريحات متلونـــة وكذبا مقصودا ... بل خربنا ، عن عمد وسابق اصرار ، كل مناسبة كان من الممكـــن ان تنطوي على امكان لاحلال السلام »(٤٣)!

وبطبيعة الحال كانت نظرية الامن ، أي سياسة التوسع وتأمين نتائجها ، تقف عائقا ضد السلام بحكم أنها لم توضع اصلا لتحقيق السلام في فلسطين او الوطن العربي كله. لقد طرحت هزيمة نظرية الامن الاسرائيلية في حـــرب ١٩٧٣ مسألة بقاء كيـــان دولة اسرائيل الصهيوني على بساط البحث داخل اسرائيل بقوة ووضوح ، وبشكل لم يحدث مطلقا منذ انشائها في عام ١٩٤٨ ، وما اذا كان في امكان هذه الدولة المصطنعة القائمة على الاستعمار الاستيطاني والتوسع أن تتعايش سلميا ، وتتكيف ، مـــع المعطيات والدلالات الجديدة للحرب الاخيرة . فقد قال « دان طولكوفسكي » القائد السابق للسلاح الجوي الاسرائيلي ، في صحيفة هآرتس يوم ١٩٧٣/١٢/٤ « هـــل بامكاننا أن نلائم انفسنا ... مع التغيرات في المجالين الدولي والشرق أوسطي معا ؟ أم اننا.. سنختفي ونزول من العالم بسبب عدم قدرتنا كجماعة من البشر ، على ملاءمة انفسنا مع مجموعة التغييرات المذكورة »(٤٤)! وقال « ناحوم غولدمان » في مقـــال له نشر في هآرتس يوم ٧٤/١/١٦ « اذا كان العالم العربي اليوم ، أو جزء منه على الاقل ، مستعدا لتوقيع اتفاق سلام والاعتراف باسرائيل ، فقد يشعر العرب بعد بضع سنوات أنهم أقوياء جدا، اقتصاديا وماليا وسياسيا ، وحتى عسكريا ، الى درجة تمكنهم من رفض التسليم بوجود دولة يهودية في الشرق الاوسط رفضا باتا... ان الفرصة الحالية هي آخر احتمال عملي لتحقيق السلام بين اسرائيل والعرب .. انني مقتنع بأن احتمالات اسرائيل ستكون أسوأ

في المستقبل أو بعد حروب اخرى ، وذلك لسبب بسيط هو انه اذا هزمت اسرائيل .. فسيكون ذلك نهاية الدولة ، على حين لن يؤدي الانتصار الاسرائيلي الى سلام افضل ، كما ثبت في الماضي »(٤٤).

الا أن التكيف مع الظروف والمعطيات الجديدة التي نتجت عن حرب ١٩٧٣ بالنسبة الى رجال المؤسسة العسكرية الاسرائيلية المهيمنة ، وواضعي نظرية الامن السابقة ، يكتسب معنى آخر ، غير الاتجاه الحقيقي نحو السلام (بحكم أن السلام يتعارض أصلا مع جوهر المشروع الصهيوني التوسعي) ، ويعني مجرد احناء الرأس أمام العاصفة ، والتأهب لفرصة تحقيق نصر عسكري خاطف في المستقبل ، بعد استيعاب الدروس والخبرات اللازمة من الحرب الاخيرة ، واحداث التغييرات المناسبة في نظرية الامن على أساس هذه الدروس . ولذلك نجد « حاييم هيرتسوغ » المعلق العسكري الاسرائيلي المعروف يقول في صحيفة هآرتس يوم ١٩٧٣/١١/١٣ « اننا نعيش اليوم بعد الطوفان ، ولا خيار لنا الا أن نكيف أنفسنا مع الواقع الجديد ، الصعب وغير المريح . واقع عزلة سياسية دولية ، وضعف مخيف في الغرب ، واستعداد للخضوع للتهديد الروسي والابتزاز العربي . واقع الاعتماد الكبير على الولايات المتحدة ، وتقليص مجال مناورتنا السياسية . واقع نجد أنفسنا فيه فجأة في منطقة قررت الدولتان الكبيرتان تولي أمورها بنفسيهما ، من خلال تقليص كبير للامكانات الممنوحة للجهات المحلية . اننا نجد أنفسنا في واقع ضاعت معه كل الانجازات السياسية التي جمعناها طوال أعوام .وخصوصا بعد حرب الايام الستة ، والتي ربما لم نستطع استغلالها عندما كانت فرص المبادرة في يدنا ... وعلى الرغم من ... الانتصار العسكري [!!] ، اصيبت اسرائيل بضربة قوية ، وتحطمت مسلمات ، وتزعزعت أسس كانت حتى الان بديهية . ولهذا يجب استخلاص الاستنتاجات بسرعة ، والاستعداد ، من جديد لمعركة عسكرية او سياسية صعبة وقاسية »(٤٥).

لقد هزمت حرب ٦ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٧٣ الى حد غير قليل جوهر نظرية الامن الاسرائيلية وفتحت أمام الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والعسكرية العربية نتيجة لذلك امكانات حركة ومناورة لم يسبق لها مثيل منذ بداية الصراع العربي — الاسرائيلي . ولا بد ان تكون هذه الامكانات المحور الاساسي الذي تدور حوله أية استراتيجية عربية جديدة ناجحة .

---

١ — آلون ، يغال ، **بناء الجيش الاسرائيلي** ، ترجمة مصلحة الاستعلامات ، القاهرة ، ص٦٠.

٢ — **نشرة م. د. ف** ، العدد ١٩ ، السنة الثانية ، ص ٥٨٩ نقلا عن مجلة بماحانيه ، عدد ١٩٧٢/٦/٦ .

٣ — آلون ، يغال ، **المرجع السابق** ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

٤ — صحيفة **دافار** ، عدد ١٩٧١/٤/٢٨ .

٥ — آلون ، يغال ، **المرجع السابق** ، ص ٤٩ .

٦ — آلون ، يغال ، **الستار الرملي** ، ترجمة مركز التخطيط ، ١٩٧٠ ، ص ٨٣ .

٧ — *Military Review*, May, 1973, p. 67 - 70.

٨ — آلون ، يغال ، **بناء الجيش الاسرائيلي** ، **المرجع السابق** ، ص ٦٠ .

٩ — **المرجع السابق** ، ص ٦٦ .

١٠ — آلون ، يغال ، **الستار الرملي** ، **المرجع السابق** ، ص ٧٩ — ٨٠ .

١١ — **نشرة م. د. ف.** ، عدد ١٩ ، ١٩٧٢ ، ص ٥٩٠ .

١٢ — **نشرة م. د. ف.** ، عدد ١٣ ، ١٩٧٣ ، ص ٤٠٧ .

١٣ — **نشرة م. د. ف.** ، عدد ٢ ، ١٩٧٤ ، ص ٤٦ .

١٤ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢١ ، ١٩٧٣ ، ص ٦٦٣ .
١٥ — **يديعوت احرونوت** ، ١٩٧٣/١٢/١٤ .
١٦ — **المرجع السابق** ، ص ٤٤ .
١٧ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٨ ، ١٩٧٣ ، ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .
١٨ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢٠ ، ١٩٧٣ ، ص ٦٣٤ — ٦٣٥ .
١٩ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢٠ ، ١٩٧٣ ، ص ٦٤٣ .
٢٠ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢١ ، ١٩٧٣ ، ص ٦٦٨ .
٢١ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢ ، ١٩٧٤ ، ص ٤٤ — ٤٥ .
٢٢ — **المرجع السابق** ، ص ٤٥ — ٤٦ .
٢٣ — **نشرة ر. ا. ا.** ، عدد رقم ٣٤٨ ، ص ١٠٣٨ .
٢٤ — **نشرة ر. ا. ا.** ، ملحق العدد ٤٤٤ ، ص ٢٩٠٧ — ٢٩٠٨ .
٢٥ — **نشرة ر. ا. ا.** ، العـدد ٤٥٠ ، ص ٣٠٥٧ .
٢٦ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢ ، ١٩٧٤ ، ص ٤٩ .
٢٧ — صحيفة **دافار** ، عدد ١٩٧٣/١٢/١٦ .
٢٨ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢ ، ١٩٧٤ ، ص ٥٠ .
٢٩ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢٣ ، ١٩٧٣ ، ص ٧٢٣ .
٣٠ — آلون ، يغال ، **بناء الجيش الاسرائيلي** ، ص ٤٧ .
٣١ — **هعولام هزه** ، عدد ١٩٧٣/١٢/١٢ ، ص ١٥ .
٣٢ — **نشرة ر. ا. ا.** ، العدد رقم ٣٩٦ ، ص ١٩١٢ .
٣٣ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢٣ ، ١٩٧٣ ، ص ٧٠٩ — ٧١٠ .
٣٤ — **المرجع السابق** ، ص ٧٠٩ .
٣٥ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢١ ، ١٩٧٣ ، ص ٦٦٠ .
٣٦ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢٣ ، ١٩٧٣ ، ص ٧١٠ .
٣٧ — **نشرة ر. ا. ا.** ، ملحق العدد ٣٩٨ ، ص ١٨٧٤ .
٣٨ — **نشرة ر. ا. ا.** ، ملحق العدد ٣٩٩ ، ص ١٨٩٢ .
٣٩ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢٣ ، ١٩٧٣ ، ص ٦٩٧ .
٤٠ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢١ ، ١٩٧٣ ، ص ٦٧٠ .
٤١ — جريدة **النهار** اللبنانية ، عدد ٧٤/٢/٢ ، ص ٩ .
٤٢ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢٢ ، ١٩٧٣ ، ص ٦٩٨ .
٤٣ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢٤ ، ١٩٧٣ ، ص ٧٤٤ .
٤٤ — صحيفة **النهار** اللبنانية ، عدد ١٩٧٤/٢/٢ ، ص ٩ .
٤٥ — **نشرة م. د. ف.** ، العدد ٢٢ ، ١٩٧٣ ، ص ٦٩٤ .

الحداد يليق بحيفا

محمد القيسي

[زار الشاعر مدينة حيفا في ١٩٧٢/٧/١٣ م]

مراسيمُ قهركِ جاريةٌ
وأنا أحتفي بجواد التفتحِ والنارِ ،
في ليلكِ المأتميّ
وأحملُ راياتيَ السودَ ،
أولدُ في شهقةِ الموتِ ،
أَعبرُ في حزنكِ الساحليّ
أغنّي فيمنعُني الشُرطيّ .

* * *

تيممتُ باسمكِ آنَ طويتُ الصحارى ،
إليكِ وكانَ الطريقْ
خنادقَ فارغةً ،
أو بنادقَ عاطلةً ،
والرياحُ تُصفّرُ في الغورِ ما من بريقْ
ولا من دخانِ اشتباكٍ هناكَ ،
ولا طلقة في الفضاءِ الرماديِّ ،
هذا زمانُ السكوتِ المدوّي ،
زمانُ الحريقْ
وكانَ الجنودُ الكسالى ،
يفلّونَ في الشمسِ قمصانَهمْ

مُفرَغينَ منَ الحلمِ والفعلِ ،
كان شرارُ الظهيرةِ يمتـدُّ نارا
وموتاً مثارا

الى الجسرِ ،
والنهرُ كان يجفُّ ، يجفُّ ،
ويلتفُّ في بردةٍ من حدادْ
ويحضنُ صفصافةً وهي تبكي ،
تُغنّي البعادْ

وتسقطُ أوراقها ،
وطروادةُ القلبِ غارقةٌ في الحصارِ ،
ونهبٌ لسيلِ الجرادْ
فماذا تقولُ الجبالُ وأحراشُها والوهادْ
وماذا يقولونَ .. ماذا ؟
– يمدّونَ عمرَ احتضاركِ هذا النبيلَ بما ،
وُهبوا من فنونِ الخُطبْ
وينسونَ ،
ينسونْ حتى الغضبْ .

* * *

مراسيمُ قهركِ جاريةٌ ،
إنّهم يتركونكِ وحدكِ في ساعةِ الطّلقِ ،
يُلقونَ باللومِ – زوراً – على القابلهْ .
سمعتُ الرياحَ تغني :
يليقُ الحدادُ بحيفا
يليقُ بها كل سجنٍ ومنفى
يليقُ الحدادُ بأفراسها الحمر والقافلهْ .

بـلى ،
ويليقُ بكِ الحزنُ والموتُ والحالةُ النازفه
يليقُ بكِ الصمتُ والليل والعاصفه
يليقُ بكِ الفرحُ الياسمينيُّ ، في عرسكِ الدَمويّ
يليقُ بكِ البحرُ والبرتقالُ الحيّ
فماذا تقولينَ لي
وماذا يحاورُني وجهُكِ النبويّ ؟
أَجيبي
لصمتكِ وقعُ النصالِ عليّ
فلا تقتليني باسلوبكِ العاطفيّ
ولكنْ بصاعقةٍ كي أُضيء
هنـا دَرَكِيّ
هنـا شُرطيّ
هنـا عسكريّ
أَلا إنهمْ يبتغونَ دَمي
والقبائلُ تُطبقُ حولي
وتبحرُ في فَلَكِ الأجنبيّ
وهمْ يغلقونَ الحدودَ ،
يسنُّونَ قانونَ طردي وقتلي
يُصادر خطوي ، وخبزي ، وقولي
ولكنَّ ،
ما بينَ مركبةِ الرعدِ والريحِ ،
يأتيكِ برقي الخفيّ
وأَحلمُ بالفقراءِ جيوشاً
وكلِ الصعاليكِ والخارجينَ على الموتِ حزباً
يُقاتلُ باسمِ الزهورِ التي تذبلُ
وباسمِ السنابلِ والقبَّراتِ التي تُقتلُ
وباسمكِ ،
حتى يعودَ الزمانُ البهيّ .

– لمــاذا أتيتْ ؟
● لأعرفَ وجهكِ أكثرْ
وأعرف نفسي
– وماذا رأيتْ ؟
● طيوراً محلقةً في الفضاءِ ،
وبيتــاً قديمــاً ،
وبيدرْ .
وقابلتُ أُمي
– ومــاذا ؟
● رأيتُ ...
– تكلَّمْ
● أَصابعَ كانتْ تـُطوِّقُ خصرَكِ في رقصةِ الدَّمْ
رأَيتُكِ مكسورةَ البالِ في زيِّكِ البلديِّ
– وماذا فعلتْ ؟
● تلوَّيتُ قهرا ،
وقدَّمتُ صكَّ انتمائي إليكْ .

* * *

يُعاوِدُني صوتـُكِ الآنَ بعدَ الغيابْ
ويدخلُ من كلِ أُفقٍ إليَّ ،
ومن كلِ بابْ
يُطاردُني في الصحارى
يحلُّ معي في الفنادقْ
يُشاركني مقعدي ،
وسريري ،
ووجبة خبزي ،
وحزني ،
ويرقبُني عندَ كلِّ المفارقْ .

٢٠ ايلول ١٩٧٣م

المانيا النازية والقضية الفلسطينية

ــــــــــــــــــــــــــــ الدكتور سلمان رشيد سلمان

فلسطين قبل ظهور النازية

لقد احتلت فلسطين اهمية خاصة في السياسة الدولية منذ مطلع القرن العشرين لاسباب عديدة منها انها تفصل المشرق العربي عن المغرب العربي ولان الشرق الاوسط كان يبشر بوجود كميات كبيرة من النفط ، العنصر الحيوي للصناعة الاوروبية ولانه يسيطر على طرق الهند . لقد كانت فلسطين تحتل مركزا حيويا في الشرق الاوسط ومركزا مهما بالنسبة للحركة الصهيونية ، ففي سنة ١٨٩٧ عقد المؤتمر الصهيوني الاول في بال وفي هذا المؤتمر تقرر ان تكون فلسطين مركزا لاقامة دولة يهودية(١). كما تقرر ان تتبع كل الطرق الممكنة لاقامة هذه الدولة اليهودية .

وبدأت محاولات هرتزل لكسب الدول الكبرى لانه كان يعارض بشدة أية محاولة للتسلل التدريجي الى فلسطين ، اذ أن خطته كانت تقضي بالحصول على ميثاق من السلطان العثماني عبد الحميد يمنح بموجبه الحق في اقامة وطن يهودي في فلسطين يتمتع بحكم ذاتي كما حاول عن طريق رشوة المسؤولين العثمانيين وتقديم الوعود بشأن قروض يهودية عاجلة وتنظيم المالية العثمانية المتدهورة شراء موافقة السلطان على مشاريع الصهيونية في فلسطين ولكن جهوده جميعها باءت بالفشل(٢) كما حاول هرتزل الحصول على هذا الميثاق من القيصر الالماني مقابل دعم مصالح وسياسة المانيا في الشرق الادنى. وعلى اثر فشله في ذلك حاول هرتزل ان يحول مكان الدولة اليهودية الى شرق افريقيا والى اوغندة بالذات الا ان موته جعل قادة الصهيونية يتغاضون عن ذلك ، وتقرر عدم توجيه الجهود الى دولة كبرى بالذات بل توجيهها الى أي دولة او مركز قوة تخدم هدف اقامة دولة يهودية.وكانت المانيا وبريطانيا المرشحتين لهذه المهمة الا ان الجهود توجهت بصورة رئيسية الى بريطانيا واسفرت هذه الجهود عن النجاح الذي أدى ببريطانيا الى ان تمنح الصهيونية تأييدها في اقامة الدولة اليهودية واعطائها لوعد بلفور في سنة ١٩١٧ ، وشهدت فلسطين بدء هجرة « الرواد الصهاينة » هذه الهجرة التي مولت من قبل الرأسمالية اليهودية الاوروبية كروتشلد وغيره . وفي نيسان ١٩٢٠ أعطت عصبة الامم بريطانيا حق الانتداب على فلسطين وجاء في قرار العصبة ما يلي « ان على حكومة بريطانيا ان تضع قرار ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ موضع التطبيق وان تتبع كل الطرق لتكوين وطن قومي لليهود في فلسطين بتشجيع الهجرة اليهودية وغير ذلك من الاجراءات». لقد نقلت الصهيونية مركزها الى بريطانيا لمحاولة فرض ضغط على الحكومات البريطانية بصورة مستمرة . ولقد اصيبت الدبلوماسية الصهيونية بعدة انتكاسات الا انها سارت في خط نجاح متصاعد ادى الى تشجيع الحكومات البريطانية المتوالية للهجرة اليهودية الى فلسطين رغم التقارير التي رفعتها اللجان التي كونتها الحكومة البريطانية لاستقصاء الحقائق ، من أن الهجرة ستؤدي الى الصدام الحتمي بين العرب الفلسطينيين واليهود(٣). وتوجت هذه المحاولات بتعيين السيد ارثر واكهوب في اوائل ١٩٣١ مندوبا

سامیا وقد تم تعيينه من قبل ماكدونالد رئيس وزراء بريطانيا بالمذاكرة مع وايزمان ، وقد قطعت الصهيونية برعاية واكهوب وتحت ظله مراحل كبيرة من تنفيذ مخططها لاغتصاب فلسطين(٤). ولقد تم على أثر ذلك زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين . لقــد قطعت الصهيونية أشواطا كبيرة منذ قراراتها الاولى في مؤتمر بال حتى سيطرة النازية علــى الحكم في ١٩٣٣ ، ففي الفترة ما قبل ١٩٣٠ كانت الصهيونية تنتظر مجيء اصدقائها الى الحكم ما بعد ١٩٣٠ فقد كان معظم اصدقاء الصهيونية في الحكم حتى انها لم تتردد في سنة ١٩٣٠ في ارغام حتى رئيس وزراء بريطانيا على الرضوخ لارادتها(٥)،ان الصهيونية كانت في موقع قوة حين ظهور النازية وهذا ما مكنها من فرض ضغط علــى الحركــة النازية نفسها كما سنرى فيما بعد .

ظهــور النازية

لقد كان ظهور النازية احد العوامل التي أثرت على مجرى الامور في اوروبا والشرق الاوسط والذي يعنينا هنا هو مدى تأثير النازية على القضية الفلسطينية .

ان هناك القليل مما قيل عن هذا الموضوع ربما لان النازية كانت تبدو بصورة ظاهرية وكأنها على طرفي نقيض من الصهيونية فلذلك كان من المتوقع ان يشكل ظهور النازية خطرا حقيقيا على مطامح الصهيونية ويمنعها من خلق دولة يهودية في فلسطين ، الا ان الحقيقة ليست كذلك بل بالعكس تماما . ولنبدأ أولا بموقف هتلر من اليهودية ومــن الاجناس لان ذلك سيساعد على تفهم السياسة الخاطئة لالمانيا في الشرق الاوسط .

لقد عاش هتلر مؤسس النازية فترة الحرب العالمية الاولى كجندي وشهد هزيمــة المانيا وتوصل الى الاستنتاج بأن مسؤولية هزيمة المانيا تقع على عاتق اليهودية العالمية وأصبح يؤمن بأن اليهود هم أصل البلاء للامة الالمانية ، لان الامة الالمانية تمثل افضل عنصر — العنصر الآري — في العالم أما اليهود فقد اعتبرهم على أنهم مدنسو هــذا العنصر والمسؤولون عن هزيمته وفي ذلك يقول : — « اختارت اليهودية العالمية مجالا لدسائسها وهدفا لمؤامراتها لان بلشفة بلادنا ، اي تخريب الوجدان القومي الالماني ، يخضع طاقة امتنا المنتجة لاشراف المؤسسات المصرفية اليهودية مما يشكــل خطوة واسعة نحو اخضاع العالم كله للسيطرة اليهودية(٦).

ان نظرية هتلر النازية والعنصرية لا تشمل كراهية اليهود فحسب بل انهــا تشمل بقية الاجناس ، فقد قسم هتلر الاجناس الى متفوقة وعلى رأسهــا العنصر الآري — الالماني والى أجناس منحطة ، وصنف هتلر العرب ضمن الشعوب المنحطة وكان ينظر منذ البداية الى تدخل المانيا في الشرق الاوسط وفي مصر على أنه شيء مستهجن فقد كان ضد اي تحالف مع شعوب هذه المنطقة وكان ينتقد هؤلاء « العنصريين » الذين كــانوا يحلمون بسقوط الامبراطورية البريطانية بواسطة تحالف الماني — مصري — هنــدي فيقول : « ولم يكن العنصريون الذين توقعوا خــيرا من الحركة الاستقلالية في مصر ، اعقل من اخوانهم الذين بقوا يرقبون انهيار الامبراطورية البريطانية كنتيجة منطقيــة لجنوح الهنود الى المقاومة ، فالجهاد المقدس يمكن ان يزعج الانكليز في وادي النيل ولكن المصريين لن يفلحوا في زحزحة الكابوس البريطاني ولن يذهبوا في التضحية الى حــد الجود بدمائهم في سبيل قضية « اخوانهم » الالمان كما يتوهم الخياليون من المواطنين ، ان الذين آمنوا بجدوى الكفاح المشترك — كفاح الماني — مصري — هندي لم يفطنوا الى واقعهم الاليم ، وانا كعنصري اتخذ من الاعراق مقياسا لقيمة الشعوب ، لا ابيح لنفسي ربط مصير شعبي بمصير شعوب تحتل في التسلسل العنصري مرتبة وضيعة »(٧).

ان هذه الاقوال تمثل وجهة نظر هتلر نحو العرب والشرق الاوسط ولعلها كانت ، مع

أسباب اخرى ، العامل الذي جعل هتلر يقف موقفه العدائي ــ بالنتيجة ــ من طموحات العرب .

استلم هتلر الحكم في المانيا سنة ١٩٣٣ وكان همه الاول هــو تصفية المعــارضة اليسارية ومن ثم تقوية المانيا وزيادة قدرتها العسكرية وطرد اليهود من المانيا . ففــي نيسان ١٩٣٣ اعلنت اول القوانين العنصرية ضد اليهود واسمه (قانون اعادة الخدمة المدنية) وكانت نتيجة هذا القانون تجريد اليهود من مساهمتهم في الحيــاة التجاريــة والثقافية والمهنية داخل المانيا(٨) وتبع ذلك مجموعة من القوانين ضد اليهود ، فما كان من المنظمات والجمعيات اليهودية في أنحاء العالم الا ان أعلنت مقاطعتها للبضائع الالمانية مما جعل المانيا تعطل هذه القوانين لمدة سنتين ثم تعقد اتفاقية الهافارا مع الصهيونية في محاولة منها لكسر طوق المقاطعة اليهودية للبضائع الالمانية ، هذه الاتفاقية التي لعبت دورها في اتجاهات القضية الفلسطينية .

الوضع في فلسطين بين ١٩٣٣ ــ ١٩٣٩

كانت فلسطين سنة ١٩٣٣ تحت الانتداب البريطاني الذي كانت مهمته تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، لقد بلغت الهجرة اليهودية في خلال العشرينات حوالي ٨٠ الف يهودي اما سنة ١٩٣٢ فقد بلغ عدد المهاجرين اليهود ٣٠٠ر١١ وبلغ عدد اليهود فــي فلسطين في نهاية ١٩٣٢ ثلاثة أمثال ما كان عليه عام ١٩١٨ فقد وصل هذا العدد الــى ٢٠٠ الف ، كانوا يشكلون ٢٠ ٪ من السكان وارتفعت نسبة ملكية اليهود للاراضي في نفس الفترة الى ضعف ما كانت عليه سنة ١٩١٨ ولكنها لم تشكل سوى ما يقرب من ٤ ٪ من مجموع مساحة الارض(٩) .

لقد كان الوضع في فلسطين في ذلك الحين يتجه اتجاها متسارعا نحو الاصطدام ما بين حكومة الانتداب والصهيونية من جهة وبين الفلسطينيين من جهة ثانية الذين كانوا يشعرون بالخطر الذي يفرضه ازدياد الهجرة اليهودية الى فلسطين وطبعا كانت حكومة الانتداب ملزمة وراغبة بتنفيذ وعد بلفور وصك الانتداب . واستمر هذا الوضع المتوتر حتى فجره التخلخل الذي تسبب في دخول ايطاليا الى الشرق الاوسط كعــامل مضــاد لبريطانيا وشهد عام ١٩٣٥ زعزعة هيبة بريطانيا في فلسطين فقد تمت عملية غــزو الحبشة من قبل ايطاليا مما سبب ردود فعل اقتصادية خطيرة في فلسطين فقد اشتدت طلبات سحب العملة من البنوك في فلسطين وحدث تدهور عام في النشاط الاقتصادي واستفحلت البطالة وتزايد عنف الدعاية المعادية لبريطانيا التي كان مصدرها محطــة باري الايطالية(١٠) . هذا ، وازدياد قدوم المهاجرين اليهود ، ساعد على ازدياد الاحوال سوءا مما سبب في النهاية في اندلاع الثورة الفلسطينية في١٩٣٦ والتي دامت ثلاث سنوات . لقد حاولت بريطانيا استعمال القوة والارهاب وبمعاونة الحركة الصهيونية في فلسطين في القضاء على هذه الثورة في مهدها الا انها فشلت في ذلك . لقد كان الشرق الاوسط منطقة حيوية لبريطانيا ولاقتصادها وخاصة وانها كانت تدرك بأن المانيا تسلح نفسهــا استعدادا للحرب . ان هذه الاهمية تتوضح في نية بريطانيا للدفاع عن هذه المنطقة فقد طلب تشمبرلين رصد اربعمائة مليون جنيه لزيادة التسلح للدفاع عن بلجيكا وعن مصر والعراق أيضا(١١)، لذلك فقد كان متوقعا ان تلجأ بريطانيا الى الدبلوماسية بعــد أن فشلت القوة لايقاف الثورة فارسلت لجنة ملكية لاستقصاء الحقائق وتقديم حل للوضع وعرفت باسم لجنة بيل باسم رئيسها ــ وصلت هذه اللجنة فــي ١١ تشرين الثــاني ١٩٣٦ وانتهت من وضع تقريرها في ٧ تموز ١٩٣٧ وفيه اوصت بتقسيم فلسطين الى قسمين، دولة يهودية واخرى فلسطينية، وعلى اثر ذلك رفضت قيادة الثورة الفلسطينية التقسيم واستمرت الثورة الى ان اخمدت في ١٩٣٩ وفي نفس العام عقد مؤتمــر لندن

لفض النزاع العربي اليهودي في فلسطين واسفر هذا الاجتماع عن صدور الكتاب الابيض في ١٧ ايار ١٩٣٩ والذي فرض تقيدات صارمة على الهجرة وعلى اثر ذلك أعلن المؤتمر الصهيوني المنعقد في الخريف التالي عدم شرعية الكتاب الابيض ولكن سرعان ما زج العالم في حرب عالمية ثانية ووضع موضوع فلسطين على الرف(١٢). ان بريطانيا كانت مدفوعة الى تحديد الهجرة بسبب خوفها من ازدياد النشاط المعادي لها في الاوساط العربية ، خاصة وان الثلاثينات شهدت نمو تيارات موالية لايطاليا الفاشستية ولالمانيا النازية بين العرب واهم هذه التيارات هي جماعة (مصر الفتاة) في مصر التي اطلق عليها حزب القمصان الخضر والذي كان يتزعمه احمد حسين والحزب القومي السوري الذي كان يتزعمه انطوان سعاده في لبنان وسوريا وفي فلسطين كان المفتي الحسيني ممثلاً لهذا التيار(١٣).

موقف المانيا النازية من القضية الفلسطينية للحقبة ١٩٣٣ ــ ١٩٣٩

حينما استولى هتلر على الحكم في المانيا كانت سياسته بخصوص الشرق الاوسط تسير في نفس الخطوط التي سارت عليها جمهورية ويمار الا وهي اعتبار الشرق الاوسط منطقة خاضعة للنفوذ البريطاني الا ان عقد اتفاقية الهافارا غيرت من هذه السياسة ، لقد كان هتلر يؤمن بأن عليه محاربة اليهودية وطرد اليهود من المانيا ولم يكن ليأخذ فكرة انشاء الوطن القومي مأخذ الجد كما يبدو ذلك واضحا في قوله : « بينما تحاول الصهيونية اقناع الجزء الاخر من العالم بأن حاجة الوعي القومي لليهود تلبى باقامة دولة فلسطينية يهودية يعمل اليهود على غش « الكريم » الغبي . انهم لا يفكرون بخلق دولة يهودية في فلسطين من اجل استيطانها ، ولكنهم فقط يرغبون بمنظمة مركزية لغشهم العالمي متمتعة بحصانات وبعيدين عن هيمنة الاخرين ، يريدون ملجأ للمجرمين ومدرسة لتخريج سفلة المستقبل »(١٤).

كان صعود هتلر يشكل خطرا على يهود المانيا بصورة خاصة وعلى يهود اوروبا بصورة عامة . الا ان الصهيونية رأت في صعوده فرصة لاجبار اليهود وترحيلهم الى فلسطين ، ولقد اقامت الحركة الصهيونية اتصالات مع قادة الحركة النازية والفاشية منذ البداية على يد بعض زعمائها كبولكيس وتوسيغ ولقد كتب الصحفي الالماني هانس هينة يقول « ان الصهاينة لم يعتبروا توطيد اقدام النازيين في المانيا كارثة قومية ، بل اعتبروه امكانية تاريخية فريدة لتحقيق المقاصد الصهيونية »(١٥).

لقد ساعد هؤلاء القادة النازيين الحركة الصهيونية في مساعيها لتوجيه الهجرة اليهودية الى فلسطين بالذات ، وتشكل في برلين بما يسمى بمكتب فلسطين لتنظيم هجرة اليهود الالمان ولقد ذكر جون وداود كيمشي مؤلفا كتاب « الطريق السرية » بأن المفوضين الفلسطينيين ممثلي الحركة الصهيونية ، « كانوا يأتون الى المانيا النازية لا لانقاذ اليهود الالمان ، بل لاختيار الرجال والنساء الشباب المستعدين للذهاب الى فلسطين لكي يصبحوا روادا ويناضلوا ويحاربوا »(١٦).

وقد التقت رغبة النازيين في التخلص من يهود المانيا مع رغبة الصهيونيين في استقدامهم الى فلسطين ، فتم انشاء ما يسمى بمعسكرات « اعادة التدريب » من قبل السلطات النازية لتدريب اليهود الذين تقرر تهجيرهم الى فلسطين . بل ان الحركة الصهيونية ارسلت الى رايخ هتلر ممثلين عن (ماساد) ــ احدى المنظمات التي انشأها زعماء الهاغاناه ــ اثناء مذبحة اليهود الالمان عام ١٩٣٨ التي سميت اصطلاحا (الليلة البلورية) حيث دمر النازيون اكثر من سبعة الاف مخزن يهودي ، واقترح هذان الممثلان ، وهما بينو غيتسبورغ وموشه افرباخ ، التعجيل في تنفيذ البرنامج الصهيوني

لاعادة تأهيل اليهود الراغبين بالسفر الى فلسطين . وقد وصل التعاون بين النازيين وقادة الصهيونية فيما بعد خلال الحرب الى حد موافقة الصهيونية على السكوت على جرائم الحكومة النازية ضد اليهود مقابل « انقاذ » المنتمين الى الحركة الصهيونية من اليهود وتهجيرهم الى فلسطين . وفي المجر مثل الحركة الصهيونية الدكتـــور رودلف كاسنر الذي تم الاتفاق بينه وبين ايخمان بأن يسمح الاخير بالهجرة لعدة الاف من اليهود الى فلسطين مقابل « الهدوء والنظام » في المعسكرات التي شحن منها مئات الالوف من اليهود الى اوشفتز (معتقلات الابادة) .

أما في اوائل عهد حكم النازية ، فقد عقدت الصهيونية اتفاقية الهافارا مع المانيـــا النازية لنقل اليهود الالمان الى فلسطين مقابل كسر الصهيونية للحصار الاقتصادي الذي فرضه اليهود على البضائع الالمانية نتيجة للقوانين والمعاملة التي فرضتهـــا المانيا على اليهود الالمان . ولقد منحت هذه الاتفاقية اليهود الالمان المهاجرين الى فلسطين حق وضع ملكياتهم في رصيد خاص بهم في المانيا ، هذا الرصيد الذي استعمل لدفع حساب المانيا لصادراتها الى فلسطين ، لقد كان امل المانيا من عقد هذه المعاهدة وقف أية نية لمقاطعة اليهود للبضائع الالمانية المصدرة الى فلسطين(١٨) ان اونست ماركوس وهو صهيوني اشترك في التعامل مع الالمان يعتقد بأن المسؤولين الالمان الذين عقدوا المعاهدة قد نالوا رضاء هتلر(١٩). وربما كان ماركوس يرجع بهذا الى خطاب لهتلر في ٢٤ تشرين الاول ١٩٣٣ والذي ذكر فيه هتلر — بلا ذكر اسم الهافارا — بأن المانيا بعكس بريطانيا كانت تساعد الهجرة اليهودية(٢٠). ان هذه الاتفاقية منحت الصهيونية سلاحا فعالا ، فقـــد كانت تضمن هجرة اليهود الالمان الى فلسطين فقط لان المعـــاهدة كانت تعوض هؤلاء اليهود المهاجرين الى فلسطين اما غيرهم فقد كانت اموالهم تصادر بدون تعويض ، وفي نفس الوقت فأن المانيا حفظا لمصالحها الاقتصادية لم تأخذ بنظر الاعتبار مصالح الالمان المقيمين في فلسطين وكذلك منحت المانيا للهافارا احتكارا للبضائع الالمانية المصدرة الى فلسطين وهذا يعني بأن الالمان والفلسطينيين الذين كانوا يرغبون بالتعامل مع المانيـــا عليهم ان يفعلوا ذلك من خلال الهافارا ، لقد كان هذا الموقف ضربـــة قويـــة للقضيـــة الفلسطينية ، فقد مكن الصهيونية من استيراد خبرة الفنيين اليهود الالمـــان والمكـــائن الالمانية التي كانت تحتاجها المستعمرات اليهودية ، لقد ازدادت الصادرات الالمانيـــة الى فلسطين من ١١٤٤ مليون مارك في ١٩٣٢ الى ١٦٤٧ مليون مارك عام ١٩٣٣ ثم الى ٣٢٤٤ مليون مـــــارك عام ١٩٣٧(٢١) وهبطت قليـــــلا خـــلال سنتي ١٩٣٨ — ١٩٣٩(٢٢) وكانت نسبة زيادة الصادرات هي كما يوضحها الجدول (أ) التالي(٢٣).

(الجدول أ)

نسبة زيادة الصادرات الالمانية الى فلسطين الى النسبة الكلية للصادرات

السنة	النسبة
١٩٣٢	١٠ ٪
١٩٣٦	١٤ر٥٩ ٪
١٩٣٧	١٦ر٥٣ ٪
١٩٣٨	١٤ر٤٨ ٪
١٩٣٩	١١ر٠٨ ٪

كما ان صعود هتلر قد اثر تأثيرا كبيرا على الهجرة الى فلسطين فقد اثر ظهور النازية في ازدياد قوة الموجة اللاسامية ، وبالتالي في ازدياد قوة الحركة الصهيونية نتيجة انضمام العديد من العناصر اليهودية المضطهدة الى هذه الحركة . لقد ازدادت الهجرة الى فلسطين من المانيا وبولونيا ورومانيا بشكل خاص كما يبينه الجدول (ب)(٢٤).

(الجدول ب)

الدول التي ساهمت بأكبر عدد من المهاجرين اليهود الى فلسطين

	١٩٣٢	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	٣٢–٣٨
المانيا	٣٥٢	٥،٣٩٢	٦٩٤١	٨٦٣٠	٨١٨٠	٣٦١١	٦٧٣٣	٣٩٨٣٩
بولونيا	٣١٥٦	١٣١٢٥	١٨٠٢٨	٢٧٨٤٣	١١٥٩٦	٣٦٣٦	٦٢٦٩	٨٠٦٥٣
رومانيا	٥٠٤	١٤١١	٢٥٣١	٣٨٩٠	١٤٤٤	٣١٤	٥٩١	١٠١١٣
المجموع (من جميع الدول)	**٩٥٥٣**	**٣٠،٣٢٧**	**٤٢،٣٥٦**	**٦١،٨٥٤**	**٢٩،٧٢٧**	**١٠،٥٣٦**	**١٢،٨٦٨**	**١٩٧،٢٢٢**
نسبة الهجرة من المانيا	٪ ٣،٦	٪ ١٧	٪ ١٦	٪ ١١	٪ ٢٧	٪ ٣٤	٪ ٥٢	٪ ٢٠

كانت السياسة المتبعة في كل من بولونيا ورومانيا هي تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين ولقد كانت المنظمات الصهيونية قوية في كلتا الدولتين ولقد حاولت بولونيا عقد اتفاقية شبيهة بالهافارا فقد رفع دتمان نائب القنصل الالماني في القدس تقريرا (القدس في ١٠ اغسطس) اشار فيه الى مخاوف قيادة الثورة الفلسطينية من ازدياد الهجرة من بولندا وذكر بأن الدكتور وايزمن ، رئيس الوكالة اليهودية ، كان يزمع التوجه الى وارسو ليضمن مساندة الحكومة البولونية لخلق دولة يهودية في فلسطين(٢٥).

ان هذا الموقف الالماني كان منافيا تماما للدعاية التي بثتها الأجهزة النازية بين العرب من ان المانيا تؤيد القضايا العربية والقضية الفلسطينية بالذات لان التصرف الفعلي كان قطعا أحد الاسباب التي أدت الى ايجاد الدولة اليهودية في فلسطين ، لقد وقفت المانيا منذ البداية موقفا سلبيا من كل نشاط عربي معادي لبريطانيا ، فحينما قامت في تشرين الاول ١٩٣٦ حكومة مناوئة لبريطانيا في العراق وطلبت هذه الحكومة السلاح من المانيا ، كان الجواب بالرفض الا اذا دفعت الحكومة العراقية نقدا وبالعملة الاجنبية(٢٦) ولم يتغير هذا الموقف الى نهاية الحرب فحينما طالب مفتي فلسطين من هتلر في مقابلة له في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤١ ان تؤيد المانيا فعليا العرب وان تقف الى جانب سوريا ضد فرنسا ، اجابه هتلر بأن المانيا اذا وقفت هذا الموقف فانها ستجعل انصار ديغول يقوون اكثر(٢٧) وبين للمفتي بأن المانيا لا تستطيع ان تقف علنا الى جانب العرب ، وعند ذلك طلب المفتي من هتلر ان يعقدان معاهدة سرية تقضي بتأييد المانيا لطموحات العرب عند انتصارهـا في الحرب ، اجابه هتلر بأن كلامه هو بمقام هذه المعاهدة(٢٨) وكان عذره بأن اتفاقا او معاهدة سرية يعرف بهـا أشخاص عديدون ، لا تبقى سرا مكتوما ، ولا تلبث ان تعرف »(٢٩). الا ان المانيا منحت المفتي وعدا في بداية ١٩٤٢ كما سنأتي على ذكره . اما بالنسبة لفلسطين فحينمـا قامت ثورة ١٩٣٦ طلب الثوار الفلسطينيون السلاح من المانيا فرفضت ذلك بل انها وقفت ضد اعضاء الجالية الالمانية في فلسطين والبالغ عددهم حوالي ٢،٠٠٠ والذيـن كانوا ينتمون الى الحزب النازي في فلسطين حينما رغبوا ان يتخذوا جانب العرب نظرا لمخاوفهم من ازدياد النفوذ

اليهودي الذي سيهدد وجودهم للمدى البعيد . لقد مثل قنصل الرايخ في القدس المسمى دول Dohl وجهة النظر هذه وقد رفع مذكـرة الى حكومة الرايخ جاء فيها « يجب ان يكون من الواضح ان حل مسألة فلسطين لصالح اليهود وحدهم سيرغـم المستعمرين الالمان على الهجرة وسيجعل المؤسسات الالمانية تغلق أبوابها »(٣٠). الا ان الاوامر التي جاءت من المانيا منعت كل تعاطف فعلي مع العرب الفلسطينيين وعدم الانحياز الى احد الاطراف المتنازعة . وحينما وصلت الى الجستابو اشاعات مفادها بأن دول القنصل العام الالماني في القدس منح السلاح للعرب، عبر ممثل الجستابو في سنة ١٩٣٦، دكتور ريتشارد ، الذي كان يمثل رسميا الوكالة الالمانية الجديدة في فلسطين عن رأيه في عدم تورط المانيا في النزاع العربي — اليهودي ورفع تقريرا الى دول يقول فيـه « بـأن هذا التصرف سيكون خطرا لانه سيؤثر على العلاقة بين المانيا ويهود فلسطين » ، وكان اقتراحه ان يستخدم اليهود في فلسطين كواسطة لوقف المقاطعة اليهودية العالميـة ضد المانيا(٣١). اما كورنيلوس شوارتز رئيس الحزب النازي في فلسطـين فقد أمر أعضاء الحزب النازي في ١٩٣٦ بأن يبقوا على الحياد في النزاع العربي — اليهودي . « ويجب ان نقف ضد أي شيء يزيد النار اشتعالا »(٣٢). اما وزارة الخارجية الالمانية فقد أصرت على عدم التدخل في النزاع القائم في فلسطين(٣٣). وحينما حاولت منظمـة الالمان في الخارج أن تتدخل لصالح الثورة الفلسطينية تلقت الاوامر من هتلر بعدم التدخل فـي النزاع وعدم مساندة العرب « لان ذلك سيؤثر على الهجرة اليهودية من المانيـا الى فلسطين »(٣٤). وحينما ذهب كروبا — مبعوث هتلر — الى بغداد سنة ١٩٣٦ طلبت الحكومة العراقية السلاح فكان جواب مبعوث المانيا « ان المانيا تتعاطف بحق مع العرب ولكنها لا تستطيع ولا تريد تأييدهم بالسلاح »(٣٥). وعندما طلبت قيادة الثورة في فلسطين من المانيا تزويدها بالتأييد والسلاح أجاب رئيس القسم السياسي في وزارة الخارجية الالمانية فون فايرزكر « بأنه ريثما يبدو واضحا تدخلنا فأن التأثير سيكون عكس الذي نريده »(٣٦).

لقد كان هذا هو الموقف الالماني من القضية الفلسطينية حتى ظهور تقرير اللجنة الملكية البريطانية حيث حدث تغير موقت في السياسة الالمانية فقد انتبهت المانيا الى خطر ظهور دولة يهودية في الشرق الاوسط وحاولت اول الامر ان تقف بصورة ما امام هذه الفكرة الا انها غيرت سياستها بعد ذلك بقبول هذه الفكرة كما يبدو من تقارير وزارة الخـارجية الالمانية واجهزة الحزب لهذه الفترة. فقد تسبب ظهور تقرير لجنة بيل اول الامر ظهور ردود فعل قوية عند الالمان فقد بعث فون ثيورات —وزير الخارجية الالمانية— في اول يونية ١٩٣٧ بتعليمات خاصة الى السفارة الالمانية في لندن والى القنصلية الالمانية العاملة في القدس والى البعثة الدبلوماسية الالمانية في بغداد . وفي الثاني والعشريـن من نفس الشهر ارسلت وزارة الخارجية الالمانية رسالة دورية الى ممثلي المانيا في الخارج . وكانت كل من الوثيقتين تتناول قضية فلسطين . ولقـد بينت الوثيقتان ان علاقة المانيا بشؤون فلسطين كانت حتى ذلك الوقت تتصل باعتبارات السياسة الداخلية ، وجاء فيهما « حتى ذلك الوقت كان الهدف من سياسة المانيا نحو المشكلة هو تشجيع هجرة اليهود من المانيا بقدر المستطاع » . وتمضي الوثيقة قائلة : « ان انشاء دولة يهودية او كيان سياسي يسيطر عليه اليهود في ظـل الانتداب البريطاني ليس في مصلحـة المانيا لان الدولة الفلسطينية لن تستوعب يهود العالم ولكنها ستقيم مركز قوى جديدا لليهودية العالمية في ظل القانون الدولي بشكل يشبه دولة الفاتيكان بالنسبة الى الكاثوليكية السياسية او موسكو بالنسبة الى الكومنترن »(٣٧). ولكن الرسالة التـي تبعت هذه الوثائق كانت تحتوي على التحفظ الهام الآتي : « لا يجب ان يكون من المتوقع ان يؤثر التدخل الالماني المباشر بالضرورة في تطور القضية الفلسطينية »(٣٨).

كان من المؤمل ان تغير المانيا الهتلرية موقفها من القضية الفلسطينية بحيث يكون ايجابيا وفقا لهذه الوثائق التي عممتها وزارة الخارجية الالمانية على بعثاتها . ولكن الامر الغريب هو أن الموقف العملي الالماني ، بعد تقرير لجنة بيل ، اصبح اكثر سلبية من الماضي فقد رفع هنيتج رئيس القسم السياسي الخامس (المختص بالشرق الاوسط) في وزارة الخارجية تقريرا الى هتلر يبين فيه ضرورة استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين ووافق هتلر على هذا التقرير ، واستمرت الهجرة اليهودية كما كانت قبل تقرير اللجنة الملكية . وفي تموز ١٩٣٧ صرح مصدر مسؤول في وزارة الداخلية بأن هتلر قرر ان تتركز الهجرة اليهودية على فلسطين ، لان هذا سيخلق مركزا واحدا لليهود في العالم(٣٩). وفي شهر كانون الثاني ١٩٣٨ صرح مصدر مسؤول في قسم السياسة الاقتصادية في وزارة الخارجية بأن هتلر قرر تشجيع الهجرة اليهودية بكل مـا أمكن من الوسائل(٤٠) وعلى أساس ذلك غيرت وزارة الخارجية موقفها من معارضة التقسيم وخلق دولة يهودية . وحينما طلبت قيادة الثورة الفلسطينية تصريحا من القيادة الالمانية ضد تكوين دولة يهودية في فلسطين كان جواب ثيوارت ، وزير الخارجيـة ، « بأن ذلك غير ممكن »(٤١). وفي تشرين الاول ١٩٣٧ قبل ثيوارت مبدأ التقسيم ولكنه طلب من انكلترا بأن تضمن سلامة المواطنين الالمان في فلسطين . ان هذه المواقف التي اتخذتها المانيا النازية من القضية الفلسطينية كانت في الحقيقة انعكاسا للاتجاهات المتصارعة في الحـركة النازية التي أسفرت عن انتصار الاتجاه الموالي للهجرة اليهودية ، فقد كان دول القنصل العام الالماني في القدس ومنظمة الالمان في الخارج يطالبان بسياسة مؤيدة للعرب في فلسطين ، بينما كانت الاجنحة الاخرى في الحزب النازي تقف ضد هذا الاتجاه ، وقد عقدت عدة مؤتمرات في المانيا في شهري تموز وآب ١٩٣٧ حضرها مختصون في السياسة الخارجية والدوائر المعنية في الحزب النازي وفي هذه المؤتمرات ظهرت عدة اتجاهات أولها الاتجاه الموالي للعرب والقاضي بوقف الهجرة الى فلسطين ومساعدة العـرب وكان يمثل هذا الاتجاه بعض موظفي منظمة الشؤون الخارجية في الحزب النازي ومنظمة الالمـان في الخارج وقنصل المانيا العام في القدس ، ولقد كان هذا التيار يؤمن بأن المانيا قد خسرت اقتصاديا من جراء عقدها معاهدة الهافارا « وبأن هذه المعاهدة تعتبر سياسيا تأييدا ثمينا لتكوين دولة قومية يهودية بمساعدة راس المال الالماني »(٤٢). وكانت هذه وجهة نظر مكتب وزارة الخارجية المختص بشؤون الالمان الداخلية في تقريره المرفوع في آذار ١٩٣٨ والذي جاء فيه « بأن معاهدة الهافارا تساعد في بناء دولة يهودية في فلسطين »(٤٣).

أما التيار الثاني فقد كان يتزعمه جوليوس ستريشر(٤٤) وينادي بتجميد اليهود وابادتهم وهم داخل المانيا ، ولم تتبن النازية هذا الاتجاه الا في اثناء الحرب العالمية الثانية . اما الاتجاه الثالث فهو الاتجاه الذي كان يعرف بالاتجاه « المؤيد للصهيونية » ، فقد كان هذا التيار يؤيد اتفاقية الهافارا والهجرة الى فلسطين وعدم التدخل الى جانب العرب ، ويؤيد هذا التيار أكثرية أجهزة الحزب النازي ؛ فقد نشر مكتب السيطرة على التبادل الخارجي في كانون الاول ١٩٣٧ تقريرا جاء فيه بأن هذه الاتفاقية ــ الهافارا ــ قد منحت المانيا وسيلة رخيصة للتخلص من اليهود الالمان ، فمن مجموع ١٢٠ الف يهودي الماني أمكن التخلص من ٤٠ الف يهودي هاجروا الى فلسطين من ١٩٣٣ ــ ١٩٣٧ ، وعقد المكتب أمله من ان الهافارا ستمكن ٢٠ ــ ٢٥ ألف يهودي من الهجرة الى فلسطين كل سنة . ثم أضاف بأن هذه الحقائق « لا تبرر فقط بل تطالب باستمرار فعاليات الهافارا »(٤٥). لقد تبنى هذا الموقف فون هنيتج رئيس القسم السياسي الخاص (المختص بشؤون الشرق الاوسط) في وزارة الخارجية. لقد حول هنيتج كثيرا من شعارات النازية حول « اليهودية العالمية » الى أعمال موالية للصهيونية(٤٦)، فقد كان يقول بأن بعثرة اليهود في العالم ستكون اكثر خطرا مما لو تركزوا في فلسطين حيث ان قيام دولة يهودية في فلسطين

ستمكن المانيا بالتعامل مع شخصيات رسمية وليس مع شخصيات عديدة وغير رسمية كما يحدث الان . وقد ادعى هنيتج بأن معدل الهجرة اليهودية سنويـــا من المانيا يبلغ ٣٠ ــ ٤٠ الفا ومعنى ذلك ان المانيا ستتخلص من يهودها في عشر سنين(٤٧) . اما وزارة الاقتصاد فقد كانت تؤيد الهجرة بقوة لانها لا تكلف الالمان كثيرا ، بل ان بيع البضائع الالمانية عن طريق الهافارا قد وفر العمل للعمال الالمان كثيرا ، ولقد عبر بعضهم عن مخاوفه من أن يؤدي الغاء الهافارا الى المقاطعة اليهودية العالمية للبضائع الالمانية(٤٨) . وكذلك أيدت هذا الاتجاه وكالة استخبارات الحزب النازي كأيخمان الذي نشر مجموعة من المقالات المؤيدة للهجرة اليهودية(٤٩) ، والجستابو الذي نظم كل عمليات الهجرة الى فلسطين بالذات حتى بعد ان حددت بريطانيا الهجرة اليهودية ، فقد قام الجستابو بتهجير اليهود لا قانونيا ــ هؤلاء الذين لم يحصلوا على رخصة الهجرة من سلطات الانتداب ــ واستمرت معونة الجستابو للهجرة اليهودية حتى بدء الحرب سواء أكانت هذه الهجرة قانونية أو غير قانونية(٥٠) ، بل ان الجستابو لم يتدخل في الفعاليات والنشاطات الصهيونية حتى نهاية ١٩٣٧(٥١) .

وفي نوفمبر ١٩٣٨ ازدادت الهجرة الى فلسطين تحت تشجيع « مكتب الرايخ للهجرة اليهودية » الذي كان تحت قيادة رينهولد هايدرك والذي قال لغورنك في احد المؤتمرات في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٨ ان مكتبه في فينا قد أرسل خلال ثمانية اشهر حوالي ٥٠ الف يهودي الى فلسطين . وقد أخبر رينهولد ممثلي الاجهزة المعنية بأنه للتغلب على قرار تحديد هجرة اليهود الذي فرض من قبل انكلترا بعد ثورة ١٩٣٦ لا بد من تشجيع الهجرة غير القانونية(٥٢) . لقد ساعدت فرق الـ (أس. أس) النازية في تهريب الالوف من اليهود الى فلسطين والذي بلغ تعدادهم في نهاية ١٩٣٨ الف مهاجر كل شهر(٥٣) . ان كل هذه الظواهر قد دعت بويلوف شفانته ، وهو أحد المسؤولين الكبار في وزارة الخارجيـــة في المانيا ، أن يوضح المشابهة بين آراء الصهيونية التي كانت تشجع هجـــرة اليهود الى فلسطين وتصرفات حكومة الرايخ .

موقف الزعامات العربية

حينما دعت لجنة بيل الى تقسيم فلسطين بعد ثورة ١٩٣٦(٥٤) انقسمت الحكومات العربية الى معارض كسوريا والعراق والى ملتزم للصمت كمصر والعربية السعودية واليمن ومؤيد للتقسيم كالاردن . ولقد حاولت الحكومة التي قامت في العراق في ١٩٣٦ والتي كانت ضد بريطانيا ، شراء السلاح من المانيا ولكن المانيا لم تبعه حتى لا تغضب بريطانيا ولانها كانت تخاف ان يمنح العراق الاسلحة الى الثوار الفلسطينيين . وكذلك حاولت العربية السعودية شراء السلاح من المانيا ولكن الاخيرة لم تبع السلاح خوفا من حدوث الانشقاق بينها وبين ايطاليا لان الاخيرة كانت تنظر الى السعودية كمنطقة نفوذ تابعة لها . لقد كان موقف بعض الحكومات العربية عنصريا من الازمة منذ البداية ؛ فحينما زار خالد القرقيني ــ ممثل ابن سعود ــ هتلر في حزيران ١٩٣٩ اخبره الفوهرر بأنه يؤيد نضال العرب وبأنه مصمم على طرد كل اليهود من المانيا ونفس هؤلاء اليهود هاجروا الى فلسطين بمساعدة النازية ، وأجابه القرقيني بأن هذه هي سياسة الرسول في الجزيرة العربية . اما في فلسطين فقد كانت الثورة تقاد من قبل اللجنة العربية العليا التي لعبت دورها في اجهاض الثورة الفلسطينية لانها كانت تمثـــل الاقطاع السياسي والذي كان موقفه منذ البداية متخلفا عـــن الثورة الفلسطينية . لقـــد نبهت الجماهير الفلسطينية منذ البداية الى ما تشكله الهجرة المستمرة من خطر على الهوية العربية لفلسطين وكانت هنالك محاولات مستمرة من قبل هذه الجماهير لتنظيم الانتفاضات ضد الحكم الانكليزي والانتداب وضد الحركة الصهيونية ومخططاتها ، وتوجت هذه المحاولات

بثورة ١٩٣٦ التي شهدت اضرابا عاما في البلاد والتي قامت على تأييد شعبي واسع النطاق . الا أن القيادة السياسية في فلسطين كانت أبعد ما تكون في رغبتها في قيادة ثورة تنتهج الكفاح المسلح . لقد ذكر في احد المصادر بأن الشيخ القسام الذي قاد الانتفاضة الاولى في ١٩٣٦ حينما طلب من المفتي أن يسرع في الاعداد للثورة في جنوب فلسطين على أن يعد القسام للثورة في شمال فلسطين أجابه الحاج أمين بواسطة العزراوي « بأن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل وان الجهود السياسية التي تبذل تكفي لحصول عرب فلسطين على حقوقهم »(٥٥). علاوة على ان القيادة السياسية كانت في الوقت نفسه خاضعة لضغوط الدول العربية التي كانت بدورها خاضعة لنفوذ أنكلترا . ان التاريخ العربي المعاصر شهد في أكثر مراحله نهوضا جماهيريا واسع النطاق الا ان هذا النهوض كان يجهض من قبل القيادات السياسية ولا تستثنى فلسطين من هذا الواقع ، لقد كان هم القيادات السياسية في فلسطين حل مسألة الهجرة اليهودية وقضية الاستقلال عن طريق المؤتمرات لان تسييس أي انتفاضة جماهيرية كان يعني بالذات خطرا على هذه القيادات ، وحينما فشلت الثورة بفعل هذه الاسباب وأسباب اخرى توجهت القيادة السياسية نحو المحور ظنا منها بأن المحور قادر على أن يحل القضية الفلسطينية ، ولذلك صمتت هذه القيادة عن الهجرة اليهودية وعن موقف المانيا من القضية العربية والفلسطينية بالذات ولقد أملت هذه القيادة التي تمثلت بالهيئة العربية العليا أن تحصل على وعد من المانيا بضمان استقلال الدول العربية رغم معرفتها التامة بموقف هتلر اثناء قيام الثورة الفلسطينية ، ولقد بين المفتي بأن هتلر لم يعده بأي شيء وبأنه أخبره بأنه لا يستطيع ان يقدم للقضية العربية أي مساعدة ايجابية الا بعد أن تصل الجيوش الالمانية الى منحدرات القوقاز(٥٦). ورغم معرفة هذه القيادة بأن هتلر كان ينوي خدمة مصالحه بالدرجة الاولى ، فقد جاء في أمر سري اصدرته السلطات الالمانية في ٢٣ أيار من ١٩٤١ بشأن الشرق الاوسط وارسال بعثة عسكرية الى العراق أمر هتلر هذه البعثة ، بجمع التجارب والمعلومات ووضع الاسس للقوات الالمانية المسلحة في تلك المنطقة(٥٧). ان مفهوم كثير من القيادات التي قادت الثورة الفلسطينية كان تعزيز القاعدة الشعبية والالتجاء الى هذه القوة في حل القضية الفلسطينية ، الا ان الرأي الذي ساد في النهاية وأثر في سير الحوادث في فلسطين اثناء الثورة هو ذلك الرأي الذي كان يعتقد بأن الحل يقع بيد الدول الكبرى في ذلك الوقت وخاصة المانيا .

ولكن ما الذي قاد المانيا ان تقف هذا الموقف من الدول العربية ومن قضية فلسطين بصورة خاصة ، ان هنالك عدة احتمالات لموقف المانيا :

١ ــ ايمان المانيا النازية بأن المجال الحيوي لها كان أوربا لذلك لم تحاول المانيا ان تتعرض بالمستعمرات خارج اوربا ، لعدة أسباب منها ايمان المانيا النازية بأن التوسع خارج أوربا سيؤدي الى الانهيار ، فقد كانت المانيا تنوي التوسع وبصورة مدروسة وفي أوربا وحدها وكان هذا راي القيادة الالمانية حتى مطلع ١٩٤٠ ، لذلك حاولت المانيا كسب بريطانيا الى جانبها بعدم التعرض لمستعمراتها خارج أوربا وبضمنها الشرق الاوسط على شرط أن تتساهل انكلترا نحو مطامع المانيا في أوربا وفي ذلك يقول هتلر في خطابه في ١ نيسان ١٩٣٩ « نحن لا نريد أي شيء من فلسطين بالضبط كما ان على انكلترا ان لا تطالب بأي شيء في المجال الالماني »(٥٨).

٢ ــ ان المانيا حاولت التخلص من يهود المانيا وكانت الهجرة هي أفضل وسيلة لذلك، لان المانيا لم تستطع أن تفعل أي شيء يسيء لليهود ما قبل الحرب خوفا من الرأي العام العالمي التي كانت الصهيونية العالمية ذات تأثير قوي عليه ، ومن هنا لم يكن لدى اجهزة النازية اي مانع من التعاون مع الصهيونية في سبيل التخلص من هؤلاء اليهود . لقد

شجعت المانيا الهجرة الى فلسطين بالذات اعتقادا منها بأنها تستطيـــع استخدام يهود فلسطين للتأثير على اليهودية العالمية لوقف المقاطعة اليهودية للبضائع الالمانية . اما في فترة ١٩٣٨ ــ ١٩٣٩ فمن المحتمل بأن المانيا اعتقدت بأن من الافضل ان يتركز اليهود في نقطة واحدة ليسهل التعامل معهم .

٣ ــ ان المانيا كانت تريد ارضاء حليفتها ايطاليا ولقد كانت منطقة افريقيا والشرق الاوسط من حصة ايطاليا . ولقد أخبر فون باي ، تاجي شوكت في تموز ١٩٤٠ بوجهة النظر الالمانية من ان تحريك الوضع السياسي في الشرق الادنى كان في المحل الاول مـــن اختصاص الحكومة الايطالية(٥٩). اما فورمان ، مدير القسم السياسي بوزارة الخارجية الالمانية ، فقد كتب في مذكرته المؤرخة ٢١ تموز ١٩٤٠ « بأن ايطاليا يجب ان تكون لها الاولوية المطلقة في تنظيم المنطقة العربية »(٦٠)، لذلك فان التدخـــل الالماني في الشرق الاوسط كان سيؤدي حتما الى اغضاب ايطاليا .

٤ ــ ان المانيا النازية كانت تواجه مقاطعة يهودية عالمية لبضائعها وهذا بلا شك يضر بالاقتصاد الالماني نظرا لهيمنة اليهود على قطاعات اقتصادية واسعة في دول كبيرة لذلك كانت اتفاقية الهافارا اعلانا من قبل المانيا للصهيونية العالمية من انها لا ترغب في قيام حرب بينهما وان الهجرة اليهودية من المانيا لن تعني اكثر من رغبة المانيا في اعتقادها بأن من الافضل وجود المانيا بلا يهود وهذا الهدف يتفق مع أهداف الصهيونية العالمية ، وفي ناحية ثانية فقد كان اقتصاديو المانيا يعتقدون بأن عقد اتفاقية الهافارا ستوفر ارباحا لالمانيا وستمكنها من التخلص من اليهود الالمان بدون خسارة ، علاوة على ان النازية وجدت في هذه المعاهدة فرصتها لوقف المقاطعة اليهودية للبضائع الالمانية .

٥ ــ عدم رغبة المانيا في اغضاب السلطة الفرنسية الموالية لها في سوريا والتي كانت تابعة لحكومة فيشي لان العرب كانوا يطالبون بوعد صريح للاستقلال من المانيا ومعنى ذلك ان اعطاء أي وعد او مساعدة للعرب الفلسطينيين يعني محاولة العرب للحصول على السلاح لبقية الدول العربية او الاستقلال ، ولم تكن لالمانيا الرغبة في اثارة السلطة الفرنسية ضدها .

٦ ــ اعتقاد المانيا النازية بأنها ستحل القضية الفلسطينية لو أنها احتلت روسيا لانها ستستطيع بعد ذلك احتلال الشرق الاوسط باحتلال ايران والعراق ويتوضح ذلك في قول هتلر لمفتي فلسطين حينما سأله الاخير ان يذيع تصريحا رسميا بموافقة المانيا على اعطاء الاستقلال للعرب ، « سأقول لكم الان شيئا ارجو ان يبقى مكتوما لديكم . اولا : سأستمر في كفاحي الى ان تتم تصفية اليهودية العالمية . ثانيا : وفي اثناء هذا الكفـــاح وعندما تصبح فرق الدبابات الالمانية واسراب الجو واقفة في منحدرات جنوب القوقاز يكون قد حان الوقت الملائم لاذاعة التصريح الرسمي ، اذ تكون ساعة تحرير العـــرب قد دقت »(٦١).

ان هذا الاحتمال يتعزز حينما نرى تغير موقف هتلر في اوائل ١٩٤٢، ففي سنة ١٩٤١ منيت القوات الايطالية بخسائر فادحة في شمال افريقيا مما دفعها الى طلب مساعدة من قبل القوات الالمانية فكان راي هتلر الدخول الى ميدان حرب شمال افريقيا لتقديم مساعدة من قبل القوات الالمانية في الشرق الاوسط وضرب القواعد الانكليزية في البحر المتوسط ، ان هذا القرار جاء بعد فشل حملة المانيا لاحتلال الجزر البريطانية فكان لزاما على المانيا ان تكسب ود العرب وهذا ما دعاها الى منح العرب وعدا بالاستقلال فقد وجه ريبنتروب وشيانو رسالة الى مفتي فلسطين في ٢٨ نيسان ١٩٤٢ جاء فيها « ولذلك فاني أتشرف بأن اؤكد لكم باتفاق تام مع الحكومة الايطالية ، ان استقلال وحرية البلاد العربية المضطهدة الان تحت الحكم البريطـــاني ، هما هدف من أهـــداف الحكومـــة

الالمانية(٦٢)، ان المانيا كانت مدفوعة اولا واخيرا بمطامعها الاستعمارية في مجالهـا الحيوي الاوروبي حتى ١٩٤٠. أما فيما بعد فقد كان لزاما عليها ان تمد هذا المجـال الحيوي ليشمل دول شمال افريقيا والشرق الاوسط للسيطرة على منابع البترول الحيوية وعلى هذا الاساس يمكن ان تفهم تغير وجهة نظر السياسة الالمانية نحو الشرق الاوسط.

الا ان الاحتمال الاكثر ثبوتا هو ان هتلر لم يكن يرى في الصهيونية وفي طموحاتها أي خطر، بل انه على العكس رأى في الصهيونية ومبادئها تشابها في الاهداف التي كان يسعى اليها ومن هنا فان كل الاتفاقيات التي عقدت بين الصهيونية والنازية كانت تهدف الى خدمة الاهداف المتشابهة لدى كل من الطرفين فقد كانت النازية تهدف الى التخلص من يهود المانيا وهذا ما كانت تسعى اليه الصهيونية لتهجير هؤلاء اليهود الى فلسطين، الا انه مهما قيل في الاحتمالات التي جعلت النازية تقف هذا الموقف من القضية الفلسطينية الا ان الشيء المؤكد هو ان ظهورها قد ساعد بصورة مباشرة وغير مباشرة في تنفيذ المشاريع الصهيونية وفي خلق دولة اسرائيل.

---

١ — Walter Laqueur, *The Israel-Arab Reader*, Pelican Book, London, 28-29.

٢ — الدكتور عبد الوهاب الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، تشرين الثاني ١٩٧٠.

٣ — آلان ر. تايلور، **مدخل الى اسرائيل**، تعريب شكري محمود نديم، منشورات دار الحياة، ١٩٦٩، بيروت.

٤ — **نفس المصدر**، ص ٧٩.

٥ — **نفس المصدر**، ص ٨٠.

٦ — ادولف هتلر، **كفاحي**، ص ٢٤١.

٧ — **نفس المصدر**، ص ٣٦٤.

٨ — Christopher Sykes, *Cross Roads to Israel*, The New English Library, London (1965), page 143.

٩ — لوكا هيرزوير، **المانيـا الهتلرية والمشرق العربي**، ترجمة الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعـارف بمصر، ١٩٦٨، ص ٣٦.

١٠ — **نفس المصدر**، ص ٣٨.

١١ — أ. ل. فيشر، **تاريخ اوروبا في العصر الحديث**، ترجمة أحمد نجيب وهاشم وديع الضبع، دار المعارف (١٩٥٨)، ص ٦٥٤.

١٢ — تايلور، ص ٨١.

١٣ — المانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٢٦.

١٤ — Adolf Hitler, *Mein Kampf*, (New York, Reynal and Hitchcoock) 1939, pp. 447-448.

١٥ — يوري ايفانوف، **احذروا الصهيونية**، دار التقدم، موسكو ١٩٧٠، ص ١٠٧.

١٦ — **نفس المصدر**، ص ١٠٨.

١٧ — Hanna Arendt, *Eichmann in Jerusalem*, Faber & Faber, Ltd, 1963, pp. 37-38.

١٨ — *Documents on German Foreigen Policy, 1918-1945,* Washington, United States Government printing office series G, I, 661-662, 732-36.

١٩ — Ernst Marcus, *The German Foreign Office and the Palestine Question in the period 1933-39,* Yad Washem studies on the European Jewish catastrophy and resistance II (1958), p. 190.

٢٠ — Norman H. Baynes (ed.) *The Speeches of Adolf Hitler,* April 1922-August 1939 ,London, Oxford University press *1942 I, 730.*

٢١ — **المانيا الهتلرية والمشرق العربي**، ص٤٢.

٢٢ — Palestine, *Review of Commercial Conditions,* Feb. 1945, London, His Majestys Stationary Office, page 9.

٢٣ — **نفس المصدر**، ص ١٠.

٢٤ — R. Melka, Nazi Germany and the Palestinian Question, *Middle Eastern Studies,* vol. 5, October 1969, No. 3, p.230, Frank Cass & Co. LTD, London.

٢٥ — **المانيا الهتلرية والمشرق العربي**، ص٥٣.

٢٦ — **نفس المصدر**، ص ٣١.

٢٧ — Walter Laqueur, *Israel-Arab Reader, op., cit,* page 109.

٢٨ — **نفس المصدر**، ص ١١١.

٢٩ — **فلسطين**، عدد ١٤٠، السنة الثانية عشرة، تشرين الثاني ١٩٧٢، ص ٧.

٣٠ — المانيا الهتلرية والمشرق العربي ، ص٤٦.

٣١ — A. A. Bonn., *Files of the Near Eastern Division*, pal VII, doc. No. 12 (1936).

٣٢ — Mitt Eilungsbllat No. 278/34, Falge 15 (30-3-1936), Nazi files in central zionist Archives, Jerusalem.

٣٣ — D.G.F.P., series D, Vol. V, p. 761 note on Dr. Von Hentig, Head of the Near Eastern Division at the German F. M. to the German Consul in Beirut (1936), Files of the Near Eastern Division VII, V 151, Political Archive, A.A. Bonn.

٣٤ — H. Meno to c (chef), apperently Heydrch to Himmler, R 58/965 (1937), R S. H. A. Files, Bundesarchiv Kablenz.

٣٥ — Pal VII, doc. No. 1541/375429-32 / Political Archive, A. A. Bonn.

٣٦ — D. G. F. P. Series (Document on German Foreign Policy) Series D, V, 756-57.

٣٧ — D. G. F. P. Series D, V, 746-47

٣٨ — المانيا الهتلرية والمشرق العربي ، ص٤٨.

٣٩ — G. F. O. P. A., P. A. VII Bezichungen Palästinas zu Deutschland

٤٠ — D. G. F. P., Series D, V, 784.

٤١ — D. G. F. P., Series D, V, 768-69

٤٢ — Ibid., page 746-48

٤٣ — Ibid., page 785-87

٤٤ — David Yisraeli, p. 345.

٤٥ — Ibid., page 772-77

٤٦ — R. Melka, page 223

٤٧ — D. G. F. P. Series D, V, 762-65

٤٨ — المانيا الهتلرية والمشرق العربي ، ص٤٩.

٤٩ — David Yisraeli, *The Third Reich and Palestine*, Frank cass & Co. LTD. LONDON, Vol. 7, October 71, No 3, page 34.

٥٠ — Christopher Sykes, p. 230-231

٥١ — Statement by Mr. Ginzburg, delegate of the Hechalutz and Histradut in Germany from November 1938, till the out break of the war, to D. Yisraeli in August 1966.

٥٢ — D. G. F. P. Series D, V, 926-36

٥٣ — Jon and David Kimche, *The Secret Roads : The Illegal Migration of a People (1938-1948)*, London Secker and Warburg 1954, pp. 15-44.

٥٤ — المانيا الهتلرية والمشرق العربي ، ص٣٦.

٥٥ — شؤون فلسطينية ، عدد ٦ ، ص ١٨٨ — ١٨٩ ، كانون الثاني ١٩٧٢ .

٥٦ — آخر ساعة ، عدد ١٩٨٧ ، ص ١٣ ، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٢ .

٥٧ — فلسطين ، عدد ١٤٠ ، ص ٤ .

٥٨ — R. Melka, pp. 226

٥٩ — المانيا الهتلرية والمشرق العربي ، ص ٢٤.

٦٠ — نفس المصدر ، ص ١٢٤ .

٦١ — مجلة فلسطين ، عدد ١٤٠ ، ص ٦ .

٦٢ — مجلة فلسطين ، عدد ١٤ ، ص ٩ .

الاستراتيجية الاميركية بعد تشرين وعناصر « السلام الاميركي »

سعيد جواد

تتشكل عناصر الاستراتيجية الاميركية في المنطقة العربية من المصالح والاهداف الاقتصادية والعسكرية التي تتمركز وتتموضع فيها ، وبالتالي فان سياساتها ومواقفها تجاه الصراع العربي الاسرائيلي، تنبع من تلك المصالح والاهداف وترتكز عليها. وبسبب من الارتباطات العضوية بين الامبريالية الاميركية واسرائيل ، فان المرتكزات التي تقوم عليها شبكة العلاقات الاقتصادية والعسكرية والسياسية بين اميركا واسرائيل ، انما تخدم بالاساس مصالح متبادلة وأهدافا مشتركة .

ولكي يمكن تحليل عناصر السياسة الاميركية تجاه الصراع في كل مرحلة من مراحله ، فلا بد من تحديد طبيعة دور اسرائيل وحقيقته باعتباره جزءا من الاستراتيجية الكونية للولايات المتحدة . وهذا يعني ان حدود التوافق بين المصالح والاهداف المشتركة التي تعينها طبيعة ذلك الدور ، هي التي تحدد بالنتيجة اشكال تماثل السياسة الاميركية مع سياسة اسرائيل تجاه معضلات الصراع .

ان الاشكال التي مرت بها العلاقات الاميركية — الاسرائيلية في مرحلة ما بين هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ وحرب تشرين الوطنية عام ١٩٧٣ قد تميزت بدرجة عالية ومتصاعدة من التوافق بين المصالح والاهداف الاستراتيجية الاميركية ومصالح اسرائيل وأهدافها التوسعية العدوانية . لقد كانت تلك السياسات نموذجا للتعبير عن العلاقة العضوية بينهما ، ووحدة مصالحهما وسياستهما في مواجهة حركة التحرر العربية والفلسطينية ومصالحها الحيوية .

ان هذا النموذج من العلاقات ، والذي يرتكز على توافق بين مصالح كل من امريكا واسرائيل وأهدافهما في مرحلة تاريخية معينة ، يضع امام السياسة الاسرائيلية امكانية دفع الموقف الاميركي الى نهايته ، وتوظيفه للدفاع عن سياساتها التي تنطوي على أهداف اسرائيلية متميزة نسبيا . في هذه الحالة تستخدم اسرائيل جميع المؤسسات والعناصر العالمية ومواقعها الاساسية في الولايات المتحدة لايجاد تطابق تام بين السياستين .

وفي محاولة لتفسير هذا الواقع الموضوعي يرى هايمان بوكياتيدر الذي كان مساعدا خاصا لهيبورت همفري مساعد ليندون جونسون وعدد من المحللين السياسيين « ان السبب الذي يعلل سر الحصول ، دون عناء على تأييد ٧٨ من أعضاء مجلس الشيوخ لمطالب اسرائيل [كما حدث في قرار بيع طائرات الفانتوم] هو انه حدث ان كلا من مصالح اسرائيل وامريكا قد توافقتا حول هذه النقطة من الزمن ، ويبدو انهما ستظلان متوافقتين لزمن طويل قادم »(١). وهذا يعني ان السياسة الاميركية الامبريالية تجاه المنطقة العربية هي الاساس ، ومواكبتها للسياسة الصهيونية واسرائيل تترتب على ما تشكله اسرائيل في الحسابات الاستراتيجية الاميركية .

الا ان الحقائق السياسية والاقتصادية التي تبلورت بفعل الصراعات العالمية قد بدأت تفعل في السياسات الدولية ، وعلى الاخص الوفاق الدولي ، وازمـــة الطاقة . هاتان المعضلتان قد دخلتا مرحلة متميزة عشية حرب تشرين ، وجاءت حرب تشرين لتفجـــر عناصر متفاعلة سياسية واقتصادية مركبة وتخلق واقعا موضوعيا جديدا في طبيعة الصراع العربي ــ الاسرائيلي .

لقد هزت الحرب أسس الوفاق الدولي ، وأعطته صيغا سوفياتية وأميركية متباينة ومتعارضة . ودفعت بأزمة الطاقة الى حدود باتت تهدد فيها القاعدة المادية للاقتصاد الرأسمالي العالمي . وخلقت جملة معطيات ايجابية جديدة لصالح حركة التحرر العربية والفلسطينية، فاتحة بذلك آفاقا لتفاعلات أبعد وأوسع ضد المصالح الاميركية ومرتكزاتها الاقتصادية والسياسية في المنطقة العربية . ان هذا الواقع الجديد المعقد والمتفاعل قد دفع الولايات المتحدة **لاعادة النظر في حسابات مرتكزاتهـــا الاستراتيجية** ، فـــي محاولة « لتكييف » سياساتها وخططها بالشكل الذي يمكنها من استيعاب وامتصاص معطيات حرب تشرين الايجابية واجهاض اختمارات تفاعلاتها مـــن جهة ، والعودة نحو صيغة الوفاق بتفسيراتها ومحتوياتها الاميركية التي هزتها حرب تشرين ، وتدعيم سيادتها على منابع الطاقة وضمان الهيمنة الكاملة عليها وعلى المصالح الاميركية الاقتصادية الاخرى من جهة ثانية .

وبالطبع فان هذا التكييف يتخذ شكل اعادة صياغة علاقاتها مع اسرائيل والانظمة العربية . ان اعادة الصياغة تلك هي ما تراهن عليه بعض السياسات العربية وتبني عليه امكانية « تحييد » الولايات المتحدة ، ودفع سياستها في مواجهة سياسة اسرائيل.

ان الزعم القائل بامكانية « تحييد » امريكا و« استمالتها » للعرب ، وان استرضاءها و« الاقتراب » منها يدفعها للضغط على اسرائيل لصالح الشعوب العربية ، هذا الزعم هو وهم لا يستند الى الحقائق الموضوعية . ذلك لانه يغفل طبيعة «تكييف» الاستراتيجية الاميركية وحقيقته . ويتوهم بما تخلقه من هامش تعارض نسبي في التطبيقات العملية للسياستين على انه تناقض بين سياسة امريكا واسرائيل وبالتالي يمكـــن ان توضع احداهما في مواجهة الاخرى .

هذا الوهم الذي بدأ رحلته الطويلة منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ وتصاعد ويتصاعد بشكل كبير وخطير بعد حرب تشرين ، انما يعكس الطبيعة الطبقية لمنابعه الاقتصادية والسياسية والايديولوجية . وهو لا يخدم بالنتيجة الا السياسات المعـــادية لمصالح الشعوب العربية .

ان هذا الادعاء يستند الى القول بوجود مصالـــح وأهداف لرأس المال والمراكـــز والمؤسسات الاقتصادية الصهيونية مختلفة عن مثيلاتها وشريكاتها الاميركية في المنطقة العربية . ويستنتج : بأن اجهزة الاعلام والمؤسسات الاقتصادية والسياسية الصهيونية هي التي تجعل السياسة الاميركية معادية للعرب ! وليس طبيعتها ومصالحها الامبريالية في المنطقة . ومتى تحررت السياسة الاميركية من تأثير تلك الاجهزة والمؤسسات اصبحت « موالية ومؤيدة » لمصالح الشعوب العربية !

ان المواقع والمؤسسات الاقتصادية لرأس المال الصهيوني هي جزء من القاعدة المادية الاقتصادية العالمية عموما والاميركية بشكل خاص.ومن هنا فليس هناك تناقض أساسي بين مصالحها واهدافها خارج المصالح والاهداف التي تعينها الاستراتيجية الاميركية ، كما يتأكد لاحقا .

أما المواقع والمؤسسات الاعلامية والسياسية الصهيونية التـــي تبدو السياســـة

الاميركية « المعدلة » متعارضة معها نسبيا فان هذا التعارض ينصب على التطبيقات العملية في مواجهة معضلات الصراع ، على الشكل وليس الجوهر ، على الكم وليس الكيف .

وبالرغم من المراهنات العربية على مشاريع وصياغات كيسنجر للعلاقات الاميركية العربية والاميركية الاسرائيلية ، وبالرغم من معارضة بعض المراكز الاعلامية الصهيونية لمحاولاته في « تكييف » الاستراتيجية الاميركية بهدف الاستجابة لمعطيات حرب تشرين بالاشكال التي تمكنه من امتصاص بعضها واستيعاب الآخر ، فان الموقف الحقيقي للجالية اليهودية في الولايات المتحدة هو موقف آخر تماما . ان مقالة رولاند ايفانس في « الهيرالد تريبيون » تكشف حقيقة المراهنة العربية والمعارضة الصهيونية بدقة . تؤكد المقالة « ان القادة اليهود المعتدلين يشعرون تماما ان خلاص اسرائيل الحقيقي يكمن بالتحديد في التحركات الديبلوماسية التي يقوم بها كيسنجر ، ويعتقدون ان اي شيء آخر سيؤدي الى حرب شرق أوسطية خامسة محتملة مع خطر وقوع اصابات اسرائيلية ضخمة »(٢).

ان معرفة حقيقة التعارض بين السياسة الاميركية والاسرائيلية وحدوده تستلزم بالضرورة ، التدقيق في الاسس التي تستند عليها السياسة الاميركية « المكيفة » والتي ترتكز عليها عناصر « السلام الاميركي » . ان معرفة تلك الاسس والعناصر هي التي تمكن من استشراف الطريق الصحيح والوحيد لمواجهتها . وهذا يتطلب دراسة وتحليل الموضوعات التالية :

١ ـــ طبيعة الترابط العضوي بين الامبريالية والصهيونية واسرائيل وحدوده .

٢ ـــ الارضية الاميركية المشتركة للسياسة الاميركية ـــ الاسرائيلية بعد حزيران ١٩٦٧ .

٣ ـــ الحقائق الاقتصادية والسياسية في العالم عشية حرب تشرين .

٤ ـــ حرب تشرين .. وأسس « تكييف » الاستراتيجية الاميركية .

٥ ـــ الدعائم الرئيسية والمشتركة للتسوية الاميركية الاسرائيلية .

٦ ـــ حركة التحرر الوطني الفلسطينية في مواجهة العارضة الاساسية في التسوية الاميركية .

١ ـــ طبيعة الترابط العضوي بين الامبريالية والصهيونية واسرائيل وحدوده .

أ ـــ الرأسمال الصهيوني جزء من القاعدة المادية للامبريالية الاميركية

يشكل رأس المال الصهيوني جزءا من القاعدة المادية للاقتصاد العالمي . ويتركز في مختلف المواقع والمؤسسات الاقتصادية العالمية ، وخاصة الولايات المتحدة . وهذا ما يجعل مصالحه وأهدافه ترتبط بوثوق بالاستراتيجية الاميركية العالمية . ويواجه مـــا تواجهه اياه من معضلات اقتصادية وسياسية وعسكرية .

في دراستها للقاعدة المادية للاقتصاد الراسمالي تشير « التايمس » الى « ان النواة الاساسية للراسمالية في العالم الحر تتكون من عدد لا يزيد عن ٦٠ شركة وادارة ، ولا يزيد عدد أصحابها والمسيطرين عليها عن ١٠٠٠ شخص » . وهذه المجموعة الصغيرة من الشركات العملاقة يتركز لديها « قرابة ٧٥ ٪ من اصل ٤٠ مليار دولار هي الرأسمال الحر الذي لا غنى عنه سنويا للحفاظ على النمو الطويل الاجل للامم الصناعية » .

ويشكل الرأسمال الصهيوني جزءا هاما مـــن رصيد رأس المال العالمي [العالـــم الرأسمالي] وتعتبر مجموعة روتشيلد ذات الطابع الكوسموبولوتي ، خـــير نموذج

لنشاط الصهيونية الاقتصادي العالمي .. ان هذه العائلة تمثل اكثــر القوى المالية في اوربا وحدة وقوة وسيطرة وتمتد مصالحها الى العالم بأسره » .

وتتركز الرساميل الصهيونية في مختلف النشاطات في الولايات المتحدة وخاصة الثالوث الشهير [ليمان اخوان ، وغولدمان ، ولازار اخوان] ويسيطر في عملياته على ٥ مليارات و ٨٣٩ الف دولار . وفي حديثها عن النفوذ المالي لــ « لازار اخوان » تقول « التايمس » « انه من غير المحتمل أن تكون هناك أية ادارة اخرى في « وول ستريت » تتمتع بمـــا لــ « لازار اخوان » من وضع في واقع الراسمال...خاصة في مجال الرأسمال الصناعي والمالي بالولايات المتحدة » . ولما كانت البنوك والعمليات المصرفية هي المركز الذي تتوزع منها مختلف النشاطات الاقتصادية ليس في الولايات المتحدة فحسب ، بل في جميع الاسواق والمراكز الاقتصادية العالمية ، فان رأس المال الصهيوني والمستثمرين اليهــود هم الذين يسيطرون على قمم تلك العمليات الاقتصادية ومراكزها . ومن المستثمرين اليهود أصحاب البنوك [ليمان اخوان ، غولدمان ، ماكس وشركاه ، وكوهين ، ولازار اخوان] وبسبب من الصلات العائلية المتداخلة بين المستثمرين اليهود وارتباطـــاتهم التجارية المختلفة ، فان عملية التركز الراسمالي تصاحبها عملية تركز عائلي مستمر ، ومنها مثلا « ان اقارب ليمان اخوان وحدهم يجمعون معظم البيوت اليهودية من أصحاب البنوك في عائلة واحدة كبيرة »(٣).

أما مساهمة رأس المال الصهيوني في القاعدة المادية العسكرية للولايات المتحدة فهي غير محددة تماما بسبب من التداخل بين رأس المال الصناعي والمالي والتجاري الــذي ترتكز عليه الصناعات الحربية . ورغم التداخل ، فان الرأسمال الصهيوني يتميز في تركزه في صناعة الطيران والصواريخ عابرة القارات .

واذا كانت المساهمة في صناعة الطيران تجعل المصالح المباشرة لهذه الرساميــل الصهيونية ترتبط مباشرة في استمرار بؤر العدوان والتوتر في العالم، وعلى وجه التحديد في جنوب شرق آسيا خاصة [الفيتنام ، لاوس ، وكمبوديا] والشرق الاوسط ، فـــان مساهمتها في صناعة الصواريخ العابرة القارات تجعلها أبعد من ذلك بكثير . ذلك لان هذه الاستثمارات تجعل مصالحها ترتبط بالصراع العالمي بأسره وبالاستراتيجية الاميركية الكونية ، والخطط العدوانية لحلف شمال الاطلسي والاحلاف الاخرى في مواجهة المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر العالمية والتي تصل في النهاية الى استراتيجية المواجهة الذرية مع المعسكر الاشتراكي.ومن جملة رساميل الصناعات الحربية شركة « ليمان اخوان»، حيث يمول «ليمان اخوان» واحدة من اهم عشر شركات للطيران،والتي تدخل في نطاق مائة مؤسسة صناعية اميركية هي « جنرال داينمكس » ، والتي تحتل صناعة الصواريخ الموجهة وفي مقدمتها صاروخ « أطلس » العابر القارات أهمية خاصة في الانتاج الحربي لمصانع « جنرال داينمكس »* وتتخصص مؤسسات ومصانع « جنرال داينمكس » بانتاج الطائرات المقاتلة(٤).

* أصبحت « جنرال داينمكس » احد عمالقة الصناعة العسكرية التي تعد في الوقت الحاضر المصدر الرئيسي لتزويد الجيش الاميركي بالسلاح . وقد اكتسب اسم «جنرال داينمكس» شهرة واسعة منذ الحرب الكورية. وقد أنفقت ملايين الدولارات في صناعة صواريخ « أطلس » العابر القارات ، مستفيدة من تجـــارب المصممين النازيين V - 2 على أوسع نطاق . وتحصل « جنرال داينمكس » باستمرار على عقــود جديدة للانتاج الحربي . وقد حصلت هي بالذات على عقد بانتاج السفن الذرية « باوتيلوس » وهو عقد غطى « جنرال داينمكس » بالذهب . ثم حصلت بعد ذلك على عقد بانتاج نوعين من الغواصات الذرية وقد أدى امتلاك المؤسسة الى رفع أسهم بنك « ليمان اخوان » بدرجة ملحوظة مما رفع النفوذ الاقتصادي والسياسي لهذه المجموعة العالمية . وخلال ٥ سنوات فقط حصلت المؤسسة من الحكومة الاميركية على عقود ذات طابع حربي قيمتها تزيد على ٣ مليارات دولار .

وهذا ما يجعل مصالح رأس المال الصهيوني وسياسات مراكزه تجاه اسرائيل هي سياسة تنبع من المصالح الامبريالية الاستراتيجية للولايات المتحدة وليس العكس . وتتطابق أهدافها ومصالحها مع مصالح وأهداف اسرائيل بقدر ما يشكل دور اسرائيل جزءا من الاستراتيجية العالمية لاميركا .

ولقد أصبح الترابط بين الركيزة المالية والصناعية للقاعدة المادية وركيزة الصناعات الحربية ظاهرة ثابتة في طبيعة الاقتصاد الاميركي . وهو ما يعني ترابط المصالح الاقتصادية لرأس المال المالي المرتبط بالصناعات الحربية بالاهداف العسكرية للولايات المتحدة . ومن هنا فان السياسة الاميركية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ترتكز على الربط بين المصالح الاقتصادية المباشرة [البترول والمصالح الاقتصادية في البلاد العربية عموما] وخطط المواجهة العسكرية مع الاتحاد السوفياتي .

الا ان هناك عوامل ثلاثة متداخلة تدفع باتجاه زيادة التأثير والفاعلية لركيزة القاعدة المادية العسكرية ، وتطبع السياسة الخارجية للولايات المتحدة بتغليب النزعة العسكرية العدوانية .

١ ــ دور المخابرات الاميركية في السنوات الاخيرة ، قبل معاهدات الوفاق الدولي الاخيرة ، الذي يدفع باتجاه مزيد من النزعة العسكرية . فقد كانت المخابرات الاميركية «تدفع باتجاه بناء شبكة الصواريخ المضادة التي تحتاج الى ١٠٠ الف مليون دولار»(٥). وتجاه المنطقة العربية تضرب على اوتار تهويل الخطر السوفياتي والمبالغة في زيادة الوجود العسكري وخطره على المصالح الحيوية للولايات المتحدة وبالنتيجة فلا بد من تكثيف التفوق العسكري الاسرائيلي ، وزيادة النشاط الامريكي في البحر المتوسط .

٢ ــ المصالح التجارية المتميزة لشركات صناعة الاسلحة ، والتي ترتبط بقدرتها في الحصول على عقود عسكرية متزايدة مستخدمة بذلك مختلف الوسائل عن طريق ممثليها في مجلس الشيوخ والنواب ، والادارة الاميركية والبنتاغون .« فقد حصلت شركة « لوكهيد آيركرافت » لصناعة الطائرات في السنوات السبع الماضية على عقود دفاعية من الحكومة الاميركية بلغت ٨٦ ٪ من جملة مبيعاتها . وفي خلال السنوات السبع الماضية حصلت ٣٨ شركة على عقود تزيد قيمتها على ١٠٠٠ مليون دولار »(٦).

٣ ــ ازدياد عدد الضباط المتقاعدين الذين يتم تعيينهم في شركات صناعة الاسلحة . وقد كتب ويليام بروكسيمير عن هذه المسألة تقريرا اوضح فيه « ان كبار الضباط المتقاعدين الذين تم تعيينهم في شركات صناعة الاسلحة الكبرى قد تضاعف ثلاث مرات ما بين ١٩٥٩ ــ ١٩٦٩ من ٧٢١ ــ ٢٠٧٢ ، وهؤلاء يستغلون علاقاتهم بمرؤوسيهم السابقين الذين أصبحوا كبارا لجلب التعاقدات للشركات التي ينتمون اليها » . وكما تقول عنهم «النيوزويك» «أن هؤلاء قد أصبحوا جزءا لا يتجزأ من المؤسسة العسكرية».

هذا **الترابط** بين ركيزتي القاعدة المادية للاقتصاد الاميركي والعلاقة العضوية لرأس المال الصهيوني والاميركي فيها، هو الذي يشكل الاساس المادي في رسم الاستراتيجية الاميركية العليا . والسياسة الاميركية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي على وجه التحديد تشكل ركنا اساسيا فيها .

ب ــ دور اسرائيل في المنطقة جزء من الاستراتيجية الاميركية

في تقرير للكونغرس الاميركي في شباط ١٩٧٠ حدد نيكسون العلاقة بين مصالح الولايات المتحدة والتزاماتها في العالم على الوجه التالي « ان مصالحنا هي التي تحدد

شكل التزاماتنا وليس العكس »(٧) ولتحديد اهمية المصالح الاميركية في المنطقة العربية وتعيين السياسة التي يمكن ان تضمن استمرارها يورد نيكسون تخوفاته بكل وضوح الى « ان نجاح الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط سيعني السيطرة السوفياتية الكاملة على امدادات النفط » . . . ولتقدير الاهمية الاقتصادية للمنطقة يؤكد « بأن منطقة الشرق الاوسط تتحكم الى حد كبير بثروات العالم » .

أما سفرات (اليهودي الصهيوني الذي هاجر من مصر الى اسرائيل قبل أن يستقر في امريكا) فيعتقد « ان من المغالاة الاعتقاد ان اليهود هم الذين يسيرون البيت الابيض باستمرار . . . البيت الابيض هو نقطة بوليس للرأسمالية الاميركية ، والرأسمال اليهودي هو جزء صغير من مصالح الولايات المتحدة »(٨).

وموقف اسرائيل واداتها اليهود الاميركيون من الانتخابات الاميركية واختيارها لاحد المرشحين الحزبيين ماكغفرن الديمقراطي او نيكسون الجمهوري ، يكشف لنا ان اسرائيل تستطيع ان تضغط وتحصل على ما تريد ، فقط ، باتجاه ملاقاة السياسة الاميركية الامبريالية التي يشكل وجود اسرائيل ودورها جزءا منها. والتي تنسجم بالتالي مع اهدافها المتميزة نسبيا. ان بيتر غروس في«النيويورك تايمس» يشير الى هذه الحقيقة بالقول « ان الخيار الاسرائيلي يبرز في موقف الرئيس المعادي للسوفيات ، وفي سياسة متابعة الحرب في الفيتنام . . . ولم يتردد الاسرائيليون الحساسون سياسيا في الاختلاف مع الاسرائيليين الليبراليين حول فيتنام ».

وكما أبرزت أزمة عام ١٩٧٠ للاسرائيليين « الحاجة الى وجود اسطول اميركي في المتوسط » هذه الحاجة الاسرائيلية تلتقي مع السياسة الاميركية الثابتة في تدعيم اسرائيل خاصة عندما تتعرض الى خطر جدي ، وبالتالي تعرض معها المصالح الاميركية للخطر اياه . وكما حدد نيكسون موقف الولايات المتحدة تجاه أزمة ١٩٧٠ « بأن الولايات المتحدة تدعم اسرائيل ليس لمجرد العطف عليها ، بل للحيلولة دون حركة ميزان التسلح لان ذلك ضروري للمصالح الاميركية ، لان اهمال اسرائيل معناه انهيار تام للثقة بالردع الاميركي في العالم »(٨).

ومن هنا كان وقوف مراكز المال والاعلام الصهيونية ضد برنامج ماكغفرن « الذي يدعو الى تخفيض القوات الاميركية والغاء المساعدات الاميركية الى اليونان وقفل المنشآت فيها» . بمعنى ان السياسة الاسرائيلية جزء من السياسة الاميركية التي ترتكز على استمرار بؤر التوتر واستمرار القواعد العسكرية العدوانية والسياسة العسكرية الاستفزازية ضد المعسكر الاشتراكي وحركة التحرر العالمية . وهذا ما كان يمثله برنامج نيكسون عام ١٩٦٨ وسياسته العملية تجاه الفيتنام والهند الصينية عموما والشرق الاوسط بشكل خاص [سيتأكد لاحقا ان اسس الوفاق والطاقة قد هزت اسس هذه السياسة] .

في السنوات الاخيرة للحرب الفيتنامية ، حيث فرضت الثورة موازين قوى لصالحها وبدأت أسس الوفاق الدولي لتخفيف المواجهة المباشرة تتبلور، أصبحت الادارة الاميركية عاجزة عن توفير الغطاء التشريعي لاستمرار تدخلها في الفيتنام . وبعد ان أصبح التدخل يستنزف المجتمع الاميركي كانت الادارة الاميركية تلجأ الى الغطاء الاسرائيلي في محاولتها الاستمرار في الحرب الفيتنامية .

هذه الحقيقة تعني ان مراكز القرار الاميركي تتصرف على اساس ان تدخلها الى جانب اسرائيل في المنطقة العربية يلقى قبولا من ممثلي القاعدة المادية والعسكرية على انه جزء أساسي من الاستراتيجية الاميركية وان الدفاع عن السياسة الاسرائيلية يمكن

الدفاع عنه اكثر منه في الفيتنام الذي أصبح متعذرا في ظل معطيات الحرب في الهند الصينية وتأثيرها في الراي العام الاميركي .

٢ ـ الارضية المشتركة للسياسة الاميركية ـ الاسرائيلية بعد حزيران ١٩٦٧

لقد تبلورت الارضية المشتركة لدعائم السياستين الاميركية والاسرائيلية في المنطقة العربية بالشكل الذي تطابقت فيه مع أهداف اسرائيل وطموحاتها بعد هزيمة عام ١٩٦٧ . فالسياسة الاميركية بالاساس تقوم على المرتكزات التالية : ● مناهضة ومواجهة الاتحاد السوفياتي التي اقتضت تكريس التفوق العسكري الاسرائيلي وانتهاج سياسة تخريب العلاقات العربية السوفياتية باستمرار ● عرقلة التطور الاقتصادي والسياسي للانظمة العربية الوطنية وتدعيم الركائز الاقتصادية للاستعمار الجديد . ● تدعيم الانظمة الرجعية والمحافظة ودفعها لاتخاذ دور رئيسي في سياسة المنطقة العربية لضمان استمرار المصالح الاقتصادية الاميركية خاصة البترول . ● التصدي لحركة التحرر الوطني الفلسطينية باعتبارها فصيل ثوري متقدم يساعد على استمرار الصراع وخلق شروط تصاعده .

هذه الدعائم الاساسية لسياسة أمريكا هي دعائم أساسية في سياسة اسرائيل من أجل الاحتفاظ بالاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ . من هنا فقد كان حرص الولايات المتحدة على الاحتفاظ بالاراضي العربية ليس أقل من حرص اسرائيل لاستخدامها للمساومة من أجل تحقيق أهداف السياسة الاميركية .

ان جاكوب جافيتش احد أعضاء مجلس الشيوخ الاميركي وابرز مستشاري الحكومة حول الشرق الاوسط قد « اثنى على فعالية الجيش الاسرائيلي الذي بامكانه ان يصبح جزءا من خط الدفاع شرق المتوسط »(٩) .

أما جنرالات البنتاغون والمعنيون مباشرة بالاستراتيجية العسكرية في الشرق الاوسط فيحرصون ان يكون استمرار تفوق اسرائيل العسكري سياسة ثابتة ، ويشعرون دائما « بأن لدى الاسرائيليين قوة كافية » وفي تقديراتهم تلك لا يختلفون مع الاسرائيليين في تقديرهم لقوتهم الرادعة كما عبر عنها دافيد اليعازر « ان الجيش الاسرائيلي قادر على غزو العالم العربي كله واخضاعه من الخليج للمحيط »(١٠) .

وبرنامج الحزب الديمقراطي الذي كان يهدف الى تقليص التزامات أمريكا العسكرية الخارجية ، كان ملتقيا مع الحزب الجمهوري تجاه اسرائيل قد نص برنامجه على « تزويد اسرائيل بالطائرات وغيرها من المعدات العسكرية بكميات وأنواع متقدمة حسب حاجتها من أجل الحفاظ على قوتها الرادعة في وجه الاسلحة السوفياتية والتهديدات العربية لتجديد الحرب »(١١) .

وطيلة ستة أعوام حاولت الولايات المتحدة اطلاق المبادرات السياسية الوهمية او المجهضة التي تصر على محاولة تخريب العلاقات العربية السوفياتية وتعمدها بحملات التصفية ضد المقاومة (ايلول ـ تموز ٧٠ ـ ١٩٧١) والدعوة للمفاوضات المباشرة لتكريس اختلال ميزان القوى لصالح امريكا واسرائيل وتقنين الاختلال في مواثيق تسوية اميركية ـ اسرائيلية .

لقد كان موقف الولايات المتحدة تجاه معارك أيلول يشير الى حقيقتين أساسيتين : الاولى هي ان السياسة الاميركية في المنطقة هي المتغير المستقل وهي السياسة الام في المنطقة والثانية هي أن الولايات المتحدة تعتبر اسرائيل قاعدة ضاربة لسياستها واستراتيجيتها العسكرية [استراتيجية الردع في المنطقة] .

لقد تأكدت الحقيقتان بالسؤال الذي وجهه البيت الابيض لاسرائيل بعد صعود احتمالات اختلال موازين القوى لصالح حركة المقاومة الفلسطينية اثناء معارك الاردن « ماذا تستطيع اسرائيل ان تفعل لوقف الدبابات السورية التي كانت تتحرك باتجاه الاردن لدعم الفدائيين » . وكان جواب رابين « بقدرة اسرائيل على أسر القوة السورية بأكملها وتدميرها » كافيا تماما لكي يتعهد نيكسون بتنفيذ مطلب اسرائيل « بردع الاتحاد السوفياتي عن القيام بعمل مضاد ، أي تحريك جبهة القناة او اي مكان آخر » . وأعلن نيكسون الموافقة على هذا الالتزام « لا اتصال مع موسكو .. ستكون هناك افعال لا اقوال »(١٢) .

٢ ــ الحقائق الاقتصادية والسياسية الجديدة في العالم عشية حرب تشرين

عشية حرب تشرين تبلورت عدة حقائق اقتصادية وسياسية عالمية بفعل الانماط المختلفة للصراع التاريخي بين قوى التحرر والاشتراكية في العالم والقوى المناهضة لها بقيادة الولايات المتحدة . وبدأت تلك الحقائق تفرض تأثيراتها على جميع مناطق الصراع المتفجرة في العالم ، وهي : الوفاق الدولي وأزمة الطاقة . وفي علاقتها بالصراع العربي الاسرائيلي كانت متبادلة التأثير . فعناصر الصراع العربي الاسرائيلي قد تركت بصماتها في صياغة اركان الوفاق بالقدر الذي تبدو فيه تأثيراتها واضحة وحادة في الشكل الذي أتخذه مسار أزمة الطاقة . ومن هنا فان معضلات الصراع العربي الاسرائيلي لم تقف في حدود التأثير المتبادل بل ستكون لها تأثيرات مستقبلية على جوهر صياغات الوفاق والاحتمالات التي سوف تتحرك باتجاهها أزمة الطاقة العالمية .

سعت الولايات المتحدة لتوظيف عناصر الوفاق الدولي لضمان استمرار دعائم استراتيجيتها ، التي تمثلت في التأييد القوي ، الاقتصادي والسياسي والعسكري لاسرائيل للاحتفاظ بالاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، لتدفع بالانظمة العربية الى الاستسلام الكامل للشروط الاميركية الاسرائيلية . اما معضلة الطاقة والذي يكون للعرب تحكم نسبي في تحديد دورها ، فان الولايات المتحدة قد حاولت التقليل من أهميتها ، باعتبارها أزمة مستقبلية من جهة بالنسبة لاميركا ، والمراهنة على أن الانظمة النفطية التي ترتبط بعلاقات سياسية واقتصادية مع الولايات المتحدة لا يمكن ان تستخدم سلاح النفط ضد اميركا .

فما معنى ذلك ؟ يرتكز الوفاق الدولي على دعامتين أساسيتين كما هو في البيان المشترك للقمة السوفياتية الاميركية في حزيران ١٩٧٣ . الاولى تتضمن : ان الطرفين تعهدا بدرس « الوسائل الاضافية لتقوية السلام في العالم وازالة خطر الحرب نهائيا » كما تعهدا بالعمل على « تطويق النزاعات المحلية » . واذا كانت هذه الركيزة السوفياتية محاولة لضبط وتقنين الصراعات السياسية في العالم كما هي عليه من توازنات نسبية للقوى في بعض مناطق الصراع او مختلة لصالح حركة التحرر العالمية كما في الهند الصينية عموما . فان تطبيقها على الصراع العربي الاسرائيلي يعني ، امريكيا ، وبالضبط محاولة «ضبط وتقنين وتوثيق الصراع في ظل الاختلال الفاضح لصالح اسرائيل وامريكا» .
واذا كان الاتحاد السوفياتي يدفع باتجاه صياغة سوفياتية لهذه الركيزة لكي يمكن ايجاد تسوية سياسية لا تعكس تماما الاختلال الكبير لصالح اسرائيل وأمريكا ، فان الولايات المتحدة قبل الوفاق وأثناء صياغاته* تدفع المنطقة العربية الى حالة توفير شروط «سلام»

---

* حيث كانت عناصر الصراع العربي الاسرائيلي حاضرة أمام البيت الابيض عند صياغة كل فترة وكلمة في البيان المشترك مما جعل الصراع يترك بصماته العشر على صياغاته .

اسرائيلي امريكي ، وبحرص شرس وشديد حاولت منع ايـة امكانية لتعديل نسبي في موازين القوى المختلة عن طريق تصعيد تدخلها في المنطقة . وبالمقابل كانت الركيزة الثانية الاساسية تؤكد ان الولايات المتحدة والاتحـاد السوفياتي « قد وضعت في عين الاعتبار واقع كون الاتحاد السوفياتي وأمريكا لهما حلفاء وانهما تعهدا بالالتزامات تجاه تلك الدولة أو تلك » . ولكي تحدد هذه الصيغة شكل العلاقات المستقبلية بين كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وحلفائهما في ظل الوفـاق ، أوضح البيان « ان المفاوضات راعت بروحها وبنص الاتفاقات الموقعة ، هذا الظرف مراعاة تامة » .

استخدمت الولايات المتحدة هذه الركيزة في علاقاتها مع اسرائيل والتزاماتها تجاهها باكسابها محتوى أميركيا متميزا جدا اتخذ شكل : محاولة الابقاء على تفوق اسرائيل ، تأييدها الاحتفاظ بالمناطق المحتلة ، تأييدها لمفاوضات مع العرب في ظل اختلال ميزان القوى ، تأييدها والاشتراك معها في محاولة التصدي لحركة المقـاومة الفلسطينيـة بهدف تصفيتها .

لقد أصبح من الواضح جدا ان اسرائيل وأمريكا قد راهنتـا على استخدام ركيزتي الوفاق لتجميد الصراع وخلق شروط تسوية اسرائيلية ـ امريكية . لقد كتبت « دافار » التي تعبر عن وجهة نظر حزب العمل الاسرائيلي بعد بيان القمة « ان البيان المشترك يضع في الصدارة قرار الامتناع عن المواجهة العسكرية بينهما [أي السوفيات وامريكا] ... لقد سحب ذلك مـن يد العرب ، خصوصا مصر ، الورقة السياسية التي آملوا الحصول عليها في هذه القمة » . ثم تواصل لكي تصل الى الاستنتاج الذي تريده اسرائيل وأمريكا « وبعد خيبة الامل الى أي مدى سيدفع ذلك نحو البدء بالمفاوضات »(١٣).

ولكن هذه التقديرات الاسرائيلية المبنية على التفسير الاميركي لصيغة الوفاق ، ظلت تواجه احتمالات خطر الانفجار في المنطقـة بعد أن وصلت لعبـة تراجعات الانظمة والتصعيد الاسرائيلي الى طريق مسدود . ففي حديثه لمراسل صحيفة « معاريف » في واشنطن يلمس رابين هذه المعضلة بالقول « اذ أدركت الولايات المتحدة أن الجمود سيؤدي الى تجديد تورط الاتحاد السوفياتي العسكري المتزايد ... وهذا لن يحدث الا اذا تجدد القتال واشتركت فيه قوات روسية على نطاق أوسع مما هو عليه الآن »(١٤).

هذا التقدير يشير الى تخوف أمريكا واسرائيل من مأزق الطريق المسدود الذي يمكن ان يؤدي الى تفجير الصراع ، او زيادة الدعم السوفياتي للعرب او كليهما . ولكن هذا الاحتمال كان مستبعدا بالنسبة لاميركا واسرائيل. ورغم ذلك فقد ركزت الولايات المتحدة جهدها لمطاردة العلاقات العربية السوفياتية عبر التلويح بـ « المبادرات » و« الضغط » على اسرائيل ، بهدف تحطيم العلاقات العربية السوفياتية ، وبالتالي خلـق الاسس الموضوعية لعناصر التسوية الاميركية ، بعد الغاء تأثـير التوازن الدولي والعلاقات العربية ـ السوفياتية على عناصر الصراع في المنطقة .

اما الموقف تجاه بوادر أزمة الطاقة ، فان السياسة الاميركية عشية الحرب تتلخص في تصريحات نيكسون « نحن متنبهون الى أنه يجب ان لا تكون أية دولة تحت رحمة دول أخرى من خلال قطع النفط فجأة عنها». واعتقد نيكسون ايضا ان أزمة الطاقة غير جدية فقد حث على«تطوير الموانىء لاستقبال الناقلات لنفط الشرق الاوسط. . .وتطوير مصادر الطاقة »(١٥). ومن ثم اتخذت السياسة الاميركية خطين متوازيين تجاه الازمة : الشك في امكانية استخدام العرب لسلاح النفط أو عدم قدرتهم على ذلك ، من جهة ، ومحاولة امتصاص واستيعاب حدود الحظر المحتمل من جهة اخرى ، مستندة بذلك على سيادة اسرائيل على المنطقة والعلاقات الاقتصادية والسياسية بين دول النفـط الرئيسية والولايات المتحدة .

وبالرغم من الموقف الذي اتخذته شركة « موبيل ستاندرد أويل » من كبريات شركات النفط الاميركية ، فان شموئيل شفيتسر كتب في « هآرتس » بعد تحليله لموقف الشركة الى استنتاج يقول بعدم أهمية أزمة الطاقة في الوقت الحاضر « لا يوجد تماثل في نظر الجمهور (الاميركي) بين المصلحة القومية ومصلحة شركات النفط »(١٦).

ويستطرد الكاتب لتأكيد حقيقة أصبحت ، عشية حرب تشرين ، راسخة في أسس السياسة الاميركية وهي : وجود اسرائيل القوية ضمانة لاستمرار الطاقة والمصالح الاميركية الاقتصادية والعسكرية . ويتوصل الى أنه « لا يوجد في الولايات المتحدة اليوم ميل الى أن تأخذ على عاتقها المسؤولية الاقتصادية والعسكرية عن دولة ثانوية »(١٧). ويصل أخيرا الى « اسرائيل كدولة كبرى اقليمية هي احدى الضمانات المهمة للاستقرار. وهي الشرط الاول للمحافظة على الاستمرار في تزويد البترول » .

هذه الحقيقة تتأكد في كتابات الاسرائيليين وتؤكد الدور الاسرائيلي في الاستراتيجية الاميركية . عشية الحرب أيضا وفي تصاعد بوادر أزمة الطاقة كتبت صحيفة « يديعوت احرونوت » تأكيدا لهذا الدور على الوجه التالي : « يجب الاعتراف بأنه، بفضل اسرائيل قوية فقط ، تستطيع الولايات المتحدة أن تأمل باستمرار وجود أنظمة محافظة ومعتدلة متعاطفة مع الغرب في دول النفط العربية » ، ثم يشير الكاتب الى دور آخر مفترض لاسرائيل وهو الردع العسكري لدول النفط بالقول « ان قـــوة الردع الذي تتمتع به اسرائيل ، والذي يؤدي الى شل قدرة الانظمة العربية المتطرفة ، سوريا ومصر والعراق وليبيا ، للاستيلاء على السلطة من الدول المعتدلة عن طريق عناصر معادية للغرب » . ويصل في تحليله الى تعيين دور اسرائيل في الاستراتيجية العسكرية للولايات المتحدة للدفاع عن مصالحها ومصالح الغرب الرأسمالي « ان وجود اسرائيل قوية معناه ان هناك خطرا دائما من القيام بعمل عسكري تشارك فيه اسرائيل في حالة وصول الامور الى حد محاولة العرب شل الصناعة في الغرب عن طريق حظر ضخ النفط »(١٨).

ولكن الاطمئنان الاميركي ، لفرضيات الردع العسكري الاسرائيلي ، كان يشوبها نوع من الشعور بالقلق واحتمالات خطر غير مؤكدة ، عن استخدام العرب لسلاح النفط ، خاصة بالنسبة للدول المرتبطة بشبكة من العلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية مع اميركا خاصة (السعودية) . ولقد كانت التفسيرات الاسرائيلية التي هي انعكاس للتفسيرات والتعليقات الاميركية على الوجه التالي « وبمـــا ان السعودية بحاجة الى تظاهرات اميركية في عدم التماثل مع اسرائيل فالحقيقة ان مثل هذه التظاهرات حصل وسيحصل » .

هذه هي مرتكزات الاستراتيجية الاميركية عشية حرب تشرين تجاه المنطقة العربية : الوفاق الدولي تدفع به لصيغة اميركية على أرضية اللاحرب واللاسلم ، محاولة تطويق وتصريف احتمالات انفجار الموقف العسكري ، وفصم العلاقات العربية السوفياتية . الطاقة (البترول العربي) تهدد بامكانات محتملة للضغـــط السياسي ، قللت الولايات المتحدة من أهميتها واحتمالات نجاح العرب في استخدامها .

أما التصدي لحركة المقاومة ، فقد شكل عشية حرب تشرين مأزقا جديا لتنـــاسق مرتكزات السياسة الاميركيـــة التي بدت منسجمة تمامـــا ، خاصة بعد ردود الفعل الجماهيرية بسبب عمليات فردان ، وزيادة الوزن السياسي والعسكري للمقاومة وترسخ وزنها السياسي الدولي .

٤ ــ حرب تشرين .. ومحاولة « تكييف » الاستراتيجية الاميركية

لقد جاءت حرب تشرين لتخلق جملة حقائق موضوعية على الصعيد العربي والعالمي والاسرائيلي ، منها ما تأكد وتبلور خلال الحرب وبعدها ، ومنها ما هو طور التفاعل والتكوين واستطاعت أن تنقل تأثيراتها بعد دورتها العالمية الى مواقع الاهتزاز داخل المجتمع الاسرائيلي [وهذه الاخيرة ليست مجال بحثنا هنا] .

ــ **الوفاق الدولي** : لقد تهشمت الصيغة الوفاقية الدولية التي حاولت الولايات المتحدة أن تتوجها تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ، تحت قصف الصواريخ والمدفعية المصرية والسورية مساء السادس من تشرين، « ازالة خطر الحرب نهائيا » و« تطويق النزاعات المحلية»والتي تعني في ظل اختلال ميزان القوى لصالح الولايات المتحدة واسرائيل وحرية الحركة في محيط الاستسلام العربي الكامل . وبالمقابل فان الصيغة التي تعطي للولايات المتحدة الاستمرار في الدعم المتزايد لاسرائيل كما تضمنه ركيزة الوفاق الثانية « الاتحاد السوفياتي واميركا لهما حلفاء تعهدا بالتزامات تجاههم » هذه الصيغة اتخذت ترجمة ايجابية حيث ارتفعت درجة الالتزامات السوفياتية الى العرب الى درجة عالية الى درجة احتياجات الحرب التي أريد لها أن تكون محدودة .

النتيجة : الغاء امكانية ضبط الصراع وتجميده ، زيادة الالتزامات السوفياتية وازدياد وتيرة العلاقات العربية السوفياتية بتأييد حق العرب في القتال لتحرير اراضيهم حتى المواجهة الشاملة التي يشكل تحاشيها حجر الاساس في الوفاق الدولي . ان ما أورده جاكسون عن استعداد الاتحاد السوفياتي لتصعيد الصراع حتى المواجهة مع الولايات المتحدة التي تهدد بتهديم اسس الوفاق كان يحمل معنى خطيرا بالنسبة للولايات المتحدة وخططها . يروي جاكسون انه « في ٢٥ (اكتوبر) تشرين كانت سبع فــرق تقريبا في الاتحاد السوفياتي على أهبة الاستعداد ... ». ويواصل جاكسون « ... وهذا خرق لروح الاتفاقات التي وقع الاتحاد السوفياتي مع الولايات المتحدة عليها في تموز ١٩٧٣ » [رصد اذاعة اسرائيل ١٨ ــ ١٢] . وليس جاكسون هو الذي يحرص على الوفاق ، بل ان حرصه ذاك كان من أجل استخدامه لزيــادة تسليح اسرائيــل ودعم عدوانها واستمرار احتلالها للاراضي العربية . والسياسة الرسمية لاميركا كما هي في حديث كيسنجر الى هيكل « اننا لا نريد ان تتصاعد أي ازمة لكي تؤثر على الوفاق » . اذن جاكسون وكيسنجر يحرصان على صيغة الوفاق التي تجمــد الصراع ثانية لارجــاع اختلال موازين القوى الى ما كان عليه قبل تشرين وتكريسه .

ان حرب تشرين قد وضعت الولايات المتحــدة امام ثلاثة خيارات تجــاه معضلات الصراع : الاول : استمرار القتال الذي من ابرز ما يعنيه بالنسبة لاميركا ، خطر صدام مباشر مع الاتحاد السوفياتي وتهديم أسس الوفاق* وزيادة حجم العلاقات العربية السوفياتية كما ونوعا ، واستمرار وتعقيد قضية النفط التي تدفع المنطقة العربية الى مزيد من الصدام مع المصالح الاميركية وصعود الاتجاهات الراديكالية في المنطقة. والثاني: العودة بالحالة التي كانت قائمة قبل تشرين اللاحرب واللاسلم والتي تعني : الامكانية القصوى لاحتمال تجدد القتال . زيادة الدعم العسكــري والاقتصادي السوفياتي . استمرار تعقيد ازمة النفط وتصاعد الخطر على المصالح الاميركية . والاحتمال الثالث :

---

* « السلعة الوحيدة التي ستحقق مضاعفة حجم التبادل التجاري بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي هي الغاز في شرق سيبيريا . وسيتولى بنك « تشيز مانهاتن » تمويل مشروع الاستغلال وسائر الاتفاقات الاخرى مع الحكومة السوفياتية » [**الكاتب** عدد ديسمبر ١٩٧٣] اميركا والطاقة .

تحرك السياسة الاميركية على أرضية « تكييف » الاستراتيجية الاميركية بالشكل الذي يمتص ويستوعب معطيات حرب تشرين ومضاعفاتها .

هذه الحقائق التي فرضتها حرب تشرين على صيغة الوفاق الدولي تشكل **العامل الاول الذي دفع امريكا لاعادة حسابات** عناصر استراتيجيتها في المنطقة العربية التي كانت سائدة قبل الحرب .

اما **أزمة الطاقة** فقد دفعت بها حرب تشرين الى آماد متفاعلة ومعقدة . كانت السياسة الاميركية قبل الحرب تقلل من أهمية أزمة الطاقة فقد كانت تدور في مأزق خطير تجاه معالجتها . فالسيد هانس رئيس شركة نفط الخليج يعتقد « ان تدفق النفط سيظل مؤمنا طالما لم تقم امريكا بأعمال تضع هـذه الدول في موقع سياسي حـرج لا يمكن تبريره »(٢٠). ذلك الموقف الذي وضعت فيه اميركا الدول النفطية التي تربطها معهـا علاقات اقتصادية وسياسية وعسكرية ، كانت تصر على استمراره متجاهلة ما ينطوي عليه من تعارض . ان عاملا اقتصاديا فعالا ، قد دفع « بالموقف الحرج » الذي اصبح لا يطاق ولا يمكن تبريره أمام الشعوب العربية بعد بدء حرب تشرين .. دفع الى استخدام النفط في حدود سياسية **ضاغطة هي عينها حدود الحرب وطبيعتها** . [ايقاف الزيادة ، تخفيض الامدادات ٢٥ ٪ ، قطع الامدادات عن اميركا وهولندا] . والاسباب التي كمنت خلف هذه الاجراءات ليست في أغلبها اسباب سياسية بل ان هناك أسبابا اقتصادية .

يقول الدكتور روبرت يوبي مدير مكتب الشؤون الدولية في هارفرد عن اسباب تخفيض العرب لانتاج النفط بعد أن أصبح تخفيض الانتاج في مصلحة الاقتصاديات العربية بسبب من استمرار انخفاض الدولار، وعدم ضمان استقراره [وهو ثمن البترول المستنزف من الثروة العربية القابلة للنضوب] يقول «ان تخفيض الانتاج سوف يزيد من عدم استقرار الاقتصاد العالمي ، لان الدولار واقع تحت ضغط الين ، والين معتمد على صناعة مدعومة بالنفط العربي »(٢١) ويستنتج متسائلا : « ان التخفيض يؤزم حالة الاستقرار فلماذا لا تقوم الدول العربية به » .

أما فرانك هوتغرز رئيس ارامكو فيحدد المأزق الاميركي بشكل واضح في دراسته للاسباب التي دفعت الدول التي ترتبط بعلاقات اقتصادية وسياسية واسعة ومباشرة مع الولايات المتحدة ، الى تخفيض انتاج النفط بأن السبب هو « موقف الاميركيين من اسرائيل والتخفيض الاخير للدولار »(٢٢).

واذا كانت « دورة تصعيد اسعار البترول » التي تؤدي الى خلق حلقة اقتصادية خطيرة من التضخم المالي بالنسبة لاقتصاديات العالم والعالم الرأسمالي بشكل خاص [حيث ترتفع اسعار السلع في الدول الصناعية ، وتحافظ الشركات على ارباحها] ، فان سلاح النفط بالشكل والحدود الذي استخدم بها حتى الان « يوجع الولايات المتحدة ولكنه لن يجرحها او يقتلها » كما يقول كيسنجر . ولكن استمرار اسس سياسة اميركا كما قبل تشرين يهدد بتفاقم ازمة الطاقة ابعد من حدودها الحالية والذي يمكن أن تهدد المصالح الاميركية الواسعة بصيغتها التجارية الى جانب تهديد القاعدة المادية للاقتصاد الرأسمالي والاميركي .. وذلك بسبب من كون « مجموع ما تستخدمه الولايات المتحدة من أموال البترول العربي يبلغ ١٨٠٣ ملايين دولار ، ٦٠٠ مليون دولار منهـا أموال عربية . أي ١٢٠٠ مليون دولار فقط هي الاستثمارات الاميركية والتي تساوي ٢ ٪ فقط من مجموع استثماراتهـا . تجني منها بالمقابل أكثـر من ٣٣ ٪ مـن الارباح الكلية لاستثماراتها في العالم »(٢٣). وأهمية الاحتياط النفطي في المنطقة العربية تجعل نيكسون يقدر تلك الاهمية حتى المواجهة مع الاتحاد السوفياتي « اننا على استعداد للمواجهة مع الاتحاد السوفياتي اذا اقتضى الأمر دفاعا عن هذه المصالح » .. و« ان في المنطقـة

العربية أهم ثروات العالم » . ومأزق التناقض في السياسة الاميركية من الاستمرار في سياسة ما قبل تشرين او « تكييفها » يحدده رئيس شركة أرامكو « بأن ارامكو ، تملك ، وهي شركة اميركية بفضل امتياز حصلت عليه من السعودية ، من الاحتياطي النفطي المحتمل اكثر مما تملك الولايات المتحدة وروسيا والصين مجتمعة . ولذا فان على المرء أن يتساءل **أين تكمن المصلحة الاميركية** » . ويعتقد جونغرز ان مهمته « تشجيع العاصمة الاميركية على ان تتحرك بحيوية باتجاه حل مشكلة الشرق الاوسط » . بمعنى باتجاه **اعادة النظر** في حسابات عناصر الاستراتيجية الاميركية تجاه المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ ، والموازنة بين أثر هذا « التكييف » وشكله على السياسة الاميركية وبين تعريض المصالح الاميركية الى الخطر .

واذا كان اثر استخدام النفط على الولايات المتحدة « موجعا وليس قاتلا » فان مـــا خلقته حرب تشرين وضاعفته أزمة الطاقة في علاقـــة الولايات المتحدة مع المجموعـــة الرأسمالية كان أبعد خطرا [بالنسبة لحلف الاطلسي ، ومجموعة السوق المشتركة] .

ففي الوقت الذي دفعت به حرب تشرين معضلتي الوفاق والطاقة كمعضلات جدية تواجهها السياسة الاميركية ، فان تفاعل تأثيراتها الذي كان له أرضية من التناقضات بين المصالح الامبريالية الاقتصادية قد خلق مأزقا آخر للسياسة الاميركية .

ان ما أوردته صحيفة « زود دويتش تسايتنغ » الالمانية الغربية يكشف جانبا من تلك التفاعلات على وحدة المعسكر الرأسمالي ، وطبيعة التناقضات الاساسية والتعارضات الثانوية بين بلدانه.تقول الصحيفة « ان اميركا منذ سنوات ترفض التعاون في أزمة النقد العالمية وحاولت تدمير السوق الاوروبية المشتركة لكي تستطيع ايجاد اسواق اوروبية أوسع لفائض الانتاج الزراعي » . وكذلك مـــا أوردته « الايكونومست » بعد الحرب مباشرة عن تأثيرات معضلات الطاقة ونتائج حرب تشرين الى أن « تتخذ بعض الحكومات الاوروبية خطوات لعقد ترتيبات خاصة مع الحكومات العربية مباشرة ، من وراء ظهر شركات النفط الاميركية الكبرى . وربما مـــن وراء ظهر « شـــل » ، و« البترول » البريطانيين اذا ما بقيت بريطانيا ملتزمة بالسياسة الاميركية »*.

وحين أوجز احد المسؤولين البريطانيين الشعور السائد بالقارة الاوروبية حدد فيه أحد جوانب التناقض الذي نشأ بين اوروبا والولايات المتحدة بسبب أزمة الطاقة بالقول « انه ليس من العدل مطلقا ان تكون دولة يشكل سكانها ٦٪ من سكان العالم مسؤولة عن استهلاك ثلث الطاقة العالمية » .

في مؤتمر وزراء الخارجية لدول حلف شمال الاطلسي برزت بعض جوانب التناقضات داخل المعسكر الرأسمالي ووضحت خطوطها العامة من خلال المواقف المختلفة لبلدان الحلف فقد أوضح الامين العام للحلف جوزف لانز حظر التفاعل الذي احدثته حـــرب تشرين بين موضوعة الوفاق وازمة الطاقة ونتائج الحرب العسكرية على الحلف بالقول: « ان ما نخشاه لا يقتصر على تدخل عسكري مباشر ، لكن هناك أخطار ضغوط سياسية كبيرة وابتزازا ناجما عن اختلال في التوازن العسكري » . بمعنى ان الاختلال الجديد الذي أحدثته حرب تشرين [التعديل النسبي للاختلال لصالح العدو وامريكا] كان سببا وغطاء للحظر النفطي ، ودافعا للصيغة السوفياتية للوفاق اثناء الحرب تجاه الصراع العربي ــ الاسرائيلي .

---

* المهم هو ما ترتبه تلك الخطوات من نتائج على « حلف الاطلسي » والعلاقات الاقتصاديـــة الاميركية ــ الاوروبية من جهة ، والاميركية اليابانية ــ واليابانية الاوروبية من جهة اخرى .

وفي مخاوفه لما تخلقه ازمة الطاقة من تأثير مباشر على جهد الدفاع المشترك عن الكتلة الراسمالية يشير الى ما يخشاه على وحدة الحلف وفعاليته العسكرية بالقول « انني اخشى ان يكون جهد الدفاع اول ضحايا الحاجة الى الاقتصاد » . وهذه اشارة صريحة الى ازدياد حدة التناقض داخل الحلف حينما تجنح الدول خاصة اوروبا الغربية الى ايجاد علاقات مع الاتحاد السوفياتي تجعلها بغير ما حاجة للمظلة الاميركية وحمايــة حلف شمال الاطلسي . لقد ذهب وزير خارجية فرنسا ابعد من ذلك فقد اقترح انشاء « دفاع اوروبي مستقل » وهذا الاقتراح يفصم آخر العرى واهمها بين اوروبا الغربية وامريكا اذا تمكنت فرنسا والدول المؤيدة لسياستها من تحقيقه .

وكان خطاب كيسنجر يعكس التناقض الذي حصل في الحلف بصياغات دبلوماسية حذرة . لقد تساءل الوزير الامريكي « هل يستطيع الحلف ان يبقى متماسكا ام سيتوجه نحو التنافس بين اعضائه »(٢٤).

وبسبب امتناع معظم دول اوروبا الغربية عن تلبية طلب امريكا اثنــاء الحرب ، باستخدام قواعدها لخدمات الجسر الجوي لاسرائيل [عدا البرتغال ، المانيا متأخرة]. فقد استنتجت الصحف الاميركية من هذا الموقف استنتاجا خطيرا بالنسبة لمستقبل حلف شمال الاطلسي ، فقد أوردت بصدد المانيا « ان سياسة التساهل الالمانية تجاه موسكو تؤدي الى تعريض المانيا الى الخطر . وكذلك تعريض شبكة الدفاع الغربي الى الخطر ».

ورغم ظهور التعارضات داخل دول الحلف ، فان فالتر شل وزير الخارجية الالماني قد حدد وحدة المعسكر الراسمالي في مواجهة الاتحاد السوفياتي بصفة عامة « بأن المانيا كانت ستدعم الولايات المتحدة لو وجدت نفسها في مجابهة مع الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط » .

الا ان الموقف الاوروبي العملي تجاه السياسة الاميركية خلال الحرب والذي تمثل بــ « عدم السماح باستخدام القواعد الاوروبية ، والبيان المشترك لــدول منظــومة السوق الاوروبية التسع بتأييد انسحاب اسرائيل الكامل وتطبيق القرار ٢٤٢ وضمان الحقوق الشرعية للفلسطينيين » هذا الموقف العملي يجعل من صيغة التضامن الذي اوردها شل صيغة عامة لا تنتمي الى التعارضات الجدية التي فجرتها الحرب بالنسبة لمعضلتي الطاقة والوفاق الدولي ، والصيغة مشروطة بتعرض الولايات المتحدة الى خطر جدي من الاتحاد السوفياتي ، وهو خطر لا يمكن الاتفاق على حدوده او الالتزام به سيما كانت السياسة الاميركية تعبر عن مصالح الولايات المتحدة المتعارضة مع دول اوروبا ولا تعبر عن المصالح الحيوية المشتركة للمعسكر الرأسمالي في مواجهة المعسكر الاشتراكي .

هذه التفاعلات في ازمة الطاقة بعد حرب تشرين هي الاخرى بعد تفاعلات الوفاق قد شكلت **العامل الثاني** الذي وضعت امام الولايات المتحدة جملة معطيات ، اقتصادية وسياسية وعسكرية تفرض عليها **اعادة النظر في حسابات عناصر استراتيجيتهــا** في المنطقة العربية .

أما مسألة المراهنة على التفوق الاسرائيلي العسكري المطلق قبل الحرب لحماية الطاقة فان ما توصلت اليه الادارة الاميركية (نيكسون ، كيسنجر) من خلال الحرب يتمثل بما أعلنه نيكسون وكيسنجر من ان « الحرب الاخيرة اثبتت بأنه لا يمكن فرض حل عسكري من قبل أي من طرفي الصراع » وهذه القناعة تخص اسرائيل بالتأكيد ، لان امريكا كانت تبني سياستها على امكانية فرض حل عسكري من قبل اسرائيل بتأييدها الاستمرار في الاراضي المحتلة ١٩٦٧ ، وتعذر ذلك بالنسبة للعرب . واستنتاجها الجديد

مبني على أساس ان **فرض الحل العسكري** من قبل اسرائيل او العرب يتطلب استمرار الصراع وتصعيده وهو ما لا تريده ولا تسمح به لانه يضر بمصالحها الاقتصـــــادية والاستراتيجية كما تقدم في البحث .

هذه القناعات الاميركية عن نتائج الحرب بالنسبة لدور اسرائيل العسكري في حماية الطاقة تشكل **العامل الثالث** الذي فرض على الولايات المتحدة **اعادة النظر في حسابات عناصرها الاستراتيجية في المنطقة** .

٥ ــ الدعائم الرئيسية والمشتركة للتسوية الاميركية ــ الاسرائيلية

لقد كان الجهد الاميركي الفعال لوقف اطلاق النار الفوري ، وعند المواقع التي وصلت عندها القوات المتحاربة العربية والاسرائيلية ، بعد اليوم الثالث للقتال ، يشكل **نقطـــة التحول** الحاسمة باتجاه رحلة **اعادة النظر في حسابات عناصر الاستراتيجية الاميركية** . ولقد جاءت هذه الخطوة بعد ان تأكد خطأ الحسابات التي توصل اليها جنرالات البنتاغون واركان المخابرات المركزية الاميركية حتى قبيل اندلاع القتال وساعاته الاول . لقد كانت تلك الحسابات مبنية على الثقة المطلقة بقدرة جيش الدفاع الاسرائيلي على الانقضاض الذي لا يرحم على القوات المصرية والسورية وسحقها وتحطيمها تماما خلال ساعات فقط .

ولكن اعادة النظر تلك في جوهرها ، هي **مراجعة** الاشكال والممارسات السياسية التي انتهجتها الولايات المتحدة بين حزيران ١٩٦٧ وتشرين الاول ١٩٧٣ ، في محاولة **لتحويرها وتطويرها** ، وبالاشكال والمواقف التي تمكنها من **الحفاظ على جوهر** عنـــاصر استراتيجيتها، من خلال صيغ التعامل الجديدة مع معضلات الصراع العربي الاسرائيلي، تلك الصيغ التي تستهدف **الاستجابة** للوقائع والحقائق التي فرضتها حـــرب تشريـــن لاستيعابها والالتفاف حولها، **وايقاف** احتمالات مضاعفاتها بــ « اتباع اسلوب مختلف وموقف اكثر ديناميكية ... وليس باتباع سياسات جديدة » كما هي دعوة كيسنجر في كتابه مفهوم السياسة الاميركية « لتشكيل العصر وفق قيم الغرب »(٢٥).

واعادة النظر في الحسابات الاميركية بدأت بعد ان تأكد للاميركيين تماما وبالوقائع « ان المصريين* أثبتوا قدرتهم على القتال ، انهم غيروا الاوضاع وهناك الان حقائق جديدة يجب ان تأخذها في الحساب » [تصريحات كيسنجر في القاهرة] .

هذه « الحقائق الجديدة » وضعت امام استراتيجيي الخارجية والبنتاغون مواجهة مزدوجة تأخذ خطين متوازيين في آن معا .

الاول : محاولة **ضبط عناصر التفجير** ، وتجميد موازين القوى العسكرية الفعليـــة والضاربة ، لامتصاص طاقاتها وايقاف زخم اندفاعاتها في الجبهات العربية . واستيعاب تأثيراتها وانعكاساتها المباشرة والتي لا تزال تتفاعل ، على مرتكزات الاستراتيجيـــة العسكرية لاسرائيل ومواقع الاهتزازات في « الدولة » والمجتمع الاسرائيليين .

الثاني : عملية **التطويق والاحتواء** للحقائق التي تأكدت خلال الحرب ، **لاعادة التوازن** لمرتكزات الاستراتيجية الاميركية ومواقعها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، **واعادة**

---

* المقصود بالطبع القوات العربية عموما . والحديث عن المصريين فقط ، بسبب من دور مصر الاساسي اولا ، وكون الحديث بين كيسنجر وهيكل يخص مصر ودورها « في التسوية » . ومحاولة التركيز الاميركية على هذا الدور الاساسي ، كمدخل الى جميع معضلات الصراع .

صياغة دور اسرائيل **كجزء** من الاستراتيجية الاميركية العالمية ، وعلى معطيات ووقائع تشرين العربية والعالمية والنتائج المترتبة عليها .

ان المراهنة الاميركية على امكانية تشييد تسوية **اميركية** بالاساس، تنطلق من محاولة المحافظة على مرتكزات الاستراتيجية الاميركية لما قبل الحرب . **واميركية ـ اسرائيلية** هي تعبير عن تحرك السياسة الاميركية باتجاه ايجاد **توافق وايقاع متناغم** بين «التكييف» الاميركي والاشكال والحدود التي تتخذها **المراجعة والمواجهة** الاسرائيلية لوقائع الحرب على اساس ترجمة برنامج حزب العمل الجديد والنقاط الاربعة عشر التي دخل الانتخابات على اساسها .

لقد بدأت الولايات المتحدة جهدها باتجاه وقف اطلاق النار على ارضية قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ والذي تترجمه السياسة الرسمية المعلنة لها بأنه « ينظم انسحابات ، وضمانات ، وحل للمسألة الفلسطينية يرضي الفلسطينيين والملك حسين معا » . [كيسنجر في القاهرة وواشنطن] ، وترجمة بنود القرار ترجمة **متحركة متغيرة أبدا** تخضع في صياغاتها الى طبيعة ونسب التغييرات في موازين القوى وعلى أرضية عناصر ومعضلات الصراع المعقدة بين اسرائيل والولايات المتحدة والعرب عبر التأثيرات الدولية وانعكاساتها عليها .

هذه المحاور للتفسيرات الاميركية تجعل دور السياسة الاميركية **عتلة توازن** بين مصالحها الاستراتيجية الحيوية التي تحدد وتعين دور اسرائيل بعد تشرين وبين الاشكال التي تتخذها المراهنة الاسرائيلية الجديدة في مواجهة معضلات الصراع على اساس ترجمة بنود برنامج حزب العمل الحاكم. ولكن هذا **التوازن المتكامل** الذي يتحرك على محاور تسويات وارادات اميركية ـ اسرائيلية هو تحرك في مواجهة ارادات عربية وفلسطينية في الخندق الاخر للصراع .

ومن هنا ، فان جوهر الصراع في هذه المرحلة ، مرحلة ما بعد حرب تشرين ، يدور في نطاق التناقض بين الترجمات الاميركية ـ الاسرائيلية المتوافقة والمتوازنة «للانسحابات، والضمانات وحل ما للمسألة الفلسطينية» والتفسيرات العربية والدولية لتطبيق القرار ٢٤٢ لتنظيم « الانسحابات الكاملة من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ولتحقيق الحل الوطني المرحلي للمسألة الفلسطينية » . بين الحدود التي يمكن ان ينجح العرب والفلسطينيون الوصول اليها **بتوظيف** جميع نتائج الحرب الايجابية واحتمالات تفاعلاتها (وتجدد الحرب كأحد أهم احتمالاتها) **لاجبار** العدو على الانسحاب من الاراضي العربية ، وخلق شروط ممارسة حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وعلى أرض وطنه ، وبين قدرة السياسة الاميركية الاسرائيلية على فرض عناصر التسوية التي تضمن مصالحهما بعد التمكن من امتصاص واستيعاب نتائج الحرب الايجابية .

ولكي يمكن معرفة طبيعة سير عربة التسوية الاميركية واتجاهاتها ، لا بد من متابعة المنابع الفكرية لوزير الخارجية الاميركي واستنتاجاته من دراسة تاريخ الحروب والسلام ومنطلقاته المعاصرة في مواجهة المعضلات العالمية الراهنة .

ان نقطة البدء في سير العربة هي : **تجميد** و « **ضبط** » **لموازين القوى العسكرية القائمة** [لحظة وقف اطلاق النار] والاقتصادية والسياسية كما هي عند حدودها القائمة حاليا . ثم الانتقال بعد **منع امكانية التفجير العسكري المباشر ثانية** ، الى المبادرة والهجوم لتحقيق اختلالات في موازين القوى لصالح الولايات المتحدة واسرائيل باستخدام جميع اشكال الصراع ، ومن مراكز جديدة وبأدوات مختلفة .

ان هذه المراهنة تنبع من تفسير كيسنجر للسلام الذي يعتقد به كما في كتابه طريق

السلام « ان الاستقرار ينطلق من شرعية يعترف بها الجميع وهي توازن القوى* » . وترتيباً على هذه المعادلة فان السياسة الاميركية ، لكي توفر لها عناصر النجاح تعمل بالتسلسل التالي : **تجميد** توازن القوى الجديد الذي خلقته حرب تشرين « المعترف بشرعيتها »** **وتحقيق** و « **تقنين** » **حالة** « **سلام مؤقت** » على أساس حيثياتها ، وهو السلام الذي يستهدف **منع عناصر الطاقة وزخم الاندفاع** في معسكر جبهات القتال العربية . وبالمقابل **ترميم وتصليب** عناصر الاهتزاز والاضطراب في المرتكزات العسكرية، والمنطلقات الاقتصادية والسياسية « لدولة ومجتمع » اسرائيل .

هذا « السلام المؤقت » نجده في منطلقات الوزير الاميركي القائلة بان « السلام الحقيقي هو السلام الذي يمكن ان يعاد النظر فيه ، ويجري التفاوض بشأنه في كل لحظة » وهذا يعني ان الولايات المتحدة تهدف الى ايجاد حالة من « الاستقرار » المؤقت الذي يعينها على البدء بالتغيرات الايجابية في موازين القوى لصالحها واسرائيل ، والتي ترافق عملية التغلغل الاقتصادي والسياسي . الا انها لن تتمكن من تحقيق أية خطوة في هذا الاتجاه قبل ان تتمكن من **امتصاص واستيعاب** عناصر التفجير في الصراع .

وهي على هذا الطريق تحاول توظيف اتفاق « فصل القوات » المصرية الاسرائيلية الذي قال عنه دايان ومائير « بأنه البديل الوحيد لتجدد القتال » .

وعند فحص وتحليل المرتكزات الاستراتيجية لما قبل الحرب وبعدها نجد **استمرار المرتكزات اياها** التي تحاول الولايات المتحدة تشييد السلام عليها ، بينما انصبت عناصر التغيير على « الاساليب المختلفة والديناميكية » . اما **موضوع التغيير في الاساليب** وديناميكيتها فقد تمثل بالموقف الاميركي تجاه الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ [العربية والفلسطينية] .

— **المرتكزات الاستراتيجية الاميركية بين حزيران ١٩٦٧ وتشرين ١٩٧٣** ، تفوق عسكري مطلق لاسرائيل يمكنها من الاحتفاظ بالاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، فرض التراجعات الاقتصادية والسياسية على الانظمة الوطنية لضمان تطوير وتكريس المصالح الاميركية ، مطاردة العلاقات العربية السوفياتية عن طريق التلويح بمبادرات وهمية ، التصدي لحركة المقاومة الفلسطينية عسكريا وسياسيا .

لقد تحركت السياسة الاميركية طيلة ست سنوات ونصف على أرضية الاحتفاظ بالاراضي العربية المحتلة [والفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧] **كرهينة ثمينة للمساومة** ولانتزاع مزيد من التراجعات العربية السياسية والاقتصادية في تركيب الانظمة العربية، بهدف توفير شروط الاستسلام الكامل الذي يمكن ان تحقق سيادة مطلقة للنفوذ الاميركي بجميع عناصره في المنطقة العربية .

أما عناصر الاستراتيجية لما بعد حرب تشرين ، والتي بنيت على اساس حسابات رحلة اعادة النظر التي بدأتها الولايات المتحدة منذ عملها لوقف اطلاق النار ، **عند المواقع الجديدة** وليس بعد العودة الى حدود ما قبل بدء القتال كما راهنت الولايات المتحدة عند بدء القتال . فيمكن تعيين **محاورها** الاساسية كالتالي :

* استقرار « شرعية » توازن القوى تعني : اعتراف طرفي الصراع بحسابات متقابلة ، وبامكانية تسجيل موازين القوى ، ودفع الحرب الى الوراء ، وامكانية تحقيق أهداف الحرب سياسيا عبر مراهنات تاريخية متقابلة ومتقاطعة .

** القبول بالقرارات ٣٣٨ ، ٣٣٩ هو تعبير عن حسابات متقابلة للتوازن الذي يسمح من وجه نظر الفريقين بتحقيق الاهداف المختلفة سياسيا ، اي الاهداف التي خيضت الحرب من أجلها على أساس حسابات طرفي الصراع المتقاطعة في مراهنتها التاريخية .

● حماية أمن اسرائيل ومستقبلها في حدود التفسير الاميركي الجديد لقرار ٢٤٢ «الذي ينظم انسحابات وضمانات... « وحل ما » للمسألة الفلسطينية » ، ● توسيع وترسيخ النفوذ الاميركي في المنطقة العربية على دعائم اكثر ثباتا كما كانت عليه قبل الحرب ، ● تصفية العلاقات العربية السوفياتية ومظاهرها العسكرية والاقتصادية والسياسية .

ولكن هذا الدور لا بد له ان يكون منسجما مع سياسة « التكييف » **باعتبـاره أحـد العناصر الاساسية فيه** . والصيغة الجديدة التي يتخذها تتعين على اساس « عبرة الحرب بالنسبة للاميركيين » وهي كما يقول ارييه جورين « ان اسرائيل قوية لا يكفي لضمان تسويات في المنطقة ، فان جولة قتال اخرى من شأنها ان تؤدي الى مجابهة بين الكتلتين » . وهذا الاستنتاج الاميركي كما يورده البروفسور الاسرائيلي يعني : ان الولايات المتحدة **لا يمكنها الاعتماد على قوة اسرائيل لفرض « التسوية »** ، كما هي احدى مرتكزات الاستراتيجية الاميركية قبل الحرب ، لان ذلك لا ينسجم مع سياستها الجديدة لتطبيق القرار ٢٤٢ الذي ينظم « انسحابات وضمانات «وحل ما» للمسألة الفلسطينية » واحدى مظاهر تطبيق هذه السياسة هي مما يؤكده جورين من ان مبلغ ٢،٢ مليار دولار كمساعدة لاسرائيل بعد الحرب ارتبطت بشرط « ان تواصل البحث في تسوية شاملة لاحلال السلام » وتعني بالضبط ، « تكييف » لدور اسرائيل الجـديد مـع مرتكزات الاستراتيجية الاميركية بعد الحرب .

اما محور توسيع النفوذ في المنطقة العربية وترسيخه فيعتمد على الدور الذي تلعبه في عملية التسوية والذي يتخذ دور « الوسيط » القادر على مساومة اسرائيل والعرب على الاراضي العربية المحتلة. وهذا الدور هو ما يضمن لها عودة **جديدة مطمئنة ومطورة** لمصالح والمواقع الاقتصادية والسياسية . وكما رافق مرحلة « فصل القوات » المصرية الاسرائيلية وما يمكن ان يترتب على الاجواء التي خلقها . ومراسل صحيفة « الواشنطن بوست » يوضح هذا المحور في السياسة الاميركية بقوله : « بأن مجالا للتعاون بيـن الولايات المتحدة والقاهرة قد أخذ يبرز خصوصا في المجال الاقتصادي ، وقد أرسيت قواعد هذا التعاون خلال زيارات كيسنجر لمصر ، ويصل الى القاهرة هذا الاسبوع دافيد روكفلر رئيس مصرف « تشيس مانهاتن » في نيويورك »(٢٦).

اما محور محاصرة العلاقات العربية السوفياتية ، فهو **الوجه الثاني لمحور توسيع النفوذ الاميركي** ، وكل خطوة على هذا الطريق هي بالضرورة والتعادل خطوة نحو تحطيم العلاقات العربية السوفياتية . والمراهنة الاميركية على وجهي المعادلة هي مراهنة على تحقيق تغيرات أساسية في بنية الانظمة الوطنية تصاحب وتترتب على : انها ، حالة المجابهة مع اسرائيل ، التطور الراسمالي الذي يصاحب نشاط النفوذ الاميركي ، وهذا ما يجعل مظاهر العلاقات العربية السوفياتية العسكرية والاقتصادية والسياسية تفقد شروط استمرارها الموضوعية . وهذا المسار هو بالنتيجة يفقد العرب عناصر أساسية في موازين القوى مع اسرائيل واميركا ، ويدفع بالتغيرات الايجابية التي ترتب اختلالات جديدة لصالح اسرائيل واميركا في مراحل الصراع المتقدمة .

والنجاح في هذه المحاور يصب في المحور الثالث ويعين طبيعته واشكاله التي يتخذها ، لانه يساعد على تغيير في نسب موازين القوى في الصراع العربي الاسرائيلي والتي تؤثر بشكل فعال في ميادين ومعضلات الصراع المباشرة بالنسبة للمسألة الفلسطينية خاصة بالنسبة لمهام حركة التحرر الوطني المباشرة والمتمثلة في : اجلاء الاحتلال وممارسة حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وهذا يعني ان محور السياسة الاميركية تجاه المسألة الفلسطينية يرتبط بالدور الذي يعينه لنظام الملك حسين ، وهو ما يضع الموقف الاميركي

بشكل مباشر في مواجهة حركة التحرر الفلسطينية ، ومعاكسة الحقوق الشرعية الراهنة للشعب الفلسطيني .

وبالنتيجة فان الفرق بين الاستراتيجية الاميركية لما قبل الحرب وبعدها تتلخص في المراهنة على قوة اسرائيل التي تكفي للاحتفاظ بالاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ وتحقيق تسوية في ظل الاختلال الواسع في موازين القوى بين العرب واسرائيل . اما بعد الحرب وفي ظل التعديل النسبي في موازين القوى ، فان الولايات المتحدة اتخذت دور «الوسيط» بين العرب واسرائيل على أرضية القرار ٢٤٢ ، وتحركت على أساس انها **« صاحبة الرهينة الفعلية »** التي « تقايض وتساوم » على كل شبر من الارض لضمان استمرار مصالحها وتوسيعها [تصريحات كيسنجر للسادات: السوفيات يزودونكم بالسلاح ونحن نعطيكم الارض ، هذا بالرغم من ان الولايات المتحدة لم تحدد موقفها رسميا من الانسحاب الى حدود ٤ حزيران كليا] .

والعلاقة بين رحلة اعادة النظر الاميركية ، وعملية المراجعة والمراهنة الاسرائيلية هي علاقة **متداخلة ومتكاملة** ، والمرتكزات التي تشيد عليها مصالح الولايات المتحدة **هي اياها** مصلحة وجود اسرائيل وضمان أمنها ومستقبلها ومطامحها المستقبلية ، وبين « التكييف » الاميركي والمواجهة الاسرائيلية يتحدد موقع اسرائيل بعد الحرب **كدور وكأداة** في الاستراتيجية الاميركية العالمية .

من هنا فان تحركات السياسة الاميركية ما بعد الحرب **تنسجم وتتقابل في خطوطها العامة** ، وان بدت متعارضة في التطبيقات ، مع خطوط المراجعة والمراهنة الاسرائيلية المرتكزة على حسابات حقائق ووقائع الحرب بالنسبة لمستقبل اسرائيل . وما أعلنه كيسنجر قبيل « فصل القوات » المصرية الاسرائيلية ، بأنه « يعتقد ان اسرائيل توافق على « فك التحام القوات » ببساطة لكونه ليس ثمة خيار آخر » ، يؤكد هذه الحقيقة بوضوح .

ان دعائم الاستراتيجية الاميركية الاساسية تخدم بالاساس سياسة ومصالح اسرائيل وتتطابق في خطوطها العامة مع مرتكزاتها .

فالدعامة الاولى في السياسة الاميركية « حماية أمن اسرائيل ومستقبلها » مترجمة في التحرك السياسي للولايات المتحدة بعد الحرب لتحقيق « اعترافات ، وضمانات عربية واميركية ودولية » لاسرائيل **ترتبط بالمراهنة** على ما تحدثه التطورات الفعلية ، الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي ستخلقها حالة انهاء المواجهة و**«السلام المؤقت»** بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة وضمان لامن اسرائيل ومستقبلها .

والدعامة الثانية ، المتمثلة في « ترسيخ النفوذ الاميركي في المنطقة وتوسيعه » هي **دعامة لمصالح وأهداف اسرائيل**، لانها تشكل الارضية الموضوعية للاتجاهات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تعكس التغييرات الطبقية في الانظمة الوطنية بشكل خاص، والتي تراهن اسرائيل على التعايش الاقتصادي والسياسي معها ، ومن خلالها « مع شعوب » المنطقة العربية . وما اوردته « هآرتس » في ١٩٧٤/١/٢٠ من « ان زيادة النفوذ الاميركي في المنطقة هو الامر الذي نرغب فيه جدا » يؤكد مراهنة اسرائيل على هذه الدعامة الاميركية وفاعليتها بالنسبة لاسرائيل وتأثيرها في مجريات الصراع .

والدعامة الثالثة : تخريب العلاقات العربية السوفياتية « واقصاء دور الاتحاد السوفياتي » ، هي دعامة يشكل النجاح الاميركي فيها ، وفي أي خطوة على طريقها مصلحة اسرائيلية استثنائية وهي الوجه الثاني للدعامة الاولى . ومن بين ما تحققه لمصلحة اسرائيل في صراعها مع العرب : تجريدهم من السلاح غير المشروط . اضعافهم

اقتصاديا وسياسيا بسبب التغييرات الداخلية التي يمكن ان يؤدي اليها فصم العلاقات، مع المعسكر الاشتراكي . ودفع التأثيرات الايجابية للاتحـاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي خارج دائرة الصراع وبالتالي منعها في التأثير في موازين القوى المباشرة في المواجهة مع اسرائيل . ومن هنا فان كل خطوة على طريقها تشكل اختلالا في موازين القوى لصالح اميركا واسرائيل .

ويؤكد أيضا جفاي آشر المعلق العسكري لصحيفة « دافار » الاسرائيلية « ان الحدود الامنية غير كافية في أية تسوية ... ومن المشكوك فيه أن تكون العنصر الرئيسي » . ويرجع هذا الاعتقاد الى دور السـلاح السوفياتي والعلاقـات العربية مع المنظومـة الاشتراكية ويستنتج اخيرا « ان التسليح السوفياتي للعرب كما ونوعا هو عنصر اكثر اهمية في الوضع في المنطقة بسبب ميزان الامن والردع بين دولها والدول الكبرى فـي الشرق الاوسط » .

والدعامة الاخيرة تجاه المسألة الفلسطينية « حسب الجهود من اجـل أن يرضى الفلسطينيون والملك حسين معا » . والمراهنة على دور نظام الملك بأن « يلعب دورا أساسيا في التسوية » [تصريحات كيسنجر في الاردن] والدعم الاقتصادي والسياسي الذي قدمته وتقدمه بعد تشرين ، ما يجعل من هذه الدعامة الاميركية **ركيزة** أساسية في سياسة اسرائيل أكثر أهمية من أية ركيزة أخرى في الصراع .

لكن السياسة الاميركية التي تتحرك على هـذا المحور ، تخضع الدور الاردني في الاستراتيجية الاميركية لمصلحة ومستقبل اسرائيل ، وتراهن على ما يمكن ان يقوم به في « التسوية الشاملة » في خدمة خطوط سياسة المراجعة ومواجهة الحقائق الجديدة لاسرائيل لا بالتعارض معها .

الا أن عدم وضوح الملامح النهائية لهذا المحور في السياسة الاميركية هو تعبير عـن سياسة ثابتة لجعل الشكل النهائي للموقف الاميركي مرتبطا بالتطورات التي يمكن ان تحدثها نتائج النجاح في المحاور الاخرى ذات الاولوية التـي ترافق « الانسحابـات ، والضمانات ، والتراجعات العربية » كما تراهن الولايات المتحدة واسرائيل .

وعدم تحديد أية ملامح نهائية لمحور سياسة اسرائيل تجاه هذه المعضلة هو نتيجة لاسباب داخلية من جهة ، والمراهنة الاسرائيلية ، كما هي الاميركية ، على التطورات والتغيرات في طبيعة واشكال الصراع ونسب توزيع القوى التي ترافق وتترتب علـى التحرك باتجاه الدعامتين الاخريين ، باتجاه « حل المعضلات الاقليمية » مع مصر وسوريا وما يترتب عليها ، وهي بالنتيجة تقرر موقفها بالتنسيق الكامل مع الولايات المتحدة تجاه معضلة هي جوهر واساس الصراع وأداته الرئيسية .

حركة التحرر الوطني الفلسطينية في مواجهة المعارضة الاساسية في التسوية الاميركية واقامة السلطة الوطنية المستقلة

لقد بات من الواضح ان التسوية الاميركية ـ الاسرائيلية للصراع العربي ـ الاسرائيلي لا تتحرك محاورها في مواجهة حركة التحرر العالمية والفلسطينيـة ومصالحها الحيوية فحسب ، بل ضد حركة التحرر العالمية عموما ، وبالاخص في افريقيا والبلدان المحيطة بالمنطقة العربية ، وذلك بسبب من ان النتائج المترتبة عليها ، اذا استطاعت ان تمر ، والتي تتمثل ابرزها في توسيع وترسيخ المواقع الاميركيـة ومرتكزاتها السياسيـة في المنطقة العربية وتحطيم العلاقات العربية السوفياتية واقصـاء مظاهرها الايجابيـة العسكرية والاقتصادية والسياسية في المنطقة العربية ، هي في التحليل الاخير تشكل اضرارا بالغا وجديا بالنسبة لكل قوى التقدم في العالم .

ومن هنا ، فان مهمات مواجهتها **فرملة وتعطيل** عجلاتها او بعض منها هي مهمات تعني حركة التحرر العربية والعالمية .

والاداة الرئيسية في المواجهة المباشرة لعجلتي التحرك الاميركي هي على وجه التحديد هي حركة التحرر العربية الوطنية والديمقراطية .

وتواجه حركة التحرر الوطنية الفلسطينية بشكل خاص **العارضة الاساسية** في التسوية ، العارضة التي لا يمكن ان تستقر مرتكزات الاستراتيجية الاميركية الاخرى دون النجاح في تشييدها . ان مواد تشييد هذه العارضة تكمن وبالضبط في المحاولات التي تصب **باتجاه** مصادرة الحقوق الوطنية الراهنة للشعب الفلسطيني ، لعدم تمكينه ومنعه من **اجبار** العدو على الانسحاب من الاراضي الفلسطينية وممارسة حق تقرير المصير واقامة السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة .

ان طبيعة الصراع هذه تعين على حركة المقاومة الفلسطينية مهاما راهنة وعاجلة تتمثل في النضال الحازم من اجل :

— **اجبار** العدو على الانسحاب من الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ دون قيد او شرط وبمختلف اشكال الكفاح المسلح والانتفاضي والسياسي .

— **قطع الطريق** على الرجعية الاردنية والغاء اية امكانية لعودتها الى الضفة الغربية ولا يتم ذلك الا بتحطيم ركائزها الاقتصادية والسياسية والادارية .

— **ممارسة حق تقرير المصير واقامة السلطة الوطنية المستقلة .**

والنضال من اجل هذه المهام هو بالضرورة والواقع نضال مترابط الحلقات ومتبادل التأثير ، لان مهمة **اجبار العدو** على الانسحاب تحت برنامج حد ادنى وطني ، في جبهة **عريضة وطنيا** [تشمل جميع الطبقات والفئات المعادية للاحتلال] وواسعة جماهيريا ، ترتبط بالمهام الاخرى وتؤثر فيها . والنجاح في هذه المهمة هو نجاح على طريق تصفية نهائية لادعاءات الرجعية الاردنية وسياساتها **« لتلم »** سلطة ودور منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني . وخلق الشروط الموضوعية لجعل اية محاولة لعودة القوات الاردنية الى الارض الفلسطينية محاولة مستحيلة التحقيق امام تعبئة الجماهير وتنظيمها وتسليحها واستعدادها للانتفاض .

والنجاح في انجاز هذه المهام الوطنية الراهنة ، يوفر القاعدة الوطنية المادية التي تحمل **جينات** وشروط استئناف الصراع الطويل مع العدو . وهو الطريق الثوري الوحيد لضمان استمرار عناصر الصراع التي تمكن من **اقامة الدولة الديمقراطية** على كامل تراب الوطن الفلسطيني .

---

١ — اندرو غلاس ، نيكسون يغدق العون على اسرائيل ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٤ .

٢ — رولاند ايفانس ، اليهود ومؤتمر جنيف ، ترجمة **النهار** ، ١٩٧٣/١٢/٢٩ .

٣ — د. يفجيني افسييف ، الراسمال الاحتكاري والصهيونية ، **الطليعة** المصرية ، العدد ١٣ ، ١٩٦٩ .

٤ — **المصدر نفسه** .

٥ و ٦ — اعمدة المؤسسة العسكرية الصناعية في اميركا ، وديع وهيب ، **الطليعة** ، العدد ٩ ، السنة الخامسة .

٧ — اندرو غلاس ، نيكسون يغدق العون على اسرائيل ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٤ .

٨ — **دافار** ، ١٩٧١/٤/١٨ .

٩ — اندرو غلاس ، نيكسون يغدق العون على اسرائيل ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٤ .

١٠ — **الاهرام** المصرية ، ٢١ كانون الاول ١٩٧٣.

١١ — عودة ابو ردينة ، يهود الولايات المتحدة

والحزبان الديمقراطي والجمهوري ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٤ .
١٢ — اسرائيل والسلام في الشرق الاوسط ، د. حسام الخطيب ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٨.
١٣ — صحيفة **النهار** ، خطاب نيكسون ، ومقابلة بريجنيف في التلفزيون الاميركي ، ١٩٧٣/٩/١٠.
١٤ — حديث اسحق رابين الى مراسل **معاريف** في واشنطن ، ١٩٧١/٣/١٩ .
١٥ — خطاب نيكسون ، **النهار** ١٩٧٣/٨/٢٠ .
١٦ — شموئيل شفيتسر ، **هآرتس** ، الخيانة غير واردة ، ١٩٧٣/٨/٢٤ .
١٧ — **المصدر نفسه** .
١٨ — ارئيل غيتاي ، **يديعوت احرونوت** ، ١٠/ ١٩٧٣/٩ .
١٩ — شفيتسر ، **هآرتس** ، نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، عدد ١٧ .
٢٠ — عوده ابو ردينة ، النفط العربي كمحرك سياسي للطاقة . **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٤.
٢١ — **المصدر السابق** .
٢٢ — **عالم النفط** ، فرانك جونغرز ، ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ .
٢٣ — امريكا والطاقة مجلة **الكاتب** ، ايلول ١٩٧٣ ، العدد ١٥ .
٢٤ — **النهار** ، ١٩٧٣/١٢/٨ .
٢٥ — هنري كيسنجر ، مفهوم السياسة الخارجية الاميركية ، ص ٩٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٢٦ — **نشرة رصد اذاعة اسرائيل** ، مركز الابحاث الفلسطيني ، ١٩٧٤/١/٢٨ .

مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية ١٩١٣ ــ ١٩١٤

الدكتورة خيرية قاسمية

في ١٨ فبراير ١٩١٣ نشرت الاهرام مقالا لكاتب سوري (ع. ج) جاء فيه « .. انه اذا كان التواطؤ بين الاتحاديين والصهيونيين على أن ينـــال الاخيرون شيئا في سوريا وفلسطين ، فان كل شيء يعطى من هذا القبيل للصهيونيين سيكون ملغى بالمرة ، ... انهم اذا أرادوا أن ينالوا شيئا في جهات سوريا فيجب عليهم ان ينالوه برضا السوريين خاصة والعرب عامة والا فان العداوة بين السوريين ، بل بين العـــرب أجمع ، وبين الصهيونيين ستنشأ من الآن وستظهر بمظهر يقضي علـــى كل مصالح الصهيونيـــين وآمالهم ... » ويذكر (ع. ج.) الصهيونيين بأنهم « ... يجاورون العرب ويحيط بهم العرب ... واننا ندعو كتاب العرب الذين هم على رأينا والذيـــن هم يمثلون القسم المتنور من العرب أن يكتبوا في هذا الموضوع الخطير ، وينصحوا معنا الصهيونية بأن ولاء الجار القريب أولى من ولاء البعيد الغريب .. » . الاهرام في تعليقها الموجز تؤمن بأن السوريين لا يكرهون التفاهم « ... وانما الذي يؤلم بعضهم ان يتفق على ارضهم دون علمهم أو رأيهم ... والتفاهم لازم ضروري لخير الجميع وبالاموال التي يأتي بها الاسرائيليون وبالفنون والعلوم التي يحملونها الى سوريا نفع عظيم ... فلا يبقى الا أن يتفاهموا ليتحابوا أو يتفقوا .. » .

ما الذي دفع هذا الكاتب الى أن يتقدم بعرض التفاهم هذا . وهو لا شك كاتب له وزنه بين الفئات القومية السورية التي كانت تتجمع في القاهرة كنواة لحزب اللامركزية . وكانت القاهرة قد أصبحت مركزا للمهاجرين السوريين المثقفين الذين برزوا في الصحافة والوظائف المدنية واستطاعوا أن يمارسوا نشاطهم بعيدين عن السيطرة العثمانية من أجل المطالبة بحقوق العرب القومية داخل اطار الدولة العثمانية .

لو عدنا الى الوراء سنوات نجد أن العمل الصهيوني في فلسطين قد بدأ منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين كانت أجزاء كثيرة من الدولة العثمانية قد أصبحت مطمعا للنفوذ الاوروبي ، وبدت الحـــركة الصهيونية وجها آخر مـــن الغزو الاوروبي للشرق ، وقد طورت على يد هرزل لتعمل من خلال المنظمة الصهيونية وأجهزتها المختلفة على تحويل هذا الجزء من الوطن العربي الى وطن قومي يهودي حسب المخطط الذي رسم في المؤتمر الصهيوني الاول في بال ١٨٩٧ . ولكن الحركة يئست من تحقيق برنامجها نتيجة صعوبات سياسية بالغة ، وفرضت الحكومة العثمانية القوانين المشددة بهدف منع استيطان اليهود المهاجرين في فلسطين . ومع ان القوانين لم تكن فعالة الا أنها كانت تعوق الهدف الصهيوني حتى لقد حول هرزل أنظاره عن فلسطين في آخر أيامه . ولكن تغير النظام السياسي في تركيا ١٩٠٨ واستلام حزب الاتحاد والترقي السلطة قد أعطى الحركة الصهيونية آمالا جديدة . اذ الى جانب مساهمة فئات مـــن اليهود العثمانيين واليهود المتسترين (الدونمة) بأحداث الانقلاب السياسي والعطف الذي أبداه الحكام

الجدد لصالح هجرة يهودية الى تركيا ، كانت حاجة الدولة للاموال اليهودية ، واتخذ الصهيونيون ذلك مجالا لممارسة ضغوط على الحكام الجدد من أجل تنازلات في صالح الاطماع الصهيونية(١). وتردد الحكم الجديد في اتخاذ هذه الخطوة ، ويعزى هذا التردد الى رفض الرأي العام العثماني تقبل الفكرة الصهيونية من جهة ، والى العداء العربي للتغلغل الصهيوني من جهة أخرى .

لقد كانت تنتظر اليهود المهاجرين الى فلسطين ظاهرة هامة : هي كونها آهلة بسكانها العرب . وكانت ردود الفعل لهذا التغلغل الصهيوني مبكرة . ومع ان الكتاب اليهود حاولوا ارجاع أسباب هذه المعارضة الى أمر طبيعي ينشأ عـن المواجهة بين عالمين مختلفين ، الا أن المستوطنين الجدد عرفوا « أن طريقهم ليس مفروشا بالورود » . واعترف أحد مؤسسي نظام الهاشومير ـ الحراس اليهود ـ « أنهم منذ الايام الاولى قد شقوا طريق الصهيونية الصعب بيد على المحراث وأخرى على السيف »(٢).

وزادت حدة مقاومة العرب للصهيونية مع ثورة ١٩٠٨ لعدة أسباب : اولها تساهل الحكم الجديد مع الصهيونيين ، ثم ظهور الصحافة في الاجزاء العربية من آسيا وخاصة في فلسطين ، حيث أصبحت قادرة على التعبير عن موقف الرأي العام من الصهيونية بعد أن كانت البذور قد غرست قبل ذلك بسنوات ، وثالثها عودة النظام البرلماني الذي أتاح المجال لعرض القضية على مستوى رسمي واسع . وأخيرا تهديد الصهيونية الخطير للفكرة العربية الناشئة التي كان دعامتها تلك النخبة العربية من المثقفين مـن أعضاء الجمعيات والاحزاب العربية السرية والعلنية .

ولم ينظر اليهود من جانبهم الى العرب ، كعامل سياسي هام يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ، بل كانت جهودهم تدور حول تركيا ومن له كلمة فيها من أجل ازاحة القيود المفروضة على عملية الهجرة والاستيطان . وكان (آحاد هاعام) أحد كبار مفكري حركة (أحباء صهيون) من الاوائل الذين تبينوا الخطر الذي قد تضعه المسألة العربية أمام تقدم المشروع الصهيوني في مقاله « الحقيقة من أرض اسرائيل » عام ١٨٩١(٣). ولكن على العموم كانت وجهة نظر الصهيونية ترى أن المنافع الاقتصادية وامكانيات التقدم الفني والثقافي التي تحملها الهجرة اليهودية كفيلة بجعل عرب فلسطين يرون في الهجرة فائدة لهم فلا يضعون عراقيل في طريقها . ومن هنا كانت الحملة المركزة التي تولاها عدد من الكتاب الصهيونيين للتأكيد على منافع الهجرة اليهودية على الدولة العثمانية ككل ، وأهل البلاد بشكل خاص ، وفتحت لهم بعض الصحف العربيـة صفحاتها بعد ١٩٠٨ (كالمقطم في القاهرة والنصير ولسان الحال في بيروت) .

ونتيجة لتقدير الصهيونيين أهميـة المعارضة العربية وأثرهـا في اعاقة جهودهم السياسية فكر بعضهم باستغلال عامل آخر هو غرس عدم الثقـة التركية بالعنصر العربي ، واقترح أورباخ في عام ١٩١١ أن يساهم الصهيونيون في الوقوف في وجه الروح القومية النشطة لان من مصلحة تركيا في المستقبل أن تعمل على تدعيم ثقافة يهودية يمكن أن تكون ترياقا مضادا للقومية العربية(٤). وكان بعض الصهيونيين يرسمون خطا آخر للسياسة الصهيونية في علاقاتها مع الحركة العربية هو خط التفاهم وأسلوب التقارب والاخوة والمصلحة المشتركة ، فقد آمن الصهيونيون أن يلتفتوا الى تلـك القوى التي تعترض طريقهم في محاولة لانقاذ المشروع الصهيوني مـن الفشل . وواجهت الحركة الصهيونية معضلة شرحها تقرير بعثة ارثر روبن مدير مكتب فلسطين الصهيوني في يافا (الذي أسس ١٩٠٨ للاشراف على التطبيق العملي) الى اللجنة التنفيذية الصهيونية(٥). اذ برأيه أن الحكومة العثمانية تعتبر الاستيطان اليهودي كنوع من الحاجز ضد الخطر العربي ، الا انها لا تجرؤ أن تكون علانية ضد العرب ، ولذلك هو ضد الاصوات التي

تنادي بأن « على اليهود أن يختاروا الوقوف مع العرب أو مع الاتراك » ومن الضروري برأيه « أن يساير اليهود الريح فيهدئوا الحكومة التركية ويطمئنوا العرب » .

هذه الافكار هي التي كانت وراء المساعي الصهيونية الدبلوماسية مع بعض الزعماء العرب خارج فلسطين . اذ مع ان قادة الرأي العام العربي خارج فلسطين قد اطلعوا على الخطر الصهيوني من الصحافة الفلسطينية نفسها ، وعن طريق كثير من الموظفين العرب الذين عملوا في المنطقة ، الا انهم لم يكونوا على صلة مباشرة بما كان يجري ، وهذا ما دفع كثيرا منهم ان لا يروا الخطر الصهيوني بنفس الدرجة التي يراها من هم في الداخل فقللوا من أهمية الخطر الصهيوني وحصروه على الجانب المادي ، الاقتصادي والاجتماعي ، بحيث أنهم اشترطوا اخذ الضمانات الكافية ضد هذه الاخطار وتنازل اليهود الاجانب عن جنسياتهم كخطوة تمهيدية لقبولهم قدوم المهاجرين الى الحد الذي يمكن من الاستفادة منهم .

واتسع هذا الخرق في وجهات النظر العربية مع تطور جديد كان يحدث في الآستانة ، اذ في أواخر ١٩١٢ تشكل حلف من دول البلقان هزمت القوات العثمانية أمامه وبدأت مفاوضات السلم . وكان في الحكم وزارة من حزب المعارضة (الحرية والائتلاف) الذي ينادي بقدر من الحكم اللامركزي (ويضم بين أعضائه عددا من العرب) ، وأعطت الهزيمة الاتحاديين فرصة لاسقاط الوزارة الائتلافية بحجة استئناف الحرب . واستغلت الصهيونية ظروف الحرب البلقانية لدفع المشاريع الصهيونية خطوات واسعة الى الامام ولتحقيق ذلك اتبعت سبيلين : النفوذ المالي الذي يتمتع بـه الوف اليهود في العالم ، وتوسط الدبلوماسية الدولية لممارسة ضغطها على تركيا لمنح اليهود تسهيلات الهجرة والاستيطان في فلسطين .

ومعظم هذه الجهود والمساعي الصهيونية كانت سرية ، لم تشر اليها الصحافة العثمانية أو العربية . الا أن النفوذ المتزايد للصهيونيين في الاوساط العثمانية لم يخف على بعض الصحفيين العرب في الآستانة ومنهم ابراهيم سليم النجار (الذي عمل فترة كمراسل للاهرام في الآستانة) . ويبدو ان أحداث الانقلاب الذي قام به الاتحاديون في ٢٣ يناير ١٩١٣ ، لاسقاط حكومة الائتلافيين قد فاجأته ، واحتجب في فندق كونتننتال في الآستانة ومن هناك بعث رسالة شخصية الى حقي العظم (سكرتير حزب اللامركزية) في القاهرة (١٩١٣/١/٢٥) يقول فيها(٦): « ... الوزارة الحاضرة عصابة لصوص ، يؤيدها اليهود الصهيونيون » . وربما كان ابراهيم سليم النجار نفسه هو الذي بعث الى الاهرام بتوقيع عابر سبيل(٧) مقالا فيه حقائق غريبة عن التواطؤ الصهيوني الاتحادي وكيف أن الحكومات الاتحادية قد « استندت الى الاسرائيليين والماسونيين لتتغلب بهما وتستعين بأموالهم ... فجريدة الجون تورك الاتحادية جريدة صهيونية المانية نمسوية ... أعتقد جيدا أنهم لم يعضدوا الاتحاديين بأموالهم ونفوذهم في أوروبا وصحفهم التي لهم فيها الا وقد تبادلوا المنفعة معهم وحددوا منافعهم في فلسطين ... » وينتهي الكاتب الى القول « ... أنا لا الوم الصهيونيين ، فهم أرادوا منفعة يطلبونها ..، غير اني أراهم يزرعون خطرا على الصهيونية العثمانية في البلاد السورية ... » .

لا شك أن العداء للاتحاديين كان قويا بين الفئات السورية المثقفة في مصر التي تطالب بالاصلاح على أساس اللامركزية وذلك لميل الاتحاديين نحو المركزية الشديدة وتشجيعهم الاتجاهات القومية التركية ، وكانت تهمة موالاة الاتحاديين للصهيونية هي من جملة الاتهامات التي بدأت توجه الى الاتحاديين علنا . فاتهمهم رشيد رضا(٨) بأنهم اتفقوا مع الجمعية الصهيونية على تمهيد السبيل لامتلاكها البلاد المقدسة لاقامة ملك اسرائيل فيها ... وانه في الوزارة الجديدة ثلاث وكلاء من قبل الجمعية الصهيونية بيدهم

ينابيع الثروة في البلاد . ويحذر رشيد رضا « ... انه لو استمر هذا التواطؤ ... سيكون هذا مبدأ عداوة بين اليهود والعرب ربما أدى الى سفك وتخريب كل ما يملك اليهود » .

وتقدم بعد ذلك الكاتب (ع. ج.) في الاهرام ليحول الحوار الى الاتجـاه الجديد المفاجىء الذي ورد في مقدمة هذا المقال بطرحه موضوع التفاهم العربي الصهيوني على شكل نصيحة محذرة للصهيونيين . قد يكون الدافع لهذا العرض هو عداء تلك الفئات التي يمثلها (غ. ج.) للاتحاديين فكانت تريد أن تنتزع منهم سلاحـا قويا له وزنـه العالمي ، يحاول الاتحاديون استخدامه لمصلحتهم ، أو قد يكون الدافع هو الرغبة في الحصول على المساعدة الاقتصادية والتنظيمية والعلمية عن طريق الصهيونيين ، في وقت بدأت الحركة العربية الناشئة تتلمس الحلول لانهاض الاحوال المتخلفـة في البلاد ، وخاصة ان بعض زعماء العرب كان قد أبدى اعجابه بما حققه الصهيونيون من أعمال في فلسطين ودعوا الى أن تتخذ هذه الاعمال مادة للاقتباس(٩) .

وعلى كل حال ، لم يفصح أحد عن دوافعه في ذلك الحين ، بل عاد كاتب آخر (أ.ص) على صفحات الاهرام (٢٠ فبراير ١٩١٣) يكرر النصح المشوب بالانذار « ... ليتأكد اخواننا .. ان الخطة التي وضعوها لاستعمار فلسطين ستكون عاقبتها مـن اشأم العواقب عليهم ... وعسى أن تجد نصيحة الاهرام منهم قلوبا واعية » . وجاء الرد على عرض التفاهم بتوقيع صهيوني في الاهرام (٢٠ فبراير) . الكاتب مع تفهمه رغبات (ع. ج.) يريد أن يتأكد ، ان كان هذا الراي يعبر عن آراء العرب السوريين وان لهم استعدادا للاشتراك مع اليهود الصهيونيين في العمل واياهم لنهضة سوريا وفلسطين.. » كما يريد أن يتأكد فيما اذا أخذ (ع. ج) آراء سواه من ممثلي الامة قبل أن يقدم العرض. ولكن ، لو كان الامر مجرد اقتراح ، فان الصهيوني يطلب أن يناقشه كبار المفكرين العرب ممن لهم كلمة مسموعة قبل أن يعطي ممثلو الصهيونية رأيهم . وقد أراد أن يستغل مناسبة هذا العرض كي يستخف بشأن ما يسميه الاعتراضات الصحافية ويبين انها « لا تشغل بال الصهيونيين كما يظن بعض أذناب اخواننا السوريين ان أهل سوريا واصحابها الكبار قوم لا يحبون جيرة الاسرائيليين ... » .

وعاد (ع. ج) ليوضح في الاهرام(١٠) ما رمى له في مقاله السابق بأن تواطؤ الجمعيتين (أي الصهيونية والاتحادية) على أمور معلومة تتعلق في بقعة من البقاع العربية ، لم ترق لكثيرين من اخوانه السوريين والعرب وان ما قاله انما لاجل وضع قواعد اساسية يبنى عليها اتفاق بين الصهيونيين وجيرانهم العرب على تعمير سوريا وفلسطين . واما عن تساؤلات الصهيوني فيؤكد له انه لم يدع الى الاتفاق عن عبث بل بعد بحث وترو وتمحيص ولو ان الصهيوني « رأى شذوذا من بعض مـن لا أخلاق لهم واعتراضـا وانتقادا ، فليضرب به عرض الحائط » . والاتفاق الذي يدعو اليه (ع. ج) هو بين الزعماء « ... ومتى اتفق زعماء الفريقين ، فان العرب والصهيونيين يتفقون بالحال ، لان كل فريق يتبع زعماءه » . وهكذا يذلل العرب والصهيونيون بسهولة « كل العقبات التي تقف أمامهم وأمام رقيهم وتقدمهم المادي والادبي .. » .

كان أول الكتاب العرب الذين خاضوا هذا الموضوع هو حقي العظم فكتب في الاهرام عن « الهجرة واسباب مقاومتها » موضحا مقاصد الفلسطينيين والسوريين بالنسبة لاستيطان اليهود « النازحين من الظلم في أراضي فلسطين ... » . اذ تعود اسباب مقاومتهم الى بقاء المهاجرين على تابعيتهم الاجنبية وميلهـم الى الاتحاديين ، وايثـار الاخيرين للاسرائيليين على العرب في المناصب ، ورغبتهم اعطـاء أملاك عبد الحميد السابقة الى شركات صهيونية أجنبية . اما مـا عدا ذلك « ... فالعرب ـ وخاصة

السوريين والفلسطينيين ــ لا يبغضون الاسرائيليين وهم على استعداد للتفاهم ... » وشروط ذلك « ... أخذ الرعوية المحلية ليتم التساوي امام القانون .. ان تبقى بلادنا وجنسيتنا ولغتنا العربية بمعزل عن كل مساس سياسي كان او اداري ... » ويحذر الصهيونيين كي يحسبوا حساب الشعب العربي « ... الذي دبت فيه روح الانتباه للمحافظة على حياته السياسية والاجتماعية ... وقد يلجأ الى الزئير غداً اذا دام تسرب الشكوك والريب ... » .

الموضوع بحد ذاته لم يثر أي تعليق في الصحف العربية الاخرى في سوريا وفلسطين بل انها تجاهلته كلية . ولا يعرف سبب هذا التجاهل ، هل هو ترقب ، أم عدم تقدير لاهمية ، أم لان المشتركين فيه كانوا من الفئة التي تتزعم حركة المطالبة بحقوق العرب القومية في ظل الدولة العثمانية .

ولكن العرض كان مفاجأة للمنظمة الصهيونية ، وبعد أن كان اتجاه العمل الصهيوني يتركز على الحكومة العثمانية ، بدأ يشد أنظاره الآن الى الحركة العربية الجديدة ، ومال الرأي الرسمي الصهيوني الى الاستجابة لعرض التفاهم لكسب هذه الحركة بدلا من معاداتها . وعبر عن هذا الاتجاه اوسشكين (عضو اللجنة التنفيذية) امام اللجنة التي عقدت جلسة فوق العادة في برلين(١١) . ويرى أن الواجب على الصهيونيين السعي لتنوير الرأي العام العربي ، وخاصة الزعماء ، عن مقاصدهم ليتبين أن مصالح اليهود والعرب متفقة لان مهمتهم ، كما يقول ، النهوض بالبلاد والتوفيق بين مدنية الشرق والغرب .

وتسكت الصحف العربية بعد ذلك عن الاشارة الى فكرة التفاهم ، بينما كانت تدور أمور في الخفاء مصادرها الرئيسية صهيونية ، وان كانت هناك اشارات متفرقة لها في بعض المراسلات العربية الشخصية .

وربما لدفع فكرة التفاهم الى الامام ولترصد الحركة العربية عن قرب أصبح نسيم ملول من العاملين النشيطين في حزب اللامركزية . ولا تكشف مراسلات ملول الشخصية مع قيادات اللامركزية(١٢) الطريقة التي تقرب بها من الحزب ، وكل ما يظهر منها أنه أصبح موضع ثقة ، وانه عمل على نشر فكرة الحزب في فلسطين . كما ابدى استعداده بأن تتولى جريدة (هاحيروت) العبرانية في القدس نشر كل ما يتعلق بالحزب . ونسيم ملول هو يهودي من اصل تونسي عاش في مصر ، وأول ما برز في المقطم بصفته رئيس جمعية النهضة الاسرائيلية ثم انتقل في أوائل ١٩١٢ الى يافا كمراسل للمقطم ، ولكن أوكلت له مهمة سرية بالاشراف على المكتب الصحفي الذي يتبع مكتب فلسطين الصهيوني حيث يتولى متابعة الصحافة العربية وتهيئة الردود عليها . وظلت مهمته مجهولة عند الاوساط العربية(١٣) .

وجاءت بعد ذلك زيارة سامي هوخبرج Hochburg رئيس تحرير جريدة جون ترك في الآستانة (تصدر بالفرنسية وتمولها الصهيونية) الى القاهـــرة وبيروت . ومصدرها الوحيد هو التقرير الذي رفعه هوخبرج في ١٧ مايو ١٩١٣ بعد عودته الى جاكوبسون (ممثل المنظمة الصهيونية في الآستانة والذي كان يعمـــل ظاهريا كمدير لبنـــك انجلو ليفانتين)(١٤) . دافع الزيارة كما يقول التقرير هي رسالة بالفرنسية تلقاهـــا في أوائل ابريل ١٩١٣ من صديق له في القاهرة هو ابراهيم سليم نجار يعرض عليـــه ما يلي :
« ... أنت يا سيد هوخبرج صديق لنا ، وتتمتع بالذكاء ، ومصلحتك تحتم عليك أن تسير معنا يدا في يد في السياسة اللامركزية والا فانك ستؤلب المسيحيين والمسلمين في سوريا ضد اخوانك في الدين . اني أقول لك ذلك كصديق ، وصديق مخلص ايضا ، وكرر قول هذا للدكتور جاكوبسون ، أن فترة وجود الجمعية في السلطة قصيرة ، وستكون مضطرا في النهاية الى أن تعمل معنا . ألا يجب اذن أن نبدأ من الآن ... أدرس الموقف ، وحدد

الطريق الذي تسلكه ، فهذا وقت تلافي العواقب . اذا قررت مخلصا ان تتفق معنا ، فحدد لي هنا في القاهرة ممثل الصهيونيين المسؤول كي أتصل به . . . » .

الرسالة ـــ ان صح فحواها ـــ ليس بها جديد لما طرحته الاهرام سابقا ، ولكن الجديد فيها أنها رأت طرح الفكرة مباشرة على شخصيات صهيونية مسؤولة . ولكنها ليست بالتأكيد هي التي قادت هوخبرج الى مهمته ، بل هناك دوافع اعمق أشار لهـــا هوخبرج في تقريره « . . . ان الحـــركة العربية هي أكثر جديـــة مما يتخيلها المرء في الآستانة ، وستصبح بعد الانتهاء من تنظيمها قوة مدهشة ، بحيث لا نستطيع ، ولا يجب علينا أن نسقطها من حسابنا . وان هناك طريقة لايجاد مجال للاتفاق بين هذه الحركة وبين الصهيونية ، ويجب استمالتها لصالحنا منذ البداية ، كي لا نتيح الفرصة لاعدائنا لاستمالتها ضدنا . ولتحقيق هذا الغرض يجب أن نكون على اتصال مستمر مع قادة الحركة ، وان نتتبع الحركة عن قرب في جميع مراحل نموها ، وان نضع تحت تصرفها كل الصحف العربية الرئيسية في سوريا وفلسطين . . . » .

وقد تم اختيار هوخبرج بالذات لهذه المهمة : لانه ليس له مركز رسمي في الحركة الصهيونية ، فأي اتصالات يقوم بها لا يمكن أن تعتبر « رسمية » تماما ، ولكونه رئيس تحرير جريدة يومية هامة في الآستانة كان علـــى صلة حسنة بكثير مـــن السياسيين العثمانيين من جميع الآراء والاتجاهات ، وقد عاش في فلسطين لفترة من الزمن ويعرف العرب ولغتهم جيدا .

وصل هوخبرج الى القاهرة في نهاية ابريل ١٩١٣ وكانت الامور التي يرغب بمعرفتها في القاهرة أولا ثم بيروت (مركز الجمعية الاصلاحية) هي موقف الحركة العربية الناشئة من اليهود . ووجد ان من مبادىء الحركة أن كل الاقليـــات يجب ان تتمتع بكل حقوق الاغلبية طالما انها تشاركها بالواجبات وينطبق هذا الامر على اليهود الذين هم ساميون ويتكلمون العربية . المهم بنظره هو الموقف تجاه الاستيطان اليهودي والصهيونية التي هي روحه ، فوجد أن الجمعيات العربية ليس لديها حتى الآن الوقت كي تحدد موقفها ، ولكنه استطاع ـــ كما يقول ـــ ان يجمع عددا من الافكار العشوائية حول هذه المسألة « فالبعض يظهرون الحماس للاستيطان وللصهيونية ، والآخرون يبدون الموافقة بتحفظ ، ويعلن فريق آخر العداء . . . » ولكن ما فاجـــأه بشكل خاص « . . . ان المسيحيين السوريين هم الاكثر حماسا للصهيونيين ، على عكس الرأي الذي تقول به دوائرنا » . وحججهم هي : « ان اقامة حكم ذاتي يهودي في فلسطين مـــن شأنه ان يفرق الكتـــل الاسلامية التي تقطن الاقطار الشاسعة المتجاورة . ومن الوجهة الاقتصادية ، نظرا لان المسيحيين رجال أعمال قبل كل شيء ، يستفيدون مـــن المساعدة القيمة التي يقدمهـــا الاستيطان اليهودي لانهاض هذه الاقاليم » .

الاعضاء المسلمون لجمعيات القاهرة وبيروت ، كما يذكر هوخبرج ، لا يهتمون الا بالجانب الاقتصادي ، ووجد ان الاكثر تعليما وذكاء قـــد أيدوا الهجرة اليهودية الـــى فلسطين ، بعضهم دون تحفظات والآخرون لهم بعض التحفظات بتحديد عدد المهاجرين وتحديد مساحة الارض التي يمكن بيعها ، ووضع نظام للهجرة . وقد وجد هوخبرج انه بين العشرين شخصا(١٥) الذين قابلهم لم يكن هناك سوى اثنين يعاديـــان الحركة ، وحججهما المعروفة هي الهدف السري للصهيونيين وتجريد الفلاحين من أرضهم . . الخ. حجتهما الاقوى دخول عنصر جديد ووحدة قومية جديدة بين هذه الكتل العربية المتراصة التي تستمد قوتها جميعها من وحدة اللغة والعادات . ومع ذلك فقد كان هوخبرج متأكدا بأن أغلب أعضاء جمعيتي القاهرة وبيروت يريدون توقيع اتفاق مع الصهيونيين من أجل عمل مشترك . وجهة نظر هوخبرج « ان الصهيونيين لن يكونوا طرفا في اتفاق مماثل

قبل ان تتبنى الحركة العربية مطالبهم ... » . فالصهيونيون — على حد رأيه — لا يريدون أن يساهموا بانشاء قوة من المحتمل أن تتحول ضدهم في المستقبل . وكان هوخبرج يعرف ان جمعيتي القاهرة وبيروت لا تملكان صلاحية عمل ذلك وانه ، لا بد من عقد مؤتمر يحضره مندوبون عن جمعيات سوريا وفلسطين جميعها . ولا يمكن أن يتم ذلك الا بعد الانتهاء من تنظيم الحركة ، الذي سيتم عقب مؤتمر باريس .

بعد تبادل وجهات النظر مع جمعية القاهرة ، تم التوصل الى اتفاق شفهي « بأن تسعى الجمعية نظرا لتأييدها للاستيطان اليهودي في سوريا وفي فلسطين ، ولتأييدها الاتفاق مع الصهيونيين ، الى خلق تقارب بين العالم العربي والاسرائيلي ، وان تبدد عن طريق الدعاية الخطابية والصحافة العربية كل المزاعم التـي تنتشر الآن داخل العالم العربي حول الاستيطان اليهودي ، والتي تمنع التقارب العربي الاسرائيلي . ومقابل ذلك تتولى (جون ترك) مهمة تأييد قضية الحركة العربية طالما انها تتفق مع وحدة وسلامة أراضي الامبراطورية » . هذه الاتفاقية الشفهية من وجهة نظر الطرفين ، كما يقول ، « ليست سوى تبادل منفعة يقصد منها تهيئة الجو ، وذلك لحين توقيع اتفاقية كاملة في المستقبل ... ».

ويضيف التقرير ان اتصالات أخرى قد تمت مع جمعية بيروت الاصلاحية . وكان أحد أعضائها — أحمد مختار بيهم — قد اشترك في محادثات القاهرة . وقدم هوخبرج الى أعضاء الجمعية في بيروت كما نقل لهم اتفاق القاهرة الشفهي . وتبع ذلك تصريحات (رزق‌الله أرقش) أحد أعضاء الجمعية البارزين بالموافقة على الهجرة اليهودية لانها « ... تعتبر عاملا من أقوى العوامل التي تساعد على رقي هذه المناطق ... » . ويضيف أرقش « ... ان هؤلاء الذين يعترضون على هذه الهجرة عندنا ليسوا سوى أناس من ذوي المصالح يعتقدون ان باستطاعتهم ابتزاز أموال الجمعيات اليهودية... ».

لخص هوخبرج النتائج العملية لمهمته في خمس نقاط : دراسة وافية لخصائص وحالة الحركة العربية وموقفها تجاه الصهيونية . أول اتصال يجري مع أعضاء الحركة بغية الوصول الى اتفاق . توضيح نقاط معينة تسهل الاتفاق . اول اتفاق يهدف الى تنوير الرأي العام . تصريحات بعض الزعماء المؤيدة للصهيونية . أهم النتائج بنظر هوخبرج هو أن الغاء الحكومة للقيود المفروضة على الهجرة اليهودية لن يثير في الوقت الحاضر أي احتجاج من جانب الدوائر العربية . وبناء على هذه المحادثات ، قام هوخبرج بنشر ثلاث مقالات في (جون ترك) حول الحركة العربية قامت بترجمتها جريدة الاصلاح البيروتية(١٦) . وقدم الشيخ أحمد حسن طباره (صاحب الاصلاح) لهذه المقالات بقوله « ... نحن يسرنا أن تكون الجون ترك أسبق جرائد الآستانة الى الوقوف على الحركة الاصلاحية من منبعها لتعلم علم اليقين اخلاص القائمين بها وشدة غيرتهم على دولتهم ووطنهم ... » . ولم يكن في المقالات الثلاث اي اشارة عـن المباحثات الخفية حول موضوع الصهيونية التي رفعها هوخبرج في تقريره السري !

ويبدو ان نسيم ملول — الذي حضر جانبا من المحادثات — قد كلف بعمل مشابه في الصحافة العبرية لترجمة كل ما يرده من أخبار عن الحركة العربية ، كما حرص على نقل كل ما تقوله الصحافة العبرية عن هذه الحركة الى أقطاب حزب اللامركزية . فقد كشفت رسالة شخصية بعثها الى حقي العظم في ١٨ مايو ١٩١٣(١٧) الى أنه قد كتب باللغة العبرانية عن الحزب وأفكاره كما كتب مقالا معربا عن مقالة (الحركة السورية وأسبابها) بقلم « سعادة الرئيس » في المقطم كي ينشر في جريدة (هاحيروت) العبرانية . ويضيف ملول « ... ان هذا قد أحدث وقعا حسنا جدا في نفوس الاسرائيليين وأصبح فريق منهم يفتخر بمبادىء الحزب ويتمنى له النجاح » . ولكن يظهر ان الجانب الثاني من الاتفاق

ــ وهو كتابة المقالات في الصحف العربية الداعية الى تهيئة الاذهان لمسألة الاتفاق ــ لم تنفذ ، بل ان الاشارة الى الاستيطان اليهودي في فلسطين وفوائده التي كانت ترددها صحف القاهرة (المقطم والاهرام) قد توقفت تقريبا .

واحتجبت المسألة الصهيونية في الصحف العربية، خارج فلسطين، وراء الاستعدادات التي تجري لعقد المؤتمر العربي الاول في باريس الذي كانت تعد له لجنة تحضيرية في باريس ينتمي بعض أعضائها الى جمعية العربية الفتاة وهي على اتصال بجمعيتي بيروت والقاهرة . وقد اقترحت المواضيع التالية على المؤتمر : « تمسك السوريين بحياتهم السياسية ، واجماعهم على دفع احتلال اية دولة ، حقوق العرب في الدولة العثمانية ، المهاجرة من سوريا والى سوريا ، ضرورة الاصلاحات في البلاد العربية ومنحها نظاما يلتئم مع مصالح العرب ... »(١٨). ومع انه لم يكن هناك بند خاص بين هذه المواضيع مخصص للمسألة الصهيونية ، الا انه كان يفهم ضمنا ان أمرها سيبحث ضمن المواضيع المطروحة ، اذ أن ما يهدد الاجزاء العربية من المطامع الاجنبية نظرا لسوء الادارة وعدم الاصلاح ، وهو الدافع الرئيسي لعقد المؤتمر ، كان يبدو في فلسطين أكثر وضوحا .

وتحسبا لاي طارىء يكون في غير صالح الصهيونية ، أشار هوخبرج في تقريره الى ضرورة تتبع عمل المؤتمر عن قرب ، وخاصة أن مسألة الهجرة من والى سوريا « ... تهمنا من نواحي متعددة ، ونستطيع أيضا اذا وجدنا الفرصة مؤاتية ، أن نجعل المؤتمر يتخذ قرارا في صالح الاستيطان اليهودي » . فالاشخاص الذين عقد معهم أواصر الصداقة ــ كما يقول ــ سيشتركون في المؤتمر ، وسيكون من اليسير معرفة جميع قراراته حتى ولو كانت سرية !

وربما من أجل هذا الغرض نفسه كان نسيم ملول يرغب في الذهاب الى المؤتمر ، فكتب من يافا الى حقي العظم(١٩) ١٨ مايو مستفسرا عن موعد انعقاده « ... ما دام الفلسطينيون نائمين لاهين عن كل ما من شأنه تقدم الوطن وخيرهم . ولقد أردت أن أكون واحدا من الفلسطينيين في المؤتمر ليزداد المؤتمر اعتبارا في أعين العالم العربي وحكومة الآستانة على الخصوص ، وفي نظر الغرب الاوروبي عموما . وليعلموا انه لم يكن أهل سوريا وحدها هم الناهضون لطلب الاصلاح » .

ولكن مهمة متابعة المؤتمر قد عهدت الى هوخبرج تكملة لمهمته في القاهرة وبيروت . والمصدر الوحيد لما قام به هوخبرج وراء كواليس المؤتمر هي الرسائل التي كان يبعثها الى جاكوبسون(٢٠). أشار في رسالته الاولى (١٠ يونيو ١٩١٣) الى مسألة الهجرة والاستيطان وبينما يقف الجميع تقريبا ضد هجرة الاتراك واستيطانهم أجزاء معينة من سوريا ، تختلف الآراء فيما يتعلق بالاستيطان اليهودي . وشرح هوخبرج ما يبذله من جهد مع الوفود السورية حول هذا الموضوع . وكانت وسيلة الضغط التي اتخذها في هذه المحادثات الاولية هي أن قرار المؤتمر لو كان في غير صالح الاستيطان اليهودي فانهم سيحرمون بذلك من كل مساعدات العالم اليهودي وستتحول القوة التي يمثلها هذا العالم ضدهم بدلا من ان تكون معهم ! وكانت الامور تسير بنظره سيرا حسنا اذ أن الشيخ أحمد حسن طباره ، المكلف بالقاء الخطاب عن الهجرة ، والذي كان يبدو غير مؤيد تماما « قد غير موقفه الآن » .

أرجع هوخبرج أسباب ثقة الاعضاء به الى أن بامكانه ان يقوم بدور الوسيط بين العرب والحكومة ، وخطته أن يدخل الزهراوي ورفيق العظم في الوزارة ، ولو نجح في هذا « فالقضية الصهيونية ستكسب كثيرا .. اذ حتى الآن ، رغم التحول الذي حدث في الآستانة لصالح الصهيونية فان الحكومة مترددة عن احداث شيء خوفا من استياء

العرب وكذلك اصدقاؤنا العرب يحجمون أيضا عن ان يمدوا لنا يد المساعدة تخوفا من ان يتخذ ذلك حجة ضدهم في الآستانة ويصبحوا غير اهل للثقة في نظر العرب » . فلو اتفق العرب والاتراك مرة واحدة — كما يقول هوخبرج ، « فانهم يستطيعون مناقشة هذه المسألة بصراحة تامة وان ينالوا رضانا اكثر مما لو بحثت المسألة مبدئيا واتخذ فيها قرار لصالحنا من هؤلاء مرة ومن اولئك مرة اخرى(٢١).

مدى تأثير هوخبرج على اعضاء مؤتمر باريس امر لا يمكن تحديده مطلقا من وقائع المؤتمر نفسه(٢٢). ولكن ما هو معروف ان الخطباء في المؤتمر تجاهلوا تماما المسألة الصهيونية ، مع ان عدد الموقعين على برقيات التأييد التي وصلت للمؤتمر بلغ ١٣٩ فلسطينيا من اصل ٣٨٧ . ولم يكن لهذا النداء الذي بعث به الى المؤتمر مشايخ بيسان بالاحتجاج على بيع الاراضي الاميرية اي تأثير(٢٣) في وقت كانت هذه المسألة شاغل الصحافة في فلسطين ، وتصدرت جريدة الكرمل حملة كبيرة على هذا المشروع واسهبت في شرح اخطاره . وكانت حملتها جانب فقط من دعوة عامة لمواجهة الخطر الصهيوني بكل الوسائل التي تحتاج تعاون الحكومة والحركة العربية معا .

ما يلفت النظر ان الشيخ احمد حسن طبارة قد اسهب في خطابه عن مسألة هجرة السوريين من البلاد ثم تعرض بايجاز الى مسألة الهجرة الى سوريا « .. فان الناس فيها فريقان : فريق يستنكر مهاجرة غير العرب اليها ويوجس خيفة من امتزاج المقيم بالوافد .. وربما اعتقد ان هناك محظورات سياسية ايضا جديرة بالتدبر .. وفريق لا يرى من المهاجرة اليها مانعا او محظورا .. بل يرى العكس ان المهاجرة اليها ربح لاعتقاده ان العرب يدمجون ولا يندمجون ... ، على اني وان كنت اريد ان تكون البلاد ذات صدر رحب .. وحب للقريب والبعيد ، فاني لا ارى بأسا من المهاجرة اذا كان لها نظام خاص » . هذا ما دفع هوخبرج الى الابراق الى جاكوبسون فور انتهاء الخطاب « ...نتائج طيبة . الخطاب في الطريق» .. واتبع ذلك برسالة موجزة اشار فيها الى انه كان لا بد ان يتبع خطاب طبارة قرار من المؤتمر لصالح هجرة قادرة على رفع شأن البلاد اقتصاديا . ولكن لسوء الحظ — كما يقول — فان الخطباء الذين ايدوا مثل هذه الهجرة عبروا صراحة عن رفضهم لهجرة الاتراك وطالبوا ان ينص القرار على ذلك بوضوح ، وهذا ما كانت تحاول رئاسة المؤتمر تلافيه ، ومن ثم فضل « اصدقاؤنا » ، الا يتخذوا أي قرار في هذا الموضوع(٢٤). وكان تفاؤل هوخبرج مضاعفا فمن جهة « الاشخاص الاكثر نفوذا في الحركة يؤيدون الاستيطان اليهودي . ومن جهة اخرى لم يتخذ اي قرار من جانب المؤتمر في غير صالح هذا الاستيطان » . ولكن هوخبرج كان يدرك ان هذه النتيجة قد احرجت العرب ، ولذا يتحتم على الصهيونيين ان ينشطوا اكثر في الاوساط العربية وخطته في ذلك « ... ان نكون على اتصال دائم بهم ، ان نجعل الصحافة العربية تحت تصرفنا ، ان نجعل كثيرا من اليهود يشتركون في الجمعيات السورية » .

وفي رسالة تالية شرح هوخبرج تفاصيل حديث سري جرى مع عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر الذي بين ان الجميع مقتنع بان الاستيطان اليهودي ضروري لرقي هذه الاقاليم ، ولكن بشرطين : ان يتجنس المستوطنون اليهود بالجنسية العثمانية وان لا يطرد الفلاحون من الارض التي يشتريها الاسرائيليون . واشار الزهراوي الى وجود اعداء خاضوا حملة ضد الصهيونية ولا بد من كسب هؤلاء ، ولا يمكن لهم (اي الزهراوي ومن حوله) ان يفرضوا رأيهم الا في اللحظة التي يملكون فيها السلطة الحقيقية . لذلك فان حضور الزعماء الصهيونيين من برلين للمناقشة معهم حول موضوع الاتفاق سيكون امرا سابقا لاوانه . وهم يفضلون في الوقت الحاضر ان

يعقدوا مع هوخبرج اتفاقا سريا يكون اساسا للاتفاق النهائي مع زعماء الصهيونية في الاستانة ولكن نظرا لان هوخبرج لم يكن يعلم بعد بنوايا المنظمة الصهيونية لم يعد بشيء .

في مقابلة صحفية علنية مع عبد الحميد الزهراوي حصل هوخبرج على تصريحات هامة الى جريدة جون ترك والى بعض الصحف العربية(٢٥). وقد اجاب الزهراوي عن استفسار هوخبرج لعدم تعرض قرارات المؤتمر الى المصالح الاسرائيلية بقوله « نحن جميعا مسلمون ومسيحيون مفعمون بالعواطف الطيبة تجاه الاسرائيليين ... نعتبرهم جميعا سوريين اضطروا في سابق العصر الى مغادرة بلادهم ، ولكن قلبهم يدق في ايقاع واحد مع قلبنا ، ونحن على ثقة ايضا من ان اخوتنا الاسرائيليين في العالم اجمع سوف يمدون لنا يد المساعدة لنصرة قضيتنا بنفس القدر الذي يساعدوننا به لرقي بلدنا المشترك ماديا ومعنويا » . ويرجع هوخبرج الى نفسه فضل هذه الفكرة الجديدة التي طرحها في المؤتمر وهي ان يهود العالم اجمع ليسوا سوى مهاجرين سوريين على غرار المهاجرين السوريين المسيحيين ، وكما ان هؤلاء يشعرون بالحنين الى مسقط رأسهم ، فان اولئك يتملكهم نفس الحنين .

ويبدو ان جاكوبسون ، قد خشي ان تحل المشكلة العربية التركية على حساب الصهيونية(٢٩). فسارع الى باريس بنفسه لاتمام المفاوضات مع العرب . ومع انه لم يكن لديه نية عقد اتفاق رسمي ، الا انه امل في الحصول على تصريحات من الزعماء العرب يمكن ان يستخدمها المكتب الصهيوني في الاستانة للتأثير على الحكومة العثمانية من اجل ازالة القيود المفروضة على الاستيطان اليهودي وشراء الاراضي في فلسطين . ولا يبدو واضحا ان جاكوبسون قد نجح في ذلك وخاصة بعد ان قبلت مسودة الاتفاق بين الحكومة والعرب مبدئيا . وكذلك لم يكن لدى اللجنة التنفيذية الصهيونية اي اقتراحات معينة لتقديمها ، الا انها لم تكن لتوافق على اي تنازلات عن اهداف الصهيونية . المكسب الوحيد هو غياب اي لهجة مضادة للصهيونية في مناقشات المؤتمر مما مهد الطريق للمحادثات التي استؤنفت بعد أشهر حين فشل الاتفاق العربي التركي.

لو صحت كل اخبار المفاوضات التي كانت تجري في الخفاء فانها لم تستطع ان تخفف نشاط المعارضة في فلسطين ، فقد اتخذ الرأي العام داخل فلسطين حيال المسألة الصهيونية اتجاها يخالف ذلك الذي في خارج فلسطين . وظلت النشاطات الصهيونية هي الشاغل الاساسي قبل اية مسألة اخرى ، وهي امور كان يلمسها سكان البلد وكانوا أقدر على التحسس لها من الذين فتحوا الحوار السياسي مع الصهيونية من اجل التفاهم . واصيب الرأي العام بخيبة أمل وهو يرى السكوت المطبق عن مسألة فلسطين والصهيونية ، عبر عن خيبة الامل هذه نجيب نصار في سلسلة مقالات في الكرمل كان يواصل فيها حملته على مشروع استثمار الاراضي الاميرية . وتعرض بالنقد واللوم طلاب الاصلاح من اعضاء مؤتمر باريس « ... تطلبون الاصلاح لبلاد يسعى بتملكها الصهيونيون ويتغلغلون فيها ويقضون على بقاء اخوانكم في العربية والعثمانية والوطنية في فلسطين ... او كأنكم لا تعلمون ان ضياع فلسطين يقضي على آمالكم وحياتكم الاقتصادية(٢٧) ». ومع استمرار التغاضي عن المسألة الصهيونية لدى الاوساط ذات الاهتمام بالحركة العربية وجه نصار دعوة اخرى(٢٨) الى الفلسطينيين حتى يثبتوا عن اهليتهم لعناية واهتمام الغير وذلك بان يعقدوا مؤتمرا في نابلس يبحث في امر تشكيل (جمعية وطنية صهيونية) تعمل على ترقية احوال البلاد وحفظها لاهلها ، دون ان تكون عالة على غيرها ، بل تسعى ان تكون قوة محترمة بذاتها . « فقوتها درع لها وحض لحضارتها وحكومتها » . وكان الحاج نصار على الدعوة لعقد مؤتمر

نابلس يزداد مع ابتعاد الاصلاحيين عن الاهتمام بفلسطين ومع تهادن اعيان وزعماء فلسطين انفسهم حيث لم يجد منهم الا « اصداء قولية ضعيفة » .

ومع ان (روبن) مدير مكتب فلسطين الصهيوني في يافا اكد في تقريره امام المؤتمر الصهيوني الحادي عشر في فينا (سبتمبر ١٩١٣(٢٩)) الى ضرورة خلق صلات سلمية ودية بين اليهود والعرب . لم يكن في جو العلاقات العربية الصهيونية في الفترة التي سبقت واعقبت عقد المؤتمر الصهيوني اي دليل على توقعات روبن المتفائلة . وتكررت حوادث الاشتباكات وكانت اعترافا بان حياة المستوطنات لم تكن آمنة ، وعمد الصهيونيون الى اسكات الصحافة المناوئة للصهيونية . فوجهت في ديسمبر ١٩١٣ الى صاحب الكرمل تهمة ملفقة ولم يتم الافراج عنه الا بعد هياج الاهالي ومطالبتهم بالافراج عنه(٣٠). وفي ابريل ١٩١٤ اغلقت جريدة فلسطين بحجة انها تفرق بين العناصر بعد نشر صاحبها فقرة صغيرة يعد فيها قراءه بانه سيستمر في الوقوف بازاء الصهيونيين « الى يوم ترتجف فيه اعصاب الامة . . . فتدوي دوي السيل الجاري . . . وويل لظلمة الشعب من ذلك اليوم(٣١) » . وكانت الكلمات تعكس بصدق الاستياء المتزايد بين العرب ضد الغزو اليهودي ، حسب تعبير القنصل البريطاني في القدس(٣٢). وكان لحادث تعطيل الجريدة صدى عميق على الرأي العربي في فلسطين وغصت قاعة المحكمة في يافا بالمئات اخذت تتابع باهتمام وقائع المحاكمة التي اتخذت شكل مقاضاة بين الصهيونية وخصومها وشهدت القاعة تظاهرة ضخمة حين اصدرت هيئة المحكمة حكمها ببراءة صاحب جريدة فلسطين(٣٣).

وسط هذا الرفض المطلق للصهيونية في فلسطين ، تجدد العرض من اجل تقارب عربي صهيوني . ويبدو ان اللقاءات التي تمت بين الصهيونيين وبعض الزعماء العرب قد انتقلت الى الاستانة(٣٤). وقد بلغ مسامع الكرمل منذ ١٠ اكتوبر ١٩١٣ ، نقلا عن مراسل (البرق) في الاستانة ان احد الزعماء العرب يسعى لبناء اساس الاتفاق بين العرب والصهيونيين وتساءلت عن ماهية هذا الاتفاق . والصهيونيون يريدون ملكا في فلسطين العربية ، وحذرت عبد الكريم خليل رئيس المنتدى الادبي في الاستانة من ان يعرض مركز الشبيبة الى الظنون « . . . اننا نعتقد بانه لا يوجد ولا يهوذا (اسخريوطي) واحد بينكم يبيع سيده وبلاده . . » . ونفى احد اعمدة الشبيبة في الاستانة بشدة هذه الشائعة مؤكدا ان « . . كل الشبيبة هم اشياع صاحب الكرمل . . وان كان من الممكن اقناع نجيب نصار بالاتفاق مع الصهيونيين ، فمن المحال تغرير ابناء اليوم ورجال المستقبل . . ان يأتوا بمثل هذه الخيانة العظيمة . . »(٣٥).

مع ذلك فان المفاوضات كانت جارية ، ولم يمض على تساؤل الكرمل ايام حتى نشرت المقطم من مراسلها في الاستانة مقابلة مع زعيم صهيوني فيها ينقل تصريحات رسمية للجمعية الصهيونية(٣٦). بعد ان قرر الصهيونيون في مؤتمرهم في فينا الاتفاق مع المطالبين بالاصلاح . « على اساس يكفل للامتين حقوقهما ويوثق بينهما عرى الاتفاق على ما فيه مصلحتهما . . » وكانت ردود الصهيوني على الاسئلة التي طرحها مراسل المقطم تكرارا لما سبق وصرح به الصهيونيون : الهجرة تقتصر على الفقراء المضطهدين، وهي لم تضر بالوطنيين بل كفيلة بترقيتهم وتنمية ثروتهم . وان البلاد لو حسنت زراعتها تستوعب خمسة ملايين ، وان الصهيونيين حريصون على عدم الحاق الضرر بالفلاح وما يسعون اليه هو شراء الاراضي البائرة ، كل هم الصهيونيين « ان نكون نحن والعرب على اتفاق ، فنشد ازرهم ونعاونهم على ما ينهض بهم في مراقي الحضارة والعمران ، ونزيل كل سوء تفاهم بيننا وبينهم » .

جاء الرد اولا من جماعة الاصلاحيين في بيروت ، وتمسك الشيخ احمد حسن طباره

صاحب جريدة الاصلاح بفكرة « ... ان المهاجرة من اسباب عمران بلاد نسعى الى تعميرها بكل قوانا .. » ، ولكنها اخذت تهدد البلاد بخطرين سياسي واقتصادي . الخطر الاول أساسه امور ثلاثة : احتفاظ اليهود بتقاليدهم الخاصة ، ترديدهم ذكرى ماضيهم وطموحهم الى تجديده ، تجنس السواد الاعظم منهم بالجنسية الاجنبية . مصدر الخطر الاقتصادي برأيه ليس عدد الصهيونيين في بلاد عنصرها العربي يربو اضعافا على عددهم ، بل هو ضعف الفلاح ازاء الصهيونيين عن مزاحمتهم ماديا وفنيا . ولا يزال هذا الحاجز الا بازالة الخطر السياسي على الوحدة العثمانية والخطرالاقتصادي على الفلاح « .. فمتى تلوفي هذان المحذوران زال سوء التفاهم » .

ومن جماعة اللامركزية في القاهرة ، الذين خرجت من اوساطهم بذور فكرة التقارب لم يأت رد صريح ، انما جاء تلميحا في المنار(٣٧) « ... ان اليهود يريدون ان يعيدوا ملكهم لهذه البلاد ... ولكن دون ذلك اهوال ... ولا تغني عنهم الوسائل الرسمية والمكايدة ، وانما الذي يغني هو الاتفاق مع العرب على العمران .. » . وعاد رشيد رضا بعد أشهر ليفصل هذا الرأي(٣٨)، ويتوجه الى الذين اثروا القول في المسألة الصهيونية من كتاب العرب « بأنهم ما فتئوا يدورون حولها ولما يدخلوا فيها ... » . ولذلك على زعماء العرب اهل البلاد احد امرين : « اما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ، ان امكن ، وهو ممكن قريب اذا دخلوا عليه من بابه وطلبوه باسبابه . واما جمع قواهم كلها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة ، واولها تأليف الجمعيات والشركات ، واخرها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم بالقوة ، وهو ما تحدث به بعضهم على ان يكون اول ما يعمل ، وانما هو الكلي — والكلي اخر العلاج كما يقال ... » . يبدو ان جماعة اللامركزية قد بدأت تفقد ثقتها بوعود الاتراك في الاصلاح ، بل بدأت تتوقع صراعا وشيكا بين الترك والعرب . وربما سعي هذه الجماعة للتغلب على عقبة قد تقف في صراعها المقبل مع الترك هو الذي حملها على التمسك بفكرتها الاولى حول امكانية التقارب .

وكي يدفع الصهيونيون فكرة التقارب الى الامام ، قام ناحوم سوكولوف عضو اللجنة التنفيذية العليا الصهيونية في برلين في ابريل ١٩١٤ بزيارة الى فلسطين وسوريا استغرقت ثلاثة أشهر وقام مراسل المقطم في يافا (نسيم ملول) باجراء مقابلة صحفية معه كانت غايتها ان يجدد الزعيم الصهيوني العرض السابق حول فكرة التفاهم مع كل ما يغلفها من مغريات . خلاصة المقابلة : الاسرائيليون النازحون الى فلسطين انما هم يعودون بعد طول اغتراب الى وطنهم القديم ، حاملين كثيرا من وسائل التمدن والعمران كي يعيدوا له مجده الماضي . وخاصة ان العرب واليهود شعبان شقيقان متفقان منذ فجر التاريخ . اما الطرق التي يرغب الصهيونيون استعمالها للتفاهم فيحددها في الامور التالية : « تعلم اللغة العربية في المدارس الاسرائيلية والعناية بالاداب العربية والتمدن العربي ، تعيين اطباء يجولون لمداواة العيون المصابة بمرض التراخوما ، فتح تكايا وملاجيء عمومية للفقراء والغرباء على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم ، وانشاء فروع لبنك انجلو فلسطين لتسليف النقود للاهلين الى آجال طويلة بفوائد زهيدة » .

الرد على هذا العرض الجديد جاء بعد ايام في المقطم(٣٩)، ويتفق صاحب الرد ، رفيق العظم رئيس اللامركزية ، مع سوكولوف على المقدمات التي ذكرها . ولكن اليهود النازحين لا يقدمون دليلا على سعيهم الى الاتحاد مع اخوانهم العرب ، بل انهم في عزلة تامة . والوطنيون شعب حديث عهد بالنهضة الجديدة واليهود المهاجرون شعب نشأ في بلاد المدنية الحديثة فلا تيسر للوطنيين ان يباروا المزاحم الجديدة . ومع ان رفيق العظم

كان من المتمسكين بفكرة عدم احتمال الخطر على الحياة السياسية ، الا انه نقل مشاعر التخوف لدى فريق من « غلاة التشاؤم » كما يسميهم . اصلاح الامور بنظره ، لن يكون بانشاء مستشفيات لمداواة العيون ، فهي « لا تغني عن مداواة القلـــوب » أو انشاء التكايا والملاجىء . ولا بد للصهيونيين من ان يعزموا عزمـــا اكيـــدا على ترقية الوطن السوري بالتعاون مع اخوانهم العرب « ... وعندها يبلغ الصهيونيون ما يتمنون مـــن تجديد مجد المدنية السامية » ويشير العظم ان لهذا السبب كانت النصيحة التي تقـــدم بها (اللامركزيون) لزعماء الصهيونيين بوجوب المبادرة الى التعاون مع العرب ، وذلك عن طريق تدريس اللغة العربية ، وفتح المدارس اليهوديـــة لابناء العرب لتوجـــد بين الفريقين روح الالفة والتفاهم ، والتجنس بالجنسية الوطنيـــة العثمانية كي لا ينظـــر العرب اليهم نظرتهم الى عنصر اجنبي ، ومعاشرة اهل البلاد ومراعاة حالتهم الاقتصادية فيكونوا عونا لهم . ويحث العظم من جديد الصهيونيين « .. ان لا يعولوا في ضمـــان مستقبلهم في البلاد على غير اهلها ، الذين يريدون مشاركتهم في وطنهم » ولا ينس ان يذكرهم انه قد دبت في الشبيبة العربية في فلسطين روح جديدة لجمع شمل المتنورين من الشعب لمقاومة الحركة الصهيونية ، ولا يجب الاستهانة فيها .

وتولى نسيم ملول ترجمة كلمة (رفيق العظم) الى العبرانية ، كمـــا اسر بذلك في رسالة شخصية الى حقي العظم (٢٠ ابريل ١٩١٤)(٤٠)، وكان ينتظر عودة سوكولوف من القدس الى يافا حتى يطلعه عليها ويطلب منـــه ردا لنشره في المقطم ، لانه — اي ملول — كما يصف نفسه « .. من الذين يرغبون في تقريب الشعبين الشقيقين ، العربي والاسرائيلي ، وتفاهمهما ، لانه بهذا التفاهم خير البلاد وسعادتهما معا ما دام احدهما نصف الاخر » .

لم تعلق الصحافة في فلسطين على مقال (العظم) الا بذلـــك السؤال الذي وجهـــه صاحب الكرمل(٤١) الى « كتبة الصهيونيين المتموهين الذين يكذبون على الحقيقة وعلى انفسهم ، ويقولون ان الصهيونيين قرروا ان يتفقوا مع العرب .. » كيف يوفقون بـــين هذه الاقوال واقوال كتبتهم واعمالهم في فلسطين ؟ وكان اتجاه الرأي العام في فلسطين يعبر وان لم يكن بصورة مباشرة عن رفض مطلق لدعوى التقارب . واغلاق جريـــدة فلسطين لم يقض على مشاعر التخوف الذي كان يلمس على جميع المستويات . اوضحت ذلك سلسلة المقابلات التي قام بها محمد الشنطي صاحب جريدة الاقدام (القاهـــرة) مع عدد من اعيان فلسطين حول رأيهـــم بالمسألة الصهيونية مـــع قرب الانتخابـــات للمبعوثان(٤٢) .

ونقلت الصحف العربية الاخرى شعور التخوف الـــذي يبديه الفلسطينيون فصورت (فتى العرب)(٤٣) ان سكان فلسطين يتخوفون « ان يصبحوا غدا مماليك لا مالكين .. » ورأت (المؤيد)(٤٤) في الصهيونيين انهم « اناس يحاولون ان يجعلوا اصحاب تلك البلاد اجراء وهم اصحاب السيادة ، او انهم يطردونهم الى الصحراء لينتفع عمـــال اليهود وفقرائهم حتى بمهنة الخدمة .. » ، واشارت (الاقدام)(٤٥) الى ان غاية الصهيونيين من استفحال امرهم في فلسطين والضغط على معنويات اهلها هو « اماتة عاطفتهـــم العربية بالوقوف سدا حائلا بين سوريا ومصر عاصمتي البلاد العربية .. » وتوجـــه اهل فلسطين بنداءات متكررة الى المراجع المسؤولـــة والنواب والزعماء العـــرب في الاستانة لوضع حد للمطامع الصهيونية « ... نحن اخوانكم الفلسطينيون ، شاطرناكم في كل مواقفكم انواع المحن ، فلماذا لا تشاطروننـــا على الاقـــل بشيء من الشعـــور بالمصائب التي تنصب على رؤوسنا ... نحن في وسط نكاد نفنى فيه ونجلى عن بلادنا ... ويحق علينا ما حق على هنود امريكا ازاء المهاجـــرة الاجنبية ... حاجتنـــا الى

الاصلاح شديدة، ولكن حاجتنا الى الحياة قبل ذلك ودفع الخطر الصهيوني أشد »(٦٤). واهابت (فتى العرب)(٤٧) بالنواب الى ضرورة الانتباه للخطر الصهيوني « .. قبل ان يأتي يوم تكون فيه بلادنا اكلة الاكل ، ننظر اليها نظر اخر امير من امراء الاندلس .. ».

وبدأ الوعي لصد الخطر الصهيوني يتبلور شيئا فشيئا في خط عربي واضح ، اساسه الفكرة القومية الناشئة ويبتعد عن خط الفكرة العثمانية . توضح هذا الاتجاه في مقالات محمد المحمصاني حول المسألة الصهيونية على صفحات فتى العرب(٤٨). ويعتبر المحمصاني ان هذه المسألة رغم ان بها حياة شعب وهلاك اخر لا تزال مجهولة. طائفة من الناس فقط تشعر بتيار الحركة وتلمسها بايديها لقربها من مسرح الاستعمار الصهيوني ، في حين ان المسألة تمس جميع السوريين على سبيل التكافل والتضامن القومي . وعن اسباب رفض العرب للصهيونية يقول « .. لا نرفض ان يكون الصهيوني طبيبا أتى متطفلا لمعالجة امراضنا كما يقول .. بل نرفض لانه دخيل .. ليتربع في وسط البيت ويطرد صاحبه الى خارجه حيث يعالجه الهلاك فتخسر به القومية عاملا نشطا.. لا نناهض مذهبا ولا شعبا ، نقاوم من الصهيونية تلك الحركة السياسية التي غايتها ايجاد وطن يهودي في فلسطين » لقد كان المحمصاني يعبر عن راي جمعية العربية الفتاة وكان هو احد مؤسسيها في باريس ، ورغم ان الجمعية كانت تربطها بحزب اللامركزية في القاهرة صلات وثيقة منذ ان عملا معا على تنظيم مؤتمر باريس وتوثقت اكثر مع انتقال مقر الجمعية السري الى بيروت ، الا انه لا يبدو من فحوى هذه الاقوال ان كاتبها يرى رأي جماعة اللامركزيين في المسألة الصهيونية .

ربما بسبب هذا الموقف العربي وبداية تكون رأي عام دفع رفيق العظم الى المقطم مقالا عن « المسألة الصهيونية وكيف يدفع خطرها » ، نشرته في ٢٩ مايو ١٩١٤ ، وتضمن المقال اراء مخالفة لدعوى التقارب التي يناصرها . ويشير العظم الى ان سبب الكتابة هو ما اثاره تقدم الصهيونية وتساهل الحكومة من القلق والريب في نفوس السوريين . وان الصهيونيين لم يستمعوا الى نصيحته بضرورة اختيار الوسائل التي تؤلف بينهم وبين العرب من سكان سوريا وفلسطين ، بل اعتمدوا على تساهل الحكومة معهم ، ونتيجة لذلك كان نهوض الشعب السوري للوقوف في وجوههم وتعطيل حركتهم. لذلك لم يعد امامه الا ان ينصح اخوانه من ابناء سوريا وفلسطين لتدبر امورهم مع الصهيونيين بالتمسك بالوسائل العملية التي هي : الغاء الملكية الشائعة بين اهل القرية الواحدة ، مطالبة الحكومة بوضع قانون خاص لحماية ملكية الفلاح والارض ، الاهتمام بتأليف النقابات الزراعية ، اصلاح قانون البنك الزراعي كي يحمي اراضي البلاد وملكية الفلاحين ، تأليف شركات زراعية لشراء الاراضي المعروضة للبيع والمستنقعة والبور واصلاحها وتقسيمها على الفلاحين . ويحذر العظم الحكومة والاهالي بانهم لو تخلوا عن عمل ذلك فمن المحتم ان يكونوا بعد جيل او اقل من جيل عبيدا للصهيونيين او يشردوا عن مواطنهم جميعا !!.

ما يبعث على الاستغراب ان مندوب المقطم في الاستانة كان قد اجرى حديثا مع زعيم صهيوني فيها بعث فحواه الى المقطم لتنشره في ثلاث مقالات متتابعة (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ مايو) تحت عنوان « بحث جليل في المسألة الصهيونية — زعيم صهيوني يرد على رفيق العظم ويوجب اتفاق العرب والاسرائيليين » .. وكان يعني به مقال رفيق العظم الاول (المقطم ١٤ ابريل ١٩١٤) الذي يقبل فيه عرض التقارب . وهذا يعني ان مقال رفيق العظم (٢٩ مايو) قد كتب في وقت أسبق من ٢٧ مايو ولكنه لسبب ما قد تأخر في ادارة المقطم ولم ينشر الا في ٢٩ منه . خلاصة الحديث ان الزعيم يرمي الى التسليم بمعظم ما جاء في مقال رفيق (١٤ ابريل) ، وهو واثق ان الاتفاق سهل لسببين : اولا ان العرب

المستنيرين ، على حد قوله ، « ليسوا ضدنا ولا هم يسيئون الظن بنا » .. اما الذين يقفون ضد الهجرة ، فهم ، برأيه ، اما سيئو النية او جاهلون . السبب الثاني فهو النفع الذي يعود على البلاد وعلى العنصر العربي من مهاجرة الاسرائيليين الى فلسطين . وهو يعزو بقاء المهاجرين في عزلة وعدم تجنسهم بالعثمانية الى جهل اللغة والعادات ، ويعد بانهم سوف يوجهون اهتمامهم للعناية في مدارسهم بتدريس اللغة العربية والتاريخ العربي واداب العرب ، ولو علمت اللغة العبرية وتاريخ الاسرائيليين في المدارس الوطنية لاصبح هناك اساس متين يبنى عليه اتفاق بين الفريقين . اما ما نوه العظم حول تخوف الوطنيين من مزاحمة المهاجرين فهي مخاوف وهمية فعدد المهاجرين قليل والارض التي اشتريت ملك المتنفذين والاغنياء ولا خوف على الفلاح من ابتياعها . ومن أجل التوصل الى الاتفاق يقترح الزعيم الصهيوني ان ينتدب زعماء العرب « ذوي النفوذ المعنوي » ستة ينوبون عنهم وتندب الجمعية الصهيونية ستة من اعضائها لينوبوا عنها ايضا ثم يجتمع المندوبون معا في احدى قرى فلسطين او بيروت او القاهرة لدرس احوال فلسطين درسا مدققا ، والوقوف على مطالب العرب وغايات الصهيونيين واٰمالهم ، ووضع شروط للمهاجرة في المستقبل . اغراء اخير يضعه الزعيم الصهيوني امام الزعماء العرب هو ان الاسرائيليين هم الواسطة الوحيدة التي توصل بين العرب والمدنية الغربية وان في استطاعتهم ان يخدموا العرب لما لهم من العلاقة بالعالم المالي والصحافة الغربية . وينتهي بالقول « ... فليرحب العرب بنا ويقبلونا اخوانا لهم .. فالوطن لا يضيق على رحبه لشعبين خليقين بان يتآزرا ليشيدا مدنية جديدة تبلغ البلاد شأو البلدان الاوروبية ارتقاء وعمرانا » .

قال رفيق العظم في رده على حديث الزعيم الصهيوني (المقطم ٣٠ مايو) انه كان قد خطر له مسبقا لحل هذه المسألة فكرة عقد المؤتمر من ارباب المصالح الكبرى في فلسطين والخبيرين بسير المسألة الصهيونية وفريق من زعماء الصهيونية لتبادل الاراء بكل صراحة واعتدال « للتوصل الى ما يضمن راحة البال للفريقين وتقرير القواعد التي تنتهي عندها اغراض الصهيونيين ومصلحة الوطنيين .. » وانه لما قرأ اقتراح الزعيم لعقد المؤتمر ، « قويت لديه هذه الفكرة وتأكد له نفعها ، ولجنة حزب اللامركزيين بمصر مستعدة اذا خابرها الصهيونيون ان تعقد هذا المؤتمر في مصر وتبذل المساعي لدى سراة البلاد الفلسطينية لينتخبوا من يمثل وطنهم في هذا المؤتمر احسن تمثيل ، عساه يكون من وراء ذلك خير للفريقين .. » . ونوهت جريدة المقطم في اليوم التالي انه قد انقضى دور الكلام وجاء دور العمل ، ورجت الكتاب من الفريقين ان يوجهوا عنايتهم الى اقتناع زعماء الفلسطينيين والصهيونيين بعقد المؤتمر ، وتتعهد انها لن تنشر شيئا من هذا القبيل الا بعد عقد المؤتمر .

رد فعل سريع وصريح على مشروع الاتفاق عبر عنه ثلاثة من الصحفيين العرب : نجيب نصار ، عيسى العيسى ، محمد المحمصاني . وكانت اكثرها عنفا رد صاحب الكرمل (٢ يونيو) فبدأ اولا بمهاجمة المقطم التي لا تزال تنشر لمن تسميهم زعماء الصهيونية اقوالا تمويهية المقصود منها ذر الرماد في الاعين . ويوجه الهجوم مباشرة ولاول مرة الى رفيق العظم متهما اياه بالتناقض في الاقوال في تصريحاته اولا حول الخطر المجسم على العرب في مقال (٢٩ مايو) ثم اظهاره الارتياح في اليوم التالي لاقتراح الزعيم الصهيوني على عقد الاتفاق بين العرب والصهيونيين وفكرة المؤتمر المشترك « مع قوم اجانب يعملون على نزع وطن العرب من ايديهم » .. اما عن مساعي العظم لدى سراة فلسطين فيرد صاحب الكرمل « .. لو علم الزعيم ان مصائب فلسطين تأتيها من بعض سراتها ... لما قال ان لجنة الحزب تسعى لدى السراة .. » لقد فقد صاحب الكرمل ثقته بزعماء البلاد ورأى ان الشبيبة وحدها هي التي تدرك خطر

الصهيونية لذلك هي « التي ينبغي ان تفاوض في امرها اذا كان يروق لها المفاوضة على وطنها .. » .

وجاء رد صاحب فلسطين في صحف القاهرة(٤٩)، حيث كان ينتظر الافراج عن جريدته ، وهو كفلسطيني تتعلق هذه الحركة ببلاده ، وكصحافي عالج الموضوع مرارا، يجد بين ما يصرح به الصهيونيون وما يراه من افعالهم تناقضا كبيرا لا يظهر الا لمن تتبع حركتهم وعاش ولو مدة قصيرة في فلسطين . اما حول اقتراح الزعيم الصهيوني بطلب عقد مؤتمر مشترك فيقول « .. ان الفائدة من هذا المؤتمر .. لو عقد تعود على الصهيونيين اكثر منها على الوطنيين فهم لن يخرجوا قبل ان ينالوا اعترافا صحيحا بحقيقة مراكزهم في فلسطين وانهم شركاء للوطنيين بما لهم من المصالح فيكتسبون حقا شرعيا مع بقائهم على مبادئهم الصهيونية .. » .

وعرض محمد المحمصاني كلمة في معضلات الاتفاق « ... انه من العبث ان نحل الصهيونيين بالمكان الذي يطلبونه بمجرد انهم ارقى منا علميا واقتصاديا ... » « ... ان حياة الامم فوق كل نفع مادي .. يغررنا الصهيونيون .. فحرية الاهلين مقدمة عندنا على حرث الارض وزرعها .. » ويعلن العزم على استمرار مقاومة الصهيونية « .. تلك الحركة القومية السياسية التي ترمي الى تأسيس دولة يهودية في سوريا ... نقاومها بدافع القومية المحضة ، اذ ان العرب احق بسوريا واهلها وهم يتحسسون بوجوب الحياة العنصرية شأن تلك الامم التي تقوم على مبادىء الجنسية التي لا يمكن ان تتفق مع الحركة الصهيونية الا على وجه واحد : تحويل مجرى المهاجرة عن بلادنا الى بلاد اخرى ... »(٥٠) .

ومع ان قضية الاتفاق العربي الصهيوني وعقد المؤتمر المشترك قد سكت عنها في الصحافة العربية ، الا ان المساعي من اجل ذلك قد استمرت كما يكشف ذلك الارشيف الصهيوني(٥١) . ويبدو ان اللجنة التنفيذية الصهيونية كانت ترحب بعقد مقابلات غير رسمية مع بعض الشخصيات العربية في فلسطين والاستانة وبيروت ودمشق . وقد الح ممثلو المنظمة الصهيونية على نقطة هامة اثناء مباحثاتهم وهي ان لا ينظر الى المسألة من زاوية فلسطينية فقط . فالمسألة العربية هي اشمل من مسألة فلسطين ، لانه في تركيا يوجد ١٥ مليون عربي ، واما في فلسطين فيوجد ٦٠٠ الف فقط ، فلو اتفق الجانبان على الاستيطان وشراء الاراضي، فان اليهود سيقفون الى جانب العرب، ولذلك فان بعض الدوائر العربية كانت مقتنعة ان المصلحة تطلب تساهلا مع اليهود كي يحصلوا منهم على تدريب ومساعدة مادية . وكان الصهيونيون على استعداد لتقديم ذلك مقابل وقف التحريض المضاد للصهيونية ووقف الهجوم في المبعوثان والتوقف عن رفع العرائض ضد الهجرة اليهودية وشراء الارض . وكانت اكثر شروط العرب تعقيدا بالنسبة للصهيونيين هي منع طرد الفلاحين من اراضيهم ، ولذلك فان روبن اقترح شراء اراض في منطقتي حمص وحلب واسكان الفلاحين الذين اشتريت اراضيهم(٥٢) . ويكشف الارشيف الصهيوني كذلك ان ناحوم سوكولوف ، في اثناء جولته في فلسطين ، قد ابدى اهتماما كبيرا بحقيقة المسألة العربية بعد ان شرحها له (كالفارسكي) ممثل مؤسسة الاستيطان اليهودي المعروفة باسم (ايكا) في مستوطنة روش بينا . وقام الاخير بمرافقة سوكولوف الى بيروت ودمشق (نهاية مايو ١٩١٤) حيث حاول ان يبحث « الظروف السياسية وقوة ونوعية الحركة العربية وامكانية التفاوض معها » ، وقد تقابل مع عدد من الشخصيات العربية(٥٣) . وتم الاتفاق على عقد مؤتمر في برمانا في ٢ يوليو يشترك فيه عشرة مندوبين عن كل جانب .

وتكشف اوراق حزب اللامركزية جانبا اخر من المفاوضات ، لم تشر له المراسلات

الصهيونية ، ولعب فيها صاحب الاقدام دورا كبيرا . وكان محمد الشنطي قد حضر الى فلسطين منذ اشهر للقيام بجولة صحفية قرب اجراء الانتخابات النيابية ، ويبدو انه قد كلف من قبل اللامركزية بالعمل على ضم اعيان فلسطين الى الحزب ، ولا يعرف بالضبط ان كان قد كلف باجراء محادثات مع سوكولوف . ما هو ثابت ان الشنطي قد بعث في ٢ يونيو ١٩١٤ بطاقة من يافا يخبر حقي العظم باجتماعه مع « الزعيم الصهيوني البرليني » . وفصل ما جرى برسالته في ٣ يونيو(٥٤) « والخلاصة فاننا تفاهمنا بالامس مع زعيم الصهيونيين في برلين واخذنا منه القول الوثيق بالانضمام الى حزبنا ومساعدتنا فيه . . . وكنا عازمين على ان نحضر لطرفكم نحن واياه لهذا الخصوص . . . ولسوء الحظ حصل كرنتينا على اهالي يافا . . حول فكره الى التوجه الى الاستانة . . ليتفاهم مع زعماء العرب ومندوبيهم ، وقد طلب مني ان اكتب لهم بالاستانة ليقابلوه ويتعارفوا معه ، فافهمته ان هذا التفاهم ينبغي ان يكون بمعرفة عميدنا سعادة رفيق بك بمصر . . . وطلب مني ان اعرف سعادة سيدي . . بان يكتب الى سماحة السيد عبد الحميد افندي الزهراوي والى من يعتمد عليه بالاستانة بان يقابل هذا الذات في الاستانة خير مقابلة وان يتساهل معه ويحسن وفادته . . . ارى ان الذي دار بيننا وتوافقنا عليه ينهض ببلادنا وقوتنا وحزبنا ويحفظ كيان دولتنا . . املي ان . . احظى . . بمطالعتكم وارائكم بهذا الموضوع لاعرضها على زعيم الصهيونيين في فلسطين . . . » .

وكتب الشنطي على حواشي الرسالة عدة ملاحظات « . . اسم زعيم الصهيونيين . . . نحوم سوكولوف . . . انه خير صهيوني جمعت فيه الهمة والشهامة وظهرت لنا منه اميالا قوية يحب العرب ويحب رقيهم وحب دولتهم العلنية . . . فبهذا يزد له سوء التفاهم وبهذا تحصل المعاضدة لرقي فلسطين . . . » والملاحظة الثانية « . . . الذي كان ركنا من اركان هذه الحركة المباركة هو حضرة وطيننا الفاضل يعقوب افندي شلوش من زعماء اليهود العرب » . والملاحظة الثالثة « . . . اوقفوا كل حركة ضد الجماعة باية جريدة عربية على حسب جهدكم وطاقتكم اياك التأخير . . . »

ترى أي الطرفين كان يريد الاتفاق لحسابه الخاص ؟ والى اي حد كانت اللامركزية على معرفة بنوايا الصهيونيين ؟ ولماذا تتلهف على عقد اتفاق معهم ؟ وهل كانت متفقة في هذه النية مع تلك الفئات العربية الاخرى التي تميل الى الاتفاق ؟ ما هي الوسائل التي لجأت اليها للضغط على الصهيونيين للوصول الى هذا الاتفاق . وما هي مهمة جريدة الاقدام الفعلية التي كانت مباحثها مخصصة للمسألة الصهيونية وشرح اخطارها ؟ بعض هذه الامور الخفية قد كشفت عنها رسالة شخصية بعثها الشنطي من يافا (١٥ يونيو) الى حقي العظم(٥٥) وفي طيها (كارت فيزيت) من يعقوب شلوش الذي يصفه بانه « من الاسرائيليين الذين ينتمون الى العرب . . . ويشتغل الان بوظيفة مدير صندوق البنك الانجلو الفلسطيني الانجليزي في يافا ، ويسعى سعيا حثيثا وراء تقدم الصهيونيين وبسطهم لنفوذهم في فلسطين . ولغرض للحزب ادخلته فيه واخذت عليه العهد والميثاق بان يخلص للحزب ويسعى لتعزيزه هو وجميع اسرته ومن يلتف حوله . فارسلوا له بطاقة الاعتماد مع جواب القبول . . . ولكن حاذروا من ان يشم رائحة منه في ابداء المساعدة لبني قومه الا بعد الاتفاق بيننا وبينهم كما حصل بيننا وبين الزعيم سوكولوف تنفيذه بمصر عن يد سيدي رفيق بك ويدكم ويد سيدي الاستاذ السيد رشيد . . » ويتابع الشنطي « . . . فاظهروا القوة وعرفوا سادتي المومأ اليهما ان يتذمروا من اعمال الصهيونيين ، واياكم جميعا ان تمدوا لهم يد الاتفاق الا بعد ان (يعرفون) ما حصل بيننا لان الاستعمار الان جعلنا بينهم وبينه سدا منيعا واثرنا عليهم حربا عوانا من جميع سراة البلاد واعيانها حتى نبين لهم قوة عظيمة لا يستخف بها

وقد افهمناهم ان حركة هـذه القـوة هي من قوة الحـزب ورئيسه واعضواته ... (وسيفيروا) الخطة ويسيرون على طريقة تنفع البلاد والحزب فيما لو احسنا السياسة وامهلنا الامور بتدبر وتعقل . ان الصهيونيين الان بالرغم عنهم سينقادوا لارادة الحزب مكرهين لا مجاملة منهم ولا حبا بنا ولا بحزبنا ، وسنملي لهم ... » ويشير الشنطي على حقي العظم ان يكتب الى سوكولوف بواسطة بنك (الانجلـو-الوانتين) بالاستانة كي يحضر الى القاهرة « .. وتولوا ان صاحب جريدة الاقدام المصرية الذي تعاهدتم انتم واياه على خدمة فلسطين بمعرفتنا والتفاهم معنا اي مع سعادة رئيس حزبنا وسماحة السيد رشيد رضا حضر لطرفنا .. وهو يطلب حضوركم سريعا لمسائل ضرورية ... وليكن تحريركم في غاية الحمية والحماس القصد ... هو لان الاستانة ومن فيها من بين قومنا لا يحسنون سياسة هذه الحركة ولا يعرفون ما آلت عليه في بلادنا ... وما ترمي اليه افكارنا لاننا نعرف الان مـن اين تؤكل الكتـف ... اظن ان الجميع يحبـذ رايي هذا ... »

ويبدو انه استمرارا لهذه المساعي كانت مشاورات اللامركزية لدعوة اعيان فلسطين من انصار اللامركزية للمؤتمر المقترح . وبعث حـافظ السعيد مبعوث يافا السابـق برسالة الى (العظم ؟) في ١٩ يونيو ١٩١٤(٥٦) يظهر انها كانت ردا على دعوته لحضور « اجتماع مع الصهيونيين للاتفاق على الوجهة النافعة لفلسطين » رأي حافظ السعيد « ... ان الاتفاق ان امكن مع هؤلاء القوم فهو احسن من تركهم يفعلون ما يريدونه في الاستانة ... » ويقترح اسماء عدة شخصيات فلسطينية لدعوتها لحضور المؤتمر(٥٧) ولكنه يطلب ان يزود « ببيان القاعدة التي ترون وجوب تبيان الاتفاق عليها وعلى مـاذا سيكون .. » . ويشير السعيد بما اخبره الشنطي عـن مباحثاته مع سوكولوف بـان يكون الاتفاق مع العنصر الاسلامي العربي في فلسطين على قاعدة « ان يكون (البانق) الصهيوني الموجود في يافا مفتوحا للمسلمين بالمعاملة التي يعامل بها الصهيونيون . ان يتعلم اولادهم اللغة العربية . ان يقبلوا في مدارسهم اولاد فقراء ومتوسطي الحال من المسلمين مجانا . ان يدخلوا في التابعية العثمانيـة ان يراجعوا في اشغالهم الحكومـة المحلية ويستعينوا بالوجهاء من اهل البلاد . ان يتكاتفوا مع العـرب بطلب الاصلاح الذي يطلبه حزبنا الان . ان ينتخب منهم عضو لمجلس المبعوثان واخر لمجلس الادارة » .

مفاوضات مماثلة كانت تجري في الاستانة وبمعرفة اللامركزية وتولاها مراسل المقطم في الاستانة اسعد داغر(٥٨) . وفي رسالة بعثها الى مقر الحزب في القـاهرة (٣ يونيو ١٩١٤) يقول « ... جمعت الدكتـور جاكوبسون واصحـابه ببعض مبعوثي بيروت وفلسطين .. في فندق (توكتليان) فدار الحديث على المسألة الصهيونية وعلى وجـوب اتفاق العرب واليهود .. » ويذكر داغر ان جاكوبسون قد سافر الى برلين وباريـس للاتفاق مع اللجنة التنفيذية للجمعية الصهيونية على الشروط التي يمكن ان تكون اساسا للمخابرات بين العرب واليهود ، وانه قد وجه انظاره قبل سفره الى عدة مسائل هي : وجوب تحديد المهاجرة ، وادخال المهاجرين بالتبعية العثمانية . وجوب مراعاة الفلاح في فلسطين ووضع قانون يضمن له حقوقه . وجـوب تعلم اللغـة العربية والادب ، والتاريخ العربي في المدارس اليهودية وتشكيل لجنة من العرب واليهود لمراقبة هـذه المسائل والاعتناء بتحسين العلاقات بين العنصريـن . انشاء مـدارس خصوصية في فلسطين يتولى العرب ادارتها . بذل مبلغ معلوم من المال سنويا في سبيـل المعارف في سائر البلاد العربية . مساعدة المصارف اليهودية والصحافة الاوروبية للنهضة العربية الجديدة . اجبار بنك فلسطين على معاملة الوطنيين نفس المعاملـة التي يعامل بهـا اليهود . تخصيص مبلغ من المال ينفق سنويا في سبيل المنفعة العربية بالطريقة التـي تستسيغها الجمعيات العربية دون ان يعطى حسابا عنها لاحد . تشكيل لجنة مشتركة

من عرب ويهود لحسم سائر المشاكل المحلية في فلسطين والنظر فيما يجب اجراؤه لرقيها ونجاحها . ما يخشاه داغر ان لا يجد في الاستانة من يتمكن من مخابرته بطريقة تضمن للعرب ما ذكره آنفا لان احد الاصلاحيين قد صرح له « بان المنافع التي نرجو الحصول عليها يجب ان تنحصر في فلسطين وسوريا فقط .. (وانه) يعاكس كل اتفاق يعقد مع حزب اللامركزية او مع غير اهالي البلاد ولو باسم العرب » . وقد فاته على رأي داغر « ... ان السبب الذي يضطر اليهود الى هذا التساهل هو خوفه من حدوث شيء هام في البلاد العربية واعتقادهم بان الامة العربية لا تعدم جمعيات ثورية سوف تحدث تغييرا عظيما في البلاد في اقرب آونة ... (وان) اليهود اذا شعروا بوجود جمعية قوية ذات تأثير في البلاد العربية يتساهلون كثيرا معها ويساعدونها ماديا ومعنويا على تحقيق امالها .. » .

هذه الامور التي كانت تجري سواء في الخفاء او علنا لم تقلق الفلسطينيين وحدهم بل اثارت تساؤلات لدى الدوائر القومية في بيروت التي لا تمثل جماعة الاصلاح وحدهم بل اقطاب جمعية العربية الفتاة ولسان حالهم جريدة (فتى العرب) . ويبدو أن محمود المحمصاني قد كتب الى حقي العظم مستفسرا « عن عدة نقاط بخصوص الصهيونيين وملاحظته هو وسائر الاخوان على اقتراح رفيق العظم عقد مؤتمر مشترك » ، ورد رفيق العظم على هذه التساؤلات في رسالة مطولة (٢٠ يونيو)(٥٩) حول العلاقات الصهيونية العربية منذ بداياتها كي « يريح بالهم وينورهم في المسألة » . الرسالة تكشف بان الصهيونيين هم الذين بادروا فور تأسيس حزب اللامركزية وقيام الحركة العربية الى ارسال احد زعمائهم الى مصر لاختبار حالتهم(٦٠)، وهو الذي حضر مؤتمر باريس « فقابلنا وتفاوض معنا في مركز اليهود بازاء الحركة العربية ، فافهمناه اننا جماعة مبدؤنا الديمقراطية ، وعندنا ان كل ابناء الوطن السوري سواء في الحقوق والواجبات، وان اليهود اذا تجنسوا بالجنسية الوطنية كانوا كغيرهم من ابناء هذا الوطن على شرط ان تحدد هجرة الصهيونيين الى البلاد وان لا يبقى منهم شخص اجنبي لا يتجنس بالجنسية العثمانية ، وان يعلموا في مدارسهم اللغة العربية ويعلموا ابناء البلاد في هذه المدارس ، الى غير ذلك من الشروط .. » . ولم يعقب ذلك شيء ويظهر ان الصهيونيين كما يذكر العظم « قد ساوموا الحكومة على ما يريدون ... فنامت عنهم واخذت مهاجرتهم تزداد وشراؤهم للاراضي يكثر ، فاصبحنا امام امر واقع اذا لم تتخذ فيه كل الوسائل السياسية كان للصهيونيين الغلب ، وكان اليهم مصير فلسطين » ، لذلك فان حزب اللامركزية قد لجأ « بتهديدهم بطرق غير النشر ، ثم بالنشر ، حتى ايقنوا اننا غير نيام وان الحركة ليست من الضعف بالمنزلة التي يتوهمون ، ولا سيما بعد ان عرفوا ان حزبنا في فلسطين هو الذي يخشى جانبه » وكانت النتيجة — كما يضيف العظم — « انهم أوعزوا الى بعض زعمائهم في فلسطين ان يخابر احد افراد حزبنا للاتفاق مع العرب ، وتعرض احد زعمائهم في الاستانة الى بعض انصارنا هناك وفاتحه بهذه الفكرة فكتبوا الينا بذلك .. » وبما ان المسألة الصهيونية اصبحت من المسائل التي لا تحل في الخفاء — على حد رأيه — فقد كتب ذلك الاقتراح ، ويتعهد العظم « اننا باذلون الجهد في حل هذه المسألة على وجه ينفع العرب وينفع فلسطين » ، ويرجو ان يوفق « اذا لم يحل ارباب الاهواء في الاستانة وغيرها ، خصوصا من بني قومنا ، دون هذا الاتفاق رجاء جر المنافع الشخصية » . واشار رفيق العظم الى كتابات (الكرمل) وتعريضها به ، واتهمها بانه ليس لها سبب الا « ان بعض الصحافيين الفلسطينيين من اخواننا المسيحيين ينظرون الى المسألة من الوجهة التي تخالف وجهتنا لاسباب اتحاشى بسطها، وقد ظهر ذلك من صاحب جريدة فلسطين الذي كان في مصر في الاسبوع الماضي ولم يرضه اقتراح عقد المؤتمر ، اذ ربما كان يرى ان الاتفاق على حل هذه المسألة لا ينبغي

ان يدخل فيها غيرهم لاجل ...(٦١) » . ويطمئن المحمصاني واخوانه كي يكونوا على ثقة من « اننا لا نألوا جهدا في تخير احسن الطرق لمنفعة الوطن ، وان عنايتنا بالمسألة الصهيونية ما هي الا لاجل الوطن ، واما اولئك الذين ينظرون الى مصالحهم الشخصية قبل كل شيء او الى اهواء نفوسهم التي لا حد لها فدعوهم يقولون ما يشاءون .

يبدو ان دفاع العظم كان له اثره على (فتى العرب) مع انها لم تتفق معه في كثير من آرائه ، وبادرت(٦٢) تطلب من الصحف التريث في الحكم حتى تتضح النتائج « ... فالعلاقة الذي جاهر بمقاومة اخطار الصهيونية في مواقف عديدة ليس من الحكمة ان نشينه من حسن نيته لمجرد رضاه بانعقاد مؤتمر لم ينعقد ولا بتت النقاط التي تدور حولها ابحاثه .. » (وفتى العرب) « لا تشك بان الخطر الصهيوني اكبر من أن يمكن تلافيه بعقد مؤتمرات كهذه ، ولكن لكل امرىء ان يجتهد في المصلحة العامة بما يوحيه اليه ضميره واخلاصه ، فالاغراق في التشاؤم بكل بادرة تبدر من رجالنا .. من الامور التي توهن من عزائم العاملين » . ولكن دعوة فتى العرب لم تهدىء مخاوف الصحافة في فلسطين فعلق مراسل جريدة فلسطين في الاستانة على ما يدور فيها من محادثات بين الصهيونيين وبعض رجالات العرب بقوله(٦٣): « .. وكما أن كل صهيوني وضع نصب عينيه امتلاك فلسطين ، يجب على كل عربي ان يضع نصب عينيه المدافعة عن فلسطين ، فهم يهاجمون ، والوطنيون يدافعون ، والنصر مكفول للوطنيين لانهم موجودون في استحكاماتهم ، هذا اذا لم يخنهم قوادهم — اعني زعماءهم .. » وكان تنديد الكرمل بالزعماء عنيفا « .. اما كفى انكم اهملتم واجبكم الوطني وانصرف بعضكم عن الماديات الى الخياليات ، وبعضكم عن العموميات الى السعي وراء المنافع الخاصة، حتى قمتم في شيخوختكم تحاولون تخدير اعصاب المتنبهين من بني قومكم لتضيعوا الوطن »(٦٤).

ولكن هل نفضت جماعة اللامركزية يدها من الاتفاق ؟ يبدو ان زعماءها ظلوا يأملون عقد المؤتمر المشترك بحجة انه لمصلحة الوطن ، فقد بعث اسعد داغر من الاستانة برسالة الى رفيق العظم في ١٤ يوليو(٦٥) يخبره بعودة جاكوبسون من اوروبا ، الذي اخبره « بان كافة احزاب الجمعية الصهيونية قبلت — بكل سرور وارتياح — الاتفاق مع العرب على الاساس الذي اشار اليه ونشرته في المقطم » . ويضيف داغر ان جاكوبسون كلفه بسؤال العظم ان يعين المدة التي تناسبه لعقد المؤتمر ، وان يستشيره بالخطة التي يجب عليه اتباعها ، ولذا يلح داغر على رفيق العظم ان يكتب مفصلا بهذا الشأن اما له واما لنجيب بك شقير(٦٦) . وان يهتم باقناع جمعية بيروت لارسال معتمد جدير بالثقة الى المؤتمر الذي سيعقد في مصر .

ولكن كيف تراجعت اللامركزية نهائيا عن فكرة الاتفاق والدعوة لعقد مؤتمر مشترك ؟ الادلة تشير الى ان التراجع لم يتم الا بعد قطع اخر امل بالوصول الى اتفاق . وربما تعثر عقد المؤتمر لان اللجنة التنفيذية الصهيونية قد ترددت بارسال ممثلين من الزعماء الكبار يمكنهم اتخاذ قرارات مسؤولة ، كذلك لم يكن لدى اللجنة « مقترحات عملية لتقديمها بحيث تسكن مخاوف العرب(٦٧)، وربما حدث التراجع نتيجة ضغط الفئات القومية في بيروت التي لها وزنها في الحركة العربية ، او بسبب رد الفعل العنيف الذي ابداه الرأي العام في فلسطين ضد اي مشروع اتفاق .. وبالفعل كان قد بدأ تشكيل جمعيات فلسطينية لا صهيونية داخل فلسطين وخارجها ، كما بدت بوادر عمل عربي منظم بتشكيل جمعيات عربية في القاهرة والاستانة لمقاومة التيار الصهيوني .

ولكن رشيد رضا ، احد الزعماء السوريين في القاهرة الذين ناصروا فكرة الاتفاق ، تدم دليلا واضحا على ان التراجع عن فكرة الاتفاق قد اصبح قاطعا .. اذ في تعليقه

على ما عربته جريـدة فلسطين لبعـض فصول من كتـاب اوسشكيـن (البروغرام الصهيوني) يقول(٦٨) « . . . ان الصهيونيين اذ تم لهم ما يريدون فانهم لا يبقون في (أرض الميعاد) التي يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلما ولا نصرانيا ، وليست ارض الميعـاد او فلسطين عندهم ما نسميه نحن الان فلسطين فقط بل هي . . . تمتد الى سوريا حتى النهر الكبير اي نهر الفرات . . » ويتساءل « . . فماذا عسى ان يفعل العرب اصحاب فلسطين من اسباب المحافظة على وطنهم واملاكهم فيه . . على جهل السواد الاعظـم منهم بكنه الخطر وكنه قوة مزاحميهم ، وعلى جهلهم ايضا بقوة انفسهم وبطريق الانتفاع بها . . » ومع ذلك فهو ليس مبالغا في التشاؤم « . . . لا يكاد يوجد شعب من شعوب الارض غافل عن قوته واستعداده كالشعب العربي ، فقوته واستعداده كامنان فيـه كمون النار في حجر الصوان تحت الثلج . . . فمن ذا الذي يزيل او يذيب الثلج عن هذا الحجر الصلد ، واين مقدحة الحديد التي تقدح النار من هذا الزند » يترك الاجـابة عن هذين السؤالين الى الايام « فان الجواب عنهما احداث وافعال لا احاديث ولا كلام . . »

وتقدم محمد المحمصاني بتقريب وجهات النظر العربية في مقـال له في الاقدام(٦٩)، أوضح فيه ان الجميع قد أصبح مقتنعا بخطر الصهيونية وضرورة مقاومتها « لا فرق في ذلك بين فلسطين وغيرهم من ابناء العرب ولا سيما في سوريا فانهم جميعا متكافلون في هذه المسألة حسبما يقتضيه التضامن القومي . . » الاختلاف البسيط بين الفئات حول كيفية تلك المقاومة ، ورأي المحمصاني هو « انا لسنا ازاء حركة مباراة ومنافسة ، بل حركة دفاع عن حياة عامة توجب الاخذ بكل طرق المقاومة لا فرق بين انشاء الجمعيات والنقابات وبين تأليف العصابات المسلحة . . »

لا شك ان الشهور القليلة التي سبقت اعلان الحـرب العالمية الاولى كانت غنيـة بالاحداث ، تصادمت فيها وجهات نظر ، ولعبت فيها عوامل خفية : وكان امرا غريبا ان تحمل فئة من العرب فكرة الاتفاق مع الصهيونيين وسط عداء قد استحكم منذ سنـوات عديدة وبعد معرفة اكيدة ببرامج الصهيونية . قد تكون لها دوافعها الخاصة : اعتقادها بانه طالما يصعب مقاومة الخطر الصهيوني فعلى الاقـل يمكن ايقافه عند حد بتقييده بشروط معينة ، وخاصة ان امام الحركة العربية مواجهة اخرى مع الاستبداد التركي. وربما كان للصهيونيين كذلك دوافعهم الخاصة نحو الاتفاق تعود الى رغبتهم في استغلال الاستياء المتزايد في الدوائر العربية ضد السياسة التركية ، وبهذه الطريقة ــ كما يقول (ليختهيم) السكرتير السياسي لجاكوبسون ــ يستحيل على الحكومة ان ترفض طلبهم بحجة انها لا تريد ان تغضب العرب .

بعض المصادر اليهودية توقع اللوم عـلى الصهيونيين لان جهودهم قد فشلـت في الوصول الى تفاهم(٧٠)، وان مرد ذلك لان المسائل السياسيـة لم تلمس قط خـلال المفاوضات وظلت المحادثات داخل حدود الامور الماديـة وداخل اطار الامبراطوريـة العثمانية . وظل ليختهيم يلح في تقاريره الى اللجنة التنفيذيـة الصهيونية على نفـس العبارة « . . . انه لا يمكن كسب زعماء الحركة العربية الى قضيتنا الا علـى اساس واحد ، هو فكرة معاهـدة سلم علـى مقياس واسع بين اليهـود والحركة العـربية القومية » .

ولكن حتى لو وقعت اتفاقية سياسية دائمة مع الزعماء العرب ، هل كان بامكانها ان تهدىء مخاوف العرب ، او ان تغير مجرى الاحداث ؟ لو عقد الاتفاق فان الفائدة تعود على الصهيونيين اكثر من الوطنيين ــ على حد تعبير صاحب جريدة فلسطين « . . فهم لن يخرجوا قبل ان ينالوا اعترافا صحيحا بحقيقة مركزهـم في فلسطين وانهم شركـاء

للوطنيين فيها بما لهم من المصالح فيكتسبون حقا شرعيا لم يكــن لهم مع بقائهم علــى مبادئهم الصهيونية .. » الصهيونيون انفسهم كانوا يشعرون ان هناك رفضا عربيا لاي صور الصهيونية ، فقد كتب ليختهيم الى جاكوبسون « .. ان العرب يشعرون ان كــل المنافع الاقتصادية والصحية التي سوف نجلبهــا معنا لا يمكن ان تقاس امام حقيقــة واحدة وهي ان اي تقدم من جانبنا يزيحهم آليا »(٧١).

الحواشي

١ — من مراسلات السفارة البريطانية في الاستانة مع وزارة الخارجية البريطانية ١٩٠٩ ، ١٩١٠
F.O. 424/222, 224, 250.
F.O. 371/1010/20761 F.

٢ — Waters, M., *Haganah, the story of Jewish self defence in Palestine,* London, 1947, p. 15.

٣ — Perlmann, M., *Chapters of Arab Jewish Diplomacy, 1918-1922.* Jewish Social Studies, April 1944, p. 127.

٤ — Cohen, I., (ed.), *Zionist Work in Palestine,* New York, 1912, pp. 172-180.

٥ — رسالة روبن الى ولفسوهن (رئيس المنظمة الصهيونية) في كولون ، ١٥ يوليو ١٩١١ (بالالمانية) ملحق لمقال بالعبرية : السبرج
Alsberg, P.A.
بعنوان : المسألة العربية في سياسة اللجنــة التنفيذية الصهيونية قبل الحرب الاولى
Shivat Zion, Vol. 4, 1956-57

٦ — من مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

٧ — **الاهرام** ، ٧ فبراير ١٩١٣ .

٨ — **المنار** ج ٢ ، م ١٦ ، ص ١٤٥ (فبرايــر ١٩١٣) .

٩ — لم ير رشيد رضا منذ عام ١٩١١ مانعا من استخدام اموال اليهود العثمانيين والاجانب في مشاريع اعمــار البلاد بشرط اخذ الحذر مــن استيلائهم على الاراضي المقدسة .

١٠ — **الاهرام** ، ٢٢ فبراير ١٩١٣ .

١١ — نقلا عن **الاهرام** ، ٢٢ ابريل ، **والمقطم** ، ٢٣ ابريل ١٩١٣ .

١٢ — مراسلات نسيم ملــول (بخط يده) بين مجموعة اوراق محب الدين الخطيب (امين سر حزب اللامركزية) وكانت موجهة اما الى رفيق العظم رئيس الحزب او حقــي العظم سكرتــير الحزب . ويظهر ان جهود ملول في سبيل نشر مبادىء الحزب قد دفعت باللجنة العليا لحزب اللامركزية في جلســة ١٦ مارس ١٩١٣ الى ارسال كتاب تشكره اللجنة فيه على ما يبذله من الهمة لتأسيس فرع الحزب في فلسطين .

١٣ — Roi, Y., The Zionist Attitude to the Arabs 1908-1914, *Middle Eastern Studies,* April, 1968, pp. 200-201.

١٤ — ملحق بالفرنسية لمقال (السبرج) العبري **المذكور سابقا** .

١٥ — لم يشر هوخبرج في تقريره الا الى اربعة اسماء صريحة : رفيق العظم ، ابراهيم سليم النجار ، رزق‌الله ارقش ، احمد مختار بيهم .

١٦ — **الاصلاح** ، ١٠ مايو ، ٦ يونيو ، ١٢ يونيو ١٩١٣ .

١٧ — مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

١٨ — جريدة **المفيد** (٨ ابريل ١٩١٣) وكان احد اصحابها عبد الغني العريسي من اعضاء اللجنة التحضيرية في باريس .

١٩ — مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

٢٠ — ملحق مقال (السبرج) العبــري المذكور سابقا .

٢١ — يطلب هوخبرج في خاتمة رسالته ان يبعث له جاكوبسون اعتمادات مالية لمواجهة النفقات « العرب وهم كثيرون قد كلفوني كثيرا » وهــو يقترح ان يقيم للمندوبين حفل عشاء قبل موعد مناقشة مسألة الاستيطان بيوم كي يؤكد لهــم بذلك الاخــوة العربية اليهوديــة كما فعل في القاهرة .

٢٢ — **المؤتمر العربي الاول** ، القاهرة ١٩١٣ ، صادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية ، جمع ونشر محب الدين الخطيب .

٢٣ — مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

٢٤ — يذكر هوخبــرج انه اثناء المناقشــة قال خيرالله خيرالله « .. ان هجرة الاغنياء فقط هي التي يمكن ان تكون نافعة للبلاد » ، وعندها صاح بيهم قائلا « .. استيطان يهودي نعم ، ولكن استيطان تركي لا » واثارت تلك الملاحظة

بعض الضوضاء في صفوف الطلبة العرب الذين كانوا يحضرون المؤتمر ولكن لم يتحدث منهم احد معترضا .

٢٥ – **الاهرام** ، ٢٦ يوليو ١٩١٣ .

٢٦ – مقال (السبرج) العبري **المذكور سابقا** .

٢٧ – **الكرمل** ، ١٥ يوليو ١٩١٣ .

٢٨ – **الكرمل** ، ٢٥ يوليو ١٩١٣ ، واعداد اخرى في اغسطس وسبتمبر ١٩١٣ .

٢٩ – Ruppin, A., *Three Decades of Palestine,* Tel-Aviv, 1936. pp. 35-65.

٣٠ – *The New East* 19. 12. 1913.

٣١ – **فلسطين** ، ٤ ابريل ١٩١٣ .

٣٢ – تقرير القنصل ، ٢٩ ابريل ١٩١٤ F.O. 371/2134/22036.

٣٣ – **فلسطين** ، ٦ يونيو ١٩١٤ .

٣٤ – مقال السبرج العبري **المذكور سابقا** .

٣٥ – **الكرمل** ، ٤ نوفمبر ١٩١٣ .

٣٦ – **المقطم** ، ١٨ نوفمبر ١٩١٣ .

٣٧ – **المنار** ، ديسمبر ١٩١٣ ، ص ١٧٢ .

٣٨ – **المنار** ، مارس ١٩١٤ ، ص ٣١٩ – ٣٢٠ .

٣٩ – **المقطم** ، ١٤ ابريل ١٩١٤ .

٤٠ – مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

٤١ – **الكرمل** ، ١٧ ابريل ١٩١٤ .

٤٢ – **الاقدام** ، ١٢ و ٢٩ مارس ، ١٢ ابريل ، ٣ مايو ، ١٤ يونيو ١٩١٤ .

٤٣ – **فتى العرب** ، ٢٧ مايو ١٩١٤ .

٤٤ – **المؤيد** ، ١١ مايو ١٩١٤ .

٤٥ – **الاقدام** ، ٢٤ مايو ١٩١٤ .

٤٦ – **الاهرام** ، ١٧ ابريل ١٩١٤ .

٤٧ – **فتى العرب** ، ١٩ ابريل ١٩١٤ .

٤٨ – كان احد اصحاب فتى العرب عبد الغني العريسي ، وانضم الى هيئة التحرير محمد المحمصاني بعد انتهاء دراسته في باريس والاثنان من مؤسسي العربية الفتاة الداعين لمؤتمر باريس ، وساهم في التحرير عارف الشهابي ، وكان ثلاثتهما من شهداء ١٩١٦ .

٤٩ – **المقطم**، ٦ يونيو ، **الاقدام**، ٧ ، ١٤ يونيو ١٩١٤ .

٥٠ – **فتى العرب** ، ٦ يونيو ١٩١٤ .

٥١ – يعتمد مقال (السبرج) السابق ، ورسالة غير منشورة لنيفيل ماندل Mandel بعنوان : *Turks, Arabs and Jewish immigration into Palestine 1882-1914.* Middle East Centre, St. Antony's College, Oxford 1955. على دراسة وافية للارشيف الصهيوني حول هذا الموضوع .

٥٢ – رسالة روبن الى جاكوبسون ، ١٢ مايو ١٩١٤ (ملحق مقال السبرج) وقد انتقد جاكوبسون هذه السياسة لان عملية نقل السكان يبرر مخاوف العرب بأن الصهيونيين يهدفون ازاحتهم من اراضيهم . بين هذه الشخصيات – كما تذكر المصادر الصهيونية – ناصيف الخالدي ، وعبد الرحمن الشهبندر ، ومحمد كردعلي ، وجورج فاخوري .

٥٤ – مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

٥٥ – مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

٥٦ – مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

٥٧ – هذه الشخصيات هي : محي الدين الحسيني ، احمد عارف الحسيني ، سعيد عبد الحي الحسيني ، حسني خيال (من غزة) ، اسماعيل الحسيني وسعيد الحسيني (من القدس) ، محمود ابو الهدى وسليم الشيخ علي وعبدالله الصاوي (من يافا) ، سعيد الكرمي (من طولكرم) وصاحب الرسالة (حافظ السعيد) .

٥٨ – مراسلات اسعد داغر ضمن مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

٥٩ – مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

٦٠ – حسب تقرير هوخبرج المشار اليه سابقا ، ان المبادرة جاءت من ابراهيم سليم النجار .

٦١ – هذا القسم من الرسالة تالف .

٦٢ – **فتى العرب** ، ٢٠ يونيو ١٩١٤ .

٦٣ – **فلسطين** ، ٤ يوليو ١٩١٤ .

٦٤ – **الكرمل** ، ١٢ يونيو ١٩١٤ .

٦٥ – مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

٦٦ – نجيب شقير هو رئيس تحرير جريدة **بيام** لسان الحركة العربية ، الاستانة وتصدر باللغة التركية .

٦٧ – مقال السبرج (العبري) **المذكور سابقا** .

٦٨ – **المنار** ، اغسطس ١٩١٤ ، ص ٦٩٧ – ٧٠٨ .

٦٩ – **الاقدام** ، اغسطس ١٩١٤ .

٧٠ – Cohen, Aaharon, *Israel and the Arabs World,* London 1970, p. 106.

٧١ – *Ibid.,* p. 105.

مراجعات

بن — تسيون دينور (رئيس التحرير) ، **« سيفر تولدوت هاهاغاناه »** ، (« كتاب تاريخ الهاغاناه ») (تل ابيب ، عام عوفيد ، ١٩٧٣ — القسم الثالث) (بالعبرية)

ان القسم الثالث من « كتاب تاريخ الهاغاناه »، موضوع هذه المراجعة ، هو الاخير من مجموعة من ٨ مجلدات تقع في ٤٥٣٦ صفحة من القطع الكبير (القسم الاول : مجلدان — ١٠٠٢ ص ، القسم الثاني : ٣ مجلدات — ١٤٦٦ ص ، والقسم الثالث : ٣ مجلدات — ٢٠٦٨ ص، منها ٤٦٥ ص من المصادر والوثائق والفهارس) تبحث في تاريخ الهاغاناه ، كبرى المنظمات العسكرية الصهيونية في فلسطين ، منذ نشأتها وحتى صدور الامر الرسمي باقامة « جيش الدفاع الاسرائيلي » يوم ١٩٤٨/٥/٣١ ، التي شكلت الهاغاناه عموده الفقري . وقد اعدت الكتاب مجموعة من الباحثين، كانت قد كلفت بذلك العمل بعد نهاية حرب ١٩٤٨ / ١٩٤٩ مباشرة ، وصدر القسمان الاولان منه بين ١٩٥٤ و١٩٦٤ ، بعد أن تولت « معرخوت »، دار النشر التابعة للجيش الاسرائيلي نشرهما . وتولت اصدار القسم الثالث دار نشر خاصة بعد ان عارضت كتلة غاحال ، يوم كانت مشتركة في حكومة التكتل الوطني ، استمرار دار نشر رسمية باصدار كتاب لا يتخذ موقفا وديا من آبائها — منظمتي اتسل (الارغون) وليحي (شتيرن) . أما رئيس تحرير الكتاب ، البروفسور بن — تسيون دينور (دينبورغ) ، فهو عميد قسم التاريخ اليهودي المعاصر في الجامعة العبرية بالقدس سابقا ، ومن واضعي المؤلفات العديدة في مجال اختصاصه ، وقد توفي قبل بضعة أشهر .

ان « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، رغم عنوانه ، لا يبحث في تاريخ منظمة الهاغاناه وما يتصل بها فقط ، وانما يتطرق ايضا الى معالجة تاريخ النشاط الصهيوني في فلسطين منذ خطواته الاولى خلال الثلث الاخير من القرن التاسع عشر وحتى سنة ١٩٤٨ ، انطلاقا من الافتراض القائل ان تاريخ الهاغاناه ، وبالتالي تاريخ الجناح العمالي الصهيوني ، مؤسس الهاغاناه ، مؤيدها وزعيمها، هو نفسه تاريخ النشاط الصهيوني في فلسطين واحيانا تاريخ الصهيونية بأسرها.وهذا الافتراض، وان لم يكن له ما يدعمه بالنسبة للفترة التي يغطيها القسم الاول من الكتاب (منذ بداية النشاط الصهيوني في فلسطين وحتى ١٩٢٠) او القسم الثاني (١٩٢٠ — ١٩٣٩) ، يوم كانت الهاغاناه منظمة صغيرة ، وكانت اهدافها فوق طاقتها ، رغم ما احرزته من تقدم وقوة في اواخر تلك الفترة ، خلال سني الثورة العربية الكبرى في فلسطين (١٩٣٦ — ١٩٣٩) من خلال تعاونها مع البريطانيين لسحق الثورة ، فانه لا يخلو من الصحة بالنسبة للفترة التي يغطيها القسم الثالث (منتصف ايار ١٩٣٩ — اواخر ايار ١٩٤٨) . فخلال هذه الفترة الحافلة بالاحداث ، تعاظمت قوة الهاغاناه وقوة الجناح العمالي الصهيوني بشكل لا مثيل له ، اذا ما قورنت بما كانت عليه في السابق ، بحيث استطاعت في النهاية مقاومة السياسة البريطانية في فلسطين ، عند الضرورة ، وخوض حرب ١٩٤٨ بنجاح واقامة اسرائيل .

يتضح من مجمل ما جاء في الكتاب ، ومن الوثائق التي يحتوي عليها ، ان الكتاب الابيض الذي أصدرته الحكومة البريطانية في ايار ١٩٣٩ ، في محاولة لانهاء الثورة العربية في فلسطين ولكسب هدوء العرب وعطفهم ، في ظل الخطر النازي الداهم ، كان بمثابة ناقوس الخطر الذي ايقظ الصهيونية ودفعها الى شد الاحزمة والاعتماد على

النفس (ص ١٨٩) واعادة النظر في موقفها من بريطانيا . فقد اعتبرت الزعامة الصهيونية التعليمات التي احتوى عليها الكتاب الابيض ، وخاصة تلك التي تقيد حرية اليهود في شراء الاراضي العربية في فلسطين ، وبالتالي تعرقل عمليات الاستيطان الصهيوني ، وتحدد الهجرة اليهودية الى البلد ضربة مؤلمة للاسس الرئيسية التي تقوم عليها الصهيونية ونهاية لـ ٢١ سنة من التعاون ضمن اطار سياسة اقامة الوطن القومي (ص ٩)، نتيجتها القضاء على الاماني الصهيونية في اقامة دولة فلسطين ، ولهذا ينبغي مقاومتها والعمل على تغييرها ، او التحايل عليها والاستمرار في بناء الكيان الصهيوني . وهي الطرق التي اتبعتها الحركة الصهيونية في علاقتها مع بريطانيا منذ نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ وحتى خروج البريطانيين من فلسطين سنة ١٩٤٨ .

كان من بين النتائج الرئيسية لصدور الكتاب الابيض ، على الصعيد السياسي ، تقوية الاتجاه الصهيوني المؤيد لقيام دولة يهودية في فلسطين ، دون الاعتماد بشكل رئيسي على بريطانيا او حتى من خلال الصراع معها وازدياد نفوذ الفئة المؤيدة لهذا الاتجاه ، بزعامة بن ـ غوريون ، ومن خلال خلاف مع وايزمن (ص ١٨٨ و٨٠٦) . وقد استمر هذا الاتجاه سائدا حتى اقامة اسرائيل وظهر بوضوح في مقررات مؤتمر بلتيمور (١٩٤٢) ومقررات المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين (١٩٤٦) . أما الخطوة الاولى التي ترتبت على ذلك الاتجاه فكانت اتخاذ ادارة الوكالة اليهودية، في حزيران ١٩٣٩ ، قرارا يقضي باعداد الهاغاناه « ليس لاغراض الدفاع فقط ، وانما كنواة الجيش اليهودي » (ص ٤٢) ، بعد أن كلفت بن ـ غوريون بتنظيم شؤونها . وقد كانت هذه الخطوة بمثابة تدشين فترة من ٢٥ عاما استمر بن ـ غوريون خلالها بالاشراف على الشؤون العسكرية، ففي عام ١٩٤٦ كلف برئاسة « دائرة الدفاع » التابعة للوكالة اليهودية (ص ١٣٢٢) ، ومع اقامة اسرائيل اصبح اول وزير دفاع لها واستمر يحتفظ بمنصبه هذا ، عدا فترة قصيرة ، حتى اعتزاله الحياة السياسية سنة ١٩٦٣ .

ان الاتجاهات التي أشرنا لها ، والاعتبارات الكامنة وراءها ، هي التي بلورت مواقف الجناح العمالي الصهيوني ودفعته الى اتباع سياسة مرنة ، لدعم قوته وصقلها من خلال التعاون مع الفئات الصهيونية الاخرى التي استطاع كسبها الى جانبه ، او التعاون مع جزء منها دون الاخر، بين الفينة والاخرى ، حسب متطلبات الوضع الراهن . كذلك اتبعت الزعامة الصهيونية نفس السياسة مع بريطانيا ، فتعاونت معها من حين لاخر خلال فترات معينة ، او في مجالات معينة تعود عليها بالفائدة ، ولم تتردد في مقاومتها بالنسبة للاجراءات التي تعتبرها الصهيونية مناهضة لمصالحها الحيوية ، حتى خلال فترات التعاون مع بريطانيا .

كان من بين اولى الاجراءات التي اتخذتها القيادة الصهيونية بعد قرارها تحويل الهاغاناه الى « نواة للجيش اليهودي » ، بعد صدور الكتاب الابيض ، توسيع قاعدة المنظمة الشعبية واقامة « رئاسة اركان » لها مشكلة من ممثلين عن حزب مباي ، زعيم الجناح العمالي من جهة ، « المدنيين » (الفئات اليمينية المعتدلة ــ فيما بعد حزب التقدميين) ومنظمة همزراحي المتدينة (فيما بعد الحزب الديني القومي) من جهة اخرى، على أساس التساوي بين الطرفين ، رغم ان قوة الجناح العمالي ، عدة وعددا ، كانت تفوق باضعاف قوة الطرف الاخر ، وذلك في محاولة ناجحة لعزل المنظمة العسكرية الاخرى المناوئة للهاغاناه ، اتسل ، التي كانت خاضعة لسيطرة اليمين المتطرف من الصهيونيين الاصلاحيين، بزعامة جابوتينسكي ، واتباعهم . ولقد استمر هذا الاتفاق ، الذي أسفر عن اقامة هاغاناه متماسكة، والتعاون بموجبه قائمين ، رغم التعديلات التي ادخلت عليه (ص ٥٣ ــ ٥٥ و ٢١٥ ــ ٢٢٥) حتى ١٩٤٨ ، بل اتضح انه لا يزال ساري المفعول حتى اليوم ، اذ أن تلك القوى اصبحت فيما بعد القوى الرئيسية التي شكلت معظم الحكومات الاسرائيلية .

بعد تشكيل « رئاسة اركان » الهاغاناه ، دار البحث في المنظمة حول « الاجراءات » التي ينبغي اتخاذها ضد السلطات البريطانية في فلسطين ، ردا على سياسة الكتاب الابيض ، غير انه قبل الانتهاء من تلك المداولات ، نشبت الحرب العالمية الثانية في اول ايلول ١٩٣٩ ، مما دفع المنظمة الى تعديل سياستها والاتجاه نحو التفتيش عن

المجالات التي تستطيع التعاون مع بريطانيا ضمنها . اما اولى الطلبات التي تقدمت بها الصهيونية اثر ذلك فكانت الدعوة الى اقامة جيش يهودي ، من أبناء اليهود في فلسطين ، للاشتراك في الحرب الى جانب الحلفاء ، وهو نفس المطلب الذي تقدمت به الصهيونية خلال الحرب العالمية الاولى ، ولما لم تجد استجابة فورية لذلك ، لجأت الى دعم « المجهود الحربي » البريطاني ، بواسطة تزويد القوات البريطانية في فلسطين بمعظم حاجاتها من الغذاء والخدمات اولا ثم بعض المنتجات الصناعية والحربية ، مما ساعد في نهاية الامر على تقوية الاقتصاد الصهيوني في فلسطين بشكل ملحوظ (ص ٢٠٣ — ٢١٠) .

استمرت القيادة الصهيونية في مطالبتها باقامة جيش يهودي ، حتى تم لها ما ارادت خلال السنة الاخيرة من الحرب ، عندما اقيمت في اواخر ١٩٤٤ « الفرقة اليهودية » ، ولكن التعاون في المجال العسكري بين الصهيونية وبريطانيا كان قد بدأ قبل ذلك باربع سنوات . وقد حدث التغيير في منتصف سنة ١٩٤٠ ، بعد أن دخلت ايطاليا الحرب الى جانب المانيا وشعرت بريطانيا بالخطر يهدد وجودها في البحر المتوسط والشرق العربي (ص ٩١) ، ورغم ذلك استمرت في رفض عروض الصهيونية اقامة جيش يهودي ، ولكنها عرضت عليها بدلا من ذلك حث اليهود على التطوع في الجيش البريطاني . اما القيادة الصهيونية فقد اعتبرت تلك العروض بمثابة « مناسبة لتدريب الالاف من شبابنا على حساب الامبراطورية البريطانية » (ص ٣٠٢) فلجأت الى تنظيم عمليات التطوع ، موعزة للكثيرين من اعضاء الهاغاناه للقيام بذلك . ولقد ثبت فيما بعد أن هذه الخطوة كانت من الخطوات الهامة التي أقدمت عليها الصهيونية خلال الحرب ، اذ اتضح بعد نهاية الحرب وتسريح الجيوش ان ٢٦٫٦٢٠ يهوديا من فلسطين كانوا قد خدموا في الجيش البريطاني اثناء الحرب (منهم في سلاح المشاة — ٤٨٦٧ جنديا ، الهندسة — ٤٣٦٠ ، الجو — ١٨٦٣ ، البحرية — ١١٠٥ والمدفعية — ٦٧٠) وذلك بالاضافة الى ٨٠٠ شخص تجندوا للفرقة اليهودية راسا و ٦ الاف من الخفراء (نوطريم) كانوا يعملون في فلسطين (ص ٦٩٩ — ٧٠٠) . وبعبارة اخرى ، فقد تم خلال الحرب تدريب ما يقارب من ٣٠ الف يهودي في فلسطين على استعمال السلاح ، بكافة انواعه ، بفضل تعاون الصهيونيين مع بريطانيا . ولقد كانت تلك القوى البشرية خير نواة للجيش الاسرائيلي ، الذي اقيم بعد حوالي السنتين من تسريح الدفعات الاخيرة من اولئك المجندين .

ولم يكن تدريب ذلك العدد من الجنود والضباط الانجاز الوحيد الذي حققته الهاغاناه خلال الحرب ، اذ يؤكد الكتاب ان البريطانيين ايضا كانوا احدى القوى الرئيسية التي ساعدت على تشكيل كتائب البلماح ، قوى الهاغاناه الضاربة ، بعد أن ساهموا في تمويل اقامة هذه الوحدات (ص ٣٨٤) لتعمل ضد الالمان ، اذا ما احتلوا فلسطين . ولم يستمر التمويل البريطاني لنشاط البلماح طويلا ، على أية حال ، ولكن مع ايقافه وجدت حركات الكيبوتسات طريقة ناجعة لتقديم الاموال اللازمة ، خاصة بعد أن رفض جناح « المدنيين » في قيادة الهاغاناه تمويل اقامة قوى ضاربة ، فأعلنت عن تبنيها لوحدات البلماح (ص ٣٩٧) ودعتها لاقامة معسكراتها في المستوطنات الزراعية المختلفة ، حيث يخصص نصف وقت المجندين لمساعدة أبناء المستوطنة في الاعمال الزراعية والنصف الباقي للتدريب (وكان هذا الترتيب أساسا لوحدات الناحال التيأقامها الجيش الاسرائيلي فيما بعد) . وبسبب قلة الموارد المالية اتبع البلماح ايضا طريقة العمل من خلال الاحتفاظ بقوات احتياط ، وذلك بتسريح المجندين الذين يتم تدريبهم والاحتفاظ بهم كاحتياط لايجاد مكان لتدريب المجندين الجدد (وهذه الطريقة ايضا أصبحت من الاسس التي اتبعها الجيش الاسرائيلي فيما بعد).

كانت اقامة كتائب البلماح ، كما اتضح فيما بعد ، اهم خطوة اتخذها الجناح العمالي الصهيوني ، المسيطر على الحركة الصهيونية ، لتأمين نفوذه وقوته خلال هذه الفترة والتي ساعدته على تسلم مقاليد الحكم في اسرائيل عند اقامتها . فاحجام « المدنيين » عن الاشتراك في اقامة تلك الكتائب وتمويلها والاشراف عليها ، ترك المجال مفتوحا امام الزعامة العمالية ، ممثلة في ابناء الكيبوتسات لبسط سيطرتها شبه المطلقة على تلك القوات ، وبشكل تمكنت معه حركة هاكيبوتس هاميئوحاد من بسط نفوذها على البلماح بكامله (ص ١٣١٦ — ١٣١٧) . صحيح أن هذا النفوذ كان احد الاسباب الرئيسية وراء قرار بن —

غوريون بحل قيادة البلماح وتصفية كتائبه بواسطة مزجها بكتائب اخرى في الجيش الاسرائيلي ، وذلك بعد ان كان هاكيبوتس هاميئوحاد والحزب الذي تزعمه ، احدوت هعفوداه قد انشقا سنة ١٩٤٦ عن مباي ، حزب بن — غوريون ولكن ذلك لم يتم الا في نهاية سنة ١٩٤٨ ، عندما كانت الحرب العربية الاسرائيلية تقترب من نهايتها ، وبعد ان كان البلماح قد نفذ معظم المهام التي القيت على كاهله . فمن بين كتائب البلماح شكلت الوحدات التي قامت « باصطياد » اعضاء اتسل ، المنظمة المناوئة للهاغاناه وتسليم العديدين منهم للسلطات البريطانية (ص ٥٣٥ — ٥٣٧) ، ضمن ما عرف بحملة « السيزون » في اواخر ١٩٤٤ واوائل ١٩٤٥ ، وذلك بعد ان فاق الارهاب اتسل ، بقيادة بيغين ، الحد المسموح به حسب « تقاليد » الهاغاناه واصبح يشكل خطرا عليها وعلى البريطانيين ، وهي الحملة التي أسفرت عن اضعاف اتسل عسكريا واقتصاديا ، بعد اعتقال العديدين من اعضائها ومنع التبرعات عنها . ولكن من بين كتائب البلماح ايضا جاءت الوحدات التي شنت الهجومات على القوات البريطانية في فلسطين ومرافقها الحيوية سنة ١٩٤٦ ، وهذه المرة بالاشتراك مع اتسل بالذات وليحي ايضا ، ضمن ما سمي « حركة العصيان العبري » ، التي اقيمت بهدف العمل على حمل بريطانيا عنوة على تغيير سياستها تجاه المستوطنين اليهود في فلسطين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية والاستجابة لطلبات الحركة الصهيونية . وكانت قوات البلماح هي التي نفذت العملية الاخيرة في تلك السلسلة من العمليات المشتركة للمنظمات العسكرية الصهيونية الثلاث ، عندما قامت ليلة ١٩٤٦/٦/١٧ بنسف كل الجسور الرئيسية التي كانت تصل بين فلسطين والدول المجاورة (ص ٨٨٠ — ٨٨١) ، وهي العملية التي أثارت حنق السلطات البريطانية ودفعتها الى اتخاذ اجراءات مضادة ، فقامت يوم ١٩٤٦/٦/٢٩ ، وهو ما سمي فيما بعد « السبت الاسود » باعتقال زعماء الوكالة اليهودية مع بعض الزعماء الاخرين من بين المستوطنين اليهود في فلسطين والزج بهم في السجن (ص٨٨٩ — ٨٩٣). وقد كانت تلك الاجراءات هي السبب في قيام اتسل بنسف فندق الملك داوود في القدس ، حيث كانت المكاتب الرئيسية لحكومة الانتداب ، يوم ٧/٢٢/ ١٩٤٦ ، مما أسفر عن مقتل نحو ٨٠ شخصا من كبار الموظفين . وفي تعليقه على هذه العملية لا يورد الكتاب (ص ٨٩٨ — ٩٠١) تفاصيل جديدة يمكن ان تكذب ادعاء اتسل بانها قامت بتلك العملية بمعرفة الهاغاناه وبأمر من القيادة المشتركة ، وهو ما انكرته الهاغاناه فيما بعد ، وذلك لتدمير الوثائق التي حصلت عليها السلطات البريطانية عندما اقتحمت المكاتب الرئيسية للوكالة اليهودية يوم « السبت الاسود » .

ان قوات البلماح لم تكن كثيرة العدد ، ففي شهر تشرين الثاني ١٩٤٧ بلغ عدد العاملين فيها ٢١٠٠ رجل ، بالاضافة الى ١٠٠٠ رجل في الاحتياط ، ولكن خلال الاشهر الاولى لسنة ١٩٤٨ ارتفع عددها الى ٤٠٣٥ رجلا وفي اوائل ايار ١٩٤٨ وصل الى ٥٩٠٦ جنود ، منهم ١٠٤٨ فتاة (ص ١٤٨٦ — ١٤٨٩) . ولكن على الرغم من ذلك فقد كانت تلك القوات بمثابة رأس الحربة للقوات اليهودية التي حاربت العرب في فلسطين وتمكنت من احتلال مناطق ومدن عربية عديدة ، بعد حسم عدة معارك مهمة لصالح اليهود ، وذلك قبل دخول الجيوش العربية الى البلد يوم ١٩٤٨/٥/١٥ .

ان ما ذكرناه حتى الان يلخص الانجازات الاساسية التي حققتها الصهيونية من خلال التعاون مع بريطانيا خلال الحرب او عقب ذلك ، ولكن هذا التعاون — كما أشرنا — لم يكن الطريق الوحيد الذي لجأت اليه الهاغاناه والحركة الصهيونية ، اذ يكشف الكتاب أيضا عن الاساليب التي اتبعتها الصهيونية لتحقيق اهدافها في المجالات الاخرى ، ويتحدث باسهاب عن المحاولات والمشاريع التي وضعتها الهاغاناه لتنمية طاقاتها وانشاء كافة الفروع التي يمكن ان يحتوي عليها جيش نظامي او الضرورية لقيامه ، مثل صناعة الاسلحة على اختلاف انواعها او شرائها من الخارج وكذلك اقامة نواة لقوى طيران وبحرية ومدفعية وسلاح هندسة، الخ . ولكن يتضح ان النجاح لم يكن حليف الهاغاناه في معظم تلك المحاولات ، اذ اتضح فيما بعد ، خلال حرب ١٩٤٨ ، ان المستوطنين اليهود كانوا بحاجة ماسة الى المساعدة من الخارج في معظم تلك المجالات ، حيث أن ما تم انجازه ضمنها لم يكن كافيا للسماح للهاغاناه بخوض حرب مع العرب .

اضافة الى المجالات التي أشرنا لها ، يشير الكتاب الى مجالات اخرى نشطت الهاغاناه ضمنها لوحدها ، وخاصة مجالي الهجرة والاستيطان الحيويين . ولا يأتي الكتاب بأي جديد بالنسبة للاساليب التي اتبعتها الهاغاناه لتهجير اليهود بالطرق غير الشرعية الى فلسطين واستيعابهم هناك ، ولكنه يكذب المزاعم الصهيونية التقليدية من أن الهدف من هجرة اليهود الى فلسطين هو انقاذهم من الاضطهاد الذي يتعرضون له في دولهم الاصلية ، اذ يتضح ان التعليمات التي صدرت للعاملين في مجال الهجرة خلال هذه الفترة كانت تقضي بالعمل على تهجير الشباب اليهود الى فلسطين قبل اي فئة اخرى ، وذلك لزيادة عدد من يستطيعون حمل السلاح بين اليهود . فبعد صدور الكتاب الابيض اعلن بن — غوريون ، رئيس الوكالة اليهودية يومها ، « ... ان الهدف الرئيسي ... هو زيادة عدد الشبان (اليهود) في البلد ، تدريبهم وتسليحهم » (ص ٢٤) ثم عاد وكرر هذه التعليمات فيما بعد (ص ٧٨) . كذلك جاء في التعليمات التي صدرت لنشيطي « الموساد » ، المؤسسة المشرفة على شؤون الهجرة الشرعية ، في اوروبا بأن عليهم ان يرسلوا الى فلسطين المهاجرين « الشباب ، المستعدون للانضمام في حال نزولهم من السفينة الى قوات الهاغاناه المقاتلة » (ص ١٤٦٣) وانه من المفضل انه يكون اولئك من بين الشباب الذين تتراوح اعمارهم بين ١٧ و٢٢ سنة (ص ١٤٦٥) . وكان من نتيجة هذا النشاط ان بلغت نسبة اليهود ، الذين تتراوح اعمارهم بين ٢٠ — ٤٢ سنة ، عام ١٩٤٨ نحو ٤٢ ٪ من مجموع السكان ، رغم ان عدد اليهود عامة بلغ ثلث عدد السكان في فلسطين يومها (ص ١٢٠٧) . كذلك يكشف الكتاب النقاب عن أن بذور النشاط الصهيوني بين يهود العراق وسوريا وايران وشمال افريقيا ، الهادف الى تهجيرهم الى فلسطين ، وفيما بعد الى اسرائيل ، كانت قد زرعت خلال الحرب العالمية الثانية ، بواسطة مبعوثي الهاغاناه العاملين تحت ستار عمال شركة « سوليل بونيه » في العراق وسوريا وايران وبواسطة الجنود اليهود العاملين مع قوات الحلفاء في شمال افريقيا (ص ١٦٣ — ١٦٨ و ١٠٨٠ — ١٠٩٠ و ١١٤٩ — ١١٥٢) ، وهي الجهود التي اثمرت خلال السنوات الاولى لاقامة اسرائيل .

وعلى صعيد الاستيطان ، يؤكد الكتاب ان الخطة الاستيطانية التي اتبعتها القيادة الصهيونية بعد صدور الكتاب الابيض (« الاستيطان الاحتلالي ») كانت تتمة لنظرية مستوطنات «السور والبرج» التي لجأت الصهيونية لتنفيذها بعد أن طرحت فكرة تقسيم فلسطين الى دولتين ، عربية ويهودية ، اثر نشوب الثورة العربية الكبرى في البلد في اواخر الثلاثينات . وتقضي الخطة «بزرع» مستوطنات يهودية في اماكن مختلفة في فلسطين ، خاصة الاستراتيجية منها التي لم تطأها قدم الاستيطان الصهيوني حتى ذلك الوقت ، في محاولة لعرقلة المحاولات الهادفة الى تقسيم البلد . ولقد تم بالفعل اقامة ما يقارب من ٣٥ مستوطنة من هذا الصنف خلال ١٩٣٧ و١٩٣٨ في اماكن مختلفة في فلسطين . وبعد صدور الكتاب الابيض اقيمت ١٥ مستوطنة اخرى سنة ١٩٣٩ ، بعد أن الغت القيادة الصهيونية التقليد « الذي تعهدت بموجبه باعلام السلطات (البريطانية) مسبقا عن اقامة مستوطنات جديدة » (ص ٣١) . وقد استمرت الصهيونية في اتباع هذه الاساليب في اقامة المستوطنات خلال سني الحرب (ص ٢٠١ — ٢٠٢) وبعدها ، عندما اصبحت تلك المستوطنات ، التي زاد عددها على ٣٠٠ مستوطنة ، مع بداية حرب ١٩٤٨ « قلاعا للهاغاناه ووحداتها المجندة ، كتائب البلماح » (ص ١٢١٠) .

يولي مؤرخ الهاغاناه في كتابه مواقف منظمته وخططها المختلفة تجاه عرب فلسطين عناية فائقة، ولكن قبل ان نتطرق الى هذا الموضوع ، نرى من المناسب ان ننقل رأيه بشأن التطورات والاتجاهات السياسية التي سادت كلا من الجانبين اليهودي والعربي وموقفه من نشاطهما . ويرى المؤرخ ان نقل الاهتمام بشؤون فلسطين سياسيا الى الجامعة العربية ، التي اقيمت خلال الحرب ، كان « انجازا سياسيا كبيرا ، ولكن هذا الانجاز، الذي كان خياليا من نواح عديدة ، ادى الى اضعاف نشاط [الفلسطينيين] السياسي المستقل، ويبدو ان الخسارة منه في النهاية كانت اكثر من الربح » . ويضيف : « في نفس الوقت الذي حدث فيه ، خلال تلك السنوات ، تطور حاسم داخل الحركة القومية اليهودية ، ادى الى نقل مركز

نقل العمل السياسي من الحركة الصهيونية العالمية الى الييشوف [المستوطنين اليهود] في البلد ، مما منحهم قدرة وحيوية لم يعرفوا مثلها خلال كل السنوات السابقة ، حدث بين الجماهير العربية في البلد تطور عكسي ، فانتقل مركز نشاطهم السياسي خلال سنوات الحرب الى هيئة سياسية موجودة خارج بلدهم [الجامعة العربية] » (ص ١١٨ — ١١٩) . ويضيف في مكان اخر (ص ١١٩٦) انه بينما كان « اليهود يحضرون المهاجرين غير الشرعيين ،يهاجمون محطات الشرطة، يعتقلون ويحاكمون بجماهيرهم ، كان العرب يحافظون على هدوئهم » . وهو « الهدوء » الذي كان أحد أسباب النكبة التي حلت بهم سنة ١٩٤٨ .

أما بالنسبة للاحتياطات التي اتخذتها الهاغاناه في المجال العربي ، فيبدو ان المنظمة وقادتها تعلموا جيدا دروس الاخطاء التي ارتكبوها اثناء تعاملهم مع العرب في السابق ، خاصة خلال الاضطرابات ، وحصروا فشلهم في شقين : الاول عدم توفر المعلومات لديهم عما يجري بين العرب والثاني انعدام الخطط الواضحة للعمل بموجبها في حالة الضرورة . وقد نشطت الهاغاناه ، بشكل فعال ، للعمل على سد النقص في هذين المجالين . ففي حزيران ١٩٤٠ افتتحت دائرة عربية في مخابرات الهاغاناه (شاي) ، برئاسة عزرا دنين ، وكلفت بتأسيس ارشيف للمعلومات عن « التركيب [الاجتماعي ؟] للمدن والقرى العربية في البلد»، بالاضافة الى جمع المعلومات عن « مدى اشتراك كل منها في حوادث ١٩٣٦ — ١٩٣٩ » وكذلك باقامة « شبكة من المخبرين العرب» (ص ٢٤٤). غير انه بعد أن لوحظ أن عمل الدائرة لم يتقدم بما فيه الكفاية ، كلف يعقوب شمعوني ، احد المستشرقين اليهود البارزين وقتها (مؤلف كتاب « عرب فلسطين » ، تل ابيب ، عام عوفيد ، ١٩٤٧) بتولي رئاسة الدائرة « وبدأ التحسين في عملها » (ص ٢٤٧) . فاستمر النشاط في جمع المواد « لملفات القرى » ، وبعد ذلك كلفت وحدات الاستطلاع التابعة للبلماح بالاهتمام بالنواحي الطوبوغرافية لتلك القرى (ص ٤٤٧) ، وبالاضافة الى ذلك « اقيم ارشيف عربي منظم مع بطاقات ، جمعت فيه التفاصيل الشخصية عن الزعماء العرب القطريين والمحليين ، قادة العصابات ، المحرضين وما شابه » . كذلك « فتحت ملفات مماثلة للمدن [العربية] في البلد » وتم القيام « باعمال استخبارات واسعة بشأن بعض الاشخاص ، الذين ظهر انهم سيكونوا بين زعماء المستقبل » (ص ٢٤٧) ، بما في ذلك جمع التفاصيل عن اماكن سكناهم ، تسليتهم ، تحركاتهم ، اماكن عملهم وطريقة الوصول الى اماكن نومهم . وفي مرحلة لاحقة ، طرأ « تغيير جذري على نشاط شاي عندما ادرجت القراءة الكاملة للصحافة العربية ، التي اصبحت مصدرا غير مخيب للامال لجمع المعلومات والتعرف على العرب في البلد » ، وكذلك « بذل جهد كبير للاتصال مع مخبرين عرب من بين اعلى المستويات الاجتماعية » (ص ٢٤٧ — ٢٤٨) . « ومع نهاية سنوات الحرب [العالمية] وصلت الدائرة العربية ، بصورة او بأخرى ، الى مستوى لاءم متطلبات منظمة الهاغاناه » (ص ٢٤٨) .

لم يكن العمل في مجال المخابرات بين العرب النشاط الوحيد الذي قامت به الهاغاناه خلال تلك الفترة ، اذ اضيف اليه ايضا — كما اشرنا — نشاط مكثف في وضع الخطط العديدة ، الهجومية والدفاعية،في ضوء الاوضاع السياسية والعسكرية التي سادت المنطقة وقتها . ويكشف الكتاب النقاب على ان الهاغاناه وضعت اول خطة عسكرية شاملة موضع التنفيذ في نيسان ١٩٤١ ، وهي الخطة التي اطلق عليها اسم « الخطة أ » ، وملخصها تقسيم قوات المنظمة الى قسمين ، يتوليان القيام بأعمال الدفاع الثابت والمتحرك عن المستوطنات والمستوطنين اليهود في حالة نشوب اضطرابات في البلد بين العرب واليهود (ص ٢٣٥ — ٢٣٧) . وفي ايار ١٩٤٢ ادخلت تعديلات طفيفة على تلك الخطة ، وتغير اسمها الى « الخطة أ/١ » وبقيت سارية المفعول حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ولكن في سنة ١٩٤٣ بدأ اعداد خطة ثانية ، « الخطة ب » ، تحت « تأثير النجاح الفائق لوحدات البلماح » (ص ٢٣٩) ولكن هذه الخطة لم تذهب بعيدا عن تلك التي سبقتها ، واكتفت بأن اضافت اليها مبدأ «الدفاع الهجومي»، اي « تدمير قوة العدو المسلحة قبل أن يصل الى اهدافه » (ص ٢٣٩) وأقرت خلال ايلول ١٩٤٥، ولكن انتهاء الحرب العالمية الثانية وتغيير الاوضاع السياسية عقب ذلك ، جعل الخطة غير ملائمة

قبل البدء بتنفيذها ، ولهذا بوشر بوضع خطة جديدة . اما هذه الخطة ، التي عرفت باسم « خطة ايار ١٩٤٦ » فقد اعتمدت الخطتين السابقتين اساسا لها واضافت فصلا يحتوي على التعليمات بشأن الاجراءات التي ينبغي اتخاذها لمجابهة اي هجوم قد يشنه العرب على اليهود . وقد جاء في الفصل عن « الاجراءات المضادة » في تلك الخطة التي ينبغي على الهاغاناه اتخاذها ان الهدف من تلك الاجراءات هو « ضرب كل عنصر [عربي] في بداية اعمال [الهجوم] ، يمكن ان يؤدي ضربه الى ردع المنفذين ومنع تعاون الجماهير العربية مع المنفذين او مساعدتها لهم ». كذلك لا حاجة لان تنفذ الاعمال الانتقامية ضد « منفذي عمل ما انفسهم ، وانما ضد عناصر نشيطة اخرى او المتعاونين معها » ، ومن المفضل ان تتم تلك الاعمال في العمق العربي « لزعزعة ثقة العرب » بأنفسهم (ص ١٢٥٤) . اما « الاهداف » التي سمح بضربها فكانت الزعامة السياسية ، المحرضين ، المنفذين ومن يمنحهم مأوى ، كبار الضباط والموظفين العرب ومساعديهم . كذلك ينبغي « ضرب المواصلات العربية ، المرافق الاقتصادية (المياه والمطاحن)، [والقيام] بهجومات على القرى والاحياء والمزارع التي تستعمل كقواعد للقوى العربية المسلحة ، وضرب النوادي والمقاهي والاجتماعات والمؤتمرات وما شابه » (ص ١٢٥٤ — ١٢٥٥) . وفي مرحلة لاحقة اضيف ملحقان لتلك الخطة في تشرين الاول وكانون الاول ١٩٤٦ ، يبحث الاول منهما في الاجراءات التي يتوجب اتخاذها اذا لم تتدخل القوات البريطانية لمنع هجوم عربي على اليهود والثاني في حالة تعاون الطرفين ، البريطاني والعربي ، ضد اليهود (ص ١٢٥٥) .

غير أن اهم تلك الخطط ، واخطرها ، كانت « الخطة د » التي بوشر بوضعها في اواخر ١٩٤٧ ومطلع ١٩٤٨ (باسم « خطة يهوشواع » اولا)، بعد صدور قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ، التي كان من المقرر وضعها موضع التنفيذ مع جلاء البريطانيين عن فلسطين يوم ١٩٤٨/٥/١٥ ، ولكن القتال الذي نشب بين العرب واليهود قبل ذلك دفع قيادة الهاغاناه الى البدء بتنفيذها يوم ١٩٤٨/٣/١٠ (ص ١٥٥٩) . وبنشره اسس هذه الخطة (انظر الملاحق ، ص ١٩٥٥ — ١٩٥٩) ينسف الكتاب ، بشكل نهائي وقاطع ، وبما له من صفة « رسمية » ، المزاعم الصهيونية من أن عرب فلسطين ، او اكثريتهم ، تركوا ديارهم وهربوا بمحض ارادتهم او بناء على تعليمات صدرت اليهم من زعمائهم . ويتضح من قراءة التعليمات التي تحتوي عليها تلك الخطة ، ان المزاعم الصهيونية بشأن ترك العرب بيوتهم ليس لها ما يدعمها ، حتى وان كانت صحيحة في حالات معينة ، فان النتيجة ستكون في نهاية الامر نفس الشيء ، اي طرد السكان العرب من بيوتهم بالقوة ان رفضوا تركها، نظرا للاوامر الصريحة بهذا الشأن التي تتضمنها الخطة .

تعلن « الخطة د » في مقدمتها ان الهدف من تنفيذها هو « السيطرة على مساحة الدولة اليهودية والدفاع عن حدودها [وفقا لقرار تقسيم فلسطين] وكذلك عن مناطق الاستيطان [اليهودي] والسكان اليهود خارج تلك الحدود ، ضد عدو نظامي او شبه نظامي او غيره ، الذي يعمل من قواعد واقعة خارج مساحة الدولة او داخلها » (ص ١٩٥٥) . وبعد ان تعلن الخطة عن تبنيها للتعليمات المنصوص عليها في الخطط السابقة ، وتأمر باتخاذ الاجراءات المناسبة ، العسكرية وغيرها ، لتأمين سلامة المستوطنين اليهود وممتلكاتهم ، تضيف انه « لاجل تأمين عمل جهاز الدفاع [اليهودي] الثابت بشكل ناجح وحماية مؤخرته » ينبغي القيام بنشاط ضد « قرى العدو » العربية ، بما فيها « ابادة [هشمداه] القرى (حرق وتفجير ولغم الخرائب) — خاصة بالنسبة للقرى التي ليس بامكاننا السيطرة عليها بشكل دائم » . ويتم ذلك بواسطة « تطويق القرية واجراء تفتيش داخلها . وفي حالة المقاومة — تباد القوى المسلحة ويطرد السكان الى ما وراء حدود الدولة». اما بالنسبة للقرى التي لا تبدي مقاومة فتسيطر القوات اليهودية عليها وتقوم ، من بين ما تقوم به ، « باعتقال كل الاشخاص المشتبه بأمرهم من الناحية السياسية » (وكثيرا ما تم قتل مثل اولئك الاشخاص رميا بالرصاص فيما بعد) . كذلك ينبغي السيطرة على الاحياء العربية المعزولة في المدن الكبيرة وطرد السكان العرب منها الى مكان التجمع الرئيسي للعرب في تلك المدن ، وتتم هذه الاعمال « وفقا لنفس الخطوط التي شرحت بالنسبة

لحو [بيعور] القرى » (ص ١٩٥٧) . والواضح الان ان الهاغاناه نفذت تلك الخطة بحذافيرها مما مكنها من « تنظيف » تلك المساحة من فلسطين ، التي احتلتها سنة ١٩٤٨ ، من أكثرية سكانها العرب وقراهم .

ان من يقرأ « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، ويطلع على النشاط الذي بذلته القوى الصهيونية في فلسطين وخارجها في مختلف المجالات خلال ما يقارب من ٧٠ عاما ، في مقابل التقصير الفلسطيني والعربي ، يصل الى نتيجة مفادها ان فقدان ذلك الجزء من فلسطين ، الذي احتل سنة ١٩٤٨، كان « حتميا » .

صبري جريس

الدكتور سعد الدين ابراهيم ، في سوسيولوجية الصراع العربي الاسرائيلي (دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٣) .

قبل التحدث عن كتاب «في سوسيولوجية الصراع العربي الاسرائيلي » ، نرى انه من الضروري ان نعرف بالمؤلف قليلا ، لما في ذلك من اضافة قيمة استثنائية لفهم وتقييم القارىء للكتاب . فالمؤلف ، الدكتور سعد الدين ابراهيم ، عمل في صفوف الحزب الشيوعي المصري ، وهو واحد من مفكريه المتازين . وشارك في تجربة الحزب قبل وبعد انحلاله ودخول عدد من اعضائه في صفوف الاتحاد الاشتراكي المصري ، او العمل في ظل برنامجه ، ومغادرة العدد الاخر الى خارج مصر . والدكتور ابراهيم يعمل الان موظفا في أحد فروع منظمة الامم المتحدة في الدول العربية .

« في سوسيولوجية الصراع العربي الاسرائيلي » كتاب صدر في اوائل هذا العام عن دار الطليعة . وهو محاولة جادة ومسؤولة لفهم الصراع العربي الاسرائيلي . صحيح ان « في سوسيولوجية الصراع العربي الاسرائيلي » لا يستغرق ولا يغطي موضوعة الصراع العربي الاسرائيلي كلها ، او حتى معظمها ، — والمؤلف لا يدعي غير ذلك — الا انه يقدم عينة لمنهجية جديدة في دراسة هذا الصراع ، وهي المنهجية السوسيولوجية . وبكلمة اخرى ، ان الكتاب مدخل لفهم الصراع العربي الاسرائيلي، وليس استقصاء لهذا الصراع . أي ان المؤلف يشير ببضعه الى مواضع ومداخل الصراع العربي الاسرائيلي — اي على سطح عناصر الصراع — ، ويعفي نفسه من مهمة غرز المبضع — والوصول الى عمق أعماق عناصر الصراع — تاركا هذه المهمة لغيره من الباحثين والدارسين . لن نعتبر ذلك مأخذا نسجله في حق المؤلف ، خاصة وانه — قبل غيره — يتحمل مسؤولية متابعة بحثه ودراسته لعناصر الصراع العربي الاسرائيلي وقوانينه مستقبلا ، وضرورة غوصه الى أعماق هذه العناصر والقوانين كي يأتي مؤلفه القادم استقصاء للصراع ، وليس مدخلا له .

قبل عرض محتويات وفصول الكتاب ، سنحدد الفصول التي سنتحدث عنها ، والفصول التي سنهملها ، مع ذكر أسباب هذا الاهمال .

يحتوي الكتاب على ثمانية فصول وخاتمة بعنوان « نحن والهزيمة وخمس سنوات » ، وهي عبارة عن محاضرة كان قد القاها المؤلف في « المؤتمر العربي — الامبركي (Arab - American Congress)، بمنطقة شيكاغو الكبرى ، في ٢٦ آذار (مارس) ١٩٧٢ » . ولم تأت فصول الكتاب الثمانية والخاتمة جميعها كي تخدم الهدف الذي ، من المفترض ، ان يكون المؤلف وضع الكتاب من أجله . اذ كان يمكن ان يكتفى بالفصول الاربعة الاولى مع الخاتمة ، والاستغناء عن الفصل الخامس والسادس والسابع والثامن . فهذه الفصول الاربعة الاخيرة لم تخدم عملية فهم عناصر الصراع العربي الاسرائيلي ، كما انه لا يمكن اعتبارها عوامل تساهم في تحديد المدخل لفهم عناصر هذا الصراع . فجاءت **حشوا** ، لا معنى له ، قد يكون قصد منه — تجاريا — زيادة عدد صفحات الكتاب ليس الا ، وقد لا يكون ذلك مقصودا من المؤلف نفسه . صحيح ان هذه الفصول قد ذكرت شيئا — ولكن من بعيد — عن الصراع العربي الاسرائيلي ، الا ان تركيزها — على عكس ما جاء في الفصول الاربعة الاولى من الكتاب — على

عناصر هذا الصراع جاء باهتا وضئيلا .

ابتداء من الفصل الخامس وانتهاء بالفصل الثامن ترد عناوين : «في حروب التحرير الشعبية»، «الحرب الشعبية والتعبئة العالمة» ، و«مشكلات قيام جبهة وطنية فلسطينية » ، « فرانتز فانون وفلسفة العنف الثوري » . وهي عناوين لمحاضرات كان قد القاها المؤلف ونشرتها **مجلة « دراسات عربية »** خلال مراحل معينة . المهم ، انه من الصفحة (١٥٣) وحتى الصفحة (٢٤٣) — وهي الصفحات التي حوت الفصول الاربعة الاخيرة — كان يمكن الاستغناء عنها ، وتجنب الصاقها بكتاب « في سوسيولوجية الصراع العربي الاسرائيلي ». اذ ان كل عنوان من هذه الفصول يصلح لان يكون عنوان دراسة شاملة وواسعة تخرج في كتاب مستقبل ، كي تلعب هذه الدراسات — مجتمعة — دورا مساعدا في توفير الاساس امام أي دارس ، أو باحث ، عندما يحلل عناصر الصراع عند الجانب العربي .

والان ، ماذا جاء في فصول الكتاب التي نعتبرها هامة أكثر من غيرها ؟

● الفصل الاول ، تحت عنوان « **في قوانين الصراع** » ، من أفضل الفصول الاربعة ، ومن أكثرها أهمية ، على الرغم من انه « **مقدمة** نظرية » للفصول التي تليه ، وعلى الرغم من نصح المؤلف للقارىء « الذي يضيق ذرعا بالنظريات ان يبدأ بالفصل الثاني ، ثم بعد الانتهاء من الفصول الاخرى يمكنه — **ان اراد** — ان يعود الى قراءة الفصل الاول » . (**من المقدمة ، ص ٨**) . ونحن نرى انه لا يمكن تحقيق الهدف الذي صدر من أجله الكتاب ومن قراءة وفهم الفصل الاول بكامله ، والذي يقدم لنا بايجاز مبسط دراسة نظرية لفهم قوانين الصراع بشكل عام . اذ ان الفصول الثلاثة التي تليه ، وجزءا من الفصل الاول ، ما هي الا التطبيق العملي — الى حد ما — للدراسة النظرية الواردة في الفصل الاول .

ما هي قوانين الصراع التي يتحدث عنها هذا الفصل ؟ بما ان هناك « مستويات عديدة للصراع .. » ، « صراع بين الافراد .. وصراع بين الجماعات داخل المجتمع الواحد .. وصراع بين مجتمع واخر ، او بين مجموعة مجتمعات ومجموعة اخرى .. » ، وبما أن الحديث في الكتاب ينصب على الصراع العربي الاسرائيلي ، فان الفصل الاول اذن ، يركز على « المستوى المجتمعي للصراع ». **(ص ٩)**. واذا كان الصراع بمفهومه الواسع ، هو تصادم الارادات والقوى، بين خصمين (او اكثر) ، بحيث يكون الهدف سيادة احد الخصمين على ارادة الاخر ، فهو يختلف اختلافا **نوعيا** عن مفهوم اخر للصراع وهو مفهوم **المنافسة** . فالهدف من المنافسة ليس « تحطيم الاخرين ، ولكن فقط سبقهم في الوصول الى غاية معينة » . فهذا اذن ، لا ينطبق على حالة الصراع العربي الاسرائيلي. ولكن الصراع قد يكون تصادما « على مستوى القيم واساليب الحياة والايديولوجيات » ، فحلبة الصراع هنا هي « عقول الناس وقلوبهم » . وقد يأخذ الصراع مظهر « التلاطم والتصادم اقتصاديا وتكنولوجيا » ، وهنا تصبح حلبة الصراع « هي الاسواق ومصادر المواد الخام والبيوت المالية » . **(ص ١٠)** . وهذه المظاهر ايضا لا تنطبق على الصراع العربي الاسرائيلي .

اذن كيف يمكن تعريف الصراع العربي الاسرائيلي؟ يقول المؤلف انه الصراع الذي « تحكمه الشمولية ذات الابعاد الحضارية العامة » . وكلمة حضارة (culture) تعني عندنا « أساليب الحياة ، والقيم والمعايير ، والتنظيم الاجتماعي ، وفلسفة مؤسساته ، ومستوى المجتمع ماديا ، وتراثه الالي والتكنولوجي » . أي الحضارة هنا تعني كل ما هو موجود في المجتمع من خلق وابداع وانتاج افراد هذا المجتمع .. سواء كان هذا الوجود ماديا او روحيا » . فكل شيء خلقه الانسان ، او انتجه، هو عنصر من العناصر المكونة للحضارة». **(ص ١١)** . اذن ، الصراع العربي الاسرائيلي هو من النوع الشمولي الحضاري العام . فهو ليس اقتتال على قطعة ارض ، ولكنه « تحدي عنصري عرقي ، وتصادم في القيم واساليب الحياة، وخلاف في تفسير التاريخ ، وتباين في ادارة وتنظيم الافراد ، وتلاطم اقتصادي ، وسباق علمي وتكنولوجي .. الخ » . **(ص ١٢)** .

بما ان الصياغات الماركسية — لمنظمة « ماتزبن من ناحية ، ولفصائل يسار المقاومة الفلسطينية من ناحية اخرى — « لا تستطيع في الواقع تقديم شروح كاملة لصراع معقد مثل الصراع العربي

الاسرائيلي الذي تتداخل فيه لا عوامل الاقتصاد فحسب ، بل ايضا عوامل الدين ، والتاريخ ، والقيم ، والعنصر ، واللغة ، والتوصية ، والمستوى العلمي والتكنولوجيا ». **(ص٢٧)**، وبما ان الداروينية الاجتماعية (Social Darwinism) — **البقاء للاصلح** (Survival for the Fittest) — تأتي شروحاتها للصراع مبتورة اذا ما طبقت على حالة الصراع العربي الاسرائيلي ، وبما ان نموذج ابن خلدون الذي يركز « على عامل **العصبية** وما يصاحبه من تماسك وتضامن وتقشف بين افراد الجماعة الصاعدة » **(ص ١٨)** ، ومن ثم تبدأ بالهبوط من بعد ذلك ، ونموذج ارنولد توينبي الذي يركز « على عامل **(الصفوة الخلاقة)** ، وهو صفة الخلق والابداع التي « تمكن الحكام من مجابهة التحديات الطبيعية والبشرية المحيطة بمجتمعهم » **(ص ١٩)** ، والتي يبدأ انهيارها بضعف ، او غياب هذه الصفة ، بما أن هذه النماذج وغيرها وتوفر فهما كاملا لقوانين الصراع العربي الاسرائيلي ، فانه اذن، لفهم هذا الصراع ، لا بد من استقراء العملية الملازمة « لحركة التاريخ في داخل المجتمع الواحد وبين المجتمعات المختلفة » . ان في ذلك تحذير من «التفكير النعامي ، التقاعدي ، القدري» ، والذي كان — وما يزال — «وراء الهزائم العربية المتكررة». ان « فهم قوانين الصراع وحركته ، وبالتالي الاستعداد له ، هو خير ضمان **لادارة** هذا الصراع، بادنى الخسائر المادية والبشرية ، وباقل الالام النفسية ، وبادنى درجات التفسخ الاجتماعي » . **(ص ٢٨)** .

على الرغم من درجة الالم التي تحل بالكثير من الحالمين والمثاليين بسبب معرفتهم « ان الصراع عملية ملازمة لحركة المجتمع والتفاعل بين المجتمعات » ، فللصراع ايضا « فوائد ووظائف اجتماعية » . **(ص ٤٧)** . الى جانب نتائج الصراع السلبية والبغيضة ، فهذه الظاهرة « السمجة » و« المدمرة » و« البشعة » ، ظاهرة الصراع .. « ما هو السر في بقائها وخلودها بهذا الشكل الذي نلاحظه عبر التاريخ ؟ » **(ص ٤٨)**، وما هي الوظائف الاجتماعية التي يؤديها الصراع؟. **اولا** ، اعطاء الجماعة الرباط الذي يحفظ كيانها المتميز » . **ثانيا** ، « تعميق هوية الجماعة في داخل افرادها » بشرط أن يكون وجود الجماعة في خطر داهم . **ثالثا** ، « الصراع كوسيلة لرأب الخلافات داخل الجماعة » . **رابعا** ، « الصراع كصمام أمن للجماعات والافراد » . **وخامسا** ، « الصراع كوسيلة للحشد والتعبئة والانضباط » . المهم ، ليس تعداد الوظائف الاجتماعية التي يؤديها الصراع او شرحها ، ولكن الاكثر اهمية وعي ومعرفة هذه الوظائف الاجتماعية ، ووعي ومعرفة القوانين التي تحكمها ، للتمكن من ادارة الصراع « هنا » ، ولفهم كيف يديرون الصراع « هناك » ولحساب النتائج « هنا » ، والنتائج « هناك » من جراء تحقق هذه الوظائف ، او بعضها ، عندنا وعندهم. ان حدوث صراع بين مجتمعين قد يؤدي الى كل هذه النتائج الايجابية في كلا المجتمعين ، وهذا ممكن ومحتمل . ولكن « النخبة القائدة ، او الحاكمة ، في احد المجتمعين قد تستطيع ادارة الصراع بشكل يحقق لمجتمعها هي وحده كل الوظائف الايجابية ، وللمجتمع الاخر كل الاثار السلبية » (ص ٥٨) . وهذا تماما ما نجحت النخبة القائدة في اسرائيل في تحقيقه ، وما اخفقت النخبة (!!) القائدة في البلاد العربية في تحقيقه . وهذا ينطبق ايضا على حالة الصراع في شمال فيتنام وجنوبها . فالنخبة القائدة في شمال فيتنام تمكنت من ادارة الصراع بشكل حقق لمجتمعها كل الوظائف الايجابية ، وعكس آثارا سلبية على التركيبة الاجتماعية في جنوب فيتنام .

● يرد الفصل الثاني تحت عنوان « **بعض ملامح المجتمع الاسرائيلي** » ، ويبدأ بطرح مجموعة من الاسئلة : ما هي ايديولوجية المجتمع الاسرائيلي ؟ وما هو البناء الاجتماعي لاسرائيل ؟ وما هي التناقضات التي تحكم المجتمع الاسرائيلي من الداخل ؟ وما هي طبيعة وشكل القيادات الحاكمة في المجتمع الاسرائيلي ؟

قدم هذا الفصل اجابات على التساؤلات الثلاثة الاولى ، وأفرد للاجابة على التساؤل الرابع فصلا كاملا سنأتي على ذكره لاحقا . **فايديولوجية المجتمع الاسرائيلي** مستمدة من مصادر عديدة . اذ ان المجتمع الاسرائيلي يستمد قيمه ومعاييره عموما من المصادر الاساسية التالية : « الدين اليهودي ، الداروينية الاجتماعية ، الجدلية المادية والجدلية المثالية ، المذاهب والنظريات القومية الاوروبية ، روح — **وليس محتوى** — المذهب البروتستانتي

المسيحـي » (ص ٦٨) . ويجيب المؤلف علـى التساؤل الثاني المتعلق **بالبناء الاجتماعي لاسرائيل**، ويذكر لنا خمس مؤسسات كبرى تعمل باسم ، ومن اجل ، الشعب اليهودي بصفة عامة ، ابتداء من عام ١٨٩٧ وحتى هذه الاونة . هذه المؤسسات هي : « المنظمة الصهيونية العالمية ، وصندوق الدعم القومي اليهودي ، والوكالـة اليهودية ، وهيئة الحراس ونموها الى هيئة دفاع (الهاجاناه)، ومؤسسة عمالية عامة (الهستادروت) » . (ص ٧٧) . لقد شكلت المؤسسات الاجتماعية الخمس النواة ، او العمود الفقري ، لما اصبح في عـام ١٩٤٨ دولة اسرائيل بهيكلها العام الذي نعرفه اليوم .

ويتوسع المؤلف في تحليل توزيع سكان اسرائيل من اليهود حسب أعمارهم ، فيلاحظ ان نسبـة الذكـور تعادل نسبة الاناث ، وان التوزيـع السكاني « يفيض بأكثر من النسبة العادية للاطفال والشباب حتى سن العشرين » وتصل الى ٣٨ ٪ من مجموع السكان (**المعدل العالمي ٣٤ ٪**) ، ونسبة البالغين من سن العشرين الى الستين تصل الى ٤٤ ٪ (**المعدل العالمي حوالي ٥٠ ٪**) . المجتمع الاسرائيلي اذن ، يعتبر من « **المجتمعات الشابة** بيولوجيا وديموجرافيا ، ويوحي تركيبـه الحالي باستمرار تزايد السكان طبيعيا بمعدلات مرتفعة في العشرين سنة القادمة .. حيث تمثل هذه المدة دورة الخصوبة التناسلية بالنسبة للـ ٣٨ ٪ من السكان الذين هم دون سن العشرين حاليا ». (ص ٨٠) . وفي هذا السياق ، يلفت المؤلف الانتباه الى خطر داهم يهدد باقتلاع جذور الامل في استرداد فلسطين وتعريبها ، وذلك بالاشارة الى ارتفاع عدد السكان المولودين على ارض فلسطين من ٣٠ ٪ عام ١٩٦٩ الى حوالي ٤٠ ٪ سنـة ١٩٧٢ ، و ٦٠ ٪ سنة ١٩٨٠ ، و٨٤ ٪ سنة ١٩٩٠ ، وبالاشارة الى « النقيض الديالكتيكي » لذلك وهو « تزايد نسبة العرب الفلسطينيين الذين ولدوا خارج فلسطين » .

ويوضح المؤلف الاشكال الاكولوجية المعيشية للمجتمع الاسرائيلي . **فالنمط الاكولوجي المعيشي يعني الكيفية التي يتفاعل بها الانسان مع الطبيعة من اجل البقاء وتحقيق استمراريـة الاجيال .** فالمجتمع اليهودي في فلسطين ـــ قبل وبعد انشاء اسرائيل ـــ « يتميز بنوعية تكاد تكون فريدة في الاشكال الاكولوجية التي صاغها لافراده » . (ص ٨١) . ويقسم المؤلف هـذه الاشكال الـى : ـــ **مستوطنات عمال زراعيين** (موشاف اوفريم) ، ـــ **المستعمرات الجماعية** (كيبوتزيم) حيث **فلاح** المستعمرات هو **الجندي** الذي يدافع عنها ويقاتل في سبيلها ، ـــ **القرى التعاونية** (موشاف شتوفي) وهو الشكل الثالث من الاشكال الاكولوجية الجديدة في المجتمع الاسرائيلي وأحدثها ، اذ بدأ في الاخذ به بعد اعلان اسرائيل .

اما عن **المتناقضات الاساسيـة في المجتمـع الاسرائيلي** ، فيذكر المؤلف مجموعة من المتناقضات منها : تناقض اساسي بين اليهود وغير اليهود . تناقض بين اليهود الاوروبيين واليهود الشرقيين . تناقض بين اليهودية كدين والقومية الاسرائيلية .

● التساؤل الرابـع المتعلق **بطبيعة وشكـل القيادات الحاكمة في اسرائيل** ، أفرد المؤلف للاجابة عليه فصلا كاملا تحت عنوان « المؤسسة الحاكمة في اسرائيل » . فهو يعالج الخلفية التاريخية لهذه المؤسسة ، وذلك عبر موجات الهجرة السبع الى فلسطين خلال الثمانين سنة الاخيرة. ويركز المؤلف على أهم موجتين مـن موجات الهجرة ، وهما : موجة الهجرة الثانية (بين ١٩٠٥ و ١٩١٤) ، وموجة الهجرة الثالثة (بين ١٩١٧ و ١٩٢٣) . فهاتان الموجتان من الهجرة متجانستان « من حيث الخلفية الطبقية والتجانس الحضاري وقلة التعليم والثقافة » . اما عن ابعاد المؤسسة الحاكمة ، فقد حاول المؤلف تحديد العناصر التي تكون هذه المؤسسة . فبعد دراسة بيانية (أي تعتمد على البيانات ـــ Data) قام بها على ١٥٠ شخصية اسرائيلية لعبت ـــ وما زالت تلعب ـــ أدوارا مهمة في تسيير دفة الامور في المجتمع الاسرائيلي تبين له انه « في كثير من الاحيان كان صانع القرار ومنفذه هو نفس الشخص او الاشخاص » ، وان « قادة الاتحادات العمالية ، او الجيش في اسرائيل يفكرون بنفس الاسلوب الذي يفكر به رؤساء الشركات الكبرى ، او الدبلوماسيون » ، وان « العقلية وأسلوب التفكير هو الجامع المشترك الاعظم بين قادة مؤسسات قد تبدو متعارضة او متباينة في معظم المجتمعات الاخـرى » . (ص ٩٩ ـــ ١٠٠) . فمثلا ، نجد قائدا عسكريا مثل « رابين » يتحول الى دبلوماسي بين يوم وليلة .

اذن ، **ما هو النموذج النمطي لاعضاء المؤسسة الحاكمة ؟** الدراسة التي قام بها المؤلف ، تذكر ان النموذج النمطي هو الذي تنطبق عليه الصفات التالية :

— « ولد الى فلسطين في موجتي الهجرة الثانية والثالثة ، او ولد لاسرة هاجرت الى فلسطين ضمن هاتين الموجتين .

— ولد في اوروبا الشرقية ، او في فلسطين ولكن والديه جاءا من اوربا الشرقية .

— عاشت اسرته قبل هجرتها الى فلسطين (سواء قبل أو بعد ولادته) في احد الاحياء او القرى اليهودية المقفلة (الجيتو) .

— انحدرت اسرته من طبقة عاملة حرفية ، او برجوازية صغيرة .

— لم يحصل الا على قدر متوسط من التعليم (معظمه من مدرسة زراعية متوسطة) .

— التحق بالهاجاناه او البالماخ في شبابه ، او خدم في صفوف الجيش الانجليزي لفترة او لاخرى ، قبل او اثناء الحرب العالمية الثانية .

— عاش لفترة او لاخرى في احدى المستعمرات الصهيونية (كيبوتزيم) » . (ص ١٠١ — ١٠٢).

● الفصل الرابع والخاتمة من الكتاب يردان تحت عنوان « الصراع الاعلامي بين المثالية والبرجماتية » و« نحن والهزيمة وخمس سنوات » على التوالي . ففي الصراع الشامل بين المجتمع الاسرائيلي والقومية الصهيونية من ناحية ، والامة العربية من ناحية اخرى ، تنعكس كل خصائص الصراع على معركة الاعلام . « فأحد طرفي الصراع يدخل المعركة بكل قوته ، بمفهوم محدد ، واستراتيجية موحدة ، وتكتيكات متناسقة ، واجهزة كفؤة ، وكادرات مدربة » **(وهذا حال المجتمع الاسرائيلي)** « والطرف الاخر لا يدخل المعركة بقدر ما ينجر اليها انجرارا ... » (ص ١٣٠) (وهذا حال الطرف العربي) . اذن ، الامر في غالبه تخطيط علمي ونظرة تحليلية وتنفيذ منهجي في جانب الطرف الاسرائيلي ، وتخبط وعشوائية في جانب الطرف العربي .

وأخيرا ، « نحن والهزيمة وخمس سنوات » (اصبحت الان ست سنوات ، وذلك لان الخاتمة كتبت عام ١٩٧٢) ، ماذا فعلنا نحن ؟ وماذا فعلت بنا الهزيمة ؟ وما الذي استفدناه خلال ست سنوات ؟ الاجابات : لم نفعل شيئا . والهزيمة تركت الاثار السلبية لوظائف الصراع الاجتماعية علينا . ولم نستفد من عمر سنوات الهزيمة حتى الان ، ما عدا بروز المقاومة الفلسطينية المسلحة ، ولكن هل تستمر ؟.. انها مسؤولية قيادات نضالنا لفهم قوانين الصراع العربي الاسرائيلي ، كي تتمكن من ادارته ، وبالتالي تحقيق التغيرات الاجتماعية المطلوبة على امتداد الساحة العربية .

مصطفى كركوتي

Ronald Segal : **Whose Jerusalem ? The Conflicts of Israel** (Jonathan Cape, London, 1973).

ان اهمية كتاب « لمن القدس ؟ » لا تنبع فقط مما يتضمنه من تحليل جدي عميق للاوضاع الداخلية في كل من اسرائيل والاقطار العربية المحيطة بها ، مما لا نجد مثله في كتب اخرى كثيرة كتبت بأقلام يهودية ، وانما النهج الذي يتبعه هذا المؤلف اليهودي في الوصول الى استنتاجاته هو مهم ايضا ، لانه يبين للباحث مدى التزام الكتاب اليهود (غير المناهضين للصهيونية) باسرائيل مهما بدا حماسهم قويا في انتقادها . ان سيغال يباشر في فصله الاول المعنون « داود وجلعاد واساطير مماثلة » بنسف الاساطير التي يعتقد انها تحيط بالنزاع العربي الاسرائيلي ، قائلا ان الطرفين قد حولا مواقفهما الى اساطير ، وان أسوأ ما في الاساطير كونها ليست حكرا على أحد الجانبين . انه لا يؤمن بصحة الاسطورة القائلة بأن العالم العربي مليء بحقد عنصري ضد اليهود ، لكنه في الوقت ذاته يرفض وجهة النظر (التي يصفها بالضحالة) القائلة ان الصراع العربي الاسرائيلي ما هو الا فيتنام اخرى يستخدم فيها الغرب الرأسمالي اسرائيل لضرب التطلعات الثورية في

العالم العربي . من هذه النظـرة نفهم كم هي انتقائية تلك الموضوعية التي يدعيها سيغـال ، عندما يقول في مقدمته : اني لا ادعي الموضوعية ، بل انا متحيز تحيزا بالغا ، وتحيزي هذا هو التزام بقيم الانسان وليس بقيم الدول والهياكل المقدسة.

ان سيغال ينتقد التعاطف المتبادل بين اسرائيل وجمهورية جنوب افريقيـا المعروفة بمؤسساتهـا المعادية للسامية ، كما يبدي استنكاره لاحتقـار الاسرائيليين للعرب ، مبينا ان منح الاسرائيليين الحكم الذاتي للضفة الغربيـة يعني في الواقـع خضوعها لاسرائيل . لكنه يقف على ارض اقل ثباتا عندما يدعي ان الملاكين في الضفة الغربية قـد ازداد رخاؤهم بسبب انتهاجهم التقنية الاسرائيلية الحديثة في الزراعة ، وبسبب انفتاح الاسـواق الاسرائيلية أمام حاصلاتهم . فالواقع ان عكس ذلك تماما قد حدث : فعمال الزراعة الاجراء هجروا الزراعة من اجل العمل في حركة البناء الاسرائيلية الضخمة ، تاركين القطاع الزراعي العربي يبور لقلة الايدي العاملـة فيه . كما ان الاسـواق الاسرائيلية لم تنفتح أمام حاصلات الضفة الغربية بالقدر الذي يدعيه سيغال .

على أية حال ، يأخذ كتاب سيغال في اكتساب اهميته الرئيسية بدءا بالفصل الثاني الذي يخصصه لمصر ، وبالفصل الثالث الذي يتناول فيه الاوضـاع اللبنانية والاردنيـة والفلسطينية . وفي هذيـن الفصلين يقـدم تحليلا للاوضـاع السياسيـة والاجتماعية السائدة في هذه المنطقة مـن الوطن العربي لا يمكـن للقارىء العربـي الا ان يسلم بموضوعيته ، مع ان سيغال لا يأتي بجديد فيه . انه في لبنان يتحدث مع زعيم حزب يميني ويسمع منه تبجحه بأن لبنان يماثل سويسرا تماما ، وبأنه مثل سويسرا يبغـي الوقوف بمنأى عن مشاكـل المنطقة . وبعد هذا الحديث يصغي سيغال الى يساري عربي يقول له : كم اتمنى ان يتوقفوا عن وصف لبنان بأنه سويسرا المنطقة ، فالواقع انه هونغ كونغ الشرق الاوسط !

ولا ريب ان سيغال على حق عندما يسجل ان الشعور الوطني الفلسطيني هو دافع في العالم العربي من اجل التغيير الاجتماعي . لكنه بعد ذلك بصفحات قليلة ينفي مسؤولية اسرائيل « الكاملة » عن شقاء اللاجئين الفلسطينيين ، واضعا اللوم على مصر وسوريا والاردن ولبنان ، ومتهما هذه الاقطار بأنها تستغل الفلسطينيين لمآربها الخاصة .

اما اهم جزء في الكتاب ، فهو الذي يخصصه سيغال لتحليل البيئة الاسرائيلية مـن النواحـي السياسية والاجتماعية والاقتصاديـة . انه على الصعيد السياسي ينتقد اسرائيـل بسبب سيطرة الروح العسكرية عليها ، ويورد المثال التالي على ذلك : في حديث له مع ضابط اسرائيلي كبير ، يقول له الاخير : اني لا اؤيد ابقاء قواتنا على الضفة الشرقية للقنـاة ، فان اي قصف مدفعي مصري سيكلفنا كثيرا ، كما ان بقاءنـا في تلك المواقع سيصورنا امام انظار العالم في هيئة أناس متصلبين للغاية . ولذا أطالب بالانسحاب لقاء شروط معينة. ولما يسأله سيغال ما هي هذه الشروط ، يجيبه القائد : يجب السماح لنا بابقاء قوة في سيناء تتألف في الغالب من الطيران وذلك لمنع المصريين من القيام بأي هجوم في المستقبل . ولما يسأله سيغال : وهل توافق على احتفاظ المصريين بقـوة مماثلة داخل اسرائيل لاحباط اي هجوم اسرائيلي محتمل على مصر ؟ يجيبه القائد باستنكار : طبعا لا .

ويأسف سيغال لاقتفـاء اسرائيل أثر كل مـن بروسيا واسبارطه وسيرها على تقاليـد هاتين الدولتين في بناء مجتمع عسكري . انه يصف الجو العاطفي المشحون بالحماس الامبريالي لجمهـور اسرائيلي جلس يسمع الى كلمة يلقيها موشي ديان ويبسط فيها معالم الخريطة الجديدة للفتوحـات الاسرائيلية ، كما ينقل سيغال جزءا مـن مقال نشرته مجلة تصدر عـن طلاب الجامعة العبرية ويتضمن التساؤلات حول حكمة السياسة التوسعية التي تتبعها المؤسسة السياسية ـ العسكرية في اسرائيل .

وتنسحب انتقادات سيغال لاسرائيل على الصعيد الاجتماعي ايضا . فالتزمت الديني شهد انبعاثا اثر حرب الايام الستة ، ومؤخـرا اصدرت المحكمة الاسرائيلية العليا قرارا بينت فيه ان سلطة المحاكم تنبع من تعاليم الدين وليس من الدولة ، مع انه عندما تأسست الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ ابدلت من بيان الاستقلال عبارة « الثقة بالله » الى الثقة « بصخرة اسرائيل » . ولكن ها ان الدين يعود من جديـد ليضيق الخناق علـى تفكير الاسرائيليـين وتصرفاتهم اليومية . وبعد الديـن هناك مشكلة

التفاوت الطبقي الذي يتفاقم سنة بعد سنة . وبينما الاغنياء يزدادون ثراء في مجتمع قيل عنه في السابق انه اشتراكي ، يظل المستوى المعيشي لنسبة كبيرة من الاسرائيليين منخفضا ، والشقة بين الغني والفقير تزداد اتساعا بمرور الزمن بدلا من ان تضيق . وطبعا ما زال الشرقيون يعانون من التمييز العنصري في المساكن والوظائف والتعليم .

ثم هناك عملية « التأمرك » المستمرة في البلاد . فالجرائم اصبحت كثيرة والفساد منتشر في الجهاز الحكومي ، وموشي ديان يتاجر بالتحف الاثرية . ويمكن القول ان اغلب الامراض التي يعاني منها المجتمع الامريكي قد اصيب بها المجتمع الاسرائيلي ايضا . ويحصي سيغال مساوىء مجتمع الاستهلاك الاسرائيلي او ميني اميركا (كما يسمي اسرائيل) فاذا هي : التفاوت الطبقي ـ التفرقة العنصرية ـ الجرائم ـ الفساد في الدوائر الحكومية ـ غطرسة القوة ـ تلويث البيئة ـ الصراع بين الاجيال ـ المراوغة في دفع الضرائب ـ التكالب على اقتناء الكماليات ـ خرق المواطنين للانظمة الخ .. حتى حوادث المرور اصبحت كثرتها لا تطاق . فخلال عشرين سنة قتل حوالي عشرين الف اسرائيلي على الطرق .

ان اسرائيل هي أساسا دولة محافظة ، يقول سيغال ، دولة مصابة بهاجس اسمه الحدود وبعقدة الغيتو . وفي خاتمة القائمة الطويلة الشاملة التي استعرض فيها مساوىء اسرائيل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، يطرح المؤلف سؤاله الاكبر : ماذا حدث لمثالية التجربة اليهودية ؟

في الجواب على هذا السؤال يكمن بيت القصيد في الكتاب. فبقدر ما يتعلق الامر بسيغال ، المشكلة الاساسية الكامنة وراء كل ما هو سلبي في اسرائيل ليس مبعثها الكيان المصطنع لهذه الدولة ، ولا الظروف الشاذة التي تحيط باستمراريتها ، وانما المشكلة تقع في تخلي اسرائيليي اليوم عن مثالية الصهيونيين الرواد ! فبالنسبة اليه ، لا تقل القومية الاسرائيلية شرعية عن القومية المصرية او الاسرائيلية ، كما انه يفخر بأن الاسرائيلي قد أصبح رمزا عالميا في الشجاعة [ليتذكر القارىء ان هذا الكتاب ظهر قبل حرب رمضان] وكأن الشجاعة تضفي الشرعية على الاغتصاب . ان الصفحات الوحيدة التي ينقد فيها سيغال نبرة الباحث الرصين هي تلك التي يكرسها للتغني « بالتجربة الاسرائيلية العظيمة » . هنا يختفي التحليل الدقيق ليحل مكانه المديح السافر للدولة الصهيونية ، ومع ان القارىء غير العربي سيتذكر نقاط الضعف في الكيان الاسرائيلي كما بينها سيغال، الا انه قد يحتفظ في ذاكرته بنقاط اخرى لا تقل عن ذلك اهمية . اذ قد يتفق مع المؤلف في ان الصراع بين العرب واسرائيل هو صراع بين التخلف والتقدم ، وان فشل العرب في دحر اسرائيل سيؤدي الى حدوث تغيير في مجتمعهم . وقد يؤمن مع سيغال بأن هذا التغيير سيؤدي في نهاية المطاف الى انهاء الصراع بين الطرفين .

هذه كلها احتمالات واردة باعتبار ان سيغال الصهيوني اسبغ على كتابه قشرة من الموضوعية قد تنطلي على القارىء غير العربي . فتحليله الدقيق للاوضاع داخل اسرائيل والاقطار العربية المحيطة بها هو عموما سليم ، الا ان استنتاجاته مغلوطة لانها تنطلق من قاعدة زائفة . ان سيغال ينعي على اسرائيل تأمركها ، ويأخذ عليها تصلبها تجاه العرب ، وكأن الصراع المرير الذي دام اكثر من نصف قرن بين الصهيونية والعرب سينتهي حال تخلي اسرائيل عن تأمركها وتصلبها وعودتها الى مثالية هيرتزل ! نعم .. مثالية هيرتزل .

ان « لمن القدس ؟ » هو كتاب ذكي يقدم الدعاية للفكرة الصهيونية داخل غلاف من النقد للطريقة التي يتم بها تطبيق هذه الفكرة حاليا . الا انه على كل حال يحتوي على معلومات تهم كل من يريد الاطلاع على اوضاع اسرائيل الداخلية في فترة ما بين الحربين : حرب حزيران وحرب رمضان .

---

* ولد رونالد سيغال في جنوب افريقيا عام ١٩٣٢ ونشأ فيها . وقد أدت معارضته للحكم العنصري القائم في تلك البلاد الى سحب جوازه ، فانتقل الى لندن حيث أخذ يؤلف الكتب السياسية ، فكتب عن افريقيا والهند واميركا . وهو حاليا يحاضر في جامعة بكاليفورنيا . ويذكر ناشر الكتاب ان « لمن القدس ؟ » جاء حصيلة عامين من البحث ، وثلاث زيارات منفصلة للمنطقة ضمت كل من مصر والاردن ولبنان واسرائيل .

ثلاثة تقارير

[١]

الانتخابات في اسرائيل

تعزيز لمواقع اليمين خارج السلطة وداخلها

في الحادي والثلاثين من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ ، تمت الانتخابات العامة المؤجلة — بسبب حرب تشرين — للكنيست الثامنة والسلطات المحلية . وقد خاضت هذه الانتخابات العامة والمحلية قوائم عديدة اغلبها قوائم حزبية وخصوصا على صعيد الانتخابات للكنيست ، ومنها المحلي والطائفي او المبني على أساس الحمائل (في الوسط العربي) بالنسبة لانتخابات المجالس المحلية . وبالنسبة للانتخابات الاخيرة التي نحن بصددها ، فقد تنافست في هذه الانتخابات احدى وعشرون قائمة حزبية وغير حزبية ، نجحت منها عشر قوائم فقط في الحصول على مقاعد في الكنيست . والقوائم العشر الفائزة ، هي القوائم التالية حسب احجامها :

١ — قائمة التجمع العمالي الحاكم (المعراخ) — حزب العمل + المابام ، ٥١ مقعدا .

٢ — قائمة التكتل اليميني المعارض (ليكود) — جاحال + القائمة الرسمية + المركز الحر + حركة ارض اسرائيل الكاملة ، ٣٩ مقعدا .

٣ — قائمة همزراحي وهبوعيل همزراحي ، الحزب الديني القومي (المفدال) ، ١٠ مقاعد.

٤ — قائمة الجبهة الدينية التوراتية (اجودات يسرائيل — بوعالي أجودات يسرائيل) ، ٥ مقاعد .

٥ — قائمة حزب الاحرار المستقلين ، ٤ مقاعد .

٦ — القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) ، ٤ مقاعد .

٧ — قائمة حقوق المواطن (برئاسة شوليت الوني ، عضو كنيست سابق عن حزب العمل) ، ٣ مقاعد .

٨ — قائمة التقدم والانعاش (قائمة عربية مرتبطة بحزب العمل) ، مقعدان .

٩ — قائمة البدو (ايضا مرتبطة بحزب العمل)، مقعد واحد .

١٠ — قائمة موكيد (حركة موكيد + الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي ») مقعد واحد .

وما يعنينا من هذا البحث بشكل اساسي ، وهو ما سنحاول التركيز عليه ، هو الانتخابات الاخيرة ونتائجها ، وما تعنيه تلك النتائج بالنسبة لتوازنات القوى السياسية والحزبية ، ومدى تأثيرها على تحديد السياسة الاسرائيلية في الفترة المقبلة ، فترة الجهود السياسية المحمومة ، المحلية والعالمية لايجاد تسوية للنزاع العربي — الاسرائيلي ، ونوعية تلك التسوية على ضوء المواقف الاسرائيلية المعروفة ، تلك المواقف التي ستتحكم فيها دون أدنى شك تركيبة الحكومة المقبلة ، وموازين القوى داخل السلطة العمالية الحاكمة وشخصية رئيس الوزارة . وفي هذا المضمار ، لا شك ان هناك وزنا ليس بالقليل ، للموقف العربي لجهة التسوية واحتمالاتها ، ذلك الموقف الذي يمكن ان يصعد ويؤزم الامور ، من ناحية اخراج الموقف الاسرائيلي من العموميات والمواقف القابلة للتأويل (قبول قرار مجلس الامن ٢٤٢) ، او لجهة المساعدة على استمرار المراوغة الاسرائيلية ، وبالتالي محاولة تجميد الوضع ثانية

والدخول في متاهات التفسيرات المختلفة ، والسير نحو تسوية جزئية تبعد شبح الحرب ، وتسهـل عملية تشكيل حكومة ائتلافية واسعة ، تتجاهـل مؤقتا ضرورة الحسم في مستقبل الضفة الغربيـة وهضبة الجولان وبذلك تجمد الخلافات القائمة حول هذا الموضوع بين الاحزاب المشكلة للحكومة وتتجنب مزايدات المعارضة اليمينية، التي اصبحت بازدياد قوتها الذاتية وبوجود عناصر تتماثل معها داخل السلطة الحاكمة ، وداخل الاحزاب التي يحتمل ان تشكل الائتلاف الحكومي المقبل ، قادرة عـلى التأثير في مسار السياسة الاسرائيلية الرسمية .

ولكن من المفيد قبل الدخول مباشرة الى صلب الموضوع ان نتطرق بشيء من الاختصار الى الشبكة الحزبية في البلاد قبل وبعد قيام اسرائيل متتبعين مسار هذه الاحزاب من حيث تصنيفها والتكتلات والانشقاقات التي مرت بها الى ان وصلت الـى الشكل الاخير الذي آلت اليه ، حيث سنرى ان المسار العام لتلك الاحزاب كان يتجه ، نتيجـة لانعدام الفوارق الاساسية نحو التكتل في مجموعات وكتل حزبية اكبر ، كما هو الحال الان .

لمحة عن الاحزاب الاسرائيلية :

من المعروف ان جميــع الاحزاب الاسرائيلية الحالية ، لها جذور تنظيمية تعود الى فترة مـا قبل قيام الكيان الصهيوني ، بل اكثر من هـذا ، فان الاحزاب الرئيسية نشأت اصلا في البلـدان التي قـدم منها المستوطنون اليهود . وحتى اليوم ما زال لتلك الاحزاب فروعها وتنظيماتها في الخارج، وتمارس هذه الفروع نشاطها السياسي من خـلال المنظمة الصهيونية العالمية . لكن الجديد في الامر ان مركز الثقل في هذه الاحزاب والتنظيمات انتقل الى اسرائيل . وفي فترة اليشوف (قـبل قيـام الدولة) كانت الاحزاب اليهودية تتوزع بين خمسة تيارات اساسية :

١ ــ احزاب العمال :

(أ) حزب هبوعيل هتسعير .

(ب) احدوت هعفودا : وقد كان لهذين الحزبين وجود منفرد حتى سنة ١٩٣٠ حيث اتحدا في تلك السنة وشكلا حزب عمال اسرائيل ــ المباي . ويعتبر حزب هبوعيل هتسعير حزبا براجماتيا غير ماركسي ، بينما كان حزب احدوت هعفودا اكثـر يسارية (بالمصطلحات الصهيونية) . غير ان هذين الحزبين عادا وانفصلا عن بعضهما البعض فـي سنة ١٩٤٤ .

(ج) بوعالي تسيون ــ يسار : شجب هذا الحزب اعمال المنظمة الصهيونية العالمية بدعوى انها تنظيم برجوازي يتناقض مع مصالح الطبقـة العاملة . تلاشى وجود هذا الحزب المستقل في كل من حزب هشومير هتسعير (المابام فيما بعـد) وأحدوت هعفودا .

٢ ــ كانت هناك بضع مجموعات شيوعية تحمل آراء اشتراكية ــ راديكالية . وقد شجبت هـذه المجموعات البنية غـير اليسـارية للهستدروت . وكانت هذه المجموعات قريبة في مواقفها من العناصر القومية في الحركة العربية في فلسطين وقد كونت هذه المجموعات مـع عصبـة التحـرر الوطنـي الفلسطيني اثر قيام دولة اسرائيل الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » . وقد وقع مئير فيلنر مندوب هذا الحزب في مجلس الدولة المؤقت على الميثاق الاساسي لاعلان دولة اسرائيل . ذلك المجلس الذي كان يتألف من ٣٧ عضوا على النحو التالي(١): مباي ــ ١٠ ، الصهيونيون العموميون ــ ٦ ، مابام ــ ٥ ، مزراحي وهبوعيل همزراحي ــ ٥، اجودات يسرائيل وبوعالي اجودات يسرائيل ــ ٣، التصحيحيون ــ ٣ ، الهجرة الجديدة ــ ١ ، ويزو (منظمة النساء الصهيونية العالمية) ــ ١ ، السفـاراديـم ــ ١ ، اليمنيـــــون ــ ١ ، الشيوعيون ــ ١ .

٣ ــ التصحيحيون : جماعة جابوتنسكي ، كونوا فيما بعد مع الاتسل حركة حيروت .

٤ ــ الصهيونيون العموميون : هذا الحـزب عبارة عن اتحاد للتنظيمات الصهيونية البرجوازية.

٥ ــ الاحزاب الدينية :

(أ) حركة همزراحي وهبوعيل همـزراحي : أصبحت فيما بعد تعرف أكثر بأسم الحزب الديني القومي (المفدال) وهي عبارة عن حزب صهيوني ديني يعمل في اطار ما يسمى الاجماع القومي الصهيوني .

(ب) اجودات يسرائيل : لقد اخرج هذا الحزب نفسه من دائرة الاجماع القومي الصهيوني . وكان عبارة عن جالية مستقلة بمؤسساتها القضائيـة

والثقافية . وبقيام الدولة انضم الى الموقعين على اعلان الاستقلال واصبح جزءا من المؤسسة السياسية . لكنه ما زال يحافظ على جهاز تربوي وتعليمي مستقل ومعترف به من قبل الدولة الى جانب جهاز ثقافي منفرد . والى جانب هذا الحزب كان هناك في فترة اليشوف حزب ديني اخر متماثل الى حد كبير مع اجودات يسرائيل وهو حزب بوعالي اجودات يسرائيل الذي تأسس في بولندا سنة ١٩٢٢ وبدأ نشاطه في فلسطين سنة ١٩٢٥ ، وبعد فترة ركود عاد ونظم صفوفه سنة ١٩٣٣ . وقد أقام اكثر من مرة جبهة حزبية مشتركة مع حزب اجودات يسرائيل بعد قيام الدولة .

هذه الاحزاب التي كانت قائمة وعاملة بين السكان اليهود في فترة اليشوف ، استمرت في وجودها التنظيمي وتقريبا البنيوي بعد قيام الدولة وبالتالي فان قيام الدولة ، والهجرة الكبيرة التي أعقبت ذلك ، لم يؤديا الى حدوث تغيير على الخارطة السياسية والحزبية ، مثل بروز احزاب طائفية على غرار المحاولة الفاشلة التي قام بها يهود شمال افريقيا والمغاربة بشكل خاص لتشكيل تنظيم حزبي خاص بهم سنة ١٩٥٩ ، على اثر الاضطرابات الطائفية بين اليهود الشرقيين والاشكناز المشهورة باحداث وادي الصليب في حيفا . ومنذ الكنيست الثالثة سنة ١٩٥٥ ، لم تنجح اي قائمة طائفية في الانتخابات العامة(٢). ويعزا ذلك الى الدور الذي كانت تلعبه الاحزاب في فترة اليشوف واستمرت في القيام به بعد قيام الدولة ، ذلك الدور الذي مكنها من امتصاص واستيعاب الهجرة الكبيرة والهجرات التي تلتها وادخال جماهيرها ضمن دائرة نفوذ هذه الاحزاب. وقد كانت الاحزاب اليهودية في فترة اليشوف تقوم بعدة مهام رسمية ، جعلت ارتباط الفرد بالحزب او بمجموعة احزاب ارتباطا دقيقا ، فلقد سيطرت تلك الاحزاب واشرفت على تقديم الخدمات للمواطن في مجالات مثل : الشؤون الاجتماعية ، الثقافة ، الصحة ، العمل ، والشؤون الدينية . وبعض هذه المهام بقيت تحت سيطرة الاحزاب بعد قيام الدولة ، حيث أصبح الانتماء الحزبي هو الوسيلة للحصول على العمل وعلى التقدم في سلم الوظائف والنفوذ ، وقد كان هذا بارزا جدا في الخمسينات.

المسار الحزبي — التكتلات والانشقاقات

كانت تعددية الاحزاب قبل وبعد قيام اسرائيل، علامة مميزة لمجتمع المستوطنين اليهود . ولم تكن بأي حال من الاحوال الهوة العقائدية بين تلك الاحزاب كبيرة الى حد يصبح فيه مثل هذا التشرذم ظاهرة صحية وطبيعية ، خصوصا داخل المجموعة الحزبية الواحدة . ويمكن تقسيم الاحزاب في فترة اليشوف الى اربع مجموعات اساسية . الاحزاب العمالية ، احزاب اليمين والوسط ، الاحزاب الدينية ، والمجموعات الشيوعية التي كانت بمثابة مجموعات عقائدية اكثر منها احزابا(٣). ومع قيام الدولة بقيت الاحزاب الاسرائيلية ضمن دائرة هذه المجموعات التي تلتقي — باستثناء راكاح — حول ما يسمى بالاجماع الصهيوني القومي . ومن أبرز النقاط الاساسية في هذا الاجماع ، النقاط التالية :

١ — مهمة دمج الجاليات اليهودية وجمع الشتات ، حيث تعتبر ارض اسرائيل مكان التمركز الاقليمي لكافة يهود العالم .

٢ — اقامة دولة عدالة ورفاهية اقتصادية .

٣ — اقامة وبناء جيش خاضع للسلطة المدنية .

٤ — القدس عاصمة دولة اسرائيل .

يضاف الى هذه النقاط ايضا بدرجات متفاوتة من التفسير والتمسك الحق التاريخي لليهود على فلسطين وتكامل أرض اسرائيل وعدم تقسيمها !!

لكن هذا الالتقاء حول ما يسمى الاجماع القومي لا يعني بالضرورة انعدام الفروقات والتباين بين الكتل الحزبية المذكورة . فقد كان هناك خلافات حول بعض الامور مثل نوعية العلاقة بالسلطات الانتدابية ، ومسألة العمل العبري بين الاحزاب العمالية والاحزاب اليمينية وبشكل خاص التصحيحيين كما أن الموقف من مشروع التقسيم لم يكن متجانسا لدى كل الاحزاب ، ناهيك عن الخلافات حول علاقات العمل والتخطيط الاقتصادي، لكن حزب المباي بزعامة بن جوريون استطاع حسم معظم هذه الامور لصالح سياسة حزبه نظرا لسيطرته على معظم المؤسسات التي كانت قائمة في فترة اليشوف ، وبالذات على قوات الهاجاناه ومن ثم الجيش الاسرائيلي تلك السيطرة التي استمرت بعد قيام الدولة .

لقد كانت الحياة الحزبية قبل وبعد قيام الدولة حافلة باقامة التكتلات الحزبية ومن ثم الانشقاق ثانية . وهذه الظاهرة لم تقتصر على مجموعة واحدة من المجموعات الحزبية التي أشرنا الى وجودها في فترة اليشوف والتي انتقلت مع تغييرات طفيفة الى فترة قيام الدولة . ولكن يمكن اليوم القول ان المسار العام في الحياة الحزبية في اسرائيل كان يسير نحو خلق تكتلات حزبية كبيرة . وقد ساعد على ذلك ما سبق وأشرنا اليه من كون التباين داخل المجموعات الحزبية الواحدة ، لم يكن اساسيا .

« أ » الاحزاب العمالية

في سنة ١٩٣٠ تأسس حزب عمال اسرائيل — مباي من حزبي هبوعيل هتسعير واحدوت هعفودا . لكن هذا الاتحاد لم يعمر طويلا ، حيث عاد الجناح اليساري (نسبيا) في هذا الحزب وانشق مؤسسا حزب احدوت هعفودا ثانية . وفي سنة ١٩٤٨ اقام كل من احدوت هعفودا وهشومير هتسعير حزب العمال الموحد — مابام . لكن الانسجام لم يكن كاملا داخل هذا الحزب حيث كان اعضاء احدوت هعفودا اقلية في مؤسسات الحزب الموحد ٤٠ ٪ . وبسبب بعض الخلافات حول المسائل الخارجية وبالذات حول الموقف من الاتحاد السوفياتي (المحاكمات ضد بعض اليهود في الاتحاد السوفياتي في اوائل الخمسينات) انشق الحزب على نفسه وعاد حزب احدوت هعفودا حزبا مستقلا . وبالاضافة الى الموقف من الاتحاد السوفياتي في تلك الايام فقد ساهم ايضا في عملية الانشقاق المفاهيم الامنية لرجالات حزب احدوت هعفودا ، وخصوصا ما يتعلق بالنزاع العربي — الاسرائيلي . فقد كان احدوت هعفودا يدعو الى اتباع سياسة متشددة مع الدول العربية . استمرت الاحزاب العمالية الثلاثة في وجودها السياسي المستقل حتى سنة ١٩٦٥ عندما اقيم التجمع العمالي الاول بين حزب مباي واحدوت هعفودا . لكن في نفس الوقت انشق حزب المباي على نفسه ، اثر ابعاد بن جوريون عن رئاسة الوزارة ، وتشكلت قائمة عمال اسرائيل « رافي » بزعامة بن جوريون وموشي دايان . ونتيجة لفشل « رافي » في انتخابات سنة ١٩٦٥ (حصلت على عشرة مقاعد) بدأت قبيل الانتخابات للكنيست السابعة المباحثات بين مباي واحدوت هعفودا لتوحيد الحزبين ، تلك المباحثات التي رافقتها دعوة لكل من « رافي » والمابام للمساهمة في خلق الحزب الموحد ، حزب العمل الاسرائيلي . وهكذا ففي سنة ١٩٦٨ اقيم حزب العمل الاسرائيلي من كل من : حزب المباي حزب احدوت هعفودا وقائمة « رافي » . اما المابام فقد آثر اقامة تجمع عمالي مع حزب العمل ، وفي اوائل سنة ١٩٦٩ نجحت المباحثات بين حزب العمل وحزب المابام في تشكيل التجمع العمالي الحالي (المعراخ) .

(ب) الحزب الشيوعي

تشكل هذا الحزب سنة ١٩٤٨ من المجموعات الشيوعية اليهودية التي كانت عاملة في فترة ما قبل قيام الدولة ومن عصبة التحرر الوطني العربية . بقي هذا الحزب محافظا على وحدته حتى سنة ١٩٦٥ ، حيث انشق على نفسه واصبح حزبين : « ماكي » أغلبية ناخبيه من اليهود « وراكاح » أغلبية ناخبيه من العرب . وقد كان الموقف من الاتحاد السوفياتي ودوره في المنطقة من حيث تأييده للانظمة الوطنية التحررية في مصر وسوريا ، احد أسباب الخلافات التي أدت الى الانشقاق .

(ج)الاحزاب الدينية

لم تتحد الاحزاب الدينية في أي وقت من الاوقات ولكنها كانت تقيم احيانا جبهات او تحالفات ابان المعارك الانتخابية . ففي انتخابات الكنيست الاولى ظهرت الاحزاب الدينية جميعها في قائمة موحدة . ولكن منذ الكنيست الثانية خرج المفدال من التحالف الذي استمر قائما حتى الانتخابات الرابعة بعد حزبي اجودات يسرائيل وبوعالي اجودات يسرائيل . ثم انفرط هذا العقد ثانية منذ انتخابات الكنيست الخامسة ليعود ويتجمع ثانية في الانتخابات الاخيرة الحالية .

(د) احزاب الوسط واليمين

تتشكل هذه الاحزاب من : حيروت : الصهيونيون العموميون (فيما بعد الاحرار) ومن التقدميين (فيما بعد الاحرار المستقلين) . بقيت هذه الاحزاب مستقلة ومنفردة حتى سنة ١٩٦١ ، حيث شكل كل من الصهيونيين العموميين والحزب التقدمي حزب الاحرار ، لكن هذا الاتحاد لم يعمر

طويلا ، اذ عاد الحزب التقدمي وانشق على اثر المفاوضات مع حيروت لاقامة كتلة جاحال من الليبراليين وحركة حيروت . وقبيل الانتخابات للكنيست السابعة انشق عن الحيروت مجموعة سميت فيما بعد المركز الحر . لكن هذه الاحزاب (باستثناء الليبراليين المستقلين) عادت واقامت ما يعرف اليوم بتجمع اليمين « ليكود » الذي يضم بالاضافة الى جاحال والمركز الحر ، القائمة الرسمية (بقايا رافي) وحركة ارض — اسرائيل الكاملة . (للمزيد من التفاصيل ، انظر شؤون فلسطينية عدد ٢٦ ص ٢١٠) .

حرب حزيران وتاثيراتها على الحياة السياسية في اسرائيل

ان حرب الايام الستة تشكل خطا فاصلا بين فترتين في الحياة السياسية في اسرائيل ، خصوصا الفترة الاولى منها التي استمرت حتى سنة ١٩٧٠ الى حين خروج جاحال من حكومة التكتل القومي التي أقيمت قبيل الحرب بقليل . ولذلك فان نتائج الانتخابات الاولى بعد تلك الحرب لا تشكل استمرارا للانتخابات السابقة التي جرت حتى سنة ١٩٦٩ ، اي في الفترة التي سبقت حرب سنة ١٩٦٧ . ولقد غيرت الحرب تماما موازين القوى في الحكومة والبرلمان :

« أ » فحتى سنة ١٩٦٧ ساد مبدأ بن جوريون بعدم اقامة ائتلاف حكومي لا مع حيروت ولا مع « ماكي » ، لكن قبيل الحرب ، ونتيجة لضغوط حزبية وجماهيرية شاركت حيروت في الحكم لاول مرة منذ تأسيس اسرائيل . ويرى بعض المراقبين ان هذا الحدث الهام تم على مرحلتين . ففي سنة ١٩٥٦ احاط بن جوريون بيجن علما بشكل مسبق عن عزم الحكومة في شن حملة سيناء . والمرحلة الثانية كانت دخول جاحال الى حكومة الائتلاف القومي قبل حرب سنة ١٩٦٧ واهمية هذه الخطوة تكمن في اختراق جدار الحصار الذي كان يفرضه المباي على حيروت ، وفي الدور الذي لعبه جاحال خلال السنين الثلاث الاولى التي اعقبت الحرب ، حيث كان وجوده في الحكم ، عاملا مساعدا للعناصر اليمينية في الائتلاف الحكومي وفي حزب العمل فيما بعد لفرض وجهة نظرها على الحكومة وعلى مسار السياسة الاسرائيلية داخليا وخارجيا .

« ب » أما التغيير الاساسي الثاني فكان يكمن في الحقيقة التالية :

فعلى الرغم من انه لم يطرأ تغيير على طريقة الانتخابات ، فقد برز ميل نحو خلق تكتلات حزبية كبيرة وتقليل عدد الاحزاب الصغيرة ، واهم حدثين في هذا الاتجاه كانا ظهور الاتجاه نحو تجميع قوى المعسكرين الرئيسيين في الحياة السياسية في اسرائيل ، معسكر العمل من جهة ومعسكر الاحزاب اليمينية البرجوازية ، او ما يسمى تكتل الاحزاب اليمينية غير الدينية ، وفي الحقيقة فان هذا الميل بدأ مساره قبل الحرب سنة ١٩٦٥ ، حيث اقيم التجمع العمالي (مباي + احدوت هعفودا) وتكتل جاحال (حيروت + احرار) . وقد استمر هذا الاتجاه مشكلا مسارا واضحا رغم الافرازات الاولية التي أحدثها (ظهور قائمة رافي ، وانشقاق التقدميين عن حزب الاحرار وتشكيل حزب الاحرار المستقلين ، ومن بعدها انشقاق المركز الحر عن حيروت) . رغم هذه الافرازات التي برزت في البداية ، فان هذا المسار استمر وقطع شوطا كبيرا سنة ١٩٦٨ باقامة حزب العمل ، وفي سنة ١٩٦٩ باقامة التجمع العمالي الثاني (العمل + المابام) واخيرا اقامة التجمع اليميني (ليكود) سنة ١٩٧٣ .

« ج » التأثير الثالث الذي أفرزته حرب حزيران كان في نقل مركز الثقل في السياسة الاسرائيلية الى الشؤون الخارجية والامنية . حيث طغت شؤون الامن ومسألة المناطق على اهتمامات السلطة والجماهير .

« د » والامر الرابع والذي استمر لفترة ثلاث سنوات ، اي فترة حكومة التكتل القومي كان انعدام وجود معارضة جديةفي الكنيست الاسرائيلي. فحكومة التكتل القومي كانت تستند الى قاعدة برلمانية واسعة جدا ٩٨ من اصل ١٢٠ .

« هـ » ازدياد التوجه نحو اليمين على الصعيد الاقتصادي وعلى صعيد الموقف من النزاع العربي — الاسرائيلي والمفاهيم السياسية والامنية . ونحن بقولنا « ازدياد التوجه » او بمعنى اخر تسارع التوجه ، فاننا بالتأكيد نريد ان نقول ان هذا الاتجاه اليميني كان قائما وعاملا منذ سنوات، ويمكن القول انه اخذ بالنمو والتعاظم منذ قيام الدولة وحتى قبلها . ولسنا هنا في مجال تفصيل

هذا التوجه ولكن لا بد من الاشارة باختصار الى بعض الامور التي توضح ما نذهب اليه .

١ ـ ازدياد وتوثيق الروابط بين اسرائيل والاستعمار الاميركي وكافة الدول الرجعية والعنصرية في العالم مثل جنوب افريقيا ، روديسيا والبرتغال ومثل هذا الامر ليس ناتجا عن حرب سنة ١٩٦٧ ، بل كان يطبع السياسة الاسرائيلية منذ نشوء اسرائيل مع تغيير في السير حسب مصالح النظام الصهيوني وتغيرات موازين القوى العالمية .

٢ ـ تعاظم الدور السياسي ـ الاقتصادي لاسرائيل في دول العالم الثالث لحساب المصالح الامبريالية والاميركية بشكل خاص ، مع محاولات لتجيير هذا الدور ايضا لمصالح الرأسماليين اليهود الاسرائيليين وغير الاسرائيليين .

وعلى صعيد المنطقة وتسوية ازمة الشرق الاوسط او بشكل ادق تسوية قضية الاحتلال الاسرائيلي لبقية اراضي فلسطين وبعض اراضي الدول العربية الاخرى نرى :

٣ ـ احباط كافة المساعي والمشاريع التي كانت تهدف بشكل او باخر الزام اسرائيل بالانسحاب من تلك المناطق .

٤ ـ مزيد من الاستشراس في مجابهة حركة التحرر الفلسطينية وطليعتها المسلحة المتمثلة في منظمات المقاومة الفلسطينية، سواء بشن الغارات الانتقامية وقصف المخيمات او بدفع بعض الانظمة العربية الرجعية والخاضعة للنفوذ الاميركي لضرب المقاومة الفلسطينية كما حدث في الاردن ولبنان .

٥ ـ المضي قدما في سياسة الضم الزاحف واقامة المستوطنات ووضع المخططات لابتلاع الاراضي العربية ودمجها اقتصاديا بالاقتصاد الاسرائيلي .

وعلى الصعيد الداخلي الاقتصادي نرى :

٦ ـ تفشي الاضرابات في السنوات التي اعقبت حرب حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ نتيجة للسياسة المعادية للمصالح الحقيقية للطبقات الوسطى والفقيرة ، والنجاح في اتخاذ تدابير قمعية بحجة الامن لمواجهة المطالب الشعبية . تمثلت بشن حملات اعلامية مركزة على كل تحرك مطلبي سواء كان على صعيد طائفي او طبقي ووصف القائمين على هذه التحركات « بالمخربين » . واخيرا سن القوانين التعسفية مثل قانون تجميد الاضرابات وقانون محاكم العمل وتزايد المطالبة بسن قانون التحكيم الالزامي في نزاعات العمل .

في ضوء هذه المعطيات وهذا التوجه نشبت حرب تشرين (اوكتوبر) سنة ١٩٧٣ ، واحدثت الذي أحدثته من اسقاط لمسلمات وفرضيات ساهم في خلقها كل من اليمين والحكومة ومن قبل اكثر المعتدلين فيها . كانت السلطات الاسرائيلية في الواقع اسيرة للمنطق الذي فرضت على العرب ضرورة التفكير والتصرف به ، منطلقة وموهمة نفسها بان ما تحاول زرعه في النفوس داخليا وخارجيا هو في الواقع له وجود حقيقي. والسؤال هو : ما الذي فعلته حرب تشرين (اكتوبر) بالنسبة للمعطيات المذكورة اعلاه ؟ اذا جاز لنا ان نستعمل كلمة هزيمة ، فان حرب تشرين الاول قد هزمت خرافات الاسرائيليين حول انفسهم وحول العرب ، ولكنها لم تكن بأي حال من الاحوال كافية لهزم المدارس الفكرية السياسية والعسكرية رغم ما احدثته لها من اختلال . هذا في مثل ظروف وتعقيدات النزاع في منطقتنا ، او بالنسبة الى المواقف التي كانت قائمة ، فان ما احدثته حرب تشرين (اكتوبر) لا يعتبر بأي شكل في مجال التغييرات الجذرية داخل المجتمعات . لقد نجحت القوى المقررة في الحياة السياسية سواء في الحكم او المعارضة في صد بعض الهجمات التي شنها البعض سواء داخل الاحزاب او خارجها مطالبا اعادة النظر في اسس المفاهيم القائمة للخروج من ذلك بمفاهيم جديدة تتجاوب مع طبيعة التغييرات التي استجدت ، وبسياسة واضحة تعالج جذور الازمة وليس ظواهرها . لقد اثبتت الاحداث التي تعاقبت بعد وقف اطلاق النار ان المفاهيم القديمة والقيمين عليها قد نجحوا في حصر ما تمخضت عنه حرب تشرين (اكتوبر) في اطار ضيق هو : اقامة لجنة للتحقيق في سقطات وعيوب حرب تشرين (اكتوبر) الامنية والمتتبع للمناقشات والمساجلات التي اعقبت حرب تشرين (اكتوبر) وللموقف الرسمي الاسرائيلي من قرار مجلس الامن الجديد ٣٣٨ ، وتفسير اسرائيل للقرار ٢٤٢ ، وفهمها لمؤتمر السلام في جنيف . ثم للمواقف الحزبية للكتل الرئيسية والمقررةفي تحديد سياسة اسرائيل، وبالذات التجمع العمالي الحاكم (المعراخ) ،

يرى ان ما اسفرت عنه الرياح التشرينية لم يؤد على الاقل الى تغيير جذري في السياسة والنهج اللذين كانا سائدين قبل الحرب ، ولا في القيادات التي حددت ووجهت تلك السياسات . فالمواقف الاسرائيلية الحزبية والرسمية ما زالت — حتى اكثرها اعتدالا — لا تلتقي مع المواقف العربية في منتصف الطريق اي الانسحاب الكامل من كافة الاراضي العربية المحتلة . (للمزيد من التفاصيل: انظر شؤون فلسطينية العددان ٢٨ و٢٩ ص ١٩٦ ، ص ٢٠٢) .

في مثل هذا الجو وعلى ضوء هذه المواقف جرت الانتخابات الاخيرة واسفرت عن النتائج التي ذكرناها في بداية هذا البحث . فما الذي تعنيه تلك النتائج بالنسبة لما يلي بالتحديد :

١ — هل تعتبر هزيمة للفكر والممارسة اليمينين اللذين طبعا السياسة الاسرائيلية والحزبية داخليا وخارجيا ؟

٢ — ما مدى تأثير تلك النتائج على الصراع الذي دار داخل التجمع العمالي الحاكم بين الصقور والحمائم ؟

٣ — ما هي الامكانات المتاحة لتشكيل الحكومة القادمة على ضوء هذه النتائج ، وما هو طابع الحكومة المقبلة المتاح ؟

اتجاه نحو اليمين

اسفرت نتائج الانتخابات عن زيادة في قوة تجمع اليمين النيابية بلغت ٢٥ ٪ . فقد كان للكتل المشكلة للتجمع اليميني في الكنيست السابقة واحدا وثلاثين مقعدا ، بينما أصبح لها الان تسعة وثلاثون مقعدا . وفي الوقت نفسه خسر التجمع العمالي الحاكم ستة مقاعد ، فمن أصل سبعة وخمسين مقعدا كانت له في الكنيست السابقة احتفظ بواحد وخمسين مقعدا فقط . وهكذا لم يعد للتجمع العمالي الاكثرية المطلقة اعتمادا على النواب العرب المرتبطين به ، تلك الاكثرية التي حصل عليها في أكثر من انتخابات سابقة كما يبين الجدول رقم ١ . وعلى الرغم من احتمال كون نسبة زيادة قوة التجمع اليميني الانتخابية — اي عدد المقترعين لصالحه — أقل من نسبة زيادة قوته البرلمانية ، فان هذا الاحتمال لن يغير من وزن وحجم كتلته في الكنيست ومن قدرتها على التأثير على سياسة الحكومة المقبلة ، بالنسبة لبعض القضايا ، سيما وان بعض الاجنحة داخل حزب العمل وبعض الاحزاب المرشحة لاقامة الحكومة المقبلة — المفدال — تلتقي معها في بعض الامور . وقد علق مناحيم بيجين على نتائج الانتخابات بقوله : « اعتقد بأنه من الافضل عدم التحدث عن الرضاء والارتياح ، بل ان نحلل النتائج . وأنا اؤكد بأن ليكود لم يحقق انتصارا ... لكنه حقق انجازا كبيرا على الصعيد القومي ... ولا اتردد في القول انه انجاز تاريخي وفيما يلي الاسباب : اولا ، بالنسبة لارض — اسرائيل ، فقد طالب المعراخ بمنحه صلاحية لممارسة سياسته ، أي الحصول على موافقة الشعب لاعادة تقسيم ارض — اسرائيل. وما حدث هو بالعكس تماما . ففي الكنيست الثامنة توجد أغلبية واضحة ضد اعادة تقسيم ارض — اسرائيل الغربية ، او بكلمات اخرى ، اغلبية ساحقة لاجل عدم تقسيم ارض — اسرائيل ، ولنفترض ان « ليكود » سيحصل على ٣٨ مقعدا فانه الى جانب كتلتي المتدينين اللتين التزمتا امام الناخبين بعدم اعادة الضفة الغربية الى الغرباء، فان عددنا سيصل الى ٥٥ عضو كنيست . اما المعراخ فلديه حاليا ٥١ ، ٥٢ مقعدا ، ويجدر ان نخفض من هذا العدد ، عددا من اعضاء المعراخ الذين يعارضون ايضا تقسيم ارض — اسرائيل . وهذا يؤكد انه توجد في المعسكر القومي (دون الشيوعيين) أغلبية ساحقة ضد اعادة تقسيم ارض — اسرائيل وقد تحقق ذلك بفضل ما حققه « ليكود » . ثانيا ، كان ثمة فرق عددي بين المعراخ وليكود بلغ ٢٦ مقعدا . أما في الكنيست الثامنة فان هذا الفرق قد انخفض الى ١١ ، ١٢ مقعدا . وهذا انجاز هام جدا ، لكونه في أية انتخابات مقبلة اذا حصلنا من المعراخ على ٦ مقاعد اخرى فسوف نصبح في الطليعة امام المعراخ . وقد ثبت في انتخابات سنة ١٩٦٩ وفي انتخابات يوم أمس ان المعراخ من شأنه ان يخسر ٥ ، ٦ مقاعد ، وبكلمات اخرى فاننا نقف قبل الخطوة الاخيرة من تركيب حكومة جديدة في اسرائيل » . (رأا — ٧٤/١/١ ، ملحق عدد ٤٢٨) .

تعزيز الجناح اليميني داخل حزب العمل

كما هو معلوم فان القيادة الثلاثية لحزب العمل جولدا — دايان — جاليلي خرجت معززة من

اجتماعات اللجنة المركزية للحزب التي انعقدت في اواخر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٧٣ واختتمت اعمالها في الاسبوع الاول من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٧٣ . تلك الاجتماعات التي كرست لاقرار وثيقة عمل تأخذ بعين الاعتبار الوضع الجديد بعد حرب تشرين (اكتوبر) بالاضافة الى صياغة برنامج الحزب الانتخابي . وقد علق في حينه الصحفي الاسرائيلي يوئيل ماركوس في مقال نشر في صحيفة هآرتس الاسرائيلية ١٢/٥/٧٣ على الاوضاع داخل الحزب بعد صوغ وثيقة المبادىء الاربعة عشر بقوله : « ان الوثيقة التي ستصادق عليها اللجنة المركزية توضح خمس نقاط هامة :

● ان جولدا مئير لا تزال تسيطر على الحزب، ولا يزال باستطاعتها فرض ارادتها سواء بالنسبة الى الخط السياسي او بالنسبة الى طريقة اقراره. كذلك لا تزال قادرة على تعيين فريق الاشخاص العامل معها .

● قوي مركز موشي دايان في التجمع على الرغم من الانتقادات التي توجه اليه . والسبب في ذلك هو ازدياد الخوف الذي كان قائما بالنسبة الى دايان — الخوف من أن يلتحق بمعسكر المعارضة . والان عندما يطالب الحزب الديني القومي بحكومة موسعة ، وتدل استفتاءات سرية للرأي العام عن تحول ناخبين من التجمع الى التكتل ، فان دايان، المعزول ، قد يكون الرجل الذي قد يدفع بالتجمع الحاكم ليتحول الى معارضة .

● لا زالت قيادة مباي ، التي تسيطر على الجهاز الحزبي ، غير مستعدة وربما تخاف من استلام زمام السلطة . ويبدو الان ، اكثر من اي وقت مضى ، انه ليس لدى تلك القيادة بديل عن زعامة جولدا — جاليلي — دايان ، وهي ليست متحمسة لتسليم السلطة الى « الغرباء » مثل بارليف ورابين وياريف ، بينما ليس لديها هي نفسها بديل عن الثلاثي القائم . ولهذا فان ازمة الزعامة في اكبر الاحزاب الاسرائيلية ستبقى كعب آخيل بالنسبة للحزب .

● ان الحزب سيبقى كما كان : سوبر ماركت من الاراء .

● ان كل الكلام عن تقوية الديمقراطية داخل مؤسسات الحزب لا اساس له . وان منتخبي مؤسسات الحزب لا يزالون يرقصون على انغام مزامير رعاتهم . ومهما كان الموضوع ، فان الاعتبارات الشخصية او الكتلوية الضيقة هي التي تقرر شكل التصويت » . (نشرة م. د. ف — ١٦/١٢/٧٣ ، العدد ٢٤ السنة الثالثة) .

واذا كان دايان قد استطاع فرض وثيقة جاليلي في السابق تحت التهديد بالانشقاق ، واستطاع بعد الحرب البقاء في منصبه ، رغم كل الانتقادات والمطالبات باقالته ، حرصا على وحدة الحزب ، فان الامر اليوم بعد هبوط قوة المعراخ في الكنيست اصبح اكثر خطورة ، ووزن دايان داخل حزب العمل زاد بما لا يقاس عما قبل . اما الوزن العددي لكتلة دايان داخل التجمع العمالي فهو يتراوح بين ٧ — ٨ عدا من يتماثلون معه من اعضاء المباي واحدوت هعفودا .

تشكيل الحكومة

ان التركيبة الائتلافية للحكومات الاسرائيلية ، أضحت احدى سمات الحكم في اسرائيل منذ قيام الدولة . وعلى الرغم من ان الامكانيات ونتائج الانتخابات كانت تتيح تشكيل حكومات عمالية صرفة، فان الاتجاه العام لتشكيل الحكومات كان يميل نحو ادخال احزاب اخرى في التشكيلة الائتلافية وبشكل خاص الاحزاب الدينية وعلى رأسها المفدال . وقد تعزز هذا النحو بعد قيام المعراخ الاول سنة ١٩٦٥ ، ورست التشكيلة الحكومية على ثلاثة احزاب : التجمع العمالي + المفدال + الاحرار المستقلين .

لم تكن قدرة التجمع العمالي او الاحزاب العمالية منفردة ضعيفة في المفاوضات الائتلافية مع الاحزاب غير العمالية قدر ما هي عليه الان ، باستثناء الوضع الذي اعقب انتخابات الكنيست السادسة سنة ١٩٦٥ ، حيث حصل المعراخ (ماباي + أحدوت هعفودا + حزب المابام) على ثلاثة وخمسين مقعدا ، وقد نجم ذلك عن الانشقاق الذي حصل داخل المباي ، وخوض بن جوريون للانتخابات على رأس قائمة « رافي » . ومن ناحية اخرى لم يكن وضع المفدال في المفاوضات الائتلافية أحسن مما هو عليه الان ، حيث بدونه ، واذا استبعدنا دخول الجبهة التوراتية للائتلاف بسبب مطاليبها الدينية المغالية ، فان التشكيلة الحكومية المحتملة من المعراخ والاحرار المستقلين وحركة

حقوق المواطن تؤمن ٦١ صوتا من أصل ١٢٠ .

ان ما أدت اليه النتائج الانتخابية من تغيير في توازنات القوى الحزبية ، جعل من المفاوضات الائتلافية الحالية اعقد مفاوضات يمر فيها التجمع العمالي منذ سنة ١٩٦٥ . وتعقيداتها ليست ناجمة عن الامور المختلف عليها بالنسبة للسياسة الخارجية والامنية ، والتي كان بالامكان في الماضي تجاوزها نظرا لانها لم تكن ملحة ولم تتطلب اتخاذ موقف ، بل ان التعقيدات ناجمة ايضا عن بعض المطالب الاخرى التي التزمت بها الاحزاب المرشحة للائتلاف امام ناخبيها مثل : حرية المبادرة في تقديم مشاريع قوانين تتعلق بالدين والدولة (الاحرار المستقلين) مطالب الاحزاب الدينية بتعديل قانون من هو اليهودي؟ تشريح الجثث (أجودات يسرائيل)، مسألة العمل يوم السبت في بعض المؤسسات الحكومية (التليفزيون) .

الاحتمالات

على صعيد الاحتمالات هناك اربعة احتمالات لتشكيل الحكومة :

١ — احتمال تشكيل حكومة تكتل وطني .

٢ — احتمال تشكيل حكومة ائتلافية مقلصة (المعراخ + الاحرار المستقلون + حركة حقوق المواطن) بالاستناد الى النواب العرب الذين أعلنوا عن انضمامهم لحزب العمل .

٣ — احتمال انضمام المفدال الى التشكيلة الحكومية واستمرار الائتلاف الحكومي الحالي .

٤ — احتمال دخول الجبهة التوراتية الى الائتلاف بدلا عن المفدال .

بالنسبة للاحتمال الاول فان جميع الدلائل تشير الى ان حزب العمل والتجمع العمالي يقف منه موقف المعارضة الشديدة ، بينما من ناحية اخرى نرى المفدال قد طرح هذا الموضوع على جدول المشاورات الحزبية الدائرة . وتعتبر مسألة اقامة حكومة تكتل وطني أحد المطاليب التي يمكن أن تنسف المفاوضات الائتلافية مع المفدال اذا ما أصر على مطلبه هذا . ومن المعلوم ان المفدال كان قد رفع هذا الشعار مباشرة بعد الحرب ، ثم رفعه كشعار سيسعى لتحقيقه بعد الانتخابات ، وهو يلتقي في هذا الشعار مع التجمع اليميني الذي غير بذكاء تكتيكه الانتخابي ورفع شعار اقامة حكومة تكتل وطني لمواجهة القضايا المصيرية بدل شعاره السابق التكتل — البديل . وحسب كل المعطيات القائمة الان فان مثل هذه الحكومة مستبعدة سيما وان دايان لا يبدي حماسا لهذه الفكرة لرد الصنيع للمفدال واليمين اللذين فرضاه على المعراخ وزيرا للدفاع سنة ١٩٦٧ . وبدون ضغط داخلي ليس هناك امكانية منظورة لكي يغير حزب العمل موقفه، سيما وان المابام أعلن بصراحة انه لن يشارك في ائتلاف حكومة تكتل قومي .

أما بالنسبة للاحتمال الثاني فيبدو انه لن يطرح في المراحل الاولى من المفاوضات ، بل سيبقى كاخر ورقة في يد التجمع العمالي للحيلولة دون اعادة الانتخابات او الاضطرار لتشكيل حكومة تكتل قومي . والتشكيلة المقترحة تشكيلة ضعيفة ولا تستند الى قاعدة برلمانية مضمونة (٦١ صوتا) ولذا فانها لو قامت ستكون معرضة للذهاب في كل لحظة . ومن ناحية اخرى فانها ستكون اضعف من ان تتخذ خطوات يعتبرها باقي الاحزاب خطوات مصيرية دون اللجوء الى اسلوب الاستفتاءات .

أما الاحتمال الثالث ، فيبدو انه الاحتمال الذي يسعى اليه التجمع العمالي ، حيث سيضمن للحكومة قاعدة برلمانية واسعة ، ٧١ صوتا من ١٢٠ ، وسيقوي من مركز الحكومة وصلاحيتها في الاستمرار بالمفاوضات في جنيف . لكن مثل هذا الائتلاف تقف أمامه العقبات التالية :

١) مطلب المفدال اقامة حكومة تكتل قومي .

٢) تعديل قانون من هو اليهودي .

٣) والاكثر أهمية من المطلبين معا ، هو موقف المفدال من مسألة تقسيم ارض اسرائيل الغربية، اي الانسحاب من الضفة الغربية . فالمفدال كما هو معلوم يعارض الانسحاب من الضفة الغربية وهضبة الجولان ويدعو الى زيادة عمليات الاستيطان في هاتين المنطقتين . وبالنسبة لمطالب المفدال فان المطلب الاول يلقى معارضة كما أشرنا من التجمع العمالي . اما المطلب الثاني فالموافقة عليه ستخلق اشكالات وصعوبات بالنسبة لانضمام الاحرار المستقلين وحركة حقوق المواطن (شولميت الوني) للائتلاف الحكومي بسبب معارضتهم لذلك ومطالبتهم باعطاء حزبهم حرية التقدم بمشاريع قوانين تتعلق بامور الدين والدولة دون أن ينص في الاتفاق الائتلافي على أن ذلك يشكل خرقا للانضباط الائتلافي.

ومثل هذه النقطة يمكن تسويتها مع المفدال اكثر من الجبهة التوراتية لذلك فمن المستبعد الاحتمال الرابع ولو انه قائم نظريا فقط .

من هنا يبدو انه عمليا لم يبق سوى احتمالين اما الاحتمال الثاني او الاحتمال الثالث . ومن ناحية السهولة فان الاحتمال الثاني لا يجابه اية صعوبات على صعيد الكتل المرشحة لتشكيل الحكومة ، ولكنه كما سبق وأشرنا لن يصمد طويلا بسبب ضعف قاعدته البرلمانية ، لذا يبقى عمليا الاحتمال الثالث ، وهو اكثر الاحتمالات قبولا لدى التجمع العمالي ، وفي نفس الوقت وبناء على المواقف المعلنة حتى الان اكثرها تعقيدا .

ان نجاح المباحثات العسكرية بين مصر واسرائيل وفك التحام القوات وانسحاب جزئي من سيناء دون التعهد او طرح مسألة الانسحاب الكامل مسبقا اي بمعنى اجراء ترتيبات مؤقتة تبعد شبح الحرب وتتيح لاسرائيل استمرار المناورة في مجابهة المطالب العربية المعلنة بالانسحاب الكامل ، يمكن ان تسهل عملية تشكيل الحكومة الاسرائيلية ، حيث ، كما حدث في السابق ، تجري صياغة الخطوط الاساسية للحكومة ولموقفها بنفس الصيغ السابقة التي تتسم بالغموض والعموميات ، دون الخوض في التفاصيل الامر الذي يسهل على الاطراف الائتلافية عملية المشاركة في الحكومة دون ان يبدو ذلك وكأنه تراجع عن مواقفها المعلنة (المفدال) .

بناء عليه فان الاحتمال الثالث اي اقامة حكومة ائتلافية موسعة مرهون بشكل اساسي في نجاح اسرائيل في احراز كسب سياسي يبعد شبح الحرب ولا يشكل تنازلات واضحة بعيدة المدى فيما يتعلق بالامن والمناطق . وعلى كل حال ، ففي اعتقادي ان أية حكومة ائتلافية ستكون غير مؤهلة ، اعتمادا على المواقف الرسمية وعلى المواقف الحزبية لكافة الاحزاب الصهيونية ، لاكثر من تسوية جزئية في الوقت الحاضر مع مصر ، وارجاء البت في النواحي الاخرى للمشكلة وبالذات مصير الضفة الغربية والقدس الى فترة زمنية بعيدة نسبيا ، تحاشيا لما يمكن ان يؤديه ذلك من تفجير الصراعات داخل اسرائيل وحتى داخل الحكومة نفسها .

نتائج الانتخابات العامة في اسرائيل منذ الكنيست الاولى

الاحزاب العمالية والقوائم العربية المرتبطة بها

الحزب / الكنيست	I	II	III	IV	V	VI	VII	VIII
المجموع	٦٥	٦٠	٥٩	٦٣	٥٩	٥٣	٥٦	٥١
المباي	٤٦	٤٥	٤٠	٤٧	٤٢	٤٥		
			١٠	٧	٨		٥٦	٥١
أحدوت هعفودا / المابام	١٩	١٥	٩	٩	٩	٨		
القوائم العربية	٢	٥	٥	٥	٤	٤	٤	٣

1 — تسيدون ، آشر : **مجلس النواب** ، ص٢٤ .

٢ — تسيدون ، آشر : **مجلس النواب** ، ص ٤٠ — ٤٥ .

٣ — لازار ، دافيد : **نظام الحكم في اسرائيل** ، مجموعة محاضرات ، ص ٥١ .

هاني عبدالله

[٢]
عملية اغتيـــال بوشيكي

صدرت يوم الجمعة الموافق الاول من شباط ١٩٧٤ الاحكام بحق الستة المتهمين في قضية اغتيال الشاب المغربي احمد بوشيكي بتاريخ ٢١ يوليــو من العام الماضي . وكانت الاحكام على الشكــل التـــالي :

١ — ابراهام جيامر اسرائيلي الجنسية ، عمره ٣٤ سنة ، شغل وظيفة السكرتير الثاني وثم الاول في السفارة الاسرائيلية في باريس من العام ١٩٦٥ لغاية ١٩٦٩ ، وثم تابع دراسة العلوم السياسية والعلاقات الدولية.صدر الحكم بحقه بالسجن خمس سنوات ونصف بتهمة الاشتراك بارتكاب جريمة ، والتجسس واستعمال جوازات مزورة.كان المدعي العام قد طلب باصدار الحكم بحقه بتسع سنوات.

٢ — سيلفيا رفائيل من جنوب افريقيا وتسكن في اسرائيل ، كانت تعمل كمعلمة وقبل ذلك عملت كمصـــورة صحفيـــة لجريـــدة Daily Sketch في لندن . وذكرت احدى المجلات النرويجية بأنها عملت كجاسوسة اسرائيلية وكـــــانت المصـــورة الصحفية المفضلة للملك حسين. حكم عليها بالسجن لفترة خمس سنوات ونصف بتهمة الاشتراك بارتكاب جريمة والتجسس واستعمال جوازات مزورة . كان المدعي العام قد طلب باصدار الحكم بحقها لفترة سبع سنوات .

٣ — دان اربال دانمركي الجنسية ويسكن في اسرائيل ، ظهر من التحقيق انه استعمل في فترة سنة ما لا يقل عن ٧ جوازات مزورة من بينها جواز كندي واخر بريطاني (ومن الجدير بالذكر انه لم يقدم احتجاج من كندا او بريطانيا لا سيما وان الاخيرة ابلغت بنتائج التحقيق) . حكم عليه بالسجن لفترة خمس سنوات بتهمـــة الاشتراك بارتكاب جريمة والتجسس .

٤ — ماريان غلادنيكوف سويدية الجنسية وابنة طبيب سويدي . اشترك والدها واخوها الى جانب اسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧ . انتقلت الـــــى اسرائيل سنة ١٩٧٠ لتعمل لدى شركة حاسبـــات الكترونية (كومبيوتر) . حكم عليها بالسجن لفترة سنتين ونصف بتهمة استعمـــــال جواز مـــزور والتجسس .

٥ — زفي شتينبرغ اسرائيلي الجنسية ، القي القبض عليه في شقة الدبلوماسي الاسرائيلي ييغال ايال كان زفي موجودا في اوسلو خلال ارتكـــاب الجريمة وقام بدور غير مباشر ، حيث انه كـــان يوصل الاوامر الواردة الى اوسلو الى مدينـــة ليلاهمر . حكم عليه بالسجن لفترة سنة واحدة بتهمة التجسس . كان المدعي العام قد طلب الحكم عليه بست سنوات .

٦ — مايكل دورف اسرائيلي الجنسية ، التي القبض عليه في شقة ييغال ايال . كان متواجدا خارج (ليلاهمر) خلال ارتكاب الجريمة . قـــام بدور مساعد فني لزفي . وتم الافراج عنه علما بأن المدعي العام طلب الحكم عليه بست سنوات .

ان المحاكمة التي بدأت بتاريخ السادس مــن يناير في العاصمة النرويجية والتي احيطت بحراسة مكثفة لم تشهد النرويج مثيلا لها منذ الحرب العالمية الثانية ، اجتذبت العديد من رجال الصحافـــة العالميين وكذلـــــك دوائر البوليس في الـــدول الاسكندنافية وبريطانيا التي قامت بدورها بارسال مراقبين الى وقائع جلسات المحاكمة . كذلك حضر جلسات المحاكمة ممثلون عن المغرب واسرائيل . بدأت وقائع جلسات مفتوحة بالرغم من طلب مـــن محامي الدفاع الستة بأن تكون الجلسات مغلقة. اوضح المدعي العام في الجلسة الاولى الدوافـــع السياسية والايديولوجية التي أدت الى اغتيال احمد بوشيكي الذي قتل رميا بالرصاص بعد أن اطلق عليه ١٣ رصاصة من سيارة (فولفـــو) استطاعت الهرب من البوليس النرويجي . اوضح المدعي العام بان بوشيكي الـــذي وقع ضحيـــة الارهاب انما هو ضحية اخرى من ضحايا الصراع العربي الاسرائيلي الذي انتقل الى اوروبا وانحاء اخرى في العالم . ان هدف المحاكمة هو معرفـــة ما اذا كان بوشيكي الرجل المراد قتله ام انــه كان ضحية لبس . كذلك معرفة الجهة التي عملت لها المجموعة التي ثبت أنها مؤلفة من ١٥ شخصا والتي وقع ستة من افرادها في قبضة البوليس النرويجي . ان علامة السؤال كانت ، من هـــي الجهة التي أرسلت المجموعة . هـــل ارسلت المجموعة بأمر من المخابرات الاسرائيلية (موساد)

او من جهة اسرائيلية غير رسمية . الاجابة على هذا السؤال تعني الكثير بالنسبة للعلاقات النرويجية الاسرائيلية التي كانت قد توترت اثر اقتحام البوليس شقة الدبلوماسي الاسرائيلي ييغال ايال الذي كان قد خبأ اثنين من افراد المجموعة في بيتـه .

ان الفريد من نوعه في هذه المحاكمة ، انه للمرة الاولى في اوروبا ، تقوم مجموعة بأمر من المخابرات الاسرائيلية (موساد) باغتيال شخص معين ويقع عدد من افرادها بقبضة رجال الامن. بالاضافة الى ذلك فلقد كشف النقاب خلال التحقيق وخلال المحاكمة بان المجموعة نفسها مسؤولة عن اغتيال الشهيد وائل زعيتر في روما ، حيث انها استعملت نفس الاسلوب ، ونفس السلاح . (انظر شؤون فلسطينية رقم ١٥ حول عملية اغتيال الشهيد وائل زعيتر) . هذا وقد ذكرت دوائر التحقيق انه قد تم ارسال عدد من رجال البوليس النرويجي الى كل من روما وباريس لمعرفة ملابسات اغتيال الشهيد وائل وكذلك الشهيد محمود الهمشري ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس (انظر شؤون فلسطينية عدد ١٨ ، حول اغتيال الشهيد الهمشري) حيث يعتقد بأن هناك علاقة متينة تشير بأن المجموعة التي اغتالت بوشيكي قد تكون ايضا مسؤولة عن اغتيال الهمشري .

هذا وقد ذكرت دوائر التحقيق في كل من اوسلو وروما وباريس ان المدعي العام في قضية بوشيكي قام شخصيا بزيارة روما وباريس ليدرس عن قرب تفاصيل عمليتي القتل . اما فيما يتعلق بقضية اغتيال وائل زعيتر ، فانه قد كشف النقاب عن ان دوائر البوليس الايطالي متأكدة بأن المجموعة المؤلفة من ١٥ شخصا والمسؤولة عن اغتيال بوشيكي ، تقع عليها ايضا مسؤولية اغتيال وائل زعيتر . واضاف البوليس الايطالي قائلا : بأن ستة من افراد المجموعة يقيمون في السجن في اوسلو ، واما الباقون فقد استطاعوا الهرب من يد العدالة بعد مقتل زعيتر في روما .

أما فيما يتعلق بعلاقة المجموعة بعدد من الاغتيالات في باريس ، فانه قد تم العثور على ملاحظات في مذكرة سيلفيا رفائيل ادت مباشرة الى معرفة سبع شقق كانت تحت تصرف المجموعة في باريس . هذا وقد صرح البوليس الفرنسي بانه استطاع فك بعض الرموز التلفونية التي ستساعد في تسهيل مهمة التحقيق في قضية بوشيكي وكذلك في ثلاث عمليات قتل اخرى في باريس .

ان عمليات الارهاب الاسرائيلية في باريس وروما وليلاهمر والعلاقة بين هذه العمليات تدفعنا الى تتبع الطريقة التي تمت فيها عملية الاغتيال في النرويج ومدى تأثيرها على العلاقات النرويجية الاسرائيليـة .

ان مجموعة الارهاب الاسرائيلية المؤلفة من ١٥ شخصا والتي انقسمت الى ٣ او ٤ مجموعات ، غادرت اسرائيل عن طريق مطار اللد بين العاشر والثامن عشر من شهر يوليو . لقد وصلت احدى المجموعات الى ستوكهولم ومجموعة اخرى الى اوسلو عن طريق مطار زوريخ . لقد تلقت المجموعة معلومات تفيد بأن هناك مخططا لمهاجمة عدد من السفارات الاسرائيلية ومكاتب العال في عواصم الدول الاسكندنافية لا سيما في ستوكهولم واوسلو ، وان مهمة المجموعة التصدي لمنع تحقيق ذلك المخطط الذي ذكر بأن افراد من منظمة ايلول الاسود وعلى رأسهم علي سلامة كانوا متواجدين في مكان ما في النرويج . المجموعة التي وصلت الى ستوكهولم نزلت في فندق فاخر لفترة اسبوع وثم قامت بالسفر الى اوسلو للالتحاق بالمجموعات الاخرى . لقد اتضح لافراد المجموعة في الايام الثلاثة الاخيرة التي سبقت عملية الاغتيال بأن على المجموعة تتبع وملاحقة شخص جزائري يدعى بنآمنه .

لقد ذكر الاشخاص الستة المعتقلون بأن دورهم كان ثانويا واقتصر على ملاحقة شخص والاتصال بفنادق اوسلو ، وتلقي المعلومات من قادة المجموعة . اما بالنسبة للقادة نذكر ان واحدا منهم يدعى مايك والاخر فرانسوا ، وهما الشخصان اللذان قتلا بوشيكي . كذلك ذكر المعتقلون الستة بأنهم لم يعرفوا بوجود مخطط لقتل شخص ما .

تقول سيلفيا رفائيل بأنها قد سمعت اسم (سلامة) ولكنها لم تربط بين ذلك الاسم وسلامة الشخص الذي كان هدف عملية الملاحقة والذي اعتبر في اسرائيل منسقا لعملية ميونيخ (انظر شؤون فلسطينية عدد ١٥ ص ٢١٦) .

هذا وبعد ان فشلت المجموعة في العثور على الشخص ، تلقت معلومات تفيد بأن ذلك الشخص

موجود في ليلاهمر . وبذلك بدأت عملية ملاحقة والجلوس في قاعات الفنادق والمطاعم ساعات طويلة الى ان توصلوا الى معرفة شخصية بوشيكي الذي كان قبل أيام قد تحدث الى بنآمنه والذي كان في زيارة سياحية للنرويج . لقد اعتقد قادة المجموعة بأن بوشيكي هو علي سلامة ولذلك أعطوا صورة الى الفتاة السويدية ماريان لملاحقة وسماع اللغة التي كان يتكلم بها . احتوت عملية الملاحقة على الذهاب الى حمام السباحة حيث ثبت للفتاة السويدية بأن اوصاف ذلك الشخص (او بوشيكي) لم تنطبق على اوصاف الشخص في الصورة (أي علي سلامة) وبأنها قد سمعته اي بوشيكي يتكلم الفرنسية وليس العربية .

انتهت عملية المتابعة والملاحقة ليلة ٢١ يوليو ، وبينما كان اربعة من الاشخاص الذين تم اعتقالهم في طريقهم بالسيارة الى أوسلو ، كان مايك وفرانسوا يقومان بتتبع بوشيكي وزوجته الى دار السينما ، وبعد انتهاء الفيلم ركبا الباص متوجهين الى منزلهما . وفي اللحظة التي نزلا بها من الباص قام مايك وفرانسوا باطلاق ١٣ رصاصة على بوشيكي الذي صرخ لا لا ، وثم وقع قتيلا في بركة من الدماء . في هذه اللحظات سمعت المجموعات الاخرى من خلال اجهزة التوكي ووكي عبارة they took him والتي فهم منها في الحال بأن الشخص الملاحق قد قتل .

لم تثر في البدء عملية الاغتيال اهتمام الصحافة والدوائر الحكومية ، حيث ان البوليس كان يشك بأن المجموعة التي قتلت بوشيكي ما هي الا مجموعة دولية لتهريب المخدرات ، الا ان صحة هذه النظرية لم تدم طويلا ، حيث اكتشف البوليس علاقة بين افراد المجموعة والدبلوماسي الاسرائيلي بيغال ايال والذي كان ضابطا للامن لدى السفارة الاسرائيلية في أوسلو . وبناء على ذلك قام البوليس بتطويق منزل ايال وتم اقتحامه ، وكادت تلك العملية ان تؤدي الى عراك مسلح بين البوليس وبين ايال لولا ان البوليس استطاع في اللحظة المواتية بتصويب مسدساتهم الى بيغال الذي فشل بالوصول الى سلاحه .

وبهذا تحولت عملية القتل الى عملية ارهاب بالتعاون مع السفارة الاسرائيلية مما ادى الى صدور قرار رسمي من وزارة الخارجية النرويجية باستبعاد الدبلوماسي بيغال ايال وتقديم احتجاج لدى وزارة الخارجية الاسرائيلية .

كان رد فعل اسرائيل سريعا ، لا سيما وان البوليس النرويجي لم يعتبر الحصانة الدبلوماسية، اجتمعت الحكومة الاسرائيلية لدراسة نتائج العملية وردود فعلها على العلاقات الاسرائيلية ـــ النرويجية وكذلك قررت ارسال رئيس القسم القانوني لدى وزارة الخارجية مائير روزين الى أوسلو . لم تؤد زيارة روزين بالتأثير على الحكومة النرويجية للعدول عن قرارها باستبعاد ايال ، وكذلك رفضت اطلاق سراح المعتقلين الاسرائيليين اللذين وجدا في شقة ايال ، ورفضت ايضا السماح بمقابلة المعتقلين .

في هذه الفترة بدأ الضغط يزداد على الحكومة النرويجية ، فمن جهة ، بدأت اسرائيل حملة واسعة ضد المنظمات الفلسطينية وبمسؤوليتها المطلقة عن عمليات الارهاب ودور اسرائيل في مكافحة ذلك الارهاب . كذلك اوضحت خلال حملتها بأن اسرائيل تقدم خدمة لدول اوروبا الغربية من خلال حراستها لمؤسساتها في اوروبا مما يؤدي الى انخفاض عمليات الارهاب ونتيجة لذلك فان اسرائيل تتوقع تفهم اوروبا الغربية لموقفها الحرج ومساعدتها في حملتها المضادة للارهاب .

الا ان هذه الحملة لم تغير من موقف الحكومة ودوائر البوليس . وهذا ظهر واضحا خلال جلسات المحاكمة حيث ذكر المدعي العام بأن النرويج ترفض بشدة وانها لن تتسامح مع عمليات ارهاب كعملية ليلاهمر على الارض النرويجية . وهذا يعني بأن النرويج لا تقبل بعملية قتل ارهابية مهما كانت الدوافع . وقد ذكر المدعي العام بأنه ثبت واضحا لدى الحكومة النرويجية ولدى التحقيق ولدى دوائر البوليس بأن اسرائيل مسؤولة رسميا عن عملية الارهاب ، حيث ان التحقيق يعتبر تصريح غولدا مائير بملاحقة المنظمات الفلسطينية ومناصريها في أي مكان ، يعتبر ذلك التصريح اثباتا ماديا عن الدور الذي قامت به المخابرات الاسرائيلية على الارض النرويجية لاغتيال بوشيكي .

هذا وقد قدمت وزارة الخارجية النرويجية وللمرة الثانية احتجاجا رسمية لدى السفارة الاسرائيلية بتاريخ ٢/٦ ، ذكرت فيه ان الحكومة النرويجية لا تقبل البتة ولا تتفهم تلك الدوافع التي ادت الى اغتيال بوشيكي ، انطلاقا من مبدأ الحكومة بعدم السماح للقيام بعمليات ارهابية داخل البلاد .

[٣]
نتائج قطع البترول العربي عـن هولندا

هولندا ، بحكم امتلاكها اضخم ميناء في العالم وهو ميناء روتردام واكبر مصافي للبترول في اوروبا الغربية وهي المصافي القائمة في منطقة الميناء ، أصبحت منذ انشاء المنظمة الاقتصادية الاوروبية في عام ١٩٥٨ تحتل مكانة مرموقة في مجموعة دول المنظمة والسوق الاوروبية المشتركة . ذلك ان ميناء روتردام أصبح المدخل التجاري الاكبر لغرب اوروبا من ناحية بحر الشمال ، كما أن مصافي البترول فيه التي تمتلكها مجموعة مـن شركـات النفط الرئيسية في الغرب ، تقوم بتصفية ١٣٠ مليون طن من البترول في العام الواحد ، نصفها كان يرسل بالانابيب الى المانيا الغربية وبلجيكـا وبالسفن الى بريطانيا ، والنصف الثاني يستعمل محليا . على أساس هذا ، حل باوروبا الغربية نوع من الارتبـاك والحيرة عنـد صدور القرار العربي بقطع البترول عن هولندا .

وعند نشوب حرب تشرين كان الاعتقاد سائدا لدى المطلعين على بواطن الامور ، بأن دول غرب أوروبا ستقف من الصراع المسلـح في الشرق الاوسط ، موقف الحياد او موقف القاء المسؤولية على اسرائيل ولو بطريق غير مباشر . كان مبعث هذا الاعتقاد ، السيطرة العربية على جبهـات القتال في الاسبوع الاول منه ، من ناحية، وتمسك الحكومات الاوروبية الغربية كلها او معظمها بقرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ الداعي الى انسحاب القوات العسكرية الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة ، كأساس لاية حلول سلمية لقضية الشرق الاوسط ، من ناحية اخرى . فاذا اضيف الى التمسك بهذا القرار كل الجهود العربية الدبلوماسية والاعلامية التي بذلت في الاعوام المتعاقبة علـى حزيران وكل الادلة التي قدمتها الثورة الفلسطينية الى العالم حول حقها في تحقيق اهدافها المشروعة، اصبح الشك في تخلي حكومات غرب اوروبا عـن المواقف المعتدلة والمعقولة امرا يصعب تصوره . وعند نشوب القتال في تشرين حدث ما اكد تلك الوقعات ، لان الدول الغربية ، باستثناء الولايات المتحدة الاميركية وهولندا والبرتغال ، وقفت فعلا من القتال موقف الحياد او مطـالبة اسرائيـل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة كحل وحيد لتمهيد الطريق امام أية محاولات جديدة تستهدف البحث عن حلول عادلة وسلمية لقضيـة الشرق الاوسط .

ولم يكن احد يتوقع من الولايات المتحدة الاميركية والبرتغال اي موقف اخر . اما هولندا فقد كـان موقفها يدعو الى الاستغراب الشديد . فحكومتها اليمينية التي نددت بالعرب واخذت جانب اسرائيل في حرب حزيران عمدت خلال السنتين الاوليين بعد تلك الحرب الى التراجع التدريجي عن موقفها . فان وزير خارجيتها في ذلك الوقت السيد جوزف لونس قام حينئذ بعدة زيارات لعدد من الاقطار العربية ونجم عن تلك الزيارات تعديل في افكاره عن الصراع العربي الاسرائيلي بحيث ادرك ان العرب لم يعلنوا حرب حزيران عام ١٩٦٧ ولم يمهدوا لها كما ادعت اسرائيل كذبا وتضليلا وانهم لا يطمئنون لنوايا اسرائيل لان التجارب المريرة علمتهم ان لا يطمئنوا لهـا وان اسرائيل تحتـل اراضيهم بدون حق . نتيجة لذلك كان له ولحزبه الكاثوليكي المعروف باسم حزب الشعب الكاثوليكي اقوى الاحزاب في الائتلاف اليميني السابق ، بعض المواقف الايجابية . فاعترفت الحكومة بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ واعتمدته أساسا لاية مفاوضـات عربية اسرائيلية او دولية بصدد الشرق الاوسط وان حرصت هذه الحكومة على استعمال الصيغة الاميركية للقرار وهي انسـحاب الاسرائيليين من اراض عربية محتلة وليس كل الاراضي العربيـة المحتلة . في الوقت نفسه نشطت جماعات مختلفة في البلاد مثل الجمعية التي انشئت حينئذ باسم جمعية فلسطين الهولندية وجمعية الطلبة اليساريين المعروفة باسم « اسفا » ، في مجال توضيـح القضية الفلسطينية للشعب الهولندي . كما كان للسفارات العربية دور محمود في دعوة الوفـود الهولندية الصحفية لزيارة الاقطار العربية ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين . وكان دور قنصلية الكويت في لاهاي التي يديرها الفلسطيني السيد محمـود الرباني دورا رئيسيا في هذا كله ، ألحقه باقامة صلات مباشرة وقوية مع محرري صحف ليبرالية وراديكالية واشتراكية ومستقلة ومع نفر غير قليل من اخباريي التلفزيون والراديو عمدوا على مدى السنين الواقعة بين حربي حزيران وتشرين الى نشر مقالات كثيرة واعداد برامج تلفزيونية واذاعية

عن حقائق القضية الفلسطينية وقضايا الشرق الاوسط عموما . كان الانسان في تلك الفترة يحس بأن كل تلك الجهود لا بد أن تفيد في تعديل اراء ومواقف قادة الاحزاب السياسية ونقابات العمال واعضاء البرلمان ، على أساس ان الحق أصبح انصع من الدعاية الصهيونية واقوى من العواطف الخاطئة التي تملأ قلوب الناس حدبا على اسرائيل وتشجيعا لها .

وفيما يتعلق بعواطف الغربيين تجاه اسرائيل ، فهي في هولندا والمانيا الغربية أشد حدة مما هي عليه في اقطار غربية اخرى . والسبب في ذلك يعود الى الحرب العالمية الاخيرة وما تعرض له الهولنديون والالمان اليهود لاضطهاد على يد النازيين من غير حماية تذكر من جانب المواطنين . الامر الذي زود الصهيونية بأسلحة قوية ضد اعدائها وخصومها من الالمانيين والهولنديين ، مسلطة عليهم شبح تهمة اللاسامية وبأبشع اساليب الاستهانة بالعقل الانساني . وان كان الانسان الهولندي اقل رضوخا من الانسان الالماني الغربي لسطوة الصحافة واجهزة الاعلام وتأثيرها عليه ، الا انه ، ورغم انفراديته وحرصه على أن يقرر اسلوب تفكيره بنفسه ، لم يستطع ان يتجنب تماما سطوة الصحف الكبرى التي بقي معظمها منذ نشوء اسرائيل وحتى هذا اليوم يقف وراء اسرائيل وبكل اصرار واستهتار بالحق والعدل والقيم الانسانية. على أساس هذا عندما وقعت حرب حزيران كان الانسان الهولندي المثقف او شبه المثقف لا يعرف من خارطة الشرق الاوسط سوى اسرائيل وحقها في البقاء وفي حرية العمل والتصرف لتعمل ما تشاء .

والظاهر أن التغييرات التي حدثت بعد حزيران على المستوى الاعلامي ، لم تغير من واقع التعاطف « الجاهل » مع اسرائيل . فعندما وقعت حرب تشرين ، كان في مركز القيادة حكومة يسارية مشكلة من ثلاثة احزاب يسارية تتعاطف مع جميع قضايا التحرر في العالم ، من فيتنام الى انغولا الى روديسيا الى تشيلي ، وظن المطلعون على بواطن الامور ان هولندا الرسمية سيكون لها موقف اخر في هذه المرة ، يختلف عن مواقف الحكومات السابقة في حزيران وقبل حزيران .. ولكن خاب أمل المطلعين عندما راحت اصوات البرلمانيين على اختلاف الوانهم وميولهم تتهم العرب بالعدوان ، باستثناء نواب الحزب الشيوعي وحزب المسالمين، واذا بالحكومة الاشتراكية تنصاع لهذا الضغط وتصرح على لسان وزير خارجيتها السيد فان درستول بأن على العرب تحمل مسؤولية حرب تشرين لانهم هم البادئون فيها ، بينما ان المفاوضات هي اصوب طريق لحل قضية الشرق الاوسط . ثم ترددت انباء فحواها ان أحد المصانع الهولندية زود اسرائيل بستين شاحنة عادية لعمليات النقل المحتاجة اليها ايام المعارك ، وبأن مطار امستردام كان نقطة وصل بين مطارات اميركا واسرائيل لنقل المتطوعين اليهود وغير اليهود من اميركا الى اسرائيل . وقد كذبت حكومة هولندا تلك الانباء اكثر من مرة ، وان لم تشر الى قصة الستين شاحنة، مؤكدة انها لم تقدم لاسرائيل اية مساعدات تخدم مجهوداتها العسكرية .

هولندا ، كانت الدولة الوحيدة في هذه الاثناء، من بين دول اوروبا الغربية ، التي لم تلتزم الحياد او السكوت . وعندما تداول المبعوثون الدبلوماسيون العرب في هولندا حول هذا الموضوع وصلوا الى قناعة بأن على الدول العربية ان تتخذ موقفا مشددا تجاه الحكومة الهولندية يضطرها الى سحب تصريحاتها وتعديل مواقفها كلها مرة واحدة من قضية الشرق الاوسط . وقد جرت اتصالات رسمية بعد ذلك ، بين الطرفين لم تفلح في اقناع الحكومة الهولندية بتعديل موقفها . ومن هنا كان مصدر القرار العربي بقطع البترول عن هولندا .

وادركت حكومة هولندا ان القرار العربي من شأنه الحاق الاذى بالاقتصاد الهولندي . ولكنها بدل الاعتذار او تعديل موقفها راحت من طرف تنظم اتصالات انفرادية ببعض الحكومات العربية لحثها على نقض القرار العربي المشترك ، ومن طرف اخر تعطي للشعب صورة مبتورة او مشوهة عن الوضع الجديد واسبابه وملابساته حرصا منها على أن لا يجرفها تيار التعاطف القوي مع اسرائيل ، داخل البرلمان ، خاصة وانها حكومة اقلية لا تمثل غالبية اعضاء البرلمان ، وصلت الى الحكم تحت ضغط الظروف ونتيجة لفشل الاحزاب اليمينية في تشكيل ائتلاف فيما بينها بعد آخر انتخابات برلمانية . رغم ذلك فان هولندا الرسمية لم تخف تحسبها من القرار العربي لا على حلفائها ولا على الحكومات العربية . وقد اتخذت الحكومة

الهولندية منذ القرار العربي اجراءات معينة استهدفت منها ان تدخل في ظن الحكومات العربية انها غير منحازة في نزاع الشرق الاوسط ، الا ان هذه الاجراءات لم تكن متكافئة مع مقتضيات دعم الهدف العربي العادل بتحرير الاراضي المحتلة . وبعد ذلك انشغلت في البحث عن حلول فعالة لما ينتظر البلاد من صعوبات . فضاعفت عمليات استخراج الغاز الطبيعي من ابار البحرية الواسعة وراحت تدرس امكانيات فتح مناجم جديدة للفحم في جنوب البلاد . ثم أصدرت قوانين بمنع السيارات من السير ايام الاحد وبتقنين البترول بمعدل ١٥ ليترا للسيارة الواحدة في الاسبوع واطفاء الانوار مساء في فترينات المخازن والحد من استهلاك وقود التدفئة في المباني العامة ومباني السكن والحد من النور الكهربائي في البيوت والمكاتب والمصانع والطرقات . هذا بينما حصلت الحكومة من البرلمان على سلطات اضافية لمواجهة الاوضاع الجديدة . وفي نطاق هذه السلطات الاضافية جمدت الاجور بعد السماح برفع الاسعار بمعدلات تتراوح بين ١٠ و١٢ بالمئة ، ورفعت سعر البنزين كثيرا وفرضت ضرائب جديدة على الممتلكات وعلى عدد من السلع المستوردة . ووسط هذه القيود وازدحام وسائل المواصلات العامة ، عاد الناس كما يقولون ، يتذكرون أيام الحرب الاخيرة في اوروبا .

ولقد أعطت هولندا بكل هذا الدليل على ان البترول مادة حيوية جدا في الاقطار المصنعة . كما ان حكومتها حاولت أن تبرىء نفسها من التهم العربية بأن قام وزير خارجيتها انسيد فان درستول بانكار ما نسب اليه بعيد السادس من تشرين من انه اتهم العرب بالعدوان . قال في تصريح صحفي حصلت عليه صحيفة لوموند الفرنسية يوم ١٤ تشرين الاول انه لم يتهم العرب بالعدوان ، بل حملهم مسؤولية ما حصل يوم السادس من تشرين. ويوم العشرين من تشرين الثاني اثناء مؤتمر الاقطاب العرب في الجزائر انكرت حكومة هولندا ان تكون قدمت العون العسكري لاسرائيل زمن الحرب . في ذلك اليوم استجابت حكومة هولندا لطلب مختطفي طيارة الركاب الهولندية (كلم) واصدرت بيانا اعلنت فيه انها متمسكة بقرار مجلس الامن الدولي الداعي الى سحب اسرائيل قواتها العسكرية من الاراضي العربية المحتلة والمحافظة على حقوق الفلسطينيين ، كما أنكرت فيه أنها قدمت مساعدات عسكرية لاسرائيل . وفي مؤتمر بروكسل لوزراء خارجية دول السوق الاوروبية المشتركة يوم ٦ تشرين الثاني ، شاركت هولندا دول السوق قرارها الداعي الى تطبيق بنود قرار مجلس الامن الدولي الداعي الى انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة . ويوم ٤ كانون الاول، اعلن ناطق باسم وزارة الخارجية ان هولندا تفهم من قرار مجلس الامن انسحاب اسرائيل من **جميع** الاراضي العربية المحتلة . ولكن ما كاد هذا البيان يرى النور ، حتى وقعت تفجرات مدوية داخل حزب العمال وهو اقوى احزاب الائتلاف الحكومي. فحزب العمال يمثل ٣٢ بالمئة من قوة الناخبين ، وله نفوذ كبير بين نقابات العمال الاشتراكية والمستقلة ، وتسيطر الصهيونية على الكثير من مجالات اتخاذ القرارات في الحزب لان الصهيونيين لهم نفوذ كبير على مستوى القيادة في الحزب . ويعتبر من اقواهم فان تاين رئيس الكتلة العمالية في البرلمان ودنكرت رئيس اللجنة الخارجية . واستمرت المناورات خلف الستار بصورة مكثفة جدا ارغمت رئيس الوزراء ووزير خارجيته على انكار البيان ، بينما وقفت الاحزاب المعارضة المؤلفة من الاحزاب الدينية والبرجوازية موقف المتفرج ثم موقف الصهيونيين من اعضاء حزب العمال في انتظار تمزق الحزب من الداخل لكي تحل محله في القيادة . وقد اختارت الحكومة طريق التراجع ، فعمدت الى انكار البيان لضمان سلامتها . وحقا انها تمر في ظروف صعبة للغاية. حكومة اقلية تمثل ٤٥ بالمئة من اعضاء البرلمان، والرأسماليون يريدون تصديعها من الداخل ، والصهيونيون يستغلون ضعفها لابقائها في قبضتهم فلا تتخلى عن اسرائيل حتى ولو كان في التظاهر بمساندة اسرائيل هلاك البلاد . وهذه هي طبيعة الصهيونيين اينما كانوا . ان مصلحة اسرائيل عندهم اهم من مصالح الاقطار التي ينتمون اليها.

اذن ، هذه المتناقضات في مواقف حكومة هولندا الحالية من قضية الشرق الاوسط ، لم تعط العرب الدليل القاطع بعد على ضرورة اعادة النظر في موقفهم من هذه الحكومة ، وان كانت بوادر الازمة الاقتصادية التي طلت على هولندا بفعل قطع البترول العربي عنها استطاعت في طبيعة الحال ان تفرض على كثير من السياسيين داخل البرلمان

وخارجه نمطا جديدا من التفكير .

اثناء هذه الاحداث وقعت في البلاد تطورات اقتصادية مثيرة . اول الامر بدا وكأن قطع البترول العربي عنها سيوقعها في ازمة اقتصادية خانقة . فمع قوانين تقنين البنزين والتعتيم الجزئي والتوفير في مجالات الاضاءة والتدفئة وارتفاع الاسعار والحديث ليليا على الراديو والتلفزيون ويوميا في الصحف عن ازمة الطاقة واحتمالات انتشار البطالة بسرعة وبنسب عالية واحتمال وقوع هزات اقتصادية ، كان الانسان يحس بأنه مقبل على مرحلة ظلام دامس في حياته الاقتصادية . ولم يكن في تلك الاثناء من الممكن افساح المجال لتصورات مشحونة بالامال ، لان هولندا تعتمد في البترول الذي يأتيها من الخارج بنسبة ٦٠ بالمئة على البترول العربي . والبترول العربي انقطع في الاشهر الاولى فعلا ، ولكن يظهر ان الدول الاوروبية الغربية المشاركة في السوق الاوروبية لم تستطع التخلي عن هولندا لانها تحتاج ميناء روتردام ومصافي البترول فيه ، ولا يستبعد على هذا الاساس ان تكون الحكومات الاوروبية الاخرى غضت النظر عن محاولات معينة من جانب شركات البترول لتخفيف ضائقة هولندا . يضاف الى ذلك ان مخزون هولندا الضخم من الغاز الطبيعي مكنها من تعويض نصف ما تستورده من البترول وان كان ذلك قد تحقق على حساب بعض المصانع التي تعتمد الغاز الطبيعي أساسا لانتاجها مثل مصانع الاطارات وبعض مصانع البلاستيك . وبتقنين بنزين السيارات وتحريم السيارات من الحركة ايام الاحد، وفرت كميات كبيرة من البنزين، كما وفرت كميات لا بأس بها من البترول من القيود المفروضة على التدفئة والاضاءة . اكثر من ذلك انها نجحت في زيادة كميات البترول التي تصلها من نيجيريا وايران وفنزويلا واندونيسيا مما جعل رصيدها من البترول ينخفض بين تشرين الثاني وكانون الاول بنسبة الثلث فقط . اذ نزلت الكمية التي تحصل عليها شهريا من ٤٤٨ مليون طن الى ٣٤٣ مليون طن . ولكن ، ما لبثت هذه الكمية ان ارتفعت في كانون الثاني وشباط الى ٤٤٢ مليون طن . وحصيلة كل هذه الاجراءات كانت نسبة ما تفقده هولندا حاليا من البترول لا تزيد عن ١٥ بالمئة . ومع ذلك ، فان الضيق الاقتصادي الذي حل في هولندا في اعقاب قطع البترول العربي عنها ادى الى رفع عدد العاطلين عن العمل في اشهر قليلة من ١١٠ الاف عامل الى ١٣٠ الف عامل . والخبراء الاقتصاديون ما زالوا على ثقة ، بأن انقطاع البترول العربي مع التشديد في الرقابة على انقطاعه ، لا بد ان يزيد عدد العاطلين الى ١٨٠ الفا في هذا العام . فاذا حدث ذلك ، تكون هولندا على شفا مواجهة ازمة بطالة حادة . وقد كان تسريح العمال حتى الان وقفا على مصانع الاطارات ومصانع البلاستيك التي تعتمد الغاز الطبيعي والبترول مادة خام ، وعلى مصافي البترول .

اذن ، يصعب حاليا التكهن بما سيؤول اليه الاقتصاد الهولندي على ضوء قرار قطع البترول العربي عن هولندا .

ولكن .. كما اوضح العرب فانهم لا يستهدفون تدمير اقتصاد احد . كل ما يريدونه من قرارات تخفيض انتاج البترول هو توجيه انذار الى العالم، بضرورة الانتباه الى قضاياهم العادلة .. هو تقديم احتجاج الى العالم الغربي على سياسة ممالأة اسرائيل والعطف عليها واسنادها بكل الطرق في سبيل الاستمرار في عدوانها وغطرستها لتصفية القضية الفلسطينية والقضاء على الشعب الفلسطيني . ولقد افاد الانذار وافاد الاحتجاج الى حد بعيد . فان العالم صار يدرك ان مصادر طاقته ستقل مع الزمن ولن تزيد وان على العالم الصناعي نتيجة لذلك ان يعدل عن اوهام واحلام استبداده وتسلطه على العالم النامي الى أبد الابدين . كما صار العالم الغربي يدرك ان البترول العربي اثمن واغلى من أن يستغل بابخس الاسعار وتحت التهديد والضغط المستمرين ، وان اسرائيل اذا اختارت البقاء كان عليها ان تعيش مع الواقع الجديد الذي خلقه العرب في العالم بعد انتصاراتهم العسكرية وتضامنهم المؤثر ، وان تعدل عن اطماع توسعها وبطشها .

القرارات العربية المشتركة ، والتضامن العربي ، حققا منجزات ضخمة ، اهمها تهاوي نجم اسرائيل في العالم ، واحتلال العرب مكانتهم اللائقة بهم على خارطة مستقبل العالم . غير ان هذا التضامن يجب ان يستمر . ان أية ثغرة فيه ستحدث شقوقا كبيرة ، لا يمكن اغلاقها ، في طوق الانجازات التي تمت حتى الان . وهذا كلام ليس احد بحاجة الى تأكيده او تكريره او التشديد عليه .

لكن اهم من ذلك ان يكون الاعلام العربي على مستوى هذه المتغيرات ، والتحولات ، وان تكون الصحف العربية على وعي بالخبث الاسرائيلي الصهيوني أشد من أي وقت مضى ، في سبيل عدم السماح للصهيونية وأجهزتها الدعائية بالتسرب الى عقولنا ونفوسنا . كل اسلحة الكذب والنفاق والخداع الصهيونية قد استنزفت سوى سلاح التأثير النفسي وسوى سلاح ضرب العرب بالعرب.

وهذا مثل اخير ، فيه الدلالة القاطعة على ان صحفا عربية ما زالت تقع عن طواعية في فخاخ الكذب الصهيوني . الدبلوماسيون العرب في هولندا قبلوا باختيارهم ان يكون الناطق الاعلامي باسمهم قنصل الكويت الفخري في هولندا السيد محمود الرباني ، لعدة اعتبارات أهمها انه أقدمهم في البلد من حيث الزمن وانه يتقن اللغة الهولندية . وعندما وقعت حرب حزيران ، كان هو الدبلوماسي الذي يتمتع باتصالات شخصية اكثر من غيره في الاوساط الصحفية والاعلامية على اختلافها . وعندما اخذت بوادر الازمة الاقتصادية تطل على البلد سارع انصار القضية الفلسطينية من رجال الاعلام الهولندي الى السيد رباني يستطلعونه رأيه ويستجوبونه . وكانت النتيجة سلسلة طويلة جدا من اللقاءات الصحفية والتلفزيونية والاذاعية استغلها هو من ناحيته أحسن استغلال ، فندد بالصهيونية تنديدا دامغا دون مواربة ودون مجاملة لاحد وبجرأة وصلت أقصى حدود الجرأة ، وبين اخطاء الحكومة الهولندية بأن تلا قصة القرار العربي وكل الحقائق المرتبطة به . وكانت النتيجة الحتمية لكل ذلك غضبا جامحا وحقدا زاخرا في صدور الصهيونيين وعملائهم في الصحف الموالية لهم . وأكثر من مرة ، نعتوه بأقبح النعوت وشتموه أفدح الشتائم وظلوا له بالمرصاد يعدون عليه سكناته وحركاته . فعندما ظهر اخيرا في لقاء تلفزيوني ليبدي رأيه فيما لو حدثت تقييمات عربية رسمية جديدة لموقف الحكومة الهولندية على ضوء روح ومضمون القرار العربي، أجاب قائلا بكل وضوح انه لم تتوفر لديه بعد أية معلومات بهذا الشأن وانه وزملاءه الدبلوماسيين العرب يبحثون الموضوع بين الحين والاخر لتقييمه على ضوء أية تطورات تحدث في مجاله ، ولارسال التقارير الى حكوماتهم بهذا الشأن . وقال ايضا انه وزملاءه يفهمون ويعرفون ان القرارات العربية الاقتصادية تقيم باستمرار على أعلى المستويات العربية والرسمية ، لانها قرارات تستهدف العدل لا الاجحاف المقصود بسلامة الغير ، كما قال أكثر من مرة وزيرا البترول العربيان الموفدان الى العالم لشرح وجهات نظر الحكومات العربية . كما قال انه شخصيا ، وأصر على كلمة شخصيا ، يعتقد ان القرار الاقتصادي العربي ضد هولندا حقق بعض أهدافه لان تغييرات ايجابية حدثت منذ صدوره في أوساط الحكومة والبرلمان الامر الذي سيفرض نفسه على أي تقييم جديد تعمد اليه الحكومات العربية .

كيف نشرت الصحف الهولندية الموالية لاسرائيل الخبر وكيف علقت عليه ؟ قالت ، ومنها صحيفة « تلغراف » اليومية الواسعة الانتشار المعروفة برجعيتها وميولها الاستعمارية وعطفها المجوج على اسرائيل : ان الرباني الذي لا تزيد مكانته عن مكانة ساع في الوسط الدبلوماسي العربي في لاهاي يعد الهولنديين باعادة الزيت العربي اليهم .

هذه الصحف باستهزاء وشماتة مبيتة استغلت الفرصة لترسخ في وعي قرائها ان العرب لا يعتزمون ابطال قرار قطع البترول عن هولندا ، والا لابلغت هي حكومة هولندا بعزمها على ابطال قرارها . هذه الصحف في طبيعة الحال لا تريد تحسنا في العلاقات العربية الهولندية ، انها تريد ان تزيد من الفرقة والتباعد بين العرب وهولندا لايغار صدور ابناء الشعب الهولندي على العرب، خدمة لاهداف الصهيونية . انها لا تريد لاية حكومة غربية ولا لاي رأي عام غربي ان ينظر الى قضية الشرق الاوسط بمنظار الحق والعدل . هذا من ناحية ، اما من الناحية الاخرى فقد ارادت ان توقع بين حكومة الكويت وقنصلها في لاهاي باتهامه بأنه يدعي القدرة على اتخاذ القرارات نيابة عن زملائه والحكومات العربية ، وهذا ما لم يحاوله السيد رباني ابدا ولا بصورة من الصور .

ومن المؤسف جدا والحال كذلك ، ان يرى الانسان بعض الصحف العربية تقع طواعية في فخاخ الصهيونية . ذلك ان صحفا في بيروت اتهمت السيد رباني بما حاولت ان تتهمه الصهيونية به . وهذا خطأ فادح ، بل ظلم أفدح . فالرجل من دبلوماسيي العرب النشيطين والمخلصين والمندفعين جدا .

عقيل هاشم

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

١ ـ مؤتمر لاهور تكريس للمكاسب الفلسطينية

اذا كان مؤتمر قمة عدم الانحياز ومؤتمر القمة العربي في الجزائر قد مثلا انعكاسا للـــزمن الفلسطيني ، فان مؤتمر القمة الاسلامي في لاهور قد كرس انتصارات المقاومة الفلسطينية الـتي تمكنت بنضالها خلال مسيرتها الثورية منذ مطلع العام ١٩٦٥ من فرض وجودها الكثيف الفاعل على كل مستوى عربي ودولي . وقد برز هــذا التكريس على صعيدين : الاول المشاركة الفاعلة والحضور البارز لوفد فلسطين برئاســة الاخ ابوعمار رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، في أعمال المؤتمر ومناقشاته بحيث مثل هذا الوجود محورا لنشاطات المؤتمر. ويجدر بنا ابراز مظهرين من هذا الوجود الفاعل هما اختيار فلسطين ضمن مجموعة الدول السـبع التي توسطت بين بنجلادش والباكستان ، والدور الذي قام به الاخ ابو عمار في ابراز الحضور المسيحي في المؤتمر بكل ما يمثله هذا الحضور من دلالات وموحيات .

اما الصعيد الثاني فقد عكسته قرارات المؤتمر وبشكل خاص ما تعلق منها بالتأكيد من جديد على ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في نضاله العادل وفي دعوة كل الدول الاسلامية الى ان تؤيد بـــكل الوسائل شعب فلسطين في نضاله ضد الصهيونية والعنصرية والاستعمار ومن أجل استعادة حقوقه الوطنية كاملة . هذا بالاضافـة الى القرارات الخاصة بالتمسك بعروبة القدس .

٢ ـ شغل اتفــاق فصل القــوات المصريــة والاسرائيلية الذي اعلن في ١٨ كانون الثاني مركز الصدارة في اهتمام حركة المقاومة خلال الشــهر الماضي ، فقد وضع هذا الاتفاق القضية الفلسطينية على اعتاب مرحلة جديدة فعلا بدأت تتضح معالمها من خلال الاتفاق نفسه (وتطبيقاته ونتائجــه) والذي انهى مرحليا امكانات القتال عــلى الجبهة المصرية (فصل القوات المتحاربة باخرى دولية + ضمانات اميركية بعدم تجدد القتال + اعمار مدن القناة المصرية تدليلا على صدق اتجاهات السلام) وما يعكس ذلك من تأثيرات في صنع القرار العربي عامة وهو قرار تلعب مصر فيه دورا فاعلا ومؤثرا يتناسب مع اهميتهـــا الجغرافيــة والسياسية والعسكرية ، ونتائج كل ذلك على مستقبل حركـة المقاومة نفسها ومصير القضية الفلسطينية .

وسنعرض فيما يلي ابرز ردود فعل فصائــل المقاومة الفلسطينية على هذا الاتفاق :

أصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بيانا اوضحت فيه ان مخاطر الاتفاق السياسية هــي « فك ارتباط مصر عن القضية العربية ، التحايل في قبول الصلح والاعتراف ، اعطاء الفرصـــة للصهاينة الامبرياليــين بالاستفراد في المواقــع العربية ، اضــعاف الموقف العربي على الجبهات الاخرى » . كذلك اصدرت الجبهة الشعبيـــة الديموقراطية بيانا قالت فيه ان « هذه الخطــوة [الاتفاق] تحقق للعدو الصهيوني والامبريـالية الاميركية ما يلي : ١ ـ الاستفراد بالجبهــات العربية واحدة بعد الاخرى ... ٢ ـ فتح الباب على مصراعيه للملك حسين لعقد صفقته الثنائيـة الاستسلامية ... ٣ ـ الاستفراد بالجبهة السورية ومحاولة جرها للتسويات الجزئية الثنائية ضمن اطار الحل الاميركي ـ الصهيوني او ابقــاء مشكلة الجولان معلقة . ٤ ـ مرونة الحـركة الامبريالية الاميركية والعدو الصهيوني لاستكمال

حلقات التسوية الاستسلامية على حساب شعب فلسطين ... وبالتالي الاستفراد بالثورة الفلسطينية وتنظيم المجازر الدموية لضربها لتأمين الحدود الامنة للكيان الصهيوني . ٥ — تعزيز النفوذ السياسي والاقتصادي الاميركي في مصر خاصة وفي المنطقة العربية عامة ... ٦ — استخدام الحل الثنائي الجزئي وسيلة لابطال استخدام سلاح النفط بوجه الامبريالية الاميركية... ٧ — ان الاستجابة المصرية للحل الاميركي ادت الى اضعاف دور الاتحاد السوفياتي في مساندة العرب بوجه الحل الاستسلامي الاميركي — الصهيوني ... » وأعلنت جبهة التحرير العربية في بيان لها انها تستنكر الاتفاق المصري — الاسرائيلي « اذ يضع المقاومة في موقف حرج يقلل من قدرتها على الانسجام مع منطلقاتها الكفاحية » . واعلن زهير محسن ، الامين العام لمنظمة الصاعقة ، في ندوة عقدها في دار الادب والفن في بيروت ما يلي « امكن عبر المغازلة الاميركية — المصرية دفع مصر الى التفرد في العمل السياسي وهذا من شأنه تصديع الوضع العربي بكامله وتفكيك التضامن الذي حققه العرب ، كما ان التفرد المصري مع هزال المكاسب وضخامة التنازلات يشكل خطرا على القضية الفلسطينية في ذاتها وعلى مستقبل الشعب الفلسطيني » .

بجانب ذلك فقد صدر بيان يحمل توقيع اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية يوم ١/١٩ وقد اثار البيان ردود فعل مختلفة فلسطينيا وعربيا . ففي ١/١٩ وزعت (وفا) تصريحا لناطق باسم اللجنة التنفيذية جاء فيه « ان الحل الجزئي الثنائي الذي تم توقيعه بتاريخ ١٩٧٤/١/١٨ مع العدو الصهيوني هو خطوة خطيرة تهدد مصير الاراضي العربية المحتلة ومصير القضية الفلسطينية بالتصفية ، لان هذا الحل يؤدي الى تعزيز مواقع اسرائيل والامبريالية الاميركية من خلال اخراج الجبهات العربية من ميدان الصراع واحدة بعد الاخرى . ان اللجنة التنفيذية اذ تندد بالحلول الجزئية الثنائية تؤكد انها ستظل تناضل لمنع السلطة الهاشمية من عقد أية تسوية استسلامية تؤدي الى تقاسم الاراضي الفلسطينية بينها وبين العدو الصهيوني وتصفية القضية الفلسطينية تصفية شاملة . وتطالب اللجنة التنفيذية الدول العربية بالتنبه الى خطورة مثل هذه الحلول والاقلاع عنها ، كما تطالب بدعم الموقف الوطني على الجبهة السورية وبالتضامن مع الثورة الفلسطينية في رفض الحل الاميركي الصهيوني التصفوي ، وفي تأكيد حق الشعب الفلسطيني في متابعة كفاحه لتحرير وطنه وتقرير مصيره بنفسه على ارضه...». وكان رد الفعل الاول على هذا البيان ما ذكرته وكالة « انباء الشرق الاوسط المصرية » (١/٢٠) على ان الاخ ابو عمار رئيس اللجنة التنفيذية « أبرق الى الرئيس السادات منددا بالبيان قائلا ان اجتماع اللجنة كان غير شرعي » . وقد علقت « الاهرام » (١/٢٢) في وقت لاحق على بيان اللجنة التنفيذية بالقول « هل عقد فعلا اجتماع لقيادة المقاومة في بيروت وما هي قصة البيان ؟ بالقطع الاجتماع لم يعقد لعدة اسباب تنظيمية . فرئيس اللجنة التنفيذية المنتخب من المجلس الوطني الفلسطيني لم يكن موجودا في بيروت بل كان في القاهرة ، ثم أن رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير موجود الان في جولة بالعواصم الافريقية . اي أن ممثلي حركة فتح — التنظيم الرئيسي داخل حركة المقاومة — في اللجنة التنفيذية كانا غائبين عن بيروت ولا يعقل ان يعقد اجتماع لقيادة المقاومة لمناقشة « قضية اقل ما يقال فيها انها قضية غير عادية في غياب قائد المقاومة وممثلي التنظيم الاساسي فيها . شيء اخر يتعلق بهذه القضية هو أن كل ما صدر فعلا لم يكن اكثر من بيان من احدى القيادات الفلسطينية لا يعبر حتى عن وجهة نظر هذه المنظمة . فهو هنا بيان شخصي وليس موقفا رسميا لقيادة هذه المنظمة وذلك مع افتراض صحة المعلومات التي وردت في هذا البيان » .

وأذاع الناطق الرسمي بأسم منظمة الصاعقة (انظر الانوار ١/٢٤) بيانا جاء فيه « ١ — لقد عقد اجتماع اللجنة التنفيذية بتاريخ ١٩٧٤/١/١٩ الساعة الثانية عشرة ظهرا وحضر الاجتماع كل من ابو ماهر وياسر عبد ربه والدكتور يوسف صايغ وزهير محسن . وكان هذا الاجتماع تتمة لاجتماع سابق عقد يوم ١٩٧٤/١/١٨ حضره ايضا كل من ابو اياد وابو صالح . وقد تداول المجتمعون وناقشوا الوضع الناتج عن توقيع فك الارتباط بين القوات المصرية والقوات الصهيونية.وقد صدر البيان بعد أن تمت مناقشته

ووافق الحاضرون عليه كما تم الاتصال بجبهة التحرير العربية وارسلت لها نسخة من البيان قبل صدوره فوافقت عليه . ٢ — اما فيما يتعلق بشرعية الاجتماع وعدم شرعيته ، فان المجلس المركزي لمنظمة التحرير واللجنة التنفيذية اعتبرا اجتماعاتهما مفتوحة لدراسة ما يطرأ من تطورات سياسية واتخاذ المواقف والقرارات اللازمة » .

أما حركة فتح فقد ادلىمصدر مسؤولفيهابتصريح قال فيه « ان حركة فتح التي تشعر بمسؤوليتها في هذه المرحلة امام الثورة والشعب الفلسطيني ترى ان من المصلحة الوطنية تكريس كل الجهود في اتجاه مواجهة مهام المرحلة الحالية والمحافظة على استمرار الثورة » وعن شرعية اجتماع اللجنة التنفيذية قال « ان النظام الداخلي للجنة التنفيذية ينص على وجوب حضور اكثر من نصف اعضاء اللجنة ، وهذا ما لم يتوفر في الاجتماع الذي حضره اربعة اعضاء فقط من اللجنة التنفيذية » (انظر « فلسطين الثورة » ١/٣١) .

واذا كانت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لم تعلن عن موقفها الرسمي الا من خلال البيان المختلف على شرعيته ، فان المنابر الاعلامية للمنظمة قد اوضحت موقفها من الاتفاق. فقد اوردت وفا (١٩/) تعليقا قالت فيه « من واقع الايمان بأن المصلحة العربية العليا هي فوق كل مصلحة قطرية واقليمية ، مهما كانت ، وقفت امتنا باصرار ضد الحل الاميركي وضد تجزئة القضية وضد فتح الابواب للسلم الاميركي الصهيوني كي يحول هذه المنطقة الى مزرعة للاحتكارات ويحول ابناءها الى عبيد لكل شيء الا لقضيتهم الوطنية ... ونحن في الثورة الفلسطينية ، الذين نلتزم باستراتيجية قال عنها الاخ ابو عمار في اخر تصريح له ، بأنها تحكم كل تصرفاتنا ، لا نستطيع الا ان نقف وبحزم ضد الحلول الاميركية ... ونقف بحزم مع الذين يقفون ضد هذه الحلول » . كذلك كتبت مجلة « فلسطين الثورة » الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير (١/٢٣) ما يلي : « ان ما تم بفعل دبلوماسية كيسنجر حتى الان يكشف بوضوح تام ان السياسة الاميركية في المنطقة — امام حتمية تراجعها — تحاول حرف النضال العربي عن اهدافه من خلال طرح مشاريع الحل المنفرد والحل الجزئي والانسحاب الجزئي عبر ما تسميه مسألة الفصل بين القوات على الجبهة المصرية في محاولة مكشوفة لعزل مصر عربيا . وتهدف الامبريالية الاميركية من وراء ذلك الى اجهاض [الهدف] الاول وهو تحرير جميع الاراضي العربية المحتلة وطرد الاحتلال منها والاكتفاء فقط بانسحاب جزئي على جبهة سيناء وحدها . وفي نفس الوقت فأن الامبريالية تغلق الطريق نهائيا امام حركة التحرير الوطني العربية لتحقيق الهدف الثاني وهو تحقيق الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني من خلال فرض الحل المنفرد الجاهز بين القاعدة الصهيونية وبين نظام الملك حسين على الشعب الفلسطيني ... ان كل الخطوات التي نفذت على صعيد ما يسمى بفصل القوات يقود عمليا الى اغلاق الدائرة الكيسنجرية في وجه الشعب الفلسطيني » .

٣ — في ٣١ كانون الثاني (يناير) قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالتعاون مع منظمة الجيش الاحمر اليابانية بنسف خزانات للوقود في مصفاة النفط (شل) في سنغافوره . وقد جاء في بيان مشترك صدر عن المنظمتين ان حكومة سنغافوره اقامت « علاقات وثيقة مع الكيان الصهيوني واشترت من اسرائيل السلاح وسهلت لها استثمار الاموال والتجارة معها ، فقد اشترت سنغافوره خمسين دبابة فرنسية الصنع وزوارق سريعة تحمل صواريخ غابرييل من اسرائيل ، كما سمحت سنغافوره للحركة الصهيونية بأن تقيم على ارضها مركزا يدير عمليات الاستغلال والنهب مع القوى الامبريالية في جنوب شرقي اسيا » . وقد قام الفدائيون الاربعة الذين نفذوا العمليةبالاستيلاء على زورق واحتفظوا بثلاث رهائن مطالبين بطائرة يابانية تقلهم الى احدى الدول العربية التي لم يحددوها . وقد استمرت المفاوضة ستة ايام انتهت بأن قامت وحدة اخرى اطلقت على نفسها اسم مجموعة الشهيد غسان كنفاني (مكونة من الجبهة الشعبية والجيش الاحمر الياباني ومنظمة أبناء الارض المحتلة) باحتلال السفارة اليابانية في الكويت (٢/٦) واحتجزت عددا من الدبلوماسيين والموظفين وطلبت من الحكومة اليابانية ارسال طائرة خاصة الى سنغافوره لانقاذ الفدائيين الاربعة . وقد استجابت طوكيو لمطاليب المجموعة الفدائية فارسلت طائرة الى سنغافوره لتقل

الفدائيين الى الكويت . الا ان مسؤولين كويتيين اعلنوا ان الكويت لن تسمح للطائرة اليابانية بالهبوط فيها مقابل اطلاق الرهائن . غير أن الحكومة الكويتية وافقت بعد ذلك على السماح للطائرة بالهبوط على ارض الكويت شرط الافراج في امان من كل الرهائن وشرط مغادرة الفدائيين الكويت فورا على الطائرة نفسها . وقد هبطت الطائرة في الكويت يوم ٢/٧ وغادرت بعدها الى عدن حاملة مجموعتي الفدائيين .

ونجد من المفيد القاء بعض الضوء على علاقات اسرائيل مع سنغافوره . وقد اعلنت هذه الجزيرة جمهورية في آب ١٩٦٥ بعد خروجها من اتحاد ماليزيا وتتألف أساسا من جزيرة سنغافوره ومجموعة من جزر صغيرة اخرى مساحتها ٢٢٦ ميلا مربعا وعدد سكانها مليونان و ١٥٠ الف نسمة . وقد اهتمت اسرائيل اهتماما كبيرا بسنغافوره ووطدت علاقاتها معها منذ انشائها وفي ١٩٦٩/٥/١١ قررت اسرائيل وسنغافوره تبادل العلاقات الدبلوماسية بدرجة سفارة . وقد ترسخت العلاقات العسكرية والاقتصادية بين البلدين وذكرت « رويتر » (٧١/٢/١) ان المستشارين الاسرائيليين يلعبون دورا رئيسيا في تدريب جيش سنغافوره البالغ عدده ١٥ الف رجل بينما ترسل قوات من سنغافوره الى اسرائيل لتتعلم كيفية استخدام دبابات أ. أم. اكس ١٣ الفرنسية الصنع التي اشترتها سنغافوره من اسرائيل . وكانت « دافار » الاسرائيلية قد ذكرت في وقت سابق (١٩٦٨/١٢/٤) ان ٢٣ خبيرا عسكريا اسرائيليا يعملون في جيش سنغافوره كمدربين ومستشارين . ونسب راديو اسرائيل (١٩٧١/١١/٦) الى لي كوان يو ، رئيس حكومة سنغافوره ، قوله انه مرتاح جدا من التدريب العسكري لجيش بلاده الذي يقوم به مدربون اسرائيليون . وعلى الصعيد الاقتصادي وقعت اسرائيل مع سنغافوره في العام ١٩٦٨ اتفاقية تجارية تنص على اقامة تمثيل تجاري في كل من البلدين وتعهد الفريقان بتشجيع حركة الاستيراد والتصدير بين البلدين . والتبادل التجاري بين البلدين هو لصالح اسرائيل ففي العام ١٩٦٨ كانت واردات اسرائيل من سنغافوره في حدود المليون ونصف المليون دولار بينما وصلت الصادرات الاسرائيلية الى سنغافوره الى نحو ستة ملايين دولار . وفي العام ١٩٧١ زار زفي دينشتاين ، نائب وزير المالية الاسرائيلي ، سنغافوره واجرى مباحثات حول اقامة مشاريع تجارية مشتركة مع مؤسسات سنغافوره لانتاج المواد الكيماوية والسماد الكيماوي والمواد المبيدة للحشرات . وقد انعكست هذه العلاقات الحميمة التي تلك بعض مظاهرها على موقف سنغافوره تجاه القضايا العربية ، فمن المعروف ان سنغافوره امتنعت عن التصويت على مشروع القرار الافرو اسيوي الذي ناقشته الدورة الطارئة للامم المتحدة اثر عدوان ١٩٦٧ الذي دعا اسرائيل الى « ان تسحب فورا جميع قواتها الى المواقع التي كانت فيها قبل الخامس من حزيران » .

٤ — في هذا الوقت ، تمت عملية خارجية اخرى ، في ٢ شباط قام ثلاثة أشخاص باكستانيين مسلحين بالاستيلاء على سفينة يونانية في ميناء كراتشي الباكستاني وهددوا بنسفها وقتل ثلاث رهائن هم ربان السفينة ومهندسها وكبير ضباطها ، اذا لم تلب الحكومة اليونانية طلبهم بالافراج عن فدائيين فلسطينيين كانت محكمة في اثينا قد حكمت عليهما بالاعدام يوم ٢٤ كانون الثاني لمهاجمتهما مطار اثينا في آب ١٩٧٣ . وكانت انباء صحافية (« النهار » ٢٦ و١/٢٧) قد ذكرت ان قيادة حركة المقاومة قد ناشدت الحكومة اليونانية العفو عن الفدائيين الفلسطينيين ، وان اتصالات سرية جرت بين حركة المقاومة والسفارة اليونانية في بيروت لتأمين الافراج عنهما ، وانه نتيجة هذه الاتصالات « تلقت المقاومة وعدا من المسؤولين اليونانيين بأنه سيتم الافراج قريبا عن الفدائيين ، وفي المقابل تعهدت المقاومة بألا تقوم بأية عملية فدائية في الاراضي اليونانية بعد الان » . ويبدو ان عملية الاستيلاء على السفينة اليونانية كانت تستهدف التعجيل بالافراج او شن هجوم مضاد لمنع وضع حكم الاعدام موضع التنفيذ . وقد نفت منظمة التحرير الفلسطينية علاقتها بالحادث في اثناء زيارة قام بها سفير اليونان في بيروت الى مقر الدائرة السياسية في المنظمة (وفا ٢/٣) . وأعلن الاخ ابو عمار القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية انه لا علاقة للمنظمة بالذين اقدموا على حادث الاستيلاء على الباخرة اليونانية في كراتشي وحذر من الاضرار التي تلحق بسمعة النضال الفلسطيني من جراء مثل هذه

الاعمال كما استنكر « وقوع الحادث في بلد اسلامي يتعاطف الى اقصى الحدود مع نضال الشعب الفلسطيني وخصوصا قبل انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي مما يشكل محاولة مشوهة ضد المؤتمر الذي ينعقد اساسا تحت شعار الدفاع عن عروبة القدس وتأييد النضال الفلسطيني في هذه الظروف الهامة » (وفا ٢/٣) .

ونسبت وكالة الانباء الالمانية الغربية الى الرجال الثلاثة قولهم بعد وصولهم مطار القاهرة انهم ينتمون الى « منظمة اسلامية تتعاطف مع القضية العربية » . وكانت وكالات الانباء قد ذكرت في وقت سابق (٢/٢) انهم قالوا انهم ينتمون الى «منظمة الفدائيين المسلمين الدولية» . وكان الفدائيون قد اطلقوا سراح رهائنهم بعد ان وافقت اليونان على اعطاء تعهد بتخفيف حكم الاعدام على الفدائيين الفلسطينيين المحتجزين لديها ، وقال ناطق يوناني ان الحكومة اليونانية اكدت لباكستان ان حكم الاعدام لن ينفذ وان القضية سيعاد النظر فيها بعد انتهاء جميع الاجراءات القانونية (المحرر ٢/٥) . وقد قررت الحكومة اليونانية كما ذكرت وكالات الانباء (٢/٥) ترحيل الفدائيين الفلسطينيين، وعلى الرغم من ان مصدرا حكوميا يونانيا قال انه لا علاقة لقرار الترحيل بعملية كراتشي ، الا انه كان واضحا كما ذكر قسطنطين ستيفاناكيس ، وزير العدل اليوناني السابق ومحامي الفدائيين ، ان عملية السفينة اليونانية في كراتشي قربت امكانية الافراج عن بطلي عملية اثينا . اما الباكستانيون الثلاثة فقد غادروا القاهرة يوم ٥ شباط متوجهين الى ليبيا .

عصام سخنيني

ملحق :
قصة التمرد العسكري في الاردن ومدلولاته السياسية

بينما كان الملك حسين ينتقل من بوخارست العاصمة الرومانية الى لندن ، أعلن عن زيارة الملك غير المتوقعة الى واشنطن بصورة مفاجئة . وبعد ان اختتم الملك حسين محادثاته مع ادوارد هيث رئيس الحكومة البريطانية وحزم حقائبه للسفر الى واشنطن ، جاءته الاخبار من عمان غير متوقعة ومفاجئة كذلك . فقد ظل هاتف السفارة الاردنية في واشنطن مفتوحا لمدة ثلاث ساعات مع العاصمة الاردنية يوم الاحد (٢/٣) بين الملك من جهة ورئيس حكومته ورئيس الاركان وشقيقه الامير حسن من جهة ثانية . وكان السؤال الوحيد للملك خلال تلك المحادثة الطويلة : ما الذي حدث في الجيش ؟ (مجلة الصياد اللبنانية ١٤–٢/٢١/ ١٩٧٤) .

ما الذي حدث ؟

صباح الثاني من شباط الماضي قامت وحدات من اللواء المدرع الاربعين المرابطة في مدينة الزرقاء بحركة احتجاجية وصفت بأنها محاولة للفت نظر المسؤولين في الحكومة الى الاوضاع المعيشية السيئة للجنود ، والاحتجاج على ارتفاع تكاليف المعيشة (الصياد ٢/١٤) . الا انه يبدو ان حركة الاحتجاج تلك كانت محدودة في يومها الاول ولم تتعد نطاق مدينة الزرقاء وعلى أبواب حاميتها العسكرية . غير ان هذه الحركة قد أخذت تتسع وتوسع دائرة عملها في اليوم التالي ، الثالث من شباط . فقد ذكرت وكالة « الاسوشيتد برس » ان بعض وحدات اللواء المدرع الاربعين بدأت صباح يوم الاحد (٢/٣) تستقل سيارات شحن عسكرية وناقلات جنود مجنزرة ومدرعة ، في محاولة لشق طريقها الى عمان .

ولم يكن بد من تحرك للجم هذه الحركة ووقف تقدمها الى عمان خاصة وان شعارات التنديد بالفساد والغلاء تستقطب اهتمام الجماهير وتتحسس اهتماماتهم اليومية المباشرة . لذلك بادر

الامير حسن ولي العهد بصحبة حابس المجالي القائد العام للجيش لمقابلة « العصاة » في منتصف الطريق الى عمان . الا ان المتمردين رفضوا التوقف للحديث مع الامير وقائد الجيش وأخذوا يهتفون هتافات عدائية ضد زيد بن شاكر رئيس الاركان .

وكما ذكرت « الاسوشيتد برس » في نشرتها يوم ٢/٦ ، قدم المتمردون الى الامير قائمة بطلباتهم . والجديد في هذه الطلبات انها تحتوي على امور سياسية لم يكن المتمردون قد رفعوها في اليوم السابق من تظاهرتهم العسكرية في مدينة الزرقاء . وتلخصت هذه المطالبات كما ذكرتها الوكالة الاميركية بما يلي :

١ ـ طرد زيد بن شاكر رئيس الاركان ، وماجد الحاج حسن مساعد رئيس الاركان للادارة في قيادة الاركان .

٢ ـ اقالة حكومة زيد الرفاعي وحل البرلمان وتشكيل حكومة عسكرية .

٣ ـ صرف زيادة للجنود أسوة بالضباط الذين تم تسديد سلفهم التي كانوا قد استدانوها في وقت سابق وقامت الحكومة بتسديدها عنهم .

هنا أبلغهم الامير حسن استعداده لتنفيذ المطالب ثم قام حرسه بالقاء القبض عليهم وتجريدهم من أسلحتهم وسوقهم الى مقر قيادة الجيش (جريدة « المحرر » اللبنانية ١٩٧٤/٢/٧) .

كان الامر الطبيعي ان يرجع الجنود الى ثكناتهم عندما حصلوا على وعد من الامير بتسويتها بعد التشاور مع الملك . لكن الجنود هؤلاء واصلوا تظاهراتهم العسكرية يوم الاثنين (٢/٤) وهم يتجولون في الزرقاء بمدرعاتهم وسياراتهم العسكرية ويهتفون ضد الفساد الحكومي ويدعون الى اقالة عدد من كبار رسميي الحكومة والبلاط (جريدة النهار اللبنانية ١٩٧٤/٢/٧) .

يوم الثلاثاء (٢/٥) استدعت قيادة الجيش قائد اللواء المدرع الاربعين وهو الزعيم (العميد) خالد هجهوج المجالي وخمسة من ضباطه الى مقر القيادة في عمان وقامت بالتحقيق معهم . الا ان القيادة اضطرت الى اعادتهم الى وحداتهم بسبب مطالبة الجنود والضباط بهم ، وخاصة بعد ان استمرت المظاهرات العسكرية في الزرقاء منادية بنفس مطاليبها السابقة . وفي اليوم نفسه امتد التمرد الى اللواء المدرع ٩٩ الذي أعلن تضامنه مع قيادة اللواء ٤٠ . كما قامت قيادة الكتيبة التي كانت تحت امرة اللواء ٤٠ في سوريا بالانضمام الى التمرد ومطالبه المعلنة (المحرر ٢/٧) .

وفي اليوم نفسه (٢/٥) عاد الملك حسين من لندن الى عمان فجأة ، بعد صدور بيان اردني يقول ان الملك ارجأ زيارته الى العاصمة الاميركية بسبب انشغال الرئيس نيكسون بالاعداد لمؤتمر الطاقة . وكان اول ما فعله الملك لدى عودته الى عمان ، ان أقلع بطائرة هليكوبتر الى مقر قيادة الجيش فأعلن الاستنفار العام بدرجة مئة بالمئة . ثم أمر قيادة المدرعات بارسال وحدات مدرعة لمحاصرة معسكر الزرقاء واعتقال ضباط اللواء الاربعين . غير ان الملك فوجىء بان الامر لم ينفذ بل جاءه الرد بأن الضباط والجنود غير مستعدين لمحاربة زملائهم ورفاق سلاحهم . عند ذلك طلب الملك من قائد الطيران العسكري ان يرسل مجموعة من الطائرات الحربية لضرب المعسكر المتمرد. وكانت المفاجأة الاخرى ان جاءه الرد مماثلا . أي امتناع السلاح الجوي عن تنفيذ اوامر الملك (الصياد ٢/١٤) .

لذلك لم يكن امام الملك من سبيل والحالة هذه الا اتباع اسلوب لا يفقده المزيد من الهيبة أمام كبار ضباطه . فتوجه يوم الاربعاء (٢/٦) لزيارة الفرقة الالية الرابعة وتشكيلاتها ، حيث زار لواء الحرس الملكي الثاني ولواء الملك طلال . ورافق ذلك تصريح لزيد الرفاعي نفى فيه « الاشاعة » التي راجت عن تمرد في صفوف الجيش (النهار ٢/٦) . وصباح الخميس (٢/٧) استأنف الملك زياراته التفقدية بصحبة زيد بن شاكر فتوجها الى معسكرات الزرقاء حيث تفقدا عددا من التشكيلات والوحدات العسكرية من بينها اللواء ٤٠ ، ٦٠ ، ٩١ ومدرسة الدروع الملكية والقوات الخاصة (وكالة الانباء الاردنية ١٩٧٤/٢/٧) . وقال التلفزيون الاردني وهو يبث صور لقاء الملك مع وحدات الجيش انه قد تقرر بناء على رغبة الملك رفع الرواتب للجنود . وفي الوقت نفسه وزعت وكالة الانباء الاردنية تصريحا لزيد الرفاعي جاء فيه وصفا لحادث التمرد : « ان اعدادا صغيرة من الجنود في بعض الوحدات تقدمت بالتماسات لتحسين اوضاعها المعيشية ونقسا

لاجتهاداتها وفي اطار الولاء المطلق الذي تدين به مع الجميع للملك والعرش » . واضافت الوكالة الاردنية على لسان الرفاعي : « ان الملك امر قبل شهرين بتحسين الاوضاع المعيشية لقواتنا المسلحة اثر دراسة دقيقة ، وذلك ضمن الحدود التي تسمح بها امكانيات هذا البلد ... وان مجلس الوزراء نفذ الاوامر السامية باقرار نظام زيادة رواتب كوادر القوات المسلحة في الجلسة التي عقدها في ٢٢ كانون الثاني الماضي » .

شروحات على المتن

اضافت الصحف ووكالات الانباء وهي تنقل اخبار التمرد في الجيش الاردني مجموعة اخرى من المعلومات والاحداث التي رافقت هذه الحركة ، وذلك لاعطائها مدلولا سياسيا خاصا . ومن أهم ما ذكر من شروحات صحفية حول كل ذلك :

١ — ان التمرد قامت به وحدات مدرعة تتشكل في غالبيتها الساحقة من عناصر البدو التي شاركت بفعالية كبيرة في الهجمة التي شنها النظام الاردني ضد المقاومة الفلسطينية في ايلول وما بعده .

٢ — ان حركة التمرد انطلقت بالاساس من بين صفوف جنود اللواء ٤٠ الذي شارك في حرب تشرين الاول (اكتوبر) في الجبهة السورية .

٣ — الشعور بالغبن الذي أصاب الشرق اردنيين نتيجة القفز السريع والامتيازات الكبيرة التي تخلع على عناصر غير اردنية استجلبت من بدو بعض البلدان العربية المجاورة ، وذلك لبناء قوة عسكرية ضاربة ذات ولاء شخصي لمصدر رزقها وامتيازاتها . والذي حدث ان النظام الذي استنفر الحس الاقليمي لدى الشرق اردنيين في مواجهة الفلسطينيين لم يستطع ان يكبح جماح هذا الحس عندما استدار الى الاقليات في الجيش بعد عام ١٩٧٠ (الصياد ٢/١٤) .

٤ — وجود خلاف بين الملك حسين وشقيقه ولي العهد حول تصور علاقة الاردن مستقبلا بالضفة الغربية . فبينما يصر حسين على استعادة الضفة الغربية تحت سيطرته يعارضه الامير حسن قائلا : « ان من يريد اعادة اكثر من مليون فلسطيني الى المملكة هو كمن يريد ان يأتي بالدب الى كرمه » (الصياد ٢/١٤) .

٥ — ان احداث التمرد داخل الجيش الاردني لا يمكن عزلها عن التوقيت الذي حدثت فيه ، وهو الوقت الذي كان فيه الملك متوجها الى واشنطن . ومدلول ذلك كما وصفه بعض المراقبين ان الولايات المتحدة لا تريد من الملك ان يذهب بعيدا وحده في وضع الترتيبات لاعادة الضفة الغربية تحت سيطرته بما يعرقل التسوية .

٦ — ان وكالات الانباء الاميركية هي التي وزعت الانباء الاولى عن التمرد في الجيش . واستمرت وكالة الصحافة المشتركة « أ. ب » تنقل اخبار التمرد وتؤكدها بالرغم من نفي الحكومة الاردنية ونفي السفارة الاردنية في لندن والسفارة الاردنية في بيروت . هذا وقد ساهمت الصحف الاميركية بدورها في ترويج اخبار التمرد العسكري بالجيش الاردني (الواشنطن بوست ٢/٨) .

٧ — ان حركة الاحتجاج والتظاهرة العسكرية وما رافق ذلك من مطاليب وشعارات ، تمت كلها ضمن اطار الولاء للملك وبدون التعرض له وللاسرة الحاكمة بشكل مباشر .

العزلة وازدياد التناقضات

ليس بالامكان عزل ما حدث خلال الايام الاولى من شهر شباط (فبراير) الماضي عن المناخ السياسي الذي يعيشه الاردن وتعيشه المنطقة العربية . كما انه لا يمكن فهم تلك التظاهرة العسكرية بمعزل عن فهم الجيش الاردني كمؤسسة اقتصادية اولى في الاردن .

فبعد حرب تشرين وجد الاردن نفسه في طوق العزلة العربية مجددا اثر امتناعه عن المشاركة الجادة والاسهام الفاعل في الحرب . وزاد من فاعلية تلك العزلة اقرار مؤتمر القمة العربي الذي عقد بالجزائر في اواخر شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ، بحق منظمة التحرير الفلسطينية بتمثيل الشعب الفلسطيني كطرف وحيد .

انعكس هذا الوضع الذي وجد فيه نظام الحكم الاردني نفسه ، على محورين :

الاول : ازدياد حدة التناقضات والاتجاهات المتضاربة داخل أعمدة الحكم الاساسية وداخل الاسرة الحاكمة حول مسألة العلاقة المستقبلية للحكم بالضفة الغربية . وفي جو العزلة الداخلية — الفلسطينية خاصة — والعزلة العربية — مصر وسوريا على وجه الخصوص — والعزلة الدولية

بنسب متفاوتة ، وجد الاتجاه الداعي الى رفض خصوصية العلاقة بالضفة الغربية والفلسطينيين متنفسا أكبر للتعبير عن نفسه داخل أجهزة الحكم العليا . وليس مستبعدا والحالة هذه ان يكون الامير حسن — وهو رمز هذا التيار — قد دبر تلك الحركة الاحتجاجية المسلحة بهدف الضغط على الملك حسين الداعي الى استعادة الضفة وبسط هيمنته السياسية عليها .

الثاني : ان مشاركة وحدات مختارة من الجيش الاردني في المعركة ضد اسرائيل بالجبهة السورية ، مع امتناع الاردن عن المشاركة الكلية في الحرب ، قد أوجد لدى القوات التي شاركت في الحرب احساسا بالتمايز . وقد تكون بعض المطاليب التي تم رفعها والتقدم بها الى الامير حسن ومن بينها تسليح الجيش بأسلحة سوفياتية ، بسبب احتكاك تلك الوحدات بالجنود السوريين ووقوفها على فاعلية تلك الاسلحة المتطورة . الا ان الشعور بالتمايز على بقية وحدات الجيش التي لم تشترك بالحرب ، قد اتخذ مظهره الحاد في انبثاق المطالبة بتحسين أوضاع الجنود المعاشية من بين صفوف القوات التي اشتركت في حرب تشرين .

الا ان كل ذلك لا يمكن ان يفسر ما حدث في الجيش الاردني ، نظرا لما عرف عن هذا الجيش من ولاء مطلق للملك بعد تطهيره مرارا من امتدادات الحركة الوطنية داخل صفوفه ، وبعد غلبة العنصر البدوي في صفوف قاعدته وغلبة عنصر « الاقليات » في كوادره العليا .

وفي هذا المجال يمكن القول :

١ — ان ما حدث في صفوف الجيش خلال الايام الاولى من شهر تشرين قد تم ضمن اطار التمسك بالعرش والملك وتحت شعارات « مطلبية » سرعان ما تحولت الى مطالب سياسية .

٢ — لا يمكن ان يكون ما حدث في داخل الجيش يعبر عن اتجاه وطني لغياب حركة وطنية وراء تلك الاحداث .

٣ — كشفت أحداث الزرقاء عن تفاوت كبير في دخل مستويات الجيش ومراتبه . فبالرغم من الامتيازات النسبية الكبيرة التي يتمتع بها الجندي الاردني ، ظهر مدى الغبن الذي يلحق به قياسا لما تتمتع به كادرات الجيش العليا من امتيازات .

٤ — أظهرت أحداث التمرد العسكري ان قاعدة الانضباط العسكري قد كسرت نهائيا في الجيش الاردني . وكان النظام قد أتاح للجنود في ايلول وما بعده كسر قاعدة الانضباط لكي ينفذ غاياته بضرب المقاومة . الا انه بعد خروج المقاومة ظهر ان الجيش لم يستعد انضباطه . وفي ذلك خطورة كبيرة على النظام من كسر هذه القاعدة .

٥ — ان العرف العسكري كان يستوجب معاقبة المتمردين — كما يحدث في كل جيوش العالم — . أما الاستجابة الى مطالب الجنود وعدم معاقبتهم فيظهر الى أي مدى تحكم الوضع السياسي في هذه المسألة .

٦ — ان أخطر مدلولات التمرد العسكري كونه انبثق من صفوف الوحدات المدرعة المشكلة في أغلبيتها الساحقة من بين جنود البادية الذين عرفوا بولائهم الاعمى للملك . ذلك الولاء الذي ترسخ على قاعدة مادية صلبة تمثلت في المنح والمزايا والهدايا والرشاوات لمشايخ العشائر والمتنفذين فيها .

ويظل ما حصل في الاردن ، بغض النظر عن نتائجه الانية والمباشرة أخطر ما حصل من أحداث شهدها الاردن بعد هجمة ايلول الفاشية ضد المقاومة . وفي مطلق الاحوال فان النتائج التي أسفر عنها حادث التمرد العسكري ، قد أصاب النظام ككل اصابة قاسية . وبالتحديد فان الوضع المعنوي للملك حسين هو الذي تضرر على الصعيد الداخلي، وتضرر بشكل أكبر على الصعيد السياسي الخارجي . فان اولى الخلاصات السياسية لكل ما حدث ، لن تفهم خارج الاردن ولدى حلفائه ، الا بمثابة عدم استقرار للوضع وسيطرة الملك على مقاليد الامور بشكل ثابت كما كان يبدو معه الامر خلال السنوات الثلاث السابقة .

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

لا شك ان أهم تطور دولي طرأ بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي في الشهر الماضي كان تكلل السفرات المتعددة التي قام بها كيسنجر بين أسوان والقدس المحتلة في منتصف الشهر المنصرم بالنجاح الذي عبر عن نفسه بابرام اتفاقية فك الارتباط بين القوات المسلحة المصرية والاسرائيلية على جبهة قناة السويس . وقد تم الاعلان عن التوصل الى هذه النتيجة عبر اذاعتي القاهرة واسرائيل في وقت واحد مساء ١٧ كانون الثاني ١٩٧٤ . وكانت هذه الخطوة على ما يبدو بمستوى من الاهمية الدولية جعلت الرئيس نيكسون يظهر على شاشة التلفيزيون الامريكي في وقت اعلان الاتفاق المذكور « ليزف البشرى » الى العالم بنفسه وليؤكد بأنه « تم التوصل الى هذه الاتفاقية بجهود حكومة الولايات المتحدة » وبأنها تشكل « اول خطوة هامة نحو سلام دائم في الشرق الاوسط » . وقدم الرئيس الامريكي في حديثه التلفيزيوني تهانيه الى الرئيس السادات وغولدا مائير وهنري كيسنجر « على روح التعاون » التي أبدوها كما أكد حرصه الشخصي على أن تواصل حكومته جهودها من أجل الوصول الى اتفاق سلام شامل بين مصر واسرائيل وبين اسرائيل والدول العربية الاخرى المعنية . وقد دعا نص اتفاق فك التحام القوات الى ما يلي :

١) تقيد مصر واسرائيل باتفاق وقف اطلاق النار برا وبحرا وجوا وتمتنعان عن كل العمليات العسكرية وشبه العسكرية ضد بعضهما البعض.

٢) فصل القوات العسكرية للجانبين على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية انسحابا كليا الى حدود الممرات في الجانب الاسيوي من قناة السويس . وقد حددت الخرائط العسكرية المرفقة بالاتفاقية اماكن مرابطة قوات كل من الطرفين .

٣) جعل المنطقة الواقعة بين الخطوط المصرية والاسرائيلية منطقة مجردة من السلاح ترابط فيها قوات الطوارىء الدولية على ان تبقى هذه القوات مؤلفة من جنود الدول غير دائمة العضوية في مجلس الامن .

٤) تحديد أعداد القوات والاسلحة (لجهة الخفض) المرابطة على الخطوط المصرية والاسرائيلية ، على ان تدقق القوات الدولية بمدى تقيد كل من الطرفين بالحدود المشار اليها .

٥) السماح للقوات الجوية للجانبين بالعمل ضمن خطوطها بدون اي تدخل من الجانب الاخر .

٦) عدم النظر الى هذه الاتفاقية على انها سلاما نهائيا بل على أنها تشكل الخطوة الاولى نحو سلام عادل ودائم في المنطقة طبقا لقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ وضمن اطار عمل مؤتمر السلام في جنيف .

٧) تنفيذ الخطوات التفصيلية لفك الالتحام عن طريق ممثلين عسكريين عن الطرفين يعقدون اجتماعات سريعة عند الكيلومتر ١٠١ على طريق القاهرة السويس تحت اشراف هيئة الامم المتحدة.

وفي اليوم التالي تم توقيع الاتفاق عند الكيلومتر ١٠١ من قبل رئيس اركان الجيش المصري (اللواء عبد الغني الجمصي) ورئيس اركان الجيش الاسرائيلي (الجنرال دافيد اليعازار) . واحتفاء بالتوصل الى هذه الاتفاقية ، أدلى الرئيس السادات بتعليقات هامة حوله وحول نتائجه وذيوله وكيفية التوصل اليه ، يمكن تلخيصها كما يلي : ١) شكر الرئيس السادات الولايات المتحدة بحرارة بقوله الى الصحفيين « كم اود ان تنقلوا الى الشعب الامريكي شكري العميق لانه أمكن انجاز ما تم انجازه بارشاد الرئيس نيكسون الحكيم وجهود الدكتور كيسنجر . أعتقد ان هذه نقطة تحول في تاريخ المنطقة » . ٢) اشارته الى الطريقة التي تم التوصل فيها الى اتفاقية فك الالتحام بقوله للصحفيين أيضا « كنا لا نقبل أي كلام من الاسرائيليين وكانوا لا يقبلون كلامنا . فكان لا بد من أن تدخل امريكا باقتراح . الا ان أمريكا كانت تقول من قبل بالتفاوض المباشر ولا تقدم اقتراحات ، لكن كيسنجر تجرأ على ما لم يجرؤ عليه وزير خارجية امريكي قبله فدخل باقتراح أمريكي . ثم وصلنا الى الحد الذي قبله الطرفان » . وتعزز هذه الاشارة من قبل الرئيس السادات الانباء الصحفية (من مصادر امريكية) التي ذكرت ان كيسنجر حمل معه في زيارته الاخيرة للمنطقة وثيقة سرية ارسلها الرئيس نيكسون تتضمن

تفصيلات الوجودين العسكري والمصري والاسرائيلي في الضفة الشرقية لقناة السويس . وقد وقعت غولدا مائير احدى هاتين النسختين ووقع السادات النسخة الثانية . وقد ألمح الرئيس السادات الى ذلك بقوله للصحفيين حول توقيعه وتوقيع مائير للاتفاقية : « فان ذلك هو توقيع مني لامريكا اوقعه، ومن غولدا مائير لامريكا توقعه » . ٣) تأكيد الرئيس السادات بأن كيسنجر قد يعود في جولات مقبلة الى المنطقة ، لان القضية شديدة التعقيد والصعوبة وتناولها يحتاج الى وقت وجهد وفكر وتخطيط لان الامور لا تتغير في لحظة . ٤) تأكيده أيضا بأن سياسته ملتزمة بتحقيق اتفاقية مشابهة لفصل القوات على الجبهة السورية مثل التزامها بذلك على الجبهة المصرية . وذكر الرئيس السادات انه بحث هذا الموضوع مع كيسنجر الذي وافق على الالتزام المصري . وقبل مغادرته مصر باتجاه عمان صرح كيسنجر ان بلاده « تشجع تحقيق فصل القوات على الجبهة السورية وانها تستعد لبذل جهد مماثل في هذا الصدد » .

في الاردن قابل كيسنجر الملك حسين حيث بحثا في موضوع اتفاقية فك الارتباط المصرية وامكانات التوصل الى ما سمي « بفك الارتباط » بين القوات العسكرية على الجبهة الاردنية — الاسرائيلية . وأكد الوزير الامريكي بأن بلاده مهتمة باحلال السلام في المنطقة وبأن الاردن « سيلعب دورا كبيرا في هذا السلام » باعتباره « صديق الولايات المتحدة المخلص الذي يعتمد عليه » . وعلى أثر سفر كيسنجر صرح رئيس الوزراء الاردني بأن مناوضات ستبدأ في اقرب مهلة ممكنة للفصل بين القوات الاردنية والاسرائيلية . وترددت انباء صحفية تفيد، بأن الاردن ارسل الى اسرائيل عبر كيسنجر اقتراحا منصلا لاجراء انسحاب تمهيدي لقوات الطرفين على طول نهر الاردن . وارفقت بالاقتراح خرائط منصلة متعلقة بخطوط قوات الطرفين على ان تعود المنطقة التي تنسحب منها القوات الاسرائيلية الى الادارة المدنية الاردنية . وذكرت أنباء صحفية اسرائيلية بأن حكومة اسرائيل قد تسلمت بالفعل المشروع الاردني الداعي لعقد اتفاق شبيه بالاتفاق المصري — الاسرائيلي وان الاتصالات قد بدأت فعلا بين الطرفين خاصة وان الولايات المتحدة مهتمة الى أقصى درجة بأن تبدأ عملية فصل القوات على الجبهة الاردنية في اقرب فرصة ممكنة . وفي ٦ شباط اكدت مصادر اردنية في هيئة الامم هذه الانباء بصورة غير مباشرة عن طريق الاعتراف بتسليم كيسنجر اقتراحا اردنيا لفصل القوات الاردنية — الاسرائيلية يتضمن النقاط التالية :

أ) انسحاب القوات الاسرائيلية غربا بحيث تصبح خارج منطقة اريحا .

ب) بقاء القوات الاردنية عند النهر تماما على ضفته الشرقية .

ج) تخضع المنطقة الفاصلة بين الجيشين للادارة المدنية الاردنية ولا ترابط أية قوات عسكرية اردنية .

وجدير بالذكر ان « النيويورك تايمز » أفادت في ٢٨ كانون الاول بأن هناك احتمالا كبيرا في أن يتم الاتفاق على « فصل القوات » الاردنية — الاسرائيلية قبل التوصل الى اتفاق على فصلها في جبهة الجولان . وذكرت الصحيفة انمحادثات اولية قد بدأت بالفعل بين ضباط كبار في الجيشين الاردني والاسرائيلي .

بعد الاردن توجه كيسنجر الى دمشق حيث قابل الرئيس حافظ الاسد في اجتماع استمر لمدة ٤ ساعات تناول (وفقا لتصريح كيسنجر) العلاقات الثنائية بين البلدين وفرص تحقيق السلام في المنطقة واتفاق فصل القوات على جبهة السويس ومشكلة فصل القوات على الجبهة السورية . وصف الوزير الامريكي محادثاته مع الاسد بأنها كانت بناءة . وقد تم الاتفاق بين البلدين على ارسال ٣ ديبلوماسيين سوريين الى واشنطن وعلى توسيع بعثة رعاية المصالح الامريكية في دمشق بحيث يصبح عدد افرادها اربعة أشخاص . وحدد وزير خارجية سوريا موقف حكومته من موضوع فصل القوات بقوله بأن سوريا تقبل بمثل هذا الترتيب . « اذا كان مرحلة أولى لانسحاب اسرائيلي كامل من الاراضي العربية ولضمان حقوق الشعب الفلسطيني » وردت اسرائيل على الموقف السوري على لسان رئيسة وزرائها التي صرحت في اخر شهر كانون الثاني بأن حكومتها لاتنوي الاحتفاظ بالاراضي السورية التي احتلتها القوات الاسرائيلية في الجولان في الحرب الاخيرة ، الا ان اسرائيل لن تقبل بالتفاوض مع سوريا من أجل فصل القوات قبل أن تتسلم قائمة بأسماء الاسرى

الاسرائيليين الموجودين هناك . وترددت بهـذا الصدد انباء صحفية تقول ان كيسنجر قد يعود الى زيارة دمشق في المستقبل القريب للعمل على فصل القوات ، وان وزير الخارجية السوفياتي قد يزور القاهرة ودمشق للسبب نفسـه اذ أن المشاورات بين واشنطن وموسكو لم تنقطع حول الموقف السوري السلبي من مؤتمر جنيف وحول ضرورة التوصل الى اتفاقية لفصل القوات فـي جبهة الجولان . وافادت انباء صحفية اخرى ان اسماعيل فهمي — وزير خارجية مصر — قد تلقى بصورة عاجلة في اخر كانون الثاني اقتراحـات اولية من كيسنجر حول فصل القوات السورية — الاسرائيليـة .

وقبل عودته الى واشنطن من الشرق الاوسط توقف كيسنجر في تل ابيب حيث أطلع المسؤولين الاسرائيليين على نتائج محادثاته في دمشق والاردن. وبعد وصوله الى العاصمة الامريكية أدلى الوزير الامريكي بتصريحات اكد فيها عزمه لبذل مساعيـه الحميدة لتحقيق اتفاق لفصل القوات بين اسرائيل وسوريا وكشف ان الرئيس الاسد اعطاه « بعض الافكار والاقتراحات » حول كيفية تحقيق ذلـك وأشار كيسنجر بالاضافة الى ذلك الـى قيـام مفاوضات بين الاردن واسرائيل .

على أثر انتهاء زيارة كيسنجر للمنطقة قـام الرئيس السادات بجولة على بعض العـواصم العربية شملت بعض دول الخليج والمغرب العربي حيث ادلى بتصريحات هامة وذات دلالة كبـيرة بالنسبـة للتطورات الدولية للصـراع العـربي الاسرائيلي . وكانت اهم النقاط الواردة فـي التصريحات التي ادلى بها في الجزائر والمغرب كما يلي : ١) الاشادة بسياسة الولايات المتحـدة في الشرق الاوسط والتنويه بتبدل موقفها مـن القضية العربية كما في قوله (في الرباط ٢٤ كانون الاول) : « واستطيع ان اقول عن حكومة الرئيس نيكسون وعن الدكتور كيسنجر بالذات انه يبذل جهده للقيام بمسؤولية امريكا كقوة كبرى في حفظ السلام ، بعدما كان الجهد كله قبل ذلك مبذولا لدعم اسرائيل فقط . امريكا تبذل جهدا منذ ثلاثـة أشهر ونصف الشهر للقيام بواجبها كقوة كبرى، في حفظ السلام . وهذا ما جعلني اقول ان هناك تغييرا نرجو ان يستمر في موقف امريكا . والدليل على هذا المحادثات الاخيرة حول فصل القوات . وامريكا بذلت في هذه المباحثات مجهودا نحو تحقيق السلام . وقد حدث للمرة الاولى تغيير في موقـف امريكا اذ اتخذت موقفا امكن عن طريقه انجـاز هذا الاتفاق ... » ٢) دعوة الدول العربية الى مبادلة امريكا بالمثل كما في قول الرئيس السادات « فانني اقول انه كلما كان هناك موقف ايجابـي لامريكا ، خطوة ايجابية ، ففي تقديري وفي رأيي يجب ان يكون لنا أيضا خطوة ايجابية في الاتجـاه نفسه علشان نثبت اننا غير متزمتين او جامدين ». ألح الرئيس المصري الى مبادلة امريكا بالمثـل في هذه المرحلة تعني رفع الحظر على شحـن البترول اليها من قبل الدول النفطية العربية . وقد اكد ذلك وزير خارجية دول الامارات — احمـد خليفة السويدي — في تصريح له (٢٤ كانـون الثاني) قال فيه ان الرئيس السادات اقترح على المسؤولين في دول الامارات العربية رفع الحظـر على النفط المصدر الى الولايات المتحدة فور انتهاء المرحلة الاولى من الانسحاب الاسرائيلي (فصـل القوات) على الجبهتين المصرية والسورية ومعاملتها على الاسس نفسها التي تعامل بها الدول النفطية اوروبا واليابان . ٣) انه تم الاتفاق بوضوح مع الدكتور كيسنجر على الا تبدأ مناقشة القضايـا الاساسية لمشكلة الشرق الاوسط في مؤتمر جنيف الا بعد أن تتم عملية فصل القوات العسكرية على جبهة الجولان وأكد الرئيس السادات مجددا « ان الفصل بين القوات على الجبهة السورية واشتراك ممثلين فلسطينيين في مؤتمر جنيف يشكلان بالنسبة لمصر شرطا مسبقا للبحث مع اسرائيل في جوهـر أزمة الشرق الاوسط ». ٤) التعبير عن اعتقاده بأن سوريا مستعدة لعقد اتفاق مع اسرائيل حول الفصل بين قوات الطرفين في الجولان ، وتأكيده « بأنه لاحظ لدى السوريين استعدادا للموافقـة على فصل القوات » . ٥) تشديده على التضامن التام القائم بين مصر وسوريا والاردن ورفض مصر توقيع معاهدة سلام منفردة مع اسرائيل ورفضها التخلي عن اي شبر من اراضيها او عن حقـوق الشعب الفلسطيني . ٦) ايضاحه بأن مهمـة كيسنجر في تحقيق اتفاقية الفصل بين القوات على جبهة السويس جاءت نتيجة تنسيق سياسي بـين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بالنسبة للشرق الاوسط وقوله بأن « كيسنجر بذل جهوده بناء على مشاورات امريكية سوفياتية » ومن المفيد الاشارة هنا الى التصريح الذي أدلى به وزير خارجية مصر

في ٣٠ كانون الاول الى صحيفتين ايطاليتين حيث قال « نحن مستعدون لتوقيع معاهدة سلام مع اسرائيل . وهذه هي المرة الاولى التي يبدي فيها بلد عربي استعداده لذلك ، وعلى اسرائيل الا تضيع هذه الفرصة وذلك بتنفيذ شرطي الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ والاعتراف بالحقوق القومية للفلسطينيين » . واضاف فهمي قائلا ان حكومته « تحبذ قيام بريطانيا وفرنسا بضمان اتفاقية السلام وان تشتركا في قوات الطوارىء الدولية » . كما أشار الى وجود اتفاق عام على اشتراك الفلسطينيين في مؤتمر جنيف في مرحلة لاحقة من انعقاده .

في هذه الاثناء لم تتوقف السياسة الامريكية عن التحرك من جهتها فقد اطلق كيسنجر في اواخر شهر كانون الثاني تصريحات مفادها بأنه يتوقع أن يتم رفع الحظر على شحن النفط العربي الى الولايات المتحدة قريبا وان تزيد الدول العربية المعنية انتاجها من البترول لتخفيف النقص الذي تعاني منه الدول الصناعية الغربية . كما أكد الوزير الامريكي انه اذا لم تنه الدول العربية هذا الحظر خلال فترة معقولة فانها ستخلق بذلك مشكلات خطيرة مرتبطة بثقة الولايات المتحدة بالدول المنتجة لذلك فانه يتوقع ان تتم هذه الخطوة في أعقاب المؤتمر الذي كان من المفترض ان يعقده وزراء النفط العرب في ليبيا في ١٤ شباط خاصة وان الرئيس نيكسون كان قد تلقى تأكيدات ايجابية حول هذا الموضوع من عدد من « الحكام العرب الاصدقاء » ، على حد تعبير كيسنجر نفسه ، وعاد الرئيس نيكسون ليؤكد الموقف نفسه في رسالته السنوية الموجهة الى الكونغرس (١ شباط) حيث قال ان الدول العربية المنتجة للنفط ستعقد قريبا اجتماعا عاجلا للبحث في رفع الحظر عن شحن البترول الى الولايات المتحدة . وقد أثارت هذه التصريحات بعض الاستغراب والاستهجان من جانب عدد من الوزراء والمسؤولين في الدول العربية النفطية وعلى سبيل المثال اعلن وزير خارجية الكويت ان رفع الحظر لن يعاد النظر فيه قبل أن تتعهد اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة وتضمن واشنطن ذلك . كما اعلن وزير النفط السعودي بأنه لا علم له بوجود اي تعهد عربي تجاه حكومة الولايات المتحدة برفع حظر عن شحن النفط اليها (٦ شباط) . وجاء الرد الامريكي على هذه التعليقات العربية اولا على شكل تصريح ادلى به السكرتير الصحافي للبيت الابيض حيث أكد أن الرئيس نيكسون متفائل بأن البلدان العربية المعنية سترفع الحظر على الرغم من تعليقات بعض المسؤولين العرب بأن الحظر سيستمر ما لم تتعهد اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . ثانيا على شكل تهديد شبه مباشر اطلقه كيسنجر في نهاية الاسبوع الاول من شهر شباط حيث حذر فيه الدول العربية من مغبة استمرارها في حظر شحن النفط الى بلاده . قال كيسنجر « ان مصدر التقدم الذي تم تحقيقه في الشرق الاوسط منذ حرب تشرين هو الولايات المتحدة وحدها ، والابقاء على حظر النفط سيفسر على أنه نوع من أنواع الابتزاز مما سيؤثر على موقف الولايات المتحدة بالنسبة لسياستها الخارجية في الشرق الاوسط » .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي استمرت سياسته في احتلال المركز الثاني في تحركات السلام الجارية في المنطقة منذ انتهاء حرب تشرين ١٩٧٣ في عدم اطمئنانها للتقارب المصري الامريكي السريع . ففي أكثر من مناسبة حصر القادة السوفيات تعليقاتهم على اتفاقية فك الارتباط العسكري على جبهة السويس بتشديدهم على اهمية الخطوات التي يجب أن تتبع الاتفاقية بدلا من الاشادة بها كانتصار . ففي تصريح أدلى به اندريه غروميكو (٧٤/١/٢٣) تطرق الى الموضوع بقوله انه « بعد ان تم الاتفاق على فصل القوات المصرية والاسرائيلية من المهم ان تعقب ذلك خطوات اخرى لحل القضايا الجذرية في تسوية مشكلة الشرق الاوسط على أساس قرارات مجلس الامن المعنية » وأشار الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف في خطاب القاه اثناء زيارته الاخيرة لكوبا (٧٤/١/٣١) لاتفاقية فك الارتباط بقوله انها خطوة ايجابية لكنها لا تتعدى كونها « تدبيرا جزئيا له طابع محض عسكري ولا يتناول حتى الان سوى بلد عربي واحد من البلدان التي اشتركت في الحرب » وحذر الزعيم السوفياتي من مغبة التوقف عند هذا الحد في تسوية مشكلة الشرق الاوسط . ومن الجدير بالذكر هنا أن صحيفة « الاهرام » تكلمت (قبل تنحية هيكل من رئاسة تحريرها) عن ازالة الشكوك السوفياتية حول رعاية الولايات المتحدة لاتفاق فصل القوات المصرية — الاسرائيلية » (٧٤/١/٢٦)

وذكرت الصحيفة ان القادة السوفيات يعتقدون انه كان بامكان مصر ان تمارس المزيد من الضغط على اسرائيل وامريكا من اجل الحصول على جدول زمني لانسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية المحتلة وعلى موقف اسرائيلي محدد بشأن حقوق الشعب الفلسطيني بدلا من مجرد اتفاق عسكري على فصل القوات . ولازالة هذه الشكوك السوفياتية قام وزير خارجية مصر بزيارة رسمية للاتحاد السوفياتي حيث اجرى مباحثات مع القيادة العليا هناك وصفتها الدوائر الرسمية المصرية بأنها كانت « بناءة للغاية » . وقد صدر بيان مشترك على أثر انتهاء الزيارة كان اهم ما فيه :

١) التأكيد على حق « ممثلي الشعب العربي الفلسطيني بالاشتراك في اعمال مؤتمر جنيف للسلام في أقرب وقت ممكن لانه لا يمكن بحث القضية الفلسطينية وحلها بدونهم » الا ان البيان لم يذكر منظمة التحرير تحديدا وباعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني . ٢) اعتبار انعقاد مؤتمر السلام في جنيف « خطوة كبرى باتجاه خلق وضع طبيعي في الشرق الاوسط » مع تأكيد الجانبين على عزمها بذل كل ما في وسعهما لانجاح المؤتمر والتوصل الى اتفاقية سلام شاملة على أساس قرارات مجلس الامن الدولي » .

وعلى صعيد اخر قام الرئيس اليوغسلافي تيتو بزيارة دمشق في اوائل شهر شباط حيث تباحث مع الرئيس الاسد وكبار المسؤولين السوريين بالتطورات الاخيرة لازمة الشرق الاوسط وخاصة موضوع فصل القوات العسكريةفي جبهتي السويس والجولان وحظر النفط العربي وجدول اعمال مؤتمر القمة الاسلامي المقبل . وترددت بعض الانباء التي تقول بأن من اهداف الرئيس اليوغسلافي محاولة التوسط في حل عقدة فك الارتباط السوري الاسرائيلي . وعلى اثر انتهاء الزيارة التي استغرقت يومين صدر بيان مشترك اكد فيه الطرفان انه ليس بالامكان التوصل الى حل عاجل ودائم لمشكلة الشرق الاوسط الا بالانسحاب التام والسريع للقوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ واعادة الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني . وأشار البيان الى فصل القوات على جبهة السويس بقوله ان الاتفاقية المعينة « يجب ان تشكل خطوة اولى على طريق حل شامل يستند الى المبدأ المذكور والى قرارات الامم المتحدة » ثم أضاف قائلا ان المحاولات الرامية الى ايجاد حل مشكلة الشرق الاوسط بالطرق السلمية لا تؤثر في اي حال من الاحوال على حق الدول العربية في ممارسة حقها في النضال المشروع بكل الطرق المتاحة لها من أجل صد العدوان وتحرير اراضيها من الاحتلال الاسرائيلي.

● اما بالنسبة لاوروبا الغربية فكانت أهم التطورات هي اعلان كل من بريطانيا وفرنسا رفع الحظر المفروض على شحن السلاح الى دول الشرق الاوسط وزيارة وزير الخارجية الفرنسي — جوبير — للمنطقة . في النصف الثاني من شهر كانون الثاني أعلن وزير خارجية بريطانيا رفع الحظر عن شحن الاسلحة الى دول الشرق الاوسط . وبموجب هذا الاعلان سيكون بالامكان تنفيذ اتفاقات شراء الاسلحة المعقودة بين بريطانيا وبعض الدول العربية ، مثلا امداد مصر بالاسلحة الخفيفة وطائرات الهليكوبتر ، وامداد اسرائيل ببعض التجهيزات لسلاح البحرية وقطع الغيار للدبابات. كما ستستفيد بريطانيا من هذا الاجراء لانه سيمكنها من عقد صفقات جديدة لبيع الاسلحة مع الدول العربية المنتجة للنفط والباحثة عن مصادر غربية للتسلح . وبعد مرور بضعة ايام على هذا الاعلان البريطاني صرح وزير الدفاع الفرنسي بأن بلاده ستبيع الاسلحة الى الدول العربية بدون اية قيود. وكان هذا بمثابة اعلان عن رفع الحظر الفرنسي على شحن الاسلحة الى الدول العربية المفروض منذ عام ١٩٦٧ .

يبدو ان هذا التصريح الفرنسي كان نوعا من التمهيد للجولة التي قام بها وزير الخارجية الفرنسي في عدد من الدول العربية . وقد شملت جولته في شقها الاول كلا من السعودية والكويت وسوريا ، وفي شقها الثاني العراق . وكان واضحا ان جوبير جاء لاهداف ذات طابع استراتيجي وبعيد المدى بالنسبة لتعامل بلاده مع الدول العربية المعنية . لذلك بحث جوبير مع المسؤولين العرب على أعلى المستويات في قضايا كبيرة وحساسة مثل النفط والتسلح ومشاكل التنمية ، هذا بالاضافة الى التطورات الراهنة لازمة الشرق الاوسط . ومما أعطى زيارة جوبير اهمية خاصة كونها جاءت خروجا على ارادة الولايات المتحدة على السياسة النفطية

وغير النفطية التي تريد امريكا من اوروبا ان تتبعها. ان دخول فرنسا مجال العلاقات الثنائية المباشرة وبعيدة المدى مع الدول العربية في ميادين النفط والاقتصاد والتنمية يتعارض مع سياسة نيكسون — كيسنجر في تكتيل الدول الصناعية المستهلكة للنفط في جبهة واحدة غرضها المجابهة مع الدول المنتجة.

• وكان من اهم النتائج التي اسفرت عنها زيارة جوبير ما يلي : ١) مباحثات مع السعودية هدفها تلبية رغبة الاخيرة في عدم مجـرد بيع النفط بل الحصول على ما تحتاجه في مجالات التكنولوجيا والتنمية على ان تتم الاتفاقـات بين الحكومتـين مباشرة • ٢) اتخاذ قرار باجتماع وزيري الخارجية الفرنسي والسعودي مرتين كل عام وتشكيل لجنة دائمة للتعـاون السعـودي الفرنسي برئاسـة الوزيرين • ٣) تنشيط اعمال اللجنة الاقتصادية الفرنسية الكويتية المشتركة التي كانت قد تشكلت عام ١٩٧٢ والاتفاق على عقد اجتماعاتها من الان وصاعدا على مستوى الوزراء • ٤) الاتفاق على قيام الكويت ببناء اربع ناقلات للغاز السائل سعة كل منها ٧٠ الف متر مكعب في فرنسا • ٥) تشكيل لجنة عسكرية فرنسيـة كويتية لدرس موضـوع التسلح • ٦) عودة جوبير في دمشق الى تأكيد موقف فرنسا بالنسبة لازمة الشرق الاوسط حيث أكد أن أي حل للازمة يجب ان يتضمن العدالة والسلام وحل مشكلـة الاراضي العربية المحتلـة ومشكلة القدس ومشكلة الفلسطينيين ومشكلـة حرية المرور في الممرات المائية الدولية • وأكد جوبير ان بلاده تعتبر تحقيق كل ذلك من مهمات المجتمع الدولي لا من مهمات هـذه الدولة او تلـك • ٧) تناول المحادثات مـع المسؤولين السوريين موضوع ترميم المنشآت النفطية ومحطات الكهرباء التي دمرت في حرب تشرين الاول • ٨) الاتفاق بين سوريا وفرنسا على تأليف لجنة مشتركة تعقد اول اجتماع لها في دمشق او باريس في نيسان القادم •

وفي الاسبوع الاول من شهر شباط قام جوبير بزيارة بغداد حيث قابل كبار المسؤولين وتباحث معهم في قضايا النفط والسلاح والتعاون التجاري والانمائي والصناعي • هذا بالاضافة الى البحث في امكان الاستعانة بالخبرات الفرنسية في تنفيذ الخطط والمشاريع الانمائية في العراق • وبطبيعة الحال كان جوبير مهتمـا بموضوع تزويد بـلاده بالبترول على المدى الابعد •

صادق جلال العظم

(٣) المناطق المحتلة

حركة الاستيطان : تحدثنا في العدد السابق من الشهريات حول موقف التيارات الاسرائيلية الفاعلة تجاه المناطق المحتلة ، وسنركز حديثنا في هذا العدد حول حركة الاستيطان التي اخذت تمر في مرحلة حرجة في الاونة الاخيرة ، متطرقين الى (١) محاولات استيطانية فاشلة في نابلس بالضفة الغربية ، وابو رودس في سيناء على خليج السويس (٢) الدعوة للتمسك بالمناطق المحتلة وتعزيز الاستيطان فيها ، ووجهة نظر الرأي العام الاسرائيلي تجاهها (٣) اقامة مدينة في هضبة الجولان .

فيما يتعلق بالمحاولات الاستيطانية الفاشلة ، جرت في الاونة الاخيرة محاولتان ، الاولى وجهت انظارها نحو نابلس لاقامة « شخيم العليا » بغرض تهويد المدينة ، والثانية نحو ينابيع البترول في خليج السويس في منطقة ابو رودس لتثبيت النهب البترولي هناك . ففي أوائل كانون الاول قامت مجموعة اسرائيلية يتشكل معظم عناصرها من « الحركة من اجل ارض اسرائيل الكبرى » في محاولة ليست فريدة من نوعها ، اذ تعتبر المحاولة الخامسة منذ حرب حزيران لاقامة نواة مدينية بالقرب من نابلس ، وكان نصيب هذه المحاولة كنصيب المحاولات السابقة ، فقد تصدت قوات الاحتلال للمستوطنين عند مشارف المدينة وحالت دون غرضهم . وقد فوجيء الاهالي العرب من التواجد العسكري المكثف في المدينة وظنوا انه موجه كالعادة ضدهم، خاصة وان قوات الامن الاسرائيلية اخذت في الاونة الاخيرة ومع اشتداد ساعد المقاومة في منطقة نابلس من تشديد قبضتها واستفزازاتها هناك، الا أنهم عندما علموا بحقيقة الامر، اخذوا يعقدون الاجتماعات للبحث في القيام بتظاهرات استنكارا لعملية الاستيطان هذه ، وكيلا تتحول مدينتهم الى « خليل اخرى » حيث اشيدت هناك « كريات اربع » . بيد ان حاكم المدينة العسكري موشيه بن دافيد استبق الاحداث المحتملة بأن حذر من عقد اجتماعات او تنظيم مظاهرات لهذه الغاية ، وذكر ان سلطات الحكم العسكري ستقاومها بشدة . وازاء ذلك تحركت بلدية نابلس والغرفة التجارية فيها . فقد اجتمع الحاج معزوز المصري رئيس البلدية بالحاكم العسكري للمدينة ، وقدم اليه مذكرة احتجاج باسم المجلس البلدي لينقلها بدوره الى وزير الدفاع ، جاء فيها : « فوجيء المواطنون في مدينة نابلس... من قيام بعض الاسرائيليين من مسؤولين وغير مسؤولين بمحاولات ترمي لانشاء مدينة اسرائيلية تطل على مدينة نابلس يطلق عليها اسم « شخيم العليا » وأعربوا عن استنكارهم لهذه الافكار التي تهدد دعائم السلام المنشود » . واضافت المذكرة : « ان المواطنين في المدينة يعلنون معارضتهم لهذه الافكار التي يظهرها هؤلاء والتي تحمل في طياتها حب التوسع وهضم حقوق الغير وتؤدي الى انتشار الفوضى والقلق ، واننا نطالب الحكومة بأن تعلن رفضها لهذا المشروع حتى يعود الهدوء والاطمئنان لكل مواطن ، كما نطالبها بوضع حد لاستهتار مثل هذه الجماعات التي تعمل بشتى الوسائل على استفزاز المواطنين وهز مشاعرهم » . اما الغرفة التجارية للمدينة فقد بعثت هي الاخرى بمذكرة احتجاج الى وزير الدفاع موشيه ديان بواسطة حاكم نابلس العسكري ، ضاربة على وتر روح مؤتمر جنيف ، جاء فيها : « في الوقت الذي يعقد فيه مؤتمر جنيف للسلام ... في هذا الوقت بالذات طلعت علينا الصحف الاسرائيلية ان جماعة من الاسرائيليين ممن يطلقون على انفسهم حركة ارض اسرائيل ، بتأييد ودعم بعض الوزراء الاسرائيليين ينوون الاستيلاء على ارض ملاصقة لمدينة نابلس لاقامة ما يسمونه بنابلس العليا». ثم اتهمت المذكرة المسؤولين انهم هم وراء الحركة بقولها : « ان ظهور مثل هذه الفكرة لا يمكن ان يتم الا بتخطيط مسبق من المسؤولين الاسرائيليين ، حيث ان هذا المخطط جاء عن طريق اقامة المستوطنات العسكرية، حيث ان هذا المخطط يهدف تدريجيا الى الاستيلاء على جميع المناطق العربية وتفريغها تحت الضغط من سكانها الاصليين لتصبح مناطق اسرائيلية . هذا المخطط يتنافى في الواقع مع كل ما يقوله المسؤولون الاسرائيليون عن رغبتهم في السلام ، وان هذه الاجراءات تتنافى ومبادىء القانون الدولي ، ولا تقرها شريعة قانون الانسان » .

اما المحاولة الاستيطانية الثانية الفاشلة ، فهي تختلف عن الاولى ، وهي ناجمة بالاصل عن النتائج

المتمخضة عن حرب اوكتوبـر . فمن المعروف ان مستوطنة اسرائيلية كانت قد اقيمت لعائلات العاملين في منطقة ابو رودس حيث تقوم اسرائيل هنـاك باستغلال آبار البترول البرية والبحرية بعـد ان سقطت في أيديها في حرب ١٩٦٧ . وخلال حرب اوكتوبر اضطرت لاجلاء سكان تلك المنطقة امام زحف القوات المصرية ، كما حدث في هضبة الجولان عندما افرغت المستوطنات هناك من سكانها اثناء تقدم القوات السورية في الهضبة ، ولكن مـع عودة مستوطني الهضبة الى مستوطناتهم، وتصاعد الدعوات من قبل هيئات رسمية وغير رسمية لتعزيز الاستيطان في الهضبة السورية ، اخذت عائلات المستوطنين (٧٥ عائلة) تطالب هي الاخرى بالعودة الى مستوطنتها في ابو رودس . الا ان سلطات الاحتلال حالت دون ذلك ، لاسباب لم تفصح عنها، وربما تعود الى عوامل سياسية ناجمة عـن روح اتفاقية فصل القوات . وبذا تصبح مستوطنة ابو رودس ثاني مستوطنة يتخلى عنها الاسرائيليون في سيناء ، الاولى كانت قد هجرت قبل حرب اوكتوبر لاسباب اقتصادية كما ذكرت المصادر الاسرائيلية ، والثانية مستوطنة ابو رودس بفضل نتائج حرب اوكتوبر. وبالرغم من ذلك ، ومن المعطيات الجديدة الناجمة عن الحرب الاخيرة ، فقد ظهرت معطاة جديدة في صحراء سيناء اثارت نهم التوسع والضم لدى الاسرائيليين ، فقد تم اكتشاف بحيرة ضخمة تحت الارض بالقرب من جبل لبني في وسط سيناء يبلغ عمرها حوالي عشرين الف عام ، وتحتوي على ٢٠٦٠٠٠٠ مليون متر مكعب من الماء الذي يحتوي على نسبة منخفضة من الملح . وقد ذكر الجيولوجي الاسرائيلي مئير بات الذي قاد طاقما من الجيولوجيين الاسرائيليين في البحث عن البحيرة، ان هذه البحيرة يمكن ان تغطي احتياجات اسرائيل لمدة مئة عام تقريبا . واضاف انه بفضل اكتشاف هذه البحيرة يمكن توطين مـا يقرب من مليونـي مستوطن في سيناء الخالية . وقد علقت بعـض المصادر الاسرائيلية على هذا الاكتشاف بقولهـا بأنه « قد يلعب دورا حاسما في المفاوضات المقبلة الخاصة بمصير صحراء سيناء » .

ازاء الحملتين الاستيطانيتين الفاشلتين أخذت الدعوة للتمسك بالمناطق المحتلة عامة وهضبـة الجولان خاصة تزداد في الاونة الاخيرة بين صفوف المستوطنين ، ففي التاسع من يناير الماضي عقد اجتماع عام لاعضاء كيبوتس ماروم هجولان لبحث مصير الهضبة، واتخذ المؤتمرون القرارات التالية: (أ) ضرورة اعتبار خط وقف اطلاق النار في حرب حزيران كخط دائم في الجولان ، واعتبار الجولان جزءا لا يتجزأ من اسرائيل ولا ينبغي ان يستخدم كموضوع مساومة في المفاوضات . (٢) عدم تمكين عودة السوريين الى المناطق التي اجلوا عنهـا في حرب اوكتوبر ما دامت حالة الحرب قائمة مع السوريين . (ج) اعتبار النضال حول مستقبل الاستيطان في الجولان كجزء من النضال حـول استمرار وتعزيز الاستيطان في غور الاردن ومنطقة الخليل وشرم الشيخ وشمال سيناء . (معاريف ٧٤/٢/٣) وانبرى الى جانب مستوطنو الهضبة هيئات استيطانية من بينها مركز الكيبوتس الموحد ، حيث أعلن المركز عن رأيه بان المستوطنات التي اقيمت عقب حرب حزيران تعتبر جزءا لا يتجزأ من دولة اسرائيل وان على المركز ان يعمل من اجل تعزيزها وتوسيع الاستيطان . وذكر سكرتـير الكيبوتس الموحد عند تطرقه لهضبة الجولان « باننا لم نحتل الهضبة لكي نشيد المستوطنات هناك ، بل أشدنا المستوطنات لنبقى فيها الى الابد » ، (معاريف ٧٤/١/٢٧) . وقد جاءت هذه الدعوات وسط مطالبة متصاعدة من قبل الصحفيـين الاسرائيليين الذين اخذوا يتخوفون من ان تؤدي التسوية الى حسر ظل الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة ، مثل الصحفي موشيه شمير الذي دعا مستوطني الهضبة للاستمرار في تمسكهـم بالهضبة بقوله : « نصيحتي ومناشدتي لمستوطني الهضبة في هذه اللحظة هي : لا تكتفوا في المداولات والقرارات ضمن اطار ضيق . ارفعوا أصواتكم الى الشعب كله !.. جندوا الرأي العام بأكبر قدر ممكن للدفاع عن الجولان . ادفعوا حركات الشبيبة لتنظيم معسكرات عمل واقامة ألويـة استيطانية . اجمعوا تواقيع عشرات الالاف ومئات الالاف من المواطنين على عريضة ذات مفهوم واحد وحيد : عدم الانسحاب من الجولان ... حينئذ تكون مقولتكم صلبة واضحة : ان اية قوة في العالم لن تخلعنا من هضبة الجولان » (معاريف ٧٤/١/٢٣) . لم تقتصر الدعوة للتمسك بالجولان على الهيئات الاستيطانية وفئة التوسعيين مـن الصحفيين بل شملت ايضا المسؤولين الاسرائيليين والرأي العام الاسرائيلي منذ صرحت رئيسـة

الحكومة غولدا مئير مؤخرا « بان الجولان يعتبر جزءا من دولة اسرائيل » وتحدث بعض الوزراء بنفس الروح . اما الرأي العام الاسرائيلي فقد خص هضبة الجولان في استفتاء اجراه معهد بوري مؤخرا بأكبر قسط من النهم التوسعي . فقد أظهرت نتيجة الاستفتاء ان اكثر من ٨٠٪ من الذين شملهم الاستفتاء يعتقدون بان « التمسك بهضبة الجولان « ضروري لامن اسرائيل » وان ١٣٫١ ٪ فقط يعتقدون بامكانية التنازل عن جزء من هضبة الجولان ، وبالنسبة لسيناء أظهر الاستفتاء ان ٢٨٫٢ ٪ يعتقدون بأن التمسك بسيناء أمر ضروري لامن اسرائيل وان ٥٥٫٩ ٪ يعتقدون بامكانية التنازل عن جزء من سيناء وان ٩٫٢ ٪ فقط يعتقدون بان بامكان اسرائيل التنازل عن جميع سيناء . وبالنسبة لقطاع غزة يعتقد ٦٢٫٢ ٪ بان التمسك بالقطاع أمر ضروري لامن اسرائيل و١٢٫٤ ٪ يعتقدون بامكانية التنازل عن جزء من القطاع وان ١٤٫٦ ٪ يعتقدون بان التمسك بالقطاع غير ضروري لامن اسرائيل . وفيما يتعلق بالضفة الغربية يعتقد ٤٣٫٢ ٪ بانها ضرورية لامن اسرائيل و ٣٧ ٪ يعتقدون بامكانية التنازل عن جزء منها بينما يعتقد ١٠٫٨ ٪ ان بامكان اسرائيل التنازل كليا عن الضفة (هآرتس ٧٤/١/٢٤) .

كان من نتيجة هذه الدعوات ولطبيعة مجتمع المستوطنين والمهاجرين ، بالاضافة الى محاولة الضغط على الموقف السوري الوطني تجاه التسوية المرتقبة في محاولة لكسر حدته ، ان اعلنت سلطات الاحتلال عن بدء العمل والتخطيط لاقامة مدينة في هضبة الجولان ، ثم تحديد موقعها بواسطة الجيش الاسرائيلي ووزارة الاسكان على الشارع بين جسر بنات يعقوب ومرتفعات الجولان على بعد ١٨ كم من خط وقف اطلاق النار مع سوريا . وقد شرع في أعمال تمهيد الارض ، وينتظر ان تشاد الابنية حسب المصادر الاسرائيلية في الخريف المقبل ، وستتسع في المرحلة الاولى لاستيعاب ما بين ٥٠٠٠ — ٨٠٠٠ مستوطن . اما في المرحلة الثانية بعد حوالي ٢٠ عاما ستتسع لعشرين الف مستوطن .

مقاطعة الانتخابات في القدس العربية : بعد ضم اسرائيل لمدينة القدس العربية أخذت سلطات الاحتلال تفرض على المواطنين العرب هناك الاشتراك في الانتخابات البلدية . ففي عام ١٩٦٩ فرضت على السكان هناك الاشتراك في الانتخابات البلدية ، ولم تكن النتيجة مشجعة للمخطط الاسرائيلي ، اذ بلغت نسبة الممتنعين عن التصويت ٨٢ ٪ ، ومع ذلك فقد أملت سلطات الاحتلال ان تزيد نسبة المقترعين مع مرور الزمن ، بيد ان عامل الزمن قد فعل عكس ما تريد ، ففي الانتخابات الاخيرة ، وبالرغم من الحملات المحمومة المشفوعة بالتهديد والوعيد من ناحية ، والوعود الوردية والمبالغ المالية من ناحية اخرى ، وبث اعلانات انتخابية في جريدة « القدس » وتوزيعها مجانا ، بالاتفاق مع رئيس تحريرها، كانت نتيجة الانتخابات ان تصاعدت نسبة الممتنعين عن الادلاء بأصواتهم ، ووصلت الى ٩٠ ٪ الامر الذي دفع الكثير من المعلقين الاسرائيليين الى الاعتراف بفشل المخطط الاسرائيلي الرامي الى اشراك المواطنين العرب في حياة الدولة « والخذلان » الذي أصيب به مبرمجو المخطط وعلى رأسهم رئيس البلدية «تيدي كوليك » ، مما اضطر الاخير الى الدفاع عن نفسه اذ اعتبر النتيجة بمثابة انتصار كبير . « ان كون ٤٥٠٠ عربي قد ادلوا بأصواتهم على ضوء الواقع الحالي ، يعني انالوضع حسن للغاية »، الا ان صحيفة معاريف اعتبرت النتيجة بمثابة مؤشر لتوجه سلبي وامتناع بارز ورغبة في ابداء عدم الرضى من الاندماج في القدس الموحدة . كما ووصف يهودا ليطاني في صحيفة هآرتس (٧٤/١/٨) القلة التي توجهت الى صناديق الاقتراع بقوله : « انهم متوترون وعصبيون ، وكأنهم يقفون في الدور لمقابلة طبيب أسنان » ، ويبدو ان مرد هذا التوتر والعصبية يعود الى اصابع الاتهام التي اعترف بوجودها الكاتب الاسرائيلي، والمتمثلة في الشعارات الوطنية المكتوبة على الجدران القريبة من صناديق الاقتراع والتي تقول : « كل من يدلي بصوته خائن للعرب » و « ممثلنا الوحيد ، منظمة التحرير الفلسطينية » .

زعيمان تقليديان من القطاع يتحدثان حول التسوية:

تحدثنا في العدد السابق عن وجهات نظر بعض الوجهاء التقليديين في الضفة الغربية حول مصير المناطق المحتلة في التسوية المقبلة ، ولم يتيسر لنا الحديث حول وجهة نظر الزعماء التقليديين في القطاع لانهم فضلوا في تلك الفترة التريث والترقب.

وقد كسر مؤخرا زعيمان حبل الصمت وادليا بوجهة نظرهما ، الاول رشاد الشوا رئيس بلدية غزة سابقا ، والاخر امام غزة هاشم خزندار ، تحدث الاول بشكل حذر حول قضية الشعب الفلسطيني بعد حرب تشرين (اوكتوبر) ، في مقالة نشرها في جريدة القدس (٧٤/١/١١) تحت عنوان « الشعب الفلسطيني أمام منعطف تاريخي » ، جاء فيه ان صاحب المقال يؤكد « من جديد حتمية حق الشعب الفلسطيني في الوجود والعيش على ارض ابائه واجداده ، وحقه الطبيعي في تقرير مصيره ، وفي ان يمثل نفسه بنفسه في أية مباحثات او مفاوضات تستهدف الوصول الى حل عادل لقضيته شريطة ان ينسجم ذلك مع مصالح واماني امتنا العربية » . واضاف : ان شعبنا العربي الفلسطيني ... يتطلع اليوم الى الساعة التي تطوى فيها صفحة الاحتلال الاسرائيلي ، والعودة الى حظيرة الامة العربية المجيدة ليعيش بسلام واطمئنان فوق تراب وطنه ووطن اجداده ، متمتعا بسيادته على نفسه مطمئنا لمستقبله ومستقبل ابنائه » .

وفيما يتعلق بالحلول النهائية يعتقد الشوا ان عدم الدخول فيها افضل في هذه المرحلة على صفحات الجرائد ودعا الى « ان يترك اتخاذ أي قرار او موقف تجاهها لممثلي الشعب الفلسطيني المقيم منهم داخل الارض المحتلة ، او في الدول العربية » .

أما الشخص الثاني هاشم خزندار فقد أجرى حديثا بدون تحفظ مع الصحفي الاسرائيلي دان تسدكوني (دافار ٧٤/١/٢٤) وابدى فيه استياءه من التحذير الذي أصدرته سلطات الاحتلال والذي وجه الى اشخاص عديدين من الضفة والقطاع من بينهم الشيخ خزندار، من حضور المؤتمر الفلسطيني المزمع عقده في القاهرة ، واعتبار القيام بذلك بمثابة « الاتصال مع العدو » . أما فيما يتعلق بمصير المناطق المحتلة فقد نسب اليه الصحفي الاسرائيلي قوله : « ان مصر تمثل نفسها فقط ، وان سوريا تمثل نفسها فقط ، والاردن يمثل نفسه فقط ... وان اسرائيل التي تريد السلام وتسعى اليه ، لا يمكن لها ان تعثر على السلام اذا لم تصنع السلام مع الفلسطينيين»، وذكر انه سيطالب المؤتمر الفلسطيني « اتخاذ قرار لاقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع تعترف باسرائيل وتقيم معها علاقات سلام وصداقة » .

اشتداد ساعد النضال

أخذت المناطق المحتلة تشهد بعد حرب اوكتوبر حالة جديدة من النضال بين الثورة والكبت ، تحدثنا في الاعداد السابقة عن بعض جوانبها وسنكتفي هنا بالاشارة الى ظاهرة نضال جديدة أخذ الفدائيون يستخدمونها الى جانب النضالات الاولى في منطقة نابلس ، تتمثل في السيطرة على مآذن المدن والقرى خلال الليل وتوجيه نداءات الى الجماهير هناك من خلال ميكروفونات المساجد ، دون ان تتمكن سلطات الاحتلال من القبض عليهم مما دفع احدى العاملات في الصحافة في مدينة نابلس الى القول امام صحفي اميركي « هنا في نابلس يقوم عالمان مختلفان في جوهرهما يحل الواحد محل الاخر كل ١٢ ساعة تقريبا ، في النهار يسيطر هنا الجيش الاسرائيلي ، بينما في الليل تخضع المدينة للسيطرة التامة للمسلحين » . وقد أبدت الصحف الاسرائيلية استغرابها من واقع كون الفدائيين يستطيعون التسلل الى المآذن « وبدل صوت المؤذن المسلم ، تعلو من خلال الميكروفونات أصوات المخربين . ليست هذه آيات قرآنية بل شعارات منظمة التحرير الفلسطينية » ووصفت صحيفة معاريف ٧٤/١/٢١ احدى هذه الحوادث بقولها : في الساعة العاشرة مساء في العاشر من يناير ، صدحت فجأة أصوات مكبرات الصوت في مساجد بلاطه جنوبي نابلس وفي القرى المجاورة ، عسكر ، سالم بيت رجيب وبيت فوريك ومن بين الشعارات التي مزقت هدوء الليل : « عاشت منظمة التحرير الفلسطينية الممثلة الوحيدة لشعبنا الموت للخونة ! الخزي والعار للاحتلال الصهيوني، قاطعوا المحتل » ... وذكرت ان قوات الاحتلال لم تستطع القبض على الفدائيين الذين اختفوا بين الازقة تحت ستار الظلام .

عبد الحفيظ محارب

ملحق

توجهات صحف الضفة الغربية وحادث اختفاء صاحب جريدة الفجر

تعددت المواضيع التي تناولتها صحف الضفة الغربية وتفرع اهتمامها الى عدد من المسائل التي تخص الاوضاع الداخلية لسكان المناطق المحتلة والاوضاع السياسية بشكل عام وما اتصل منها بالتسوية والموقف الفلسطيني . ومن أبرز المسائل المحلية التي تناولتها الصحف ، موجة الغلاء الفاحش الذي غمر اسرائيل بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) وامتدت الى المناطق المحتلة نتيجة عدم وجود حواجز بين الاقتصاد الاسرائيلي واقتصاديات المناطق المحتلة . فوصفت صحيفة الشعب ارتفاع الاسعار بالضفة الغربية بموجة « جنونية من فوضى الاسعار » . وتربط الصحيفة بين هذه الموجة واقتراب التسوية السياسية بقولها: « ومع اطلالات شائعات ، او امكانات اعادة بعض الضفة وربما بعض القطاع الى العرب كان لا بد من اللجوء من جديد الى تلك اللعنة او القاعدة ، من وضع الضفة الغربية وقطاع غزة في ظروف معيشية وارتباكات سياسية ومناورات ادارية ، من شأنها اعادة (بعض الوديعة) خالصة الاجرة مستوفاة الرسم. وكما تقول أمثالنا الشعبية : « مثل التينة المستوية». أما القاعدة التي تتحدث عنها الصحيفة فهي «وضع الفلسطينيين في ظروف وأوضاع سياسية وادارية واقتصادية من شأنها تصفية ذلك الشعب وقضيته » (الشعب ١٩٧٤/١/١٥).

وعادت القدس الى مناقشة مسألة الغلاء في افتتاحية لها صدرت يوم ١٩٧٤/١/٢٢ ، تحت عنوان « وحش الغلاء » تقول فيها : « ان الغلاء الذي تعاني منه جماهيرنا العربية لا يمكن تفسيره استنادا الى ارتفاع تكاليف الانتاج ... وانما تعود الاسباب الرئيسية والحقيقية لذلك كله الى الارتفاع الكبير في الضرائب الحكومية وتنوعها » . وتضيف الصحيفة الى ذلك مسألة اخرى هامة حيث تقول : « ومن جهة اخرى فان سكان المناطق العربية المحتلة ، وجدوا انفسهم امام مساهمة غير مباشرة في المجهود الحربي والعسكري الاسرائيلي ، أما اهالي القدس العربية فانهم ملزمون بالمساهمة المباشرة وغير المباشرة في هذا المجهود » (القدس ١/٢٢) . وعادت « القدس » في اليوم التالي لمناقشة موضوع الغلاء بقولها : ان هذا الغلاء « هو النتيجة الطبيعية للحروب التي تخوضها اسرائيل ، وانه قدرنا نحن العرب في المناطق المحتلة ان نساهم في نفقات هذه الحروب وان نعاني من الاحتلال . ظاهرة جديدة لم نتوقعها ولن نستطيع الصبر عليها وهي المساهمة في المجهود الحربي الاسرائيلي » (القدس ١/٢٣) .

وتناولت صحيفة الشعب مسألة الغلاء مرة اخرى في افتتاحيتها الصادرة يوم ١/٣٠ تحت عنوان « اللعبة الجديدة والضغط بالغلاء » قائلة ان الحكومة الاسرائيلية حرب على « شعبها وعلى آخرين محتلين رغم انفهم ويطلب الى ذلك الشعب المغلوب على امره وأولئك الذين وضعهم القدر اسرى لديها أن يدفعوا جميعا ثمن الاحتلال ، والتبذير والامعان في المكابرة نحو المزيد من شظف العيش » .

وخصصت الشعب احدى افتاحياتها للحديث عن مصير المعتقلين السياسيين في السجون الاسرائيلية في هذه المرحلة التي توصف بأنها على اعتاب السلام . وتقول الصحيفة ان مصير السجناء الفلسطينيين يمكن طرحه على اعتبار انه بمثابة اختبار للنوايا الاسرائيلية ازاء مسألة السلام . وتطالب اسرائيل بالاقدام فورا على الافراج عن السجناء واعادة المبعدين عن ديارهم كدليل على « حسن » نواياها (الشعب ١٩٧٤/١/٢٩) .

وباستثناء موضوع الغلاء وموضوع المعتقلين السياسيين في السجون الاسرائيلية ، فقد كرست صحف الضفة الغربية معظم افتتاحياتها للحديث عن مسائل سياسية متعددة .

فحول الدور الاميركي في التسوية السياسية قالت صحيفة الشعب في افتتاحيتها يوم ١/٢٢ ، ان الذين يثقون في حكومة الولايات المتحدة او في قدرتها على الضغط على اسرائيل هم مخطئون « لهذا كانت قناعاتنا الرافضة لكل اشكال هذا الزيف المسمى بالنوايا الاميركية ، ومع اننا كنا نأمل ونطمع في ان نكون مخطئين لكن شعبنا الذي لن يقبل بعد اليوم احلاما او تمنيات ، اصبحت عقيدة عدم الثقة في اميركا (عبارة) تعقب كل صلاة (وترنيمة) يورثها

الاباء للابناء . هذا هو فهمنا للاشياء اما الاخرون فهم احرار في ان يتوهموا ما يشاءون مع فارق واحد بين الفهم السليم والفهم السقيم » (الشعب ١/٢٢) .

وتحت عنوان « الحرباء الاميركية والمؤامرة الجديدة » قالت الشعب في افتتاحية اخرى ، ان اميركا عبر نصف قرن من الزمان « كانت من اخمص اقدامها الى رأسها تغوص في وحل القضية عداء سافرا لكل العرب بشكل عام وللشعب الفلسطيني بشكل خاص . فهل يقنعنا الان قول من مسؤول صهيوني معروف يمثل رئاسة فاشلة ضعيفة في اميركا ، انها قد غيرت من موقفها ٩٠٠٠ والحرباء التي تغير من اشكال وألوان جلدها تظل قبل ذلك وبعده هي الحرباء » (الشعب ١/٢٥) .

وفي افتتاحية اخرى تحت عنوان « العداء الاميركي ومرحلة المواجهة » قالت صحيفة الشعب مشيرة الى تهديد كيسنجر للعرب ووصف المقاطعة النفطية بأنها ابتزاز « ولا غرابة في ان يسود منطق ال كابوني وشيكاغو وتطغى لغة رعاة البقر على ما عداها في المفهوم الاميركي الذي يخيل اليه انه هو الحق والعدل والعالم كله . لكننا نود بكل هدوء ان نسأل : من هو الذي يبتز الاخرين ؟ أهم العرب اصحاب النفط ، أم الشركات الاميركية التي ظلت ترتع في خيرات العرب وثرواتهم منذ الثلاثينات وحتى اليوم » . وتختتم الصحيفة تعليقها بالقول ان اميركا لم تستفد من دروس حرب فيتنام ، لذلك قد « تجرب حظها على رمال الصحراء العربية اللاهبة » (الشعب ١٩٧٤/٢/٨) .

الى جانب ذلك تناولت الصحف العربية الصادرة في الضفة الغربية مسألة فك ارتباط القوات على جبهة قناة السويس . فقالت « القدس » في افتتاحية لها تحت عنوان « الاختبار الناجح والعقبة القادمة » ان المرحلة الاولى من عملية فصل القوات قد اوجدت أساسا قويا جديدا « يدعم الوضع الهادىء المسيطر على تلك الجبهة التي عانت من قتال مرير استمر حتى بعد وقف اطلاق النار في ٢٢ تشرين الاول الماضي » . وتضيف ان ذلك « كان اختبارا ناجحا لنوايا الفريقين يعبر عن رغبتهما في التخلص من احتمالات تجدد الحرب المرهقة للجانبين » . وتأمل « القدس » من زيارة كيسنجر وزير الخارجية الاميركي التي كانت مقررة الى دمشق ان تسفر عن نفس النتائج وذلك لاستئناف اعمال مؤتمر جنيف (القدس ١٩٧٤/١/٢٩) .

وكانت « القدس » قد تناولت هذا الموضوع في افتتاحيتين سابقتين لها يومي ١٧ ، ١٩٧٤/١/١٩ . فتحت عنوان « حتى لا يتجزأ السلام » قالت « القدس » ان مصر لن تنفرد بحل على جبهة قناة السويس . وبذلك فهي لا ترى « مبررا » لمخاوف السوريين من هذه العملية . وتقول : « لقد كان واضحا منذ البداية ان لا مكان للسلام المجزأ في المنطقة وان الحل العادل لا بد ان يشمل جميع الاطراف المتنازعة ، وانه لا بد من ان تلتزم القاهرة ودمشق وعمان بسياسة موحدة ، وان تتضامن فيما بينها وان يستمر هذا التعاون ضمن اطار العمل المشترك الواحد » (القدس ١/١٧) . وفي افتتاحية اخرى قالت « القدس » ان اتفاق فصل القوات « يعتبر نصرا لمحبي السلام وحائلا دون العودة الى اثارة الحروب التي شهدتها المنطقة اربع مرات خلال ٢٥ عاما » . وتدلل على توقعها ذلك بأن الولايات المتحدة « اخذت هذه المرة تتقدم بنشاط كبير من اجل الاخذ بالزمام » (القدس ١/١٩) .

اما التحرك الاردني باتجاه التسوية السياسية فقد افردت له عدد من صحف الضفة الغربية الكثير من تعليقاتها وعناوين صفحاتها الاولى ، شارحة هذا التحرك ومراميه المباشرة . فتحت عنوان « فصل آخر اسمه التنازلات » قالت صحيفة الشعب انه من « المستغرب جدا وغير مهضوم ابدا ان يتطوع الحكم في الاردن من جانبه فيعلن اكثر من مرة بأنه على استعداد لاجراء (تعديلات طفيفة) على الحدود » . وتقول الصحيفة انه ليس من حق الاردن التنازل عن اي شبر من الارض الفلسطينية . وتضيف : « اننا نرفض من الامة العربية من خليجها الى المحيط ملوكا ورؤساء حكومات ان يتحدثوا باسم الشعب الفلسطيني فاننا وبالتالي وبالقطع والجزم نرفض مجرد المساس بشبر من ارضنا لان اي شبر في فلسطيننا هو النار المقدسة التي لا يقدر على الاقتراب منها احد في الدنيا ، لا امس ولا اليوم ولا غدا » (الشعب ١/٢١) .

اما صحيفة « الفجر » فقد تحدثت عن تحركات الملك حسين بين رومانيا ولندن وواشنطن بقولها ان الملك « اصبح على يقين بأن دوره السياسي ومركزه

القيادي وطاقات مملكته العسكرية ، صارت بحكم مسلكية الملك المنحرفة محل شك الكثيرين بمن فيهم حلفاؤه في واشنطن وتل ابيب . من هنا نستطيع فهم حرص الملك على ركوب طائرته وتنقله من مطار الى مطار في حركات بلهوانية لاعطاء انطباع لدى بعض الناس البسطاء بأن حسين علـى وشك ان ينهي القضية وبأنه يعد العدة للعودة الى المناطق المحتلة « كبطل » من ابطال التحرير » . وتضيف الفجر الى ذلك قولها : « ان دور الملك حسين ما كان في يوم من الايـام سـوى دورا تخريبيا على الساحتين العربية والدولية ، يكون مركز الملك في هذا الدور الاداة التي تحركها الايدي الخفية . ومع ان الملك حسين مكشوف حتى التعري ، الا انه يصر على الاشتراك في اي دور يؤدي الـى ضرب الامال العربية والاماني القومية » . وتختم الفجر تعليقها قائلة : « ليمثل الملك حسين مـا شاء التمثيل ، وليحلق وليهبط اينما شاء وحيثما يريد ، لكن الحقيقة التاريخية لا بد وان تعبر عن نفسها على ارض الضفة الشرقية الحبيبـة ، حين ينفذ شعبنا هناك حكمه بالنظام الهاشمي الخائن وكل زمرته المرتزقة » (الفجر ١٩٧٤/٢/٢) .

اختفاء صاحب جريدة الفجر

في نيسان (ابريل) ١٩٧٢ ، صدر العدد الاول من جريدة الفجر اليومية السياسية . وتوالى بعد ذلك صدور الجريدة مرتين كل اسبوع . وفي عددها الصادر يوم ١٩٧٤/٢/٢ ، صدر اعلان في الجريدة ذاتها يقول بأن « الفجر » ستصدر يومية عمـا قريب .

وقبل أن تصدر هذه الجريدة الملتزمة بالهمـوم الوطنية الفلسطينية التزاما كبيرا ، بشكل يومي ، اختفى صاحبها ورئيس تحريرها المسؤول السيد يوسف نصري نصر ، وذلك بعد منتصف ليلة الثلاثاء — ١٩٧٤/٢/٥ . هذا وقد نشرت جريدة الفجر في عددها الصادر يوم ٢/٩ الرواية التالية عن الحادث وقالت : ان السيارة التي كانت تقل موظفي وعمال الجريدة قد اوصلته الى باب منزله (منتصف ليلة/ نهار ٢/٥) . وفي يوم الاربعاء (٢/٦) كان من المفروض ان يداوم يوسف نصر في مكاتب الجريدة للاشراف على اعمال تركيب الماكينات الجديدة التي وصلت للفجر مؤخرا ، لكنه لم يحضر وظل جرس هاتفه يرن بدون اجابة . وفي يوم الخميس (٢/٧) وبسبب غيابه المفاجىء ولليوم الثـاني ، قامت « الفجر » بالاتصال بالشرطة واستفسرت فيما اذا كان يوسف نصر معتقلا لديها . وقد أجاب الضابط المسؤول انه سيتحرى الامر وسيجيب على السؤال بعد نصف ساعة . ولما مر الوقت قامت « الفجر » بالاتصال ثانية . فكان الجواب هذه المرة ومـن نفس الضابط : انني لم احصل على جواب رسمي وسأقوم بالاتصال بالفجر حالما احصل على معلومات رسمية . وبعد خمس دقائق اتصل ضابط آخر من شرطة المسكوبية وقال انه اعلم بمكالمات «الفجر» الاستفسارية عن يوسف نصري نصر وانه يريد ان يؤكد ان يوسف نصر ليس في سجن القدس ، ونصح بالاستفسار عنه لدى اقاربه ولدى المستشفيات ، كما نصح بالذهاب الى بيت يوسف نصر واستطلاع الامر . وفعلا قام اقاربه وبعض العاملين في الفجر بالذهاب الى منزله حيث فتحوا باب المنزل ودخلوه فلم يجدوا اي شيء داخله غير عادي . وبعد ذلك قامت « الفجر » بالاتصال بمستشفيات القدس وكان الجواب بأن ليس لديهم مريض باسم يوسف نصر .

وقد راودت «الفجر» الشكوك فيأجوبة الشرطة. غير انه بعد تكرار الاتصال بالشرطة وبعدة جهات ، عادت الشرطة واكدت بأن يوسف نصر ليس معتقلا في السجن . وصباح الجمعة (٢/٧) قامت الفجر باقامة دعوى لدى بوليس القدس ضمنتها القلق على مصير يوسف نصر وطلبت من الشرطة البدء فورا بالتحقيق في اسباب اختفائه وضمان سلامته . وفي الساعة الرابعة بعد ظهر امس (٢/٨) حضرت الشرطة الى مكاتب جريدة الفجر ومنهـا توجهت برفقة جميل حمد (ابرز محرري الجريدة) ومبتـا نصار (ابنة خالة يوسف نصر) وتم الكشف على داخل المنزل وبعدها جاء الى المنزل خبير البصمات واخذت نماذج عن البصمات الموجودة على ابواب وجدران ومحتويات المنزل لتعقب التحقيق في الامر.

وفي المساء (٢/٨) عادت الشرطة الى مكاتب الفجر حيث اخذت افادات الموظفين الذين اجمعوا على عدم وجود عداوات شخصية ليوسف نصر من خلال تجربتهم بالعمل معه . كما واكدوا اعتقادهم بأن قضية اختفائه ذات دوافع سياسية .

الى هنا انتهت الرواية التي نشرتها الفجر حول اختفاء صاحبها ومحررهـا المسؤول . فما هـي الملابسات التي أحاطت باختفاء يوسف نصري نصر ؟

ملابسات حادث الاختفاء

منذ ان صدرت « الفجر » في نيسان (ابريل) ١٩٧٢ ، وهي تتخذ لنفسها خطا وطنيا معارضا للاحتلال ومنددا باجراءاته القمعيــة ضد جماهير الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة . الى جانب ذلك كرست الفجــر عددا كبــيرا من تعليقاتهــا وافتتاحياتها لكشف دور المتعاونــين مع الحكومة الاردنية في الضفة والقطاع . وقد غلب على هذه الصحيفة في الفترة الاخيرة طابع العداء العلني الحاد للنظام الاردني ولكــل رموزه وحلفــائه في الضفة الغربية . وبقدر ما ساعدت الظروف المحلية في الضفة الغربية « الفجر » في ايجــاد تجاوب جماهيري للخط المعادي للنظام الاردني ، بقدر ما ساعدت «الفجر» نفسها في ترسيخ وتجذير الشعور بالوطنية الفلسطينية داخل الضفة والقطاع .

اذن ، فان اولى المؤشرات التي يمكن من خلالها التعرف على ملابسات اختفاء صاحب الفجر ، هو كون هذه الصحيفة معادية بشدة للنظام الاردني ولكل أعوانه واصدقائه في الضفة والقطاع .

اما ثاني هذه المؤشرات فيمكن استخلاصه من صلابة الموقف السياسي الذي عارضت به «الفجر» سلطات الاحتلال واجراءاتها التعسفية . واستطرادا من « الفجر » في تثبيت خطها ذلك ، نشرت اثر حادث استشهاد ثلاثة من قادة الثورة في ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٧٣ في بيروت ، اخبارا مفادها ان عملية الاغتيال قد دبرت في العتبة بين المخابرات الاردنية والمخابرات الاسرائيلية . وكان نتيجة نشر « الفجر » لتلك الانباء ، اعتقــال يوسف نصــر بالاضافة الى احد محرريها الرئيسيين وهو جميل حمد . كما اغلقت الصحيفة لمدة اسبوع .

اما المؤشر الثالث الذي قد يفسر بعض ملابسات اختفاء صاحب « الفجر » ، قيام هذه الصحيفة خلال الفترة الاخيرة بما أسمته « اعادة فتح ملف بلدية الخليل » . وفي هذا الصدد نشرت « الفجر » عددا من التعليقات الرئيسية ضمنتها نقدا شديدا لرئيس البلدية الشيخ محمد علي الجعبري . فنشرت احدى افتتاحياتها حول هذا الموضوع تحت عنوان « من يبتلع الخليل » سردت فيها نواحي « الفساد المستشري في البلدية » . ثم عادت ونشرت افتتاحية اخرى تحت عنوان « بلدية الخليــل ليست بلدية الجعبري » قالت فيها ان لديها رسائل ووثائق عن مجريات الامور في بلدية الخليل . وقالت ان تلك الرسائل والوثائق تحتوي « كما تكشف الوثائق الرسمية العديد من المخالفات المالية والاداريــة والتنظيمية التي لا تحصل في بلدية بافريقيا ايــام استعمارها » . وصعدت « الفجر » من حملتها على الجعبري بقولها انها سلمت ميزانية البلدية الى مدقق حسابات قانوني ليقوم بدراستها ونشرها على الملأ وليقول للناس « كلمتهــم في مصير اموالهم وممتلكاتهم » . واضافت الى ذلك قولها ان الاحتلال منح بلدية الخليل « امتيازا خاصا بها وهو عدم وجود مدقق حسابات حكومي في البلدية كمــا هو حاصل في بلديات مدن الضفة الغربية الاخرى » . وطرحت الفجر في ختام افتتاحيتهــا هذه المسألة كمهمة « مستعجلة تقع على عاتق الجميع بما فيهم نحن في الفجر » (الفجر ١٩٧٤/١/٣٠) .

وحتى نستطيع ان ندرك خطــورة المهمة التي انتدبت « الفجر » نفسها للتصدي لها ، نقتطف التالي من خبر نشرته صحيفــة القدس المعروفــة بولائها للنظام الاردني وبعلاقاتها الجيدة مع الجعبري يوم ١٩٧٤/٢/٧ ، تحت عنوان « صاحب الفجر ومحررها يحاولان الاعتذار الى سماحة الجعبري » . فقالت القدس دون ان تشير الى اختفاء صــاحب « الفجر » منذ اكثر من ثماني واربعين ساعة : ان الجعبري استقبل يوم ٢/٦ وفدا ارسله صاحب ومحرر « المجلة الاسبوعية المسماة (الفجر) ليتولى مهمة الوساطة لدى سماحته ، لاتاحة الفرصة لهما « بناء على طلبهما » ليعتذرا لسماحته عن الحملات المشبوهة التي شنتها تلك المجلة على سماحته في عدد الاسبوع الماضي ، وهي حلقة مــن سلسلة الحملات التي درجت هذه المجلة على شنها بين الفينة والاخرى على الكثيرين من ابناء هذا البلد » . واضافت القدس على لسان مراسلها الخاص من مدينة الخليل قائلة : « وبعد ان تعهد الوفد باسم صاحب (الفجر) ومحررها ومن هم وراءهما ، بأن لا تعود المجلة الى نشر التعليقات الصبيانية الطائشة وغير الواعية « والموحى بها » ، وكذلك الا تعــود الى التستر وراء الاسماء المزيفــة والمهاترات ، وما طبعت عليه واشتهرت به من نشر اخبار كاذبة — بعد ان تعهد الوفد بذلك — وافق سماحته على ان يستقبل الوفد ثانية يوم السبت (٢/٩) القادم لمتابعة اجراءات المصالحة ، وبعدها ينظر سماحته في امكانية السماح لصاحب ومحرر

المجلة اللذين ينتظران بالخارج ، بالدخول الى مكتبه لالتماس العذر منه » (القدس ١٩٧٤/٢/٧).

يتضح من ذلك ان اصدقاء او اهل يوسف نصر قد شعروا بأن الجعبري وراء حادث الخطف فقاموا بمحاولتهم تلك للمحافظة على حياة يوسف . الا ان « القدس » ذاتها ، اغفلت في اليوم التالي (٢/٨) نشر نتيجة تلك « المصالحة » او نشر اي خبر يتعلق باختفاء او اختطاف صاحب الفجر .

اما المؤشر الرابع الذي قد يسهم بدوره في كشف بعض ملابسات حادث الخطف ، ما نشرته «الفجر» في عددها يوم ١٩٧٤/٢/٢ ، اي قبل حادث الخطف بأقل من ثلاثة ايام ، وضمنته نقدا شديدا للملك وتعرضا شخصيا له . وقد نشرنا في هذا التقرير مقتطفات واسعة من تلك الافتتاحية المعنونة بـ «الملك جودي » ، نسبة الى اسم احد ابطال المسلسلات التلفزيونية المعروفة .

والمؤشر الخامس هو ان الفجر غدت غداة صدورها مركزا يستقطب اقلام وكتابات العديد من المواطنين المعروفين بوطنيتهم وصلابتهم الفلسطينية داخل الضفة وخارجها . ذلك ما يؤرق النظام الاردني وأصدقاءه اكثر مما يشغل بال سلطات الاحتلال ، بالنظر لتوجه الصحيفة الكلي ضد نظام الملك وحلفائه في الضفة الغربية . وقد يكون اعلان الصحيفة عن نفسها بقرب صدورها يوميا ، ما اعتبر تكثيفا وتركيزا لحملة اشد ضد النظام وأعوانه ، ارتأوا معالجتها قبيل استفحالها . او « التأديب » وزجر الصحفيين المعادين للنظام .

على ان ما يجب ان نختتم به ملاحظاتنا حول حادث خطف صاحب « الفجر » هو ان ذلك الحادث يعتبر ذا دلالة خطيرة وسابقة لم تحدث من قبل في الضفة الغربية منذ وقوع الاحتلال . وقد تكون هذه الحادثة بمثابة اعلان عن النفس من قبل القوى المؤيدة للنظام الاردني وبرهان على امكانياتها وقدرتها على العمل ضد كل الوطنيين والمعادين للنظام واعوانه في الضفة الغربية .

اما ثاني هذه الملاحظات فهي ان الحادث هو خطف سياسي كما تشير كافة الوقائع . وهذا ما اكدته افتتاحية « الفجر » الصادرة يوم ٢/٩/ ١٩٧٤ . وهذا ايضا ما قالته شقيقة يوسف نصر في حديث لها مع راديو اسرائيل يوم ١٩٧٤/٢/١٤ ، اثر عودتها من الولايات المتحدة للوقوف على تطورات الحادث . كما ان التحرك السياسي لوجهاء الضفة الغربية وخاصة تحرك رئيسي بلديتي بيت لحم وبيت ساحور والاستنكار الواسع الذي لقيه حادث الخطف في صفوف سكان الضفة والقطاع ، يشير الى ان الحادث يعتبر جزءا من خط « الفجر » السياسي . فيوسف نصري ناصر الذي ولد في مدينة دمشق لابوين فلسطينيين عام ١٩٣٩ ، والذي عاش وترعرع في مدينة القدس العربية ، وانهى دراسته الثانوية فيها وتخرج من جامعة « ألينوي » بالولايات المتحدة عام ١٩٦٦ حاصلا على الماجستير في العلوم السياسية، والذي اعتقلته سلطات الاحتلال بعد عام ١٩٦٧ بتهمة التحريض ضد الاحتلال وفصلته من عمله كمدرس في مدرسة الرشيدية ، والذي اعتقل في نيسان (ابريل) ١٩٧٣ وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ اي خلال الحرب بتهمة التعاون مع منظمات المقاومة ، ليس الا ضحية لصلابة موقفه الوطني وخطه الملتزم وحملته الشديدة والمتواصلة على اعداء وطنه والمتآمرين على حق شعبه في الحرية والخلاص الوطني التام .

عيسى الشعيبي

(٤) اسرائيليات

[١]

شهر كانون الثاني (يناير) الماضي ، كان الشهر الذي بدأت فيه قوات الاحتلال الاسرائيلي الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، في ظل اتفاقية الفصل بين القوات المصرية وقوات العدو . وهو في ذلك شبيه بشهر آذار (مارس) ١٩٥٧ الذي انسحبت فيه قوات الاحتلال الاسرائيلي من سيناء ، اثر احتلالها في العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦.

ولقد كان الانسحاب الاول (١٩٥٧) ، وما رافقه من وضع قوات طوارىء دولية على الجانب المصري من خط هدنة سنة ١٩٤٩ — وداخل قطاع غزة لمدة اسبوع واحد فقط — ثم تطور الامور الى حد نشوب القتال في حزيران ١٩٦٧ ، ذريعة تبرر بها غولدا مئير رئيسة حكومـة العدو ، رفضها المطلق للانسحاب من اي شبر من الاراضي المحتلة ما لم يكن ذلك ضمن اتفاقية سلام يتم التوصل اليها في مفاوضات مباشرة بين اسرائيل والدول العربية المعنية .

وعلى جميع محاولات اقناع مئير بالاكتفـاء بضمانات دولية وقوات طوارىء دولية مقابـل الانسحاب ، كانت ترد بأنها الاكثر خبرة بالقيمة الحقيقية للضمانات الدولية ولقوات الطوارىء ، وانها ترفضها لانها خبرتها وعرفتها عن كثب ، حيث انها كانت وزيرة خارجية اسرائيل سـنة ١٩٥٧ ، ورافقت التطورات التي سبقت حرب ١٩٦٧ ، ورأت ان الضمانات التي حصلت عليها قبل الانسحاب لم تلتزم بها الجهات المعنية ، وانه في ساعة الجد والحسم لم يكلف ابعاد قـوات الطوارىء الدولية مصر أكثر من اصدار أمر لها بذلـك .

ولعل في ما عرف عن تعنت مئير هذا ، ما يفسر غيابها — بادعاء المرض — عن المباحثات مـع وزير خارجية الولايات المتحدة الدكتور هـنري كيسنجر ، لعلمها المسبق بأنها ستضطر في تلك المباحثات الى التراجع عن كل ما اتخذته وأعلنته مرارا من مواقف ، فآثرت عدم المشاركة العلنية في المباحثات التي أبرزت ثلاثيا جديدا في اسرائيل هو ثلاثي الون — دايان — ليبن ، الذي احتـل مكان الثلاثي السابق مئير — دايان — غاليلي .

لكنها — وبدون ان تظهر — شاركت في صياغة وتغيير عدد من البنود اثناء تردد كيسنجر عـلى اسرائيل في رحلاته المتكررة بين أسوان والقدس. (هآرتس ١٩٧٤/١/٢٠) .

ومثل كل اتفاقية هامة اخرى ، تشكل علامة على الطريق واشارة نحو مستقبل تطور الصراع العربي الاسرائيلي ، قوبلت اتفاقية الفصل بين القوات — التي وقعها كل من الجمصي رئيس اركان الجيش المصري والعازار رئيس اركان جيـش الاحتلال يوم ١٩٧٤/١/١٨ — داخل اسرائيـل بمشاعر مختلفة توزعت بين التأييد والارتياح من جهة ، والرفض من جهة اخرى ، وبينهما القبول المتحفظ بها .

لكن ، وقبل الاسترسال في تسجيل ردود فعل الاسرائيليين على الاتفاقية ، يجدر ان نضعها في موقعها الصحيح ، فهي — عمليا — تنفيذ للنقطة الثانية من اتفاقية النقاط الست بخصوص وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل والتي تم توقيعها عند الكيلومتر ١٠١ على طريق القاهرة — السويس يوم ١٩٧٣/١١/١١ .

أول المؤيدين للاتفاقية كانوا — دون شك — الذين توصلوا اليها وهم عمليا وزراء حزب العمل، ثم أعضاء ذلك الحزب في البرلمان وبعض الصحف والصحافيين ، التي أبرزها صحيفة « دافار » شبه الرسمية ، والناطقة بلسان الهستـدروت ، والصحافيون المعروفون بخطهم « الحمائمي » .

وفي مجال الاعراب عن التأييد للاتفاقية ومباركتها كتب حغاي ايشر « ان احد الاشياء الرئيسية التي يجدر ان نذكرها هو ان الاتفاق على فصل القوات يقوم أساسا على اقتراح اسرائيلي معروف باسم « مشروع دايان » الذي أعلن مؤخرا انه سـعى طوال ست سنوات للتوصل الى تسوية جزئيـة تتضمن ترك قناة السويس من جانب اسرائيل » (دافار ١٩٧٤/١/١٨) .

أما غولدا مئير ، فقد أعلنت في الكنيست يوم ١٩٧٤/١/٢٢ انه « بقرارنا الخاص بالموافقة على فصل القوات ، بموجب بنود الاتفاق الذي وقعناه، لم نتجاهل مجموعة من الاعتبارات المتعلقة بالصعيد

الدولي ، وعلاقات اسرائيل بدول اخرى ، واخذنا في الاعتبار ظروفنا اقليمية وعالمية وخصوصا علاقاتنا بالولايات المتحدة الاميركية ... وان البديل لهذا الاتفاق كان تجدد الحرب » وذكرت مئير ان اعلان مصر عن عزمها اعادة فتح القناة للملاحة واعادة تعمير مدن القناة هو بمثابة دليل على اتجاه مصر نحو السلام .

وفي دفاعها عن الاتفاقية قالت مئير في الكنيست ايضا : « ان وضعنا العسكري الاستراتيجي في الخط الجديد على الجبهة المصرية ، سيكون قويا ، فالخطوط التي يتمركز فيها جيش الدفاع الاسرائيلي بحسب الاتفاق تلائم هدفه العسكري في حال تجدد القتال » .

وانسجاما مع ما ذكر عن رفضها الضمانات الدولية وقوات طوارىء دولية ، اعلنت مئير « اننا لا نربط سلامتنا بقوات الامم المتحدة بل بقواتنا الذاتية ، ولكن هناك في الظروف الحالية ، قبل السلام أهمية لوضع قوات تابعة للامم المتحدة. ويشترط ، من اجل المحافظة على الحاجز المتفق عليه بين القوات ، عدم اخراج قوات الامم المتحدة بقرار من طرف واحد ، ذلك ان اي طلب مصري باجلاء قوات الامم المتحدة دون موافقة اسرائيل ، سيدل على مخططات خطرة ، ويتيح لاسرائيل ردا ملائما بموجب ما تتطلبه الظروف .

وأعربت مئير عن قناعتها بأن الاتفاقية هي ليست ما تتمناه اسرائيل تماما ، و « انها تعكس انتصارنا في الحرب كما تعكس ما حققه المصريون في الايام الاولى من الحرب » . (صحف يوم ٧٤/١/٢٣ ، وكذلك نشرة رصد اذاعة اسرائيل في التاريخ ذاته) . ولقد كان قول مئير هذا سببا لنقد شديد وجهه اليها شبتاي طيفت في مقال تحت عنوان « ما عمل وما يجب ان يعمل » (هآرتس ١/٢٥/ ١٩٧٤) .

وعندما تكرر ترديد الوزراء الاسرائيليين عن « الاتجاهات المصرية نحو السلام » دون ان يتولى المصريون اعلان ذلك ، أعربت العديد من الصحف الاسرائيلية عن استغرابها لهذه المفارقة التي حظيت بافتتاحيات بعض الصحف (هآرتس ١/٢٠/ ٧٤ ، معاريف ٧٤/١/٢٤) ، كما استغرب ذلك عدد من اعضاء احزاب المعارضة اليمينية .

وتعليقا على الاتفاقية أعلن عضو الكنيست غاد يعقوبي — رئيس كتلة الشباب داخل حزب العمل — « ان امتحان الاتفاقية هو في تنفيذها أكثر منه في صياغتها . واذا اتضح ان المصريين لا يخلون بها فان ذلك سيكون تغييرا هاما في العلاقات بين الدولتين ، اذا ما قورن ذلك بعلاقاتنا مع مصر حتى الان . وان في الاتفاقية أسسا صريحة وغير صريحة تكبح احتمالات الحرب وتمكن من احراز تقدم سياسي . ان علينا التشديد على ان يكون تنفيذ الاتفاقيات المقبلة مع مصر بعد ان يتم فتح القناة وترميم المدن غربها » . (هآرتس ١/٢٠/ ١٩٧٤) .

وبين مؤيدي الفصل بين القوات ، كان اعضاء احزاب الائتلاف ، فقد أعلن عضو الكنيست يهودا بن مئير (من الحزب الوطني الديني — مفدال) « انني أؤيد الاتفاقية في الظروف القائمة ، الا ان السؤال يتعلق بالمستقبل وعلينا ان نؤكد انه منذ الان ، لن يتم أي انسحاب الا في حالة اتفاقية سلام شامل . وكذلك فانه حتى في اتفاقية سلام شامل يجب ان نؤمن عمقا استراتيجيا وحدودا آمنة ... لا يجوز الموافقة على انسحاب آخر دون سلام شامل » . (المصدر ذاته) .

وأعرب الوزير موشي كول (من حزب الاحرار المستقلين) في اجتماع كتلة الحزب في الكنيست ، عن قناعته بأنه اذا تم تحقيق تسوية فصل القوات، باخلاص لنص الاتفاقية وروحها فان ذلك سيكون « كسبا كبيرا لاسرائيل ومصر » ، وردا على مواقف وتصريحات الرافضين من التكتل اليميني « ليكود » ، قال « ان يوما سيأتي ويستجمع فيه عضو الكنيست مناحيم بيغن وبقية زعماء ليكود شجاعة ويعترفون علنا وعلى رؤوس الاشهاد بخطأ معارضتهم وتنبؤاتهم السوداوية ازاء اتفاقية الفصل بين القوات » . (المصدر السابق) .

وفي مقابل هذا التأييد والحماس للاتفاقية ، وقف اليمين من ليكود وجماعة «أرض اسرائيل الكاملة»، الذين بالغوا في معارضتهم ورفضهم للاتفاقية ودعوا الى مظاهرة تجمعت في احدى ساحات تل ابيب يوم ١٩٧٤/١/٢٠ ، وحضرها زعماء ليكود وضمنهم الجنرال اريك شارون الذي انهى خدمته العسكرية في ذلك اليوم وتفرغ للعمل السياسي كعضو في الكنيست ، بعد ان أصدر الى جنوده أمره اليومي الاخير مضمنا اياه نقدا ورفضا للانسحاب

من غرب القناة ، الامر الذي اثار ضده في اسرائيل موجة من النقد ، ولم توصله الى « محكمة انضباط » نظرا لما عرف عن حماية دايان له وخشية ان يتصاعد حجم الخلاف ، ويرسخ ما بدا وكأنه بداية شرخ داخل جيش الاحتلال ، كما اثار شعار شارون الذي يقول « جيش منتصر وحكومة مهزومة » موجة شديدة من السخط عليه .

في الكنيست ، كان اول المتحدثين يوم افتتاح دورتها الجديدة بعد غولدا مئير ، رئيس كتلة ليكود ، الاكبر بين كتل المعارضة ، الذي اتهم الحكومة بالتخلي والتراجع عن جميع مواقفها السابقة ، وخاصة التعهد بعدم الانسحاب دون تحقيق اتفاقية سلام ، واتهمها بأنها بالغت في التراجع عندما وافقت على توقيع الاتفاقية التي تضمن بقاء قوات مصرية على طول الضفة الشرقية لقناة السويس ، وقال موجها كلامه الى وزراء العدو « تتحدثون عن تخفيض القوات ، وما تفعلونه في الواقع هو تخفيض حجم أمن اسرائيل ». واعتبر بيغن — قبل توقيع الاتفاقية — ان ما يجري هو في الواقع « ليس مسألة فصل قوات ، وانما انسحاب من جانب واحد ، والى عمق كبير للقوات الاسرائيلية ، دون اتفاق سلام ، ودون انهاء حالة الحرب ، وابقاء قوات معادية تملك سلاحا هجوميا شرقي القناة . ان هذا مدخل الى كارثة رهيبة » . (هآرتس ٧٤/١/١٧).

ومن زعماء « أرض اسرائيل الكاملة » (وهي جماعة قليلة العدد ومشهورة بتشنجاتها وعنصريتها المفرطة) اليعيزر ليفنه الذي شن هجوما عنيفا على الحكومة الاسرائيلية بسبب الاتفاقية ، وقال : « انني مع الفصل بين القوات ، وضد الانسحاب من طرف واحد . ان الاتفاقية التي تم التوصل اليها تفي بجميع مطالب الرئيس السادات : لا سلام، لا انهاء لحالة الحرب، لا اعتراف باسرائيل، لا مفاوضات مباشرة ، لا بحث في ماهية السلام . ان هذه مرحلة اولى للانسحاب . لقد تنكرت حكومة اسرائيل لجميع التزاماتها العلنية بما في ذلك مطلب عدم تمركز أي جيش مصري في سيناء . وان تنفيذ الاتفاقية يقرب الحرب بمبادرة عربية ، وتكون حربا دموية يزيد عدد ضحاياها عن عدد ضحايا جميع الحروب مجتمعة من حرب ١٩٤٨ حتى الان». (هآرتس ١٩٧٤/١/٢٠) .

على صعيد الصحف ، واكبت هذه تحركات كيسنجر بكثير من الاهتمام وافردت لوساطته حجما كبيرا من صفحاتها وعلقت بمقالات عديدة على الاتفاقية قبل توقيعها وبعده .

ومن أبرز الذين كتبوا مؤيدين الاتفاقية محررو بعض الصحف مثل هآرتس (افتتاحية يوم ١/١٨/ ٧٤ وغيرها) ودافار (افتتاحيات عديدة قبل وبعد التوقيع) ، وعدد اهود يعاري مكاسب اسرائيل الاتفاقية في مقال في دافار (٧٤/١/٢٢) على انها : « وجود جيش الدفاع الاسرائيلي على بعد نحو ١٠ كيلومترات غربي خط الممرات ، وتخفيض القوات المصرية على الضفة الشرقية للقناة ، والبيانات المصرية حول البدء الفوري بتنظيف القناة استعدادا لاعادة فتحها للملاحة ، وترميم مدن القناة ، وعدم تعهد اسرائيل بانسحاب اخر ، واكتفاء مصر بتصريح روتيني عن الاستعداد للاستمرار في المفاوضات لتنفيذ القرار ٢٤٢ ، وبقاء حقول النفط في سيناء داخل خطوط اسرائيل » .

وركز اريئيل غيناي على انه « مع بدء انسحاب قوات جيش الدفاع الاسرائيلي من غربي القناة ونحو الخط الذي اتفق عليه ، اصبحت مواقع اسرائيل السياسية أفضل مما كانت عليه من قبل» (يديعوت احرونوت ٧٤/١/٢٥) . وأيده في ذلك العديد من الصحافيين الاسرائيليين .

ولقد كان التيار الاقوى في الصحف الاسرائيلية في الاسبوعين الاخيرين من شهر كانون الثاني الماضي، هو تيار القابلين بتحفظ لاتفاقية الفصل بين القوات. ورد غالبية هؤلاء قبولهم الى ان حكومة اسرائيل، بتركيبتها الحالية ونوعية رئيستها ووزرائها ، لم يكن بالامكان التأمل منها اكثر من ذلك .

وكتب المعلق المعروف يوئيل ماركوس في هآرتس (٧٤/١/٢٥) يقول : « في الظروف الحالية السيئة ، ليس هناك ما هو افضل من توقيع اتفاقية الفصل بين القوات » ، وانتقد ماركوس طرح السؤال بصيغة رفض او قبول اتفاقية الفصل بين القوات ، لان البديل لتوقيع الاتفاقية هو نشوب حرب شاملة ، « ولم تكن اسرائيل مستعدة لذلك لاربعة اسباب :

- لانه ليس لها في هذا الوقت زعامة قادرة على اتخاذ قرار حرب مبادر اليها .

● لانه اتضحت لنا جميعا محدودية قــدرة استخدام القوة العسكرية ، وهي محدودية عجزنا عن منع حرب مبادر اليها دون موافقة اميركية ، وعجزنا عن الحسم في ضوء الضمان السوفياتي بالدفاع عن مصر وسوريا ازاء هزيمة ساحقة .

● لاننا جميعا فقدنا الى حد ما ثقتنا بزعــامة الامة ، بما في ذلك ثقتنا العمياء بقــدرة جيش الدفاع الاسرائيلي .

● لانه من الصعب في ضوء الظروف المذكــورة ان نؤمن الان روحا قتالية وقدرة نفسية لصمود متواصل » .

وطالب ماركوس باجراء تعديلات على الاصعــدة الامنية والسياسية والدبلوماسية والداخلية .

أما شبتاي طيفت فقد وجه نقدا عنيفا الـــى غولدا مئير ، وخاصة الى قولها في الكنيست انه « تم التوصل الى الاتفاقية بفضل انتصارنا في الحرب ، كما انه جاء نتيجة الاحرازات المصرية في الحرب » . وقال طيفت « لقد حقق المصريون جميع الاهداف التي حددوها لانفسهم يوم الغفران: من الناحية الاقليمية حصلوا على المنطقة التـي حددوها لانفسهم كخطة الحد الاقصى (وبموجب ما قاله الجنرال اريك شارون فانهم حصلوا على اكثر بكثير من ذلك ، وحسب رأيه فانهم لم يفكروا في التقدم الى أبعد من خط التلال الواقع على بعـد ١٠ كيلومترات شرق القناة) . ومن النــاحية السياسية احرزوا انتصارا أكثر تأثيرا ، حيـث أنهم اعادوا الحياة الى قرار الامم المتحدة رقــم ٢٤٢ ، وهو القرار الذي ارادت اسرائيل قتلــه بالاغراق البطيء .. اما فيما يتعلق بالمعنويــات المصرية (والكرامة المصرية في العالم العربي وفي العالم ككل) فانهم قد احرزوا مــا لم يتأملوا احرازه في اسعد احلامهم » .

في مقابل ذلك « فان اسرائيل لم تحقق أيا من اهدافها . ولعل هذا الامر يحتاج الى ايضاح . فاذا كنا نحن لم نبدأ الحرب ، فكيف يمكن أن تكون لنا فيها اهداف ؟ لكن الامر ليس كذلك . فمنــذ اللحظة التي بدأت فيها الحرب وضعت اسرائيــل اهدافا لنفسها ، مثل صد الجيش المصري مــن الضفة الشرقية وابادته . وعن هذه الاهداف سمع الجمهور في اسرائيل مــن وزير الدفـــاع قوله « سنضربهم ضربا مبرحا » ومن رئيس الاركـــان قوله « سنكسر عظامهم » . اما رئيسة الحكومة فقد تحدثت عن الحرب على انها عمــل جنوني سيجلب الدمــار الى مصر ... » وكان التعبير سيكون اكثر صدقا لو ان السيدة مئير قـــالت العكس ، كأن تقول مثلا : « لقد تم التوصل الى الاتفاقية بفضل انتصار مصر في الحرب ، لكن ما مكن من تحقيقه هو الاحرازات الاسرائيلية فيها » . (هآرتس ٧٤/١/٢٥) .

وبرغم مرور اكثر من ثلاثة اسابيع على بــدء انسحاب قوات الاحتلال الاسرائيلية من الضفة الغربية للقناة ، وعلى توقيع اتفاقية الفصل بــين القوات ، فانها ما زالت الموضوع الابرز فـــي الصحف الاسرائيلية عموما .

عماد شقور

[٢]
أضواء على نتائج الانتخابات بين العرب في ظل الاحتلال الصهيوني

المشاركة في الانتخابات :

عند التطرق الى موضوع مشاركة الاقلية العربية من شعبنا الفلسطيني في اللعبة البرلمانية في اطار المؤسسات الصهيونية، ومنها الكنيست الاسرائيلي، لا بد ان نشير الى بعض الظواهر التي لازمت هذا الامر ..من هذه الظواهر مثلا ، نسبة المقترعين المرتفعة ، اذ لم تقل تلك النسبة عن ٨٠ ٪ في كافة الانتخابات . والظاهرة الثانية تتمثل في ان كافة الاحزاب الصهيونية من اليمين المغرق في الرجعية ، المتدين وغير المتدين حتى الاحزاب العمالية ومرورا بالاحزاب الليبرالية ، كانت تنجح في استقطاب واقتناص غالبية اصوات العرب سواء بالتصويت لها مباشرة او بالتصويت للقوائم التي كانت تشكلها وتدعمها في المواسم الانتخابية . والظاهرة الثالثة هي ان فكرة مقاطعة الانتخابات بقيت مجرد فكرة تطرح احيانا من قبل بعض الفئات ابان المواسم الانتخابية وتأخذ شكل المبادرة الفردية أكثر من شكل العمل السياسي المنظم ، هذه الظواهر الثلاث بمجموعها شكلت حقيقة — المشاركة في اللعبة البرلمانية — ما زالت تفرض نفسها حتى الان . وهذه الحقيقة تحكمت بها وفرضتها ايضا عدة عوامل ومؤثرات داخلية وخارجية تركت بصماتها عليها . وكانت نتائج هذه المشاركة تعكس في الحقيقة توازنات القوى بين هذه العوامل والمؤثرات اكثر من كونها تعبيرا حقيقيا عن رغبات وطموحات وآمال الاقلية العربية تحت ظل الاحتلال . فالمضمون السياسي الشكلي الذي تعكسه هذه المشاركة (أكثر من ٦٠٪ من اصوات الناخبين العرب تعطى للاحزاب الصهيونية والقوائم العربية المرتبطة بها) لا ينفي بأي حال من الاحوال ، حقيقة اخرى على جانب كبير من الاهمية برزت وعبرت عن نفسها في اكثر من مناسبة او حدث تاريخي . تلك الحقيقة هي ان الاغلبية الساحقة من الجماهير العربية الرازحة تحت الاحتلال الصهيوني ، كانت تعتبر نفسها جزءا لا يتجزأ من الامة العربية الواحدة ومن الشعب الفلسطيني المشرد عن ارضه . وقد تجلى هذا الشعور بالانتماء في كافة ادبيات الكتاب والشعراء والسياسيين الوطنيين . فقد كانت هذه الجماهير تعيش وتواكب انطلاقة حركة التحرر العربية الوطنية والاجتماعية ، تفرح لانتصاراتها وتحزن لتعثراتها وتحاول المساهمة في انطلاقاتها عن طريق التعريف بها ومناقشة مسارها اولا وعن طريق خوض النضالات السياسية والنقابية والقومية، ضد محاولات السلطات الصهيونية في نشر العدمية القومية وفي سلب الاراضي وكبت الحريات واستغلال العامل والفلاح العربي وفك التلاحم المصيري بين هذه الجماهير وبقية الامة العربية عن طريق محاولة خلق ما يسمى « الشخصية العربية الاسرائيلية ».

الصراع الاساسي :

كان الصراع الاساسي داخل الوسط العربي منذ قيام الكيان الصهيوني على ارض فلسطين بين قوتين رئيسيتين : كافة الاحزاب الصهيونية ، وبشكل أساسي حزب المباي ومن ثم العمل وقوائمه العربية المرتبطة به من جهة وبين الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » الى ما قبل الانشقاق سنة ١٩٦٥ ، ومن ثم القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح » من جهة اخرى . وعلى الرغم من ان المباي ومن بعده العمل وقوائمه العربية ، كان وما زال القوة الصهيونية الاكثر اقتناصا للاصوات العربية ، فان الاحزاب الصهيونية الاخرى بدأت مؤخرا تنافسه في هذا المجال ايضا . ويأتي حزب المفدال على رأس الاحزاب الصهيونية المنافسة للعمل وقوائمه العربية. وسر نفوذ هذا الحزبيكمن في الوزارات التي يشرف عليها، تلك الوزارات ذات الصلة المباشرة بشؤون الاقلية العربية وهي وزارات الاديان ، والداخلية والشؤون الاجتماعية . وبفضل المنافع الفردية التي يقدمها هذا الحزب بحكم سيطرته على الوزارات الانفة الذكر لبعض المتنفذين والنفعيين فقد استطاع هذا الحزب في الانتخابات السابقة الحصول على ما يقارب ١٢٫٠٠٠ صوت من الاصوات العربية ، اي انه استطاع ايصال احد اعضائه الى الكنيست بفضل تلك الاصوات . اما نصيب باقي الاحزاب الصهيونية ابتداء من اليمين « ليكود » وانتهاء بقائمتي « ميري » و« موكيد » فهو غير ذي شأن .

وبالنسبة للانتخابات الاخيرة ، فقد خاضت

المعركة الانتخابية داخل الوســط العربي بشكل اساسي القوائم التالية :

١ ــ قائمة التجمع العمالي الحــاكم ، التي ضمت بين مرشحيها ثلاثة من العرب . واحد فقط كان في مكان مضمون ، وهو عبد العزيز الزعبي (توفي قبــل اسبوعين تقريبــا) عن حزب المابام شريك حزب العمل في قائمة التجمع العمالي . أما الاثنان الاخران فهما محمود عباسي وكمال منصور ، وقد أدرج كلاهما في أماكن غير مضمونة .

٢ ــ القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح » التي شملت في الاماكن الاربعة الاولى اثنين من العرب هما توفيق طوبي عضو الكنيست السابق ، وتوفيق زياد الشاعر المعروف .

٣ ــ قائمة التقدم والانعاش ، التي يتزعمها عضو الكنيست السابق ورئيس بلدية الناصرة سيف الدين الزعبي ، ثم يليه عضو الكنيست جبر داهش معدي (عن الطائفة الدرزية) اما الثالث فكان مسعد قسيس (عن طائفة الكاثوليك) وهو عضو كنيست أسبق .

٤ ــ قائمة البدو ، التي يتزعمها الشيخ حمد ابو ربيعة مــن بدو النقب . وهــاتان القائمتان مرتبطتان بحزب العمل .

٥ ــ قائمة التعاون والاخاء التي يتزعمها عضوا الكنيست السابقان ذياب عبيد والياس نخلة . وقد تخلى حزب العمل عن هذه القائمة في هذه الانتخابات لصالح قائمة البدو .

٦ ــ القائمة العربية الاسرائيلية ، وهي قائمة للبدو ايضا لكنها مرتبطة بالتكتل اليميني « ليكود » ويقف على رأسها الشيخ حســن فلاح من عرب الهيب ويليه الشيخ سلامة الهزيل . والى جانب هذه القائمة فقد أدرج التكتل اليميني في لائحتــه اثنين من المرشحين العرب في أماكن غير مضمونة هما : أمل نصر الدين من دالية الكرمل (عن الطائفة الدرزية) ومصطفى الجمال من قرية عارة في المثلث .

يضاف الى هذه القوائم الرئيسية ، كما سبق وأشرنا كافة الاحزاب الصهيونية علــى اختلاف ميولها .

العوامل المؤثرة في الصراع الانتخابي :

أشرنا في البداية الى الظواهر المميزة للانتخابات في الوسط العربي ، وقلنا ان هذه الظواهر خضعت منذ البداية (قيام الدولة) لعدة عوامل ومؤثرات خارجية وداخلية لبعضها احيانا تأثير حاسم في نتائج الانتخابات . من العوامل الداخلية ما يلي :

انه مع قيام اسرائيل وتشريد الغالبية العظمى من الشعب الفلسطيني ، بقيت الاقلية العربية التي لم تغادر الوطن دون قيادات سياسية وحتى زعامات محلية ذات أثر ونفوذ . ونظرا لغياب التنظيمات السياسية الفعالة ، فقد كان الجو مؤهلا للاحزاب الصهيونية اثر هزيمة ١٩٤٨ وفي الانتخابات الاولى والانتخابات التي تلتها ، لكي تفرض بعض المتعاونين معها من العملاء اوصياء على العرب وان تخلق زعامات محلية وصولية تأتمر بأمر الحكام العسكريين ونشيطي حزب المباي في الوسط العربي . وقد ساعدها في ذلك التفكــك الذي أصاب البنيــة المجتمعية نتيجة لان الزعماء والقادة الذين كانوا نشطين وفعالين (بغض النظر عن نهجهم السياسي) ويستقطبون الحركة الجماهيريــة وبالذات اولئــك الذين كان لهم دور في الحركة الوطنية الفلسطينية ، أصبحوا خارج الحدود . هذا الامر سهل ايضا عملية اختراق كافة الاحــزاب الصهيونية للوسط العربي ، حيث ان الزعامات التي خلقها المباي لم تكن من نوع الزعامات ذات النفوذ التاريخي مما سهل على الاحزاب الاخرى ان تخلــق هي أيضا زعامات محلية موالية لهــا ومنافسة للزعامــات المرتبطة بالمباي ، على هذا الاساس يمكن تفسير كون كل الاحزاب الصهيونيــة تنجح في اقتنــاص الاصوات العربية خصوصا اذا اضفنا لما سبق العامل الاقتصادي وتقديم بعض الخدمات ، حيث ان الاحزاب الصهيونية وبالذات التي كانت تتمثل في السلطة ، كانت تستغل وجودها فيها (المفدال على سبيل المثال) ، ســواء لاستعمال الضغط الاقتصادي (التهديد بقطع العمل ، المابام على سبيل المثال) او الوعود بتقديــم بعض المنافــع والخدمات . وبالنسبة لوسائل الضغط الاقتصادي فقد كانت متوفرة تقريبا لجميع الاحزاب الصهيونية حيث ان مجال العمل الرئيسي كان ومــا زال في القطاع اليهودي في الدولة .

غير ان هذا العامل ذاتــه اصبح مصدر قلق للسلطات الصهيونية ولحــزب المباي والعمــل بالذات . اذ ان عملية تفكك البنية المجتمعية لم تتوقف بمجرد بروز الزعامات الجديدة المدعومة من

السلطات بل ان التمرد على الولاء العائلي اصبح احد مميزات التطور الاجتماعي بين الاقلية العربية، لان الزعامات الجديدة لم تكن مـن القوة بمكان لاعادة التماسك الى الاستقطاب العائلي والقبلي كما كان الحال قبل ذلك . وبناء عليه اخذ يبرز في حزب العمل ومن قبله المباي تيار يدعو الى التخلص من هذه الزعامات المحلية التي استهلكت ولم تنجح في خلق قاعدة متينة لهـا اذ ان قوتها الانتخابية آخذة بالهبوط رغم كل الدعم الذي تتلقاه من الحزب الحاكم . هذا التيار يدعو الى الاعتماد على بعض العناصر المثقفة ، اي الى استبدال العملاء القدامى بعملاء جدد مـن الجيل الجديد والمثقف . ورغم ان هذا التيار لم ينجح في فرض رأيه على مؤسسات الحزب ، اذ ان هناك بعض الزعامات ايضا داخـل المباي وحزب العمـل وخصوصا تلك التي كانت تشرف على القسم العربي في الحزب ، قد بنت نفسها وعززت نفوذها داخل الحزب نظرا لسيطرتها على القطاع العربي ، فاننا نلاحظ ان حزب العمل أدرج في انتخابات الكنيست السابقة اسماء بعض عملائه من الجيل الجديد ، مثل محمود عباسي ، ضمن القوائم العربية ، على الرغم من معارضة عملائه القدامى لذلك ، لكنه في الانتخابات الاخيرة أدرج أسماء هؤلاء العملاء الجدد مباشرة في لائحته الانتخابية .

غير ان ما يشكل قلقا اكبر لحزب العمل هو تلك النسبة الكبيرة من الناخبين الجـدد التي تعطي أصواتها « لراكاح » . وسبب القلق نابع من كون هذه الاجيال الجديدة والمثقفة قد نشأت وتعلمت في ظل اسرائيل وبرامجها التعليمية الموجهة، بالاضافة الى دوافع تصويتها ، حيث ان الدافع الايديولوجي هو الموجه وهذا الدافع الايديولوجي يتفاوت في درجة عدائه للدولة ، غير انه في جميع الاحوال يعتبر « ظاهرة خطيرة ومقلقة » .

وعندما نتحدث عن العوامل الداخلية المؤثرة في نتائج الانتخابات في الوسط العربي لا يغيب عن بالنا ، اضافة لما سبق وأشرنا اليـه السياسة الرسمية الموجهة ضد العرب ، سياسة التجهيل وسلب الاراضي ، والقمع البوليسي والتهديد بقطع لقمة العيش بواسطة الطرد من العمل ، فجميع هذه الاساليب تشكل وسائل ضغط لتزوير ارادة الناخبين العرب . لكن ما يجب ان نلاحظه ايضا ان هذه العوامل الداخلية كافة ، كانت سلاحا ذا حدين في جميع الحالات ، فعلى الرغم مـن انها ساعدت في تزوير ارادة الشعب العربي (انظر الجدول ادناه) فانها ايضا كانت تحمل في طياتها رياح التغير والتململ داخل هذا المجتمع ، كما يبين الجدول ايضا(١).

	ماكي / راكاح		القوائم العربية	المتدينون	الاحزاب العمالية
١٩٥٥	١٥ر٦	—	٥٧ر٨	٢ر٣	
١٩٥٩	١١ر٣	—	٥٨ر٦	٢ر٩	١٩ر٩
١٩٦١	٢٢ر٤	—	٤٥ر٥	٤ر٢	٢٤ر٩
١٩٦٥	٦ر٠	٢٣ر٥	٤٢ر٩	٥ر٥	١٨ر٨
١٩٦٩	٧ر٠	٢٩ر٥	٤٠ر٨	٨ر٧	١٣ر٣

١ — الارقام مأخوذة عن نشرة م.د.ف ، ملحق لعدد رقم ٢ ، ٧٤/١/١٦ وعن فصل من كتاب العرب في اسرائيل لصبري جريس نشر في شؤون فلسطينية عدد أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ .

اما بالنسبة للعوامـل الخارجيـة المؤثرة في الانتخابات في الوسط العربي فهناك عوامل قديمة كانت وما زالت تعمل حتى الان ، مثل مكانة الاتحاد السوفياتي في المنطقة ، تلك المكانة التي تتأثر سلبا وايجابا بمدى حسن العلاقات بين الاتحاد السوفياتي وبين الانظمة الوطنية العربية. ومنها ايضا المكاسب التي كانت تحرزها حركة التحرر العربية في كافة المجالات حيث كان الحزب الشيوعـي الاسرائيلي « ماكي » ومؤخرا « راكاح » بمواقفـه المؤيدة لطموحات هذه الحركة يستقطب العناصر الوطنية بين العرب في اسرائيل ، تلك العناصر التي وضعت كل آمالها في الخلاص على حركة التحرر العربية وعلى الناصرية بشكل خاص . وهذان العاملان كانا شديدي التأثير على الانتخابات رغم كل اساليب البطش والارهاب التـي كانت تتبعها السلطـات الصهيونية . وأي خلل في العلاقات المتبادلة بين الاتحاد السوفياتي وبين حركة التحرر العربية كانت تنعكس نتائجه ويستغل حتى من قبل الاحزاب الصهيونية لضرب الحزب الشيوعي الاسرائيلي.وقد برز هذا الامر بوضوح في انتخابات ١٩٥٩ ابان الصدام بين خروتشوف وعبدالناصر، اذ أدت نتائج الانتخابات في تلك السنة الى هبوط قوة الحزب من ١٥ر٦ ٪ الى ١١ر٣ ٪ لتعود ثانية وترتفع الى

٤ر٢٢ ٪ مع عودة التحسن الى هذه العلاقات .

اما العامل الخارجي الذي استجد ، اضافة الى ما سبق فهو المقاومة الفلسطينية وبالذات بعد حرب حزيران (يونيــو) ١٩٦٧ . فنشاط المقاومــة العسكري قد استقطب قاعدة جماهيرية فعالة من ناحية سياسية ، ورغم السنين الطويلة من الولاء لحركة التحرر العربية ممثلــة في الناصرية فان المقاومة استطاعت ايضا ان تشارك هذه الحركة ولاء الجماهير لها داخل اسرائيل . وهذه الظاهرة اقلقت كثيرا السلطات الصهيونية رغم المحــاولات الاعلامية المستميتة لصرف الانظار عنها والادعاء بأن كافة العمليات العسكرية التي قام بها افراد مــن الداخل ، ليست سوى اعمال فردية لشباب يحركهم اما اليأس او الحقد العنصري ، كل ذلك بهدف اخفاء الوجه السياسي لهذا الارتباط .

نتائج الانتخابات :

اسفرت نتائج الانتخابات عــن تقدم ملمــوس « لراكاح » اذ استطاعت ان تزيد عدد مقاعدها في الكنيست من ثلاثة الى اربعة . وبالنسبة لعدد الاصوات فقد زادت قوتها ايضا بشكل ملموس . فبينما حصلت القائمــة في انتخابات ١٩٦٩ على ٢٩٫٨٧١ صوتا ، فانها حصلت الان على حوالي ٤٣ الف صوت من مجموع الاصوات العربية . وهذا ارتفاع بنسبة ٣٠ ٪ تقريبا . اما الاحزاب الصهيونية فقد هبطت نسبتها مجتمعة الى ٢٥ ٪ ، أي بنسبة ٣ ٪ عما كانت عليه سنة ١٩٦٩ و ٧ ٪ عما كانت عليه سنة ١٩٦٥ (هآرتس ٧٤/١/٤) .

اما بالنسبة للقوائم العربيــة المرتبطة وغــير المرتبطة فقد فازت منهما قائمتان بثلاثة مقاعد : قائمة التقدم والانعاش — مقعدان ، وقائمة البدو — مقعد واحد . اما قائمتا التعاون والاخاء والقائمة العربية الاسرائيلية المرتبطة بالتكتل اليميني «ليكود» فلم تفز اي منهما بأي مقعد حيث حصلت الاولى على ٩٩٤٩ صوتا ، بينما حصلت الثانية علــى ٣٢٦٩ صوتا .

وهكذا فان عدد النواب العــرب في الكنيست الثامن الممثلين لكافة الكتل النيابية اصبح ستة نواب بعد ان كانوا سبعة في الكنيست السابق ، حسب التقسيم التالي : ثلاثة عن حزب العمل ، واحد عن المابام ، واثنان عن كتلة راكاح (انخفض العدد الى خمسة بعد وفاة عبد العزيز الزعبي).

بينما تستحق الاقلية العربية بموجب عدد ناخبيها عشرة مقاعد على الاقل ، اذ بلغ عدد اصحاب حق الاقتراع لهذه السنة حوالي ١٧٣ الــف ناخب (معاريف ٧٣/١٢/٢٦) .

وقد كانت الظاهرة الاهم في نتائج الانتخابات تدهور مكانة الزعامة التقليدية التي حاول الحزب الحاكم دعمها على مر السنين ، وقد سبق وأشرنا الى ان هذه الزعامة عديمة الجذور اصلا ، فهي لولا الدعم المادي وتسخير كافــة اجهزة الدولة لخدمتها ابان المعارك الانتخابية ومن ضمنها اجهزة المخابرات وفي السابق جهاز الحكم العسكري لما استطاعت ان تفوز حتى بمقعد واحد في الانتخابات، وخير دليل على ذلك هو ان اكثر من محاولة جرت من قبل بعض هؤلاء « الفرسان » لخوض الانتخابات مستقلين عن حزب المباي نتيجة لاستبدالهم بغيرهم، لكن كافة تلك المحاولات كان مصيرها الفشل وآخر محاولة كانت محاولة النائبين السابقين ذياب عبيد والياس نخلة . والسبب في ذلك كامن في كون هذه الزعامات مجرد حجــارة شطرنج في يد الحــزب الحاكم ، وافتقاد تلك القوائم الى اي مضمون او خط سياسي واضح ، فمعظم ناخبيها هم من تلك الفئات المضللة امــا باسم الديــن او التعصب العشائري او الذيــن تحركهم المنافــع الذاتيــة الضيقة ، وهؤلاء لا يشكلــون بأي حال قاعــدة انتخابية يمكن الاعتماد عليها اذا ما انقطع الدعم من ناحية السلطات الحكوميــة . اذ ان هــذه « القاعدة الانتخابية » تتحول دائما وتصب لصالح من تعتقد انه بامكانه تأمين مصالحها الانانية .

ومن ناحية اخرى فان تدهور مكانة هذه الزعامة التقليدية يعود بشكل اساسي الى تزايد عدد الجيل الجديد ، جيل الشباب والطلاب والعمال الذين يصوتون لاول مرة في كل انتخابات . فهذا الجيل كما يقول الصحفي الاسرائيلي ايــدي سوبر في معاريف (١٩٧٣/١٢/٢٦) يشكل ثلثي عدد سكان عرب اسرائيل . وهذا الجيل نشأ مع قيام الدولة وما زالت ذاكرته ملأى بالمرارة من ذكريات الحكم العسكري وتقييد الحــريات . ويرى سوبــر ان اهتمامات هذا الجيل الشاب والمثقف ايديولوجية في أساسها اكثر منها اقتصادية الامر الذي يميز هذا الجيل عن الجيل التقليدي .

وقد أورد ايهود يعري (دافار ٢ ، ٧٤/١/٤) أمثلة لهذا التدهور ، فذكــر ان القائمة البدوية

التابعة للتجمع لم تجذب الى صناديق الاقتراع أكثر من ٦ آلاف ناخب من اصل ١١ الفا (من البدو) يتمتعون بحق التصويت ، ولم تحصل الا على ٤ آلاف صوت من الـ ٦ آلاف ، واحتاجت الى اصوات بـدو المثلث والجليل ومئات مـن الاصوات اليهودية لتتجاوز « حاجز النسبة » . اما سيف الدين الزعبي رئيس قائمة التقدم والانعاش فلم يحصل في « قلعته » الناصرة ، على اكثر من ٣ آلاف صوت ، بينمـا حققت راكاح في الناصرة زيادة بنسبة ٥ر١١ ٪ حيث حصلت في الانتخابات الاخيرة على ٢ر٥٨ ٪ من اصوات الناخبين . هذه الزيادة دقت ناقوس الخطـر لدى حزب العمـل بالنسبة لمصير رئاسة بلدية الناصرة التي ستجري الانتخابات لمجلس بلديتها في نهاية هذا العام .

وعلق ايهود يعري على هذه الظاهرة بقوله ان حقبة قد انتهت في القطاع العربي وان « الانتخابات هدمت بقايا وهم الافندي جاذب الاصوات . فهذه المرة لم ينجز الافندي مهمته وانما انجزت من اجله » (نشرة م. د. ف ، ملحـق العدد رقم ٢ تاريخ ٧٤/١/١٦) . غير ان يعري يخطىء في تقديره هذا فالافندي لم ينجز مهمته في اية انتخابات بل كانت تنجز من اجله دائما ، والهزيمـة ليست لعملاء السلطة فقط ، وهي اعمق من ان تكون مجرد عدم رضا عن الافندية .

مدلولات التصويت بين العرب :

درج كثير من المعلقين السياسيين والصحفيين الاسرائيليين على اعتبار نتائـج وكيفية توزيـع الاصوات العربية في الانتخابات مقياسا لمدى اخلاص العرب للدولة وتسليمهم بواقع الاحتلال والسياسة الاسرائيلية الرسمية . وهناك تصنيف متبع لديهم يقسم العرب الى « سلبيين » و« ايجابيين » . فالسلبيون هم اولئك الذين يدلون بأصواتهم لصالح القائمة الشيوعية الجديـدة « راكاح » ، امـا الايجابيون فهم الذين يدلون بأصواتهم لكافة الكتل والقوائم الانتخابية الاخرى على اختلاف ميولهـا وألوانها . وكل من كان يتتبع الدعاية الانتخابية بين العرب كان يلاحظ هذا التأكيد لدى كافة الدعاة الانتخابيين من ان التصويت للحزب الشيوعي هو بمثابة اتخاذ موقف ضد وجود دولة اسرائيل ، وان نتائج هذا التصويت ستعود بالويل والثبور على العرب ومصالحهم اليوميـة والمعيشية وستضـر بامكانية فتح المجال امامهم في كافة المجالات .

ومما لا شك فيه ان مثل هذه الدعاية مع القدرة على تنفيذ بعض التهديدات ، الى جانب اساليب القمع والاضطهاد المتنوعة هي السبب او احـد الاسباب في تلك النسبة العالية التي كانت ومـا زالت نسبيا بين العرب لصالح الاحزاب الصهيونية، وهي ليست بأي حال من الاحوال دليلا على التسليم بالواقع ، بل العكس هو الصحيح ، فان ظاهرة تزايد نسبة المصوتين الى جانب « راكاح » هي التي تعبر في حقيقتها عـن حقيقة مشاعر وآمال وطموحات الاقلية العربية ومدى تسليمها بالواقع المفروض . ومهما حاولت بعض الاجهزة الصهيونية اعطاء تفسيرات خاطئة لمدلولات هـذا التصويت « تعبيرا عن التذمر وليس تصويتا ايديولوجيا » كما يقول شموئيل توليـدانو مستشار رئيسـة الحكومة للشؤون العربية (معاريف ٧٣/١٢/٢٦) فان الحقائق تدحض هذه التفسيرات . فمثلا في انتخابات ١٩٦٥ ، حيث كانت الاوضاع الاقتصادية متردية جدا ، وكان نصيب عرب اسرائيل فيهـا كبيرا الامر الذي يحتم وجود تذمر كبير لم يحقق الحزب الشيوعي انجازا ملموسا في تلك الانتخابات اذ حصل على نسبة ٥ر٢٣ ٪ أي بزيـادة ٩ر٠ ٪ عن الانتخابات السابقة . بينما في انتخابات ١٩٦٩، وحيث كانت الحالة الاقتصادية قد تحسنت وتحسنت بالتالي اوضاع الاقلية العربية بشكل نسبي نتيجة لذلك فان راكاح حقق انجازا لا بأس به حيث زادت قوته من ٥ر٢٣ ٪ — ٥ر٢٩ ٪ . وهذا الارتفاع في أساسه تصويت سياسي وليس مجرد تذمر .

وفي الوقت الذي يدعي فيه توليدانو مثل هذا ، فان كافة المعلقين السياسيين تنبأوا بازدياد قوة « راكاح » في الشارع العربي كنتيجة لحرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ وللموقف السوفياتي الداعم للبلدان العربية في تلك الحرب . ومع ان توليدانو نفسه قال في تصريح لجريدة معاريف بأن عـدد المصوتين « السلبيين » سيزداد نتيجة للحرب فانه عاد وحاول في نفس الحديث ان ينفي ان يكون لهذا التصويت اي مدلول ايديولوجي . وهذا الموقف الذي يقفه توليدانو لا يمكن تفسيره الا بكونه دفاعا عن النفس وعن الجهاز الذي يقف على رأسه وهو مكتب مستشار رئيسة الحكومة للشؤون العربية ، ولكن الفشل ليس شخصيا فحسب . انه فشل سياسة .

المفاوضات الائتلافية تصل الى طريق مسدود :

ادت قضية « من هو اليهودي » وتصلب المفدال في هذا الموضوع ، رافضا كل الاقتراحات التي قدمت كحل وسط لايجاد مخرج لازمة تشكيل الحكومة ، الى تفجير المفاوضات الائتلافية بين كل من المعراخ ، المفدال ، الاحرار المستقلون وحركة حقوق المواطن . فبعد مضي أقل من اسبوع على تكليف جولدا مئير رسميا ١٩٧٤/١/٣٠ من قبل رئيس الدولة بمهمة تشكيل الحكومة الجديدة ، أعلنت حركة حقوق المواطن انسحابها من المفاوضات الائتلافية ، بدعوى غموض موقف المعراخ من القضايا الاساسية المختلف عليها . وفي ١٩٧٤/٢/١١ أعلن الاحرار المستقلون انه اذا لم يتنازل المفدال عن موقفه من قضية « من هو اليهودي » فان ممثليهم لن يتابعوا المشاركة في جلسات لجنة المفاوضات . وفي ٧٤/٢/١٤ قرر المفدال بدوره الانسحاب من المفاوضات الجارية لتشكيل ائتلاف حكومي على غرار الائتلاف السابق. وهكذا وصلت المفاوضات الائتلافية الى طريق مسدود حتى وان كانت رسميا لم تكتمل الاسابيع الثلاثة الاولى التي يحددها القانون كمهلة اولى للمكلف بتشكيل الحكومة ، فانها عمليا قد بدأت منذ ظهور نتائج الانتخابات وحتى قبلها بشكل اجتماعات ثنائية وعمليات جس نبض وبلورة للمواقف والمطالب . وبوصول الامور الى هذا الوضع بات امام المعراخ خياران لا ثالث لهما ، اذا استثنينا مسألة اقامة حكومة تكتل وطني ، التي يبدو حتى الان ان ليس لها أي نصيب من امكانيات النجاح . وكلا الخياران غير محبذ لدى المعراخ ، الخيار الاول ، اقامة حكومة مقلصة بدون المفدال أي من المعراخ ، بعد انضمام النواب العرب لحزب العمل ، ومن الاحرار المستقلين وحركة حقوق المواطن ومثل هذه الحكومة تستند الى قاعدة برلمانية ضعيفة ، ٦١ صوتا . والخيار الثاني اقامة ائتلاف مع الفئات الدينية ، المفدال والجبهة الدينية التورانية وهذا الائتلاف يستند الى قاعدة برلمانية اوسع قليلا ، ٦٦ صوتا ، وبينما الخيار الاول يمكن ان يلاقي دعما داخل حزب العمل والمعراخ اذا ما سدت السبل امام امكانية اشراك المفدال ، فان الخيار الثاني سيصطدم بمعارضة من داخل حزب العمل والمعراخ ، حيث تحبذ الاغلبية فيه اقامة حكومة على غرار الحكومة السابقة . وهكذا فعمليا هناك خيار واحد ، في حالة استحالة اقامة حكومة على غرار الحكومة السابقة ، والا ، فاعادة الانتخابات ، الامر الذي لا يحبذه المعراخ ، على الاقل في الوقت الراهن .

سير المفاوضات ومواقف الكتل :

سبق واشرنا الى ان المفاوضات وتبادل وجهات النظر بين الكتل المرشحة لتشكيل الحكومة ، قد بدأت عمليا قبل تكليف جولدا مئير رسميا بمهمة تشكيل الحكومة . ففي ٧٤/١/٨ انتخب حزب العمل والمعراخ لجنة للمفاوضات عهد برئاستها الى وزير المالية بنحاس سابير الذي أعلن مجددا في جلسة لمكتب حزب العمل عقدت في نفس ذلك اليوم عن معارضة المعراخ لاقامة حكومة تكتل وطني حيث قال : « لا يمكن ان يتم حاليا تأليف حكومة موسعة . ان هذه الحكومة ليست حكومة تكتل وطني ، بل ، كما قيل ، شلل وطني . فاذا اردنا ان نتزوج اليوم ونطلق غدا ، فمن الافضل الا نتزوج !» (نشرة رصد اذاعة اسرائيل (ر.١.١٠) ٧٤/١/٨ ملحق عدد ٤٣١) . وكان الوزير سابير يرد بهذا على مطلب المفدال المعلن قبل الانتخابات بأنه سيسعى الى اقامة حكومة طوارىء وطنية انطلاقا من ايمانه بضرورة توحيد الشعب بأسره في هذه الفترة العصيبة . وكان وزير الشؤون الاجتماعية ميخائيل حزاني (مفدال) قد صرح : « ان المفدال سيطالب بحكومة طوارىء وطنية » و « ان المفدال مخلص للبرنامج الانتخابي للكنيست وانه سيعمل ضد التنازلات عن ارض الاباء (الضفة الغربية) وان قضية اعتناق الدين اليهودي حسب الشريعة يجب ان تتم كما ينبغي في خطوط الحكومة الاساسية » (ر.١.١٠. — ٧٤/١/٢ ، عدد ٤٢٨).

والى جانب تشكيل الاحزاب الاخرى المرشحة لدخول الائتلاف لجانا من قبلها للمشاركة في المفاوضات فانها قامت ايضا بمبادرات فيما بينها لتنسيق مواقفها من مسألة تشكيل الحكومة والمطالب التي يجب ان تشترطها لذلك . وعلى هذا الاساس بدأت محادثات بين المفدال والجبهة الدينية التوراتية من جهة وبين الاحرار المستقلين وحركة حقوق المواطن

من جهة اخرى . وفي ٧٤/١/١١ ذكر مراسل اذاعة اسرائيل انه تم التوصل الى اتفاق بين الاحرار المستقلين وحركة حقوق المواطن لتشكيل كتلة واحدة في الكنيست ، وانه قد جرى ابلاغ المعراخ بذلك ، بينما اكتفى المفدال والجبهة الدينية التوراتية بالاعلان بأن كتلتيهما قررتا تنسيق مواقفهما واجراء مزيد من الاتصالات اللاحقة حول الموضوع . وقد تم نتيجة للاجتماعات الاولية بين الكتل المختلفة الاتفاق على تشكيل اربع لجان فرعية الى جانب لجنة المفاوضات الائتلافية العامة لتسهيل عمل اللجنة . وهذه اللجان هي : لجنة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية ، لجنة الشؤون الخارجية والامنية ، لجنة الدين والدولة ولجنة لبحث تركيبة وبنية الوزارات .

مواقف الكتل

منذ الجلسات الاولى للجنة المفاوضات العامة وللجان الفرعية ، بدا واضحا للجميع ان العقبة الرئيسية تكمن في التوصل الى اتفاق في لجنة شؤون الدين والدولة ، وبالتحديد حول موضوع « من هو اليهودي » ومطلب المفدال والجبهة الدينية التوراتية بتعديل القانون بشكل يؤكد ان كل من لم يتم تهويده حسب أصول الشريعة لا يعتبر يهوديا . اضافة الى هذه العقبة كانت هناك عدة أمور لم يتم التوصل الى اتفاق عليها ، لكنها أقل خطورة منها ، لكن بعضها ، وبالذات مسألة الانسحاب من الضفة الغربية ، كان بمثابة قنبلة موقوتة يمكن ان تنسف الائتلاف الحكومي في اللحظة التي يتطلب فيها الوضع حسما في هذه المسألة. الى جانب هذه المسألة كان هناك ايضا مطلب اقامة لجنة وزارية لشؤون الخارجية والامن واقامة مجلس للامن القومي. كما طرح الاحرار المستقلون اقتراحا بتقليص عدد الوزارات ودمج ما يمكن دمجه منها . واخيرا مطلب اقامة حكومة تكتل وطني . ولغرض توضيح مواقف الكتل المختلفة من هذه القضايا ، سنستعرض تلك المواقف بالنسبة لكل قضية على حدة :

شكل الحكومة

بالنسبة لشكل الحكومة ، فرغم مطالبة المفدال منذ البداية وحتى قبل اجراء الانتخابات باقامة حكومة تكتل وطني ، فقد بدا واضحا من سير المفاوضات ان المفدال لن يقف باصرار على هذا المطلب ، رغم اعلانه ان مشاركته الاستيضاحات الائتلافية لا تعني تنازله عن هذا المطلب ، غير انه أعلن انه سيستمر في السعي من أجل ذلك حتى بعد تشكيل الحكومة انطلاقا من احساسه بالمسؤولية القومية في هذا الظرف . وفي اعتقادي ان احتمالات تحقيق هذا المطلب مرهونة الى حد كبير بموقف حزب العمل منه بشكل أساسي وبالذات بموقف كتلة رافي في حزب العمل ، ذلك الموقف الذي لا يبدو حتى الان ان كتلة رافي قد تبنته ، رغم اعلان وزير المواصلات شمعون بيرس مؤخرا انه يؤيد اقامة حكومة تكتل وطني بشرط ان يكون للمعراخ أغلبية فيها تمكنه من تنفيذ سياسته . اما شريك حزب العمل في التجمع العمالي — حزب المابام — فقد أعلن بصراحة عن معارضته لهذه الفكرة على لسان سكرتير الحزب السياسي نفتالي فيدر : « اننا لن نوافق على الاشتراك في حكومة طوارىء وطنية ، وقد اعلنا ذلك . وفي حالة تشكيل مثل هذه الحكومة فانه لا يمكن الاعتماد علينا ، لاننا لن نشترك في ائتلاف موسع » (ر.١٠١٠. — ٧٤/١/٩ ، ملحق ٤٣٢) . وبناء عليه فانه من المستبعد ان يتبنى حزب العمل هذه الفكرة دون المخاطرة بحدوث انشقاق داخل الحزب وداخل التجمع ، سيما وان هناك عناصر اخرى داخل حزب العمل تعارض هذه الفكرة . يضاف الى هذا معارضة الاحرار المستقلين وحركة حقوق المواطن ايضا . وهكذا فان الفكرة غير متبناة الان ، الا من المفدال والجبهة الدينية التوراتية . ويمكن القول بناء على مواقف المفدال والجبهة الدينية التوراتية ان هذه المسألة لن تعرقل اقامة ائتلاف حكومي اذا ما تم الاتفاق على المسائل الاخرى وبالذات مسألة تعديل قانون « من هو اليهودي » .

أما المفدال بالذات فيتعرض لضغوط داخلية شديدة من قبل بعض الكتل المؤلفة للحزب وبالذات كتلة الشباب التي تلاقي دعما وتشجيعا من بعض مؤسسات الحزب وقواعده الانتخابية مثل رؤساء المدارس الدينية ، وممثلو المستوطنات الدينية وبعض المفكرين والحاخامين . وقد دعا مؤتمر طارىء عقد في ٧٤/١/١٣ بمبادرة من شباب الحزب ، قيادة الحزب الى تنفيذ وعودها التي قطعتها على نفسها قبل الانتخابات . وقال أحد زعماء شباب الحزب في ذلك المؤتمر ، عضو

الكنيست زفولون هامر : « انني لواثق ان هذا الجمهور الماثل امامي باستطاعته ان يفرض على الحزب ، السعي لتأليف حكومة طوارىء وطنية ، هذا المطلب الحيوي جدا في الظروف الراهنة » (ر.١٠١٠ — ٧٤/١/١٣ ، ملحق ٤٣٥) . ويبدو ان الضغوطات الداخلية في المفدال حول هـــذا الموضوع ، وحول مسألة السيادة الاسرائيلية على الضفة الغربية والمطالبة بتعديل قانون « من هو اليهودي » قد اجبرت قيادة الحزب على التشدد فيما يتعلق بالمطلب الاخير وعدم قبول كافـــة الاقتراحات للتوصل الى حل وسط .

وهكذا ، فبالنسبة لشكل الحكومة، فان الاتجاه الغالب يسير نحو محاولة تشكيل حكومة على غرار الحكومة السابقة ، مع الترحيب بدخول الجبهة الدينية التوراتية الى الائتلاف ان رأت هي ذلك . لكن الجبهة الدينية التوراتية وقيادتها السياسية تخضع في هذا الامر الى قرار مجلس كبار حكماء التوراة الذي وضع شرطين لموافقته على دخـول الجبهة للائتلاف : الاول ، تعديل قانون « من هو اليهودي » ، والثاني الغاء تجنيد الفتيات في الجيش الاسرائيلي . وقد استبعد المجلس امكانية عقد اتفاق مع المعراخ ، تمنح الجبهة بموجبه تأييدها للمعراخ في الكنيست في المواضيع السياسية. وفيما يتعلق بامكانية دخول الجبهة للائتلاف دون المفدال قال الحاخام مناحيم باروش « أعتقد باننا لن ننضم ابدا ، ولا أعتقد ان احدا يمكن ان يقترح علينا امرا كهذا . فاذا كان المفدال لا يستطيع الانضمام الى الائتلاف بسبب قضايا الدين والدولة ، فكيف يمكن ان ننضم نحن الى ائتلاف كهذا ! » (ر.١٠١٠ — ٧٤/٢/٦ ، ملحق ٤٥٥).

أما الاحرار المستقلون وحركة حقوق المواطن فانهم وان كانوا لا يضيرهم الدخول في ائتلاف مع المفدال والجبهة الى جانب المعراخ في حالة عدم خضوع الاخير لمطالب المتدينين الدينية فانهم في نفس الوقت على استعداد لتشكيل ائتلاف مقلص مع المعراخ اذا وافق المعراخ على ذلك .

القضايا الاخرى

أما بالنسبة للقضايا الاخرى مثل السياسة الاقتصاديــة والاجتماعية ، ومســألة اقامة لجنة وزارية لشؤون الامن القومي ، وتقليص عـــدد الوزارات فانه يبدو انها لن تشكل عائقا أمـــام امكانية تشكيل الحكومة ، حيث ان المعراخ أبدى استعداده لطرح موضوع اقامة لجنة وزاريـــة لشؤون الامن ومجلس للامن القومي على الحكومة الجديدة لتتخذ قرارا بشأنهما . ومن المعلوم ان هذين المطلبين يقف وراءهما كل من المفدال والاحرار المستقلين .

أما بالنسبة للمواضيع المتعلقة بالسياســـة الخارجية والامنية فيبدو ان هناك اتفاقا حول الخطوط الاساسية للحكومة الحالية ، بما في ذلك قرارات الحكومة والكنيست بهذا الخصوص مثل تأييد قرار ٢٤٢ بناء على التفسير الاسرائيـلي للقرار ، وقرار وقف اطلاق النار ، وفك التحام القوات على الجبهة المصرية ومسألة الاشتراك في مؤتمر جنيف واسكان وتطوير القدس . وقد صرح سكرتير المفدال ان لحزبه تحفظا حول قضـــايا السياسة الخارجية والامنية وهو ان حزبه لا يوافق على التنازل عن السيادة الاسرائيلية على الضفة الغربية ولذلك فقد تقرر انه يحق للمفدال ان يتصرف حسب رغبته في حال اتخاذ الحكومة قرارا بالتنازل او الانسحاب . كما اتفق على اعطاء المفدال حق الادلاء ببيان حول هذا الموضوع في الكنيست (ر.١٠١٠ — ٧٤/٢/٧ ، ملحق ٤٥٦). ورغم موقف المفدال هذا ، فان حزب العمل لا يعتبر ذلك امرا ملحا يتطلب الحسم حيث ان الحزب ذاته لم يتخذ بهذا الشأن قرارا واضحا يتعـدى عموميات الموقف الاسرائيلي الرسمي بهـــــذا الخصوص ، ذلك الموقف الذي يحظى ايضا بتأييد الاحرار المستقلين وكافة أجنحة حزب العمل . ومع هذا فان هذه القضية تبقى بمثابة قنبلـة موقوتة في جسم الحكومة الاسرائيلية اذا ما شارك المتدينون على اختلافهم فيها .

عقـدة العقـد !

أما عقدة العقد في المفاوضات الائتلافية فكانت كما سبق وأشرنا في البداية ، مسألة تعديل قانون « من هو اليهودي » وبعض المسائل الاخـرى المتعلقة بالشؤون الدينية مثل تشريح الامـوات والعمل يوم السبت وتجنيد الفتيات للجيش ونشاط المبشرين ، غير ان هذه القضايا الاخيرة غـــير مستحيلة ويمكن ايجاد تسوية فيها بشكل او بآخر. والخلاف حول مسألة « من هو اليهودي » يكمن في مطلب الفئات الدينية بان يضاف الى القانون

المتعلق باعتناق الدين اليهودي جملة « حسب أصول الشريعة » . وهذه الجملة تمنح المحاكم الدينية او المؤسسات الدينية المخولة وحدهـا صلاحية الاعتراف بشرعية يهودية او عدم يهودية أي كان . هذا الامر يلقى معارضة شديدة من بعض الفئات اليهودية داخل اسرائيل وخارجها وبالذات الحركة الاصلاحية في الولايات المتحدة .

مشـاريع حلول

لقد تقدمت جميع الكتل المرشحة للاشـتراك في الائتلاف مع المفدال بما فيها حزب العمل باقتراحات لايجاد مخرج لهذه القضية ، لكن المفدال حتى كتابة هذه السطور رفض جميع هذه المقترحات . وقد اقترح الاحرار المستقلون تجميد جميع مشاريع القوانين حول المواضيع الدينية وغيرها من التي ما زال الاختلاف عليها قائما منذ أكثر من عام . وقد أوضح وزير السياحة موشي كول تنازل حزبه في هذا المضمار حين أشار الى قرار مؤتمر حزبه الداعي الى عدم المشاركة في أية حكومة اذا لم يتمكن الحزب من المبادرة لانجاح مشروع قـانون « هاوزنر » الداعي الى اتباع الزواج المدني لمن ليس بامكانهم عقد قرانهم حسب الشريعة . وفي مناسبة اخرى أعرب عضو الكنيست جـدعون هاوزنر (الاحرار المستقلين) عن استعداد حزبه لتأجيل مشروع القانون المعروف باسمه لمدة عام رغم ان مؤتمر الحزب أقر عدم تأجيل المشروع .

أما سكرتير عام حزب المابام مئير تلمي فقـد أعرب عن استعداد حزبه لطي جميع مطالبه بهذا الخصوص اذا فعل الباقون نفس الشيء ، واقترح عدم السماح لاي كان بطرح أية مبادرات او اقتراحات حول قضايا الدين والدولة الى حين انتهاء المفاوضات في جنيف واضاف تلمي قائلا : « هناك امكانيتان : اما ان نوافق جميعا على عدم تقديم مبادرات في الوقت الحاضر او ان نتفـق جميعا انه من حق كل منا حسب ادراكه ان يطرح في الكنيست ما يراه مهما في الوقت الذي يراه مناسبا » (ر.١٠١٠ — ٧٤/١/٣٠ ، ملحق ٤٤٩). وهذا يعني تجميد الوضع الراهن او اتاحة فرصة المبادرة لجميع الشركاء في الائتلاف .

وقد ناشدت جولدا مئير في رسالة وجهتها الى الكتل المشتركة في المفاوضات الئتلافية اقامـــة حكومة على اساس ما اتفق عليه بالنسبة للسياسة الاقتصادية والاجتماعية ، وعلى اساس الوضع الراهن فيما يتعلق بالشؤون الدينية ، أما بالنسبة لقضية التهويد حسب الشريعة فقد اقترحت مئير تأجيل الموضوع لمدة عامين .

وعلى أثر رفض المفدال لهذا الاقتراح تقـدم عضو الكنيست حاييم تسادوك (العمل) باقتراح يدعو الى تشكيل لجنة وزارية باشتراك جميع الاطراف ، تحاول خلال عامين ايجاد حل ، وذلك بالتنسـيق مع التيارات الدينية اليهودية الثلاثة . لكن المفدال رفض ذلك وطالب بشـطب عبـارة التيارات الدينية الثلاثة لان ذلك يعتبر اعترافـا بالتيار الاصلاحي . وقد طالب المفدال بالمقابل اقرار مطلبهم بان الاعتناق يتم حسب الشريعة طبقا لمطلبهم الاساسي ريثما يتم التوصل الى ايجاد حل تشريعي للمسألة .

أمـا الجبهة الدينيـة التوراتية فترفض مجرد ان تبحث هذا الموضوع هيئة علمانية كالكنيست .

وبناء على هذه المواقف جميعا وبالذات فيما يتعلق بمسألة « من هو اليهودي » فقد توقفت المفاوضات الائتلافية اثر انسحاب حركة حقوق المواطن ومن ثم المفدال واعلان الاحرار المستقلين بأنه ليس لديهم ما يقدمونه وانهم بانتظار مـا سيتقدم به المعراخ والمفدال من اقتراحات تسوية لتقرير موقفهم . وصرح سكرتير حزب الاحـرار المستقلين اثر انسحاب حركة حقوق المواطن مـن المفاوضات الائتلافية بأنه يحتمل ان يجد حزبه نفسه خارج الائتلاف اذا ما رضخ المعراخ للمفدال. وفي مثل هذا الجو طرحت امكانية تشكيل حكومة مقلصة بدون المتدينين ، الامر الذي لا يرغب فيه المعراخ . وقد رد سكرتير حزب العمل على هذا الاقتراح بقوله : « لا استطيع ان ادلي بأي موقف رسمي ، فينبغي اولا ان تجري مشاورات رسمية بين زملائنا في لجنة المفاوضات ومؤسسات الحزب، ولذلك لا أستطيع الان ان ادلي بجواب رسمي على هذا السؤال . وانا شخصيا اعتقد ان من واجبنا تأليف حكومة وليس ثمة مبرر للخشية من تأليف حكومة مقلصة لديها خطوط أساسية متفق عليها . وان الانتخابات ينبغي ان تعقد عندما يحين وقتها وليس قبل ذلك » (ر.١٠١٠ — ٧٤/٢/١٣ ، ملحق ٤٦١) .

هاني عبدالله

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

لا يزال التوتر العسكري مخيما على الشرق الاوسط ، ولا تزال حالة الحرب الكامنة سائدة في المنطقة ، رغم الجهود الدولية المبذولة لازالة كل توتر ، ورغم بداية الانفراج التي ظهرت مع توقيع اتفاق فصل القوات على الجبهة المصرية في ١٨ كانون الثاني عند الكيلو ١٠١ . ومن الطبيعي ان تحتل الانباء العسكرية مكانة هامة في مثل هذا الجو المتوتر . ومن هذه الانباء : ١ — الغاء الحظر البريطاني على شحن الاسلحة الى الشرق الاوسط، وما يؤدي اليه هذا الالغاء من احتمال تجديد شحن الاسلحة البريطانية الى الاردن . وامكانية تزويد اسرائيل برادارات متطورة ، وبذخيرة دبابات السنتوريون وقطع غيار هذه الدبابات ، بالاضافة الى ثلاث غواصات يجري بناؤها حاليا لحساب اسرائيل . واحتمالات حصول مصر والسعودية والكويت وليبيا على بعض الاسلحة والمعدات البريطانية ، وخاصة طائرات الهليكوبتر ، ٢ — ازدياد حدة حرب الجنرالات في اسرائيل ، وتبادل الاتهامات داخل المؤسسة العسكرية وخارجها ، وخاصة بالنسبة الى أخطاء الايام الاولى للحرب ، والتردد بعد ابتداء خرق الدفرسوار ، والانسحاب من الضفة الغربية للقناة بناء على اتفاق فصل القوات ، ٣ — دخول فرنسا الى الشرق الاوسط كدولة منافسة للولايات المتحدة وللاتحاد السوفياتي في مجال تزويد الدول العربية بأحدث الاسلحة والمعدات الحربية ، مقابل الحصول على مركز اقتصادي متميز يعرض فرنسا اليوم لانتقادات حلفائها في السوق الاوروبية المشتركة ، وينذر باحتمال قيام تجمع اوروبي مناوىء لفرنسا،واحتمال تعرض فرنسا « لواترلو » اوروبية جديدة ، ٤ — ارتفاع ميزانية الدفاع المصرية من ١٧٣٧ مليون دولار في عام ١٩٧٣ (ميزان القوى ، ١٩٧٣ — ١٩٧٤) الى ٣ مليارات من الدولارات في عام ١٩٧٤ ، من اصل الميزانية الجديدة التي ستصل الى ٥ر١٠ مليارات من الدولارات (انترناشونال هيرالد تريبيون ٢٢ — ١٩٧٣/١٢/٢٣). ٥ — تأكيد الولايات المتحدة الاميركية على رغبتها في استمرار تقديم المنح العسكرية للاردن ، وفق برنامج المساعدات العسكرية الذي تبلغ مدته ٣ سنوات ، وتصل قيمته الى ١٢٠ مليون دولار ، ويضم عددا من الدبابات والمدفعية والمعدات الحربية الاخرى بالاضافة الى سربين (٣٢ طائرة) من طراز « ف — ٥ ي » نورثروب تايغر الاميركية . ومن الواضح ان هذه المساعدة العسكرية الهزيلة عاجزة عن المساهمة الفعلية في تعديل ميزان القوى العربي — الاسرائيلي ، ولا تعادل ، خلال ثلاث سنوات ، سوى « عشر » المساعدة العسكرية الاميركية لاسرائيل بعد حرب تشرين الاول ، الامر الذي يكشف الاهداف الحقيقية الكامنة وراء شحن الاسلحة الاميركية الى الاردن ، ٦ — تأكيد الاميرال توماس مورر ، رئيس هيئة الاركان المشتركة للولايات المتحدة الاميركية ، بأن سورية حصلت مثل مصر على صواريخ « سكود » السوفياتية بعيدة المدى (حوالي ٣٠٠ كيلومتر) ، القادرة على ضرب جميع المراكز الاهلة بالسكان في اسرائيل (رويتر ، ٧٤/١/١٠) . ومن المعروف ان هذه الصواريخ معدة لحمل رأس تقليدي او رأس نووي . بيد ان انباء وزارة الدفاع الاميركية تشير الى ان الصواريخ الموجودة في مصر وسورية مزودة برأس حربي تقليدي فقط .

وتبدو جميع هذه الانباء العسكرية هامة ووثيقة الصلة بالصراع العربي — الاسرائيلي ، وهي تستحق الكثير من العناية والانتباه ، ومزيدا من الدراسة والتحليل ، ولكن اتفاق فصل القوات على الجبهة المصرية ، والوضع العسكري السائد على الجبهتين المصرية والسورية منذ يوم الجمعة ١٨/ ١٩٧٤/١ ، يبقى أهم الاحداث العسكرية ، واكثرها تأثيرا على مسار الصراع العربي — الاسرائيلي ومصيره ، وعلى طبيعة العلاقات بين البلدان العربية والعالم الخارجي ، وطبيعة العلاقات العربية — العربية نفسها .

والحقيقة ان توقيع اتفاق فصل القوات كان بداية مرحلة جديدة من مراحل الحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة ، التي استخدم العرب فيها ، وبنسب متفاوتة ، الاسلحة العسكرية والاقتصادية والسياسية والنفسية . وأخذت طوال الشهور الخمسة الماضية اشكالا متباينة الحدة . ومرت بعدة مراحل ، بدأت في ٦ تشرين الاول ولم تنته بعد ، ولا ينتظر ان تنتهي ، قبل ان تركع ارادة احد الطرفين امام ضغط الطرف الاخر ، الذي

يصبح عندئذ قادرا على اقتطاف ثمار هذه الحرب، وتحقيق اغراضه السياسية المعلنة والخفية .

ولقد انعكست اهمية الاتفاق على ردود الفعل الناجمة عنه على الصعيدين العربي والعالمي . وكانت ردود الفعل هذه ، منذ البداية ، متباينة مختلفة ، يصل التباين فيها الى حد التناقض . فلقد هاجمت بغداد الاتفاق ، ونعتته بأنه « صيغة مهينة » ، ورأت انه يكرس الاحتلال ، ويمزق جبهة النضال العربي، ويوجه الضربات الى حركة الثورة العربية ، ودعت الجماهير العربية في صحيفة « الجمهورية » الى التصدي بكل اصرار لهذا الاتفاق الذي وصفته بأنه لا يساوي شيئا بالنسبة الى المناضلين الذين صمموا على « تحرير كل شبر من ارضهم المغتصبة » . ووصفت وكالة الصحافة الجزائرية الاتفاق بأنه حل جزئي، وانتصار للولايات المتحدة واسرائيل . واعتبرت دمشق ان الاتفاق قد خلق وضعا جديدا ، وان القيادة السياسية السورية تقوم بدراسته وتحديد النتائج التي قد تترتب عنه . ولم تخل مواقف منظمات الثورة الفلسطينية من التباين والتمايز ازاء هذا الحدث (انظر شهريات : المقاومة الفلسطينية) .

والى جانب هذا الموقف المعارض بشكل علني أو شبه علني ، فقد وقفت الكويت موقفا مترقبا ، وأعلنت على لسان عبد العزيز حسين وزير الدولة « بأن موقف الكويت لم يتغير » وانها تطالب بتحرير الاراضي العربية وضمان حقوق الشعب الفلسطيني و « ان الكويت تثق ببلدان المواجهة ، وما زالت مقتنعة بان كل بادرة تتخذها هذه البلدان لا يمكن ان تتم على حساب حقوق العرب الشرعية » . وقالت اذاعة المملكة العربية السعودية في الرياض بأن الاتفاق يمكن ان يكون اول علامات الطريق نحو حل عادل ومنصف ، اذا ما طبق بحسن نية من جانب المسؤولين في تل ابيب .

واعتبرت مصر الاتفاق انتصارا عربيا ، ووصفه بيان الامانة العامة للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي (٧٤/١/١٩) بأنه « سيكون فاتحة للتحرير الكامل » لكل الاراضي العربية المحتلة . ووقف راديو صنعاء مع الاتفاق واعتبره ضرورة ملحة لتفادي مضاعفات الاشتباكات التي كانت تهدد بانفجار عسكري تنتهي معه كل الجهود المبذولة للتوصل الى حل سلمي . ورحبت صحيفة « الرأي » الاردنية الناطقة باسم الاتحاد الوطني العربي (التنظيم السياسي الوحيد المسموح به في الاردن) واعتبرت ان ايقاف النزيف الدموي على قناة السويس هو بحد ذاته انجاز .

أما في داخل اسرائيل ، فقد انقسم الرأي العام الى قسمين ، فوقف انصار تجمع « المعراخ » الحاكم مع الاتفاق ، على حين وقف انصار تجمع « ليكود » ضده بشدة ، وهاجموه بعنف داخل الكنيست وخارجها . فلقد هاجم الزعيم الارهابي مناحيم بيغن الاتفاق امام الكنيست (٧٤/١/٢٢) واعتبره « استسلاما » و« انسحابا من جانب واحد » ، وانه لا يمثل تخفيضا للقوات بل تخفيضا لامن اسرائيل . واعلن شارون استقالته من الجيش ليتسنى له مهاجمة الاتفاق في الاوساط السياسية . وقال في مؤتمر صحفي عقده بتاريخ ٢٠ من الشهر الحالي (و.أ.ف) « اننا لم نتخل فقط عن قناة السويس التي تمثل مانعا عسكريا هائلا ، ولكن ايضا عن خط المرتفعات الذي يقع على الضفة الشرقية على بعد ٨ او ١٠ كيلومترات من القناة ، وهو الخط الوحيد الذي يستطيع حمل هذا اللقب في سيناء » . ووصف خط المرات الذي ستنسحب اليه القوات الاسرائيلية بأنه « خدعة » لانه لا يغطي كل سيناء ، ويضعف موقف الجيش الاسرائيلي اذا ما تمركز عليه . واعتبر التخلي عن جيب الدفرسوار خسارة كبيرة لورقة عسكرية رابحة يمكن استخدامها للحصول على مكاسب سياسية .

ولقد دافعت غولدا مئير عن الاتفاق امام الكنيست في ٢٢ من الشهر الحالي . وقالت بأن اسرائيل اضطرت الى قبوله لانه لم يكن امامها من بديل سوى « العودة الى الحرب » مع مصر . وانه لا يشكل « هدنا » في حد ذاته وانما هو « خطوة » نحو سلام دائم . وسار وزير دفاع العدو على المنوال نفسه عندما قال أمام الكنيست ردا على هجوم بيغن : « ليس هناك احتمال للتوصل الى اتفاق نهائي مع مصر على اساس الخطوط التي أشعر انها ستعطي الامن لاسرائيل . واذا كنا لا نستطيع الحصول على اتفاق أفضل فلا بد ان نسأل ... ما هو البديل ؟ انه ليس عندي شك في ان الموقف الحالي كان سيؤدي عاجلا او آجلا الى اندلاع الحرب » . ثم اضاف بأنه لا يعتقد ان مثل هذه الحرب ستؤدي الى السلام مع مصر .

وهاجم أصحاب فكرة البقاء على الضفة الغربية للقناة ، وقال بأن هذا البقاء قد يحقق انتصارا براقا ، ولكنه سيؤدي الى حرب دائمة « لذلك كان لزاما علينا ان نبحث عن حل آخر لا يعرض أمن اسرائيل للخطر ، وينهي حالة الحرب ، ويشكل خطوة على طريق استقرار الموقف والتعايش، ثم على طريق السلام . ويتجاوب اتفاق الفصل بين القوات مع كل هذه الشروط » (الاهـرام ٧٤/١/٢٣) .

واذا انتقلنا من ردود الفعل المحلية الى ردود الفعل العالمية، وجدنا ان عددا من الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية «مرتاحة» جدا لما تم الاتفاق عليه، على حين تربط الدول الاخرى — الاوروبية بصورة خاصة الاتفاق كحل « تقني — عسكري » مع الانسحاب الكامل وضمان حقـوق الشعب الفلسطيني كمقدمة لحل سياسي دائـم وعادل . اما الاتحاد السوفياتي ، فهو يؤيد الاتفاق بتحفظ. ولقد أعلن على لسان وزير خارجيته اندريه غروميكو (٧٤/١/١٩) ان ازالـة خطـر تجـدد الاشتباكات المسلحة في المنطقة لا يمكن ان يتم الا على أساس: الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة، وضمان حقوق الشعب العربي الفلسطيني . ويمكن اعتبـار هذا التصريح امتدادا للموقف السوفياتي المعلن منذ حرب ١٩٦٧ ، وتأكيدا لموقف موسكو الذي لم يتبدل طوال ست سنوات، والذي يتلخص بعدم الموافقة على أي حل يضمن اقل مما يقبل به العرب .

وسط هذا الجو المحيط بالاتفاق ، بدأت القاهرة حركة سياسية نشطة لشرح وجهة نظرها داخليا وخارجيا . وتمثلت الحركة الداخلية في مناقشات القيادات السياسية والشعبية في مصر على جميع المستويات . أما على الصعيد العربي ، فقد بدأ الرئيس أنور السادات جولته التي استغرقت من ١/١٨ الى ١/٢٢ ، وزار الرئيس السادات فيها السعودية وسورية والكويت والبحرين وقطر وابو ظبي والجزائر والمغرب، واجرى مباحثات مـع الزعماء العرب شرح خلالها المفهوم المصري للاتفاق، وأكد المبادىء التي تلتزم بها القاهرة في المرحلة التالية. وفي الوقت نفسه تحرك مبعوثو الرئيس السادات، الدكتور محمد حسن الزيات، والدكتور مراد غالب، والدكتور حسن صبري الخولي، لتغطية بقية اقطار الوطن العربي (باستثناء الاردن) ، وشرح الموقف المصري في العواصم العربية . وتمثل التحرك الاساسي على الصعيد الدولي بسفر اسماعيل فهمي وزير الخارجية المصري الى موسكو، واجتماعه مع وزير الخارجية السوفياتي اندريـه غروميكو ، ورئيس وزراء الاتحاد السوفياتي ليونيد بريجنيف بغية تبادل وجهات النظر مع الـدولة الكبرى الحليفة .

ولقد ارتكزت الحملة السياسية المصرية على عدة محاور أهمها :

١ — ان الاتفاق عسكري بحت ، وبدون أية أبعاد سياسية .

٢ — ان انسحاب القوات الاسرائيلية مـن الضفتين الشرقية والغربية يحسن وضع الجيش المصري ويجعله أقدر على الحركة في المستقبل .

٣ — ان تحديد حجم القوات المصرية شرقي القناة بثماني كتائب مشاة (٧ — ٨ آلاف رجل) ، و ٣٠ دبابة ، و ٦ بطاريات مدفعية (٣٦ مدفعا)، لا يؤثر على قدرة مصر الهجومية نظرا لان بوسع الجيش المصري نقل القوات الى سيناء بسرعة عند اللزوم، خاصة وان جميع المعابر ستبقى بيد مصر وتحت حماية شبكة الصواريخ أرض — جو .

٤ — ان فصل القوات على الجبهة المصرية سيعقبه فصل للقوات على الجبهة السورية . وان العودة الى جنيف مرهونة بفصل القوات عـلى الجبهة السورية ، وحضور المؤتمر من قبل كافة الاطراف العربية المعنية ، بما في ذلك ممثـلو الشعب الفلسطيني (أي منظمة التحرير بصفتها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني) .

٥ — ان مصر مصممة على رفض أي حل لا يضمن الانسحاب الكامل من جميع الاراضي العربية المحتلة في حرب ١٩٦٧ ، ولا يؤمن حصول الشعب الفلسطيني على كامل حقوقه .

٦ — ان القاهرة مصممة على عدم الانفراد بحل سياسي ، وعلى عدم توقيع أي صلح منفرد مع العـدو .

٧ — ان القوات المسلحة المصرية ستعود الى القتال اذا ماطلت اسرائيل في تنفيذ البند الخاص بالانسحاب ، وفق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

٨ — ان مصر ترفض العودة الى حالة اللاحرب واللاسلم التي سادت منذ نهاية حرب الاستنزاف حتى ٦ تشرين الاول ١٩٧٣ .

٩ — تبقى مسائل فتح قناة السويس ، وتعمير سيناء ، واعادة اسكان مدن القناة ، مسائل مصرية بحتة لا تخضع الا للارادة المصرية .

١٠ — ان مسألة تخفيف القيود البترولية العربية مرتبطة بتقدير الدول العربية لمواقف كل دولة على حدة ، وبخطوات الانسحاب الاسرائيلي الفعلي .

وفي الفترة التي تلت توقيع اتفاق فصل القوات، ونشطت فيها مصر سياسيا لشرح هذا الاتفاق ، جرت عند الكيلو ١٠١ اجتماعات عسكرية دامت حتى يوم ٢٤ كانون الثاني حيث تم التوقيع على الخطة الكاملة لعملية فصل القوات ، في خيمة الامم المتحدة عند الكيلو ١٠١ وتحت اشراف الجنرال انسيو سيلاسيفو قائد قوات الطوارىء الدولية .

ولقد حددت الخطة ان يتم انسحاب كبد قوات الجيشين الثاني والثالث من الضفة الشرقية الى القناة ، بما في ذلك قواعد الصواريخ ارض — جو اعتبارا من يوم ١/٢٩ (الجيش الثاني) و٢/١ (الجيش الاول) ، في الوقت الذي يتم فيه انسحاب القوات الاسرائيلية من الضفتين الغربية والشرقية، والتراجع حتى خط الممرات (جدي ومتلا والختمية) بعد ترك قوة مماثلة للقوات المصرية في المنطقة المحصورة بين خط الممرات وخط يقع على بعد ٨ — ١٠ كيلومترات غربي خط الممرات .

وكانت خطة الانسحاب الاسرائيلي مقسمة الى مرحلتين . تبدأ اولاهما في الساعة ١٢ من يوم ٢٥ كانون الثاني ، وتنتهي في مساء يوم ٢١ شباط ويتم خلالها انسحاب القوات الاسرائيلية من الضفة الغربية لقناة السويس . ثم تبدأ الثانيـــة في السادسة من صباح ٢٢ شباط، وتنتهي في السادسة من صباح ٥ آذار ، ويتم خلالها انسحاب القوات الاسرائيلية العاملة على الضفة الشرقية الى الخط المحدد غربي الممرات . وعندما تتم عملية الانسحاب المصري والاسرائيلي ، تقف القوات المصريـــة « المحدودة » على خط يبعد ٨— ١٠ كيلومترات شرقي القناة، وتقف القوات الاسرائيلية «المحدودة» على خط يبعد ٨ — ١٠ كيلومترات غربي خـط الممرات ، ويبقى بين الخطين « منطقة عازلة » خاضعة لقوات الطوارىء ، عرضها ٨ — ١٠ كيلومترات . وتكون مهمة قوات الطوارىء الدولية الفصل بين القوات ، واجراء التفتيش اللازم لمراقبة حجم القوات المصرية الموجودة بين قناة السويس وخط التمركز المصري ، وحجم القـوات الاسرائيلية الموجودة بين الممرات وخط التمركز الاسرائيلي .

ولقد بدأ الانسحاب المصري والاسرائيلي بالفعل وفق الجدول الزمني المحدد . وروقبت عمليـة الانسحاب المزدوج بواسطة الاقمار الصناعيـة الاميركية (فيغارو ٨—٧٤/٢/٩). ونقل الاسرائيليون قواتهم عن طريق البر ، واستخدموا السـفن والطائرات للاسراع بالانسحاب ، وكانت قوات الطوارىء الدولية تدخل المناطق التي يتم الانسحاب منها ، ثم تسلمها الى القوات المصرية بعد ٦ ساعات . وتمت عملية الانسحاب الاسرائيلي من الضفة الغربية على ثلاث مراحل : ١ — الانسحاب من جبل عتاقة ، والادبية ، ومشارف السويس ، واخلاء المنطقة الواقعة جنوبي طريق السويس — القاهرة ، خلال ٣ ايام انتهت في الساعة ١٢ ظهر يوم ٢٨ كانون الثاني ، ٢ — الانسحاب حتى فايد خلال ٨ ايام انتهت في يوم ١٣ شباط ، ٣ — الانسحاب حتى من فايد وابي سلطان والدفرسوار، واخلاء جميع المناطق المحتلة غربي القناة خلال ٩ ايام انتهت في ٢١ شباط . ولم يعرقل عملية الانسحاب أي حادث او اشتباك ، وكان من الممكن ان تتم بسرعة أكبر لولا تعطلها ايام السبت ، بسبب تعليمات كبير الحاخامين في اسرائيل شلومو جورين القاضية بحظر القيام بتحرك القوات يوم السبت . ولقد قامت القوات الاسرائيلية بسحب قسم من معداتها فقط ، ونسفت القسم الاخر الذي يصعب نقله ، كما عمدت الى نسف جميع الملاجىء والمواقع التي اعدتها خلال فترة وجودها غربي القناة . وبالرغم من تصريحات الاسرائيليين بان قواتهم المنسحبة باتجاه خطوطها الجديدة غربي الممرات ستقف على خطوط مؤقتة ، فان مراقبي الامم المتحدة يذكرون بان الاسرائيليين ينوون بناء خط دفاعي جديد عند الممرات يشبه خط بارليف ، ويقومون باجراء الحفريات ، وزرع الالغـام ، وتشييد التحصينات اللازمة لهذا الخط .

وفي الوقت نفسه ، انسحبت قوات الجيشين المصريين الثاني والثالث الى الضفة الغربية . وتم اتصال قوات الجيش الثالث الموجودة في مدينة

السويس وعلى الضفة الشرقية للقناة مع قوات الجيش الثالث التي كانت موجودة غربي القناة ، وفتح طريق القاهرة — السويس ، وبدأ التخطيط لتنظيف القناة واعادة تعمير مدن القناة التي تعرضت للدمار خلال حرب الاستنزاف وحرب ١٩٧٣ . ولقد اثار الاسرائيليون خلال الانسحاب مسألة وجود ٤ قواعد صواريخ مصرية ارض — جو على الضفة الشرقية ، واصروا لا على انسحابها الى الضفة الغربية فحسب ، بل على ضرورة ابعاد قواعد الصواريخ المصرية ارض — جو عدة كيلومترات عن الضفة الغربية نفسها ، حتى لا تكون قادرة على عرقلة حرية حركة الطيران الاسرائيلي فوق منطقة الممرات. ورافق اصرار الاسرائيليين الاشارة الى ضرورة أخذ الضمانات الكافية بعدم قيام المصريين في المستقبل بتقديم قواعد الصواريخ ارض — جو ، كما حدث بعد توقف حرب الاستنزاف في عام ١٩٧٠ ، عندما دفعت مصر قواعدها على الضفة الغربية بشكل هدد حرية حركة طيران العدو على شريط عريض (٢٠ — ٢٥ كيلومترا) على طول قناة السويس (ر.١٠١٠ ، عدد ٤٥٢) .

وبوسعنا ان نسجل بالنسبة لقرار فصل القوات على الجبهة المصرية ، وتنفيذ هذا القرار الملاحظات العسكرية التالية :

اولا — انانسحاب القوات الاسرائيلية الىحدود المرتفعات يعني بالنسبة الى مصر عدة مكاسب أهمها تخفيف الضغط عن مؤخرة الجيش الثالث دون قتال ودون خسائر ، مع ان استخدام السلاح لتصفية الجيب الاسرائيلي على الضفة الغربية للقناة، وتدمير الرهينة « الشارونية » كان ممكنا بل واكثر من ممكن ، ولكنهلا يمكن ان يتم دون التعرض للخسائر . كما ان وصول القوات المصرية الى خط المرتفعات الاول ، الممتد على محاذاة القناة (على بعد حوالي ١٠ كيلو مترات) ، يعني تقصير الجبهة مع العدو ، وجعلها على خط مستقيم ، وتأمين قاعدة انطلاق جيدة لهجوم مقبل. بيد ان هذا الانسحاب يؤمن في الوقت نفسه تخليص ٦ الوية اسرائيلية من الفخ الذي اندفعت اليه ، وينقذ اسرائيل من حرب استنزاف طويلة منهكة ، ويخلص القوات الاسرائيلية من الاصابة « بمرض الخنادق » النفسي الذي انتشر بين جنودها على الضفة الافريقية للقناة .

ولقد اشار مؤيدو اتفاق فصل القوات فياسرائيل الى أهمية هذه النقطة التي تضمن انتهاء حرب الاستنزاف الجديدة المنهكة . وتحدثت غولدا مائير عنها عندما دافعت عن الاتفاق امام الكنيست . وفي يوم ١٩ قال ايغال الون في حديث مع المراسل السياسي لاذاعة اسرائيل ان البقاء في الضفة الغربية لفرض الشروط على مصر كان يعني «العودة الى حرب استنزاف من شأنها ان تتدهور وتصبح حربا شاملة ». (ر.١٠١٠ ، ملحق عدد ٤٤١). ولم يقتصر الاهتمام بانهاء حرب الاستنزاف على القادة الاسرائيليين بل شمل مواطني وجنود العدو الذين استقبلوا الاتفاق بارتياح بالغ . وتذكر وكالات الانباء ان ملل الاسرائيليين من حالة التعبئة الطويلة بلغ حدا بعيدا انعكس على اغانيهم الجديدة التي تتسم بالواقعية والرغبة في انتهاء الحرب والعودة الى الوطن ، على عكس اغاني ما بعد حرب ١٩٦٧ ، التي تتحدث عن القتال والنصر . ويذكر احد مراسلي اذاعة اسرائيل في يوم ١٩٧٤/١/٢٨ وهو يصف انسحاب القوات الاسرائيلية من منطقة السويس ، ان الجنود كتبوا على الدبابات والمصفحات والشاحنات شعارات عديدة مثل « سلام يا افريقيا ونرجو الا نلتقي ثانية » ، واخذوا ينشدون وهم في طريقهم الى سيناء نشيد « العودة الى المنزل » (ر.١٠١٠ ، ملحق عدد ٤٤٧) . وهذه ظاهرة نفسية ذات دلالات كبيرة ، فهي تؤكد أهمية الاستنزاف المادي — كما تؤكد اهمية عامل الزمن والحرب طويلة الامد في أي صراع عربي — اسرائيلي مقبل .

ثانيا — كما تستفيد مصر من تقصير الجبهة، فان الاسرائيليين يجدون في هذا التقصير ميزة جيدة . فسيقدم لهم وجودهم عند المرتفعات مزايا عديدة أهمها : القدرة على الحشد الهجومي وراء خط حصين . وامكانية تسريح جزء كبير من الاحتياطي (رجال وآليات) اللازم للحياة الاقتصادية.والقدرة على تجميد الوضع — دفاعيا على الاقل — بقوات بسيطة نسبيا واعادة المنطقة الى حالة اللاحرب واللاسلم . والقدرة على شن حرب هجومية ضد الجبهة السورية مع التمركز دفاعيا على خط المرتفعات لمجابهة الجيش المصري بقوات ووسائط نارية محدودة .

ولقد استغل الاسرائيليون فصل القوات منذ بداية المرحلة الاولى من الانسحاب ، فبدأوا

تسريح جنودهم الاحتياطيين ، واعادتهم الى الحياة المدنية . وكان العازر قد أعلن في يوم ١٨ كانون الثاني ، بعد توقيع اتفاق فك الارتباط : « سوف نقوم بتسريح عدد كبير من جنود الاحتياط بصورة تدريجية بعد تنفيذ الاتفاق ، بعد شهر ونصف او شهرين من اليوم » . (ر.١٠١٠ ، عدد ٤٤٠) . وصرح دايان في اليوم نفسه « انه يحتمل تسريح ٤٠ الف رجل في المرحلة الاولى » . وفي يوم ٢٤ من الشهر نفسه أعلن رئيس شعبة الطاقة البشرية في القيادة العامة (الشعبة الاولى) هرتسل شافير في مؤتمر صحافي عقده في تل ابيب انه « تم تسريح ٥٠ في المئة من جنود الاحتياط الذين خدموا في الجيش منذ نشوب الحرب » . (ر.١٠١٠ ، ملحق عدد ٤٤٤) . وهذا يعني ان الجيش الاسرائيلي اعاد الى الحياة المدنية بشكل فوري حوالي ١٠٠ الف رجل، قبل أن يمضي على توقيع اتفاق فصل القوات اسبوع واحد ، الامر الذي يؤكد الضغط الهائل الذي كان يخضع له الاقتصاد الاسرائيلي ، وحاجته الملحة الى القوى البشرية المعبأة داخل القوات المسلحة . وعلاوة على ذلك فقد أعلن شافير « انه بالاضافة الى المسرحين ، فان ثمة ٣٠ الف مواطن اعيدوا الى اماكن عملهم » ، وهذا يعني ان ٣٠ الف شخص ممن كانوا مضطرين الى البقاء بعيدا عن اعمالهم العادية ، للقيام بأعمال شبه عسكرية ، قد عادوا الى الحياة الطبيعية ليشاركوا في تسيير عجلة الاقتصاد شبه المتعطلة.

ثالثا — اذا كانت مصر لا تتضرر من تخفيف حجم قواتها الموجودة على الضفة الشرقية للقناة نظرا لقدرتها على دفع اعداد كبيرة من فرق المشاة والدبابات ووحدات الصواريخ ارض — جو المتحركة من طراز « سام — ٦ » عبر القناة تحت تغطية مظلة دفاع جوي فعالة (كما فعلت في الايام الاولى من حرب تشرين الاول) ، فان اسرائيل لا تتضرر كثيرا من تخفيف حجم قواتها الموجودة بين خطها الامامي في سيناء وخط الممرات ، نظرا لقدرتها هي ايضا على دفع عدد كبير من الفرق عبر الممرات ، تحت تغطية طيران قوي فعال ، أعادت الولايات المتحدة الاميركية له كل قدرته القتالية ، رغم الخسائر الفادحة التي اصابته في الجولة السابقة.

رابعا — ان وجود قوات الطوارىء الدولية بين الخطين المصري والاسرائيلي يفيد اسرائيل بشكل مؤكد . ذلك لان اسرائيل ، التي تبني قواتها المسلحة على أساس الاعتماد على الاحتياط الذي يجمع عند الضرورة ، تحتاج اكثر من مصر الى هامش زمني يسمح لها بجمع هذا الاحتياط وتعبئته وحشده ، خاصة وان القوات المسلحة المصرية مبنية على اساس الجيش العامل الموجود تحت السلاح ، والذي لا يتطلب هامشا زمنيا كبيرا للجمع والتعبئة والحشد . فوجود قوات الطوارىء الدولية ، واضطرار الطرف المهاجم الى ابعادها قبل الهجوم سيمنح اسرائيل هذا الهامش الزمني، وسينقذها من مفاجأة استراتيجية عربية ، على غرار مفاجأة ٦ تشرين الاول ، ولكنه لن يفيد القوات المصرية بالمستوى نفسه لان هذه القوات محتشدة دائما ومستعدة دائما للرد على المفاجآت. وبالاضافة الى ذلك ، فان اسرائيل تمثل دائما الطرف المتعنت ، المماطل ، المخادع ، الذي سيحاول استغلال دعم واشنطن لعرقلة مفاوضات جنيف . لذا فهي الطرف الذي سيستفيد من أي تجميد للوضع الراهن الجديد وراء ستارة من قوات الطوارىء الدولية ، كما ستستفيد من البقاء على المرتفعات الحصينة مع استمرار استثمار بترول الشاطىء الشرقي لقناة السويس، الذي يبلغ ثمنه (بعد ارتفاع سعر البرميل الى ١٣ — ١٧ دولارا) حوالي مليار دولار سنويا .

فاذا افترضنا ان اسرائيل ستبقى مخلصة لسياستها الصهيونية التوسعية ، وستماطل في الانسحاب — ولنا من تاريخ اسرائيل ما يدفعنا الى هذا الافتراض — وصلنا الى الاستنتاج بأن مصر قد تجد نفسها مضطرة للعودة الى القتال . ولن تستطيع القتال في هذه الحالة الا بعد ابعاد قوات الطوارىء الدولية ، وبعد اعطاء اسرائيل الفرصة لاعادة التعبئة والحشد . وهنا سيكون امام القوات المصرية ان تتقدم في اتجاه الشرق لتصطدم بخط المرتفعات الذي يمكن الدفاع عنه بقوات قليلة، او ان تتجه نحو الجنوب لتحرير الشاطىء الشرقي لخليج السويس واستعادة منابع النفط ، معرضة بذلك مؤخرتها وجناحها الايسر لضربة معاكسة اسرائيلية قوية . وستكون القوات الاسرائيلية — اذا تقدم المصريون شرقا — في وضع يسمح لها بالدفاع امام المصريين على خط المرتفعات ، وحشد كبد قواتها على الجبهة السورية لتسديد ضربة غير مباشرة الى مصر عن طريق القيام بضربة مباشرة

على الجبهة السورية . اما اذا تقدم المصريون جنوبا فستكون اسرائيل قادرة على تثبيت الجبهة السورية دفاعيا ، ونقل كبد قواتها المدرعة والميكانيكية الى غربي المرتفعات لضرب مؤخرة وميسرة القوات المصرية ، بالتعاون مع الطيران الذي سيحاول منع الحشود المصرية شرقي القناة من تهديد مؤخرة وميمنة القوات الاسرائيلية ، مع استخدام الطائرات بكثافة كبيرة ، على غرار استخدامها في حرب تشرين الاول،عندما منعت قوات الجيشين المصريين الثاني والثالث من تهديد مؤخرة ومجنبات المر الذي تسللت منه قوات شارون من سيناء الى الضفة الغربية .

خامسا — قدم رئيس اركان العدو دافيد اليعازر خلال مباحثاته مع اللواء عبدالغني الجمسي تعهدا باصدار التعليمات الى قواته بعدم تخريب المنشآت المدنية في المناطق التي تنسحب منها ، بعد ان أصر الجانب المصري على ذلك خلال المباحثات نتيجة للتجارب السابقة حيث قام الاسرائيليون ، وخاصة في حرب ١٩٥٦ ، بحرث الطرق وتدمير المنشآت والمصانع . ولقد ذكر العازر ذلك في مؤتمر صحافي عقده مع المراسلين العسكريين في يوم ١٩ من الشهر الماضي حين قال : « اننا هذه المرة لن نخرب ولن ندمر خلال انسحابنا ... وسوف نحترم الممتلكات المدنية سواء الطرق او الجسور ، لاننا نريد عودة الحياة الى طبيعتها في المدن والقرى على القناة (ر. أ.أ. ملحق ٤٤١) . ثم أكد اللواء الجمسي هذه النقطة في يوم ٢٤ عند اعلان الاتفاق (الاهرام ٧٤/١/٢٥) . وما أن بدأ الانسحاب حتى اعلنت وكالات الانباء (في يوم ٢٧) ان القوات الاسرائيلية « تنسف بعض المنشآت المصرية خلال انسحابها ». وبعد يومين اتهم اللواء احمد بدوي قائد الجيش الثالث الاسرائيليين بانتهاك اتفاق ينص على عدم نسف المنشآت المدنية لدى انسحابهم (الاهرام ٧٤/١/٣٠) .

ولم تقتصر التصرفات الاسرائيلية على تخريب المنشآت المدنية المصرية بل تجاوزتها الى عمليات النهب المنظم . فلقد ذكرت الصحف المصرية الصادرة في ١٩٧٤/٢/٤ ان اسرائيل نهبت حمولة البواخر الراسية في ميناء الادبية ، واستولت على قوارب هي ملك لهيئة قناة السويس . وذكرت صحيفة الاهرام (٧٤/٢/٤) ان الاسرائيليين أخذوا معهم محركات الباخرة السعودية الحمراء — ١ — التي كانت في طريقها الى الخليج ، وبين البضائع التي ذكرت الصحف المصرية انه تبين فقدانها في ميناء الادبية : ٥ الاف كيس من البن ، والف طن من الاسمنت ، و٤ الاف صندوق من الثياب ، واطعمة معلبة ، وعقاقير طبية ، وافران غاز ، واجهزة كهربائية كانت مرسلة الى الاردن واليمن والسعودية .

وكانت صحيفة الاهرام قد ذكرت ان القوات الاسرائيلية المنسحبة من الضفة الغربية فكت مصانع زيوت ومصانع كيماوية في مداخل مدينة السويس ، ونقلتها الى الاراضي الاسرائيلية . وان هذا العمل استغرق ١٥ يوما ، وتم تحت جنح الظلام (الاهرام ٧٤/١/٣٠) . وتدل هذه الوقائع على حقيقة الفهم الاسرائيلي لمسألة احترام التعهدات والاتفاقات ، كما تدل على طبيعة رأس الجسر « الحضاري » الذي مده العالم الغربي الى أرض العرب .

سادسا — سلم الاسرائيليون الىقوات الطوارىء الدولية مخططات حقول الالغام التي زرعوها على الضفة الغربية للقناة . وبدأ سلاح المهندسين المصري في ازالة الالغام من المناطق التي تم الانسحاب منها . وتذكر صحيفة « الفيغارو » الفرنسية (٧٤/١/٢٤) « ان هناك اكثر من ٧٥٠ الف لغم ستتركها القوات الاسرائيلية في منطقة القناة ، وسيتم ازالتها تدريجيا مع مراحل الانسحاب الاسرائيلي » . فما معنى هذا الرقم ؟

كان طول جبهة الجيب الاسرائيلي ، مع تعرجاته ، حوالي ١٠٠ كيلومتر تقريبا . ووجود ٧٥٠ الف لغم على هذه الجبهة يعني ان معدل الالغام كان ٧٥٠ الغام لكل متر من طول الجبهة. فاذا عرفنا ان معدل الالغام في الدفاع هو ٢ — ٣ الغام لكل متر ، وان معدل الالغام في الدفاع القوي جدا والدائم ، لا تتجاوز ٤ — ٥ الغام لكل متر الا نادرا ، تصورنا حالة القلق التي دفعت القيادة الاسرائيلية الى زرع ٧٥٠ الغام لكل متر لحماية قوات الجيب . وهذا ما يؤكد مقولة كررتها القيادة المصرية اكثر من مرة ، وهي أن قوات الجيب الاسرائيلي حددت الدفاع هدفا لها ، ولم يكن لها أية اهداف او قدرات هجومية ، ولم تكن قادرة على التهديد بل كانت على العكس مهددة، الامر الذي ينفي بالدليل المادي تبجحات شارون حول قدرة قواته على القيام بعمل حاسم ضد

القوات المصرية على الضفة الافريقية للقناة .

سابعا — لا يمكن النظر الى فصل القوات على الجبهة المصرية دون رؤية انعكاساته على الجبهة السورية التي تتداخل خطوط وقف القتال فيهـا الى حد كبير يؤدي الى تزايد الاشتباكات . ولقد أكد الرئيس انور السادات خلال زيارته لدمشق في ١٩٧٤/١/١٩ بأنه سيعمل من اجل فصل القوات على الجبهة السورية قبل البدء بأي عمل اخر وقبل العودة الى مؤتمر السلام . وعندما انتقل الرئيس المصري الى الكويت اعلن امام الصحافيين في مطار الكويت « ان مصر مرتبطة بسورية في اطار اتحاد الجمهوريات العربية ... وان مصر وسورية جبهة واحدة وتحت قيادة واحدة ... وان اي تهديد لسورية بعد الفصل بين القوات في الجبهة المصرية يعد تهديدا لمصر ايضا » . ثم عاد ليكرر ذلك في البحرين عندما وصف فصل القوات على الجبهة المصرية بأنه « خطوة عسكرية لتثبيت وقف اطلاق النار حتى نستطيع استئناف مؤتمر جنيف ... وان المرحلة الثانية هي الفصل بين القوات على الجبهة السورية . وعندما وصل الرئيس انور السادات الى ابو ظبي اعلن ان هناك تنسيقا كاملا بـين مصر وسورية وحركة المقاومة ، وان اكثر الامور الحاحا هي تحقيق فصل القوات على الجبهـة السورية حتى تذهب مصر وسورية والاردن وحركة المقاومة الى جنيف « باستراتيجية موحدة » . ثم ادلى في الجزائر (٢٢ — ١) والمغرب (٢٣ — ١) بتصريحات مماثلة حول فصل القوات على الجبهة السورية وترابط الجبهتين بشكل كامل .

ويبدو ان هناك اتفاقا مصريا — اميركيا علـى هذه النقطة . ولقد انتقل كيسنجر من أسوان الى دمشق عن طريق عمان ، وقابل المسؤولين فـي سورية يوم الاحد (٧٤/١/٢٠) واجرى مـع الرئيس السوري الفريق حافظ الاسد ومع وزيـر الخارجية عبد الحليم الخدام مباحثات مطولة حول فصل القوات ، وحمل المقترحات السورية الـى اسرائيل ، ولكنه لم يعد بعد ذلك الى سورية ولم يقم برحلاته المتعددة — على غرار رحلاته بـين اسوان واسرائيل — بل طار من اسرائيل مباشرة الى واشنطن ، الامر الذي يدل على أن وجهـات النظر السورية والاسرائيلية كانت متباعدة الى حد بعيد . ولقد اشارت رئيسة وزراء العدو امـام الكنيست في ٢٢ من الشهر الحالي الى ان كيسنجر لم يتمكن من ازالة العقبات امـام عقد اتفـاق لفصل القوات على الجبهـة السوريـة ، وان كيسنجر وعد مع ذلك بمتابعة جهوده فـي هذا السبيل .

وما أن سافر كيسنجر الى واشنطن حتى بدأت المحاولات العربية والدولية لتقريب وجهات النظر السورية والاسرائيلية حول فصل القوات. ويتمسك الاسرائيليون بضرورة حصولهم على لوائح باسماء الاسرى المحتجزين في سورية ، والسماح لمندوبي الصليب الاحمر بزيارتهم قبل اجراء اية مفاوضات وعلى أي مستوى مع سورية ، سواء تمت هذه المفاوضات مباشرة او عن طريق وسيط ، في جنيف او في اي مكان اخر . وتصر سورية على ضرورة اعتبار مسألة الاسرى واحدة من المسائل التـي سيجري بحثها خلال المفاوضات الرامية الى ايجاد حل دائم وعادل للازمة كلها .

وتجري محاولات تقريب وجهات النظر ، بانتظار عودة كيسنجر الى منطقة الصراع ، وسط جو متوتر مشحون برائحة البارود ، نظـرا لتكرر الاشتباكات على جبهة الجولان ، واحتمال تحولها الى حرب استنزاف حقيقية ، وتهديـد القادة الاسرائيليين بأنهم سيلجأون الى سلاحهم الجوي للرد على حرب الاستنزاف السورية . ويتصرف السوريون خلال هذا الحوار السياسي — العسكري بكثير من الثقة فهم يعرفون بأن طريق مؤتمر جنيف، الذي تسعى الدول العظمى الى عقده ، يمر من الجولان ، وان كل جهود كيسنجر لفصل القوات على الجبهة المصرية ستفقد قيمتها اذا لم يتم الفصل على الجبهة السورية ، كما يعرفون ان رفع الحظر البترولي عن الولايات المتحدة مرهون بانسحـاب اسرائيل من الاراضي العربية وباستعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه . وبالرغم من انكشاف الجبهة السورية بعد توقيع اتفاق فصل القوات علـى الجبهة المصرية فان القوات السورية موقنة بأن القاهرة لا تستطيع تركها وحيدة في الميدان ، اذا ما قررت اسرائيل تصعيد العمليات في الجولان . ولقد صرح الفريق اول احمد اسماعيل وزيـر الحربية المصري في ٧٤/١/١٨ في نداء وجهه الـى جميع تشكيلات ووحدات القوات اسلحة، بان مهمة افراد القوات المسلحة « لم تنته ولن تنتهي الا بتحرير ارضنا الكاملة » (الاهرام ٧٤/١/١٩) . وبعد عشرة أيام اعلن اللواء حسن جريدي رئيس

هيئة عمليات القوات المسلحة المصرية بأن المعركة مع العدو مستمرة حتى يتحقق الانسحاب الشامل» (الاهرام ١٩٧٤/١/٢٩) . وفي هذين التصريحين الواضحين انذار يفهمه قادة الجيش الاسرائيلي الذين لقنتهم حرب ١٩٧٣ كثيرا من الدروس القاسية حول القتال على جبهتين متناسقتين ، وصعوبة هذا القتال ومعضلاته .

ولا يستطيع الاسرائيليون اليوم المراهنات كثيرا على قوة ردع سلاحهم الجوي الذي اثبتت معارك تشرين الاول حساسيته ، وكشفت نقاط ضعفه ، كما ان وجود الصواريخ بعيدة المدى في مصر وسورية (اذا صحت انباء واشنطن) يعني بأن ضربات الطيران الاسرائيلية في العمق لن تبقى بدون رد صاروخي على اهداف في العمق . ولا يشكل الجيب الاسرائيلي في الاراضي السورية عاملا ضاغطا على السوريين نظرا لانه جيب محدود المسافة ، ومحاط بالقوات السورية من جميع جوانبه، ولا يهدد مؤخرة هذه القوات او مجنباتها، ولكن مؤخراته ومجنباته وخطوط مواصلاته مهددة على العكس بنيران مواقع السوريين وهجماتهم المعاكسة . ولا يسيطر الجيب الاسرائيلي على « مواقع حاكمة » او « مواقع مفتاح » ، ولا ينفتح على ارض مكشوفة تصلح لحرب الحركة بل ينفتح على العكس على ارض وعرة قليلة المسالك، تساعد على الدفاع وتحد من حرية المناورة الالية. لذا لا تشعر القيادة السورية بأن فصل القوات يستحق تقديم ثمن كبير او تنازلات ملحوظة ، وتعتبر ان تعرج خط الجبهة الحالي لا يؤثر عليها ، هذا ان لم يكن لصالحها ، وخاصة اذا ما قررت تنفيذ تكتيكاتها في « الجذب والضرب » .

*

لقد تم فصل القوات على الجبهة المصرية بشكل أسرع مما توقعه السوريون، ولا يزال هدير المدافع على الجبهة السورية يشد انظار العالم ، ويهدد الوضع الجديد بالانفجار ، ولا تزال قوى عالمية وعربية كثيرة تحاول دفع سورية الى مواقع « اكثر اعتدالا » وتهيئة الاجواء المناسبة لنجاح فصل القوات على الجبهة السورية ، ذلك الفصل الذي يحتمل ان يتم الاتفاق عليه ، خاصة وقد تحدد موعد زيارة كيسنجر الى الشرق الاوسط للقيام بجولته الرابعة في خدمة « السلام ! » العالمي .

المقدم الهيثم الايوبي

ملحق :
الدبابة الاميركية « م ــ ٦٠ » بعد حرب تشرين الاول

في ١٩٧٤/٢/٨ قال « يعقوب احي مئير » مراسل الاذاعة الاسرائيلية في الولايات المتحدة ، ان عضو مجلس الشيوخ الامريكي « توماس ايجلتون » قد ادلى بتصريحات تفيد « ان الدبابة م ــ ٦٠ تميل الى الاشتعال بسهولة ، لان جهازها الهيدروليكي خطر ، وان صفائح دروعها ليست سميكة كما يجب »(١) . واستطرد المراسل المذكور قائلا « ان اسرائيل تواصل شراء الدبابة الامريكية الحديثة « م ــ ٦٠ » ، على الرغم من التصريحات التي ادلى بها الشيخ توماس ايجلتون ... وان جيش الدفاع الاسرائيلي لم يغير رأيه بالنسبة لهذه الدبابة بعد الحرب ، وانه يجدر الاعتقاد بأن ممثلي جيش الدفاع الاسرائيلي يتعاونون مع ممثلي جيش الولايات المتحدة ، لاستخلاص العبر من الحرب ، حول اوجه استخدام أجهزة الاسلحة المختلفة التي تشتريها اسرائيل من الولايات المتحدة . ففي كل جهاز من أجهزة الاسلحة الحديثة تظهر بعض العلل ، ولا تستثنى من ذلك الدبابة م ــ ٦٠ ، لكن هذه الدبابة تعتبر من أفضل الدبابات الموجودة لدى الغرب »(٢). وكان الشيخ «توماس ايجلتون» هذا قد زار اسرائيل في الفترة من ٧٣/١٢/٢٧ الى ٧٣/١٢/٣١ ، كعضو في لجنة المخصصات بمجلس

الشيوخ الامريكي ، موفد لبحث مواضيع لها علاقة بالتسلح في حقل المدرعات ، وجمع معلومات حول هذه المواضيع في مسرح العمليات نفسه(٣)، وقد أجرى عدة لقاءات مع ضباط وخبراء المدرعات في الجيش الاسرائيلي ، ورجال الاستخبارات الاسرائيلية ايضا . وصرح قائلا عقب انتهاء بحثه هذا قبيل سفره عائدا الى الولايات المتحدة « من المحتمل ان يتوصل هو ورفاقه في لجنة المخصصات الى النتيجة بأن الدبابة أصبحت قديمة ، وأيامها معدودة ، نظرا لتطوير الاسلحة الحديثة المضادة للدبابات(٤) » .

وكان لدى اسرائيل نحو ٢٠٠ دبابة«م ــ٦٠»(٥) عشية حرب تشرين الاول عام ١٩٧٣ ، وقد استوعبت داخل الجيش الاسرائيلي في بداية عام ١٩٧٢ ، ورحبت بها الدوائر العسكرية الاسرائيلية وقتئذ ، وتحدثت كثيرا عن مزاياها التقنية ، باعتبار انها تطوير جديد للدبابة الباتون «م ــ٤٨» التي كانت لدى الجيش الاسرائيلي منذ حرب ١٩٦٧ (زودت بها المانيا الغربية اسرائيل عام ١٩٦٥) اذ وصفها كاتب عسكري اسرائيلي يدعى « روفائيل مان » في مقال بعنوان « أسلحة جديدة من الشركة مباشرة « دبابة م ٦٠ الجديدة » » بانها « في غالبية المسائل تتميز تماما وبصورة نهائية تقريبا عن الدبابة القديمة المعروفة « باتون » التي اثبتت نفسها في السنوات الاخيرة ... وعلى الرغم من ان الباتون لم تكشف حتى الان عن اية علامة من علامات الشيخوخة ، الا انه من الافضل ان تتواجد في الجيش الاسرائيلي دبابات اكثر شبابا ... او كما قال العقيد ابراهام « لقد دللونا بدبابات جديدة فعلا أتت مباشرة من الشركة »(٦).

وتعتبر الدبابة « م ــ ٦٠ » حتى الان دبابة القتال الاساسية في الجيش الامريكي وقوات « حلف شمالي الاطلسي » ، وتزن ٥٣ طنا، ويبلغ طول جسمها ٦،٩٥ م ، وعرضها ٣،٦٣ م ، وارتفاعها ٣،٢٦ م . وهي مزودة بمحرك ديزل تبلغ قوته ٧٥٠ حصانا، وتبلغ سرعتها على الطرقات ٤٨ كلم/ساعة ، ومداها الاقصى في هذه الحالة (بدون تزود جديد بالوقود والصيانة الخفيفة) هو ٥٠٠ كلم ، ويتألف طاقمها من ٤ افراد ، وتسليحها الرئيسي مدفع عيار ١٠٥ مم ذو سرعة ابتدائية عالية (وهو مدفع ذو تصميم بريطاني يصنع في الولايات المتحدة) تحمل له ٦٩ قذيفة من مختلف الانواع (خارقة للدروع وشديدة الانفجار مضادة للدروع وشديدة الانفجار ذات رأس مهروس) وتسليحها الثانوي رشاش عيار ٠،٥٠ بوصة في أعلى البرج للقائد ، ويمكن استخدامه ضد الطائرات ، ورشاش آخر في البرج عيار ٧،٦٢مم، متحد المحور مع المدفع الرئيسي . وتستطيع ان تجتاز حواجز ارتفاعها ٠،٩١ م ، وخنادق عرضها ٢،٥٨ م ، وموانع مائية عمقها ١،٢٢ م بدون تجهيزات ، و٤،٤٠ م مع سنركل (انبوب تنفس طاف) ، وهي مجهزة بمعدات الاشعة تحت الحمراء اللازمة للسير والقتال الليلي ، (اي للقائد والسائق) . وتبلغ نسبة وزنها الى قوة محركها ١٥،٥ حصان لكل طن ، وقوة ضغطها على الارض ٠،٧٨ كغ على السنتمتر المربع . ويعمل جهاز نقل الحركة لديها بمحول هيدروليكي ، كما يدار برجها بطريقة كهربائية ــ هيدروليكية او يدويا (ويعتمد تنظيم نقل الحركة الهيدروليكي على ضغط المكابس على كمية من الزيت الموضوع داخل انابيب لا توجد داخلها جيوب من الهواء او الغاز)(٧) .

وقد بدأ انتاج هذا النوع من الدبابات عام ١٩٥٩لمواجهة تطورات الدبابة السوفيتية المتوسطة ت ٥٤ ، ت ٥٥ . وتميزت « م ــ ٦٠ » عن « الباتون » السابقة لها في استخدامها محرك ديزل بدلا من محرك البنزين (وذلك تمشيا مع تقنية الدبابات السوفيتية السائدة منذ عهد الدبابةت٣٤)، وفي تزويدها بمدفع أكثر قوة (عيار ١٠٥ مم) اذ كانت الباتون مزودة بمدفع عيار ٩٠ مم (ولو ان الاسرائيليين كانوا قد زودوا دبابات الباتون التي في حوزتهم قبل حرب ١٩٦٧ بمدافع فرنسية عيار ١٠٥ مم) وبزيادة سمك الدروع خاصة في البرج(٧).

ولتتضح لنا صورة كاملة بالنسبة لمدى كفاءة هذه الدبابة نوعيا يجب ان نتقدم بالمقابل مواصفات الدبابة السوفيتية الحديثة « ت ــ ٦٢ » التي استخدمتها القوات المصرية والسورية في حرب تشرين واثبتت كفاءة عالية. تزن الدبابة «ت ــ٦٢» نحو ٣٨ طنا فقط ، ويبلغ طول جسمها ٦،٥٥ مم ، وعرضها ٣،٣٧ م ، وارتفاعها ٢،١٨ م . وهي مزودة بمحرك ديزل تبلغ قوته ٥٨٠ حصانا ، وتبلغ سرعتها على الطرقات ٥٠ كلم/ساعة ، ومداها ٦٠٠ كلم ، ويتألف طاقمها من ٤ افراد . وتسليحها

الرئيسي مدفع عيار ١١٥ مم ذو جوف أملس (وهي ميزة هامة في المدفع لانها تمكنه من استخدام قذائف رقيقة الرمي قادرة على خرق الدروع من مسـافة كبيرة نسبيا) ، وتسليحها الثانوي رشاش عيار ١٢٫٧ مم فوق البرج مضاد للطائرات ، ورشاش عيار ٧٫٦٢ متحد المحور مع المدفع . وتستطيع ان تجتاز حواجز ارتفاعها ٠٫٨٣ م وخنادق عرضها ٢٫٧٥ م ، وموانع مائية عمقها ١٫٤ م بدون تجهيزات اضافية ، و٤ م مع سنركل (انبوب تنفس طاف) . وهي مجهزة بمعدات الاشعة تحت الحمراء للقتال الليلي . وتبلغ نسبة وزنها الى قوة محركها ١٥٫٦ حصان للطن الواحد . وقوة ضغطها على الارض ٠٫٨ كغ للسنتيمتر المربع . ويعمل جهاز نقل الحركة لديها بالطريقة اليدويـة العادية وكذلك البرج . ويعتقد بأن مدفعها يجري تزويده بمصوب هدف يعمل بأشعة لازر[٨].

ومن هذا كله يتضح لنا ان الدبابة «ت ـ ٦٢» تفوق « م ـ ٦٠ » (والباتون والسنتوريون ايضا) من حيث قوة المدفع ونوعيته ، كما انها تقل عنها في الارتفاع بـ ١٠٨ سم وهذه ميزة تقلل نسبة تعرضها للاصابة من المسافات الكبيرة نسبيا بالقياس للدبابات الامريكية والبريطانية كلها . كما ان قدرتها على اجتياز الخنادق والموانع المائية أفضل بوضوح . وبالاضافة الى ذلك فان طريقة صب دروعها وميولها الانسيابية تجعل قوة تحملها أفضل رغم انخفاض وزنها العام عن وزن الدبابـة الامريكية . ويزيد مدى عمل الدبابة ت ـ ٦٢ عن مدى عمل الدبابة « م ـ ٦٠ » بنحو ١٠٠ كلم . وهي أقل قابلية للاحتراق والانفجـار بكثير عـن مثيلتها الامريكية ، ولذلك كانت نسبة خسـائر أطقم هذه الدبابات السوفييتية (وكذلك ت ٥٤ وت ٥٥) أقل بكثير من نسبة خسائر أطقم الدبابات الاسرائيلية عند اصابتها، وتوضح الصور المنشورة بكثير من المجلات العالمية والعربية الفارق الضخم في نوعية الدمار والتلف في الدبابات الاسرائيلية المصابة سواء من طراز « م ـ ٦٠ » او «باتون» او حتى « السنتوريون » (والاخيرة أفضل في بعض المزايا عن الدبابات الامريكية ولكنها قابلة للاشتعال والانفجار بسهولة ، نظرا لان محركها يعمل بالبنزين لا بالمازوت) بالقياس للدبابات العربية من طراز « ت ـ ٦٢ » او « ت ـ ٥٤ » او « ت ـ ٥٥ » التي تبدو كأنها غير مصابة (لانها تكون غالبا مثقوبة فحسب نتيجة قذيفة خارقة للدروع) ولا تبدو على معظمها آثار حروق النيران .

م٠ع٠

١ ـ نشرة «ر.ا.ا.» ، عدد رقم ٤٥٦ ، صفحة ٣٢٠٩ .

٢ ـ **المرجع السابق** ، صفحة ٣٢١٠ .

٣ ـ نشرة « ر.ا.ا. » ، عدد رقم ٤٢٥ «الملحق» صفحة ٢٢٤٣ .

٤ ـ **المرجع السابق** ، عدد رقم ٤٢٨ ، صفحة ٢٥١٤ .

٥ ـ هشام عبدالله ، « حجم القوات المشتركة في القتال يوم اندلاعه » **شؤون فلسطينية** عدد ٢٧، صفحة ٥٩ .

٦ ـ مجلة بمحانياه الاسرائيلية ، ١٩٧٢/٤/١٦، صفحة ٦٩ .

٧ ـ *Jane's Weapon Systems*, 1972-73, p. 272, 273.

٨ ـ **المرجع السابق** ، صفحة ٢٨٣ .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١/١٣ — ١٩٧٤/٢/١٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة معتقل	خسائر المقاومة شهيد	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
١	١/١١ —	٢٢٠٠	الخليل	اشتباك وتفجير	تنابل يدوية واسلحة رشاشة وقذائف صاروخية وشبكة الغام	غيرمحدد	تدمير واعطاب واصابة عدد من آليات العدو	—	٣	—	رقم ٧٤/١٢	١/١٥
٢	١/١٦ —	—	بين بيت جن والرامة/شمال فلسطين	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير سيارة شحن عسكرية حمولة ٣٠٥ طن محملة بالذخائر	—	—	—	رقم ٧٤/١٣	١/١٦
٣	١/ ٨ —	١٨٠٠	بين نابلس وجنين	كمين	تنابل يدوية واسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير سيارة « بور واجن » عسكرية	—	—	—	رقم ٧٤/١٤	١/١٨
٤	١/ ٨ —	١٨٠٠	نابلس وجنين	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير خطوط الهاتف وقطع الاتصال بين المدنيين وادارة الحكم العسكري	—	—	—	رقم ٧٤/١٤	١/١٨
٥	١/٢١ —	٧٠٠	عسقلان	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة احد الباصات بأضرار	—	—	—	رقم ٧٤/١٥	١/٢٢
٦	١/٢٤ —	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	تدمير مكتب العمل الصهيوني بمحتوياته من اثاث ووثائق	—	—	—	رقم ٧٤/١٦	١/٢٥
٧	١/٢١ —	—	ايلانا/الجليل الاسفل	تفجير	الغام مضادة للآليات	غيرمحدد	تدمير آلية عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٤/١٧	١/٢٦
٨	١/٢٧ —	—	بين بتاح تكفا — تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير واصابة مصنع أمسير غاز بأضرار وكذلك المصانع المجاورة	—	—	—	رقم ٧٤/١٨	١/٢٩

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	جريح	مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	تاريخه
٩	١/٣٠	—	بيت لحم	تفجير	عبوات ناسفة	—		تدمير مكتب العمل تدميرا كاملا واشعال النيران فيه	—	—	—	رقم ٧٤/١٩	٢/ ٥
١٠	١/ ٨	—	معسكرصانور/جنين	هجوم	قذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غيرمحدد		اصابة المعسكر بأضرار	—	—	—	رقم ٧٤/٢٠	٢/ ٥
١١	١/١٩	—	طريق نابلس — طولكرم	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		—	—	—	—	رقم ٧٤/٢١	٢/ ٥
١٢	٢/ ٤	—	بيت عوا	تفجير	عبوات ناسفة	—		تدمير مكتب العمل تدميرا تاما	—	—	—	رقم ٧٤/٢٢	٢/ ٦
١٣	٢/ ٦	١٦٠٠	حيفا	تفجير	عبوات حارقة	—		اشعال النيران في مصانع الاخشاب التابعة لشركة سوليل بونيه كما امتدت الى الابنية المجاورة	—	—	~	رقم ٧٤/٢٣	٢/ ٦
١٤	٢/ ٦	—	كريات حاييم/حيفا	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	—	—	اشعال النيران في معامل ميخالي كرمل للكرتون وامتداد النيران الى المواد الخام وتقدر الخسائر بعشرات الملايين	—	—	—	رقم ٧٤/٢٤	٢/ ٧
١٥	٢/ ٣	—	طريق نابلس — جنين	كمين	أسلحة رشاشة	غيرمحدد		اعطاب باص تابع لشركة ايجد	—	—	—	رقم ٧٤/٢٥	٢/ ٩
١٦	٢/ ٨	٢٤٠٠	الخليل	كمين	قنابل يدوية ورشاشات	غيرمحدد		تدمير سيارة عسكرية واعطاب اخرى	—	—	—	رقم ٧٤/٢٦	٢/١١
١٧	٢/١٢	—	قبلان/نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير مكتب العمل الصهيوني تدميرا تاما واشعال النيران في محتوياته	—	—	—	رقم ٧٤/٢٧	٢/١٤
١٨	٢/١٢	—	كسارة محتسفا/بين القدس وتل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تعطيل الاتصال الهاتفي بين القدس وتل ابيب	—	—	—	رقم ٧٤/٢٨	٢/١٤
١٩	٢/١٠	٨٠٠	نتانيا/تل ابيب	تفجير	عبوات لاصقة ناسفة	غيرمحدد		تدمير سيارة عسكرية لاحد الضباط	—	—	—	رقم ٧٤/٢٩	٢/١٤
٢٠	٢/١١	—	يافا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اصابة منزل أحد ضباط المخابرات بأضرار	—	—	—	رقم ٧٤/٣٠	٢/١٤
٢١	٢/١٣	١٦٠٠	القدس	تفجير	عبوات لاصقة حارقة	١	١	تدمير صهريج لنقل الوقود التابع لشركة بازغاز في شارع الملك داوود بالقرب من محطة القطارات المركزية وتعطيل السير في الشارع لمدة اربع ساعات	—	—	—	رقم ٧٤/٣١	٢/١٤

١ — تصدر البلاغات العسكرية من القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

٢ — أوردت نشرة رصد اذاعة اسرائيل في النشرة رقم ٤٤٦ ص ٢٩٦٥ بتاريخ ١٩٧٤/١/٢٨ بان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي المسؤولة عن القاء متفجرات على بنك العمال في لندن .

كما اوردت الهدف في العدد ٢٣٩ بتاريخ ٧٤/٢/٩ ص ٤ — ٥ تفاصيل عملية سنغافورة حيث قام اربعة من الجبهة والجيش الاحمر الياباني بنسف منشآت شل للنفط . ثم تبع العملية عملية اخرى هي احتلال السفارة اليابانية في الكويت وانقاذ كافة افراد هذه العملية .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١/١٣ ــ ١٩٧٤/٢/١٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	خسائر العدو البشرية جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
١	١/٢٤	—	القدس	تفجير	عبوات حارقة	—	—	اشعال النيران في مكتب العمل	—	—	—	ن. عدد٤٤٤ ص٢٩٢٣	١/٢٥
٢	٢/ ٦	—	حيفا	تفجير	عبوات حارقة	—	—	تدمير مصنع ميخالي كرمل للكرتون بعد اشتعال النيران فيه وقدرت الخسائر بعشرات ملايين الليرات	—	—	—	ن. عدد٤٥٥ ص٣١٧٥	٢/ ٧
٣	٢/ ٦	١٧٠٠	كريات انا	تفجير	عبوات حارقة	—	—	اشعال النيران في منجرة « سوليل بونيه »	—	—	—	ن. عدد٤٥٥ ص٣١٧٦	٢/ ٧
٤	٢/ ٨	٢٤٠٠	الخليل	كمين	أسلحة رشاشة	—	٢	—	—	—	—	ن. عدد٤٥٨ ص٣٢٤٦	٢/١١
٥	٢/١١	١٦٠٠	المطلة	قصف	قذائف بازوكا	غيرمحدد		—	—	—	—	ن. عدد٤٥٩ ص٣٢٧٤	٢/١٢

١ ــ ن. نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

فهارس

شؤون فلسطينية

السنوات الثلاث الاول

١/٣/١٩٧١ — ١/٣/١٩٧٤

(الاعداد الثلاثون الاول)

الفهرس الاول
الكتّاب

الرقمان المشار اليهما الى جانب كل مادة من الفهرس يعنيان على التوالي رقم العدد من « شـــؤون فلسطينية » ثم رقم الصفحة .

الفهرس الثاني

المواضيع

الفهرس الثالث

المراجعات

أبو خالد ، خالد ، وسام على صدر الميليشيا (ع) ٢ : ١٧٩ .

أبو سلمى ، من فلسطين ريشتي (ع) ٦ : ٢٣٩ .

أبو شاور ، رشاد ، ذكرى الايام الماضية (ع) ٣ : ١٨٢ .

أبو شلبايه ، محمد ، الطريق الى الحرية والخلاص والسلام (ع) ٢٠ : ١٥١ .

أبو لغد ، ابراهيم ، تهويد فلسطين (ع) ١١ : ١٧٥ .

أبو همام ، المقاومة عسكريا (ع) ١٧ : ١٣٩ .

أفنيري ، شلومو ، اسرائيل والفلسطينيون (ن) ٨ : ١١٥ .

ألكنز ، مايكل ، تزوير غاضب (ن) ٦ : ٢٤٥ .

اوبلنس ، ادجار ، الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة (ن) ٢٢ : ١٨٦ .

ايب ، فرانك هـ. ، لمن فلسطين (ن) ٧ : ١٥٤ .

ايتون ، جوزيف ، التأثير في ثقافة الشباب (ن) ٩ : ١٥٧ .

ايلون ، عاموس ، الاسرائيليون : المؤسسون والابناء (ن) ٨ : ١٠٥ .

بار زوهار ، مايكل ، خاطرت بحياتي (ف) ٢٢ : ١٩٠ .

بالابكن ، نقولاس ، تعويضات المانية الغربية لاسرائيل (ن) ٢٣ : ١٧٨ .

بالاس ، شمعون ، وضوح (عب) ١٨ : ١٥٧ .

بجتدل ، ايان ، اسرائيل ، شعبها والازمنة الحديثة (نر) ٣ : ١٨٥ .

براهام ، مارك ، اليهود لا يكرهون (ن) ١٨ : ١٦٥ .

برتز ، دون ، مشكلة اللاجئين الفلسطينيين العرب (ن) ١٩ : ١٦٨ .

بردت ، ونستون ، مجابهة الشرق الاوسط (ن) ٤ : ٢١٩ .

برغر ، ألمر ، البيت الابيض والصهيونية واسرائيل (ن) ١٦ : ١٩٨ .

البرغوثي ، مريد ، الطوفان واعادة التكوين (ع) ١٤ : ١٥٤ .

بسيسو ، فؤاد حمدي ، تأثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الاسرائيلي (ع) ٨ : ٩٩ .

بل ، بوير ، اسطورة الحرب الفدائية (ن) ١١ : ١٦٣ .

بنتوش ، نورمان ، اسرائيل : السنوات الحاسمة (ن) ٦ : ٢٥٠ .

بن عيزر ، ايجود ، ليست الحرب للابطال (عب) ١٧ : ١٤٩ .

بن غوريون ، دافد ، اسرائيل : تاريخ شخصي (ن) ١٥ : ١٩٤ .

---

* ال = الماني
ع = عربي
ف = فرنسي
نر = نرويجي
س = سويدي
عب = عبراني
ن = انكليزي
هـ = هولندي

بن غوريون ، دافد ، دافد بن غوريون يتكلم (ن) ٢٦ : ١٥٥ .

بولشاكوف ، ف. ، معاداة الشيوعية مهنة الصهيونية (ع) ١٨ : ١٥٩ .

بيرلر ، الكسندر ، العلاقات المدنية الرينية في اسرائيل (ن) ٦ : ٢٥١ .

تالمون ، ج. ل. ، اسرائيل بين الامم (ن) ٧ : ١٥٦ .

توما ، د. اميل ، جذور القضية الفلسطينية (ع) ٢٥ : ١٥٤ .

جاسبارد ، لوراند ، فلسطين السنة صفر (ف) ١١ : ١٦٨ .

جانسن ، جودفري ، لماذا قتل روبرت كندي (ن) ٢ : ١٩٥ .

جاهرتون ، بار ، حرب فلسطين (س) ١ : ١٨٧ .

جبرا ، جبرا ابراهيم ، السفينة (ع) ٢ : ١٨٢ .

جبور ، جورج ، الاستعمار الاستيطاني في افريقيه الجنوبية والشرق الاوسط (ن) ٣ : ١٨١ .

جروللنبرج ، لوكاس ، عن اسرائيل التي يريدونها بدون حدود (هـ) ٥ : ٢٤٥ .

جلوب ، السير جون باجوت ، السلام في الارض المقدسة (ن) ٥ : ٢٥٩ .

جمعه ، سعد ، ابناء الافاعي (ع) ٣٠ : ١٤٣ .

جمعه ، سعد ، مجتمع الكراهية (ع) ٥ : ٢٥٧ .

جولدبرغ ، جاكوب ، الصراع في الشرق الاوسط (ال) ٣٠ : ١٤١ .

جويدي ، امتثال ، شجرة الصبير (ع) ١٤ : ١٤٤ .

حجار ، ج. ، اوروبا ومصائر الشرق الادنى (ف) ٨ : ١١٨ .

حداد ، سلمى ، الطلاب في اسرائيل (ع) ٦ : ١٦٤ .

حشابيه ، اريه ، مارس ذو العين الواحدة (عب) ١٩ : ١٧٤ .

خالدي ، وليد ، من اللجوء الى الغزو (ن) ٥ : ٢٤٢ .

الخفش ، حسني صالح ، مذكرات (ع) ٢٥ : ١٥٧ .

دحبور ، أحمد ، حكاية الولد الفلسطيني (ع) ٤ : ٢٢٥ .

درويش ، محمود ، أحبك او لا أحبك (ع) ٩ : ١٦١ .

درويش ، محمود ، شيء عن الوطن (ع) ٥ : ٢٤٠ .

دوبزنسكي ، شارلز ، مرآة الشعب (ف) ١٢ : ٢١٦ .

دوبتشر ، اسحق ، دراسات في المسألة اليهودية (ع) ١ : ١٩٥ .

ديمتري ، اديب ، الماركسية والدولة الصهيونية (ع) ١٢ : ٢٠٠ .

رابسمن ، م. فن المعقول (ن) ٥ : ٢٥٥ .

ربيع ، حامد ، التعاون العربي والسياسة البترولية (ع) ١٨ : ١٥٥ .

رزوق ، اسعد ، التلمود والصهيونية (ع) ٢ : ١٩٢ .

رشيد ، محمد ، نحو فلسطين ديموقراطية (ع) ١ : ١٨٩ .

روديبرغ ، انغفار ، شعر فلسطيني (س) ٢٦ : ١٥٣ .

رودنسون ، مكسيم ، الماركسية والعالم الاسلامي (ف) ٢٤ : ١٦٦ .

رولبانت ، صموئيل ، الجندي الاسرائيلي (ال) ٨ : ١١١ .

زاندر ، ولتر ، اسرائيل والاماكن المقدسة المسيحية (ن) ١٢ : ٢١٠ .

زياد ، توفيق ، تهليلة الموت والشهادة (ع) ١٦ : ٢٠١ .

زين ، د. الياس ، هجرة الادمغة والهجرة المضادة من اسرائيل (ع) ٢٥ : ١٥١ .

سرية ، صالح ، تعليم العرب في اسرائيل (ع) ٣٠ : ١٤٥ .

سعد ، عبد المنعم ، السينما والتواجد العربي في المؤتمرات الدولية (ع) ١٥ : ٢٠٢ .

السعودي ، منى ، شهادة الاطفال في زمن الحرب (ن) ٣ : ١٧٦ .

سعيد ، عبد المغني (وآخرون) ، الاشتراكية العربية (ن) ٢٩ : ١٣٣ .

سلزر ، مايكل ، الصهيونية : اعادة نظر (ن) ١١ : ١٧٢ .

سمث ، السير لورنس ، الشرق البراق (ن) ٣ : ١٩٤ .

سموع ، الياس ، حرب حزيران ١٩٦٧ العربية الاسرائيلية (ن) ٨ : ١٠١ .

سنو ، بيتر (ودافد فلبس) ، حرب ليلى الخاطفة (ن) ١ : ١٨٦ .

سيرب ، شركة ، تاريخ اسرائيل بالاسطوانات (ف) ٩ : ١٥٩ .

سيرج ، ف. د. ، اسرائيل مجتمع يتطور (ن) ٨ : ١٠٥ .

شامر ، موشيه ، حياتي مع اسماعيل (ن) ٣ : ١٨٧ .

شرابي ، هشام ، الفدائيون الفلسطينيون (ن) ١٧ : ١٣٧ .

شفيق ، منير ، الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم (ع) ٢٩ : ١٢٧ .

شفيق ، منير ، حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية (ع) ١٧ : ١٤٢ .

الشقيري ، احمد ، من القمة الى الهزيمة (ع) ١٢ : ٢١٢ .

شلايفر ، سليمان ، سقوط القدس (ن) ٢٢ : ١٨٦ .

شنبور ، رأفت ، مسؤولية الغرب امام خطر الحرب (ف) ١٢ : ٢٠٤ .

شيركوف ، موردخاي ، اليسار الجديد واليهود (ن) ١٤ : ١٤١ .

شيلاف ، اسحق ، تحت شجرة التوت (عب) ١٤ : ١٥٧ .

صايغ ، انيس ، الفكرة الصهيونية : النصوص الاساسية (ع) ٩ : ١٥٢ .

صايغ ، ريمون ، نظام الاحزاب السياسية في اسرائيل (ف) ١١ : ١٧٧ .

صايغ ، هيلدا شعبان ، التمييز ضد اليهود
الشرقيين في اسرائيل (ع) ٨ : ١٠٧ .

صفوة ، نجدت فتحي ، بيروبيجان (ع) ٢٦ : ١٥٨ .

صقر ، محمود ، احمد ، التجارة الخارجية لاسرائيل (ع) ١١ : ١٦٠ .

ضود ، س. (وماري سالز) ، اسرائيل والعالم العربي (ن) ٢ : ١٨٥ .

طلاس ، اللواء مصطفى ، الكفاح المسلح في وجه التحدي الصهيوني (ع) ٤ : ٢٢٨ .

العابد ، ابراهيم ، مئة وسبعة وعشرون سؤالا وجوابا (ن) ٢٩ : ١٤٢ .

العابد ، ابراهيم ، مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية (ع) ٧ : ١٦٧ .

عاروري ، نصير (وادمون غريب) ، عدو الشمس (ن) ١ : ١٩٣ .

عاروري ، نصير ، المقاومة الفلسطينية للاحتلال الاسرائيلي (ن) ٧ : ١٦٠ .

العامري ، محمد اديب ، عروبة فلسطين في التاريخ (ع) ٢٥ : ١٤٧ .

العروي ، عبدالله ، الايديولوجية العربية الحديثة (ع) ١٧ : ١٤٤ .

عزام ، سميرة ، العيد من النافذة الغربية (ع) ٥ : ٢٤٩ .

العزاوي ، ضياء ، شاهد من هذا العصر (ع) ١٥ : ١٩٧ .

العظم ، صادق جلال ، دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية (ع) ١ : ١٨١ .

العظم ، صادق جلال ، دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية (ع) ٢١ : ١٧٠ و ٢٥ : ١٣٦ .

علوش ، ناجي ، نحو ثورة فلسطينية جديدة (ع) ٢٥ : ١٤٧ .

علوش ، ناجي ، النوافذ التي تفتحها القنابل (ع) ٢ : ١٧٩ .

عناصر ، مجلة (ف) ٢ : ١٧٩ .

عنبتاوي ، منذر ، واجبات الاطراف الثالثة في الحروب المعاصرة (ع) ٢ : ١٩٠ .

العويني ، محمد علي ، سياسة اسرائيل الخارجية في افريقية (ع) ٢٣ : ١٦٩ و ٢٥ : ١٦٠ .

محمود ، معين أحمد ، الجديد في العسكرية الاسرائيلية (ع) ٢٩ : ١٣٥ .

مرقص ، الياس ، المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن (ع) ١٧ : ١٤١ .

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الاهرام ، العسكرية الصهيونية ج ١ (ع) ١٩ : ١٦٤ .

مزراحي ، روبرت ، ماركس والمسألة الصهيونية (ف) ١٦ : ١٨٩ .

المسيري ، عبدالوهاب ، عاشق من فلسطين (ن) ٣ : ١٨٠ .

المناصرة ، عز الدين ، الخروج من البحر الميت (ع) ٢ : ١٧٩ .

منصور ، كميل ، اوري افنيري (ع) ٢٣ : ١٨٦ .

المؤتمر اليهودي العالمي ، اسرائيل في الضمير اليهودي (ف) ٢٤ : ١٧٩ .

النابلسي ، تيسير ، حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ (ع) ١٥ : ١٩٩ ، ١٨ : ١٦٧ .

نجوى ، اديب ، عرس فلسطيني (ع) ٢ : ١٨٢ .

نصر ، فكتور ، الانتحار الاميركي (ف) ١٨: ١٦٢ .

نصيف ، محمود اسماعيل ، لماذا هو غير ممكن اللقاء مع اليسار في اسرائيل (ع) ١٤ : ١٥٠ .

نعناعه ، محمود ، المشكلة اليهودية (ع) ١٩ : ١٧٣ .

النقاش ، رجاء ، محمود درويش (ع) ٢٣ : ١٨٢ .

هاراكابي ، يهوشافاط ، تيارات في السياسة والاجتماع (ع) ١٥ : ١٩١ .

هاراكابي ، يهوشافاط ، فلسطين واسرائيل (ف) ٣٠ : ١٣٢ .

هولشتاين ، والتر ، لا سلام حول اسرائيل (أل) ١٦ : ١٩٣ .

هوي ، ايرفنج ، (وآخرون) ، اسرائيل والعرب والشرق الاوسط (ن) ٢٢ : ١٨٣ .

هيرمان ، سيمون ن. ، الطلاب الاميركيون في اسرائيل (ن) ٣ : ١٩٠ .

وانز ، دافد ، الحرب غير المقدسة (ن) ٦ : ٢٤١ .

ولف ، ليونارد ، محبة اسرائيل (ن) ٣ : ١٩١ .

وينز ، رعنان ، التعاون الاقليمي والعلاقات الريفية في اسرائيل (ن) ٦ : ٢٤٨ .

ياري ايحود ، قصة فتح (ن) ٦ : ٢٤٨ .

ياسين ، وليد ، وشم على ذراع خضره (ع) ٤ : ٢٢٥ .

يوست ، والتر ، كلمة الاشارة حيفا (ال) ١٩ : ١٧٧ .

الفهرس الرابع

المؤتمرات

الفهرس الخامس

الشهريات

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor,* Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon L L 40, Syria S L 50, other Arab countries LL 50 or equivalent, Africa and Europe LL 55, elsewhere LL 90; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World LL 50. *Address:* P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٣ ١/٢ ل.ل. في لبنان
٤ ١/٢ ل.س. في سوريا
٤٥٠ فلساً في الكويت والعراق
٤ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية